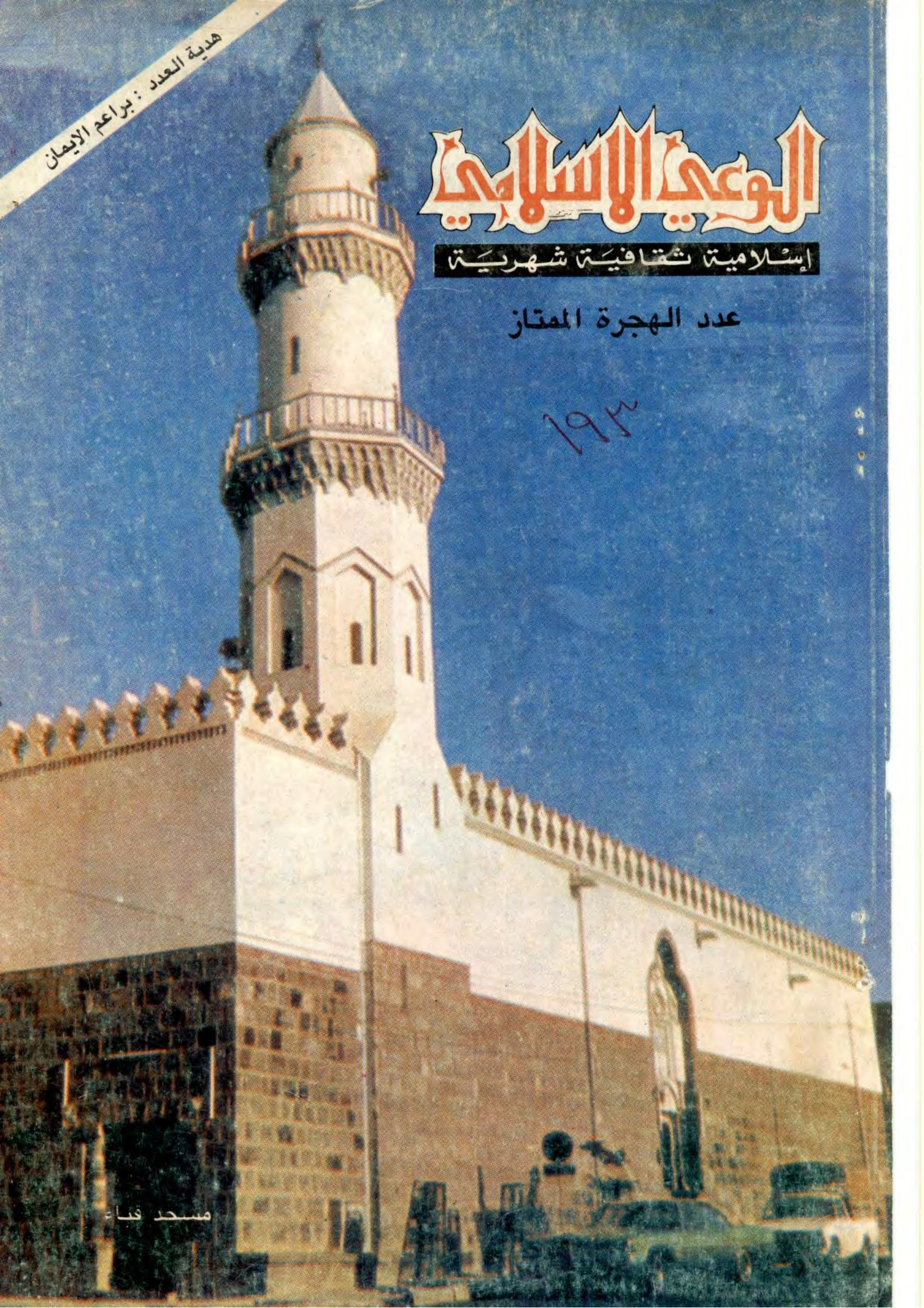

هدية العدد : براعم الايمان
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
عدد الهجرة الممتاز
١٩٣
مسجد قباء



من روائع فن البناء الاسلامي

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٣ ● محرم ١٤٠١ هـ ● نوفمبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة
الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الهجرة رمز لحقيقة الاسلام

حادث هجرة رسول الاسلام — محمد صلى الله عليه وسلم — وصحبه الذين آمنوا بدعوته من مكة الى المدينة ، حادث جدير — الى ابعد حدود الجدارة — بالفحص والتأمل ، لأن معانيه تمتد مع الزمن ، مشعل هداية ، وسبيل نصر ، وطريق عزة ومجد ، وفقه ما يوحي به هذا الحادث ووضعه موضع الهداية والعمل ، هو التمجيد الصحيح لحقيقة الاسلام ، والتكريم الحق للمبادئ العليا التي نادى بها رسول الاسلام ، وضحى هو وصحبه في سبيل إقرارها .

لقد كانت الهجرة إكراها للمؤمنين على إهدار مصالحهم ، والتضحية بأموالهم ، والنجاة بأشخاصهم ، وقد ساروا في طريقهم الى المدينة وهم مستباحون ، قد يؤكلون في اول الطريق او في نهايته ، ويشعرون كذلك بأنهم يسيرون نحو مستقبل مبهم ، لا يدرون ما يتمخض عنه من هموم وأحزان ، ولا يقدر على تلك الهجرة الا المؤمنون الصادقون .

ولقد سبقت الهجرة بحملة إيذاء متنوع ، شنها المشركون على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنين برسالته ، فقد لقى الرسول الكريم من قومه اشد الجحود والايذاء ، ليصدوه عن تبليغ دعوة ربه عملا بقول عمه أبي لهب : خذوا على يديه ، قبل ان تجتمع العرب عليه . وتلك طبيعة النفوس العليلة ، والقلوب المريضة ، ازاء كل من يعتمد الحق ، ويدعو اليه ، وينجح في تقريره ، ويصبر ويصابر لاقراره وتمكينه . وقد تنبأ «ورقة بن نوفل» بهذا الايذاء قبل حدوثه اعتمادا على معرفة هذه الحقيقة في طبائع الناس ، فلما عرض عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — امر النزلة الاولى للوحي ، كان مما قال له : « ياليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال الرسول : او مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودي » وقد افصح القرآن الكريم عن هذا المعنى في قوله تعالى : (**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الانعام/٣٣ .

وأما الايذاء الذي نزل بالصحابة رضوان عليهم . فقد كان امتدادا

لمناهضة رسول الله ، ومصادرة دعوته ، وكبت رسالته ، وقد قابل الصحابة هذا الايذاء بثبات وقوة احتمال ، فتكونت منهم دعامات ركينة ، صلبة الايمان ، تصلح ان تكون مادة الاسلام الاولى التي يبنى منها صرحه الشامخ ، ويقيم عليها عماده العتيد ، ولهذا حين فرضت الهجرة المبدئية عليهم لم تكن — في عرف الاسلام — هجرة يشار اليها بالاعتبار والتقدير والمثوبة الا اذا نبعت من هجرة قلبية ، تعتمل في نفس صاحبها النية الصادقة في نصرة الاسلام واعلاء كلمته . يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « انما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » (رواه البخاري ومسلم)

وما تحدث القرآن عن الهجرة وآثارها من سعة في الارزاق ، وتمكين للدين ، الا مقرونة بالاخلاص فيها لله : **(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون)** النحل/ ٤١

ذلك لان عون الله للعباد مقدر على قدر نياتهم ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر عون الله له ، وقد دبر رسول الاسلام لهجرته كل اسباب النجاح التي يمكن ان يقوم بها ، من نشر الاسلام بين اهل المدينة قبل الهجرة ، واتخاذ السرية الكاملة لصيانة خطواته ، وخدعة المشركين ليلة المؤامرة، بأمره عليا بأن ينام في فراشه ، ويتدثر ببرده ، فكلما نظروا من فروج الباب يرون النائم . فيظنون انه النبي عليه الصلاة والسلام ، واستخفائه هو وصاحبه في غار ثور ثلاث ليال ، واتخاذه دليلا أمينا من المشركين ليرحل بهما بعد ثلاث .

وكان من الممكن ان يخسف الله بالمشركين حين تآمروا على حياة الرسول ولكن يأبى الله الا ان يكون النصر نتيجة العمل من جانب المؤمنين ، حتى يكون الاخذ بالاسباب سنة مطردة الى يوم الدين في كل صراع بين الكفر والايمان ، فكانت الهجرة قفزة الى الوراء ، استكمالا لأسباب النجاح . في بيئة أفعم جوها بكل وسائل القوة من الايمان والحب والايثار ، وهي بيئة الانصار الذين قال الله فيهم : **(والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ .

وقد وضعت الهجرة المعالم الواضحة في بيان ان الاسلام حقيقة لا صورة ، وان الذين يحملون حقيقة الاسلام يستطيعون ان ينتصروا بها على جميع الحقائق المنتشرة في العالم ، اما من يحملون صورة الاسلام فقط فهم عاجزون عن الانتصار لانهم لا يستطيعون التغلب على شهواتهم ، ولا يقدرون على

الثبات على الحق عند الابتلاء والامتحان ، ولهذا ربط الله بين المؤمنين الذين حملوا حقيقة الاسلام من انصار ومهاجرين برباط الولاية والنصرة ، وقطع هذه الولاية بينهم وبين المؤمنين الذين حملوا صورة الاسلام ، فقعدوا عن الهجرة في ابانها مع قدرتهم عليها : **(إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا)** الانفال/ ٧٢ .

وفي سيرة المهاجرين العطرة ما يدل على ان حقيقة الاسلام تهزم جميع الحقائق وتتغلب عليها مهما كانت هذه الحقائق وثيقة الصلة بالعواطف والاحاسيس والمشاعر .

هاجر صهيب – رضى الله عنه – فلما كان في الطريق ، اعترضته جماعة من مشركي مكة وقالوا له : اتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، وهنا قامت المعركة بين حقيقة الاسلام وحب النفس والمال ، ولكن حقيقة الاسلام انتصرت ، وقال صهيب : ارأيتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، قال : فاني قد جعلت لكم مالي !! وهكذا انطلق صهيب بدينه متجردا من ماله . فرحا مسرورا بانتصار حقيقة الاسلام لديه على حقيقة حب المال . ولما علم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأمره قال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

وخرج ابو سلمة وزوجه وولده الصغير مهاجرا ، فلما رآه رجال من بني المغيرة قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك قد غلبتنا عليها ، ارأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده ، واخذوها منه !! واخذ بنو عبد الاسد ولده الصغير !! وهنا اصطدمت حقيقة الاسلام بحقيقة حب الزوج والولد في نفس ابي سلمة فانتصرت حقيقة الاسلام ، وترك ابو سلمة زوجه وولده الصغير ، ومضى في هجرته يبتغي اعزاز دينه .

وهكذا حولت حقيقة الاسلام – لدى المهاجرين والانصار الهزيمة الى نصر ، والظلام الى نور ، والفوضى الى امن ونظام ، فعاش بها المسلمون في منعة من اعدائهم ، وفي أمن وطمأنينة على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وفي حرية يعتز بها دينهم ، وفي طهر ونظافة في اخلاقهم .

وان وعد الله بالنصر والفتح في الدنيا والمثوبة في الآخرة محصور في هذه الحقيقة ، وذلك

قوله تعالى : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)** آل عمران/ ١٣٩ : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**

يعبدونني لا يشركون بي شيئا) النور / ٥٥ .

وقد عاش المسلمون مدة من الزمن معتصمين بايمانهم عاملين بتعاليم دينهم ، ففتحت لهم المشارق والمغارب ، وعلت بهم كلمة الله في الارض ، وعاش الناس في ظل الاسلام ينعمون بعدالة شاملة ، وحضارة نظيفة ، فلما ركنوا الى شهواتهم ، واتخذوا الاسلام مجرد شعار ، أفلسوا في الروح والقوة المعنوية ، وهانوا على أعدائهم !

لقد اجتمع سبع دول عربية لمحاربة الصهيونية سنة ١٩٤٨ وكانت هذه الدول عليلة الروح أطفأت المادية الاوروبية في قلوبها شعلة الجهاد ، وحببت اليها المفاسد ، فكانت الحرب صراعا بين صورة الاسلام في هذه الدول وحقيقة التنظيم والقوة في الصهيونية وكانت النتيجة المحتومة هي انهزام العرب ، واستيلاء اليهود على فلسطين ، ومازال المسلمون والعرب – حتى اليوم – يعانون من الآثار المريرة لهذا الانهزام !! ولا سبيل للنصر الا بحقيقة الاسلام يقيمها العرب في نفوسهم . ويطبقونها في جميع شئون حياتهم ، لتقودهم الى الكفاح الصادق ، والعمل الجاد ، وكل ما سوى ذلك صرخة في واد ، ونفخة في رماد .

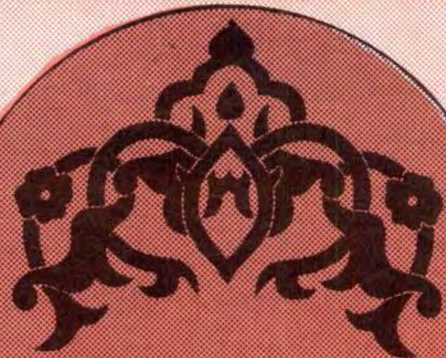
إن العوامل التي ساقت المهاجرين الى الهجرة من بلدهم تاركين كل ما يملكون ، مفارقين جميع ما يحبون ، والتي دفعت الانصار لمبايعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – على حمايته كما يحمون نساءهم وأبناءهم ، هي الايمان بالله ، والحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، وما أحوج العرب والمسلمين في هذا العصر الى تلك العوامل ، لينقذوا حاضرهم ، ويصونوا مصيرهم ، ويبنوا حياتهم على الجد والنشاط ، والطهر والصلاح ، وليحرسوا المثل العليا وحدها في عالم مليء بالشهوات والمآثم :(**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** الحج / ٤٠ .

ومطلع القرن الخامس عشر الهجري ، يذكرنا بالمآسي التي نزلت بنا في القرن الرابع عشر الهجري نتيجة انصرافنا عن منهج الله واتباعنا لمناهج من صنع الناس ، فاستبدلنا بالخير السوء والشر ، وبالوحدة التمزق والفرقة وبالعزة الهوان والمذلة . وبالصراط المستقيم السبل المنحرفة ، والطرق المعوجة .

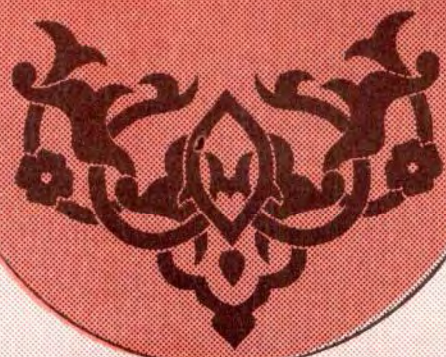
ومن حقنا على أنفسنا ومن حق الله علينا أن نجعل مطلع القرن الخامس عشر الهجري بدء عودنا الصحيح الى الاسلام ليعيد الله لنا عزتنا التي أضعناها . وكرامتنا التي أفنيناها ، فهو سبحانه وتعالى – ولي المؤمنين يخرجهم من الظلمات الى النور . وفق الله المسلمين الى اتباع صراطه المستقيم .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



القرآن الكريم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري



للأستاذ/عبدالحميد السائح

جميل جدا أن تهتم المؤتمرات واللقاءات والجماعات الاسلامية على المستويين الرسمي والشعبي ، بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، لأنه يمثل فترة من الزمن قد مضت ، سجل علينا فيها ما اكتسبناه وما جنيناه ، وستحاسبنا الأجيال على ذلك لنأخذ نصيبنا من التقدير أو التكدير ، جزاء وفاقا ، وأخيرا سيحاسبنا العليم الخبير ، سبحانه ، على كل ما قدمناه ، ضمن القاعدة العادلة ، الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، كما ورد في الأثر ، وكما قال سبحانه : **(هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون)** يونس/٥٢ ، ولقوله : **(هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)** الأعراف/١٤٧ ، وقوله عز شأنه : **(ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا)** الكهف/٤٩ .

كما يمثل مطلع القرن الجديد آمالا مرجوة في فترة قادمة من الزمن ، نتلافى فيها تقصيرنا ، ونعد فيها لمستقبلنا ، ونخطط فيها لوقف التدهور الرهيب ، ونمنع فيها مسيرة الأخطار المتلاحقة ، كما نخطط لمدارج النهضة والتطور والتقدم .

لقد حضرت بعض جلسات لمؤسسات تخطط لمطلع ذلك القرن ، كما اطلعت على مخططات أعدت من مؤسسات أخرى ، وكلها تدور حول كنوز مدفونة ، يراد إبرازها ، أو إزالة ما علق ببعض تراثنا ، من أغلفة حجبت حقيقته ، أو شوهت معالمه ، أو إحداث معالم ثقافية نكمل فيها مشاريعنا ، ونظهر فيها آثار اهتمامنا بحضارتنا ، ومصادر أمجادنا ، أو مؤتمرات ، تشكل مواسم ثقافية ، تجلي واقعنا ، وتشرح عللنا وأمراضنا ، وتوضح واجباتنا ، وتنجلي عن مخططات واضحة وآراء راجحة ، ندفع بها ما يحيط بنا من أخطار ، وما تتعرض له أمتنا من دواهي ونكبات ، ويدون كل ذلك في سجلات مطبوعة نتداولها في مختلف مجتمعاتنا ، التي يشملها القرن الخامس عشر الهجري ، بجميع أبعاده ، ويصيبها خيره ، أو يلحقها شره وضره ، وذلك للتنفيذ أو الاعتبار .

واقعنا الآن

وإذا نظرنا إلى واقع الأمة العربية والاسلامية ، في الوقت الحاضر ، أينما اتجهنا ، لا نجد فيها ما يسر الخاطر ، ولا ما يبهج الناظر ، ولا تبشر المقدمات الظاهرة بنتائج أحسن ، على المدى القريب على الأقل ، إذا استثنينا مواقع تتطلع إليها الاعناق ، لتستقر وتسير على طريق الهدى والرشاد .

نجد في مجتمعاتنا تخاذلا وتفككا ، وأنانية وانحرافا ، كل كيان مستأثر بالمحافظة على شخصيته ، والحرص على وضعيته ، لا يقبل دمجا ولا اندماجا ، ولا يقبل وحدة ولا اتحادا ، مع أن سبيل الخلاص يكمن في التجمع ، لا في التفرق .

وحينما نتحدث عن الاستعمار يوم كان مخيما على أوضاعنا ظاهرا وعلنا ، نتهمه بأنه جزأ أوطاننا ، وقضى على وحدتنا ، وفرق شملنا ، وهذه تهمة صحيحة ، لأن الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه ، لا يريد لنا خيرا ، ولا يطمئن لوحدتنا وتقاربنا ، بل إنه يعتبر كل ما يؤدي إلى تفاهمنا ، نذير شر عليه ، ودليل يقظة وتنبه لمخططاته وإفساد مؤامراته .

والغريب في واقعنا أننا نتمسك بجرائم الاستعمار ونعض عليها بالنواجذ ، ونقرر في مؤتمراتنا ، وخطاباتنا ، أن السبيل الوحيد لدرء الأخطار عنا هو توحيد قوانا ، وتجميع شملنا ، والقضاء على شرذمتنا . وعند محاولة التنفيذ نبتعد عن كل ما قررناه ، ونتمسك بكل ما ألفيناه ، ويمثل واقعنا قول الله سبحانه : **(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة/ ١٧٠ .

والعلة المتأصلة فينا أننا ورثنا عن الاستعمار أفكارا صارت منا كأنها حقائق خالدة ، وقواعد ثابتة ، لا تغيير فيها ولا تبديل .

وكلنا يردد قول الله سبحانه : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد/ ١١ . والكل تقريبا يصرون على ما يخفون في أنفسهم ، والمتاجرة بألفاظ براقة ترضي بها الجماهير ، وتخفف من نقمتها وتذمرها .

وهذا الوضع المزري والمؤلم ، يقابله وضع آخر ، تجد فيه أفرادا أو جماعات يتحسسون الآلام ، ويبحثون عن طريق الخلاص ، ومن هؤلاء من يرون الخير في العودة إلى أصول حضارتنا ، وجذور تراثنا ، ومع أن هذا هو الطريق الأصوب والسبيل الأرشد ، لكنه غير محدد بأهداف دقيقة وقواعد متينة ، ومسالك رصينة ، ولا يكفي أن نقول مثلا : القرآن مرجعنا والحديث مرشدنا ، لأن باب التأويل والتحريف ، قد دخله بعضنا وأخذ يتصرف بغير انضباط ، مما ينذر بخطر كبير ، لذلك يجب وضع مخطط ، يتضمن أصولا لا ينازع فيها ، وقواعد لا تمسها يد التغيير

والتبديل ولا التأويل .

وقد عرف أعداؤنا تمكن تلك العلل فينا ، أو أنهم مهدوا السبل لتغلغلها ، تأمينا لمصالحهم وأهدافهم ، فأحكموا المؤامرات واغتالوا الأوطان والمقدسات ، وطعنونا في كل ما يمس كرامتنا ، ومشاعرنا ، حتى استولوا على القدس والخليل وسائر الديار ، وعرضوا الأقصى والمسجد الابراهيمي لمظاهر التبذل ، ويحاولون الاستيلاء على كل ذلك من غير حرج ، وشرورهم وأطماعهم تمتد إلى ما وراء ذلك أيضا ، حتى لا تستثني مكة المكرمة ، ولا المدينة المنورة ، والشواهد على كل ذلك تتكرر كل يوم وتظهر على المسرح ، من غير خجل ولا استحياء ، وكأننا نضع على عيوننا ما يحجب عنها الحقيقة ، وإن كان الخطر ماثلا ، والنكبات متوالية .

وهذه لبنان ومحنتها ، وهذه فلسطين ومخيماتها ، وهذه المستوطنات المتناثرة ، وهذه الحفريات المتواصلة ، وهذه الاستملاكات والاعتداءات المتكررة في القدس والمسجد الأقصى والخليل والمسجد الابراهيمي ، ونابلس وجنين ، وأريحا وما دون ذلك وما حوله ، كلها شهود ناطقة ، بل محذرات منذرات ، وهذه تصريحات زعماء الصهيونية ، وألاعيب السياسة الأميركية ، واستخفاف بعض الحكام بالأمة العربية ومن ورائها الأمة الاسلامية ، وكل ذلك ينادي ويستصرخ أولئك الذين أطبقوا جفونهم أن عليهم أن يفتحوها ليشاهدوا المآسي والمخازي ، ويتحركوا قبل أن يدق ناقوس الخطر ، أبواب بيوتهم ونوافذها ، وقبل أن يقول الواحد منهم ، أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

نعم الله علينا كثيرة

إننا إذا أردنا أن نحتفي بمطلع القرن الخامس عشر الهجري فيجب أن نخطط لأعمال ناجعة ووسائل سليمة ، لازالة العار ، ودفع الأذى والضرر عن كل عربي ومسلم يصيبه أثر « مطلع القرن الخامس عشر الهجري » وأن نلتزم فعلا بتنفيذ ما قررناه ونقرره ، ويجب أن نأخذ في اعتبارنا ما أنعم الله به علينا ، ماديا ومعنويا ، عربيا وإسلاميا .

أنعم الله علينا بالمواقع الاستراتيجية ، التي لها أهميتها عالميا ، بين قارات آسيا وأوروبا وافريقيا ، والتي يتصارع الأغيار — على اختلاف منازعهم — من أجل الاستيلاء عليها .

وأنعم علينا بالبترول ، والبوتاس ، والفوسفات ، والمعادن المتنوعة الوفيرة ، ليكون كل ذلك ، سلاحا نستعمله للحفاظ على وجودنا ، ودرء الخطر عن إخواننا ، وليحقق الكفاية والحاجة الماسة للأمة بكاملها ، ولا يجوز أن يستأثر بهذه الخيرات فريق من الأمة ، قضت ظروفه أن يعيش على تلك البقعة من الأرض دون غيرها ، ويحرم منها

الفريق الآخر .

ونحن نرى الأعداء ، ولو تظاهروا بمظهر الأصدقاء ، يخططون من أجل نهبها والتصرف بها حالا أو مآلا .

وأنعم علينا بنعم كثيرة وفيرة ، وكما قال سبحانه : **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ابراهيم/ ٣٤ .

نعمة القرآن الكريم

لكن هناك نعمة أجل وأعظم من كل ما ذكر ، أجل من المواقع الاستراتيجية وأخطر من منابع البترول ، ومصادر المعادن كلها ، ذلك أن المواقع قد يكون هناك بديل عنها ، وقد يشاركها غيرها في امتيازاتها ، وينابيع البترول ومصادر المعادن ليست الوحيدة في هذا العالم ، وقد تتوصل الحضارة الحديثة ، والتكنولوجيا المتقدمة ، الى بديل أو أبدال عنها ، وقد ينفد معين المعادن ، ولو بعد حين ، لكن هناك نعمة لا ينفد معينها ، ولا يمكن إيجاد بديل عنها ، ولم نقدرها حق قدرها ، ولو قدرناها ما أنزلناها منزلتها الجديرة بها ، ولو تحدثنا عنها لما أوفيناها حقها ، تلك هي نعمة القرآن ، الذي لا يقدر قدره ، ولا يدرك عظمته ، إلا من قذف الله في قلبه نور الايمان ، واستطاع أن يدرك ما في القرآن من عظمة خارقة ، تفوق كل المبتكرات والمخترعات ، انزلها على قلب رسول كريم ، حمل الدعوة ، وأنار المشعل ، فحطم الأصنام ، وقضى على عبادة الأوثان ، حجرية أو بشرية ، وحفظ للانسان كرامته وحرمته وحريته ، ودعاه إلى استعمال عقله ، واستكناه سر وجوده ، والتأمل فيما خلق الله ، في الأرض ، وفي السماء ، وفيما تحت الأرض ، والبحار ، وفيما فوق السماء ، كل ذلك من خلق الله وإبداعه ، وفيه أسرار ، والاطلاع عليها ، وإدراك أهميتها يحتاج إلى دأب ، ومثابرة ، بحيث يستمر العلماء في بحوثهم ، والمخترعون في اختراعاتهم ، والمفكرون في إبداعاتهم ، وكل هؤلاء وأولئك ، كلما تغلغلوا في علم ومعرفة ، كلما ازدادوا شعورا بالعجز ، وضعف أمام قوة ، وجهل أمام معرفة واسعة ، وليس هذا الذي أقول خيالا أو شعرا ، أو نظريات فلسفية ، وإنما هي حقائق الأمور تتجلى للمؤمنين ، الذين يؤمنون بالغيب ، والذين إذا تليت عليهم آيات ربهم زادتهم إيمانا ، والذين يشعرون بأن ربهم مطلع عليهم ولو كان عملهم في أعمق أعماق البحار ، كما قال سبحانه ـ على لسان لقمان لابنه : **(يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير)** لقمان/ ١٦ .

ولذلك قال سبحانه : **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** فاطر/ ٢٨ .

وقد ذكر الخبراء ، تعليقا على هذه الآية ـ بعد استعراض تباين الثمرات

والجبال والناس والدواب والأنعام ، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين في تلك الأحوال جميعها وحدة في الأصل ، فالثمرات من ماء واحد ، والجبال من صهارة واحدة ، وكذلك اختلاف الألوان ، والناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطف التي تنشأ منها ، ولو فحصت بالمجاهر القوية ، فانها في مظاهرها لا تشير الى شيء مما تكنه من أوجه الاختلاف ، وإنما هي دقائق وأسرار تحتويها في داخلها (جيناتها) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى الخصائص الوراثية الكافية في جراثيم النبات والحيوان والانسان تحافظ على فطرتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء .

وأحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات .

وقد علق على الآية صاحب المصحف الميسر ، بقوله : لأنهم هم الذين يدركون دقة صنعه سبحانه .

فاذا استعرضنا تلك النعم التي أنعم الله بها علينا أدركنا أن علينا واجب الشكر له سبحانه ، على ما أنعم وتفضل ، ولا أقصد بالشكر ترداد الكلمات والألفاظ فقط ، وإنما أقصد الشكر لله سبحانه بأفعالنا وأقوالنا وأعمالنا ، ومشاريعنا ومشاعرنا ، وسلوكنا وتصرفاتنا ، بحيث نكون صورة صحيحة صادقة لتعاليم الاسلام والقرآن ، وكان شعارنا الصدق في أقوالنا ، والأمانة في أعمالنا ، والتناصح في سلوكنا ، والصبر على ما يصيبنا ، والتنبه لأخطائنا ، والسير قدما لاصلاح أحوالنا ، والأعداد العلمي الكافي الوافي لأجيالنا أن يتسلموا الأمانة ، ويسيروا على درب العزة والكرامة ، والنهضة المستمرة ، والقوة العامة الشاملة .

فاذا فعلنا ذلك ، وقمنا بما ذكر نكون قد أدينا واجب النعم ، والله سبحانه يقول : **(لئن شكرتم لأزيدنكم)** ابراهيم/٧ . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم واحمد .

هذه العقيدة الواضحة ، وهذه الطريق البيضاء الناصعة ، وهذا الايمان الراسخ ، إذا ثبتت جذوره ، وتأصلت قواه ، نبني حينئذ أمة الأمجاد والبطولات كما بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأكرمون ومن سار على دربهم من الأخيار الأطهار المؤمنين المخلصين ، وهي أمجاد لا حد لنشاطاتها ، ولا نهاية لطموحاتها ، ولا وقفة في تجاربها وبحوثها ، كما استلهموا ذلك كله من القرآن الكريم الذي **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** فصلت/٤٢ . وقال سبحانه : **(يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا)** النساء/١٧٤ . وقال عز شأنه : **(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين)** الشعراء/١٩٢ ـ ١٩٥ . وقال

سبحانه : (**فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**) الزخرف/ ٤٣ ، ٤٤ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر هنا الصيت والشرف ، وقال تعالى : (**لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون**) الانبياء/ ١٠ . وفي المصحف الميسر ، إنه فخر لك ولقومك ، لانه بلسانهم ، وسيبقى ذكرهم ، ما بقي لسانهم .

وقال سبحانه : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الأنبياء/ ١٠٧ .

وكل هذا يتطلب من المسلمين أن يقتبسوا من كتاب الله ، وسنة رسول الله ، ما يحقق رحمة العالمين وإنقاذهم من الشر والفساد .

اهتمام المسلمين بالقرآن

وليس من قبيل المصادفة أن المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، الذي انعقد سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م حينما بحث فيما ينبغي عمله ، في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، أن يشير إلى القرآن الكريم والعناية بالقرآن الكريم ، والتعلق بالقرآن الكريم ، كما أن الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي في الجزائر الذي تم سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م حينما تحدث عن القرن الخامس عشر الهجري والحضارة الاسلامية ، وقد ساهم فيه علماء مسلمون ومستشرقون ، وطرحوا تصوراتهم وتطلعاتهم إلى آفاق المستقبل ، عسى أن يكون فيه تجديد لأمر الاسلام ، كان القرآن الكريم مركز كل أحاديثهم ، ومبعث انطلاقاتهم ، ومهوى أفئدتهم ، وقرروا تأليف لجنة من علماء المسلمين تناط بهم مهمة تقديم جديد للقرآن الكريم يأخذ في اعتباره العلوم الكونية الصحيحة المعاصرة .

وفي القرآن الكريم آيات خالدة ، وأصول هائلة ، وقواعد مدهشة ، إذا وعتها العقول أدركت القوة الخارقة ، قوة الخالق العظيم ، وانساقت إلى الايمان بالله العلي الكبير ، ونبذت كل ضروب الكفر والشرك والالحاد بجميع أنواعه ووسائله ، قال تعالى : (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**) يونس/ ١٠١ .

ولا ريب أن العاقل الذي يتجرد عن الهوى ويستعمل عقله وفكره ويتأمل بما في هذا الكون العجيب ، من نظام وابداع ، يتوصل - لا محالة - إلى الايمان بوجود الله ، وقد اهتدى كثير من العلماء نتيجة بحوثهم العلمية ، واستعمال عقولهم ، إلى الايمان بوجود الله العظيم .

وان قول الله سبحانه : (**ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون**) الطور/ ٣٥ ، ٣٦ . فيه دليل إلزامي يجعل الانسان العاقل منساقا إلى الايمان بوجود الله ، لأنه إذا استعمل

عقله واستدل بما يشاهد في هذا الكون ، من أن كل موجود يحتاج إلى من يوجده ، وكل مسبب يحتاج إلى سبب . فالعمارة لابد لها من موجد يوجدها والشجر والنبات لا يظهر ولا يوجد إلا بعد غرس النبتة الأولى ، والانسان لا يوجد إلا بعد عملية التلقيح بين الرجل والمرأة ، وهكذا ، فكيف يمكن ان يوجد هذا العالم وما فيه من شموس وأقمار من غير موجد يوجده ؟ إن ذلك مستحيل في عرف العقلاء ، والبشر لم يزعموا أنهم خلقوا السموات والأرض وما فيهما فكان ذلك دليلا إلزاميا على الاعتراف بوجود الله .

وإن « ديكارت » باعث الفلسفة الحديثة يستدل على وجود الله بما تضمنته هذه الآية ، يبدأ ديكارت دليله من الشك في كل شيء ثم يستطرد فيقول : ولكنني لو شككت في كل شيء فاني لن أستطيع أن أشك في أنني أفكر ، وما دمت أفكر فأنا شيء موجود .

وهكذا يثبت ديكارت أنه موجود ، وينتقل من حقيقة وجوده إلى التسليم بأنه لم يخلق نفسه ، ويقول : لأنني لو كنت خالق نفسي لجهزتها بكل الكمال الذي ينقصها ..

ويخلص ديكارت إلى أنه يلزم من ذلك أن يكون خالق الكون هو الله الواحد الأحد القادر الكامل .

ويزداد ذلك الموقف قوة وثباتا إذا انتبهت تلك العقول إلى ما في القرآن الكريم من إرشادات أو مضمونات لحقائق علمية أصبحت معروفة في الكون ، وما كان الناس يدرون من أمرها شيئا ثابتا مقنعا ، فاذا تنبهوا لذلك وأحاطوا به علما ، ازدادوا إيمانا ويقينا ، وجذبتهم تلك الحقائق العلمية ، مع ما في القرآن من إرشادات وتنبيهات ، إلى أن ينقذوا البشرية من أخطارها ، وينتزعوا عوامل دمارها وتهديمها ، بالأخذ بما في القرآن ، من مبادىء سامية ، وتطبيق ما يهدف إليه القرآن من شرائع حكيمة قويمة .

أمثلة من الأدلة العلمية

وإذا كان القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته ، الحجة الساطعة على أئمة البلاغة وفرسان الفصاحة من العرب ، فانه بالنسبة لغير العرب لا تقوم هذه النواحي حجة عليهم ، ولا تقنعهم بأنه تنزيل من رب العالمين . ولكن حينما نعرض عليهم مثل قوله تعالى : **(وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها)** ١٢ / فاطر .

وقوله سبحانه : **(مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)** الرحمن ١٩ / ٢٢ .

وكان الرأي المعروف عند العرب وعند غير العرب ، أن الحلية واللؤلؤ والمرجان ونحوها إنما تخرج من الماء المالح ، وكان المفسرون يفسرون

الآيات المذكورة بأن المقصود أنه يخرج من أحدهما .

ولكن العلم والواقع أثبتا أخيرا أن اللؤلؤ كما يستخرج من أنواع معينة من البحر ، يستخرج أيضا من أنواع معينة أخرى ، فتوجد اللآلىء في المياه العذبة ، في انكلترا واسكتلندا وويلز ، واليابان وتشيكوسلوفاكيا الخ .

ويوجد الياقوت أيضا في الرواسب النهرية في (موجوك) بالقرب من (ماندلاس) في بورما العليا ، ومن الأحجار شبه الكريمة ، التي تستعمل في الزينة حجر التوباز ، وتوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ، ومنتشرة في البرازيل وفي روسيا ــ الاورال وسيبريا ــ الخ ..

وهذه الحقائق والمكتشفات أثبتت بصورة يقينية أن الحلية واللؤلؤة وأمثالها تستخرج من الأنهار العذبة ، كما تستخرج من البحر المالح ، مما يشهد بأن هذا القرآن من عند الله سبحانه ، وقد أعلمنا بذلك منذ نزوله ، كما هو ظاهر من نصوص الآيات . ويقول « موريس بوكاي » ، الطبيب الفرنسي : كيف أمكن لمحمد عليه السلام أن يتناول قبل أربعة عشر قرنا ، حقائق علمية في القرآن الكريم ، لم يكتشفها إلا التقدم العلمي ، في القرون الحديثة ، لو لم يكن القرآن وحيا منزلا ، لا شك فيه ، ولا ارتياب في نصوصه .

ومن الأمثلة أيضا ، قوله تعالى : **(فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)** يونس/٩٢ .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ، ليراه الناس ، ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم ، لمن كان يعتبر نفسه إلها ، ويقول لقومه الخانعين ، ليس لكم من إله غيري .

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى : **(ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)** النور/٤٣ .

وهذه الآية سبقت ركب العلم في عدة أمور أشرنا إليها ، وإلى آيات أخرى من القرآن الكريم ، وأوضحنا وجه الاعجاز فيها ، وكيف أثبت العلم صحة ما ورد في القرآن مع أنه عند نزوله ما كانت تعرف تلك المعاني التي أشارت إليها الآيات ، لا في الجزيرة العربية ، ولا في غيرها ، مما يشهد بأن القرآن الكريم تنزيل من حميد مجيد .

نبذة عن القرآن الكريم

القرآن الكريم أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليحرر النفوس من أغلالها ، والعقول من قيودها ، ويطهر المجتمعات من الخرافات والأوهام ، والعادات المتوارثة ، المبنية على التقليد الأعمي ، ويقضي على تقديس وعبادة البشر ، كما أنقذ

الانسانية من عبادة الحجر ، ويهدي الناس إلى سنن الرشاد ، ويعلمهم الكتاب والحكمة والسداد ، وينقذهم من مهاوي الضلالة ، ويرفعهم إلى درجة يرشدون فيها غيرهم من الأمم ، إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم ، في العاجل والآجل ، وقد جمع أسمى المبادىء وأقوم المناهج وأفضل النظم ، واشتمل على كل ما يحتاجه البشر من العقائد والعبادات ، والآداب والمعاملات ، وقد كفلت تلك التعاليم إنشاء الفرد الكامل والأسرة الفاضلة والمجتمع الصالح ، والحكومة العادلة ، والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدالة ويرفع الظلم ويدفع العدوان ، ويجعل الناس سواسية في أحكامه ، لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، ولا بين مسلم وغير مسلم ، وطريق التفاضل بين الناس هو تقوى الله ، والعمل الصالح .

ولكن في ضوء هذا القرآن العظيم ، وهذه المبادىء السامية يحتاج المسلمون إلى وضع منهج عملي واضح ، وتحديد مبادىء لا يختلف عليها ، ولا يمس جانبها ، لأنها من القرآن أساسية ، ومن العقيدة تمس جوهرها ، وفيما عدا ذلك يترك لكل شعب ومناخ ، أن يختار ما يناسبه ويتلاءم مع ظروفه ، ويكون أيسر عليه تنفيذا وأسهل عليه تطبيقا .

فلا يجوز العبث بأركان الاسلام ، ولا يجوز البحث في أعداد الصلوات المفروضة ، ولا يجوز التخلي عن الجهاد ، ولا يجوز سلوك مسالك المهانة والذلة ، ولا يجوز الأغراق في الترف والملذات ، ولا يجوز تعريض الأمة للهلاك ، ولا يجوز تمكين الآخرين من أعداء الله أن يتحكموا في رقاب المؤمنين ، ويعذبوا المواطنين ويعتدوا على المقدسات .

قال تعالى : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون/٨ .

وقال سبحانه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الأنفال/ ٦٠ .

وقال عز شأنه : **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان)** النساء/ ٧٥ .

الخلق والعلم في آيات القرآن الكريم

وفي القرآن الكريم آيتان تحملان مبدأين عظيمين ومنهجين متلاقيين :

الأولى : قوله تعالى : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم/ ٤ .

الثانية : قوله سبحانه : **(وقل رب زدني علما)** طه/ ١١٤ .

ففي الأولى نهج أخلاقي واضح ، لا درجات فيه ولا مراحل ، إما أن يكون الانسان ذا خلق رفيع ، فيكون صادقا في أقواله وأعماله ، وأمينا في كل أحواله ، موفيا بالوعد ، ملتزما بالعهد ، قائما بالواجب ، شاعرا بما

عليه من مسئوليات ، وحينئذ يتمتع بثمرات استقامته ، ونتائج تصرفاته ، في الدنيا ، توفيقا وهناء وسعادة ، وفي الآخرة جنات خالدات ، ونعما متواصلات .

واما ألا يكون كذلك فلا يتمتع بتلك الثمرات ، لا في دنياه ولا في آخراه ، ومن هذا المنطلق قال الفقهاء : الخيانة لا تتجزأ ، فمن خان في القليل خان في الكثير ، ولعل هذا هو هدف الحديث الشريف ، حينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده)** رواه الشيخان . أي أن من يسرق البيضة قد يتدرج حتى يسرق الدجاجة فأكثر منها فتقطع يده الخ ..

ولذلك لا ينبغي للانسان ان يتهاون في أية خيانة يرتكبها ، ولا في أية معصية يقترفها ، حتى لا يقدم على ما هو اكبر منها ، كما لا يجوز للمجتمع أن يسكت عن المعاصي تستشرى ، دون أن يحرك الناس ساكنا ، ودون أن يأمروا بالمعروف أو ينهوا عن المنكر ، وأخرج الأمام مالك عن صفوان بن سليم ، قلنا : يارسول الله « أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم ، فقيل له ، أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال نعم ، قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا » .

وأخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رفعه : « يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب » .

وهذان الحديثان وأمثالهما يدلان على كبر الأثم في الكذب ، لخطره ، ونتائجه السيئة ، قال تعالى : **(إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)** النحل/١٠٥ ، كما أن الحديث الثاني يدل على خطر الخيانة وكبر اثمها ، مما يستدعي تجنب هاتين الخصلتين ، وكل خصلة سيئة مماثلة لهما أو دونهما ، حتى لا نبتعد عن الخلق الحسن ، وأن الله سبحانه وصف رسوله الكريم بالخلق العظيم ، وهو الأسوة الصالحة ، والقدوة الحسنة ، والأمام الأعظم ، لنقتدي به في سمو خلقه وكمال سلوكه .

وأما الآية الثانية ، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن الانسان في مقام العلم ، لا يصل إلى المنتهى ، لأنه لا حد له ، ولا يبلغ مرحلة الاكتفاء ، ولذلك كان ارشاد الله سبحانه لرسوله الكريم أن يقول : **(رب زدني علما)** ، وهذا يعني أن الانسان مهما بلغ في العلم ، من رتبة سامية فان عند الله مقاما أعظم ، ودرجة اكبر ، مما يوحي إلى الانسان أن يتواضع وأن يشعر بما يهدف اليه قوله سبحانه : **(نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم)** يوسف/٧٦ .

ولذلك فان أئمة الاسلام في معظم العصور كانوا يدأبون على البحث والاستقراء والتجارب والاستنباط ، لأنهم يعتبرون ذلك ضربا من ضروب العبادات والقربات إلى الله سبحانه ، ويستمرون كذلك إلى أن يقعدهم

العجز أو الموت .

وكانوا لا يكتمــون علمــا ، ولا يدخرون حقيقة ، يخفونهــا عمــن سواهم ، لأن إرشاد البشرية ونفعها غاية لهم ، « وخير الناس أنفعهــم للناس » ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . رواه الطبراني .

ومن حسن حظ الانسان ان يكون مهيأ لقضاء مصالح العباد ، وأن يكون سبيلا لتفريج الكرب ، وإزالة الغموم والهموم عمــن سواه ، وأن يكون بابا يفتح على أي خير لأي فرد من أفراد البشرية ، قريبا أو بعيدا ، صديقا أو عدوا موافقا أو مخالفا ، وكان صلى الله عليه وسلم يقــول لبعض أصحابه : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، أو خير من الدنيا وما فيها » . وقال أيضا : « إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة » رواه الطبرانــي ، وروى الترمــذي وأحمد وأبو داود عن عمر بن مرة قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك ياأبا فلان ؟ فقلت : حديثا أخبرك به ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجتــه وخلتــه وفقـــره يوم القيامة » .

وأن الامام أبــا حنيفــة عليــه الرضوان سئل مرة بم بلغت ما بلغت إليــه ؟ قال : لأنــي لا أستنــكف الاستفادة ممن هو دوني ، ولا إفادة من هو فوقي .

وأنا أعرف شيوخا مرموقين من علماء الأزهر الأجلاء أو أئمته وكانوا أعلاما ، ومع هذا فانهم يجلسون مجــالس التلامـــذة في حلقـــات أساتذتهم ، اعترافا منهم بالحاجة إلى المزيد من العلم والتزود بالمعرفة .

وكان المرحوم شيخ الاسلام ابن تيمية يؤلف الكتب ويبحث ويدرس ، وهو يرسف في قيود السجن (نتيجة وشاية بعض الحاسدين ذوى الأهواء والأغراض) وقد ترك وراءه ــ رحمه الله ــ ثروة ضخمة من مختلف أنواع العلــوم ، في القـــرآن والحديـــث والفتــاوي ، والـــرد على الفـــرق المنحرفة ، وشئون إسلامية أخرى ، منها الدعوة الاسلامية والسياســة الشرعية وغير ذلك ..

ولشيخ الاسلام ابن تيمية أربعون حديثا رواها بسنده هو ، وكان من تلك الأحاديــث ، الحــادي عشر ، والثاني عشر والثامن عشر ، والسابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون والأربعون ، في سنده من شيوخه سيدات فاضلات ، وقال في روايته للحديث الثامن والثلاثــين ، اخبرتنا الشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة .. قراءة عليها وانـــا اسمع الخ .. وفي روايته للحديــث التاسع والثلاثــين قال : اخبرتنــا الصالحة العابدة المجتهدة ام احمد زينب مكي .. وفاطمة بنت علي بن عساكر قراءة عليهم الخ ..

وقال في روايته للحديث الأربعين اخبرتنا الشيخة الصالحة ام محمد زينب بنت احمد .. المقدسية قراءة

عليها وانا استمع الخ .

وذلك كله يدل على ما كانت تتمتع به المرأة المسلمة في ذلك العهد من مكانة علمية مرموقة ، في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اخبرني شيخي الجليل المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي ، مفتي الديار المصرية سابقا ، في حلقة درسه ، في المسجد الحسيني بالقاهرة ، حينما كان يدرسنا ، كتاب الهداية في الفقه الحنفي ، أن صاحب كتاب « بدائع الصنائع » أبو بكر بن مسعود بن احمد الكاساني ، من اهل حلب ، ويلقب بسلطان العلماء ، كان لا يوقع على الفتوى ، الا اذا وقعتها قبله زوجته ، لوثوقه بها ، وبتضلعها في العلم والفتوى .

مما يدلنا دلالة واضحة على أن التوسع في العلوم والبحوث الدينية والمزيد منها شأن العلماء من الرجال والنساء .

واذا كان هذا شأن العلماء في العلوم الدينية ، وما يتصل بها ، فانه يجب دينا ، أن يهيأ للأمة كل ما تحتاجه من علوم وعلماء ، ومختبرات في أي شأن من الشئون التي نحتاجها لتأمين مصالحها ، سواء في الطب او في الهندسة أو في علوم الحرب والجهاد وألاته ، على اختلافها وتطورها .

وقد ذكر حجة الاسلام الغزالي ، وغيره من أئمة المسلمين أن من فروض الكفاية أن يهيأ للأمة جميع ما تحتاجه من كل علوم الدنيا ومتعلقاتها ، ومثل ذلك انشاء المصانع الحربية والمدنية للصناعات الثقيلة والخفيفة ، وليس من مقتضى أحكام القرآن ولا من مستلزمات شريعة الاسلام أن يتوسع المترفون بشراء القصور الفخمة ، والتطاول في البنيان والعمران ، لمزيد من مكاسبهم الشخصية ، أو لتحقيق ملذاتهم وانحرافاتهم ، والأمة بأمس الحاجة إلى مصنع يؤمن لها بعض حاجاتها الضرورية ، خصوصا ، ما توفر به وسائل الدفاع عن دينها وقرآنها ووجودها ومقدساتها . ومن ذلك يتبين أن الضروري من العلوم نوعان :

١ ــ علوم شرعية إلهية تستند إلى كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبصر الناس بأمور دينهم وتوضح لهم الحلال من الحرام ، ووسائل التعبد الصحيحة .

٢ ــ علوم دنيوية يحتاجها المجتمع ولا يستغني عنها .

وأن كل من يسعى أو يساعد في تأمين حاجات الأمة ، في أي ميدان من الميادين الاقتصادية أو العسكرية أو أي ميدان آخر ، وتكون نيته صالحة وهدفه إرضاء الله ، يستحق من الله على ذلك العمل وذلك المقصد الشريف الأجر الكبير والثواب العظيم .

ماذا يجب في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ؟

واعتقد أنه لا يجوز للمسلمين في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

أن يبقوا عالة على غيرهم ، في ما يحتاجون إليه ، من الأبـرة حتـى الصاروخ ، ومن رغيف الخبز حتى بناء القصور ، ويجـب عليهـم أن يحققوا ما هدف إليه القرآن وتعاليم الاسلام ، من بناء أمة قويـة ، في أخلاقها ، قوية في علومها ، قوية في مصانعها ، قوية في استعداداتها ، على مختلف المستويات والميادين ، وأن تكون قوانينهـم ومجتمعاتهـم صورة صادقة لما في القرآن الكريم وسيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . فاذا وصلنا إلى هذا المستوى وأدركنا هذا القدر من الواجـب ، ونفذنا ما يطلب منا ، فلا يعقل أن نسكت على هذه المخازي ، التي تمثل على المسارح الدولية ، والتي توجه صباح كل يوم ومساءه ، طعنـات نجلاء ، للعزة الاسلامية والعربية ، في فلسطين ولبنان ، وسائر المناطق العالمية الأخرى ، والتي يستخـف فيها عدونا الصهيوني ، ومن يسانده من الدول الكبرى ، وغيرها من الدول الاستعمارية قديما وحديثا .

ولابد أن نستمر في تزويد الأمة ، بما يربطها بماضيها المجيد ، وتراثها التليـد ، وتذكيرهـا بواجباتهـا ، خصوصا في هذه المرحلة الخطيرة من حياتنا ، حتى يهيئ الله لهذه الأمة من تقـذف به مبادئـه الاسلاميـة الصحيحة إلى قمة المجد والسؤدد ، فيسير ويقود الأمة الى طريق الجهاد والأنقاذ والشرف .

وعلينا أن نستلهم من القـرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ما يكون خطة لنا في مطلع القرن الجديد ، ونتذكر قوله سبحانه .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطـين . انمـا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الديـن وأخرجـوكم من ديـاركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) الممتحنة/٨ ، ٩ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » رواه اصحاب السنن .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد » رواه النسائي .

فكيف بمن يقاتل دفاعا عن كل ذلك ؟

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا لازالة مظاهر الذلة والخزي والعار ، الذي هو لا حق بكل عربي ومسلم ، مادامت القـدس والديـار المقدسـة تحـت الاحتلال ، ومادام المسجـد الأقصى والمسجـد الابراهيمـي أسيريـن ، ومادام السكان المستضعفون يعانون من ظلم الأعـداء سواء كانـوا في السجون ، أم خارج السجون .

وإن لله عبادا إذا أرادوا أراد ، وإذا اتجهوا إليه ونصروه نصرهـم وأيدهم وأعانهم .

نموذج
رائع
من
تربية
الرسول

كيف تكوّن المجتمع الاسْلامي بالمدينة

للأستاذ : علي القاضي

في عصرنا الحاضر اصبحت الهجرة شيئا عاديا مألوفا وسريعا بسبب عوامل كثيرة ، ومع ذلك فانها بالنسبة للفارين من وجه الظلم والطغيان مشكلة كبيرة ، تتعاون الدول على حلها ، أو على الاسهام في حل المشكلات الناجمة عنها ، حتى تخفف من متاعبها ، وآثارها .

لكننا لا نستطيع ان نقيس الماضي بالحاضر ، إن الهجرة في القديم كانت شيئا يكاد يكون نادرا ، لقد كان حب الوطن متمكنا في قلب كل فرد من افراد هذه البيئة ، الأهل والأصدقاء وذكريات الطفولة والصبا والمال والمتاع ، كل ذلك يترك الى بيئة جديدة ليس فيها شيء من ذلك ، وفيها جو مختلف ، وطقس مخالف ، وأسلوب في الحياة جديد ، كل هذا كان يؤثر في كل فرد من ابناء المهاجرين الى المدينة .

ولقد كانت الدولة الاسلامية الناشئة في حاجة الى المهاجرين من مكة ليتوطد سلطان الاسلام فيها ، وبخاصة وأن المدينة بها يهود ومشركون ومنافقون ، ويحيط بها قوى الأعراب حول المدينة ، ويترصد بهم كفار قريش الذين أقضت الهجرة مضاجعهم ، فمضوا يخططون للقضاء على الاسلام بالمدينة .

ولقد منع القرآن الكريم المسلمين القادرين على الهجرة من الاقامة مع المشركين في مكة لان الاقامة معهم فيها تكثير لعدوهم ، ثم ان المشركين ينتفعون بجهود المسلمين في الصناعة والزراعة ، ومن يدري فربما اضطروهم الى المشاركة معهم في حروبهم ضد المسلمين كما حدث في معركة بدر ، بالاضافة الى تعرضهم للفتنة من قبل الكفار لصرفهم عن دينهم .

وقد ادت الهجرة المستمرة الى تنوع سكان المدينة ، اذ اصبح فيها ـ الى جانب سكانها الأصليين ـ المهاجرون من قريش والقبائل العربية الأخرى ، وبذلك ارسيت قواعد المجتمع المدني الجديد على اساس روابط العقيدة التي استعلت على ارتباطات القبيلة وعصبيتها وسائر الروابط الأخرى .

المهــــاجرون :

خرج المسلمون من مكة مهاجرين الى المدينة فرارا بدينهم ، وليكونوا ـ مع الأنصار ـ المجتمع الاسلامــي الأول ، وقد تركوا أهلهم وثرواتهم بمكة ، وجاءوا الى المدينة وليس معهم الا ايمانهم ، ولم تكن لهم مهارة في الزراعة والصناعة ، ولم تكن معهم رؤوس اموال يستخدمونها في التجارة التي يجيدونها .

ومع ان المدينة بلد زراعي وخيراته كثيرة الا ان الحروب المتوالية التي استمرت ١٢٠ عاما اكلت الأخضر واليابس ، وجعلت الحياة المعيشية شاقة ، ولقد اصــاب الجهــد كل المهاجرين ومن الأمثلة التي تدل على حالتهم مصعب بن عمير الشاب الذي كان مرفها في مكة فأصبح في المدينة لا يجد ما يستتر به ، وعلي بن ابي طالب الذي اخذ يعمل في بستان يهودي كلما نزع دلوا نال تمرة ، حتى نال حفنة ، فرجع فرحا بما نال ..

وحتى النبي صلوات الله عليه لم يسلم من ذلك ، خرج مرة من بيته فوجد أبا بكر وعمر فقال لهما ما أخرجكما ؟ فقالا : الجوع ، فقــال عليه السلام : ومــا أخرجنــي الا الجوع ، وجاءه رجل مرة وقال : يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبي عليه السلام لأصحابه : ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل مٰن الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهــب لأهلــه وقــال لامرأته : هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئــا ، فقالــت : والله ما عنــدي إلا قوت الصبية ، واتفقا على ان يطعماه طعام الصبية .

وممــا ضاعــف من مشكلــة المهاجرين في المدينة انها كانت في هذه الفترة موبوءة بحمى الملاريا ، فلم تمض أيام من وصولهم إلى المدينة حتى مرض بها بعض الصحابة ، ومنهم أبو بكر وبلال وعامر موليا أبي بكر ، وكان لذلك اثره النفسي على نفوس المهاجرين ، فقد استوخموا جو المدينة ، وبدأوا يحنون الى مكة ، وبدأ النزوع الفطري الى الوطن والأهــل يراودهم صباح مساء .

وكانت هذه مشكلة جديدة عالجها النبي عليه السلام بأسلوبه الخاص ، فقد كان يصبر أصحابه على احتمال الشدة ، وكان يقول لهم : « لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من امتي إلا كنت له شفيعــا وشهيــدا يوم القيامة ، ولا يدعها رغبة عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه » رواه مسلم ، ومن ناحية اخرى كان يلجأ الى ربه قائلا : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم وصححهــا وبــارك لنــا في مدهــا وصاعها ، وانقل حماها وأجعلهــا بالجحفة » ، رواه البخاري .

وكان إذا أتى بأول التمر قال . « اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ، اللهم ان ابراهيــم عبــدك ونبيــك وخليلك ، واني عبدك ونبيك ، وانه

دعاك لمكة ، وأنا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » ، رواه مسلم ، وطلب من ربه ان يجعل بالمدينة ضعفي ما جعل بمكة من البركة .

وقد ارتفعت روح المسلمين المعنوية ، وبدأوا يتركون التفكير في مكة ، ما فيها ، ومن فيها ، ويقبلون على الدعوة ينشرونها ، وانصرفت نفوسهم اليها انصرافا تاما .. لقد جاءوا الى المدينة ليقيموا المجتمع الاسلامي ، ثم ينطلقوا إلى آفاق الدنيا لاخراج الناس من الظلمات الى النور .

تكوين المجتمع الاسلامي :

أصبح المسلمون في المدينة القوة الاساسية ، ولذلك فقد كان لا بد من وضع دعائم لهذا المجتمع الجديد ، دعائم تتلاءم مع الأسس الاسلامية ، والنبي عليه السلام ترك مكة بما فيها ومن فيها ، وجاء إلى المدينة ليجد فيها البذرة الصالحة ليؤسس المجتمع الأسلامي الجديد .

وقد أقام النبي عليه الصلاة والسلام المجتمع الجديد على ثلاثة أسس :

الأساس الأول : صلة المؤمنين بربهم الذي خلقهم وكرمهم واختارهم لأداء رسالة الاسلام وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ونشر العدل والأمن والسلام بين ربوعها ... ولذلك فقد كان اول شيء يفعله النبي عليه الصلاة والسلام في اي مكان يحل به هو بناء المسجد ، وقد أقام في قباء أربعة أيام فبنى بها مسجد قباء ، كما اقام في منتصف الطريق بين قباء والمدينة حين ادركته صلاة الجمعة مسجدا في بني سالم بن عوف ، وهكذا بنى مسجده حيث بركت ناقته وقد اشترك النبي عليه السلام مع اصحابه في حمل الأحجار على كواهلهم مما كان له الأثر الكبير في حماستهم ، كان عليه الصلاة والسلام كأحدهم ، ويكره ان يتميز عليهم ، مما جعل بعضهم يرتجز :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة
فاغفر للانصار والمهاجرة

فيرد عليهم النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ذلك .

والاسلام لا يهمه المظهر وانما يهمه المضمون ، ولذلك فقد كانت أعمدة المسجد من جذوع النخل ، وسقفه كان من جريد النخل ، وفراشه الحصباء والرمال ، وكل هذه الأشياء متوفرة في بيئة المدينة ، وهذا البناء البسيط هو الذي ربى المسلمين الأوائل وكون شخصياتهم وزكى نفوسهم ، ثم هو مكان لأقامة الصلاة جماعة ولتلقي العلم ، والمسجد يوحد الصفوف ويهذب النفوس ، ويوقظ القلوب ، وفيه تحل المشكلات ، ومنه تنبعث كلمة الحق في كل اسبوع مرة ويؤذن للصلاة عند كل حادث جلل ، فيجتمع المسلمون ويتشاورون ويقررون ما يرون انه صالح لهم في دينهم ودنياهم ، وقد اتخذ النبي عليه الصلاة والسلام مسجده النبوي مقرا

للقيادة يعد فيه الخطط العسكرية ، ويربي فيه المجاهدين ، ويصدر فيه القرارات والوصايا ... وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد ، وتعقد الرايات والاعلام والبنود للمجاهدين في المسجد وتوزع فيه الأسلحة والمعدات ، وكان اصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر وكان المجاهدون العائدون من الغزوات والسرايا يعودون الى المسجد ، وفيه تضمد جروح المصابين .

وكان المسجد الى جانب ذلك ـ منزلا لأهل الصفة ـ وهم من فقراء المهاجرين الذين لا أهل لهم ولا مال ـ وقد استمر تدفق المهاجرين الى المدينة حتى غزوة الخندق حيث كان الكثيرون منهم يستقرون في المدينة الى جانب الوفود الكثيرة التي طرقت المدينة آنذاك ، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من المدينة ، وقد زاد اهل الصفة على السبعين ، وكان ابو هريرة عريف اهل الصفة ، وكان واسطة بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ... وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتفقد اهل الصفة بنفسه ، يزورهم ، ويطمئن عليهم ، ويعود مرضاهم ، يفرقهم إذا جاء الليل على اصحابه ، وتتعشى طائفة منهم معه ، واذا اتته هدية ارسل اليهم وأصاب شيئا منها حتى جاء الله بالغنى .

وأول خطبة خطبها النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة ترينا القيم التي كان الرسول صلوات الله عليه يربي اصحابه عليها ، وهي وصلهم بالله تعالى وصلا كاملا ... **روى البيهقي** عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ان اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة انه قال بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه : « أما بعد ايها الناس : فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وأتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ، فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقي نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم » .

الأساس الثاني :

الأساس الثاني : وحدة المؤمنين ، وازالة ما بينهم من فوارق ، وبناء القوة الاسلامية الجديدة على الحب والتعاون والأمن .

وقد قام النبي عليه الصلاة والسلام أولا بتوحيد الأوس والخزرج وسماهم الأنصار ، بعد ان استمرت الحروب بينهم أكثر من مائة عام ، وقد من الله تعالى عليهم بهذه النعمة في قوله تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله**

عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) آل عمران/١٠٣ .

ثم قام النبي - عليه الصلاة والسلام - بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبذلك قضى على مشكلات المهاجرين ، ووحد الجماعة المؤمنة ، وبذلك سقطت جميع الفوارق البشرية ، ووصل بهذا التآخي في العقيدة إلى مقام أسمى من أخوة الدم ... وهذه المؤاخاة كانت حقيقة كاملة ، لا شعارا يرفع بين الناس ، كانت عملا يرتبط بالدماء والأموال ، والنبي الكريم لا يتميز على احد من هذه الجماعة بأية ميزة ، كما يتميز الزعماء والرؤساء في مجتمعاتنا المعاصرة بل والمجتمعات القديمة أيضا .

وقد كانت هذه الأخوة الكاملة من أكبر نعم الله تعالى على المؤمنين ، لأن المحبة وتآلف القلوب لا يمكن ان تنال إلا بفضل من الله ونعمة ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : **(وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** الأنفال/٦٣

ومن هنا فقد كان الحب أساس المجتمع المدني إلى الحد الذي وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم وأحمد .

ومن هنا لم نجد الصراع الطبقي ولا الاستعلاء ولا الحقد والحسد ، لأن المسلمين سواسية كأسنان المشط .

وقد لقي هذا المجتمع كثيرا من الفتن والدسائس من اليهود والمنافقين الذين كانوا يحاولون التفريق بين المهاجرين من ناحية ، وبين الأوس والخزرج من ناحية أخرى ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام كان يثير فيهم الايمان فور وقوع الفتنة ، فيثوبون إلى رشدهم ، ويرجعون عما كانوا فيه ، ويدركون خطورة اعدائهم الذين يحاولون بث الفتنة بين صفوف الجماعة المؤمنة ، ليستفيدوا هم من وراء ذلك الاستفادة التي يرجونها .

الاساس الثالث :

الاساس الثالث صلة المجتمع الاسلامي الجديد بالمجتمعات الاخرى ، ويتمثل هذا في المعاهدة التي عقدت بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين اليهود الذين يسكنون المدينة .

واليهود أهل كتاب ، وكانوا ينتظرون ذلك النبي ، وكانوا يقولون للأوس والخزرج إذا اشتد الجدل : يوشك ان يبعث الله نبيا فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، ومع ذلك فقد كفروا بمحمد عليه الصلاة

والسلام حينما أرسله الله تعالى . وقد مد النبي صلوات الله عليه يده إلى اليهود ، وعقد معهم معاهدة ، فلليهود دينهم ، وبين اليهود والمسلمين النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وبينهم النصح والبر دون الأثم .. الخ .

وهذه المعاهدة تظهر حرية العبادة وكفالتها لكل فريق ، ووحدة الامة المسلمة ، والمساواة في الحقوق ، وتأسيس المجتمع الاسلامي ، ومكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ، وحماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما ، وعلى اليهود أن يسهموا في نفقات الدولة ، وان يتعاونوا مع المسلمين لدرء الخطر ، وأن يشتركوا في القتال لصد العدوان ، وأن ينصر من يظلم منهم ، ولا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا حماية لآثم أو ظالم ..

وقد أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام رفضه الحاسم لموالاة كفار قريش ، وحرم إسداء أي عون لهم ، فلا يجير أحد ما لا لقريش ، ولا يحول دونه على مؤمن .

وهكذا استطاع النبي الكريم أن يربي المجتمع الذي استطاع أن يحمل الرسالة كاملة وأن يربي جيلا على مثل الاسلام وقيمه ، يستطيع أن ينشر هذه الرسالة في العالم ، بما فيها من قيم وأخلاق ، جعلت الكاتب الامريكي د . « مايكل هارت » صاحب كتاب **المائة الاوائل** يأتي بعد اربعة عشر قرنا لينادي باعلى صوته : « إن محمدا هو أول مائة رجل في العالم في درجة تأثيره على حياة البشرية كما وكيفا ، طولا وعرضا وعمقا » ، ويقول مبررا سبب اختياره لرسول الاسلام ليكون الاول في مائة أهم رجال التاريخ : « إن اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعظم نجاح على المستويين الديني والدنيوي » ، ثم يستمر قائلا : إن محمدا هو الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكامها ، وآمنت بها شعوب باسرها في حياته ، ولانه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية لها .. ثم يقول :

« إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم ، في بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء ، المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس ، وبيزنطة ، وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ولكنه في

حالة الرسالة المحمدية ليس كذلك ، فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق وسوريا الى آخر الشاطيء الافريقي غربا ، إلى السودان جنوبا ، وبقيت أمة واحدة ، تتكلم لسانا واحدا إلى الان ، فهناك اليوم وبعد اربعة عشر قرنا خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار قياس أثر الرسالة ، أي استمرارها الزمني ، وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقي برمته كاملا دون تحوير كل هذا الزمن ، سوى القران الذي نقله محمد ، الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل .

وهكذا نجد ان فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي ، قد بدأت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، **ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فاني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاخلاق في التاريخ الانساني .**

خاتمة :

لقد كان عمر بن الخطاب ثاقب الرأي نافذ البصيرة حين اختار الهجرة لتكون بداية للتاريخ الاسلامي ، فموت النبي مثلا ـ على اهميته ـ هو حدث إنساني ، لكن الهجرة كانت ميلادا جديدا لدعوة الاسلام وظهور الدولة ، لقد كانت الهجرة خروجا من الحصار المفروض على الدعوة الاسلامية ، وبهذا الخروج الايجابي انكسر الحصار ، وانطلق الاسلام يؤسس دولته ، بعدها راح ينشر طاقاته كالشمس على الناس جميعا ، يهدي الحيارى وينقذ الضالين من أنفسهم ، كما ينقذ بعضهم من بعض ، وسار المسلمون بعد الهجرة من التفرق إلى الوحدة ، ومن قيم الجاهلية وأخلاقها الى قيم الاسلام وأخلاقه ، ينشرون دين الله ولا يخشون فيه لومة لائم ، ولا طغيان طاغ ، ولقد قال واحد منهم هو **ربعي ابن عامر** الذي أرسله سعد قبل معركة القادسية رسولا الى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ـ وهو في عنفوان قوته وجبروته ـ قال له في عزة المؤمن ردا على سؤاله ما جاء بكم : « ان الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الاديان إلى عدل الاسلام » .

والان ، ونحن نحتفل بحلول القرن الخامس عشر الهجري ، على هجرة النبي الكريم ، فاننا نريد ان نهاجر مرة اخرى إلى الله ، حتى يمكننا أن ننشىء المجتمع الأسلامي الجديد ، الذي يستطيع أن يتوجه برسالته في هذه الحياة ، فيخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وينشر بينهم رسالة الحق والامن ، فيسعد المسلمون ويسعد معهم هذا المجتمع الانساني الحائر .

والله متم نوره

للاستاذ عبدالحفيظ فرغلي علي القرني

لماذا خلق الله الكون ؟
يتكفل الحق سبحانه وتعالى بالاجابة على هذا السؤال فيقول في سورة المؤمنون »/١١٥/ ١١٦ **(افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)** ويقول في سورة « الانبياء » ١٦ **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين)** ويقول في سورة ص ٢٧ **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)** ويزداد الأمر وضوحا بقوله تعالى في سورة الذاريات ٥٦ **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** .

ومن اجل هذه الغاية ارسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان خاتمهم سيدنا محمد بن عبدالله الذي ادى الامانة ، وبلغ الرسالة ، وهدى الامة ، وكشف الغمة ، وترك من بعده منهجا واضحا وطريقا مستقيما . وكانت رسالته للناس كافة انتشر نورها في ارجاء الارض ، وحمل اصحابه الاوفياء من بعده اعباء هذه الرسالة مخلصين فاقاموا دولة الاسلام على هدى من الله ونور ، وظلت قوية ما شاء الله حتى غير الناس وبدلوا .

العالم اليوم .. نظرة الى العالم اليوم ، ونظرة الى واقع المسلمين الان ، لا تجد كلتا النظرتين تفترقان في الارتداد في حسرة والم . هذا العالم المضطرب المفتون الذي يموج بالفساد والشر ، ويمتلىء بالفتن والمؤامرات ، ويتلظى بالسعار المحموم واشعال نار

الخصومات في كل مكان ، فما تنتهي حرب في قطر حتى تندلع في قطر اخر ، ومن وراء ذلك من يتعمد اشعال هذه النيران لتثرى مصانع الدمار ، وتكتنز جيوب مجرمي الحرب وتجار الصراع ، وما عليهم اذا تناثرت من وراء ذلك الاشلاء ، وتمزقت الاجسام ، وجرت الدماء انهارا في ربوع الارض .

وليس الامر قاصرا على ذلك ، فهناك متآمرون اخرون يغتالون الاخلاق كما يغتالون الناس ، ويقتلون القيم كما يقتلون الانفس ، وكما تجري الدماء انهارا بفعل الصواريخ والقنابل والبارود ، تخرب الذمم ، وتموت النوازع الخيرة ، وتصرع المعاني الفاضلة بفعل ما يقدم للناس باسم التطور ، والتقدم ، والفن ، مما يعرض عيانا بيانا في وسائل اللهو والمجون والخلاعة ، وفيما تتبناه الادوات التي تشرف عليها الحكومات من اذاعة وتليفزيون وصحافة ومسرح ، وغيرها من الوسائل التي اصبحت في كل دار ، وفي متناول كل يد ، وتحت كل سمع وبصر ، وبدلا من ان الناس كانوا يذهبون الى اماكن اللهو والمجون في خفية وترقب ، اصبحت هذه الوسائل تقربها لهم سهلة ميسورة ممهورة بخاتم الدول في جسارة وعلانية وتفنن .

ولقد شاع الالحاد الى درجة اصبح المثقفون يتباهون به امام الناس ، ولو كان في غير الامة الاسلامية لهان الامر ، فغير المسلمين من اصحاب الديانات الاخرى قد غيروا دينهم ومسخوه ، وشوهوا تعاليمه من قديم ، ودمغهم القران في غير موضع بذلك ، ولن يكون من وراء ذلك الا الضلال الذي ظهر في عدة صور مختلفة ، تسمى مرة بالشيوعية ، ومرة بالوجودية ، ومرة بالفوضوية ، والى غير هذه المسميات التي ما انزل الله بها من سلطان .

وقد تصارعت هذه المذاهب فيما بينها ، وادى تصارعها الى تمزيق الوجدان الانساني ، واغتيال ما تبقى في الانسان من روح ، حتى اصبح الذي يدين باحد هذه المذاهب شلوا ممسوخا ، لا حياة فيه، ولا قيمة له ، انه شبح انسان يردد ما يقال له دون ان يفهم له معنى ، او يقيم عليه دليل ، وهكذا شاع الالحاد شيوعا انعكس اثره في تصرفات الناس انعكاسا ظاهرا ، فمن الواضح ان العقيدة النظيفة تعكس اثرها النظيف في الانسان الذي يدين بها ، فلا يتصرف الا التصرف الذي يرفعه الى المستوى اللائق به في نظر هذه العقيدة . والعكس صحيح .

الشيوعية تقتل الضمائر : استمع الى ما تقوله الشيوعية لأتباعها ، انها تقول لهم : ان الاخلاق وهم ، والضمير وهم ، والتاريخ وهم ، وهي بذلك تحول بين الشعوب وتاريخها حتى لا تتعلم مما مر ويمر بها من تجارب ، وتحول بينها وبين ضميرها حتى لا يستيقظ فيصرعها ، يقول العقاد في كتابه **أفيون الشعوب :** « كما تعوق الماركسية اصلاح

الشعوب تتسرب الى ضمائر الافراد فتعوق اصلاحهم ، وتصرفهم حتى عن محاولة الاصلاح بالوسيلة التي تم بها كل اصلاح ، وهي وسيلة الندم ومحاسبة النفس وعرفان الخطأ والعمل على اجتنابه .. فمن قديم الزمن لم يعرف الانسان سبيلا الى اصلاح عيوبه غير محاسبة النفس والعودة عليها باللائمة في حالة التقصير . اما الماركسية فهي تهدم هذا الاساس الذي لا قوام للاخلاق بغيره ، وتقول للمذنبين والمقصرين انكم جميعا ابرياء من التهمة منزهون من الوصمة لان اللوم كله على المجتمع في عجز العاجز وفساد الفاسد ...

والوجودية : وانظر الى ما تقوله الوجودية لاتباعها . انها تقول لهم انهم الهة هذا الوجود اذا اهتدوا الى وجودهم بانفسهم واكتشفوا ذواتهم عن طريق الثورة الوجدانية التي تزلزل الكيان ، او المحنة العارمة التي توقظ الوجدان ، وهم اذا حققوا ذلك حق لهم ان يفعلوا ما يشاءون ولا حساب عليهم ، بل انها تقول لهم احيانا : انهم لا صلة بينهم وبين هذا الوجود الذي ينتسبون اليه ، انهم عدم ، انهم غير موجودين ، واسمع نشيدهم الذي يقول : اتحسب انك روح ضائع ؟ اتحسب انك روح ؟ انت غلطان . انت لست بروح . انت لست بضائع . انت عدم . انت غير موجود .

وهكذا الى اخر هذا الخلط الذي لا يخرج الا من عقل فارغ ، وفكر خاو .

لقد شاع مثل هذه المذاهب في شتى البقاع ، واصبحت « مودة » العصر التي يتباهى بها الناس ، وينتحلها كثير من المثقفين ، حتى وصلت العدوى بكل اسف الى بعض المسلمين في ربوع الديار الاسلامية .

مظاهر ذلك بين المسلمين :

اصبحنا نرى هذه المذاهب ـ ان لم تكن معتنقة بالفعل ـ تقليدا اعمى ، وانسياقا في التيار ، وخوفا من ان يوصم الانسان بوصمة التأخر والرجعية ونرى مظاهرها في التحلل من العبادات والشعائر ، وعدم الالتزام بحدود الاوامر والنواهي . فالتقصير في الصلاة اصبح امرا شائعا ، والافطار في رمضان اصبح تقليدا شائعا ، وبخاصة بين طوائف كثيرة من المثقفين شعارهم « الدين المعاملة »... « والله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » .. وهذا كلام ان صح من جانب فهو خطأ من جوانب ، وهو اشبه بقول من يتلو : **(لا تقربوا الصلاة)** « النساء / ٤٣ » دون ان يكمل الاية . والرد على ذلك سهل ميسور ، فالاسلام له اركانه ، والايمان له شروطه وواجباته ، وبدونها لا يكون الانسان مسلما او مؤمنا .

ولئن اختبرت مثل هذا الشخص وجدته خاليا من كل فضيلة ، فهو انسان شهواني ، اناني ، حاسد ، حاقد ، متطلع لما في ايدي الناس ، متتبع لعوراتهم ، متقص للشهوات من كل سبيل ، غشاش خداع ، الى غير ذلك من الصفات السيئة ، فقد فرضت الفرائض لتهذب الناس ،

وترفع من مستوى اخلاقهم ، ولقد قال جل شأنه : (**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) « العنكبوت / ٤٥ » وقال في حق الصيام : **(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** « البقرة / ١٨٣ » والتقوى هي جماع الفضائل .

تظاهر الاعداء على الاسلام :

انها مؤامرة محبوكة الاطراف ، تظاهرت فيها الصهيونية ، والصليبية ، والشيوعية على ان تفسد على المسلمين دينهم ، لانهم لا يطيقون ان يروا الاسلام قائما بسلطانه ، يتحدى ذلك الباطل المصنوع ، ويقف بمثله الرائعة وقيمه النبيلة ، يوضح للناس طرق الخير ، ويحذرهم من طرق الشر ، حاول هذا الثلاثي الرهيب ان يحارب الاسلام في ابنائه ، حتى يصبحوا اجساما بدون روح ، وظلالا بدون حياة ، عن طريق تشكيكهم في دينهم ، وتهوين امر العبادات في نظرهم ، وماذا يبقى للمسلم بعد ان هانت عليه عقيدته وفرط في شعائر دينه ؟ !

شيوع الفساد في الارض : شاع الفساد اذن في ربوع الارض شرقيها وغربيها ، وزاد من ضراوة ذلك سلطان العلم الذي وضع في يد قوم لا خلاق لهم ، ولا يعترفون بسلطان الاخلاق ، ووازع الضمير ، ودوافع الخير ، فزاد تسلطهم وجبروتهم ، واعتقدوا ان الدنيا لهم وحدهم ، وليس في الوجود غيرهم . فمن حقهم استعباد الشعوب الضعيفة ، واستغلال خيراتها ، ونهب مقدراتها ، كما تسول لهم بذلك شياطينهم وأهواء نفوسهم . وفلسفوا الاخلاق بناء على ذلك ، فسوغوا لانفسهم ما لم يسوغوه للاخرين ، وهكذا ينبغي ان تكون — في نظرهم — اخلاق الغالب غير اخلاق المغلوب . وقد صدق الشاعر الذي يصور ذلك بقوله :

قتل فرد واحد جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

لقد ملكوا في ايديهم سلطان المال ، وسلطان العلم ، فكيف لا يزدادون علوا وفسادا ؟ : لقد اصبح العالم بهذه الصورة ، وبسبب ما اخترع من الات الدمار المتطورة ، التي يتنافس في انتاجها الشرق والغرب على السواء — اصبح على فوهة بركان ، ولقد نسي هؤلاء ما صوره القران الكريم في ذلك في سورة يونس : **(حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون)** « يونس / ٢٤ » .

غفلة المسلمين : لقد نام المسلمون عن واجبهم ، وغفلوا عن تعاليم دينهم ، وانساقوا في تيار الغرب ، يتلهون بما يقدمه لهم ، من ملذات مبتكرة ، يعرضها لهم بشتى صنوف المغريات ، حتى غرقوا في ذلك الى اذانهم ، ناسين ما يجره الترف

على اصحابه من وبال **(واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** « الاسراء/١٦ » .

وربما أخر هذا المصير ان هناك بقية من روح تتمثل في قلة من المؤمنين ، ما زالوا يضرعون الى الله بالدعاء ان يكشف عن المسلمين هذا السوء ، وان ينقذهم من هذه المتاهة التي ضلوا فيها ، وليس لها من دون الله كاشفة . على ان هناك نذرا موجهة للمسلمين تهيب بهم ان يفيقوا مما هم فيه ، ويتداركوا امورهم قبل ان يستفحل الداء ، ويعز الدواء ، هذه النذر تظهر في تلك الكوارث التي تجتاح بلادهم ، فليس هناك اشد من ان يستفحل الكفر فيدوس بجحافله بلاد الاسلام ، يطؤها بدباباته ، ويصليها بمدافعه وصواريخه وطائراته نارا حامية ، تقوض البنيان ، وتحرق العمران ، وتهلك البلدان ، وتشوي الابدان ، انظر الى ما فعلته الشيوعية بالامس في القرم الاسلامية وغيرها وما تفعله اليوم في افغانستان ، وما ستفعله غدا وبعد غد في غير ذلك ان لم يصح المسلمون من نومهم ويفيقوا من غفلتهم .

هل تحب ان تعرف صورة مما تفعله الشيوعية في البلاد الاسلامية ؟ اقرأ ما كتبه **العقاد** رحمه الله عما فعله هؤلاء البرابرة في القرم الاسلامية : « لقد استباحوا المساجد ، واتخذوا منها مسارح للهو ، واصطبلات للخيل ، وحظائر للاغنام ، وجمعوا نسخ القران والاحاديث النبوية واحرقوها في الميادين العامة ، وبطشوا بكل من يتوقعون منه المقاومة ، ونكلوا بالشبان الاقوياء ، ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين ، فاقفرت الديار ، واجدبت المزارع ، وعمت المجاعة ، واشتدت قسوة الجوع على الناس ، حتى اكلت الام ولدها ، وهي تبكي عليه ، ثم نظروا شزرا الى المحسنين الذين خفوا لانقاذ المنكوبين ، فاتهموهم بالادخار ، والوقوف من السلطة موقف المتحدي الذي يأخذ بايدي ضحاياها ، فقتلوهم لانهم يطعمون الجياع ، ويعطفون على الادمية ان يمسخها الجوع مسخ الضواري والسباع ..

واسمع ما تذيعه اذاعات العالم اليوم عما يجري في افغانستان . انه مما يندى له الجبين ان يؤمن بهذا الفكر الملعون مسلمون في بلادنا العربية — وربما امتدت يدهم الى السلطة — فتوقع ما شاء لك ان تتوقع ، مما نرجو الله في خشوع ورهبة ان يجنبنا ويلاته ، وان ينقذنا من تبعاته .

أمل في الله : وبعد ، فهل سيظل وضع العالم على هذا ؟ وهل ينتشر الكفر والضلال بهذه الصورة المروعة ، ولا شيء يوقفه عند حده ؟ هل حقت كلمة الله على الانسان فتخلى عنه ، وتركه للوحوش الضارية تتخطفه ، وتفتك به دون هوادة او رحمة ؟ وهل مات الضمير الانساني نهائيا فلم يعد يوقظه ذلك الصراخ المتفجر من صدور المعذبين ، وحناجر

الضعفاء والمساكين ؟ وهل استسلم الناس تماما الى هذه الشهوات الجارفة التي توشك ان تسوقهم الى هاوية لا يدركون لها قرارا ؟ وهل اشتد الظلام الى درجة لا تسمح ببصيص من نور ، يبدد هذه الغياهب ، ويكشف تلك الدياجير ؟

كلا ، لا بد لهذا الليل من اخر ، ولقد جاء في الحكم : ان اشد الساعات حلكة اقربها الى طلوع الفجر .

لقد ضل الناس وازداد ضلالهم ، ولا بد ان تحق سنة الله في الكون **(سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)** « الاحزاب/٦٢ » فاما الدمار واما العافية .

ولنا امل قوي في الله ان تكون العافية ان شاء الله ، ذلك اننا ما زلنا امة الرسول الخاتم الذي ارسله الله رحمة للعالمين ، وارسله للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورسالته باقية الى يوم الدين .

لا بد لهذه الظلمات ان تنجاب بنور الله ، ولا بد لهذه الغمة ان يكشفها سلطان الله ، ولا بد لهذا الباطل ان ينزاح امام صوت الحق المجلجل الذي وعد الله به **(يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** « التوبة/٣٢ ، ٣٣ » .

(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون : « الصف/٨ ، ٩ » .

ان هذه ايات كونية لم تنزل في القران ليقال انها تحققت في الماضي وكفى ، كلا ، فالقران حكم باق ، وماض الى يوم القيامة ، ولا بد ان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ولن يرضى الله لهؤلاء الضالين ـ على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم ـ ان يظلوا سادرين في ضلالهم ، يدوسون باقدامهم الكافرة كل كلمة طيبة ، وكل مثل اعلى ، وكل قيمة عليا .

لا بد لهؤلاء ان يندثروا وتحق كلمة الله عليهم ، كما حقت على كثيرين من غيرهم ، وقفوا في وجه الحق ، وتحدوا صوته ، وحاولوا ان يخمدوه بباطلهم ، وفي التاريخ منذ ان قامت الدنيا شواهد صادقة على ذلك ، ولئن نجوا وقتا فلن ينجوا طول الوقت . هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

واجب المسلمين : اما والمسلمون بهذا الوضع المزري الراهن فلا ، لأن منهج الله يقضي فيما يحكيه جل وعلا **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)** « الحج /٤٠ » بعد قوله تعالى في سورة الحج : **(ان الله يدافع عن الذين امنوا)** « الاية /٣٨ » فلا بد من عودة الايمان الى القلوب اولا ... لا بد من عودة الايمان ، وقد بدأت تباشير ذلك تظهر في الافاق في صورة تدعو الى التفاؤل ،

حتى في صفوف الاعداء الذين يتربصون بالاسلام الدوائر ، فما زلنا نسمع عن صيحات الاسلام تعلن بين الحين والحين ، وما زالت الانباء تحمل الينا كل يوم نبأ عن مسلم جديد يعلن اسلامه عن عقيدة راسخة ، ودراسة مستفيضة ، وما زالت الاخبار تتوالى بتصريحات العلماء ينفرون من ذلك الوضع الشائن الذي يعلي من شأن المادة ، ويعلنون بان الكون له اله قادر مدبر عظيم . يقول « جون جلين » وهو رائد فضاء امريكي : « .... هل المصادفات وحدها هي التي صنعت ذلك ؟ ان هذه المجرات تسير طبقا لنظام محكم بديع . وهذا قليل من كثير مما شاهدته في رحلتي ، لا شك ان هناك الها ، وان قوة ما قد وضعت هذه الاشياء في مداراتها واجرتها بنظام وإحكام » ..

ويضع « أ . كريس موريسون » رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك في كتابه المترجم الى العربية : العلم يدعو الى الايمان ، امثلة عديدة مقنعة بوجود الله وقدرته وعظمته وانه لا اله الا هو وحده .

هل سمعتم عن المسلمين البلاليين في امريكا ؟ انهم ينسبون انفسهم الى « بلال بن ابي رباح » مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقدر تعدادهم حسب احصائية في عام ١٩٧٤ م بمليونين ونصف مليون ، يملكون ثلاث محطات للاذاعة ، وصحيفة رسمية اسمها : « محمد يتكلم » ولهم جيش من الشباب مدرب على حمل السلاح ، ينتظم في تشكيلات عسكرية ، تسمى « ثمار الاسلام » ويعتقدون ان واجب المسلم الا يلقي سلاحه ابدا ، وشعارهم قوله تعالى : **(ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)** « النساء/١٠٢ » .

هناك مزيد من المعلومات حول هذه الجماعة الاسلامية وجماعة شقيقة لها في امريكا ايضا اسمها : جماعة المسلمين الحنيفيين ـ في مقال بمجلة الازهر العدد التذكاري جمادي الاولى ١٣٩٩ هـ لسماحة الشيخ عبدالله ابن علي المحمود . ولئن ظهر الحق في بلاد لا تدين بالاسلام ، فهو في ربوعه ودياره اولى بالظهور والانجلاء باذن الله .

ان نور الاسلام وشيك بعودته مرة اخرى ليعم الافاق ، ويصلح ما فيها من فساد ، ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ان رسالة الاسلام باقية لانه الدين الخالد الذي اختاره الله للبشر ، ولا بد من عودته قويا قاهرا لكل ظلام الارض وضلالها ، وسيتحقق بمشيئة الله وعد الله للمؤمنين فيما تقرره سورة النور **(وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)** « النور/٥٥ » .

شخصية الرسول بين المغالين والمقصرين

للاستاذ عبدالكريم الخطيب

(١)

لا ننتظر من اعداء الاسلام المتعصبين والمبشرين ، ولا من أعداء الدين عموما من الماديين والملحدين ـ لا ننتظر من هؤلاء وأولئك جميعا ان يقولوا كلمة الحق في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه مبعوث من عند الله تعالى برسالة سماوية ، تحقق لمن يؤمنون بها ويستقيمون على هديها ، الأمن والسلام ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، بل إن أحسنهم قولا في رسول الله أنه واحد من آحاد العرب المصلحين الذين حاولوا أن يغيروا من بعض العادات والتقاليد السيئة التي شاعت في الجزيرة العربية ، مثل قتل الأولاد خشية الفقر ، ووأد البنات خوف العار والفضيحة ، ومثل عدوان الأقوياء على الضعفاء .. والنهب ، والسرقة . الى غير ذلك مما كان شائعا في حياة الجاهليين ، وقد حاول العقلاء من الحكماء والشعراء الذين كان لهم دور واضح في تهجين تلك العادات ، والدعوة الى هجرها ، والانسلاخ منها ، كما نرى ذلك في معلقة زهير بن أبي سلمى ، وخطب قس بن ساعدة الايادي ، ومأثورات أكثم بن صيفي وغيرهم ، مما يعد من مأثور القول ،

ومحاسن الكلم .

وليس يعنينا كثيرا ان نقف عند مفتريات أعداء الاسلام ورسول الاسلام ويكفي أنها صادرة من قلوب حاقدة ، ومن نفوس محملة بالضغينة ، فلا ينتظر من أصحابها ـ والحال كذلك ـ إلا إعلان الحرب على عدوهم ، ورميه بكل سلاح يقع لأيديهم ، وإن المسلم ـ أي مسلم ـ يكون على حذر ، واتهام لكل ما يصدر من العدو ولو غطى ظاهره بألوان براقة من الخداع والتضليل .

(٢)

ولكن الذي نريد أن نعرضه هنا ونحذر المسلمين منه اشد التحذير ، هو ما يصدر من بعض المنتسبين للاسلام ، والقائمين على مجموعات كبيرة من المسلمين مقام المعلمين ، والمربين ، والمرشدين ، حيث يتلقى عنهم أتباعهم كل ما يقولون بثقة وايمان ، واستسلام ، دون أن تثور في أنفسهم ثائرة شك ، ولو كان ذلك متصلا بالعقيدة ومناقضاً للتوحيد ، بل ومصادما للبدهيات !!

ولما كان من معتقدات كثير من شيوخ المتصوفة ، القول بوحدة الوجود ، وبالحلول وبالتناسخ الأمر الذي يجعل كل العوالم في وحدة واحدة ، يطلقون عليها كلمة الله ، التي تطلق على كل شيء ، وعلى أي شيء ، من جماد ، ونبات ، وحيوان ، ونجم ، وشمس وقمر ، فكل شيء إله ، وكل الأشياء الموجودة في العالم السفلي أو العلوي آلهة في إله يجمع الموجودات كلها .

ومن هذه الوحدة تولد القول بالحلول ، بمعنى ان يحل الله تعالى ، في اي كائن ، من صخر ، أونهر ، أو شجر ، أو حيوان ، أوانسان ، فيكون هذا الكائن هو الإله المعبود ، وتلك هي عقيدة كثير من طوائف الهنود ، عباد بوذا ، أو البقر ، أو الأنهار ، والجبال كما هي عقيدة النصارى في المسيح عيسى ابن مريم ، وفي أن الله قد تجسد في جسد المسيح ، وحل اللاهوت في الناسوت كما يزعمون .. وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. لقد وسع كرسيه السموات والأرض ، فكيف يسع ذاته جسد انسان ؟

وعن القول بالحلول ، تولد مذهب التناسخ ، بمعنى انه إذا مات الكائن الحي ، نسخ جسده ، وظلت روحه هائمة تبحث عن جسد ملائم لها فتحل فيه .. وإنه لا بأس ـ على هذا المذهب الضال ـ أن تحل روح انسان في إنسان ؛ أو حيوان .. فاذا فارقت الجسد الذي حلت فيه انتقلت الى جسد آخر .. وهكذا يستمر هذا الدور أبد الدهر !!

(٣)

ومن مذاهب وحدة الوجود ، والحلول ، والتناسخ ، نشأ عند اكثر فرق المتصوفة من المسلمين ، الاعتقاد في الأقطاب ، والبدلاء ، والنجباء ، بأن روح الله حلت فيهم ، وأنهم لهذا هم المتصرفون في الوجود ، القائمون مقام الله في

التقدير والتدبير .

ويكفي ان نسوق هنا مقالة لشيخ من شيوخ المتصوفة ، هو « جمال الدين محمد ، ابو المواهب الشاذلي » يقول في كتابه : « قوانين حكم إشراقية » ما نصه ، وهو يتحدث عن صاحب الوقت :*هو رحمة العباد » وسحابة ماطرة في سائر البلاد !! وجوده في الوجود ، حياة لروح الوجود الكلية ، وبنفس نفسه يمد الله العوالم العلوية والسفلية ، ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل ناظر مقصده .. »

هذا هو معتقد الصوفية في بعض المخلوقات ، التي استولدوها من خيالهم ، وأقاموها مقام الله تعالى في تصريف الوجود ، والقيام على حفظه ..

وإذ كان المتصوفة من المؤمنين بالله ، وبرسول الله ـ على أية صورة من صور الايمان ـ فانهم وهم يجرون وراءهم ألوف الألوف من المسلمين في كل أفق من آفاق الاسلام لم ينسوا وقد رفعوا أصحاب الوقت من الأقطاب والأبدال ، والنقباء إلى مقام الألوهية ، أو ما يقرب من هذا المقام حسب درجاتهم ـ لم ينسوا أن يجعلوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ مكانا مع هؤلاء المتصرفين في الوجود خلقا وأمرا ، ونفعا وضرا .. فابتدعوا للرسول الكريم ما يعرف عندهم بـ (الحقيقة المحمدية) التي أخرجوا بها رسول الله من عالم البشر فجعلوه النور الذي خلق منه العرش ، والكرسي ، والملائكة ، ثم سائر المخلوقات علويها وسفليها .. ومن هذا النور المحمدي ، جاء الرسل والأنبياء وبهذا النور اهتدى المهتدون مستشهدين لهذا بقوله تعالى : (**نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء**) سورة النور : ٣٥ وبقوله سبحانه : (**ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**) (سورة النور ٤٠) فجعلوا نور الله هو النور المحمدي كذبا وافتراء : (**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**) سورة الكهف : ٥ .

(٤)

وقد سد الله الطريق على هؤلاء المغالين في رسول الله عليه الصلاة والسلام الخارجين به على ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من بيان كاشف عن رسول الله ، وأنه بشر من عباد الله المرسلين ، وذلك سدا للذرائع التي يتذرع بها الذين يفترون على الله الكذب ويدعون لرسوله ما ليس له ، وليكون هذا البيان المبين عن رسول الله ، وعن بشريته ، حجة يقذف بها في وجه الباطل والمبطلين ، حتى تظل ذات رسول الله في وقاية من هذه المفتريات وتلك التخرصات التي تخرج من أفواه شيطانية لا ترقب في الله ، ولا في رسوله ، ولا في المؤمنين الا ولاذمة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما أمره به ربه ان يبلغه الناس : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي الى انما إلهكم اله واحد**) سورة الكهف : ١١٠ .

فالرسول بصريح هذا القول الكريم بشر من أبناء آدم قد اختاره الله لرسالته

وأوحى اليه أنه الاله الواحد ، لا شريك له .
ويقول له سبحانه : **(قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)** سورة الاسراء : ٩٣ ، ويقول له الحق جل شأنه : **(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** (الأعراف : ١٨٨)
ويقول له تبارك اسمه : **(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)** (القصص : ٥٦)
فلقد مات أبناء رسول الله وبناته بين يديه ، ولم تبق من بناته الا فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وما ملك من أمر الله في أولاده شيئا ، حتى إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين مات آخر ولد له ، وهو ابراهيم ، ولفظ انفاسه بين يديه ، لم يملك إلا أن قال : « إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب » !!

بل إن الله تعالى قرر للمؤمنين ما حكم به في عباده وأن محمدا داخل في هذا الحكم ، وهو الموت فقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : **(إنك ميت وإنهم ميتون)** (سورة الزمر : ٣٠ .
ثم إن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يدع لنفسه ـ في ظاهر امره وباطنه ـ شيئا يخرجه من عالم البشر ، ولم يكن له من زخرف الحياة وزينتها ما يحوزه الملوك والسلاطين مما يبهر أعين الناس حتى يروا في الملوك والسلاطين انهم من طينة غير طينة البشر !!

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه أعرابي من البادية ، لبعض شأنه ، فلمادنا من رسول الله طلع عليه من جلال النبوة ما بهره وزلزل كيانه ، فما كان من الرسول الكريم الا ان هدأ روعه بتلك الكلمات الوادعة فيقول له : « هون عليك ، فاني لست بملك .. إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد » !! (والقديد لقيمات جافة) .
وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما اطرى النصارى المسيح ابن مريم انما انا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله ، (صحيحا البخاري ومسلم) .
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل وقال للوزان : « زن وارجح ، فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها ، فجذب النبي يده وقال : « هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك ، انما انا رجل منكم » ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها .. فقال : « صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله » !!
وفي كتاب « الشفا » للقاضي عياض : أنه صلى الله عليه وسلم ، كان إذا جلس للأكل جلس متوفزا ـ اي منتصبا ـ على الأرض لا ينصب له خوان ، ولا يتكىء على أريكة او نحوها ، وكان يقول : « إنما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس

كما يجلس العبد » .

ويقول ـ صلوات الله وسلامه عليه : « **إنما انا بشر وإنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم أفصح من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هي قطعة من النار ، فليحملها أو يذرها** » (صحيحا البخاري ومسلم) .

(٥)

فهذا هو رسول الله ، كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وكما تحدث هو عن نفسه في سنته المطهرة ، انه ليس إلا بشرا من البشر ، وان كان بما أنعم الله عليه على قمة البشرية ، وعلى أكمل صورة للبشر : **(قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك)** الانعام/ ٥٠ وهذا الثوب البشري الذي لبسه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعاش فيه من مولده إلى ان لحق بالرفيق الأعلى ـ هذا الثوب هو الذي يدعو إلى التأسي به ، والسير على خطواته ، ولو كان من غير عالمنا البشري ، لمانزعت نوازعنا إلى الاقتداء والتأسي به ، فما من إنسان ـ أيا كان ـ أن يتأسى بالملائكة مثلا ، او ينهج نهجهم لأنهم من عالم غير عالمه ، ومن جنس غير جنسه .

فالذين أخرجوا محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من عالم البشر بما صوروه من خيالاتهم المريضة ، وأوهامهم الباطلة ـ إنما ارادوا أن يقيموا سدا بين محمد ، وبين المؤمنين بالله ورسوله ، وأن يقطعوا حبائل النسب والقربى بين المؤمنين وبينه .. فهو صلوات الله وسلامه عليه كما صوروه لا صلة له بنا ، ولا عاطفة بيننا وبينه .

إن أعظم العظمة في محمد صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه بشر ، وأنه ممتد النسب ، في البشرية إلى آدم ، وأنه في ثوب البشرية استطاع أن يعلو على الضعف الانساني وان يقهر ظلام الطين الذي خلق الانسان منه ، وان يحيل الظلام نورا يضيء ما تغشى الانسانية من ظلمات الجهل والضلال ، ويكشف للناس الطريق الى عالم الحق ، الى الله رب العالمين .

إن بشرية محمد ، وما بلغ بها من فضل الله ورعايته من كمال وجلال ـ لشهادة « قائمة » بين الناس ، تحدثهم أطيب الحديث وأصدقه عن الكمال والجلال المودع في الانسان ، والمنطوى في كيانه ، وإن الطريق لمفتوح أمام الانسان ـ كل انسان ـ الى التحليق في آفاق الكمال إلى ما لا نهاية ، على قدر ما يبذل من جهد ، للاستعلاء على نزعاته واهوائه .. وإنه بقدر ما تعلو همة الانسان ـ وبقدر ما يمد بصره الى السماء ، ويفتح قلبه لأنوار الحق ، يكون ارتفاعه وعلوه عن عالم التراب .. **(ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها)** سورة الشمس : ٧ ـ ١٠ .

(٦)

ومن عجب ان يقرأ المتصوفة كتاب الله ويطلعوا على سنة رسول الله ، ثم ينطقوا بهذا الزور والبهتان على رسول الله ، فيحرمون الانسانية من هذا النموذج الكامل من أبنائها ..

يقول المتصوفة : ان أول ما خلق الله قبضة من نور ، فقال لها : كوني محمداً ، فكانت محمدا ثم كان من محمد كل ما في هذا الوجود علوه وسفله » .

يقول شيخ الصوفية « ابن عربي » الملقب عندهم بالشيخ الاكبر ، في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما أبدعه الله ــ سبحانه وتعالى ، حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية ، حيث لا أين ، ولا بين قال له : انا الملك وانت الملك ، وانا المدبر وانت الفلك ، وساقيمك فيما يتكون عنك ، سايسا ومدبرا ، وناهيا وآمرا تعطيها مما اعطيتك ، وتكون فيها كما انا فيك ! فلست سواك كما لست سواي ، فانت صفاتي فيهم واسمائي .. فتفصد اي محمد عرقا حياء .. فكان ذلك العرق الطاهر ماء وهو الماء الذي نبأبه الحق تعالى في صحيح الانباء فقال : **(وكان عرشه على الماء)** سورة هود : ٧ .

ونسأل المتصوفة اتباع شيخهم الاكبر ابن عربي :

ماذا لله بعد هذا ، وقد أسلم لمحمد الأمر كله ، له صفات الله وأسماؤه .. وهو ليس سوى محمد ، ومحمد ليس سوى الله ؟

ثم اين كان الله ، ولا عرش له إلا بعد وجود محمد ، وما تصبب منه من عرق ، أقام الله عليه عرشه ؟

ان الملاحدة يقولون في الله غير هذا القول المجرد من كل منطق ..

ثم يمضي ابن عربي ، في هذا الضلال بلا حياء ، فيقول :

« ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح ، فظهر الملأ الاعلى ، وهو بالنظر الأجلي فكان صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع المخلوقات ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس .

« فخلق الله من ذلك النور المنبعث منه صلى الله عليه وسلم ، العرش ، وجعله مستوأه وجعل الملأ الأعلى وغيره محتواه » . (من كتاب عنقاء مغرب لابن عربي ص : ٤٠)

وان هذا الشيطان الرجيم ، ليكثر من الصلاة على النبي ، خداعا ، وتضليلا للمؤمنين وان محمدا الذي يتحدث عنه هو محمد الذي يعرفه المسلمون ، والذي يصلون عليه !!

وكم للشيطان من مكايد ومضلات ؟

والذي يعرفه المسلمون عن محمد ــ صلى الله عليه وسلم أنه مولود من مواليد قريش ، ولد في مكة ، من أبوين هما عبدالله وآمنة بنت وهب ، وارضع في بني سعد ، من حليمة السعدية ، وأنه عاش بين أهله ، وأترابه ، صبيا وشابا ، لم يخرج عما عليه قومه ، الا بما عرف عنه من عفة ، ومن صدق ، وأمانة كما كان

يتحلى بشيء من هذا عقلاء قومه وحكماؤهم .. حتى اذا اصطفاه الله لحمل رسالته الخاتمة ، اهمه هذا الأمر العظيم أن يواجه قومه بترك عبادة الأصنام ، حتى نزل عليه قوله تعالى : **(يا أيها المدثر . قم فانذر)** (سورة المدثر : ١ ـ ٢) فامتثل امر ربه ، وأذن في الناس بكلمة التوحيد ، واحتمل في ذلك ما تنوء به الجبال ، حتى أذن له ربه بالهجرة من البلد الحرام فهاجر الى المدينة ، وهاجر اليها اصحابه واقام دولة الاسلام ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا ..

كل هذا ، ومحمد ، هو محمد ، البشر والرسول ، يفرح ويحزن ، وييسر ويتألم ، ويصح ويمرض ، ويجوع ويشبع .. الى غير ذلك من العوارض التي تعرض للناس ..

ويقول أحد شيوخ الصوفية ، المسمى « الدباغ » «(من كتابه الا بريز ، جزء ٢ ص : ٨٤) « اعلم ان أنوار المكونات كلها عرش ، وفرش ، وسماوات وارضين وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها اذا جمعت كلها ، وجدت من بعض نور محمد وان مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت » !!

(٧)

ولا ندري لم سكت المسلمون ، وعلماء المسلمين ، عن هذا الكفر والالحاد ، الذي يدعى المسلمون الى الايمان به ، وإقامة دينهم عليه ؟

واي جهاد ابر عند الله من هذا الجهاد الذي يحمي المسلمين من أن يفتنوا في دين الله ، والله تعالى يقول : **(والفتنة اشد من القتل)** (سورة البقرة : ١٩١) وهل شرع الجهاد في الاسلام وصار فرضا على المسلمين ، الا حماية للمسلمين من اعداء الله ، الذين لو تمكنوا منهم لأفسدوا حياتهم ، وفتنوهم في دينهم ! لا ادري لماذا لم يعلنها المسلمون حربا عامة شاملة ، يضحون فيها بالأنفس والأموال ، لدفع هذه المفتريات التي تخفى وجه رسول الله عن المسلمين ، وتقطع كل صلة بينهم وبينه ، وهم يرونه من عالم غير عالمهم ، وفي عالم غير العالم الذي هم فيه كما يصوره هذا الخيال المريض الذي يهب على المسلمين من عالم المتصوفة !! اذلك لان علماء المسلمين قدروا أن هذا كذب مفضوح ، ينادي على نفسه وعلى القائلين به ، بالخزي وان هذا وحده كاف للرد على هذه المفتريات ؟ وهذا ، وان كان صحيحا فان الواقع يشير الى ان كثيرا من المسلمين قد وقعوا ضحايا لهذا الضلال ولن ينقذهم من هذا الا حملة عامة شاملة من علماء الاسلام للكشف عن وجه هذا الباطل ، بكل لسان وفي كل مقام .

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر اولو الالباب) (آخر سورة ابراهيم) .

الترابط بين النسخ وصلته بالنسخ

للأستاذ / محمد العفيفي

١ ـ الترابط بين النسخ وأسباب النزول :

سنحاول في هذا الفصل ـ بعون الله ـ أن نربط قضية النسخ في القرآن والسنة ، بقضية أسباب النزول ، وقضية نزول القرآن منجما ، وما أدى إليه ذلك من ترتيب آياته وسوره ، على هدى الوحي الالهي .

ذلك أن هذه القضايا الثلاث السابقة ، تعمل جميعا ، على تنسيق الحركة القرآنية المعجزة ، مع بيان كل ما هو عام وما هو خاص في حياة البشر بكل مكان وزمان .

القرآن والسنة

وأسباب النزول

ولقد اعتاد أهل العلم أن ينظروا إلى هذه القضايا وهي فرادى ، فعندما ينظرون الى النسخ ـ وحده ـ يخصونه بالبحث ولا يذكرون معه أسباب النزول ، أو نزول القرآن منجما ثم ترتيب آياته وسوره .

والقرآن لا يعرفه في ذاته أن تتباعد المسافات بين آياته أو بين القضايا والعلوم الكثيرة التي ترتبط به ، وإنما المعرفة الانسانية هي التي تزداد تقدما بمقدار ما تترابط أمامها كل قضايا القرآن ، وكل علومه .

ومعنى ذلك أن دراسة هذه القضايا فرادى ، لا يمنع الانتفاع بها بحال من الأحوال ، وان كانت الحقيقة أنها قضايا مترابطة في حقيقتها ، واننا نزداد علما بمقدار ما ننظر في ترابطها .

أ ـ الناسخ والمنسوخ ، في القرآن والسنة من أهم حقائق التفسير والبيان ، اللذين يعلمنا الله بهما ما هو عام وما هو خاص من أمور حياتنا .

ولقد تصدى تابعي للفتوى فقال له الامام علي رضي الله عنه : هل علمت بالناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا .. قال الامام علي للرجل : هلكت .

ويقرر ابن حزم أن معرفة الناسخ والمنسوخ هو الركن الاعظم من أركان الاجتهاد والشافعي هو أول من اهتم

ببيان حقيقة النسخ ، وذكر أصوله المقررة في الفقة الاسلامي .

والنسخ يعتبره الشافعي ومن بعده ابن حزم بيانا للأحكام ويوضح ذلك ابن حزم بقوله :

حد النسخ أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « لا تزوروا القبور » ثم جاء فقال : « ألا كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » او كما قال عليه الصلاة والسلام ، فان النص الثاني لا يكون ملغيا للنص الأول ، وانما يكون مبينا لانتهاء حكمه ، وبيان أن وقت العمل به قد انتهى .

وينتهي هذا الكلام القيم في هذه القضية الهامة من قضايا القرآن والسنة حتى نقول معا .

ب ـ ان مما يبين لنا أن النسخ وأسباب النزول ونزول القرآن منجما تعمل جميعا على تحقيق أهداف واحدة ما يرتبط بأن من الأحكام ما هو خاص بفترة بذاتها ، من حياة البشر ، كأن تنظم السنة المحافظة على الدواب والعناية بالخيول ، ويكون ذلك مرتبطا بتفسير قوله تعالى :

(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) النحل / ٨ ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « البركة في نواصي الخيل » رواه البخاري ولو أننا نظرنا في بعض ما يتشابه مع قوله تعالى : **(ويخلق ما لا تعلمون)** لانتهينا إلى هاتين الآيتين من سورة يس .

(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) يس / ٤١ و٤٢ .

وهنا نجد هاتين الآيتين من سورة يس تتضمنان بوضوح عظيم ، بيان التقدم الآلي في وسائل المواصلات .

فقوله تعالى : **(وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)** يعود إلى السفن . والسفن نوع من أنواع الصناعات التي تركب من الخشب .

فالتجدد المتواصل لبيان ما هو عام وما هو خاص من أنواع الاكتشاف والتقدم في حياتنا العملية في هذا السياق يقوم على القرآن والسنة وفترات التاريخ الانساني كله . وواضح أن القرآن زاد على السنة ـ هنا ـ أن هناك صناعات جديدة ، هي مما خلق الله أسبابها في فطرته في خلقه ، وجعل ذلك سبيلا إلى التقدم الصناعي في حياة البشر .

ثم نجد السنة تواصل المسيرة على هدى القرآن ، لتبين أن للخيل فوائدها ، حتى يكون بعد ذلك ما هو في حكمها أو يزيد عليها في القوة كما يقول الله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال / ٦٠ .

ويفسر الرسول صلى الله عليه وسلم القوة حيث يقول : « ألا وإن القوة الرمي » رواه مسلم فالتراسل بين القرآن والسنة هنا يجعل السنة ترفعنا الى أفق رفيع في فهم المقصود بقوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما**

استطعتم من قوة) فيقول صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن القوة الرمي » .

ونحن نعلم اليوم أن الاستطاعة التي أمرنا الله ببذل غاية وسعنا لتحقيقها ، قد انتهت بالناس الى إنتاج آلات أقوى من الخيل ، تقوم بالرمي .

فالتراسل بين القرآن والسنة في هذه الأحوال العملية المتجددة ، لا يعني إبطال حكم من الأحكام أو معنى من المعاني ، وانما الحقيقة أننا نتقدم تقدما متواصلا مع كتاب الله وسنة رسوله ، في نظام يؤكد لنا أنه لا سبيل إلى توهين العروة الوثقى التي ربطها الله تعالى بين كلامه ، وبين تطبيقه وتفسيره وبيانه في سنة عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن والسنة معا ، يهيمنان باذن الله على كل ما هو عام وما هو خاص من حاجاتنا الفكرية والعملية ، بكل مكان وزمان ، حتى تترابط معرفتنا ووجودنا ، في حقيقة كثيرة الوجوه ولكن لا سبيل معها إلى الأباطيل والأوهام .

وهذا المثل السابق يجعلنا نفكر في كل الأحوال المتعلقة بنزول القرآن ، ولماذا نزل منجما ؟ ولماذا كان فيه ناسخ ومنسوخ ؟ ولماذا كانت هناك أسباب للنزول ؟ وأسباب النزول هي الاطار الشامل الذي نفهم به حقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة كما نفهم به الكثير من وجوه الحكمة في نزول القرآن منجما ، وفي ارتباط مقاصد السنة ، بمقاصد القرآن .

ويتضح لنا ذلك بمقدار ما نتدبر الآيات الخاصة بنزول القرآن منجما ، ثم الآيات الخاصة بالناسخ والمنسوخ ، مع ما يتيسر لنا من الأحاديث الصحيحة الدالة على بعض أسباب النزول ، وغير ذلك .

وكل ذلك وثيق الصلة ببيان التنسيق بين القرآن والسنة ، فيما خص الله به أحدهما أو كلاهما من الأحكام ، وهذا هو الذي سميناه من قبل التراسل بين القرآن والسنة .

جـ ـ فأما الآيات الدالة على نزول القرآن منجما فمنها ما يخص تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول الله تعالى :

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) الفرقان / ٣٢ .

وتثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن منجما ، يتضمن معاني كثيرة ، وأهدافا جمة .

وترتيل القرآن ، يتضمن من المعاني والأهداف مثل ذلك .

وننظر فنجد التثبيت في القرآن له بين صيغه المتنوعة ومواضعه الكثيرة ، ما خص الله به تثبيت المؤمنين حيث يقول :

(قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) النحل / ١٠٢ .

وننظر فنجد بين هذه المواضع ما خص الله به كل الأعمال الصالحة المترتبة على اتباع المؤمنين للقرآن حيث يقول الله تعالى :

(ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) النساء / ٦٦ .

والتثبيت له في معانيه آفاق عالية ، منها التأصيل ، وربط حركة الحياة الانسانية بأسس اليقين ، ووجوه الحقيقة ، فاذا الثبات والحركة وجهان لحقيقة واحدة ، كما ننتظر من العقيدة الصحيحة قولا صادقا ، وعملا صالحا ، وكما ننتظر من البذرة في جوف الأرض ، شجرة صاعدة الى السماء ، ثم نبحث فيها عن مواسم الحصاد ، ومواضع الثمر ، مع استمرار التنوع والتجدد ، على اتصال الحياة الدنيا بالآخرة .

فالقرآن حيث نزل منجما ، فقد استوعب أصول الثبات الذي يرتبط فيه كل نص قرآني بحقيقة مبناه ومعناه ، كما استوعب أصول الحركة التي تخص كل نص بما قدر الله له من مواضعه في الآيات والسور وما يبينه لنا من حقيقة كل ما هو عام أو خاص في حياتنا الانسانية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وتتنوع أعداد المواضع للحروف والكلمات والجمل ، فتكثر أهداف كل منها بمقدار مواضعه ، التي تسبق دائما بكل جديد ، لا سبيل للبشر الى مثله ، مع ارتباط كل منها بأصالته الثابتة ، وحقيقته الدائمة ، وترتيبه المعجز ، كما يقول الله تعالى :

(ورتلناه ترتيلا) فالترتيل في بعض ما نفهم من معانيه الكثيرة ، هو أسباب الثبات والحركة ، أو أسباب الأصالة والتجديد ، كما لا يقدر أحد غير الله تعالى ، أن يأتي بمثلهما .

وكل ذلك ، وثيق الصلة بنزول القرآن منجما ، في بضع وعشرين سنة ، لنعلم أن التفرق الشكلي لآياته ، لا يمنع اجتماعها ، بمضمونها ، إذ هي صادقة وعادلة وثابتة ، على نحو لا مثيل له في كلام البشر .

ولقد وجدنا بين مواضع الكلمات الدالة على التثبيت في القرآن ، أن تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو المقصد الأساسي في أسباب ذلك ، ثم يتبعه مقصد ثان هو تثبيت المؤمنين ، ثم يتبعهما مقصد ثالث هو تثبيت الأعمال الصالحة ، وربطها بأصولها في القرآن والسنة ، وفتح آفاق حركتها المتصلة التي تتسع لكل أحوال الحياة الانسانية .

فلنجعل هذه علامة ظاهرة على الطريق ، ولننظر الآن في مواضع الكلمات الدالة على النسخ في القرآن ، وسنرى أن قضية النسخ وثيقة الصلة بأسباب النزول ، وعموم الأحكام المترتبة على خصوص هذه الأسباب ، كما يؤدي الثبات الى الحركة ويرتبط بها ، وكما نجد الأصالة والتجديد وجهين لحقيقة واحدة ، طالما اتبعنا القرآن والسنة اتباعا دائما لا انقطاع له .

أولا – نجد الموضع الاول للكلمات الدالة على النسخ بقوله تعالى :

(ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) البقرة / ١٠٦ .

والعلوم التي نجدها بهذه الآية علوم كثيرة ، ننظر اليهـا الآن من خلال قضية النسخ وحدها .

وقد ذهب اكثر المفسرين الى أن ربط النسخ بالنسيان في قوله تعالى : **(ما ننسخ من آية أو ننسها)** يدلنا على أنهما معا وجهان لحقيقة واحدة . فالرسول صلى الله عليه وسلم لا ينسى من القـرآن ، الا ما شاء الله أن ينسخه ، فحينئذ لا يكون الرسول مكلفا بتلاوة إن كان منسوخ التلاوة دون الحكم او منسوخ الحكم والتلاوة معا أو لا يكون مكلفا بالعمل به ان كان منسوخ الحكم دون التلاوة يقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أنه قد روى بالأسانيد الثابتة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله :

(ما ننسخ من آية) قال : نثبت خطها ونبدل حكمها .

قال وهو ما قالــه عبدالله بن مسعود : (أو ننسها) أي نمحوها فان ما نسي لم يترك .

وروى ابن ابي حاتم باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مما ينزل على النبي الوحي بالليل وينساه بالنهار ، فأنزل الله تعالى **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)** البقرة / ١٠٦ .

وكذلك روى عن سعد بن أبـي وقاص ومحمـد بن كعـب وقتــادة وعكرمـة ، وتــلا قولـه تعــالى : **(سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله)** الأعلى / ٦ و٧ ، وقولـــه : **(واذكر ربك إذا نسيت)** الكهف / ٢٤ .

وقد جاء في الآثار أن أحدهم كان يحفظ قرآنا ثم ينساه ويذكرون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول إنه رفع .

ومع ذلك ، فان من العمل بالآيات المنسوخة حكمـا لا تلاوة ، قراءة الرسول إياها ، وتعليمها للصحابة ، وتعليم الصحابة إياها للتابعـين ، وبذلك يتصل العمل بها على هذا النحو حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وتتصل تلاوتها في الآخرة ، حيث يلهم الله أهل الجنة التسبيح والذكر ، كما يلهمون النفس ، والقرآن هو أعظم الذكر وأعطره وأحلاه .

فالرسول صلى الله عليه وسلـم بشر ، فاذا لم تؤيده عناية الله به ، فانه ينسى كما يقول الله تعــالى : **(واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربـي لأقـرب من هذا رشدا)** الكهف / ٢٤ .

وقد طبقت السنة هذه الحقيقة إذ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سها في الصلاة ، وبـين أحكام سجود السهو . كما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيـــت فذكرونـــي » رواه الشيخان والسنة هنا تطبق الحقيقة القرآنية في الواقع العملي .

وقد قال الله تعالى : **(سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى)** الأعلى / ٦و٧ .

فلذلك فهم اكثر المفسرين كمـا سبقت الاشارة الى ذلك ، أن النسيان مرتبط بنسخ الآيات التي تنسخ حكما

وتلاوة ، أو التي تنسـخ تلاوة لا حكما ، وسنرى الواقع العملي لأنواع النسخ الثلاثة ـ بعد ذلك ـ إن شاء الله .

ثانيا ـ نجد هذا الموضع الجديد للكلمات القرآنية الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : **(فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)** الحج / ٥٢ ، وهذا دليل على حفظ الله تعالى ، آيات القرآن ، من الزيادة والنقصان . فلا يدخل في معانيها ما ليس منها ، وبذلك يحفظ الله السنة . كذلك ، من أي خروج عن نهج القرآن .

ثالثا ـ نجد هذا الموضع الجديد للكلمات القرآنية الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : **(إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)** الجاثية / ٢٩ . وهنا نعلم في حدود ما نستطيع العلم ، أن الأعمال البشرية تنسخ كلها أو تنقل ، إلى سجلها الذي يشهد بها عليهم ، في الآخرة .

رابعا ـ نجد الموضع الأخير للكلمات الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : **(ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)** الأعراف / ١٥٤ .

وفي هذا الموضع نعلم في حدود ما نستطيع أن الألواح التي تتفرق فيها التوراة ، قد جمعها الله في كلمة واحدة هي قوله : **(نسختها)** .

فدل ذلك على أن نظام الله تعالى ، في نعمه جميعا وفرادى ، يحقق الاتصال بيننا وبين مضمونها وغاياتها ، فتجتمع نتائج النعم جميعا في حقيقة واحدة ، هي مضمونها العام ، وإن كانت متنوعة المقاصد ، متفرقة الأشكال .

فكذلك الشأن في ارتباط مضمون القرآن ، بمضمون السنة . وكذلك الشأن في دلالة النسخ على الثبات والحركة ، والأصالة والتجديد ، تماما ، كما رأينا ـ ذلك ـ في نزول القرآن منجما .

لذلك جعل الله لغة القرآن ، تبين لنا أن النسخ معناه ، المحو ، كما أن معناه الاثبات ، فالنسخ هو الكتابة ، كما أنه هو محو جزء منها ، وهذا يكون في القرآن ، لأن الجزء الذي ينسخ أي ترفع تلاوته أو يرفع حكمه ، أو أي منهما ، قد جعله الله خاصا بفترة بعينها ، فاذا انتهت هذه الفترة انتهى الحكم أو التلاوة أو هما معا ، بما يتناسب من ذلك مع مقتضى الأحوال .

ولقد رأينا كيف تنوعت مقاصد النسخ من الربط بين ما عصم الله به رسوله أن ينسى شيئا من القرآن ، شاء الله أن يحفظه بموضعه من الآيات والسور ، وبين ما شاء الله أن ينساه الرسول بحكم نسخه حكما وتلاوة .

وهكذا نعلم أن الله غالب على أمره ، وأن بشرية الرسول لم تحل دون تحقق مشيئة الله في وحيه الذي أوحاه ، فهو وحي تام رغم كل الظروف الواقعية التي تكون من البشر .

والنسخ في اللغة يتضمن مدلول

الثبات والحركة أو الأصالة **والتجدد** كنسخ الشمس الظل ، أو نسخ الظل الشمس .

ونسخ الكتاب ازالة الحكم بحكم يعقبه ، لذلك رأينا مقاصد النسخ في القرآن ، تؤكد لنا استقلال القرآن بثباته وحركته ، اللذين لا مثيل لهما في كلام البشر ، كما يقول الله تعالى : **(فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)** الحج / ٥٢ ، ومن معاني ذلك ، أن الشيطان لا يقدر أن يلقي في السنة معاني منافية لحقيقة القرآن .

والقرآن حجة لنا أو علينا .

لذلك جاء ذكر استنساخ الأعمال كما رأينا في آية سورة الجاثية .

وأخيرا بين لنا القرآن اتصال النعم الالهية بمضمونها ، مع تنوع أشكالها واستقلال كل منها بنوعه .

لذلك كان النسخ في القرآن وثيق الصلة بأسباب النزول من جهة ، كما هو وثيق الصلة من جهة أخرى بالسنة القولية والعملية .

ولذلك ربط الله تعالى بين القرآن والسنة في بيان الحكمة في نزول القرآن منجما حيث رأينا الآيات الخاصة بذلك تصل تثبيت فؤاد الرسول ، بتثبيت الأمة ، بتثبيت الأعمال الصالحة على مدى حركة الدنيا وهي منتهية الى الآخرة .

فهناك أحوال في حياة البشر لا يطيقون تطبيق الأحكام فيها جملة واحدة ، مثل تحريم الخمر ، فيتدرج القرآن والسنة ، في التقدم نحو الهدف النهائي وهو التحريم ، مع تصعيد أسباب الشفاء من الادمان .

د ــ وهنا نجد النسخ وأسباب النزول والقرآن والسنة ، في عمل جماعي متواصل ، يؤدي في النهاية الى الاحاطة بكل ما هو عام أو خاص في حياة البشر ، بكل مكان وزمان .

وهكذا يتبين لنا أن الوحي الالهي يجتمع فيه الثبات والحركة ، والأصالة والتجديد ، والتقدم في الاحاطة بكل ما هو خاص وعام ، على النحو الذي تظهر به الحدود الفاصلة ، بين ما هو إلهي وما هو بشري .

ومن ذلك ما أخرجه احمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله عن ذلك ، فأنزل الله تعالى : **(ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير)** الى آخر الآية ، (٢١٩) البقرة فقال الناس ما حرم علينا انما قال اثم كبير ، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام أم رجل من المهاجرين أصحابه ، في صلاة المغرب فخلط في قراءته ، فأنزل الله آية أشد منها : **(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة)** النساء/٤٣ .

ثم نزلت آية أشد من ذلك :

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)

المائدة / ٩٠و٩١ ، فقالوا انتهينا ربنا .

ثم قال ناس يا رسول الله : ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان ، فأنزل الله تعالى : (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**) المائدة / ٩٣ .
الى نهاية هذه الآية .

٢ ـ تطبيقات على أنواع النسخ :

وواضح أن الناسخ هنا هو التحريم ، أما المنسوخ ، فهو الأحكام الاولى التي لم تكن ترتب على شرب الخمر تحريما ، بل كانت تبين ما فيه من شرور ، وآثام ، وتحبب الناس في اجتنابها .

ويدخل هذا في النوع الأول من انواع النسخ ، وهو نسخ الحكم واثبات التلاوة ، في الآيات الاولى ، واثبات الحكم والتلاوة جميعا في الآيات التي جاء بها تحريم الخمر .

أما حين يكون النسخ داخلا في النوع التالي وهو نسخ التلاوة واثبات الحكم ، فاننا نجد بعض الاحكام هنا تنقل الى السنة لنتعلم كيف نستمد أحكام الوحي ، من القرآن والسنة جميعا .

ومن أمثال هذا النوع من انواع النسخ ما جاء فيما صحت روايته عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب أنهما قالا : (كان فيما أنزل من القرآن : الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة) رواه احمد .

ذلك أننا نعلم أن السنة لم تفرق من حيث الحكم او العمل بين زنا الشيخ او الشاب طالما كان كل منهما مكلفا بشرائع الاسلام .

فهكذا نعلم أن في هذا نوعا من إلقاء العبء العملي على السنة ، مع ما يؤدي اليه النسخ من غياب هذه الآيات التي أثبتت بين آيات القرآن ، ثم شاء الله نسخها ليتبين لنا بذلك أن القرآن والسنة وحي واحد ، في مصدره ومقاصده ، وان تنوع كل منهما عن غيره من وجوه كثيرة .

فمن هذه الوجوه أن القرآن وحي بشكله ومضمونه ، أما السنة فهي وحي بمضمونها وبما يتصل بأعمال الرسول وأقواله ، التي تخص التطبيق العملي للقرآن والسنة معا ، أو من حيث استقلال السنة ببعض الأحكام أو إقرارها لما يدخل في اجتهاد الصحابة ، وكل ذلك يؤيده ويقويه هذا النوع من النسخ الذي يلحقه الله ببعض آيات القرآن ، ليقوى بذلك ، حاجاتنا للسنة ، ويؤكد عظمة ارتباط مقاصدها ، في جملتها وتفصيلها ، بالقرآن في جملته وتفصيله .

وهكذا ننتهي الى النوع الأخير وهو نسخ التلاوة والحكم جميعا .

يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ عن هذا النوع إنه ما ينسخ تلاوته وحكمه معا .

ثم يقول :

قالت عائشة رضي الله عنها :

« كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن » رواه الشيخان ، ثم يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ وقد تكلموا في قولها : وهي مما يقرأ من القرآن فان ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

ويجيب السيوطي عن ذلك بقوله :

وأجيب بأن المراد قارب الوفاة ، وأن التلاوة نسخت أيضا ، ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .

وينتهي كلام السيوطي رحمه الله لنقول ـ معا ـ ان الذي يهمنا هنا أن نعرف دور السنة في بيان هذه الحقيقة القرآنية وتفسيرها .

فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن تحريم زواج الأخوين من الرضاع يكون بمطلق الارضاع ، ولو كان رضعة واحدة ، بشرط أن تكون كاملة يتم فيها الرضيع رضعته بغير حائل يمنعه .

ومن الدليل على ذلك حديثان اثنان .

فأما الحديث الاول فهو مما اتفق عليه الشيخان عن قبة بن الحارث قال : « تزوجت أم يحيى بنت إهاب فجاءت أمة سوداء فقالت قد أرضعتكما .

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال :

وكيف وقد قيل ؟ دعها عنك » البخاري ومسلم .

ويقول الاستاذ الشيخ السيد سابق : (إن ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ، السؤال عن عدد الرضعات ، وأمره بتركها دليل على أنه لا اعتبار الا بالارضاع فحيث وجد اسمه وجد حكمه) .

أما الحديث الثاني فقد روته عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم المصة ولا المصتان » رواه الجماعة الا البخاري .

ويقول الأستاذ الشيخ السيد سابق عن هذا الحديث إنه يفيد أن الرضيع لو مص مصة او مصتين فان ذلك لا يحرم ، لأنه دون الرضعة التامة .

ومع ذلك فقد ذهب كبار الصحابة والتابعين الى التحريم بمطلق الرضاع ، لأن انشار . اللحم ، يحصل بقليله وكثيره .

ثم نعود ـ معا ـ الى بيان السنة للقرآن ، فيما يخص نسخ التلاوة والحكم ـ معا ـ لهذا القدر من القرآن الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها .

فاذا نحن نظرنا في ذلك ـ معا ـ وجدنا أن السنة بينت لنا هذا النوع من انواع النسخ كما فسرت لنا ما جاء في القرآن مجملا ، وذلك في قوله تعالى :

(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) النساء / ٢٣ .

وكذلك فان السنة هي التي تقدر التوقيت الزمني الذي يتفق مع التحريم ، في هذا الشأن ، وفي كل ما يخص العبادات بكل أنواعها وأحوالها ، حيث تبين السنة مواقيت أدائها ، وحدود هذه المواقيت .

وقد كثرت الاحاديث التي تبين لنا الوقت الذي يتفق معه تحريم الزواج من الرضاعة وجاءت في مصادر فقهية عديدة ، نخص منها بالذكر مما جاء به الشوكاني ، حديث أم سلمة الذي صححه الترمذي ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام » رواه الترمذي . فأما من النسخ فان السنة إذ بينت لنا هذا النوع منه ، قد علمتنا كيف نأتمر بما أمر الله به ، وكيف ننتهي عما نهى الله عنه ، ولو كان ذلك في أعظم مصالحنا الشخصية ، حيث الزواج وقيام الأسرة ، وصلة الأنساب والأرحام .

هـ ـ إن الله تعالى هو القادر على التيسير حتى يبيح الرضعات العشر ، ثم هو القادر على تضييق هذا التيسير ، ثم هو القادر على منعه ، والزامنا بالانتهاء تماما عن الزواج ممن تشترك معنا في الرضاعة ، ولو كان ذلك برضعة واحدة .

والسنة هنا تبين لنا أن الرضعة إذا لم تتم ، فكانت مصة أو مصتين ، فان الحكم لا يشمل ذلك ، لأن المصة والمصتين لا تستطيعان أن تتعديا فم الرضيع لتدخلا في إنشاز عظمه وإنبات لحمه .

الوحي ينظم حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر

١ ـ إن حقيقة نزول القرآن منجما وحقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وحقيقة أسباب النزول هذه الحقائق جميعا ، تعمل على تحريك الحياة الانسانية ، تحريكا متواصلا ، في تقدم ثابت ، وحركة متجددة ، لا مصدر لها إلا الوحي الالهي في القرآن والسنة معا ، وأنهما بذلك يشتد ارتباطهما ولا ينفصلان من حيث مصدرهما الواحد وهي وحي الله ، ومقاصدهما الواحدة ، وهي بيان أوامر الله ونواهيه . ثم إن تحديد أنواع النسخ بأنها ثلاثة أنواع ، هي ما نسخ حكما وتلاوة ، وما نسخ تلاوة لا حكما ، وما نسخ حكما لا تلاوة ، هذا كله تنظيم لحاجات البشر إلى أحكام الوحي بما فيها من عموم وخصوص ، وقد جاء في كتب العلماء القدامى أمثال السيوطي .

وقد بين السيوطي في كتابه « معترك الأقران » أن الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ خلائق لا تحصى .

٢ ـ ولكن الربط بين أسباب النزول وبين النسخ ، يجعلنا ننظر إلى هيمنة الوحي من قرآن وسنة على حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر ، وجعلها حركات أصيلة دائما ، لا تنقطع أبدا ، عن الحقيقة بكل وجوهها التي يسر الله معرفتها للبشر بكل زمان ومكان . ولعلنا نذكر هنا ما سبق من أن القرآن والسنة يتجددان

تجددا ذاتيا لا يحتاج إلى أي مدد خارج على وحي الله تعالى ، كما بينه لنا في كتابه وسنة رسوله . ندرك ذلك حيث ننظر في أسباب النزول فنجد كل سبب منها يحمل معه الفارق بينه وبين غيره من الأسباب ، كما يحمل معه أسس اتصاله بالوحي في جملته وتفصيله ، سواء ما يتصل بذلك من آيات القرآن وأجزائها ، ومواضع كلماتها وحروفها في القرآن كله ، أو يتصل بالوحدة والنوع في مقاصد السنة القولية والعملية ، أو كل ما يخضع لذلك من الوقائع المتجددة في حياة البشر ، على اتصال الحياة الانسانية من الدنيا إلى الآخرة .

وقد اقتضى ذلك أن يكون ما سميناه معا من قبل ـ التراسل بين القرآن والسنة ـ قائما على التنسيق المعجز بين ما اختص به القرآن من المقاصد والأحكام ، وما اختصت به السنة من ذلك ، في حركة متتابعة بينهما ، وحاجات متتابعة من الحياة الانسانية إليهما .

كل ذلك من إعجاز الوحي الالهي ، الذي جعل في السنة ناسخا ومنسوخا ، كما وجدنا في القرآن ناسخا ومنسوخا .

وكل ذلك في إطار أسباب النزول لا يحصيها إلا الله تعالى .

٣ ـ فلئن كانت أسباب النزول أسبابا ظاهرة في الحقيقة الخاصة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ مثلا ، فان هناك من أسباب النزول التي يعجز البشر عن إحصائها ، والاحاطة بما فيها من الثبات والحركة ، والأصالة والتجدد ، هو بعدد مواضع كل حرف وكلمة وجملة ، نجد كلا منها ، بكل آية قرآنية ، كلما نظرنا إلى ما تتعدد مواضعه من هذه الأجزاء ، في آيات كثيرة .

وكذلك الأمر إذا نظرنا بعمق عظيم إلى تجدد أحوال الضبط والترتيب ، بالحروف جميعا ، في الكلمات جميعا كلما اقتضت حكمة الله تنويع صيغ الكلمات ، فضلا عن تنويع ما خص الله به كل صيغة لكل كلمة من عدد مواضعها في القرآن كله ، حتى أمر الله عبده ورسوله ، بترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف كما هو محفوظ بحفظ الله فلا ينبغي أن يحرف أو يبدل بحال من الأحوال .

هذه كلها أسباب للنزول لا نحيط بما هو ظاهر منها إذا نظرنا في الأسباب الواقعة في أحوال البشر كتحويل القبلة ، أو ما نزل في التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها ، كما لا نحيط بما هو دقيق وخفي منها كلما نظرنا في ثبات القرآن على الناحية الشكلية في حروفه وكلماته وجمله وآياته ، مع مقاصده الكثيرة ، الدائبة التجدد ، والمرتبطة بهذه الأجزاء في جملتها وتفصيلها وحركتها في مواضعها ، ثم حين ننظر إلى السنة في تنوع المقاصد التي يجمع لنا ألوانها الكثيرة كل باب من أبواب الحديث الشريف .

٤ ـ وأقرب مثل لذلك أن السنة قد

استقلت بالتشريع في شأن القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس فلم ينزل في ذلك قرآن ، وإنما صدر بذلك أمر من رسول الله صلى الله عليه سلم ، وقد جاء في القرآن وجوب طاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر/٧

ولقد ظلت السنة هي المصدر في جعل القبلة إلى بيت المقدس حتى شاء الله أن يتم القرآن ، هذه الحركة التي بدأتها السنة فتوفر السبب المرتبط بنزول الآية الخاصة بذلك .

ولو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من تركيب أيسر أجزائه ، إلى ما في الحياة الانسانية بكل أزمنتها وأمكنتها من أسباب الخضوع لذلك ، مع ما يتعلق بمقاصد القرآن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا حركة قرآنية معجزة ذات تقدم يمضي دائما على يقين لا ريب فيه ، كما تشرق الشمس في كل يوم جديد ، بضوء جديد ، وموضع من جريان الشمس جديد ، والضوء واحد ، في جملة حقائقه ، وحاجات الكون والحياة الانسانية إلى هذا الضوء تتجدد حتى يرث الله هذا العالم وما فيه .

ويلخص لنا مصطفى صادق الرافعي ، هذا التجدد الدائب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى » .

غير أن الذي نريده بذلك هو التجدد في ذات القرآن وذات السنة ، من حيث الوحدة والتنوع في النصوص والمقاصد ، والاحاطة بحركة الحياة الانسانية في تجدد دائب ، يبين لنا ما هو حق من كل أقوالنا وأعمالنا وما هو باطل .

فاذا نظرنا إلى سبب النزول الخاص بتحويل القبلة ، ثم سبب النزول الخاص بالتي تجادل في زوجها ، وجدنا لقطتين متفردتين في موكب الحياة كله ، بلا تكرار من جهة ، وبلا انفصال بينهما وبين بناء الحياة كله من جهة أخرى ، لأن إحاطة الله بكل المقاصد إحاطة قادرة على هذا التجديد المستمر ، الذي لا سبيل إلى مثله في حدود القدرة البشرية .

فلننظر إلى هذين السببين من أسباب النزول :

السبب الأول :

هو تحويل الكعبة كما جاء في الحديث المتصل السند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء)** البقرة/١٤٤ ، الى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما قالوا في ذلك فأنزل الله تعالى : **(قل لله المشرق والمغرب)** الى آخر الآية . البقرة/١٤٢ .

والسبب الثاني :

هو الذي خص الله تعالى به أوائل الآيات في سورة المجادلة وأنها نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها ، فكانت هذه الآيات ، وما بينها وطبقها من السنة ، مصدرا في أحكام الظهار وما يترتب عليها من أمور .

إن هدفنا من النظر إلى ما تقدم هو بيان هذا التجدد الذي يخص كل أمر بذاته ، فيفرد له موضع ارتباطه بالحياة في جملتها وتفصيلها ، وأن هذا لا يكون في أي كلام إلا في الوحي الالهي من قرآن وسنة .

والفرق بين القرآن والسنة هنا ، هو أن القرآن دائب الحركة المعجزة ، في مبناه ومعناه وترتيب أجزائه في جملتها وتفصيلها ، بينما السنة دائبة الحركة المعجزة في ما يخص أحاديث الرسول في جملتها وتفصيلها ، من الوحدة والتنوع في مقاصد كل حديث ، بين الأحاديث كلها ، تماما ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرك بعد صلاة الفريضة ، ليصلي ركعتي السنة بعد صلاة الظهر أو صلاة المغرب ـ مثلا ـ في موضع جديد ، من المسجد .

وما نلك إلا وحي إلهي يوجه السنة العملية نحو التقدم الدائب ، والحركة المتجددة بغير انقطاع .

○ ـ النسخ في السنة يرتبط بكل ما تقدم :

٥ ـ لذلك كانت السنة أيضا تتخذ من النسخ خطوات دائبة يتحقق بها لكل داء دواؤه ، فيما يناسبه من المكان والزمان ، فلا يستقر حكم ليشمل كل فترات التاريخ إلا إذا كان من الأمور العامة التي تتسع للحياة الانسانية بغير حدود ، أما إذا كان هناك هدف محدود ، فله من الأحاديث المنسوخة ما يحققه ، إلى أن ينتهي زمنه ، ونتعلم منه كيف لا نخلط بين العام والخاص في أحكام الله تعالى :

(أ) ومن النسخ في السنة ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه النسائي والترمذي .

وواضح أن السنة هنا تنسخ حكما بحكم وفعلا بفعل ، لحكم كثيرة علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها سبيلا إلى ممارسة الأمة للتفكر ، والمقارنة بين الأشباه والنظائر .

وزيارة القبور مع حداثة عهد الناس بالشرك ، غيرها بعد استقرار الاسلام ، وظهور حقيقته .

(ب) ومن النسخ بالسنة ما نجده في جزم الصحابي ، بأن الناسخ هو الحكم الذي كان أخيرا ، بعد حكم آخر كان قد سبقه ، فكان هو المنسوخ .

ونلك مثل حديث جابر رضي الله

عنه :

« كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الوضوء مما مست النار » رواه أبو داود والنسائي .

(جـ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في النظر إلى التاريخ وتعاقب فتراته . فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين ، يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم .

وذلك كحديث شداد بن أوس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أفطر الحاجم والمحجوم) رواه البخاري

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .

فقد بين الشافعي أن الثاني ناسخ للأول من حيث أنه روى في حديث شداد أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وروى في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك أن الأول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر .

(د) ومن النسخ في الحديث ما يعرف بالاجماع كحديث :

« قتل شارب الخمر في المرة الرابعة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

فلقد عرف المسلمون أن هذا الحديث منسوخ بانعقاد الاجماع على ترك العمل به ، والاجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

والحقيقة أن السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التي بينت لنا هذا النسخ .

ذلك أنه جاء في حديث قبيص بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه ـ في الثالثة أو الرابعة ـ فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة) رواه احمد .

فلعلنا ننعم النظر في هذا التراسل العملي بين القرآن والسنة ، حيث خص الله كلا منهما بأنواع من المقاصد ، في تقديم وتأخير ، وناسخ ومنسوخ ، حتى نعلم دائما أن السنة في تفسيرها للقرآن ، لا تنفصل عنه من حيث الوحدة والتنوع في مضمون الوحي ومقاصده ، ولا من حيث التطبيق المستمر للقرآن ، في السنة القولية والعملية ، على نحو لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

○ ـ دور الأمة في هذه الحركة المتجددة :

٦ ـ ومما يتصل بأهداف هذا التراسل بين مقاصد القرآن والسنة ،

أن الله جعل للأمة نصيبا من الوحي ، ممثلا في نزول أجزاء يسيرة من الآيات على ألسنة نفر من الصحابة ، ثم في رؤية من رأى صيغة الأذان في نومه وموافقة ذلك لصيغة الأذان كما طبقتها السنة في الواقع العملي .

فأما أجزاء الآيات التي ألهمها الله بعض الصحابة فكان في ذلك توثيق بين ما نزل به جبريل على الرسول وبين ما خص الله به الأمة من ذلك ، فمنها ما صح عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت : **(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)** البقرة/ ١٢٥

وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : **(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)** التحريم/ ٥ . فنزلت كذلك : (الحديث أخرجه البخاري وغيره) والأحاديث في ذلك قليلة ولكنها صحيحة ودالة على أن الله جعل للأمة نصيبا في تلقي الوحي ، حتى يكون عملنا به قريبا من حياتنا العملية ، ويزيد الله به المسلمين فضلا على فضل .

أما الأذان فقد روى الترمذي عن عبدالله بن زيد بن عبدربه أنه رأى الأذان بصفة وصيغة في رؤيا فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تبين أن عمر رضي الله عنه رأى رؤيا مثلها فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا هو الأذان الذي يفسر لنا بالواقع العملي قوله تعالى :

(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) المائدة/ ٥٨

وقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) الجمعة/ ٩ .

وبذلك يكون الأذان بيانا للآيتين السابقتين ، وتطبيقا عمليا لهما في كل مكان وزمان .

فلننظر كيف جعل الله تعالى الأذان وحيا للأمة ذاتها ، تسانده السنة العملية في تفسيرها للقرآن ، وتطبيقها لمقاصده ، لأن هذا مما يوافق الدعوة المتجددة في كل مكان وزمان ، لاقامة الصلاة .

فهكذا نعود إلى ذكر الغاية العملية من التراسل بين القرآن والسنة من حيث التجدد الذاتي في كل منهما ، بحكم هذه التطبيقات المتواصلة التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان .

وهكذا نجد هذا الترابط بين نزول القرآن منجما وبين أسباب النزول وبين النسخ في القرآن والسنة نوافذ كثيرة ، ولكنها تصلنا جميعا بحركة التقدم والتجديد في مقاصد الحقيقة ومهما تكثر وتتنوع فهي واحدة .



القرآن الكريم وتلوث البيئة

٥

للمهندس : محمد عبد القادر الفقي

تواجه البشرية في هذه الأيام محنة عسيرة ، عليها أن تجد سبيلا للخلاص منها ، وإلا فقد يؤدي الاهمال في تداركها إلى حالة من الانتحار الجماعي للبشر ، وربما تؤدي إلى انتهاء الحياة على الكوكب الأرضي .

وهذه المشكلة التي تهدد الجنس البشري بالزوال ، تهدد حياة كل الكائنات الحية والنباتات ، إنها مشكلة تلوث البيئة ، والتي برزت على مسرح الأحداث وظهرت نتيجة للتقدم التكنولوجي والصناعي والحضاري للانسان ، ففي كل يوم تلقى آلاف المداخن بآلاف الأطنان من الغازات والغبار والأتربة التي تفسد الهواء ، وتجعله غير صالح للتنفس ، كما تصب المصانع ومحطات توليد الطاقة الكهربية يوميا مقادير هائلة من المخلفات والنفايات في مياه الأنهار والبحار والمحيطات مما يفسدها ويجعلها غير صالحة للاستعمال الآدمي ، أو لنمو الكائنات الحية البحرية كالأسماك والدرافيل والترسة .

وتتفاقم المشكلة مع محاولات الانسان المستمرة ، وجهده الدءوب ، في البحث عن وسائل جديدة للراحة والرفاهية والمدنية ، وهو من أجل ذلك يلجأ إلى الاتساع في التصنيع ، ويتجه إلى ميكنة الزراعة ، واستخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية ، وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد من المخلفات والمواد غير المرغوب فيها ، والتي يتم التخلص منها إما بدفنها في الأرض ، أو إغراقها في البحر ، أو بنفثها في طبقات الجو .

وهو بذلك يفسد من صفو الهواء ، ويلوث الماء ، ويفسد التربة الصالحة للزراعة فتموت الأزهار وتجف الأشجار ، وهو من أجل التصنيع يقوم بعمل ذلك ليعود وبالا عليه ، وعلى صحته وأمواله ، وحيواناته وآلاته ، ومعداته وزراعته .

لقد أصبحت مشكلة التلوث هي الشغل الشاغل لمعظم صحف ومجلات العالم ، وقد عقدت كثير من البلدان العديد من المؤتمرات لهذا الغرض ، وكان هدفها هو توعية الأنسان في كل مكان بأبعاد هذه المشكلة ، ووضع القيود والقوانين التي تهدف إلى المحافظة على البيئة ، لكن وجه الصعوبة هو كيف يتخلى الأنسان عن التصنيع ؟ إن الأنسان في عصر ما قبل الثورة الصناعية لم يتعرض لهذه المشكلة ولم يك يعرفها من قريب أو بعيد .

تعريف التلوث :

يعرف التلوث : بأنه تواجد أي مواد تفسد نظام الطبيعة ، وما تحتويه من كائنات حية ونباتية ، وغلاف جوي ، بالأضافة إلى إفسادها للخواص الطبيعية والكيميائية للأشياء ، بحيث يؤدي ذلك إلى الأخلال بالتوازن البيئي .

ويرى البعض أن التلوث (هو وجود أي مادة أو طاقة في غير مكانها

وزمانها وكميتها المناسبة ، فالماء يعتبر ملوثا إذا ما أضيف إلى التربة بكميات تحل محل الهواء فيها ، والأملاح عندما تتراكم في الأرض الزراعية ، بسبب قصور نظام الصرف ، والنفط مكون من مكونات البيئة ، لكنه يصبح ملوثا عندما يتسرب إلى مياه البحار ، والأصوات عندما تزداد شدتها عن حد معين تعتبر ملوثات تضايق الأنسان ، وفي ضوء ذلك يبدو جليا وواضحا أن تلوث البيئة يشمل البر والبحر وطبقة الهواء التي فوقهما والقرآن الكريم ـ كتاب الله الخالد ـ والذي لا يأتيه الباطل ، يشير إلى ذلك ، حيث يقول رب العزة جلت قدرته في الآية رقم ٤١ من سورة الروم :

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) والآية تشير بجلاء ووضوح الى التلوث الذي يفسد البر والبحر نتيجة لما يعمله الأنسان من تدخل في الكون ، وهي تشير أيضا إلى الضرر البالغ الذي يحل به من جراء عمله هذا ، ذلك الضرر الذي يذوقه الأنسان رغما عنه ، والذي دفعه إلى ذلك هو جهله بناموس الكون ، وقوانين البيئة التي سنها الله فأعماه الغرور ، وسعى من أجل متعة دنيوية زائفة إلى إفساد البر والبحر بالمخلفات الصناعية تارة ، وبمخلفاته تارة ، وبالمواد المشعة والأشعاعات الذرية وغيرها .

إنه بتدخله غير المدروس في تغيير نظام البيئة ، يدفع نفسه إلى الانتحار وإلقاء نفسه في التهلكة والقرآن الكريم ينهي عن ذلك ، ويتوعد الذين يقتلون أنفسهم بأنفسهم ، ولكن أين من يتعظ ؟ أو من يتدبر في عالم طغت فيه المادية ، وترعرعت فيه الماركسية ؟ وأصبح هم أصحاب المصانع هو الثراء الفاحش على حساب الفقراء الذين يعملون في مصانعهم ، يقول سبحانه وتعالى :

(ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة) « البقرة / ١٩٥ » .

ولكن أنى لأصحاب العقول الضالة أن تهتدي ، وأنى لها أن تسمع وتعي ، وتنذر فتخاف ؟

التلوث والفساد في اللغة :

جاء في المعاجم : لوث الأمر : لبسه ، ولوث التبن بالقت : خلطه ، وتلوث بالطين ، وتلوث بفلان رجاء منفعة ، أي لاذ به ، وتلبس بصحبته ، ولوث الماء أي كدره ، ويقال : التأثت عليه الأمور أي التبست ، والتأث في عمله : أي أبطأ ، والتأث بالدم : تلطخ به ، وفلان به لوثه أي به جنون . ونستنتج من هذا أن التلوث له معنيان في اللغة : معنى مادي ، وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة ، مما يؤثر عليها ويفسدها كتلوث الماء ، والتلوث بالطين ، وأما التلوث المعنوي فهو يعني ذلك التغير الذي ينتاب النفس فيكدرها ، أو الفكر فيفسده ، أو الروح فيضرها ، وهذا

التغير كما يتضح يكون دائما إلى ما هو أسوأ ، أو يكون تغيرا من أجل غرض ما . والتلوث بالمعنيين المادي والمعنوي يعني فساد الشيء ، سواء كان هذا الشيء كائنا حيا كالأنسان أو الحيوان ، أو جسما غير حي كالهواء والماء والتربة .

أما الفساد في اللغة فانه ضد الصلاح ، يقال فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا فهو فاسد وفسيد ، والمفسدة : ضد المصلحة .

ولفظة الفساد أكثر شيوعا في الاستعمال ، وهي تعبر عن أي خلل يقوم به الأنسان من سلوك شائن ، أو فعل قبيح ، أو صفة مرذولة ، أو عن أي اضطراب يحدثه الأنسان في خلق الله .

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة ، تتحدث عن الفساد الذي يحدثه الانسان في الأرض ، من معصية وكفر ، أو من تفريق الناس عن الدين أو الأيمان ، كما كان يفعل فرعون وقوم عاد وثمود ، أو من الجور والظلم ، وانتهاك الأنسان لحقوق أخيه الأنسان ، أو التلوث الذي يحدثه الأنسان بالأرض ، وتأمل قوله تعالى :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) سورة البقرة / آية ٢٥١ .

(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) « سورة البقرة / آية ٢٢٠ » .

(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) « سورة المائدة / آية ٣٢ » .

(كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) « سورة المائدة / آية ٦٤ » .

(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) « سورة الأعراف / آية ٧٤ » .

(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) « سورة الأعراف / آية ٨٥ » .

(ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) « سورة الأعراف / آية ١٠٣ » .

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) « سورة النحل / آية ٨٨ » .

(وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد) « سورة الفجر / آية ٩:١٢ » .

(ظهر الفساد في البر والبحر

بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) « سورة الروم / آية ٤١ » .

ولقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الفساد ، وسأكتفي هنا بما قاله القرطبي كنموذج يؤكد ما نقوله في تفسيره للآية الأخيرة :

يقول القرطبي في كتابه ـ الجامع لاحكام القرآن :

(قوله تعالى : **(ظهر الفساد في البر والبحر)** اختلف العلماء في معنى الفساد والبر والبحر ، فقال قتادة : الفساد : الشرك وهو أعظم الفساد ، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : فساد البر قتل ابن آدم أخاه : قابيل قتل هابيل : وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وقيل الفساد : القحط وقلة النبات وذهاب البركة ، ونحوه قال ابن عباس قال : هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا ، قال النحاس : وهو أحسن ما قيل في الآية ، وعنه ايضا : أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم ، وقال عطية : فاذا قل المطر قل الغوص عنده ، وأخفق الصيادون وعميت دواب البحر ، وقال ابن عباس : إذا مطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر ، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ ، وقيل الفساد : كساد الأسعار وقلة المعاش ، وقيل الفساد : المعاصي وقطع السبيل والظلم ، أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات ، والمعنى كله متقارب ، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس ، لا ما قاله بعض العباد أن البر اللسان والبحر القلب ، قاله عكرمة ، والعرب تسمى الأمصار : البحار ، وقال قتادة : البر اهل العمود والبحر أهل القرى والريف ، وقال ابن عباس : إن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شط نهر ، وقاله مجاهد ، قال : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهي بحر ، وقال معناه النحاس ، قال : في معناه قولان : أحدهما ظهر الجدب في البر أي في البوادي وقراها ، وفي البحر أي في مدن البحر ، مثل : واسأل القرية ، أي ظهر قلة الغيث وغلاء السعر ـ **(بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض)** ـ أي عقاب بعض ـ **(الذي عملوا)** ـ ثم حذف ، والقول الآخر : أي ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم ، فهذا هو الفساد على الحقيقة ، والأول مجاز إلا أنه على الجواب الثاني ، فيكون في الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ، ويكون المعنى : ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما الغيث وأغلى سعرهم ، ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا **(لعلهم يرجعون)** ـ لعلهم يتوبون .

ويتضح مما سبق ان القرطبي قد ضمن تفسيره آراء القدماء ، وهي تدور حول تفسير الفساد بارتكاب المعاصي ، او الجور والظلم او قلة الغيث ، وتأثير ذلك على النباتات

والاحياء ، إلا أن عظمة القرآن وإعجازه تتبين من انه قد نزل ليخاطب كل العقول ، في كل زمان ومكان ، ولفظة الفساد هنا تتسع لتعبر أيضا عن الفساد الذي يحدث في البيئة نتيجة لتدخل الأنسان ، إن الاعجاز في الآية رقم ٤١ من سورة الروم ، لا يجيء من كونها قد تحدثت عن مشكلة تلوث البيئة منذ أربعة عشر قرنا ، ولكن هذا الاعجاز يتضح في عرضها لجوانب المشكلة بالتفصيل وآثارها على الانسان وعلى البر والبحر ، وكيف يتحمل الانسان نتيجة تلك الفساد الذي يصنعه بيديه ، مما يدل دلالة قطعية على أن هذا القرآن قد جاء من لدن حكيم عليم .

انواع التلوث

ينقسم التلوث إلى قسمين رئيسيين :

الأول : التلوث المادي : ويشمل تلوث كل من الهواء والماء والتربة الصالحة للزراعة .

والثاني : التلوث غير المادي : كالضوضاء التي تنتج من محركات السيارات والآلات والماكينات ، وما تسببه من ضجيج ، يؤثر على أعصاب الانسان ، ويلحق به الكثير من الأذى الفسيولوجي والضرر السيكولوجي فالضوضاء تؤدي الى سرعة النبض ، وزيادة إفراز بعض الهرمونات التي تفرزها الغدد الموجودة بالجسم ، مما قد يتسبب في ارتفاع نسبة السكر في الدم ، وقد تؤدي الى الاصابة ببعض الأمراض كقرحة المعدة أو الاثنى عشر ، بالاضافة الى ما تسببه من قلق وأرق ، وعدم تركيز ، كما تؤدي الى سرعة الغضب والاستثارة .

اما الملوثات فانه يمكن تقسيمها إلى أقسام بحسب نشأتها أو مسبباتها ، ومن ناحية التقسيم حسب نشأتها فهي إما أن تكون :

طبيعية : أي نتجت بدون تدخل الانسان كالبكتريا ، والفيروسات ، والطحالب ، وحبوب اللقاح ، والغازات ، والأبخرة التي تنتج من البراكين وكالانفجارات التي تحدث في الشمس وتؤثر بدورها على طبقة الأوزون الموجودة بالغلاف الجوي للأرض والتي تحمي الأرض وسكانها من الأشعة الكونية القاتلة ، وكأكاسيد النتروجين التي تنشأ في الجو نتيجة للتفريغ الكهربي للسحب .

صناعية : وهذه استحدثها الانسان بالتصنيع ، كالغازات ، والأبخرة ، والمواد الصلبة ، والأتربة الناتجة من مداخن المصانع وكغازات العادم التي تخرج من محركات السيارات ، بالاضافة الى المخلفات الناجمة عن نشاط البشر ، وحركتهم ، ومعيشتهم .

كيميائية : كالمبيدات الحشرية ، ومزيلات الأعشاب والمنظفات الصناعية ، والمركبات ، والمواد الناتجة من الصناعات البترولية ، وصناعات الغزل والنسيج ، والحديد والصلب ، والكوك والمفرقعات والأسمدة .

فيزيائية : كالضوضاء ،

والاشعاعات الذرية ، والتلوث الحراري ، الذي ينتج من إلقاء محطات توليد الطاقة الكهربائية لكميات كبيرة من المياه الساخنة ، في مياه البحار والمحيطات والأنهار مما يؤدي إلى الحاق الضرر بالكائنات البحرية ، او التلوث الحراري الناتج من المياه التي تستخدم في تبريد المفاعلات الذرية ، حيث يؤدي ذلك إلى تناقص كمية الأوكسجين الذائب في الماء ، مما يؤثر على حياة الأسماك والحيوانات البحرية .

وتشكل المواد المشعة خطرا كبيرا على الانسان نوعا وكما ، وفي الماضي لم يكن التلوث بالمواد المشعة له اهمية ، حيث لم يكن الانسان عرفه بعد ، والمواد المشعة التي تنتج من التفجيرات الذرية ، تؤثر على خلايا الأجسام الحية ، فتحطمها وتؤثر في نخاع العظام وتسبب أنواعا مختلفة من السرطان ، كما تؤدي إلى تشوه الأجنة ، وحدوث طفرات في الجينات الوراثية ، وقد تؤدي الى العقم ، ونظرا لخطورة الاشعاعات على الجنين ، ينصح الأطباء السيدات الحوامل بعدم تعرضهن لأشعة إكس اثناء فترة الحمل .

بيولوجية : وهي الكائنات والأحياء التي يؤدي تواجدها بكميات كبيرة إلى احداث خسارة فادحة ، بزراعة الانسان وصناعته ، وقد تؤثر على صحة الانسان ، وتسبب له الأمراض ، كبعض أنواع البكتريا ، والفيروسات ، والفطريات ، وانتشار الحشرات كالجراد ، والبق ، والقمل ، بكميات كبيرة ، يؤدي إلى هلاك الزرع وإصابة الانسان بالعديد من الأمراض والأوبئة .

كما أن تلوث المياه يخلق ظروفا مواتية لنمو نباتات غير مرغوب فيها ، كالطحالب والنباتات المائية التي تعوق الملاحة ، وتخفض من سرعة التيار ، مما يهيىء الفرصة لنمو القواقع وديدان البلهارسيا ، وتكاثر البعوض ، كما تسبب حبوب اللقاح التي تتطاير من النباتات بعض الأمراض ، كالحساسية التي تصيب الانسان في الجهاز التنفسي ، نتيجة لاستنشاقه حبوب اللقاح ، التي تتطاير من أشجار الصفصاف ، ويؤدي تكاثر الفئران بدرجة كبيرة إلى خسارة هائلة في المحاصيل الزراعية الضرورية ، واللازمة لغذاء الانسان ، كالقمح ، والذرة ، والأرز ، بالاضافة الى دورها في نقل بعض الأمراض والأوبئة كالطاعون .

وعموما فان كل ما يفسد البر والبحر يعتبر ملوثا ، ووجود أي مادة في غير مكانها الذي خلقه الله لها ، وفي غير زمانها المفروض أن تتواجد فيه كل ذلك يدفع إلى التلوث .

وعلى الانسان ان يحاول وضع الحلول المناسبة لمواجهة تلك المشكلة وحتى لا تتحقق المأساة المخيفة التي يقودنا اليها التلوث ، ولنا وقفة اخرى متأنية في هذا الموضوع ، حتى نفصل الحديث في جنبات تلك المشكلة ، وندرس تلوث الهواء والماء والتربة في ضوء القرآن الكريم والله الموفق .

الرسول الداعية

مؤذن

للاستاذ : محمد كمال الدين

الدعوة في اللغة تعني النداء والطلب والرغبة في الابلاغ عن أمر والاحاطة به ، وهي في الاسلام تعني دعوة الناس إلى الايمان بالله الواحد الأحد ، وبالكتب المنزلة منذ آدم عليه السلام وإلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالرسل جميعا ، وباليوم الآخر الذي لا ريب فيه ، مع العمل بهذا الايمان عقيدة وسلوكا ، وهي تعني تعليم الناس بما يبصرهم بشئون دينهم ودنياهم ، وحثهم على عمل الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحذيرهم من عمل ما يوقع في الخطأ أو اقتراف المعاصي ، إنها الوعظ والارشاد والتحذير ، وهي في دعوة الرسول تكليفه بابلاغ الناس وإخبارهم بأنباء الدين الجديد – دين الاسلام – والعمل على نشر مبادئه وإقناع الناس بالايمان بها والالتفاف حولها .

وهذه المعاني هي بالضبط مفاهيم الاعلام منذ نشأ من قرن أو يزيد ، وإلى يومنا هذا ، إن الدعوة في أحد مفاهيمها هي الاعلام ، ويكاد العلماء المحدثون والمعاصرون يجمعون رأيهم على أن الاعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في حدث من الأحداث ، أو خبر من الأخبار ، أو معلومة من المعلومات .

والاعلام – كعلم – يدخل في نطاق جميع نواحي الحياة ، يدخل في السياسة والاقتصاد والعلوم والأدب والفن والاجتماع والدين ، ورجل الاعلام الصحيح – في أي من هذه

المجالات – هو العالم الداعي ، والمبلغ بكل جديد في مجال نشاطه أو فرع تخصصه ، وبهذا المعنى يكون رجل السياسة ورجل الأدب ، ورجل الدين .. من رجال الاعلام لأنهم ينقلون إلى غيرهم معلومات أو أخبارا جديدة عليهم في مجالات اختصاصهم .

وماذا كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم غير ذلك ؟ إنه بالمعنى القرآني داعية إلى الله ، ومبلغ لرسالته : **(ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا)** الاحزاب ٤٥/٤٦ .

(ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين) القصص/٨٧ .

وحين يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعوته ، ويعد بعض صحابته لتحمل عبء الرسالة والدعوة معه ، تصبح الدعوة الاسلامية ملكا للناس جميعا ، ولمن يقدر منهم على تحمل المسئولية ، ويصبح توجيه الدعوة الاسلامية على مستوى الجميع : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** آل عمران/١٠٤ ، **(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)** فصلت/٣٣ ، ذلك لأنهم جميعا يدعون إلى ما يدعو إليه الله سبحانه وتعالى : **(والله يدعو الى دار السلام)** يونس/٢٥ .

هكذا كان الرسول الداعية الأعظم منذ بعثته ، بل ومنذ مولده الكريم ، لقد كان مولده صلى الله عليه وسلم إيذانا ببدء دعوة إعلامية كبرى تنادى بالتوحيد ونبذ عبادة الأصنام ، كان مولده بعيدا عن مظاهر الشرك أو مشاركة مجتمعه عاداته الجاهلية المعروفة مثل شرب الخمر ولعب الميسر وأكل الميتة وإيتاء الفواحش ووأد البنات .. إلى غير ذلك من ظواهر اجتماعية فاسدة جاء الاسلام لمحاربتها ، وإحلال عادات سليمة وجديدة محلها ، عادات تقوم على الخير والمحبة والأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والنهي عن الفواحش وأكل مال اليتيم .

ولاغرو ، فقد خرج الرسول الكريم من نسل شريف ، وأصل يفخر به العرب جميعا ، كان جده عبدالمطلب معروفا باسم « الفيض » لكثرة جوده وكرمه ، وكان مطاعا في قومه نظرا لحكمته وبعد نظره وصواب رأيه ، وكان أول من استن بعض السنن الاجتماعية القويمة مثل منع نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا ، وألا يطوف بالبيت عريان ، والوفاء بالنذر .. أما أبوه – عبدالله – فقد كان شبيها بعمه أبي طالب في آرائه ، وكان شعاره الذي التزم به : « أما الحرام فالممات دونه » ، وكان العرب جميعا يعرفون فيه نسك أبيه ، ويكفي أن نعرف أن جبهته قد أشرقت بالنور السماوي يوم

مولده صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول يقول في ذلك : « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ابن مريم » رواه الديلمي .

ويقول في حديث آخر : « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » رواه الترمذي ، وفي حديث ثالث يقول : « انا سيد ولد آدم » رواه ابن ماجة ، وعنه يقول الماوردي : « لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما ، وقصور نسبهما عليه ، ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ، ولتفرده بها آية ، فيزول عنه أن يشارك فيه ، ويماثل به ، فلذلك مات أبواه عنه في صغره ، إذ مات أبوه وهو لما يزل جنينا ، وماتت أمه ــ آمنة بنت وهب ــ وهو ابن ست سنين ، وكأننا بربنا جل شأنه وهو يقول فيه : **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** الروم/ ٣٠ .

كانت هذه النشأة الشريفة للرسول الداعية مثار احترام قومه وتقديرهم ، ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم بينهم إنسانا لا يميز نفسه بشيء عليهم ، ولا يستكبر . ولا يستعلى ، يتواضع ولا يتفاخر بهذا الحسب الكريم : **(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** آل عمران/ ١٦٤ ، **(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)** الأحزاب/ ٤٠ .

وفضلا عن ذلك فقد كان سلوكه في قومه يقوم على خصال وصفات إنسانية كريمة ، هي نفسها صفات الداعية الحق ، والنموذج القدوة ، والمثل الصادق في كل زمان ومكان ، ومن أهمها :

١ ــ لم يكن فحاشا ولا عيابا ، فلم يحدث أنه تطاول على أحد أو أغلظ له في القول ، لا يسب أحدا ولا يعيبه ولا يقبحه .

٢ ــ كان رحيما بكل الناس ، صغيرهم وكبيرهم ، ضعيفهم وقويهم ، وقد روى عنه حين كسرت رباعيته في موقعة أحد ، وقال له قومه لو دعوت على أعدائك ، أنه قال : « إني لم أبعث لعانا ، وإنما بعثت رحمة » رواه البخاري ومسلم ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له قط ، ولا ضرب امرأة قط ، ولا ضرب بيده شيئا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يكون لله ، فاذا كان لله انتقم له » رواه أحمد . وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « إنما أنا رحمة مهداة » الحاكم ، وصدق الله حيث يقول : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)**

الانبياء/١٠٧ .

٣ ـ كان ينتصر للحق فلا تغضبه الدنيا ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وما كان جهاده صلى الله عليه وسلم طوال دعوته في مكة ـ والتي استغرقت ثلاث عشرة سنة ـ ثم في المدينة ـ والتي استغرقت عشر سنوات ـ إلا انتصارا لرسالة الحق ، رسالة الاسلام والسلام .

٤ ـ كان شجاعا مقداما ، ويكفي أن نذكر يوم حنين ، يوم فر من حوله في المعركة ، أما هو ، فقد جابه الأعداء بشجاعة نادرة وهو يقول لهم ، وفي مواجهتهم : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب » رواه احمد والبيهقي والنسائي .

هذه السمات في الرسول الداعية ، وغيرها كثير ، تجعل منه نبراسا وقدوة صالحة لدعاة اليوم من جيل العلماء ، حتى ينهضوا بأمور دعوتهم ، وقد وضحت أمامهم الرؤى ، واستبان لهم الطريق ، **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب/٢١ ، وقد أوجز يعقوب بن سفيان النسوى الحافظ فيما ذكره عن الحسن بن علي ، سمات الرسول الداعية حين قال :

ـ « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب (أي كثير الصياح) ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكثار ، وما لا يعنيه ، وترك من الناس ثلاثا : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه ، فكأنما على رؤوسهم الطير ، فاذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يحوزه ، فيقطعه بانتهاء أو قيام ، وكان سكوته على أربع : الحلم والحذر والتقدير والتفكير ، أما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس ، وأما تذكره أو تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه » .

ولعل صفة « الداعية » هي السمة الكبرى التي جمعت بين كل سمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل بدعوة الحق ، دعوة الاسلام **(وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم)** المؤمنون/٧٣ .

ولقد قامت هذه الدعوة على أسس ثلاثة ، هي أيضا من سمات الداعية ، وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** النحل/١٢٥ ، فالحكمة هي الفهم والعلم ، الفهم للرسالة والعلم بمطالبها وسبلها ، والموعظة الحسنة هي تذكير الناس بما يلين قلوبهم من ثواب الله وعقابه ، وتتضمن الحث

على العدل بين الناس ، والاحسان إليهم ، وصلة القربى ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، **(ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر)** البقرة/٢٣٢ ، أما الجدال بالحسنى فتعني المحاورة ، والتخاطب بطريقة الاستمالة والاقناع ، وبأسلوب يتسم بالرفق واللين وحسن الخطاب ..

كذلك قامت الدعوة الاسلامية على مبادئ أخرى – هي أيضا من سمات الداعية ، وطريقة معاملته مع الناس – ذكرت في القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى : **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)** آل عمران/١٥٩ .

ولقد تضمنت هذه الآية الكريمة وحدها العديد من سمات الرسول الداعية يمكن أن نوجز القول فيها فيما يلي :

● تأكيد جانب اللين في المعاملة ، ولا يعني اللين الضعف أو التهاون ، بل يعني إظهار جانب اليسر والحياء وخفض الجناح : **(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)** الشعراء/٢١٥ .

● عدم الغلظة في التعامل مع الناس ، أو أخذهم بالشدة والقسوة ، لأن ذلك ينفرهم من الدعوة ، ويصرفهم عنها .

● العفو عن المسيء إذا تاب واستغفر بعد رد الحقوق إلى أصحابها ، وهذا هو العفو أو الصفح مع القدرة على العقاب ، وإنزال القصاص ، وهنا يصبح العفو معادلا للاصلاح والعدل ، وإعطاء الفرصة للمذنب أن يتوب ، وللعاصي أن يرجع إلى الحق والصواب .

● الدعاء للناس بأن يصلح الله من شأنهم ، وأن يهديهم سواء السبيل حتى يؤمن الجاحد ، ويتوب العاصي ، ويؤوب المذنب .

● التشاور مع أصحابه وأولى الأمر من المسلمين في شئون حياتهم ، وهذه هي الديموقراطية بأجلى معانيها ، إنها ضد التعصب للرأي ، والاستبداد في اتخاذ القرار أو تنفيذه ، والانفراد بالسلطة ، ولقد كانت الشورى في حياة الرسول – ثم الصحابة وحكام المسلمين من بعده – مبدأ أساسيا في الحكم والحياة ، فكانوا لا يصدرون حكما ، ولا يتخذون قرارا ، ولا ينفذون أمرا إلا بعد تشاور طويل ، وتبادل للرأي ، ثم استقرار جماعي على ما ينبغي تنفيذه أو اتخاذه من قرارات .

● التوكل على الله ، لأن الغيب بيد الله ، والحكم له سبحانه وتعالى ، والتوكل على الله هو صفة المؤمنين الصابرين المتقين ، فكأن من توافرت فيه شروط الاسلام الصحيح ، لا تكتمل هذه الشروط الا بشرط التوكل على الله ، **(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا)** ابراهيم/١٢ ، **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** الطلاق/٣ .



منطلق الهدى والنّهضة الحضارية

إن الاسلام ضرورة حيوية لهذا العالم ، بحكم أنه الدين العام الخالد ، الذي أنزله الله سبحانه ليكمل شرائع السابقين ، فكان عين الكمال ، وكان الكفيل بانقاذ العالم مما يتخبط فيه : من فوضى مشوشة ، في دوامة من الأطماع والأنانيات ، تحركها البغضاء والعداوات ، فيصطدم بعضها ببعض ، ولربما

للشيخ محمود ابراهيم طيرة

تتطاير من اصطدامها شرارة حرب مدمرة ، تأكل الأخضر واليابس ، ولا تبقى ولا تذر ! وقد انتظم الاسلام من المعاني السامية ، والمثل العالية ، والقيم الرفيعة ، ما يحقق للانسانية الفاضلة أسمى ما تصبو إليه من نهوض وتقدم ، وما يكفل لكل امرئ صلاحه وإصلاحه ، وانتظام أمور معاشه ومعاده ، واستقامة مساره على النهج الواضح ، الذي يوصله إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، كما أوضحنا في نفس المقال ، أن للاسلام فلسفة كبيرة عظيمة ، دحضت فلسفات الأرض جميعا ، لاسيما الفلسفة الالحادية ، التي عميت بصائر ذويها وبلد حسهم ، وانحطت عقولهم واضطربت ، فاختلط الأمر عليها ، حتى لم تعد تفرق بين حق وباطل ، وصالح وطالح ، وطيب وخبيث ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج/٤٦ .

وإني أستأذن السادة القراء ، في أن أقف هنا وقفة ، أركز فيها على هذه الفلسفة الالحادية المخربة ، أنبه الشباب إلى خطرها ، وأحذرهم منها ومن دعاياتها البراقة ، التي هي أشبه ما تكون بالسراب الخادع يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد عنده السم في الدسم ، وخيبة الآمال في العسل ! إن هذه الفلسفة المقيتة ترى في الشباب الناشئ خامات نظيفة ، وقلوبا خالية تحاول أن تتلقفها فتبذر فيها بذور الالحاد ، التي سرعان ما تنبت وتنمو ، وتضرب جذورها في الأعماق ، فيكون من الصعب بعد ذلك اقتلاعها ، ومن أجل هذا أدعو الشباب مخلصا إلى البعد كل البعد عنها ، وأمحضهم النصح بعدم الاصغاء لدعاياتها الزائفة الخادعة ، صونا لأنفسهم من أخطارها وأضرارها ، إذا هم وقعوا في براثينها ، متمثلا بقول القائل :ـ

ولقد نصحتك ، إن قبلت نصيحتي
والنصح أغلى ما يباع ويوهب

إن هؤلاء الملاحدة ينكرون وجود الله ، مع قيام الأدلة التي لا تحصى على وجوده ! ولكأني بقائلهم وهو يخاطب البشرية ، بعد عودته من رحلته التي حلق فيها بسفينته في أجواز الفضاء البعيد فيقول : لقد

رأيت الأرض تسبح في الفضاء بما عليها من سهول وجبال ، ومحيطات وبحار وأنهار ، وزروع وثمار وانسان وحيوان ، كما رأيت الليل والنهار على ظهر هذه الأرض في وقت واحد ، ورأيت ورأيت .. ولكني لم أر ربكم المزعوم !! أرأيتم معشر الشباب إلى منطق هذا الملاح الفضائي المخبول ؟! كبرت كلمة تخرج من فيه ، إن يقول إلا كذبا ، ولقد خاب وخسر ، عجبا له وأي عجب : عجبا لمن يفج النور في وجهه ولا يرى ، وتقرع أذنه قوارع الحق فلا يسمع ، وتتصارخ النذر من حوله هاتفة به فلا يتنبه ! هل كان وجود هذه الآيات البينات ، في ملكوت الأرض والسماوات ، وعجائب المخلوقات ، هكذا عفوا وبمحض الصدفة دون ان يكون لها موجد ! ومن الذي وضع لهذه الكائنات التي لا يحصيها العد نظامها الدقيق المحكم ، الذي لو شابه أدنى خلل ، لخربت الدنيا في غمضة عين ؟ (**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**) سورة يس/ ٤٠ .

وهذه الأرض التي يراها بأم العين تسبح في الفضاء بأثقالها وأحمالها ، التي يستعصى تقديرها على كل ميزان ، ويعجز عن وصفها كل لسان ، من هو الذي يمسكها أن تميد بنا ؟ ومن أين للشمس هذه الطاقات الحرارية الهائلة ، من أين ؟ بل ومن أين للعين نورها والضياء ، وهو نقطة سوداء ، على سطح الماء ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ، تسقى بماء واحد . ويفضل بعضها على بعض في الأكل ؟ ومن هو مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء ؟! من أين كل هذا ــ أيها الملحد الزائغ ــ إذا لم يكن له رب قادر عظيم ، خلق هذه الكائنات وأبدع في خلقها بما يدهش العقول ويحير الألباب ؟! وما أصدق قول الله سبحانه : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**) الآيات/ ٦ ــ ٨ من سورة ق .

وإنه ليحضرني في هذا المقام ما يقصه علينا رواة السير : من أن الأصمعي مر يوما على أعرابي قائم يصلي لله ، فسأله ــ ماذا تعمل ؟ قال : أصلي لربي ، فقال له الأصمعي : وهل تعرف ربك ؟ فقال الأعرابي : نعم أعرفه ، فقال له : هل رأيته ؟ قال : لا ، لم أره ، فقال له الأصمعي : إذا بم عرفته ؟ فأجابه الأعرابي بكلمات صغيرة ، لكنها كبيرة ، قليلة المبنى ، ولكنها جليلة المعنى ، بسيطة ، ولكنها حكيمة قوية منطقية . قال الأعرابي : البعرة تدل على البعير ، والقدم يدل على المسير ، سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، لاشك تدل على اللطيف الخبير ! أجاب الأعرابي هذه الاجابة الوجدانية المقنعة ، بعد أن نظر إلى السماء

وعظمتهـــا ، والأرض وزينتهـــا ، والجبـال وشموخهـا ، والسهـول وانبساطها ، والبحار وأمواجهـا ، والكواكب وأبراجها ، نظر إلى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة ، نظرة صافيـة مدققـة ، نظـرة المتأمـل المتفكر ، فحكم عقله وأعمل فكره ، ثم أجاب هذه الاجابة ، التي بالغبطة والارتياح ملأتني ، بل أحسب أنها بهرتنـي ، فملـكت علي مشاعـري وأحاسيسي ! فلله أنت يابن الرمال والصحراء ، ما أقوى حجتك ، وما أصدق منطقك ، وما أبعدنظـرك ، فضلا عن صفـاء نفسـك ويقظـة بصيرتك ، ولقد ألقيت على الأصمعي درسا بليغا في الايمان ، ولشد ما كنت رائعا وأنت تنتزع من مرئيات محيطك الذي تعيش فيه ، ما يسميه علماء التربية وسائل الايضاح وهي البعرة والبعير ، والقدم والمسير ! هذا واني حين أوازن بين حالتي الرجلـين : الأعرابي ورائد الفضـاء ، أشعـر بدهشة بالغة تعروني مشوبة بحيرة شديدة : أعرابي بدائي أمـي ، لم يدخل مدرسة ، ولم يتعلم في جامعة ، ويضرب بقدميه في رمال الصحراء ، يتسامى إلى أعلى درجـات اليقـين والايمان ، بفطرته السليمة ، وفكرته الحكيمـة ، ونظرتـــه الصائبـة المستقيمـة ، وبصيرتـه الوضيئـة النيرة ، وروحه الشفافة المشرقـة ، وعقله الواسع المتفتح ، بينما الرائد المثقف المستنير ، الذي يحلق بسفينته يغزو الفضاء ، لاستكناه كنهـه ، واستكشاف اسرار العوالم الأخرى وأحوالها ، يتهـاوى إلى أسفـل ، ببصيرته العمياء ، وفكرته الهوجاء ، ونفسه المشوشة المضطربة ، وتعصبه المقيت البغيض ، وروحه السجينة في ظلمات المادة ، حتى يهبط إلى أحط درجات الجحود والكفـران !! شيء غريب حقا ، يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، ووضع معكوس تمامـا ، فان المفروض في رائد الفضـاء أن يكون أشد الناس إيمانا بالله ، حيث يرى من دلائل وجوده ، وبدائع قدرته في ملكوته ، مالا يتسنى لغيره أن يراه ، وليس الأعرابي الذي يفترش الأرض ويلتحف السماء ! ومن ثم رأيتني أناجي ربي وأقول : سبحانك يارب سبحانك ، آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجـودك ، فلك يارب في الخلـق شؤون ! ــ رب ــ إن الهدى هداك ، والويل لمن طمست بصيرته ، فأنكر الشمس في رائعة النهار !

وفي غمرة دهشتي وحيرتي والألم المبرح ، من جحود من كان يفترض فيهم الايمان العميق ، تتحرك دوافع الشعر في نفسي فأقول مخاطبا هذا الملحد الأثيم ، ومن على شاكلته :ــ

جحدتم به ربـا ، وأنتـم صناعته
فأوغلتمو في الظلم ، والكفر غايته !
وفي كل شيء آيـة بعـد آية
تجلى بهـا قدر الالـه ، وقدرته
وليس كمثـل الـروح للمـرء آية
وسر عظيم ، ليس تدري حقيقته !



فكيف يصح القول أن ليس للورى
إلــــه على كل العبــــاد إطاعته ؟
وأين هو العقل الرشيد ، أياترى ؟
وأين الضمير الحي ؟ أين ؟ وصحوته !
بصائر عمــى ، والنفــوس مريضة
وران على القلب الجحود ضلالته !
ضلال هو الالحاد ، قد زاغ أهله
عن الحق ، تدعوهم إليــه شريعته
وياويــل من ضل الهدايــة ، ويله
فما غير نــيران الجحيــم نهايته !
ومن رام يوما صنعة دون صانع
لعمرى مخبول ، وهــذى خرافته !



ومن عامل الشيطان ، خاب رجاؤه
ومن يتجر في الظلم ، بارت تجارته
ومن عامل الرحمن ، طابت حياته
وراجت بســوق المؤمنــين بضاعته
ومن عاش في دنياه بالجسم وحده
تهاوى ، وما يدري ، فجمت خسارته !
ومن عاش بالقلب السليم ، وبالنهى
تسامى إلى العليا ، ونارت بصيرته
فيمضي على النهج القويم ، ومن يسر
على منهج التحقيق ، لم تطو رايته !
ويحظــى من المولى الكريــم بحبه
ومن يحبب الرحمن تعظم سعادته !



ففــكر ، تجــد مولاك في كل حالة
إليــه مرد الأمــر فيهــا ، وحكمته
وبادر إلى صلح مع الله ، مخلصا
فشر البلايا في الحيــاة خصومته !
وإن تعتصم بالله ، تلــق بحصنه
أمانا ، وإيمانا ، وتغشاك رحمته !

أما بعد ـ فقد كان العرب قبل مبعث المصطفى صلى اللــه عليــه وسلم ، على شر ما تكون عليه أمة : فالأنســاب ضائعــة ، والمظالــم شائعة ، والأخلاق فاسدة ، والنفوس مريضة بل ميتة ، والجهل فاش ، والفقر عام ، والعداوة مستحكمة ، والحروب قائمة ، والفتن مستيقظة غير نائمة ، والأمن مختل ، والنظام مفقود ، ووأد البنات زين لا شين ، إلى آخر سلسلــة الفســاد المســتشري والانحلال ، ونظرة فاحصة إلى ذلك المجتمع الجاهلي ترد الطرف وهــو كليل ! مجتمــع متخلــف فاســد ، يحكمه ما يشبه شريعــة الغــاب ، فالحكم للقوي ، والاحترام للغني ، والحالة في جملتها فوضى لا ضابط لها ولا رابط ، فضلا عن عبادة الأصنام والأوثان ، من دون الواحد الديان !!

ولقد نشأ محمد عليــه الصــلاة والسلام على الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ، لأنه إن كان يتيمــا من الأبوين فلكي يتولى الله سبحانــه تربيته وتأديبه ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « أدبنــي ربــي فأحسن تأديبي » رواه البخاري .

نشأ عليه الصلاة والسلام في هذه البيئة التي تموج بالمفاسد وهو ذو الخلق العــالي ، فكان طبيعيــا أن يضيق صدره ، وتفيض نفسه بالألم الممض ، وفؤاده بالهم الثقيل ، ولعله من أجل هذا كان يفر من هذه الجهالة الجهلاء ، والضلالة النــكراء ، إلى غار حراء ، يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، يتعبد بالتفكر والتأمل في خلق

الله وبديع آياته ، في ملكوت أرضه وسماواته ، ثم فيما يمكن عمله لانقاذ هذه البشرية ، في حين كان يشعر من أعماقه شعورا يغالبه ، بأن خلاص العالم وإصلاحه سيكون على يديه ، إلى أن هبط الوحي عليه بالحق المبين ، من لدن الحكيم العليم ، فشرح الله بالاسلام صدره ، وأذهب همه وأزال غمه ، ووضع عنه هذا الحمل الثقيل الذي كان ينوء به كاهله ، وامتن عليه بذلك في سورة الشرح بقوله : (**بسم الله الرحمن الرحيم . ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك**) ـ (أي وضعنا عنك ثقلك وحملك الذي أثقل ظهرك ـ **ورفعنا لك ذكرك**) الآيات/١ ـ ٤ .

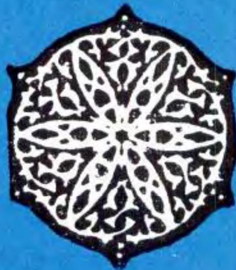
أجل ـ ما أن جاء الاسلام بصلاحه وإصلاحه ، حتى تبدل الحال غير الحال : أحيا الله بالاسلام موات نفوسهم ، وأصلح فساد أخلاقهم ، وبدل جهلهم علما ، وعسرهم يسرا ، وفقرهم غنى ورخاء ، وعداوتهم محبة واخاء ، وألان قلوبهم بالحب والرحمة ، والعطف والحنان ، فاستتب الأمن ، وساد النظام ، وأصبح هؤلاء الجهلة الغلاظ الجفاة ، الغارقون في رمال الصحراء ، منارة الهدى والرشاد ، وفتحوا الفتوحات ، ومصروا الأمصار ، ومدوا ظلال الحضارة والمدنية والعمران ، مما لايزال العالم المتحضر يتغنى بذكره حتى اليوم !

ولقد كان القرآن الكريم مدرسة كبرى يتعلم فيها المسلمون ، وقد تخرج فيها من سلفنا الصالح رجال عظام غرميامين ، خلصت لهم القيادة والريادة في شتى مجالات الحياة ، فسجل لهم التاريخ بمداد الاعجاب والتقدير أروع الصفحات : كانوا غرة في جبين الزمان ، ودرة في كف الأيام ، تخرجوا في هذه المدرسة العظيمة أسوة تحتذى ، في الصدق في القول ، والاخلاص في العمل ، في العدالة والنزاهة ، في السخاء والوفاء ، في الاحسان والايثار ، في الورع والزهد ، في الشجاعة والهمة ، والمروءة والنجدة ، والحب والرحمة ، والسياسة والحكمة ، والشرف الحقيقي ، والانسانية الكاملة !

تلكم هي الآثار العظيمة ، التي خلفها الاسلام في المسلمين ، تتجلى في أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم ، ألمحنا إليها بصورة إجمالية ، ولو أننا استرسلنا في الحديث عنها ودخلنا في التفصيلات ، لاحتجنا إلى مؤلفات ومجلدات ، وصفوة القول أن عظمة الاسلام وجماله وكماله ، وما انتظمه من مبادىء سامية ، وأخلاق عالية ، وقيم رفيعة ، ترسم النهج القويم ، وتهدي إلى الصراط المستقيم ، الموصل إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، هي أمور تجل عن الوصف والبيان ، فنحن لا نملك إلا أن نقف أمام هذا الاسلام العظيم الخالد ، وقفة أدب واحترام ، وقفة تمعن واستلهام ، نستجلي فيه هذه الروعة ونياك الجلال ، ونقول في خشوع : حسب الاسلام عظمة وخلودا ، أنه الاسلام وكفى !!



حقوق المرأة الخاصة بالأسرة



للاستاذ محمد ابراهيم عامر

الزواج :

الزواج نظام قام بين الرجل والمرأة منذ فجر التاريخ البشري ، وقد تعددت صوره واختلفت .

والتفسير الديني للتاريخ يدل في وضوح على أن الله تبارك وتعالى قد جعل الزواج صلة مشروعة من أيام آدم أبي البشر عليه السلام كما يدل على ذلك قوله تعالى : **(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)** . البقرة / ٣٥ .

والزواج في اليهودية فرض على كل اسرائيلي كما تنص على ذلك المادة السادسة عشرة من كتاب « الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للاسرائيليين » .

أما الزواج في الدين المسيحي فالخلاصة التي نخرج بها من النصوص الدينية فيه هو أن الوضع المثالي الأفضل لجميع المسيحيين هو عدم الزواج والانقطاع الى العبادة والرهبنة لكن الزواج يباح خشية الزنا وعدم القدرة على ضبط النفس .

وأما الزواج في الاسلام فهو سنة حث عليها بقوة ، إرضاء للغريزة الجنسية من طريق حلال ونظيف ، وطريقا للحصول على الولد من خلال أسرة يفوح من ثناياها الشرف والفضيلة ، وسبيلا الى الأنس النفسي والسكن .

ولما كان الدين الاسلامي دين الفطرة فانه ينظر الى الزواج على أنه الفطرة الطبيعية وصدق رسول الله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخاري .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » رواه عبد الرزاق في الجامع والله تبارك وتعالى يبرز الزواج في مقام نعمته ورحمته وحكمته إذ يقول : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** الروم / ٢١ .

والزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الانسان واستمرار حياته ، وهو حجر الأساس لقيام الأسرة والمجتمع ، تلك الأسرة التي إن نشأت قوية اللبنات نشأ المجتمع القوي العظيم ، ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالأسرة إذ كان اهتمامه بالزواج .

إختيار الزوج :

جعل الاسلام للمرأة الحق في اختيار زوجها غير مكرهة على قبوله ، وليس لولي أمرها أن يستأثر دونها في هذا ، وإذا زوجت المرأة البالغة الرشيدة نفسها فليس لولي أمرها حق إلغاء هذا الزواج إلا إذا كان زواجها من غير كفء لها إذ في معرة الزوج معرة لأسرة الزوجة ، أما إذا كان الزوج كفئا لها فان العقد يكون نافذا .

والقرآن الكريم يجيز للمرأة أن تباشر عقد زواجها بنفسها ويحذر الرجال من أن يمنعوها هذا الحق .

كما تضمنت الأحاديث الكثيرة وجوب استئذان المرأة عند زواجها وحتمت على الثيب أن تصرح بالأذن ، واكتفت من البكر بالسكوت وهو دليل الرضى مراعاة لحيائها .

الخطبة :

لما كان الزواج من أخطر العقود شأنا فقد لزم له دقة التريث في اختيار كل من الزوجين لشريكه ، وحتى يتوافر الاختيار السليم الحكيم شرع الاسلام الخطبة ، ويحتم الاسلام أن يرى كل من الخطيبين الآخر وأن يجلس إليه في وجود محرم تعرفا على الشكل ، وكما يحرم الخطبة دون رؤية فانه لا يقر اختلاط الخاطبين وذهابهما وحدهما هنا وهناك تحت ستار الخطوبة مما يكون سبيلا للقيل والقال ، ويعود في نهايته بأسوأ العواقب والنتائج ، وقد رد رسول الله المغيرة بن شعبة ليرى خطيبته التي خطبها دون رؤية وقال له : « انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه مسلم،على أن الخطبة وعد بالزواج وليست زواجا .

تعدد الزوجات :

ينبغي أن نعلم أولا أن تعدد الزوجات ليس من صنع الأسلام ، وإنما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات وفي مقدمتها التوراة ، وأقره الأنجيل إلا في حالة واحدة هي حالة الأسقف حيث لا يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات فانه يكتفي بواحدة ، وقد بقي تعدد الزوجات معمولا به في العالم المسيحي حتى حرمته القوانين الوضعية .

وقد كان الزواج في أكثر الظروف لغير عدد محدود ، فلما جاء الاسلام قيده بألا يزيد عن أربع فمن كان لديه أكثر منهن أمسك أربعا وفارق ما عداهن .

على إن الاسلام يرى أن الزواج الأمثل والأوثق هو الزواج بواحدة ، ولم يبح التعدد إلا لضرورات وبشرط ضمان العدل بين الزوجات ، ولم يكن هدف الاسلام ولن يكون من هذا التعدد مجرد تنويع المذاقات فان الله لا يحب النواقين والذواقات ، ونستطيع أن نجمل حكم التعدد فيما يلي : ــ

أولا : أسباب إنسانية عامة :

١ ــ من المقرر في علم الديمو جرافيا أو علم إحصاء السكان أن الأطفال الذكور أكثر تعرضا للوفاة من الاناث في الطفولة الأولى ، وكذلك الشأن في المراحل التالية للطفولة ، لما ألقت الطبيعة على كاهل الرجال من مسئوليات مما يعرضهم دائما

للأخطار والموت ، يضاف إلى ذلك أن الذكر لا يكون قادرا على الزواج إلا في سن قد تصل إلى الثلاثين لاعتبارات كثيرة ، بينما البنت تكون مستعدة للزواج بمجرد البلوغ ، والوقوف عند الزواج بواحدة يترك طابورا رهيبا من النساء بلا زواج .
٢ ـ في أعقاب الحروب يهبط عدد الرجال عن عدد النساء هبوطا مفزعا فقد تصل النسبة إلى ١ من الرجال مقابل ١٠ من النساء فاذا اقتصر الرجل على زوجة فما مصير الباقيات ؟
٣ ـ هناك ضرورات اقتصادية في بعض البيئات والظروف يحتاج فيها الرجل إلى الأيدي العاملة التي تعاونه ولا يساعد على ذلك إلا التعدد .

ثانيا : أسباب خاصة :

١ ـ قد ينكب الرجل بزوجة عقيم يحبها ولكنه يحب في الوقت نفسه ـ تبعا لغريزة حب البقاء فيه ـ أن يمتد عمره في ذرية ينجبها وتحمل اسمه ، وتقربها عينه ، أليس زواجه بالثانية مع الابقاء على الأولى ـ إن لم تتضرر ـ حفاظا على العشرة أولى من أن يلقي بها طريدة بائسة ؟
٢ ـ قد يصاب المرء بزوجة باردة جنسيا لا تحب المباشرة الزوجية ولا تعفه تبعا لذلك عن الحرام أو كان ممن لا تعفه المرأة الواحدة ، أليس له العذر في الزواج بأخرى تحقق الحكمة المقصودة من الزواج بدلا من الانحراف ؟
أيفضل المنددون بالتعدد نظام الخليلات على الحليلات ؟
إنني أهمس في أذن هؤلاء ـ وإن تعجلت ـ قائلا لهم هل تعلمون ما تمر به المرأة الغربية من مأساة قاسية تهدد كيانها وكيان الأسرة الغربية بل ومستقبل الجيل الجديد ، وهل تسمعون عمن يسمونها « الأم الآنسة » في الغرب وعن آلاف المواليد الذين لا يعرفون لهم آباء .
فلقد ذكرت الاحصائيات الرسمية أنه من بين كل ٩ أطفال ولدوا في لندن سنة ١٩٦٠م واحد لم تتزوج أمه ، فاذا عرفنا أن عدد المواليد في لندن في العام المذكور بلغ ٧٣٦٨ طفلا عرفنا نسبة من لم يعرف لهم أب من بينهم وهي نسبة خطيرة جدا ، كما اثبتت الاحصائيات الأمريكية أن بين كل ٦ أطفال ولدوا في نيويورك عام ١٩٦٧ طفلا غير شرعي وقد كانت النسبة عام ١٩٥٧ واحدا من كل ١٥ طفلا ، وهذا يؤكد التطور الخطير نحو الخطيئة واذا عدنا إلى تعدد الزوجات والذي أباحه عند الضرورة ووضعنا تحت أعيننا دعوى القائلين بأن التعدد ضار بالأنثى نلمس عدم سلامة هذه الدعوى ، إذ أن في التعدد إنقاذ الأنثى من التسكع والتردي ، بالاضافة إلى سد الثغرات الأخرى التي ذكرناها ، ومن النقص عند من يقيم عملية ما ألا يذكر محاسنها بجوار مساوئها ثم يحكم .
ولو أن كل مسلم عدد زوجاته نفذ ما أمر الله به من العدل في ذلك السبيل ، وقامت كل زوجة منهن بما أمر الله لاستقامت الأسر واستقام المجتمع ، ولما كان ما

نعده ، عيبا على المجتمع وليس فيه .
وأهمس في أذن الصائحات هجوما على التعدد أيمكن للنساء أن يتفقن جميعا على عدم التزوج بمن هو متزوج ؟ وإذا قبلت الأنثى منكن الزواج بمتزوج فهل العيب فيه أم فيكن ؟ وهل كانت هذه ستتزوجه إن وجدت غيره أفضل منه ؟
اللهم أهدنا جميعا سواء السبيل .

الكفاءة الزوجية

من المبادىء التي تكفل دعم الأسرة في الاسلام الكفاءة الزوجية ، وهي أن يكون الزوج أهلا وكفئا للزوجة في موقعها الاجتماعي والأدبي ومن الناحية الثقافية والمالية والأسرية ، وفي ذلك حرص منه على كرامة المرأة وإعلاء لشأنها .

وفي الوقت الذي يشترط الاسلام في الزوج ألا يقل عن مركز الزوجة ووضعها على ما ذكرنا فانه يجعل كل أنثى كفئا للرجل مهما كان وضعها ، فالكفاءة تطلب من جانب الرجل لا من جانب النساء ، ولا يعير الرجل بزوجة تقل عنه ، ولكن تعير الزوجة برجل يقل عنها ، وفي ذلك ما فيه من إعلاء قدر المرأة وتكريمها .

المهر :

وهو عطاء من الزوج لزوجته ، وقد أمرت سورة النساء بأعطاء الزوجات مهورهن التي أطلق عليها « نحلة » فهي ليست أجرا ولا ثمنا ، وإنما هي عطاء يوثق المحبة ، ويربط القلوب ، ويديم العشرة .

والدليل على وجوب المهر الكتاب والسنة والاجماع .

وأقله شرعا عشرة دراهم فضة وقت العقد من أي نوع من أنواع المال ، ولا حد لأكثر المهر ، وإن كان من الخير عدم المغالاة لما فيه من إعراض الشباب عن الزواج ، وتعجيزه عن القدرة عليه ، والاغراق في الدين وسوء الحال فأيسرهن مهرا أكثرهن بركة .

والمهر حق خالص للزوجة وحدها تتصرف فيه كما تتصرف في سائر أموالها ، ولا تبرأ منه ذمة الزوج إلا بدفعه أو إبرائها له .

وللزوجة قبض مهرها بيدها وليس عليها أن تتجهز به أو بشيء منه لأنه مقابل لتمليك الزوج حق المتعة بها ، وعليه بعدئذ تأثيث منزل الزوجية لأن ذلك يدخل ضمن النفقة الزوجية .

النفقة :

أوجب الاسلام للزوجة ــ وإن كانت غنية ــ على زوجها نفقتها ، وهي ما تحتاج إليه لمعيشتها من طعام وشراب وكسوة ومسكن وفرش وخدمة بحسب المتعارف بين الناس .

ويلزم الزوج بالانفاق على زوجته كنص الكتاب والسنة ، والنفقة واجبة للزوجة من

حين العقد الصحيح فاذا امتنع الزوج عن **الانفاق كان للزوجة أن تطلب** أمام القاضي تطليقها لعدم الانفاق . وأوجب الاسلام للمرأة إذا ما طلقت نفقة العدة كما أوجب لها « المتعة » وهي ما يبذله الرجل لها بعد طلاقها غير نفقة العدة مما تحفظ به نفسها وكيانها قال تعالى : **(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين)** البقرة / ٢٤١ .

حسن المعاشرة :

إن حسن المعاشرة ــ وهو أمر أكد عليه الاسلام ــ لا يطالب به الرجل وحده ، ولا المرأة وحدها بل هو قدر مشترك بينهما ، يطالب به كل منهما .

إن كلمة رقيقة ، أو دعابة مستملحة ، أو بسمة حانية ، أو هدية في مناسبة ، لها أثر السحر في تدعيم الروابط الزوجية ، وإن بدت للبعض أمورا تافهة .

وإذا كنا نرى بعض الأزواج يرى قوامته في البيت فرض هيمنته بالتسلط والأوامر والقهر والتهديد والأيذاء ، ونرى البعض الآخر يترك لزوجته الحبل على الغارب فان الاسلام لا يريد لشخصية الزوج أيا من الوضعين ، إنما يرى أن تكون قوامة البيت بالرجولة المهابة والمحبة المذابة معا .

وقد حفل القرآن والسنة بما رسم من وجوب حسن العشرة للزوجة ، وبما يضمن سعادة الأسرة وهناءتها .

حقوق الزوجة :

قرر الاسلام للزوجة ــ بعد ضياعها عبر قرون طويلة قبله ــ حقوقا على زوجها تتضح فيما يلي : ــ

١ ــ رضا الزوجة عن زوجها عند العقد .
٢ ــ حسن المعاشرة على التفصيل الذي ذكرنا .
٣ ــ حق المداعبة والملاطفة وأخذها على فطرتها كما خلقها الله لا كما يصور خياله .
٤ ــ أن يكون الزوج معتدل الغيرة على زوجته فلا يأخذها بشك أو ظن ولا يتجسس عليها أو يتتبع عثراتها .
٥ ــ النفقة في اعتدال **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها)** الطلاق /٧ .
٦ ــ القسمة العادلة بين زوجاته .
٧ ــ الاعفاف بالاشباع الجنسي للزوجة ، وله به صدقة .
٨ ــ الرعاية الدينية وحسن التوجيه من زوجها .

حقوق الزوج :

وإذا كان كل حق يقابله واجب فان للزوج على زوجته الحقوق الآتية : ـ
١ ـ أن تطيع زوجها فيما يأمرها به سرا وجهرا ـ ما لم يكن في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ـ وأن تعرف له قوامة البيت بحقه ، ويأتي في قمة هذه الطاعة طاعته كلما دعاها إلى فراشه .
٢ ـ عدم الخروج من البيت إلا باذن الزوج .
٣ ـ تربية الأولاد تربية ترضي الله ورسوله فالأم هي معهد التربية الذي يتربى فيه الطفل ، وإذا قيل إن وراء كل عظيم امرأة فتلك المرأة أكثر ما تكون هي الأم .
ومما يؤسف له أن المنظمات النسائية اليهودية تقوم بدور تحبيب الطفل في دينه ، وتعويده تلاوة التوراة صباح مساء بينما كثير من الأمهات المسلمات لا يحسن تلاوة القرآن !
٤ ـ القناعة والحرص على مال الزوج فلا تطلب منه إلا ما تحس الحاجة إليه ولا تعطي من ماله إلا باذنه .
٥ ـ الخدمة في الدار وإدارة شئون البيت ورعاية متطلباته .
٦ ـ التزين لزوجها .
٧ ـ النظافة فلا تقع عينه منها على قبيح ، ولا يشم منها إلا أطيب ريح .
٨ ـ حسن الخلق . فانه إذا ذهبت محاسن الخلقة بتوالي الأعوام ، فان محاسن الخلق تبقى على الدوام .
٩ ـ ترضية الزوج عند الغضب .
١٠ ـ حسن معاشرة أهل الزوج .
١١ ـ احترام مشاعر الزوج وشكر صنيعه والوفاء له .
١٢ ـ العفة والأمانة في شرفها وعرضها وحتى في نظرتها وزيها .
١٣ ـ الاحداد على زوجها إذا مات مدة لا تزيد على أربعة أشهر وعشرة أيام ، فتلزم بيت الزوجية هذه المدة ، لا تنتقل حتى إلى أهلها ، وتتجنب الطيب والزينة فيها .

إنه لو اتقى كل من الزوجين الله وأدى ما عليه من حقوق لزوجه لوجدت الأسرة السعيدة الصالحة بحق ، ولوجد المجتمع المؤمن القوي الذي يهدف إليه الاسلام فهل يعود المسلمون الى إسلامهم ؟

الطلاق

الحياة الزوجية جزء من الحياة ، وشأنها شأن المخلوقات فيها ، لا تخلو من أن تهب على سمائها الصافية أعاصير تبدل صفوها ، وتقلب هدوءها ، وتعكر صفاءها ، وهنا يختلف زوج عن زوج ، وزوجة عن زوجة ، فاذا اعتصم الزوج أو

الزوجة أو كلاهما ، بالحكمة وضبط النفس مرت العاصفة في الغالب بسلام ، وعاد للبيت هدوؤه وصفاؤه ، وإذا لم تكن الحكمة وضبط النفس كان الشقاق ... وكان الطلاق ... فكان الفراق ! وهو خاتمة يبغضها الله وينفر منها الاسلام ويقول عنه الرسول : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواه ابو داود والحاكم .

وقد رسم الاسلام للأسرة في مثل هذه الحال مناهج الحكمة وضبط النفس ، بما لو أخذ كل من الزوجين نفسه بها أو أخذهم بها الحاكم لقلت حوادث الطلاق ، واستقرت الحياة الزوجية على قرار مكين .

وإذا كانت ريح الخلاف قد هبت من قبل الزوجة وامتنعت على زوجها فهي ناشز وإذا هبت من قبله هو وامتنع عليها فهو ناشز وإذا هبت من قبلهما معا فهو الشقاق .

وقد جعل الاسلام أساس الحياة الزوجية المودة والرحمة ، فاذا اهتز كيان الأسرة بخلاف فان الاسلام يبادر بوضع علاج متدرج يحاول به رأب الصدع وإزالة السحب وإعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية .

ففي حالة نشوز المرأة رسم الاسلام سلما تدريجيا للعلاج (**فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن**) النساء / ٣٤ .

أولى الدرجات الثلاث عظة بالحسنى والرفق واللين فعسى أن يلين القلب أو يرجع العقل ويذهب الشيطان .

ثانيهما ـ إذا لم يجد الوعظ ـ هجر في المضاجع يكون الزوج به قريبا من زوجته بعيدا عنها في الوقت ذاته ، تؤمل من قربه إطفاء لهيبها الجنسي وتعود بخفي حنين ، وفي ذلك من الايلام النفسي ما يرد الناشزة إلى رشدها إن كان لديها بقية إحساس فما يؤلم صاحبة الحس أكثر من ذلك ، هجر في المضاجع لا هجر للمضاجع .

وثالثها ـ إذا لم ينفع الوعظ ولا الهجر المطلوب ـ ضرب ولكنه غير مبرح ، إنها إذ ذاك متبلدة الحس أقرب ما تكون إلى الحيوان وهذا النوع لا يجدي فيه غير الضرب الذي حدده الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا تضرب الوجه ولا تقبح » رواه ابو داود وأحمد .

وقد انتهز أعداء الاسلام فكرة وجوب الضرب في تشريع التأديب في الاسلام ، فراحوا يولولون ويتباكون يا للقسوة في التشريع ولكن لمرض في نفوسهم أو جهل في معرفتهم .

وردنا على ذلك ينحصر في ثلاث نقاط : ـ

١ ـ ما وصى بالزوجة دين قدر ما وصى الاسلام قرآنا وسنة .

قال تعالى : (**وعاشروهن بالمعروف**) النساء / ١٩ . وقوله : (**فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف**) البقرة / ٢٣١ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « استوصوا بالنساء خيرا » رواه البخاري .

٢ ـ إن إباحة الضرب تخضع لظروف الزمان والمكان فلا يستخدم هذا السلاح إلا

حيث يرجى منه خير .
٣ ــ إن بعض علماء النفس الأوروبيين يتحدثون عن إحساس بعض النساء تجاه الضرب بما يؤيده علاجا في بعض الأحيان ، ويرون أن هذه غريزة شائعة بين النساء وإن لم يعرفنها ، ومن أجلها اشتهرن باحتمال الألم أكثر من الرجل ، وأن الزوجة من هذا النوع تزداد إعجابا بزوجها كلما ضربها وقسا عليها ، ولا شيء يحزن بعض النساء أكثر من التزوج برجل رقيق الحاشية دائما .
وقريب من هذا الاتجاه رأي للأستاذ محمد زكي عبد القادر يقول فيه : « **المرأة تحب الرجل العصى تحب أن تصطدم إرادتها بارادته ، تحب الصراع للظفر تأكيدا لسلطانها ، وتحب أكثر من كل شيء الهزيمة أمام إرادته ... ولكنها تغضب ، تغضب وتملأ الدنيا صياحا ، وفي قرارة نفسها حلاوة الضعف أمام قوة الرجل** » .

أما في حالة نشوز الرجل فان الاسلام قد أمر الأنثى هنا أن تستخدم كل ذكائها وحيلها ــ وما اكثرها ــ لترضيته واجتذابه وإزالة أسباب نفوره أو نشوزه وليس ذلك بكثير على من قال فيهن خالقهن : (**إن كيدكن عظيم**) يوسف / ٢٨ فان لم تصل إلى ما تريد فمحاولة الصلح معه : قال تعالى : (**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير**) النساء / ١٢٨ فاذا اشتد الخلاف بين الزوجين ولم تجد كل الوسائل الداخلية « **فليكن المجلس العائلي** » ولنستمع إلى علاج الخبير العليم حيث يقول : (**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا**) النساء / ٣٥ .

ولنعش برهة في ظلال الآية نستشف منها دقائق الحكمة وفلسفة الاسلام في معالجة تلك الحالة الخطيرة لنرى : ــ
١ ــ أن الاسلام لا ينتظر حتى وقوع الطلاق بل إن مجرد الخوف من وقوعه يفرض قيام المجلس العائلي فورا للتوفيق بينهما .
٢ ــ إنه يقول : (**فابعثوا حكما**) وللحكم صفات فهو حكم وقاض فليكن العدل منهما والاحسان .
٣ ــ ثم هو (**حكما من أهله**) فلا بد أن يستشعر مصلحته العليا وهي في بقاء الأسرة ما لم تكن الخطورة لا تحتمل ، (**وحكما من أهلها**) يراعى نفس الظروف ، وكون الحكمين من أهلهما أدعى إلى إفصاح كلا الزوجين لهما عما في نفسيهما ثقة وأملا .
٤ ــ ثم هو يستحث الصلح بقوله : (**يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما**) وقدجلد عمر حكمين لم يقيما الصلح بين الزوجين تصورا لعدم حرصهما على ذلك مستدلا بهذه الآية .
٥ ــ ويأتي ختام الله منبها مذكرا مخوفا إذ يقول : (**إن الله كان عليما خبيرا**)

يقول هذه الحقيقة للزوج وللزوجة وللحكمين فليستحضر كل منهم هذه الحقيقه في مجلس الصلح فلا يزيد ولا ينقص ولا يفتات ولا يتحيف ولا يحيد عن سواء السبيل فالله عليم وخبير حتى بما توسوس به النفوس .

فاذا عجز علاج الزوجين والحكمين من بعد ذلك كله فليس هناك من علاج سوى الطلاق الذي لايقره الاسلام إلا عملية جراحية اضطرارية وعلى أنه العلاج الوحيد ولو كان مرا فان إبقاء الزوجية بهذه الصورة أشد مرارة **(وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته)** النساء / ١٣٠ إذ أن الحكم ببقاء العشرة وتحريم الطلاق في مثل هذه الحال حكم على الزوجين وهو حكم ظالم لكليهما .

وهنا مسألة جديرة بالنظر وهي أن الاسلام في عرض حالات النشوز ومحاولات الاصلاح لم يذكر كلمة « **الطلاق** » لا تصريحا ولا تلميحا وتراه يذكر جانب الصلح ويسكت عن الجانب الآخر وينأى عن لمسه فيقول : **(إن يريدا إصلاحا)** ولم يقل في الغالب « وإن لم يريدا إصلاحا فالطلاق » وهذا يؤكد حرص الاسلام على جانب الوفاق والتوفيق .

كيف لا وهو الذي دعا إلى صبر الزوج على ما يكره من زوجته ، وضمن له بصبره الخير الكثير والثواب العظيم قال تعالى : **(فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء / ١٩ .

حكمة استقلال ألزوج بالطلاق :

ليس في إسناد القرآن والسنة الطلاق للرجل ــ وهو حقه الأصلي ــ أي غبن للمرأة بل هو من باب المحافظة عليها والتقديس للرابطة الزوجية ، إذ أن الرجل هو الذي أوجب عليه الشارع المهر ــ وتأثيث منزل الزوجية والمسكن والنفقة في الوقت الذي أعفى منها المرأة ، فكان طبيعيا وعليه وحده الغرم كله أن يكون له أمر الطلاق لا إليها ، ثم هو أضبط لمشاعره من المرأة على أنه بوقوع الطلاق تلحقه مسئوليات أخرى من مؤخر صداق ونفقة عدة وأجرة رضاعة وحضانة ، ومن مهر جديد ونفقات أخرى إذا هو تزوج ثانية فهو يفكر ألف مرة قبل أن يوقع الطلاق .

ولو جعل الطلاق بيد المرأة لاضطربت الحياة الزوجية وانهارت الأسر لرقة عاطفتها وسرعة انفعالها وانقيادها للغضب من أتفه الأسباب .

وإذا كان الشارع قد جعل عقد الزواج بيد الرجل والمرأة ــ وفيه تقبل المرأة أن يتولى الرجل وحده إيقاع الطلاق في الحدود التي شرعها الاسلام ــ فان الشارع لم يجعل حق الطلاق مشتركا بين الرجل والمرأة لأن الطلاق إنما شرع كعلاج لاضطراب الحياة الزوجية ، فلو جعل أمر الطلاق إليهما معا لما وصلا إلى اتفاق غالبا ، فقد يريده أحدهما ولا يريده الآخر فيكون الكيد والجحيم ، ثم إنهما غير متساويين في المسئولية .

حق المرأة في الطلاق :

على أن الاسلام لم يهمل حق المرأة في الطلاق فجعل المنع على الاطلاق وإنما أجازه لها في أكثر من صورة : ــ
١ ــ جعل لها الحق في أن تشترط لنفسها عند العقد أن تكون العصمة بيدها وهذا لا يسلب الزوج حقه في إيقاع الطلاق .
٢ ــ قد يشذ الرجل ويمعن في إساءته للمرأة ، فلا يطلقها ولا يحسن عشرتها ، وهنا أباح لها الشارع ان تفتدي نفسها منه بمال تقدمه إليه ، قال تعالى : **(فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** البقرة / ٢٢٩ .
وقد يتم تنازل المرأة للزوج عن مؤخر صداقها ونفقة العدة أو بعضها ويسمى هذا **طلاقا على الابراء** أو باعطائه شيئا من المال يتراضيان عليه ويسمى هذا **بالخلع** .
وتكون المرأة بهما بائنا تملك أمر نفسها ، وليس للرجل حق مراجعتها إلا بعقد جديد باتفاق آخر وللمرأة إذن أن تطلب الطلاق لمجرد أنها تبغض الزوج ، وفي ذلك قول الرسول لثابت بن قيس في موقف مماثل : « أقبل الحديقة وطلقها تطليقا » وقد كانت الحديقة مهرها الأصلي وقبلت أن تردها .
٣ ــ جعل الشارع للمرأة أن ترفع أمرها إلى القاضي لايقاع الطلاق من زوجها إذا أثبتت وقوع ضرر عليها يسوغ تطليقها كاعسار الزوج أولعيب فيه كالعنة والمرض أو لايقاع الضرر أو لغيبة الزوج بلا عذر مقبول أو لحبسه .

المتعة :

وهي ما يدفعه الرجل لمطلقته بعد الفرقة بينهما ، وأساسها ما ورد في القرآن الكريم من قوله : **(لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين)** البقرة /٢٣٦ وقوله : **(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين)** البقرة /٢٤١ وفي ذلك ما يدل على حرص الاسلام وعنايته بتكريم المرأة حتى عند تطليقها وترضيتها وتعويضها وترك لمسة معروف في نهاية هذه العلاقة .

« **وبعد** »

فهل يستطيع أن ينكر هذا العطاء الزاخر من الاسلام للمرأة ــ وهو سجل حافل وخالد ــ إلا مكابر أو جاحد ؟ وهل يستطيع أحد ذكرا كان أم أنثى على دين أو غير دين أن يدلنا على أي نظام قام حتى اليوم استطاع أن يعطي المرأة مثل عطاء الاسلام ؟ وهل بعد عطاء الله عطاء ؟ اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . اللهم آمين .



للدكتور علي جريشة

تمهيد :

ليست الدعوة ... علما يلقن ، أو فنا يدرس ، بقدر ما هي موهبة وفضل يؤتيه الله من يشاء .

وان كان من كسب للانسان فهو أولا في خلقه ، فالتحلي بخلق الاسلام هو أكبر دعوة يسير بها المسلم بين الناس ، هي التي تفتح قلوبهم وعقولهم على هذا النور العظيم .

ثم هي ثانيا في احساسه بمسئوليته تجاه الدعوة ... انها ليست حكرا على صنف من الناس وانما الأمة كلها شاهدة على الناس بما دعتهم اليه بسلوكها وايمانها وعملها (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) ،البقرة/١٤٣ (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ .

تتوقف طرق الدعوة على عدة أمور :

١ ــ من ندعو :

فأسلوب الدعوة الى الشباب غير أسلوب الدعوة الى الشيوخ وأسلوب الدعوة الى النساء غير أسلوب الدعوة الى الرجال ، وأسلوب الدعوة الى الأطفال غير أسلوب الدعوة الى الكبار ، وأسلوب الدعوة الى المؤمنين غير أسلوب الدعوة لغير المؤمنين

ويكفي أن نأخذ نموذجا منه صلى الله عليه وسلم .... حين أتاه شاب يقول له : « يا رسول الله ائذن لي في الزنى ! فكان رده صلى الله عليه وسلم : أترضاه لأمك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لأختك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لزوجك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لابنتك ؟ قال : لا ، قال فهكذا كل النساء أمهات أو أخوات أو زوجات أو بنات ، ثم وضع كفه على قلبه ودعا له ...
فصرف الله عنه السوء . وكان تساؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دعوة لترك الزنا .

ــ وفي القرآن أساليب كثيرة لدعوة غير المؤمنين . تستجيش فيهم فطرتهم السليمة ... وتستجيش فيهم عقولهم الصحيحة ... وتستجيش فيهم القيم والمثل والأخلاق ! **(قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)** الانعام / ١٤ **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)** الانبياء / ٢٢ **(انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى)** طه / ٧٤ ، ٧٥

٢ ــ أين ندعو :

مكان الدعوة كذلك يكيف طريقها ...

فالدعوة في بلاد الاسلام ، ليست كالدعوة في ديار الكفر .

والدعوة في بلاد فيها حرية ، ليست كالدعوة في بلاد تكمم فيها الأفواه .

والدعوة في مكان انتشر فيه العلم ، ليست كالدعوة في مكان خيم عليه الجهل ... والقصد بالعلم والجهل ، العلم بالدين والجهل به ، ولو بلغ أصحابه أرفع الشهادات في تخصصات أخرى ... بيد أن ارتفاع المستوى الفكري بصفة عامة يحدد كذلك أسلوب الدعوة .

٣ ــ الام ندعو :

فأسلوب الدعوة الى العقيدة ... يغاير أسلوب الدعوة الى المعاملات ... وقد قدمنا الحديث عن هذا العنصر الأخير .

هذه العناصر ... الى جوار غيرها . كالظروف السائدة ، وكالزمان القائم ... الى غير ذلك ... تحدد أسلوب الدعوة ... وهي بعد ذلك :

أ ــ أسلوب السلوك والأخلاق :

هو أول الأساليب وأنجعها وأنجحها في الدعوة وهو أعم الأساليب كذلك ... من ناحية من يخاطب ، ومن يخاطب ، فهو خطاب ــ في الواقع ــ من الكافة الى الكافة ...

كل انسان يستطيع هذا الخطاب ، وكل انسان يفهم هذا الخطاب ... وبهذا الخطاب فتحت القلوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولنأخذ مثلا أول : حين داهم رجل يدعى (دهثور) رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو نائم ، فرفع عليه السيف ، وقال له : من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله . فسقط السيف ، فأمسك به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : ومن يمنعك مني ؟.. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم . صفح عنه ... فدخل الاسلام .

ولنأخذ مثلا ثانيا : يوم فتح مكة ... حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين آذوه على مدى عشرين عاما : ما تظنون أني فاعل بكم ... قالوا أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !

ولنأخذ مثلا ثالثا : سلوك يوسف عليه السلام مع اخوته ... الذين ألقوا به في الجب قال : (**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**) يوسف / ٩٢

ثم لنعلم بعد ذلك :

أنه بهذا السلوك ... فتحت على المسلمين مساحات من الأرض أكثر مما فتحت بحد السيف ـ ان السيف يطيح برءوس الطغاة ... أما السلوك والأخلاق فتفتح قلوب الناس ...!

واذا كانت الأخلاق والسلوك أسلوبا عاما يخاطب به الكافة الكافة ... فهي أسلوب أخص وألزم لمن اتخذ الدعوة مهنة له ومهمة ، وبغيره يغدو أي أسلوب آخر سيفا مغلولا ، وسلاحا مغمدا لا قيمة له !

وبذا ننصح الدعاة أن يكون لهم : من الفهم الدقيق ، والايمان العميق ، والخلق الوثيق ، ما يفتحون به القلوب !

ب ـ المواقف والمثل :

لعل هذه تدخل في الأولى .. لكنها أخص ... فلا يستطيعها الا أولو العزم ... ونحن نندب الدعاة أن يأخذوا دائما بالعزيمة ، فليس لمن كان في موضع القدوة أن يترخص ...

ولذلك لم يترخص الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد به أذى الكفار ، ودعاه عمه أن يلين ، لكنه قال : والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ..

ولم يترخص أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين دعاه الحكام أن يقول ان القرآن مخلوق بل احتمل الأذى والعذاب .

ولم يترخص غيرهم ممن احتملوا العذاب ، في سبيل كلمة الحق ... لأنهم علموا أن ثباتهم يبقيهم مشاعل على الطريق تضيء لمن خلفهم وهم كثير ، وان لينهم مع الباطل وترخصهم يطفىء ضوءهم فلا يعودون صالحين لأن يضيئوا لمن خلفهم ... وكم من الناس أطفأ بترخصه نوره الذي آتاه الله ... وكم من الناس انزلق أكثر من ذلك ليصح فيه قول الله : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب**) الأعراف ١٧٥ ـ ١٧٦

ولئن كانت الأخلاق سبيلا ناجحا للدعوة ، فالمواقف والمثل سبيل أنجح !

ولننظر من التاريخ القديم ... غلام كان موقفه سببا في ايمان أمة .. حين قتل العالم (الراهب) وقتل (جليس الملك) ، وجرب مع الغلام وسيلتان للقتل نجا منهما ، فدعا الملك الى أن يربطه في جذع نخلة ويجمع شعبه كله في صعيد واحد ثم يقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك المتأله ، وأصاب السهم صدغ الغلام فسقط شهيدا ، فقال الناس جميعا : آمنا بالله رب الغلام ! ولم يكن موقف الغلام دافعا الى ايمان أمته فحسب ، بل دافعا الى الاصرار على هذا الايمان ، حين شق لها الملك الأخاديد (الترع الصغيرة) وأضرمها بالنيران ، وخير شعبه بين الرجوع عن دينه أو الالقاء في النار ، ففضلوا جميعا أن يلقوا بالنيران عن أن يرجعوا عن الحق الذي آمنوا به ، وخلد القرآن قصتهم في سورة البروج حيث قال تعالى : **(قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)** البروج / ٤ ــ ٨

وفي التاريخ الحديث أمثلة كثيرة لمن استشهدوا في سبيل الدعوة . متأسين بمواقف المؤمنين السابقين وسلف الامة الصالحين .

جـ ــ الخطابة ، والمحاضرة ، والدرس :

وهي كلها وسائل كلامية ، والى جوارها ... المقال ، والقصة ، والمسرحية ، والكاريكاتير ، والفيلم ، وهي وسائل كتابة ، وتمثيلية .

ولكل واحد من هذه أصول ، ولكن يجمعها في مجال الدعوة :

أ ــ ابتغاء وجه الله :

لأنه بذلك ينقلب العمل عبادة يتقبلها الله ، ومن أرضى الله بعمله ، أرضى الله به الناس ، ومن أرضى الناس بعمله وكله الله الى الناس !

ب ــ الثقة بالله :

وهي أن تشيع الثقة والطمأنينة والثبات فتكون عامل نجاح للخطيب ، والمحاضر ، والكاتب ، أو الممثل ... ما دام في نطاق الاسلام !

يؤكدها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة « أنا عند حسن ظن عبدي بي » .

جـ ــ اتقاء ما يغضب الله :

لفظا أو معنى ، فالمؤمن ليس بفحاش ولا لعان ولا سباب ، وهو ما يعلمنا اياه القرآن :

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الانعام / ١٠٨ **(قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون . قل يجمع**

بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) سبأ / ٢٥ ــ ٢٦

د ــ الصدق :
فالمؤمن يفطر على كل خلق الا الكذب والخيانة ، وحديث الصدق من القلب يصل الى القلوب ، ولو كان بعيدا عن الطلاء والزخرف ، فماذا لو كان الشكل متقنا الى جوار صدق الموضوع !

هـ ــ الاحساس بالأمانة :
فالداعية حامل أمانة ... يبذل في سبيلها ، ويدافع عنها ... ولو أدى به الوقت أن يبذل في سبيلها الروح فانه يفعل ... فوضعه مغاير لمن يؤدي وظيفة حسبما اتفق !

بقي ان نقول ان الأساليب تتغاير تبعا للزمان ، في القديم كانت الخطابة هي الوسيلة الأولى ، واليوم تقدمتها وسائل ... أخطرها ما يقدم على الشاشة أو المسرح لأنه يترك تأثيرا عميقا في نفوس الحاضرين ، بما يستحوذ على كل الحواس : سمعا ، وبصرا ، وفؤادا ... والى جوار ذلك نقول ...

أنه لا أثر يذكر ــ على المستوى العام ــ لكل وسائل الدعوة ، اذا بقيت وسائل الاعلام في أيدي الذين يعملون على اشاعة الانحلال بين الشعوب خاصة الاسلامية ، ليسهل على الصهيونية أن تحقق حلمها التلمودي في أن تركب الجنس الاسلامي كما امتطت من قبل الجنس النصراني وسخرته لأغراضها !

ينبغي أن تنتقل وسائل الاعلام الى أيدي الدعاة المخلصين ليسخروها في خدمة دعوة الاسلام « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) الاحزاب / ٦٠ ــ ٦٢ .





الدَّعْوَةُ الإسلاميَّةُ والانطلاقةُ العظمى

للاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي

يقول المولى عز وجل في محكم كتابه العزيز : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)** النحل/١٢٥ . ويقول جل شأنه : **(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)**فصلت/٣٣ . وقال تعالى ايضا : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/٣ .

فمن هذا المنطلق القرآني والمنهج الرباني سارت الدعوة الاسلامية والتي هي دعوة الطهارة والبقاء ، دعوة الخلود والنقاء ، دعوة النور والايمان ، دعوة الحق والعدل والمحبة ، دعوة التسامح والمساواة . دعوة الحرية والتقدم والرقي ، دعوة العلم والحضارة والأفكار السامية والمبادىء والغايات النبيلة والقيم الروحية — منذ انطلاقتها الأولى من مكة المكرمة وهي تسعى جاهدة ، **(وجاهدوا في الله حق جهاده)** الحج/٧٨ — لكي تقيم عالما إسلاميا موحدا تسوده هذه المبادىء السامية وذلك لأنها دعوة لكل الأمم والشعوب بأجناسها وألوانها **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** الحجرات/١٣ .

ومن هنا فان الدعوة الاسلامية تسعى جاهدة لكي تنطوي كل الأمم والشعوب تحت لواء دعوة التوحيد ، وتحت لواء لا اله الا الله محمد رسول الله . وعلى هذا فان الدعوة الاسلامية التي أضاءت للانسانية طريقها ، وهدتها إلى الصراط المستقيم وقادتها الى الطريق الحق المنير ، والتي حمل لواءها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم والذي اختارته العناية الالهية من بين خلق الله قاطبة ، لكي يؤدي الرسالة ، ويبلغ الأمانة ، ولكي تصل تلك الدعوة الى كل شعوب البشرية جمعاء .

والتي آمن بها وهي في المهد أبو بكر الصديق صاحب رسول الله ، ورفيق رحلته وخليفته من بعده ، وعلى بن ابي طالب ، وزوجة المصطفى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد .

وهاجر بها الى المدينة المنورة أربعون شخصا من مكة المكرمة هربا من ظلم الطاغوت والكفر في مكة المكرمة ، وتلبية لنداء المولى عز وجل في الهجرة ولايجاد الأرض الخصبة التي تترعرع فيها دعوة الحق ، واليوم بعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان فان حصاد الدعوة الاسلامية يكاد يقترب من الألف مليون نسمة مسلم ، يعيشون في بقاع الأرض المعمورة .

رجال الدعوة :

لقد خرج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاميذ مدرسته القرآنية يجاهدون في سبيل الدعوة الاسلامية عملا بقوله تعالى : (**هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة**) يوسف/١٠٨ . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » رواه الطبراني . وبهذا استطاع رجال الدعوة الاسلامية أن يتخطوا بهذه الدعوة حدود الجزيرة العربية ، وأن يحطموا كل ما أقامه الأعداء أمامهم من سدود ، ودافعوا عن راية التوحيد ، وقاتلوا وقتلوا ، ودفعوا عن الدعوة الاسلامية كيد الأعداء ، من الفرس والرومان ، وحملوا رسالتهم الخالدة ، ووسعوا حدود دولتهم الفتية ، التي ارتكزت على كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأقول : إن هؤلاء المسلمين الأوائل الأقوياء الأشداء بما ملكوا من قوة الايمان وعزيمة الرجال ، استطاعوا ان يقيموا قارة اسلامية ، توسطت قارات العالم القديم ، آسيا وأوروبا وافريقيا ، ولذا ظهرت الى الوجود دولة اسلامية كبرى ، فرضت وجودها بقوة ايمان رجالها ، لا بقوة السيف ، كما حاول أن يبين ذلك رجال الغرب الحاقدين للاسلام ، والكارهين لرسالته الخالدة ، ولقد حافظت هذه الدولة على حدودها بتمسك أهلها بقرآنها الكريم ، فأعز الله جندهم ، ونصرهم على أعدائهم ، بتضامنهم وتعاونهم (**وتعاونوا على البر والتقوى**) المائدة/٢ . « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الترمذي .

ولقد كان الايمان بالله ، وبكتاب الله ، ورسول الله ، هو السلاح القوي الوحيد الذي تسلح به الذين خرجوا يرفعون راية التوحيد ، ويدعون للاسلام ، وخرجوا لا يهابون الموت في سبيل الله ، ولا يطلبون الا النصر ، والاستشهاد ، خرج هؤلاء فمنهم من جاهد ماشيا وسيرا على الأقدام ، ومنهم من يمتطي حماره وحصانه وبغلته ، ولم يكن هدف كل واحد من هؤلاء الا وجه الله ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية كانت في نظر هؤلاء المسلمين الأوائل ، هي دعوة من الله ، وهم يجاهدون من اجل الله ، وفي سبيل الله ، وهم يسعون الى ايصال هذه الدعوة الى الشعوب التي لم تنطو بعد تحت لواء الاسلام ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) آل عمران/١٦٩ .

الايمان أساس الدعوة :

لقد خرج هؤلاء الدعاة الأوائل يدفعهم الحماس الشديد ، والشوق والحنين ، الى ايصال الدعوة الاسلامية الى كل أصقاع الأرض المعمورة ، خرجوا يدعون ويتاجرون فحملوا الاسلام الى اندونيسيا والفلبين وجنوب شرق آسيا ، والى كل بلاد القارة الافريقية السوداء جنوب الصحراء الكبرى ، حتى أنه لم يمض على انتقال محمد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى مائة عام ، إلا وكانت دولة الاسلام ودعوة الحق وطيدة البنيان ، قوية الجانب ، موطدة الجناح .

لقد حققت الدعوة الاسلامية في قرنها الأول الهجري مالم تستطع أن تحققه الدعوة في الثلاثة عشر قرنا الأخرى ، التي هي عمر الدعوة الاسلامية .

لقد خرج هؤلاء الدعاة والأوائل وهم لا يملكون طائرات حربية ، ولا قنابل ذرية ، ولاصواريخ موجهة ، ولا مدافع ثقيلة ، ولا دبابات ومصفحات ، ولا حصون ولا دروع ، ولا استحكامات ولا مدمرات حربية ، وحاملة طائرات ولا غواصات .

ولكن كان سلاحهم الايمان ، والايمان يعلم المرء الكثير والكثير ، يعلمه كيف يقاتل الأعداء ، وكيف يصمد في القتال ، وكيف يتحمل الشدائد ، وكيف يصبر على البلاء ، وكيف يجاهد في ملاقاة الأعداء .

ومن هنا عظمت دولتهم ، واشتد بأسهم ، وتعمق ايمانهم ، وتمسكوا بقرآنهم ، فبلغت الدعوة حدود الصين شرقا ، وسهول فرنسا غربا ، وخط الاستواء جنوبا ، وسهول سيبريا شمالا ، .

وهكذا كان الايمان هو السلاح القوي والفعال ، والمؤثر في انتصار الدعوة الاسلامية في قرنها الأول ، وكان ذلك من عوامل استغراب الغرب ورجاله من قوة المسلمين .

معوقات الدعوة :

لقد كانت الانقسامات التي حدثت في العالم الاسلامي ، وقيام ثلاث خلافات اسلامية « الخلافة العباسية في بغداد ، الخلافة الأموية في الأندلس » الخلافة الفاطمية في القاهرة ، من الأسباب القوية والمباشرة التي حدت من انطلاقة الدعوة الاسلامية وحمايتها ، وتوفير المناخ الملائم للانطلاق بها ، وهكذا أدى هذا الخلاف الى أن ضاعت أرض اسلامية كانت تتوفر بها الحضارة الاسلامية الراقية ، وتكالب الأعداء على الاجهاض على الدعوة الاسلامية ، فكانت الحروب الصليبية التي استطاعت ان تسيطر على بلاد الشام لفترة زمنية تقترب من القرنين ، ولكن الله رد كيد الأعداء في نحورهم ، إذ قيض للأمة الاسلامية احد

رجالها « صلاح الدين الأيوبي » الذي استطاع ان يرفع عن الدعوة الاسلامية الخطر الداهم .

وليس هذا فقط ، ولكن جاءت جحافل المغول والتتار كي تحطم الخلافة العباسية ، كما حطمت الحركة الصليبية الخلافة الأموية في الأندلس ، ولكن قوة الاسلام ، وعظمة الدعوة الاسلامية **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ ، استطاعت أن تحتوي الخطر المغولي والتتاري بالدخول في الاسلام ، ومكن الله لجند الاسلام ، لأنهم جند الله وجند الله هم الغالبون .

وإذا كان الغرب المسيحي الذي شهد عظمة الاسلام ، وقوة اندفاعه ، وحيوية دولته وازدهارها ، في فترة زمنية قصيرة ، قد استطاع أن يقف لها بالمرصاد ، وهي تتخطى جبال البرانس لتتجه بسهول أوروبا وفرنسا ، حيث خرجت كل أوروبا على بكرة أبيها لكي تعيق الدعوة الاسلامية في معركة « بلاط الشهداء » بعد ان كانت الدعوة الاسلامية قد وصلت الى بلدة « سانس » على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوب باريس ، عاصمة فرنسا الحالية ، وفي ذلك يقول أحد كتاب الغرب انه لولا معركة بلاط الشهداء واندحار المسلمين امام ابواب مدينة بوانيه ، لكان القرآن يدرس الآن في جامعات اكسفورد وكمبردج وباريس .

وعلى الرغم من هذا الموقف العدائي الذي اعاق الدعوة الاسلامية من جانب التعصب المسيحي ، الا ان ذلك لم يكف رجالها الذين هالهم عظمة الاسلام فعملوا على السيطرة على العالم الاسلامي بأسره ، فاستطاعوا عن طريق حركة الاستعمار الحديث أن يبسطوا نفوذهم على العالم الاسلامي جميعه .

وهكذا كانت الحركات التنصيرية التي صاحبت حركة الاستعمار الحديث أفدح خطر يتهدد الدعوة الاسلامية ، إذ استطاعات هذه الحركات التنصيرية أن تجد لها رأس قدم في بلاد القارة الافريقية ، وفي شرقنا الاسلامي ، وفي جنوب شرق آسيا ، وفي مناطق كثيرة من العالم ، وذلك للوقوف حجر عثرة امام اندفاع الدعوة الاسلامية التي استطاعت أن تقتلع جذورها من الأندلس ، ولكن نصر الله قريب ، وغدا ستعود أرض الاسلام من جديد .

وعلى هذا فانه يمكن القول أن كل تلك المعوقات والاخطار التي أعاقت الدعوة الاسلامية ، كانت من الأسباب القوية التي حالت دون وصول راية التوحيد ، واندفاع رجالها الى افاق بعيدة من عالمنا الحديث .

ولكن كلا ، فان كل هذه الأمور سوف تنجلي ، ونحن نستقبل القرن الخامس عشر الهجري ، الذي سوف يكون باذن الله قرن انطلاق الدعوة الاسلامية .

الانطلاقة العظمى :

إن الأمة الاسلامية وقد تخلصت من الاستعمار الغربي ، وبدأت تتجه للوحدة الاسلامية والتقارب بين شعوبها ، وبدأ مظهر التضامن الاسلامي يظهر للعالم

قويا واضحا في شكل العديد من المؤسسات الاسلامية ، رابطة العالم الاسلامي ، المؤتمر الاسلامي ــ بنك التنمية الاسلامي « وغيرها من المؤسسات الأخرى ، فان ذلك يشكل خطوة على طريق انتصار الدعوة الاسلامية ، ولكن ليس هذا فقط ، بل إن الأمة الاسلامية من أقصاها الى أدناها تستقبل عن قريب القرن الخامس عشر الهجري الذي سوف يشهد باذن الله الانطلاقة العظمى ، والحركة الكبرى للدعوة الاسلامية التي بدأت بذورها تنمو في اوربا ، ٢٥ مليون مسلم ، وفي امريكا الشمالية ، ٣ مليون مسلم ، وفي امريكا الجنوبية وفي استراليا وفي افريقيا وغيرها من بقاع الأرض المعمورة .

ومن هنا ، فان الدعوة الاسلامية ومؤسساتها في عالمنا الاسلامي على امتداد اقطاره واختلاف شعوبه مطالبة بوضع الخطط العلمية ، والدراسات الموضوعية للانطلاق بالدعوة الى كل البلاد والقارات المختلفة ، ولمواجهة التحديات البالغة التي تواجهها الدعوة ، وللتغلب على العقبات التي تقف في طريق الانطلاقة العظمى .

وذلك لأن الدعوة الاسلامية في أقطار العالم أجمع سواء البلاد الاسلامية او البلاد التي تعيش فيها جماعات اسلامية ، في امس الحاجة الى رجال اقوياء ومجاهدين ، لكي يستطيعوا ان يبلغوا رسالة الله الى كل خلق الله قاطبة ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية يجب ان يعادلها وجهها الاسلامي القوي والواضح في قرنها الأول الهجري ، والذي استطاع في خلال القرن الأول ان يجد ارضا اسلامية واسعة .

اما الحركات التنصيرية فانها ترصد الأموال الطائلة لاستمرار وتكثيف نشاطها ، وتضع الامكانيات المادية والعلمية والفنية تحت تصرف العاملين في حقل التنصير .

فالأولى بنا نحن أمة الاسلام ، وحملة القرآن ، وأتباع خاتمة الدعوات ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق بالدعوة الاسلامية الى كل بقاع الأرض المعمورة ، وانتشار الدعاة في كل مكان .

وايصال القرآن الكريم الى كل يد تعيش في قارات العالم المختلفة .

إن القرن الخامس عشر الهجري يجب ان يكون قرن الدعوة الاسلامية ، وان تكون الآيات الكريمة (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران/ ١٩ . (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/ ٨٥ . (**يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون**) البقرة/ ١٣٢ . (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/ ٣ .

فمن منطلق هذه الآيات الكريمات يجب أن تنطلق الدعوة الاسلامية وان تدعو للاسلام لكي لا يكون على وجه المسكونة دين غير دين الاسلام .

(**وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/ ١٠٥ .

تجربة الهجرة

للاستاذ/عبد التواب يوسف .

أصبحنا في زمان يقرأ كلمة « الهجرة » فيراها مجرد مغادرة أرض قفر مجدبة ، الى بلاد فيها حضارة ، يجد فيها الانسان جوا افضل ، وعيشا ارغد ، وحياة اسعد ، وبات من الضروري ان نعيد للكلمة قيمتها الحقيقية ، ومفهومها الاصيل ، فقد اهدرناها خلال مسيرة طويلة من الجهل والتخلف . وتعالوا بنا نقلب معا في سيرة ابن اسحاق التي شذبها ابن هشام ، ففاقت الاخيرة الاصل في شهرته . ولنقف عند هذه الصورة التي تضع الدموع في العيون ، وتملأ القلب بالانفعال ، وتهز منا القلوب والأفئدة .

ـ ١ ـ

بنو عبد الاسد . وبنو المغيرة . إنهما من اهل الجزيرة العربية قبل الاسلام ، عرفهما الناس فيمن عرفوا بالبأس والقوة ، واشتهروا بالجود والكرم ، وتقاربا ، وتصاهرا قبل ان تشرق الارض بنور ربها ، وينزل عليها الاسلام ، ليطهرها من العصبية ، والعنف ، ولينزع منها البغضاء والكراهية .

كان الخير يصارع الشر في فجر الدعوة المحمدية ، واذا بالرجل ـ ابن عبد الأسد ـ يسلم ، ويشهد بأن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. ويدرك الرجل ـ ابو سلمة ـ مدى ما ينتظره من عذاب ، ولكنه لا يبالي ، فقد عمر قلبه بالايمان ، ومن ورائه زوجته ـ ام سلمه ـ تؤيده وتؤازره وتحاول جاهدة ان تدفع عنه الشر .. ويتعاون بنو عبد الاسد ، وبنو المغيرة في ايذاء الرجل ، ويتفننون في خلق الوان من الارهاب ، لعله يرتد ، ويقلع عن عبادة الله ، غير ان الرجل مؤمن بربه ورسوله ، قادر على ان يحتمل ويصبر ، رغم كل شيء .

ويأتيه ذات صباح ما يتصوره

الفرج . ان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسمح للمسلمين ان يهاجروا من مكة الى يثرب .. انها بضعة ايام على راحلته ، تتجاوز العشرة ايام بقليل ، فلا بأس من احتمالها ، والصبر عليها ، فذلك ايسر كثيرا من البقاء في مكة : السياط تمزق جسمه ، والرمال الساخنة تكويه ، وقد يجد في يثرب خيرا يعوضه وزوجته وابنه « سلمة » عن الحياة القاسية التي يعيشونها في مكة .. نعم ، هي موطنه ، وعشه ، غير انه مضطر لكي يفارقها هربا من الظلم والظلام اللذين يظللانها ، ويملآن جنباتها ، ويحولانها الى سجن رهيب ، مليء بكل صور التعذيب ..

فلتكن « الهجرة » !

ـ ٢ ـ

اعد ابو سلمة راحلته ، وسأل زوجته ان ترتب امورها لكي يهجرا معا مكة ، والطفل الصغير (سلمة) ايضا . ثلاثتهم سيتركون كل شيء ، الأرض التي ولدوا فيها ، وعاشوا عليها ، واكلوا منها وشربوا . والتي فيها اهلهم « بنو عبد الأسد » اعمام الصغير ، « وبنو المغيرة » اخواله . والتي فيها الأصحاب والاصدقاء الذين عاشوا معهم وبينهم . انهم سيودعون البيت ، ومكان الرزق ، الى يثرب التي لا يعرفون من شأنها . الا انها تفتح ذراعيها لتستقبل المسلمين المؤمنين في سلام وود ، فالمضى اليها لا يزيد على ان يكون هربا من واقع اليم . وانتظر الرجل حلول الليل ، ليكون سترا له وستارا يخفيه عن القوم الظالمين ، الذين كانوا يتربصون للمهاجرين يقطعون عليهم الطريق ، ويحولون بينهم وبين الانطلاق الى يثرب .. ولكن قريشا كانت تبث العيون في كل مكان ، وكانت تتسمع الانباء من رجالها ، فنمى اليها خبر عزم ابي سلمة على ان يهجر مكة ، ونقلت ذلك الى بني عبد الاسد ، والى بني المغيرة . وثار هؤلاء واولئك ، وقرروا ان يحولوا بين ابي سلمة وبين مغادرة مكة ، وان يمنعوه من الهجرة . ولم يبلغه ذلك ، لكنه ما ان وضع زوجته وابنه فوق الراحلة ، ومضى يقودها الى خارج مكة ، حتى تعرض لنا اهلي ، رجال بني المغيرة ، واخذوا منه مقود البعير ، وهم يقولون .

ـ هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ، ولم يكن في استطاعة ابي سلمة ان يقاومهم ، فهم كثيرون ، لذلك نجحوا في اناخة البعير وانتزاعي من فوقه انا وابني سلمة . وكان بنو عبد الاسد يقفون عن قرب يشهدون الموقف دون تدخل من جانبهم ، ولكنهم اقبلوا على بني المغيرة يصرخون فيهم .

ـ والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا .

وتشاجر الطرفان ، وتجاذبا الصغير حتى لقد خلعت ذراعه ، وصرخاته تعلو ، يستغيث بالاب والام وما من مغيث ، الى ان انطلق به بنو عبد

الاسد ، ومضى بنو المغيرة ، بالزوجة المنتحبة على فراق ولدها وزوجها .

ـ ٣ ـ

هاجر ابو سلمة ، وقد اسلم وجهه لله ورسوله ، وحط رحاله في يثرب ، ولقيه ابناؤها اهلا وسهلا وراح يعبد الله ، ويدعوه ان ينصر الاسلام والمسلمين ، ويسأله ان يجمع شمله مع زوجته وابنه .. بينما بقى الصغير عند بني عبد الاسد محروما من ابيه المهاجر ، ومن امه التي سجنها اهلها بنو المغيرة ، وحالوا بينها وبين زوجها وابنها . وكانت ام سلمة تخرج كل يوم ، فتجلس في ذات البقعة التي فارقت عندها الزوج والابن من الصباح ، وتظل تبكي حتى المساء ، والناس يمرون بها فتتقطع منهم نياط القلوب ، وتهتز الأفئدة .

ومضى عام كامل على لحظة الفراق . عام امتلأ ببكاء الأم المتصل ، ويأس الصغير في وحدته ، وبحزن دفين من الأب على اسرته التي تمزق شملها ، وتشتت افرادها ، ولا احد يدري كيف يمكن لهذه المأساة ان تنتهي ، ولا احد يستطيع ان يجد للمشكلة حلا . مؤمن بعيد عن دياره في يثرب ، يتعبد ويصلي ويدعو ، وطفل محروم من ابيه وامه . وزوجة حيل بينها وبين زوجها وابنها . ويستمر ذلك عام كامل ، وذلك ما تعنيه حقا كلمة « الهجرة » ، انها تجربة انسانية شديدة القسوة ، بالغة الثمن ، لا يقدر على مكابدتها ، واحتمالها غير انسان مؤمن بربه ورسوله .

ويمر عام ، ويمر واحد من بني المغيرة . من أبناء عم ام سلمة ، ليراها في بكائها كالثكالى ، وما هي من الثكالى ، ويحن قلبه ، ويشعر نحوها بعطف لا يستطيع ان يسكت عليه ، فذهب الى اهله ليصرخ فيهم : الا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها . الى متى هذا ؟! وتبادل بنو المغيرة الرأي ، وكانوا قد ضاقوا بالمرأة وبكائها ، فقالوا لها :

ـ الحقي بزوجك ان شئت !

ورقصت الفرحة في قلبها ، وزغردت النشوة ، وبعثت الى بني الاسد ترجوهم وتتوسل اليهم ان يعيدوا اليها ابنها سلمة . وكان هؤلاء قد ضاقوا بالصغير وسؤاله ـ مع كل شمس تشرق او تغرب ـ عن امه وابيه ، ولهفته عليهما وشوقه اليهما ، فما كان من بني عبد الاسد الا ان ردوا اليها ولدها .

ـ ٤ ـ

وبدأت رحلة « هجرة » اخرى ...

اعدت الام راحلة لها ، تحملها وابنها الى يثرب . وما وجدت المسكينة احدا يصحبها في هذه الرحلة التي تقطع فيها الصحاري والقفار ، على مدى احد عشر يوما ، او تزيد . ولكنها وولدها الصغير في شوق ولهفة الى رجلهما المؤمن الصابر ، لذلك وضعت الصغير على حجرها فوق

الراحلة ، وانطلقت به وما معها احد من خلق الله ــ على حد تعبيرها ــ وقالت لنفسها .

ــ اتبلغ بمن لقيت حتى اقدم على زوجي .

وعندما وصلت الى التنعيم ــ وهو مكان في اطراف مكة ــ لقيت عثمان ابن طلحة . فقال لها .

ــ الى اين يا بنت ابي امية ؟

قالت : اريد زوجي في المدينة

فقال : او ما معك احد ؟

قالت : لا . والله إلا الله وابني هذا .

قال : والله مالك من مترك !

واخذ بخطام البعير ، وانطلق معها ، ماضيا الى ان بلغ المدينة .

ــ ٥ ــ

وتقول ام سلمة والله ما صحبت رجلا من العرب قط ارى انه كان اكرم منه !

وتستقبل المدينة المهاجرة العظيمة ام سلمة ووليدها .. ويستقبلها زوجها بفرحة غامرة ، تعوضهم جميعا ما عانوه خلال عام الفرقة ، ومالقيه الأب قبل ذلك من عنت وعذاب . وعندما رحل الرجل من الحياة اصبحت ام سلمة واحدة من أمهات المؤمنين ، ووجدت في رسول الله نعم الزوج ونعم الرجل ، وعوضها الله خيرا

ــ ٦ ــ

هذه « واحدة » من قصص « الهجرة » . رجل تنزع منه زوجه وابنه . وزوجة يؤخذ منها رجلها وابنها . وطفل يحمل قسرا بعيدا عن ابيه . ولكن يبقى الايمان . فان هذه الاسرة الممزقة الشمل ، اجتمعت وعادت اليها وحدتها ، وسارت تحت لواء الاسلام ، مع عشرة آلاف مقاتل مضوا في العاشر من رمضان ــ عام ٨ هـ ــ من المدينة ، والجزيرة تزلزل تحت وقع اقدامهم ، والجبال تهتز لهتافهم : الله اكبر الله اكبر . مضوا تحت قيادة رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ اعظم المهاجرين ، لكي تسلم لهم مكة ، وتفتح ابوابها للقادمين ، المنتظرين ، الفاتحين :

(إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح / ١ وانطلقت من قلب محمد بن عبد الله اعظم صيحة للحرية في تاريخ الانسانية .

ــ « اذهبوا فانتم الطلقاء » !

هذا هو المعنى الحقيقي والاصيل لما نطلق عليه « الهجرة » . اما هؤلاء الذين ننفق عليهم دماءنا واموالنا لكي يتعلموا ثم يهجرونا بدلا من ان يردوا الجميل ، وعوضا عن اداء الواجب ، فهم هاربون من الميدان ، وليسوا بمهاجرين لقد كانت الهجرة تجربة قاسية ، وكانت الى حين . وعاد المهاجرون يرفعون اللواء ، ويطلقون النداء أن : الله اكبر وكان الله دائما اكبر ، وكان بجانب المؤمنين ، يثبت اقدامهم وينصرهم على القوم الظالمين .. ولا هجرة بعد الفتح كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

مائدة القارئ

المؤمنون حقا

قال تعالى :(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم)

الآية ٧٤ من سورة الأنفال .

خطوات في التاريخ :

لم يكن في الاسلام أول بدأته الا رجل وامرأة وغلام ، اما الرجل : فهو صلى الله عليه وسلم ، واما المرأة : فزوجته خديجة ، واما الغلام : فعلي بن عمه أبي طالب .

ثم كان أول النمو في الاسلام بحُر وعبد ، اما الحر : فابو بكر ، واما العبد : فبلال . ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها ، وصبر الحر في تجلده ، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح ، ضيق لا يتسع ، جامد لاينمو ، وكأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم ، حتى اذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول الى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في الارض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب . (وحي القلم) .

قد عافاني

خطب الحجاج يوم جمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرك ، وإن الله لا يعذرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا انه مجنون ، فقال : إن أقر بالجنون أطلقته ، فقيل له : اعترف بذلك وتخلص ، فقال : والله لا اقول إنه ابتلاني ، وقد عافاني .

افضل هجرة :

عن أم أنس ـ رضي الله عنها ـ قالت : يارسول الله أوصني .
قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اهجري المعاصي ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظي على الفرائض ، فانها أفضل الجهاد ، وأكثري من ذكر الله ، فانك لا تأتين الله بشيء أحب اليه من كثرة ذكره) .

دعاء :

قال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فان غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، ألا اني أشهد أن لا اله الا انت وحدك ، لا شريك لك ، وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الامانة ، ونصح الأمة ، فعليه السلام والرحمة .

صدقت

كتب الله النصر للمسلمين في غزوة بدر الكبرى ، وضربت أعناق الكفر ، وجبابرة الطغاة .. والقيت جثث القتلى المشركين في القليب . وكان مما قاله حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه :

فغادرنا أبا جهل صريعا
وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال
ذوي حسب اذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقا
وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأي مصيب



لمحات من هجرة الرسول

الاسلام يحارب في اماكن كثيرة .. ولن يصلح امر هذه الامة الا بما صلح به اولها : الايمان ونصرة العقيدة

للاستاذ: محمد نعيم عكاشة

مع إطلالة شهر المحرم هذا العام .. يطوي التاريخ آخر صفحات القرن الرابع عشر الهجري . ويبدأ المسلمون في مشارق الارض ومغاربها عاما جديدا في حساب القرن الخامس عشر من الهجرة المباركة .

وتعود بنا الذكرى الى فجر البعثة المحمدية وما حفلت به من أحداث جلال عظام ..

فقد مكث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاثة عشر عاما يدعو قومه في مكة الى الله ، وترك عبادة الاصنام ، فما استجاب لدعوته الا نفر قليل ..

ثم شاءت ارادة الله أن يمضي رسوله الأمين في رحلته المجيدة التي غيرت وجه التاريخ ، وانقذت البشرية وأطلقت زمام الحرية ، فالناس بعدها أحرار في عقائدهم ، طلقاء في مذاهبهم . لا فرق بين قوم وقوم . ولا تفاضل في الأجناس والألوان .

الحق يزهق الباطل .

إن حادث الهجرة كان حدا فاصلا بين الباطل في ظلمته وعدوانه ، وبين الحق في برهانه ويقينه . قبائل قريش في جهالة وشرك بالله ، ومحمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يبشر بدين جديد .. دين يهدي إلى الخير وإلى سبيل الرشاد ..

وتأبى قريش على الرسول دعوته .. ويكابر أهل الكفر ويستكبرون .. ويقولون : إن هو إلا إفك افتراه .. وإذا رأوه سخروا منه وقالوا في غيظ : هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ..

وجادل الرسول قومه بالتي هي احسن .. دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكنهم جمدوا على عاداتهم المنكرة ــ واخلاقهم السيئة . وكيف يتقبلون دينا يدعو الى الحق ، وقد نشأوا على الجمود والتخلف والبغي ..

ويدبرون ويكيدون .. فاما ان ينصرف محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عما يدعو إليه .. واما فالويل له ولمن يتبعه ..

وفي ثقة بالله وبالمستقبل يقول الرسول : فصبرا جميلا .. وكلما اشتد عليه الخطب وتضاعف الالم والايلام ، ازداد اصرارا وتصميما على المضي في رسالته ، ومواجهة الباطل وان غلب وتأصل .

فبقدر المشاق يكون الجزاء .. وأي شيء يهون في سبيل اظهار رسالة ربه .. هكذا كان صلوات الله وسلامه عليه ذا عقيدة راسخة .. ابتلى بأشد انواع الاذى وبيت قتله ، فما أرهبه

تهديد او وعيد .. رغب في المال والجاه ، فما فتنه ذلك قط ..
ومن أول نشأته عرفوه بالصدق والأمانة ورجحان العقل وسلامة التحكيم ، حتى قال عنه هرقل ملك الروم : لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله .
وروى أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم : والله لو أني اخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب : ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر الى الله يضعه حيث يشاء » ـ فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ ـ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .
درس عظيم ينبغي ان نستفيد منه . كان الرسول صادقا مع نفسه فأصدق القول لغيره .. رفض العون في الشدة ، وهو أحوج ما يكون اليه ، وأرجع الأمر الى ربه فيما طلب منه .
وتوالت المحن على الرسول بموت زوجه خديجة وعمه « أبو طالب » وكان كل منهما عضدا له ، وناصرا على قومه .. وفي خضم الأحداث لم تلن عريكته او تضعف عزيمته بل ظل شامخا كالطود .. ولكنه لم يكن ليرضى ان تظل دعوته محكومة بالوثنية ووجد ان تربة مكة غير صالحة لغرس دين جديد ، فعزم الهجرة الى ارض طيبة قابلة لنبت دعوته واشتداد عودها .
وعلمت قريش بنية الرسول في الهجرة الى المدينة ، فأجمعت على التخلص منه بقتله حتى يطفئوا نور الله ، ويجتثوا شجرة الايمان من جذورها .. واجتمع لتنفيذ المؤامرة فتيان من أشداء قريش ليضربوه ضربة رجل واحد ، فيتوزع دمه بالتساوي بين القبائل .

آيات كبرى .. ومثل عليا في الهجرة

في تلك الليلة خرج رسول الله من بين صفوف المتآمرين .. خرج من داره محوطا بعناية الله ورعايته ، فلم يره أحد ، او يحس به متربص .. ويتبعه في هجرته نفر كثير من المؤمنين ، يفدونه بالعزيز من الولد والمال ..
وتتجلى على طول رحلة الهجرة المباركة آيات كبرى ، وبطولات رائعة في التضحية والفداء والجهاد والثبات على الحق ونصرة العقيدة ، ستظل أبدا مضرب الأمثال مهما تعاقبت الأجيال ومضت السنون ..
وأي تضحية وانكار للنفس أروع من ذلك :
● علي بن ابي طالب في شبابه وفتوته ينام في فراش الرسول ليلة الهجرة ويتغطى ببردته ، وهو يعلم أنه عرضة للموت في اي لحظة .

● أبو بكر في شيخوخته يمشي خلف الرسول حينا وامامه حينا ، ويسأله الرسول في ذلك فيجيب : « أخشى

الطلب يا رسول الله فأمشي خلفك ، ثم اذكر الرصد فأمشي بين يديك » .
وعندما يصلان الى الغار ويهم الرسول بالدخول يمنعه ويقول : « مكانك يا رسول الله حتى أدخل قبلك فاستبرئه » ثم يدخل ليطمئن على حياة الرسول مما عسى ان يكون مختبئا في جوف الغار من وحش كاسر أو زاحف سام .

● والزوج الذي يفارق زوجته .. والاب الذي يفارق أولاده .. والابن الذي يفارق والديه .. وكل منهم فرح بما يصنع ..

● واسماء وعائشة بنتا ابي بكر تعدان زاد السفر في ليلة الهجرة ولا يشغلهما عن ذلك حزن ولا بكاء .. وتقطع اسماء نطاقها فتربط جراب الطعام وقربة الماء بعضهما ببعض .. ولهذا سميت اسماء : ذات النطاقين .
وأمثلة كثيرة يطول ذكرها .
وحين فارق الرسول مكة دعا ربه : « اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد الي ، فأسكني احب البلاد اليك » . ويستجيب الله دعوته .

واقع الأمة الاسلامية في الماضي والحاضر ..

وسرعان ما اصبحت يثرب ملاذ جماعة المسلمين وسميت « المدينة المنورة ، ومدينة الرسول » .. وآخى صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والانصار ، وقضى على الخلافات والنعرات القبلية التي كانت قائمة ومتحكمة بين الاوس والخزرج منذ القدم ، فالناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي واعجمي إلا بالتقوى . ولا خضوع لغير الواحد الديان ..
ومن المدينة انطلقت جيوش المسلمين الى مكة حيث تم الفتح العظيم ، وتطهرت الكعبة من وثنيات الكفار ، وانتشرت رسالة التوحيد والمعرفة .. وحلت رابطة الاسلام محل رابطة الارحام .
وقويت شوكة المسلمين بتأسيس اول دولة اسلامية على مبادىء الحق والعدل والرحمة والمساواة .. وامتدت فتوحات المسلمين الى أرجاء كثيرة من العالم .. وشاعت إنسانية الاسلام وحضارته كما يشيع النور في الظلام .
فما أحرى المسلمين اليوم – وهم يستقبلون القرن الخامس عشر الهجري – أن يراجعوا مجدهم الماضي ، ويأخذوا منه ما ينفع الحاضر والمستقبل .. فالاسلام كما حورب في اول امره ليدفن في مهده .. يحارب الان في اماكن كثيرة من العالم لاطفاء نوره والقضاء على اهله .. ولن يصلح امر هذه الامة الا بما صلح به أولها : الايمان ونصرة العقيدة ..
وليكن معلوما لنا جميعا ان تأييد الحق لا بد أن يستتبعه الجهاد والتضحية والثبات في كل زمان وأي مكان :(**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/ ٧

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« قال انس كنت يوما مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تفرق اصحابه فقال : ياأبا حمزة قم بنا ندخل السوق فنربح ويربح منا فقام وقمت معه حتى صرنا الى السوق فاذا نحن في أول السوق برجل جزار شيخ كبير قائم على بيعه يعالج من وراء ضعف فوقعت له في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة فهم ان يقصده ويسلم عليه ويدعو له اذ هبط عليه جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك لا تسلم على الجزار فاغتم من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندري اي سريرة بينه وبين الله اذ منعه منه فانصرف فانصرفت معه ولم يدخل فلما كان من غد تفرق اصحابه فقال قم بنا ندخل السوق فننظر اي شيء حدث الليلة على الجزار فقام وقمت معه حتى جئنا الى السوق فاذا نحن بالجزار قائما على بيعه كما رأيناه بالأمس فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقصده ويسأله أي سريرة بينه وبين الله إذ منعه عنه فهبط جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك سلم على الجزار فقال له حبيبي جبريل امس منعتني منه واليوم امرت به قال نعم يامحمد ان الجزار الليلة وعكته الحمى وعكا شديدا فسأل ربه وتضرع اليه فقبله على ما كان منه فاقصده يامحمد وسلم عليه وبشره فان الله تعالى قد قبله على ما كان منه فقصده وسلم عليه وبشره وانصرف وانصرفت معه » .

موضوع :

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة هذا القول موضوع .
ومن رواته دينار بن عبدالله وهو آفته .
وايضا تظهر فيه الصنعة ويبدو فيه الاختلاق والكذب وسوء التركيب .

نظام الحكم في الاسلام

للشيخ : سليمان التهامي

ان الاسلام شرع نظاما للحكم ، وجعل دعامته الرئيسية الفرد المسلم لأنه أساس المجتمع المتحضر ولبنة من لبناته ، فلا يصح قيام مجتمع متحضر بدون الفرد الصالح ، ولو أن كل مجتمع راعى في نظامه الأخذ به لعم الخير والنفع وساد الاصلاح .
والنظام الذي أقره الاسلام وراعى فيه المصلحة العامة أخذ به الفكر الحديث ، ففي مجال الاختيار والتعيين كان الأسلام قائما على مبدأ تكافؤ الفرص والمقدرة الفنية والسمات الشخصية للعامل .
والموظفون في الاسلام أخذوا قسطا وافرا من العناية بنظامهم ، ومن العدل أن نذكر بعض ما أخذ به النظام الاسلامي فيما يخص إدارة أفراده وموظفيه .
وقد أخذ النظام الاسلامي بقسط كبير فيما يتعلق بالفحص الطبي للأفراد عند الحاقهم بوظائفهم من ذلك أن الشبان الذين يراد إلحاقهم بالوظائف العسكرية يجردون من ثيابهم للاطلاع على عيوبهم من الوجهة الطبية حتى اذا كان هناك بالجسم عيب يحول دون إحسان العمل ، نحوا صاحبه عن الخدمة العسكرية .

وقد كان للسن اعتبار خاص في هذا الموضوع ، وهذا حرص من أولى الأمر على أن من يتولى وظائف الدولة يجب أن يكون مسئولا مسئولية كاملة .
والحكومات في العصور الحديثة تشترط سنا معينة لا تقبل طالب الوظيفة قبلها ، لأن أي تقصير أو عبث بالمصالح العامة منهم ، ينصب ضرره عليها ويكون التقصير صادرا منها ، وليس في الدنيا حكومة رشيدة تقبل أن ينسب إليها لوم او تقصير .
ومن اعجب ما تحويه المكتبة الاسلامية ما جاء في تاريخ الطبري من أن عمر بن الخطاب كان يتعقب الموظفين في سيرتهم الخاصة وفي تصرفاتهم كذلك ، وينصحهم الى ما فيه المصلحة ولو كان على حساب مصلحتهم الخاصة ، ومن ذلك ان « حذيفة بن اليمان » تزوج اجنبية

فطلب إليه عمر أن يطلقها مع أنه تزوجها على شريعة الله ، لكن عمر يرى أن زواجهما إضرار ببنات العرب وتضييق عليهم حيث قال عمر : « إن في نساء الأعاجم خلابة ، فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم » وهذا هو شعور الحاكم الذي يعتبر نفسه مسئولا عن رعيته فالذكور لهم حظهم ، والاناث لهن نصيبهن وهذا هو ما يسمى بالشعور الوطني في هذه الأيام .

وإذا امعنت النظر فيما فعله عمر وفيما يفعله ولاة الحكومات العصرية ، فانك واجد تشابها في منع الموظفين السياسيين من الزواج بالأجانب .

وقد عزل عمر عامله علي ميسان (النعمان بن عدى) لأنه سمع أنه قال أبياتا جاء فيها :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال عمر إنه ليسوؤني وعزله مع أنه يعلم علم اليقين بان نلك لم يكن وانما هو قول شاعر ، وهذا احتياط وبعد نظر فيما يتعلق بوظائف الحكم ، اذ هي بعيدة كل البعد عن الهفوات التي تلفظ بها عامله .

وقد كانت سياسة عمر هذه لها عظيم الأثر فيمن خلفه من ولاة المسلمين حيث أنهم كانوا يحملون الموظفين اثم تقصيرهم واخلالهم بواجبهم ومسئولياتهم فيما يتولون من أعمال العامة فالموظف الذي يعفي نفسه من المسئولية عليه مسئولية نلك ، قال أبو يوسف للرشيد « واذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك ، واحتجاز شيء من الفيء ، او سوء سيرته ، فحرام عليك استعماله والاستعانة به وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك ، أو تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على نلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له وإياك ودعوة المظلوم فان دعوته مجابة » .

والمسلمون كانوا ينتقون الموظفين الأكفاء لتولي الوظائف ففي « طبقات ابن سعد » أنه كان من عمال عمر « عمير بن سعد » وفيه يقول عمر : وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين (ولاه عمر علي حمص وتوفي سنة ٤٥هـ)

ومن أقواله على منبر حمص : « لا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذا بالعدل » .

ومن أهم ما يلزم لأداء العمل هو الحيطة في اختيار الموظف ، وانتقاء الصالح منهم الذي يتمتع بكفاءة وأمانة في أداء العمل بحيث يكون هذا العمل موافقا لما احله الله ، ومطابقا لشريعته ، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » رواه ابو داود .

ومن آداب الموظف لزوم العفاف

والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعمال والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعن الوخيمة والترفع عن المكاسب اللئيمة فان ذلك يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى ، والحظوة عند السلطان وجميل السيرة عند الرعية فان ذلك يقرب من كان بعيدا على من كان قريبا ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة لدى السلطان .

والاسلام قد وضع نظاما خاصا لرواتب الموظفين لها قواعد منسقة تنسيقا عادلا ، فلا يعطي عامل إلا على قدر عمله ، ولا يمنح أقل من كفايته ، ومن دواعي زيادتها ان يبدي الموظف في عمله كفاية وحكمة .

فقال الله سبحانه وتعالى : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة / ٧ و ٨ .

وقد روى ابن سعد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى ائمة المسلمين بعده بموظف احسن صنعا في بعض الامور ، فكتب له بهذا كتابا وختمه ، فظل الموظف يأخذ من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبدالعزيز .

وراتب الموظف كان يتناسب مع مركز الموظف ، وما يتخذه لنفسه من هيبة في نفوس الناس ، ولعل من اصدق الشواهد على ذلك ما يروى ان المعتضد بلغه ان عامله على فارس أظهر ابهة في ولايته وأنفق مالا طائلا ، فوقعت له بذلك هيبة في نفوس الرعية فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مظهره .

وقد روى ابو داود ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه الفيء قسمه في يومه ، فأعطى صاحب الأهل حظين واعطى العزب حظا واحدا . فهو يراعي الحالة الاجتماعية وما يعول الموظف من افراد اسرته . وهذا ما توصلت اليه نظم الموظفين الحديثة ، بعد كثير من العناء والمشقة والجدل والمراء ، على الرغم ان الاسلام كان سابقا لها ومتقدما عليها .

والنظام الضريبي له أصل في الاسلام وخاصة « ضريبة الدخل » فقد كانت الزكاة المستحقة على اصحاب الأعطيات تخصم من اعطياتهم قبل أن يستولوا عليها ، ولا يسلم اليهم الا ما بقي بعد خصم الزكاة ، هداهم الى هذا فطرتهم واستقامة فكرهم ، حيث ان مؤلفي علوم المالية الحديثة لم يتوصلوا الى ما انتهوا اليه الا بعد ان اجتازوا ما فيها من التعقيد وصولا الى ما وصل اليه الفكر الاسلامي العريق .

وقد رأى خلفاء المسلمين إنصاف الموظفين بوضع نظام عادل لرواتبهم ، فأمير المؤمنين على كرم الله وجهه يوصي أحد عماله أن يسبغ الأرزاق على الموظفين ، فان ذلك قوة لهم على اصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا الأمر او ثلموا الامانة .

ولعمر بن عبدالعزيز محاورة في ذلك تدل على مبلغ حرصه على إنصاف الموظفين .

قيل له : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك ؟
فيقول : « أراه لهم يسيرا ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ، وأحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم » .
وكان من أهم ما جرت عليه الادارة في عهد المأمون للتوسعة على العمال ، يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان .
ولعمري ان ذلك حزم وبعد نظر وحسن بصر وبصيرة بالأمور فان من تولى أمور الناس واعطى الفصل فيها وتصريفها يجب ان يكون مرزوقا موسعا عليه ، لا يشعر بضيق ولا تلذعه حاجة ، لأن الشعور بالضيق فتنة ، ولذع الحاجة مدرجة للخيانة ، فتمتد يد الموظف الى ما في أيدي الناس وتتطلع عينه الى المعونة بما يملكون .
ومن احق بهذا الحزم من المأمون ، وهو من هو علما وحكمة ؟ وهو الذي رفع منزلة « الفضل بن سهل » وعقد له على الشرق طولا وعرضا ، وجعل عمالته ثلاثة آلاف الف درهم !
ورواتب الموظفين تجري عليهم من بيت المال لأنهم في عمل المسلمين،كذلك ارشد بهذا أبو يوسف الرشيد ففي كتاب الخراج ان الرشيد قال : يجري على القاضي إذا صار إليه ميراث من المواريث . فأجاب قاضيه ابو يوسف : لا،إنما يعطي للقاضي رزق من بيت المال ، ليكون قيما للفقير والغني ، والصغير والكبير ولا يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع اذا صارت اليه مواريثه رزقا .
ونظام المعاشات والمكافآت في الاسلام معروف ، فقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همذان لما استعمله على قومه عربهم وعجمهم ومواليهم فأقطعه من ذرة (نسار) مائتي صاع ومن زبيب (خيوان) مائتي صاع ، جار له ذلك ولعقبه من بعده ابدا ابدا ،ابدا .
وعمر بن عبدالعزيز أمر أن يرفعوا اليه كل مقيم ومن لا احد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فامر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بالسوية وفرض للعوانس الفقيرات ، وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم فنادى معاوية لا تعجلوا اولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الاسلام .
وراعى الاسلام العجزة من موظفي الدولة ومنحهم رعاية اجتماعية فقد كتب عمر بن عبدالعزيز الى اقطار الشام ان يرفعوا اليه كل أعمى في الديوان ، او مقعد او من له فالج او من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة ، فأمر لكل اعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم وعلى هذا النحو كانت رعاية الولاة العادلين لصالح الموظفين بل للمسلمين اجمعين .
وليس بعزيز على من يشعر بانه مسئول امام الله عن كل صغيرة وكبيرة من امور رعيته ان يسد حاجتهم بل ليس بعزيز عليه ان يغنيهم وان يبيت ساهرا لا تغمض له عين وفي رعيته غرثان حتى يشبع ، او

ظمآن حتى يروى ، لا يقصد بذلك الا وجه الله وطاعته فيما ولاه ، لا يبغى جزاء من عباده ولا شكرا من طالب الاحسان .

عن ابي هريرة رضي الله عنه :«ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه فضلا ؟ فان حدث انه تارك لدينه وفاء صلى والا قال للمسلمين ، صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

فقد جاءت امرأة من العراق الى عمر ابن عبدالعزيز وشكت عيلتها وفقرها وقالت ان زوجها لحق بربه وترك بنات خمسا وطلبت ان يفرض لهن : فقال

ما اسم الاولى ؟ فقالت فلانة : قال فرضت لها كذا فقالت : الحمد لله يا امير المؤمنين ثم قال والثانية ؟ قالت فلانة قال : فرضت لها . قالت الحمد لله يأمير المؤمنين ثم سألها عن الثالثة ففرض لها فحمدت الله ثم الرابعة ففرض لها فحمدت الله ثم قالت :

والشكر لأمير المؤمنين بقيت الخامسة واسمها فلانة فقال لها عمر لا،اننا لا نفرض لها فقد فرضنا لاخواتها حين اوليت الحمد اهله ، اما الان فقد اوليت الحمد غير اهله ، فمري الاربع ان يتفضلن على الخامسة ! ولم يفرض لها لان المرأة اتجهت لغير الله .

ونظام الحكم في الاسلام سجل حافل بالكثير كلما قلبت صفحاته راعك منه جديد ، وكلما امعنت في البحث طمعت في المزيد وذلك لان الدولة الاسلامية كانت لها طبيعة الانتشار فملكت جوانب الأرض حقبة من الزمان ، وكانت لها طبيعة خلق كل جديد والتأثير في كل مجال من قريب أو بعيد حتى أصبحت تراثا عالميا يعتد به ــ وخاصة ــ نظم إدارة حكمها ، فازدهرت هذه الدولة في الشرق ، فبنو أمية وبنو العباس » اقتبسوا نظمهم من القواعد التي جاء بها كتاب الله وسنة الرسول وأعمال الخلفاء ، وكذلك بنو أمية في الغرب مسترشدين بقوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)** النساء / ٥٩ .

وقد كانت هذه البقاع أزهى بقاع المعمورة في ذلك الزمان ، فكانت خليقة أن يكون لها نظام محكم وتنظيم دقيق مكنها من أن تكون قدوة على مر العصور والأجيال .

ونود ألا ننسى أننا في هذا المقام نحتاج الى أسفار طوال لجمع شتات نواحيه وكتابة ما يستقصيه لذا فنحن نضرب الأمثال ونسترشد ونستنير ببعض الأصول ، لنتصدى لكل من

افترى على الاسلام كذبا وقال بانه شريعة الصحراء ، وتناسى وغفل بأنه شريعة الله التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، يهدي بها الناس الى العقيدة الخالصة والى طريق الحكم السليم ، في كل زمان ومكان .

وسترى في بعض ما نورد لك ، أن كثيرا من الأحكام التي سنها المسلمون لادارة حكمهم وشئون أفرادهم وموظفيهم ، له كبير الشبه بما تجري عليه الحكومات في هذه العصور .

ومن عظيم التشابه في نظام الموظفين عبر التاريخ الاسلامي ، هو ما نجده في نظام استقلال الموظف بدون الرجوع الى رئيسه وهو ما يسمى الآن بمبدأ (اللامركزية) وقد سبق الاسلام الى هذا المبدأ ، من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى ان السعاة الذين كان يبعثهم الرسول على الزكاة رجع بعضهم احيانا الى المدينة وليس معه شيء منها ، لأنه وجد للزكاة موضعا يضعها فيه .

وقد كان تردد بعض العمال وخوفه من استقلاله بالتصرف مرجعا للتعنيف من بعض الخلفاء ، لأنهم كانوا يرون أن انتظار الرأي مضيعة للوقت في غير طائل ، وربما أضاع الزمن بعض الحقوق على أصحابها .

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامله باليمن « أما بعد فاني أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني ولا تعرف مسافة ما بيني وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت ، حتى لو كتبت اليك ان أرد على مسلم مظلمة شاة لكتبت أردها عفراء أو سوداء فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني ! » .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه أن عمر بن عبدالعزيز كتب الى عامله بالكوفة أنه يخيل الي اني لو كتبت إليك أن تعطي رجلا شاة لكتبت الى اذكر ام أنثى ! ولو كتبت إليك بأحدها لكتبت الي صغير أم كبيرة ! ولو كتبت بأحدها لكتبت اضأن أم معز ! فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد علي ! » .

فأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز يرشد عامله الى الاستقلال برأيه في بعض الأمور يصرفها كما يرى ، ويلومه بأسلوب لاذع على أنه يرجع الى رأي الخليفة في صغير الأمور وكبيرها .

استنادا للحديث الشريف : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » رواه احمد والبيهقي .

وقد كان المأمون يحرص الحرص كله على الانتفاع برجاله ويطلق لهم حريتهم في العمل .

وكان العباس بن الحسن وزير المكتفى يقول لنوابه في الأعمال : « أنا أوقع لكم وافعلوا ما فيه المصلحة » .

وبعد هذا يمكننا أن نقول بأن « اللامركزية » هي نظام عرفه الاسلام في العهد الأول ، واتبعه الخلفاء والوزراء مع عمالهم ، وأن الذي حدث في هذا الزمان هو الاسم فقط اما المعنى فهو غير حديث ولا مبتدع .

ويجب التنويه بأن « المركزية واللامركزية » هما صورة التنظيم الاداري في الدولة الحديثة تأخذ كل دولة منهما بنصيب يتفق وظروفها الخاصة ، وهما على الرغم من تعارضهما النظري تتعاونان معا في العمل .

والمركزية الادارية : تعني توحيد وتركيز وعدم تجزئة كل مظاهر النشاط الاداري في الدولة ، بل تجميعه في يد السلطة المركزية في العاصمة وفي فروعها بالأقاليم . ثم تطورت الوظيفة الادارية حتى اصبحت في يد كل وزير ، كل في نطاق وزارته يحتكر كل خصائص السلطة فيها .

وللمركزية صورتان : احداهما المركزية المطلقة او الوزارية بحيث يكون كل شيء مرهونا بارادة الحكومة المركزية القائمة في عاصمة الدولة ، اما الصورة الاخرى للمركزية فهي اللامركزية الوزارية أو نظام عدم التركيز الاداري ، وذلك بأن يخول الوزير بعض موظفي الوزارة في العاصمة أو الأقاليم سواء بمفردهم أم في شكل أجهزة وإدارات ، سلطة البت نهائيا في بعض الأمور دون حاجة للرجوع الى الوزير ، وهو نظام لا يعني الا تخفيف العبء عن الحكومة المركزية وزيادة سلطات الممثلين المحليين لها ، ويجعلهم أكثر ميلا وتعاطفا مع مصالح الأفراد المحلية .

أما اللامركزية : فتنقسم إلى اللامركزية السياسية وهو نظام يتصل بالتنظيم الدستوري للدولة وهو صورة من صور الحكم واسلوب من اساليبه في الدولة المركبة (كالدولة الفيدرالية) .

أما نظام **اللامركزية الاقليمية** فهو صورة من صور الادارة وأسلوب من أساليب التنظيم الاداري في الدولة وخاصة الدولة البسيطة (كالدولة الموحدة) .

والاسلام يحظر على الموظف ان يتخذ عمله وسيلة للكسب من غير طريقه ، ولا يبيح له أن يستولي على ما في أيدي الناس بالباطل ، وذلك ما يسمى في اللغة الحديثة : باستغلال النفوذ .

فدين المسلمين يسد المسالك على الموظف ، فلا يتسرب الى حوزته مال فيه شبهة ، ولو كان المظهر مشروعا سواء أكان العامل مجاهرا بسلب الأموال ام متسترا وراء اسم ظاهره فيه الاباحة وباطنه فيه الاثم ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، » رواه البخاري ومسلم . فان ولى الأمر عليه ان يتعقبه ولا يتركه يخدع الناس او يعبث بعقولهم .

والتاريخ يذكر بأن عمر بن الخطاب مر على نياق لابنه عبدالله فرآها ترعى مرعى خصبا ، ورأى كثرتها وبدانتها فسأل لمن هذه

النياق ؟ فقيل له : لابنك عبدالله ، قال : اجعلوها لبيت المال فان عبدالله لم يكن قادرا على جمعها وتسمينها لو لم يكن ولد أمير المؤمنين .

وإن العجب ليبلغ من نفسك مبلغا عظيما ، حين تراه ينكر على عماله أن يتحايلوا لجمع الأموال ولا يقرهم عليها ويصادرها فقد اجتمعت لابي هريرة اموال كثيرة ، فلما سئل قال : ان خيله تناسلت ، وسهامه تلاحقت ، وإنه اتجر ، فقال له عمر انظر رأس مالك ورزقك فخذه واجعل ما بقي في بيت المال .

وأني للنظم الحديثة مثل هذا النظام ! بل أني لهم حاكم عادل مأخوذ بالشعور الديني والعقيدة الالهية ، وينفذ لهم ما يصيغون من النظم بتلك الصرامة والقوة التي لا تفرق بين ابن أمير المؤمنين وسواه ، ولا تعرف لأحد منزله فيما شرعه الله !

وهل ترى في الحكام اليوم من يقسو على ابنه في سبيل الصالح العام ، هذه القسوة التي رأيتها من عمر ؟! ثم هل ترى حاكما يصنع مع رجل من أجلاء الصحابة وكبار العاملين في الدولة ما صنع عمر مع ابي هريرة ؟!

ان هذه قوة الاسلام ونظامه الذي ينبغي ان يكون للناس اجمعين ويجب ان يفرض على كل صغير وكبير في الدولة ، فالاتجار واستغلال الجاه ليس من شأن العاملين . فاذا حرمت القوانين الاتجار في شرائعها الوضعية فقل إن هذا حكم الاسلام من قديم السنين .

وعدم استغلال النفوذ والسلطة هي احدى الواجبات الملزمة للموظفين كافة ، مع مراعاة باقي الواجبات وعدم الاخلال بها ، والتقصير فيها وعلى رأسها أن يؤدي الموظف واجبات عمله على نحو مرض ، بحيث يكون في خدمة المجتمع والمواطنين قال تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة / ١٠٥ ، وأيضا قوله تعالى : **(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)** الكهف / ٣٠ .

وأيضا أن يكون نزيها وشريفا دون انحراف وفساد في أداء الخدمات العامة للمواطنين فبدون ذلك له خطورة ليس فقط في آثارها الاقتصادية الضارة ، بل في آثارها الاجتماعية والاخلاقية على المجتمع كله .

ولعلنا لا نبالغ إذا أكدنا ان قبول الموظف العام لهدية أو خدمة عينية ، أو رشوة لأداء خدمة من الخدمات العامة التي يتعين عليه اداؤها للمواطنين تعد ليس فقط جريمة يعاقب عليها القانون،بل تقويضا للثقة بين الحاكم والمحكوم ، ونشرا للفساد في المجتمع كله .

وأيضا طاعته واجبة ، طاعته للقانون والأوامر الصادرة اليه مع ايضاح الأسباب الداعية لصدور كل قرار حتى لا تكون طاعته طاعة مطلقة عمياء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع

أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » رواه البخاري .

وعليه أن يؤدي واجباته بالسلوك القويم ، في أنفة وعزة وكرامة ، تتفق مع منصبه للمحافظة على هيبة الوظيفة العامة وكرامتها ، ومن مقتضيات هذا السلوك أن يحافظ الموظف على مظهره العام وسلوكه خارج وداخل العمل .

ومن واجباته المحافظة على سرية العمل والولاء والاخلاص للدولة والنظام السياسي والحكومة .

اما حقوقه بعد ان كانت بمثابة منحة تتحكم فيها جهة الادارة وفق ما تشاء وما ترى ، اصبحت حقوقا مكتسبة بحكم القانون مثل حق الموظف في الاجازات السنوية والمرضية والمرتب والمعاش .. الخ .

وتوجيه الموظف ضرورة واجبة — فضلا عن أنه عنصر من عناصر الادارة فهو ضروري في أي عمل ، لأنه يحفظ عليه وحدته : فالناس لا يتركون ، يعمل كلٌ وفق أسلوبه الخاص،وطريقته المستقلة ، بل يجب أن يعملوا في تعاون وانسجام،لكي يتحقق الهدف ، وتلك مهمة التوجيه .

إن للتوجيه أدوات مثل الحوافز والتدريب والعلاقات الانسانية . ولا يعتبر التوجيه فعالا لمجرد توافر تلك الادوات والنظم المقررة لها بل تتوقف فعالية التوجيه على حسن استخدام تلك الأدوات .

فلا بد لنظام الحوافز داخل أي جماعة من أن يعمل على تحقيق المصلحة العامة ، ويؤدي الى حب العاملين للعمل ويثير رغبتهم فيه واهتمامهم به ، ويكون علاقات طيبة بين المرؤوسين والرؤساء من ناحية وبين الزملاء من ناحية اخرى ، ويجعل العاملين يحسون بمشاركتهم في أداء نشاطهم ويتيح لهم التمتع بالخدمات الاجتماعية والترفيهية ويوفر لهم فرص الترقي والتقدم في العمل ، ويبعث بينهم الاحساس بالمكانة الاجتماعية .

والتدريب أمر لازم لكل المستويات الادارية على اختلاف درجاتها ، والتدريب يعني السعي نحو زيادة المهارة وليس التزود بالمعلومات فحسب .

ومبدأ الثواب والعقاب له عظيم الأثر ، وحفز الناس عن طريق إثابة المحسن اقوى أثرا من عقاب المسيء ، والحرمان من الثواب أفضل أنواع العقاب عند العقلاء ، أما الشواذ من الناس فقد يكون العقاب باترا لهم ورادعا لغيرهم ، والعقاب يجب ان يتنزه عن كونه انتقاما بل يستهدف الاصلاح وحده .

والعلاقات الانسانية التي تسودفي الجماعة لها أكبر الاثر على كفاية التوجيه فيها فيجب العمل من جانب القادة على تنمية الروح المعنوية للأتباع وان يشبعوا حاجاتهم المادية والنفسية ، ويسلكوا سلوكا من شأنه ان يكسبهم محبة المرؤوسين واحترامهم وان يعملوا على تصويب اخطاء التابعين بغير ايذاء لشعورهم وكيانهم والله الموفق لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

بريد الوعي الاسلامي



تعقيب على مقال
« مــع انجيــل برنابــا »

للاستاذ مصطفى محمد

اطلعت مسرورا على البحث القيم الذي كتبه الاستاذ الفاضل احمد عادل كمال بعنوان « مع انجيل برنابا » بالصفحة الثامنة عشرة بالعدد رقم « تسعون ومائة » الخاص بشهر شوال عام ألف وأربعمائة من هجرة رسولنا العظيم .. ووجدت ان اكتب لكم ببعض ملاحظاتي عليه .

الملاحظة الاولى :

قول الكاتب « وهو كتاب شيق ممتع ابلغ في الموعظة ــ من وجهة نظرنا ــ من الاناجيل الأخرى وهو عالي المواعظ والحكم والآداب والتعاليم » .

اقول وبالله التوفيق ..

ان مثل هذا القول يؤخذ منه أنه دعوة لمطالعة هذا الانجيل ومن ثم الاناجيل الاخرى من باب المقارنة بينهم وبينه .. لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة كتب اهل الكتاب ، فلقد جاء في صحيح البخاري باب قول النبي « لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء » أن معاوية حدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال « انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » .

ثم لماذا نقرأ وعندنا « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وعندنا « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » المائدة / ٤٨ وعندنا « **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** » الاسراء / ١٠٥ وعندنا « **وما كان هذا القرآن ان يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** » يونس / ٣٧ ولكنهم فرطوا وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله (كما سيأتي) ولذلك قال تعالى في سورة براءة « ذلك قولهم بأفواههم) اي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم

واختلافهم . والآيات في ذلك لا حصر لها والقرآن عندنا يقول « **وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » فصلت : ٤١/٤٢ .
وعندنا السنة ويكفي ان انقل لكم هذا الحديث الذي جاء في سنن ابن ماجة باب « اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » قال أبو الدرداء : صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » .
والقول بان هذا النهى لان المسلمين كانوا حديثي عهد بالاسلام فأقول : لقد أصبحت الكثرة الكاثرة ـ واقول ذلك والحزن يملأ الفؤاد ـ من أن المسلمين لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ولا يعرفون من القرآن الا رسمه همهم بطونهم السنة عندهم بدعة والبدعة عندهم سنة بل اصبحوا ينهون عنه وينأون عنه فرقتهم الأهواء وحطمتهم القوميات والكلام في ذلك يزيد نفسي حسرة فكأنني أمضغ الحنظل واتجرع المر .
ومن هنا اعود فأقول إنه أصبح لزاما علينا ان نطالع وبكل ذكاء وبعظيم الاهتمام قرآن ربنا وسنة نبينا وكتب علمائنا وبعد ذلك نجد انفسنا غير محتاجين إلى مثل هذه الاساطير والخرافات التي تسمى بالتوراة والانجيل بعد أن اتضحت الصورة امامنا وجلى الامر بيننا .

الملاحظة الثانية :

الفقرة التي تقول .. واخيرا يحكى انجيل برنابا رفع المسيح دون ان يصلب فيقول : « فجاء الملائكة الأطهار واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه » ..
نلاحظ ان سياق الكلام يدل على أن الكلام جاء على لسان برنابا وليس من الله ولا عن الله ولا من قبل سيدنا عيسى ولا عنه وهذا يعني انه كلام موضوع من قبل برنابا ومهما كان فلا يجوز التعبد بدين وضعه بشر ولا الأخذ به لأن الاديان لا تأتي من قبل البشر ولكن تأتي من قبل الله الواحد . ولقد بحثت في الكتب التي تيسرت لي فلم اجد برنابا هذا ضمن من كان عند عيسى عليه السلام من الحوارين اثناء الرفع الى السماء .
ثم إن الاحاديث الواردة في رفع سيدنا عيسى عليه السلام تدل على انهم كانوا يقظين اي لم يكونوا نائمين كما ذكر انجيل برنابا .
فان كان الكتاب يتحدث عن بعض الحقائق الثابتة ـ رغم انها مشوشة ومشوهة فلربما دس السم داخل العسل .. من يدري فهؤلاء وهؤلاء لا أمان لهم ولا عهد لهم كما اخبرنا بذلك المولى عز وجل **(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق)** النساء / ١٧١ اي انهم جاوزوا الحد وقالوا على الله الكذب والا لماذا ينهاهم ؟ وقوله عز وجل **(ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما**

ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يعملون) اي ومن الذين ادعوا لانفسهم انهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك اخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره وعلى الايمان بكل نبي يرسله الله الى اهل الارض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال تعالى **(فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)** تفسير ابن كثير لسورة المائدة الاية ١٤ الجزء الثاني وقال ايضا فيهم **(اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا)** وعلى هذا فأحبارهم ورهبانهم ليس لهم امان ولا ميثاق ولا عهد ولا ايمان ولا ايمان .

الملاحظة الثالثة :

قول الاستاذ الكاتب « وانما تقاس على كتب السيرة » اي سيرة المسلمين كما ذكر الكاتب .

فأقول يا أخي رحمك الله واعزك اي سيرة تقصد واي كتب تريد . ان كتب السيرة عندنا (إذا اهملنا اليسير مما جاء فيها من الاسرائيليات وغير ذلك) لوجدنا كتبا صحيحة شافية كافية لا غلول فيها ولا اختلاف .. لاكذب ولا تضليل انما هذه الاناجيل ـ واقولها بكل صراحة ووضوح ـ مملوءة من آخرها بل وفاضت ايضا بالدس والتدليس والكذب والتضليل والبهتان كما اخبر بذلك الله بقوله (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق)** النساء ١٧١ .

وقال **(وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله اني يؤفكون)** التوبة / ٣٠ .

وقال تعالى : **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)** البقرة : ١٤٦

والآيات في ذلك كثيرة جدا جدا .

واخيرا اقول

مما لا شك فيه ان هذه مغالطات جوهرية يجب الاحتراز منها حتى لا تسمم افكار المسلمين لأنها تعارض النصوص الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة واقول ذلك لاننا نحن المسلمين عانينا وما زلنا نعاني من تلاعب النصارى ومستشرقيهم ومبشريهم ، بالالفاظ والكلمات والعبارات بل بألفاظ القرآن ذاته فعلينا أن ننتبه وعلينا ان نفهم وعلينا أن نعي فالمشاهد عليهم أنهم يذكرون مائة كلمة صادقة ويدسون بينها الضلال ليحققوا مآربهم واحلامهم .

ثم لماذا لا نوجه جهدنا اولا وقبل كل شيء الى دراسة ديننا وذخائرنا فان تسعة اعشاركتبنا وتراثنا ما تزال حبيسة مكتبات دور الكتب .

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

للدكتور احمد شوقي ابراهيم

يقول علم الفلك الحديث إن عدد النجوم في الفضاء الكوني مثل عدد حبات الرمل في صحراء مترامية الأطراف .. والكون واسع فسيح إلى ما لا نهاية نعلمها .. فاذا تصورنا صاروخا يسير بسرعة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة حول الكون الذي يعرفه علم الفلك .. فان هذا الصاروخ يكمل دورته في ٣٠٠ ألف مليون سنة . ولما كان الكون يتسع باستمرار .. مثل بالون من المطاط ينتفخ شيئا فشيئا ، فالكون يتسع إلى ضعف حجمه بعد حوالي الف مليون سنة .. وهذه حقيقة اكتشفها علم الفلك حديثا .. سبق القرآن بالعلم بها في قوله تعالى :

(والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) الذاريات/٤٧ .. وعلى ذلك فان ذلك الصاروخ الذي افترضنا أنه يطوف حول الكون الذي يعرفه الانسان .. سيظل يواصل رحلته في الفضاء الكوني دون أن يكمل دورته أبدا .

وكل الأجرام في الكون في حركة مستمرة منذ بدء خلقها إلى ما شاء الله

لهـا .. وأقـــرب جرم للأرض هو القمر .. ويبعد عنا بحوالي ربع مليون ميل ويدور حول الأرض في ٢٩ ونصف يوم .. والشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميـل .. والأرض تدور حول نفسها بسرعة الف ميل في الساعة .. وفي نفس الوقت تطوف في فلك حول الشمس طوله ١٩٠ مليون ميل في سنة كاملة بسرعة اكثر من نصف مليون ميل في اليوم الواحد .. وتوجد تسعة كواكب سيارة تطوف حول الشمس بسرعة كبيرة منذ بدء خلقها الى ما شاء الله لها .

أما الشمس فهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة .. وكما ان القمر يسبح في فلك خاص به .. والأرض تسبح هي الأخـرى في فلك خاص بها .. فكذلك الشمس اكتشف حديثا جدا انها ليست ثابتة .. فهي بدورها تدور حول نفسها .. وتجـري هي ومجموعتهـا من الـكواكب في فلك حلزوني حول المجرة .. إنها حقائق كونية عرفناها حديثا فقـط ولـكن القرآن الكريم ذكرها في سورة يس في قوله تعالى :

(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/٣٨ ـ ٤٠ .

وهنـاك المجـرات .. وهـي مجموعات ضخمة من النجوم .. في كل مجرة ما يقارب الالف مليون من النجوم .. وقطر مجرتنا مائة ألف سنة ضوئية .. ويقدر علماء الفلك أن بالكون ـ أو بالجزء من الكون الذي يعرفونـه ـ حوالي ٥٠٠ مليـون مجرة .. وتطوف كل هذه المجرات في الفضاء الفسيح في دورة كاملة حول مركز طواف لها كل مائتي مليون سنة .

وحركات النجوم تحدث في منتهى الدقة والنظام دون أن تتصادم مع بعضها البعض .. ولا بد أنه نظام وقانون يعجز الانسان عن وصف دقته وانضباطه .. فلـم يعـرف العلـم البشري ـ رغم المحاولات الكثيرة ـ شيئا عن مواقع هذه النجوم أبدا .. فلكل منها موقع .. يحدده قانـون محكم منضبط .. ولا شك أن مواقع النجوم أمر على جانب عظيـم من الأهمية .. لا يمكن لعقل بشر أن يحيط به .. لذلك أقسم الله تعالى به **(فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسـم لو تعلمـون عظيـم)** الواقعة/ ٧٥ ـ ٧٦ .

ومن خلال علومنا الحديثة تبين لنا أن خلق الأرض ومن عليها أقل كثيرا مما خلق الله تعالى في الكون الفسيح من عظمة واسرار يقول تعالى :

(لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون) غافر/٥٧ وكان النـاس وقت نزول القرآن يعتقدون ان الارض هي مركز الكون .. وانها اكبر شئ فيه ..

وهذا الكون كله .. يدور ويدور .. الارض تدور حول نفسهـا وحـول

الشمس والقمر يدور حول الأرض .. والشمس تدور حول نفسها وتطوف حول المجـرة .. والمجـرة بكل ما تحتوي من آلاف الملايين من النجوم تطوف حول نفسها .. والمجرات كلها تطـوف حول مركز طواف لهـا في الفضاء الكوني الذي لا نعلـم له نهاية ..

وفي كل حبة رمل .. وفي كل خلية في كل مخلوق من نبات وحيوان توجد ذرات .. والذرة تتكون من جسم في وسطها يسمى « البروتون » تطوف حوله جسيمات في منتهى الدقة تسمى الاليكترونات في نظام يشبه النظام الشمسي تماما .

فكل شيء في الكون كبيرا أم صغيرا يدور ويطوف طاعة لخالقه تعالى الذي قدر له منهج خلقه .. وسنة حياته .. فدوران كل المخلوقات طوعا أو كرها في الكون كله .. هو طاعة وانصياع وتسليم لأوامر الله تعـالى .. وذلك تسبيح لخالقها وصـلاة له .. قال تعالى : **(ألم تر أن الله يسبح له من في السمـاوات والأرض والطـير صافـات كل قد علـم صلاتـه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)** النور/٤١ ويقول تعالى :

(تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهـون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء/٤٤ وقال تعالى :

(ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والـدواب وكثـير من النـاس) الحج/١٨ .

ومن هنا يمكننا أن نفهم معنى الطواف حول الكعبة المشرفة فهـو اشتراك البشر مع ما في الكون كله وما في الوجود جميعا في منهج ارتضاه الله لعباده وهو الطواف والدوران تسبيحا له تعالى وصلاة وسجودا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أحل فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم الا بخير » .

وبالطواف حول الكعبة ينسجـم الانسان مع باقي المخلوقات جميعا ويندمج مع الملائكة الذين يطوفون حول العرش في تسبيح الخالق العظيم مصداق قوله تعالى :

(وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمـد ربهـم) الزمر/٧٥ .

والله تعالى صنف المخلوقات جميعا وجعل كلا منها عبدا له قائمـا في العبادة والتسبيح له مستقلا بذلك عن باقي المخلوقات جميعا .. فالفرد عبد لله .. والمجتمع كذلك عبد لله .. والأمم هي في مجموعها عبد لله والكون كله عبد لله .

وهكذا لا يخرج عن عبادة الله تعالى في الكون كله كل ولا جزء وهناك إيقاع جميل بين كل فرد ومجتمعه وبين المجتمعات جميعا .. كل ذلك في مهرجان نوراني روحاني جميل يتجه كله الى التسبيح والسجود لخالـق الكون وباريء الخلق جل وعلا علوا كبيرا .

في استقبال القرن الخامس عشر الهجري الجديد

ماذا

ماذا وراءك أيها العام الوليد ... ماذا لنا يا مطلع القرن الجديد
بعد الذي قد كان في قرن مضى ... مما يشيب لهوله الطفل الوليد !!
بل يصدع الصخر الأصم بوقعه ... ويذيب في نيرانه صلب الحديد !!
مما يضيق به الكلام ولا يفي ... ببيانه مهما يطل هذا القصيد !!
فلقد تمادى الغرب في استعماره ... وأذل هذا الشرق إذلال العبيد !!
ومضى يخدر بالوعود وبالمنى ... وبكل ما يغري وحقق ما يريد
في ظل ما أسماه من مدنية ... زوراً ومما لا يقدم أو يفيد!!
من مغريات قوضت ما قد بنى ... الأسلاف والأخلاف من مجد تليد!!
في ظل دين محمد علم الهدى ... من جاء بالآيات والذكر الحميد
والناس قد حادوا عن النهج الذي ... من سار فيه واصطفاه لا يحيد
نهج العدالة والمعالي والهدى ... والحب والأخلاص والرأي السديد
هذا الذي ملكوا به الدنيا وكا ... نوا سادة أيام هارون الرشيد!!
لكن أذاب الغرب في اغرائه ... ما قد بنينا تحت سلطان الجديد!!
وغدا التبرج للنساء حضارة ... واللهو مفخرة به اللا هي يشيد !!
وفشا الربا في المسلمين ولم يبا ... لوا في المعاملة العقاب أو الوعيد!!
والخمر والقمر استحالا عادة ... في كل واد للكبير وللوليد !!
واستمرأ الناس المفاسد واشتروا ... هذا الضلال بكل شرقي حميد
وتفرق العرب الأماجد وارتدوا ... ثوب الخلاف وإنه الثوب المبيد !!

لنا؟

للاستاذ محمود محمد بكر هلال

هذا لأمريكا وذاك لروسيا كل يردد خلف مولاه النشيد ! !
حتى استطالت في الحياة عليهمو فئة اليهود وحطمت كل الرصيد!!
واستعمرت أرض العروبة وارتدت ثوب القوى وعربد الشعب الشريد
والمسجد الأقصى استجار ولم يزل يشكو من الأرجاس والظلم الشديد
يدعو صلاح الدين للقدس التي صارت مباءة كل شيطان مريد !!
والقدس مثوى الأنبياء ومهبط الأديان والايمان في انقى صعيد !!
والمسلمون وكل قوتهم كلا م في كلام ليس يجدي أو يفيد !!
ماذا عليهم لو أفاقوا مرة من نومهم والكهف زايله الوصيد؟!
واضيعة الاسلام في هذا الورى وبنوه قد هجروه من زمن بعيد !!
قد عطلوا أحكامه ونظامه وهما أساس الأمن والعيش السعيد
ماذا عليهم لو اقاموا دينهم ومشوا على أضواء منهجه المجيد ؟
وتوحدوا في ظله وبنوره يغدو المسير بكل منطلق جديد ؟
وكفى ضياعا في المتاهات التي ضلت بنا في خطوها الواني الوئيد
فبديننا كل المنارات التي تهدي وترشد في المسيرة من يحيد
ولعل هذا القرن يطلع مشرقا بالسعد والتوحيد والنصر الأكيد
وبوحدة عربية دينية تعلى لهذا الشرق مبناه الوطيد
في ظل دين محمد وبنوره والكون بالأنوار مبتهج سعيد

الهجرة حركة رائدة ومنطلق إسلامي

للاستاذ/احمد عبد الرحيم السايح

هجرة الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهجرة أصحابه الذين نهضوا بايمان صادق، ووفاء بحقوق الدين ... تعد تحولا خطيرا في تاريخ الانسانية، معبرا بوضوح عن تحرك الخير، نحو الهدف الأسمى، ومعربا عن فاعلية قوة الحق، دون ملل أو كلل ... في إطار قابل للتكيف حسب منطق العصر.

ومن هذا المنطلق .. كانت الهجرة حركة إسلامية رائدة، في توطيد دعائم الاسلام، وتثبيت ركائز الأخوة، وبناء الجماعة الاسلامية التي أخرجت للناس لتكون خير أمة.

وتحمل الهجرة في معانيها ... سمات التجدد والبناء، والعظمة الشامخة، والقوة الصامدة، والنور المضيء، والأمن المطمئن، ومراقي العلا والسمو، وبرد اليقين ونفحات الهدى، وحرارة الايمان ..

وذكرى الهجرة دافع قوي للأمة الاسلامية، في مقاومة الالحاد، والمذاهب الهدامة التي تكالبت مسعورة على نهش القيم والفضائل ..

والهجرة تجيء بعد ثلاثة عشر عاما، يدعو فيها الرسول الأمين الى الاسلام، ويتحمل هو وأصحابه ألوانا من العذاب، والتشتت والحرمان ..

وللهجرة دوافع وأسباب كثيرة .. نجملها فيما يلي:

أولا: اشتداد الأذى بالمسلمين ... قال تعالى: (**إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين**) سورة المطففين آية ٢٩ —

٣٢ .

وقال تعالى : **(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** الانعام / ٣٣و٣٤ .

ولما أسلم نفر من أهل مكة ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ..

وكان بلال بن رباح ، صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف ، يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره .. ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى .. فيقول وهو في تلك البلاء : أحد أحد .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه وامه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« صبرا آل ياسر . موعدكم الجنة » فأما أمه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام » .

ثانيا : اشتداد الاذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنالت قريش من رسول الله من الأذى ، ما لم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب .. فخرج رسول الله ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة منهم ، من قومه ، ورجاهم أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، لأنهم كانوا أخواله .. ولكن الرسول وجد من هؤلاء صدودا وإعراضا ، وأذى .

ثالثا : بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الكبرى .. وكانت البيعتان ، تنمان عن الايمان الصادق ، والغراس التي بدأت تؤتي ثمارها .. فقد كانت البيعة الأولى على الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الأعمال ، وقد تمت مع نفر من الخزرج ، كانوا بعد البيعة طليعة الدعاة إلى الاسلام في يثرب .

اما بيعة العقبة الكبرى فقد بلغ فيها الايمان أوجه ... وحيث جاء سبعون نفرا من يثرب ، مؤمنين أشد الايمان بالله ، وبالحب فيه ، والأخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، ونص البيعة كما قال عبادة بن الصامت ، وكان من النقباء . قال : بايعنا رسول الله بيعة الحرب ، بايعناه على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، والا ننازع الأمر اهله ، وأن نقول بالحق أينما كان ، لا نخاف في الله لومة لائم .

وبهذا الحلف الجديد . انفتح لرسول الله ، والذين معه من أهل الايمان باب الرجاء ، في حرية الدعوة ..

رابعا : تآمر قريش على الرسول صلى

الله عليه وسلم ، ومن معه ... قال تعالى : **(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** الانفال / ٣٠ .

بعد بيعة العقبة الكبرى ، وما كان فيها من نصرة الاسلام ، ومنعة أهله ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يلحقوا بالانصار بيثرب ، على أن يتركوا مكة متفرقين ، حتى لايثيروا ثائرة قريش عليهم ..

وبدأ المسلمون في الهجرة إلى يثرب فرادى وقد فطنت قريش للأمر ، فحاولت أن ترد كل من استطاعت رده إلى مكة ، لتفتنه عن دينه ، او لتعذبه ، وتنكل به ، وبلغت من ذلك أنها كانت تحول بين الزوج وزوجه ، وأنها كانت تحبس من تستطيع حبسه ممن لم يطعها ..

وكانت قريش تحسب لهجرة النبي إلى يثرب ألف حساب .. فقد كانت تخشى كثرة المسلمين بالمدينة ، فاذا لحق بهم محمد ، كان ذلك قوة للمسلمين ، تهدد دعاة الوثنية واذا بقي محمد بمكة ، وحاولوا منعه من الخروج منها . فهم معرضون لأذى أهل « يثرب » فلم يبق الا التآمر على قتل محمد ، وأحكمت المؤامرة في دار الندوة ، لكن عناية الله ، كانت تلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترعاه ، وتحيط به .. وقد أذن الله له في الهجرة ، ليغرس شجرة الاسلام في تربة ، تساعد على النمو . ولا تعرف احدا احق بنصر الرحمن ، وأجدر بتأييد الله من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لاقى في سبيل الدعوة ما لاقى .

ولكن التأييد الالهي ، لا يعني أبدا التفريط في أسباب الحياة ، وترك العمل ، والاخذ بالاسباب ..

ولهذا احكم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، خطة الهجرة ، فلم يبق بمكة إلا علي وأبو بكر ..

أما علي فقد نام على فراش الرسول ، وتغطى ببردة الرسول ، وكان صلوات الله وسلامه عليه ، قد أمر عليا أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ..

أما أبو بكر فقد خرج مهاجرا مع رسول الله ، بعد أن أعد للهجرة ما يلزمها ، وانتهى رسول الله ، وأبو بكر إلى الغار ليلا ، وأقاما فيه ثلاثا .

ورغم الصعاب ، ووعورة الطريق ... وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكلها أفراح ، والانصار يتسابقون في الاحتفاء بالنبي الأمين ، وتكريمه ..

وبدأ صاحب الرسالة الكبرى ... يضع خطوط المجتمع الاسلامي ، ويرسم له قواعد السلوك والأخلاق ..

وكان الأخاء العملي الذي قضى على كل ألوان العصبية ، ليتفرغ المسلمون إلى مزاولة الشعائر الاسلامية ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم ، وتعاليمه ... ومن المدينة الاسلامية ، قاعدة انطلاق الدعوة ... استطاع النبي أن يرسل كتبه إلى الملوك والرؤساء ، يدعوهم إلى رسالة

الاسلام ..

وفي الدولة الاسلامية ... أعد المسلمون ليكون قوة رادعة لكل افاك أثيم ، ولا يمكن أن تهتم أمة باعداد القوة ... ثم تظلم من جيرانها ..

وفي الهجرة دروس مستفادة ... يمكن أن يكون فيها عظات بالغة لمن كان له قلب وعقل ونجمل بعض هذه الدروس فيما يلي :

اولا : كتم الاسرار ، والمحافظة على سير الأمور ، في نطاق التخطيط المركز ، القائم على الايمان بالله .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يطلع أحدا على مسيرة الهجرة .. إلا من لهم صلة ماسة بها ، ولم يتوسع الرسول في اطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم ..

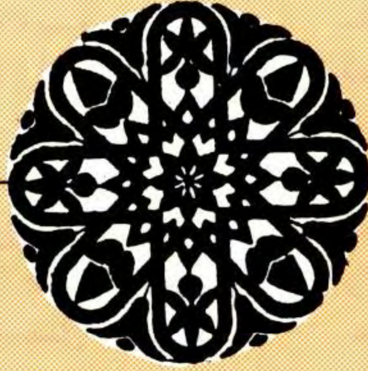
ثانيا : الاعتماد على الله ، مع الأخذ بالأسباب قال تعالى : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)** التوبة / ٤٠ .

ثالثا : الايمان بالله هو دليل الفاعلية والحركية ، وذلك أن الايمان هو الروح التي تحرك الجسد ، فتبعث فيه الحياة ، وعندئذ تكون النفوس مستعدة لتحمل المسؤوليات والتضحيات . ولابد للمؤمنين من الاختبار والتمحيص .. لأنه هو الثمن الذي تعز به العقيدة في نفوس المؤمنين . والعقائد الرخيصة التي لايؤدي أصحابها تكاليفها ، لا يعز عليهم التخلي عنها . والشدائد دائما تستجيش مكنون القوى ، ومدخور الطاقة ، وتفتح في قلب المؤمنين ، منافذ ما كان يعرفها المسلم إلا تحت مطارق الشدائد ..

رابعا : الأخوة الاسلامية ، القائمة على العقيدة ... أخوة لا تعترف بالقوميات ، ولا باليمين ولا باليسار .. تلك الأخوة التي جمعت المسلمين في جامعة إسلامية واحدة ..

خامسا : الدستور القائم على كتاب الله، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ... وكتاب الله هو ميزان الحق ... حتى لا تحتاج الامة الاسلامية في مسيرتها في الحياة إلى تجارب الامم وأفكار سماسرة القوانين الوضعية ، والمذاهب الهدامة ..

وقد أثبت التاريخ والتجربة . أن كتاب الله خير حكم بين الناس ... ولم يعد المسلمون في حاجة إلى تجارب الاشتراكية والرأسمالية وما اليهما من اشتقاقات ومذاهب . وكم من الدروس يمكن ان يستقيها المسلم من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .. ففيها مثل حية للثبات والصبر والعزم ، والصمود ... وفيها : نماذج فريدة في البطولة والتضحية ، ونكران الذات والفداء ... وفيها : عمل منظم ، وتخطيط مركز ، ودراسة واعية ، واحاطة تامة .. وتعاون كامل ، وإخاء شامل ، وإيثار بالغ ، ووحدة رائعة وعزة وإباء وكرم ووفاء ...



لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

كانت مكة في فجر البعث بلدا غريبا في تكوينه ، تجمع بين التناقض في كل شيء ، ففي عبادتها تعبد الاصنام التي نصبتها حول الكعبة ، وأكثرت منها ، فتنوعت أشكالها ، فمنها ما هو على مثال إنسان ، أو على شكل حيوان ، أو ما لا شكل له او هيئة تتصل من قريب أو بعيد بالأنسان أو الحيوان ، وفي الوقت الذي يدينون لها فيه بالعبادة يجهرون بأنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى ، ويتواصون بالمعروف بشأن الزائر الغريب ، ويجعلون هذا قانونا من قوانين حياتهم ، ودستورا من دساتير تعاملهم مع الوافدين عليهم ، فيعقدون حلفا فيما

للاستاذ/محمود منسى

بينهم يتعاهد عليه الجميع ، ويدين له أهل مكة ومن جاورهم يطلقون عليه حلف الفضول ، وهو حلف كريم شريف ، حتى ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقد حضر هذا الحلف يقول فيه : لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفا لو ان لي به حمر النعم ..

في هذا الوقت الذي يجمعون فيه على نصرة الغريب ، ويقفون معا صفا واحدا هذا الموقف الذي يتسم بالمروءة والنجدة .. وهي قيم يعتز بها الانسان على مدى سيرته عبر تاريخه المغرق في القدم ، فانهم لا ينصفون أنفسهم أو ذوى رحمهم من الظلم والاجحاف والتجرد من أبسط العواطف الانسانية ..

فهم الذين يدفنون بناتهم بأيديهم ، ويهيلون عليهن التراب ، وعيونهم ترى الوجوه الغضة تختفي بين الرمال وتحت طيات الثرى دون أن تتحرك القلوب بنبضة حب او تفيض عيونهم بدمعة حزينة ، او تتحرك عواطفهم بقليل من الرحمة أو العطف ، إنه موقف لا يستطاع تصوير حدود قسوته وغلظة قلوب من يقومون به ، فكيف لأب له قلب ينزل هذا العقاب بفلذة كبده ؟، وكيف لأم يهنأ لها عيش وهي تسلم ابنتها راضية لأب يقوم بدور الجلاد ، وقد يتكرر هذا الفعل كل عام إذا أنجبت امرأته أنثى بعد أنثى ، وما أكثر من ينجبن الاناث بصورة مستمرة ..

ففي الوقت الذي ينشد العدل لغيره يوقع الظلم على نفسه وأهله ، برضاه وبرغبته ، وهو سعيد راض عن فعلته ، كما أن قريشا كان منها سدنة الكعبة ، وحماة البيت ، وقد أتاحت لهم هذه المكانة الرفيعة أن يرحلوا في الصيف إلى الشام والعراق ، وفي الشتاء إلى اليمن ، رحلة الشتاء والصيف كما ورد في محكم القرآن الكريم فقريش الآمنة العزيزة الجانب الثرية ، تعادي من غير شك من يريد لحياتها أو لدينها الذي ألفته تبديلا ، ولنظام حياتها تغييرا ..

وعندما جاءهم محمد « صلى الله عليه وسلم » يدعوهم إلى التوحيد ، كانت الوثنية تضع عصابة سميكة سوداء على عيونهم ، ولما دعاهم إلى الايمان بالبعث والعودة بعد الموت ، وهم يعتقدون ألا حياة إلا حياتهم الدنيا ، يولدون ويموتون وما يهلكهم إلا الدهر والقدر ، صدمهم ، وعادى فكرهم بدعوته ، ونكس معتقداتهم ، ومزق تاريخهم ، ولم يكتف بهذا بل تعداه إلى الوقوف في وجه نزواتهم ، وغرائزهم ، وحيوانيتهم ، وعدوانهم على أرزاق الآخرين ، ودعاهم إلى أن يبتعدوا عن الاتصال الجنسي إلا في حدوده المشروعة بالزواج ، وبتحريم الربا وعقاب مرتكبيه ، وحطم كئوسهم في أيديهم بالنهي عن شرب الخمر ، وجعلها أم الكبائر ، واللذة القاتلة التي تعقبها الحسرة والندامة ، ووقف حائلا بصلابة لئلا

يستغل الغني حاجة الفقير إلى المال فيوقعه في حبائل الربا التي قد لا يستطيع أن يجد لنفسه من شباكها مخرجا .

ولم يكتف بهذا ، بل إنه يدعو إلى تغيير مجتمعهم من أساسه ، وإقامته على أساس إنساني سليم ، بالمساواة بين الناس ، لا فرق بين كائن وكائن ، وبين سيد وعبد ، فالجميع سواسية كأسنان المشط ، وهم الذين قضوا حياتهم وأعمارهم في التفاخر بالأحساب والأنساب ..

لا شك أن قوما كهؤلاء يحتاجون إلى شجاعة الداعي ، وكثير من الصبر والمعاناة مما لا يتحمله عامة الناس أو يطيقونه ، ومنها يدرك المسلمون وكافة الناس إذا كانت لهم أفئدة يعقلون بها مدى ما تحلى به الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الشجاعة وقوة الاحتمال ..

فالشجاعة وقوة الاحتمال قدرتان لازمتان لكل من يتصدى للوقوف امام هذا العناد الصلب ، وضرورتان حتميتان للوصول إلى الهدف المطلوب ، وقد امتحنت شجاعة الرسول وقوة احتماله ــ صلى الله عليه وسلم ــ طول حياته فما تطرق إلى عزمه وهن ، أو بدا عليه ضعف ، هذه الشجاعة لازمته منذ الصبا وحتى نهاية حياته الكريمة الفاضلة ، ففي حداثته كان يجمع لأعمامه النبال والسهام في حرب الفجار ، وخرج إلى اليمن في قافلة مع عميه فرأوا فحلا في واد قد توحش وجمح وقطع الطريق ، ولكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحده تقدم منه غير هياب ولا وجل ، وأمسك زمامه وقاده طيعا كطفل صغير ، وبعدها اعترض القافلة واد ملئ بالماء فهابته الجماعة فتقدمهم في بساطة وشجاعة قائلا : اتبعوني .. اتبعوني ، واستحلف مرة باللات والعزى وهو صبي ، فقال : لا تسلني بهما شيئا ، فوالله ما ابغض شيئا بغضى لهما ..

فاذا كانت هذه شجاعته في صباه ، فانها إرهاص لما تلاها من شجاعة النبوة ، والتي تجلت في مواقف خالدة بقيت على مر الدهور ، شاهد صدق على شجاعة تفوق ما يحتمل البشر ، إلا من اختصه الله بها ..

ولنأخذ موقفا من هذه المواقف العديدة التي برزت فيها قدرته عليه الصلاة والسلام على مجابهة الأحداث بما يليق ، فعندما جاءته قريش عند بئر بدر بجيش كبير يزيد عدده على الألف بكثير ، معهم السلاح والكراع والعتاد ، وكلهم شجعان غارات وحروب ، شهدتها أيامهم في الجزيرة .

أما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته ، فلم يكد عددهم يجاوز الثلاثمائة إلا قليلا ، معهم سلاح قليل ، وعتاد رقيق .. فهل أخاف جمعهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؟ أو أرهبه عددهم وعدتهم ؟ وهو أدرى الناس بقوتهم وبطشهم وطغيانهم ، وشدة كراهيتهم لدينه ورسالته التي جاءت تسفيها لأحلامهم ، ومعتقداتهم ، وقلبا لمعايير ومفاهيم حياتهم .. كما يعلم أن بينهم وفي صفوفهم الكثير من الفرسان والمغاوير والصناديد ممن خلد الشعر شجاعتهم ، وأيام العرب وقائعهم ..

وإذا أضفنا إلى هذا أن جيش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان متألفا ، وليس من طائفة واحدة فمنهم القريشي المهاجر ، والخزرجي ، والأوسي ، ومن جاورهم من القبائل ، ممن شرح الله قلوبهم للاسلام ، كما أنهم لا ينتمون إلى طائفة اجتماعية محددة كشأن قريش ، ففيهم السيد والعبد ، وقليلهم غني ، وكثيرهم الفقير المعدم ..

إن أي قائد لجيش كهذا في مقابلة جيش قريش لابد أن يولى الأدبار ، وينثني مهزوما قبل أن يحدث اللقاء ، لأن النتيجة محسوبة سلفا ، والهزيمة محققة لا ريب فيها ..

ولكن شجاعة الرسول لا يجوز لها أن تنهار أو تنهزم أمام هذه المظاهر المادية ، هذه الشجاعة مكنته من الوقوف بقدراته المتواضعة أمام هذه القوة الضارية في هذا الوقت البعيد ، كما أن ثباته انتقل إلى قلوب تابعيه ومن كانوا معه ، عندما رأوا جلده ، وقدرته على لقاء الأحداث بعزم لا يلين ..

كما جسم موقفه في ظل دعوته ورسالته ـ دون تردد ـ فهو يناصر الحق ، ويحمل رسالة الخالق إلى البشر ولن يهزم من قلة .. والرأي الحاسم والنظرة السديدة في مواطن الشدة شجاعة أصيلة تليق بالتكريم والتمجيد إنها دروس الرسالة الخالدة التي نجد في كل فقرة فيها فصلا من فصول القدرة والحكمة والشجاعة والأباء ، وبين كل سطر من سطورها عظة باقية خالدة ، نستنير بها في كل درب من دورب الحياة ومزالقها ، ومنعطفاتها المظلمة المتعددة ، وما أجدر المربين أن يعوا هذه الدروس ليقدموها الى البراعم الغضة من أبنائنا ، وأن يعرضوها لهم في صورها السمحاء والبسيطة دون اغراق او تكلف او تعصب ، حتى تكون تربيتنا أصيلة أصالة هذه الرسالة ، وهذه الجزيرة التي درج عليها الدين ، فيعرف أبناؤنا لماذا كنا خير أمة أخرجت للناس ، وأن رسولهم الصادق الأمين خير أسوة كريمة لهم : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)** الأحزاب/ ٢١ .

لم تغن عن قريش تلك الجموع ولا تلك الأسلحة التي جمعوها وأعدوها ، بل ذاب كل هذا كما تنوب الثلوج تحت أشعة الشمس الملتهبة ، وحرارة القيظ الملتهب ، وتحطمت أحلام قوادهم وزعمائهم على صخور العـزم الأشـم ، والشجاعة والثبات والتضحية والفداء والايمان والاخلاص لرسالة السماء ..

وكل ما يهمنا هنا أن نشير إلى موقف مشركي قريش بعد هذه الهزيمة التي لقيتها في معركة بدر ، فقد انكفأت مكة على نفسها تغلي من الغيظ ، وتموج بالموجدة ، وتتقلب على نار الهزيمة عاما كاملا ، اثنى عشر شهرا أو خمسة وستين وثلاثمائة يوم من الأيام التي لا يمكن التفرقة فيها بين الليل والنهار .. فليل الموتور كليل المريض كله ألم ومشقة ، وملؤه عنت ومشقة وارهاق ، وأكثره سهر ونصب ..

كان أهل مكة ينظرون الى بعضهم البعض ، ولكن الخزى يرى في قسمات

وجوههم ، والحقد يغلي في قلوبهم ، والألم يعتصر نفوسهم ، إذ كيف للقلة القليلة التي تركت أرضها وبلادها الحصينة فرارا بدينها ، عندما اشتد الكرب وعظم البلاء ، وبعد أن أصبحت مكة على سعتها ، وامتداد أرباضها ساحة للتنكيل والعذاب والانتقام .. وصاروا يتفننون في تعذيب ارقائهم والمستضعفين منهم ..

وكيف لهؤلاء الضعاف المستضعفين الذي جاءوا الى الحرب راجلين لا يملكون فرسا أو بعيرا ؟ كيف لهم وهم لا يكادون يحملون قوتهم وزادهم ، وبيدهم هذه الاسلحة البسيطة التي لا تصمد للقتال إلا قليلا ، لقد كانوا أشبه ما يكون بمن يحمل مدية جاء بها لمن يحمل سيفا ، وبمن يحمل غدارة جاء ليقاتل بها من يحمل مدفعا ، كما أن هؤلاء الضعاف المستضعفين ليس لهم تاريخ سابق كتاريخ قريش في شجاعتها وشجعانها ، وبأسها ونوى البأس فيها ، فهذا الوليد وأبناؤه يتقدم الصفوف ، وهذا عمرو بن ود ونظراؤه يقفون حيالهم ، وذاك أبو جهل بعنفه ورجاله وعبيده ، وغيرهم ومن حولهم .

فهم الأكثر جندا ورجلا ، والأثرى مالا ، والأعز نفرا ، فكيف ينكفئون مهزومين مثخنين بالجراح ، ويعودون يحملون جثث أبنائهم وآبائهم وإخوانهم ، ومن لم يفقد أعز أقربائه وأحبابه فقد عضوا من أعضائه أو عبيدا من رقيقه ، ومن لم يفقدسلاحه فقد لسانه ، فقد أخرسه ما حدث ، ومن لم يفقد لسانه فقد عقله ، فانطلق لسانه دون ضابط أو رابط ..

لقد كانت هزيمة أقل ما يقال عنها أنها كانت منكرة أو أبسط ما توصف به أنها كانت هزيمة لا يستطاع تقدير حجمها ، لأنها هزيمة لم تكن متوقعة ، هزيمة المتباهي بجبروته وقوته ممن لا يتوقع منه هزيمة ، كانت جولة خاطفة خروا فيها صرعى تحت ضربات قاضية في الوقت الذي كان يتصورون أن النصر في أيديهم ، وأن محاربة المسلمين ما هي إلا نوع من المزاح ، قد يجلب إلى قلوبهم السرور والتسلية والتندر ، عندما يعودون إلى ديارهم ومرابعهم ، يحملون على سيوفهم دماء المسلمين ورءوس المهاجرين ، وشباب يثرب الخاطئين ، الذين وقفوا ندا لقريش ونسوا أنها سادنة الكعبة وسيدة العرب دون منازع ، ومكة مركز التجارة والحضارة .. وزادهم غيظا تندر الشعراء بهم في شعرهم ، ووصفهم الكريه للهزيمة التي ألمت بهم وبجموعهم ، والاذلال الذي لحق بهم وهم يهربون من الميدان ، وكأن الجن تلاحقهم ، والوحوش تنوشهم وتتخطفهم ، والنبال تتبعهم وتخترق قلوبهم وأكبادهم ..

ولقد كانت نساؤهم من أشد من عيرهم ، وأنحى باللائمة عليهم ، وأخذوا على مدى عام كامل يطعمونهم ذكرى الهزيمة ، ويسقونهم مرارة الذل ، ويرددون على مسامعهم صباح مساء وقائع المعركة ، وانتصار المسلمين فيها ، وما تردد من قصص وأخبار وشجاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته ، وتولى قريش يوم الزحف ، وعندما التقى الجمعان ، وتلاحم الجيشان ..

إن الهزيمة التي لحقت بهم في « بدر » بأبعادها ، جعلتهم يأخذون للأمر

أهبته ، ويستعدون للقاء في معركة يستردون فيها كرامتهم الجريحة ، ويرفعون فيها هامتهم التي أثقلتها الهزيمة ، يرفعونها ليس بين العرب قاطبة في انحاء الجزيرة وعلى امتدادها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ولكن بين نويهم أيضا ، وبين نوى قرابتهم وأهليهم ، فقد كان عاما طويلا أقصر منه الدهر ، شاقا على النفس ، فليس أشق على النفس من الذل بعد العزة ، والهوان بعد الرفعة والسمو ، والخيبة والمذلة على المشاعر التي تعودت الانتصار والغلبة ..

ومن ذلك ما كان من أبي سفيان حين رجع الى مكة ، ورجع المهزومون من بدر ، فنذر ألا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يتصور وهو زعيم من زعمائهم ، ورأس من رءوسهم ان يصل الأمر الى هذا الحد ..

فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه ، فسلك « النجدية » حتى نزل قناة الى جبل يقال له « ثيب » من المدينة على مسافة قريبة ـ دون أن يعلم به أحد ـ ولما جن الليل ذهب متسللا حتى أتى بنى النضير تحت جنح الظلام ، فأتى « حيى بن أخطب » وهو زعيم من زعماء اليهود في المدينة ، فضرب عليه بابه ، فأبى ان يفتح الباب وخاف الطارق ، فانصرف أبو سفيان إلى « سلام بن مشكم » وكان سيد بنى النضير في ذاك الزمان وصاحب كنزهم ومستودع أموالهم ، فاستأذن فأذن له فقراه وأطعمه وسقاه ، وأخبره ما يريد عن المدينة وعن المسلمين وعن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وعاد في ليلته إلى أصحابه حتى أتاهم ، فبعث رجالا من قريش ليلا إلى ناحية منها يقال لها العريض ، فأشعلوا النار في بعض نخيلها ، ووجدوا بها رجلين أحدهما من الأنصار وحليفا له من المهاجرين ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، كقطاع طرق ، ولم يجرءوا على الاعلان عن أنفسهم ، وهذا يدل على مدى اليأس الذي أحاط بهم بعد انتصار بدر ..

وإذا كان المسلمون قد جدوا في طلبهم بعد أن علموا بهم ، فان هذا لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا أن نرى صورة كفار مكة بعد الهزيمة .. وأن نعلم أن المسلمين لا يهزمون من قلة ، وأن الهزيمة تكون في القلوب والسرائر ، وأن النفوس الملأى بالايمان ، الغنية بمشاعره ، الثرية بقيمه وأحاسيسه ، المطمئنة إلى جواره ، هي التي ترفع ألوية النصر وأعلامه دائما .. فالكثرة لا تسلب الانتصار والغلبة دون هدف أو عقيدة ، إنها كالسيل العرم ، صادف أرضا هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت زرعا .

(قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) البقرة/ ٢٤٩ .

إن من واجبنا في مجتمعنا المسلم أن نجعل من أهدافنا كآباء ومربين أن نركز العقيدة السمحة في نفوس أبنائنا ، وأن نبين لهم أن الوقوف بجانب الحق يكسب صاحبه القدرة ، ويمنحه الانتصار دائما ، والحق على كبر حجمه ، وعظمة آثاره ، لا يمكن وصفه أو الاحاطة به سوى أن نقول : إنه كل ما جاءت به رسالة

السماء ، من إيمان بالله ، وعبادته ، وطلب المنفعة وتجنب المضرة منه وحده ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وإقامة العدل بين الناس ، والتقيا في الضعيف ، وإعانة المحتاج ، والوقوف في وجه الظلم ، والبعد والتباعد عن كل ما يجلب الضرر للمسلمين ، والعفة في القول والعمل ..

(ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز) ابراهيم/١٩ و ٢٠ . وصدق الله ورسوله .

مكثت قريش وأحابيشها الذين حاربوا معها عاما كاملا تجتر هزيمتها ، وتستعد للاخذ بثأرها ، فالعربي قد يصبر على الجوع والعطش ، وقد يصبر على الالم والمرض ولكنه لا ينسى ثأره مهما تعاقبت عليه الاحداث في هذه الحياة ، انه كالابل التي عاش في كنفها ، ورضع لبانها واكتسى بأوبارها لا تترك ثأرها ، ولكنها تتحين الوقت الملائم للقصاص .

وقد تحينت الوقت بعد عام جمعت فيه ثلاثة الاف ويزيد من المقاتلين ، وليس كل من يحمل سيفا مقاتلا ، ولكنهم انتقوهم من المشهود لهم في ميادين الكر والفر ، والجلد والبطش ، والقتال والنزال ، والقدرة على تحمل الصعاب والمشاق ، فهي معركة ثأر وكرامة ورد اعتبار .

وتزعم الجيش الذاهب للميدان ابو سفيان بن حرب ، وهو يتحرق شوقا لهذا اللقاء ، وهو الذي نذر عندما عاد بعيره من بلاد الشام بقافلة التجارة ، بعد معركة بدر ، نذر الا يضع على شعره ماء حتى يثأر من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه .

ولم يكتف ابو سفيان بقريش ، ولكنه استعان بأحلافها من كنانة واهل تهامة ، ووفر للجيش المقاتل حاجته من ظهور الابل والخيل والسلاح ، وعاهدهم الا يفروا ، والا يتركوا ارض المعركة ، فاصطحبوا معهم نساءهم ، وكان اول جنده في هذا الامر فاصطحب معه هند بنت عتبة ، واحتذاه سادة قريش فخرج عكرمة بن ابي جهل بام حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن امية ببرزة بنت مسعود الثقفية ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منيه بن الحجاج .

وساروا في تحد حتى نزلوا بعينين ، وهو جبل قريب من المدينة يسمى الان جبل الرماة ، فلما سمع بهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون وقد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله لصحابته : اني قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقرا لي تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت انـي ادخلت يدي في درع حصينة .. ثم قال رسول الله صلى عليه وسلم مفسرا ما رأى : اما البقر فهم ناس من اصحابي يقتلون ، واما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو

رجل من أهل بيتي يقتل .
ثم اتبع قوله هذا : فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة ، وتدعوهـم حيث نزلوا ، فان اقاموا اقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، فقال رجال من المسلمين : يارسول الله ، اخرج بنا الى اعدائنا ، لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا ، وقال قلة منهم : اقم بالمدينة لا تخرج اليهم ، فو الله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ، ولا دخلها علينا الا اصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما اتوا الينا .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نزل على أمر الكثرة منهم .

وفي الطريق الى أحد انفصل عن جيش الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلثه قادهم عبد الله بن ابي بن سلول زعيمهم وعاد بهم الى المدينة ، وكلهم من اهل النفاق والريب ، ولما انفصلوا عن الجيش ناداهم عبد الله بن عمرو بن حرام قائلا :

« يا قوم اذكركم الله الا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم .. » فقال قائلهم : « لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال » فلما استعصوا وابوا العودة ، قال لهم : « أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه .. ومضى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره الى أحد ، وقال : « لا يقاتلن احدكم حتى نأمره بالقتال » .

وكان جيش رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سبعمائة رجل ، وامر على الرماة عبد الله بن جبير وعددهم خمسون رجلا فقال : ياعبد الله انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، ان كانت لنا او علينا .. ودفع اللواء الى مصعب بن عمير .. وكان بالجيش عدد من الصبية ، أرجعهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة ، واثنى عليهم ولكن اثنين منهم وهما سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة أصرا على البقاء والقتال ، وقال سمرة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ انني احسن المصارعة يارسول الله ، وقال رافع : انني احسن رمي النبال ، واصرا على البقاء ، فرضخ لرغبتهما ودعا لهما وباركهما .. وانصرفا فرحين متهللين ليأخذا مكانهما بين صفوف الجيش من صحابة رسول الله .

وعلى الصعيد الاخر كان خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل .

وقبل ان تبدأ المعركة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط جنده وعسكره وكلم صحابته واتباعه مناديا وقد رفع سيفا في يده :

من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ .. فوفد اليه الكثير ، وتقدم منه رجال ، ولكنه أمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال : وما

حقه يارسول الله ؟ فقال : ان تضرب به العدو حتى ينثني .. فقال أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فاعطاه إياه .. وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكانت له عصابة حمراء يضعها على رأسه ليعلم الناس أنه سيحارب .. فلما أخذ السيف من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين رأى ابا دجانة هكذا : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن .. وقال ابو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يابني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما رأيتم ، وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فاما أن تكفونا لواءنا ، وإما ان تخلوا بيننا وبينه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم اذا التقينا غدا كيف نصنع فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، واخذن يضربن بالدفوف خلف الرجال ويحرضنهم قائلات :

ويها بني عبد الدار
ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار
ان تقتلوا نعانق . ونفرش النمارق .
او تدبروا نفارق . فراق غير وامق .

وقبل ان نرحل الى ساحة المعركة لابد لنا من وقفة قصيرة ، نتعرف فيها على بعض الملامح والمعالم الاسلامية ، فالاسلام لم يعرف الضغينة ، ولو كان الامر كذلك لكان المسلمون قد ذهبوا الى مدى بعيد في التحرش بقريش ، وبخاصة بعد ان انتصروا عليهم في بدر وكسروا شوكتهم ، ولقنوهم درسا قاسيا ، ولكن التحرش أتى من الناحية الاخرى ، أتى من المشركين الذين امتلأت نفوسهم غيظا وكمدا وحقدا ، بعد أن هالهم حجم الانتصار في بدر ، ورأوا في الثأر شفاء لأنفسهم المريضة ، لان الاسلام لا يعرف الثأر والحقد والبغض ، وإنما يعرف الدفاع عن كل ماهو حق وعدل ، كأن تستباح ارض الاسلام او عرض المسلمين او دماؤهم او اموالهم ، او يتهددهم غيرهم في دينهم :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة / ١٩٠

كما نرى ان الرسول الكريم اخذ اصحابه بالشورى ، ولم تستخفه طاعتهم وإذعانهم له ، واتباعهم لكل ما يقول ، وهو لا ينطق عن الهوى . ورغم ان رأيه كان البقاء بالمدينة وعدم الخروج الى الاعداء ، فاذا سولت لهم انفسهم الدخول لاقوا هزيمة اشد وانكى من هزيمة بدر ، ولكنه نزل على رأى الكثرة من صحابته ، لانهم احتكموا الى مبدأ إسلامي يريد الله ان ينشره بين المسلمين لتكون الشورى عماد الحكم في كل بلد ، وعلى كل ارض حملت لواء الدين الحنيف .

استعد الجيشان للقتال ، وقد أخذت نساء قريش اللاتي صحبن أزواجهن الى المعركة ، يرددن الرجز على دقات الدفوف ، ويدعون جند الكفار الى القتال ، والمسلمون في الطرف المقابل يتحرقون شوقا للقاء ، فقد وعدهم الله احدى الحسنيين في كل قتال مشروع : النصر أو الشهادة وفاقا لهم ..

والتحم الجيشان ودارت المعركة ، وهنا يحق لنا أن ننقل بعض مشاهدها أو صورا منها لم نسمع عنها من قبل فيما ألفنا أن نسمع ، ان هذه المعركة رغم نتائجها كانت ذات أثر فعال في حياة المسلمين وفكرهم ، وسوف نتحدث عن هذا بعد أن ندخل الى صميم المعركة وننزل الى أرضها ، وننقل مشاهدها عن كثب ، لقد اقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الكفار ، فجعل لا يلقى أحدا الا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا للمسلمين الا أجهز عليه ، فدعا الله أحد المحاربين المسلمين أن يلتقي هذا الرجل بأبي دجانة فقد كان قريبا من موقعه ، واستجاب الله الدعاء والتقيا وتضاربا بسيفيهما ، وكان المشرك هو البادىء فتلقى أبو دجانة الضربة بدرعه فأصاب سيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله بضربة واحدة ، ورأى امرأة تبقر بطون شهداء المسلمين فتبعها وأراد قتلها لفعلها القبيح ، ورفع سيفه يريد الاجهاز عليها ولكنه ربأ ـ كما قال ـ أن يضرب بسيف رسول الله امرأة ، وعندما تأملها مليا وجد أنها هند بنت عتبة زوج أبي سفيان .. وقاتل حمزة ابن عبد المطلب عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتالا شديدا وكان المشركون يهربون من وجهه عندما يلوح لهم من بعيد ، وكان يختار من يتجه اليه بسيفه ، فكان يعمد الى زعماء الكفر ، ولاح له من بعيد أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، فانقض عليه ، ولم يستطع النجاة منه ولم يفارقه حمزة الا والسيف يمزق أحشاءه والراية تسقط على الرمال مضرجة بدماء أرطاة ، ثم مر به محارب مشرك يقال له سباع بن عبد العزى الغبشاني ، فلقيه حمزة قائلا : هلم الى يا بن مقطعة البظور ، وكانت أمه ختانة بمكة .

قال وحشي غلام جبير بن مطعم : والله لأنظرن الى حمزة يصول ويجول بسيفه في رقاب أهل مكة ما يبقى شيئا مثل الجمل الأورق عندما يستثار اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلم الى يا بن مقطعة البظور ثم ضربه ضربة أطاحت برأسه ، وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فاخترقت جسمه من أسفل بطنه ، فأقبل نحوي رافعا سيفه ، وكاد يقضي علي ، ولكنه غلب قبل أن يصلني فوقع عن فرسه ، وأمهلته حتى اذا مات ، عدت فأخذت حربتي ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره ، فقد قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أعتقت ، حتى اذا فتح رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ، هربت الى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليسلموا ضاقت علي الأرض بما رحبت فقلت : أين أذهب ؟ الى الشام أو الى اليمن ؟ أو الى بلاد غيرهما ؟ فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل : ويحك ! انه والله ما يقتل أحدا دخل في دينه من الناس مهما كانت ذنوبهم أو خطاياهم قبلها .. فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعندما وقفت أمامه نطقت بالشهادتين ، فنظر الرسول الي مليا وقال : أوحشي أنت ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ..

فقال : اقعد ، وحدثني كيف قتلت حمزة ؟ فلما فرغت من حديثي قال : ويحك ، غب عني وجهك فلا أرينك ، فكنت أتنكب ـ أي أبتعد ـ عن رسول الله حيث كان ، لئلا يراني حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم ..

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرجع الى قريش فقال : قتلت محمدا .. فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللواء علي بن أبي طالب .. ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت راية الانصار وطلب علي بن أبي طالب ، وقال له : تقدم وخذ الراية ، فتقدم علي وقال : أنا أبو القصم ـ أي أنني أبو النوائب ـ فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم في المبارزة ؟ فقال علي كرم الله وجهه : نعم أنا لك ، وأسرع وخرج بعيدا عن الصفوف لملاقاة أبي سعد ، وتضاربا بسيفيهما ، ولم تمض سوى جولات بينهما حتى ضربه علي بن أبي طالب بسيفه ولم يجهز عليه .. ولما قال له الصحابة رضوان الله عليهم : أفلا أجهزت عليه ؟ قال : عطفتني عنه الرحم ، وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ..

والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن حرب ، وكانت لهما جولات ، فلما استعلاه حنظلة وأوشك أن يضربه بسيفه ويقضي عليه رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان ، فضربه وقتله دفاعا عن أبي سفيان .. ولما بلغ الخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال عن حنظلة : ان صاحبكم لتغسله الملائكة .. وذهب حنظلة في عداد الشهداء الذين كتبت لهم الجنة .

وأنزل الله نصره على المؤمنين وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المكان ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .. قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشجرات هوارب ، ما دون أسرهن وأخذهن قليل أو كثير : وأخذ المشركون يولون الأدبار ، ويهربون من أرض المعركة ، ونزل الرماة من الجبل ، وكشفوا ظهورنا للخيل ، فجاءنا

المشركون من خلفنـــا ، وصرخ صارخ ، الا إن محمدا قد قتل .. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللـــواء حتـــى لم يستطع أحد أن يدنو منه ، ولم يزل لواؤهم ملقى على الأرض ، حتـــى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيـــة فرفعته لقريش ، فاجتمعوا حوله من جديد ..

يقول الرواة ان السبب في هزيمة المسلمين في أحد ، هو نزول الرماة من الجبل الى أرض المعركة بحثا عن السلب ومتاع الدنيا ، بعد أن أصاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمــون نجاحـــا ، وأمســـكوا بتلابيب النصر ، وأصبحت المعركة مضمونة الكسب والنهاية لصالـــح المسلمين ، وهذا يبين لنا أن النصر دائما يكون للايمان الذي يملأ القلب ثباتا والنفس ثقة وعزة ، وهذا درس يجب أن يعيه المسلمون ، فلن يكون هناك نصر للمسلمين اذا حاولوا أن يغلبوا جانب الدنيا على الآخرة ، وأن يرخصوا دينهم في سبيل دنياهم ، وأن تتحـــول الحـــروب الى مغانـــم ومنافع ، وأن يحيد الجهاد عن هدفه الاسمى ، وأن نكون صادقين في كل ما نأتيه من عمل حربا أو سلما ..

وقد كتب الله الشهادة ، وضمن الجنة للمسلمين الذين أسلموا قبل معركة أحد بوقت قصير ومن هؤلاء رجل يدعى الاصيرم ، يقول أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ حدثوني عن رجل دخل الجنة فور اسلامه ، ولما سألوه عنه قال : أصيرم بني عبد الاشهل ، وهذه كنيته واسمه عمرو بن ثابت فقد كان يأبى الاسلام ، فلما خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى أحد ، دخل الاسلام الى قلبه فأسلـــم ثم امتشق حسامه ولحق برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أحد ، ثم قاتل حتى جرح جرحا بليغا فبينما رجال ــ بني عبد الأشهل ــ يلتمسون قتلاهم في المعركة ، اذ بهم يعثرون عليه ، وفيه بقية من روح ، فيعجبون للأمر ، فقد تركوه وهو أشد الناس عداوة للمسلمين ، فيقتربون منـــه ، ويسألونه : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أو رغبة في الاسلام ؟

فيقول لهم وهـــو ينتـــزع آخـــر أنفاسه : بل رغبة في الاسلام ، آمنت بالله ورسوله وأسلمت ، ثم لم يلبث أن مات بين أيديهم .. فذكروا ما حدث لرسول الله صلى الله عليـــه وسلـــم فقال : انه لمن أهل الجنة ..

لقد انجلى غبار معركة احد ، ولم يكد كفار قريش ينتزعون النصر في اعقاب هزيمتهم حتى ولوا مدبرين خوفا من ان يكر عليهم المسلمون مرة اخرى فتنقلب الموازين كما انقلبت مرتين منذ بدء المعركة ، فقد رأوا ان النصر قلب ، وقد تتحول الامور الى غير ما يهوون ، وهم ادرى بقـــوة المسلمين وجلدهم بعد ان خاضـــوا غمار معركتين معهم ، وذاقوا بأس لقائهم ، وقوة شكيمتهم ..

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الاخبار يستعـــد لجولة اخرى لتجبـــر ما حدث لولا رحيلهم العجل ، فقد ارسل ــ صلى

الله عليه وسلم ـ الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ـ فلما وافاه قال له : اخرج في اثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان تركوا الخيل وركبوا ظهور الابل فانهم ذاهبون الى مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدوننا مرة اخرى بالمدينة ..

ثم يتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجاعة وثبات : والذي نفسي بيده لئن ارادوها ، لأناجزنهن .. ولسوف ينصرني الله عليهم .

ويقول علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ : خرجت في اثارهم فرأيتهم يحثون السير ، وقد اعتلوا ظهور ابلهم واطلقوا العنان لافراسهم تعدو في الوادي امامهم ، فرجعت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بالخبر ..

وقبل ان نترك ميدان المعركة ، او نطوي صفحتها او نجاوزها الى غيرها نستعرض بعض مشاهد ختامها .

عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب في اعقاب المعركة وقبل ان ينجلي غبارها ، حاول امية بن خلف ان يهجم عليه وهو يقول : لا نجوت ان نجوت يا محمد ، فقال القوم من اصحاب الرسول ايعطف عليه رجل منا يا رسول الله ؟. فقال صلى الله عليه وسلم :دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حربة من الحارث بن الصمة ، ويقول بعض القوم الذين شهدوا الموقف ، فلما اخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير ـ اذا انتفض بها ـ والشعراء ذباب له لدغ ـ ثم استقبل أمية بن خلف بالحربة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه هرارا ·ولأمية قصة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقد كان عندما يلقاه بمكة وكان من اشد الناس كفرا يقول : يا محمد ، ان عندي « المعوذ » وهو فرس سريع العدو ..

ويتابع امية حديثه الى الرسول : اعلفها كل يوم فرقا من ذرة ، وسوف اقتلك عليه ، فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بل انا الذي اقتلك ان شاء الله .. وعندما عاد امية الى قريش وقد خدشه بحربة الحارث بن الصمة ، وقد احتقن الدم في جسمه قال امية : قتلني والله كما وعدني ، فقال له القوم : ذهب والله فؤادك ، وما بك من بأس ، فقال امية لقد توعدني بمكة وانذرني بالقتل فوالله لو بصق علي لقتلني عندما اقتربت منه ثم مات من جرحه وهم في الطريق عائدون الى مكة ..

وهكذا نجد ان شجاعة الرسول لم تزايله في اشد اوقات الضيق ، كما لم تفارقه نظرته الصائبة للامور عندما بعث عليا رضي الله عنه لينظر في اثر القوم فاذا كانوا يستعدون لجولة اخرى لقيهم كما لم تفارقه فراسته وحدة ذهنه عندما قال له : اذا وجدتهم يعتلون ظهور الابل فهم يريدون مكة واذا رأيتهم يركبون خيلهم وافراسهم فهم يبطنون العودة للقتال وعلينا ان نستعد لهم ..

وفي اشد ساعات الحرج والضيق

لم ينس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحابته الذين استشهدوا في ساحة القتال فقال : هل من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ افي الاحياء هو ام في الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : انا انظر ما فعل سعد ،.. فنظر فوجده في الجرحى وبه رمق فقال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان انظر افي الاحياء انت ام في الاموات فقال سعد : انا في الاموات فأبلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عني السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : انه لا عذر لكم عند الله ان خلص نبيكم وفيكم عين تطرف قال الانصاري : ثم لم ابرح حتى مات فجئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته خبره ..

وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فقال حين رأى ما رأى : لولا ان تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطن السباع والطير ولئن اظهرني الله على قريش لامثلن بثلاثين رجلاً منهم كما مثلوا بسيد الشهداء فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب ويقول ابن عباس رضي الله عنه ، ان الله عز وجل انزل في ذلك قوله تعالى :

(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) النحل / ١٢٦و١٢٧ فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم امر بالقتلى يجمعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه مرة ثانية معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ..

وهكذا نجد وفاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفة ظاهرة وواضحة من بين صفاته الكريمة المتعددة فهو لا ينسى صحابته في أوقات الشدة يسأل عنهم ويتقصى اخبارهم فرغم البلاء الذي نزل بالمسلمين والكرب الذي حل بهم في هذا اليوم الا انه لم يهتم بنفسه قدر اهتمامه بصحابته والسؤال عما اصابهم ، كما كان بارا بأهله ، يدل على هذا حزنه على حمزة وصلاته عليه هذه الصلاة الكثيرة المتتالية كما كرمه لبلائه في الاسلام وتضحيته في سبيله بكل شيء فأطلق عليه لقب سيد الشهداء ..

ومن رأفته بأهله ما قاله لاصحابه عندما شاهد صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة رضي الله عنهما مقبلة نحو حمزة بعد ان استشهد حتى لا ترى ما حل به بعد ان مثلت به هند بنت عتبة زوج ابي سفيان لانه قتل أباها واخاها في معركة بدر ..

قال ابن اسحاق وقد اقبلت فيما بلغني – صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وقد كان اخاها لابيها وامها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها يا امه ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأمرك ان ترجعي فقالت : ولم ؟ وقد بلغني ان مثل بأخي وذلك في الله لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره بذلك قال : خل سبيلها فأتته فنظرت اليه واسترجعت واستغفرت له ، ثم امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم – فدفن ..

وكان موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجلده على ما الم به وما الم بأهله باعثا على الاسوة الحسنة بين المسلمين الذين اصابهم قرح في احد او غير احد او اصابهم مصيبة فقد عودهم الصبر والنظر الى السماء في انتظار الفرج والطمع في ثواب الله ورضاه ..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم – رواه عبد الله بن ثعلبة – لما اشرف على القتلى يوم احد قال : انا شهيد على هؤلاء .. انه ما من جريح يجرح في الله الا ويبعثه الله يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون الدم والريح ريح مسك ..

ثم يقول : انظروا اكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه امام اصحابه في القبر .. ان قيادة الامم امتحان صعب لمن يتولون زمام الامور ومن يصلون الى اماكن الصدارة فيها .. واذا كان هذا ينطبق على قادة الامم والشعوب فما بالنا برسول يرسله الله لتغيير المجتمع واعادة التوازن الى فكر الناس وحياتهم وارساء قواعد الحق والعدل وبث الطمأنينة وزرع السعادة في قلوب الناس جميعا ووضع حدود لقوة القوى بما له او جاهه او سلطانه وأمن الضعيف وتثبيت المذعور والخائف ..

لذا كان الامر بعد ان حدث ما حدث في « احد » وبعد ان استطاع المشركون ان يحرزوا نصرا هزيلا وان يفروا به ان يعيد الرسول – صلى الله عليه وسلم – الثبات الى قلوب اصحابه والا يجعل نصر بدر يذهب بددا ويضيع هباء او ان تعبث به رياح احد ..

لقد كان يوم احد يوم السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال اذن في الناس مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم – يطلب العدو .

وبهذا استطاع – صلى الله عليه وسلم – ان يرد كيد اعدائه الفرحين بما حل به وبأصحابه الى نحورهم وان يقضي على شماتة الشامتين وان يبدل شعورهم خيبة وحسرة وان يدفع المنافقين ليقضموا اصابعهم من الغيظ ، وأن يعيد الطمأنينة الى صحابته واتباعه ومن سار على درب الهدى والايمان في اثر نبيه الصابر الكريم .. وأذن المؤذن مرة ثانية ليقول للناس : لا يخرجن الى طلب العدو الا من كان معنا بالامس ، فالجهاد شرف لا يناله الا من سعى

اليه ..

فجاءه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ان ابي قد خلفني بالامس على سبع اخوات وقال : يا بني انه لاينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك بالجهاد مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على نفسي فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له الرسول فخرج معه وقد خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرهبا للعدو وليعرفوا انه خرج في طلبهم وانه لازال كما كان في بدر وعند اول النصر في احد وانه يستطيع ان ينازلهم حتى بعيدا عن المدينة وقريبا من ديارهم ... وعسكر برجاله في « حمراء الاسد » وهي من المدينة على ثمانية اميال واقام ثلاثة ايام الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة وقد مر به وهو هناك معبد بن ابي معبد الخزاعي وكانت خزاعة رغم أنهم لم يدخلوا في الاسلام بعد الا انهم كانوا يودون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا لا يخفون عنه شيئا فقال معبد لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يا محمد اما والله لقد عز علينا ما اصابك ولقد وددنا انتصارك عليهم .. ثم قال : ان قومي وان كانوا على غير دينك الا اننا كنا نود انتصارك عليهم بعد ان ملئوا الارض فسادا ورجسا .. وسار في طريقه بعد ان ترك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلقي ابا سفيان ومن معه من جند المشركين بالروحاء وكانوا قد استقر رأيهم على العودة للقتال فقد اعتقدوا انهم قد انزلوا ضربة موجعة بالمسلمين وان العودة لقتالهم افضل من الانتظار وقد تشاوروا فيما بينهم وقالوا : لقد اصبنا اصحابه واشرافهم وقادتهم ثم نرجع ونكر عليهم ونستأصل شافتهم قبل ان يستعدوا لقتالنا مرة اخرى ولكن ابا سفيان عندما رأى معبدا قال له : ما وراءك ؟

قال معبد : محمد قد خرج يطلبكم في جمع من اصحابه لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد خرج معه من كان قد تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم الشيء الكثير .

قال ابو سفيان : ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .. قال لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال له معبد : اني انهاك عن ذلك والله لقد حملني على ما رأيت الاخلاص والوفاء لك وكان يقصد من هذا صرفه عن قتال المسلمين فثنى ابا سفيان عن عزمه والقى الرعب في قلبه حتى ان ابا سفيان عندما مر به ركب عبد القيس قال لهم : اين تريدون ؟ فقالوا نريد المدينة ولما سألهم عن السبب اخبروه انهم يريدون الميرة اي الطعام او الحبوب التي يصنع منها الدقيق والطحين فطلب منهم ابو سفيان ان يبلغوا عنه محمدا رسالة ومقابل هذا سيحمل رواحلهم هذه بأحمال من الزبيب من عكاظ .

ولما سألوه عن الرسالة قال : اذا وافيتموه فأخبروه اننا قد قررنا السير

اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بحمراء الاسد فأخبروه بما قال ابو سفيان فعرف ما وراء الرسالة وهو ان ابا سفيان يود اخافته ولكنه لا يستطيع العودة فليس هناك من الاسباب ما يدعو عدوا محاربا ان يقول هذا فالحرب خدعة ومفاجأة متى استطاعهما الجيش المحارب مهد لنفسه سبيل النصر في أغلب المعارك .

ولما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى المدينة وكان عبد الله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة قد سره ما حدث واثلج فؤاده انتصار اعداء الدين وكان يظن انها المعركة التي ينتهي فيها شأن الاسلام وانه لن تقوم له قائمة بعدها .. وعندما رجع الرسول من بني اسد قام عبد الله ابن ابي بن سلول كما كان يقوم كل جمعة في قومه وبعد ان ينتهي صلى الله عليه وسلم من خطبة الجمعة ليقول : ايها الناس هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين اظهركم اكرمكم الله واعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوا .

وبعد ان صنع يوم احد ما صنع وعاد بثلث الجيش وامتنع عن القتال قام يفعل ما كان يفعل كل جمعة فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت .. فخرج يتخطى رقاب الناس في المسجد وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا – اي شرا لقد قمت لاشد ازره – يقصد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد وقد بان عليه الغضب فقال له : مالك ؟ ويحك فقال عبد الله بن ابي : قمت اشد امره – اي اؤازره وانصره وادعو له فوثب على رجال من اصحابه يجذبونني من ثوبي ويعنفونني .

قال له الرجل الانصاري : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما ابتغى ان يستغفر لي .

وقد يتساءل سائل عن صبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – على المنافقين وهو قادر على البطش بهم والضرب على ايديهم وقد نقول انه صلوات الله وسلامه عليه قد ارسل هاديا ولم يرسل منتقما ولا جبارا يقضي على كل من يعارض او يقف في طريقه والا لنفر الناس منه وفي اكثر من موضع يوصي الله عز وجل رسوله الهادي بالصبر وسلوك السبيل المحبب الى نفوس البشر قائلا عز من قائل :

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل / ١٢٥ .

قال ابن اسحاق : كان يوم احد يوم بلاء ومصيبة ويوم تمحيص اختبر الله سبحانه وتعالى به المؤمنين واظهر به المنافقين ممن كان يظهر الايمان لسانه وهو متخف بالكفر في قلبه ، وبما اكرم الله فيه من اراد كرامته بالشهادة من اهل ولايته .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

المستشرقون

ارسل الاخ فايز أبو شيخة ـ الكويت ـ كلمة للشباب فيها دعوة وموعظة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد

قدم المستشرقون من بلاد شتى بثقافات مختلفة ومشارب متعددة وقد سيطرت عليهم فكرة مؤداها ان الشرق يغط في نوم عميق وتسهل السيطرة عليه لذلك نراهم قد اندفعوا متسلحين بكل الاسلحة العلمية الحديثة ودخلوا بلاد الشرق المسلم وخالطوا ابناءه وشاركوهم حياتهم اليومية وعرضوا افكارهم على البسطاء منهم وبعض المثقفين فجرف تيارهم فئة تاهت عجبا بما انجزه الغرب ونسوا اوتناسوا تاريخهم العظيم ومجد اسلافهم الافذاذ وتراثهم الهائل الذي اسهم بشكل فعال في تكوينهم وتوجيههم الوجهة الطيبة الصادقة وبنى لهم دولتهم التي طاولت بجاهها السحاب . وضربت بنهضتها المثل تلو المثل لجيلها وللاجيال من بعدها وما ارتقت كل هذا الارتقاء الا لانها اسست على التقوى وبنت مجدها على هدى من كتاب الله وسنة رسوله لم تلعب بها الاهواء ولم تشدها المفاتن والاعراض الزائلة .
ولكن انصراف المسلمين اليوم عن دينهم وتعاليم ربهم جعلهم فريسة لكل متنمر وغاصب فما اسهل ذلك ما دامت الساحة قد خلت من الرجال الذين تسلحوا بدينهم واصبح انصاف المتعلمين يتصدرون الصفوف .

في هذا الجو تنمو الافكار المنحرفة وتروج المذاهب الهدامة وتنشر الثقافات الملحدة ، وسط هذه الظروف الملائمة وجد بعض المستشرقين ضالتهم المنشودة فعاثوا في الارض فسادا يكتبون وينشرون ويجمعون انصارا استهواهم البريق

الخادع والامل الواسع ولكنه في الحقيقة سراب يراه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

والعيب ليس في المستشرقين فهم يخدمون مصالح بلادهم ويحققون اغراضهم انما العيب في تخاذلنا وجهلنا فلم نحافظ على شبابنا وهم رجال المستقبل وعدته وقادة نهضته ومسيرته فان كانوا قد نشئوا على ما صلح به جيلنا السابق سادوا واجادوا وان كان غير ذلك صاروا وبالا على قومهم وامتهم واصبحوا عوامل هدم وتدمير وتأخر .

فبدلا من ان تكون امة قوية صامدة تضرب المثل الدال على قوتها وعزها في كنف الاسلام تفتخر بمجد زائف يزول ويتحطم امام اي زحف مهما كان ضئيلا .

وديننا يحذرنا بشدة في حرص وحسن رعاية يقول الله سبحانه :

« يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يرد وكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

فهل من صحوة وعودة لديننا حتى نكون جديرين بخلافة الله في الارض ؟

خصال حميدة

أرسل لنا الأخ عبدالجواد محمد الخضري كلمة حول الروابط الاجتماعية واثرها الفعال وحسن المشاركة عند حدوث نبأ سار وذلك تأكيدا على ما يدعو اليه الاسلام من دوام الشكر لله سبحانه على نعمه .

تلك كلمة تذكرنا بما نسيه المسلمون وهجره الناس في مجتمعنا المعاصر من خصال طيبة واننا ندعو الشباب ان يعيشوا مع هذه النسك وينشئوا ابناءهم على حبها والى الشباب هذه الكلمة .

حين ننظر الى الاسلام بين الأنصاف والمنهاج التجريبي ، ندرك ولأول وهلة أن قيم التشريع لم تترك أي باب إلا طرقته ـ مادام يتعلق بالانسان مع ربه أو بالانسان مع مجتمعه ـ ولعلك ترى أن الفقه الاسلامي زاخر بالمكنونات ، عبادات ومعاملات تشريعات وحدود ، أما الأطعمة فقد أفرد لها بابا خاصا لأنها قوام الانسان ونلتقي هنا مع نسيكة من نسك الله تعالى ، هجرها مجتمعنا المعاصر ونسى الناس وما أحسبهم إلا متناسين « العقيقة » التي هي محط آمال الفقراء الذين لا يجدون إلى كسب القوت حيلة ولا يستطيعون سبيلا ، لا أستطيع أن أقول شيئا إلا التبيان حتى يعلم من يريد العلم ـ أن كل شعيرة من شعائر الله لها سر خفي عنا ، وربما لو علمناه لتعجبنا ، على سبيل المثال .. يشتكي الناس من غلاء سعر اللحوم ! نعم ، ولولا أن الحق تبارك وتعالى عوض الانسان بالبروتين النباتي لما أمكن أن يعيش ولخارت قواه .. وماذا على المسلمين لو علموا أن كل مولود من الأغنياء من السنة أن يذبح عنه وليه ذبيحة ويوزعها على الفقراء

أو يطعمهم في وليمة عنده .. هل يبقى أحد من الفقراء يحس طعم الفقر وألم الجوع ؟ لا ورب الكعبة .. زد على ذلك ان الاغنياء ضنوا حتى بالاضاحي وعندنا في مصر تكاد تنقرض هذه السنة إلا في الأقاليم .. وكلي أسف على هذا الحال المخزي ثم أجد القلم يسيل بلعابه ليخط لعل وعسى ، وكأنني أرى الخلق يودعون الشعائر !! قلق بالغ أحسه وهيهات !! وأيا ما كان الأمر فان العقيقة تحفظ على المجتمع الانساني حبه وتعيد اتزانه على أقوم نسق ..

العقيقة لغة ــ أي عند علماء اللغة ــ اسم للشعر على رأس المولود حين ولادته وشرعا : الذبيحة عن المولود يوم سابعه ــ ذكرا كان أم أنثى .

وتكون في اليوم السابع من حين الولادة ، ولو فعلت قبل الولادة فليست من السنة في شيء بل تكون للافتخار ليس إلا !

ودليلها واضح من السنة النبوية :ــ

فعن سمرة رضي الله عنه ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلى ويسمى ــ رواه احمد والأربعة .

ومن هذه العجالة السريعة نتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم سن شاة عن الغلام ذكرا كان أم أنثى وسن ايضا شاتين عن الغلام وشاة عن الأنثى فما علة ذلك وهل هناك تعارض بين الروايات ؟! لقد وقف علماء الاسلام من الفقهاء مواقف شتى منها (أ) انه يعق عن الغلام بضعف ما يعق عن الجارية واستدلوا بالحديث الوارد عن عائشة وقووا رأيهم ، وعاضدوه برواية ابن عباس من طريق عكرمة بلفظ كبشين كبشين ــ أعني عن الحسن والحسين ! وإلى هذا الرأي ذهب الشافعي وأبو ثور وأحمد وأصحابه ، وذهب مالك إلى أنه يجزيء عن الذكر والأنثى عن كل واحد شاة للحديث الوارد عن سمرة (سبل السلام) .

ويرى الخطيب الشافعي أن أصل السنة أن يعق بشاة ، وما أراه إلا مخالفا لجمهور الشافعية كما أورد صاحب سبل السلام ، ولو أنه علم أن الرواية أتت بلفظ كبشين كبشين لحلل رأيه ــ على العموم فصل ابن القيم رحمه الله تعالى ــ فقال : إن العقيقة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديث الشاتين من قوله وقوله عام وفعله خاص وهي متضمنة الزيادة فكان الأخذ بها اولى .. هذا ما أورده (زاد المعاد ج ٢ ص ٣ ط المطبعة المصرية ــ القاهرة) .

« حكم العقيقة مثل حكم الأضحية الشرعي »

وهي سنة مؤكدة للأحاديث الواردة فيها وإلى هذا الرأي ذهب جمهور العلماء .

تلك هي أحكام العقيقة ولأن اللغة تجبرنا أن نجد موضعا لنلحقها بالشارع فان الأمام الزمخشري أغنانا عناء البحث بقوله : العقيقة في الأصل للشعر على رأس المولود ، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم ليبين اعجاز التشريع بقوله في الحديث الشريف .. يافاطمة :.. احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضـــة على المساكين) ولابد ان نتأمل موقف الاسلام من عناء الحياة تجاه المحتاجين ــ ان الفقير لو اخذ حقه من الأغنياء لما سمعنا انينا وسخطا على الدنيا ومن فيها !!

جنود على طريق الهجرة

بقلم : صلاح احمد الطنوبي

إن الهجرة من مكة الى المدينة تعد من الأحداث الفاصلة في تاريخ الدعوة الاسلامية ، فهي نهاية لعهد تعرض فيـه المسلمـون الأولـون لألـوان الاضطهاد والأذى فما ضعفوا وما استكانوا وبداية لعهد جديد نصر الله جل جلاله فيه الاسلام على أعدائه نصرا عزيزا مؤزرا ، حيث خاضت القلة المؤمنة حروبا عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما أجدت كثرة المشركين

وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم ، لتصبح كلمة الله تبارك وتعالى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

اختار المصطفى صلى الله عليه وسلم لمرافقته في رحلته الكبرى ابا بكر الصديق (رضي الله عنه) دون سائر أصحابه فكان اختيارا موفقا ، لان ابا بكر (رضي الله عنه) أصلح الصحابة للقيام بهذه المهمة ، وتاريخ أبي بكر قبل الاسلام وبعده يؤيد ترشيح الصديق لهذا الاختيار النبوي الكريم ..

أبلغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) امر الهجرة الى أبي بكر رضي الله عنه تلميحا لا تصريحا ، فلما أذن لأصحابه ان يهاجروا من مكة الى المدينة طلب أبو بكر (رضي الله عنه) منه أن يأذن له في الهجرة ، فأمهله صلى الله عليه وسلم قائلا :

« لا تعجل يا أبا بكر لعل الله يجعل لك صاحبا » .

وفهم الصديق (رضي الله عنه) من هذه الجملة انه قد يصاحب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هجرته ، فاستعد وجهز راحلتين تنقلانه هو والرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، فلما أذن الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة واخبر ابا بكر (رضي الله عنه) بذلك فاضت دموع الصديق من فرط السرور ، واخذ يقول : « الصحبة يا رسول الله ، الصحبة يا رسول الله » فقال صلى الله عليه وسلم : « الصحبة يا أبا بكر » فبكى ابو بكر من شدة الفرح ، وخرجا سرا في ظلام الليل الى غار ثور .. ولقد جد الكفار في البحث عن محمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه (رضي الله عنه) إلى أن وقفوا على باب الغار ، فقلق أبو بكر خوفا على حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وقال له : « لو أن احدهم نظر الى قدميه لأبصرنا » فقال النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم) « يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

فهدأت نفس ابي بكر (رضي الله عنه) وعادت الى قلبه الطمأنينة ، وقال الله جل ثناؤه :

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة / ٤٠ .

اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه :

كانت المؤامرة التي دبرها الكفار ان تقوم مجموعة من قريش تتألف من كل عشيرة فيها ، بحيث تنتدب عنها شابا فتيا ويعمد هؤلاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فيضربونه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتوزع دمه في جميع العشائر فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم ، فلما كانت الليلة التي عزموا فيها على تنفيذ المؤامرة تربصوا قرب داره ، منتظرين الفرصة الملائمة لاغتياله ، فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ان ينام على فراشه قائلا : « نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » . ودعا الله عز وجل أن يعمي ابصارهم فخرج صلى الله عليه وسلم ، وقد غشيهم النوم ، فوضع على رؤوسهم التراب :(**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) يس / ٩ .

قال المرحوم عباس العقاد في تحليل شخصية الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) : « آداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة ، كانت القوة طبعا في على فطر عليه وأدبا من آداب الأسرة الهاشمية نشأ فيه ، وعادة من عادات الفروسية العملية التي يتعودها كل فارس شجاع » .

عبدالله بن ابي بكر (رضي الله عنهما)

وكان دوره هو استطلاع اخبار قريش بمكة ، والوقوف على رد الفعل الذي احدثه خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) سرا ، وما عسى ان يدبره زعماؤها لوقف مسيرته ، وبذلك يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم وابو بكر (رضي الله عنه) على بينة مما يحاك خلفه من مؤامرات ، فيستطيع ان يتقيها ، ويبلغ مأمنه في طيبة (المدينة) .

أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) :

وكان دورها (رضي الله عنها) في الهجرة أن تأتي النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه (رضي الله عنه) بالماء والزاد وهما في الغار ، وظلت (رضي الله عنها) على ذلك ثلاث ليال متعاقبة تقتحم الصحراء الموحشة في رهبة الظلام ، وهي غر صغيرة ولا تبالي العيون والأرصاد التي تبعثها قريش في الطريق من مكة الى المدينة ، لتظفر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) .. ولما هم الصاحبان بالرحيل الى المدينة جاءتهما اسماء (رضي الله عنها) بما يحتاجان اليه في رحلتهما من زاد وماء ، وهمت بتعليقه في رحل البعير ، فلم تجد رباطا ، فحلت نطاقها وشقته نصفين ، ربطت بأحدهما الزاد ،

وانتطقت بالآخر ، فقال لها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) « أنت ونطاقاك في الجنة » وسميت بعد ذلك « بذات النطاقين » .

عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) :

ولقد شاركت اسماء دورها الخالد في الهجرة اختها عائشة (رضي الله عنها) – كما تروي معظم كتب السيرة – وكانت لا تزال طفلة دون العاشرة فخاضت بذلك تجربة اكبر من سنها الصغيرة ، مما اكسبها نضوجا فكريا ونفسيا مبكرا اتاح لها القيام بادوار كبرى في مستقبل حياتها .. ولقد كان اقتحام ابنتي الصديق (رضي الله عنهما) ظلمات البيداء حاملتين لابيهما وصاحبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حاجتهما من الماء والطعام ، غير مباليتين بما قد يصيبهما من اذى ، بلاء أي بلاء ، وجهادا اجل جهاد .

عامر بن فهيرة (رضي الله عنه) :

وكانت مهمته في الهجرة مهمة مزدوجة ، ان يرعى غنم ابي بكر رضي الله عنه نهارا ، فاذا امسى قصد الى الغار ، واحتلب للنبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (رضي الله عنه) .. وأن يتبع بالغنم مسار عبدالله بن أبي بكر بعد عودته من غار ثور الى مكة ، فيعفي على ما تركته أقدامه من آثار في رمال الصحراء .. قوة إيمان وصدق عقيدة .

دليل الهجرة « عبدالله بن أريقط » :

ان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم والصديق (رضي الله عنه) لعبد الله ابن أريقط الديلمي (وهو رجل من كفار قريش) ليكون دليلهما في الطريق الى طيبة (المدينة) ليدل على حسن الاختيار ، لان ابن أريقط قد سلك بالنبي « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه « رضي الله عنه » طريق الساحل ، الأمر الذي لم يرد على خاطر قريش ، اذ لم يكن طريقا مألوفا في ذلك الحين ..

وثمة شرطان اساسيان للاستعانة بخبير من غير الملة :

اولهما : ان يكون موثوقا به .
والثاني : ان يكون اختياره حتميا بمعنى الا يوجد من اهل الملة مثيل له وقد توافر هذان الشرطان في عبدالله بن اريقط ، اذ يقول كتاب السير : انه كان كافرا ، لكن النبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (رضي الله عنه) وثقا به ، وكان دليلا بالطرق ، وجاء في الحديث الصحيح :

« انه كان هاديا خريتا اي حاذقا يعرف مضايق الطرق » لذلك دفع الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (رضي الله عنه) راحلتيهما اليه ، واستأجراه ليدلهما الى طيبة (المدينة) .

الهجرة النبوية الشريفة

للدكتور : أحمد حسنين القفل

ما بالُ مكةَ زُلزلَتْ زِلزالَها ... والأرضُ فيها أخرجتْ أثقالَها
والناسُ فوضى ، والمشاعرُ سُعِّرتْ ... وقلوبُهم شتّى . تُرى ما هالَها ؟
ماذا دهاهُم ؟ قد تناثَرَ عِقْدُهُمْ ... حبّاتُه انصدعَتْ ، ولا رأْبَ لها
أوثانُهم تلك التي فُتِنُوا بها ... باتَت بَوارًا ، يتّقون زَوالَها
هاجُوا وماجُوا شاهِرين سُيُوفَهم ... خانُوا العُهودَ حَرامَها وحَلالَها
السَّيْلُ قد بلغَ الزُّبَى في مكةٍ ... ماذا ألَمَّ بها فغيَّرَ حالَها

هو ذلك « الأُمّيّ » يَدعُو جاهدًا ... « اللهُ لا نِدٌّ له » قد قالَها
وَحْيُ السماءِ عليه ينزلُ مُنذرًا ... لا تُعبَدُ الأصنامُ ، بل تبًّا لَها
هو ذلك « الدينُ الجديدُ » تارَقَتْ ... منه الجُنُوبُ ، ونالَها ما نالَهَا
دينٌ تساوى الـ[illegible] ... [illegible]ــون والأجناسُ لا وَزْنَ لَها
[illegible] . هي التقوى تُميِّزُ أهلَه ... والفضلُ فيه لمن تَفَيَّأَ ظِلَّها
دينٌ : هي الشورى دِعامَةُ حكمِه ... دُستُورُه القرآنُ سَجَّلَ فَضْلَها
والمسلمون غدَت تزيدُ جُمُوعُهم ... في « دارِ أرقَمَ » باشَرتْ أعمالَها

كفارُ مكةَ إذْ تَناجَوْا أقسَمُوا ... أن يُنقِذُوا الأصنامَ مِمّا نالَها
وغَدَوْا على حردٍ يُحرِضُ بعضُهم ... بعضًا على مَنْ باتَ مُحتَقِرًا لها
أتباعُ « أحمدَ » أصبحُوا هدفًا لهم ... كم من نفوسٍ قطَّعُوا أوصالَها
هذا « بلالٌ » أحكمُوا تعذيبَهُ ... فَرْدٌ تحدَّى عُصبةً وضَلالَها
اللهُ مَولَى « آلِ ياسر » إذ هُمُو ... قد أُزهِقتْ أرواحُهم طوبى لَها
كَمْ من شهيدٍ مؤمنٍ ذاقَ الرَّدَى ... من طُغمةٍ إبليسُ قادَ عقولَها

حتى أتى أمرُ السماءِ بهجرةٍ ... للمسلمين ليثربٍ، فمشَوْا لَهَا
خرجُوا ثباتٍ مؤمنين بدينهم ... والكافرون - وبالأسَى - فَطِنُوا لَهَا
فتآمَرُوا وتجمَّعُوا كي يَقتلُوا ... « عَلَمَ الهُدَى » في دارِه أو حَوْلَهَا
و « عليٌ » يَكمنُ في فِراشِ « محمدٍ » ... في جُراةٍ كانَ الفِداءُ سبيلَهَا
خرج النبيُّ عليهمُو فاذا بهم ... في غفوةٍ من نومة يُرْثى لَهَا
صَحِبَ النبيُّ « صديقَه » في رحلةٍ ... لازالت الدنيا تُردد فَضْلَهَا

في « غَار ثورٍ » قد حماهُ إلَهُه ... من عصبةٍ للشرك قصَّ حِبَالَهَا
هذى « الحَمَامَةُ » قد أقامت عُشَّهَا ... بالباب . ما أحدٌ إذَنْ قد نَالَهَا
و «العنكبوتُ» نسيجُها يَحكي لهم ... أنَّ الاقامةَ فيه لا مَعنَى لَهَا
والله « ثالثُ » صاحبينْ تآلَفَا ... في الغار يحمِي النفس يُصلح بَالَهَا
يا « غارَ ثورٍ» كنت لُغزًا صامتا ... بل آيةً تُروى بِلا مَثَلٍ لَهَا

وقريشُ ماجَتْ ، بلِ وجُنَّ جُنونُها ... أغرتِ « سُراقةَ » أن يكونَ دَليلَهَا
أوصتهُ أن ينسَابَ خَلْفَ « محمدٍ » ... ليَرُدَّهُ قَسْراً فتَشفِيَ غِلَّهَا
مهلا «سراقةَ» ! إنه «خيرُ الورى» ... فَهْوَ ابنُ بَجْدتِهَا ومن يُرجَى لَهَا
واللهُ عاصمُ « عبده » قد صَانَهُ ... في كل ضائقةٍ يَمرُّ خلالَها
غاصت قوائم مُهْرة لسراقة ... ما خَطْبهَا ؟ شَدَّ الالٰه عِقالَها
« أنصت سراقةَ : سوف تُمنَح أجلاً ... من مُلْكِ كِسْرَى منحةً تَرضَى لهَا
ستكونُ يومًا ضمن جيشٍ مسلمٍ ... تمشى لنصرتِهِ غدًا تَسعَى لهَا »
يا دهرُ أنصتْ ! ياصَحارَى سجِّلِي ... بُشْرى « أمينٍ » واثقٍ قد قالهَا
والفارسُ المغوارُ يرجعُ هائمًا ... نفسٌ بهَا شيطانُهَا يُمْلِي لهَا
هان الرهانُ . وعاد تألَمُ نفسُه ... من فعلةٍ هدَّامةٍ، تَعْسًا لهَا

هذا « رسولُ الله » جاء ليثربٍ ... والله أوصَل بالرسول حِبالَهَا
صار المُهاجرُ « للمقيم » أخًا لهُ ... والكل أعطَى للرسالة مالَها
والنصرُ أضْحَى حِلْفَ قومٍ بايَعُوا ... ربَّ الحَنيفَةِ أن يَظَلُّوا حَولَهَا

شمسُ الحقيقةِ أشرقت من يثربٍ ... فأضاءت الدنيا جميعًا كُلهَا
والله قَيَّضَ للحنيفةِ هجرةً ... مهما أقولُ فلن أُوفِّ فضلَها
والمسلمون بَدَا بها تاريخُهم ... ذكرَى جهادٍ مثمرٍ يُعزى لهَا
طوبَى لرائدِهَا محقِّقِ فَضْلِهَا ... طوبي لنفسٍ حَطَّمت أغلالَهَا
اللهُ مَوْلى المؤمنين يُعزُّهم ... لكنَّ دارَ الكفرِ لا مَوْلَى لهَا
اللهُ أقسَمَ أن يتمَّمَ نورَه ... للمسلمينَ كامةٍ أوْحَى لهَا
أوْحَى لهَا القرآنَ دستورًا لهَا ... يُثرى ويُصْلِحُ دائمًا أحوالَهَا



المرأة المسلمة

في كلمة ا لتها الاخت سعاد صبحي شحاته من الأردن نقتطف منها ما يلي :

يقولون المرأة نصف المجتمع بل هي المجتمع بكامله .

فعلى المرأة تقع مسؤولية تربية الأولاد والبنات الذين هم عماد المجتمع وشباب المستقبل فاذا اعتنت المرأة بتربية اولادها وربتهم تربية اسلامية صحيحة شبوا افرادا صالحين في مجتمع صالح والا كانوا وبالا على مجتمعهم وسببا من اسباب فساده وانهياره .

ولهذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختيار الزوجة الصالحة ، قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » متفق عليه تربت يداك : أي ملئت يداك خيرا .

وقال عليه الصلاة والسلام « الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة » رواه مسلم فأول شيء يفعله المسلم عند اختياره شريكة حياته هو اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين لان الدين باق مع الانسان وملازم له بعكس المال والحسب والجمال . وقد جعل الله تعالى قوامة البيت للرجل دون المرأة لانه اقوى بفطرته على ادارة شؤون البيت قال تعالى « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** » سورة النساء آية/٣٤ .

والمرأة في بيت زوجها تكون مطيعة له الا اذا امرها بمعصية الله تعالى فلا سمع ولا طاعة .

وتعلم أولادها الدين وتقرأ عليهم القرآن وتحفظهم اياه وتعلمهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان احد العلماء يقول تعلمت نصف علمي من امي كانت تقرأ علينا كل يوم من القرآن والحديث .

ويجب عليها أن تعتني ببيتها وتحافظ على نظافته وتهيىء أكبر قدر من الراحة لزوجها وأولادها وتهيء لهم الطعام والشراب وتنظف ملابسهم ولا تفرق بينهم في المعاملة .

قال عليه الصلاة والسلام « المرأة راعية في بيت بعلها وولده » مسلم .

وتحافظ على أمواله وأولاده وعلى نفسها سواء في حضوره أو غيابه ولا تأذن لأحد في بيتها إلا باذن زوجها قال عليه الصلاة والسلام « ألا ان لكم على نسائكم

حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

والمرأة المسلمة لا تحمل زوجها ما لا يطيق من المصروف البيتي ومن الانفاق على لباسها وزينتها بل تعرف ماهية زوجها وتتصرف في مالها ومال زوجها بالحكمة من غير إسراف ولا تقتير .

وليس أغلى على الانسان من عرضه فيجب عليه أن يحافظ عليه أكثر من ماله وجواهره وليس هناك مكان أنسب ولا أفضل للمرأة من البيت تجلس فيه مع أولادها وبناتها .

ولكن إذا اضطرت المرأة للخروج من البيت فتخرج باذن زوجها فقد كانت النساء في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجن لحضور الصلوات وللعلم والجهاد ولزيارة اهلهن فاذا خرجت المرأة لسبب من الأسباب فلا تخرج متعطرة متبرجة بل تخرج محتشمة بلباس الاسلام .

قال تعالى « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** » الآية ٣١ من سورة النور .

إذا اضطرت المرأة للعمل فتعمل في مكان بعيد عن الاختلاط بالرجال الأجانب وعدم الخضوع واللين في الكلام قال تعالى « **يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** » الاحزاب/ ٣٢ وعلى المرأة أن تبتعد عن الغيبة والنميمة لأن هذا الشيء تقع فيه كثير من النساء فاحذركن واحذر نفسي منه .

اما بالنسبة لما على الزوج من حقوق فعليه أن يعتني بزوجته [illegible] المسكن والملبس والطعام والدواء قال الله تعالى « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » سورة البقرة آية/٢٢٣ .

اما اذا كانت المرأة جاهلة في دينها فعلى الزوج أن يعلمها الدين والصلاة وقراءة القرآن وذكر الله تعالى لانه مسؤول عنها امام الله تعالى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « والرجل راع على أهل بيته » مسلم .

فلماذا يغضب الرجل من زوجته إذا لم تقم بخدمته وطاعته ولا يغضب منها إذا تركت أمر الله تعالى فهذا شيء بعيد عن الصواب وسيحاسب عليه .

فكان أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتعلمون من رسول الله ثم يعودون إلى بيوتهم يعلمون زوجاتهم وأولادهم .



محاولة لوقف انتعاش الحركة الاسلامية

نشرت مجلة الرائد الهندية التي تصدر عن دار العلوم – ندوة العلماء – كلمة تحت هذا العنوان للشيخ واضح رشيد الندوي جاء فيها :

في مستهل العام الأخير من القرن الرابع عشر ثارت ضجة في العالم ، وتكثفت تكهنات وتنبؤات حول ما يحمل القرن الخامس عشر للعالم الاسلامي ، وشغل هذا السؤال اذهان الكتاب والمفكرين وعامة الناس . وكان فيهم [illegible] [illegible] ين ، وفيهم من كان يحاول ان يجعل هذه المسألة وسيلة للكيد ضد الاسلام والمسلمين .

وقد صادف انقضاء القرن الرابع عشر بوادر يقظة في المسلمين بنمو الادراك فيهم بأنهم اضطهدوا وخدعوا وأهينوا في ستار الثقافة والعلم ، والحضارة والتقدم والحرية ، وأنهم خسروا من قيم الحياة ، ومن شرف الانسان وحرية الذات ، واذيبوا في مصاهر مختلفة وتعرضوا للدعاية الحاقدة والتشويه بقوة السلاح في ظل نظم عميلة ، وطبقة مثقفة مأجورة ، فاقدة الضمير .

كان هذا الشعور قد تطور خلال سنين طويلة من الارهاب والاضطهاد والموقف المعاند للاسلام والمسلمين في سائر أنحاء العالم وحملة الدعاية الكاذبة للنمط الاسلامي للحياة وطبيعة الاسلام ، وتصوير المسلم تصويرا يخيف الانسان بشكله وبنواياه ، وبطريقة حياته ، بحيث أنه لو سمح له بأن يتحكم في أمور الحياة فانه سيعود بها إلى عهد الهمجية ويريق الدماء ، ويسلب حرية الانسان ويمحو آثار الحياة ، وتعود الحياة إلى عهد الجمال والرمال وتلقي سائر الفلسفات والمذاهب الفكرية والعقائدية وذخائرها في البحر أو تحرق .

كان تصوير الاسلام والمسلمين هذا التصوير البشع ، الذي يتناقض مع تاريخ الاسلام ومع حياة المسلمين

تناقض النار والماء ، بأقلام رجال درسوا التاريخ والعلوم الأخرى ، ووصلوا إلى مناصب الاعلام والتربية والتثقيف بقلوب حاقدة ، مفعمة بروح الانتقام لتتلمذهم على جيل أساتذة كانت تحركهم وتحرقهم الدعاية الصليبية والصهيونية والوثنية ، التي نمت وتطورت خلال عهد انحطاط المسلمين وتداعي كيانهم ، وخلال العهد الأخير من الحكم الاسلامي في مختلف أجزاء العالم ، ظل الاسلام والمسلمون خلال هذه الفترة كلها في قفص الاتهام دينامفترى عليه .

فلما تصعدت الجهود لنهضة المسلمين نتيجة لما عانى المسلمون من إرهاب وتذليل ، وقهر وتشويه علمي ، وثقافي بأيدي الحكام الأجانب وأيدي المرتزقة من حكامهم المسلمين ، وحاول المسلمون أن يستعيدوا شرفهم وطالبوا بحقوقهم المدنية المشروعة في البلاد التي يعيشون فيها بموجب دستور البلاد ، وبدأوا نشاطات دستورية لرفع كلمتهم وليعيشوا كمحدة ذات شخصية ، بحقوق دستورية ، ويصونوا لغتهم وثقافتهم ، خافت القوى التي صورت الاسلام والمسلمين تصويرا بشعا ، أن يعود للاسلام مجده ، وأن يصفو جوه ، ويظهر وجهه النقي النزيه ، فتجذب إليه القلوب ، وتميل إليه النفوس ، ويصبح الاسلام دينا ونظاما للحياة ، يقبل عليه الناس بعد ما يئسوا من سائر الأنظمة والفلسفات التي اختلقها الغرب وفرضها على العالم بقوة السيف ، والدعاية والاعلام المضلل والتلفيق .

لقد خضعت الانسانية طويلا للصوص الانسانية ، لجبابرة مسحوا وجه الانسانية وداسوا شرفه في كل بقعة من بقاع العالم ، وجعلوه سلعة تباع وتشترى ، وعبدا مملوكا مسلوب الارادة لا يتمتع بحرية العقيدة ، وحرية الثقافة ، يفرض عليه حتى اللغة ويفرض عليه اللباس والعقيدة وتفرض عليه الأفكار ، فلا يستطيع أن يقول ما في قلبه بل يقول ما يعلمه حكامه ومعلموه فيعيش كالببغاوات .

أليس ما يحدث في المعسكر الاشتراكي ، وفي المعسكر الرأسمالي مثالا لاستعباد الانسان ، استعباده جسميا ، واستعباده روحيا وفكريا .

لقد استعبد الانسان اليوم في سائر أنحاء العالم نظم استبدادية بشعاراتها وفلسفاتها ، وظهر زيف هذه الفلسفات وانكشف الوجه الحقيقي لهذه النظم ودعاتها لمن مر بتجربتها .

فلما نما الشعور والاتجاه الاسلامي في العالم ، وظهر على الأفق بريق جديد ، بشائر طلوع فجر جديد بعد ظلام حالك طويل ، وظهرت في بعض أنحاء العالم مؤشرات إلى هذا الاتجاه تجمعت القوى المعادية لصد هذا الزحف واستجمعت قواها وعبأت سائر وسائلها من الكيد ، والقمع ، والقوة ، لتحويل الانتباه ولوقف المسيرة الاسلامية ، ولارجاع عقارب الساعة إلى مطلع القرن الرابع عشر .

الاعلام الاسلامي في مؤتمر جاكرتا

نشرت مجلة الهداية التي تصدر في دولة البحرين كلمة عن مشاكل الاعلام الاسلامي جاء فيها :

لا شك ان انعقاد هذا المؤتمر الاسلامي العظيم وفي هذه الظروف بالذات كان اختيارا موفقا لاسيما والحملات الاعلامية العدائية في عالم الغرب تتصاعد يوما بعد يوم ، تظهر مدى ما يضمره اعداء الاسلام من حقد وطعن في عقيدتنا السمحاء هدفها تشويه مبادئها القومية والتشهير بالمسلمين .

فلقد تضافرت قوى الشر والطغيان من صليبية حاقدة وصهيونية ماكرة او شيوعية فاجرة للتصدي للمد الاسلامي الزاحف والوقوف أمام الحركات الاسلامية المتمثلة في هذا الوعي الاسلامي الذي شمل العالم شرقه وغربه .

اجل : التصدي لكل المحاولات الهدامة والحملات العدائية الظالمة من جهة ومن اجل دعم العمل الاسلامي في [illegible] المجالات وعلى جميع المستويات .

وادراكا لاهمية هذا المؤتمر وجدواه فقد بادرت رابطة العالم الاسلامي بوضع الترتيبات والاتفاق مع جمهورية اندونيسيا المسلمة وهي المحاصرة بين قيادات مضادة وتتناوشها الديانات المختلفة والموجهة الى العالم الاسلامي خاصة من قبل اعداء الاسلام الذين يعملون دائما من اجل قلب الحقائق والتشنيع على المسلمين والتشويه على الرأي العالمي بترويج ترهاتهم وارجافاتهم للنيل من الاسلام والمسلمين .

واستجابة لمقررات المؤتمر التمهيدي للصحافة الاسلامية الذي انعقد في قبرص من شهر رجب ١٣٩٩هـ (يونيو ١٩٧٩) والتي نصت على انشاء امانة مؤقتة للصحافة الاسلامية في مكة المكرمة يكون احد مهامها الاعداد للمؤتمر الأول للاعلام الاسلامي .

وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى فقد عقد في جاكرتا المؤتمر الأول للاعلام الاسلامي العالمي الذي بدأ اعماله من صباح يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٠ هجرية الموافق ١ سبتمبر سنة ١٩٨٠م .

ويشاء العلي القدير ان يأتي هذا الاجتماع التاريخي الهام مع قرب مطلع القرن الخامس عشر الهجري وبعد ان اكتمل لوسائل الاعلام كافة امكانيات الاتصال المتقدمة لربط العالم الاسلامي فنيا . وتسهيل انتقال الكلمة والصورة وتحقيق التقارب والتفاهم والتعاون والاتصال .

وامام هذه المؤامرات والتحديات يفرض علينا واجبنا ان نعمل سويا ونتضامن ونقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص وان نكرس الجهود لوضع اسس لاستراتيجية اعلامية اسلامية تقوم على اسس علمية سليمة مستمدة من مبادىء عقيدتنا القويمة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجـلاء .
السودان	:	الخرطـوم ــ دار التوزيـع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيـــا	:	طرابلس ــ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .
المغـرب	:	الدار البيضــاء ــ الشركـة الشريفة للتوزيـع .
تونـس	:	الشركـــة التونســية للتوزيــــع .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جـدة : مكتبـــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافيــة ــ ص.ب : (٧٦) الطائــف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جـدة المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـــياء .
مســقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحريـن	:	دار الهلال .
قطـــر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبـــي	:	مكتبة دبـي .
الكويـت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .

إقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مسجد قباء بالمدينة المنورة

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ


هدية العدد : براعم الايمان
١٩٤
الوعي الاسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



من روائع فن البناء الاسلامي « مسجد باريس ـ فرنسا »

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٤ ● صفر ١٤٠١ هـ ● ديسمبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة :

الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة سمو الأمير إلى العالم الإسلامي

وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد كلمة إلى المسلمين أمس بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر دعاهم فيها للعودة إلى كتاب الله والاعتصام بحبل الله على مستوى الدولة الواحدة ومستوى العالم الاسلامي على اتساعه .

وقال سموه في كلمته إن تأليف القلوب نعمة أغلى من كل ما في الارض وثمرة عزيزة من ثمار الايمان .

ودعا سموه ـ حفظه الله ـ الى إنشاء محكمة عدل اسلامية تكون حكما وقاضيا ومصلحا بين المسلمين ، كما دعا الى التمسك بالشورى استجابة لأمر الله .



○ وفيما يلي نص كلمة صاحب السمو أمير البلاد :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

اخواني أبناء وطني :
أحييكم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري . وهي مناسبة عزيزة على المسلمين جميعا . ونتوجه الى الله سبحانه بالدعاء ان يتم نعمته فيعز الاسلام ويهدي المسلمين الى طريق الخير والصواب .

لقد كانت الهجرة نقطة الانطلاق بدعوة الاسلام ليعم نورها أرجاء الارض كافة كما كانت مرحلة فاصلة في تاريخ الانسانية اعطتها عقيدة خالدة وحضارة عالية رائعة وقيما في الروح والفكر والخلق هي التي تمنح الانسان انسانيته .

يدعونا الله الى الايمان به فيقول سبحانه « قل هو الله احد » . والى الاخوة والمساواة في قوله سبحانه « انما المؤمنون اخوة » يأمر بالعدل بين الناس في قوله سبحانه « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » ، والى الدعوة الى العلم والتفكر في قوله سبحانه « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . والى التوجيه نحو العمل والانتاج في قوله سبحانه « وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى » .

والى بناء القوة دفعا للطغيان في قوله سبحانه « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

اخواني :

أول ما يجب علينا في هذه المناسبة ان نشكر الله سبحانه على ما انعم به علينا من ايمان في قلوبنا . وخير في ارضنا . ومودة فيما بيننا . وان نذكر آباءنا وما تحملوه من اجل بناء هذا الوطن العزيز واسفارهم في البر والبحر . ودفاعهم عن الارض ، وتماسكهم في السراء والضراء . لم يخفضوا جبينهم الا لله تعالى ، عابدين يبسطون ايديهم بالخير ويملأون ايامهم بالعمل ويرجون تجارة لن تبور ، وبذلوا من الجهود ما استطاعوا به ان يحققوا لوطننا امنه واستقلاله .

كان القرن الهجري الماضي حافلا باحداث كبيرة في عالمنا الاسلامي ، فقد شهد مولد كثير من دوله بعد ان كانت تحت سيطرة استعمار اجنبي ، وجاء هذا ثمرة كفاح طويل شاركت فيه اجيال متعاقبة قدمت للدين وللاوطان ثمار الفكر وجهد السواعد ودماء الشهداء وزينة الحياة من المال والولد ، وتطلعت شعوبنا بعد استقلالها الى بنائها الداخلي وتوثيق الروابط فيما بينها ، وكانت في هذا تحقق معنى اساسيا من معاني الهجرة التي نحتفل الان بذكرياتها ، فالهجرة جهد منظم يجمع بين الايمان والعلم والتخطيط لينقل المجتمع الى وضع اعلى هكذا صنع الرسول عليه الصلاة والسلام والذين معه هاجروا من مكة حيث كان الاسلام عقيدة من غير ارض الى المدينة حيث الاسلام ارض وعقيدة ونظام ، ومن دولة الاسلام في المدينة عاد ليحرر مكة من عبادة الاوثان ، وليتخذ من الجزيرة العربية قاعدة ينطلق منها نوره رحمة للعالمين .

ولكننا على هذه السيرة ـ كمسلمين ـ اصبنا احيانا وتعثرنا

احيانا اخرى ـ حققنا استقلالا سياسيا ولكن شابه اخطار منها الصراعات التي قامت بيننا احيانا على مستوى الدولة الواحدة واحيانا بين الدول الاسلامية . ومنها قيام الكيان الاسرائيلي في قلب ارضنا واستيلاؤه على الارض والمقدسات .

ولا شك في ان العالم الاسلامي قد حقق جوانب من التقدم في مجالات حياته جميعا ، ولكن هذا التقدم يهدده نزيف لاسبيل الى ايقافه الا بأسلوب جديد نستقبل به المشكلات مع مطلع القرن الهجري الجديد ، ولنعد الى كتاب ربنا نسأله حلول مشكلاتنا .

ان الله جلت قدرته يقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » . وهذا الاعتصام على مستويات عدة ابرزها مستوى الدولة الواحدة ومستوى العالم الاسلامي على اتساعه .

ويخاطب الله تعالى نبيه الكريم فيقول : « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » ، فاعتبرت الاية الكريمة تأليف القلوب نعمة اغلى من كل ما في الارض ، وثمرة عزيزة من ثمار الايمان ، نراه في صف الصلاة ، كما نراه في صف الحياة ، وصف الجهاد ، يجمع المسلمين في امر دينهم ودنياهم .

ولكن ليس هناك وطن يخلو من مشكلات ، بل ان في تكوين كل وطن بذورا من المتناقضات ، ولن نستطيع ان نقول عن اي وطن انه صورة النقاء في عناصر تكوينه ، كل امة حصاد تاريخ طويل من الالتقاء الحضاري والديني والفكري والعنصري قلت درجته او كثرت ، وليس امام اي امة الا ان يعيش ابناؤها في اطارهم الوطني في مودة وسلام وامان .

لقد ظلت الكويت قرونا دار امن واخاء وسماحة بريئة من التعصب عاش ابناؤها معا ، وخاضوا البحار معا ، فوق ارضها الطيبة يعملون ، ومن اجل سلامتها يجاهدون ، وفي ثراها بعد الحياة يرقدون ، ومنها يوم القيامة يبعثون .

ان توفير هذا الامان مسؤوليتنا جميعا ، وان فهم هذه الحقائق والسير عليها بتعاوننا وتعاضدنا لن يدع لنزعات التفرقة مجالا تهدد به وحدتنا الوطنية ، ان امن وطننا واجب مقدس في اعناقنا جميعا ، وليس منا من يسمح لاي يد ان تمسه بسوء .

فاذا انتقلنا الى مستوى العالم الاسلامي ، ومع اننا كمسلمين نتجه

في صلاتنا الى قبلة واحدة ونعبد ربا واحدا ، نبينا واحد ، قرآننا واحد ، فقد رفع بعضنا السلاح في وجه بعض والقاتل والمقتول ابناء دين واحد ، واحيانا ابناء وطن واحد . يدعونا الاذان الى الصلاة فنولي وجوهنا شطر المسجد الحرام ويدعو داعي الصراع فنسفك الدم الحرام .

وكم تقاتل المسلمون من قبل ، فماذا جنوا من وراء ذلك ؟ .. لقد اضاعوا بالصراع الداخلي اجزاء عزيزة من ارض الاسلام ، فخرجوا منها ولم يعودوا ، وانهكوا قوى اجزاء اخرى تأخرت بعد تقدم ، وأورثوا الابناء ثارات واحقادا ، حتى استعان بعضهم بالعدو على الشقيق والجار ،.. قرون مضت ودماؤنا تسيل باسلحتنا ، فهل نأمل متعاونين في مطلع القرن الهجري الجديد ان نضمد جراح الاسلام ، وندخر دمه ، فلا تبذل القطرة منه الا باغلى اثمانها دفاعا عن العقيدة والوطن .

ان الله سبحانه وتعالي يصف المؤمنين بقوله « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون » .

وفي العالم الاسلامي الان اتجاه مبارك نحو تطبيق الشريعة الاسلامية ، وعسى ان تمتد هذه الجهود لتشمل العلاقات بين هذه الدول ، ويرى القرن الهجري الجديد محكمة عدل اسلامية نرتضيها بيننا حكما وقاضيا ومصلحا ، وتكون خطوة ايجابية نحو املنا الكبير في تحقيق قوله تعالى « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

اخواني ..

يقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والخطاب الالهي موجه الى المسلمين جميعا ، وعليهم ان يترجموه الى حياة نابضة بالتقدم والخير .

ونحن نحتفل بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، نتذكر هديه في تطبيق الاسلام ، ففي الوقت الذي كان يعني فيه بعالمية الدعوة الاسلامية ، كان يعني بتكوين مجتمع المدينة ، ويضع اسس الدولة الجديدة ، ويبني الاسرة والفرد .

وينزل عليه الوحي بقوله تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » . وبقوله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » .

لقد وصف ربنا جل وعلا المؤمنين بقوله « وامرهم شورى بينهم » ، فالشورى في الاسلام تطبيق للايمان ، وحين نتمسك بها نستجيب اولا

لامر الله الذي عشنا على اتباعه ، وقد تطورت اساليب الشورى بين دولة واخرى ، وهي احدى الوسائل التي تلتقي مع وسائلنا الاخرى في السعي الى غاية نعمل لها جميعا ، هي المحافظة على الكويت وتجنيبها اي خطر ، وحمايتها من اي طامع لينعم اهل الكويت في كويتهم ، يحمونها وتعطيهم ، يدافعون عنها وتحتويهم ، ناشرة لواءها على كل من هم في ارضها ليكونوا يدا واحدة قوية متماسكة تعمل باخلاص لتجني ثمرة اخلاصها .

اخواني ..

يأتي اتساع المسؤولية التي علينا وعلى ابنائنا ان يحملوها في هذا القرن الجديد . وقد جمع الله تعالى لها من مصادر القوة البشرية والطبيعية في العالم الاسلامي ما لم يتجمع بعد الانطلاقة الاولى في عهد الرسالة النبوية .

واذا كانت هذه المصادر خيرا من الله تعالى وعطاء . فهي اختبار لنا على المستوى الوطني والاسلامي . يدعونا الى مزيد من العناية بالاجيال الشابة التي ستحمل هذه المسؤوليات . وعدتها في ذلك :

- إيمان بالله دون تعصب ينهي عنه الاسلام .
- وفاء لوطن سعادتهم سعادته وامنهم امنه .
- وحب للعلم يدعوهم الى متابعة الدراسة والاطلاع .
- قدرة على الابتكار والتصرف في المواقف ومقابلة التفتح على كل جديد دون انطواء عنه او ضياع فيه .

ان اعداد شبابنا للمستقبل هو افضل انواع الاستثمار وستكون قلوب شبابنا وعقولهم اكبر ارصدتنا في القرن الهجري الجديد .

ان المسلمين في مطلع هذا القرن الجديد ينتشرون بصورة غير مسبوقة في قارات الارض جميعا ، يحملون كلمة الاسلام ، والاسلام حق وعدل وسلام ، وهذه الثلاثة من اسماء الله الحسنى وبها ندعوه .

الى هؤلاء الاخوة في جميع بقاع الارض ، الى الشعوب والحكومات الاسلامية ، الى كل محب للخير عامل له ، الى اخوتنا في الانسانية ، ابعث التحية باسم الكويت في مطلع القرن الهجري الجديد داعيا الله جلت قدرته ، ان يجعل اعوامه اعوام حق وعدل وسلام .

« يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما .

« صدق الله العظيم »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



وزارة الأوقاف

والشئون الإسلامية

بالعام الهجري

الجديد

وبداية

القرن الخامس عشر

اقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية احتفالا اسلاميا كبيرا في مسجد فاطمة بالضاحية كان في طليعة الحاضرين فيه سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله ، ووزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي ، ووكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والوكلاء المساعدين وعدد من الشخصيات الاسلامية واعداد غفيرة من المسلمين وذلك بمناسبة حلول مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد حيت الكلمات التي القاها كل من وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والدكتور عبدالعزيز كامل والدكتور خالد المذكور والشيخ محمد الغزالي والرائد محمد الحشاش مطلع القرن الخامس عشر وحثوا به المسلمين على ترجمة القول الى العمل في حياتهم اليومية لنصرة الدعوة الاسلامية هذا وقد بدأ الاحتفال بتلاوة من الذكر الحكيم ، واستهل الحفل بعد ذلك بكلمة لوزير الأوقاف والشؤون الاسلامية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد ،

ففي هذه الليلة المباركة يهل هلال شهر محرم ١٤٠١ هجرية وبه يبتدىء قرن جديد في عمر الدعوة الاسلامية يبتدىء القرن الخامس عشر الهجري .

وفي ذكرى الهجرة المحمدية من كل عام كنا في مثل هذه الليلة نودع عاما مضى بما فيه من أحداث وعبر ونستقبل عاما جديدا بالأمل والرجاء .



وعاشت ظروفا صعبة وقاسية وأشرق نور الاسلام في جميع الآفاق وأطل التاريخ على كتائب الحق وهي تعلي كلمة الله وتملأ سمع المعتدين بأن الحق أمضى سلاح وان حظ الطغيان خاسر وانه على الباغي تدور الدوائر ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

أيها الاخوة المؤمنون :

بعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة اقام الدولة الاسلامية على أسس قوية نحن احوج ما نكون الى الاهتداء بها وخاصة في أقسى مراحل تاريخنا الطويل ، بادر صلى الله عليه وسلم بانشاء مسجد قباء في ضاحية المدينة ومسجده داخل المدينة لاقامة الصلاة

واظهار شعائر الاسلام التي حوربت في مكة وصار المسجد مركز اشعاع روحي ومدرسة علمية اخلاقية وكان في المسجد مجلس الشورى وعقد المفاوضات ومركز تحرك الجيوش ومحكمة القضاء بما أنزل الله وفي رحابه تعهد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأدب السماء ورباهم على منهج الله ، في المسجد ثقف الهداة وأعد الغزاة وخرج للتاريخ أعظم رجال .

ثم بادر صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين الأنصار وأزال الأحقاد والعصبيات التي كانت تحكم العلاقات بين الأوس والخزرج عهدا طويلا ذهبت فيه ريحهم وضاعت في متاهاته أموالهم ولعب اليهود بمصيرهم وقد ساعدت هذه المؤاخاة على تجاذب هذه القبائل وترقيتها من النواحي الفكرية والعقلية على أساس من مبادىء الدين الحنيف وقد ألف الله بين قلوبهم ونزعوا الى السلام والمحبة ثم آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فتراحم الأنصار على هذه الأخوة وأكرموا اخوانهم المهاجرين وكانت عواطف الايثار والحب تمتزج في هذه الأخوة وتملأ المجتمع الجديد بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الفاضلة وكانت هذه المؤاخاة ركيزة العمل لبناء الدولة الاسلامية على الحب وسلامة الصدر ، قال تعالى :

(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

أيها الأخوة المؤمنون :

مع اطلالة القرن الخامس عشر الهجري يجب ان نأخذ أنفسنا بدروس الهجرة وعبرها وان نحاسب أنفسنا على التفريط في الماضي وان نصلح حاضرنا بوحدة الصف وجمع الكلمة والحكم بما أنزل الله .

ان الأمل في الله كبير ان ينصر الاسلام والمسلمين ويؤيد كلمة الحق والدين وان يجعله قرنا مباركا في تاريخ المسلمين وان يهدينا جميعا الى الحق والخير والى صراط مستقيم أعاد الله هذه الذكرى بالتحرير الشامل الكامل لأرضنا ومقدساتنا وهدانا جميعا الى ما يحبه ويرضاه .

وختاما نغتنم هذه المناسبة الكريمة والذكرى العظيمة لنبتهل الى الله العلي الكريم ان يعيد هذه الذكرى وقد التأم شمل المسلمين وتوحدت كلمتهم ونصروا على اعدائهم ، كما ازف التهنئة المباركة الى حضرة صاحب السمو امير البلاد والى سمو ولي عهده والى المواطنين والمسلمين في كل مكان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..



ولكننا في حفلنا هذا نستقبل مع المسلمين في كل مكان قرنا هجريا جديدا ونودع قرنا مضى أثقلته الاحداث والآلام حيث نال الأعداء فيه ما نالوا من كرامة المسلمين وعزتهم .

وحري بنا جميعا ونحن بين فاصل زمني من تاريخنا أن نستقبل القرن الجديد بالعزم والتصميم على تدارك أخطاء الماضي وتصحيح المسيرة كما أمر الله استجابة لقوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

في مطلع هذا القرن الجديد لابد للمسلمين من وقفة عند المعالم الواضحة على طريق الهجرة المحمدية ليستخلصوا منها دروسا تنفعهم في حاضرهم وهم يمضون الى غايتهم المقدرة .

وإذا كانت الأمة المسلمة في شرق الدنيا وغربها تحتفل بذكرى الهجرة المحمدية فانها لا تسعد بهذه الذكريات إذا اقتصرت على خطب تذاع أو مقالات تنشر من غير ان يكون لها تأثير في واقع المسلمين وحاضرهم ، وإنما يسعد المسلمون بها اذا استفادوا من أحداثها وتأثروا بنتائجها وايقنوا ان النصر يتحقق بالايمان المالك للقلوب وبالصبر الذي تذلل به الصعاب وبالاخلاص الذي يربط الانسان بربه وبأخيه الانسان .



● سمو ولي العهد مع كبار المدعوين داخل مسجد فاطمة

ايها الاخوة :

ان الهجرة في ذاتها بعث للايمان في نفس كل مسلم ودعوة صادقة الى العزة والكرامة وعدم الرضا بالاستسلام لسلطان القهر والطغيان وان العقيدة تهون في سبيلها كل التضحيات .

ومما لا شك فيه ان الهجرة القلبية سبقت الهجرة البدنية ، بالقلوب المؤمنة التي شرحها الله للحق هجرت ما كان عليه القوم من عقائد فاسدة حين سادت عبادة الاصنام وحين كان المجتمع الجاهلي يعاني الكثير من الحيرة والضياع ويتورط في الفسوق والعصيان في هذا الجو الفاسد هاجرت قلوب المؤمنين الى التوحيد البريء والاخلاص النقي والسيرة العطرة في السلوك والأخلاق والمعاملة .

وكانت هذه التربية الايمانية على يد محمد صلى الله عليه وسلم أساسا في الاعداد لحادث الهجرة وما صاحبه من تضحيات وبطولات وصبر وتحمل بصورة أدهشت العالم على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمن .

وهكذا بانتصار الايمان على حب الحياة والمال والجاه من أهم عناصر النجاح للهجرة وتغير مجرى الدعوة التي ظلت حبيسة في مكة

حُكمُ المُرتدّ عن الإسلام

الاسـلام الحنيـف في صورتـه الأخيرة التي أوحى الله بها إلى رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوم على الحجة والبرهان . والمسلم مكلف بأن يدعو أهل الكتـاب من يهـود ونصارى الى الاسلام كمـا يدعـو الملحدين والوثنيين سواء . ولا يكره أحدا على اعتناقه بأي نوع من أنواع الاكراه ، لأن منهجـه ـ عقيـدة وشريعة ـ يأبى ذلك ، وقد قال الله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشـد من الغـي فمـن يكفـر بالطاغـوت ويؤمـن باللـه فقـد استمسـك بالعـروة الوثقـى لا انفصام لها والله سميع عليم**) .

ومنذ بزغت شمس الاسلام والدعوة إليه قائمة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما أمر الله تعالى رسوله في قوله : (**أدع إلى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظـة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلـم بالمهتديـن**) . وغـير المسلمين يعيشـون في المجتمعـات الاسلامية ، لهم عهد اللـه وعهـد رسوله ، وعهد جماعة المسلمين ان يعيشوا في كنف المجتمع الاسلامي آمنين مطمئنين ، ولو كان هناك إكراه على تبديل الدين لما شرع الاسلام عقد الذمة ، وهو عقد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم وإلزامهم أحكام القانون الاسلامي في غير الشؤون الدينية .

وبهذا الطريق الاختياري البحت الذي ارتضـاه الاسـلام لاعتنـاق منهجه ، لا يقبل الاسلام ممن دخل فيه أن يرتد عنه إلى أي نحلة او مذهب . فاذا ارتد مسلم عن إسلامه

كانت عقوبته القتل ومصادرة ثروته . لأن جريمة الردة تقع ضد النظام الاجتماعي للأمة الاسلامية ، فالتساهل مع مرتكبها يؤدي إلى زعزعة هذا النظام ، فوجب أن يستأصل صاحب هذه الجريمة من المجتمع ، حماية للنظام الاجتماعي من ناحية ، وزجرا عن جريمة الردة من ناحية أخرى .

والواقع أن المرتد عن الاسلام يرتكب جريمتين الأولى هي تحلله من التزامه ، لأن المسلم باسلامه يكون قد التزم بأحكام الاسلام ومقاصده ، فاذا ارتد عنه يكون هذا منه إخلالا بالتزامه . ومن المقرر في القواعد القانونية أن الاخلال بالالتزام يستحق عقوبة وجزاء . والجريمة الثانية إعلانه للارتداد ، لأنه إذا لم يعلن ارتداده كان منافقا لا يعرف ، ومن ثم عوقب على جريمته بأشد أنواع العقوبات وهي القتل ، كتشريع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله (من بدل دينه فاقتلوه) .

وأكثر الدول اليوم تحمي نظامها الاجتماعي بعقوبة الاعدام ـ أي القتل ـ لمن يخرج على هذا النظام أو يحاول هدمه ، أو إضعافه ، وهي العقوبة ذاتها التي فرضتها الشريعة الاسلامية لحماية النظام الاجتماعي الاسلامي .

وقد بين الله تعالى في كتابه أن من يرتد عن الاسلام ـ وقد ذاقه وعرفه ـ تحت مطاردة الأذى والفتنة : محبط للعمل في الدنيا والآخرة ، ومصيره الخلود في النار قال تعالى : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** . والتحذير الذي تحمله هذه الآية قائم إلى آخر الزمان . ليس لمسلم عذر في أن يترك دينه ويرتد عن إيمان وإسلامه ، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه .

والمرتد عن الاسلام يستتاب ويمهل ثلاثة ايام فاذا اصر على جريمته عوقب بالقتل أيا كان معتقده وأيا كانت النحلة التي انتحلها بعد ردته : فالزعم بأن من خرج من الاسلام ودخل النصرانية أو اليهودية ليس بمرتد تنطبق عليه أحكام الردة ، لأن ثمة شبهة إيمانية بدين سماوي . زعم باطل ينبعث إما عن الجهل برسالات الله إلى خلقه ، وإما عن الجحود لآيات الله ظلما واتباعا للأهواء والشهوات ..

ذلك أنه بعد نزول الاسلام أصبح

هو الدين عند الله ، وليس هناك دين غيره يعترف به الاسلام ، لأن الله تعالى يقول :(**ان الدين عند الله الاسلام**) ويقول : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) .

لقد قرر الله تعالى في كتابه الكريم : أن أهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، وحتى يدخلوا في الدين الخاتم تبعا لهذه الاقامة كما هو بديهي من دعوتهم إلى الايمان بالله والنبي في المواضع الأخرى المتعددة . قال تعالى : (**قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين**) .

كما بين الله تعالى الدين الذي يقبله من الناس أيا كان وصفهم قال تعالى (**ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) . فالآية تقرر أن من آمنوا بالله واليوم الآخر أيا كانت نحلهم ، وعملوا صالحا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ومفهوم ضمنا في هذا الموضع ، وتصريحا في مواضع اخرى أنهم فعلوا ذلك على حسب ما جاء به الرسول الأخير . وما فهم ضمنا يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة ، فمن بديهيات عقيدة الاسلام ان محمدا هو خاتم النبيين (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) وانه أرسل إلى البشر كافة (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) .

وأن الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم مدعوون الى الايمان بما جاء به في عمومه وتفصيلاته ، وأن من لا يؤمن به رسولا ، ولا يؤمن بما جاء به إجمالا وتفصيلا ضال لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين ولا يدخل في مضمون قوله تعالى (**فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) .

ولقد أخذ الله موثقا جليلا ، كان هو شاهده ، وأشهد عليه رسله ، موثقا على كل رسول أنه مهما آتاه من كتاب وحكمة ، ثم جاء رسول بعده مصدقا لما معه أن يؤمن به وينصره ويتبع دينه . وهذا الميثاق بين أن كل نبي ليس له مأرب خاص في مهمته ، وإنما هو عبد اختاره الله للتبليغ .. والله سبحانه وتعالى هو الذي ينقل خطى دعوته من رسول إلى رسول ، ويخلص دين الله ـ بهذا الميثاق ـ من كل عصبية ذاتية .

وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلفون من اليهود والنصارى عن الايمان بخاتم النبيين ومناصرته وتأييده تعصبا لانفسهم في صورة التعصب لديانتهم ، مع أن ديانتهم تدعو إلى الايمان به ونصرته ، يبدون خارجين عن تعليم أنبيائهم وعن عهد

الله معهم . قال تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) .**

وقد كان أهل الكتاب يلجأون إلى طريقة ماكرة لئيمة ، ليوقعوا ضعاف العقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم في بلبلة واضطراب ، وخاصة العرب الأميين الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب ، فاذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون حسبوا انهم ارتدوا بسبب اطلاعهم على نقص في هذا الدين . وحكى الله طريقتهم في قوله : **(وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم)** وما تزال هذه الخدعة تتخذ إلى اليوم في صور أخرى أظهرها اتخاذ عملاء في صورة اساتذة وفلاسفة وأدباء وباحثين وصحفيين ، يحملون أسماء المسلمين . مهمتهم خلخلة العقيدة في نفوس المسلمين بشتى الطرق ، والتهوين من شأنها والدعوة الى تركها . وإبعادها عن مجال الحياة ، وسحق القاعدة الخلقية التي تستوى عليها العقيدة التطبيقية وهم بحالهم هذه ومحاولاتهم الآثمة يفعلون مثل اهل الكتاب الذين كان يقول بعضهم لبعض تظاهروا بالاسلام أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم !!

(وبعد) **ألم يسمع اولئك الذين يزعمون أن من خرج من الاسلام إلى النصرانية أو اليهودية لا يعتبر مرتدا قول الله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** ثم ألم يسمعوا قول الله تعالى : **(ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)** حتى يعودوا إلى رشدهم ويعلموا أن من تولى عن الايمان برسالة الاسلام في صورتها الأخيرة على يد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **فقد تولى عن دين الله كله وقد خاس بعهد الله كله ، وان المرتد عن الاسلام مرتد عن الدين إلى غير دين أيا كانت النحلة التي يرتد إليها .**

عقيدة أصلها من الله ثم حرفت ليكتم ما فيها من حق ، أو عقيدة أصلها وثني وباقية على وثنيتها ، أو إلحاد ينكر رسالات الله إلى خلقه ؟؟

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

الحديث النبوي والقرآن الكريم

للدكتور / محمد الاحمدي أبو النور

للحديث النبوي مع القرآن الكريم وظيفتان رئيسيتان : الأولى هي الاعلام ببعض التشريعات التي لم يرد النص عليها في القرآن والتي يتم بها التشريع ، ويتكامل بها الاسلام . والثانية هي تيسير فهم القرآن ببيان آياته وتوضيح غاياته ، وتحديد مفاهيمه وتفسير أحكامه .

فأما ان للحديث النبوي دوره في الاعلام ببعض التشريعات وفي إتمام الرسالة الاسلامية ، فلأن الحديث النبوي الذي يبلغ به التشريع او يستكمل به الدين موحى به من قبل الله عز وجل ولهذا قال تعالى ـ عما يتحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) النجم / ٣، ٤ .

كما قال صلى الله عليه وسلم : » ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه « رواه ابو داود والترمذي باسناد حسن والمماثل للقرآن هو السنة التي أوحى بها مع القرآن ، وبلغها لنا النبي صلى الله عليه وسلم بحديثه القولي ، وتطبيقه العملي ، وسلوكه الرائد ، وهي المشار اليها بالحكمة في قوله تعالى : (**واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب**

والحكمة يعظكم به) البقرة / ٢٣١ .
ومماثلة السنة للقرآن في أمرين :
الأول : كونها وحيا كالقرآن .
والثاني : كونها أمرا واجب الاتباع كالقرآن .
وحين يحدث النبي صلى الله عليه وسلم بتشريع أي بتحليل أو تحريم أو إباحة ـ مثلا ـ لأمر لم يرد في القرآن الكريم ، فهو حينئذ ـ لا يحدث عن ذاته وانما يحدث عمن اليه التشريع وهو الله عز وجل ، لأن النبي مبلغ وليس مشرعا ، إذ التشريع مقتضى الألوهية والربوبية فالمشرع هو الله وحده .
ولقد قال تعالى : **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** المائدة / ٤٨ . وبهذا او ذاك أبان سبحانه أن المشرع في الأصول والعقائد ، وفي الفروع والأحكام انما هو الله وحده .
وإذن فالوظيفة الأساسية الأولى للرسول انما هي البلاغ ، والاعلام بالأحكام والتشريعات عن الله عز وجل ، وهذا أمر يتجلى حتى في حال حكمه ـ عليه السلام ـ بين الناس .
إنه لا يحكم برأيه الشخصي ، انما يحكم بما أنزل الله عليه وبما يلهمه الله اياه وذلك ما ينبىء عنه قوله تعالى :
(وأن حكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله) سورة المائدة/ ٤٩ .
وقوله تعالى : **(انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** النساء / ١٠٥ .

الوظيفة الثانية للرسول هي بيان الكتاب الالهي وتفسيره .
وأما ان الوظيفة الأساسية الثانية للرسول صلى الله عليه وسلم هي البيان والتفسير للقرآن الكريم فذلك ما ينبىء عنه قوله تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** النحل / ٤٤ . وذلك حتى لا تؤخذ الآيات القرآنية مأخذ الكلام البشري فيما يتعلق بتحديد المراد منها ، وتفصيل الحكم فيها بعد أن تكفل الله ببيان وحيه ، بقوله سبحانه : **(ثم إن علينا بيانه)** القيامة/ ١٩ .
وحقا لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، بيد أنه لا يكفي لبيان سوره وآياته ، أن يكون المرء متضلعا من علوم اللغة فاقها لأسرارها فقد يكون للكلمة معنى محدد في اللغة ، لكن مراد الله بها غير ما يتبادر الى الذهن بحسب اللغة ..
وقد يكون معنى الكلمة متعلقا بأمر غيبي كسدرة المنتهى ، والكوثر ، وعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا .
وقد يكون الأمر في بعض الآيات محتملا لعدة احتمالات غير أن احتمالا واحدا هو الذي يتعلق به الحكم في الآية ، فأنى لبشر أن يعين هذا الاحتمال أو يحكم بأن هذا هو المراد ولا شيء سواه ، مهما كان تمكنه من اللغة ، أو اقتداره على فهم أساليبها ؟
هذا فضلا عما يتعلق ببيان القرآن في الأحكام التشريعية ، والأعمال

السلوكية ، من تفصيل المجمل في مثل الصلاة ، والزكاة والحج وتقييد المطلق في مثل حد السارق ، وتخصيص العام في مثل قوله تعالى : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** الأنعام / ٨٢ ، مما لا يتسنى للاجتهاد البشري – مهما كان – أن يصول فيه أو يجول .

الأدلة على ذلك :

ويحسن بنا أن نتدارس مجموعتين من الأحاديث النبوية : اولاهما تتعلق بتشريع أمور لم يرد النص عليها في القرآن الكريم .

وثانيتهما تتعلق ببيان أمور يتوقف البيان فيها على إعلام من الله عز وجل

المجموعة الاولى :

من صحيح مسلم عن تشريع الرسول لأمور لم ترد في القرآن .

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تنكح العمة على بنت الأخ ، ولا ابنة الأخت على الخالة » .

٢ – عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم .

« لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب » .

٣ – عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع اخيه ، ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يذر » .

٤ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت اليها ؟ قال : لا قال : فاذهب فانظر اليها ، فان في أعين الأنصار شيئا » .

٥ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أفلس الرجل فوجد الرجل عنده سلعته بعينها فهو أحق بها » .

فماذا تعطينا هذه الأحاديث من تشريعات وأحكام ؟ انها تعطينا الاحكام التشريعية التالية :

١ – تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها في عصمة واحدة ، او كما استنبط الفقهاء وقالوا : بين كل اثنتين لو قدرت احداهما ذكرا والأخرى انثى لم يجز » .

٢ – على المحرم بحج أو عمرة أن يعتبر نفسه في عبادة يحرم عليه أن يأتي بما ينافيها ، وعقد النكاح ، وخطبة المرأة من الأمور التي تتنافى مع الحج والعمرة ، زمن الاحرام بهما ، ومن هنا نهى عنهما النبي صلى الله عليه وسلم وسواء أكان عقد النكاح من المحرم لنفسه ، ام كان منه لغيره فكلاهما غير جائز وقتئذ .

٣ ـ اذا اتفق اثنان على إتمام صفقة تجارية بينهما فلا يحل لثالث أن يزيد في الثمن إغراء للبائع حتى يبطل اتفاقه مع الأول .
وكذلك اذا خطب خاطب فتاة ومال إليه آلها ، ووافقت ووافقوا لا يحل لمسلم أن يأتي أهل المرأة ليخطب فتاتهم على خطبتها لأخيه المسلم ، ذاكرا لهم من المزايا والاغراءات ما يجعلهم يصدفون عن الأول ليتموا زواجها به هو .
وذلك التحريم للبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، يوغر الصدور بالعداوة والبغضاء ، ويوري زناد الصراع بين أفراد المجتمع اولئك الذين تجمع بينهم أخوة الاسلام ومودته كما تجمع بينهم مثله ومبادئه التي تفرض على كل منهم أن يعامل الناس بما يحب ان يعاملوه به ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يكره لهم ما يكره لها .
٤ ـ تجويز رؤية المرأة التي أوقع الله في قلب المرء خطبتها ، وذلك لأن الزواج اتفاق أبدي ، فحتى يكون على بينة من تلك التي يريد أن يقترن بها أباح النبي صلى الله عليه وسلم له أن يراها .
٥ ـ اذا اشترى رجل سلعة من آخر على أن يؤديه ثمنها اذا باعها فلم يبعها وأفلس ، وطالبه البائع بثمن السلعة فلم يستطع المشتري دفع الثمن غير ان البائع وجد سلعته بعينها عند المشتري ، حينئذ يكون البائع أحق بها ، لأنه صاحبها .
وهذه الأحكام التشريعية الخمسة لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما وردت احكام موضوعاتها وتشريعات أصولها فقد ورد في سورة النساء حديث تفصيلي عن المحرمات على المرء في الزواج من النسب ومن الرضاع ، كما جاء تحريم الجمع بين الاختين الخ .
بيد أن تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها لم يرد به نص قرآني ، الا ان السنة اكملت موضوع تحريم المحرمات وقامت هنا بدور رئيسي في اتمام الرسالة الاسلامية فيما يتعلق بتنظيم امر الزواج .
وقل مثل ذلك فيما يتعلق بنكاح المحرم وخطبته ، ففي سورة البقرة وعند قوله تعالى : **(واتموا الحج والعمرة لله)** البقرة / ١٩٦ ، احكام كثيرة عن الحج والعمرة لكنها لم تستوعب وتركت هذه المهمة للسنة النبوية ، ومن ذلك هذا المثال الذي مثلنا به من نكاح المحرم وخطبته .
وفي القرآن حديث عن المبادىء العامة التي تتعلق بالبيع والشراء ، وبعض الاحكام الخاصة بالتجارة كقوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ وقوله سبحانه : **(يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** النساء / ٢٩ ، وقوله سبحانه : **(أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم)** الشعراء / ١٨١ و١٨٢ ، وغير ذلك .
بيد أن القرآن لم يتحدث مثلا عن

تحريم البيع على البيع ولا عن احكام التفليس كما لم يتحدث عن كثير من الأحكام المتعلقة بالبيع والشراء ، ومع ذلك لم يترك الله الأمة دون ان يكمل لها المنهج الاسلامي في الاقتصاد وما يرتبط به ، وذلك في السنة النبوية التي تصدر مع القرآن من نبع واحد ومشكاة واحدة هي مشكاة الوحي الالهي .

ان روعة الاسلام أن كل موضوع فيه موضوع متكامل وذلك من خلال القرآن والسنة معا .

ولئن قصد في القرآن الى التيسير على الأمة ، والاجمال في أكثر القضايا التي تعرض لها فلقد كان من مهام السنة النبوية ان تستقريء الجزئيات الباقية في عناصر الموضوع المعين ، لتدل الناس على حكم الله فيها ، وبذلك يكون المنهج الاسلامي في الموضوع الواحد قد استوعب ما يصلح شأن الافراد والجماعات دون ان تند عنه جزئية او يفوته عنصر !

ثم إن المنهج الاسلامي لم يعن بموضوع انساني دون موضوع ، ولم يلتفت الى جانب ليذر بقية الجوانب .

ان الانسان في المنظور الاسلامي مادة وروح ، عقل وجسد ، فكر ووجدان ، وقد جاء المنهج الاسلامي الاقوم ملبيا حاجة الانسان في جوانبه هذه جميعا مع مراعاة الاتزان والاتساق فيما بينها حيث لا يطغي جانب فيها على جانب آخر ، ومن هنا تناول موضوع العقيدة كما تناول موضوع الشريعة ، وتناول موضوع تنمية الجسد كما تناول موضوع تنمية الروح ، وتناول موضوع العقل كما تناول موضوع الوجدان وشملت الهداية الاسلامية للانسان ما يتعلق بالاخلاق والعلاقات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والدولية الى جانب ما يتعلق بالعقيدة والعبادة .

وكان دور السنة في هذه الجوانب جميعا هو دور المستكمل للمنهج المستوعب للجزئيات الذي يتمم مع القرآن الاسلام الذي ارتضاه الله للانسانية دينا ومنهجا .

كما كان للسنة النبوية دور آخر يمكن إجماله في بيان القرآن وتفسيره ولنوافك الان بالمجموعة الحديثية الثانية التي توضح لك هذه النقطة لترى إلى أي مدى نتوقف في فهم القرآن على الحديث النبوي

المجموعة الثانية من صحيح البخاري :

أحاديث يتوقف تفسير القرآن على العلم بها

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها ، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وفي رواية : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ الآية : **(يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا)** الأنعام / ١٥٨ .

٢ ـ عن أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته » .

٣ ـ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتح الغيب خمس : **(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير)** لقمان / ٣٤ .

ومن صحيح مسلم

٤ ـ عن أبي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينادي مناد : ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا ابدا ، وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل : **(ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون)** الاعراف /٤٣

ف - ١٤ البيان لآي القرآن كيف كان يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم فضلا عن أي بشر ان يحيط به لو لم يأت الخبر به عن الله عز وجل ؟

كيف يمكن لنا أن نحدد ان المراد ببعض آيات الله في قوله تعالى: **(يوم يأتي بعض آيات ربك)** هو طلوع الشمس وليس أي آية أخرى من آيات الله عز وجل ، تلك الآية التي إذا ظهرت أوصد باب التوبة فلا تقبل توبة من لم يتب من قبل ، ولا إيمان من لم يؤمن من قبل .

كيف يتسنى العلم بذلك الا ان يكون عن الله عز وجل يوحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيبلغه لنا النبي بكل أمانة وصدق .

وآية سورة الحجر : **(ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)** الحجر / ٨٧ من الذي يحدد مراد الله منها سواه سبحانه ؟ ومن الذي يخبرنا بهذا المراد سوى من أوحى الله اليه بيانه ؟

كذلك ما يتعلق بالغيب وبالجنة وما اعد الله فيها للطائعين ، وبالنار وما اعد فيها للكافرين ، لا سبيل الى العلم بشيء منه الا عن طريق الوحي يبلغه مثل هذا الحديث الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما بين عن هذه الآية الكريمة : **(ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون)** .

تلك بعض الشواهد والمثل عن دور السنة في اكمال التشريع الالهي ، واتمام الرسالة الاسلامية ، وبيان القرآن وتفسيره .

ومن أراد ان يستزيد فليتصفح كتب السنة النبوية ، وليدرسها دراسة موضوعية مع القرآن الكريم ، فسيقف على الكثير مما يبهره ويروعه ، وسيعرف اكثر وأكثر لماذا أولى الله السنة النبوية من المنزلة والمكانة ما لم يوله لأي كلام آخر ، وسيعرف كذلك انه لا غناء عن السنة مع القرآن الكريم لكل من يريد أن يتعرف إلى الاسلام ، ويطبق منهجه ، ليعزبه في الدنيا ويسعد به في الآخرة .

حول النظام الاسلامي

انفلتت ألسنة كتاب الغرب وأقلامهم في صحفهم واذاعاتهم في اتهام النظام والتشريع الاسلامي واخذوا يعيدون ما استهلك من الكلام على مر العصور في هذا الشأن ولم يخل عصر من العصور في توجيه النقد اللاذع والقول البذيء المتهافت الى بعض الاحكام في النظام الديني الاسلامي حتى اصبح الحديث فيه نغمة مرذولة ثقيلة على القلوب والاذان .

وان تلك الحملات لتستعر وتتأجج حين تلوح في الافق بوارق القوة والوعي والانبعاث في الشعوب الاسلامية وكأن تلك الحملات قذائف معدة او قنابل مسددة تنتظر الامر بالانطلاق فتنطلق وتنتظر المناسبات لتؤدي دورها المقرر لها .

فكلما حدثت صحوة اسلامية في شعب من الشعوب الاسلامية ثارت ثائرتهم ، وأطلقوا كلمات الرجعية والتعصب والبربرية وما الى نلك مما مهدت به اقلامهم ووعته قواميسهم يصفون بها الاسلام ويشنعون على

للاستاذ / ابو الوفا مصطفى المراغي

آرائه وأحكامه وخاصة ما يتعلق منها بزي المرأة وقطع يد السارق وجلد الخمور . واخذوا يتباكون على الحضارة ويستغيثون بالعالم ان يتداركها مما تتعرض له بتطبيق نظام الاسلام ان هؤلاء الكتاب ليطعنون الحضارة ويهزءون بمقوماتها قبل أن يتهموا الاسلام وينالوا منه فهل الحضارة في تقدير هؤلاء هي الخمر والجنس والتلصص ، أم الحضارة عمران وبنيان وعلم وفن بكل ما تسعه هذه العنوانات من معان ، وتنطوي عليه من حقائق فان كانت الحضارة عمرانا وبنيانا وعلما وفنا فما أنكرت الحركات الاسلامية شيئا من هذا ولاحظرته بحكم دينها وتقاليدها وان كانت الحضارة خمرا تفتك بالعقول والأبدان ، وتنبعث منها الشرور والاثام ، أو جنسا تهتك فيه الاعراض ، وتختلط به الانساب ؛ أو لصوصية تهدد أمن الناس وتنهب أموالهم وحقوقهم ، وانكرتها الحركات الاسلامية وأزمعت القضاء عليها ، فانما تنكر شرا وترفض باطلا وتحارب ضلالا ، ويشاركها في ذلك ذوو العقول والحكمة والفطر السليمة ان السر في تلك الحملات المسعورة شيء وراء الغيرة على الحضارة وعلى الحرية ووراء الغيرة على حقوق الانسان .

لقد تجاهل هؤلاء الكتاب ما تخوض فيه الشعوب من ويلات وحروب تذهب فيها الارواح بغير حساب لتحقيق مغامراتهم وانماء ثرواتهم بالاحتكار والسيطرة والنفوذ حتى انهم ليضحون بشعوب كاملة في سبيل ذلك كما فعلوا في فلسطين وغيرها . فاذا استيقظ شعب وهب للدفاع عن حقوقه وامواله واصلاح ما اعوج من اخلاقهم علا صياحهم وتجاوب نباحهم وتداعوا الى الشر ليدفعوا ما يهدد مخططاتهم من الخطر .

إن هذه الحملة المسعورة لتشويه الاسلام تستهدف الشعوب الاسلامية قاطبة وتستهدف اول ما تستهدف النظام الاسلامي وربما كان التاريخ يعيد نفسه فقد استهدف الاسلام في فترات تاريخية مختلفة لامثال تلك الحملات كما يعرف من له صلة بالتاريخ ومن هنا تأتي مسئوليات الشعوب الاسلامية لتقف في مواجهة ذلك الخطر صفا واحدا بكل ما تملك من الوسائل ما لم يتح لها من قبل وهي تملك من الوسائل المادية

والمعنوية أمضى الاسلحة ، فالانبعاث الديني الذي نحس مظاهره في كل مكان والثروات المعدنية هي الاسلحة التي لو احسن استخدامها كانت كفيلة بالنصر ، ولعل الانبعاث الاسلامي الذي بدت مظاهره في كثير من الشعوب الاسلامية هو الذي ازعج هؤلاء الكتاب وهاج حفائظهم .
ولعل الانبعاث هو الذي خبل عقولهم وزلزل أركانهم وأضل أقلامهم وجمع قاصيهم بدانيهم وغربهم بشرقهم فاتفقوا في غايتهم واختلفوا في وسائلهم .
ان الكتلة الشرقية تناهض الاسلام حرصا على مصالحها ونشرا لمبادئها وتعمل ذلك جهد المستميت جهارا نهارا .
وتتخير من المواقع والشعوب ما هو أنسب لظروفها وأقرب الى غايتها ، والغرب أيضا يناهض الشعوب الاسلامية حرصا على مصالحه ، متقنعا غير سافر ، ومستترا غير مجاهر ، ويصطنع الحذر والحيطة مراعاة لعلائقه ببعض الشعوب .
ان هذا الصراع الدائر بين الشرق والغرب قد قضى الله ان تكون ميادينه بعض الشعوب الاسلامية ، وهذا الصراع له جانبه السياسي وجانبه المادي والاجتماعي ، ويعسر عزل احد الجانبين عن الاخر ، ومن هنا كانت صلة الشعوب الاسلامية بما يدور في العالم من صراع فالجانب المادي هو الذي قضى على الشعوب الاسلامية ان تكون في مواقع الصراع .
والصراع السياسي والمادي ليس له في الواقع ضوابط من خلق او دين بل هو نار مستعرة تأتي على ما تصادفه ومن هنا كانت خطورته على المعتقدات والاديان .
فلا حرج أن تشوه محاسنها وبصور حقها باطلا وهداها ضلالا وعدلها ظلما ورشدها غيا ، ولهؤلاء الكتاب نقول : هل أنتم حقا حماة الحرية وهل انتم حقا اهل الغيرة على الكرامة الانسانية ؟ اذا كنتم حقا كذلك فأين مواقفكم من حكوماتكم ودولكم ومن سلوكهم الانساني حين يستنزفون الشعوب ويبيدونها بالالاف والملايين وينزلون بها من الوان العسف ما لم تعهده البشرية في احط العصور لقد خرست السنتكم واقلامكم عما جرى ويجري من فظائع في الصراع الدولي وان وقع شيء من ذلك منكم كان من وحي السلطة والمصلحة لا بدواعي الغيرة الخالصة والقلوب الحانية الرحيمة .
ليعلم هؤلاء المتحدثون عن الحضارة ان للحضارة الاسلامية عند شعوب الاسلام وفي اطار الاسلام مفهوما يخالف مفهوم الحضارة عند الشعوب غير المسلمة .
فمفهوم الحضارة فيما يختص بالمرأة عند الشعوب غير الاسلامية ان يطلق لها العنان في سلوكها وزيها تنتقل بفتنتها في كل ناد وتهيم بعواطفها في كل واد تستغوي وتستهوي من تشاء ولكن مفهوم الحضارة في الاسلام بالنسبة للمرأة أن تلزم حشمتها احتفاظا بكرامتها وحرصا على علاقتها الاسرية ان تعصف بها

الشكوك والظنون .
ومفهوم الحضارة عند تلك الشعوب فيما يختص بمعاقرة الخمر أن كل انسان له أن يشرب ما شاء ، يعربد وينتهك من الحرمات ما شاء ، ولكن مفهوم الحضارة الاسلامية في ذلك تحريم الخمر تحريما قاطعا قضاء على الجريمة ووقاية للمجتمع من آثارها وذيولها .

ومفهوم السرقة أن التلصص والاختلاس جزء من الحرية يعيث بها اللص فسادا ولا يؤاخذ الا عند التلبس بالجريمة ، وإن اخذ بعقاب أخذ بعقاب لا يعادل فظاعة جرمه ولا يمنعه من معاودة تكرارها .

ومفهوم الحضارة الاسلامية في هذا الشأن ان يؤاخذ مقترف هذه الجريمة بأشد العقوبات التي تناسب فظاعتها وتؤدي الغرض منها في زجر وتأديب .

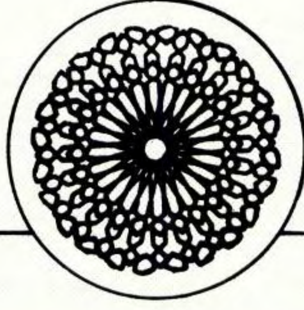
هذا مفهوم الحضارة في الاطار الاسلامي ولمن يدين بالاسلام من الشعوب ، ولكل شعب منها أن يمارس حضارته على هذا الاسلوب ، وليس لغيره أن يندد به أو يعترض عليها كما حتمت بذلك المواثيق الدولية .

إن للحضارة شئونا عامة تشترك فيها كل الشعوب لانها تكاد تكون شئونا انسانية عامة تمس الناس جميعا وشئونا حضارية خاصة تتميز بها كل أمة لانها تستمدها إما من دينها او طبيعتها او نظام الحياة فيها وتلائم مجتمعاتها واحوالها ، وهذه الشئون حق لأهلها ، وهم اولو الرأي فيها ، واقدر على الحكم عليها ، والواجب ان تترك لاهلها ، يقررون منها ما أثبتت التجربة صوابه ، ويرفضون ما استبان فساده فلهم الربح إن احسنوا وعليهم الخسارة إن أساءوا .

لقد ختمت العصبية الهوجاء على قلوب بعض هؤلاء الكتاب ، وجعلت على أبصارهم غشاوة فأعمتهم ان يروا محاسن الشريعة الاسلامية ، أو يفهموا أسرار بعض الاحكام الحضارية الاسلامية ولم يدركوا اغراضها ومقاصدها التي اوحت بتقريرها وفرضها ، وقيموها تقييما خاطئا وحكموا عليها بما حكموا به وزلت أقدامهم وخانهم الانصاف والتوفيق .

ولكن الذين عنوا بدراسة الشريعة ، ووقفوا على أسرارها ، وتعمقوا اغراضها ومقاصدها ، شهدوا لها بالاحكام والاحسان ، كما شهدوا بصلاحيتها لسياسة البشرية وكفايتها في تدبير شؤونها .

والكلمة الاخيرة التي نقولها لهؤلاء الكتاب المسرفين في النقد والتجريح عليكم أنفسكم وشعوبكم ودعوا الشعوب الاسلامية لشأنها وما ترى فيه الخير لمجتمعها فما خولكم الله الوصاية عليها وما جعلكم حماة لها ، انكم لو فعلتم لأرحتم الناس من مشاكلكم وصراعاتكم ، فما اختلت احوال الشعوب ونزل بها ما تعاني من ألوان العذاب الا حين وصيتم انفسكم فلم تحسنوا الوصاية وجعلتم انفسكم قادة فلم تبلغوا ولم تبلغ بكم الشعوب غاية .



التجارة في الاسلام

الاحتكار

يقول الحق تبارك وتعالى : (**وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) البقرة/١٤٣

.. فالوسطية دعامة من دعائم النظام الاسلامي وهي من اهم دعامات الحياة الاجتماعية للمسلمين ، وهي مطلوبة في كل امر من امور الدنيا او العمل للآخرة .

ولذلك يرفض الاسلام في نظامه

للاستاذ / عبد السميع المصري

المالي تلك الفردية المتطرفة التي يرعاها النظام الرأسمالي والتي تتجاهل حقوق الجماعة ، وتتيح للفرد ان ينكر مصالح الجماعة ويتناساها في سبيل تحقيق اعلى نسبة من الربح ممكنة .

كما لا يقر الاسلام رأسمالية الدولة التي يتبناها النظام الاشتراكي والتي تضحي بحقوق الفرد وحريته من اجل مصلحة الجماعة ، والتي قد تتطرف الى مدى ابعد من الاستغلال الرأسمالي لحاجات المجتمع .

لكن الاسلام ـ في ربطه الأبدي بين المادة والروح .. فطرة الانسان التي فطر عليها ـ يدعو افراد المجتمع المؤمنين لان يتساموا في دوافعهم الذاتية لأن للتضحية من اجل الاخاء الاسلامي اجزل الثواب عند الله ، ولأن المسلم في عمله انما يبتغي وجه الله اولا ويرعاه في تصرفاته .

فيحبب الاسلام الى التجار ارخاص الاسعار للتيسير على الناس لما في ذلك من مرضاة الله والفوز بثوابه .

« ولقد نهى الاسلام عن التغالي في الربح وعن الفحش في الكسب لان قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان الى وفرة المكسب مع التيسير على المسلمين ، وكان علي بن ابي طالب يدور في سوق الكوفة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

واذا كان الجالب مجاهدا في سبيل الله ـ كما جاء بالحديث الشريف ـ لأنه يرفع الحرج عن الناس وييسر لهم امور معاشهم فان المحتكر خارج على دين الله كافر بنعمة الاسلام كما يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث .

والاحتكار في نظر الحنفية هو « شراء طعام ونحوه وحبسه الى الغلاء اربعين يوما » ، وعند الشافعية : « شراء القوت في وقت الغلاء ليمسكه ويبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه للتضييق حينئذ » ، وعند الحنابلة مثل ذلك « بمعنى ان الاحتكار هو حبس الشيء انتظارا لغلائه وهو الأمر المرادف للامتناع عن البيع » .

ويرى الدكتور محمد سلام مدكور في كتابه « الاحتكار وموقف التشريع الاسلامي منه » .. « ان الاحتكار المحظور في الشريعة الاسلامية هو حبس اي شيء تشتد حاجة الناس اليه ، ويستعملونه في حياتهم ، ويتضررون من حبسه عنهم ، ويستوي في ذلك ان يكون ذلك الحبس نتيجة شراء او اختزان ، وان يكون

الشراء من مصر او غير مصر ، وان يكون ذلك الشيء طعاما او غير طعام ، ويشمل ذلك ما اشتراه في وقت الغلاء ، او اشتراه في وقت الرخص ليرفع سعره ويغليه على الناس عند الضيق والاحتياج » وهو ما يتفق مع قول ابي يوسف : (كل ما اضر بالناس حبسه فهو احتكار ، وان كان ذهبا او ثيابا) .

والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الاحتكار واظهار بشاعة جريمته كثيرة نذكر منها :

« **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » .. رواه ابن ماجه والدارمي .

والاسلام يحارب الاحتكار لما فيه من اهدار لحرية التجارة والصناعة ، وتحكم في الاسواق يستطيع معه المحتكر ان يفرض ما شاء من اسعار على الناس فيرهقهم ويضارهم في معاشهم وكسبهم ، فوق انه يسد ابواب الفرص امام الآخرين ليعملوا او يرتزقوا كما يرتزق المحتكر ، ويقتل روح المنافسة التي تؤدي الى الاتقان والتفوق في الانتاج .

وقد رأينا بعض المحتكرين يلجأون الى اتلاف فائض انتاجهم لرفع الاسعار ، كما حدث في البرازيل عندما احرقت الأطنان من البن بينما الملايين لا تجد حاجتها منه ، وكم رأينا صيدليات تحتكر الأدوية وتمنعها عن المرضى الذين يعانون من آلام امراضهم ، ودافعها الى الاحتكار الجشع والسعي وراء كسب حرام ، والاتجار في آلام البشر الذين يموتون في سبيل أن تزيد ارباح المحتكر .

إن الاحتكار جريمة ضد الانسانية تستوجب الطرد من حظيرة الله ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » لأن المحتكرين ـ كما يقول جون آيز استاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية ـ : « تائهون في مطاردة المال الذي يجب ان يكون الوسيلة الى الحياة الطيبة ، لا غاية في ذاته ، حتى نسوا الغاية وأمعنوا في التعلق بالوسيلة » .

« وخطر الاحتكار على الاقتصاد العالمي اصبح في غير حاجة الى مزيد من البيان ، وكلنا نعلم كيف تغلغل الاحتكار ـ الظاهر والخفي ـ في اكثر ميادين الانتاج العالمي ، وكيف تحالف المحتكرون من اقطاب المال عبر حدودهم مع زملائهم في بلاد اخرى ، ونجحوا في تحديد الاسعار التي تؤتيهم الربح الفاحش ، وخلقوا الأزمات وتآمروا على بخس اثمان المواد الخام التي تنتجها البلاد النامية ، اضرارا بأكثر من ثلثي سكان الأرض ، ولا زالت جهود الأمم المتحدة ـ العناصر الطيبة فيها ـ تتوالى وتتعثر في محاولة التخفيف من ويلات هذا الداء الوبيل » .

إن التحريم الاسلامي للاحتكار يسري على كل انواعه المحلي والعالمي ، لأن هدف المحتكر واحد ، وهو التحكم في ضرورات الناس .

وقد اتخذ الاحتكار الدولي في

العصر الحديث صورا رهيبة ، لا سيما بعد ما تحقق من تطور في أساليب الانتاج ، أدى الى قيام المشاريع الضخمة التي يعجز الافراد عن القيام بها ، ثم النظرة المادية البحتة للاقتصاد ، وترك الحرية المطلقة للملكية بغير حدود .

وقد استعاضت الشركات الكبرى عن المنافسة في سبيل الاجادة وخفض الاسعار لصالح البشرية ، بهذه الصور البشعة من أنواع الاحتكار ، فرأينا :

١ ـ نظام الشركة القابضة التي تقوم بشراء معظم الأسهم في الشركات الاعضاء ـ ولنقل ـ انها شركات سيارات على سبيل المثال ـ وبذلك يكون لها سلطة تحديد الاسعار في جميع شركات السيارات في عدة دول أو في دول العالم كله .

٢ ـ الاندماج : وهو اتحاد شركتين أو أكثر فتشتري احدى الشركات جميع أسهم الشركات الاخرى ، فلا يصبح في الوجود الا شركة واحدة تحتكر السلعة التي كانت تنتجها الشركات المندمجة ، وتقضي على المنافسة .

٣ ـ اتحاد الثمن : وفي هذا النوع من الاحتكار يتفق المنتجون فيما بينهم على تحديد الاثمان ، أو تحديد كمية الانتاج ، ليحصلوا على أعظم ربح ، وقد يكون هذا الاتفاق شفويا لكنه احتكار واحتكار غير مركز في هيئة واحدة .

« وهناك أنواع أخرى من الاحتكارات كشفت عنها لجنة التجارة الاتحادية في الولايات المتحدة الامريكية ، وعجزت كل الوسائل القانونية هناك عن التغلب عليها ، أو الحد من سلطانها واستغلالها وانحرافاتها . » .

ولا شك أن حرب التجويع التي تشنها بعض الدول الاستعمارية المنتجة للسلع الغذائية كمنع القمح عن مناطق المجاعة أو الذرة ، هو من سبيل الاحتكار الذي حرمه الاسلام .. انه احتكار يقطع الاواصر الانسانية ، ويحارب الرحمة ، ويزرع الاحقاد بين بني الانسان .

أين هذا من موقف المسلمين في مشارق الارض ومغاربها عام الرمادة ، يوم أن أصاب القحط الجزيرة العربية ، فانهمرت المؤن من مصر وافريقية والعراق وكل أرض علت فيها راية الحق لتنقذ أخوة في الانسانية ، حتى كانت قوافل عمرو ابن العاص بالنجدة أولها في المدينة المنورة ، وآخرها في الفسطاط على النيل .

أين هذا من شعار الاسلام الذي يرفعه للبشرية **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** الحجرات /١٣ .

انه أمر للبشرية بأن تتعارف وتتراحم ، وتدرك أن لا فضل لأحد عند الله خالقها الا بالتقوى .

ولبشاعة جريمة الاحتكار نرى ان الاجماع يكاد أن يكون تاما بين فقهاء المسلمين على حربه ومقاومته ، وأول مراحل هذه الحرب أن يؤمر المحتكر

بالبيع بسعر المثل ، فاذا لم يبع باع عليه القاضي .

كما يجمعون على استحقاق المحتكر لعقوبة التعزير ، وهي عقوبة كان يوقعها المحتسب ، ويقول عنها ابن القيم :

« يتغير التعزير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا أو مكانا أو حالا ، ويختلف تقدير العقوبة فيه حسب خطر الجريمة وتأصلها في نفس المجرم » .

« لذلك فقد تصل عقوبة التعزير الى الحبس أو الضرب أو العقوبة المالية على جرائم الاحتكار أو مخالفة التسعير » .

لكن هذا الشخص الذي يستحل اخفاء طعام الناس ، أو منع دواء عن مريض ، ألا يعد مفسدا في الارض بما يثيره من قلق في النفوس ، واضطراب في الاوضاع ، ومرارة في الصدور ؟ ألا ينطبق عليه قول الحق تبارك وتعالى : **(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** المائدة/٣٣ .

ان مثل هذا الرجل حرب على الاسلام يحاد الله ورسوله بما يسعى فيه من زرع الآلام والاحقاد بين الناس .. بينما الاسلام يسعى الى السلام وبسط الرحمة والطمأنينة في النفوس .

ولو أن أهل التجارة والصناعة والزراعة اتجهوا في عملهم الى الله واحتسبوه في سبيل الله ، وآمنوا بأن الله ذو حق في المال ، بل هو الخالق الرازق مقسم الارزاق ، لما وجدوا سببا للخصومة والفرقة بسبب المال ، ولسعوا الى تحصيله وانمائه بهذه العقيدة ، لأن البسطة في المال والضيق فيه مرهونان بمشيئة الله .

(ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) الاسراء / ٣٠ .

وطالما اعتقدوا أيضا أنه لا بد أن يكون وضع الرزق في معايش الناس على هذا النحو من السعة والضيق لصالح المجتمع وأمنه .

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) الشورى/٢٧ . طالما اعتقدوا هذا وذاك فلا مجال في سعيهم ونشاطهم للبغضاء والشحناء ولا للحسد والحقد ، والسبيل الى الانتفاع بنعمة الله في المال بعد الجهد ، واعداد النفس للسعي ، هو التوجه الى الله في اخلاص وفي عمل صالح :

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) النساء / ٣٢ .

وفي ظل هذه العقيدة الداعية الى السلام ، والى ابتغاء وجه الله في كل سعي ، من الممكن أن تمضي المنافسة في عالم المال في اطار السلام ودعوة الاسلام .



للاستاذ / حسن الحفناوي

كنا قد ذكرنا – في مقال سابق – طرفا من الدلائل العقلية على صدق الرسالة المحمدية الشريفة ، وإن من يتأمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليجد الصدق يطل من كل حوادثها .

ففي غزوة الخندق – مثلا – او الاحزاب ، كان الأمر بالنسبة للمسلمين محنة من أشد ما قابلوه من المحن ، ولشدة هذه الواقعة ، فانها كانت تمحيصا

للمؤمنين ، إذ ثبتت إيمان المؤمنين ، وكشفت نفاق المنافقين ، وكانت هذه الوقعة ، ثمرة خبث وحقد من اليهود ، فبعد ان أبعد بنو النضير عن المدينة ، ونزحوا إلى خيبر ، خرج زعماؤهم ، وعلى رأسهم حيي بن اخطب ، يقوده الحقد الاعمى ، ويسوقه الغل المرير ، خرج الى قريش يؤلبها ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتحالف معها ، على استئصال شأفة الاسلام والمسلمين ، وقد صادف ذلك هوى من قريش بعد أن هاجت في نفوسهم مكامن ما أحدثته فيهم موقعة بدر ، حتى قال أبو سفيان لهم : « مرحبا وأهلا .. أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد » . بل بلغ من غدر اليهود ، وسوء طويتهم ، أن قريشا قالت لهم : يا معشر يهود .. أنتم اهل الكتاب الأول والعلم .. أخبرونا عن خلفنا مع محمد .. أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت ، وننحر الكوم (أي النياق) ونسقى الحجيج ، ونعبد الهتنا ، فكذب اليهود على أنفسهم ، وعلى ربهم وعلى دينهم وعلى قريش ، فقالوا : « اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم تعظمون هذا البيت ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم » فنزل فيهم قوله تعالى : (**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا**) النساء / ٥١ ، ٥٢ .

ثم لما ضمن اليهود قريشا خرجوا الى غطفان واغروهم بثمر خيبر سنة ان ناصروهم ، فوافقت غطفان ، كما راحت قريش تؤلب اتباعها ، كما البت يهود بني سليم ، فخرجت وأتباعها في أربعة آلاف أو يزيد ، منهم ثلاثمائة فارس ، وخرجت سليم بسبعمائة ، وخرجت بنو فزارة في ألف ، وخرجت أشجع في أربعمائة ، وكذلك بنو مرة ، كما خرجت غطفان حتى تكامل الجمع عشرة آلاف او يزيد ، أما المسلمون فكانوا نحو ثلاثة آلاف ، وقد كرب المسلمون لذلك كربا شديدا ، فالأعداء أكثر عددا ، وأوثق عددا ، خاصة وأن الأعداء ينتوون محاصرة المدينة ، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم ـ بمشورة سلمان ـ يخندق حول المدينة ، وزاد الأمر كربا وشدة ، ما قام به يهود بني قريظة ، إذ نقضوا عهدهم مع المسلمين ، بعد ان ظنوا أن الدائرة دارت على المسلمين ، وقد بعث لهم النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم بعهدهم فازدادوا تنكرا ، ثم اخذوا يستعدون للحرب والقتال ، وزاد من ضيق المسلمين ظهور نفاق المنافقين ممن كانوا قد اظهروا الاسلام ، وأبطنوا غير ذلك . دام حصار الأعداء للمدينة عدة ليال ، حتى ضاق القوت بالمسلمين ، واشتد الكرب ، وعظم البلاء ، إلى حد يكاد ينسى ، الانسان نفسه ، وقد وصف الله تعالى شيئا من ذلك الكرب أدق وصف ، بقوله تعالى : (**إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن**

فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) الاحزاب / ١٠ـ ١٣ .

وفي خضم هذا البلاء ، وعنفوان ذاك الكرب ، والموت يطل على المسلمين من كل حدب وصوب ، لا يزداد النبي صلى الله عليه وسلم إلا تقربا بربه ، واعتصاما بنصرته ، وتشبثا برجائه ، اذ جعل يدعو ربه ويقول : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد .. » وذلك قاطع في نظر كل ذي نظر ، في صدقه صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته العظمى .

ومن وقائع الغزوة نفسها .. غزوة الأحزاب .. ما أوردته أمهات كتب السيرة ، من أن عمرو بن ود ، كان مقاتلا فاتكا في قريش وكان بطلها المغوار ، وكان قد اشترك في بدر ولكن اثبتته الجراح فلم يحضر أحد ، ووجد في غزوة الخندق فرصته ليستعيد مجده من جديد ، وليؤكد بطولته فنادى بالمبارزة ، ولم يكن يجرؤ على الخروج له احد ، إذ الخروج لمبارزته يعني الموت المؤكد الذي ليس منه بد ولا مناص ، ودعت الشجاعة ، ذلك الفارس الأبي ، علي بن أبي طالب ان يهم بالخروج له ، لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم منعه إشفاقا ، اذ قال له : اجلس ، انه عمرو ، فأخذ عمرو يتحدى المسلمين ويقول لهم : اين جنتكم التي يعدكم بها ربكم ، ألا يحب أحد أن يدخلها ، فهم علي ان يخرج لولا ان منعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي المرة الثالثة اصر علي ان يخرج فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنه عمرو ، قال : وإن كان عمرا يا رسول الله ، فلم يجد الرسول بدا من تركه يخرج له ، حرصا على كرامة المسلمين ، واستجابة لرغبة علي وان كان الموقف مخيفا ، فعلي شاب لم يصل في تمرسه ومرانه تلك المرتبة التي تؤهله الى مبارزة بطل فريد كعمرو ، هذا الحرج ، لم يزد الرسول الا قربا من ربه ، اذ تطلع الى الله تعالى وقال : « الهي .. اخذت مني عبيدة يوم بدر ، وحمزة يوم احد ، وهذا علي اخي وابن عمي فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين » وعبيدة هو عبيدة بن الحارث ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم تبارز يوم بدر مع شيبة بن ربيعة فأصاب كل منهما الآخر واستشهد بعد ذلك متأثرا بجراحه ، وحمزة هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم استشهد في أحد ، المهم أن الحرج كلما ازداد ، والضيق كلما الم ، والخطر كلما أحدق ، فلا يزيد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الا تقربا لربه ، وتلك آية قاطعة في صدقه صلى الله عليه وسلم .

هذا ولو تأملنا حادثة اخرى وقعت في احدى السرايا لوجدنا من صدقه صلى الله عليه وسلم ما يستقر في قلب أي منصف ، ففي سرية تدعى سرية زيد بن حارثة ، الى العبيص ، وقع المغيرة بن معاوية اسيرا ، فسلمه الرسول صلى الله عليه وسلم موثقا الى عائشة رضي الله عنها ــ في رواية قوية ــ وذلك لمراقبته وقال لها : احتفظي عليك بهذا الأسير حتى اعود وخرج لشأن آخر ، ولكن عائشة تلهت عنه مع امرأة بالحديث ، فاستطاع الهرب ، فلما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم يجد الأسير ، وسأل عائشة عنه ، فقالت لقد غفلت عنه ، وكان ها

هنا ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها : **قطع الله يدك** ، وخرج فصاح بالناس ، فجدوا في أثر الأسير حتى استطاعوا ضبطه ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فوجدها في حالة من الذعر ، والذهول ، تنظر إلى يدها وتقلبها ، فعجب الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وقال لها : ما لك يا عائشة ؟ قالت : لقد دعوت علي بدعوتك ، فأنظر كيف تقطع يدي .. فخشي الرسول نفسه أن تستجاب الدعوة ، فتوجه الى الله تعالى قائلا : .. اللهم اني بشر أغضب وآسف كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن او مؤمنة دعوت عليه بدعوة ، فاجعلها له رحمة » .. فتأمل كيف انه خاف على زوجه من دعوته وابتهل إلى ربه أن يجعلها بردا وسلاما عليها ، معتذرا ببشريته التي قد تجعله يغضب احيانا ، وإن كان غضبه دائما لله ولحرمات الله ، بل وتأمل كيف ان عائشة وهي التي تعاشر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتلم بكل أحواله وخصائصه ، ايقنت أن الدعوة سوف تجاب ، وأخذت تترقب احتمال تحققها ، اليس ذلك كله دليلا واضحا على صدقه صلى الله عليه وسلم .

وثمة دلائل من الحديبية ..

منها : ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، إذ رأى أنه دخل البيت الحرام معتمرا ، محلقا رأسه معرفا مع المعرفين (أي واقفا بعرفه) ومن المعروف أن رؤى الأنبياء انما هي من قبيل الوحي ، ولذلك فان أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام عندما رأى في نومه أنه يذبح ولده أدرك أن ذلك وحي من السماء ، لا بد له ان يصدع به ، لذا جد في تنفيذه لا تثنيه عن ذلك عاطفة ، ولا ضعف ، ولا تعلة . وقال لولده : **(يا بني اني ارى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)** الصافات / ١٠٢ ، ولما كان و لده يدرك هذا المعنى ، ويعلم ان رؤيا الرسول أمر من السماء فانه قال : **يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين** » الصافات /١٠٢

عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة معتمرا ، أدرك أن ذلك وحي من السماء فاستنفر الصحابة إلى العمرة ، وطلب بعضهم ان يتسلحوا حرصا وحذرا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ، لعمق ثقته بربه وبما امره به ، رفض ذلك ، وقال : انما خرجنا معتمرين ولسنا محاربين ، وذلك على الرغم من العداء المستحكم آنذاك بين المسلمين وبين قريش .. فتأمل .. كيف انه صلى الله عليه وسلم يثق بكل ما يأمره به ربه ، ولو كان الأمر رؤيا منامية ، مما يقع في صدق صلته بربه تعالى .

ومنها : ان قريشا تصدت للمسلمين ومنعتهم من الاعتمار ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق بين الطرفين هو صلح الحديبية ، وعندما جعلوا يحررون الصلح .. أبدت قريش كثيرا من العنت ، اذ رفضت ان يعنون الصلح بعبارة : « بسم الله ، الرحمن الرحيم » وقال ممثلهم أنا لا أعرف الرحمن ، وإنما باسمك اللهم ، كما رفضوا عبارة « بين محمد رسول الله » وقال قائلهم : « لو عرفت انك رسول الله ما

خالفتك ، وإنما أنت محمد بن عبدالله فشق الامر كثيرا على المسلمين ، حتى وثب بعضهم مشهرين سيوفهم ذودا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرسول منعهم ، وقبل ما طلبته قريش ، كما تعنتت قريش في شروطها حتى ضج المسلمون لذلك ضجة كبرى ، ومع ذلك قبل الرسول صلى الله عليه وسلم .. ضج المسلمون حتى قال عمر رضي الله عنه للرسول عليه الصلاة والسلام : « ألسنا بالمسلمين » قال : « بلى » قال : « فعلام نعطي الدنية في ديننا » فلنسمع جواب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال : « انا عبدالله ورسوله .. ولن اخالف امره .. ولن يضيعني » . وليس في هذا الأمر ضعف كما ذهب إلى ذلك بعض ضعاف البصائر من المستشرقين ، وإنما تفسيره الواضح ، انه رأى في نومه أنه يعتمر ، ولم ير أنه يحارب ، فهو يريد تنفيذ الرؤيا كما رآها باعتبارها وحيا سماويا ، وذلك قاطع في صدق صلته بربه ، بل ونفى شبهة الضعف التي ثارت في نفوس أولئك الذين لا يتفهمون الأمور ، بنفيها ، آن النبي صلى الله عليه وسلم ، في ذات الموقف وقبل عقد الصلح ، كان قد بعث عثمان بن عفان ألى قريش للتفاوض ثم سرت إشاعة أن قريشا قتلوه ، فبايع النبي أصحابه على الموت في بيعة شهيرة في الاسلام امتدح الله الصحابة فيها ، في القرآن الكريم ، اذا لا ضعف ولا شبهة ، وانما هو صدق وإيمان ، ولذلك عندما ثار عمر .. كان قول الرسول له موضحا لذلك المعنى إذ قال : « أنا عبدالله ورسوله ، ولن أخالف امره ، ولن يضيعني » .

وثمة حادث آخر .. فقد روى في امهات كتب السيرة مثل « امتاع الأسماع وغيره » أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من بني ثعلبة بن سعد من غطفان وبني محارب بن خصفة بن قيس قد تجمعوا يريدون الاغارة على المسلمين وتزعمهم دعثور بن الحارث ، فابتدرهم الرسول صلى الله عليه وسلم إذ خرج إليهم في نحو أربعمائة وخمسين مقاتلا ، وعسكر بجنده لدى احد الجبال ، فأمطرت السماء مطرا ثقيلا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذهب منفردا لقضاء حاجته ، فأصابه المطر فبل ثوبه فنزعه ونشره على شجرة ، ليجف ، واضطجع تحتها ، وكان دعثور يراقبه من طرف خفي ، فانتهز هذه الفرصة وباغت النبي صلى الله عليه وسلم مشهرا سيفه ، وقال له : « يا محمد .. من يمنعك مني اليوم ؟ » قال : الله .. فسقط السيف من يده ، وانتابته رعدة شديدة ، فأخذ النبي السيف ، ثم قام فقال له : من يمنعك مني الآن .. فقال : لا احد ، فخلى النبي سبيله ، فأسلم وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه .

فانظر : انه في معمعان تلك المحنة ، التي يعاين الانسان فيها الموت بعينه ، فهو أعزل وذاك عدو يكاد يملكه ، وهو مشهر سيفه ، فلا يزيده ذلك الا اعتصاما بالله ، ولجوءا اليه ، وهكذا كان كلما ضاق به الأمر ، وأحدقت به المحن ، وأحاطه الخطر ، لا يزداد الا تقربا من ربه وتسليما اليه ..

افلا يدل ذلك لكل ذي بصيرة دلالة واضحة قاطعة ، على ايمان صادق لا شبهة فيه ، ولا تصنع .

الوثنية والنصرانية

للمستشـــار : محمـــد عزت الطهطاوي

لما قضى الله سبحانه وتعالى بذهاب المسيح عليه السلام من هذا العالم الدنيوي سواء بالوفاة بعد قبض روحه شأنه شأن باقي البشر او برفعه الى السماء بعد ان نجاه الله من اعدائه ـ اليهود الذين تآمروا على قتله وصلبه (كما رفع إدريس عليه السلام الى السمـــاء من قبـل) قام تلاميـذه وحواريوه بنشر دعوته في التوحيد والسلام وحب الخير الى الناس .

إلا أن الوثنية وقد كانت غالبة على اهل الارض في ذلك الزمان دفعت المتأثرين بهـا والذيـن اعتنقـوا النصرانية الى ان يستمدوا مما رسخ في اذهانهم واستقر في خيالهم من امور الشرك ومن الطقوس الوثنيـة السائدة ما طمسوا به الحق السماوي الذي جاء به المسيح من عقيدة نقية في التوحيد المجرد لله وحده وانه انسان رسول تكلم بالحق طبقا لما ذكره عنه انجيل يوحنا وهو يخاطب اليهـود

المتآمرين على قتله في قوله : (ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) .. (انظر نص انجيل يوحنا اصحاح ٨ عدد ٤٠) .

كيف كانت النصرانية في بداية أمرها ؟

كانت النصرانية في بداية امرها ديانة سماوية نزلت على المسيح عليه السلام ، لكنها كانت عقيدة مكملة لليهودية ومصححة لما شابها من انحرافات مع توالي الحقب والازمان .. ولذا جعلت شريعتها الأساسية توراة اليهود مع تعديلات قليلة ورد ذكرها في انجيل المسيح .. لذا كان المفهوم الطبيعي للنصرانية ان تحكم بشريعة التوراة الأصلية ، مع مراعاة التعديلات الواردة في الانجيل .

غير ان الذي حدث بالفعل لم يكن كذلك ، فلقد انتقلت النصرانية من فلسطين الى اوروبا ومن المجتمع اليهودي الى المجتمع الروماني .. وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذي مارسته الكنيسة في اوروبا في العصور الوسطى ، لم تكن الشريعة النصرانية مطبقة في غير الاحوال الشخصية .. وما عدا ذلك من امور كان يحكمه القانون الروماني بجاهليته ووثنياته .

وللتدليل على ما سبق شرحه نذكر شهادة بعض الباحثين والعلماء والأساقفة المعاصرين طبقا للآتي :

اولا : **ماذا يقول الكاتب الامريكي درابير :**

يقول في كتابه : (النزاع بين الدين والعلم) لقد دخلت الوثنية والشرك في النصرانية عن طريق من تظاهروا باعتناقها رياء وكذبا ، ليتقلدوا المناصب العالية في الدولة الرومانية دون ان يؤمنوا بها .. وقد فعل ذلك قبلهم الامبراطور (قسطنطين) الذي اعتنق النصرانية ولم يتخل عما اعتاد من ظلم وفجور .. لقد اعتنق النصرانية مرغما بعد ان رفعته الى العرش آملة ان يتقيد بأوامرها ، ويساعد على انتشارها غير انها لم تستطع ان تقضي على جرثومة الوثنية الرومانية فيه .. وكانت نتيجة ذلك الصراع ان امتزجت مبادىء النصرانية وقيمها وعقائدها ببقايا تلك الوثنية ونشأ عن ذلك الامتزاج دين جديد ، هو خليط من النصرانية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية .

ثانيا : **ماذا يقول الاستاذ مجدي مرجان الباحث القبطي المصري ؟**

يقول في كتابه (الله واحد أم ثالوث) ..

١ ـ ان المتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد ان الثالوث المقدس يعتبر اصلا من اصولها ومعتقدا من اهم معتقداتها .. وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين وقال به الهنود وقال به غيرهم من الأمم الوثنية .

٢ ـ ان الخلاف الأساسي بين النصرانية والاسلام ، بل بين النصرانية وكافة الرسالات السماوية ، هو في هذه الصورة المشوهة عن الله التي الصقتها الوثنية بالنصرانية بقصد هزيمتها والقضاء

عليها .
٣ ـ ولقد قرر الاستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث النصراني ، حيث ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت الى الانجليزية شارحة وثنية الهنود القدماء اوجه التشابه الكبير بين القانون الايماني الهندي وبين القانون الايماني في عقيدة النصرانية .

٤ ـ إنه بعد ذهاب السيد المسيح ، اضطر تلاميذه وحواريوه من اجل احياء دعوته الى نقلها من ارض اليهود الى الشعوب الوثنية المحيطة بها ، كالرومان واليونانيين وغيرهم ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة النصرانية بين تلك الشعوب الوثنية وخوفا من ان تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود الذين ضاقوا بها ورفضوها اضطر المبشرون النصارى الى تطعيم النصرانية ببعض الطقوس والشعائر والعادات التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية .. ويبدو ان هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية فقد رأوا ان هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة النصرانية الى اذهان الوثنيين ، وظنوا انه مع مرور الوقت فان النصرانية ستتطهر من تلك العادات والطقوس وستعود الى صفائها .

٥ ـ ولقد تحول فعلا الى النصرانية كثير من الوثنيين ولكنهم نقلوا اليها ايضا مزيدا من العادات والشعارات الوثنية .. واضطر دعاة النصرانية وقتئذ الى السكوت وغض الطرف والمجاملة ، وذلك للابقاء على هؤلاء الوثنيين وعدم تنفيرهم من النصرانية ، علهم يستقيمون بعد ذلك على نهج العقيدة الصحيح .

٦ ـ لكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلا ، هو غير ما توقعه اولئك المبشرون النصارى البسطاء ، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي اتى بها المسيح عليه السلام .

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال اخذت الأحكام الالهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية ، وأخذت الحقائق تتقهقر لتفسح الطريق للأوهام ، وأخذت النصرانية تتباعد شيئا فشيئا عن الدين السماوي العظيم الذي اتى به المسيح عليه السلام من لدن الرحمن الرحيم ، وكان للموقف المتهاون الذي وقفته النصرانية ومبشروها ازاء الوثنية وعاداتها ، هو السبب في تغلب الوثنية على النصرانية وتطويعها لمشيئتها وطقوسها ، ذلك ان الوثنية قريبة لغرائز البشر الحسية وشهواتهم البهيمية .

ثالثا : **القس بولس إلياس اليسوعي وهو من رجال الدين النصارى :**

يقول ذلك القس في كتابه يسوع المسيح : (لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها الى اليونان حكمة التوراة وآداب الانجيل .. وأخذوا منهم

وضوح التعبير ودقة التفسير فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه الى روما – ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب ، وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف ، فما فرضت صيغة موحدة للصلاة .

رابعا : **ويقرر الدكتور احمد شلبي استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في كتابه مقارنة الأديان عن المسيحية :**

١ – ان النصرانية مرت بعهود ضعف واضطهاد ، وقد امتد هذا الاضطهاد الى انجيل المسيح فالتهمه وقضى عليه .. وهكذا فقدت النصرانية كثيرا من رجالها في قمتهم المسيح نفسه .. وفقدت أكثر مراجعها الأصلية وهو انجيل المسيح ، فأصبح مصدر النصرانية الحقيقي واهنا او بالحرى معدوما .

٢ – ولقد وقفت حضارات اخرى اقدم جدا من النصرانية بين بين – بين التعدد الذي قال به البابليون وبين التوحيد الذي قال به المصريون في عهد أخناتون وكذا قال به الاسرائيليون ، فظهرت بدعة (التعدد في وحدة والوحدة في تعدد) وقد قال بهذا الهنود قبل المسيح بأكثر من الف عام فقد كان عندهم براهما – وفشنو وسيفا – يعدونها ثلاثة جوانب لاله واحد وكانوا يعدون براهما واحدا له ثلاثة اقانيم .

خامسا : **ويقول ويلز وهو احد علماء مقارنة الأديان في بلاد الغرب :**

إنه بعد الفتح الاغريقي لمصر اصبحت مدرسة الاسكندرية الحديثة مركزا لحياة مصر الدينية ، بل وصارت في الحق مركزا للحياة الدينية للعالم الهلليني كله ، فأقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو معبد السرابيوم ، كان يعبد فيه نوعا من ثالوث الأرباب مكونا من :

١ – سيرابيس
٢ – وايزيس
٣ – وحوريس

ولم يكن الناس يعدونها اربابا منفصلة بل هيئات ثلاث لاله واحد .

ما هو وجه الخلاف بين نشأة الاسلام ونشأة النصرانية :

إن وجه الخلاف بين نشأة الاسلام ونشأة النصرانية انه بينما اضطرت النصرانية الى النمو في حضانة الوثنيات التي سادت المجتمع الروماني والمجتمع اليوناني قضى الاسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرما ، ونشر تعاليمه التي تقوم على الوحدانية للذات الالهية دون لبس او غموض .

وتحدثنا كتب السيرة النبوية انه لما عرض عبدة الأوثان على النبي صلى الله عليه وسلم ، ان يعبدوا الله فترة وان يعبد آلهتهم فترة اخرى ، رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العرض بشدة ونزل الوحي الالهي بآيات بينات قضت على تلك الفكرة في مهدها وذلك في قوله تعالى : **(قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين)** سورة

الكافرون ـ هكذا كان موقف الاسلام منذ انبلاج نوره في مكة المكرمة .

اما النصرانية فان الامبراطـور قسطنطين الرومانـي ، كان يعمـل جاهدا بغية توطيد ملكه للتأليف بين النصرانية والوثنية التي كانت سائدة في المجتمع الروماني ، وظن دعـاة النصرانية وقتئذ ان قبولهم للأوضاع الوثنية انما هو قبول مرحلي لا محيد عنه وان النصرانية ستستطيـع ان تنجو آخر الأمر من رجس الوثنية ، ولكن النتيجة ظهرت على عكس ما كانوا يتوقعون فلقد تغلبت الوثنيـة وقضت في النهاية على عقيدة التوحيد ـ واقرت عقيدة التثليث والتي ترتكز على ان الاله عبارة عن ثلاثة اقانيم هي « الأب » وهـو الاصـل ـ و « الابن » وهو الكلمة تجسـد في المسيح ـ و « روح القدس » الذي التقى بالعـذراء مريـم قبـل ولادة المسيح .

ما هو موقف الاسلام من عقيدة النصرانية في الثالوث :

لما جاء الاسلام هاديا للبشريـة كانت دعوته في الألوهية دعـوة الى الوحدانية والى تنزيه الاله الواحد من لوثة الشرك والتعدد ، وانه متصف بجميع صفات الكمال وان ذاته منزهة عن التثليث الذي تسرب من الوثنية الى النصرانية ، لذا كان موقف الاسلام موقف المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الالهية ومناديا لهم بالعودة الى جوهر التوحيد الذي هو اصل الديانات السماوية ولا جدال في ان التوحيد هو اشرف العقائد الالهية ، وأجدرها بالانسان في ارفع حالاته العقلية والخلقية .

القرآن الكريم يقضي بمحكم آياته على فكرة الثالوث ويقرر أن الحق الذي لا جدال فيه هو أن الله إله واحد .

١) قال تعالى : **(يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد)** النساء/ ١٧١ .

فلقد نادى الله سبحانه النصارى بقوله تعالى : **(يا أهل الكتاب)** وفي هذا توبيخ لهم ان يتدبروا كتابهم الذي نزل على رسولهم المسيح عليه السلام ، ويتأملوا ما فيه وهو بلا ريب ان وجد ليس فيه شيء مما يدعون ويفترون كذبا لا اساس له ولا دليل يعتمد عليـه فيمـا زعمـوه بان : **(المسيح ابن الله)** لأن هذا القول يناقض الدليـل الواضـح والحـق الثابت ، اذ الاله لا يلد ولا يولد ، فان ذلك أمارة الحدوث وعلامة الاحتياج ، وان المسيح لا يعدو كونه رسولا من الله ، وقصر نص الآية على الرسالة للمسيح ، فيه زجر شديد لهؤلاء الذين يقولون على الله غير الحق ، وفي ذكر الآية لاسمه وفي نسبته لأمه اشارة الى انه انسان ككل الناس ولدته انثى ، وأنه وجد بسبب كلمة الله وأمـره (كن) ، مثله كمثل آدم عليه السلام خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون من غير سبب مادي من وجود أب له ،

كما جرت به سنة الله في توالد بني آدم ، وانه تكون في بطن امه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه ، لذلك وصف بانه روح منه اي من الله تشريفا وتفضيلا ، وليست « من » هذه تبعيضية بل كانت تشريفا وتعظيما له عليه السلام ، واذا كان هذا شأن المسيح ليس الها ولا ابنا لله ، اقتضى الأمر تكليف النصارى الايمان بالله وحده ربا لا شريك له في العبادة ، وليس معه ثان ولا ثالث وكذا تكليفهم بالايمان بجميع الرسل وفي جملتهم المسيح عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام .

والتعبير بقوله : **(ولا تقولوا ثلاثة)** لبيان ان مجرد النطق بذلك منكر وقبيح فضلا عن ان يكون اعتقادا وايمانا وفيه اشارة الى ان ما ذهب اليه النصارى لا ظل له من الحقيقة .

ثم يبذل القرآن النصيحة لهم في قوله تعالى : **(انتهوا خيرا لكم)** فلقد امرهم بالانتهاء من هذا القول وهو قول التثليث لأنه شرك محض وان في خروجهم منه خيرا لهم ، لأنهم يخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام ، بزعمهم ان الله مركب من اقانيم ثلاثة ، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة ، يحيل كذلك تركبها واتحادها وان في رجوعهم الى التوحيد هو رجوع منهم الى العقيدة الصحيحة المبنية على الحجة والبرهان فيفوزون من الله بالرضوان .

٢) وقال تعالى : **(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد)** المائدة/٧٣ في هذه الآية قضى الله بالكفر الصريح على القائلين بالتثليث لأنه كما ذكرنا آنفا انه تسرب الى النصرانية من العقائد الوثنية .

وخلاصة القول :

إن التثليث تقرر رسميا بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن ، وانه دخيل على النصرانية الحقة الموحدة ، وقد اعترف كبار علماء اللاهوت النصارى في قاموس الكتاب المقدس ان عقيدة التثليث (لم ترد في الكتاب المقدس) ويظن ان اول من صاغها واخترعها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد ، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقيه المسكوني اقر التثليث عقيدة رسمية للنصرانية سنة ٣٢٥ ميلادية ، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند جميع الكنائس النصرانية على يد اوغسطنيوس في القرن الخامس الميلادي) انتهى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس .

والحق أنه لا يمكن عقلا أن يكون الاله إلا واحدا ، اما تعدد الآلهة كما في التثليث فهو وصم لها بالقصور ، لأن قدرة كل واحد منهم تكون حينئذ مقيدة بقدرة الآخرين ، والاله لا يكون محدود القدرة والسلطان ، لأن تحديد القدرة وصم له بالعجز والاله لا يكون عاجزا ، واذا لا يمكن ان يكون الاله إلا إلها واحدا قال تعالى في محكم كتابه الكريم **(وما من إله إلا إله واحد)** المائدة/٧٣ .



أحوال البيئة النبويّة في القرآن الكريم



للاستاذ محمد عزة دروزة

من مفاتيح فهم القرآن فهما سليما ملاحظة ما ورد فيه من فصول ، فيها ترديد لما كان من واقع اجتماعي ، ومعاشي ، وفكري ، وعقلي ، وديني ، وعقائدي ، في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم التي نزل القرآن للمرة الاولى فيها، ومن فصول عاطفة على ذلك فيها ، تنديد أو تثريب ،أو إفحام أو حوار ، أو حجة أو مقارنة ، أوتنبيه او إثبات أو نفي .. الخ ، حيث يكون ملاحظة ذلك عاصمة من الوقوع في إشكالات وحيرة وتساؤل في صدد آيات وفصول قرآنية كثيرة ، حيث يجد المدقق في القرآن الكريم الصلة وثيقة بين ما كانت عليه بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره ، من تقاليد وعادات وعقائد وأفكار ومعارف ، وبين محتويات القرآن الكريم .

ونستدرك فنقول : إننا لا نعني أن القرآن قد احتوى جميع صور البيئة ، وأن ما احتواه منها قد جاء مبتدئا لها ، فهناك صور أخرى من دون ريب للبيئة لم ترد في القرآن كما أن ما جاء فيه منها قد جاء في الحقيقة عرضا ، وبسبيل الدعوة أو الموعظة أو التذكير أو التشريع أو التنبيه أو الأمر أو النهي أو التوضيح أو الاجابة على سؤال أو مشكل مما اقتضته الحكمة الربانية ليكون مصدر إلهام وإيحاء وتوجيه ، ومرجع تشريع وتلقين في جميع العصور ، وليس عائدا أو محصورا بأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره ، كما يفيد الأسلوب الذي جاءت به الآيات والفصول ، والذي صار بذلك فريدا معجزا ، ومرشحا للقرآن وللشريعة القرآنية والرسالة الاسلامية للخلود والأبدية .

وهذه الصلة واضحة :

اولا : من جهة أن الدعوة الاسلامية والوحي القرآني إنما اقتضتهما حكمة الله بسبب ما كان عليه الناس ــ وأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من جملتهم بل في مقدمتهم ، لأنهم المخاطبون الأولون ــ من خلاف في فهم وإدراك وجوب وجود الله تعالى وكمال صفاته وتنزهه واستغنائه عن الشريك والولد والولي والمساعد . ومطلق تصرفه في كونه ، واستحقاقه وحده للعبودية والخضوع والاتجاه ، ووجوب

نبذ ما سواه ، ومن انحراف عن طريق الحق والخير والعدل والفضيلة ، ومن اختلاف عظيم في المذاهب والعقائد والطقوس ، سواء في ذلك كل العرب وغيرهم . والكتابيون والأميون والمشركون ، ثم بسبب أن ذلك ناشيء عن ما كان من تقاليد وأفكار ومعارف وأهواء وتأويلات ومفاهيم عند الناس وأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم في المقدمة اقتضت حكمة الله نسخها أو تعديلها .

ثانيا ـ مما احتواه القرآن من فصول الجدل والتنديد والتقريع في صدد هذه التقاليد والعادات والأفكار والمعارف والأهواء والتأويلات والمفاهيم ، فيها اشارات كثيرة إلى كثير من صورها المتنوعة . وفيها ربط بينها وبين مواقف أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة الاسلامية . يضاف إلى هذا المظهر القرآني العام نصوص قرآنية خاصة في هذا المعنى وردت في مواضع عديدة وبأساليب متنوعة اذا تمعن القارىء فيها ظهرت له هذه الصلة ظهورا جليا ، ونزيد الأمر ايضاحا بالأمثلة التالية :

١) في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا في مختلف أحوال الملائكة ، وهذه الآيات مما يدخل في عداد المتشابهات ، من حيث أن بعضها يحتمل وجوها عدة من التأويل ومن حيث أن تأويل بعضها لا يعلمه إلا الله تعالى . ومن حيث أن الواجب المنطوي في هذه الآيات يقضي بالوقوف منها عندما وقف القرآن عنده ، وقرره بدون تزيد ، مع استشفاف حكمة ورودها .

وبسبيل ذلك نقول : ان المفهوم مما تريده الآيات الكثيرة من واقع عقائدي وديني هو أن أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون بوجود الملائكة ، وانهم بنات الله ، ويسمونهم تسمية الأنثى ، وأنهم ذوو حظوة لدى الله عز وجل ينفذون أوامر الله ويؤيدون أنبياءه . وكانوا تأسيسا على ذلك يتحدون النبي الذي كان يقول : إن الله يوحي إليه وينزل الملائكة عليه باظهارهم جهارا عيانا لتأييده ، وكانوا إلى اعتقادهم بأن الله خالقهم ورازقهم ورب السموات والأرض وما بينهما على ما تلهمه آيات قرآنية عديدة يعبدون الملائكة أيضا . أو بتعبير أدق يشركونهم في العبادة مع الله تعالى بقصد الشفاعة والحظوة والقربى إليه وضمان قضاء مطالبهم منه على ما تلهمه آيات عديدة قرآنية أيضا ، ويتفرع من هذا ما في القرآن من نفي متكرر لاتخاذ الله ولدا في معرض الرد على المشركين والتنديد بهم ، والقصد من ذلك هو عقيدتهم بكون الملائكة بنات الله عز وجل (وكلمة ولد تطلق على الصبي والبنت) .

فبهذا كله يمكن ان يفهم ويفسر بيسر حكمة ما احتواه القرآن الكريم من الآيات الكثيرة جدا في الملائكة . ولقد احتوى كثير منها ـ وهذا من مظاهر تلك الحكمة او مقاصدها تقريرات بكون الملائكة عبيدا لله ، وكونهم لا يستكبرون عن عبادته ويخافونه ويفعلون ما يأمرهم به ، ولا يعصون له أمرا ، ولا يجرأون على دعوى الألوهية ، وكونهم هم أنفسهم يبتغون إليه الوسيلة والتقرب بالطاعة والخضوع والعبادة والتقديس الدائم ، حتى إنه يأمرهم بالسجود لآدم فيسجدون له امتثالا

لأمره ، وبكونهم لا يشفعون الا لمن أذن به ورضي عنه . على ما هو مثبوت في آيات كثيرة . وفي ذلك الحجة القرآنية البالغة التي هي من مقاصد تلك الحكمة بأن الله تعالى هو الأوحد المستحق للعبادة ، والتقرب والوسيلة إليه بالطاعة وصالح العمل والتقديس والتسبيح . وإن من السخف والضلال إشراك عبيده وخدمه ومنفذي أوامره وطالبي الحظوة إليه معه ، لأنهم لا يملكون ذلك لأنفسهم ، ومن باب أولى لا يملكونه لغيرهم ، على ما تلهمه آيات كثيرة .

ولقد كانت فكرة الاستشفاع بالملائكة والتقرب بهم إلى الله تعالى لضمان قضاء مصالحهم ومطالبهم ورغائبهم ودفع الأذى وجلب النفع راسخة في أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانعكس ذلك في أيات كثيرة فيها نفي لنفع الشفاعة بدون رضاء الله وإذنه . ولقد حكت آيات عديدة في سياق حكايتها لمشاهد الآخرة تنصل الملائكة من ذلك ، وإعلانهم بأن الله هو وحده وليهم تقوية لتلك الحجة . ولقد كان المشركون يحاجون النبي صلى الله عليه وسلم في إشراكهم الملائكة في العبادة ، ويقولون : إن الله لو لم يشأ ذلك لما فعلناه على ما ذكرته بعض الآيات ، فأوحى الله بأيات فيها رد مفحم عليهم .

وكل ما تقدم يعكس صلة البيئة النبوية بالتنزيل القرآني ، ويساعد على فهم القرآن الكريم ولقد كان كل هذا ورسوخه في أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب استمرارهم في شركهم ، واستمرار المعركة القرآنية ضد الشرك والمشركين ، وبقاء معظم أهل مكة ومن ورائهم معظم العرب مشركين طيلة العهد المكي ، وشطرا كبيرا من العهد المدني ، ويعكس هذا كذلك صلة البيئة النبوية بالتنزيل القرآني ويساعد على فهم القرآن الكريم أيضا .

٢ ــ وشأن الجن مثل شأن الملائكة في امر خفائها مع شيء من الاختلاف بسبب طبيعة الملائكة ، من حيث أن هؤلاء خلق خير ، وأولئك خلق شر . وفي القرآن آيات كثيرة في مختلف أحوال الجن ، وهي مثل آيات الملائكة تدخل في عداد المتشابهات من حيث أن بعضها يحتمل وجوها عديدة للتأويل وأن تأويل بعضها لا يعلمه إلا الله تعالى ، ومن حيث أن الواجب المنطوي في هذه الآيات يقضي بالوقوف عند ما وقف القرآن بدون تزيد مع استشفاف حكمة ورودها ، وبسبيل ذلك نقول إن المفهوم مما رددته آيات كثيرة من واقع عقائدي وديني هو أن اهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون بوجود الجن ، وأنهم خلق قوي مخيف ، وأنهم يستطيعون أن يتسلطوا عليهم ، ويؤذوهم ويخطفوهم وأن يختلطوا في أجسادهم فيسببون لهم الصرعة والتخبط من مسهم . وانهم يوسوسون لهم بسيئات الأعمال والأخلاق ويزينونها لهم ، وأن أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك كانوا يخافونهم ويعوذون بهم ويعبدونهم اتقاء لشرهم وأذاهم ، فبهذا كله يمكن أن يفهم ويفسر بيسر كذلك حكمة احتواء القرآن الكريم للآيات الكثيرة في الجن أيضا . ولقد احتوى كثير منها ــ وهذا من مظاهر أو مدى تلك الحكمة ــ تقريرات بكون الجن لا يعلمون الغيب ، ولا يستطيعون الأذى والوسوسة والتأثير إلا على من يستسلم

لهم ، ويشذ عن طريق الله الحق . ويكون منهم طوائف يؤمنون بالله ورسله وكتبه ـ ويكون غير هؤلاء ملعونين عند الله مطرودين من رحمته معرضين لنقمته وغضبه وعذابه في الآخرة ، ويكون من واجب المؤمن الصادق ان يستعيذ بالله ويلجأ إليه حينما يتعرض لنزعاتهم ووساوسهم فيكون في ذلك نجاته منهم ، وفي ذلك الحجة القرآنية البالغة التي هي أيضا من مظاهر ومدى تلك الحكمة بأن الله تعالى وحده هو المستحق الأوحد للعبادة والتقرب والتوسل بالطاعة وصالح العمل ، وبأن من السخف والضلال اتباع الجن وعبادتهم والاعتقاد بأنهم قادرون على النفع والضرر بغير إذن الله تعالى .

ويتفرع عن هذا ابليس والشياطين ، وكلمة ابليس هي ذم من (أبلس) بمعنى يئس اي اليائس من رحمة الله ، وكلمة شيطان أيضا هي كلمة ذم من (شاط) أو (اشتط) بمعنى بغي واعتدى وعتا . والكلمة بمعنى شديد البغي والعدوان والعتو . والكلمتان مستعملتان من العرب قبل نزول القرآن وصيغتهما فصحى لأن القرآن نزل بلغة العرب ، ولا بد من أنهم كانوا يعرفون معناهما المذكور ، وكانوا يطلقون كلمة الشيطان ايضا على الباغي العاتي من الأنس ، وجاء هذا في بعض آيات القرآن أيضا ولقد ذكر القرآن أن ابليس والشياطين من الجن ، وفيه آيات كثيرة تذكر وساوس إبليس والشياطين للمشركين والكفار ، وتأثر هؤلاء بهم والوقوع في شراكهم ووساوسهم كأمور راهنة من أحوال أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد احتوى القرآن الكريم آيات كثيرة بالتنديد بالمشركين بسبب ذلك وبيان ضلالهم كما احتوى آيات كثيرة تقرر أن إبليس والشياطين إنما يؤثرون في وساوسهم وتزييناتهم على المنحرفين والفاسقين والظالمين والمترفين . وأنهم ليس لهم سلطان على عباد الله المخلصين ، وهكذا تبدو الصلة ظاهرة أيضا بين التنزيل القرآني وأحوال بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويساعد ذلك على فهم وتفسير القرآن وادراك ما في آياته من حكمة وعبرة ، وفي القرآن حكاية مشاهد اخروية يتنصل فيها الشيطان من متبعيه ، وهذا من مظاهر وبوادر تلك الحكمة .

٣ ـ وفي القرآن آيات كثيرة تفيد وتردد ما كان للزعامة والثروة ـ وكثيرا ما كانت الاثنتان تجتمعان معا ـ من قوة وتأثير في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد بأن الزعماء والأثرياء والمترفين هم الذين قادوا معركة المناوأة للنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وأثروا على الجمهور ومنعوه من الانضواء الى الاسلام حتى ليكاد معظم القرآن المكي وما فيه من حجاج وحملات وقصص وامثال وحوار ومواقف وإنذار ووعيد يكون في صدد معركة النبوة مع الزعامة ، مما هو متصل بحالة بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعكس صلة التنزيل القرآني بها ، ويساعد على تفسير القرآن وفهمه أيضا .

وفي القرآن المكي بخاصة آيات عديدة فيها مشاهد أخروية وحكاية ما سوف يدور من حوار بين الزعماء (المستكبرون) والعامة (الضعفاء والمستضعفون) وفيها تنديد وتوجيه مسئوليات وندامة وحسرة ، وتعكس هي ايضا ما كان من تأثير

الزعماء والأثرياء على العامة ، وقيادتهم لمعركة المناوأة للنبي ورسالته ، وبالتالي تعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، وتساعد على فهمه وتفسيره ، ولقد وصف القرآن قوم النبي صلى الله عليه وسلم بشدة الجدل والخصومة ، والمقصود هم الزعماء والنبهاء الذين كانوا يقودون المناوأة ضد النبوة والرسالة ، بل كانوا طرفها الرئيسي ، ولقد حكى القرآن كثيرا من أقوالهم ومواقفهم ، ولقد انكشفت عبقرية ومواهب كثير منهم عقليا وفكريا وسياسيا وحربيا ، بحيث يقال : إن موقف الزعماء والنبهاء لم يكن من غباء وجهالة وحسب ، بل كان من استعظام الزعماء واستكبارهم عن الانضواء إلى دعوة محمد النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن زعيما ولا ثريا ، ومن اختصاصه دونهم وهم أصحاب القوة والوجاهة والمال والتأثير والنفوذ والسلطان على ما جاء في آيات عديدة ، ولقد كانوا يتعجبون من خلاف الكتابيين ونزاعهم فيما بينهم ، ويحلفون أن لو جاءهم كتاب عربي ورسول عربي لصاروا أهدى منهم ، ولقد كانوا يرون انفسهم أهدى من النصارى باتخاذهم الملائكة بنات الله ، بينما النصارى يتخذون انسانا ابنا له ولكن اختصاص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة هو الذي أثارهم ، لأنه ليس زعيما ولا ثريا ، مما يعكس أيضا صلة حالة البيئة بالتنزيل القرآني ويساعد على فهمه وتفسيره ، ولقد كان ما احتواه القرآن من دعوة إلى المساواة والأخوة بين جميع المنضوين للاسلام بدون فرق بين عظيم وصعلوك ، وغني وفقير ، وحر وعبد ، وأبيض وأسود مما يثير الزعماء ويجعلهم يحتجون على النبي ، ويطلبون ابعاد الفقراء والصعاليك عنه ، حتى لقد حدثت النبي نفسه لحظة ما بشيء من الاستجابة لهم ، بقصد كسبهم للدعوة ، لأن في ذلك تثبيتا ونشرا لها بين الجماهير المتأثرة بهم ، وهذا أيضا يعكس صلة البيئة بالتنزيل القرآني ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

ولقد كان كذلك ما احتواه القرآن من دعوة إلى البر بالفقراء والمساكين ، وانفاق المال والتنديد بكنزه ، والتفاخر به وانذار المتكاثرين المتفاخرين الباخلين ــ وهذا مبثوث في سور كثيرة ــ مما أثار في الأثرياء الذين كانوا أيضا عماد القوة المناوئة للنبوة والرسالة ، مما يعكس أيضا صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، ويساعد على فهم القرآن وتفسيره .

٤ ــ إن الآيات القرآنية الواردة في شعائر الحج تفيد صراحة وضمنا أنها كلها أو جلهاكانت ممارسة قبل البعثة فأقرت في الاسلام بعد تنقيتها من شوائب الشرك والوثنية والقبح الذي كان يتمثل في الطواف في حالة العرى التام ، وكان العرب ينسبونها إلى ابراهيم ، فرددت بعض آيات القرآن ذلك ، وكانت تلك التنقية اعادة للأمر إلى نصابه الذي لا بد أنه هو الذي كان عليه في عهد ابراهيم عليه السلام ، وهذا ما تؤيده بعض آيات القرآن ، مع أن فيهاما قد لا يفهم حكمة إقراره ، مثل الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمرات في منى ، واستلام الحجر الأسود ، والمتبادر أن ذلك متصل بتقاليد الحج العربية بعد أمد

طويل من عهد ابراهيم ورسوخها . وفيها مظهر لوحدة العرب على اختلاف منازلهم ، حيث كانوا يشتركون جميعهم في الحج . ومواسمه وتقاليده وحرماته وأشهره الحرم ، وحكمة إقرارها في الاسلام منطوية في ذلك الرسوخ ، من جهة ، وما كان لها من فائدة وأثر في الوحدة المذكورة التي كان القرآن يدعو إليها من جهة أخرى .

ولعل قصد تأنيس العرب بالدعوة الاسلامية مما ينطوي في تلك الحكمة أيضا ، وفي سورة القصص آية مهمة في هذا الباب وهي قوله تعالى : **(وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا)** الآية / ٥٧ حيث تفيد أنهم حسبوا أن تكون الدعوة الاسلامية قد هدفت إلى الغاء تقاليد الحج ، وكان من مقتضى هذه التقاليد حرمة مكة ومنطقتها وتوافد العرب من كل صوب عليها ، وإقامة المواسم حولها . فكان خوفهم من أسباب امتناعهم عن الاستجابة للدعوة مع أنهم لمحوا أن فيها هدى وحقا ، حيث يعكس هذا ، الصلة الوثيقة بين التنزيل القرآني وتقاليد البيئة النبوية قبل الاسلام ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٥ ــ في القرآن آيات كثيرة فيها قصص وأخبار ومواقف عديدة عن إبراهيم عليه السلام ليست واردة في سفر التكوين ، أول أسفار العهد القديم الذي هو المصدر الوحيد الذي وصل إلى عهدنا الذي ذكر هذا النبي ، وفصل سيرته وسيرة ذريته ، ومن تلك الأخبار والقصص والمواقف دعوته لأبيه وقومه ومحاججته معهم ، وتكسيره الأصنام ، ومحاولتهم حرقه بالنار ، ودعاؤه بأن يجنبه الله وبنيه الأصنام ، واسكانه بعض ذريته في منطقة بيت الله المحرم ، وانشاؤه مع ابنه اسماعيل الكعبة ، وكونه أول من دعا إلى حجها ، وكون العرب أو بعضهم ينتسبون إليه . ودعاؤه مع اسماعيل بأن يرسل الله اليهم رسولا منهم يهديهم . وجميع ذلك مما كان متداولا بين أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما ذكرته الروايات القديمة الكثيرة . فردده القرآن ولو لم يرد في أقدم مصدر تاريخي وصل الينا ، ذكر فيه ابراهيم عليه السلام ، مما يعكس الصلة بين التنزيل القرآني وبين ما كان متداولا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

واستشفاف حكمة وروده في القرآن ، فالعرب كانوا يدعون إلى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام ، وكانوا يدعون أنهم أبناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . وقد دعوا الله بأن يجنب أبناءهما الأصنام وبأن يرسل إليهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقد استجاب الله لدعوتهما وأرسل هذا الرسول فلزمتهم الحجة .. ويتبادر لنا والله أعلم أن ذلك هو الهدف الجوهري في كل هذه الأخبار القرآنية .. وأنها لم ترد في القرآن للسرد التاريخي ، وانما لتحقيق هذا الهدف الجوهري .

٦ ــ ليس في القرآن المكي حملات عنيفة على اليهود الذين كان يسكن منهم في الحجاز جاليات كثيرة من أصل اسرائيلي . واكتفى فيه بذكر قصص موسى

وفرعون وبني إسرائيل الأولى مستهدفا بذلك ما استهدفه بذكر قصص الأنبياء الآخرين من عبر وعظة وتذكير ، وقد جاءت قصص موسى وفرعون وبني اسرائيل باسهاب أوفى مما جاءت به قصص الأنبياء والأمم الأخرى مما يمكن ان يكون سببه أو حكمته وجود الجاليات الكثيرة ، وصلته الوثقى بالبيئة النبوية . في حين أن القرآن المدني احتوى حملات شديدة لاذعة على اليهود والاسرائيليين ، واصفا لسوء أخلاقهم ودسائسهم ومكائدهم مع وصل حاضر هذه الأخلاق بأخلاق آبائهم الأولين . وهذا أيضا متصل بحالة قائمة في البيئة النبوية وظروفها . إذ لم يكن لليهود في مكة كيان وتكتل ومركز قوي ، وكان لهم ذلك في المدينة وما جاورها ، ولم يقع بينهم وبين النبي في مكة احتكاك وصدام وتشاد بل وكان من أفرادهم القلائل الذين كانوا في مكة بالاضافة الى أفراد من النصارى موقف ايجابي ، وقد أعلنوا جميعهم فرحهم بما كان ينزل على النبي وتصديقهم بأنه منزل من الله ، وآمنوا واندمجوا في الاسلام في حين وقع بينهم وبين النبي بعد هجرته إلى المدينة صدام وتشاد بسبب ما كان لهم من مركز قوي اجتماعي واقتصادي وديني ، حيث رأوا في دعوته وتعلق الناس به خطرا على ذلك المركز ، فظهر أثر ذلك في الأسلوب القرآني المدني دون الأسلوب المكي ، وبعكس هذا كما هو ظاهر صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٧ ـ ولقد كان الرق والانتفاع به تجاريا وجنسيا من الأمور الراسخة في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانعكس ذلك فيما جاء عنه في القرآن ، حيث اقتضت حكمة التنزيل تنظيمه تنظيما عادلا وبارا مع الحث على تحريره ، ومع أساس تشريعي قرآني لالغاء استرقاق أسرى الحرب ، وهذا هو المورد الأعم والأغلب للرق ، حيث يبرز في ذلك صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٨ ـ ولقد كان صنع الخمر والانتفاع به تجاريا وممارسة شربه راسخا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم فانعكس ذلك على ما جاء في القرآن عنه أولا في السور المكية التي نبهت على ما فيه من غول وما يحدثه من نزف . وثانيا في السور المدنية حيث جاء في احدى آيات البقرة قوله تعالى : (**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما**) الآية / ٢١٩ وحيث نهى عن الصلاة في حالة السكر قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى**) النساء / ٤٣ .

ثم حرم بتاتا بعد ذلك قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**) المائدة / ٩٠ .

٩ ـ ومثل هذا يقال في الميسر والربا وقد ذكر الميسر في آية سورة البقرة الانفة بما ذكر ، ثم حرم بتاتا مع الخمر في آية سورة المائدة السابقة . ولقد نبه القرآن بسبب رسوخ الربا وممارسته على أن الربا لا ينال رضاء الله وبركته ، قال تعالى : (**وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله**) الروم / ٣٩ ، ثم نهى عن أكله أضعافا مضاعفة قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا**

اضعافا مضاعفة) آل عمران / ١٣٠ ، ثم شدد في تحريمه بتاتا بعد ذلك ، قال تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ ، وسورة البقرة نزلت بعد سورة ال عمران على ما رواه المفسرون .

١٠ ـ والمشاهد الاخروية في القرآن مما يعكس صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة النبوية بالاضافة الى الحقيقة الايمانية لليوم الآخر وحسابه وثوابه وعقابه ، فمن حكمة ذكر مشاهد الحساب والثواب والعقاب الأخروية والتخويف والتبشير **(ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون)**ـ سورة الزمر / ١٦ **(ذلك الذي يبشر الله عباده)** سورة الشورى/ ٢٣ والاستبشار والخوف انما يكون من معرفة آثار ما يبشر به ويخوف منه . ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى بالاضافة الى الحقيقة الايمانية أن تكون مشاهد الحساب والثواب والعقاب الأخروى من مألوفات الناس في الدنيا ، ومن مألوفات أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بالقرآن لأول مرة للترغيب والترهيب ، ويشمل ذلك الجنات التي تجري من تحتها الأنهار وما فيها من مساكن والنخل والرمان والفواكه ومجالس الشراب الأنيقة التي يدور الولدان فيها على الجالسين بالأباريق والكؤوس ، ومزج الشراب بالزنجبيل والمسك والكافور ، وصحاف الذهب والفضة وقوارير الفضة وحلى الذهب والفضة واللؤلؤ والثياب الحريرية والفرش الزرابي والنمارق والسرر المرفوعة ولحوم الطيور وغيرها وغيرها .
وريح السموم وظل اليحموم والماء الحميم وشواظ النحاس والزقوم والغسلين والضريع ومقامع الحديد ومجالس القضاء والشهود وكتب الأعمال الخ .. مما يعكس صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة ويساعد على فهمه وتفسيره . مما يلفت النظر أنه ليس في المشاهد الأخروية القرآنية مجالس غناء وطرب وشراب ، وأنه ليس في الروايات التي تروى عن حالة بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن ذلك مما كان مترقبا ومما كان الاهتمام له والتعلق به شديدين كالشراب ومجالسه ، وأدواته ، وفي هذا دليل يؤيد ما ذكرناه .

١١ ـ ومما يتصل بالتنزيل القرآني والبيئة النبوية قصص القرآن الكريم والمدقق فيها يرى أنها اقتصرت أو كادت تقتصر على القصص العربية التي كانت أحداثها في جزيرة العرب ، والقصص الواردة في أسفار العهد القديم والعهد الجديد التي تدور على قصص خلق آدم وطوفان نوح ونسلهما ونسل ابراهيم ، وسكناهم في أرض فلسطين وعدوان الاسرائيليين على فلسطين ، وبعض قصص مسيحية ويهودية أخرى . مع أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أمم وبلاد كثيرة لها نشاط وحياة وحضارة وعلوم وفنون . وحكمة ذلك فيما يتبادر لنا تفسيره هو أن معرفة أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بالقرآن لاول مرة كانت قاصرة أو كالقاصرة على ما كان متداولا من روايات واخبار وأنباء العرب ، وابراهيم واسماعيل ، ومن كتب كانت متداولة في أيدي الكتابيين من يهود

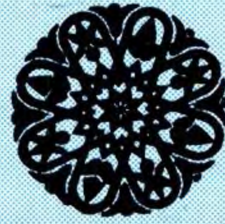
ونصارى الذين كان منهم جاليات في الحجاز واليمن والبلاد المجاورة التي كان تجار الجزيرة ومسافروها يزورونها للتجارة وغير التجارة من حيث ان تأثر السامعين للقرآن لاول مرة بالقصص ، واعتبارهم واتعاظهم بها وهذا وذاك هو المقصد الجوهري في القصص القرآنية انما يتحقق إذا ما كانت هذه القصص مما يعرفها ويسمعها أهل بيئة النبي كليا أو جزئيا ، ولا يخرج عن هذا ذكر الروم وهزيمتهم والوعد بأنهم سيغلبون ، ولا ذكر ذي القرنين فالحرب كانت تجري بين الروم ، والفرس في بلاد الشام والعراق ، وهي مجاورة للجزيرة العربية وتتصل أخبارها بسرعة إلى أهل البيئة النبوية ، بل كان بعض معاركها في العهد المكي من البعثة النبوية وهي التي ذكرت في سورة الروم . وكان المسلمون يفرحون بانتصار الروم لأنهم أهل كتاب ويدينون بالنصرانية وكانت الجالية الكتابية في مكة قد انضوت إلى الاسلام . وكان المشركون يفرحون بانتصار الفرس وانكسار الروم نكاية بالمسلمين ، حتى لقد جرى رهان بين أبي بكر رضي الله عنه وأحد زعماء المشركين على أن النصر سوف يكون للروم بعد غلبهم (**غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله .**) الروم/ ٢ – ٥

وذو القرنين هو على أصح التفاسير فيما ظهر لنا من التمحيص للروايات والأقوال ملك الفرس « كورش » أو « دارا » وكان أهل جزيرة العرب ومنهم أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم على صلة وثيقة بالفرس .

وكل ما تقدم يعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة النبوية ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

وليس ما أوردناه هو جميع ما تظهر به الصلة بينه وبين التنزيل القرآني ، ولكنه يكفي لابراز ذلك للتنبيه على وجوب ملاحظته ، لأن ذلك مهم في فهم مواضيعه وتقريراته وروحه ومداه . ويجعل الناظر فيه يندمج في الوقائع ومقتضياتها ولا يبتعد عن حقيقة الواقع .

ويعصمه من التورط في الجدل والتزيد وتحميل العبارات ما لا تتحمله أو أخذها مجردة عن ملابساتها . مع التذكر بأن ما احتواه القرآن من صور مما له صلة بالبيئة النبوية ، وقد جاء بأسلوب وفي سياق غير محصور في نطاق محلي ، وزمن محدود ومطلقا شاملا فيه من التوجيهات والتقلبات والوصايا والتنبيهات والحكم والمواعظ ما له صفة الشمول والاستمرار والدوام والعالمية والانطباق على كل زمان ومكان ، مما يتسق مع ما قرره القرآن من أن الله تعالى أنزله ليكون بيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والمؤمنين وذكرا للعالمين ، وبذلك تبرز المعجزة القرآنية الكبرى في الأسلوب والمدى وهذا فضلا عن ما في المحكمات القرآنية التي وردت الاشارة اليها في سياق الأمثلة التي تعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة من مثل ذلك ، والحمد لله رب العالمين .



الذات المسلمة والابداع الحضاري

بعيدا عن نلك الجدل العقيم ، حول دور الانسان الفرد والانسان المجتمع في العملية الحضارية ــ فاننا نؤمن إيمانا لا يخالجه شك بأن « الانسان الفرد » هو الأصل الأصيل لكل حضارة في التاريخ ، ثم يأتي بعده « الانسان المجتمع » ، وبالتالي ، فان ما يصيب الانسان المسلم من أمراض حضارية تؤثر بطريقة جوهرية على المستوى الذي تستطيع به هذه الحضارة أن تستجيب للتحديات البيئية أو البشرية .

إن « الانسان » ــ بكل المقاييس ــ هو أساس العملية الحضارية . وإن حضارتنا الاسلامية ليست نشازا في هذا المجال ، بل لعلها من أكثر الحضارات اهتماماً بدور الانسان في التاريخ !!

للدكتور : / عبد الحليم عويس

ولهذا فهي ـ ابتداء ـ لا تعفيه من أية مسئولية تحت أي شعار ، كالقول « بخطيئة آدم » بالمعنى الكنسي ، وما يتبعه من تحمل المسيح لآلام البشر !! كما أنها لا تجعل المسئولية الجماعية بديلا عن المسئولية الفردية ، بل **(كل نفس بما كسبت رهينة)** المدثر / ٣٨ ، **(ان كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)** مريم / ٩٣ ـ ٩٥ .

وهذا الانسان كما هو معروف ـ كائن معقد مزود من خلال تركيبه العضوي (البيولوجي) والنفسى (السيكولوجي) والعقلي والروحي ، المتكامل . بكل الامكانات والطاقات التي تؤهله للسير في طريق التاريخ الحضاري صعودا وهبوطا : **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين)** التين / ٤ ، ٥ . **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء / ٧٠ .

ولأن هذا الانسان ـ في النظرة الاسلامية ـ كائن متكامل في بنائه ، وهو ذو طاقات متعددة لكنها متشابكة ومتكاملة ، وهو ـ كذلك ـ لا يتحرك الا بدوافع متعددة توازي طاقاته كلها ...

لأنه كذلك ، فنحن نصطلح بأن نطلق عليه اسم (الذات) ـ أو (الذات الانسانية) المسلمة !!

وهذه (الذات) هي هذا المجموع الكلي ، أو الكائن المتشابك الذي يضم في أحشائه وبدون تشطير (النفس والجسم والعقل والروح) ....

ان هذه (الذات) هي التي أطلق سراحها في التاريخ ، بعد أن هبطت من الجنة ، وهي ـ بكيانها ذاك ـ قد نيط بها أن تصنع (حضارة) متكاملة مثل تكاملها ، متوازنة مثل توازنها ، منسجمة مثل انسجامها ... ذلك لأنها انما تصنع حضارة لذاتها ... (حضارة انسانية) وبالتالي ، فلا بد أن تشبع عن طريق هذه الحضارة كل طاقاتها .

وفي التاريخ ، تتابع الأنبياء ، وكلهم يقدم « الحضارة الانسانية الملائمة » المنسجمة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، مركزين على الجوانب التي اهتز رصيدها ، حتى يعود التوازن والانسجام من كل

الجوانب .

وعندما جاء الاسـلام سار على الدرب ، فكان هو أيضا : **(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** الروم / ٣٠ ، ونجح هذا الدين العظيم في مهمته التاريخية ، فقدم انسانا متكاملا ، وقدم من خلاله حضارة متكاملة أبدعت في شتى الجوانب ، روحية ، أو عقلية ، أو مادية ، والأهم أنه قدم هذه الحضارة المتعددة الجوانب ، على نسق (توحيدي) يفرض نزعته (التوحيدية) على كل صورة ابداعية من ابداعات هذه الحضارة ، فنية أو علمية أو روحية .

ولقد ظلت هذه الحضارة الاسلامية في كافة عصورها ومراحلها وحدة تاريخية متكاملة ، كما أن الأصول الروحية والمادية التي قامت عليها هذه الحضارة ظلت ماثلة في كيان المجتمع الاسلامي في ابان عصره الأول والوسيط ، ولا تزال ماثلة في عصره الحديث ـ بدرجة متفاوتة ، لكنها موجودة ، وكاملة ـ على مستوى التنظير الأقل ـ وأيضا ، وبنفس المستوى ، ظل الانسان المسلم هو المترجم الحقيقي ـ في مجال الفكر والتطبيق ـ لمنهج هذه الحضارة ، وظل العمود الفقري الذي تعتمد عليه الحضارة الاسلامية ، وهي تقوم بدورها في التاريخ .

أن هذا الانسان المسلم ، أو بالتعبير الذي أحسن استخدامه الشاعر المفكر المسلم محمد اقبال : « الذات المسلمة » حمل أمانة تجسيد الحضارة الاسلامية في كل جزئيات فكره وسلوكه .

ـ فكان ـ حقا ـ خليفة لله في الأرض ـ يحمل الى البشرية ، الأمانة التي حملها الانسان ، وكان هذا الانسان النموذج الحضاري الذي تتحقق فيه الشروط الكاملة للقيام بالدور الحضاري ، وهي ـ في رأي اقبال ـ ثمانية شروط :

ـ الارتكاز على قيادة ملهمة : (النبوة) .

ـ وعلى اعتبار روحي : (التوحيد) .

ـ وعلى دستور : (القرآن) .

ـ وعلى مركز محسوس : (الحرم) .

ـ وعلى هدف واضح تقره الجماعة .

ـ وتكون له السيادة على قوى الطبيعة .

ـ وأن تتطور ذاته في اتجاه الذات الكلية الجامعة .

ـ وأن يحتفظ للأمومة بحقها (ولعله يقصد دور المرأة عموما وذكر الأمومة لأنها أشرف أدوار المرأة) .

● ومن الضروري لهذه الذات أن تتصادم بالعوامل الخارجية (التحدي) حتى تظهر قوتها وحيويتها وعبقريتها وقدرتها على المقاومة والنمو ... وفي قصيدته (دور الانسان في التاريخ) يبرز اقبال هذا الدور الخطير العظيم عبر محاورته (الداخلية) التي يحاور فيها الانسان خالقه وخالق الكون :

● أنت خلقت الليل ... وأنا صنعت المصباح
● أنت خلقت الصلصال ... وأنا صنعت الكوب
● أنت خلقت الصحاري والجبال والغابات
● وأنا صنعت البساتين والحدائق والأرائك
● ...... أنا الذي صنعت المرآة من الحجر
● ...... وأنا الذي حولت السم الى شراب نافع

هذه هي « الذات المسلمة » التي صنعت الحضارة الاسلامية ، والتي أدت دور خليفة الله في الأرض !!



ثم تراكمت الأخطاء

● حين تسلط الملك العضوض ، وسقطت ارادة المسلم السياسية .
● وحين أصبح الاسلام (جباية) لا (هداية) وسقطت ارادة المسلم الاجتماعية .
● وحين استأثر (ببيت المال) أسرة أو جماعة وسقطت ارادة المسلم الاقتصادية .
● وتنازع المسلمون فيما بينهم ، فسقطت عوامل كثيرة من عوامل شعورهم الواحد .

●●● وقبل كل ذلك ، كانت الذات المسلمة تفقد أجزاء من ذاتها ، فتتفاعل مع عوامل الهدم الخارجية ... وكانت أزمتها الكبرى في داخلها ، فلم تستطع مقاومة (التحديات الجديدة) ....

وبين الحين والحين كانت تثور ــ كما ذكرنا ــ أيام عمر بن عبد العزيز ، وأيام المرابطين والموحدين ، والسلاجقة ، وفي بعض دول الهند الاسلامية ، وأيام صلاح الدين ، وفي أيام المماليك ، ومع كثير من خلفاء آل عثمان ... وفي العصر الحديث ، بل في أيامنا تلك ، ولا تزال ثورتها مستمرة وان كانت حالتها ما زالت أقل من مقاومة العوامل الخارجية !!

وفي ظل هذا السقوط توالت عوامل الانهيار التي تبعثر أجزاء هذه الذات ، وتمزق كيانها ... وتباعد بينها ، وبين أن تتمثل القرآن والسنة وتترجمهما الى حضارة متحركة مبدعة ...



لكن عودة هذه « الذات المسلمة » بكل شروطها الايجابية ، وبكل تفاعلها مع الرسالة ... وبكل التزامها بالدور الانساني العام ...

أجل ... ان عودة هذه « الذات المسلمة » التي تتصدى لحمل الأمانة ، ودور القيادة ــ أمر ضروري ... ليس للذات المسلمة وحدها ، ولا للأمة المسلمة وحدها ، بل من أجل جميع الانسانية الضالة ... ولا نقول « الخراف الضالة » ... ولكي تستمر حضارة الانسان على هذه الأرض ، اذا ما كان مقدراً لها في علم الله أن تسير آماداً أخرى في التاريخ .

حياة الانسان على الأرض

قال الله تعالى :

(قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) الأعراف/ ٢٤ _ ٢٧ .

(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة/ ٣٨ ، ٣٩ .

(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري

الحلقة الرابعة

للدكتور محمد طموم

فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) طه/١٢٣ ـ ١٢٧ .

بعد استعراض ما حدث لآدم وحواء قبل نزولهما الى الأرض ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد فضل الانسان على سائر خلقه ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم كون الأسرة منه ومن حواء ، وبين لهما عدوهما ، وجعلهما يعيشان تجربة حية في الجنة ، حيث بدأ التقنين لهما بالأمر والنهي والاباحة ، والوقوع في الخطأ ، والشعور بالذنب بعد كشف عورتهما ، والرجوع الى الله بالتوبة ، وإيقاع العقوبة عليهما ، وتنفيذها باخراجهما من الجنة ، والهبوط منها ، وإنزالهما إلى الأرض مع عدوهما وعدو البشرية جمعاء ، وهو الشيطان إبليس ، لتكون الأرض مستقرا ومتاعا مؤقتا ، ويعيش الزوجان فيها ، ويكونا أول أسرة من الانسان على الأرض لتكون نواة للبشرية ، وتأتي بالذرية من الأولاد والأحفاد ، ويتكون المجتمع منهم ، وتعمر الأرض بهم ، وتتحقق الخلافة التي أرادها الله من خلق الانسان .

علم الانسان الأول :

الانسان الأول والأسرة الأولى لم تكن جاهلة ، وإنما كانت متعلمة ، وقد علم الله آدم وحده ، ثم علم آدم وحواء ، باعتبارهما الأسرة الأولى للمجتمع الانساني ، ثم أولاد آدم وذريته باعتبارهم المجتمع الانساني الأول .

وقد سلك الله في تعليم الانسان كل سبل التعليم وتنوع أساليبه ، ولم يترك وسيلة من وسائل التعليم إلا اتبعها مع الانسان ، من وقت أن خلقه الله ونفخ فيه من روحه ، ولم يتخل الله عن الانسان في أي وقت من الأوقات ، أو في اي عصر من العصور ، أو في أي مكان وجد فيه الانسان .

وقد مر تعليم الانسان وتعلمه بمراحل مختلفة وهي :

١ ـ تعليم آدم وحده عندما خلقه الله .

٢ ـ تعليم آدم وحواء في الجنة .

٣ ـ تعليم آدم وحده في الجنة بعد أن تقرر هبوطه منها .

٤ ـ اختيار آدم رسولا ليعلم زوجته وذريته في الأرض .

٥ ـ تعليم أولاد آدم بالوسائل التعليمية .

كما أن التعليم تم في أزمنة مختلفة ، وأمكنة متعددة ، ولذلك

أقسمها بهذا الاعتبار الى مرحلتين ، أو الى فترتين :
١ ــ فترة ومرحلة الطفولة والمراهقة ، ويصح تسميتها بمرحلة الصبا .
وهذه المرحلة كانت قبل هبوط آدم وحواء من الجنة ، وقد شملت هذه الفترة مراحل التعليم الثلاث الأول .
٢ ــ فترة ومرحلة البلوغ ، وتسمى بمرحلة التكليف .
وهذه المرحلة كانت بعد نزول آدم وحواء إلى الأرض ، لتكون مستقرا لهما ومقاما ، وقد شملت هذه الفترة مرحلتي التعليم الأخيرتين .

طفولة الانسان الأول وصباه :

الانسان الأول حينما خلق لم يكن له طفولة ومراهقة ، ولم يبق وحده فترة طويلة ، وانما خلق الله له حواء ليأنس اليها ويتعاونا ، وهى أيضا لم تكن لها طفولة ومراهقة ، وبناء على ذلك لا يتصور نزول الأسرة الأولى الى الأرض على الفور ، لتتحمل أعباء الحياة ومشاقها بالتكليف بالمأمورات والمنهيات ، ولذلك كان لابد من فترة تدريب وتعليم ، تؤهل الأسرة الأولى لتحمل تبعات الحياة على الأرض ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يكون تدريب وتربية الأسرة الأولى وتعليمها في الجنة ، قبل هبوطها الى الأرض ، فكانت الحياة في غير الأرض ، بمنزلة الطفولة والمراهقة والصبا لغيرهما من بني آدم ، حتى إذا وصلت إلى درجة التمييز والادراك الكامل ، واصبحت صالحة للحياة على الأرض التي خلقت لتعميرها ، صدر امر الله بالهبوط من الجنة ، بعد ترتب المسببات على الأسباب ، حتى تكون الأسرة الأولى راضية بما حكم عليها .

مرحلة التعليم والتدريب :

والانسان حينما نزل إلى الأرض لم يكن فردا واحدا ، وإنما كان أسرة من ذكر وأنثى ، وهما آدم وحواء ، ولم ينزلا إلى الأرض وهما جاهلان غير مدركين لشيء كالحيوانات ، وإنما كانت هذه الأسرة متعلمة ومدربة بعض الشيء على الحياة ومقوماتها ، وذلك قبل نزولها إلى الأرض ، ونذكر بعض ما تعلمته الأسرة وتدربت عليه :
١ ــ أن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها ، واختبره فيها ، فأداها على أكمل وجه ، وقد كان أول المخلوقات التي تعلمت هذه الأسماء ، ولم يعلمها أحدا من مخلوقات الله قبله ، بل هو الذي أعلمها غيره من مخلوقات الله وأرقاها وأفضلها من بعده ، وهى الملائكة ، قال الله تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)** البقرة/٣١ ــ ٣٣
٢ ــ بين الله لآدم مكانته ، وأنه فضله على سائر خلقه ، وأشعره بذلك

حينما طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم ، قال تعالى : **(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس)** البقرة/ ٣٤ ، وذلك اعترافا بأفضليته عليهم ، وتكفيرا عن طعنهم فيه ، قال الله تعالى :

(قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) البقرة/ ٣٠ .

٣ ــ كشف الله تعالى لآدم عداوة إبليس له ، وأظهر تكبره عليه ، وعدم التسليم بأفضليته ، قال الله تعالى :**(فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين)** الحجر/ ٣٠ ، ٣١ ، وقال تعالى : **(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)** الأعراف/ ١٢ .

ولم يكتف الله تعالى بذلك ، بل حذر آدم منه ، وقرر له عداوته بصريح اللفظ ، وأن هذه العداوة ليست قاصرة عليه ، وانما عداوة ابليس للأسرة الانسانية كلها ، قال الله تعالى : **(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)** طه/ ١١٧ .

٤ ــ عرف الله ادم وحواء أن لكل واحد منهما عورة ، وأنه يجب ستر العورة ، وعلمهما كيفية ستر العورة ، قال الله تعالى : **(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة)** الاعراف/ ٢٢ .

كما أعلمهم أن الشيطان يسعى دائما لاظهار عورة الانسان وكشفها ، قال الله تعالى : **(فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووری عنهما من سوءاتهما)** الاعراف/ ٢٠ .

٥ ــ علم الله الانسان التوبة ، وألفاظها ، وكيفيتها ، والاعتراف بالذنب ، وطلب المغفرة والرحمة من الله ، وأن هذا هو طريق الفلاح والنجاح ، ومن لم يتقبل الله توبته فسيكون مصيره الخسران المبين ، فما بال من لا يعرف التوبة ، أو لا يسعى اليها ، قال الله تعالى : **(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)** البقرة/ ٣٧ ، وقال تعالى : **(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)** الاعراف/ ٢٣ .

٦ ــ علم الله الانسان معنى القانون ، وما يترتب على معصيته ، والخروج عن طاعة الله ، والفرق بين المعصية والكفر بالله ورفض الأمر ، وأتاح الله للانسان ان يمر بتجربتين قانونيتين :

الأولى : وقعت لغيره ، حينما أمر إبليس بالسجود ، فاستكبر وكفر وحكم عليه وكانت كافية ليتعلم الانسان من غيره .

والثانية : وقعت للأسرة الأولى ، حينما نهاهما الله عن القرب من الشجرة ، وتابا بعد المعصية .

٧ ــ علم الله الانسان قبل نزوله إلى الأرض أمورا كثيرة ، ومعاني متعددة لا يمكن حصرها ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

الجنة والنار ، الخلود والتأقيت ، الكفر والتسليم ، المعصية والطاعة ، الكبر والخضوع ، المتعة والشقاء ، السكن والاستقرار والخوف والحزن ، الأمر والنهي والاباحة ، يوم القيامة والحشر ، الهبوط والخروج ، الهدى والأعراض ، العري والستر ، الجوع والظمأ ، وغير ذلك كثير .

بلوغ الانسان وتكليفه

كان هبوط الأسرة الأولى ـ آدم وحواء ـ من الجنة ، ونزولها إلى الأرض ، لتكون مستقرا لهذه الأسرة ومقاما . بدءا لحياة التكليف ، وعلامة على بلوغ الانسان ، ودليلا على صلاحيته للحياة فيها ، وقدرته على تحمل المشاق ، وإدراكه للخير والشر ، والطاعة والمعصية ، والتفريق بين المرشد والمفسد ، ومن يريد له الخير ، ومن يريد له الشر ويوسوس له بالمعاصي ، ولذلك كانت حياة الانسان على الأرض ، هي مرحلة التكليف والبلوغ والرشد ، بعد انتهاء مرحلة الطفولة والصبا ، والتعليم والتدريب .

التشريع السماوي بدأ مع الانسان ولازمه

وجدنا أن الله تعالى علم الانسان الأول وزوجه ، ورباهما ودربهما على التكليف في الجنة ، وهي المتعة الكاملة ، وجعلهما يعيشان هذه التجربة بحلوها ومرها ، بين الأحباب والأعداء المتربصين ، ليدربهما على حياة المستقبل ، فكيف يتصور أن يتخلى عنهما ، ويتركهما بعد نزولهما إلى الأرض ، بدون تكليف وتشريع وتقنين ، ينظم حياتهما وحياة ذريتهما ، حتى يعيش الجميع سعداء في الدارين ، الدنيا والآخرة ، واذا كان في الجنة تنظيم وتقنين ، فهما على الأرض في حاجة الى التقنين أشد ، وذريتهما اليه أحوج ، للتعلم والاسترشاد في حياتهم الدنيوية ، خاصة وأن بنى آدم لم يمروا بالمرحلة السابقة ، وليس لهم سابق علم أو تجربة .

وعلى ذلك فلا يتصور عقلا ـ بعد كل هذا ـ أن الله سبحانه وتعالى يتركهم بغير توجيه وإرشاد ، لما فيه الخير لهم ، ولما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهو الذي نظم الكون ، وقنن لكل مخلوقاته ، فكيف يتخلف ذلك مع من فضله على سائر خلقه حتى الملائكة .

كما يستحيل ذلك شرعا ، وقد قال الله تعالى : **(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى : **(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا**

ونحشره يوم القيامة أعمى) طه ١٢٣ ، ١٢٤ .

وقال تعالى : **(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/ ١٥ .

وقال تعالى : **(وإن من أمة الا خلا فيها نذير)** فاطر/ ٢٤ .

وقال تعالى : **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** الذاريات/ ٥٦

وقال تعالى : **(أيحسب الانسان أن يترك سدى)** القيامة/ ٣٦ .

وقال تعالى : **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)** الأعراف/ ١٧٢ .

وعلى ذلك فوجود التشريع السماوي مع وجود الانسان على الارض أمر ضروري ، وواقع طبيعي ، يتناسب مع ما خلق الانسان لأجله .

آدم أول رسول :

قال الله تعالى : **(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)** طه/ ١٢٢

كان آدم عليه السلام أول رسول من عند الله للبشر على الكرة الأرضية ، أرسله الله تعالى معلما لأول مجتمع إنساني عاش على الأرض ، والذي تكون من أول أسرة إنسانية ، وهي آدم وحواء ، وما تفرع عن هذه الأسرة الوحيدة ، من ذرية وأحفاد ، وقد أرسله الله ـ بعد أن رباه وأهله لهذه المسئولية ـ ليعلم زوجته وأولادهما :

١ ـ أن الله واحد ، وأنه لا شريك له ، قال تعالى : **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون)** الأنبياء/ ٢٥ .

٢ ـ وأن الله خلقهم ليعبدوه في الأرض ، ويذكروه دائما بما يليق بمقامه ، قال تعالى : **(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)** الذاريات/ ٥٦ .

٣ ـ وأن الله له أوامر يجب طاعتها ، ونواه يجب البعد عنها ، فمن عصى الله فسينال جزاءه ، ومن أطاعه فسيكون سعيدا في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : **(فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)** طه/ ١٢٣ ، ١٢٤ .

٤ ـ وأن الله لا يقبل الكفر به ، ولا يغفر للانسان كفره بخالقه ، فمن كفر بالله فسيخلد في النار ، وأما من آمن بالله فلا يخاف بأسا ، وسينعم بالجنة ، قال تعالى : **(فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/ ٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل**

ضلالا بعيدا) النساء/١١٦ .

الوسائل التعليمية :

الانسان من وقت وجوده وخلقه ، بل ومن قبل وجوده وخلقه ، وهو مشمول برعاية الله وتوفيقه ، وقد اتبع الله في تفضيله وتعليمه جميع الوسائل التعليمية ، من تلقين وتنبيه ، والهام وايحاء ، وتجارب حية مع غيره وعلى غيره ، وتجارب اخرى عاشها ومارسها ، ورأى آثارها ، وأدرك نتيجتها ، وكان كل ذلك قبل هبوطه من الجنة ، ثم بعد نزوله واستقراره في الأرض ، لم يكتف الله بارسال آدم معلما ومرشدا ، وملقنا لدين الله في أرضه ، وإنما اتبع مع الانسان كل سبل التعليم ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، أسلوب الوسائل التعليمية ، بالاضافة الى أسلوب التلقين عن طريق آدم عليه السلام ، فقد وجدنا في قصة قابيل وهابيل أنه عندما قتل قابيل أخاه هابيل ارتبك القاتل وحار في أمره ، ولم يعرف كيف يدفن أخاه الذي قتله ، وكيف يتصرف في هذه الجثة ، فأرسل الله غرابا ، ليعلم الانسان عدة أمور منها :

١ ــ انه حينما قتل أخاه فقد تصرف كما يتصرف الطير الذي لا يعقل .

٢ ــ أنه ارتكب حماقة القتل لأقرب الناس اليه مع شدة حاجته اليه .

٣ ــ كيف يتصرف في جثة الانسان ، وكيفية الدفن .

٤ ــ ان العلم من عند الله يهبه لمن يشاء من عباده .

وبعد أن تبين للانسان أنه أصبح مساويا للذي لا يعقل ، عندما ارتكب جناية القتل ، أراد الله أن يحقر من شأن القاتل ، فقارن بينه وبين الطير في حسن التصرف ، وأنه أقل من الطير الذي لا يعقل عندما ارتبك ولم يعرف كيف يتصرف في جثة المقتول ، وأما الغراب فقد تصرف وعرف كيف يدفن جثة الغراب .

كل ذلك ليبين الله للانسان عجزه ومدى ضعفه ، فلماذا يقتل أخاه مغرورا بقوته ، راضخا لغضبه ، مستسلما الحقد ، وهو بهذه الصورة من الضعف ، كما انه لم يعرف ولم يعلم ما عرفه الطير من طرق الدفن ، ليؤمن بأن الله تعالى هو المعلم والمرشد ، فلا يصح الكفر بالله .

وقد صور القرآن الكريم هذه القصة أحسن تصوير في قوله تعالى :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين) المائدة/٢٧ ــ ٣١ .

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

النسخ يعني رفع حكم شرعي سابق بدليل شرعي لاحق ، وهو محل اجماع بين المسلمين من قبل ظهور أبي مسلم الأصفهاني ومن تابعه ــ من حيث جوازه عقلا ووقوعه شرعا ــ فالله سبحانه وتعالي أقام شريعته على الحكمة البالغة ، والمصالح المتجددة ، ومن حكمته أن يأذن ببعض الأحكام في بعض الأوقات لملاءمتها لها ، وتناسقها معها .. على أن يجعل لها أمدا محدودا ، ونهاية مقدرة لتحل في محلها أحكام مخالفة لأوقات متجددة .. تكون أكثر صلاحية ، وأعظم نفعا حسب ما جرت به سنة الله في خلقه من إرادة الخير واليسر والصالح العام وصدق الله تعالى حيث يقول : (**والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم**) البقرة / ٢٢٠ ، فالنسخ في واقعه ما هو إلا انتهاء للحكم الأول على ميقات معلوم عند الله ، وليس معلوما لنا من قبل .. ولكن الله أعلمنا به حين أعلمنا بالناسخ ، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**) البقرة / ١٠٦ ، فالمفهوم من هذه الآية الكريمة أن كل آية يذهب الله بها على مقتضى حكمته .. إلى

بدل عنها .. أو إلى غير بدل ، فان ما يلحق من ذلك لا يقل عما ذهب أجرا ونفعا .. فالبدل اما مماثل لما ذهب في الثواب ، واما متفوق عليه ثوابا ومصلحة .. ولذلك لم يقع النسخ ولن يقع الا في فروع العبادات والمعاملات أما غيرها من العقائد الثابتة ، وأصول الأخلاق الخالدة ، ومفاهيم القصص والأخبار الماضية ، وأصول المعاملات ، والاخبار بما وراء الحياة مما هو في ظهر الغيب من بعث ونشور وحشر وحساب وما إلى ذلك .. فليس في شيء من هذا مجال للنسخ .. لأنها أمور تحكي حقائق والحقائق لا تقبل التغيير ولا التبديل ، ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأقران .. وفي ذلك يقول الله تعالى : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣ .

ولنضرب بعض الأمثلة على الناسخ والمنسوخ على رأي جمهور العلماء مما جاء في الكتاب العزيز :

(١) يقول الله تعالى : (**يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير**) البقرة / ٢١٧ ، فالآية تفيد حرمة القتال للمشركين في الأشهر الحرام الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب ، وقد روى ابن جرير عن عطاء بن ميسرة أنها منسوخة بقوله تعالى : (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**) التوبة / ٣٦ ، ونقل أبو جعفر النحاس إجماع العلماء على ذلك ما عدا عطاء ، وبيان ذلك أن الآية الثانية .. قد أفادت عموم قتال المشركين المستلزم لعموم الأزمان ، ومما يدعم هذه الافادة .. ما جاءت به كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل هوازن بحنين ، وثقيفا بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة ، وذو القعدة أحد الأشهر الحرم ، وما جاء كذلك في سبب نزول هذه الآية كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن جندب بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم عبدالله بن جحش ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا ان ذلك اليوم الذي قتلوه فيه هو من جمادي أو من رجب .. فعيرهم المشركون وقالوا للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله : (**يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه**) الآية فلما نزلت فهم بعض المسلمين أنها لرفع الوزر لا لثبوت الأجر فنزل بعد ذلك قوله تعالى عقيب تلك الآية : (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) البقرة / ٢١٨ . وأخرجه ابن منده في الصحابة عن طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس وإذا تتبعنا مكان الآية الثانية وجدناها متممة لآية الأشهر الحرم هكذا :

(**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السملوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) التوبة / ٣٦ ، فتكون حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية هي في الامتناع عن المعاصي عموما لأنها

فيها أشد وزرا ، وأعظم نكرا منها في غيرها .. وقتال المشركين ليس من قبيل المعاصي .. وقيل إن النسخ وقع بقوله تعالى (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**) وأيا ما كان القول فقد وقع النسخ وانتهى حكم سابق اقتضت الحكمة بقاءه فترة من الزمان .. ثم اقتضت تلك الحكمة انهاء هذا الحكم المؤقت ، واعلان حكم جديد لعهد جديد .

(٢) يقول الله تعالى : (**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما**) النساء / ١٥و١٦ ، فانها منسوخة بآية النور وهي : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) النور / ٢ وذلك بالنسبة الى البكر رجلا كان أو امرأة ، أما الثيب من الجنسين فقد نسخ الحكم الأول بالنسبة إليهما وأبدل بالرجم الذي دل عليه رجم ما عز والغامدية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما دلت عليه آية « نسخت تلاوة » لا حكما وهي : (**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم**) ومعنى الآية الأولى والثانية كما جاء في تفسير الجلالين (النساء آية ١٥ و١٦) ان من يأتي فاحشة الزنى من النساء وشهد بذلك أربعة من رجال المسلمين فاحبسوهن في البيوت حتى الموت أو الى ان يجعل الله لهن طريقا الى الخروج وكان ذلك في أول الاسلام ثم جعل الله لهن هذا الطريق حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما في رواية مسلم ـ « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا » وبين ذلك السبيل بانه جلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة ، والمحصن ، ولما بين حكم النساء تعرض لحكم الرجال الذين يرتكبون نفس الخطيئة سواء كانت زنى او لواطا بانهم يلحقهم الأذى بالسب والضرب بالنعال حتى يتوبا ويصلحا العمل فلا يلحقهما الأذى بعد ذلك .. وكان ذلك في مطلع الدعوة الاسلامية أخذا بسياسة التدرج في التشريع ، والانتقال بالناس الى طريق الشريعة المحكمة رويدا رويدا ، ودرجة درجة حتى يسلس قيادهم ، وتلين قناتهم .. فكان للحكم الأول المقرر في آيتي النساء فرصة زمنية محددة في علم الله قبل أن تتحدد في علمنا .. ثم تحددت في علمنا بعد أن أطلعنا الله عليها بالناسخ الحديث في إثر المنسوخ القديم ، وهو أمر تنظيمي حكيم لا يتنافى مع قدرة المختار العليم ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

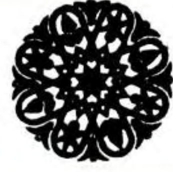
(٣) يقول الله تعالى : (**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون**) الانفال / ٦٥ فانها منسوخة بقوله تعالى : (**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**) الانفال / ٦٦ ووجه النسخ ان الآية الأولى خبر بمعنى

الأمر .. أي ليقاتل العشرون منكم المائتين منهم ، والمائة الألف ، وعلى الواحد ان يثبت امام العشرة ولا يفر ، فان فر فهو ممن تولى يوم الزحف مرتكبا كبيرة من الكبائر ، ومعرضا نفسه لسخط الله ومقته ، فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم وشرع لهم هذا الحكم الميسر الذي لا يشق كثيرا على نفوس المجاهدين ولا يحملهم على ركوب الأهوال في القتال فأفادت الآية الثانية وجوب ثبات الواحد للاثنين فان فر أمامهما دخل تحت الوعيد الشديد ، وان فر امام الأكثر منهما فهو معذور لاجناح عليه ، ولا تقصير منه ، وان كان يؤذن له في الثبات لأي عدد كان ويكون آخذا بالعزيمة .. بدلا من الرخصة التي شرعها الله له لطفا به ، وتخفيفا عنه ، والله مع الصابرين بعونه وتأييده ، ونصره وتوفيقه .. اخرج اسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس في سبب نزول الآية قال : لما افترض الله عليهم ان يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق ، فوضع الله ذلك عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين وأنزل قوله تعالى : **(إن يكن منكم عشرون صابرون)**. الآية .
وهكذا نرى ان النسخ ليس ابطالا للأحكام الشرعية ولكنه توقيت لبعضها ببعضها الآخر حتى تظهر حكمة الله في شرعه ، ورحمته بعباده وانه سبحانه وتعالى قبل هذا كله مختار فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل وأفعاله سبحانه وتعالى هي عين الحكمة ، وهي جوهر الصلاح والاصلاح وقد تسعفنا عقولنا وأفكارنا بادراك جوانب منها ، وقد تعلو حكمتها فوق آفاق علمنا وعلينا في كل حال أن نقر أولا بالعجز بين يديه ، وأن نثبت له القدرة بلا نهاية والعلم بدون حدود إن الله على كل شيء قدير .

(٤) يقول الله تعالى : **(وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** البقرة / ٢٨٤ فانها منسوخة بقوله عز من قائل :**(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة / ٢٨٦ وبيان ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد تجاوز لهذه الأمة عما حدثت بها نفسها ما لم تقل أو تفعل كما جاء في الحديث الشريف الصحيح .
أي إن كل ما يعتلج في خاطر المرء من شر ، وما تهجس به نفسه من معان وصور وأخيلة وأحاديث نفس ، وأحلام يقظة كل هذا داخل في دائرة العفو الا لهي ما لم يصل الى درجة العزم المصمم فانه يكتب على صاحبه سيئة واحدة .. وهذا من فضل الله تعالى على عباده ، ورحمته الواسعة بهم ، وتسامحه فيما هو من طبائع النفس البشرية .. التي لا حيلة للانسان في دفعها ، أو الخلاص منها إلا بمنتهى العسر ، ولعل ما قرره علماء النفس حديثا يلقى أضواء على العقل الباطن ، وفكرة اللاشعور ــ فان الشعور عندهم واللا شعور يشكلان العقل في الانسان ، والثاني يختزن المعلومات التي ترد إليه عن طريق الحس .. ثم هي تحاول دائما الظهور في بؤرة الادراك ولكن حالة الشعور والوعي تمنعها ، فاذا تراخى الشعور نتيجة هدوء أو انسجام ، أو راحة أو غفلة أو نحو ذلك ظهرت أفكار اللاشعور في البؤرة وصاحبتها غالبا أحلام لليقظة يحدث فيها الانسان بأحاديث قد تغلب عليها نزعة

الشر أو اللذة .. وقد تفضل الله سبحانه وتعالى فعفا عن تلك الأحاديث والهواجس أخيرا .. بعد أن كان يؤاخذ الله بها العباد حين نزلت الآية الأولى ، وفي كتاب « لباب النقول في أسباب النزول » « لما نزلت آية البقرة : **(وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها .. فنزل قوله تعالى : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** أي ما تسعه قدرتها **(ولها ما كسبت)** من الخير ، **(وعليها ما اكتسبت)** اي من وزر الشر ، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، ولا بما لا يكتسبه مما وسوست به نفسه ..» وأما ما نقل عن السدى في تعريف الصغيرة : (هي الخطرة من الذنوب) فقد عقب عليها الزمخشري بقوله : وكأنه يعني أن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، إذ أن خطرات الذنوب في القلوب جزء من أحاديث النفس وهي عفو لهذه الأمة ، ولا مؤاخذة فيها ما لم تقترن بقول أو عمل .. وهذا هو رأي الجمهور في الآيتين .. اما القول بأن الأولى محكمة ، وأنها خاصة بكتمان الشهادة وإظهارها .. فمردود بأنه لا دليل على هذا التخصيص وقول بعضهم انها محكمة وباقية على عمومها وان المعنى ان الله يحاسب المؤمنين والكافرين فيغفر للأولين دون الآخرين .. مردود أيضا بأن نفسا في قوله تعالى **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** نكرة في سياق النفي فتفيد العموم للمؤمن والكافر على السواء ولا دليل على الخصوص .

ومما جاء ناسخا ومنسوخا قول الله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته)** آل عمران / ١٠٢ قال السيوطي : ليس في آل عمران آية يصح فيها دعوى النسخ الا هذه الآية .. فانها منسوخة بقوله تعالى : **(فاتقوا الله ما استطعتم)** التغابن / ١٦ .. وبيان ذلك : أن الآية الأولى بظاهرها قد امرت بأن يتقي الله حق التقوى ، وتركت الباب مفتوحا أمام فهم هذه الآية والعمل بها .. حتى يشحذ كل مؤمن همته لبلوغ أقصى ما يمكن بلوغه من أعمال التقوى ، وهي غير محددة تحديدا يسهل حصره والاحاطة به ، وإدراك أبعاده وأعماقه بيسر ووضوح .. وحتى الآثار الواردة في تفسير هذه الآية يبدو عليها العموم والشمول ، ولا يتيسر فيها التحديد والالمام فقد قيل في تفسيرها « ان يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .. فقالوا : يا رسول الله ومن يقوى على ذلك ؟ .. فنسخ بقوله تعالى : **(فاتقوا الله ما استطعتم)** .. وقد ورد في تفسيرها كذلك : أن يحفظ الانسان رأسه وما وعي ، وبطنه وما حوى ، ويذكر الموت والبلى » وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت آية : **(اتقوا الله حق تقاته)** اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم ، وتقرحت جباههم .. فأنزل الله تخفيفا على المسلمين **(فاتقوا الله ما استطعتم)** وها هو ذا الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب للناس مثلا في اصول التدين المتوازن بقوله وفعله فيقول : لكني اصوم وأفطر وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه الشيخان .



هذا هو الدواء

للاستاذ/محمد محمد حلاوة

عن عائشة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأتى بها الرسول ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتشفع في حد من حدود الله ! فقال أسامة : استغفر لي يارسول الله .

فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختطب وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني ـ والذي نفسي بيده ـ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه مسلم .

السرقة .. يكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذا الوباء الدنس الفتاك على أية صورة من صوره ـ وما أكثرها ـ اختلاس ، أو رشوة ، أو استغلال ، أو نشل ، أو اغتصاب ، أو ، أو ، .. إلى آخره .

كم له من ضحايا وضحايا في كل يوم ، بل في كل ساعة ولحظة ، ضحايا بالألوف لا بالمئات ـ هذا حادث أسفر عما يأتي : فقد حافظة بها مبلغ كبير من المال ، وبعض السندات ، وبطاقة عائلية ـ نزيل

بالمستشفى (قسم جراحة) فاقد النطق ، به طعنة نافذة بالصدر ، والحالة خطيرة ، والفاعل هارب تبحث عنه الشرطة .

وهذه طفلة تعود إلى منزلها وهي تبكي . لقد عرض لها اللعين وهي في طريق عودتها ، وبكلماته المعسولة كذب عليها ، وصدقت ، فاستدرجها إلى مكان بعيد عن الأنظار ، وهناك خلع سوارها الذهبي ، ثم أطلق ساقيه للريح ، وتركها وحدها تندب حظها .

وتلك فتاة تعود إلى منزلها بعد غياب أربعة أيام كاملة عاشتها أسرتها في الجحيم ، فبينما كانت متوجهة إلى عملها إذ وقفت فجأة بجوارها عربة ، وعلى الفور فتح بابها ، ونزل منها شابان ، وفي سرعة البرق كمما فمها ، وحملاها بالقوة إلى داخل السيارة ، وانطلقا بها بعيدا .. ولم تحس الفتاة بشيء بعد ذلك إلا وهي ملقاة على جانب شارع مهجور ، وعندما أفاقت تبينت الحقيقة المرة : فقد مجوهراتها ، وفقد أعز ما تملكه في هذا الوجود ، و ... ، و ... ، وعشرات الحوادث ومثالها .

واقع مؤلم حقا ، وأشد منه إيلاما أن تتطور السرقة إلى هذا الحد المزري ، فبعد أن كانت فيما مضى تتم في الخفاء ، وفي غاية الحذر والخوف ، وببقية من خجل – أصبحت اليوم ترتكب في وضح النهار بكل قحة وتبجح ، بالقوة أحيانا ، ومع الاعتداء على النفس ، بل وعلى العرض أحيانا أخرى . ومع هذا التطور المنحدر تكونت لها عصابات وتخصصت ، فهناك عصابات لسرقة المساكن ، وعصابات لسرقة المحال التجارية ، وعصابات لسرقة القطارات ، وعصابات لسرقة « البنوك » وهكذا ، وتحول الأمر في النهاية إلى إرهاب مخيف مزعج ، لا على المستويات المحلية فحسب ، بل على المستوى الدولي والعالمي .

أرأيت كيف أن جرما واحدا تهاونا فيه أول الأمر استفحل حتى أفضى إلى عدة جرائم ، وأية جرائم !! إنها الدم ، والعرض ، والفساد ، والتخريب .

إسفاف جاوز الحد ، وفوضى لا يصح السكوت عليها ، واستخفاف بكل النظم والقوانين والقيم !!

أين الأمن ؟ وأين القانون ؟ وأين حدود الله ؟ وأين المسلمون ؟ الأمن « في أجازة » ، والقانون عاجز أن يفعل شيئا ، والحدود معطلة ، والمسلمون غارقون إلى آذانهم في مطامعهم وشهواتهم ومادياتهم لا يسمعون ولا يعون .

إننا مسئولون جميعا عن هذه الجريمة البشعة ، وأعذار الدنيا كلها لن تشفع لنا . **إن الدواء الوحيد لهذا الوباء الشره تحت أيدينا ، في كتاب الله ، سبحانه وتعالى ، في سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، في إقامة الحد على السارق ، في قطع يده:(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز**

حكيم) المائدة/٣٨ . إنما أهلك من **قبلكم أنهم** كانوا إذا سرق فيهم **الشريف تركوه** ، وإذا سرق فيهم **الضعيف أقاموا** عليه الحد ، وإني ــ **والذي نفسي** بيده ــ لو أن **فاطمة** بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

إن قطع يد السارق هو العلاج الناجع ــ ولا علاج سواه ــ لأنه علاج المشرع الأعظم الذي أحاط بكل شيء علما ، وعرف بم يكون صلاح الانسانية ، وفيم يكون خيرها وسعادتها . إن قطع يد السارق شهادة صدق لنا على طاعة الله ، وامتثال اوامره ، واقامة حدوده . ان قطع يد السارق ، وإن كان وصمة عار للسارق فهو تطهير له من جرمه ، ووسام شرف وعزة للاسلام وللمسلمين .

ولماذا نحجم عن قطع يد السارق ؟

أهي الرحمة به والشفقة عليه ؟ فلنسأل أنفسنا كم من يد تبتر ، وكم من رجل تقطع نتيجة لحوادث المواصلات اليومية من سيارات وقطارات وغيرها ، وكم من يد تبتر ، ورجل تقطع ، وجسم يشل في الانقلابات والاضطرابات والثورات والفتن التي تحدث من حين لآخر ، والتي لا يحكمها ضابط ولا قاعدة ، فهي تندفع كالسيل لأوهى سبب ، وبدون وعي ، لا ، بل كم من يد تبتر ، ورجل تقطع ، وجسم يشوه ويشل لأسباب أخرى غير ما ذكر جميعا ، ومع هذا فلم تتفتت الأكباد ، ولم تتقطع القلوب ، ولم تذب الحشاشات ، ولم يمت الناس حسرة وأسى .

أم نحجم عن قطع يد السارق خوفا من أن يصيب أحدا من أهلينا أو أقربائنا أو أحبائنا ؟ ألم نعلم أنه ما دمر الأمم السابقة ، وأفسد حياتها ، ونشر الفوضى والاضطرابات فيها ، وأغرى أقوياءها بضعفائها الا عدم العدالة في تنفيذ القوانين والشرائع ، والتفرقة في المعاملة بين الناس ، فكانوا إذا سرق كبير من كبرائهم لم يعاقبوه ، أما إذا سرق الضعيف نفذوا عليه العقوبة ، ثم ألم نقرأ ونتدبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » **فمن فاطمة ! انها كريمة أطهر البيوت وأعلاها ، ومن محمد ! إنه سيد الخلق أجمعين ، وهل هناك رابطة أعز وأغلى من الرابطة التي بين فاطمة ومحمد !! ومع ذلك فمن الذي سينفذ العقوبة على فاطمة ــ رضي الله عنها ــ إن هي سرقت ! إنه محمد نفسه صلى الله عليه وسلم « لقطعت يدها » الله اكبر ! الله اكبر ! الله اكبر !**

ام نحجم عن قطع يد السارق لا لهذا ولا لذاك ، وإنما لبشاعة العقوبة ذاتها ؟ فتعالوا معي لنعرض ما ينجم عن السرقة من أوزار وأضرار لنرى أي الأمرين أكثر بشاعة ، وأشد نكرا !

يجترئ السارق على دين الله ، ويستخف بحرماته وبحدوده ــ يخرج على المجتمع ، قواعده وقوانينه ونظمه ، ويتمرد عليه ــ يشيع الفوضى ، والفزع ، والاضطراب ــ

يسعى في الأرض فسادا ــ يأخذ ما لا يستحق ــ يأكل من حرام ــ يعيش عالة على الغير ــ يعبث بأموال الناس وأوقاتهم ومصالحهم ــ يحكم على أسرته بالضياع .

الرحمة .. الخوف .. البشاعة .. لماذا نذهب بعيدا ؟ ماذا يحدث لاحدنا لو أنه مرض ، وذهب إلى الطبيب ، وقرر الطبيب ضرورة استئصال عضو من جسده ؟ أيرفض المريض ذلك ؟ أيرفض أهله ؟ ايرفض أحد من محبيه ؟ كلا كلا . فان الجميع يبادرون بالموافقة ، ويسرعون إلى تلبية كل أوامر الطبيب ، ويتعجلون التنفيذ . لماذا ؟ لأن سلامة الجسم كله في استئصال هذا العضو المريض ، وبدون استئصاله يموت الانسان ، وهكذا شأن السارق فهو عضو مريض في المجتمع ، وعلاجه وعلاج المجتمع في قطع يده ، وبدون ذلك ينتشر الداء في المجتمع كله فيتلف ويهلك .

إن قطع يد السارق معناه أن يحترم الانسان آدميته ، ويصون كرامته **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** سورة الاسراء الآية ٧٠ . معناه أن يسعى الانسان ويعمل ليأكل من كد يمينه ، وعرق جبينه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود ــ عليه السلام ــ كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري ، ويقول عمر رضي الله عنه : أرى الرجل فيعجبني ، فأقول : أله حرفة ؟ فان قالوا : لا . سقط من عيني . معناه أن تلتزم الدولة بتهيئة فرص العمل للمواطنين جميعا ، وتوجههم إلى ميادينه ، وإلى وسائله ، معناه أن يلتزم الأغنياء باخراج الزكاة كاملة ، وفي مواعيدها ، ولمن يستحقونها ، معناه أن يلتزم المجتمع كله : كل حارة ، كل شارع ، كل حي ، كل قرية ، كل مركز ،... الى آخره ببذل المساعدة لمن يحتاج إليها ، فالمؤمنون جميعا إخوة ، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل » رواه مسلم واحمد .

وما أعظم البلاء إذا لم نسو بين الناس في إقامة الحدود ، فنفعل كما كانت تفعل الأمم السابقة ، فننفذ العقوبة على الضعفاء ، والفقراء ، ومن لا شأن لهم ، ونترك الأقوياء ، والأغنياء ، وذوى الشأن ! إننا بذلك نقيم الظلم وما أقساه ، ونصنع الامتيازات وما أبشعها ، ونخلق التفرقة وما أقبحها ، ونحرص على الفتنة والشر ، ونحكم على انفسنا بالويل والثبور .

ألا ما أحوجنا اليوم إلى وقفة تاريخية طويلة نستعيد فيها سيرة السلف الصالح من أجدادنا ، ونراجع فيها انفسنا مراجعة جادة ، نحاسبها حساب المؤمن الخائف من ربه ، الحريص على دينه ووطنه بعد أن تفشت المحاباة والمحسوبية بصورة خطيرة لوثت حياتنا ، وشوهت صورتنا ، وأفسدت علينا كل شيء .

أرأيتم كيف غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبان الغضب في وجهه ، عندما جاءه حبه أسامة بن زيد ــ رضي الله عنه ــ يكلمه في أمر المخزومية التي سرقت !! ثم أرأيتم إلى استنكاره الشديد « أتشفع في حد من حدود الله !! » ولم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم استنكر ؟ لأن في قبول هذه الشفاعة هدما للدين من أساسه ، فقد جاء الدين الاسلامي خاتما للديانات كلها . جاء للناس جميعا دون استثناء يعمل لما فيه خيرهم ، وصلاحهم ، وسعادتهم ، لهذا قام على العدالة التامة الشاملة ، وسوى بين الناس في كل شيء : في العبادات في المعاملات في الحقوق في الواجبات ، في الحدود في القصاص ... لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، وغني وفقير ، وشريف وضعيف ، إذ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . قال الله سبحانه وتعالى : **(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** سورة الحجرات الآية ١٣ ، ولهذا كان إقدام أسامة على الشفاعة في المخزومية خطأ كبيرا استنكره الرسول صلى الله عليه وسلم أشد استنكار ، ولهذا أيضا كانت الشفاعة محرمة في الاسلام ، لأنها تفضي إلى المحاباة ، والمحاباة ظلم ، والظلم حرام ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

ولو أن هناك ثغرة ، أدنى ثغرة ــ في عدالة الاسلام ونزاهته لما بقى بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ثابت الأصل ، رافع الهامة يتحدى جميع المذاهب ، وجميع النظريات ، تلك التي لازالت تحاربه جاهدة ، والتي عجزت حتى اليوم ــ نهاية القرن العشرين ــ عن تحقيق أدنى و« أبسط » حقوق الانسان .

والآن فلنا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفات خاشعات :

● في « صلى الله عليه وسلم » والحرص على ذكرها كاملة ، دون اختصار أو حذف كلما ورد اسم الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة قوية على مدى حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم له ، ومبلغ تقديرهم اياه ، ودرس عظيم نتعلم منه ألا نلجأ إلى اختصار هذا الدعاء كتابة أو قولا ، أو حذفه عند قيام الدليل عليه ، كما نتعلم منه أن نعرف لذوى الاقدار اقدارهم .

● وفي « استغفر لي يارسول الله » تدارك سريع للموقف من أسامة ــ رضي الله عنه ــ بمجرد استنكار

الرسول لموقفه بطلبه المغفرة من الله سبحانه وتعالى مستعينا بالنبي عليه الصلاة والسلام .

● وفي « فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم .. استبشاع للتفرقة » ، واستبشاع لآثارها بذكر كلمة « أهلك » وباستخدام أسلوب القصر ، إنما ، وفيه كذلك إخبار عن أحوال الأمم السابقة على لسان الصادق الأمين (**وما ينطق عن الهوى**) النجم الآية/٣ .

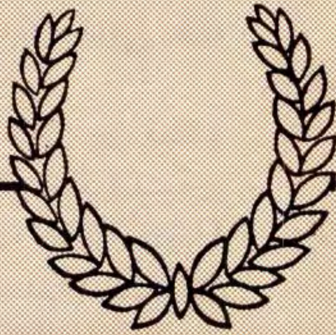
● وفي « وإني ـ والذي نفسي بيده ـ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » جملة التأكيدات في الأسلوب ، وهي ألزم ما تكون في هذا الموقف ، لأنه موقف حسم وصدق ، **وورود « فاطمة بنت محمد » هكذا مجردين من أي تعظيم أكبر درس للمشتغلين بالسياسة ، والتشريع ، والأدب تعجز الأقلام البليغة عن تحليله .**

وبعد فان نسبة كبيرة من السرقات التي تحدث اليوم ، وتتم بالقوة ، أو مع الاعتداء والارهاب إنما هي من باب محاربة الله ورسوله ، والسعي في الأرض فسادا ، ولذلك فجزاؤها في قول الله سبحانه وتعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**) سورة المائدة الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

ولا يفوتنا قبل ان ننهي حديثنا أن ننبه إلى أن هناك ألوانا غير منظورة من السرقة لا يتسع المقام هنا للحديث عنها مثل سرقة الوقت ، وسرقة الجهد ، وسرقة الراحة ، وسرقة السعادة ، الى غير ذلك وكلها سرقات لها آثارها الوبيلة على الافراد وعلى المجتمعات .

ولقد كان لعلوم النفس والتربية فضل كبير في الكشف عن كثير من الانحرافات ، ومنها السرقة ، ومعرفة أسبابها ، وطرق تقويمها وعلاجها ، وقد أرجعت الدراسات النفسية والتربوية المختلفة حالات غير قليلة من السرقة إلى عوامل قديمة عرضت للانسان في المراحل الأولى من حياته ، غير أن الآباء والأمهات والمعلمين ـ سامحهم الله ـ لم يدركوها في حينها ، او ادركوها ولم يلتفتوا اليها ، أو التفتوا اليها ، ولكنهم لم يعطوها الأهمية الكافية من الدرس والتحليل ، ومحاولة العلاج ، ولو انهم فعلوا لأدوا أكبر خدمة لأبنائنا ، ولديننا ، ولمجتمعاتنا .

إن جهودا مشكورة ومخلصة يقوم بها الأئمة ، ورجال الدين ، والمسئولون في كل مكان من مجتمعنا الاسلامي لاعزاز الاسلام ، ورفع رايته ، وتطبيق احكامه ليملأ قلوبنا ثقة ويقينا بأن الاسلام في حمى ومنعة من اهله ، وانه سيظل كذلك الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوي عزيز .



حياة الحياة

محمد مؤذن

(حياة الحياة) ليس عنوانا مفتتنا فيه ، يقصد الكاتب به لفت النظر إغراء بموضوعه ، وإنما هو حقيقة حقة ، تأخذ من القرآن المجيد قوامها ، ولا أملك بطويل من القول ، فأضع كل حواسك وقواك أمام الآية الفاصلة : **(ياأيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)** الأنفال/ ٢٤ .

لا شك أنها وصلتك بتلك الحقيقة ، فالذين خوطبوا ويخاطبون بهذا النداء أحياء ، وإلا لما صح نداؤهم ، ولكن حياتهم هي الحياة الأولى ، فاذا بلغوا دعوة الله فاستجابوا لله وللرسول زيدوا حياة فوق الحياة ، لا قيمة للحياة الأولى ولا شرف ولا حسن مآل إلا بها !

وهنا نأخذ من معطيات النص الكريم :

حياة مفهومة غير منصوص عليها تفهمنا إياها صيغة النداء : **(ياأيها الذين امنوا)** .

حياة صريحة المادة دل عليها الفعل في صلة الموصول : **(لما يحييكم)** هاتان

للاستاذ/عز الدين علي السيد

هما الحياة وحياة الحياة !

ثم ما به تلك الحياة السامية ، وهو مفهوم الموصول وصلته معا : (**ما يحييكم**) ويفسره فعل الشرط (**إذا دعاكم**) فضل تفسير ، فليس شيئا غير دعوة الرسول بلاغا عن الله .

ثم ما تتحقق به تلك الحياة السامية بالفعل ، وهو الاستجابة لهذه الدعوة بالسمع والطاعة ، وقد صدر بها الكلام على وجه الوجوب ، بعد التنبيه إلى خطرها بالجملة الندائية ، الموقظة للنفس بنداء البعيد بعد التشريف ، وتمكين المنادي بشرف الصفة وماضوية الصلة .

وخطاب الذين آمنوا هذا الخطاب ، وقد سبق لهم من الاستجابة ما لم يكن لغيرهم ، فدبت حياة الحياة في قلوبهم إلى قدر هو كل يوم يزداد ، ومع كل أمر ونهي يتسع ، يدل بالمفارقة على أن غيرهم من الناس حي بالحياة الأولى ، التي لا حياة لها ولا شرف ، لأنه محجوب عنهما بحجاب الجهل والحرمان .

وهنا تسلمنا تلك العناصر التي أجملت ، إلى كشف أمرها بالبيان ، وليس لنا كاشف هو أجلى وأنصع من كتاب ربنا ، نستمد منه المقنع الشافي والملهم الفياض .

الحياة الأولى :

الحياة المنعزلة عن حياتها ، جاءت في القرآن منعوتة بتلك النعوت ، التي تدل على دنوها وإسفافها ، وتفاهة أحلام المكتفين بها ، والراكنين بكل رغباتهم إليها .

(**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**) ١٨٥ : آل عمران .

(**وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**) ٣٢ : الأنعام .

مع ما في هذه النعوت من دلالة على سفاهة مؤثريها ، جاءت آيات الله توضح حقيقتها ، وتؤكد حمق الواقفين هواهم عليها ، وتنكر لونا من جزائهم :

(**إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون**) ٧ و٨ يونس .

(**فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى**) ٣٧ — ٣٩ : النازعات . وسمى الحق هذا المحروم أعمى ، ومجرما ، بل وعده ميتا ،

لأنه لم يحى حياة الحياة بالاستجابة لدعوة الحق ، وقرن مصيره المؤلم بتلك التسمية ، جزاء وفاقا لما كان عليه أيام الحياة البائسة :

(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ٧٢ : الاسراء .

(إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) ٧٤ : طه .

(إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) ٨٠ : النمل .

(أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) ٤٠ : الزخرف .

ذلك لأن زهادة تلك الحياة ظاهرة « قوية » في تفصي زهرتها الفاتنة أمام العين من قريب ، وسرعة التحول والتبدل التي تؤذن من يعقل بتلك الحقيقة ، ولكنهم عنها غافلون .

هذه الزهوة الزاهية والفتنة الفاتنة ، التي تنقلب حسرة وأسى عندهم ، يصورها لنا هذا التمثيل المحكم البالغ تصويرا يملك القلب من كل أعماقه :

(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) ٢٤ : يونس .

وهذا التذييل الذي ذيلت به الآية كاف في تجريد المخدوعين بها من التفكير الذي هو لازم العقل .

إن الأحياء تلك الحياة الأولى التي تشبه الموت ، بل التي نزلت بمنزلة الموت في آيات منها : **(إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء)** النمل/ ٨٠ ، حياة يشارك الانسان فيها الأنعام وكل ذى خلية حية ، ولكن الأنعام وما أشبهها أعلى درجة في الحياة وبعد الموت من الذين أخلدوا الى الأرض ، فضاقت صدورهم عن حياة الحياة ، وذلك ما نجده في قول الحق :

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ١٧٩ : الأعراف .

(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) ٤٣ و ٤٤ : الفرقان .

حياة الحياة

أما الحياة التي عبر عنها الفعل المضارع في صلة الموصول : **(لما يحييكم)**

وهو دال على التجدد بوضعه ، فهي حاصلة بالاستجابة لله وللرسول بالامتثال سمعا وطاعة ومسارعة بالخيرات . وهذه الاستجابة كلما استحكمت حلت ، وكلما حلت أضاءت وأشرقت ، حتى تنكشف بضوئها الحجب وتدنو المنائى ، فيرى الحي بها الجنة التي أعدت للمتقين ، قد شغفته حبا تهزل أمامه الدنيا وتضوى ، ويستخزى بهاؤها ويذل ، فيستيقن أنه شتان ما بينهما ، فيزداد حث الخطى كلما ألهبه الشوق إلى النعيم المقيم .

تلك الحياة ليست شيئا سوى العبادة ، فلا معنى للعبادة إلا معرفة حق المعبود ، وتحقيق هذه المعرفة بطاعته والتزام رسالته ، وتلك هي الغاية من خلق الجن والانس كما بينها الله : **(وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)** ٥٦ : الذاريات ، فمن فقدها فقد المقصود من خلقه . والمقصود من خلقه هو ثمرة تلك الحياة وهو حياة الحياة !

ومزايا الأحياء تلك الحياة ، أن أعضاءهم بها حية كلها بحياة قلوبهم ، تأتمر باشارة الأمر ، وتنتهي باشارة النهي ، تتهلل للتبشير موقنة بالثواب ، وتبتئس للتخويف مؤمنة بالعقاب ، تستحضر حقيقة الغيب في القلوب فتصفق رغبا ورهبا ، فالرجاء والخوف مزاج تلك الحياة ، والتقوى ضابط مشيرها والجوارح جند مطيع .

أولئك هم المؤمنون حقا ، الذين جعلهم الله الطرف الراجح في المقارنة :

(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) ١٨ : السجدة .

(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) ٢٢ : الزمر .

(أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) ١٢٢ : الأنعام .

إن الميت في صدر هذه الآية هو الحي حياة الضلال ، وإحياء الله إياه هو شرح صدره لدعوة الحق ، وإماطة حجاب القلب ليسكن فيه نور الايمان ، والمشي به في الناس هو الامتثال والالتزام بأمره ونهيه ، لأنه بالنور في النور يمشي ، وإنما ينحرف عن الجادة المحروم من نور قلبه ، والضارب في متاهة مملوءة بحوالك الظلمات : **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)** النور/ ٤٠ —

أولئك هم الذين لهم السلطان الحقيقي في الأرض ، وليس لغيرهم سوى الله سلطان عليهم ، فالشيطان الذي هو اكبر القوى الطاغية في الكون مقهور بهم .

(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ٩٩ : النحل .

(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) ٤٢ : الحجر . لأنهم كما قال الحق فيهم :

(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) ٢٠١ : الأعراف .

وعتاة الأرض من الجبارين والظالمين صغار أمام عزمهم ، لأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فآمنوا بربح البيع ، وآثروا الآخرة على الأولى ، فكان منهم :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) آل عمران : ١٧٣ و ١٧٤ .

وكان منهم الذين قال لهم فرعون : **(فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى)** ٧١ : طه . فقالوا وهم أبناء ايمان الساعة : **(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)** ٧٢ و ٧٣ : طه .

لذلك الحس المرهف الكاشف رأى النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الجنة حتى هم أن يقطف من ثمارها ، ورأى النار حتى وصف ما فيها !

ولهذا الحس المرهف الكاشف استعجل « عمير بن الحمام » فرمى تمرات من يده شوقا إلى جنة الشهداء !

ولهذا قال « أنس بن النضر » « لسعد بن معاذ » : ياأبا عمرو أين ؟ واها للجنة إني أجد ريحها دون أحد ! فما انجلت المعركة إلا وهو حيث أحب !

ولهذا الحس المرهف الكاشف رأى عمر سارية يكاد يحيط بجيشه العدو ، فناداه من منبر المدينة ناصحا ، فسمعه سارية من وراء الأميال المترامية مجيبا !

وبهذا دفع عمر تميما الداري إلى النار العادية على المدينة ، فدفعها تميم بذراعيه كأنها العشب طله الندى !

وبهذا كانت تضيء العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ظلام الليل كأنها المصباح ، وماذا فيه من البعد إذا كان أسيد يقرأ القرآن فتغشاه الظلة وتنزل لصوته الملائكة !

وإذا لم يكن هؤلاء أئمة الهدى ، وأعلام الأولياء من الأمة فمن يكون الذين **(يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم)** ٢١ : التوبة .

هاتان وجازتان عن الحياة وحياة الحياة ، وقد عرفت أن المدلول عليه بالموصول والصلة **(ما يحييكم)** هو دين الله ورسالته التي هيمن بها على كل رسالة كتاب الله الخالد ، بما تضمن من حقيقة التوحيد الخالص ، وما أجمل من أخبار الغيب ، وما جاء به من شريعة كاملة على الدهر تكفل سعادة البشر واستقامة حياتهم على المجد والكرامة والعدل والعزة « فمن قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون

الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ٢ ــ ٥ : البقرة .

كما أدركت ان الاستجابة بالالتزام هي مناط تحقيق حياة الحياة ، وأنه بمقدار الدافع إلى الاستجابة يكون مقدار نمو النور فينا ، والارتفاع إلى الدرجات العلى هنا وهناك ! وبمقدار الفتور عن الاستجابة يكون النزول والتدلي إلى حياة تشارك الانسان فيها الأنعام غير ذات التبعة ، التي لم تحمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان !

وهنا ندرك السر في تأخر المسلمين وضياع صوتهم وذهاب ريحهم بين العداة الطامعين ، ولمن يقول جاهلا أو متجاهلا : لو كان هذا أثر الايمان لنلناه فانا مؤمنون ! ألسنا نصلي ونصوم ؟ لمن يقول مثل هذا نرد بقول الحق : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** ٨٢ : الأنعام .

فلنقس حالنا بهذين الوصفين معا دون تفريق بينهما ، بعد أن أصبحت حياتنا في الاسلام طقوسا وأشكالا زال عن القلب وهجها ، ومن العزم جذوتها ، وبعد أن صرف الهوى وصراع الشهوات كبار القوم مثل صغارهم عن تحكيم القرآن والنبي في مشاكلهم وقضاياهم ، فأين نحن اليوم من قوله تعالى :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ٦٥/النساء .

إن وعد الله لم يتخلف ، ولكنا نحن الذين تخلفنا ، فهل نحن تماما الذين عناهم الله بقوله :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ٥٥ : النور .

وهل نحن الذين عناهم قوله الحق :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) ٧١ : التوبة .

إن الايمان الذي به النجاة والعزة وحياة الحياة مشروط لا مطلق ، وإن في الأمر قبل الغد لمتسعا لمن شاء أن يستقيم ، وإن في التوبة والانابة لمردا إلى الله محمودا لمن أراد النصر والكرامة ، وإن القرآن لعلى رأس الصراط مستحثا داعيا :

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه ترجعون) .

أطفالنا والألبان الصناعية

للأستاذ/محمد حسن عبد العزيز

*** العالم كله تنبه للخطر .. لكننا لا حس ولا خبر .. وكان الأمر لا يعنينا من قريب أو بعيد مع اننا في قلب الخطر .**

*** الرضاعة الطبيعية تمنح الرضيع ٨٠٪ من القدرات العقلية ، ٢٠٪ من النمو الجسدي ..**

*** للرضاعة الطبيعية آثارها النفسية التي تتعدى مجرد لقم الثدي وامتصاص الغذاء ، واللبن لو افرغ من الثدي ووضع في زجاجة لفقد قيمته ..**

بعد دراسات وأبحاث استمرت سنوات .. حذرت الحكومة البريطانية وبكل جرأة وشجاعة من استعمال الألبان المجففة كبديل لغذاء الأطفال الرضع ، وأعلنت وزارة الصحة ان المشروع القومي للألبان المجففة له علاقة مباشرة بوفاة ثلاثة آلاف طفل كل عام . وحفاظا على حياة تلك الثروة البشرية ألغت هذا المشروع محذرة الامهات من ارضاع أطفالهن بهذه الألبان ، ونشرت هذا التحذير في كل الجرائد والمجلات والتليفزيون والاذاعة داعية اياهن للعودة الى « ثدي الأم » أو ما أطلق عليه « رضعة الأمان » بدلا من رضعة

الموت . مع أن بريطانيا هي أول من صنع تلك الألبان عام ١٩٤٣ .

والجديد ان بيان وزارة الصحة قد أعطى للأم المسلولة « المصابة بداء الصدر » الضوء الأخضر ، وصرح لها أن ترضع طفلها دون أدنى خوف ، بعد تحصينه بالمصل المضاد .

ومن قبل ، نظمت حملات عالمية ، قادتها جماعات انسانية ، وجهات رسمية ، في كثير من بلدان العالم ، بدأت في سويسرا ، ثم تبعتها الحكومات الأوربية . وعقدت المؤتمرات والندوات في عواصم العالم الثالث ، وأعلنت المنظمات الصحية العالمية تحذيرها من أساليب شركات انتاج الألبان الصناعية في ترويج منتجاتها ، مما أسهم في استجابة عدد كبير من الأمهات لاغراء الأساليب المضللة .

فالعالم كله بكل هيئاته الشعبية والرسمية ، بدأ يثوب الى رشده ، والعلم في كل يوم يرصد للاسلام ، للقرآن ، انتصارات متتالية تؤيد ما جاء به من خير للانسان .

فلم يكن غريبا أن تظهر في الآونة الأخيرة شعارات العودة الى الطبيعة ، أو العودة الى البساطة الأولى ، فالمواد الغذائية من مصادرها الطبيعية أكثر فائدة وأغنى قيمة .

واليوم يقف الانسان مبهورا أمام الآية الكريمة : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة / ٢٣٣ . ففيها تكمن تلك الحقيقة التي انتهى اليها العلماء في كل بقاع الدنيا وفيها اشارة واضحة موجهة للوالدات لممارسة وظيفتهن الاساسية التي خلقن من أجلها لاستمرار عمران الكون .

ورغم أن الخطر شغل العالم كله ، لكنه مع ذلك لم يشغلنا ، مع أننا في قلبه .. والموت يزحف الى أطفالنا في « بزازة الموت » والألبان الصناعية تغزو أسواقنا ، ويحتل الاعلان عنها مكانا بارزا في كل وسائل الاعلام والدعاية ، بل ذهبنا الى حد الاعفاء الكامل لتلك الألبان من الرسوم الجمركية .

هي قضية من القضايا التي اهتم بها العالم كله الا نحن ، وعواصم العالم الثالث تغلي بالحركة ، ونحن لا حس ولا خبر كأن الأمر لا يعنينا ، رغم أن بلدا مثل « تنزانيا » أصدرت قانونا يحرم دخول الألبان الصناعية فيها ، ولم تكتف بذلك وانما قادت حملة توعية واسعة توضح للأمهات الأضرار الناتجة عن استعمالها .

وفي الوقت الذي تتخذ فيه الحكومة البريطانية موقفا ايجابيا وعمليا بالغاء مشروعها القومي لانتاج اللبن المجفف ، اكتفى مجلس ادارة جمعية طب الاطفال في مصر باصدار بيان يقول : ان المقصود بلبن البقر المجفف هو اللبن الذي كانت تصنعه هيئة التأمين الصحي بانجلترا دون التعديل في تركيبه ، أما البان الاطفال المتداولة في مصر سواء كانت نصف دسمة ، أو حمضية ، أو مشابهة للبن الأم ، فكلها ألبان عملت خصيصا

لتلائم تغذية الطفل ، وبها جميعا تعديلات لنسبة البروتين والدسم والاملاح بالاضافة الى بعض الفيتامينات أو المعادن التي تجعلها جميعا صالحة من هذه الناحية ، وجميعها تم التصريح بها بعد دراستها من لجنة متخصصة من أساتذة طب الاطفال في مصر ، أما اختيار الأنواع المختلفة للأطفال فأمر متروك للطبيب المعالج .

ثم عاد البيان فأكد على أفضلية الرضاعة الطبيعية بلبن الأم وسلامتها وفوائدها وتميزها من النواحي الصحية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية بالنسبة للأم والطفل .

لكن الذي لا شك فيه كما يقول الاخصائيون : ان الالبان المعدلة تحتوي على نسبة عالية من الفوسفات والصوديوم والأملاح والبروتينات ، وبعض الشركات تضيف حامضا معينا لتسهيل عملية الهضم ، ومن أجل هذه النسب العالية في مكونات اللبن المجفف حذرت الجهات العلمية من استعماله ، فالأملاح تؤدي الى جفاف جسم الطفل .

وقد جاء في المجلة الطبية البريطانية ان زيادة نسبة الأملاح داخل جسم الطفل يتبعه اختلال في وظيفة الكلية ، وبالتالي عدم استطاعة « الكلية » الصغيرة افراز هذا التركيز العالي في البول فتعود بعض الأملاح مرة ثانية الى الدم ، وهي الحالة المعروفة « بالهيبرناترينيا » التي تجعل الجسم حساسا لأقل اصابة بنزلة معوية مما ينتج عنها ارتفاع في درجة الحرارة أو سرعة التنفس أو اسهال أو الاعراض الثلاثة مجتمعة ، وهي الاعراض الممهدة لحدوث جفاف الجسم الناشيء عن افراز النسبة العالية من الأملاح في الدم التي لا بد وأن يصحبها افراز كميات كبيرة من الماء ، موازية لنسبة الصوديوم العالية ، وهو ما يؤدي الى جفاف الجسم ..

وقالت المجلة : انه قد حان الوقت لسحب مثل هذه الالبان النصف دسم من الأسواق لأنها لا تصلح للأطفال حديثي الولادة وخطورة تناولها تتضح أكثر بالنسبة للأطفال المرضى ، حيث قد يتبعها تجلط الدم والغرغرينا » .

فاختلال الأملاح في اللبن الصناعي وأمثاله كانت السبب المباشر لالغائه والتحذير من اعطائه للأطفال قبل ٦ شهور كما جاء في تقرير اللجنة العلمية الطبية وضرورة توفير الألبان الشبيهة بلبن الأم .

كذلك فقد أكدت لجنة التغذية بالأكاديمية الامريكية للأطفال وجود علاقة بين زيادة نسبة الأملاح في اللبن الصناعي وأمراض ضغط الدم التي يمكن أن يتعرض لها الطفل في مستقبل حياته ..

أما النسبة الزائدة في البروتين فلا تستطيع معدة الرضيع افراز الكمية المناسبة من الأحماض الأمينية اللازمة لهضمها ، فينتج عن ذلك تعفن البروتين ثم الاصابة بالاسهال وبافتراض هضم الكميات الزائدة فان كل جزء منها يدخل الدم يجهد

الكلية ، وهو تماما بمثابة تحميل سيارة بأكثر من حمولتها المقررة . أما الفسفور فالغدة فوق الدرقية لا تبدأ في مباشرة وظيفتها الا بعد حوالي ثلاثة أسابيع ، ومعنى تغذية الرضيع بالألبان الصناعية خلال هذه المدة دخول هذه المادة مباشرة الى الدم بدون تنظيم .

● الكالسيوم في لبن البقر ١٢٥
في لبن الام ٣٣
● والفسفور في لبن البقر ٩٦
في لبن الام ١٥
● والصوديوم والبوتاسيوم في لبن البقر ٢,٥
في لبن الام ١٣,٠٠

والألبان التي يكتب عليها كامل الدسم ليست في الحقيقة كذلك ، بل يضاف الى اللبن دهن نباتي يؤثر على المعدة ويصيب الأطفال بالاسهال ، والتشنجات ، وعدم استقرار الوجبات في بطونهم ، وينتج عنه شكوى الأمهات من ترجيع الرضعات .

ولو كان اللبن الصناعي سليما من كل هذه الاحتمالات .. فان ذلك لا يمنع من أن الحرارة العالية في بلادنا تؤثر على افساده بسرعة ، وعملية النقل والتخزين والاعداد وترك العلبة تتلوث بأي شيء تحمل من الأخطار ما لا يتصور أحد .

الى جانب هذا كله تقف حقيقة هامة ، هي أن الماء الذي يجري في بيوتنا ، ونضيفه الى اللبن الصناعي لعمل الرضعة ، تزيد فيه نسبة المطهرات ، بما تحمله من مواد كيماوية تصل أيضا الى الطفل من خلال رضعة اللبن الصناعي .

ولو عرفت كل أم أن لبن ثديها به بروتين صغير جدا يمنع عن طفلها التصاق الميكروبات « التيفود والكوليرا » في الغشاء المخاطي للأمعاء ، لحاولت بكل جهدها اعطاءه « رضعة الأمان » بدلا من رضعة « الموت » في بزازة .. خصوصا في المناطق الفقيرة حيث تصعب وتنعدم أحيانا وسائل النظافة والتعقيم « للبزازات » ، بالاضافة الى الأضرار المترتبة عن استعمال البزازة ذاتها ، كانتشار أمراض الجهاز الهضمي ، وبروز الفك العلوي ، وتشوه الأنف ، وفلطحة قبوة الفم ، مما يؤثر على نبت الأسنان ، والتعرض لتلوث اللوزتين والبلعوم والجيوب الأنفية .

ويقول الدكتور / حسين كامل بهاء الدين ، أستاذ أمراض الأطفال ، بجامعة القاهرة ان اللبن الصناعي للأطفال خطر في حد ذاته ، وليس فقط بسبب مشكلة تعقيم البزازة ، أو اختلال المكاييل ... اننا لا نستطيع استبعاد عامل المبيدات الحشرية الكيماوية التي يتم رش الزراعة بها ، والتي تتسرب الى لبن الحيوان عندما يتناولها كغذاء ، كما أن الاتجاه الحديث لاستخدام المضادات الحيوية والهيرمونات في تنمية المواشي وبالتالي لادرار لبن أكثر ، لا بد وأن تصل في النهاية الى لبن الأطفال الصناعي . اننا لا نستطيع أن نقول للحيوان لا تأكل من هذا الزرع الذي رش من مبيد ، ولا نستطيع أن نمنع الذين

يستثمرون المواشي من اعطائها المضادات والهرمونات ، لكننا نستطيع أن نمنع الأم من أن تأخذ هذه المضادات بعد أن ثبت أنها أيضا يمكن أن تلوث لبن الأم : مثل المضادات الخاصة بالغدة الدرقية ، وأدوية التجلط ، والمسهلات واليود . وكلها يجب أن تمنع عنها الأم ، التي تقوم بارضاع طفلها .

وفضلا عن أن لبن الأم لا يعدله أي غذاء صناعي آخر ، فانه يتمتع بعدم قابليته للفساد ، أو نقل العدوى .

والمتأمل للآية الكريمة يجد أنها حثت الأمهات على اكمال الرضاعة حولين كاملين . والحكمة في ذلك أثبتتها الدراسات النفسية والطبية التي أكدت أن الرضيع الذي يعتمد على الغذاء الطبيعي يكتسب خلال السنتين الاوليين من حياته ٨٠٪ من قدراته العقلية و ٢٠٪ من نموه الجسدي ، بالاضافة الى الفوائد النفسية .

فالرضاعة الطبيعية ليست مجرد غذاء وحسب ، وانما هي علاقة نفسية بين الطفل والأم ، فلو أفرغ اللبن من الثدي ، ووضع في زجاجة مثلا ، وأعطي للطفل ، لفقد كل قيمته ، فلقم الثدي يكسب الطفل الأمان والاستقرار ، ويحميه من كثير من الأمراض النفسية ، وقد ثبت ان فطام الرضيع قبل اتمامه العامين يعرضه للاصابة بأمراض نفسية منها الانطواء والعزلة والتشاؤم .

وقد هيأت العناية الالهية الأنثى عند الانسان ، وسائر المخلوقات على السواء ، بعاطفة الأمومة ، التي لا يمكن تعويضها عنها . والطفل لا يمكن تعويضه عن حاضنته ، ومربيته ، وباعثة الحنان فيه ، وأي علاقة أخرى لا تحل محل ثدي الأم ، ولا تكون بديلا عنه .

واذا نظرنا الى عالم الحيوان وجدنا أنثاه المفترسة تحمل وليدها بين أنيابها ، وتنتقل به المسافات الطوال دون أن تصيبه بأذى ، وتدافع عنه ضد الأخطار التي تصل أحيانا الى التضحية بحياتها دون رضيعها .

انها عاطفة الأمومة أسمى العواطف مطلقا .. بها تتحمل الأم المشاق ، وتحيلها بشرا وسرورا وسعادة ، وبغيرها لا تستمر الحياة ولا يعمر الكون .

ولا شك أن الغذاء الطبيعي تكفلت العناية الالهية بتدبيره للطفل في بطن أمه جنينا عن طريق ما يسمى بالحبل السري المصمم بكيفية بديعة فلا هو بالطويل فيتخمر فيه الغذاء ، ولا هو بالقصير فيندفع فيه بطريقة تؤذيه ، وفي خلال فترة الحمل تتكون الغدد المكونة للبن من افرازات المبيضين فاذا استوفيت مدة الحمل صدرت الاوامر الى الغدد النخامية لتبدأ في انتاج اللبن الذي يحتوي على كل المواد اللازمة لاستمرار حياة الرضيع ، وسد حاجاته الأساسية من النشويات والسكريات والدهون والأملاح والفيتامينات ، وهي مواد لا يمكن بحال من الأحوال أن توجد في صنف واحد أو أصناف متعددة من الأغذية ، وان وجدت فلا يمكن

اعدادها بطريقة تتلاءم مع معدة الطفل الرضيع بحيث يمكن هضمها والاستفادة منها .
والجنين يخرج من بطن أمه بلا خبرات الا من ذلك التوجيه الالهي المرشد لمصدر الغذاء فنجده يتجه مباشرة الى ثدي أمه دون أن يعلمه أحد ذلك .
ولم نسمع منذ بدء الخليقة أن طفلا واحدا أو حيوانا أخطأ في مصدر غذائه مع أن رضيع الانسان يمتص غذاءه بشفتيه من الثدي وهي عملية شاقة للغاية لا يقدر عليها الرجل البالغ حيث يتنفس من أنفه في نفس الوقت الذي يرضع فيه . ولا شك أن عدم اختلاف المصدر منذ كان الرضيع جنينا الى أن خرج الى الوجود من أهم الاسباب التي تحافظ على صحته لعدم اختلاف مصدر الغذاء ولأن هناك علاقة سببية تقوم بين الطفل والأم . ومن الملاحظ أن لبن الأم يتناسب مع حالة الطفل يوما بعد يوم كما يتلاءم مع حالته الصحية فنجد الافراز يزداد حتى يصل الى لترين ونصف لتر في اليوم الواحد بعد عام بينما لا يزيد في الأيام الأولى عن بضع أوقيات ، كما تتغير نسب مكوناته بالزيادة والنقصان وشدة التركيز فيبدأ أقرب ما يكون الى الماء ثم يزداد تركيز مكوناته النشوية والسكرية والدهنية يوما بعد يوم .
ولكن اذا استحال الارضاع الطبيعي لمرض الام مثلا أو لجفاف ثديها فان القرآن الكريم قد أجاز لها في هذه الحالة استئجار مرضع تقوم بهذه المهمة وحث الأم على أن تتحرى الدقة في اختيار تلك المرضع .. يقول تعالى : **(وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم)** البقرة/٢٣٣ ولا يجوز أن تكون الرغبة في عدم الارضاع راجعة الى خشية الأم من التأثير على قوامها أو رشاقتها وما الى ذلك .
والجدير بالذكر ان الأم التي تمتنع عن الرضاعة لمدة ٤٨ ساعة فقط يجف ثديها ويصعب عليها التحول مرة أخرى الى الرضاعة الطبيعية ، وقد كانت شركات انتاج الألبان تعتمد على صرف الأم عن الرضاعة الطبيعية على أساس تجربة الألبان الصناعية .. فاذا فعلن ذلك للمدة المذكورة جف ثديهن وأصبحن أسيرات للألبان الصناعية ثم صار استخدام هذه الألبان نوعا من التقليد .
تلك وظيفة المرأة التي هيأها الله سبحانه وتعالى لها ومنحها كل القدرات التي تجعلها أهلا للقيام بها ، وهي وظيفة لا شك لها دور هام في حياة البشرية ومن أجلها كرم الله المرأة . وأوصى بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاها أرفع وسام بأن جعل الجنة تحت أقدامها .
ولعلنا نلتزم بتوجيهات القرآن وها هي ذي تحذيرات الهيئات الصحية العالمية وبين أيدينا نتائج دراسات وأبحاث الطب البشري والنفسي والاجتماعي ..
ومن أجل أبنائنا وفلذة أكبادنا وأغلى شيء في الوجود ..
علينا أن نتلفت حولنا في اهتمام لأنها مشكلة .. مشكلة .
ونحن في قلب الخطر ..

مناجاة

للاستاذ/
سيف النصر الطلخاوي

ناجيت ربي في سمو علاه مستمطرا رحماته ورضاه
وجأرت للرحمن في عليائه ودعوته في أرضه وسماه
....
يا رب عفوا من ذنوبي بعدما خارت بنات الفكر ، يا ويلاه !!
من لي سوى الرحمن يغفر زلتي فهو الغفور وليس لي إلا هو !
....
يا رب جئنا والحياة خديعة والنفس تطغى ، والقذى تهواه
خلبت عيون الناس عند بريقها فجروا وراء خداعها وهواه
لهثوا وراء سرابها حتى غدوا بين الدروب تضلهم اشباه
ضلت نفوس القوم في بيدائها وتابط الشيطان من يلقاه
....
يا رب طمعت في الحياة نفوسنا سارت وراء المال كي تغشاه
نهمت به في حله وحرامه صارت بكل وسيلة تعطاه
وتقاتلوا كالكلب تنهش جيفة كل يمزق في الصراع أخاه
ساءت حياة الناس في أطماعهم ضلوا كثيرا عن طريق هداه
كل يريد حياته وفؤاده مستنكرا لأخيه ، ما أقساه !
....
اهواؤنا فاهت بكل مباءة وتطاول الانسان ، ما أشقاه !!
هانت نفوس بالنفاق وبالفرى طمعت بعز لا يدوم ثراه
هذي الحياة ذليلة وقصيرة أيظل قلب المرء في مسعاه !؟
....
يا رب ضلت في الحياة نفوسنا فانر لها سبل الطريق تراه
يا رب عانت في الشقاء قلوبنا فامدد لها سببا يطيب مداه
يا رب ضاقت بالضلال صدورنا فاملأ قلوبا بالهدى وتقاه
....
يا رب جئنا عند بابك نرتجي غوث الكريم ، وعفوه ، ورضاه !
فامنح عبادك بالقناعة والرضا وأعزهم بالزهد في مغناه
وافض عليهم رحمة ورفادة من بحر جودك ، لا يغيض مداه
....
الف بفضلك للمحبة جمعنا كيما نتوب إلى الهدى وسناه
واعن بهديك يا قدير نفوسنا كيما تفيء إلى الحمى وجناه
واشرح بنورك يا لطيف صدورنا فبنور وجهك تهتدى وتراه
واشمل بعفوك يا عفو لأمة ترجو النجاة وترتجي لهداه
وارحم بحلمك يا قوى لضعفنا أنت الغياث ! وأنت ! أنت الله !!

من الأدب الإسلامي

الكثير والقليل

للأستاذ : السعيد الشرباصي

لا يقتصر أثر الحالة النفسية للانسان على النواحي العاطفية والمجالات الشعورية فقط .. وإنما يمتد هذا التأثير إلى سائر الجسم وكافة المجالات .. ويظهر أثر الحالة النفسية للفرد بشكل واضح على نشاط المعدة ، وعلى ما تفرزه من عصارات تساعد على الهضم ، ومن عناصر تهيء الطعام للانتفاع به .

واكبر الظواهر الدالة على أثر الحالة النفسية على النشاط الهضمي حالات الفرح أو الحزن .. حيث نشاهد على سبيل المثال أثر الفرح والسرور في جعل الرغبة إلى الطعام مطواعة ومرنة ، بمعنى أنها في حالة السرور يكون لديها التقبل للوضع الكائن . فهي ترضي بالقليل وتقنع به ، وترضي عن البسيط وتفرح له .. بل وعندما تتوفر الظروف المناسبة نجدها تقبل على الطعام إقبالا عظيما ، فسيان لديها الكثير والقليل ، واللين من الطعام أو الخشن .

ومعنى هذا أن الرضا وصفاء النفس يجعل المرء مستعدا لاستقبال أي وضع يكون . وهذا المعنى هو الذي يهدف إليه الاسلام ، حينما يطالب الآكل :

بأن يفتتح طعامه وشرابه بالتسمية ، لأنها تعبير عن التسليم بما هو كائن ، والتطلـع في الوقت نفسه إلى عطاء الكريم الذي رزق وقسم ، وأعطى وهيأ ، وبارك وطيب . فهي في جملتها استجلاب للرضا ، وأمل في الانتفاع بقدرة العظيم القادر .

وبواسطتها يتم صنع جو السعادة والتقبل والقناعة بالـموجود ، فتتولد الحالة النفسية المـطلوبة لفتح الشهية ، ولاستقبال الطعام ، وبالتالي لمزاولة العصارات الهاضمة نشاطها في كفاءة تامة ..

ولهذا نجد النفس المؤمنة تنشدها لا كأدب إسلامي فحسب ، بل كضرورة نفسية مؤكدة عندما يكون الطعام قليلا ، أو غير مستساغ . وبها يتغير الشعور فيكفي الطعام القليل ، ويطيب الطعام الجاف .

ومضيا في صنع الحالة النفسية الطيبة للطعام يطالب الاسلام أتباعه بالنظافة العامة في اختيار الطعام ، وفي الحصول عليه بحيث يكـون مصدره حلالا .. وبأن يكون المـرء بصورة عامة نظيفا .. ومن هنا كان أمر الشريعة : بغسل اليدين قبل الطعام وبعده ـ حتى ولو كان على وضوء ـ وقد روي ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه ، وإذا رفع » . وفي حديث آخر جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم » . ونفي الفقر الذي يوجد بالنظافة هو نتيجة للشعور الرفيع الذي يصل إليه الآكل وهو على نظافة حيث يشعر بالعزة والكرامة . والغنى قبل كل شيء غنى النفس .

ثم يرشد الاسلام عند الطعام إلى استخدام اليمنى ما أمكن . فقد انتهجت الشريعة سنة محمودة حين خصصت اليد اليمنى للاستخدامات الطيبة واليسرى للاستخدامات الأخرى .

وعليه أن يأخذ مجلسه في اعتدال عند الطعام ، فان ذلك مما يساعد على وصول الطعام إلى المعدة في يسر وسهولة . وقد روي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا آكل متكئا » .

وليأخذ في طبقه حاجته دون زيادة . فان كان الطعام مشتركا ، فلا يخلط منه على غيره أكثر من حاجته ، ليبقى الباقي مقبولا من سواه . ونحن نرى أن الاسلام يوصي بعدم ترك بقايا في الأطباق بدون داع . وفي ذلك من النظام والاقتصاد والحكمة ما فيه لأنه لا مبرر لاضاعة المال ، بل لا مبرر للافساد . ولكي لا يضايق غيره ممن يقومون بعملية التنظيف . ومن هنا يجب الاقتصار على أخذ ما أنت في حاجة إليه ، لتترك الطبق خاليا « من أكل في قصعة فلحسها استغفرت له القصعة » رواه الترمذي . يعني انتهى منها ، ولم يترك بقايا فيها .

ولا تعليق على الطعام ، إلا بخير واستحسان ، وأما إظهار بعض

عيوبه ، فهو إيذاء لمن يأكل معك ، وقد يكون مقبلا عليه لرغبته فيه أو لحاجته إليه ، فحديثك يضايقه . وثانيا : إيذاء لمن صنعوا الطعام . « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهى شيئا أكله ، وان لم يشتهه تركه » متفق عليه .

وفي هذا المقام لابد من التماس العذر في الخطأ . فعملية الضبط لكل ما يطهى عملية شاقة وعليك أن تجربها لعدة أيام لتعرف متاعبها ومشاقها .

ومن الأمور المنفرة التي رفضتها الشريعة : النفخ في الطعام أو في الشراب ، وكـــذلك التنفس عند الشرب ، أو إحداث أصوات حادة : وفي المتفق عليه : قال ابن عباس : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ، ولا يتنفس في الماء » . ومن حديث قتادة « ولا يتنفس أحدكم في الاناء » .

ولا داعي للبطر ، وإظهار التعالي ، برفض الأكل مع الفقراء والبسطاء ، أو عندهم ، أو بترك ما يسقط على الأرض من طعام ، مادام يمكن إصلاحه والانتفاع به . وقد روى ابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وقعت اللقمة من يد أحدكم فليمسح ما عليها من الأرض وليأكلها » .

ومن حسن الخلق وأدب الصحبة ألا تكون حريصا على الطعام ، وألا تسبق سواك وقد نهى عن القران بين الثمرتين . وفي ذلك من النظام ما فيه . كما لا مبرر للنهوض العاجل عن المـــائدة ، قبل إعطاء الفرصة للحاضرين ، لأن ذلك قد يحرجهم . وقد شرح هذا المقام الحديث : « إذا وضعت المائدة ، فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ، ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم ، وليعذر ، فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده ، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » رواه ابن ماجه .

ولا بأس بتقطيع اللحم بالسكين أثناء الأكل وقد روى البخاري : « أنه كان يحتز من كتف شاة في يده ، فدعى إلى الصلاة فألقاها من يده ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ » والحز إنما يكون بالسكين . وقد قال مهنا : سألت أحمد عن حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقطعوا اللحم بالسكـــين ، فانه من صنع الأعاجم ، وانهشوه نهشا ، فانه أهنأ وامرأ » . قال : ليس بصحيح . وأحتج بهذا الحديث السابق .

ولابد من النظام في تناول الطعام وفي أنواعه . يروي ابن ماجة في ذلك : عن عكراش بن نؤيب قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجفنة كثيرة الثريد والودك . فأقبلنا نأكل ، فخبطت يدي في نواحيها . فقال : ياعكراش ، كل من موضع واحد ، فانه طعام واحد .. ثم أتينا بطبق فيه ألوان الرطب ، فجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق . وقال : يا عكراش ، كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » .

والحديث يضع قواعد هامة

للمجتمعين حول المائدة . فاذا كانت المائدة تضم صنفا واحدا ، كان لزاما على الطاعم أن يأكل مما يليه . أما إذا كانت تحوي أصنافا متعددة ، وكلها مباحة وعلى قدر سواء . فلا مانع من أن يأخذ منها ما يستطيبه .

وعلى من كان أمامه صنف خاص أن يقدمه إلى غيره ، ويعرض عليهم حاجتهم فيه . وعندما ينتهي الأكل ، فليبدأ بشكر الله تعالى على ما هيأ ويسر ، ثم ليشكر صاحب المائدة وشكر الله بحمده . وفي الحديث : « من أكل طعاما ، فقال : الحمدلله الذي أطعمني هذا ، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه ابن ماجه . وعن شكر صاحب المائدة روي جابر بن عبدالله قال : صنع أبو الهيثم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فلما فرغ . قال : أثيبوا صاحبكم قالوا : يا رسول الله وما إثابته ؟ قال : إن الرجل إذا دخل بيته ، وأكل طعامه ، وشرب شرابه ، فدعوا له . فذلك إثابته . وكان من دعائه : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود .

ولا تثريب على المرء في الجمع على المائدة لأكثر من طعام ، فقد كان الرسول يأكل القثاء بالرطب . ويجمل بالمرء إذا كان في الطعام سعة أن يدعو إليه من يحتاج إلى الطعام (وطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة) . فان لم يكن لديه الاستعداد لذلك ، فليعتزل من حوله بطعامه حتى لا يثير رغبتهم .

ومن مبادئ العزة الانسانية ألا يتحين المرء وقت أكل الآخرين **فيهجم** عليهم ليطعم معهم ، وإنه إذاك يعد متطفلا ، وقد كره الاسلام ذلك لقول الله تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه)** الأحزاب/٥٣ . أي غير منتظرين بلوغ نضجه ، ولهذا يحسن بالزائر اختيار الوقت المناسب لزيارته ، فلا يدخل على مزوريه في أوقات طعامه وشرابه أو أوقات الراحة التي تعود الناس الركون فيها إلى الدعة والسكينة ، إلا أن يكون قادما من سفر ، أو على موعد معين سابق .

وكما يدعو الاسلام إلى النظافة قبل الطعام ، فانه يحث على النظافة بعده ، ولهذا يستحب غسل اليدين بعد الأكل ، وتنظيف الفم ، واستخدام السواك ونحوه . كما لا مانع من استخدام المنظفات التي تساعد على ذلك . وقد قيل لأبي عبدالله : ما تقول في غسل اليد بالنخالة . فقال : لا بأس به نحن نفعله وقد روى ما يشهد بذلك في الآثار . ولا بأس باستخدام كل ما يساعد على النظافة من مواد مستحدثة ومستحسنة .

وعلى المرء أن يتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » رواه أحمد والترمذي . وما ملأ الانسان وعاء شرا من بطنه .

وعلى العاقل أن يدرك أن الجسم لا يحتاج إلى الاسراف ، أو بالوصول بالمعدة إلى حد الامتلاء ، الذي يضر بها ويعطلها عن الهضم ، حيث يتحول الطعام المفيد إلى أذى وسم ، ان لم يقتل أفسد وأتعب .

فان كان ولابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه . والعاقل هو الذي يأكل أكثر ، بأن يأكل قليلا ، فيهضمه ويجوع فيأكل من جديد . وهكذا ..

أما الغبي فانه يأكل مرة واحدة يبقى بعدها مثقلا بالطعام عليلا ، محروما منه فاذا أردت أن تأكل كثيرا وتحظى بلذة الطعام ، فكل معتدلا ولا تفرط حتى تصل إلى حد الامتلاء ، فتحرم من الطعام ومن الراحة والصحة . وكثرة الطعام دليل على فساد النفس والطبع .

يروي أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه ، حتى شرب حلاب سبع شياه . ثم إنه أصبح فأسلم . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يشرب في معي واحد ، والكـــافر يشرب في سبعة أمعاء » رواه مسلم .

ومن الأدب الاسلامي أن على المـدعو الى طعام أو الى وليمة أن يستجيب للدعوة ما لم يكن هناك عذر ، يتقدم به إلى صاحب الدعوة وفي الحديث : « إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليأتها » حديث صحيح ، بل إن الاسلام في تسامحه العظيم لا يمانع في الاستجابة لدعوة اليهودي أو الذمي . لما روى أنس « أن يهوديا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير وإهالة سنخة فأجابه » ذكره الامام أحمد في الزهد .

ويحض الاسلام صاحب المنزل على إكرامه للوافدين عليه ، بل ويدعوه إلى إيثارهم على نفسه وفي القرآن الكريم :

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر/٩ .

ويقول المفسرون في أنها نزلت في رجل من الأنصار حينما قدم رجل على الرسول ، فأرسل يسأل أهله عن طعام له ، فجاءه الرد : أنه لا يوجد سوى الماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار واستضافه . وتمضى القصة النبوية لتحكي كيف أن الرجل لم يجد في بيته إلا القليل المعد لطعام الصبية ، فأمر زوجته بتقديم الطعام للضيف واطفاء المصباح ، ليأكل الضيف ، وهم يتعففون إيثارا له .. فنزلت الآية . والقصة في صحيح مسلم الجزء السادس .

وبعد : فان تنظيم الاسلام لشهوة الطعام ولطريقة تناوله ، إتاحة للانتفاع به ، ولاعطاء الفرصة للاستفادة منه ، فاذا أردت أن تأكل دائما وكثيرا فكن منظما في طعامك وشرابك ، حتى لا تحرم منه .

في بريق الحضارة العلمية الاسلامية

الفيزيائي الاسلامي ابن الهيثم

للاستاذ : منذر شعار

كان ابن الهيثم استاذ أوربا في الفيزياء والضوئيات والطبيعة لقرون، وفي جملة الاساتذة المسلمين العظام، الذين أضاءوا الطريق أمام الانسانية قاطبة ، لبلوغ الخير والرشاد .

واسمه محمد بن الحسن ، او الحسن بن الحسن ، على خلاف ، اما ابن ابي اصيبعة ، المولود بدمشق والمتوفي بصرخد سنة ٦٦٨ هـ فقال في كتابه : « عيون الأنباء في طبقات الاطباء بأن اسم ابن الهيثم محمد بن الحسن بن الهيثم . وبهذه الروايةأخذ خير الدين الزركلي في قاموس أعلامه

ولكن القفطي يقول في كتابه « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » : ان اسم ابن الهيثم هو الحسن بن الحسن بن الهيثم ، وذهب الى التسمية ذاتها صاحب كشف الظنون في صفحة ١٣٨ ، من الجزء الاول ، ولهذا حين أورد « كارل بروكلمان» ترجمته تردد في تسميته فلم يقطع بها ، وكذلك المستشرق « سوتير» حسب ما نقلت دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨ تردد بين ان يكون ابن الهيثم هو الحسن بن الحسن أو الحسن بن الحسين .

وايا كان اسمه ، فهو ابن الهيثم

الكبير ، والعالم الجليل . ولد في أواخر القرن الهجري الرابع ، ونشأ فقيرا يشتغل بنسخ الكتب وبيعها ، ثم علا في العلم وبرع ، واكبر حادثة فى حياته هي استدعاء الحاكم بأمر الله العبيدي بمصر له ، أو ذهابه هو من نفسه الى مصر ، ليعمل عملا فى النيل . وذلك أن ابن الهيثم قال وهو فى الشام : «لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى حالتي زيادته ونقصه » فسارت هذه الكلمة حتى بلغت الحاكم بأمر الله بمصر ، فاستدعى ابن الهيثم ، وأكرمه وبذل له المال ، فنزل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ الموضع المعروف بالجنادل، قبلي مدينة اسوان ، فعاين ماءالنيل واختبره من جانبيه وعجز عن الاتيان بشيء فى هندسته ، هذه رواية الموسوعة الفرنسية فى ص ٨١٣ ، وروايات اخرى تقول : « ان ابن الهيثم قال : تأملت فى آثار قدماء المصريين من أهرامات وغيرها فعلمت أن من بنى هذه الاوابد لم يكن ليعجز عن اقامة هندسة للمياه فى اسوان ، لو وجد ذلك ممكنا ، اي أن ابن الهيثم رأى استحالة عمل هندسة فى النيل « وما راء كمن سمعا » ، والقول على التوهم غير القول بعد المعاينة ، فلذلك عاد من النيل عاجزا ، ولكنه خاف من اعلان عجزه للحاكم ، وكان غشوما ظلوما ، فأظهر ابن الهيثم الجنون ، لينجو من بطش الحاكم ، فضبط الحاكم ما عنده من مال ومتاع، واقام له من يخدمه ، وترك في منزله، فلم يزل كذلك الى أن مات الحاكم . فأظهر ابن الهيثم العقل ، وخرج من داره فاستوطن قبة على باب الجامع الازهر ، واعيد اليه ماله فانقطع الى التصنيف والافادة الى أن توفي » .

وقد ذكر الزركلي لابن الهيثم سبعين مؤلفا ، عدد منها كتاب المناظر ، ورسالة الشكوك على بطليموس ، وكتاب « الاظلال » وكتاب تهذيب المجسطي ، وكتاب « تربيع الدائرة» ورسالة « الاخلاق » ، وقد قال البيهقي في حق هذا الكتاب : «ماسبقه به احد » ، ولابن الهيثم كتاب مساحة الجسم المتكافيء ، وكتاب الاشكال الهلالية ، وكتاب المرايا المحرقة ، وكتاب « تفسير المقالة العاشرة لابي جعفر الخازن » وكتاب «ارتفاعات الكواكب» .

ولكن ابن ابي اصيبعة ذكر له فى كتابه « عيون الأنباء » الآنف الذكر مائتي كتاب ورسالة فى الرياضيات والفلك والطبيعيات والفلسفةوالطب.

وعبارة المستشرق « سوتير » فى اطرائه : « كان علما من أعلام العرب فى الرياضيات والطبيعيات وكانت له الى ذلك مشاركة في الطب ، وفى علوم الاوائل الأخرى ، وخاصة في فلسفة أرسطو » .

لقد كان ابن الهيثم عظيم الاثر فى حضارة الاوروبيين العلمية ، واسمه عندهم « الهازن » ، وهذا الاسم كما يقول « الزركلي » : اقرب الى « الخازن » منه الى « ابن الهيثم » . ولكن الذي يقصده الغربيون من « الهازن » هو ابن الهيثم من غير شك ، ولعل السبب فى أن سموه كذلك ان أول ما شاع عندهم من كتب ابن الهيثم ، هي رسالة «تفسير المقالة العاشرة لابي جعفر الخازن» من شرح ابن الهيثم ، فلعله التبس عليهم اسم المؤلف باسم الشارح ، فخلطوا ، فكانت تسمية ابن الهيثم

عندهم « الهازن » .

وقد بالغوا فى ترجمة كتبه الى لغاتهم ، فكتابه « المناظر » نشر بالالمانية عام ١٥٧٢م فى مدينة « بال» مع رسالة له في الشفق . وقد نقل هذه الرسالة الى اللاتينية « جيرار دي كرمونا » ، وكان لكتاب المناظر

هذا اثر بالغ فى معرفة الغربيين لهذا العلم فى العصور الوسطى من«روجير باكون » الى « كبلر » اي خلال ثلاثة قرون ونصف القرن ، اذ ان « روجير باتون » — العالم الانكليزي ، ولد سنة ١٢١٤م ، « وكبلر » مولود فى روتنبرغ بألمانيا سنة ١٥٧١ ، وكان عالما فلكيا .

وقد نشر « فيدمان » الالماني كتاب ابن الهيثم « كيفيات الاظلال » باللغة الالمانية عام ١٩٠٧ واشترك مع « هيبرج » فى نشر كتاب « المرايا المحرقة بالقطوع » فى مجلة المكتبة الرياضية بالمجموعة الثالثة في المجلد العاشر سنة ١٩١٠م صفحة ٢٠١ وكذلك قام « فيدمان » نفسه بنقل كتاب « فى المرايا المحرقة بالدوائر » بالمجموعة نفسها من صفحة ٢٩٣ الى ٣٠٧ ، ثم قام « سوتير » بترجمة كتابه « فى مساحة الجسم المتكافيء » بالمجلد الثاني عشر سنة ١٩١٢ مع شروح عليه .

وقد ذكرت المعجمية الفرنسية أن ابن الهيتم له مؤلفات عدة فى الرياضيات والفلك والفلسفة والعلوم الطبيعية واغلبها ضاع ، وبقي منها رسالة فى المنحنيات الهندسية ، مما يجعلنا نثق بأنه كان على اطلاع تام على كتاب « بديهيات اقليدس » والى ابن الهيثم وحده يرجع فضل اكتشاف البرهان بالعدد « ٩ » على صحة العمليات الرياضية .

ان الغربيين اطلعوا فى كتاب ابن الهيثم «المناظر» لاول مرة، على وصف دقيق للعين وعلى ان النظر يأتي من نور الاشياء المرئية لا من نور العين كما كان يظن اليونان ، وعرفوا كيف عالج ابن الهيثم — ولاول مرة ايضا قضية الانعكاس ، والغرفة المظلمة التي كانت هي فاتحة الباب لاختراع آلة التصوير الشمسي .

وقد اعترف بفضل ابن الهيثم مع ما ذكرنا العالم « سارتون » الذي قال : « ان ابن الهيثم اعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة ، بل اعظم علماء الطبيعة فى القرون الوسطى ومن علماء البصريات القلائل فى العالم كله وقال فرنسيس باكون ١٥٦١ — ١٦٢٧ م فى كتابه « قيمة تقدم العلوم» الذي ألفه سنة ١٦٠٥م : « ان الكندي وابن الهيثم دعامتا علم البصريات » .

وقد توفي ابن الهيثم عام ٤٣٠هـ — ١٠٣٩م فى القاهرة ، عند اكثر المؤرخين ، الا البيهقي فى كتابه «تاريخ حكماء الاسلام » فقد قال ان ابن الهيثم لما خاف على نفسه من الحاكم بأمر الله هرب الى سورية ، ولم يذكر وفاته ، ولا عودته الى مصر .

ذلك كان نجما في سماء الحضارة الاسلامية ، أنار الطريق أمام أوربا، فيمن أنارها من علماء المسلمين، وكان نعم العالم في نعم المناخ يومئذ، مناخ الحرية العلمية والسمو الفكري والخصوبة الحضارية التي زرعها الاسلام حيث دخل وانتشر ، فلولا الحضارة الأم ما خرج الابناء البررة، النشطون الى كل خير وعلم وصلاح.



للدكتور نجاشي علي ابراهيم

مرت المحنة بيوسف عليه السلام ، وانتهى أمرها ، وهي تحمل بين ثناياها : الخير له من حيث لا يدري ، فاذا به يتبوأ مكانة عالية ، ويحتل مركزا مرموقا ، ويشيع أمره بين الناس ، فيقصدونه طالبين رفده وعطاءه .

لقد عز الطعام ، والناس في أشد الحاجة اليه ، ويوسف بما وهبه الله : من ذكاء وحكمة ـ كان ـ يفعل ما فيه مصلحة الخلق ، في وقت يطيش فيه عقل اللبيب ... « **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** » سورة يوسف / ٥٦ .

واذا كان الطعام : قد عز في أرض مصر ، نظرا لما حل بها من قحط ، فقد أصاب القحط أيضا : أرض كنعان التي يقيم فيها يعقوب عليه السلام .

وقد استطاع يوسف بفطنته ، وحسن تدبيره : أن يواجه مشكلة القحط التي نزلت بمصر ، وأخذ يوزع الخير بين عباد الله بالقسطاس المستقيم .

ولما أصاب أرض كنعان ما أصابها : قصد أهلها أرض مصر ، لعلهم أن ينالوا شيئا من خيرها الكثير ، الذي يتحدث عنه الناس في كل مكان .

وكان ممن وفدوا على مصر : اخوة يوسف الذين غدروا به ، وألقوه في غيابة الجب ، فعرفهم يوسف وهم له منكرون : لا يعرفونه لأن يوسف ـ الآن ـ تبدو عليه مظاهر الأبهة والملك ، وقد كان طول المدة ـ منذ القائه في الجب ، حتى لحظة قدومهم ـ سببا مباشرا في عدم معرفتهم له .

فمرور الوقت ، وخاصة اذا طال ، يغير بعض الملامح ، الأمر الذي جعلهم لا يعرفونه ، ثم ان إخوة يوسف : لم يدر بخاطرهم يوما ما ، أن يصل يوسف الى ما وصل اليه ـ فضلا ـ عن أن يكون حيا ، بعد حادثة الجب .

وتحدث يوسف مع اخوته قائلا لهم : أخبروني من أنتم ؟ وما شأنكم ؟؟ .

فقالوا : نحن قوم من أهل الشام .. رعاة .. أصابنا الجهد ، فجئنا نمتار .

فقال يوسف لهم : لعلكم جئتم عيونا ، تنظرون عورة بلادي .

فقالوا : معاذ الله ، نحن بنو نبي حزين ، لفقد ابن كان أحبنا اليه ، وقد أمسك أخا له من أمه يستأنس به .

فقال لهم يوسف : ائتوني به ، إن كنتم صادقين فيما تقولون وأصر يوسف على ذلك ، وهو يرغبهم قائلا لهم كما حكى عنه القرآن : « **ألا ترون اني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين** » يوسف / ٥٩ .. بل انه أنذرهم ، ان لم يحضروا أخاهم ، فقال لهم : « **فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون** » يوسف / ٦٠ .

واستسلم الاخوة لما قاله يوسف قائلين له : « **سنراود عنه أباه وانا لفاعلون** » يوسف / ٦١ .

وبعد أن جهزهم يوسف بجهازهم ، وأعطاهم ما قدموا من أجله : أمر فتيانه أن يردوا الثمن الذي دفعه إخوته ـ مقابلا لما أخذوه منه ـ وأمرهم أن يخفوا هذا الثمن في رحالهم ، فقد يكون ذلك سببا في رجوعهم الى يوسف مرة أخرى .

وما توقعه يوسف : هو ما حدث فعلا ، فقد جاء الاخوة اليه مرة أخرى ، وقد أحضروا معهم أخاهم « بنيامين » ، الذي أمرهم يوسف بأن يحضروه معهم .

ولما دخلوا على يوسف قالوا له : أيها الملك ... هذا هو أخونا الذي أمرتنا أن نحضره اليك ، قد جئناك به .

فقال لهم يوسف : أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندي .

وبر يوسف بما قال ، فأكرمهم وأنزلهم منزلا حسنا ، ثم انه أضافهم ، وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، وقد كانوا عشرة .

ولذلك بقي « بنيامين » ، الذي أحضروه معهم وحيدا ، لا يجد من يجالسه على مائدته ، مثل إخوته العشرة ، الذين جلسوا على خمس موائد .

فقال لهم يوسف : لقد بقي أخوكم وحده .

فقالوا له : كان له أخ فهلك .

فقال يوسف : فأنا أجلسه معي .. فأخذه يوسف ، وأجلسه معه على مائدته ، وجعل يؤاكله .

فلما أقبل الليل ، وحان وقت النوم ، والهجوع الى المضاجع ، قال لهم يوسف : ينام كل اثنين منكم على فراش .

وكما حدث « لبنيامين » عند الاكل ، حدث له عند النوم ، فلم يجد من يقاسمه الفراش .

فقال يوسف : هذا ينام عندي على فراشي .

فنام بنيامين مع يوسف على فراشه ، وهو في غاية الفرح والسرور .

ولما أصبح الصباح ، وتبادل يوسف ـ الحديث ـ مع بنيامين سأله عن أولاده ، فقال بنيامين : ان لي عشرة بنين ، اشتققت أسماءهم ، من اسم أخ لي قد هلك .

فقال يوسف : أتحب أن أكون أخاك ، بدل أخيك الهالك ؟

فقال بنيامين متعجبا : ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل !! ؟؟ .

فبكى يوسف عليه السلام ، وقام الى بنيامين وعانقه ، وهو يهتف بالحقيقة التي لا يعرفها بنيامين ، قائلا له : « **اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون** » يوسف / ٦٩ .. لقد أساءوا الينا فيما مضى ، أما الآن فقد أحسن الله الينا ، وجمعنا على خير ، بعد أن فرقت الايام بيننا ، ولكن لا تخبر إخوتك بحقيقة ما أعلمتك به .

ويندهش « بنيامين » ، وهو يسمع هذه الحقيقة ، والفرحة تغمره ، والبشر يعلوه ، فينتهز هذه الفرصة ، ليقول ليوسف : أنا لا أفارقك .

ولكن يوسف يقول له : قد علمت اغتمام والدي بفقدي ، فاذا حبستك ازداد غمه .

وتتبخر أحلام « بنيامين » ، وتتبدد آماله الجميلة ، التي عقدها لكي يبقى مع أخيه ، الذي التقى به بعد غيبة طويلة ، فهو يريد أن يبقى مع يوسف ولا يفارقه .

ويحاول يوسف أن يحقق لأخيه بنيامين : رغبته في البقاء ، فيقول له : لا سبيل الى بقائك معي ، الا بعمل قد يسيء اليك .

ولكن رغبة الاخ في البقاء ، جعلته يقول لأخيه يوسف : لا أبالي بذلك ، فافعل ما بدا لك .

وحان موعد الرجوع ، ليعود

الاخوة الى أبيهم ، ومعهم الطعام الذي قدموا لشرائه من مصر ، فجهزهم يوسف بجهازهم ، ووفى الكيل لهم ، وزاد كل واحد منهم : حمل بعير ، وهو لا ينسى قولة « بنيامين » ، ورغبته في البقاء معه .

وأمر يوسف : واحدا من أتباعه ، بأن يجعل السقاية في رحل بنيامين .

والسقاية : إناء نفيس ، كان يكال بها الطعام ، في تلك الاعوام ، ونظرا لعزة الطعام وقلته : كان الكيل بهذه السقاية دون غيرها .

وسارت القافلة متجهة الى أرض كنعان ، بما تحمل من طعام في أمان الله .

وبعد أن قطعت شوطا من الطريق ، اذا بها تفاجأ بمن ينادي عليها ، ويأمرها بالوقوف ، ويتهمها قائلا لها : « **أيتها العير انكم لسارقون** » . يوسف / ٧٠ .

وتوقفت العير ، واخوة يوسف قد علاهم الذهول ، وغمرتهم الدهشة ، وأقبلوا على المنادي ، وهم في حالة انزعاج مما سمعوا ، وقالوا للقوم : « **ماذا تفقدون** » يوسف / ٧١ .. أي ما الذي ضاع منكم ؟؟

فكان الجواب : « **نفقد صواع الملك** » يوسف / ٧٢ .

صواع الملك : هو السقاية نفسها ، ولم يعبر القرآن بها هنا : مبالغة في الافهام والافصاح .

ونظرا لأهمية الصواع المفقود ــ ونفاسته ــ وأنه يكال به الطعام : جعلوا جعلا لمن يأتي به ، ولذلك قال المنادي لأخوة يوسف ، مرغبا لهم في اظهار الصواع « **ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم** » يوسف / ٧٢ .

ويتعجب أبناء يعقوب ، مما نسب اليهم ، وخاصة أنهم اشتهروا في مصر : بالعفة والصلاح ، وأنه ما جال بخاطرهم ، ولا مر بخيالهم : أن تمتد أيديهم الى شيء لا يملكونه ، أو لا يحل لهم ، حتى روى أن نزاهتهم ، وصلت بهم : الى أن عكموا أفواه ابلهم ، حتى لا تنال شيئا من زروع الناس أو طعامهم ، بالاضافة الى أنهم ردوا بضاعتهم ، التي وجدوها في رحالهم .

وقد اشتهر ذلك عنهم ، حتى عرفه الناس جميعا ، فكيف يتهمون بالسرقة ؟ ... وهي أعظم أنواع الافساد في الارض ، انهم على جانب كبير من النزاهة ، لا يليق بهم أن يقع منهم شيء من ذلك ، أو حتى ينسبوا اليه ، وهم الأتقياء البرءاء ، ولذلك قالوا : « **تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين** » يوسف / ٧٣ .

ولكن أصحاب الصواع : لم يقتنعوا بما سمعوا ــ من ادعاء أبناء يعقوب البراءة ــ مما نسب اليهم .

فقال أصحاب يوسف : فماذا يكون العقاب اذن ، لو تبين لكم كذبكم : في ادعائكم البراءة ، وأنكم فعلا سرقتم الصواع ؟ .

فقال اخوة يوسف : عقاب من وجد الصواع في رحله ، أن يسترق ويستعبد سنة ، لأنه ارتكب عملا قبيحا ، فهو ظالم بعمله هذا ، وكل ظالم لا بد أن ينال جزاءه ، ويعاقب

على ظلمه .

وهذا المعنى هو ما يشير اليـه القرآن الكريم في قوله تعالى : « **قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين** » يوسف / ٧٥ .

واخوة يوسف انما يقولون ذلك : ثقة منهم بكمال نزاهتهـم ، وهـم غافلون عما فعل بهم .

وهـذا الحـكم الـذي قالـوه ، وارتضوا تنفيذه ـ ان وجد الصواع معهم ـ هو ما كان معمولا به : في شريعة أبيهم يعقوب عليه السلام .

ولم يكن أمام أصحاب يوسف ، الا أن يفتشوا رحال أبناء يعقوب ، ليقفـوا على الامـر ، ويصلـوا الى الحقيقة .

ولم يعارض في ذلك أخوة يوسف ، لأنهـم متـأكدون من نزاهتهـم وبراءتهم .

وحتى تمضي الحيلة التي أرادها يوسف ، بدأ تفتيش أوعية الاخوة العشرة ، فلم يجد شيئا ، فلما انتهى به الامر الى « بنيامين » : روى أن يوسف عليه السلام ـ قال ـ ما أظن أن هذا أخذ شيئا .

ولكن الاخوة العشرة قالوا له : والله لا نتركه حتى تنظر في رحله ، فانه أطيب لنفسك وأنفسنا .

ولبى يوسـف عليـه السـلام : رغبتهم ، وفتش رحل بنيامين ، ثم كانت المفاجأة لأبناء يعقوب العشرة ، حين وجد الصواع في وعاء بنيامين .

وهكذا تمت الحيلة ليوسـف عليـه السلام ، فقد ألهمه الله تعالى ، وعلمه كيف يحتال ، لتحصيل غرضـه : باستبقاء أخيه ، فقد هيـأ له من الأسباب : ما جعل الأخوة يقولون ، من حيث لا يشعرون : ان من يوجد الصواع في رحله يسترق ويستبعد سنة .

ولم يطبق يوسـف على أخيـه : التشريع المعمول به في مصر ، لأنه لن يحقق الغرض المقصود ، من استبقاء أخيه معه ، لأن تشريع الملك يقضي : بأن عقاب السارق ـ أن يضرب ـ ويغرم مثلي ما سرق ، دون أن يؤخذ أو يسترق ، كما هو الحال في شريعة يعقوب عليه السلام .

فلم يكن ليوسف اذن ، أن يتمكن من أخذ أخيه : الا اذا طبق عليهم : شريعة أبيهم يعقوب ، وهو ما أجراه الله على ألسنتهم حين قالوا ما قالوا ، لأن تشريع الملك المعمول به في مصر ، لا يساعده على تحقيق رغبته ، بل انه يفوت عليه الغرض الذي أراده .

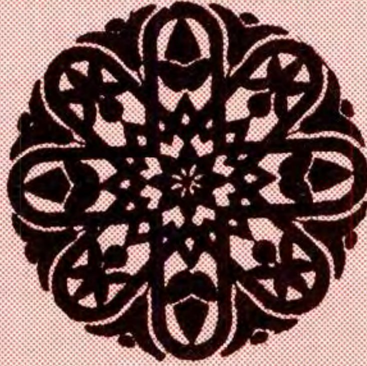
وهكذا نرى : ان الحيلة التي قصدها يوسف ، وأتم تنفيذها هي : أن جعل الصواع في رحل بنيامين ، والهدف من ذلك هو : استبقاء أخيه عنده في مصر ، ليعيش معه ، وقد تم له ما أراد بفضل الله وتوفيقه .



« وفي الأرض آيات للموقنين »

« من الشجر الأخضر نارا »

م موزون



لا شك أن العلم يدعو إلى إيمان له عمقه ومغزاه ، لأنه يفتح لنا بابا واسعا ، لنتطلع من خلاله إلى أسرار الخلق ، ونظم الكون ، ونواميس الحياة ، فنرى أن كل شيء قد قام على أسس متقنة ، ونظم مقدرة ، وشرائع صامدة ، نعبر عنها عادة بالمعادلات والقوانين ، وهذا ينبئنا بالخبر اليقين ، خبر أن الله سبحانه وتعالى قد (**أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/٥٠ .

والذي يقرأ القرآن الكريم عن علم ، لا يستوى مع من يقرؤه بغير علم مصداقا لقوله تعالى : (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) « الزمر/٩ » .

خذ لذلك مثلا تلك الآية الكريمة : (**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون**) « يس/٨٠ » .. أو قوله تعالى : (**أفرأيتم النار التي**

للدكتور/ عبدالمحسن صالح

تورون . أأنتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون) « الواقعة/ ٧١ و٧٢ » .

فرغم أن هذه الآيات في ظاهرها بساطة ، إلا أن في باطنها عمقا وأصالة ، وكثيرا ما مررنا عليها مر الكرام ، دون أن نفطن لما فيها من نظم وأحكام ، ومع ذلك ، فقد تجلت لنا في ساعة من ساعات الصفاء العقلي أو « الروحي » ما تحويه من إشارات تنطوي على أسرار لازلنا في بعض تفاصيلها حائرين ، وإن كنا لعظمتها مقدرين .

والعلم دائما يبدأ بالتساؤل : كيف ، ولماذا ، وما ، وأين .. الخ ، أي أنه لا يأخذ الأمور هكذا على علاتها ، بل يريد أن يتوصل إلى مكنوناتها ، ويكشف عن نظمها وأسرارها ، والسبيل إلى ذلك صعب المنال ، لأن السر المكتشف قد يقود إلى أسرار أدق ، وإلى ألغاز أعمق ، وبحيث يبدو لنا أننا كلما اقتربنا من الحقيقة ، أو أصبحنا منها قاب قوسين أو أدنى ، أشاحت بوجهها ، فنتخبط في بحار من الأسرار ليس لها من قرار .

فظاهر الأمر أن الشجر الأخضر مصدر من مصادر النار ، ولقد فسر المفسرون التقليديون هذه الظاهرة تفسيرا لا يتفق وما تنطوي عليه هذه الآيات من حكمة خافية ، ولهم في هذا عذرهم ، لأن لكل عصر أفكاره التي تناسبه ، ولكل مفسر مجاله الذي يلائمه ، ولا شك أن العصر الذي نعيش فيه الآن قد أسبغ على الانسان علوما تنوء بها رفوف المكتبات مهما اتسعت رقعتها ، وهذه العلوم لم تأت من فراغ ، ولا هي من صنع الانسان ، بل إن مصدرها الأساسي ينبع من النظم البيولوجية والطبيعية والكونية ، ولقد حثنا الله سبحانه وتعالى على البحث والتأمل والتفكير في مكنوناتها : **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك)** آل عمران/ ١٩١ ، وما أكثر الآيات التي جاءت في هذا المجال : **(إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد/ ٣ : (لقوم يعلمون)** النمل/ ٥٢ : **(لأولى الألباب)** الزمر/ ٢١ ... الخ .. الخ .



نعود إذن لنتساءل : ما هي طبيعة هذه النار التي جعلها الله في الشجر الأخضر ؟.. وكيف اختزنت فيه ، ثم كيف خرجت ؟.. ولأي هدف ترمى هذه الآيات ؟.. ولماذا يتحدى الخالق البشر بتساؤل له مغزاه ومعناه كما جاء في الآية

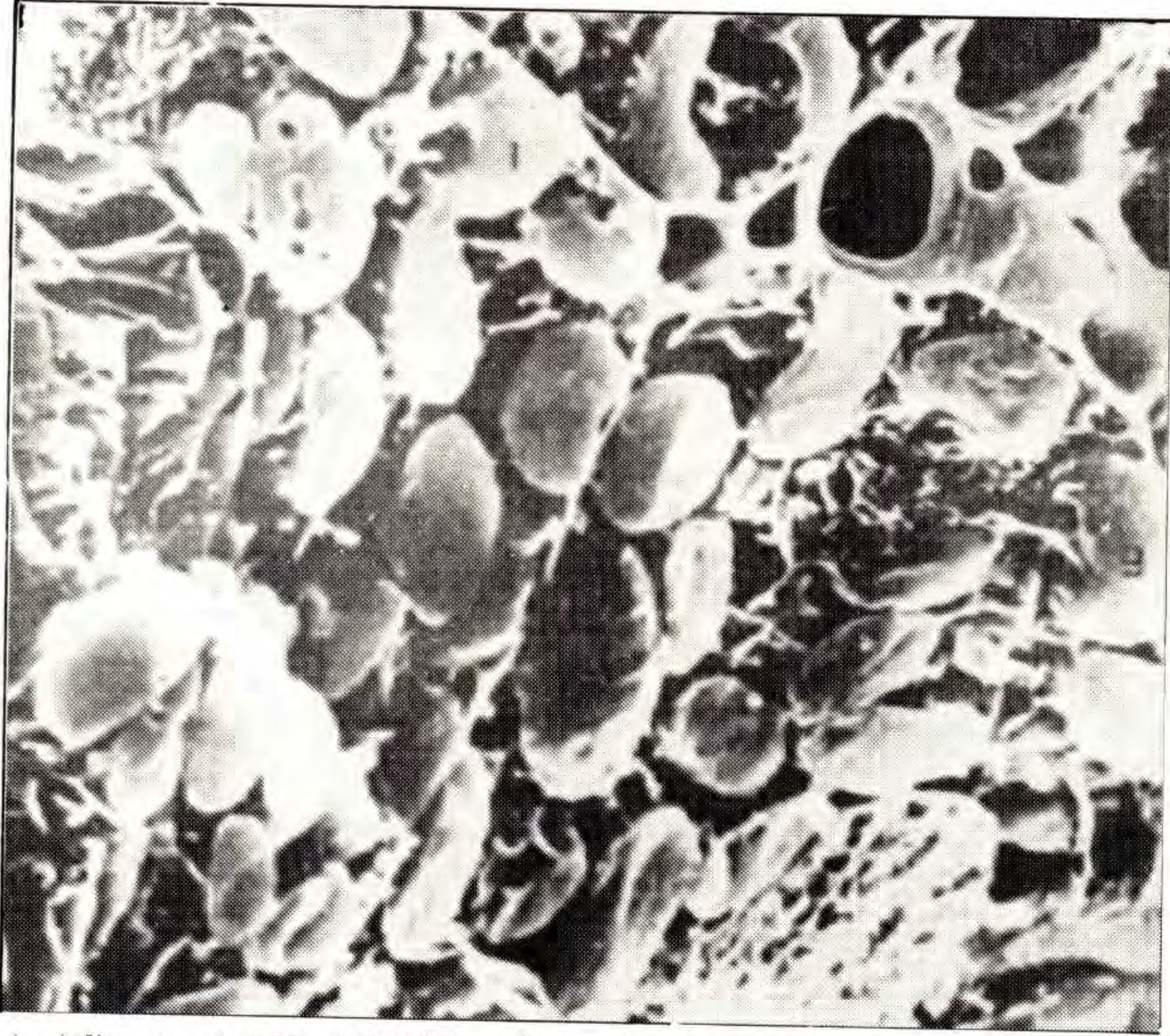
(أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) ... الخ .

الواقع أن النار صورة من صور الطاقة ، ونحن نعرف الآن أن الطاقة تتخذ ظواهر شتى .. فمن طاقة حرارية ، إلى طاقة كيميائية ، إلى طاقة حركية أو ميكانيكية ، إلى طاقة كهربية ، إلى طاقة ضوئية .. ونعرف كذلك أن أية صورة من هذه الصور يمكن أن تتحول إلى صورة أخرى تبدو في الظاهر مختلفة ، لكن جوهرها واحد .. فمن الممكن أن تتحول الطاقة الضوئية إلى أخرى كيميائية ، والكيميائية إلى كهربية ، والكهربية أو الكيميائية إلى حرارية ، والحرارية إلى حركية أو ميكانيكية ، والميكانيكية إلى كهربية وحرارية .. الخ ، أي كأنما الطاقة تلعب أمام أعيننا وفي عقولنا لعبتها المثيرة ، فتختفي بوجه ، لتظهر بوجه آخر مختلف ، ولقد استفاد الانسان من هذه الصور او الأوجه ، وصمم لذلك اختراعات لا نستطيع أن نحصيها عدا .

وطبيعي أن شيئا لا يأتي من لا شئ .. فالنار التي تنطلق من الشجر ، لا توجد فيه على هيئة نار كامنة أو مختزنة ، بل هي – في الواقع – طاقة كيميائية ، وعندما تتحرر هذه الطاقة ، تبدو لنا بوجه آخر ، أي تنطلق على هيئة طاقة حرارية (النار) ، وأخرى ضوئية (فالنار يصحبها نور يمكن رؤيته في الظلام) ، ومن الممكن تحويل الطاقة الحرارية التي تنتج من احتراق الشجر إلى طاقة حركية ، أو آلية ، أو ميكانيكية (لأنها تحول الماء إلى بخار ، والبخار يدير آلة بخارية ، فتتحرك أو تدور ، وقد تستخدم هذه الحركة في « الدينامو » لتوليد طاقة كهربية ، وهذه بدورها قد نضيء بها مصباحا – أي نحولها لطاقة ضوئية ، أو قد نستخدمها كطاقة حرارية ، كما هو الحال في المكواة الكهربائية أو في الأفران الكهربية .. الخ) .

لكن كل هذه التصميمات البشرية المستخدمة في تحويل أية صورة من صور الطاقة إلى صورة نافعة ، تعتبر شيئا بدائيا إذا ما قورنت بالنظم العظيمة التي يحتويها الشجر أو أي نبات آخر أخضر .. والحق أنه لا وجه للمقارنة بين ما أنشأ الله ، وأنشأ الانسان ، لأن النبات هو أعظم تنظيما وأكفأ تصميما ، وأدق تكوينا لتناول الطاقة الشمسية ، ثم تحويلها إلى طاقة إليكترونية أو كهربية ، ثم اختزانها في الجزيئات العضوية ، على هيئة طاقة كيميائية .. هي التي نراها فيما ينتجه الشجر أو النبات الأخضر من أخشاب وغذاء وثمار وحبوب وزيوت وفيتامينات .. الخ .. الخ .

ومن الميسور أن يقع أي تصميم بشري لأية فكرة بشرية بين أيدي خبراء متخصصين في هذا النوع من التصميم ، فيفكونه قطعة قطعة ، أو يفحصونه جزءا جزءا ، ثم يعرفون سره ، ويمكن بعد ذلك تقليده أو تطويره إلى الأكفأ والأحسن .. مثال ذلك : وقوع طائرة حربية متقدمة ، أو تصميم صاروخي ، أو عقل إليكتروني متطور لدولة من الدول ، في حوزة دولة أخرى معادية ، فتعرف الأخيرة كل صغيرة وكبيرة عن هذا التصميم أو ذاك .



= صورة بالميكروسكوب لبعض خلايا نباتية ، وفي داخلها نشاهد اجساما كروية او بيضاوية هي البلاستيك التي تنطوي على انظمة دقيقة تقوم بتحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كيميائية قد تتحرر على هيئة نار ، او تصبح طعاما للاحياء .

لكن هذه الأمور ليست متاحة مع الشجر ، أو أي نبات آخر أخضر .. صحيح اننا نرى النباتات ذات سيقان وفروع وأوراق وجذور وثمرات .. الخ ، وقد لا يجذب انتباهنا في ذلك شيء ، لكن سرها لا يختلف عن سر الحياة في داخل الانسان والحيوان ، لأن حياتها تقوم على ذات الأسس ، التي قامت عليها حياتنا ، فهي تتكون من خلايا ، وتتنفس وتحصل على خامات حياتها ، وتشكلها في جزيئات شتى ، وتنمو وتتكاثر وتموت ، وتخلفها « ذرية » من ذات نوعها (أي البذور) ، وفوق ذلك فقد امتلكت تصميمات فذة لا يمتلكها عالم الحيوان بما في ذلك الانسان ، وبهذه التصميمات تستطيع أن تستفيد بالطاقة الشمسية ، وتحولها إلى طاقة كيميائية ، وعلى هذه الطاقة المختزنة تعيش كل أنواع الحيوان ، وبها تدور عجلة الحياة على الأرض ، ولهذا تمعن في قوله تعالى : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها**) فاطر/٢٧ ، ثم يتبع ذلك

بآية تالية : **(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء)** فاطر/٢٨ وقد اختتم الله هاتين الآيتين اللتين تتحدثان عن الخلق بخشية العلماء لله ، لأنهم أقدر على فهم أسراره في خلقه ، فيدركون أنها نظم معقدة من داخل نظم أعقد وأدق وأعظم ، وكل هذا شاهد على عظمة : **(الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)** الأعلى/٢ و٣ .

ذكرنا أنه من الميسور معرفة أي تصميم بشري ، مهما تعقدت أجزاؤه ، وتداخلت تكويناته ، لكن من الصعب جدا معرفة التصميمات المذهلة التي أودعها الله ونمقها في الكائنات ، لتقوم عليها كل صور الحياة .. ومن هذه التصميمات الكثيرة جدا نذكر ظاهرة الخضرة في النبات ، والخضرة هنا ليست لونا فحسب ، ولكنها نظام حي دقيق غاية الدقة ، وعلى هذا النظام العجيب يسيل لعاب العلماء ، ويودون من صميم قلوبهم ، لو أنهم عرفوا كل أسراره ، وتوصلوا إلى حل ألغازه ، عندئذ قد يستطيعون تخليق هذا النظام الكفء .. ونقول هنا : تخليقا ، لا خلقا ، لأن التخليق تقليد ، أما الخلق فمبتكر ، إذ تأتي فكرته الضخمة من عند عزيز مقتدر .

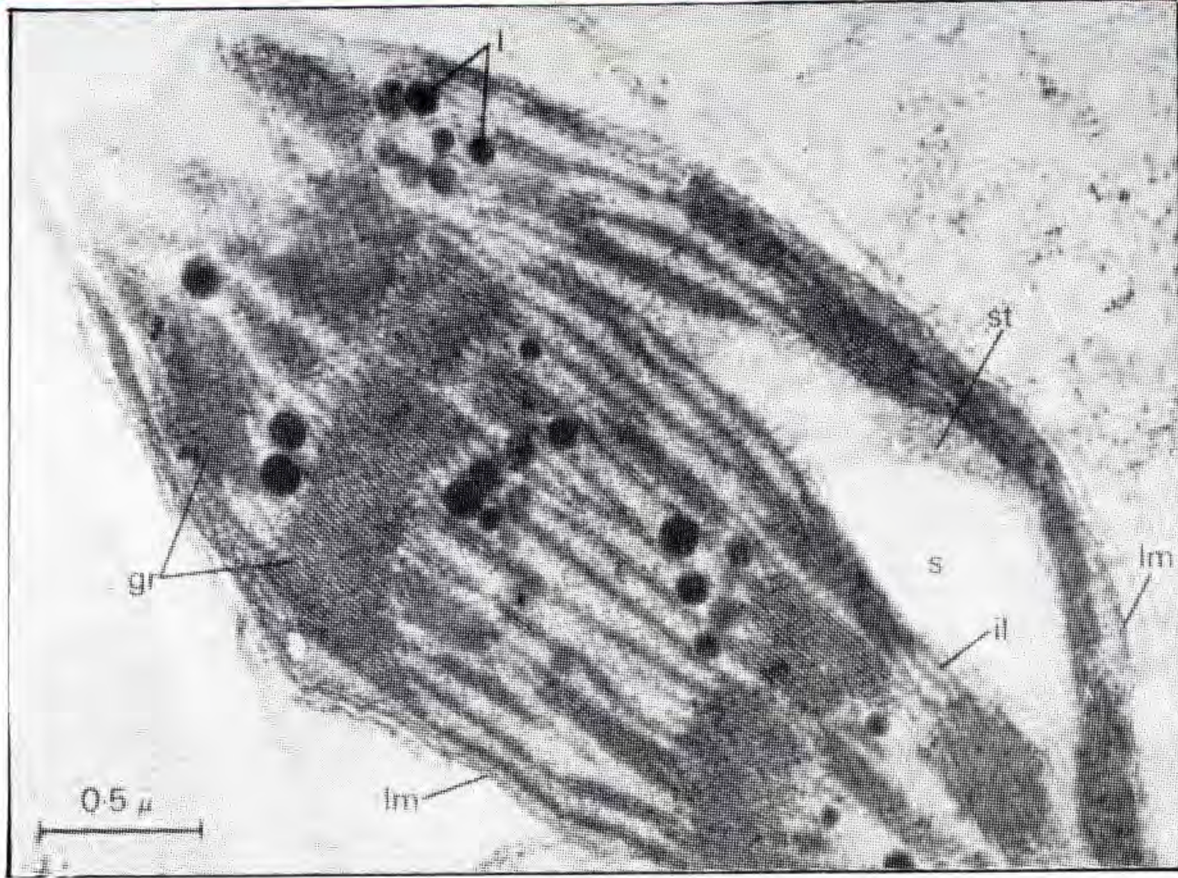
لكن أسرار نظام تحويل الطاقة الشمسية ، إلى طاقة كهروكيميائية في النبات الأخضر ، ليست بالأمور السهلة أو اللينة ، وهي لن تفتح لنا أبوابها من أول طرقة ، بل إن هناك جهودا جبارة ومستميتة يقوم بها آلاف العلماء الأذكياء في عشرات أو مئات المعامل ومراكز البحوث التي يشار إليها بالبنان ، وذلك بغية حل ألغاز هذه البطاريات الشمسية الدقيقة الحية التي تضفي على النبات خضرته ، وبرغم أن هذه الجهود قد استمرت لأكثر من سبعين أو ثمانين عاما متواصلة ، ورغم الامكانيات العلمية المتاحة ، والميزانيات الجبارة ، والأفكار المتطورة ، والحصيلة العلمية الهائلة .. رغم كل هذا ، فلازالت فكرة التنظيم البديع غير واضحة في عقول العلماء الذين تخصصوا في هذا المجال ، واستحق بعضهم جوائز « نوبل » تكريما ، ثم اعترافا بأفضالهم في حل بعض متاهات ذلك اللغز العويص .. لغز البطارية الحية التي نعرفها باسم « البلاستيدة الخضراء » ، وهذا ينبئك بأن الله سبحانه وتعالى قد : **(خلق كل شيء فقدره تقديرا)** الفرقان/٢ ، حتى ولو كان هذا الخلق في مكونة جد صغيرة من مكونات الخلية الحية ، وهذه بدورها لا نستطيع أن نراها بعيوننا المجردة ، بل تأتي الرؤية عن طريق الاستعانة بالميكروسكوبات الضوئية والاليكترونية .



وطبيعي أننا لن نتعرض هنا لتفاصيل تكوين هذه البلاستيدات ، لأن التفاصيل ستجرنا إلى متاهات ، إذ كلما كشفت لنا « الميكروسكوبات » الحجاب عن نظام من النظم التي تزخر بها هذه البطاريات الشمسية الحية الدقيقة ، وجدنا



= يتحول النور في الشجر الاخضر الى نار لكن ذلك لايتم الا من خلال نظم متقنة ، يتوه العلماء في تفاصيلها اعظم تيه



= مع ان هذه اصورة مقطع في بلاستيدة مكبرة تحت الميكروسكوب الاليكتروني ٢٧ الف مرة الا ان تكوينها لا يزال ينطوي على متاهات من داخل متاهات .. لاحظ انها تبدو على هيئة طبقات ، وكأنما هي الواح بطارية حية لايقدر على صنعها الا الله المقتدر .

أن النظام المكتشف ليس خاتمة المطاف ، بل هو بدوره ـ وعلى دقته المتناهية ـ يتكون من نظم أدق ، تنطوي بدورها على نظم أدق وأدق ، وفي النهاية نصل إلى معمعة من التفاعلات الاليكترونية والكيميائية المنظمة أعقد تنظيم ، وإلى هنا تتشعب آراء العلماء ، وقد تختلف نظرياتهم ، وتتفتح أمامهم أبواب جديدة ، ومنها يلجون إلى أسرار عويصة أعمق غورا ، وأعظم تيها ، وربما يستلزم حلها عشرات السنوات ، أو قد لا يصل فيها العلماء إلى قرار .. ونحن لا نريد أن نشق على القارئ ، ونتعرض لأمور صعبة تستلزم منه أن يكون ضليعا في علوم البيولوجيا والكيمياء والفيزياء ، التي كتب فيها العلماء المجلدات ، ودونوا فيها حصيلة آلاف البحوث التي تناولت عملية تحويل الطاقة الضوئية في النبات الأخضر إلى طاقة كيميائية مختزنة .

يكفي أن نشير هنا إلى أن الخلية النباتية ـ التي لا ترى بالعين المجردة ـ تحوي العشرات من هذه البطاريات الشمسية ، وربما يصل عددها في الخلية الواحدة إلى أكثر من مائة بلاستيدة ، وهذا ينبئك بضآلتها ، إذ يتراوح قطر الواحدة منها ما بين ٣ ـ ٦ أجزاء من ألف جزء من الملليمتر ، أي أننا لو تصورنا

أن هذه البلاستيدات قد انتظمت واحدة بجوار الأخرى ، كما تنتظم الحبات في عقودها ، فان كل ألفين منها يمكن أن تتراص في خيط لا يزيد طوله عن سنتيمتر واحد لا غير .

وفي داخل هذه البلاستيدة ـ أو البطارية الحية ـ تنتظم بنايات عجيبة ، تنطوي على نظم عظيمة يحتار فيها العلماء أعظم حيرة ، صحيح أنهم توصلوا إلى تحصيل طوفان من المعلومات الدقيقة ، وصحيح أنهم اكتشفوا الكثير من أسرارها الدفينة ، إلا أنهم قد عجزوا عن تقليدها ، والعجز يرجع إلى قصور في فهم ما تبقى فيها من ألغاز تحتاج إلى بحوث أخرى عميقة .. ولا شك أن العلماء هم وحدهم الذين يقفون أمام هذه النظم بخشوع وانبهار وإعجاب ، لأنها أكفأ نظم يمكن أن تتعامل مع ضوء الشمس ، وتستفيد به استفادة ذات كفاءة عالية .

ولكي نوضح أكثر ، كان لابد أن نشير إلى المجهودات الضخمة التي يقوم بها العلماء الآن لترويض الطاقة الشمسية ، وتحويلها إلى طاقة كهربية ، وعلى هذه البحوث صرفت الدول المتقدمة عشرات أو ربما مئات الملايين من الدولارات ، ولقد تمخضت هذه البحوث عن إنتاج نوع من الخلايا الكهروضوئية ، وهي التي يزودون بها سفن الفضاء ، لكي تحول الطاقة الشمسية ، إلى طاقة كهربية لتشتغل بها أجهزة السفن الفضائية ، وهذا إنجاز محمود من الانجازات العلمية البارزة ، لكن هذا الانجاز يعتبر شيئا بدائيا إذا ما قورن « بالخلايا » الضوئية الكهروكيميائية التي أبدع الله صنعها في البلاستيدة الخضراء الدقيقة .. فمن حيث تركيب الخلايا الكهروضوئية التي ابتكرها الانسان ، فانه من السهل معرفة طريقة عملها ، والنظرية التي قامت عليها ، ثم إنه ليس من الصعب تقليدها ، لكن ذلك يحتاج إلى تكاليف باهظة ، ومن أجل هذا لم تنتشر تلك الخلايا التقليدية الانتشار الذي يمكن أن يعوض الدول منبعا دائما من منابع الطاقة .

لكن الأمر يختلف مع ما صنع الله فأتقن ، فكفاءة « بطارياته » النباتية الحية أكفأ من بطاريات الانسان بحوالي أربع مرات ، أو ربما تصل إلى ست مرات (أي ما بين ٤٠٠ ـ ٦٠٠٪ من كفاءة بطاريات الانسان) ـ أضف إلى ذلك أن تشغيلها لا يحتاج لأكثر من زراعة بذرة في أرض خصبة ، ثم إمدادها بالماء ، وعندئذ تنبت وتكون ساقا وجذورا وفروعا وأوراقا ، وفي داخل الأوراق توجد ملايين فوق ملايين من هذه البطاريات ، لتقوم بأضخم وأتقن وأكفأ عملية على الاطلاق ، ذلك أن إنتاج النباتات الخضراء المنتشرة على سطح هذا الكوكب وفي بحاره تنتج سنويا من المادة العضوية (أي التي تحترق إذا مستها النار) ما يقدر قيمته بعدة مئات ألوف الملايين من الأطنان ، وهذا يمثل إنتاجا ضخما غاية الضخامة ، وبجواره يتوارى إنتاج البشر من صناعاتهم ، مهما بلغت ضخامة هذا الانتاج .



هذه المئات من ألوف ملايين الأطنان من المادة العضوية الحية التي نحصل منها على وقودنا وغذائنا وكسائنا وكل مقومات حياتنا ، لا تستلزم إلا أشعة ضوئية تنساب على كوكبنا بحساب ومقدار ، ثم إن هذا الانتاج الضخم لا يحتاج أيضا إلا لخامتين رخيصتين .. ماء وغاز ثاني أوكسيد الكربون (الموجود في الهواء) ، وبالطاقة الضوئية تقوم « البلاستيدات » بشق الماء ، ثم ربط شق منه مع غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وتحوله إلى سكر ، ومن السكر يتكون النشا والزيوت والدهون والخشب والبروتين والفيتامين ومئات بل آلاف من المركبات التي لا نستطيع لها هنا حصرا ، ورغم أن العملية تبدو لنا وكأنما في ظاهرها بساطة ، إلا أن جوهرها ينطوي على أسرار ضخمة غاية الضخامة ، والفضل في ذلك يرجع إلى النظام الأمثل الذي أتقنه الخالق في تلك البلاستيدة التي « تشحن » كل مخلوقات هذا الكوكب بطاقة كيميائية ميسرة ، جاءت أساسا من طاقة ضوئية ، فتختفي في البلاستيدة بوجه ، لتظهر في الكائنات الحية بوجه آخر مختلف ، فتهبها الحركة والدفء والحياة .

ذكرنا في سياق حديثنا في الفقرة السابقة أن الضوء يشق الماء أو يفلقه إلى نصفين .. أي إلى أيدروجين وأوكسجين ، لكن ذلك ليس بالأمر الهين ، فمهما سلطنا من ضوء على الماء ، فانه لن ينشق أو ينفصل إلى شقين ، مهما كان هذا الضوء مركزا ، لكن جزيئيات الكلوروفيل (وهي المادة الخضراء التي تتخذ نظاما فذا داخل البلاستيدة) تستطيع أن تفلق الماء ، بأية كمية من الضوء ، مهما كان هذا الضوء ضعيفا ، وبه تبدأ أعظم وأضخم عملية يمكن أن نراها على هذا الكوكب .. والسر هنا يكمن في التصميم العظيم الذي وضع الله فكرته في داخل تلك البطارية الحية الدقيقة ــ أي في البلاستيدة .

يكفي أن نذكر هنا اننا نستطيع أن نفلق الماء إلى شقيه ، لكن ذلك يحتاج منا إلى طاقة هائلة ، ذلك أن هذا الفلق يمكن أن يتم إذا ما عرضنا بخار الماء إلى درجة حرارة عالية جدا ، قد تصل إلى ٢٥٠٠ درجة مئوية ، وهذه تكفي لصهر معظم المعادن المعروفة ، أو يمكن شق الماء بطاقة كهربية لها شأنها .. لكن البلاستيدة العجيبة تقوم بالعمل ذاته دون أن تلجأ إلى هذه الوسائل العنيفة ، إذ يكفيها ــ كما ذكرنا ــ شعاع من ضوء ، فاذا بهذا التصميم الالهي يقوم بالعملية دون ضجة أو ضوضاء ، بل كل شيء يبدو حولنا وكأنما هو يسير سيرا هينا لينا ، وبطريقة اقتصادية قد لا يحلم بها البشر ، مهما تفتقت عقولهم عن أفكار تكنولوجية ، ومهما تقدمت علومهم وبحوثهم .

ولا شك أن العلماء المهتمين بأمور توفير الطاقة لكوكب تشح فيه مصادر الطاقة ــ لا شك أنهم يتوقون من صميم قلوبهم إلى الاستعانة بنظم الله في هذه « البلاستيدات » الخضراء لكي يحصلوا على مصدر دائم من مصادر الطاقة .. فالماء موجود على هذا الكوكب بكميات ضخمة جدا ، كما أن أشعة الشمس مصدر دائم من مصادر الطاقة على كوكبنا ، لكن معظمها يتبدد ويعود إلى الفضاء على

هيئة إشعاعات حرارية ، والمستفيد الوحيد من اصطياد تلك الطاقة الضوئية هو النبات الأخضر ، ولو استطعنا أن نقلد النبات في رسالته ، لنشق الماء بالضوء ، إذن لحصلنا على ملايين فوق ملايين من أطنان الأيدروجين كل عام ، ذلك أن الايدروجين خامة طيبة لتوليد طاقة نظيفة ، إذ أن هذا الغاز يحترق ، ولا ينتج من احتراقه غير الماء وكميات هائلة من الطاقة الحرارية ، وهذه يمكن تحويلها إلى صور أخرى من الطاقة (كادارة الآلات ، وتوليد الكهرباء .. الخ) .. وكل هذا تحكمه المعادلات التي لن نتعرض لها هنا .

والواقع أن العلماء لا يلجأون إلى الطرق التقليدية لشق الماء إلى عنصريه ، لأن ذلك يحتاج إلى طاقة من الوقود أو الكهرباء ، وهذا من شأنه أن يجعل العملية غير اقتصادية على الاطلاق ، لكن الكفاء والاقتصاد الحق ينبع من نظم الحياة .. تلك النظم التي أتقنها الله : **(صنع الله الذي أتقن كل شيء)** النمل/٨٨ .

لقد وقعت بين يدي مجلة علمية حديثة أثناء كتابتي لهذه الدراسة ، وفيها بحث كتبه أربعة من العلماء المشتغلين في قسم العلوم النباتية بجامعة لندن ، وفيه يشيرون إلى المجهودات والأفكار الكثيرة التي يتناولها العلماء الآن لشق الماء إلى شقيه ، مستعينين على ذلك بالنظام الأصيل والأمثل الذي يسلكه النبات ، وهم في بحوثهم تلك يريدون الحصول على غاز الأيدروجين من الماء ، ليصبح وقوداً لا ينضب معينه ، هذا لو استطاعوا أن يسيطروا على الخطوة الأولى التي تخطوها « البلاستيدة الخضراء » في سلسلة معقدة من الخطوات التي تكون بها المادة العضوية ، لكنهم لم يحققوا النجاح المطلوب حتى الآن ، فالمشكلة الكبرى التي تواجه العلماء الآن تتركز في إمكان السيطرة على العملية خارج النبات الحي ، لكنها سرعان ما تخبو بعد ساعات ، ذلك أن مجالها ومكانها الأمثل يكمن في الخلية ذاتها ، مثلها في ذلك كمثل قلب أو كلية معزولة عن جسم صاحبها ، لكن كليهما لا يستطيعان أن يعيشا لفترة طويلة خارج البناء الحي المتكامل الذي يخدم بعضه بعضا ـ نعني به الجسم الحي .

نعود لنقول : إن الموضوع لازالت تكتنفه ألغاز ومتاهات ، هذا رغم التقدم العلمي الجبار الذي نلحظه في كل المجالات .. لكن هذا التقدم لا حيلة له ، ولا مأرب منه ـ الآن على الأقل ـ إذا ما تعرض لفكرة هائلة أودعها الخالق في النبات ، وبحيث تبدو لنا كواحدة من التحديات العظام التي تجابه الانسان ، وإلى هنا تتجلى لنا المعاني العظيمة التي تنطوي عليها آيات القرآن الكريم ، ثم هي توضح بجلاء معنى الآية التي سبق أن أشرنا إليها .. **(أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)** .

والحق نقول : إننا لن نستطيع أن ننشيء شجرة ، ولا خلية في شجرة ، ولا بلاستيدة في خلية ، ولا أن نقلد وظيفة نظام جد صغير ، يتمثل لنا في بطارية حية دقيقة ، فتحيل « النور » إلى طاقات ، ومنها تخرج النار ، وبها توقد جذوة الحياة في كل الكائنات : **(صنع الله الذي أتقن كل شيء)** .

مائدة القارئ

بين الأب وابنه

قال تعالى : **(واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الى المصير)** الآيات من سورة لقمان .

الحماقة

الحماقة : مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت ، فكأن الأحمق كاسد العقل والرأي ، والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة ، والحماقة داء لا دواء لها .

قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطـــب به الا الحماقة أعيت من يداويها

رفعة العلم وعزة العلماء

قال القاضي الجرجاني :

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما بدا طمـع صيرتـــه لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيــت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا ، وأجنيه ذلة اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما

حكمة

صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه .

حب الولد

روى عروة عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت : « جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من أهل البادية . فقال : « يا رسول الله أتقبلون الصبيان ؟ » قال : « نعم » قال : « فوالله ما نقبلهم » قال : « أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة » .

حيلة غريم

قدم قوم غريمهم الى الوالي وادعوا عليه بألف درهم ، فقال الوالي : ما تقول ؟ فقال : صدقوا فيما يقولون ، ولكني أسألهم أن يمهلوني لأبيع عقاري ، وإبلي ، وغنمي ، ثم أوفيهم .
فقالوا أيها الوالي : قد كذب ، والله ما له شيء من المال لا قليل ولا كثير .
فقال : قد سمعت شهادتهم بافلاسي ، فكيف يطالبونني ؟؟ فأمر الوالي باطلاقه .

رجل لا يغتاب أحدا

قيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحدا ، فقال : لست عن حالي راضيا حتى أتفرغ لذم الناس ، ثم أنشد :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

رجاء في عفو الله

قال يحيى بن معاذ يناجي ربه : الهي يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب على رجائي مع الاعمال ، لأني اعتمد في الاعمال على الاخلاص ، وكيف لا أحذرها ، وأنا بالآفة معروف .
واجدني في الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف .



الإسلام والتأمينات الاجتماعية

للاستاذ سالم البهنساوي

لم يتعرض الفقهاء الاقدمون لنظم التأمينات الاجتماعية لان نظام الزكاة والتكافل في الاسلام ، يغطي هذه الناحية فلا حاجة معها لهذه التأمينات .

أما التأمينات الاهلية او التجارية فمنهم من تعرض لها مثل ابن عابدين حيث ذكر « انه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركبا من حربي ، يدفعون له اجرته ثم يدفعون ايضا مالا معلوما لرجل مقيم في بلاده ، يسمى ذلك المال (سوكره) على انه مهما هلك المال الذي في المركب بغرق او حريق او نهب او غيره فذلك الرجل ضامن له بثمنه ، في مقابلة ما يأخذه منهم ، فاذا هلك من مالهم شيء ، يؤدي ذلك المستأمن للتجار بدله تماما ، او بدل المال الذي هلك ثم يقول ابن عابدين (والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك لانه التزام ما لا يلزم)

وعلى الرغم من صدور هذا الرأي من

ابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ إلا أن الفقهاء او العلماء المعاصرين لم ينتهوا بعد الى رأي قاطع في التأمينات الاهلية او التجارية ، فمؤتمر اسبوع الفقه المنعقد في دمشق ١٩٦١ بمناسبة مهرجان لابن تيمية ، تعرض لهذا التأمين وانتهى الى مناشدة الخبراء ان يعكفوا على دراسة المستحدث من العقود واساليب التأمين تمهيدا لبيان الحكم في كل منها ، وليكون رأي العلماء صادرا عن معرفة دقيقة بالاوضاع العملية للتأمين وصوره المختلفة .

ولسنا بصدد اصدار حكم فقهي في هذه المسألة الاجتهادية ولكن نشير الى ان التأمين التجاري مازال يحتاج الى دراسة ورأي جماعي ، وذلك ان بعض العلماء يرى حل انواع معينة منه مثل تأمين السيارات الشامل والاجباري لزوال الغرر والمقامرة ، وبعضهم يرى حرمة التأمين على الحياة ويرتاب في غيره .

بينما التأمين الاجتماعي الذي نحن بصدده لم يتعرض له أحد مع ان الحكم فيه اوضح وذلك لبعده عن شبهة الغرر والمقامرة كما ان الربا ليس من مقوماته ، وما قد تقوم به مؤسسة التأمينات الاجتماعية من فرض فائدة سنوية على اصحاب الاعمال المتخلفين عن السداد او على العمال الراغبين في ضم مدة خدمة سابقة أمر لا تستلزمه طبيعة التأمين الاجتماعي بل يتنافى هذا مع صفته الاجتماعية ، وفي استطاعة هذه المؤسسة ان تعفي هذه الفئة من العمال من هذه الشبهات ، كما في استطاعتها ألا تترك أموالها للضياع لتحصل ما بقى منها بفائدة سنوية من اصحاب الاعمال .

والجدير بالذكر ان زوال شبهة الغرر والمقامرة يرجع الى ان الدولة هي التي تفرض هذا التأمين اجباريا بقوة القانون وذلك لمصلحة افراد المجتمع الذين يشملهم هذا التأمين ، ولهذا فالاموال التي تفيض لا تعد ربحا للمؤسسة او الخزانة العامة انما تعود على المجتمع في شكل مزايا جديدة او زيادة في المزايا الحالية ، والخسارة تتحملها الخزانة العامة حسبما نص عليه القانون .

وبعد ما تقدم نبين وجه الشبه بين الزكاة والتأمينات الاجتماعية من حيث أثرهما الاجتماعي إذ أن الزكاة فضلا عن طابعها الاجتماعي هي عبادة يؤديها المسلم ابتغاء رضوان الله .

وفي الجانب الاجتماعي ينفرد نظام الصدقات بشموله غير المسلمين ومن هنا كان قانون الخليفة الثاني (أيما شيخ من أهل الذمة ضعف عن العمل وصار أهل ملته يتصدقون عليه عيل هو وعياله من بيت المال ما أقام بدار الاسلام)

بين التامينات الاجتماعية والزكاة

لما كان الغرض من التأمينات الاجتماعية هو ضمان مستوى معين من المعيشة للعمال والموظفين عند فقدهم القدرة على العمل بسبب اصابات العمل والعجز الكلي او

الشيخوخة ، ثم نقل هذا الحق الى ذويهم عند الوفـاة . فان التكافـل الاجتماعي في الاسلام يغطـي هذه الناحية ويتميز بانه لا يخص العمال والموظفين وحدهم ، كما انه لا يربط الاستفادة منه بالقدرة الماليـة على المساهمة والاشتراك في هذا النظام ، ولا يشترط مدة معينة إن لم تتوفر سقط الحق في المعاش ، وأيضا لا يجعل للمعاش نسبة ثابتة ، فحده هو سد الحاجة .

والجدير بالذكر ان التكافل الاسلامي ليس هو الزكاة وحدها ، بل كانت بدايته قول الله تعالى : **(ويسألونك ماذا ينفقـون قل العفـو)** البقرة/ ٢١٩ والعفو هو الزيادة وفي الحديث الشريف (من كان له فضل ظهر ـ خيل ـ فليعد به على من لا ظهر عنده ، ومن كان معه فضل من زاد فليعد على من لا زاد عنده) رواه مسلم .

فكل ما زاد عن حاجة الغني كان مطلوبا للفقير في بداية تكوين المجتمع الاسلامي ، ولذا ذابت الفوارق المخلة بتوازن المجتمع وذلك بتطبيـق هذه النصوص وغيرها مثل آية الحشر التي اعادت التوازن ونصها **(ما افآء الله على رسوله من أهل القرى فللـه وللرسـول ولذى القربى واليتامـى والمساكين وابـن السبيـل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منـكم)** الحشر / ٧

وبعد ان زالت الضرورة الناشئة عن الهجرة ثم استقر المجتمع ولم يحمل في طياته بذور الاختلال والاعتلال فرض الله نظام الزكاة . ولقد حدد القرآن الكريم المستحقين للزكاة **بقول الله تعالى : (إنما الصدقات للفقـراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من اللـه واللـه عليـم حكيـم)** التوبـة/ ٦٠ . وتلك هي مصـارف الزكاة كما في كتب الفقه .

وبمقتضى هذه الآية الكريمة تلـزم الدولة الاسلامية بكفالة رعاياها في الحالات المشار اليها واذا عقدنـا مقارنة بينها وبين الحالات التي تلزم الدول الحديثة بتغطيتها في مواجهة رعاياها حق لنا أن نقول ان نظم التأمينـات الاجتماعيـة الساريـة المفعول حاليا في المجتمعات الحديثة لم تدرك بعد نظام الزكاة والتكافل الاجتماعي الذي جاء به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

وحينما نقول ان نظـم التأمينـات الاجتماعية في العصر الحديث لم تبلغ ما بلغه نظام الـزكاة في الشريعـة الاسلامية فهذا القول لا يصدر عن عاطفة نعبر بها عمـا في انفسنـا باسلوب حماسي ولكننا نقرر حقيقة قائمة فعلا .

فالزكاة تستفيد منها جميع طبقات المجتمع ، فلا تشمـل حالات فقـد القـدرة على الكسـب من مرض واصابات وبطالة وعجز وشيخوخـة فقط بل يستفيد منها ايضا القادر على الكسب في حالات منها :

١ ـ اذا كان لا يحصل على ما يسد حاجته وهذا هو الفقير ثم المسكين

وفقا لترتيب ـ القرآن الكريم ـ فقد سمى مالكي السفينة بالمساكين في آية سورة الكهف : **(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)**
٢ ـ اذا كان مدينا وعجز عن آداء الالتزامات الملقاة على عاتقه سواء كانت هذه المديونية شخصية أم ترتبت على كفالته للغير ممن استغرقت الديون أموالهم اذ من حق هؤلاء ألا يتنكر لهم المجتمع ، وعليه ان يهيء لهم ما يتمكنون به من استئناف حياة كريمة وقد سمى القرآن هؤلاء بالغارمين وهم سادس المستحقين من الزكاة .
٣ ـ اذا كان بعيدا عن موطنه ونفدت أمواله السائلة سواء كان ذلك بسبب السفر او الفرار من ظلم او اضطهاد وهذا هو ابن السبيل بتعبير القرآن .
٤ ـ اذا كان من الذين يقومون بتنفيذ نظام الزكاة ـ قال تعالى : **(والعاملين عليها)**
٥ ـ اذا كان من المحاربين ـ في سبيل الله ـ قال تعالى : **(وفي سبيل الله) وقد قال بعض الفقهاء ان هذا المصرف عام يشمل سائر المصالح العامة وليس خاصا بالمجاهدين في سبيل الله وقال ابن حزم المصرف خاص بهم وهو الصواب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتحل الصدقة لغني الا لخمس وذكر اولهم الغازي في سبيل الله ـ حديث ابي سعيد الخدري ـ رواه ابو داود والدارقطني مرفوعا .**
ولا يخفى علينا ان من الناس من يقول ان التعويض المنصوص عليه في نظم التامينات الاجتماعية حاليا يحصل عليه المؤمن عليهم بنص قانوني ملزم بينما الاستحقاق في الزكاة ليس كذلك وهذا مردود عليه بان الزكاة ليست احسانا ـ قال تعالى : (فريضة من الله) ، (والذين في اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج ٢٤ و٢٥
ولذلك حارب الخليفة الاول كل من امتنع عن تسليم الزكاة للدولة .
فاذا لم يقم المسلمون بتنفيذ هذه النصوص واضاعوها فيما اضاعوا من نظم حتى اصبح تنفيذ الزكاة اختياريا فليس هذا عيب التشريع الاسلامي .
وما اخذ به قانون التأمينات الاجتماعية والمسمى بنظام تكوين الاموال ومؤداه ان يساهم العمال بجانب اصحاب الاعمال في تمويل هذا النظام كان لسبب اقتصادي حيث لا يمكن الاخذ بنظام توزيع الاموال حاليا خشية مقابلة اي ضغط اقتصادي فلا تستطيع الدولة القيام بالتزاماتها تجاه المؤمن عليهم .
وختاما نشير الى ان المستحقين من الزكاة لا يتعرضون للروتين المعقد والمهانة التي يتعرض لها المؤمن عليهم في ظل نظم التأمينات الحديثة وقد احسن المشرع حين أسند أمر تنفيذ التأمينات الاجتماعية الى مؤسسة التأمينات الاجتماعية .
ولنا كبير الامل في أن يدرك موظفو مؤسسات التأمينات الاجتماعية خطورة الرسالة التي يقومون بها .

القدس

محمد ...

(١)

تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الاسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي أعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

للقدس في الاسلام مكانة عظيمة تنبع من قدوم خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم وحلوله في ارضها وارتباطها بالمسجد الاقصى المبارك الوارد ذكره في القرآن الكريم وبالاسراء والمعراج ولانها قبلة المسلمين الاولى ومسجدها ثالث الحرمين الشريفين . التي لا تشد الرحال الا اليها لمقامها المختار في الاسلام .

ويزيد من مكانة القدس في العالم الاسلامي انها احتوت في ارضها المباركة رفات عدد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمجاهدين الشهداء الابرار على مر السنين والايام . ولقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » (المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا) رواه البخاري وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة في المسجد الاقصى تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوي . وجاء في الحديث « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال : « أن الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس » . وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال : « بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته الانبياء » ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبي . وجاء في

الحديث : « من أهل بعمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة » رواه ابو داوود واحمد .

وقد ضمت هذه الارض المباركة رفات الشخصيات البارزة الذين عرف دفنهم في القدس وما حولها (الصحابي الجليل شداد بن اوس والصحابي الجليل عكاشة وعبد الله القرشي وابو مدين الغوث المغربي والجراح من قواد صلاح الدين ومجير الدين بن الحنبلي صاحب كتاب الانس الجليل ومولانا محمد علي الهندي من زعماء العالم الاسلامي والبطل الشهيد عبد القادر الحسيني ومئات آخرون منذ الفتح العمري) .

ومن هؤلاء من دفن في مقبرة مأمن الله التاريخية المشهورة ومنهم من دفن في مقبرة باب الرحمة عند باب الاسباط ومنهم من دفن في مقابر خاصة مثل مجير الدين .

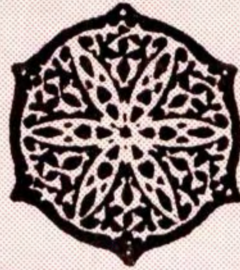
وقد كان الفتح الاسلامي لمدينة القدس بداية الخير لهذه المدينة والاهتمام بشئونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم .

ولما احتلها الصليبيون الاجانب رواد الاستعمار لم يطق المسلمون صبرا على هذه المذلة والمهانة التي لحقتهم وتشويه المسجد الاقصى حتى ان صلاح الدين حرم على نفسه الضحك والابتسام ورفع شعارا يقول فيه : كيف نضحك والاقصى اسير . ولئن ضحكنا ضحكنا بالامس فقد بكينا اليوم وما لم يتحول البكاء الى دماء صادقة تغمر باحة الاقصى كما فعل اسلافنا من قبل فسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لا يخافون لومة لائم وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ولئن سطا شذاذ الافاق على المدينة المقدسة في غفلة من اولى العزم من الرجال ودنسوها باحتلالهم وهم ماضون في تهويدها وتغيير صيغتها الاسلامية فان العالم الاسلامي يدعو لمقابلة التحدي بعزم يليق بأمة يحتل الجهاد في عقيدتها ذروة السنام امة ذات امجاد وحضارة كانت القدس من ابرز ميادينها والسكوت على هذا التحدي بعد ان بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر . هذا السكوت لا يعفى اي متخلف او ساكت من مسئوليته امام الله .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع الى امته عبر القرون ليرى ماذا فعلت امة الجهاد في مسراه وفي قبلته الاولى وفي المسجد الذي تشد اليه الرحال ..

فعجلــوا بالانتقام طال في الشعــب المنام
مسجـــد الله الحرام بات يؤذيـــه الحرام

اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين
بقضية فلسطين والقدس الشريف



مع إعجاز القرآن الكريم

الوعي الاسلامي :

نذكر السادة القراء بأن الحلقة الأولى من هذا البحث قد تم نشرها بالعدد رقم (١٤١) وتأسف المجلة لطول شقة الفصل بين الحلقتين رجاء الرجوع إليها إتماما للفائدة .

للدكتور/ابراهيم علي ابو الخشب

ولعل الذين روجوا للقول بالصرفة ـ في إعجاز القرآن الكريم ـ إنما روجوا له ، وبالغوا في الحديث عنه ، إرضاء لخاطر كثير من هؤلاء الذين يحبون القضايا المسلمة ، ولا يرون أن الدراسة والبحث ، وربط الأسباب بالمسببات ، واقتران الدعاوي بالأدلة ، مما يتناسب مع كلام الله الذي هو وراء ذلك كله لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وكانت نسبته إلى هذه الجماعة من أهل الفكر والرأي ، والعقل والمنطق ، تأكيدا للاعتداد به ، والاحترام له ، في حين أن القرآن لا ينكر الجدل ، ولا يأبى المناقشة ، ولا يتهرب من النظر الصحيح ، والبرهان السليم ، والحجة البالغة ، وإنما يقدس ذلك كله ، ويدعو إليه ، وقد كان من عوامل خلوده ، ومقارعته للخطوب ، ومصارعته للحوادث ، أنه كتاب مفتوح للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر .

ومما يضيفونه إلى الاعجاز ، وينسبونه إلى المزايا الذاتية في القرآن أنه تضمن ألوانا من التشريع لا يمكن لمصلح اجتماعي بالغا ما بلغ من العلم والحكمة ، والحصافة والرأي ، والفطنة والذكاء ، والبصر والذوق ، والحزم والسياسة ، والعقل والفكر ، أن يهتدي لمثلها ، في علاج الأمراض ، والقضاء على المشاكل ، والحد من الفوضى ، والطب للنفوس ، والتقويم للطباع ، وهي التي انتقلت بالعرب في فترة وجيزة من الزمن من ذات الصدع إلى ذات الرجع ، وجعلتهم يأخذون في سلوكهم وعاداتهم بأمثل الأساليب ، ويتطلعون إلى الطموح البعيد ، والعيش السعيد ، والغايات النبيلة الكريمة ، ثم ظلوا هكذا يشعرون فيما بينهم وبين أنفسهم أن هذا الدستور الذي يحمله إليهم ، والنهج الذي يبينه لهم ، وتلك الأوامر والنواهي التي تضمنها ، لا يمكن أن تدنو منها دساتير الشعوب ، ولا قوانين الأمم ، ولا أفكار الفلاسفة ، وقد كان فيمن حولهم من الناس شرائع مما وضعوه بأنفسهم ، واهتدوا إليه بتجاربهم ، وباركته عقولهم وأفئدتهم ، ومع ذلك كله كانت وبالا عليهم ، وتقويضا لبنيانهم ،

وتدميرا لحضارتهم ، وقضاء على طموحهم وآمالهم ، وسببا لصيرورتهم فيما بعد خبرا لكان الناقصة لا ينكر هم التاريخ إلا للعظة والاعتبار (**ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**) القمر/ ٤ .

وفي نظرنا أن حديث الاعجاز إن لم يكن من القرآن نفسه فهو محاولة فاشلة ، أو مصاولة هازلة ، أو جهد لا جدوى من ورائه ، لأن القرآن وهو يتحدى العرب كان تحديه لهم في ثقة ويقين ، واطمئنان وثبات ، واعتقاد جازم أنه إنما يدخل عليهم من الأبواب التي كانوا يدخلون منها ، وفي الأرض التي تعودوا أن يضعوا أقدامهم عليها ، ولو أنه جاء إليهم من طريق لم يعرفوه ، أو وغل عليهم من باب لم يألفوه ، لكانت حجتهم عليه قائمة .. وقد سجل عليهم هذا الكتاب ألوانا من عنتهم الذي قابلوه به ، وظنونهم التي ظنوها فيه ، وتهمهم التي كالوها له ، إذ قالوا : شعر وسحر وأساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه ، وإفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، وهكذا من كل تلفيق آثم ، وقول باطل ، وزعم خاطئ ، وظل الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم في سخرية ، ويقابل منهم تلك الأقوال كلها بالازدراء ، لأنه كان يدرك تمام الادراك أنها تخبطات المرورين الذين تنطبق عليهم المنافذ ، وتشتبه عليهم المسالك ، وتلتوي في أعينهم الدروب ، وتختلط دونهم الطرق ، فلا يجد أحدهم ما يستر به عيب نفسه ، وضلال قلبه ، وظلام خاطره ، إلا الطيش والسفه يستعين بهما ، ويفزع اليهما ، مع اعتقاده أنهما لا يغنيان عنه فتيلا ، ولكنهم حينما جدوا في الأمر وابتدأوا الخصومة كما يصح أن تكون وقالوا : (**لو نشاء لقلنا مثل هذا**) الانفال/ ٣١ . كان له معهم موقف آخر .. إذ تحداهم التحدي الجاد ، وإذا قلت التحدي الجاد فانما أقصد إلى أن الخصومة كانت خصومة بمعنى الكلمة ، لأن التحدي إنما يكون تحديا إذا كان فيما يتأتى للخصم أن يأتي به ، ويصدر مثله عنه ، ويمكن ان يجيء من نظرائه وأنداده ، فاذا ثبت قصوره فيه ، وتأكد تخلفه عنه ، ووضح هزاله عنده ، لزمته الحجة ، وأحاطت به الهزيمة ، وباء بالخزي الذي ليس قبله ولا بعده .. ولذلك فاننا لا نعتبر أن التحدي قد ابتدأ إلا من هذه النقطة السوداء في تاريخ قريش التي يعلم العرب أجمعون أنها كانت صاحبة السدانة على البيت ، والسيادة على الناس ، وهو الفخر الذي لم يتطاول إليه أحد سواها في هذا الوقت ، وقد كان الفضل الذي بوأها الله إياه ، بوأه كذلك للهجتها التي ظلت تتعهدها بالصقل ، وترعاها بالتهذيب ، وتنخلها بالذوق ، وتنميها بالطبع ، إلى أن اقتعدت بها الذروة الشماء ، والمكانة القعساء ، ونزل بها الوحي آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، رجاء أن يكونوا هم القائمين عليه ، والحفظة له ، والزائدين عنه ، إلا أن هزيمتهم

أمامه ، وإلقاءهم السلاح بين يديه ، صرف الأنظار عنهم ، وحول القلوب إلى غير ناحيتهم ، ولا يشك عاقل منصف أن هذا التحدي كان خاليا من العنت ، بعيدا عن المشقة ، لأنه لم يطالبهم بأحسن منه ، ولم يكلفهم بشيء جديد عنه . بل ناداهم أن يأتوا بمثله مفتري مزعوما كما يدعون **(أم يقولــون تقولــه بل لا يؤمنون . فليـأتوا بحديث مثلــه ان كانوا صادقين)** الطور/٣٣ ، ٣٤ . فلما ثبت عجزهم ، وظهر ضعفهم ، نزل معهم إلى أدنى من ذلك **(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)** هود/١٣ . وهنالك تبين له أنهم على حالهم لا حول لهم ولا طول ، فتدلى بهم إلى مستوى القوى المـريضة ، والــطاقات المحدودة ، وطلب منهم سورة واحدة **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودهــا الناس والحجارة أعـدت للكافريــن)** البقرة/٢٣ ، ٢٤ . وبهذا كان يرخى لهم العنان إلى أبعد الحدود . ثم كان في خلال ذلك يناشدهم أن يستعينوا بما شاءوا من الأنصار والأصحاب والأصدقاء والقرابة والأهل ، حتى إذا ما أغلقت من دونهم الأبواب لم يكن هنالك بد أن يسجل عليهم تلك النتيجة **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهــم لبعض ظهـــيرا)** الاسراء/٨٨ . وقد ثبت أنهم بعد هذه المرحلـــة من التحدي تجردوا من ضمائرهـــم . وانسلخوا من أخلاقهم ، وأخذوا يفكرون في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لذنب إلا أنه كشف فضولهم ، وأعلن هزيمتهم ، بهذا المنطق الفطري الذي جادلهم به ، وتلك الحجج التي لا تنكرها الطباع ، ولا يأباها العقل . ولم يكن أسلوبهم الوحشي النافر الذي قابلوه به صلى الله عليه وسلم غريبا على البشرية الحمقاء ، فهكذا تجرى عادات الناس حين تطيش أحلامهم ، ويشتد سفههـم ، إذا ما تحداهــم المتحدي في أخص مزاياهم فأحاط بهم العجز ، وأصابهم الهزال ، واستبد بهم الضعف ، وهذا هو السر في أن المتحدثين عن الاعجاز من المتقدمين والمتأخرين تقوم مؤلفاتهم على المعنى البلاغي الذي كان رأس مالهــم ، والجانب البارز في أمجادهـــم ، والثروة الضخمة التي يتطاولون بها على الناس ، وإن كان الباقلاني يرى أن هذه الناحية لا يفهمها إلا من كان ذا ذوق عربي ، وسليقة أدبية ، وثقافة دينية ، ويقول في مقدمة كتابه : « لأن ذلك مما لا سبيل إليه إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعــة العربية ، وقد وقف على جملـــة من محاسن الكلام وتصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملـــة من طرق المتكلمين . ونظر في شيء من أصول الدين » ثم يقول بعد ذلك في أثناء الكتاب تحت

عنوان « فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن » : وكذلك نقول إن من كان من أهل اللسان العربي إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحا بليغا بارعا كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن » .. ولهذا فان الزمخشري ـ صاحب كتاب الكشاف ـ لما أراد أن يدلي بدلوه في الدلاء ، ويكشف عما في هذا الكتاب من ملاحة فاقت الوصف ، وتجاوزت حدود التصور ، تعرض لآياته يشرحها من ناحية البلاغة ، ويعلن عما تضمنته من الروعة ، وكذلك حذا هذا الحذو عبدالقاهر الجرجاني مع اختلاف الأسلوب ، لأن صاحب الكشاف كان أشبه بمن يحمل في يده المشعل ليضيء الطريق ويملأه بالنور لتظهر الحقيقة الواضحة ، والصور الناصعة .. اما صاحب الدلائل فانه أراد أن يربي الذوق البلاغي الذي يساعد على إدراك الجمال ، ومعرفة الحسن ، وفهم الابداع ، والحكم على روعة الأشياء ، وسحر المعاني ، وجلال الصور ، ثم يتركنا بعد ذلك وقد اكتملت فينا الملكة ، ونضج الوعي ، وقويت القدرة على النقد الذي نميز به بين الحسن والقبيح ، والجيد والرديء ، وهنالك يمكننا أن نقارن بين عجز الانسان وإبداع الرحمان ونردد بيننا وبين أنفسنا قوله جل جلاله : **(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه)** لقمان/١١ . وربما كانت هذه هي إحدى النواحي في فهم إعجاز القرآن ، فان المسلمين ما فرطوا في أدبه إلا منذ فرطوا في لغته فأصبحوا لا يفقهون كلمة ، ولا يدركون حكمة ـ كما يحدثنا الرافعي في كتابه إعجاز القرآن ـ ولذلك فاننا ننادي بضرورة الاهتمام بلغته ، والعناية بدراستها ، والغيرة عليها ، والدفاع عنها ، وجعلها الرباط الوثيق بين المسلمين الذين يأمرهم هذا الدين أن يتواصوا بالخير ، ونعلن أنهم لم يتخلفوا في الحياة ، ويتأخروا عن الركب ، إلا بسبب هذا التفكك في ثقافتهم ، والاختلاف في لغتهم ، وأنهم لم يفهموا أن شريعتهم التي تأمرهم بالجماعة ، وتسوية الصفوف ، والاتجاه إلى القبلة ، والابتداء الواحد في الصوم والفطر ، وجعل الحج فرصة للتعارف والتقارب ومدارسة الأحوال والمشاكل رجاء أن يتعاونوا على البر والتقوى ، تحتم هذا وتؤكده ، ونرى أنه سبحانه وتعالى لم يقصد من وراء ذلك كله إلا إلى الترابط في اللسان والبيان ، والاحساس والشعور ، والوجدانات والعواطف ، والآمال والآلام ، والأهداف والأغراض ، ليكونوا ـ بحق ـ خير أمة أخرجت للناس ، يمسكون بأيديهم زمام الأمور ، ومقاليد الحكم ، وموازين العدل ، ووسائل الاصلاح ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الضاد ـ التي هي لغة القرآن ـ لغة تخاطبهم في الشرق والغرب ، والبادية والحضر ، وإذا

كان بعض المسلمين يفهمون أن مثل هذه الدعوى تحمل في طياتها عصبية للغة دون اخرى ، فاننا نقول إن القرآن الكريم ينادي في أكثر من آية من آياته ، وأكثر من سورة من سوره ، أنه بلسان عربي مبين ، ولا يقصد من وراء ذلك تسجيل التاريخ ، ولا بيان الواقع – كما يقولون – وأنه حين نزوله على النبي العربي ، وبلسان قومه الذين كان يتجه إليهم بالبيان ، وفي ذلك المكان الذي ترعرعت بين جنباته اللغة ، كانت العربية هي ترجمانه ، وعقوده وجمانه ، وبيانه ولسانه ، ثم صار هذا كله مع الأيام نبأ يروى ، وحديثا يقص ، ومن حق الهندية أن تنطقه بألفاظها ، كما هو من حق الفارسية والتركية وهكذا .. نقول لهؤلاء جميعا لا وألف مرة لا .. ومن إعجاز القرآن الكريم أنه بهذا اللسان ، وإن تحويله عنه تحويل له ، وعدوان عليه ، وخروج به عن حقيقته ، قد يقول قائل : ان المصادفة فقط لا اكثر ولا اقل هي التي كانت السبب الاول والاخير في ان يكون القرآن بلسان عربي مبين ولو كان نزوله على غير العرب لكان بلسانهم ، وبيانهم . والله سبحانه وتعالى يقول : **(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)** ابراهيم / ٤ وبخاصة اذا سلمنا أن العرب لم يكونوا وحدهم من التخلف والفوضى ، والانتكاس والتردي والجهل والطيش ، بحيث تدعو حالهم الى الاسعاف السريع . والانقاذ العاجل ، والعلاج الحاسم ، إلا أننا نكرر القول ونؤكده حينما نعود الى التاريخ لنستلهمه الصواب في ذلك وحينئذ ينبئنا ان اهتمام هؤلاء الناس بلغتهم يهذبونها ويشذبونها كان عاملا مهما في تلك العروبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكتابه معه ، وشيء آخر لا نتغافله في الحديث ، ولا نتجاهله عند التعليل والتحليل وذلك ان للعرب مزايا في اخلاقهم ، وخصائص في طباعهم ، كانوا يعتبرونها كمالا في رجولتهم ، ولها تقديرها واحترامها في موازينهم ، مثل الغيرة على الأعراض ، واباء الضيم ، وكراهية الظلم والوفاء بالعهد والكرم والجود ، وما سوى هذا وهذا مما يكون من أسباب الترابط والألفة والانحياز الى الحق ، والدفاع عنه والوقوف بجانبه ، وهكذا مما تحتاج اليه دعوات الاصلاح ، وتقوم عليه النهضات وتنتصر به المبادىء ، وكان هذا كله له أثره البارز في نجاح الرسالة وتمام بنيانها ، ورسوخ قدمها ودوي صوتها . وانتشار دينها . وكان صلى الله عليه وسلم لا يفتأ في كل مناسبة يقول : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » رواه ابو يعلى عن جابر ايمانا منه بانهم كانوا خير درع له ولما جاء به من عند الله **(ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون)** الانفال / ٦٥ ومن هناكان القرآن عربيا ، لا يتخلى عن العربية قيد أنملة . ولا يقدح هذا في انه يصرخ في آذان الناس جميعا

ويدعوهـم الى كلمة سواء وهـذه العروبة ـ كما نرى ـ ليست عرضية تروح وتجيء ، او تغيب وتحضر ، وانما هي ذاتية له ، لا تفارقه ابدا ، وربما كان من العجيب الغريب أن تكون عربيته هذه ـ او عروبته ـ من الاعجاز الذي اودعه الله فيه ليكون له حصانة من العـدوان وضمانا من الضياع ، وصونا من العبث ، ومانعا من ان ينال منه آثم بالتغيير او التشويه ، او بالاختلاق او الكذب . وظهر ذلك كله حينما حاول كثير من الناس ان يترجموه الى لغتهم فاذا هو يتأبى عليهم كل التأبي ولا يستجيب للمحاولة ، ولا يخضع للـرياضة ، وليس معنى هذا اننا ندعي ان ذلك قد صرفهم عنه ، فان كثيرا من المبشرين والمستشرقين عنوا بنقله الى لغاتهم المختلفة رجاء للمزلة ، والطعن فيه ، والتشهير به ، واتخاذه في مدارسهم وكنائسهم مادة للنقد المـكشوف ، والتجريح المفضوح ، وان كان شأنهـم ـ كما يقول القائـل : « كناطح صخرة يوما ليوهنها » ولما دب النور والعرفان ، واتسع نطاق الثقافة والعلم في انحاء مختلفة من الأرض أصبح الناس من هنا وهنالك يحاولون دراسة الأديان والرسالات على أسلـوب من البحث النزيه ، والمنطق السديد ، وكان فيما يرجون أن يتناولوا به دراستهم كتاب الله الخالد على مدى العصور والأزمان وحينئذ ظهر في المسلمين وغير المسلمين من كان ينادي بضرورة تعريف غير العرب به عسى ان يكون باعثا لهم على الايمان ، وحاملا لهم على الهـداية وحافزا لهـم على ان يكـونوا من جنوده .. وكان مفتاح هذا التفكير ان القرآن اسم للمعنى مجردا من اللفظ ـ عند الامام أبي حنيفة ـ وحجته في ذلك قوله تعالى **(وانه لفي زبر الاولـين)** الشعـراء / ١٩٦ وقوله : **(ان هذا لفـي الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى)** الأعلى / ١٨ و ١٩ ولم تكن هذه كلها بالعربية فان صحف ابراهيم كانت بالسريانية وصحف موسى كانت بالعبرية ، ولعل الذي قوى هذا الزعم عند ابي حنيفة أن سلمان الفارسي ترجم لقومه فاتحة الكتاب ليقرأوها في صلاتهم ، وما كان لهذا الامام الكبير ان يذعن لهـذه الشبهـة ، ولا ان يستسلم لهذا الرأي لان كون القرآن في زبر الأولـين أو صحف ابراهيم وموسى ليس معناه انه كان مكتوبا فيها . وانه نقل عنها . ولكن معناه انها اخبرت به وبشرت بالرسول الذي يحمله الى هذه الأمة ، ولـذلك فقد خالف الصاحبان رأي امامهم وذهبا الى أن القرآن اسم للفظ والمعنى . وانه معجز بهما معـا ، لا ينفصل احدهما عن الآخر .

فاذا قدر المكلـف عليهما لا يسقط الواجب الا بهما ، وان لم يستطع اللفظ سقط عنه واداه بمعناه وحكمه حكم من عجز عن الركوع والسجود ، فان صلاته تكون ايماء .. ومما حققه العلماء الاعلام ـ كصاحب مسلـم الثبوت ـ ان أبا حنيفة رجع عن هذا الـرأي .. ولـذلك نرى كثيرا من

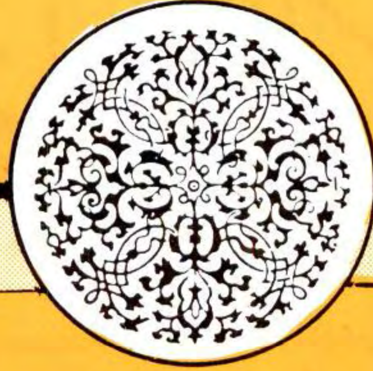
أصحاب مذهبه يتعرضون لكتابة المصحف بغير العربية بالانكار ، ولا يقولون بجوازها خوفا على القرآن من العبث ، ومنعا له من عدوان أهل الفسوق والعصيان .. وقد نقل عن الشرنبلالي قوله : « ولا يصح أن يكتب القرآن بالفارسية لأن ذلك يؤدي الى الاخلال بحفظه ونحن أمرنا بحفظ النظم والمعنى » وفي كتاب الفتح القدير : « ان اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع » وفي النفحة القدسية : « أما لو اعتاد القراءة أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع » وقال الفضلي : « من تعمد ذلك يكون زنديقا او مجنونا ، والمجنون يداوي لكن الزنديق يقتل » .. واذا كان علماء الأحناف قد أعطوا هذه المسألة اهتماما كبيرا . وتناولوها بالبحث هذا التناول ، اعتمادا على ان امامهم كان يرى أن القرآن الكريم اسم للمعنى من غير اللفظ فان علماء المذاهب الأخرى قد تناولوها ايضا بالنفي تارة ، والاثبات تارة اخرى ، ويظهر ان الدافع الأول والأخير لأصحاب القول بالترجمة ، والدعوة اليها ، كان هو الرغبة الصادقة في عموم النفع ، وكثرة المؤمنين ، وهداية الناس ، ولقد علمنا من أبناء المسلمين الذين عاصروا الدعوة في ابانها أنهم ما كانوا يحاولون – كالكسالى – ان يسعى القرآن اليهم ، وينتقل الى موائدهم ، مستكينا لارادتهم ، خاضعا لسلطانهم ونفوذهم ، بل كانوا وهم يتشوفون اليه ، ويحرصون عليه يكدون في الوقوف بين يديه ، بلغته التي انزله الله بها ، وبيانه الذي كساه جل جلاله منه حلة من الرونق ، ولباسا من الحسن ، وخلعة من السحر ، وبهجة من الجلال ، وطابعا من القبول ، وفيضا من البلاغة ولم يتطاير الينا ولا نصف نبأ أنهم كانوا يجرونه اليهم بالنقل ، او يقربونه منهم بالترجمة ، ولم يدخل الفرس في دولة العرب في الخلافة العباسية الا وقد وضعوا في اعتبارهم أن يتعلموا له لسانه وبيانه لذلك كان منهم المفسرون له ، والمنوهون به ، والمدافعون عنه ، والغيورون عليه .. ومن البديهي ان الذين يتحدثون عن ترجمة القرآن ويروجون لها لا يفهمون حق الفهم أسرار اللغة العربية او خصائصها ، وهي التي شرفها القرآن حين نزل بها ، وجاء على نسقها وطريقة تأليفها ، ويقول الامام الشاطبي في كتابه « الموافقات » : إن دلالة الالفاظ على معانيها تأتي على خبرين – أولية وثانوية – فالأولية كقيام زيد والثانوية ما يزيد على ذلك من الاهتمام به وتعريفه او تنكيره وذكره أو حذفه وهكذا من البحوث التي تقوم عليها كتب البلاغة ويتبارى في مضمارها فحول العلماء ومما لا يختلف فيه أحد أن المعاني الأولية لا يتفاوت انسان فيها مع آخر .. أما الثانوية فانها مجال الفحولة ، وميدان السبق ، ومناط الحذق ، وعنوان المهارة والبراعة وبخاصة إذا كانت مشتملة على استعارة لطيفة ،

او كناية **طريفة** ، او مجاز رائع ، او **تمثيل بديع** ، ولا **يمكن** لهذا اللون من **التعبير أو التصوير** ان تنقله الترجمة كما هو دون زيادة فيه او نقص ، وانا أسوق لك بعض الشواهد على ذلك .. اذ يقول الله سبحانه وتعالى للرجل يريد أن **يفارق** زوجته الى أخرى يتزوج بها ويعمل على أن يجرد مطلقته من كل حقوقها حتى مؤخر الصداق : **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهــن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وأخذن منكـــم ميثاقا غليظا)** النساء / ٢٠ و٢١ فان أفضى بعضكم الى بعض هذه عقدة العقد التي تتجاوز طاقة المترجم فلا يسعه الا أن يقف أمامها مكبلا أو مكتوف الأيدي ومثل هذا قوله جل جلاله : **(نساؤكم حرث لكم)** البقرة / ٢٢٣ وغير هذا وهذا من الأمثلة والشواهد .. وربما جاء مثل ذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يتعذر نقله ، ولا يمكن ترجمته ، كقوله : « من كشف قناع امرأة فعليه مهرهـــــا » رواه الديلمي » وقد كان يكثر من ذكره لخديجة وكـــان ذلك يوغـــر صدر عائشة ــ رضي الله عنهما ــ فقالت له عائشة ــ أرأيت يا رسول الله لو كان أمامك واديان معشبان أحدهما رعى فيه والآخر لم يرع فيه ، في أيهما ترتع بعـــيرك .. وتقصد بالـــواديين هي خديجة ، وبالرعي البكارة وعدمها كأنما تدل على خديجة انه صلى الله عليه وسلم تزوجها ثيبا ، أما هي فانها كانت بكـــرا .. وهما ــ كما ترى ــ حديثان لا يمكن للترجمة ان تنقلهما على روعتهما ، وتمام بلاغتهما ، وجمال ادائهما .. وهكذا نجد أن مجيء القرآن الكريم بهذه اللغة وعلى هذا **النمط** من البيان كان اعجازا آخر غير تلك الأنواع التي تناولها العلماء بالحديث في اعجازه لأن تحويلـــــه عنه يسلبه قرآنيته الباهرة ، وفصاحته القاهرة وبيانه الخلاب ، وسحره الغلاب ، والدليل على ذلك أن أحدا من الناس لم يستطع ذلك إلى الآن وكل ما يقال في ذلك كله من نقل او ترجمة انما هي محاولات من يقبس نور الشمس يظن أنه يضم يده عليه ولم يدر أنه انما يطبقها على الوهم . ويضمها على الهواء . وليس الامر اكثر من انتفاع به ، وأخذ عنه ، يصادفه التوفيق الى حد ما ، او يخطئه الصواب الى غير حد ، ثم يبقى القرآن بعد ذلك كله شامخ الرأس ، عالي القدر ، بعيد المنال ، كأنما يقول لهؤلاء جميعا : **(فويل لهـــم مما كتبت أيديهم)** البقرة / ٧٩ .. ولهذا فاننا نعود الى تكرار هذه الصيحة التي نرجو من ورائهـــا أن يتعلـــم المسلمون لغته ليفهموه بهـــا ، واذا كان تدبر مراميه ، وفهم معانيه . لا يتم الا بذلك فاننا جريا على القاعدة الأصولية « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » نقول إن ذلك واجب لا يصح تركه ولا يليق بنا أن نتغافله او نتجاهله ، ونحن خير أمة أخرجت للناس .

شباب الاسلام

للدكتور : عباس محجوب

شباب امة الاسلام قوة   لنصر دين الله قد تطلعوا
في الحرب ان صالوا رأيت فيهم   أسد الشرى من الأمان أفزعوا
في السلم كالغزلان في مأمنها   وداعة ورقة قد طبعوا
مذاقهم كالشهد حين يأمنوا   والصاب والحنظل اذ يروعوا
قد بايعوا الرسول قائدا لهم   لم يهدروا للحق أو يضيعوا
اهدافهم عظيمة طموحة   لم يركنوا للسهل أو يقتنعوا
ان افقروا تواضعوا وصبروا   وإن غنوا فهم هزال خشع
والماء منة اذا اتاهم   لم يشربوه أو به ينخدعوا
ملمسهم لدى الصديق ناعم   وللعدو خشن ومفزع
هم الندى اذا الازهار صوحت   هم الورود نشرها تضوع
ترتعد البحار من طوفانهم   والموج من ثورتهم يصطرع
اذا الجبال عارضت طريقهم   دكوا الجبال والصخور ميعوا
وان رأوا في دربهم حدائقا   فهم لها الماء النمير المشبع
سيماهم فراسة وحكمة   رهبان ليل والأنام هجع
قد بدد الايمان من شكوكهم   بنوره ظلماتها تنقشع
الموت في سبيل الله غاية   والله للجهود لا يضيع
لم يرهبوا عدوهم او يجبنوا   لم يطلبوا غنائما توزع
يقتنصون النجم ان هبوا له   وان ارادوا للأسود صدعوا
للكفر والالحاد اين واجهوا   هم الاعصار المفجع المروع
اذا اتاهم من يرى شراءهم   زادوا له في سعرهم ورفعوا
لكي يبيعوا للاله ربهم   ومن لهم الا الاله المبدع ؟؟
ما لونوا جلودهم او بدلوا   ما قلدوا الطاووس لم يبتدعوا
واللهو والغناء والهوى   عن أسره وسحره ترفعوا
تشغلهم مآرب عظيمة   لزينة ورغد قد ودعوا
للظلم والطغيان في الوانه   جهادهم وجهدهم لا يدفع
لم يرهبوا طاغية او حاكما   لم يسجدوا لصنم او يركعوا
هذا الشباب سوف يبني أمة   لها الكتاب منهج ومرجع
هذا الشباب سوف يعلي راية   تزلزل الرايات بل تقتلع



الدين هو الحل

محمد مؤذن

للاستاذ : محمد احمد العزب

من المشاكل الخطيرة في تاريخ الفكر البشري ، دوران هذا الفكر في فراغ موحش رهيب ، وضلاله الأعمى في رحلة البحث عن قرار ..

قديما .. وعلى سفوح اليونان وقممها السامقه . انطلق هذا الفكر البشري باحثا عن قراره . ناشدا الايمان بشيء يشده إليه . فلا تبحر به الريح في مهاوي الضياع .. ولكن هذه الرحلة ما أثمرت قرارا ، ولا أعطت شيئا يهب الأمن والسلام ..

بل أعطت حشودا من المعرفة العقلية الرائدة . التي قادت الأجيال في طريق التطور العقلي الصاعد المنتصر .

ولئن كانت المعرفة العقلية معزولة الكيان عن المنطقة الروحية في البداية .. فانها ـ في الواقع ـ كانت الشرارة الأولى التي انبثق منها ضوء الصعود الخالد إلى آفاق الروحانية العالية .. وكانت كذلك حتى في طور ميلادها الأول . استشرافا ذكى الفهم لكل ما هو وراء المادة .. ولكل ما هو خلف تخوم الحياة ..

ذلك كان شأن الفكر اليوناني القديم .. كان يعتز بنفسه إلى حد الغرور .. ولكنه كان مع ذلك يتطلع دائما إلى أعلى من طاقاته وقدراته ..

وحديثا .. وعلى ضوء كل ماجد في حياتنا المعاصرة من انتصارات علمية وحضارية شامخة .. مازالت للفكر نزواته واندفاعاته . وأستطيع أن أقول : إن ضراوة الاغترار والزهو بكل ما هو عقلي .. ومادي .. وأرضي .. لم تبلغ في أي طور ما بلغته اليوم من ضراوة وقسوة .. إن موجات الالحاد والشك .. لتفور في كل منطقة من العالم اليوم .. حتى في أعرق هذه المناطق إيغالا في مراحل الايمانيات .. ربما لأن الزحف العلمي بكل فتوحاته .. وانطلاقاته . قد أعطى عن نفسه صورة القادر الذي لا يغلب . والقائد الذي لا ينهزم .. في اللحظة التي يقف الدين فيها محتلا مواقعه الأولى .. منحسرا في مجالات كثيرة عن بعض هذه المواقع .. نتيجة النضوب الفكري والايماني الذي أصاب أبناءه بالشلل ، فلم يعودوا قادرين على حمله وتبليغه ، والتحليق به الى آفاق مضيئة أكثر حياة ، وأشمل اندفاعا ..

وفي وهج هذا الدوران الفكري الراعش المضطرب عاش الانسان في الماضي ويعيش اليوم . أقسى ما يمكن أن يتصور من حياته .. أنه يدور في فراغ .. ويحس بأن وجوده عبثي !! لحظة الميلاد عنده تساوي لحظة الموت ، والمساحات الزمنية القائمة بين البدء والختام ، ليست سوى مرحلة من العبث القاسي الذي لا جدوى من ورائه ..

خذ مثلا واحدا من مفكري هذا العصر . (البير كامي) .. واقرأ بحوثه .. وقصصه .. ومسرحياته .. انه ككاتب لامع مفكر سيبهرك من غير شك بثرائه الفني الرائع المتاز وبعمقه الساحر الأخاذ .. ولكنه في النهاية سيسلمك إلى إحساس

عاصف باليأس والعبثية .. واللاجدوى .. في مسرحيته .. « سوء تفاهم .. » تصيح « مارتا » « هذه الدنيا ليست سوى مقبرة سنوضع فيها في النهاية بالكوم متلاصقين) .. وفي موضع آخر تخاطب ماريا : (لكن قبل أن أذهب لأموت .. علي أن أخلصك من وهم اعتقادك بأنك على صواب . وأن الحب ليس عبثا .. وأن ما حدث لم يكن إلا نتيجة الفوضى الشاملة .. وهو منطقي معها) .

ان كل كتابات هذا المفكر الفنان .. طافحة بهذه القتامة الداجية . وهذه الهروبية الصفراء . وربما لا تجد لأكثر أبطاله من نهاية سوى الانتحار .. كنتيجة طبيعية ومنطقية لايمانهم بفوضى العدالة .. وعدالة الفوضى ..

« البيركامي » هنا .. ليس سوى رمز لعشرات ومئات من مفكري العصر ، الذين فقدوا الايمان بشيء معين .. أعلى من الانسان .. وأهدى من المادة .. ففقدوا بذلك صلابة الأرض التي يقفون عليها ، ووضوح الرؤية اللازمة لكل من يشق طريقه في الحياة .. إن إيمانهم كان بالعقل .. وبالعقل وحده .. حتى ألهوه .. وليس في استطاعة العقل البشري . حتى في قمة نضوجه وإشراقه .. أن يحمل عبء الألوهية الهائل .. بكل ما يتطلبه العبء من تبعات وأثقال .. أجل . ليس في استطاعة العقل البشري أن يقدم الحل ، أو الحلول العاقلة لمعادلة الحياة الصعبة المتشابكة لأن العقل نفسه بعض من هذه المعادلة .. ولأنه يرتطم دائما بأسوار محدوديته فيقع على السفح عاجزا عن التحليق والطيران ..

وهنا يبرز الدين كحل .. وكحل إلهي شامل وعميق .. ليقدم لمعادلة الحياة تفسيرها المنطقي الذي لا يتهرأ في حومة الصراع ودورانه المفزع ..

الدين كحل .. يبدأ من منطلق الايمان بالأعلى لينتهي إلى الايمان بكل شيء .. وهذا سر عظمته .. انه لا يبدأ من مقدمات سانجة .. مثلا من الايمان بالثمرة إلى الايمان بالشجرة قائلا لك أن الأثر يدل على المؤثر كما يقولون .. ولكنه يبدأ من منطلق الايمان بالشجرة الفارعة المثمرة .. المتهدلة الاغصان والثمار .. قائلا لك لو لم تكن الشجرة موجودة أكانت توجد هذه الثمار ؟؟

ومن هذا نستطيع أن نفهم لماذا كانت الصيحة الأولى لنبي عظيم « كمحمد صلى الله عليه وسلم » هي : « لا إله إلا الله » .. إنه يبدأ القضية من أساسها .. ثم يمشي بك في دوربها دربا فدربا .. حتى يضعك في النهاية أمام بناء ايماني شامل متكامل بكل أبعاده وأعماقه .

أنت في قضية الايمان مطالب بشيء من التجاوز .. تجاوز الذات وتجاوز المنطق العقلي .. فالذات الضامرة الكليلة يجب أن تؤمن بأنها دون مستوى الندية للقوى الكبرى الخالقة .. فليس إذن في استطاعتها استيعاب حقيقتها .. ومن واجبها أن تذعن لهذه القوى المبدعة وأن تسلم

لهـا بالحكمـة .. والعظمـة .. والابداع ..

التلميذ البـادىء دون مستـوى الندية لأستاذه . فليس من حقه أن يشك في معطيات هذا الاستاذ ، إلا إذا بلغ شأوه العلمي .. إن من حق التلميذ فقط أن يسأل ، وأن يطلب المزيد من الفهم .. ولكن ليس من حقه أبدا أن يقول لأستاذه أصبت هنا .. أو أخطأت هناك .. فاذا كان الامر كذلك في إطار العلاقة بين الاستاذ وتلميذه الذي قد يبلغ شأوه العلمي يوما ما .. فان العلاقة بين الانسان وخالقه يجب أن تحددها دائما علاقة العجز والقدرة .. أو علاقة النقص والكمـال .. لأنـه ليس في طاقـة الانسان أن يلحق شأو خالقه .. لأن شأو الخالـق ليس مدى طفـرة أو طفـرات .. وإنمـا هو اللانهائيـة الضخمة ، بكل ما تنطـوي عليـه اللانهائيات من قدرات وأسرار ..

الايمـان إذن عمليـة ترسيـخ لوضعية الانسان على هذه الأرض ، بدلا من تركه مذبذبا هكذا في مهب الرياح .. وليست عملية الترسيـخ هذه شدا إلى صخرة بكماء . وإنما هي إعطاء الانسـان كل مشاعـل النور ، ليبصر على ضوئها الغاية من وجوده . والهدف من حياته .. ومتى تعلقت آمال الانسان بغاية ينشدها ، أو هدف يرنو إليه . فان وجـوده حينذاك يكتسب خصوبة ومعنـى ، ويصبح من غير شك وجودا هادفا وعميقا . وليس مجرد عبث أو فوضى أو حياة بلا جدوى ..

وإذا كانت بعض الفلسفات المادية تعطي الانسان في حياته غايـة أو هدفا .. فان الاسلام يسبقهـا إلى ذلك .. متخطيا تخوم الحياة إلى تخوم الآخرة . عاقدا بين غاية الانسان هنا وغايته هناك . أوثـق الوشائـج . وأعمق الصلات .. بينما تظل جهود الفلسفات المادية حبيسـة اللحظـة المعاشة لا تتخطاها إلى غيرها من حياة ..

وهنا تبرز ضخامة الدور الـذي ينهض به الدين ، معدلا كل منطق هذه الفلسفات .. فان الانسانية لكي تحقق وجودها الأفضـل لابـد أن تتخطى إلى حد ما .. بعض غاياتها الحياتية .. فاذا آمنت بأن وراء هذه الغايات الحياتية غايات أخرى وراء الحياة .. أقدمت على التضحية بكل ما في وسعها من إيمان .. أما إذا لم تكن مؤمنة بسوى الغايات الدنيا .. فانها قد ترتطم حتـى بآمالهـا في الدنيا ، محطمة ومحطمة .. وهنـا قصور الماديات ..

الدين كحل .. يهب الايمان الواثق المتكامل .. ويعطي الهدف من الوجود للوجود .. ويحفز على التجاوز الواثب المتفتح .. ويفض المغاليق لنرى أبعد من حدود الرؤية . وهو وحده الذي يمكن أن يكون حياة الحياة .. ونبض التطلـع الانسانـي إلى الأسمـى دائما .. والأشمل دائما .. والأخلد دائما .. وتلك هي رسالته للبشرية جمعاء .

كتاب الشهر

الكتب المقدسة والمعارف الحديثة

تأليف : موريس بوكاي
ترجمة : دار المعارف طبعة ١٩٧٧
عرض : عمر الراكشي

مدخل الى الكتاب :

مؤلف هذا الكتاب طبيب فرنسي ، ممن عنوا بالدراسات العلمية ، ومقابلتها بالكتب المقدسة ، وتقع الترجمة العربية لهذا الكتاب عن الفرنسية في ٢٨٦ صفحة من القطع الكبير .

ويرى المؤلف بصفة عامة ، أن المعطيات الموضوعية لتاريخ الأديان ، يوجب وضع العهد القديم والأناجيل والقرآن على مستوى واحد ، من حيث هي مجموعات للوحي المكتوب .

غير أن هذا الموقف الذي يقول به المسلمون مبدئيا ، ليس هو نفس الموقف الذي يقبله مؤمنو البلاد الغربية التي تنتشر بها اليهودية والمسيحية ، والتي ترفض إعطاء القرآن صفة الكتاب المنزل .

فاذا كان القرآن في آيات عديدة

منه ، يطلب من الذين آمنوا به الايمان بكتب الله السابقة ورسله وأنبيائه السابقين ، فان المؤلف يقرر أن المسيحية لا تعترف بأي وحي جاء بعد المسيح وحوارييه ، ولذلك فهي تستبعد القرآن . وكذلك الشأن بالنسبة لليهودية فانها لا تعترف بأي وحي جاء بعدها .

ويقرر المؤلف بأنه اذا كان هذا هو موقف اليهودية والمسيحية من الاسلام ، فان موقفهما من بعضهما البعض جد مختلف ، فيقول الدكتور موريس بوكاي : إن كتاب اليهودية المقدس هو التوراة ، وتختلف التوراة عن العهد القديم المسيحي ، لأن هذا الأخير أضاف عدة أسفار لم تكن موجودة بالعبرية .

ويضيف المؤلف قوله : إنه إذا كانت المسيحية قد اعتمدت على التوراة لكنها زادت عليها بعض الاضافات ، ولم تقبل في الوقت عينه كل ما انتشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسى ، ولذلك قامت الكنيسة باجراءات حذف هامة جدا لعدد من الأسفار التي كتبت لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه ، ولم تحتفظ من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات أهمها الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا وهي أناجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

غاية المؤلف من مؤلفه :

يقرر المؤلف أنه إذا كان البابا بولس السادس يفصح عن إيمانه العميق بوحدة العالمين الاسلامي والمسيحي ، اللذين يعبدان إلها واحدا ، فان كثيرا من المسيحيين قد تربوا في ظل روح عدائية للاسلام ، وظلوا في جهالة لحقيقة الاسلام وجوهره . وبالتالي فان مفاهيمهم عن الاسلام ، هي في واقع الأمر مفاهيم مغلوطة .

ومن هنا ، فقد وجد المؤلف من الواجب عليه ، أن يقدم دراسة مقارنة للكتب المقدسة في الأديان الثلاثة ، مع التركيز على جانب دراسة هذه الكتب ، في ضوء المعارف العلمية الحديثة .

الفروق الجوهرية بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة :

أولا : القرآن :

يرى المؤلف أن الاسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معا ، كتب فور نزوله ، يحفظه ويستظهره المسلمون في صلواتهم ، ومواسم عباداتهم ، اما الكتاب المسيحي المقدس ، فانه يختلف عن القرآن اختلافا بينا ، فالأنجيل - كما يقرر المؤلف الدكتور بوكاي - يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة ، فلا تملك أي شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى ، وهذا خلاف لما يتصوره الكثيرون من المسيحيين .

ويأسف المؤلف لذلك الموقف الذي

يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التــوراة والانجيــل بعض المقاطــع الباطلة التي تتعارض مع كل منطق ، وإذا كانت هذه المقاطع تسيء كثيرا إلى الايمان باللــه لدى بعض العقــول المثقفــة التــي أدركت وجــود هذا الضعــــف ، فان الغالبيــــة من المسيحيين ـ في نظر المؤلــف ـ لم تدرك حتى الآن ذلك الضعف ، وظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة .

ثانيا : الأحاديث النبوية :

أما الاحاديث النبوية فهي في رأيه تشبه الاناجيل من حيث هي مجموعة من الاقوال والاخبار لافعال محمد صلى الله عليــه وسلــم ، وليســت الاناجيل بأكثر من هذا فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ، فقد كتبت اولى الاحاديث النبوية بعــد عشرات من السنين من موت محمد صلى الله عليه وسلم مثلما كتبت الاناجيــل بعــد عشرات السنوات من انصراف عيسى عليه السلام . وقد فصل المؤلف في كتابه كيف أن مؤلفــي الاناجيــل الأربعة المعترف بها كنسيا لم يشهدوا الوقائع التي أخبروا بهــا ، وهــم متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

ويضيف المؤلف قوله : بأنه إذا كان يصح الجدل في يومنا هذا حول صحة هذا الحديث النبوي ، او ذاك ، فان الكنيسة قد حسمت منذ قرونها الأولى ، وبشكل نهائي بين الأناجيل المتعددة وأعلنت رسمية أربعة منها فقط ، برغم التناقضات العديدة فيما بين هذه الأناجيل في كثير من النقاط ، وأصدرت الأمر باخفــاء الأناجيــل الأخرى . ومــن هنــا جاء اســم « الأناجيل المزورة » .

الكتب المقدسة وحقائق العلم :

ثم ينتقل المؤلف إلى بيان أن مقابلة نصوص الكتب المقدســة بحقائــق العلوم ، كانت موضع تفكير الانسان في كل العصور ، ففي البداية قيل : إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس ، ومن هنا خلق ذلك الوضع الخطير الذي جعل مفسري التوراة والاناجيــل اليــوم يناصبون العلماء العداء ، حيث يؤكد المؤلف أنه لا يمكن أن تقبل رسالة إلهية منزلة تنص على واقــع غــير صحيح ، ومن ناحية مقابلة ، أدى عدم قبول صحة مثل هذا المقطع من التوراة الذي ينص على واقع لا يقره العلم إلى تعصــب البعض بشــدة للاحتفاظ بتمام النص ، وكان من نتيجة هذا ان اضطر المفسرون إلى اتخاذ مواقف لا يقرها رجل العلم .

ودراسة المؤلف لنصوص القرآن الكريم كشفت له عن وقائع عديدة ذات صفة علمية ، وفي رأيه أنه ليس ثمة وجه للمقارنة بين القليل جدا لما اثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية وتعددها في القرآن الكريم .

ويرى المؤلف أيضا أنه لا يتناقض موضع ما من المواضع ذات الصفة العلمية في القرآن الكريم مع وجهة

النظر العلمية ، وهذه هي النتيجة الأساسية التي خرج بها المؤلف من دراسته ، في الوقت الذي يعرض فيه ، كيف أن بعض الأحاديث النبوية غير القطعية أو ظنية الثبوت تخرج عن نطاق الوحي القرآني ، ويتعذر قبولها علميا .

ويعــرض الدكتــور « مـــوريس بوكاي » في كتابـــه العديـــد من الموضوعات العلمية التي تنبيء الكتب المقدسة بظاهراتها الطبيعية وتحيطها تلك الكتب بقليل أو كثير من التعليقات والشروح ، ولكن الوحي القرآني في تطوره غني جدا في تعدد هذه المواضع وذلك على خلاف ندرتها في العهدين القديم والحديث .

وقد أيقن المؤلف بعد دراسته للنص العربي للقرآن الكريم أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد ، من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

وبنفس الموضوعيــة قام المؤلــف بنفس الفحص لنصوص العهد القديم والأناجيل فوجد فيما يتعلق بالعهد القديم أنه ليس هناك حاجة تقتضيه الذهاب الى أبعد من الكتاب الأول ، أي سفر التكوين ، فقد وجد مقولات يتعذر التوفيق بينهــا وبــين أكثــر معطيات العلم رسوخا في عصرنا .

أما بالنسبة للأناجيل فمــا كاد يفتح الصفحة الأولى منها حتى وجد نفسه دفعة واحدة في مواجهة خطيرة مع شجرة أنساب المسيح ، ذلك أن نص انجيل متى يناقض بشكل جلي انجيل لوقا ، وهذا الأخــير يقــدم صراحة أمرا لا يتفق مع المعــارف الدينية الخاصة بقدم الانسان على الأرض .

خاتمة :

ويختتم المؤلف وجهة نظره حول تلك الأمور المتناقضة ، أو تلك التي لا يحتملها التصديق بقوله : إنهــا لا تفضي إلى إضعاف الايمان بالله ، وأن المسؤولية فيها تقع على عاتق البشر ، فلا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت على الكتب المقدسة السابقة على القرآن ، ومن هنا فان كثيرين من المسيحيــين ظلــوا يجهلــون نقــاط الضعف الخطيرة في مقاطع العهــد القديم وفي الأناجيل ، وقــد عرض الدكتــور « مـــوريس بوكاي » في الجزءين الأول والثاني من كتابــه أمثلة صحيحة لذلك .

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد أوضح المؤلف فيه بالتفصيل كيف أن الاسلام قد اعتبر دائما أن الديــن والعلم توأمان متلازمان ، وأن تطبيق هذا المبدأ هو الــذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيــم للعلــوم في عصر الحضارة الاسلامية ، التي اقتــات منها الغرب نفسه ، قبل عصر النهضة في اوروبا .

وبعد ، فانني أضع هذا العرض الموجز لذلك الكتاب الكبير ــ بغــير إغراق في تفصيــلات ــ بــين يدي القاريء الكريم ، وهو في إجماله غني عن أي تعليق وتعقيب .



الدين

ضرورة حتمية

للاستاذ علي عبدالعظيم

الدين ضرورة نفسية واجتماعية ، الدين علاج نفسي ووقاية صحية ، لا الضوابط الخلقية ولا القانونية ولا العلمية مغنية عن الدين — لا بديل للعقيدة الدينية .
التدين نزعة فطرية ، وقد اعترف بهذا جمهرة العلماء المحدثين ، والخلاف بينهم انما يقوم على دراسة هذه الظاهرة وتطورها .
وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبلهم ، بنحو ثلاثة عشر قرنا ، وفي هذا أكبر الأدلة على أنه من عند الله ، وإلا فمن أنبأ هذا الرجل الأمي ، بحقيقة هذه المشكلة التي استنفدت طاقات العلماء المحدثين .
ومن الآيات القرآنية الحاسمة في هذا الموضوع ، قوله تعالى : **(واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)** الاعراف / ١٧٢ .
واذا أخذنا بظاهر اللفظ — كما فعلت طائفة من المفسرين — فاننا نفهم من الآية الكريمة : ان الله سبحانه خلق الأرواح قبل خلق الأجسام ، وأنه أخذ عليها العهد بالايمان به ، فلما ظهرت إلى الوجود في أجسامها المادية ، كان عليها أن تفي بعهد الخلاق العظيم .
واذا ما أولنا الآية — كما أولتها طائفة من المفسرين — فاننا نفهم منها أن الله أودع في طبيعة النفوس البشرية نزعة الايمان العميق .
والآية في كلتا الحالين — تقرر أن النفوس البشرية منطوية على الايمان ، وأن كابر في هذه الحقيقة بعض المكابرين المعاندين ،
وإلى هذا أشار الحديث الشريف : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه ، او ينصرانه او يمجسانه) رواه الطبراني والبيهقي .
وفي هذا الفصل ، نحاول الاجابة عن هذا السؤال : هل الدين ضرورة حتمية ؟ وهل هناك ما يحل محله أو يغني عنه ؟ وإذا كان غريزة ، فهل ينبغي لنا كبحها أو التسامي بها ؟
وقبل الاجابة عن هذه الاسئلة ، علينا أن نعرف ما هو الهدف الأساسي من الدين ؟
إن قوة الانسان محدودة ، ومداركه محدودة ، وأيامه على هذا الكوكب الأرضي محدودة ، وهو لا يدري من أين جاء ؟ ولا إلى اين ينتهي ؟ ولا يعرف كيف تم هذا ؟ ولا يدرك الحكمة من وراء كل هذا . والى هذا تشير الآية الكريمة : **(ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم)** الكهف / ٥١ . وهو — مع هذه الحيرة — يحس — في الكون الخارجي وفي قرارة نفسه — وجود قوة عظمى مهيمنة مدبرة : يمتد سلطانها دون قيود او حدود ، بحيث تشمله كما تشمل الأرض والسموات ، ويسيطر على الماضي والحاضر والمستقبل : القريب أو البعيد ، وهو — بفطرته الطبيعية — يلجأ اليها ملتمسا المعونة والتأييد ، والحماية من الشرور والآثام ، والأخطار المحيقة به ، المتجهة اليه من حيث يدري ولا يدري : يستوي في هذا جهال الأميين وكبار الباحثين ، وهذا هو جوهر العبادة

والتقديس .
والدين هو الذي ينظم هذه العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق والهدف الأكبر من العبادة ، هو تحقيق السعادة الممكنة في هذه الحياة وما بعدها للأفـراد والجماعات ، فاذا جردنا الانسان من عقيدته الدينية ، التي تمنحه العزاء عما يقاسيه من آلام لسلكناه في عداد الأنعام ، فتجعله حيوانا يأكل ويتناسل ، ثم ينفق ويتلاشى الى غير رجعة ،
فاي حياة يحياها هذا الانسان ؟
ندع الاجابة عن هذا السؤال الى كانت Kant أكبر فلاسفة العصر الحديث حيث يقول : لنأخذ حالة انسان فاضل : يجد نفسه خاضعا لالحاح الاعتقاد أنه لا يوجد إله ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة ، فكيف يقدر مصيره الفردي تقديرا مستمدا من القانون الخلقي ، الذي يوحي اليه العمل ؟ إنه يرى أن ذلك الاعتقاد لن يجلب له أية فائدة شخصية لا في هذه الحياة ، ولا في حياة اخرى بطبيعة الحال ، بل إنه على العكس يرى ان إراداته يمكن ان تكون باعثة على الخير ، على حين توجه القوانين الأزلية جميع طاقاته فهو مجبر في كل افعاله ، ويجد آخرين ممن يحيطون به يخادعون ويغدرون ، ويستعملون العنف والقسوة ، على حين يكون ــ هو نفسه ــ أمينا مسالما ، ولا يعدم فيمن حوله بضعة افراد فضلاء مثله ، ولكنهم يتعرضون لقسوة الطبيعة التي لا تحفل بالقيم المثالية .. وبعد هذا يتساوى الجميع ــ اشرار واخيار ــ حينما يدهمهم الموت ، ويلقى بهم في قبور فسيحة بلا تفرقة ..
إنه لن يستطيع الاستجابة للقوانين الأخلاقية بسبب المصير إلى ظلام العدم اللانهائي ، وإذا اراد أن يتجنب هذا ، وجب عليه الأيمان بوجود خالق للكون هو الله ..
كما يقرر انه إذا كان للوجود الانساني قيمة ، فلا بد ان يكون للعالم غاية .. ولا بد من وجود سيد اعلى يشرع ــ من الشرائع ذات الأهداف المثالية ــ ما يتسنى به تحقيق الخير الأقصى تحت رعايته وسيطرته على الكون كله ، كذلك يقرر في بحث آخر قصور الارادة الانسانية عن تحقيق القانون الخلقي ، وأن الله ــ وحده ــ هو الذي تتحقق فيه الصلات المطلقة بين الارادة الالهية والقانون الخلقي .
وفي كلامه هذا ، ما يغنى عن الرد على من قالوا : إن القوانين الخلقية النابعة من الضمير حينما يلتزمها الانسان ، تغنيه عن العقيدة الدينية ، وإن القوانين الخلقية ، لا تقوم على مجرد السلطة المقارنة لها ، بل تقوم على إدراك ما يصاحب تطبيقها من منفعة ، وما ينشأ عن تركها من أضرار ، ولكن ، من الذي يحدد المنافع ويوضح الأضرار ؟ فكم من عمل ظاهره النفع أو ظاهره الشر ولكنه ينتج عكس ما توقعناه قال تعالى : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)** البقرة / ٢١٦ وقد تكون المنفعة خاصة بالفرد ولكنها ضارة للمجتمع ، وقد تكون وقتية يعقبها شر كبير .

ويبالغ اميل دوركاتم فيرى في كتابه « التربية الخلقية » ان القاعدة الخلقية يجب ان يكون الباعث على احترامها واجب ، دون النتائج التي تترتب عليها .
وهذه احلام فلاسفة اذا فرضنا تحققها في بضعة افراد ممتازين ، فانها لا سبيل إلى تحقيقها في المجتمعات .
ثم لنا ان نتساءل عمن يضع القوانين الخلقية ؟
ان الفلاسفة قد اختلفوا وسيظلون مختلفين في تقييم الفضائل وتحديد الرذائل ومن يرجع الى تاريخ الفلسفة وعلم الاخلاق فسيرى طوفانا من الآراء المتضاربة المتشابكة التي تقود الى الفوضى والدمار .
وفي هذا يقول ديورانت ، ان الشك يبعث على التوقف والضيق ، والايمان يدفع الى البسط ، ويحسن الشهية والدورة الدموية ، والواقع ، أن كل متشكك يشكو معدته ، ان الاعتقاد امر طبيعي وهو ينشأ مباشرة من الحاجات الفطرية والعاطفية من التعطش الى حفظ الذات والثواب والصحيــة والأمــن ، بل والخضوع ، وفي بعض الأحيان يغمرنا الشكر على النعمة ، حتى نود ان يكون لروح العالم آذان يسمع بها آيات شكرنا .
يقول نيتشة ان الطريقة التي تنقلب بها المصائب ، حظوظا حسنة ، اغرته بالاعتقاد في الله ــ ان الدين لم ينزع عن الموت ما فيه من ألم فقط بل ملأ الحياة جمالا بالطقوس والبناء والنحت ، والنقش والدراما .. لقد بدل مأساة الحياة الحقيرة الى رحلة شاعرية يحج فيها المرء إلى نهاية شريفة وبغير الدين ، تصبح الحياة سخيفة ..
.. والدين يؤدي الى استقرار الأسرة ، بما يربط افرادها به من روابط مقدسة ، ثم إلى استقرار الدولة تبعا لذلك .. إن ضعف الوازع الديني ، يؤدي الى انهيار خلقي يبدو واضحا في الانحلال الخلقي المتفشي الآن بين طوائف الخنافس والهيبز والوجوديين وجماعات الساخطين ، ومستعمرات العراة ، من أجيال مكتئبة تتقلب في القذارة الحسية والخلقية : مما جعل توماس هاردي يتساءل عن الكآبة المزمنة التي أخذت في الاستيلاء على الشعوب المتحضرة مع زوال اعتقادها في سلطة خيرة « يقصد بها سلطة الدين ومن هنا ، كانت مهمة علم الاخلاق قاصرة قصورا تاما عن أداء دور الدين : سواء بين الأفراد او الجماعات ويمتاز الدين ، بأنه يحدد الفضائل والرذائل تحديدا دقيقا ثابتا ، لا مجال فيه للبس ولا ابهام ،
والى هذا اشار الحديث الشريف : (الحلال بين والحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ، ألا وإن حمى الله تعالى في ارضه محارمه) رواه البخاري .
فالحديث الشريف يوضح الامور توضيحا دقيقا فهناك شعائر بينه ، امر الله بها وهناك محارم واضحة ، نهى الله عنها ، وهناك امور لم يرد فيها تعيين دقيق يلتبس فيها الأمر على بعض المؤمنين فعليهم ان يسألوا فيها اهل الذكر كما أشار

القرآن الكريم (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) النحل / ٤٣ . والى أن يفتي فيها أهل الذكر فالاحوط في الدين ـ تجنبها ، اتقاء للشبهات ومن هنا اتضح الصراط المستقيم . (**صراط العزيز الحميد . الله الذي له ما في السموات وما في الأرض**) ابراهيم / ١ ، ٢ .

ومس أهم آثار الدين : انه يبدد الاحزان ، ويسوق العزاء . ويبتعث الآمال وييسر مشكلات الحياة ، ويبعث في النفوس الثقة والاطمئنان والأمان .

ولما كان القلق النفسي يدمر الحياة ، ويمزق النفوس ، ويجلب الأمراض النفسية والجسمية ، فان علاجه الوحيد ، هو بث الاطمئنان في النفوس .

والى هذا اشار العالم النفساني الشهير « هنري لنك » الذي اجرى ـ هو ومعاونوه ـ عشرات الالاف من التجارب النفسية على نحو عشرة آلاف شخص ، تلبية لطلب مؤسسة كاونيجي ، التي وضعت بين يديه مائتي ألف دولار ، وقد خرج من تجاربه بهذه النتيجة : « سجلت تقريرا شخصيا شاملا لكل فرد منهم ، وهنا بدأ إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الانسان ووجدت من نفسي استعدادا لمضاهاة تجاربي السابقة على مرضاي ، بالنتائج الباهرة التي أتت بها تلك الاختبارات العظيمة ، التي توليت الاشراف عليها وقد استخلصت من هذه الاختبارات نتيجة هامة ولو أنها لم تنشر في التقرير النهائي ، وهذه النتيجة هي ان كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار للعبادة ، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له ، أو لا يزاول أية عبادة .

أليس هذا مصداقا لما قرره القرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، حيث يقول الله تعالى: (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد / ٢٨ .

والاسلام يحض المؤمنين به حضا على توكيد الصلات الوثيقة بفاطر الأرض والسموات لانه مصدر الأمن والامان ويوضح التبادل المتوالي بين رحمات الخالق وعبادة المخلوقين ، فالله تعالى يقول : (**فاذكروني اذكركم**) البقرة / ١٥٢ . فالمسلم يذكر ربه ، وربه يذكره .

وقد وضح الحديث الشريف هذا الذكر حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن الله تعالى : (يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي ، وانا معه إذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) رواه الشيخان وفي حديث قدسي آخر اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، واذا اتاني يمشي اتيته هرولة) رواه البخاري .

والمسلم يقف امام ربه مقيما الصلاة مناجيا له ، والله سبحانه يصلي هو وملائكته على عباده (**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما**) الاحزاب / ٤٣ والمحبة متبادلة بين الخالق والمخلوقين (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) آل عمران / ٣١ فهو سبحانه

(يحبهم ويحبونه) المائدة / ٥٤ وهو سبحانه راض عنهم وهم عنه راضون **(رضى الله عنهم ورضوا عنه)** التوبة / ١٠٠ .
ومن الطبيعي ان صفات الله من الذكر والصلاة والمحبة والرضوان ، هي رحمات منه متواليات يغدقها على عباده المؤمنين وأن صفات المخلوقين عبادات مرفوعة ، الى الله الجدير بالحب والعبادة والتقديس .
والنتيجة ان يتسامى الانسان من نطاق المادة الى الملأ الأعلى ، فيصبح جديرا بخلافة الله في أرضه وحمل أمانته بين خلقه ، واذا امتلأ قلبه بالايمان ، امتلأ بالسكينة والاطمئنان **(هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)** الفتح / ٤ .
واذا كان أهم مصادر القلق النفسي ، هو الحزن على ما فات أو الخوف مما يباغت به المستقبل فان المؤمن الصادق الايمان لا يأسى على ما فاته من حظوظ الدنيا ، لانه يعرف أن الأمور تجري بالمقادير كما ورد في الحديث الشريف (واعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطأك لم يكن ليصيبك) رواه الترمذي واحمد والحاكم ، وفي رواية ، زيادة « واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف ، رواه الترمذي .
وهذا مصداق لقوله تعالى : **(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير.لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)** الحديد ٢٢ / ٢٣ . والمسلم يعلم انه اذا تعرض لمصاب فقابله بالصبر ، رفعه الله به درجات وكفر به عنه كثيرا من السيئات ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم **(ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها ، الا حط الله تعالى له به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)** رواه الشيخان وقال صلوات الله وسلامه عليه (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة) رواه مسلم وليست الشدائد مقصورة على بعض الناس دون بعض ، ولم ينج منها الأنبياء بل هم اشد الناس تعرضا للبلاء ليكونوا في صبرهم احسن قدوة للمقتدين وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم (اشد الناس بلاء : الانبياء ، ثم الأمثل فالامثل : يبتلي الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) رواه البخاري والمؤمن في ثقته بربه يعلم : ان مع العسر يسرا وان لكل ضيق فرجا وان الله مع الصابرين وان العاقبة للمتقين **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** الطلاق / ٢ ، ٣ **(ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا)** الطلاق / ٤ . وان الله اذا اختبر عبده انعم عليه ، وان نعمه عليه متوالية من قبل ومن بعد **(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ابراهيم / ٣٤ وهو حينما يمتلىء قلبه بهذه المعاني ، لا يستطيع ان ينفذ اليه الخوف او الحزن **(ألا إن**

أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يونس / ٦٢ فيفيض قلبه بالسكينة والأمان والاطمئنان ، فيحيا راضيا عن ربه مرضيا عنه منه **(يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية)** الفجر / ٢٧ و ٢٨ ، والقرآن الكريم يقرر في حزم ان المؤمنين يتلقون نصيبا من الثواب في الدنيا كما يتلقون الثواب الاكبر الدائم في الاخرة .

(لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) النحل /٤١ والملائكة موالون لهم في الدنيا والآخرة **(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)** فصلت/ ٣١ صادرة من الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة **(لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) يونس/ ٦٤ أما الكفار فلهم عذاب عاجل في الدنيا وآجل في الاخرة (لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون)** فصلت/ ١٦ **(لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** البقرة/ ١١٤ .

فأي هدف سام يتطلع إليه الانسان في الحياة أكبر من الأمان والسكينة ، والاطمئنان في الدنيا والآخرة ، واي محذور يتقيه أخطر من الخزى والهوان فيهما .

وفي هذا بلاغ لأتباع المذهب المادي الذين يسخرون من وجود حياة أخرى للانسان ويرونها وهما من الأوهام ، يخدع به الأمراء والقساوسة ، الغالبية العظمى من الشعوب ليقنعوا بما هم فيه من فقر وشقاء ، وليتركوا نعيم الدنيا للقساوسة والأمراء والاغنياء .

ولهذا هتفوا : بأن « الدين أفيون الشعوب » .

واذا كانت المسيحية تجعل الفقر والزهد في الطيبات مثلا أعلى للمسيحيين ؛ فان الاسلام يحض المسلمين حضا : على الضرب في مناكب الأرض ، والسعي في سبيل الرزق ، والتمتع بطيبات الحياة ، دون إسراف أو كبرياء **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة / ١٠ وقد خاطب الله انبياءه ، بهذا **(يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)** المؤمنون/ ٥١ وأنكر على من حرم الزينة ودعا الى التقشف والحرمان **(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الاعراف/ ٣٢ ومن على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه أغناه بعد إملاق **(ووجدك عائلا فأغنى)** الضحى / ٨ .

وقد أنبأ الله عباده بأنه سخر لهم كل ما في الأرض : كل ما تضمه الأرض من سهول ووديان وبحار ومناجم **(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا)** البقرة / ٢٩ **(وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه)** ابراهيم /٣٢/ ٣٤ وبهذا امتاز الاسلام على غيره من الديانات حيث وازن بين الروح والمادة ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين الدنيا والآخرة **(وكذلك**

جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) البقرة/ ١٤٣ .

ويذهب بعض الفلاسفة الى أن القانون يغني عن الدين ، لأن عقابه سريع لا ينتظر بعثا ولا نشورا ، ولأن عامة الدهماء تخشى العقاب الواقعي العاجل ، ولا تلقي بالا إلى العقاب النفسي ولا العقاب الآجل ، وما دامت عين القانون ساهرة قوية ؛ فان المجتمع يستطيع أن يعيش في أمن وسلام ، دون حاجة إلى دين يحميه .

والحقيقة أن كثيرين يخشون العقاب العاجل ، ويحبون النتيجة العاجلة . وإن كان وراءها شر كثير .

والى هذا أشارت الآية الكريمة(**كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة)** القيامة/ ٢٠ ، ٢١ وفات هؤلاء ، أن الله سبحانه ، يعجل جانبا من الثواب في الدنيا ، كما يعجل جانبا من العقاب فيها كما ذكرنا منذ قليل .

والقانون لا يعاقب الا على ما يظهر ويؤيده الواقع . وكثيرون من المجرمين يرتكبون جرائمهم ويخدعون رجال الامن ورجال القانون ، ويعيثون في الأرض فسادا ، وكثيرون يسترون جرائمهم بالارهاب او بالرشاوي ، فلا يشهد عليهم أحد بهذه الجرائم ، لأنهم يخشون شرهم او يرجون بذلهم ، ولكن الله المطلع على الضمائر (**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)** غافر/ ١٩ فلا تخفي عليه خافية ولا يفلت من عقابه المجرمون (**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير)** آل عمران/ ٢٩ (**وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** البقرة/ ٢٨٤ (**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)** البقرة/ ٢٣٥ .

والقانون يعاقب ولكنه لا يكافئ . ومن الناس من تخيفه العقوبة ، ومنهم من تجذبه المثوبة بل إن الفرد الواحد يتجاذبه الخوف والرجاء . والله سبحانه يثيب الطائعين ويعاقب المسيئين (**ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)** الانعام/ ١٦٥ .

وهناك جرائم لا يعاقب عليها القانون مثل الكذب والنفاق ، واكل الربا وشرب المسكرات ، والبخل والجشع ، وكنز الأموال ، ولكن الله يوعد عليها بالعقاب الشديد . لأنها جرائم تلحق أشد الضرر بالأفراد والجماعات .

ومواد القانون قد تكون ظالمة ، وقد تكون قاصرة ، وقد تحمي الطائفية والعصبية المذهبية والعنصرية في كثير من الدول ، وهي مع هذا ، غير ثابتة : تتغير من جيل الى جيل ، ومن مكان الى مكان ، ولكن الشعائر الدينية ثابتة مستقرة : بما تقرره من فضائل وما تحظره من رذائل . وهي قائمة على العدالة المطلقة والموازين القسط (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة / ٧ ، ٨ .

والقانون يمثل سلطان الحاكم ، وربما كان هذا الحاكم ظالما أو بغيضا الى الشعب . وقد يحيطه الشعب بسخطه ويوجه اليه سهام النقد والسخرية ، ومهما

بلغت قوة الحاكم ، فهو محدود السلطة ، محدود العمر ، محدود المعرفة ، محدود الزمان والمكان ، أما الدين ، فيرد الأمور كلها الى حاكم عادل مطلق السلطان : لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يخفى عليه خافية ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، هذا الاله : وسعت رحمته كل شيء **(كتب ربكم على نفسه الرحمة)** الانعام / ٥٤ **(أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)** طه / ٥٠ ، وهو **(الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)** الاعلى/ ٢ ، ٣ وهو ـ سبحانه ـ يشمل عباده بانعامه وإحسانه ، ويغمرهم بعطفه وبره وحنانه **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ابراهيم/ ٣٤ وهو تعالى **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** البقرة / ١٨٥ وهو سبحانه ـ بفضله وكرمه **(غافر الذنب وقابل التوب)** غافر/ ٣ لا يعجل بالعقوبة ولا يسارع بالعذاب **(ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم)** النساء / ١٤٧ .

وحاكم الدولة : قد يجامل ويحابي ، وقد يتحايل ويتعصب ، ولكن الله سبحانه لا يجامل ولا يحابي ، ولا يتحامل ولا يتعصب ، **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الانبياء ٤٧ .

وحاكم الدولة قد يحتجب عن رعيته ، وراء الأسوار داخل نطاق الحراس الأقوياء ، ولكن الله قريب من عباده ، بل هو أقرب اليهم من حبل الوريد . **(وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)** البقرة / ١٨٦ وهو سبحانه ـ يلبي دعوة من دعاه باخلاص وايمان **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)** غافر / ٦٠ فلا يحتاج المؤمن في اتصاله بربه الى شفيع أو وسيط .

ولما كانت الاخلاق والقانون لا يستطيع كلاهما ان يحل محل الدين ؛ في توجيه الأفراد وقيادة الشعوب فقد ظن بعض الباحثين أن تقدم العلوم وازدهارها ، كفيل بجلب السعادة للأفراد والمجتمعات ، بما يحله من مشكلات ، وما يقدمه من وسائل للترفيه والراحة ، والتمتع بلذات الحياة ، وزعموا أن العالم كان في بدء نشأته يحتاج الى الدين ، كما يحتاج الطفل الى المربي : يأخذه برفق ، ويوجهه بحزم . أما الآن فقد استطاع العلم أن يقرب الأبعاد ، ويلغي المسافات ويحمل الانسان : فوق الهواء ، وتحت الماء ، وعلى غمار الامواج ، وان يقتحم به الفضاء ويصل به إلى القمر ، ويتهيأ للوصول به إلى الكواكب الاخرى عن قريب ، وبهذا يصبح سيد الكون ، فلا حاجة به إلى سيادة سواه من آلهة وأرباب .

وفي هذا يقول اوجست كومت إن العقل مر بحالات ثلاث : حالة لا هوتية « دينية » ثم حالة ميتافيزيقية (تجريدية) ثم حالة واقعية ، ففي الحالة اللاهوتية ، يبحث العقل عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها ، فيخلع على الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الانسان ، ثم قاده ذلك إلى تعدد الآلهة ، ثم إلى التوحيد .

أما في الحالة الثانية الميتافيزيقية التجريدية ـ ففيها يرمي العقل إلى استكناه

صميم الأشياء وأصلها ومصيرها ويستبدل بالعلل الغارقة عللا ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء مثل : القوى الفاعلية ، الجوهر ، الماهية ، النفس ، الحرية ، الغاية .. ويقوده هذا إلى الاعتقاد بقوى تتعدد بتعدد الظواهر مثل : القوة الكيميائية ، والقوة الحيوية .. ثم إلى إرجاع القوى العديدة الى قوة أولية ، هي « الطبيعة » وتبلغ هذه الحالة أوجها في مذهب « وحدة الوجود » الذي يجمع جميع القوى الميتافيزيقية في « الطبيعة » .

وأما الحالة الثالثة وهي الواقعية فان العقل يكف فيها عن التطلع الى الحصول على معارف مطلقة ويقصر همه على تعرف الظواهر الطبيعية واستكشاف قوانينها ، وترتيب القوانين فيها من الخاص الى العام ، ، وهنا ، تحل الملاحظة محل الخيال والاستدلال ، فيكون العلم محاولا الاجابة عن السؤال« كيف » ؟ « لا الاجابة عن السؤال » لم ؟ » وهذه الطريقة هي التي أفلحت في تكوين العلم وتقدمه . ويجب أن يحل العلم الذي تولد عنها ، محل الفلسفة ، ثم يذهب إلى أن هذه الحالات الثلاث ، تتوالى في الانسان ، فهو في طفولته ــ لا هوتي ، وفي شبابه ــ ميتافزيقي ، وفي نضجه ــ واقعي .

وبهذا حصر دائرة المعارف الانسانية ، في نطاق التجارب المادية الواقعية ، وعاق الانسانية عن التطلع الى القوى السامية المسيطرة على الكائنات والموجهة لها ، والتي تتجلى آثارها في الذرة كما تتجلى في المجرة ، والتي تجذب البشرية إلى المثل السامية والآفاق العليا للاتصال بالحق والخير والجمال ، فليست الحياة مقصورة على واقعها المادي ، فهناك طاقات عرفنا بعضها وجهلنا معظمها . وما علمناه لا يجاوز قطرة ماء بالنسبة إلى المحيطات ، وما دامت هذه الطاقات قوى باقية مسيطرة : تحركها قوة عظمى : تنسقها تنسيقا دقيقا ، فان الدين باق ، وإن جادل في هذا المجادلون .

وفي هذا يقول الدكتور ماكس نوردو : إن الاحساس الديني أصيل في الطبيعة البشرية : يجده الانسان غير المتمدين كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا ، وستبقى الديانات ما بقيت الانسانية ، وستتطور بتطورها ، وستتجاوب دائما على درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة .

على أن العلم لا يتناول الظواهر المحسوسة جميعها ، بل يقف حائرا أمام مشكلاتها جميعا .

والى هذا أشار القرآن الكريم ، في دقة بالغة الروعة (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ فهم لا يعلمون جميع الظواهر ، وإنما يعلمون ظاهرا ، ساقه القرآن منكرا للدلالة على ضآلته . ثم كرر الضمير (هم) : (**وهم عن الآخرة هم غافلون**) لابراز ضآلتهم ، على الرغم مما يتبجحون به من ادعاءات . .. وقرر هذا في آيات عديدة ، منها قوله تعالى : (**وما يتبع اكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا**) يونس/٣٦ وسخر من غرور العلماء الماديين فقال : (**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما**

يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يونس/ ٣٩ وهنا ، تقرر الآية الكريمة : أن العلماء ، إن بلغوا مرتبة سامية من التجارب العلمية ، فان معارفهم ستظل محدودة ، وهم لا يحيطون ــ ولن يحيطوا ــ بكل شيء علما ، فالأمانة العلمية تقتضيهم ألا يكذبوا بما لم يصل الى علمهم ، لأن النفس ، يقتضي الاحاطة بكل شيء علما ، وهو ما لا يستطيع ــ ولن يستطيع ــ أن يدعيه أحد من العلماء ،

والآية تقدم الدليل على أن التقدم العلمي : يكشف كل يوم جديدا ، لم يكن معروفا . وأن هذه الكشوف ، ينبغي أن تحمل العلماء على التريث في إصدار الاحكام المطلقة ، ثم فيها إشعار بأن الله سيريهم من آياته الكونية وتأويلها ، ما يردهم إلى الصواب ، حيث تقول (**ولما يأتهم تأويله**) فان أداة الشرط« لما » تشعر بقرب الوقوع ، وهذا مصداق لقوله تعالى (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) فصلت / ٥٣ وقوله تعالى (**وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها**) النمل/ ٩٣ .

كما أن القرآن الكريم ، يدعوهم إلى الاتعاظ بما حدث لمن كان قبلهم ، من الجاحدين المنكرين الذين بادروا بالتكذيب ، ثم كشفت الأحداث جهالتهم وقادتهم إلى سوء المصير (**كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**) .

على أن العلم ، إذا كان قد منح الانسانية رفاهية وتقدما ــ فانه أنزل بها من المصائب والكوارث ، ما حول حياتها إلى شقاء وجحيم وهلاك ، فان الانسان ــ أول ما عرف الذرة واستطاع تفجيرها ــ دمر بها المدن ، وأباد بها في ثوان معدودات مئات الآلاف ، ولا يزال التقدم العلمي يهدد الانسانية بالدمار والخراب ، والقضاء عليها القضاء الأخير ، ما لم ينقذها عاصم من الدين .

والشعوب الراقية علميا الآن ، يتعرض شبابها لألوان من الضياع والتمزق والدمار ، لأن قلوبهم ــ من الدين ــ خواء .

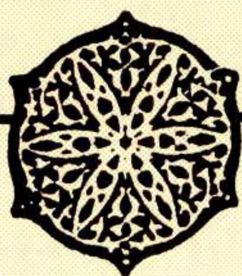
وهناك من المذاهب الحديثة ، ما يدعو إلى الفوضى والانحلال وعبادة الأهواء والشهوات : استجابة لبواعث السخط والتشاؤم ، والتحلل من كل نظام : كالوجودية والفوضوية ، وجماعات الساخطين ، والهيبز والخنافس .. وما يمثلها من جموح كالسريالزم ، والعبث والسخط واللامعقول .. وفي هذا انحدار للبشرية من مرتبة الانسانية الى احط درجات الحيوان وفي هذا يقول القرآن الكريم في استفهام إنكاري تعجيبي (**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله**) الجاثية ٢٣ ويقول جل شأنه (**أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) الفرقان/ ٤٣ ، ٤٤ فهم لا يستجيبون للأدلة المنطقية ، ولا للوحي

السماوي ، وهما يبلغان الأسماع ، وهم ــ مع هذا ــ قد ألغوا عقولهم ، فلا يفكرون . وبهذا انحدروا إلى مرتبة العجماوات ، بل هم أضل سبيلا ، لأن العجماوات تستجيب لغرائزها الفطرية ، التي تقودها إلى ما يحفظ عليها الحياة ، ولكن هؤلاء يدمرون حياتهم تدميرا بانغماسهم في الأهواء والشهوات ، وقطع جميع الروابط البشرية ، واقتراف جميع الرذائل والآثام ، وفي هذا قضاء ــ أي قضاء على الحياة (**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن**) المؤمنون / ٧١ (**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) القصص / ٥٠ .

ولهذا ، كان الدين ضرورة حتمية ، كما كان نزعة فطرية واقعية ، وان جحدها المكابرون ، وحسبنا أن نذكر ما قرره العالم النفسي هنري لنك ، بعد آلاف التجارب ــ من أنه « لا يوجد بديل كامل يحل محل تلك القوة الهائلة ، التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقي الآلهي في قلوب الناس » كما نضيف إليه ما قرره روبرت ملليكان العالم الطبيعي الامريكي » إن أهم أمر في الحياة هو الأيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الايمان سببا للحرب العامة ، واذا لم نجتهد الآن لاكتسابه ولتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية » ويقرر مالبراتش أنه « ما من شئ اذا تأملناه كما ينبغي ، إلا ردنا إلى الله وحينما نجح السوفييت في اطلاق مركبة الفضاء التي حملت جاجارين ، قال العالم السوفيتي المشرف على أبحاث الفضاء : « إننا ــ كلما أمعنا في استكشاف مجاهل الكون ــ ثبت لنا أن نظامه الرائع ــ في دقته ــ يجري وفق قوانين تبلغ ــ في كثرتها واختلاطها ودقتها ــ حدا يستحيل معه أن تكون قد وجدت بشكل جزافي ، أو لعبت فيه الصدفة دورها ، بل لابد من أن يكون قد خلق كل هذا ، منظم ماهر !؟ فهو يعلن هذا ، على الرغم من سيطرة المادية الالحادية في روسيا سيطرة ترعاها الدولة ويكفلها القانون ..

وقد أهاب الدكتور ولسن ، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة . بالشعب الأمريكي أن يعود إلى الدين قبل فوات الأوان قائلا : « إن حضارتنا أن لم تنقذ بالمعنويات ــ فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وإنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها . وذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا السياسية ، وأصحاب رؤس أموالنا ، وكل فرد خائف من الله ، محب لبلده .

ونحن نعلم أن فولتير ، ملحد شن حربا عنيفة على الدين ، وبخاصة المسيحية ، ولكنه حينما يتصور العالم بغير دين يرتاع قائلا » إذا لم يكن الله موجودا فينبغي أن نخترعه » وقد أعلن المارشال مونتجمري القائد العظيم ، الذي غير مجرى الحرب العالمية الثانية أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله ، سار على غير هدى . وأن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش ، أعظم من خطر العدو ، ولذلك لا نستطيع أن ننتصر في معركة ، إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شئ ..



في قضية الاقتباس من الغرب

محمد مؤذن

للأستاذ : أنور الجندي

ما يزال الفكر الغربي يطرح في آفاق الفكر الاسلامي سموما زاعقة ، وشبهات خطيرة ، ومفاهيم ضالة ، ويرجع فساد الفكر الغربي إلى أن الغربيين بعد أن عزلوا الدين حكموا العقل في ناحية ما وراء الطبيعة والضمير في ناحية الأخلاق .

ويخطىء العقل لأنه يختلف من إنسان لآخر ، ومن بيئة إلى أخرى ، ومن زمن إلى زمن ، ومن مكان لآخر ، ومن ثقافة لأخرى ، كذلك فان الاعتداد بالضمير خطأ ، لأنه يوحي بايحاءات مختلفة ، فالضمير ليس إلا أثرا للبيئة والثقافة والوسط الذي يعيش فيه ، ليس الضمير معصوما قط ، وإنها لفكرة خرافية أن يكون الضمير معصوما ، وإذا تخلص الضمير من سيطرة الدين فانه قد يوحي بالفساد ، وإذا كانت البيئة أوروبية فالضمير أوروبي ، وإذا كانت البيئة شرقية فالضمير شرقي ، ومن الواضح أن ضمير الأوروبيين لا يؤنبهم قط على سفك الدماء الذي يستبيحونه في كل قطر يسيطرون عليه ، بل هو يبيح السفك والتنكيل والاستعمار ، وليس هناك شيء ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير ، وليس هناك قضايا يتفق عليها فيما وراء الطبيعة .

ومن أخطائهم دعوى رجال العلم بأن الانسان له حريته واستقلاله وخلوده ، وكان ذلك رد فعل لموقف الكنيسة ، كذلك كانت دعوة « سارتر » إلى حرية الفرد هي رد فعل الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا ، إنهم يحولون بين البشرية والوصول إلى مفهوم الاسلام ، ويوجهونه إلى مفهوم العلمانية وهدم الدين .

ـ كذلك فان هناك فساد فكرة التطور في الدين والأخلاق ويعني مفهوم التطور في الفكر أنه ليس هناك قضية ثابتة وأن جميع القضايا الفكرية متطورة ومتغيرة ، وأن هذا التطور قد لا ينتهي عند حد ، وإذن فهناك النسبية باستمرار ، هناك النسبية المطلقة ، وهناك أيضا الخطأ المستمر ، وما دام هناك قول بالنسبية والتطور فليس هناك ثبات ، وإذن لا يكون هناك ثبات في الدين ، ولا يكون هناك ثبات في الأخلاق .

ومن أكبر أخطائهم فساد ادخال فكرة التطور في الدين ، فاذا فهمت فكرة التطور على حقيقتها ، وفكرة الدين على حقيقته ، فليس هناك مناص من الاقرار بأن الدين الحق لا يدخله التطور ذلك أن التطور الفكري هو تغيير من حال إلى حال ، وهو تغيير مستمر دائم ، ولا ريب أن الحقائق الدينية ثابتة ، لا تتغير بتغير الأهواء والعواطف .

– إن جذور الفكر الغربي المعاصر (ماركسي ووثني وليبرالي) هي صلب المسيح ، وتأليه الانسان ، والرهبانية ، والربا ، وعبادة الذهب ، ونظرية الأبوة ، وسقوط الغيرة إزاء المرأة ، وسقوط الرحمة إزاء الآباء والأسرة ، والتثليث ، وإنكار الآخرة والبعث ، وعبادة الأجساد ، وكل هذه المفاهيم تشكل النظريات الخاصة بالاجتماع والسياسة ، والثقافة والتربية والاقتصاد ، ومن هنا كانت الفوارق العميقة بين أصول وقيم ومقومات الفكر الاسلامي وأصول وقيم ومقومات الفكر الغربي ، وأبرز هذه المقومات أن الثقافة الاسلامية لم تعرف ذلك الانفصام الذي عرفته الثقافة الأوروبية بين الفلسفة والدين ، حيث لا يوجد في الاسلام انفصام بين العلم والدين ، أو بين الدين والمجتمع ، أو بين الدنيا والآخرة .

ومن هنا تأتي قضية الاقتباس : وهي قضية هامة وخطيرة بالنسبة للفكر الاسلامي المعرض اليوم لتحديات الفكر العالمي (الوثني والمادي والماركسي) والحقيقة الأولى في مجال الاقتباس أنه يؤدي إلى نقل النواقص التي يشكو منها أهل الفكر المنقول منه ، وهذه النواقص عندما تنقل الى بيئة أخرى قد تصبح أشد خطرا بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

والحقيقة الثانية : أن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على الأصالة الاسلامية ، فاذا كان عاملا على القضاء على الذاتية الخاصة فانه مرفوض تماما .

– ولا ريب أن الحلول الوافدة قد جنت على أمتنا الاسلامية جناية كبرى ، حتى قيل : إنها بمثابة قتل الشعوب بغير إطلاق الرصاص ، وتتمثل هذه الحلول في الدعوات المسمومة إلى الاقلية والقومية العرقية والليبرالية والديمقراطية والماركسية ، ولدى المسلمين مناهج أكثر أصالة وأقدر على حفظ العطاء ، وعلى بقاء الأخوة الاسلامية الجامعة .

ولا ريب كم تكون النظرة ناقصة وغير قادرة على الاحاطة وعاجزة عن استيعاب الأمور عندما تكون قومية أو وطنية اقليمية ، أو عندما تكون أدبية ، ذلك أنها تكون جزئية وناقصة .

إن علينا تأصيل القيم العليا التي ورثناها عن الدين الحق ، والتي هي اساس وجودنا ، وإن أخطر الأخطار هي حجب الثقافة الاسلامية عن طابعها الأصيل المميز لها ، أو عزل الثقافة والفكر الاسلامي المعاصر عن جذوره وامتداداته منذ نزول القرآن ، وأخطر من ذلك الدعوة إلى ما يسمى ثقافة عربية حديثة مرتبطة بالفكر الغربي مع تجاهل كل ما يتصل بتاريخ أربعة عشر قرنا

ومن ذلك خطر التخيير الغربي للمسلمين بين الاسلام والعلمانية ، أو القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية

والاجتماعية التي يواجهها العرب والمسلمون ، ولا ريب أن العلمانية التي يدعون إليها هي فراغ ، والفراغ لا يمكن أن يحمي المنطقة من الأخطار ، وأن الاسلام هو الحل الوحيد الذي يحمي الأقطار العربية ، لقد حمى الاسلام الأقطار العربية في الماضي ، وسيحميها في المستقبل ، فالاسلام هو السلاح الوحيد .

ـ إن الاسلام لم يحذر من شيء قدر تحذيره من التبعية والتقليد ، إيمانا بأن الاسلام له منهجه الأصيل ، ونظرته الواضحة ، لكل أمر من أمور العيش والحياة ، وثبات الشخصية والقيم في الاسلام لا يحول مطلقا دون تلقي أحدث معطيات العلم والفكر والمعرفة ، واستيعابها ، والترقي بها في مختلف مجالات النهضة ، والتقدم والحضارة ، ولقد كان المسلمون في مختلف العصور حتى في أشد العصور ضعفا وتخلفا ـ قائمين بالحق في وجه محاولة احتوائهم أو صهرهم في بوتقة الأممية ، وكانوا في أسوأ عهود الاحتلال العسكري والاستعمار السياسي غاية في اليقظة تجاه محاولة صهرهم في بوتقة الغرب ، وأخشى أن يكونوا بعد أن تحرروا من النفوذ العسكري والسياسي ، قد دخل عليهم إحساس خادع بالأمن بينما يدعونا الاسلام ونحن في أشد حالات القوة إلى الحذر الدائم ، والمرابطة في الثغور ، وهناك صيحة تحذير عامة صدرت من كثير من الناصحين تشير إلى أننا نفقد اصالتنا تدريجيا ، ونتنازل عن الصفات المميزة لنا يوما بعد يوم ، نتيجة غزو أسلوب العيش الغربي لنا ، وسيطرة قيم وافدة على مفاهيمنا وسلوكنا .

ـ إن قضية الاقتباس قضية مثارة ، ولكن لها محانيرها ، فانها قد تؤدي إلى نقل النواقص التي يشكو منها ، ويسعى لازالتها المفكرون في البلاد التي أنشأت ذلك النظام ، وهذه النقائص ، عندما تنتقل إلى بيئة جديدة قد تصبح أشد ضرراً بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

إن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على أصالتنا ، ولا ريب أن المنهج العلمي الغربي تشادله كل يوم قداسة جديدة ، وبطولة زائفة ، ذلك لأننا وجدناه في أيدي الباحثين ، وخاصة المستشرقين والمبشرين ، يقوم على الهوى والتعصب ، ويحمل طابع استعلاء الغربيين بالجنس الأبيض وبالحضارة ، ويحمل طابع الانتقاص من حضارة الاسلام ، صاحبة الفضل الأكبر على الحضارة الحديثة ، ولا ريب أن المنهج العلمي الصحيح هو الذي قدمه الاسلام ، وكل منهج يدعي العلمية ، ولا يقوم على ضبط النفس ، والاخاء البشري ، والسماحة ، هو منهج زائف . ولقد واجهت المناهج والأيديولوجيات الغربية هزائم متوالية في التطبيق ، لأنها (١) عارضت الفطرة (٢) صانعت الأهواء والظنون (٣) لأنها لبشريتها لم تتمكن من الارتفاع إلى آفاق الايجابية والموالاة مع تحولات الزمن والبيئات ، ولا يقدر على ذلك إلا المنهج الرباني .



مؤمنون حقا

أرسل لنا الأخ الطبيب زكريا عبدالستار المزين من مصر رسالة نقتطف منها مايلي :

من النماذج القرآنية في كتاب الله نذكر منها :ـ

(أ) نموذج الفتى الشاكر في شخصية سليمان الذي قال عندما سمع كلام النملة وفهم عنها: « ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه » كما قال عندما احضر له عرش بلقيس: « **هذا** من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم » .

(ب) نموذج الحاكم او الملك العادل الذي لم يلهه ملكه عن عبادة ربه ، ورعاية شعبه ، في شخصية ذى القرنين الذي بلغ مطلع الشمس ومغربها ولكنه ظل متمسكا بالعدل : يكافيء المحسن ويعاقب المسيء ويقاوم المفسدين في الأرض ، ويقيم التحصينات والسدود مستعينا بالله اولا ثم بجهد الشعوب اخرا .

(جـ) نموذج المبتلى الصابر والمصابر والمستعيذ بالله والراضي بالقضاء ، وراغب الشفاء والذي دعا رب العباد رافعا رأسه لرب السماء في شخصية ايوب: « إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » .

(د) نموذج الشاب الذي سجدت له دائرة الفلك الكونية ولم يعرف احد اسرارها ومدى تأثيرها في شخصية يوسف: « إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

(هـ) نموذج الشاب المفوض أمره لله ، والصابر لطاعة الله حتى قدم رقبته قربانا لله في شخصية الذبيح اسماعيل بن ابراهيم حيث قال له ابوه: « يابني إني أرى في المنام أَنيّ أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » .

(و) نموذج المؤمن الذي يكتم ايمانه لمصلحة ، فاذا جاء وقت الحاجة برز بايمانه ، يدافع عن الحق ويقاوم الباطل ويحاول بالحكمة ويؤثر بالموعظة ويدعو على بصيرة . في شخصية مؤمن آل فرعون .

(ز) نموذج الداعية صاحب الرسالة يحكم عليه بالسجن ظلما ـ فينتهز كل

فرصة لدعوة السجناء الى توحيد الله واطراح الوثنية المحرفة في شخصية يوسف ابن يعقوب: « ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » .
(ح) نموذج الابن المؤمن مخاطبا اباه قائلا له ماذا تلتمسه من عبادة الأصنام وكيف يتلطف معه في الدعوة وتبليغ الرسالة الالهية في شخصية ابراهيم وابيه: « إذ قال لابيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا » .
(ى) نموذج المرآة المؤمنة وذلك يطالعنا قرآننا الكريم: « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » وفي شخصية آسيا امرأة فرعون وزوجها الطاغية الجبار الذي: « فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى » وخديجة بنت خويلد حيث يجد الانسان الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا في كل شيء .
(ل) نموذج لصاحب أشهر واعجب عصا في التاريخ والتي اذهلت الخلق عندما القى موسى عصاه: « وما تلك بيمينك ياموسى . قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى . قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ونموذج آخر لصاحب السفينة التي حملت من الخيرات والأنعام وفيها ما تشتهى كل نفس وما تنظر له كل عين من نفحات وعبادات: « قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .
(ص) نموذج الأمة التي لا تحترم نعمة الله ولا ترعاها ، ولا تقوم بحق شكرها ، فيسلبها الله منها ويسخط عليها ، وينأى بها عن سبيل الفضيلة ، ويوقعها في الهاوية: « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين نواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » ؟
(ن) ونموذج للاخلاق الفاضلة الحميدة الطيبة ونقتدي بها جميعا ، ونسير على خطوها ، ونرتكز على عقيدتها: « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نورا وهدى للعالمين فكانت أخلاقه قرآننا القويم ، بقوة اليقين في شخصه وروعة الايمان في نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاق الاسلام: « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا إساءتهم » وعنه قال لابن عباس: « ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف » هذه أخلاق رسول الله ، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق » وقال الله له « وإنك لعلى خلق عظيم » .



بريد الوعي الاسلامي

الحجاب امر به الرسول

تسأل اخت مسلمة هل لها من مخرج فهي متدينة متمسكة بالحجاب ولكنها تحارب ويمنعها أهلها من ارتدائه ويقرون إظهار زينتها ولا حرج عندهم في ذلك ؟..

نقول لها لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فمهما كانت صلة من يمنعك من لبس الحجاب فليس له الحق في ذلك .

فالحجاب امر به الله سبحانه وتعالى وشدد فيه فقال : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن . » الى آخر الآية الكريمة فقد تبين انها تنص صراحة على التزام الحجاب وهو ستر زينة المرأة فمن الافعال التي تلعن عليها المرأة اظهار الزينة ولقد بالغ الاسلام في التحذير من التبرج الى درجة انه قرنه بالشرك والزنى والسرقة وغيرها من المحرمات وذلك حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم النساء ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال « جاءت اميمة بنت رقيقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الاسلام فقال ابايعك على ان لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الاولى » والتبرج هو إظهار الزينة .

وفي الحث على ذلك ايضا جاءت الاية الكريمة يقول الله سبحانه « يأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

والقرآن الكريم يخاطب اولياء الامور يقول الله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا . وقودها الناس والحجارة » .

والحديث الشريف يؤكد ذلك « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... » الى آخر الحديث الشريف .

وعن عاصم الاحول قال .

« كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة »

فالزوج اذا رضي لزوجته عدم الحجاب وإبداء الزينة تلحقه لعنة الله لانه مأمور بتقويمها ونهيها عن المعصية وكذلك الوالد مأمور بتنشئة ابنائه على الطاعة ، والتبرج لا شك انه معصية .

فاستعيني بالله وتمسكي بما امر الله حتى تكوني محل رضاه ، وثقي ان الله لن يتركك وحدك لانك قد التجأت اليه ولن يضيعك ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

ونطلب لاهلك وذويك الهداية الى الصواب وان يكونوا عند حسن الظن ويحافظوا على نعمة الله فيك ويصونوهاعن الاعين الضالة وما اكثر اصحابها .

وعليك الطاعة لهم وعدم الايذاء فقد اوصى الله بهم خيرا وامر بالاحسان اليهم لكن في غير معصية ، وكوني رفيقة بهم .

كلمات لها معان

وردا على سؤال حول كلمة « امة » فان الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة فمن معاني كلمة امة في القرآن الكريم نقول :

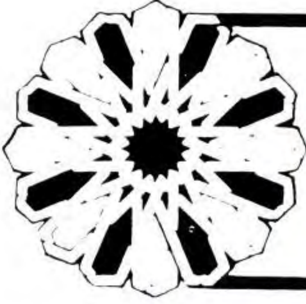
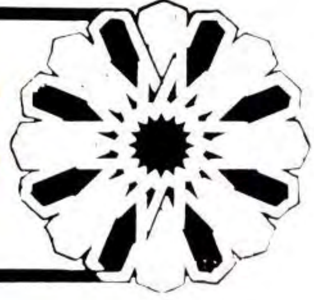
تطلق كلمة امة ويراد بها الدين يقول الله سبحانه وتعالى « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » .

وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى « ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون » .

وقول الله سبحانه « ولقد بعثنا في كل امة رسولا » . وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون » اي بعد حين على اصح القولين .

وهكذا فانك تجد الفاظا كثيرة تؤدي معاني مختلفة وتلك صفة الكثير من الكلمات العربية .

مع صحافة العالم

صدور الجزء الاول من الموسوعة الفقهية

الموسوعة بكاملها ستضم ٥ آلاف مصطلح وتصدر خلال ١٠ سنوات

كتبت جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨٠/١١/١٤ عن الموسوعة الفقهية تقول :

اصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت « الجزء الاول من الموسوعة الفقهية » الذي يشتمل على قسم كبير من حرف « الالف » بدءا من مصطلح « ائمة » حتى مصطلح « اجزاء » .

والاجزاء الاخرى مازالت قيد الاعداد والطبع ، حيث تتناول بسط الاتجاهات المختلفة في الفقه الاسلامي موزعة على نظريات رئيسية ومواضيع فرعية مرتبة ترتيبا أبجديا .

الجزء الاول ، وقد عرض في معرض الكتاب السادس ضمن جناح الوزارة ويتكون من نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير .

والموسوعة الفقهية من اهم مشروعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، لانها ستكون مرجعا ليس للكويت والامة العربية فحسب بل للامة الاسلامية ككل .

مراحل العمل

وقد بدأ العمل بها منذ عام ١٩٦٧ ، وجرى خلالها وفق خطوات متوالية اهمها :

● استخراج المصطلحات الفقهية الشاملة (رؤوس المسائل وعناوين الابحاث) ..

● دراسة المصطلحات ومدى صلتها بالفقه ، وفرزها بحسب حاجتها للبيان ما بين بحوث كبيرة او صغيرة ، او فرعية بحيث لا يترك مصطلح دون دراسة وافية او موجزة او دلالة للموطن المناسب لبحثه . وهذه هي الميزة الاساسية للموسوعة .

● تخطيط كل مصطلح بصورة اجمالية ثم تفصيلية ، ودراسة اللجنة العلمية لتلك المخطوطات لضمان التتنسيق والشمول .

● كتابة البحوث الأصلية داخليا من قبل الخبراء او خارجيا من قبل الفقهاء المستكتبين بالمراسلة وكتابة المصطلحات الصغيرة والفرعية داخليا من قبل الباحثين .

● مراجعة كل ما يكتب مرتين : خارجيا من الفقهاء المختصين ، ثم داخليا من اللجنة العلمية ، مع تدارك الثغرات .

٥ الاف مصطلح

والموسوعة ، التي قد يستمر العمل فيها حتى نهاية الثمانينات ، يتوقع ان تضم نحو خمسة الاف مصطلح ، وان تصدر في نحو ثلاثين جزءا على دفعات ، اشباعا لرغبة طالبي العلم والمعرفة وتمكينهم من متابعة خطوات انجـاز الموسوعة ، والافادة منها ، وتلبية للحاجة الماسة لسد الفراغ بالنسبة لاخراج الفقه الاسلامي في صورة موسوعية تواكب متطلبات العصر من حيث الشكل ، مع الحفاظ على جوهره المستمد من الكتاب والسنة من حيث المضمون .

وهذا العمل يشرف على اعداده نحو ١٥ خبيرا وباحثا ومساعدا علميا من علماء المسلمين من شتى الاقطار سواء من تيسر تفرغهم او بالتعاون الخارجي . وتعتمد الموسوعة على المذاهب الاربعة حيث اختيرت طريقة العرض حسب الاتجاهات الفقهية ، وتأتي المذاهب تباعا وبذلك تمثل جميع الاراء الفقهية .

اما بالنسبة للاجتهادات الحديثة والمعاصرة فانها تؤخذ بعين الاعتبار ويستفاد منها في الملحق المخصص للمسائل المستحدثة .

وهذا العمل الذي ستجري ترجمته الى عدد من اللغات الحية المنتشرة في البلدان الاسلامية غير الناطقة بالعربية ، ستكون له فائدة علمية كبيرة للباحثين ، والدراسات الاسلامية بشكل عام ، كما انه سيكون عونا لاية دولة اسلامية تسعى لوضع دستورها وقوانينها وفقا للشريعة الاسلامية ، حيث ستتضمن الموسوعة من المادة الفقهية ما يصلح لاستخلاص الاسس الاسلامية الصحيحة لذلك .

المشاريع المشابهة

ولا توجد في العالم الاسلامي سوى مشروعات قليلة شبيهة للموسوعة ، اذ لا يوجد رسميا حاليا سوى مشروعين مشابهين : اولهما في سوريا بكلية الشريعة حيث انطلقت فكرة الموسوعة وهي الان شبه مجمدة ، والثاني : موسوعة المجلس الاعلى بمصر ومضت عليها ١٨ سنة ابتداء من ١٩٦١ ، وينتظر ان تبلغ اجزاؤها ١٠٠ جزء اصدر منها ١٥ جزءا فقط . والاختلاف بين الطرائق المتبعة في كل من هذه المشاريع يسهم في خدمة الفقة الاسلامي بصور متعددة . وهناك تعاون قائم بين المشاريع على مستوى الجهات والافراد .

محكمة العدل الاسلامية

وصفت صحيفة « ناواي وقت » الباكستانية المحافظة امس دعوة امير البلاد لايجاد محكمة عدل اسلامية ، بأنه اقتراح ايجابي ومهم .

« وقالت انه اذا ما تحقق ذلك رسميا ، فان من شأن محكمة كهذه ان تساعد في التغلب في الوقت المناسب ، على النزاعات التي قد تنشأ بين دول اسلامية واستئصال كافة الحروب ، كما هو الحال في الحرب العراقية الايرانية .

واضافت ناواي وقت ، في مقال لها بعنوان « محكمة العدل الاسلامية » ان انقسام الدول الاسلامية وتصنيفها وفق معطيات شتى ، كأن تكون دولا عربية او غير عربية تقدمية او رجعية مؤيدة لموسكو او للغرب ، ليس بالعقبة العادية ، ويمكن لمحكمة كهذه ، فقط ان تكون فاعلة وتتمتع بثقة كل دولة اسلامية ، وتقبل قراراتها دون ادنى تحفظ .

وقالت ان تنفيذ اقتراح سمو امير البلاد ، يتطلب عملا صعبا وبراعة سياسية وحذرا ، لكن اقتراح انشاء محكمة عدل اسلامية لا يمكن وصفه بانه خطوة غير عملية ، وذلك بعد تأسيس فروع المؤتمر الاسلامي ، مثل بنك التنمية الاسلامي .

الاسلام حقيقة كونية

نشرت مجلة النور المغربية في عددها رقم ١٠٩ بتاريخ اكتوبر ١٩٨٠ كلمة حول هذا العنوان جاء فيها :

حينما نقول : ان الاسلام دين الفطرة ، نقصد بذلك انه حقيقة كونية تؤلف منهجا ربانيا يتساوق وطبيعة الانسان في كل زمان ومكان ، يلبي اشواقها الروحية والمادية في حالة استوائها ، ويسارع الى تقديم العلاج لها في حالة انحرافها ، لذلك لا يجد الانسان حين تنفتح بصائره الا هذا الدين القيم خلاصا له من كل تمزق ، ومن كل قلق ، ومن كل كبد ،

لاجل ذلك تتوارد علينا الاخبار في مطلع كل شمس ، عن اهتداء الشباب والشابات في فرنسا وانجلترا واليابان واسبانيا ، وفي طول الارض وعرضها ،

كل هذا يؤكد ان الاسلام بما يحتويه من توازن في النظرة الى الكون والانسان والحياة ، وبما له من منهج رباني فذ يشمل كل جوانب الحياة ،

وان حركة الاهتداء الى البديل الاسلامي في اسبانيا لتبشر بالخير كل الخير . وان اقامة صلاة عيد الاضحى بقرطبة من طرف مسلمي ومسلمات اسبانيا بمشاركة اخوانهم المسلمين من اقطار العالم الاسلامي له دلالة عظيمة تذكر بمجد الاسلام في عاصمة الاسلام ، قرطبة ، التي كانت منارة تجود وتجود ، وتلتف حول اضوائها امم الدنيا بأسرها ، فتنعم بسخائها وجودها (كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز) .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهــذا بيان بالمتعهــدين :

مصــــر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجــلاء .

السودان : الخرطــوم ــ دار التوزيــع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيــا : طرابلس ــ الشركة العامــة للتوزيــع والنشر .

المغــرب : الدار البيضــاء ــ الشركــة الشريفة للتوزيــع .

تونــس : الشركــة التونســية للتوزيــع .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جــدة : مكتبــة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيــة ــ ص.ب : (٧٦)
الطائــف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جــدة
المدينة المنــورة : مكتبــة ومطبعــة ضــياء .

مســقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحريــن : دار الهلال .

قطــر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحــة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبــي : مكتبة دبــي .

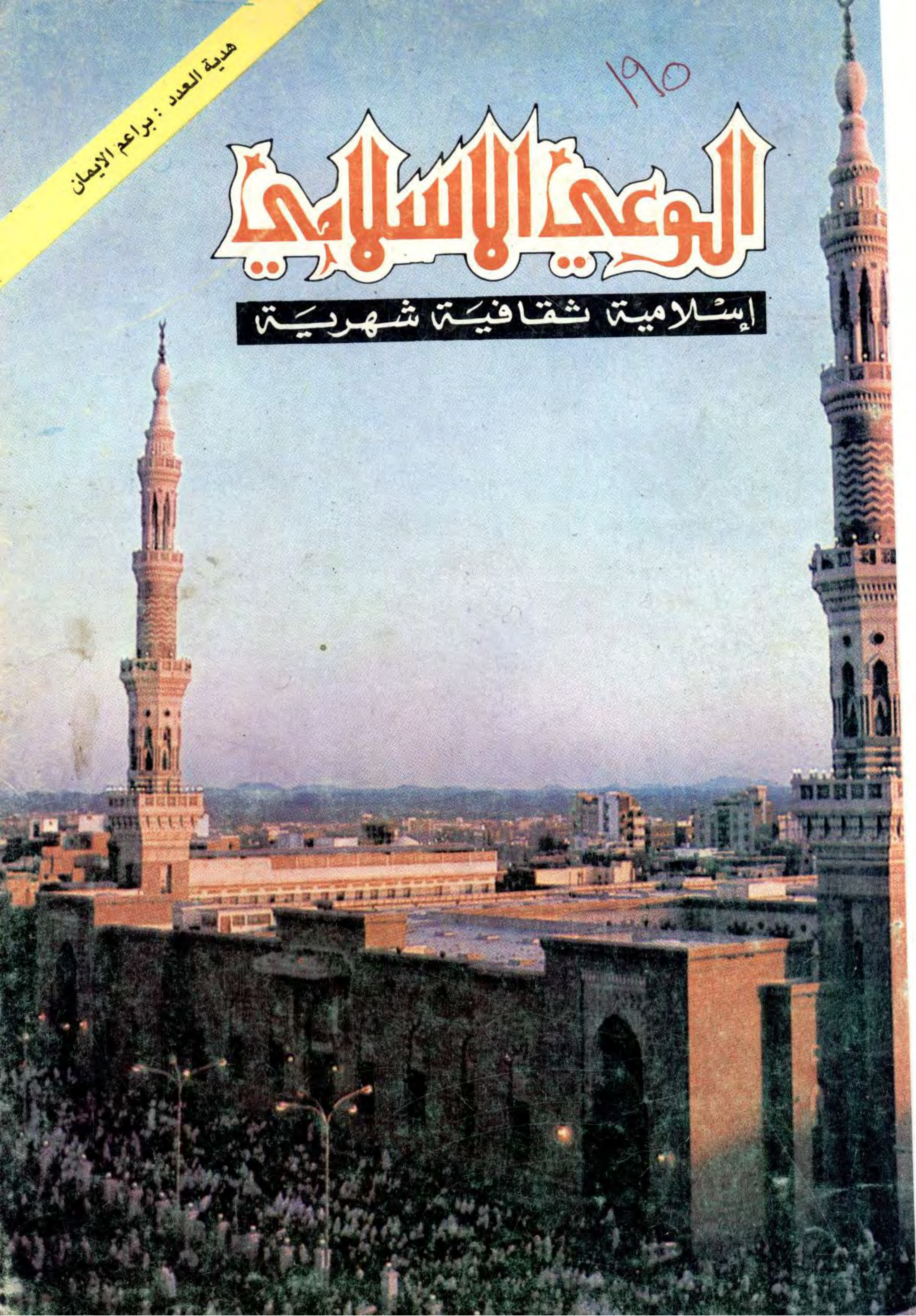
الكويــت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مــن الأعداد السابقة من المجلة .

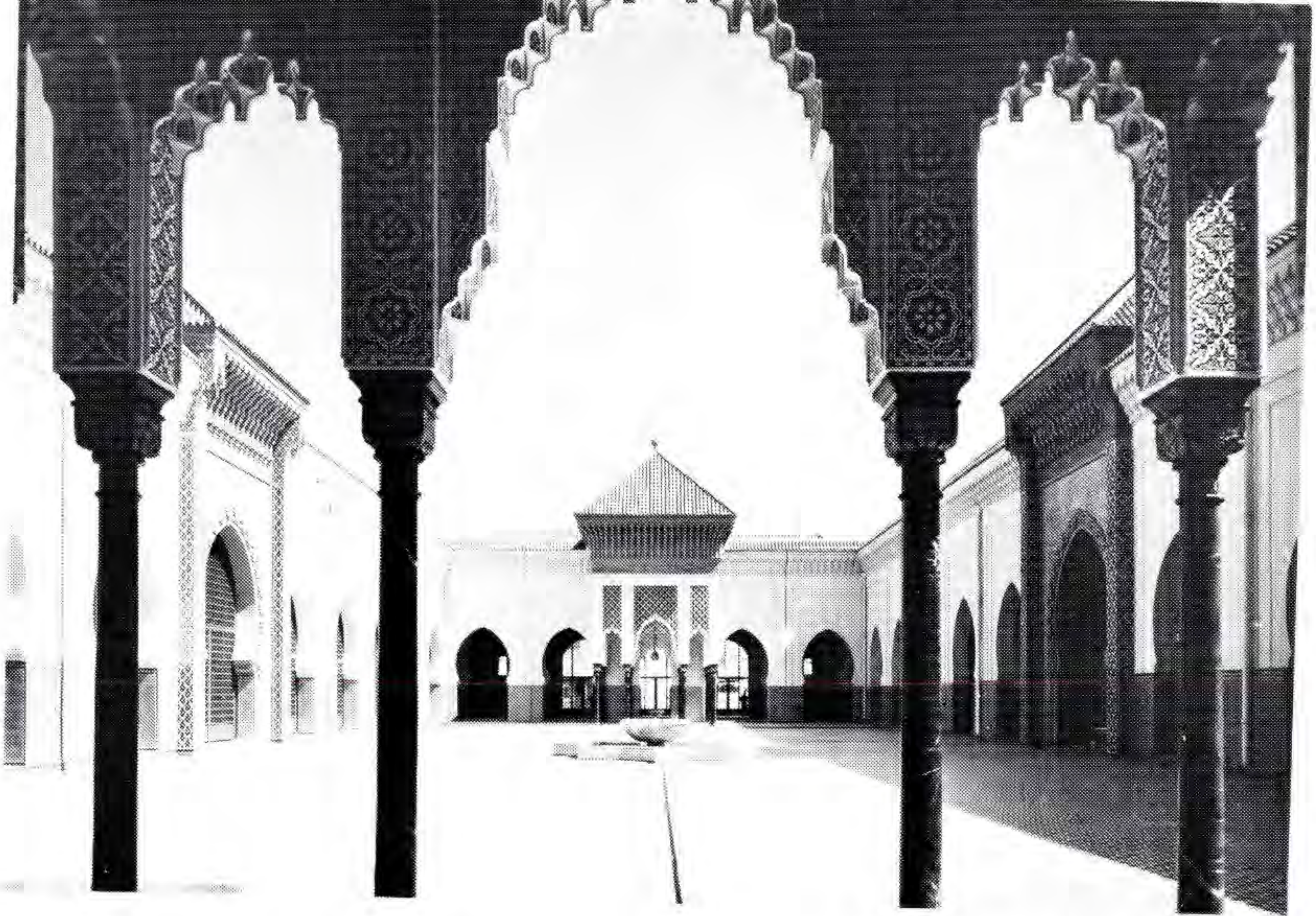
إقرأ في هذا العدد

صورة الغـلاف : من المساجد الأثرية بلاهور ـ باكستان

طباعة مؤسسة ... السياسة ـ الكويت ـ



هدية العدد : براعم الإيمان
١٩٥
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



من روائع فن البناء الاسلامي

المسجد والمعهد الاسلامي بداكار ـ السنغال

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٥ ● ربيع الأول ١٤٠١ هـ ● يناير ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الدولة الاسلامية

الشريعة الاسلامية التي انزلها الله تعالى على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج بها الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى السلوك المستقيم في هذه الحياة ، حملت في كيانها الخصائص التي تحقق هذا الهدف السامي ، فكانت شاملة لكل شئون الحياة ، من عبادات وعقائد واخلاق ومعاملات .. وهذا الشمول يقتضي ان يكون من احكامها وقواعدها ما يتعلق بنظام الحكم في الدولة ، كمبدأ الشورى ، ومسئولية الحاكم واحكام الحرب والسلم ، والمعاهدات والعقوبات .. والدولة الاسلامية هي التي تقوم على تنفيذ هذه المبادئ والاحكام ، بمقتضى ما لديها من قوة وسلطان ، فتقيم المجتمع على العدل والانصاف ، والنظافة والطهر ، والعمل الشريف الجاد .. وفي رحاب هذا المجتمع يسهل على الفرد ان يقيم علاقته مع غيره على تلك المبادئ والاحكام ، لان الانسان كائن اجتماعي ، يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، فان كانت بيئة فساد وضلال ، اتجه الفرد نحو

الفساد والضلال ، وان كانت بي
خير وصلاح ، اتجه الفرد نحو الخ
والصلاح ، ولذلك امر الله تعا
المسلم الذي يوجد في مجتمع لا يتمك
فيه من اقامة دينه ، ان يهجر ه
المجتمع ويتحول عنه الى مجتم
رشيد ، مادام قادرا على هذا اله
والتحول قال تعالى : (**ان الذي**
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قال
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين
الارض قالوا الم تكن ارض ا
واسعة فتهاجروا فيها فأولئ
مأواهم جهنم وساءت مصيرا)

فالدعوة الى الله يتذكر بها او
الالباب ، ويلوي عنقه عنها ارب
الفساد واعوان الباطل ، وهؤ
لايردعهم عن غيهم وينجى المجتمع
شرورهم ، الا القوة الفعالة قوة الد
الاسلامية ، ورضى الله عن عثمان
عفان ، صاحب الحكمة الخالدة «
الله ليزع بالسلطان ما لا ي
بالقرآن » ولما كانت اقامة الدول
الاسلامية امرا تستلزمه طبيع
الشريعة الاسلامية بدأ رسول

صلى الله عليه وسلم بالاعداد لقيام تلك الدولة ، في بيعة العقبة الثانية ، التي تمت قبل الهجرة من مكة الى المدينة ، فقد وفد وفد من مسلمي المدينة ، عددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، على مكان قريب من مكة ، سبق ان واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اللقاء فيه . وفي هذا اللقاء بايع هذا الوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما اشترطه ، وكانت البيعة عقدا صريحا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم على انشاء دولة اسلامية تكون السلطة فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يلتزم المبايعون بالسمع والطاعة لرسول الله فيما يباشره من شئون تلك الدولة ، وان يلتزموا بنصرته والدفاع عنه ، وعن الدولة ونظامها .. لقد تكلم بعض رجال الوفد قائلين : يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان تقولوا لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة .. فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على ما اشترطه من هذه الشروط ــ البداية والنهاية لابن كثير

وعقب تلك البيعة التي خطط بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقامة الدولة الاسلامية ، امر اصحابه الكرام في مكة ان يهاجروا الى المدينة قائلا لهم : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها » وبعد ان هاجر النبي واطمأن في المدينة وبني مسجده ، كتب كتابا بين المهاجرين والانصار يؤكد أواصر الود والمحبة بينهم حتى يكونوا سعداء وقادرين على مواجهة تحديات الاعداء ، وآخى بينهم ، حتى انهم كانوا يتوارثون بهذا الاخاء الى ان نسخ ذلك بأحكام المواريث .. ووادع اليهود المقيمين في المدينة وما حولها وابقاهم على دينهم واموالهم ، وعاهدهم فاشترط عليهم وشرط لهم ، وبهذا قامت اول دولة اسلامية في الارض ، وكان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم اول رئيس لها .. وما معاهدته مع اليهود الا مظهر من مظاهر السلطان السياسي لتلك الدولة .

ومن هذا ندرك ان قيام الدولة الاسلامية التي تؤمن بالاسلام وتعمل بأحكامه ، وتنفذ في الامة تعاليمه ، وتقود الامة في مواطن مكافحة الاعداء ومجاهدتهم ، امر يفرضه الله على المسلمين ، لتستقيم امورهم ، ويعزوا في ارضهم ، وتستقيم على الجادة امورهم ، وفي هذا يقول الحق جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم **(ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين) .**

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

التقليد والمقلدون

وآثاره في الأفراد والجماعات

(١)

من معاني التقليد في اللغة ، المتابعة للغير من غير فكر وتدبر يقال : قلد فلان فلانا ، أي فعل مثل ما يفعل ، دون أن يدرك حقيقة هذا الفعل ، وما ينجم عنه من آثار ، ضارة أو نافعة .

والتقليد غريزة في الكائن الحي ، حيث ينزع الصغير الى تقليد الكبير من بني جنسه ، فيتلقى عنه كل عاداته ، ثم ينقلها بدوره الى الجيل الذي بعده وهكذا ...

وتبدو هذه الغريزة واضحة في الانسان ، وبخاصة في الأطوار الأولى من حياته ، حتى اذا بلغ رشده ، واكتملت شخصيته ، أخذ يستقل شيئا فشيئا

للاستاذ/عبد الكريم الخطيب

بذاته ، مستخدما عقله ومعارفه ، وهذا ما يجعل كل إنسان عالما قائما بذاته ، دون ان ينفصل عن الجماعة في مسيرتها العامة .
يقول ابن خلدون ، في مقدمته :
« فصل في ان المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب في شعاره ، وزيه ، ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده » والسبب في ذلك أن النفس دائما تعتقد الكمال فيمن غلبها ، وانقادت له » .
فالمقلد انما يريد بتقليده لغيره ، أن يلحق به ، أو ينال بعض ما نال هذا الغير مما قصرت عنه يد المقلد له » .

وهذا التقليد إن يكن محمودا في حال ، فانه يكون مذموما في اغلب الاحوال فيحمد اذا احتفظ المقلد بذاتيته ، ودفعه ذلك الى الأخذ بالاسباب التي أخذ بها من قلده حتى بلغ المنزلة التي يريد اللحاق به فيها ... وهذا ما يشير اليه الشاعر في دعوته الى التشبه بعظماء الرجال ، إذ يقول :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح

ولكن حين يكون المقلد مجرد تابع لمن قلده ، لا يدري حقيقة ما يفعل ، ولا يقدر عواقب ما يأتي ، وما يدع من الأمور ، بل يعطل عقله ، ومدركاته جميعا ، ويسلم نفسه ليد من يقوده ولو الى الهلاك ـ حين يكون المقلد على هذه الصورة ، فان التقليد هنا يصبح شؤما وبلاء على صاحبه اولا . وعلى الجماعة التي يعيش معها ثانيا ... اذ لا يعدو أن يكون هذا المقلد شبحا لانسان ، وظلا لآدمي اشبه بالسراب : (**يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا**) سورة النور / ٣٩ ... ثم هو في الوقت نفسه مرض معد ينتقل الى غيره من اهله ومعاشريه ، الأمر الذي من شأنه ان يقتطع اعدادا كثيرة من افراد المجتمع الذين عطلوا ملكاتهم ، وافنوا وجودهم ، فلا يرجى منهم جديد يضاف الى رصيد الجماعة في اي وجه من وجوه الحياة ... فاذا صارت الجماعة الى تلك الحال جمدت الدماء في عروقها ، وتداعت عليها دواعي الضعف والوهن ، واذا هي نهب لأطماع الطامعين من الأقوياء ... والله تعالى يقول : (**ولقد كتبنا في الزبور من**

بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) سورة الأنبياء / ١٠٥ والصالحون من عباد الله ، هم الاقوياء ، عقولا ، وارواحا ، واجسادا ، وهم بهذه القوى المتوازنة يكونون اقدر الناس على عمارة الأرض ، واستخراج ما فيها من خيرات ، بحكمة ووضع للأمور في مواضعها الصحيحة .

(٢)

واذا كان خطر التقليد الاعمى في مناشط الحياة ، داء قاتلا لآدمية الانسان ، مميتا لمنازعه ، مقيدا له بأغلال لا فكاك له منها ــ فان هذا الخطر يكون اشد بلاء ، واسوأ عاقبة ومصيرا ، اذا كان ذلك في محيط الدين ، وما تحمل شريعته وأحكامه من هدى ونور ، وما يكون وراء ذلك للمستقيمين عليها من سمو روحي ، ومن اشراق للبصيرة ، والتمكن من الادراك والفهم لما وراء كل امر من خير او شر . . .

إن التقليد في أمور الدين ــ عقيدة وشريعة ــ يحجب عن المقلد كل ما يحمل الدين من خير لأهله ، الفاقهين له ، المتمسكين به ، حيث لا يرى المقلد في دينه ، الا كلمات يرددها من غير وعي لها ، او ادراك لمراميها ، اشبه بالببغاء وما يخرج من فمها من كلمات تسمعها ، فترددها كما سمعتها ، دون ان تفهم شيئا منها ، ولو كان فيها ما يحدث عن قتلها . . . اما عبادات مثل هذا المقلد ، فهي مجرد اداء آلي ، ليس فيه اثر لحركة شعور ، او انفعال وجدان ، بل هي اشبه بما يأتي المنافقون والمراءون من عبادات ، يمثلون بها للناس انهم مؤمنون ، وما هم من الايمان في شيء . . . وفيهم يقول الحق سبحانه : **(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)** سورة الفرقان / ٢٣ . . .

(٣)

والسؤال هنا ، هو : كم من المسلمين من يتلقون عقيدتهم وشريعة دينهم عن تقليد مثل هذا التقليد الأعمى ؟

والحق ، أن المشاهد في جمهرة كبيرة من المسلمين أنهم يتلقون أمور دينهم وراثة عن آبائهم ، وعن متابعة للمجتمع المسلم الذي يعيشون فيه ، كما يتلقون العادات والتقاليد الشائعة في مجتمعاتهم الخاصة والعامة ، دون أن يرجعوا في هذا الى شيء من النظر ، والبحث والتدبر ، فيما يأخذون منها أو يدعون ! !

ولا شك أن أي عمل يعمله الانسان أو أي سلوك يسلكه ، وهو واقع في أسر هذا التقليد الأعمى ، يكون عملا آليا ، وسلوكا طفوليا ، لا اثر للعقل فيه ، ولا صلة للشعور به ، اشبه بالسلوك العشوائي للحمقى ، والبله ، والأطفال . . .

ونحن اذ نقرر ان هؤلاء المقلدين من عوام المسلمين واشباههم ، هم حسنو

النية ، لا يخالطهم شيء من النفاق او الرياء ... ولكنهم ــ مع هذا ــ ملومون مقصرون في حق انفسهم ، وحق دينهم ، ذلك انهم ــ وهم على تلك الحال ــ يبخسون انفسهم حقها من الانتفاع بما يفيض به عليهم دينهم من خير عظيم ، وزاد كريم لدنياهم واخراهم جميعا ، لو انهم عقلوه ، وعرفوا حقائقه ومراميه ! !

وانه لكي يكون المسلم انسانا سويا ، ذا ارادة محكومة بعقل ، وناشئة عن بصيرة ووعي ، فقد جاءت دعوة الاسلام مفتتحة بهذا الأمر الكريم من رب العالمين ، الى من اصطفاه الله سبحانه لحمل رسالة الاسلام ، والى كل من استجاب لدعوته ... فكان هذا المفتتح هو قوله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)** سورة العلق / ١ ــ ٥

فهذه دعوة آمرة من الله سبحانه موجهة الى نبي أمي ، والى قوم أميين لم يعرفوا القراءة ، ولم يمسكوا بأيديهم قلما ولا قرطاسا ! !

وليست الدعوة الى القراءة محصورة في قراءة ما تكتبه الايدي وتخطه الأقلام في الصحف ، بل ان هناك قراءة أفسح مجالا ، وأوسع مدى ، واكثر علما ، هي القراءة في صحف الوجود ، والنظر المتدبر في كل ما ابدع الخالق سبحانه وصور ، ابتداء من الذرة الى المجرة ، وانطلاقا من الأرض الى السماء ...

وانه لنظرة من عقل واع وقلب سليم الى شجرة باسقة ، وما تحمل من زهر وثمر ، ثم رد النظر اليها مرة ومرة ، ومرات حتى يرتد النظر الى اصلها ، والى انها كانت حبة صغيرة يابسة ، ثم بعث فيها الخالق سبحانه ما احيا مواتها ، واطلق القوى الكامنة فيها حتى اصبحت ذات ظل ممدود ، وثمر منضود ــ ان نظرة كهذه لتهز كيان الانسان ، وتفتح مغالق عقله وقلبه الى الايمان بالخالق ، القادر المدبر الحكيم ، ايمانا يملك وجود الانسان كله ، في سره وجهره : **(الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)** سورة الملك : ٣ و ٤ .

فكيف اذا امتد بصر الانسان الى عوالم المخلوقات ، من الحشرات ، والطير ، والأنعام ، ثم الى عالم الانسان وما بين الناس من اختلاف الالسنة والالوان ، والمشاعر والاحاسيس ، والعلم والمعرفة ؟ ان الانسان ليجد نفسه في تلك الحال في قراءة متصلة لأسفار لا تنتهي ، وهو في مكان من الأرض وفي حدود دائرة بصره ، ومسبح خياله ! ! ثم كيف بهذا الانسان اذا نظر الى السماء ، وكواكبها ونجومها ، ومجراتها ؟ : **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)** سورة آل عمران : ١٩٠ و ١٩١ .

ولقد نعى الله تعالى على اولئك الذين يهملون عقولهم ، ولا يستدعونها عند كل

أمر يعرض لهم ، في شئون دينهم او دنياهم ، وانزلهم منزلة دون الانعام ، وتوعدهم بالعذاب الاليم في نار جهنم ، فقال تعالى : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** سورة الاعراف : ١٧٩ .

ولهذا كان كل من الكفر والايمان محسوبين على صاحبهما بحكم ما له من عقل ، وارادة ومشيئة بما يقضي به عقله ، وتستجيب له نفسه : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** سورة الكهف / ٢٩ ... **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** سورة البقرة / ٢٥٦ : ولقد تبين الرشد من الغي ، بما وهب الله تعالى الانسان من عقل ، وبما بث في هذا الوجود من آيات ناطقة بقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، ثم بما بعث من رسل ، يذكرون من غفل ، ويهدون من ضل : **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)** سورة النساء / ١٦٥ .

(٤)

ونعود بعد هذا لنسأل :

ما حكم هؤلاء المسلمين المقلدين في الدين ، من العوام واشباه العوام ، الذين يأتون ما يأتون من امور الدين في العقيدة ، وفي العبادة وغيرها ، عن انقياد مطلق ، وتقليد اعمى لمن قلدوهم ، دون ادراك ، او فهم ، لما يأتون او يذرون ، من اقوال وافعال ؟

وهل يصح – مع هذا ايمانهم – وتقبل طاعاتهم وعباداتهم وهم على تلك الحال ؟

لقد اختلفت اقوال العلماء في صحة ايمان المقلد . اذ كان الايمان هو الركيزة التي يقوم عليها كل قول او عمل يصدر من الانسان ، وينزل منازل القبول من الله تعالى ، وانه بغير الايمان الخالص بالله ، لا يقبل قول او عمل ، وان كانا مقبولين من الذين يؤمنون بالله ، لأن غير المؤمن بالله نجس ، والله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ... والله تعالى يقول عن الكافرين واعمالهم : **(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)** سورة ابراهيم / ١٨ .

لهذا كان موقف العلماء من التقليد والمقلدين من المسلمين محتاجا منهم الى وقفات مستأنية فاحصة ، حتى لا يصدروا حكما يخرج المسلم من دينه ، ويقضي على اعماله بالبطلان ، من غير تثبت من دليل قاطع ! فمن العلماء من قالوا : بصحة ايمان المقلد ، اذا كان عاجزا عن النظر بعقله ... ومنهم : من يرى أن الاستدلال شرط لصحة ايمان المقلد ، وعلى هذا الرأي يكون ايمان المقلد من غير

بحث عن الدليل ، او دون مشاركة في البحث عنه ، غير صحيح . وممن يرى هذا الرأي الأشاعرة ، وجمهرة كبيرة من العلماء من بينهم محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير المعروف .

والحق ان الأمر يقتضي شيئا من التحديد ، والتفرقة بين المقلد الذي لا يصح ايمانه ، والمقلد الذي يصح ايمانه ، اذ المقلدون جميعا ليسوا على سواء ، في عقولهم ومداركهم ، كما انهم ليسوا على سواء في موقفهم من المقلدين لهم ...

فهناك من المقلدين من هم اشبه بالاطفال في تقليدهم الكبار تقليدا آليا عشوائيا دون ادراك لما يرجى من وراء هذا التقليد ... ومثل هؤلاء الناس يعدون في عداد غير الراشدين ، الذين رفع عنهم التكليف ، فيلحقون بالبله والحمقى .

وهذا الصنف من المقلدين ، انما يسقط عنهم التكليف ، اذا كان ذلك هو مستواهم العقلي ، الذي عاشوا به بين الناس ، وصحبهم في جميع تصرفاتهم ، من اخذ واعطاء ، وبيع وشراء ، والله تعالى يقول : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** سورة البقرة / ٢٨٦ .

اما اذا كانت لهم عقول يحسنون التصرف بها في امور معاشهم ، فاذا جاءوا الى امور دينهم لم يتكلفوا لها جهدا ، ولم يوجهوا اليها عقلا ، فهؤلاء لا يرفع عنهم التكليف ، بل هم مكلفون ومحاسبون على ما يكون منهم من كفر ، او شرك ، او تقصير في توجيه عقولهم الى فهم حقائق دينهم ، عقيدة وشريعة .

ولهذا يرى كثير من علماء المسلمين ، ان المسلم الذي معه عقل لا يكون مقلدا ، اذ يحمله عقله دائما على ان يفكر فيما يرى او يسمع ، وانه حين يتلقى أمور دينه من أهل العلم فأنه يدرك كثيرا مما يتلقاه ، وان خفى عنه الكثير ايضا ، الا انه في ممارسته لأمور دينه ، وفي اشتراكه مع جماعة المسلمين ، في أداء العبادات ، والمعاملات وغيرها ـ كل هذا يتدرج به شيئا فشيئا . الى مزيد من المعرفة بحقائق دينه ، وان حسب مع هذا من المقلدين ، اذ لا بد من ان تعرض له امور يحتاج فيها الى رأي اهل العلم ، فيفتونه بحكم الشرع فيها ، والله تعالى يقول : **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** سورة النحل/ ٤٣ .

(٥)

واذن ، فانه يمكن ان يقال ـ بمقتضى هذا القول ـ : انه لا يكاد يرى في المسلمين مقلد في الايمان بالله ، وبرسوله ، وبأن القرآن كلام الله ، وبالبعث ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ... اذ ان العامي حين يسمع الناس يقولون : ان للخلق ربا خلقهم ، وخلق كل شيء وهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، فاذا تكرر ذلك على اذنيه يوما بعد يوم ، ورأى ذلك مجمعا عليه من العلماء ، حكم بصحة ادراك هؤلاء لحسن ظنه بهم ، فاعتقد بما اعتقدوا به . وبذلك يكون قد قام بالواجب عليه من الايمان بالله ، ولم يبق سوى الاستدلال ،

ولما كان مقصود الاستدلال هو الجزم ، وقد حصل الجزم والاعتقاد بمتابعة الاجماع ، وحسن الظن باهل العقل والعلم ـ فقام ذلك الاستدلال الضمني مقام الاستدلال الذاتي .

(٦)

وخلاصة القول في شأن التقليد والمقلدين من المسلمين ـ هو ان اصول العقيدة والشريعة لا يجوز التقليد فيها ، ولا يصح ايمان المقلد في تلك الأصول .
فالايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، لا يكون الايمان صحيحا بها ، الا باعتقاد جازم ، ولا يقع الاعتقاد الجازم ، الا مع ادراك وعلم ، وكذلك الشأن فيما افترض الله تعالى على المسلم من عبادات ، وما حرم عليه من محرمات فان اتيان هذه العبادات ، واجتناب المحرمات لا يكون الا بسلطان وازع من دين وعقل ، ولا يقوم هذا السلطان الوازع الا بعد علم وفهم ...
وقد توعد الله تعالى اولئك الذين اهملوا عقولهم ، وانقادوا لغيرهم من أهل الشرك والضلال ، حتى اوقعوهم في شباك الشرك والضلال ـ توعدهم الله تعالى بما توعد به قادتهم واهل الكلمة فيهم ، وساقهم جميعا مساقا واحدا الى جهنم وبئس المصير ... وفي هذا يقول الحق سبحانه : (**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**) سورة البقرة / ١٦٦ و ١٦٧ ... ويقول سبحانه : (**وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد**) سورة غافر ٤٧ و ٤٨ .

(٧)

والذي يعنينا في هذا المقام ، ونحن نعرض التقليد الديني الذي اقتطع مجموعات كبيرة من المسلمين ، ان قيل بصحة ايمانهم فانهم مع هذا الايمان الفاتر البارد لا يرتفعون الى المستوى الانساني الذي ينبغي ان يرتفع اليه المؤمن الحق ، ولا يكون لهم في مجال النشاط العقلي والروحي اثر محمود يعود عليهم ، وعلى المجتمع الاسلامي ـ نقول : ان الذي يعنينا في هذا المقام ان ننظر فيه ، ونقف عنده ، هو تلك الطرق الصوفية التي ضمت تحت جناحها اعدادا لا حصر لها من عامة المسلمين واقامت من شيوخ الصوفية حكاما على التلاميذ والاتباع والمريدين ، قد تسلطوا على وجودهم المعنوي والمادي وعطلوا ملكاتهم العقلية ، وسلبوهم اراداتهم ومنازعهم ، واستهووهم بما يدعون من انهم قائمون على

خزائن رحمة الله ، لا ينال احد منها شيئا الا على ايديهم ممن يرضون عنه ، ولا يرضون الا عن من يسلم زمامه لهم ، ويكون بين ايديهم كالميت بين يدي من يغسله ! ! وتلك هي المادة الاولى في دستور التصوف ! !

وهذا ابن عطاء الله السكندري ، من كبار شيوخ المتصوفة ، يقول بالحرف الواحد على طريق القطع والجزم :

« من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان على غير دين » (من كتاب : لطائف المنن » لابن عطاء الله ـ ص : ١٠٣ من الجزء الثاني » .

وهذا « محمد عثمان » شيخ الطريقة البرهانية ، والذي يقيم حاليا بالسودان ، وقد استهوى كثيرا من العامة في السودان ومصر ، وفي كثير من البلاد الاسلامية ، يقول هذا الشيخ الصوفي : « محمد عثمان » هذا الذي يقيم الحدود التي يجب أن يلتزمها الاتباع ازاء شيوخهم فيقول : « من آداب التلميذ مع شيخه أن يجلس عنده مجلس الجلوس للصلاة ! ! وان يفني في شيخه ، والا يجلس فوق سجادته ، وألا يتوضأ من إبريقه ... » ! !

ثم يقول شيخ الطريقة البرهانية ، في عظاته لمن يتتلمذ على شيخ صوفي :

« وليكن محضره في قلبك وخيالك ، فان غفلت عنه وقتا ، فهذا من مقتك ، واجتهد في أن تنال مقام الفناء فيه » (من كتاب الهبات المقتبسة لمحمد عثمان) .

ونسأل : ماذا يبقى في قلب الانسان وعقله لله ، بعد هذا الذكر الدائم لشيخه والفناء فيه ؟ بل ماذا يبقى لهذا الانسان من وجود انساني ؟

هذا هو عالم المتصوفة ، وما يضم في دائرته من الوف الألوف من المسلمين ، الذين مسخت إنسانيتهم ، وعبدوا شيوخهم من دون الله ! !

وأين هذا من قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ؟ ومن قوله : « قليل العلم ، خير من كثير العبادة » رواه الطبراني في الاوسط ؟

وأين يجد تلاميذ المتصوفة طريقا الى الفقه في الدين والعلم باحكامه ، وقد سلب الشيوخ عقولهم ومدركاتهم ، وأقاموا حجازا بينهم وبين النظر في انفسهم ، وفي ملكوت السموات والأرض ؟ يقول ابن عبد البر في كتابه : (جامع بيان العلم وفضله) ص : ٥ ـ « وقد اجمع العلماء على ان من العلم ما هو فرض متعين على كل مسلم في خاصة نفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية ، اذا قام به بعض سقط عن اهل ذلك الموضع ...

« والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ، ما لا يسع المسلم جهله من جملة المفترض عليه ، نحو الشهادة باللسان ، والاقرار بالقلب ، بأن الله واحد لا شريك له ، والشهادة بأن محمدا رسول الله ، وخاتم انبيائه ، وان البعث بعد الموت للمجازاة بالاعمال ، والخلود في الآخرة لأهل الايمان والطاعة في الجنة ، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في النار حق ... وان القرآن كلام الله وكل ما فيه حق من

عند الله ، يجب الايمان به ، وان الصلوات الخمس فرض ، ويلزم من علمها علم ما لا تتم الا به ، من طهارتها وسائر احكامها ، ، وان صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ، وما لا يتم الا به ، وان كان ذا مال وقدرة لزمه فرضا ان يعرف ما تجب فيه الزكاة ؟ ومتى تجب ؟ وفي كم تجب ؟ ويلزمه ان يعلم بأن الحج فرض عليه مرة واحدة في دهره ، ان استطاع اليه سبيلا ...الخ ... » .

فهل يعرف تلاميذ المتصوفة ، وهم الوف الألوف شيئا من هذا ، وقد استفرغوا جهدهم كله في الولاء المطلق لشيوخهم ، والطاعة العمياء لما يشيرون عليهم به ، بالسنتهم او بايديهم او بأعينهم ورءوسهم ؟

وفي غير عالم المتصوفة كثير من العوام ، لا يكادون يعرفون عن دينهم شيئا الا ما يرددونه على السنتهم ، وما يأتونه من اعمال ، اخذوها عن تقليد ، دون نظر او تدبر ، او فهم !

ومع هذا فان كل اولئك وهؤلاء اعضاء في الجسد الانساني الاسلامي ، ترعى فيها آفات الجهل والغفلة ، بحيث لا تؤدي وظيفتها في هذا الجسد ، بل تعوق حركته ، وتوقف مسيرته وانطلاقه الى العمل لما فيه عز الاسلام ، واعلاء كلمة المسلمين . ان الامر خطير ، يحتاج الى موقف جاد حاسم ، من اهل العلم والفقه ، من ذوي الغيرة على الاسلام ، والمسلمين ، ليقولوا كلمة الحق واضحة صريحة في التقليد والمقلدين في دينهم ، وفي الآخذين دينهم من افواه غيرهم ، دون نظر في كتاب الله وسنة رسوله ...

وانها لامانة اوجب الله على اولى العلم من المسلمين حملها ، واداءها ، كما امر الله تعالى في قوله سبحانه : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** سورة آل عمران / ١٠٤ ... وكما يقول رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه : « ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله ، وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ... كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق اطرا ، او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم » رواه ابو داود .



٨

المشاهد في عالم الأحياء ، من انسان وحيوان ، ان الصغار يقلدون الكبار ، ويحذون حذوهم في الحركات والسكنات ، وفي نقل الأصوات ، والاشارات ، بحيث تنعكس صورة الكبار على الصغار ، مثل انعكاس الصور في المرآة !!

فاذا بلغ الصغير قدرا معينا من العمر ، أخذ يستقل بشخصيته ، منفقا مما تلقاه تقليدا عن كباره ، دون ان يتكلف لذلك جهدا ، أو يبذل طاقة ، حيث يكون أمرا غريزيا كما هو في عالم الحيوان ، الذي لا تضيف أجياله المتتابعة أية إضافة جديدة عما كان عليه الجيل الأول ، مما يعرف بالتطور .

أما في عالم الانسان ، فانه وإن توارثت الأجيال اللاحقة شيئا من الأجيال السابقة ، فان هذا الميراث يدخل عليه شيء كثير من التحوير والتعديل ، والاضافة والحذف ، جيلا بعد جيل ، ومن هنا كانت تلك التطورات الظاهرة من جيل إلى جيل ، حيث يضيف كل جيل إضافات جديدة إلى ما خلفه الجيل أو الأجيال السابقة ، وبهذا علا صرح الحياة الانسانية ، وقامت تلك المدنيات والحضارات ، بكل جديد من مواليد العلوم والفنون ، وما أثمرت من مخترعات مذهلة تمكن بها الانسان من تسخير قوى الطبيعة ، من بخار ، وكهرباء ، ومن تفجير الذرة الذي فتح للناس طريقا ممهدا إلى عوالم السماء ، وغزو الكواكب والأقمار .

ولو وقف الانسان عند موروثات الآباء والأجداد ، لما تقدم خطوة إلى الأمام ، ولكانت مسيرته على مستوى واحد لا يتغير أبدا ، من الأب الأول آدم ، إلى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم .

٩

وإذن ، فالانسان الذي يتغذى عقله من معطيات المجتمع الذي يعيش فيه ، ثم لا يحاول أن يضيف إلى هذا الغذاء شيئا من ذات نفسه ، هو أقرب إلى عالم الحيوان منه إلى عالم الانسان ، لأن من شأن الانسان السوى أن يكون ذا شخصية متميزة عن غيره من الناس ، بما له من خصائص عقلية ، ووجدانية ، وروحية ، وإن كان ذلك لا يخرجه من عالمه الانساني ..

فالناس جميعا ، على كثرة أعدادهم ، واختلاف أزمانهم وأوطانهم ، لا يكاد يقع التشابه بين اثنين منهم تشابها مطلقا ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : (**ومن**

آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم/٢٢ .

١٠

وإذا كانت المتابعة للغير في الأقوال والأفعال مما يقتل في الانسان روح الابتكار والتجديد ، بل يأتي ما يأتي من الأقوال والأفعال بصورة آلية خالية من كل أثر ذاتي له ، فان هذه المتابعة للغير في أمور الدين ، وفيما يأتي المتدين من طاعات وعبادات ، هى أعظم خطرا ، وأسوأ عاقبة من المتابعة والتقليد للغير فيما يتصل بأمور الدنيا العارضة ، إذ كان الدين في صميمه هو السلطان القائم على الناس ، والمؤثر في كل منشط لهم في أمور الدين والدنيا جميعا ..

وإن الدين لا يقوم في كيان الانسان مقاما صحيحا ، إلا إذا اتصل بعقل الانسان ، وخالط مشاعره ، وانسكب في وجدانه ، فكان قوة موحية له بكل قول يقوله ، أو عمل يعمله ، وإلا جاءت كل أقواله وأعماله ، على صورة عشوائية ، لا يقوم عليها من الدين سلطان ، ولا يكون لها من مغارس الدين زهر أو ثمر ، أشبه بأعمال الذين كفروا بربهم ، الذين يقول تعالى عنهم وعن أعمالهم : **(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)** سورة ابراهيم/١٨ .

١١

ونسأل بعد هذا : كم من المسلمين اليوم من أولئك الذين يتلقون أمور دينهم وراثة عن آبائهم ، وعن المجتمع الذي يعيشون فيه ، كما يتلقون العادات والتقاليد الشائعة في مجتمعهم الخاص والعام ، دون أن يرجعوا في هذا أو ذاك إلى شيء من البحث والنظر والتدبر ، فيما يأخذون أو يدعون ، مما أمر الله تعالى به ، أو نهى عنه .

ولا شك أن أي سلوك يسلكه المتدين في تلك الحال يكون سلوكا غير صادر عن وعي له ، أو شعور به ، ومن هنا لا تكون له ثمرة يحصل عليها المتدين في أمور دينه أو دنياه ، لأنه عمل عشوائي ، أشبه بأعمال الحمقى والبله ، والأطفال .. ولقد دعا الله سبحانه إلى النظر والتدبر فيما خلق ، ليتعرف الانسان إلى ربه ، وإلى بدائع قدرته وحكمته ، ولتتوثق صلته بربه ، فيقول سبحانه : **(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها**

وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) سورة ق/٦ ــ ٨ ، كما نعى سبحانه على أولئك الذين أهملوا عقولهم ، فلم يستدعوها عند كل أمر يعرض لهم ، فكانوا دون الأنعام منزلة ، فيقول جل شأنه فيهم : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** سورة الأعراف/١٧٩ .

ولهذا كان كل من الكفر والايمان محسوبين على صاحبهما بحكم ماله من عقل وإرادة . وإليه الأخذ بالدليل أو تركه ، فيقول سبحانه : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** سورة الكهف/٢٩ ..

١٢

ومن هذا التقليد الأعمى ، الذي شاع في المجتمع الاسلامي ، منذ عدة قرون ، دخل الضعف والوهن على الأمة الاسلامية ، وتدسس إلى المسلمين أعداء الاسلام ، والمتجرون بالدين ، ينشرون بينهم البدع والخرافات ، ويمكنون لها في مشاعرهم ، لتحل محل الدين الصحيح ، وشريعته الغراء .

وبهذا تحولت حال الأمة الاسلامية التي أخلت يدها من كل ما كان لها من أمجاد ، بما مكن الله تعالى لها في الأرض ، يوم كان المسلمون على علم بدينهم ، وعلى ولاء مطلق له ، فعزت دولتهم ، وسادت أمتهم ، حين نصروا فنصرهم ، وحين كانوا جند الله في الأرض ، فكتب لهم الغلب ، كما يقول تعالى : **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)** سورة الحج/٤٠ و٤١ .

هذا ولن يعود إلينا ما سلبت الأيام والأحداث من أمجاد ماضينا ، وعزة أسلافنا ، إلا إذا عدنا إلى الله ، وإلى دين الله ، على هدى وبصيرة ، وعلى علم ووعي بحقائق هذا الدين ، وأحكام شريعته ، فعبدنا الله على هدى وبصيرة ، مخلصين له الدين ..

عندئذ يتحقق لنا ما وعد الله تعالى به ، في قوله سبحانه : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)** سورة النور/٥٥ .

١٣

ثم لنسأل بعد هذا : ما حكم المقلدين في الدين ، الذين يأتون ما يأتون من عبادات وطاعات وقربات ، متابعين لغيرهم دون فهم صحيح ، وإدراك سليم لما

يأتون من تلك العبادات وهذه الطاعات والقربات ؟ وهل يكون لهم حظ من آثارها الطيبة المرجوة منها عند الله ؟ وهل يكون إيمانهم صحيحا مقبولا عند الله ؟

لقد اختلف العلماء في صحة ايمان المقلد ، وفرقوا بين ما يجوز التقليد فيه ، وما لا يجوز ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ! فمنهم من قال بصحة ايمان المقلد في دينه ، إذا كان عاجزا عن النظر فيه بعقله !!

ومنهم من يرى أن الاستدلال والادراك الذاتي شرط لصحة الايمان ، وعلى هذا يكون ايمان المقلد من غير بحث عن الدليل ، أو مشاركة في البحث عنه ، غير صحيح ، وممن يرى هذا الرأي ، الأشاعرة وجمهور كبير من العلماء ، من بينهم ، محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير المعروف .

والحق أن الأمر يقتضي شيئاً من البيان والتحديد للمقلد الذي يصح إيمانه ، والمقلد الذي لا يصح منه هذا الايمان .. إذ المقلدون ليسوا على مستوى واحد في موقفهم من المقلدين لهم ..

فهناك من المقلدين من هم أشبه بالأطفال في تقليدهم للكبار تقليدا لا شعوريا من غير إدراك لما يرجى من وراء هذا التقليد . ومثل هؤلاء المقلدين يعدون في عداد غير الراشدين ، الذين رفع عنهم التكليف ، فيلحقون بالبله والحمقى : **(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** سورة الاعراف/ ١٧٩ .

وهؤلاء المقلدون ، إنما يسقط عنهم التكليف ، إذا كان ذلك هو مستواهم العقلي الذي يعيشون به ، والذي يصحبهم في جميع تصرفاتهم الدنيوية وتبادل المنافع مع الناس .

أما إذا كانت لهم عقول يحسنون بها التصرف في أمور معاشهم ، فاذا جاءوا إلى أمور دينهم لم يتكلفوا لها جهدا ، ولم يوجهوا إليها عقلا يعرفونها به ، فهؤلاء لا يرفع عنهم التكليف ، ولا يقبل منهم التقليد ، بل هم مكلفون ، ومحاسبون على ما يكون منهم من تقصير في توجيه عقولهم إلى فهم حقائق دينهم ، الذي لابد لفهمه من توجيه العقل إليه ، وإرواء القلب من ينابيعه العذبة الصافية .

ولهذا يرى أكثر العلماء ، أن المسلم الذي معه عقل يعيش به في الناس ، ويشاركهم حياتهم لا يكون مقلدا في أمور دينه ، إذ يحمله هذا العقل على أ ن يفكر فيما يرى أو يسمع ، ثم يأخذ طريقه حسب وعيه وفهمه ، ثم إنه إذ يتلقى أحكام دينه من أهل العلم ، فانه يدرك كثيرا مما يتلقاه ، وإن خفى عليه الكثير أيضا ، إلا أنه في ممارسته لأمور دينه ، وفي اشتراكه مع جماعة المسلمين ، في أداء العبادات ، وفي المعاملات وغيرها ، كل هذا يتدرج به شيئا فشيئا إلى مزيد من المعرفة بحقائق دينه ، وإن حسب مع هذا من المقلدين ، إذ لابد أن تعرض له أمور يحتاج فيها إلى أهل العلم ، الذين يستفتيهم فيفتونه بحكم الشرع فيما يسأل عنه .

وإذن ، فانه على هذا المفهوم يمكن القول بأنه لا يكاد يرى مقلد في الايمان

بالله ، وفي أن القرآن كلام الله ، وفي البعث والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، إذ أن « العامى » حين يسمع الناس يقولون : إن للخلق ربا خلقهم ، وخلق كل شيء ، وهو الذي يستحق العبادة وحده ، لا شريك له ، ثم إذا تكرر ذلك على أذنيه يوما بعد يوم ، ورأى أن ذلك مجمع عليه من العقلاء ، حكم بصحة إدراك هؤلاء ، لحسن ظنه بهم ، فاعتقد بما اعتقدوا به ، وبذلك يكون قد قام بالواجب عليه من الايمان ، إذ لم يبق سوى الاستدلال ، ولما كان مقصود الاستدلال هو حصول الجزم ، وقد حصل الجزم والاعتقاد ، بمتابعة الاجماع ، وحسن الظن بأهل العقل والعلم ، فقام ذلك الاستدلال الضمني مقام الاستدلال الذاتي ..

١٤

ونقول : إنه إذا صح القول بصحة إيمان مثل هذا المقلد ، فانه يظل مع هذا غير أهل لأن يحصل الكثير من خير الايمان ، لأن التقليد بغير فهم وإدراك لا يزال مسيطرا عليه ..

ثم أين من المقلدين في زماننا هذا من يعني نفسه بالبحث عن العالم الذي يستفتيه فيما أغلق عليه فهمه ؟ إن أكثر المقلدين يأخذون دينهم على ما قلدوا من مجتمعهم الذي أكثره مقلدون ، قد خف ميزان الدين عندهم ، فلم يطلبوا حقائقه ، ويستيقنوا أحكامه !! وإنه لظالم لنفسه ، مقصر في أمر دينه ، سالك بنفسه مسالك التيه والضلال ، معرض دينه لأن تدخل عليه البدع والضلالات من المبتدعين والمضللين ـ من وقف عند حد التقليد في دينه ، ولا يطلب المعرفة ، بوعيه وفهمه ، وبمشاركة أهل العلم علمهم ، والرجوع إلى أهل الذكر منهم فيما اشتبه عليه ، والله تعالى يقول : (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) سورة النحل/ ٤٣ . ويقول سبحانه داعيا إلى رد ما يرد على الناس من أمور ، لا يعرفون وجه الحق منها ، ولا يردونها إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، فيهلكون ويهلكون ، يقول سبحانه في هؤلاء : (**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا**) سورة النساء/ ٨٣ . وأولو الأمر في هذه الآية الكريمة ، هم أهل العلم ، والفقه لدين الله ، والنصحة للمسلمين .

وإنه لواجب على أهل العلم أن يكشفوا حقائق الدين للعوام وأشباه العوام من المسلمين ، وأن يقوموا مقام رسل الله فيهم ، بالدعوة إلى الحق ، وإزالة الشبهات ، وفضح البدع ، والله تعالى يقول : (**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**) سورة آل عمران : ١٨٧ . والذين أوتوا الكتاب في الآية الكريمة ، هم أهل العلم بما أنزل الله من كتاب ، ومن حق هذا العلم عليهم ان يبلغوه إلى الناس كما علموه ، وإلا كانوا في معرض المؤاخذة والعقاب من الله تعالى .

١٥

وقد توعد الله تعالى أولئك المقلدين ، الذين لم ينظروا فيما يقلدون ، فانساقوا وراء مقلديهم الذين رموا بهم في متاهات الضلال ـ لقد توعدهم الله ، بما توعد به أولئك الذين قلدوهم وأخذوا طريق الضلال معهم ، فقال تعالى : (**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**) سورة البقرة/١٦٦ و١٦٧ ، وقال سبحانه مخبرا عما يكون بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة من ملاحاة ، وتقاذف بالتهم : (**وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص**) سورة ابراهيم/٢١ . وقال سبحانه أيضا : (**ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين**) سورة سبأ/٣١ و٣٢ .

١٦

ونعود لنسأل هذا السؤال الذي سألناه آنفا ، وهو : كم من المنتسبين إلى الاسلام منذ أخريات العصر الأول للاسلام ، قد زهدوا في عقولهم ، واستغنوا عنها في التعرف على دينهم ، حتى تحولوا إلى جماعة من العميان ، أسلموا قيادهم لأهل البدع والأهواء ، يقودونهم إلى حيث يشاءون ، كما يقود الجزار بهيمته إلى المذبح ؟ إنهم اليوم كثيرون ، وكثيرون جدا في كل مواطن الاسلام ، قد ركبوا طرقا مختلفة ضالة ، من تلك الطرق التي أشار إليها رسول الله في قوله الكريم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » قيل من هي يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » !! رواه احمد .

إن فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة هي التي على دين الله القويم ، أما بقية هذه الفرق فهي في متاهات الضلال ، كل فرقة منها يقودها الشيطان بعيدا عن صراط الله المستقيم ..

وأحسب أن حالنا اليوم قد تحقق فيها مصداق الحديث النبوي ، حيث تعددت الفرق التي لم تمسك من الاسلام إلا باسمه ، دون أن يكون معها شيء من حقائقه .

وليس لذلك من سبب إلا التجافي للعلم ، والاستخفاف بالعقل ، وليس وراء هذا إلا العماية والجهل ، ولا مكان للدين ، ولا أثر لأحكامه وشرائعه ، مع العماية والجهل .

فالعلم ميزة اختص الله تعالى بها الانسان ، دون سائر المخلوقات المعروفة

لنا ، وبفضل هذا العلم ، كان سجود الملائكة لآدم ، وكان لآدم وحده منصب الخلافة على الأرض ..

وقد فضل الله الناس بعضهم على بعض بالعلم ، ورفع درجات أهل العلم منهم إلى منازل رضوانه حسب حظوظهم من العلم ، فقال تعالى : **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** سورة المجادلة/١١ .. وقد جعل الله تعالى خشيته لا تسكن إلا قلوب أهل العلم من المؤمنين ، فقال تعالى : **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** سورة فاطر/٢٨ .

١٧

فمن آمن بالله ، لا يكون إيمانه راسخ القواعد ، قوي البنيان ، طيب الثمرات ، إلا بالعلم الذي يفتح له الطريق إلى الله ، ويطلعه على بعض ما لله تعالى من علم ، وقدرة وحكمة ، وبهذا تقوى صلته بربه ، ويقوم عليه من جلال الله وخشيته سلطان يقيمه على طاعة ربه ، ويصرفه عن معاصيه .

ولهذا يقول الرسول الكريم ، « قليل العلم ، خير من كثير العبادة » رواه الطبراني في الأوسط ، لأن العلم ، وإن كان قليلا هو نور هاد الى طريق الحق ، ومواقع الخير ، ولأن العبادة مهما كثرت دون العلم الذي تعرف به حقائقها ، وتنكشف به أسرارها ، هى عبادة لا يتصل بها عقل ، ولا ينبض بها شعور ، ولا ينفعل بها وجدان ، ومن ثم فلا تترك أثرا في سلوك من يؤديها ، وعبادة بلا أثر ، هي سراب يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجد شيئا .. وهنا تكون الحسرة والخيبة ، ومضاضة الألم ، وسوء المنقلب ..

١٨

فيا إخوة الايمان ، ويا أمة الاسلام ، تعلموا العلم ، وخذوا بأوفر حظ منه ، لتتسع مدارككم ، وتستنير بصائركم ، حتى تحققوا معنى لا إله إلا الله ، ولتنزلوها منزل التمكين والتكريم في أقوالكم وأفعالكم .. وبهذا تتفتح لكم مغالق هذا الوجود ، وتنكشف لكم أسراره ، التي تمكن لكم ولدينكم في الأرض ، وتقيم منكم جنود الله ، الداعين إلى توحيده ، الموجهين إلى طاعته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري .. ويقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة » !! رواه ابو داود والترمذى .

فاطلبوا العلم ياأمة العلم ، وياوارثى ما جاءت به رسالات الله التي ختمت بها رسالة الاسلام ، وانزعوا عنكم ما لبسكم من الجهل بأمور دينكم ودنياكم ، وبهذا يعز دينكم ، وتعلو كلمتكم ، ويفتح الله لكم ابواب الخير والبركات من السماء والأرض ، كما يقول الحق سبحانه : **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)** سورة الاعراف/٩٦ . صدق الله العظيم .

مِنْ وَحيِ الذِّكرى



المولد كما يجب الاحتفال به

للاستاذ/محمد الكوفي عسقيانور

كلما هل هلال شهر ربيع الأول ، حلت معه ذكريات عطرة ، وقبسات زكية ، ترفرف بالمسلمين في العلياء المترامية ، وتحلق بهم بعيدا إلى الأرض الطيبة الواسعة الرحيبة ، إلى بلد الله الأمين ، حيث كان مولد ذلك الشخص النبيل ، عظيم القدر الجليل ، الذي هز كيانه العالم بمولده ، وتغير مجرى التاريخ بمجيئه .

فأشرقت شمس العلم والعدل والرحمة والتعاون ، على الكون قاصيه ودانيه ، وسطع ضياؤها فاختفى ظلام الجهل المبيد واندثرت معالم الجور والظلم العتيد ، وأقبرت مبادىء الخشونة والفظاظة والعنف . وضاقت هوة التمزق وبوتقة التعصب والتمرد ، وغياهب العزلة والانطواء .

ففي هذا الشهر العظيم وفي اليوم الثاني عشر منه على وجه التحديد ، يحتفل المسلمون قاطبة في جميع الأصقاع ومختلف الربوع والقلاع ، بذكرى ميلاد المصطفى المجيد ، وفي

نفس الوقت بذكرى الهجرة والوصول الى قباء بالمدينة المنورة ، وذكرى الوفاة والنقلة من دار ترابية فانية إلى دار نورانية باقية .

فقد كان مولده صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٣ ابريل ٥٧١م ، وكانت هجرته في هذا الشهر ووصوله إلى قباء بالمدينة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١٤ من البعثة الموافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى مختارا جوار ربه تبارك وتعالى في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ للهجرة الموافق ٨ يونيو ٦٣٢م ،

وكيف لا وهو أعظم خلق الله كلهم ، أنقذ البشرية ، وحررها من عقال الجهل والظلم والفرقة والتباين والعبودية ، وهداهم إلى نور المعرفة والمحبة والتآخي وغيرها من الصفات والمبادىء والقيم مما لا يدخل تحت حصر ، وصدق الله العظيم إذ قال : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة /٢

وقوله تعالى في موضع آخر في حق نبيه الكريم : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء / ١٠٧ وتزيد هاتيك المعالم من الشمائل النبوية الكريمة وضوحا وجلاء حين نطالع قوله تعالى في سورة التوبة : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)** التوبة /

وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل كيف يمكن لنا أن نحتفل بذكرى المولد ، وصاحبها على هذه المكانة المرموقة السامية من المجد والعظمة والمكارم الأخلاقية والكمال الانساني ؟ كيف سنرقى سلم الشكر له على صنيعه ونؤتيه حقه وافيا غير منقوص ؟ . هل باقامة المأدبات الزاخرة بأصناف الأطعمة الشهية وأنواع المشروبات العذبة ؟ أم باحياء الليالي الساهرة بالأمداح وتلاوة السيرة في أويقات عابرة يعيشها ويحياها المحتفل ثم لا يلبث أن يولي لها ظهره دون أن يكون لذلك في نفسه أدنى أثر ، بل يكون وكأنه سحابة صيف ؟!!

فكيف ، اذن ، نحتفل بهذه الذكرى العظيمة ، احتفالا يخول لنا أن نكون في مستوى الذكرى وصاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ؟؟؟!

الأمر في غاية البساطة ، لا يكلفنا تعبا ولا وصبا ، ولا إجهادا ولا إنفاقا في غير موضعه . لن أدعكم – أعزائي – للظنون تذهب بكم كل مذهب ، وللتفكير الممل يركب بكم في الخيال كل مركب . سأضع النقط على الحروف ، موضحا لكم ما يجب فعله . تعالوا معي نلقي نظرة على كتاب الله العزيز الحكيم ، الذي جعله الله لنا دستورا يهدينا للخير ، ويضيء لنا طريق الحق : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور**

بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة / ١٥و ١٦ ونطالع في سورة الأحزاب قوله تعالى : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب / ٢١ هذه آية من آي الذكرالحكيم ، إذا ما نحن تأملناها وسبرنا غورها وأعملنا فيها فكرنا فسيؤدي الأمر الى طرح أسئلة استفسارية منها ما يلي :

كيف كان الرسول عليه الصلاة و السلام في معاملاته مع الناس ؟

وبم كان صلى الله عليه وسلممتصفا ؟

وفي أي الوجوه نتخذه لنا أسوة ؟

هذه التساؤلات وغيرها ، نجد الاجابات الشافية عليها إذا ما نحن عدنا وفتحنا الكتاب المنزل ، وألقينا عليه نظرة أخرى ، فاحصة مستقصية لنفتحه إذن على هذه الآيات :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف / ١٩٩

:**(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)** النحل / ٩٠

:**(فاصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)** لقمان / ١٧

:**(فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين)** المائدة / ١٣

:**(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)** فصلت / ٣٤

:**(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** آل عمران / ١٣٤

انظروا معي إلى هذه الآيات — وهي قليل من كثير بزخر به الكتاب العظيم — وكلها تقرر أبرز مميزات شخصية رسولنا الكريم ، حيث ان مكارم الأخلاق تشكل الجانب الأساسي والأوفر في حياته عليه السلام ، وهي الأسس التي ركز عليها لبناء مجتمع إنساني كامل ، في مختلف مناحي الحياة ، ومما يؤكد هذا المذهب رواية الامام أحمد حيث قال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فلقد كان المثل الأعلى في حسن السلوك والمعاشرة وطيبوبة النفس ، وسلامة الطوية وكريم الصفح والعفو ، ولنا على ذلك شهادة من الله العليم ، في عبارة موجزة معجزة في آن معا ، يعجز البلغاء والعلماء عن الاحاطة بها ومدح الرسول بمثلها حيث يقول جل علاه :

(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم / ٤

وفيما يلي أورد ما أرى أنه صفات أخلاقية عالية ، وكل اخلاقه عليه السلام عالية وفاضلة ، إلا أن هذه التي سأعرضها هنا تمثل أم الأخلاق ، والصرح الشامخ الذي لم ولن يقوى أحد على تمثلها وتطبيقها على الوجه الأكمل الذي كان عليه الرحمة المهداة رسول السلام صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأخلاق التي لا يرقى إليها أحد سابقا كان أم لاحقا ما يأتي :

أولا : الرحمة والحلم :

إن في حياة الانسان كثيرا من المواقف التي يفقد فيها السيطرة على أعصابه والتحكم فيها بعقله ، فتفقد مع ذلك الرحمة وتجنح نفسه إلى الانتقام والأخذ بالثأر في غير حنان ولا حلم ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما - أي الرحمة والحلم - لا يتأثران بالحرارة فيتمددان ولا بالبرودة فيتقلصان بل يبقيان على حالهما ، محافظين على مكانتهما دون تذبذب ، وشملت رحمته وحلمه الانسان والحيوان ومن ذلك :

أخرج الشيخان عن أنس (رض) أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه) .

قال عبدالرحمن بن عبدالله .

« كنا مع رسول الله في سفر فرأينا حمرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحمرة تعرش فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « من فجع هذه بولدها ردوا لها ولدها إليها » رواه ابو داود انها الرحمة في منتهاها وغايتها القصوى ، إنها رحمة النبوة وصفتها الملازمة . كان الرسول الكريم ، خلقه القرآن ، يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه لا يغضب إلا للحق إذا انتهكت حرمة من حرمات الله ، ولا يسكن له غضب إلا إذا دمغ الباطل وانتصر الحق . اما في غير حرمات الله فكان أحلم الناس عن المخطئين في حقه . مع قدرته عليه السلام على الأخذ بحقه والثأر لنفسه من خصومه إلا أنه كان يصبر ويتحمل كل ما يلاقيه من إيذاء وسوء معاملة الآخرين .

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال :

(بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما إذا أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله : أعدل : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل إن لم أعدل ! لقد خبت وخسرت !! إذا لم أعدل فمن يعدل ، فقال عمر بن الخطاب (رض) يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه ..)

وروى أحمد عن عائشة قالت :

(ما ضرب رسول الله بيده خادما له قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فاذا كان اثما ، كان أبعد الناس من الاثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله) .

ثانيا الكرم :

صفة قاسية على الانسان أن يجود بماله بسهولة ، لأن النفس الانسانية أميل ما تكون إلى جمع المال والحرص عليه . وشتان بين هذا الصنف والرحمة المهداة ، الذي يجود بكل نصيبه من الغنيمة والفيء وغيرهما ، ويوزعه على المحتاجين ، ولا يبقي

لأهله إلا ما يقيم أودهم .
اخرج ابن جرير عن سهل بن سعد قال :

جاءت امرأة إلى رسول الله ببردة فقالت يا رسول الله جئتك أكسوك هذه فأخذها رسول الله وكان محتاجا اليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ما أحسن هذه اكسنيها فقال : نعم ، فلما قام رسول الله ، لامه أصحابه وقالوا ما أحسنت حين رأيت رسول الله أخذها محتاجا إليها ، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه ، قال والله ما حملني على ذلك إلا رجوت بركتها حتى لبسها لعلي أكفن فيها ..

ثالثا التواضع والتياسر :

وفي هذا الموضوع أنقل ما كتبه « وليم موير » في كتابه « حياة النبي » في وصف تواضع المصطفى وتياسره مكتفيا به . يقول ·

(كانت السهولة صورة من حياته كلها ، وكان الذوق والأدب أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه ، فالتواضع والشفقة والصبر والايثار والجود صفات ملازمة لشخصه . وجالبة لمحبة جميع من حوله فلم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنا ، ولا هدية مهما صغرت وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه ، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصه باقباله وان كان حقيرا . وكان إذا لقي من يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره ، وكان مع المصاب والحزين شريكا شديد العطف حسن المواساة وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس ، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم) .

لعلنا بعد هذه الجولة السريعة في أرجاء شخصية الرسول الكريم نخرج باجابات مفحمة لكل تساؤلاتنا ، وبقي لنا أن نعمد إلى فهرس حياتنا فننظر فيه مستقصين جوانبه ، وندخل عليه تعديلات وتغييرات جذرية تتغير على أثرها حياتنا من سيىء إلى حسن جدا ، وذلك بالتأسي بالرسول الكريم في كل كبيرة وصغيرة في حياتنا . فتطبع حياتنا بطابع الاسلام الذي ارتضاه لنا ربنا كدين قويم بل كمنهج حياة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وربنا الذي يقول في القرآن الكريم :

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران / ٣١ .

كيف لا نتبع من قطع أشواط حياته كلها دون أن تحمل نفسه حقدا ولا ضغينة ، في ترفع عن الانتقام والايذاء ، فاتحا ذراعيه لكل مخطىء في حقه بل ويصفح عنه مستغفرا له .

قال تعالى : **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)** آل عمران / ١٥٩ .

فيا أشبال أمة الاسلام ويا قلبها

النابض ، ويا حملة لواء الاسلام لنتخل عن الشعارات المجوفة ، والتشبث بالمظاهر والطقوس ، ولنتجه كليا قلبا وقالبا للسير على نهج الرسول القويم ، بتطبيق حدود الله ، والتزام أوامره ونواهيه سرا وعلانية ، في السراء والضراء ، ونسير على تقوى من الله حتى نسلم الروح إلى بارئها ونحن على حالة طيبة ترضي الله والرسول عليه الصلاة والسلام ، وتشرفنا يوم اللقاء .. يوم النشور .. وبهذا نكون قد احتفلنا بالمولد أعظم احتفال وأضفنا إلى أمجاد السلف أمجادا أخرى تهتز لها السموات والأرض ومن فيهن .. ونكون قد برهنا على أحقيتنا بوسام خير أمة أخرجت للناس كما جاء في القرآن الكريم :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ .

وهكذا ـ أعزائي الكرام ـ وبهذا السلوك الاسلامي الصرف المتضمن للمعاني السامية ، والأخلاق الكريمة الفاضلة ، سيحق علينا قول الله جل شأنه :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الأعراف / ٩٦

فلا يضرنا إن قطع معسكرا الكفر والاستغلال البشع إعاناتهما ومساعداتهما علينا ، ولن ترهبنا فلولهم الضعيفة على كثرتهم وخبرتهم وعتادهم القوي . ما دام الله ولينا ، وما دمنا سنكون خلفا لخير سلف ، من المتقين والمحسنين الذين ملكوا الأرض وساسوها على أساس من العدل والمحبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ونحن أحوج ما نكون إلى نصر الله في هذه الآونة الحاضرة العصيبة ، واذ نريد هذه الالتفاتة الالهية ، لا ننسى أن نجعل نصب أعيننا ما قاله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل :

(يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف / ٣١ و ٣٢ .

وهكذا أيها الأخوة الأعزاء ، نأتي على نهاية هذه العجالة المتواضعة وكلي إيمان أننا جميعا دون استثناء سنجعل من هذه المناسبة العظيمة ذكرى سنوية نقف عندها كل سنة ، لنحاسب أنفسنا ، فنستوحي السيرة العطرة ، ونتخذ منها العبرة لنبدأ صفحة جديدة من كتاب تاريخنا ونخط فيه بمداد الفخر والاعتزاز ، لاحبين الطريق دائما إلى الأمام حتى لا يبقى هناك أمام ، في رقي مطرد وعزة اسلامية لا تضاهي ولا تجاري في ميدان محاولين جهد الامكان وبكل اخلاص ان ـ نجعل نحن المسلمين ـ من هذا القرن الخامس عشر الهجري ، قرن الدعوة ونشر الرسالة الاسلامية السمحة والله المستعان وهو ولي التوفيق وإن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا .

فلسطين

○ كيف ضاعت ؟ ○ ما هو حاضرها ؟ ○ ما هو مستقبلها ؟

للدكتور : علي محمد جريشة

أولا ـ كيف استلب الوطن الاسلامي في فلسطين

● ـ تاريخ :

البعض يرجع ذلك تاريخيا الى اول مؤتمر صهيوني انعقد في بال ١٨٩٧ بزعامة تيودور هرتزل ، حيث قرر اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ووضع التخطيط اللازم للتنفيذ فسار في خطين/ خط دفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين ، وخط البحث عن الشرعية الدولية التي تساند هذا الاغتصاب او تستره ، وفي الوقت نفسه القوة الدولية التي تحمي هذا الاغتصاب بالقوة وبالشرعية معا ...

وتأسس البنك الوطني اليهودي لهذا الغرض .. وتأسست معه الجمعيات اليهودية العديدة التي تزكي في اليهود روح الصهيونية وكان ذلك تنفيذا للخط الاول .. وبدات الهجرة تسير في خط بياني بدأ بعدة آلاف ، وانتهى اليوم باكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

وفي مدينة القدس الاسلامية ـ على سبيل المثال ـ كان عدد السكان اليهود فيها سنة ١١٧٠ م (القرن الثاني عشر) واحد يهودي ، سنة ١٧٥٠ م (القرن السابع عشر) ١٥٠ يهوديا ، سنة ١٩٧٧ م (القرن العشرون) ١٤٢٠٠٠ مائة واثنين واربعين الف يهودي .

وبدأ انتزاع الارض من ايدي اهلها بالاغراء بالمال رغبا .. ثم بالتخويف والبطش بعد ذلك رهبا ..

وسار انتزاع الارض يأخذ الخط البياني التالي :

في العشرينات ـ تراوحت ما بين ١٧,٤٩٧ سنة ١٩٢٣ الى ١٧٦,١٢٤ دونما عام ١٩٢٦ .

في الثلاثينات ـ تراوحت ما بين ١٨,٨٩٣ سنة ١٩٣٢ الى ٣٦,٩٩١ دونما عام

١٩٣٣ الى ٦٧,١١٤ سنة ١٩٣٥ .

في الاربعينات وفي نهاية سنة ١٩٤٦ قدرت السلطات البريطانية ما يملكه اليهود بمساحة ١,٦٢٤,٠٠٠ دونما ، ومع ذلك فلم تكن تمثل غير ٧٪ من مساحة فلسطين .

وفي سنة ١٩٦٧ ــ ملكت اسرائيل كل ارض فلسطين واضعافها ..

وتحقيقا للخط الثاني .. كانت محاولة الشرعية الاولى مع دولة الخلافة .. مع السلطان عبدالحميد رحمه الله .. قيل ان هرتزل قابل السلطان عبدالحميد بنفسه ..

وقيل انه اوفد اليه وفدا من ثلاثة : ١) مزراحي قرصو (زعيم اليهود في سالانيك) . ٢) جاك ٣) ليون (وهما كذلك من زعماء اليهود) ..

وعرضوا على السلطان عبدالحميد (في حضور تحسين باشا رئيس الوزراء) ..

● ان يقوم اليهود بوفاء الديون المستحقة على الدولة العثمانية (وقدرها ١٣٣ مليون ليرة انجليزية ذهبية) .

● بناء اسطول لحماية الامبراطورية العثمانية (يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسي) .

● تقديم قرض بدون فائدة (قدره ٣٥ مليون ليرة ذهبية) لانعاش مالية الدولة ومواردها وذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين للزيارة في اي يوم من ايام السنة ، والسماح ببناء مستعمرة لهم قرب القدس الشريف ــ وقد رفض الخليفة المفتري على تاريخه ، وقيل انه بصق في وجه زعيمهم ..

● **أرض بلا شعب الى شعب بلا ارض (اسرائيل زانغويل)**

وكانت المحاولة الثانية في البحث عن الشرعية الدولية والحماية الاستعمارية .. عن طريق بريطانيا العظمى ، واستطاع اليهود خلال الحرب العالمية الاولى والثانية ان ينجحوا في المشاركة في هذه الحرب بما استمال بريطانيا العظمى اليهم ، ثم كانت صلات هرتزل ووايزمان من بعده استثمارا لهذه المشاركة واستفادة منها ..

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا « العظمى » قد اعطت العهد للشريف حسين بمنح الاستقلال للدول العربية ، والسماح بقيام خلافة « عربية اسلامية » يقوم عليها احد الاصلاء من مكة او المدينة ــ في نفس الوقت كانت الاتصالات باليهود قائمة ، وكان التعاطف معهم أشد ، وتم عقد اتفاقيتين سريتين في مارس سنة ١٩١٦ بين روسيا وانجلترا وفرنسا ، وفي مايو سنة ١٩١٦ بين الدولتين الاخيرتين (والتي عرفت بمعاهدة سايكس بيكو) وتقرر وضع اقليم فلسطين تحت حكم دولي يتمتع اليهود في ظله « بالمساواة السياسية والدينية والمدنية » .

ولم يعرف الشريف حسين الذي وثق في شرف بريطانيا « العظمى » بامر هذه الاتفاقات الا بعد ستة شهور وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا .. حيث اعلنت

عن هذه الاتفاقات .

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدر اللورد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا « العظمى » التصريح التالي :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي ، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى » .

وبهذا اعطى « من لا يملك » الى « من لا يستحق » اول حماية يتم التصريح بها ، واول خطوة على طريق الشرعية الزائفة ـ ومع ذلك اعتبرها الصهيونيون تصديقا بريطانيا رسميا على انشاء دولة يهودية في فلسطين وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الاراضي ووافقت على التصريح فرنسا وايطاليا في فبراير سنة ١٩١٨ وامريكا في اكتوبر سنة ١٩١٨ .

وكانت تتمة المؤامرة البريطانية ـ الغربية اعلان الانتداب على فلسطين بعد ضمها مع شرق الاردن والعراق الى بريطانيا .. واكتشف الشريف حسين ومن وراءه من العرب ان فلسطين قد سلمت لليهود ، وان العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة .

وكانت المحاولة الثالثة والاخيرة اعلان دولة اسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ في ظل حماية دولية انجليزية امريكية فرنسية روسية .

وسبقتها خطوة خطيرة على طريق الشرعية الدولية هو قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قبل الاعلان بشهور ستة .

هذا ما يراه البعض ..

ونحن معهم ان هذا التسلسل كان السبيل لتنفيذ المخطط عمليا ..

● **تاريخ أقدم**

ـ لكننا مع البعض الاخر .. الذي يرجع الامر الى ما قبل هرتزل بقرنين او يزيد ، حين دعا الحاخام ليفا (١٥٢٠ ـ ١٦٠٩) من براغ ـ دعا الى اتخاذ فلسطين وطنا لليهود .

واعقبه مورس هس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) الذي بدأ علمانيا ، ثم صبأ الى الماركسية مرتبطا مع ماركس ، لكنه اعرض عن الماركسية متجها الى مثالية يهودية مغرقة في حب التهود ، واصدر كتابه (روما والقدس) سنة ١٨٦٢ بسط فيه افكاره ، وتحدث عن ان اليهود « مدعوون مصيريا لتحويل العالم » ..

وبدأت الصهيونية المنظمة ، وظهرت حركة « احباء صهيون » تحت زعامة ليوبنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) في مطلع الثمانينات ..

وفي اواخر الثمانينيات والتسعينات جرت صياغة عقيدة الصهيونية على يد مدارس متعددة .

فالصهيونية العملية : ومن اشهر زعمائها دافيد عوردون (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) .. وقد جدد حركة « احباء صهيون » التى تقوم على العمل في ارض اسرائيل وانشاء المستوطنات والمستعمرات ..

والصهيونية السياسية : ويقوم على زعامتها ليوبنسكر في اوربا الشرقية ، واليهودي الهنغاري تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) .

ويقال ان كليهما في البداية لم يكن مقتنعا باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ..

وان هرتزل كان في البداية يفضل مواقع اخرى مثل الارجنتين وقبرص وشبه جزيرة سيناء لكنه مع المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت تغلب الاتجاه الى فلسطين .

وقد يؤكد القول بان هرتزل في البداية لم يكن متجها الى فلسطين لمحادثاته مع الزعماء الانجليز التي تم بناء عليها ايفاد بعثة الى سيناء سنة ١٩٠٦ لبحث مدى صلاحيتها على الطبيعة . لكنه من ناحية اخرى .. فان سيناء ملاصقة لفلسطين ، وهي من ناحية التقديس عندهم لا تقل عن فلسطين ففيها كلم الله نبيه موسى ، وفيها كتبت الالواح ونزلت الوصايا العشر ، ثم هي امتداد طبيعي لدولة اسرائيل الموسعة كما تكشفت اطماعهم عنها بعد ذلك (من الفرات الى النيل ، ملكك يا اسرائيل) .

اما الصهيونية الثقافية : فقد تزعم جناحَها أحدُها عام (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) ..

وقد اعلن ان وجود الامة اليهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الانسان الاكثر كمالا ..

ونحن نرى ان مراحل استلاب الوطن الاسلامي في فلسطين جرت على النحو التالي :

١ ـ قبل القرن السادس عشر الميلادي كان الامر مجرد امل لم يصرح به ..
٢ ـ منذ القرن السادس عشر الميلادي كانت مرحلة التفكير والدعوة ..
٣ ـ منذ القرن التاسع عشر الميلادي كانت مرحلة التخطيط ..
٤ ـ في القرن العشرين كانت مرحلة التنفيذ ..

وغني عن الذكر ان لاحق لليهود ــ تاريخيا ــ في ارض فلسطين .. فانها منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية ارض اسلامية .. وهي قبل هذا التاريخ ارض عربية وطوال خمسة الاف سنة فان عمر اليهود على هذه الارض الطيبة لم يجاوز ١٤٠ مائة واربعين سنة على فترتين ، الفترة الاولى بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٩٢٧ قبل الميلاد .. والفترة الثانية بين سنة ١٤٢ قبل الميلاد حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد كذلك ..

● ـ اما الاسباب التي ادت الى نجاح اليهود في استلاب الوطن الاسلامي في فلسطين ، فنحن نرجعها الى الاسباب الاتية :

١ ـ تخطيط اليهود وصبرهم على انجاحه

وقد بدأ التخطيط تفكيرا من مفكريهم كما اشرنا ثم انتهى الى اقرار خطة في مؤتمر بال ١٨٩٧ترمي الى تنمية الهجرة وشراء الارض من ناحية والبحث عن الحماية الدولية من دولة عظمى تظلها الشرعية الدولية الزائفة من ناحية اخرى .. ويقال ان البروتوكولات وضعت في المؤتمر الصهيوني الاول ..

وكلا الخطتين تدل على معرفة بأغوار النفس الانسانية وادراك بالجو الدولي الموجود واستغلال لاحداثه ..

وصبرهم على تنفيذ ذلك التخطيط رغم الاحداث الجسيمة التي واجهتهم من بعده كالاضطهاد الذي حدث لهم في مشرق اوربا ثم الاضطهاد الذي حدث لهم في المانيا على يدي هتلر ثم العقبات التي قامت في طريق اقامتهم دولتهم من مقاومة الشعب الفلسطيني وانضمام الشعوب العربية الاسلامية الى هذه المقاومة ومن قبلها رفض الخلافة العثمانية لوجودهم وتآمرهم على هذه الخلافة بما صرح به هرتزل في مذكراته من ان السلطان عبد الحميد رفض الملايين العديدة لقاء فلسطين فقبل حزب الاتحاد والترقي مليونين لتنفيذ نفس الغرض .

كل ذلك وغيره يكشف عن حسن تخطيط .. وعن صبر في التنفيذ وفي مقابلة ذلك ــ ونقررها بكل اسف ــ انتفى التخطيط لدى الامة الاسلامية او بالاصح لدى « اليقظى » من الامة الاسلامية وتوافر عندهم اخلاص بغير تخطيط شابه في كثير من الاحيان « قلة الصبر » على التنفيذ واستجابة لغير المخلصين لانهاء اوضاع تقلق اليهود .

٢ ابعاد الاسلام عن المعركة

واضح ان الاسلام كان الخطر الاول في المعركة :

اولا : بما يحمله لابنائه من عقيدة تؤثر الموت في سبيل الله على الحياة في ظل عبودية تفرضها اذل امة في الارض وبما يحمله كذلك من دعوة الى الجهاد واعتباره فرض عين اذا غزيت ديار الاسلام ... هذه العقيدة من غير سلاح كفيلة ــ باذن الله ــ بتحقيق النصر ..

فاذا اضفنا اليها امر الاسلام:(**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) الانفال / ٦٠

وأحسنا فهم الامر الرباني لوجدنا ان الاسلام يأمر :ــ

أ ــ بالتخطيط القوي .. وهو ما يحمله لفظ الاعداد وما يحمله لفظ القوة .

ب ــ بالاعداد المعنوي ..

جـ ــ بالاعداد العسكري .. حشدا وتدريبا وتسليحا ..

د ــ الاكثار من السلاح الثقيل وهو ما تعنيه (رباط الخيل) بعد « القوة » فهو تخصيص للاهمية والخطر ..

ثانيا : ما يحمله دخول الاسلام المعركة من دخول ثقل بشري لاقبل لليهود به . ونعني به الامة الاسلامية التي تناهز اليوم الف مليون من البشر ..

ثالثا : ما يحمله دخول الاسلام المعركة من ثقل سياسي واقتصادي لاقبل لليهود بمواجهته .. فمصالح اصدقاء اسرائيل اكثرها في امم الاسلام .. واحتياجات مناصرى اليهود الاقتصادية اكثرها في قبضة المسلمين ..

اما عن مظاهر اقصاء الاسلام عن المعركة وكيفيته :

فقد بدا وبدأ .. بما رتبه اليهود داخل دولة الخلافة نفسها .. وقام على تنفيذه يهود الدونمة ومنهم ومعهم حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة وهو ما عناه الكاتب الروسي سرجس نيلوس من اقتحام الافعى للاستانة في طريقها الى فلسطين ..

ثم تأكد ذلك باقصاء السلطان عبد الحميد الذي رفض عرض اليهود . ثم بالقضاء على الخلافة نفسها التي ما كان يمكن ان تسلم بقيام وطن يهودي وسط وطنها .

واستمرت محاولات اقصاء الاسلام عن المعركة بتكوين الجامعة العربية (بدلا من الجامعة الاسلامية) بفكر وزير الخارجية الانجليزي وقبل تمام الكارثة بثلاث سنوات .. وبحمل الجامعة العربية لواء الجهاد من اجل فلسطين تم تخدير بقية العالم الاسلامي عن النهوض للمعركة .

وزاد اقصاء الاسلام عن المعركة بدخول جيوش سبع دول عربية الى المعركة فما حاجة بقية المسلمين للجهاد وقد تولته جيوش سبعة فيها ابطال ومغاوير ..

● ـ اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة :

منذ ذاق الانجليز ومن بعدهم اليهود بسالة الشعب الفلسطيني وتضحيته وتصميمه على الدفاع عن وطنه واذ عرفوا انه صاحب المصلحة الاول في الدفاع عن التراب الاسلامي في القدس وفلسطين ..ومنذ ظهر منه امثال الشهيد عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس والشهيد حسن سلامة قائد المنطقة الوسطى .

فقد قرروا اقصاءه عن المعركة ..
وكانت قمة التخطيط والتنفيذ ادخال سبعة جيوش عربية الى فلسطين لتخوض المعركة مع اليهود بالنيابة عن الشعب الفلسطيني ..!
وسبقها وعاصرها حرمان الشعب الفلسطيني من التدريب ومن التسليح وتشكيك الجيوش العربية في امانة الشعب الفلسطيني واتهامه بالعمل لحساب العدو اليهودي .
وكنت اعجب كيف لجيش عربي يقوده انجليزي صريح ان يخوض حربا لصالح المسلمين وضد اليهود الذين ضمن لهم الانجليز بالوعد والتخطيط والتنفيذ قيام وطن لهم في فلسطين ؟ وكنت اعجب لجيش اخر .. بل جيوش اخرى في بلاد يحتلها الانجليز .. كيف سمحوا لها بالمرور الى فلسطين ..
حتى ادركت ان المطلوب هو اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة وفعلا نجحت الخطة واقصى الشعب الفلسطيني عن المعركة وسلمت اراضي فلسطين جزءا جزءا .. من الجيوش العربية الباسلة الى اسرائيل المزعومة وبعد ان انتهت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطيني قد تم اقصاؤه حربيا من المعركة . وتم بعد ذلك اقصاؤه سياسيا عنها .. فتحولت القضية امام الامم المتحدة الى نزاع بين دول ذات سيادة .. عربية واسرائيلية ..
وحين بدت بادرة ظهور العنصر الفلسطيني سنة ١٩٦٧ .. تم حشد القادرين منهم فيما سمي بجيش التحرير الفلسطيني ليتم التهامهم في اول ضربة لليهود في يونية سنة ١٩٦٧.

الحاضر الأليم في فلسطين

○ من الناحية السياسية :

أ ـ الدولة شعب واقليم وسيادة :

والشعب الفلسطيني اليوم .. موزع بين الاقطار ممزق بين المنظمات والاحزاب .. مما سنزيده تفصيلا عند الكلام عن الناحية الاجتماعية ان شاء الله ..
واقليم فلسطين اليوم .. غير موجود على الخريطة السياسية .. موجود بدلا منه دولة اسرائيل وهي لم تكتف باراضي فلسطين .. بل ابتلعت في توسع سنة ١٩٦٧ الجولان من سوريا والضفة الغربية من الاردن وشبه جزيرة سيناء من مصر .. والاراضي التي ابتلعتها في التوسع الاخير اضعاف ما امتلكت من قبل بغير حق ..
ولا سيادة لشعب فلسطين على ارض فلسطين .. بل ولا سيادة له في مكان

آخر .. والمنظمة التي نشأت في اواخر الستينات .. نشأت الى جوارها تيارات اخرى .. بل مزقتها من الداخل تيارات مختلفة .. واشارت اصابع الاتهام اليها في مذبحة ايلول وما لحقها من مذابح .. انها مهدت واحيانا شاركت ..
وهي على اي حال قد احتوتها التيارات التي احتوت كثيرا من الانظمة ومن المنظمات في المنطقة .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

ب ـ الشرعية للغصب الاسرائيلي تتم باعتراف اصحاب الحق نفسه

حرصت اسرائيل منذ قيامها بل ومن قبل قيامها ان تستر غصبها بشرعية رفضها اصحاب الحق يوم ان قالوا : « ان من لا يملك اعطي من لا يستحق ».. لكنها ـ بكل اسف ـ اليوم في دور اعتراف اصحاب الحق نفسه .. ومتى تم ذلك انتفت عن اسرائيل كل ما قيل من اغتصاب وسلب لارض الاسلام .. ومن هنا كانت الخطورة .. وقد سبق هذه الخطوة تمهيد على النحو التالي :

١ ـ تمهيد اعلامي : بان اسرائيل امر واقع وان لاقبل للعرب بدفعها عن فلسطين .

٢ ـ تمهيد حربي : باحراز بطولة ـ ولو جزئية ـ في جانب العرب ليبدو قبول « السلام » من موقع القوة فلا يرفضه الشعب العربي باعتباره استسلاما ..

٣ ـ تمهيد اقتصادي .. باحداث خنق اقتصادي للشعب العربي في المنطقة خصوصا الجزء منه الذي يتصدر للمعركة .. حتى يلوح « السلام » انقاذا للشعب مما يعانيه ..

٤ ـ تمهيد سياسي : وذلك باحاطة اسرائيل بانظمة ـ تعمل لحساب الصهيونية ـ عن قصد او غير قصد ـ بتحطيم معنويات الشعوب وتحطيم قيمهم واخلاقهم والتمهيد اعلاميا للاعتراف بالغصب بل وللتعاون مع الغاصب وحسبنا ان نعرف ان نظاما ما استطاع يهودي ان يتسلل اليه وتسمى بغير اسمه وصار يعدل في الوزارة ويبدل وقد عرضت عليه هو الوزارة فابى بنصيحة من كبرائه في اسرائيل لان مكانه اقوى من وزير ..
وفي نظام اخر وصل عملاء الصهيونية واعضاء الماسونية الى حد تسيير دفة الحكم والجلوس على رأسه وكان من وزرائهم اليهودي او من هو متزوج بيهودية ولا شك ان ذلك كله لم يحدث الا بعد ان قامت دولة اسرائيل وارتؤى ان الانظمة الرجعية صارت عاجزة عن تحقيق الهدف بل هي حجر عثرة في سبيل تحقيق الهدف .. ومن ثم عرفت المنطقة « مودة » الانقلابات العسكرية ..

جـ ـ المستقبل السياسي لاسرائيل :

المغفّلون او المغفلّون يعتقدون ان اسرائيل بعد الاعتراف بها والصلح معها سوف تقنع بما هي عليه ..
وتاريخ الصهيونية وطبيعتها واهدافها وكتبها .. كل ذلك يأبى عليها ذلك ..
وحسبهم ان يقرأوا التلمود وان يقرأوا البروتوكولات بل ان ينظروا الى ماكتب في الكنيسيت نفسه .. فلم يعد في الامر عندهم حياء ..

وبلغة اصحاب الحق تحدث رئيس اسرائيل في يوم اليم عن انهم اصحاب حق يستردون ارض الاجداد .. وكأن الذين عاشوا عليها اربعة عشر قرنا ليسوا اصحاب حق حين عاشوا تحت راية الاسلام وكانهم قبل الاسلام حين عاشوا قرونا عديدة ليسوا اصحاب حقوق وتحدث رئيس اسرائيل عن العبقرية اليهودية وعما يمكن ان تفعله في المنطقة .

ولئن كان حديثه عن الناحية الاقتصادية .. فاني اقدم عليها الناحية السياسية لاقول انه ان ظل الوضع المفتوح فبوسع العبقرية اليهودية ان تفعل ما تشاء في المنطقة ولها ان تحرك الدمى بما ترى ولها ان تغير الدمى ان ضاقت بها الشعوب او احاطتها الشكوك .. ولها ان تمضي في التوسع بعد ذلك غير عابئة بالضمانات فما ضمانات اليوم باعظم ولا ابقى من وعود الامس وقراراته .

كل ذلك .. لان اسرائيل اسقطت من حساباتها حاليا الاسلام واهله بعدما نزل على رءوسهم من ضربات تدوخ وتكسر وتقتل ..

لكن عقيدتنا في الله لم تتزعزع وايماننا بانتصار الاسلام لم يهن ولن يهون:(**وإن جندنا لهم الغالبون**) الصافات / ١٧٣ .

ثانيا ـ من الناحية الاجتماعية :

أ ـ شعب تمزق

مزقته الخلافات قديما وحديثا ومزقه التشريد وحياة الخيام ومزقه الجوع والعرى والمرض .

ب ـ شعب تحلل

تحلل فكريا بعد ما مزقته تيارات عديدة .. علمانية ، شيوعية ، وجودية ، يهودية . وتحلل خلقيا بعد ما مزقه التشريد والحاجة ، وسرى فيه الاختلاط والانحلال ، وتحلل أسريا بعد ما تمزقت الاسرة الواحدة بين بلاد وأقطار .. ولم يعد فيها من ينصت الا لنداء البطن .. وما حوى ..

كل ذلك الا من رحم ربي ..

جـ ـ شعب يهود

« ان أمام العرب في اسرائيل ثلاثة خيارات :

أ ـ اعتناق الدين اليهودي .

ب ـ الطرد خارج البلاد ..

جـ ـ الابادة التامة . (ابن جوريون) .

*** « سنصل الى وقت نعرف فيه كيف نمنع من لا يضع القلنسوة اليهودية فوق رأسه أن يعيش بيننا » . (جولدا مائير) .**

*** « ان فرعون أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببني اسرائيل مسلك الارهاب والتنكيل فانتصروا عليه وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه ، ولكنه لو أنشأ مدارس وجامعات يغير فيها أفكارهم ، ويقتلهم قتلا معنويا ، ويجعلهم ينحرفون عن هدفهم الاصيل ، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف يتفانون في تحصيله ، لو**

فعل ذلك لأراح واستراح ، ولسجل التاريخ مفخرة خدمة العلم بدلا من لعنات البطش والارهاب » .. (الفيلسوف الهندي أكبر إله أبادي) .

ولتحقيق هذه الغاية تمضي برامج الاعلام ، ومناهج التعليم لتحقيق هذه الغاية ولتحقيق هذه الغاية تمضي السياسة الاقتصادية نحو تنمية الحاجة لدى العرب القانطين داخل اسرائيل ..

ولهذه الغاية تمضي سياسة « التهجير » و « الاستيطان » ونزع ملكية العرب المقيمين في فلسطين .

● **مستقبل فلسطين :**

الحديث عن المستقبل حديث شائك ، اذ لا يعلم الغيب إلا الله .. لكن الله سبحانه .. أجاز لنا « الاعداد » ذاك قوله:(**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**) الانفال / ٦٠ والاعداد يقتضي « التوقع » بالنسبة للمستقبل والعمل على أساس من ذلك التوقع .

والله سبحانه وتعالى جعل لنا كذلك « سننا كونية » تعيننا على ذلك التوقع ، منها:(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/ ١١ ، ومنها: (**وتلك الايام نداولها بين الناس**) آل عمران/ ١٤٠ ، ومنها:(**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/ ٧ . فمن خلال هذا وذاك .. نستطيع بعون الله ــ دون رجم بالغيب ــ أن نرسم صورة المستقبل من خلال الاحداث ، ثم نحاول رسمها من خلال الايمان .

١ ــ المستقبل من خلال الاحداث :

من خلال الاحداث يستطيع المجتهد أن يستنبط ما يلي :

أ ــ لا مستقبل لفلسطين :

ذاك منطق الاحداث وتوقعاتها .. ان الصهيونية وضعت أقدامها ، واني لها أن تتزحزح .. !

وأنها في كل جولة تكسب الجديد ، فتنقلب مطالبة العرب بالجديد وتنسى القديم .

وهو ما نراه من مطالبة العرب بالجلاء عن الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ .. وكأن الاحتلال الذي تم قبل سنة ١٩٦٧ قد صار أمرا شرعيا وحقا مقررا لليهود ..

وفي الجولة القادمة ــ ان بقيت الأوضاع على ما هي عليه ــ تكون أراضي ١٩٦٧ أمرا شرعيا وحقا مقررا لليهود ، وتكون المطالبة بالاراضي التي ستحتل بعد ذلك ..

والمجتمع الدولي ــ بتأثير الصهيونية والصليبية العالمية ــ يضفى الشرعية ويحرسها في كل توسع صهيوني .

فالمجتمع الدولي ــ بالتأثير السابق ــ هو الذي قسم ارض فلسطين سنة ١٩٤٧ بين اليهود والعرب .. وكانت من قبل خالصة للعرب وحدهم ، ولم يكن لليهود فيها ادنى نصيب .. والمجتمع الدولي هو الذي عاد بعد ذلك يصدر القرار

٢٤٢ والقرار المعدل له ليعترف بفلسطين كلها لليهود وليطالبهم فقط بالجلاء عن الاراضي العربية الاخرى التي احتلتها اسرائيل علاوة على فلسطين سنة ١٩٦٧ .

وغدا تحتل اسرائيل اراض اخرى فيكون قرار المجتمع الدولي الاعتراف بالاراضي القديمة والمطالبة بالجلاء عن الجديد .

ومثل اخير .. إن القدس المسلمة قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين فيها .. إن اسرائيل تعلن انها عاصمتها وانها لا تتنازل عنها ، وتعلن امريكا تأييدها لها في ذلك .

وهكذا ..

ب ـ المستقبل للصهيونية :

المستقبل للصهيونية إن بقيت الاوضاع على ما هي عليه ، فالسنن الكونية تعمل في جانب من يعمل ، ولا تعمل في جانب من يتقاعد أو يتكاسل أو يتجابن .

وواضح أن الصهيونية تعمل .. مخططة .. ثم منفذة ..

وأن العرب والمسلمين .. يتصايحون .. ويكتفون بالصياح .. ويتسابون فيما بينهم ويتقاتلون كذلك فيما بينهم أشداء على المؤمنين رحماء باليهود ، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين .. !

والصهيونية .. كما يبين من مخططاتها .. لا تكتفي بفلسطين .

إنها تحلم بالدولة الكبرى من الفرات إلى النيل ..

وتحلم من بعدها بسيادة العالم كله ..

وخطواتها التنفيذية تؤكد أنها تنفذ ما تحلم به وما تخطط له ..

ونجاحها فيما مضى قد يكون دليلا على نجاحها فيما بقى ..

وإذن فأرض الكنانة في مصر مهددة .

ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مهدد كذلك .. هذا كله .. بشرطين : ان تبقى أوضاعنا على ما هي عليه .. وأن تبقى السنن الكونية تحدث تأثيرها .. لكن حتى يكون .. تقييمنا .. صحيحا لابد من النظرة الاخرى .. فلها نعيش .

٢ ـ المستقبل من خلال الايمان

النظرة الايمانية تختلف كثيرا عن النظرة من خلال الأحداث وحدها **وهي** في اختلافها تقوم على أسس مغايرة :

١ ـ ان الله سبحانه خالق السنن الكونية قادر على أن يعطلها أو يغيرها ، فمن السنن الكونية أن النار تحرق .

لكن ارادة الله حين شاءت .. جعلت النار بردا وسلاما على ابراهيم .

ومن السنن الكونية أن الماء يغرق .

لكن ارادة الله حين شاءت .. فرقت البحر فرقين : **(فكان كل فرق كالطود العظيم)** الشعراء/٦٣

٢ ـ انه الى جوار السنة الكونية ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فان

مفهوم المخالفة .. انهم ان غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم مؤكدا قوله : **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** محمد/٧

ومن هنا المنطلق ..

ومن هنا يبدأ العلاج ... إن كنا نريد عودة فلسطين ..

ونضع بعون الله الشروط :

لا بد من التغيير ...

من القمة الى القاعدة .. من الرأس الى القدم ...

لا بد من تغيير كلي .. لما بأنفسنا .. حتى يغير الله ما بنا ..

لا بد ان يكون التغيير على اساس الاسلام ..

لأن التغيير من غير اسلام .. لا يكون معه نصر الله .. ولا يكون هو التغيير الذي عناه الله ..

وقد رأينا انهم حين أرادوا سلب فلسطين ابعدوا الاسلام عن المعركة وتمثل ذلك في انشاء الجامعة العربية (بديلا وامتصاصا للجامعة الاسلامية) قبل اعلان دولة اليهود بثلاث سنين ..

ثم تمثل في دخول الجامعة العربية وجيوشها لتكون حائلا دون تحرك جيوش إسلامية اخرى .. ففيها الغناء والكفاء ..

ثم تمثل في التآمر على العناصر الاسلامية التي بدأت خوض المعركة للحيلولة دون نزولها بثقلها الى المعركة ..

وقبل ذلك كله تآمرهم على دولة الخلافة الاسلامية تنفيذا لما قالوه من ان الأفعى اليهودية لا بد ان تمر بالاستانة في طريقها الى اسرائيل ..

وعلى ذلك فاذا كانت فلسطين قد استلبت لما ابعد الاسلام عن المعركة فانها لن تعود إلا إذا عاد الاسلام الى المعركة ..

والاسلام فوق ما قدمنا يقدم :

- ثقلا عقيديا يغير الكيفية التي تدار بها المعركة ويغير نتيجتها ..
- ثقلا بشريا .. ولهذا اثره في استراتيجية الحروب ..
- ثقلا سياسيا .. بوقوف الدول الاسلامية كلها ـ بدلا من الدول العربية المحدودة ـ خلف المعركة ..
- ثقلا اقتصاديا .. بوقوف موارد الدول الاسلامية ـ وهي اليوم اغنى دول العالم ـ خلف المعركة ..

ومن قبل ذلك .. ومن بعد ذلك .. ما اشرنا اليه من نصر الله الذي لا يتنزل إلا على نوعية معينة ..

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) آل عمران/١٢٥

(وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران/١٢٦ .



للأستاذ / محمد الشاذلي النيفر

حرص الصحابة على تقويم انفسهم

كان جارية بن قدامة من الصحابة الحريصين على ان يستفيدوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحة جامعة مغنية يبني عليها حياته ، ويركز عليها مستقبله واستطاع الصحابة رضوان الله عليهم ان يكونوا في طالعة الامم ، وان يصبحوا كالنجوم يهتدي بهم في ظلمة الليل الداجي ، فكما ان النجوم كانت مبعث هداية في ظلمات البر والبحر ، كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم في الهداية الى الرشاد ، والسير بالأمم الضالة التي لعبت بها الاهواء ، وضلت عن أخذ مسيرتها الهادفة الى الخير والصلاح ، واستطاع الصحابة ان يصلوا الى ما وصلوا اليه لكونهم عرفوا كيف

يستفيدون من منبع الحكمة ، والقدوة الحسنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما اتضح من الموقف الذي وقفه جارية بن قدامة ، وهو موقف الاستفادة بأخصر ما يمكن ، حتى تستقيم له نفسه ، ويرهف حسه .

جاء جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخاري :

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني .

قال : لا تغضب فردد مرارا ، قال : لا تغضب .

اخرجه في باب الحذر من الغضب .

ووضح هذا الموقف لجارية بن قدامة الامام الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة في باب ما جاء في كثرة الغضب حيث قال :

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئا ولا تكثر علي لعلي أعيه ، قال : لا تغضب ، فردد ذلك مرارا ، كل ذلك يقول له : لا تغضب .

لماذا كرر النهي عن الغضب ؟

وانما اراد النبي صلى الله عليه وسلم بتكرار قوله لجارية : لا تغضب لمعنى يفهمه المتدبر التدبر العميق ، وهو انه صلى الله عليه وسلم اراد ورمى الى اصلاح الغريزة الانسانية .

اراد اصلاحها لأن الانسان مقيد بالغريزة كما يتضح من أحوال الانسان وكذلك الحيوان .

فالانسان منذ نعومة اظفاره ، ومنذ خروجه من بطن امه تمتلكه مثلا غريزة تدعوه للعيش ، وهي غريزة التهام الثدي من امه عند احساسه بالجوع من غير شعور .

فالغريزة صفة راسخة في كل كائن حي ، تصدر عنها اعمال تترتب عليها من غير تعليم ، بل هي طبيعية ناشئة عما في الذات من دفع عند الشعور بشيء ما ، كالفرار عند الخوف .

والغريزة عند الانسان ككل عرض يحدث فيه بدون ان يستعد له ، وانما هو امر لا شعوري يندفع له اندفاعا في زمن ما ، وحال خاصة يجري اليه وهو منساق اليه ، ومدفوع بطبيعته نحوه .

وتحتاج هذه الأعراض الطبيعية في النفوس الى التعهد والاصلاح ، والنظر البصير ، والا آلت بصاحبها الى حال مردية .

واحتاجت الى التعهد لكونها مختلفة في دفعها ، ومتباينة في عواقبها ، فمنها ما هو الصالح اذا استقام توجيهه ، ومنها ما يجب الاقلاع عنه وحسم دفعه من اول وهلة ، حتى لا يتردى المدفوع بالغريزة الى التردي في المهالك ، والتدحرج شيئا فشيئا الى عاقبة تكون قاضية على صاحبها .

الموقف التحليلي

وضح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :

(لا تغضب) الذي لا يعيره البعض

اهتماما ذهابا منه الى انه مجرد تكرار توصية للتحريض على عدم الغضب ، مع انه ذو مغاز كما يجليه التوضيح .

وضح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذلك الغرائز التي يجب الاقلاع عنها ، وهو توضيح للغرائز ، وتنبيه على مالها من التأثير ، لم يتوصل اليه علم النفس الحديث الا بعد محاولات وتلاقح فكري بين علماء مختلفين من امم شتى ، ومع هذا التلاقح لم يقع التوصل لما وصل اليه الحديث النبوي الشريف .

اشار الحديث المذكور الى التقسيم الثالث للشعور الانساني ، وهو النواحي النزوعية ، كما عند علماء النفس الذين يقسمون الشعور الانساني الى ثلاثة اقسام :

١) **النواحي الادراكية** : وهي النواحي العقلية التي اذا سيطرت على الشعور الانساني استقام امره بشرط ان تتهذب وتتعلم ، لأن العلم الصحيح قائد الخير .

٢) **النواحي الوجدانية** : وهي النواحي المترتبة على الشهوة النفسية الراغبة في الملذات ، وما يجلبها .

٣) **النواحي النزوعية** : وهي التي أشير اليها في الحديث هذا ، ونجد الأقسام الثلاثة التي توصل اليها علماء النفس اخيرا بعد تفكير من العلماء ، وعصور متلاحقة ، وازمنة مختلفة وفي اقطار متنوعة ، نجدها في الحديث النبوي موضحة محكمة في تقسيمها وانما تحتاج الى درس وبحث عميقين في الاطلاع على الاحاديث الموزعة على كتب السنة .

النفس الغضبية أو النواحي النزوعية :

ركز قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تغضب) على قسم هام من الشعور الانساني وهي النواحي النزوعية المركبة في الخلقة البشرية ، وهي نوازع الشر ، وقد اراد الله اظهارها من النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جارية بن قدامة عن نصيحة مختصرة فأجابه بقوله لا تغضب .

وقد اشار بقوله هذا الى مصدر الشر ومنبعه ، ومنه يتوصل الى تفاريع متعددة يتنبه لها الباحث ، ومن هؤلاء الامام الغزالي في كتابه الاحياء حيث اشار الى داء الغضب في ربع المهلكات ، وعقب هذا الربع بربع المنجيات .

حتى يكون الدواء مذكورا بعد ذكر الامراض ، فالنفس الانسانية معروضة لامراض عدة منها انسياقها مع النواحي النزوعية منها

وداء النزوع الى الشر موجود في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

لماذا تكرر النهي عن الغضب وما المراد منه ؟

جاء النهي عن الغضب في حديث جارية بن قدامة وغيره ، ومن ذلك :

ان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

قل لي قولا واقلله لعلي اعقله ، فقال لا تغضب ، فأعدت عليه مرتين ، كل ذلك يرجع الى لا تغضب رواه ابو يعلي باسناد حسن .

ومنه ما رواه عنه عبد الله بن عمرو ابن العاص من انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله ؟

قال : لا تغضب

رواه الطبراني في مكارم الاخلاق ، وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن ومنه الحديث الشارح لامتلاك النفس حتى لا تذهب بها نوازع الشر الى المخاطر ، وهو الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تعدون الرقوب فيكم ؟

قال : قلنا : الذي لا يولد له

قال : ليس ذاك بالرقوب ، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا .

قال : فما تعدون الصرعة فيكم ؟

قال : قلنا : الذي لا يصرعه الرجال

قال : ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب .

اخرج الحديث مسلم في صحيحه .

في الحديث أمران :

الأمر الأول : هو استفهام النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقوب ، وهو بفتح الراء وضم القاف الممدودة المخففة ـ فأجابوه بأنه الذي لا يعيش له ولد .

فأجابهم بأنه الذي لم يمت له ولد فيحتسبه .

الأمر الثاني : هو استفهامه عن الصرعة ـ بضم الصاد وفتح الراء ـ فأجابوه بأنه هو الذي لا يصرعه الرجال ، وهو الذي يصرع الناس كثيرا .

فأجابهم بأن الصرعة هو من يملك نفسه عند الغضب ، فهو الممدوح لا الذي لا يصرعه الرجال .

والمستخرج من الحديث فضل المحتسب لموت ولده بالصبر والرجوع الى الله الذي اعطى ثم اخذ .

وكذلك التحريض على كظم الغيظ ، وامتلاك النفس عند اشتداد الغضب وجمع صلى الله عليه وسلم بين فضل احتساب موت الولد ، وبين امتلاك النفس عند الغضب لمعنى لطيف ، وهو ان امتلاك النفس في هذين الموطنين شديد غاية الشدة ولا يستطيعه الا الذين يكونون في نفوسهم شخصية قوية في امكانها ان تتغلب في المواقف الصعبة .

فصاحب الشخصية القوية ربان سفينة لا تؤثر فيه العواصف ، لأن من تؤثر فيه العواصف يلقي بمقود سفينته فتصبح ألعوبة للامواج .

ترمي الاحاديث العدة المتكرر فيها النهي عن الغضب الى اجتناب اسباب الغضب ، والى عدم الاسترسال معه فيما يدعو اليه .

اما النهي عن ذات الغضب فلا يمكن ، لأن نفس الغضب مطبوع عليه الانسان ولا يمكن اخراج الانسان عن طبيعته كما تدعوه الى عدم الجوع المفطور عليه الانسان فاذا قلت له لا تجع ، لم تنهه عن الجوع ، وانما نهيته عن اسبابه ، وعن عدم ادخاله على نفسه .

ثم ان الغضب حمية للحق ممدوح فلا يمكن ان يتجرد الانسان من التأثر غضبا ، اذ هو نقصان في الانسان ، وانحلال وذوبان .

واذا انهارت الامم اخلاقيا فقدت الحمية ، وذهب منها الاحساس ، وهو ما عليه الكثير من الشباب المتميع في اخلاقه ، ومؤدى ذلك ان تصبح الامة لا تذود عن حياضها .

وحفاظا على تلك الحمية للحق ، صونا له من الدوس بأرجل العاتين ، وصف الله المؤمنين اصحابه صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)

٢٩ / الفتح وفقدان الحمية يجعل صاحبه كالحمار كما قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار » .

اسباب ونتائج

للغضب اسباب ونتائج متعددة ، فمن اسبابه :

الكبر ، والحمية في الباطل ، والزهو ، والمزاح ، والهزل والهزء ، والتعيير والمماراة ، والمضادة ، والغدر ، وشدة الحرص على المال ، والجاه ، وتتجنب هذه الاسباب بأخذ الحريص على السمو النفسي في اضدادها مثلا يقلع الزهو بالتواضع ، والعجب بمعرفة الانسان حقيقة نفسه ، والمزاح بالتشاغل بالمهمات الدينية ، وما ينفع في الدنيا ، والهزء بتجنب إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن ان تكون محل هزء للغير ، والتعيير بالحذر عن قول القبيح والاجوبة الجارحة .

ونتائج الغضب لا تحصر وما نراه من الجرائم الكثيرة يرجع اما الى الغضب ، او الطمع فالاورواح المزهقة ، والاجسام المحطمة ، والاموال المبددة ، والحروب المسعرة والشتائم المنهالة ، والمعالم المزالة ، والبناءات المنقوضة وما هو من افساد وتحطيم كل ذلك مبعثه الغضب وكما للغضب هذه الآثار فله اثار سيئة اخرى منهاالامراض النفسية ، ومنها الجسمية مثل الجلطة الدموية وغيرها .

فالغاضب حين يغضب وتهم نفسه بشيء من ذلك ليقلع عنه يتحكم في نفسه ، وأسباب الاقلاع متعددة :

منها الرجوع الى ما امر الله في كتابه الكريم من العفو ، وكظم الغيظ قال :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

الاعراف / ١٩٩ ذكر مالك بن اوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب غضب على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

فردد عمر قوله تعالى ذلك ، فتامل فيها ، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه ، كثير التدبر فيه ، فتدبر في الآية ، وخلى الرجل .

واين هذه القصة من قصة اخرى جرت في انكلترا ، وهي من البلدان الشهيرة بأن قضاتها من ارقى الناس ، واشدهم تمسكا بالقانون ، وهي ان بعض القضاة وقف بين يديه متهم صدر منه ما يسيء يحكم عليه بعام سجنا ، فقال له : زدني ، فزاده عاما آخر ، فطلب الزيادة في السجن فزاده الى أن بلغ الامر الى انه حكم عليه بعشر سنين سجنا حسب طلبه .

وسنتبين من موقف عمر في القضاء ، وموقف هذا القاضي في عصر المدنية في بلد يحمل راية الديمقراطية ، ان التكوين الاسلامي للسمو النفسي لا يعادله اي تكوين آخر وذلك ان التكوين الاسلامي يجعل الضمير مرهفا لقبول الحق والنصيحة ، مطواعا للرأفة والرحمة ، ميالا لما يجبر القلوب ، ويقصي عنها الفظاظة .

والمثال الكامل في البعد عن الفظاظة والقساوة والغلاظة من اختاره الله لمهمة ارشاد البشر ، واقتلاع جذور الفساد منهم ، والتبرئة لهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه قوله تعالى :

(ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)
آل عمران/ ١٥٩

ومن اسباب الاقلاع عن الغضب ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى ، فالذي يذكر الله عند غضبه ، ويذكر غضبه جل وعلا عنه ، ورجاءه في عفوه ، لا بد ان يقلع عن الانتقام .

ومن اسباب الاقلاع ، وانكفاف النفس الحذر من عاقبة العداوة فان من شفى غيظه من الذي غضب عليه ، لا يأمن أن يأتي يوم يستطيع ذلك المغضوب عليه والمنتقم منه ان يشفي هو ايضا غيظه وهكذا دواليك او يقوم مقامه في الانتقام اقاربه حمية لمن انتقم منه .

وتبادل الانتقام من أكبر أدواء الأمم فبه يتحطم كيانها ، وينهار بنيانها ، وتذهب اعمالها سدى ، وتبيد امكانياتها .

فما يتبجح به الشعراء مثل قوله :

فتى لا يبيت على دمنة
ولا يشرب الماء الا بدم

الدمنة الحقد ، ومعنى البيت انه لا يبيت على حقد لا لصفاء نفسه وانما يشفي غليله من اعدائه بالانتقام .

فيه قطع البنان ، وهدم البنيان فهذا قيس بن زهير بن جذيعة العبسي الذي كانت بسببه حرب داحس والغبراء يعرب عن هذا في قوله :

شفيت النفس من حمل بن بدر
وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان اك قد بردت بهم غليلي
فلم اقطع بهم الا بناني

المثالية الكاملة في محو اسباب الغيظ :

نجد المثالية المتناهية في الكمال في محو اسباب الغيظ في النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتجلى ذلك في غزوة فتح مكة ، والتمكن من ناصية قريش الاعداء الألداء لصاحب الرسالة صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وللدعوة ، فانهم لما حاربوا الاسلام حاربوه بكل ما أوتوا من قوة ، وسلطوا على من أمكنهم التسلط عليهم إذايتهم والعذاب الشديد حتى مات من مات تحت سوط عذابهم .

ولو تمكنوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وظفروا به ليلة هجرته ، لمكنوا من جسده الشريف سيوفهم ، ولتفرق دمه في القبائل .

ولم يكفهم ما صنعوا بالمسلمين قبل الهجرة فأضافوا الى ذلك وحشيتهم في قتلى احد فمثلوا بقتلاه من المسلمين ، وفيهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ولولا عناية الله ثم عزيمة المسلمين لجعلوا المدينة اثرا بعد عين في غزوة الاحزاب ، فانهم البوا العرب انصياعا ليهود بني قريظة ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم ونفوسهم ملأى بالحقد والغيظ ، تريد الانتقام والتشفي من الاسلام والمسلمين .

ولا يشك احد من المسلمين انهم لو انتصروا في غزوة الاحزاب ولم يرجعوا ، وكيدهم في نحرهم ، لحكموا السيف في كل المسلمين ابرادا لغليلهم ، وانتقاما من دين الله القويم .

وكانت غزوة فتح مكة التي تجلى فيها السمو الانساني والطهارة النفسية في رمضان السنة الثامنة من الهجرة النبوية .

فهو عليه الصلاة والسلام خرج لفتح مكة بعد الاستعداد لذلك ، وأخذ الحيطة حتى لا يؤتي المسلمون وهم بعيدون عن حاضرة الاسلام المدينة المنورة وحين تهيأ المسلمون لفتح مكة كانت حادثة حاطب بن ابي بلتعة اذ بعث بكتاب الى زعماء قريش مع امرأة تسمى سارة يخبرهم فيه باستعداد المسلمين لفتح مكة واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وحيا بما صنع حاطب بن ابي بلتعة فبعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ليلحقا بها فلحقا بها فلم يجدا الكتاب ، فهددها علي ابن ابي طالب فأخرجت الكتاب فجيء به اليه فخاطب حاطبا في ذلك ، فنفى عن نفسه الردة لكن عمر رآه مخالفا للاوامر واحب القصاص منه فلم يأذن له النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وهذا من كرمه وعدم غضبه فتمتع حاطب بالعفو .

خرج رسول الله الى مكة جادا في سيره فخرج اليه من خرج مسلما ومنهم ابو سفيان فلما عفا عنه قال :

بأبي انت وامي ما اوصلك وما احلمك .

ثم دخل مكة لعشر بقين من رمضان السنة الثامنة من الهجرة ، بعد ان اعلن في الناس ان من دخل دار ابى سفيان فهو آمن .

ومن دخل المسجد فهو آمن

ومن اغلق عليه بابه فهو آمن

وقصد الكعبة حين دخولـه مكه فطاف ، بالبيـت وهـو حلال غـير محرم ، وصلى ركعتي الطواف

ثم جلس في ناحية من المسجد ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، وهزم الاحزاب وحده .

ثم قال صلى الله عليه وسلم :
يامعشر قريش ويا أهل مكة
ما ترون اني فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا ، اخ كريم ، وابن اخ كريم

فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء

ضرب الرسول الكريم عليه افضل الصلوات والتسليم المثل الكامل في العفو ومحو آثار الغضب ، بل في التعالي عن الغضب ، اذ جعل اهل مكة عتقـاء ، وهـم قد نكلـوا بالمسلمين ، وصدوا دعوة الله عن أن تكون مدوية ، فلولا انها دعوة الله لوادوها في المهد ، وقبروها الى الابد .

لم يؤاخذهم بالجرائـر ، وعفـا واصلح فسل سخائم القلوب ، وحبب الايمان للنفوس فانشرحت الصدور ودخل الناس في دين الله افواجا .

الغضب والقضاء

اعتنى الاسلام الدين الحنيـف بالقضاء حتى لا يدخلـه الغضـب فيخرج به عن كونه قضاء الى كونه انتقاما وتشفيا ، واحق شيء بالبعد عن الانتقام والتشفي وابراد الغليل هو القضاء ، لكونه الميزان العـدل الذي يتحاكم الناس اليه ، فاذا دخلته الاهـواء سواء كانـت من ناحيـة المراعاة او من ناحية الانتقام اختل نظامه وساءت احكامه .

وابعادا للقضاء عن كل ما هو من الحيف جاء عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو بكرة رضي الله عنه لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان .

وقد اخذ فقهاؤنا بهذا الحديـث حتى يكون القضاء بريئـا من كل شائبة من الشوائب ، لا فرق فيها بين ما ينفع بدون حق او ما يضر بدونه فاشترطوا ان لا يقضي القاضي وهو غضبان ، والحقوا بالغضب كل ما يدهش الفكر مما لا يجعله في غير الحال الطبيعية ، مثل شدة الجوع والتخمة والمرض المؤلـم والخـوف المزعج .

فالقاضي ينبغي بل يتحتم ألا يكون عليه تأثير ما ، بل يرجع الى القانون العدل ، وهـو ما أمـر الله به من الاحكام ، حسبما جاء به في القران الكريم او الحديث المنزه عن المطاعن وما استنبط منهما بوجه صحيـح مقبول جار على مقتضى قواعد الاسلام ومبادئه ، وهو ما افنى فيه الائمة الفقهاء اعمارهم .

وقد اختلـف الفقهـاء في حكم الحاكم في حال الغضب اذا صادف الحق هل ينفذ حكمه أولا ينفـذ ؟ فالذي عليه الجمهور أنه مع مصادفة الحق ينفذ وعن بعض الحنابلة انه لا ينفذ في حال الغضب لثبوت النهي عنه ، والنهي يقتضي الفساد .

ولأهمية هذا الحديث اعتني به المخرجون من المحدثين اذ اخرجـه أصحاب الصحاح الستة .

الخطر الشيوعي في افريقيا المسلمة

للاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي

تدور على أرض القارة الافريقية هذه الايام صراعات عنيفة بين قوى عالمية مختلفة ، وذلك لتحقيق بعض الاهداف التي تسعى من اجلها هذه القوى ، وهي : جعل تلك القارة منطقة نفوذ لها او تدور في فلكها السياسي ، ومن اجل ذلك توضع الخطط والبرامج من اجل الوصول الى تلك الغايات بشتى الطرق والوسائل .

ومن تلك القوى التي تريد السيطرة على القارة الافريقية : الشيوعية العالمية ، سواء نظام الحكم الشيوعي في موسكو او بكين فكلاهما موحد الاهداف والغايات ، يسعيان سويا من اجل اقامة نظم الحكم الشيوعية « اليسارية » ولكي يتم صبغ القارة بالصبغة الشيوعية ، ولكي يتم حكم القارة عن طريق موسكو وتصبح افريقيا خاضعة خضوعا نهائيا للسيطرة الشيوعية .

وتوجد الى جانب القوى الشيوعية : القـوى الاستعماريـة التبشيريـة التنصيرية ، التي تكثف جهودها وترسم خططها وتنفذ برامجها وتبعث بعثاتها التنصيرية من اجل السعي لتحقيق احلامها في ان تصبح افريقيا بالذات والعالم اجمع : دولة مسيحية واحدة تخضع لحكم البابا في الفاتيكان .

بالاضافة الى القوى الصهيونية اليهودية التي تسلك شتى السبل من اجل النفاذ الى كل قطر في تلك القارة وذلك بمساعدة القوى الاستعمارية التي تساند الصهيونية في التسلل الى صفوف الدول الافريقية .

ومهما اختلفت الوسائل او السبل التي تسلكها هذه القوى : الا انها في النهاية متحدة الهدف ومصممة على القضاء على القوى الاسلامية في تلك القارة ومحاربة الاسلام وجذوره القوية الراسخة بشتى الطرق . وذلك لان هذه القوى ترى في الاسلام القوة العظمى والكبرى التي تهدد كيانها السياسي والاجتماعـي والاقتصادي ولان الاسلام كل يوم يكسب ارضا جديدة .. وقوما يدخلون فيه وينضوون تحت رايته الخالدة الباقية بقاء الدهر . القوية على مر الايـام والعصور .

ولكن : لماذا تسعى القوى الشيوعية للسيطرة على القارة ؟

ان الشيوعية تسعى في المقام الاول لمحاربة الاسلام ودين الله الخالد : لانها ترى ان الدين افيون الشعوب وكذلك فانها تسعى من اجل السيطرة على اغنى القارات ، فافريقيا ، قارة تبلغ مساحتها ١/٥ مساحة الكرة الارضية كلها وسكانها يمثلون ٨٪ من سكان الكرة الارضية جميعهم وامكانياتها الاقتصادية تفوق الوصف من حيث تنوع الموارد الاقتصادية بتنوع البيئات المناخية .

وهي تساهم بنصيب وافر في الانتاج العالمي في ميدان السلع العالمية فهي تنتج نحو ٩٨٪ من انتاج الماس في العالم ، ٥٥ ٪ من ذهب العالم ، ٢٥ ٪ من نحاس العالم ، وكذلك المنجنيز والكروم واليورانيوم ، ومن المعادن الاخرى القصدير

وخام الالمونيوم والفوسفات ، كذلك يوجد بها مصادر كثيرة للقوى المائية التي لم تستغل بعد ، وهي فوق هذا تنتج نحو ٢/٣ محصول الكاكاو العالمي ، ونحو ٣/٥ انتاج العالم من زيت النخيل ، بالاضافة الى دخولها ميدان انتاج البترول وتصديره « ليبيا ، الجزائر ـ نيجيريا ـ جامبيا .. وغيرها من الدول » .. اذن هذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والمواد الخام الغابية والرعوية ، ولهذا فقد ادركت القوى الشيوعية هذه الحقائق المذهلة في السنين الاخيرة ، فبدأ الاهتمام بالقارة الافريقية اهتماما بالغا ، وكذلك فهي تسعـى الى غرض استراتيجي وذلك من اجل اقامة قواعد استراتجية عسكرية لها على ارض القارة .

افريقيا قارة المستقبل : ومن كل هذا فان القارة الافريقية ذات الامكانيات العظيمة والهائلة تستحق بحق ان تكون قارة المستقبل وذلك لما أشرنا اليه من ثروات معدنية وزراعية وكهربائية وغيرها من الثروات وكذلك سعة مساحة أرضها باعتبارها القارة الكبرى الثانية . بعد اسيا .. واقلها سكانا ، يبلغ عدد سكان القارة الافريقية وفق آخر الاحصائيات ـ احصاء عام ١٩٧٦ ـ ٣٧٠ مليون نسمة ، كذلك فانها تملك ثقلا سياسيا عظيما في الامم المتحدة حيث يقدر عدد اصوات اعضائها في المجموعة الدولية بـ ٤٨ صوتا ، كذلك باتحاد دولها في منظمة الوحدة الافريقية ، باعتبارها اكبر كتلة متماسكة في العالم ، ولمركزها القيادي والريادي في العالم الثالث ، ودول عدم الانحياز ، وبموقعها الجغرافي والاستراتيجي ، اذ ان القارة تتوسط المحيطين الاطلسي والهندي ، وتطل على البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى انها تتوسط قارات العالم ، اوربا ، اسيا ، امريكا .

فلا غرو اذن ان يقوم الصراع ويشتد بين القوى الشيوعية والقوى التنصيرية من اجل السيطرة عليها ، وقد كانت كل منها تريد ان تبعد الاخرى من هذا المكان ، واستطاعت الشيوعية ان تقيم لها رأس جسر على ارض القارة .

القوى الشيوعية ومخططاتها في القارة : ان القوى الشيوعية العالمية تسعى للسيطرة على القارة الافريقية ، وذلك من اجل ان تحارب الاسلام في المقام الاول لانهم يرون فيه وفي تعاليمه القوة الصلبة ، والارادة القوية ، والمقاومة الحقيقية لافكارهم الالحادية ، ومبادئهم الهدامة المدمرة ، ومن ثم فانهم يريدون ان يحولوا المسلمين الى معتقداتهم الزائفة ، وافكارهم الباطلة التي تستمد اصولها من مصدر مادي الحادي ، ينافي كل القيم والمبادىء الانسانية التي تستمد اصولها من القيم الروحية ، كذلك فان مخططهم الاجرامي الشيوعي لا يريد ان يبقى للاسلام اثر ولا لرابطته صلة ، انهم يريدون ان تسيطر الشيوعية الحمراء على بلاد المسلمين جميعها كما سيطرت على بلاد اسلامية كثيرة في وسط اسيا ، ومن هنا كان سعيهم للسيطرة على افريقيا ، والتي تعتبر قارة اسلامية ، اذ ان عدد المسلمين بها وفق اخر الاحصائيات « احصاء عام ١٩٧٦ » ٢٥٠ مليون مسلم من ٣٧٠ مليون ، يريدون ان تكون الماركسية اللينينية ، البلشفية ،

المادية . هي عقيدة القارة الافريقية ومصدر حكمها .

وعلى هذا فان القوى الشيوعية العالمية الروسية والصينية واننابها في القارة الافريقية قد دخلت بكل ثقلها ، وبكامل امكانياتها واجهزتها ومخططاتها ، مستغلة للوصول الى اهدافها حركات التحرر الوطنية الحاقدة على الاستعمار بشكله القديم ، وذلك لكي تقع فريسة لاخطر انواع الاستعمار ، وهو الاستعمار الشيوعي الفكري الذي يسيطر سيطرة كاملة وتامة على مقدرات الشعوب والحكومات ، ويحكمها بالحديد والنار ، ويجبرها على السير في فلكه السياسي ، وربطها بقيود لا تنفك منها .وعلى الذين يحاولون التقرب من المعسكر الشرقي الشيوعي من الدول الافريقية وحكامها ان يتذكروا التدخل السافر المزري في شئون المجر عام ١٩٥٦ ، وسيطرة القوات العسكرية الشيوعية على مقدرات شعبه ، وكذلك تدخل دول حلف وارسو في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ واجبار هذه الدولة على السير في المخطط الذي تضعه الدولة الشيوعية الكبرى « روسيا » .

القوى الشيوعية والدول الافريقية : ان القوى الشيوعية هي اخطر القوى العالمية في عالمنا المعاصر ، اذ انها تضع مخططاتها الرهيبة من اجل السعي للسيطرة على كل العالم بقاراته ، واقامة دولة المطرقة والمنجل ، دولة العمال ، ومن هنا فان موسكو تحلم بان تكون هي العاصمة الوحيدة في العالم ، والتي تخضع لحكمها المباشر كل العواصم الاخرى ومن هنا كانت افريقيا داخل مخططاتهم ، بعد ان استقرت لهم الامور في شرق اسيا « فيتنام وكمبوديا » .

ولقد استغلت القوى الشيوعية الصراع العربي الاسرائيلي وارادت ان تقيم نفوذا لها في مصر العربية الاسلامية حصن الاسلام ودرعه الامين على مر الايام والسنين ، ولكن فشل هذا المخطط وتم ابعاد النفوذ الشيوعي نهائيا من ارض الكنانة ، ولكن القوى الشيوعية لم تستسلم لهذه الضربة ، بل حاولت ان تجد لها قدما في احدى دول شرق افريقيا وكل ذلك من اجل وضع مخططها موضع التنفيذ .

ولقد ركزت الشيوعية العالمية على شرق افريقيا لانه اقرب جوانبها الى العالم العربي ـ قلب العالم الاسلامي ـ ففجرت الانقلابات ومحاولات الانقلابات حتى قام في اثيوبيا نظام حكم يتجاوب تماما مع الشيوعية وفي الصومال وتنزانيا تيارات قوية متعاطفة مع الشيوعية ، اما موزمبيق : فقد قام بها نظام حكم ماركسي ١٠٠٪ يعلن وجود الشيوعية في هذه المنطقة وقامت قواعد عسكرية شيوعية قريبا من المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، ومن خلال ذلك قامت محاولات لقلب نظام الحكم في السودان لكي يصبح هذا الاقليم الاسلامي العربي الفسيح تحت نفوذ الشيوعية مباشرة ، ولقد تم تحطيم الحزب الشيوعي السوداني الذي كان يعتبر اقوى الاحزاب الشيوعية في شرق افريقيا .

وفي غرب افريقيا فان الشيوعية لها دور كبير في اقامة نظام الحكم اليساري في انجولا عن طريق القوات الكوبية الشيوعية التي ساعدت حركة التحرير الموالية للشيوعية في السيطرة على الحكم ، كذلك فانه عن طريق القوات الكوبية يتم هذه

الايام التدخل في شئون دولة زائير لاجل اقامة نظام شيوعي في اكبر دوله من حيث المساحة في غرب افريقيا « اغنى دول افريقيا من حيث المصادر الطبيعية » وكذلك خلق الصراعات والمنازعات بين الدول الافريقية من اجل اقامة نظم الحكم الموالية لها كذلك فان نظام الحكم العسكري في اثيوبيا بدأ يستعين بعدة الاف من القوات الكوبية لاجل محاربة ثوار ارتيريا ، الذين يكافحون من اجل تحرير وطنهم من قبضة اثيوبيا ، كذلك فان لروسيا دورا كبيرا في حركة تحرير ناميبيا « جنوب غرب افريقيا » .

بالاضافة الى ان الصين الشيوعية بدأت تقيم لها قواعد شيوعية في ارض تنزانيا وماجاورها من بعض دول شرق افريقيا ووسطها وايضا فانها تساعد حركات التحرير في زمبابوي « روديسيا » وفي جنوب افريقيا بالمال والعتاد وتقوم بتدريب افرادها وذلك لكي يتم خلق كوادر شيوعية بين صفوف المقاتلين ، فتستطيع ان تسيطر على مقاليد الامور في هذه البلاد بعد تحريرها .

ولقد ساعد القوى الشيوعية على تحقيق اهدافها مظاهر الشعور بالعداء لدى الافريقيين ضد الاستعمار واستغلال مشاعر الحقد في قلوبهم واستغلوا ذلك احسن استغلال فكانت جامعة بياترس موسوميا في موسكو مكتظة بابناء افريقيا الذين انتقتهم الحركة الشيوعية من داخل بلادهم لاعدادهم اعدادا شيوعيا ماديا من اجل تولي قيادة بلادهم في المستقبل واقامة نظم الحكم الشيوعية .

كذلك يضاف الى الشيوعيين الروس والصين ، الشيوعيون الفرنسيون الذين تغلغلوا في كل انحاء الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية لاجل نشر الافكار الشيوعية الهدامة يساعدهم في ذلك كثير من الاذناب الذين سرت الشيوعية في دمائهم ولم تكتف القوى الشيوعية بذلك ولكن مراكزها الثقافية في بلدان القارة الافريقية تقوم باصدار النشرات التي تدعو الى اعتناق الشيوعية كمذهب وكذلك توزيع الكتب التي تتحدث عن الشيوعية ومنجزاتها العلمية والصناعية واسباب تقدمها كذلك الاقلام التي تدعو للشيوعية .

ومن كل هذا نستطيع القول انه ثبت فعلا ان الشيوعية بمقدورها الحصول على ارضية خصبة وسهلة في القارة الافريقية نظرا للفقر والجهل السائدين معظم شعوبها ولوجود النظام القبلي الطبقي بينهم ولسهولة تقبل شباب افريقيا لايدلوجات تتمشى وروحهم الثائرة المتمردة الكارهة لنظم الاستعمار الماضية ولا زالت اثار هذه الحركات الشيوعية الالحادية عميقة بين كوادر المقاتلين وكان التحرير التي تناضل حاليا من اجل الحصول على حكم الاغلبية الافريقية في روديسيا سابقا وغامبيا .

الحركات التنصيرية تفتح المجال امام الشيوعية :

ان القوى التنصيرية وقد هالها الفزع بعد ان رأت الشعوب الافريقية تدير ظهرها لدين الرجل الابيض المستعمر وبدأ الرجل الافريقي يعتنق دين الاسلام ،

دين الشرق الحضاري،ودين المساواة غير المستغل وبعد ان نبذ الافريقي كل ما يتعلق بالغرب وما جاء معه من معتقدات جاءت النصرانية خلف رجال الاستعمار البيض الذين استعمروا القارة بعد حركة الكشوف الجغرافية وخضوع كل بلاد القارة للسيطرة الاستعمارية .

وبعد ان رأت الصليبية العالمية كبار الرؤساء في افريقيا والوزراء الذين في ايديهم مقاليد الحكم ورؤساء القبائل ينهجون الى الاسلام ويعتقونه ويصبح عقيدة لهم وبعد ان رأت الصليبية العالمية امام اعينها الالاف المؤلفة من ملايين الدولارات والاعمال الخيرية والتعليمية والبرامج الطبية والاقتصادية وكل الطرق التي سلكتها لم تؤد الى النتيجة التي كانت تحكم بها وهي ان تجعل افريقيا قارة مسيحية ١٠٠٪ فانها امام هذه الحقائق وامام الصمود الاسلامي القوي الانتشار السريع لدين الله والوقفة الصليبية في مواجهة الاستعمار وحركات التنصير والاستشراق والصهيونية فان قوى الصليب قد بدأت تفسح المجال امام الشيوعية العالمية في افريقيا سواء افساح المجال علانية او بطرق خفية او التظاهر امام العالم بمحاربة الشيوعية في افريقيا الا ان كل هذا لا ينطلي على الرجل الافريقي المسلم فان حركات التنصير بعد جهود تزيد عن اربعة قرون لم تستطع ان تنصر اكثر من ٤٠ مليون من عدد سكان القارة البالغ ٣٧٠ مليونا ومن هنا كان على الماركسية ان تدخل افريقيا لتعيث في بلاد الاسلام فسادا وذلك من اجل تحطيم حصون الاسلام القوية المنيعة .

فشل المخطط الشيوعي :

ان هذه المخططات الشيوعية الماركسية التي بدأت تتسرب الى صفوف الدول الافريقية مآلها كغيرها من الحركات الاخرى الى الفشل فلا سبيل لها في مجتمع الاسلام في دول افريقيا المسلمة لان مجتمع الاسلام حريص على القيم والمثل والفضائل والدين ولان الدين الاسلامي لدى الشعوب الافريقية المسلمة هو اعز ما تملكه ولان الدين وهو جزء اساسي من الطبيعة البشرية وخاصة الرجل الافريقي الذي وجد في الاسلام الطريق الذي ينشده والمآل الذي يلجأ اليه ولأن كل شياطين الارض من شيوعيين او غيرهم مجتمعين او متفرقين لن يصدوا افريقيا عن الاسلام ولن يقدروا ان يصدوا الاسلام عن بلوغ اهدافه في جعل افريقيا قارة اسلامية ولان الاسلام تيار جارف سيجرف امامه كل اوثان الشيوعية والرجس مهما فعلوا وخططوا ولهم في دروس التاريخ عبرة فكم من عقبات وقفت في طريق الاسلام في كل العصور ولكنها انهارت وكم من مذاهب وافكار هدامة قامت لصرف المسلمين عن دينهم الحنيف او لتزييف مبادئه في نفوس المسلمين وكم من قوى كثيرة مدمرة حاربت الاسلام على امتداد الايام فهزمها الاسلام شر هزيمة فبالاسلام انتصرنا في الماضي على قوى الشر « الصليبيين ـ المغول ـ التتار ـ الاستعمار الحديث » وبالاسلام سوف ننتصر باذن الله في الحاضر والمستقبل ، لن ينطفيء نور الاسلام ابدا من هذه الارض وذلك مصداقا لوعد الله الحق لعباده المؤمنين (**يريدون**

ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) الصف / ٨
ويقول المولى عز وجل (**كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين)** المائدة / ٦٤ .

ومن هنا فان الشيوعية مهما بذلت وسعت بطرقها المختلفة في افريقيا فسيبقى الاسلام فيها قمة سامقة وكوكباوضاء ونورا هاديا لانه معجزة السماء على الارض ولان الاسلام صانع التاريخ والحضارة والتقدم والرقي والازدهار ولانه هادي البشرية الى طريق الحق والخير والصواب ولان قرآنه الكريم كتاب الله وشريعته على أرضه ينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الابصار والبصائر وانه لا طريقة الا عبادة الله ولاصلاح إلامن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولسوف تبقى عقيدة الاسلام في افريقيا وفي كل مكان العقيدة التي تعلو ابدا على كل الالام وعلى كل احداث التاريخ والايام وعلى كل المحن والشدائد ولسوف يظل الاسلام في افريقيا منارة للشعوب الافريقية كما كان منارا لها قبل قدوم الاستعمار وسيبقى الاسلام منارة لكل الاجيال والعصور وهو الدين الذي يسعد البشرية في ظلال قرآنه الكريم وفي حركة انبعاث في طريق التقدم والرقي والابداع ولان الاسلام ورسالته سائر في طريق الانتشار والتوسع وسيزداد عدد الداخلين فيه كل يوم في افريقيا وسوف تعود الشيوعية خائبة خاسرة مردودة على اعقابها لان المسلم الافريقي لن يرتضى غير الاسلام دينا ولن يعبد غير الله خالقا ولن يكون له كتابا غير القرآن دستورا ولن يتجه إلا الى مكة المكرمة قبلته وقبلة كل المسلمين .

الدعوة الاسلامية والشيوعية :

ازاء الدور الذي تقوم به الشيوعية العالمية في افريقيا وازاء ما يتعرض له الاسلام من خطر من جراء مؤامرات الشيوعية من اجل القضاء عليه فسأبين دور الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية وابين نشاطها ورجالها من الدعاة وجهودهم وهنا نقول انه امام هذه القوى الجبارة التي تملك الامكانيات والطاقات المادية والبشرية والعلمية والفكرية والدعائية فان الدعوة الاسلامية تقف بقوتها الذاتية وامكانياتها المحدودة امام هذه التيارات والافكار الهدامة وليس معها الا تعاليم الاسلام السمحة ورسوخها في قلوب الملايين من الافارقة ومطابقتها للفطرة البشرية ويتف خلف الدعوة رجال من المخلصين لله ولدينه الحنيف الذين يجاهدون بانفسهم واموالهم دون تخطيط او تنظيم ولولا هؤلاء لا نمحي اسم الدعوة من هذه القارة التي عرفت بانها قارة الاسلام وكان الاسلام قد شق طريقه اليها منذ اول عصر الدعوة الاسلامية .

لذا فان الدعوة الاسلامية داخل القارة في حاجة الى الدعم والمساندة والمساعدة والتخطيط والتنظيم والتوجيه لأن اعداءها من الشيوعيين ركزوا نشاطهم في مناطق القارة المختلفة في شرقها ووسطها وشمالها وجنوبها وركزوا على الدول القيادية بها ذوات الامكانيات الطبيعية الهائلة .

لذا فان الا مر يحتاج من المسلمين في القارة وفي كل مكان الى مزيد من العناية

واليقظة لضرب كل محاولة من اعداء الاسلام تريد النيل من دينهم وتقاليدهم وقيمهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله كذلك الوقوف خلف الجهود القليلة المبذولة اليوم والتي تدعو للاسلام بين الوثنيين والنصارى وشد ازرها وتنشيطها والمحافظة على العقيدة الاسلامية وتعميقها في نفوس الافريقيين .

ومن هنا يمكن القول ان الدعوة الاسلامية في هذه المنطقة من العالم لابد ان ترتكز على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتمسك باهداب التعاليم الاسلامية قولا وعملا وسلوكا وان تتجه الدعوة الى الشباب خاصة لانهم عدة المستقبل والتفويت على الحركات الشيوعية التي تتنشر دائما بين صفوف الشباب وان تعمل الدعوة على نبذ الاخلاق والتقاليد القادمة من الشرق والغرب والتي لاتتلاءم وتقاليدنا الاسلامية تلك التقاليد التي تنبع من تراثنا الاسلامي العريق الذي تمتد جذوره الى اكثر من اربعة عشر قرنا من الزمان وعلى هذا فان الدعوة الاسلامية مطالبة اليوم بالتصدي لتلك الحركات الهدامة بكل ما تملك من وسائل وامكانيات فالدعوة الاسلامية رسالة وامانة خص بها الله الشعوب الاسلامية وهي دعوة عالمية لكل البشر في شتى اقطار الارض وامانة في عنق كل مسلم ومسلمة يجب ان يدعو لها بين الشعوب والاقوام فالحكام المسلمون في كل ارجاء المعمورة مسئولون عن تنشيط الدعوة في افريقيا وكذلك الحكومات والمؤسسات الاسلامية والهيئات التعليمية وكل افراد المجتمع الاسلامي .

وان الفرد الافريقي الذي يعيش اليوم على ارض القارة مطالب بان يدعو اخوانه الافارقة وعشيرته وذويه الى تعاليم الاسلام المستمدة من كتاب السنة وان تتوحد اساليب الدعوة لكي تمتد وتنتشر ولكي يتم فضح اساليب الشيوعية الملتوية والتي تريد ان تسيطر على الرجل الافريقي وتستغله كما استغله وسيطر عليه من قبل الرجل الابيض الغربي .

كيف نواجه الخطر الشيوعي :

إذا كانت الشيوعية قد استطاعت ان تقتطع ارضا اسلامية من العالم الاسلامي الواسع وتضمها الى دائرة املاكها ونفوذها في آسيا الوسطى وحول بحر قزوين والبحر الاسود ، ارضا أخرجت للامة الاسلامية الكثير من رجال الدين والعلماء في علوم القرآن وتفسيره وعلوم الحديث « البخاري » وفي علوم الرياضة « الخوارزمي » و «البيروني » وفي الفقة وشتى المعارف الاسلامية والذين ساهموا في حمل لواء الحضارة الاسلامية ورقيها وساهموا بنشاط وافر وملحوظ في نهضتها ، واذا كانت الشيوعية قد قطعت صلة اكثر من اربعين مليونا أو يزيد عن إخوانهم المسلمين في شتى ارجاء الارض الاسلامية ، بل انها كثفت الدعوة الماركسية بينهم ! وكذلك إذا كانت الصين الشيوعية قد قطعت صلة اكثر من ٦٠ مليون مسلم في ارضها عن إخوانهم المسلمين ، بل انها تسعى جاهدة لمحاربة الاسلام في جنوب شرق آسيا .

فان الدول الاسلامية والعربية مطالبة اليوم بألا تقف مكتوفة الايدي ازاء ما يحدث على ارض القارة الافريقية حتى لا تترك الشيوعية تنفذ مخططاتها في السيطرة على شعوبها واستغلالهم ، ومحاصرة العالم الاسلامي لكي تكون دائرة حول المنطقة العربية في وسط افريقيا ثم حول البلاد العربية في آسيا : دائرة كاملة ومحكمة الحلقات وبذلك تكون الشيوعية شرقا في آسيا وغربا في افريقيا وبذلك تكون قد نجحت في عزل العالم العربي قلب العالم الاسلامي عن باقي اقطار الاسلام .

ولهذا فانه يمكن القول ان الجهود التي تبذلها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة وادارة الجامع الازهر وجمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا ، والجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم في تونس ، ورابطة العلماء في المغرب ، والجهود التي تبذلها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والمؤسسات الاسلامية في البلاد الافريقية الاخرى ، مثل الرابطة الموريتانية للدفاع عن الاسلام ، واتحاد الجمعيات الاسلامية في السنغال ، والاتحاد الثقافي الاسلامي في مالي وغيرها من المؤسسات الاسلامية في غرب القارة ووسطها وكذلك المؤسسات الاسلامية في شرق القارة مثل المجلس الاعلى في اوغندا ، والمجلس الاسلامي الاعلى في تنزانيا والمؤسسات الاسلامية في جنوب القارة ، ليست قادرة على وقف التحدي الشيوعي أو القضاء عليه نهائيا في الاماكن التي بدأ ينتشر فيها ، بل وقلع جذوره قبل ان تمتد وتتسع .

وعلى هذا فنحن نطالب ان تتضافر الجهود وتتوحد في مركز اسلامي قاري ، تخضع له كل المؤسسات والهيئات الاسلامية التي تعمل بالقارة ، ذلك لان كل هذه المؤسسات تعمل كل منها بعيدا عن الاخرى دون ادنى ترابط او تعاون او تنسيق او تخطيط مشترك ، ولهذا فانها لا تستطيع ان تؤدي الدور المطلوب في مواجهة التحدي وصبغ البلاد الافريقية بالصبغة الاسلامية .

فليس فتح مكتب اسلامي ثقافي او انشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية او بناء مسجد في عاصمة من العواصم الافريقية مثل لاجوس ، نيامي ، كوناكري او غيرها من الدول الافريقية بكاف لرد الخطر المحدق بالقارة من كل الارجاء .

بل إن الجهود يجب ان تبذل وتكثف لكي تصل الدعوة الاسلامية والثقافة العربية الاسلامية الى كل جزء من اجزاء القارة المختلفة الى الغابات والاحراش ، الى البوادي والواحات ، والقرى الصغيرة وكل المدن الاقليمية وعواصم المحافظات والاقاليم ، بل يجب ان يتم مسح كامل وشامل لكل فرد مسلم يعيش على أرض القارة الافريقية ، يجب أن يصل الداعي المسلم والطبيب المسلم والمدرس المسلم والمهندس المسلم والفني المسلم الى كل الاصقاع في القارة يجب ان ينتشر المسلمون الموفدون من البلاد العربية والاسلامية في كل ارجاء القارة . يجب ان يضع المركز القاري « قارة افريقيا » مصحفا في يد كل مسلم افريقي وان تصل له خدمات اخوانه المسلمين في باقي القارات الاخرى وذلك لان المسلمين في كل قطر

اسلامي يتطلعون الى التعليم الديني الاسلامي ، والى الاخوة المسلمين في الاقطار العربية الاسلامية وذلك لانهم في أمس الحاجة الى المدارس الاسلامية على مختلف مراحلها الدراسية فيجب ان تحشد هذه المدارس بالمدرسين الاكفاء ذوى الثقافة الاسلامية الواسعة بجانب ثقافة العصر لكي يستطيع المدرس ان يدحض الافكار الهدامة .

إن الدول الاسلامية والعربية جميعها حكومات وجمعيات وافراد ، مطالبة اليوم بالنظر الى افريقيا نظرة من يحيط به الخطر من كل جانب ولذا يجب ان توحد الجهود الاسلامية وتكثف من أجل حماية القارة المسلمة ولكي يزداد المد الاسلامي ويتم اعتصام المسلمين جميعا برباط الله القوي المتين .

إن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية يجب أن يضع امامه الخطر المحدق بافريقيا ويجب ان تتوحد السبل وتتخذ القرارات الكافية بردع الخطر الشيوعي وحماية المسلمين من الماركسية .

كذلك فان المبالغ المالية الضخمة التي رصدتها الدول العربية (السعودية ـ الكويت ـ الامارات ـ صندوق جامعة الدول العربية) لمساعدة الدول الافريقية والتي اقرت في مؤتمر القمة العربي الافريقي الذي عقد بالقاهرة خلال شهر مارس ١٩٧٧ ليست بكافية بل يجب ان تزداد وان تدعم ، بل ان دول البترول مطالبة بان تخصص نسبة معينة من دخلها السنوى لاجل الدعوة الاسلامية من افريقيا وفي باقي الدول العربية ، لان الدعم المالي ليس بكاف لرد الخطر الشيوعي .

ان الوجود الاسلامي والعربي في القارة لابد ان يظهر كقوة عظمى بجانب القوة الشيوعية بل يجب ان تطرده وذلك بوجود رجل الدين المسلح بالعقيدة الاسلامية والدارس لتاريخ الشعوب الافريقية ولغاتها ولهجاتها وعاداتها وتقاليدها لان ذلك يسهل الوصول الى الهدف .

إن المساعدات المالية والمعدات العسكرية والمتطوعين الذين يساعدون حركات التحرير « جبهات تحرير اريتريا » ليست بكافية وحدها للوجود الاسلامي ، بل بجانب هذا يجب ان يكون الداعية المسلم بين صفوف المقاتلين لان المقاتل الافريقي الذي يدافع عن قضية معينة إذا نمى فيه الوازع الديني وترسخت فيه العقيدة الاسلامية فلن يهزم ابدا لان القتال القائم على العقيدة نهايته النصر .

وفي النهاية ايها الاخوة المسلمون في مشارق الارض ومغاربها : تنبهوا الى ما يحيط باخوانكم الافارقة من خطر شيوعي . فأمدوا لهم يد العون بالمساعدات المختلفة وحافظوا على عقيدة الاسلام المنتشرة بينهم وادفعوا الخطر عن افريقيا فان تغافل المسلمين وسهوهم في الماضي قد اضاع ارضا اسلامية في اوروبا وآسيا وفي مناطق اخرى من العالم ، ارضا كانت تزخر بها حضارة الاسلام وثقافته الخالدة .

أيها المسلمون تنبهوا !! تنبهوا .. فان افريقيا يخشى عليها من الانزلاق في احضان الشيوعية .



للاستاذ علي احمد علي

لابد للحق أن ينتصر مهما تألب عليه الظالمون ، ووضع العقبات في طريقه الجاحدون ، وتنكر له المبطلون .

سينتصر الحق ولو كره المجرمون ، وهذه سنة الله في خلقه (**ولن تجد لسنة الله تبديلا**) الأحزاب/٦٢ ، ونصر الله يأتي ولو ادلهمت الخطوب ، واضطربت الصفوف ، وتحرجت المواقف ، وساءت الظنون ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)** يوسف/١١٠ .

مازالت قريش سادرة في غيها ، ماضية في طغيانها ، تزلزل جوانب الأرض من جبروتها ، وتوقدهانارا من حقدها وبغيها ، فهي سائرة في طريق الشر والغواية ، تحاول صد المسلمين عن دينهم ، وفتنهم في عقيدتهم ، ولما أعيتها الحيل ، ورأت أن أتباع محمد يزيدون ولا ينقصون ، وأن دعوته تذيع وتنتشر بين الناس ، وأن سلطانهم – قريش – لا يلبث أن يزول ، وأن الزمام سيفلت من أيديهم ، وهم سادة العرب وعظماء مكة .

فكر الشرك ودبر ، واجتمع أشراف مكة ، ووجوه قريش ، وأصحاب الرأي يتشاورون ، فوقف زعيم الكفر ، ورأس الضلال ، أبو الحكم بن هشام – أبو جهل – فقال :

ياقوم أما إنه ليوشك أن يكون أمر شديد ، وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره ، فان لم يكن قتله ، واستئصال خضرائه ، حتى يذهب ونذهب به ، فليكن تدبير جديد .

وهنا اشرأبت الأعناق ، وأرهفت الآذان ، وساد المكان صمت رهيب ، واتجه الجميع بحواسهم ومشاعرهم نحو الطاغية فقال :

ألا إن هذا الحي من بني عبد مناف ، هو منا ومنكم حيث علمتم ، وإنهم يطلبون غاية ليس إليها سبيل ، أفنتركهم وما يحاولون حتى يؤول أمرهم إلى أمر ؟ ثم قال :

وهذا أبو طالب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره ، فما لنا سبيل عليه بعد ، فليجتمع أمرهم على ما يريدون ، وليجتمع أمرنا ، ولتكن براءة قاطعة بيننا وبين هذا الحي من قريش ، لا معونة بيننا وبينهم ، فلا نبيعهم شيئا ، ولا نبتاع منهم ، ولا نخالطهم في شيء ، وكل رحم بيننا مقطوعة ، حتى يفيئوا إلى أمرنا فانهم يوشكون إن بلغت هذه القطيعة أن تجف خضراؤهم ، فيموتوا جوعا وعطشا وعريا ، أو يعودوا إلينا مغلوبين ، وما تجرد سيف من غمده ، وما أريق دم ، ثم قال :

ياقوم : فان رأيتم فهذه يدي ، وليكن بيننا عهد مكتوب ، نعلقه في جوف الكعبة توكيدا لما تقاسمنا عليه .

وإن أبيتم .. فارتفع صوت من أقصى المجلس يقول :

رضينا يا أبا الحكم .
وجاء كاتبهم « منصور بن عكرمة » فتولى إثم تدوينها ، وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه فشلت يده .

« نص المعاهدة »

باسمك اللهم ، هذا ما تعاقد عليه أشراف مكة ، وذوو الرأي من قريش ، ابو الحكم بن هشام ، وأبو لهب بن عبدالمطلب ، ومنصور بن شرحبيل وبغيض بن عامر .
أنهم برآء من بني هاشم وبني المطلب ، لا يبيعونهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يخالطونهم في شيء ، وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئوا .
وأخذ أبو الحكم ـ أبو جهل ـ الصحيفة ، وطواها ، وعلقها في جوف الكعبة .

آوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبي طالب ، من شعاب مكة ، ومعه صحبه الكرام .
فآوى إليه الطهر والصفاء .
وفتح التاريخ صفحاته ليسجل
أخطر مقاطعة
وأشنع جرم
وأبشع قرار
لمحاربة أعدل الناس
وأرحم الناس بالناس
فاما أن ينتصر الاسلام ، فيمضي في طريقه ، يحطم كل الحواجز
واما أن ينهزم المسلمون ، فلا تقوم لهم بعد اليوم قائمة
وشتان بين قوتين : قوة تؤيدها السماء ، ويقودها رسول كريم ، رائدها العدل والرحمة ، وخير الانسانية .
وقوة يؤيدها الشيطان ، ويقودها الحكم بن هشام ، رائدها الظلم والقطيعة .
وفي النهاية لابد للحق أن ينتصر ، وللباطل أن يندحر .

« الموكب الحزين »

سار هذا الموكب الحزين ليدخل شعب أبي طالب ، ولم يكن هذا الحصار قاصرا على المسلمين ، بل دخل بعض المشركين تضامنا ، وانحاز إليهم بنو المطلب مؤمنهم وكافرهم على السواء عصبية .

سار هذا الموكب الحزين ، يتقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أثبت قلبا من ذلك الجبل الذي يضم الشعب ، هادئ النفس ، مطمئن الفؤاد ، رافع الرأس .

سار هذا الموكب الحزين يضم خلاصة البشر ، وصفوة الانسانية .

لم تعرف الدنيا أنبل منهم ولا أكرم ، ولا أرأف ولا أرحم ، ولا أجل ولا أعظم ، ولا أرقى ولا أعلم . أطهارا في أرواحهم ، أعزة في نفوسهم .

سار هذا الموكب الحزين ، عزيزا بدينه ، قويا بايمانه ، واثقا بربه .

لقد كان نور الحق يتألق في حواشي الصحراء ، ويتوهج في قمم الجبال .

كان هذا النور يلمس القلوب المريضة فيبرئها .

والصدور المظلمة فيضيئها .

والنفوس الحزينة فيواسيها .

فما باله اليوم ، تعلن عليه حرب ، لا هوادة فيها ولا رحمة ؟

سار هذا الموكب الحزين . المتفائل .

الحزين على ما يلقي من ظلم واضطهاد .

المتفائل الآمل في وعد الله ونصره .

المتوثب المسرور الذي يتوارد على ذهنه شتى الصور ، وتتلاحق امام عينيه شواخص المستقبل الزاهر .

ترى ماذا كان يدور بخلد هؤلاء ، وهم ذاهبون الى الشعب ؟

وماذا كان شعورهم ، وقد امتد حصارهم سنتين ؟

هل كان يعلم هؤلاء ، وقد قاطعتهم قريش سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، أنهم بعد فترة وجيزة من الزمن ، سيلقى إليهم التاريخ زمامه ، ليقودوه حسب ما يمليه عليهم دينهم ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ما ينتظرهم من عظائم الأمور ، وأنهم سيحملون إلى الناس بلاغة العروبة ، وأخلاق الاسلام ، وهداية الدين ، وأنهم سيمنحون البشرية سعادة الدنيا وخيرها ، وأجر الآخرة ونعيمها ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن الدنيا ستخضع لسلطانهم ، وأن العالم كله سيكون تحت سيطرتهم ، وأن الكفر سترتعد فرائصه من ذكرهم ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن هناك معارك دامية ، تنتظرهم في البر والبحر ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن راية الاسلام سترتفع ، في فارس والروم والصين والأندلس ؟؟

لقد كان هؤلاء ، في الذروة العليا ، من قوة الروح ، ويقظة الضمير .

كانوا يعافون الضيم ، ويأبون الهوان .

يالسخرية القدر !!

أليس هذا محمد بن عبدالله الذي عرف بينهم بالصادق ، ولقب بالأمين ، واشتهر بالعفة والوفاء ، وكان الحكم بينهم ، حينما اختلفت آراؤهم ، في وضع

الحجر الأسود ؟؟

أليس هذا محمد بن عبدالله ؟؟

أفضل خلق الله على الله ؟؟

أطهر من مشى على الغبراء ؟؟

وأكرم من ظللته السماء ؟؟

وخاتم الرسل والأنبياء ؟؟

أليس هذا محمد بن عبدالله ومعه صحبه الكرام ؟؟

أتقى من أنجبت الدنيا ؟؟

وأعدل من حكموا بين الناس ؟؟

وخير من قادوا الشعوب والأمم ، بعد الأنبياء والرسل ؟؟

ولما فتحت الدنيا لهم أبوابها لم يطغهم الترف ، ولم تفسدهم النعمة ، بل كانوا مثلا تسرى وفضيلة تمشى بين الناس ، وطهرا يتحرك على الأرض .

آوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشعب ، ووقف الأعداء يمنعون أن يدخل إليهم أحد بشيء من طعام ، ومرت أيام ، وتعاقبت شهور ، وانقضت أعوام ، والمسلمون في شعب أبي طالب لا يجدون من الطعام ما يشبع جائعا ، ولا من الشراب ما يروي ظامئا ، ولا من الثياب ما يكسو عاريا .

وكانت هناك عواطف تحركت ، ونفوس سئمت هذا الحصار ، وللقوم إخوة وأبناء عمومة وخئولة ، ويألم « حكيم بن حزام » لما أصاب « فضالة بن هشام » أخاه من أمه ، وكان « حكيم » تأتيه العير من الشام ، تحمل الحنطة ، فيوجهها نحو الشعب ، ويضرب أعجازها فتدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحنطة ، وذلك في غفلة من قريش .

فقد روى أن « حكيم بن حزام » سارو معه غلام له ، يحمل قمحا ، يريد عمته خديجة ، فتعلق به أبوجهل ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ، والله لا تبرح أنت وطعامك ، حتى أفضحك بمكة ، فجاء أبو البحتري بن هشام فقال : مالك وله ؟؟

ــ أبو جهل : إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم .

ــ أبو البحتري : طعام كان عنده لعمته ، بعثت إليه به أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ، خل سبيل الرجل .

فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البحتري لحى بعير فشجه ووطئه وطئا شديدا .

أحكم الحصار ، وانقضت أعوام عجاف ، أصاب المسلمين الجهد ، فذبلت أجسامهم التي أنحلها الجَوْع ، وأرهقها الظمأ ، وأذهلها انتظار الطعام والشراب ، وأشرفت نفوسهم على التلف .

أكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، واشتد الألم ، ألم الجوع على

« سعد بن أبي وقاص » فيخرج في سواد الليل ، فيطأ على شيء رطب ، فيضعه في فمه ، فيبتلعه ، لا يدري أي شيء هو ، ولا يجد له طعما في فمه .

ويتصايح اطفال المسلمين ، فقد كادوا يهلكون جوعا وعطشا وعريا ، ويتسامع المشركون بما أصاب المسلمين من الجهد والتعب والمسغبة فيسر أناسا ، ويسوء آخرين .

ومرت الأيام ، وأقبل موسم الحج ، ووفد الحجيج إلى بيت الله من كل فج عميق ، معهم إبلهم عليها تجارتهم من الطعام والثياب ، وفكر المسلمون المحاصرون . أن هؤلاء القادمين لم يوقعوا على صحيفة المقاطعة ، إذن فهم في حل أن يبيعوا بني عبد مناف ويبتاعون منهم ، وراود المسلمين الأمل ، فبعد قليل سيكون بين أيديهم ما يسدون به رمقهم ، ويطفئون ظمأهم ، ويسترون أجسادهم .

وخرج من المسلمين من يشتري زادا ، ووقف على أحد التجار ، وكان يعرض قمحا ، وهم المسلمون بالشراء ، وبصر بهم أبو لهب ، فوقف في السوق مناديا :

يامعشر التجار : غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا ، فقد علمتم ما لي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن ألا خسار عليكم ، ويسمع التجار ذلك فيزيدون الثمن أضعافا ، وأخفق المسلمون ، ورجعوا ولم يحصلوا على ما يريدون ، ويفد التجار على أبي لهب فيضاعف ربحهم ، فيما معهم من الطعام والثياب ، ويفرح أبو جهل لما أصاب المسلمين .

وتحركت العواطف مرة أخرى ، قال أبو طالب لابن أخيه .

أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا الجهد ما ترى ، وإن رجالا من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه ، لولا شرف السمعة ، وتهمة الخيانة ، لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به ، من عهد الصحيفة .

وقد أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن صحيفة المقاطعة قد محيت ، ولم يبق منها إلا اسم الله تبارك وتعالى ، ويخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عمه بذلك .

أبو طالب : يتساءل مسرورا : هل ربك أخبرك بهذا ؟؟

الرسول صلى الله عليه وسلم : (نعم) .

يخرج أبو طالب منشرح الصدر ، ليتحدث إلى القوم ، فما عهد على ابن أخيه كذبا قط ، حتى ألد أعدائه لم يجرؤ أحد منهم على وصفه بهذا الوصف الشائن ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)** الأنعام/٣٣ .

« نقض الصحيفة »

وتتحرك العواطف ، وتثور العصبية مرة أخرى ، ويتولى « هشام بن عمرو »

تألب الناس على الصحيفة ، ويؤلمه ما يلقي أخوه « فضالة بن عمرو » فيسعى الى أشراف من قريش ، لهم في بني عبد مناف صهر وخئولة .

ذهب إلى « زهير بن أمية »

فقال له : يازهير : أرضيت أن نأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وننكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؟! أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ، ما أجابك أبدا .

زهير : فماذا أصنع ، وأنا رجل واحد ؟ والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها .

هشام : قد وجدت رجلا

زهير : من هو

هشام : أنا

زهير : أبغنا ثالثا

وذهب هشام الى « المطعم بن عدى » ليجنده لنقض الصحيفة .

هشام لمطعم بن عدى : أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد ذلك ، موافق عليه ، أما والله لو أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم أسرع .

المطعم : ماذا أصنع وانا رجل واحد ؟؟

هشام : قد وجدت ثانيا .

المطعم : من هو

هشام : أنا

المطعم : أبغنا ثالثا

هشام : قد فعلت

المطعم : من هو

هشام : زهير بن أمية

المطعم : أبغنا رابعا

ذهب هشام الى « أبي البحتري » ليضمه لقوته ، وقال له ما قال لصاحبه .

أبو البحتري : أبغنا خامسا

وذهب هشام إلى « زمعة بن الأسود » ليستعين به في مهمته ، وقال له ما قال لأصحابه ، وذكره بقرابته من بني عبد مناف .

زمعة : وهل على هذا الأمر معين ؟؟

هشام : نعم وذكر له زهير بن أمية ، والمطعم بن عدى ، وأبو البحتري بن هشام .

واتفقوا على اللقاء في مكان بأعلى مكة ، يسمى (خطم الحجون) وتعاهدوا على نقض الصحيفة ، حفاظا للدم ، ورعاية للحرمات ، ودفعا للظلم ، وتولى زعامتهم « زهير بن أمية » فلما أصبحوا ذهب إلى الكعبة حيث كان وجوه قريش

مجتمعين في ناديهم ، فتقدم زهير ، وطاف ، ثم أقبل على الناس .

زهير : ياأهل مكة أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى ، لا يباع لهم ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

وارتج أبو جهل في مجلسه ، فقد ظن أنه صوت عابر لا يلبث أن يذوب ويتوارى ، وتململ في مجلسه ، وتحفز للرد ، فعلت الأصوات من كل جانب ، وارتفع صوت كل من : المطعم بن عدى ، وهشام بن عمرو ، وزهير بن أمية .

أبو جهل يصيح في حدة وغضب : كذبت والله لا تشق .

زمعة بن الأسود يتصدى لأبي جهل ويقول : أنت والله أكذب ، ما رضينا بها حين كتبت .

وتلاحقت الأصوات من كل جانب فكانت كالسهام الصائبة .

المطعم بن عدى : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك .

وعلت أصوات التأييد فتضاءل أبو جهل ، وقال .

أبو جهل : هذ أمر دبر بليل ، وما احسبكم إلا دبرتموها في غير هذا المكان .

أبوطالب : يبادره في جماعة من قومه ، بل هو أمر قضاه رب محمد .

وتطاولت الأعناق نحو أبي طالب ، كأنهم يطلبون المزيد من التوضيح .

أبو طالب : إن ابن أخي أخبرني ، وهو عندي صادق أمين ، أن الأرضة أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى ، فهلموا إلى صحيفتكم فأحضروها بين هذا الملأ ، فان كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا ، قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذبا ، علمنا أنكم على حق ، وإنا على باطل ، دفعته اليكم فما شئتم فافعلوا به .

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ، فتناولها من جوف الكعبة ، وفض غلافها ، فاذا الأرضة قد أكلتها ، ولم تترك بها إلا « باسمك اللهم » .

ففغر الناس أفواههم ، وانعقدت الألسنة من الدهشة ، إلا أبا طالب الذي رفع بقيتها في يده ، وصاح بصوت مسموع .

أبو طالب : الآن قد تبين لكم أنكم أولو الظلم والقطيعة ، فبهت القوم ، ونكست الرؤوس الشامخة .

« الموكب المنتصر »

من قام بفض هذه الصحيفة ؟؟

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل جيشا لمحوها ، ولم يجرد حساما من غمده ليمزقها ، بل قام بفكها أضعف مخلوق بمكة « إن الأرضة قد أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى » .

وصدق الله العظيم إذ يقول : (ولله جنود السموات والأرض) الفتح / ٤ .

(وما يعلم جنود ربك إلا هو) المدثر/٣١ .

علم المسلمون وبنو هاشم وبنو المطلب المحاصرون في الشعب ، بأمر تمزيق الصحيفة ، فكبر المسلمون فرحين مستبشرين ، وحزموا أمتعتهم ، وخرجوا من الشعب متوجهين الى مكة ، وساروا في طرقاتها يلتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالات حول القمر .

سار هذا الموكب المنتصر ليعود الى نشر دعوة الله مستهينا بما سوف يلقي في سبيل الله .

ياقدرة السماء : أليس هذا الموكب المنتصر المسرور ، الفرح بتأييد الله ، ونصره وعونه ، هو الذي خرج بالأمس القريب في موكبه الحزين ؟؟!!

الحزين على ظلم أهله وقومه

الحزين على هذه المقاطعة الآثمة الظالمة .

إذا به اليوم يخرج في موكب النصر بين التهليل والتكبير .

فرح الطغاة بهذه المقاطعة الظالمة ، وظنوا أنهم سددوا للمسلمين ضربة قاصمة ، تفرق جمعهم ، وتبدد شملهم ، ولكن طاش سهمهم ، وخاب فألهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم .

إن المسلمين أكبر من أن تهزهم هذه السفاسف وإن عظمت ، أو تفرقهم هذه الأحداث وإن تتابعت ، أو تفتر عزيمتهم الدنيا كلها وإن تجمعت .

لقد بهروا العالم بمبادئهم .

وهزوا عروش كسرى وقيصر بايمانهم .

إذن فلتتعاهد قريش ولتمض في طريق الشر والغواية والظلم والقطيعة .

فالمسلمون ثابتون على دينهم ، متمسكون بعقيدتهم ، واثقون من نصر الله لهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون)** الصافات/ ١٧١ ـ ١٧٣ .

لقد علا صوت الحق ، ورفرفت راية الاسلام ، وعلا وجه الكفر الذل والخزي والعار .

وخرج المسلمون المحاصرون في شعب أبي طالب .

ودار الفلك دورته ، وإنقضت أعوام ، هاجر المسلمون بعدها إلى المدينة المنورة ، فتكونت دولة الاسلام . الفتية القوية .

ثم عادوا الى مكة .

مكة التي كانوا محاصرين فيها لا يبيعون ولا يبتاعون ، عادوا إليها فاتحين مظفرين ، واستسلم قادة الكفر ، ورؤوس الضلال ، واستسلموا صاغرين مدحورين .

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض) القصص/٥ ، ٦ .

يا أسوة سعد الأنام بنورها

للدكتور/احمد حسنين القفل

إن كنت للاسلام خير دعاته ... هذا رسول الله خير حماته
كان الأمين ، وذا الوفاء لعهده ... والطاهر المفضال في خطواته
كان اليتيم ، فما تخاذل وانثنى ... فاليتم لا يثنيه عن غاياته
للـه درك من عصامي سما ... فوق السماك ، وزاد عن هاماته
ياأعزلا ، خضع العتاة لحكمه ... بالعدل والانصاف في طياته
ياهاديا ، راد الطريق بحكمة ... حتى أنار الكون من ظلماته
ناضلت عن حق فأزهق باطلا ... قد شوه الأخلاق من نكباته
وأد البنات ، وهتك عرض بعضه ... والقتل والشحناء بعض صفاته
عجبي لأمي ، تناهى علمه ... أثرى الأنام بهديه وعظاته
نور على نور ، فمن يبغى هدى ... فهو الذي يشفيه من علاته
يادولة الاسلام ، هيا للعلا ... هيا ، فضمي الشمل بعد شتاته
هيا ارفعي علم الجهاد وأسرعي ... للمجد ، فالاسلام خير بناته
لن يستسيغ الذل من أسلافه ... كانوا ملوك الدهر ، من هالاته
كانوا الأباة ، فان دين « محمد » ... حاشاه يرضى الضيم من عاداته
ليس الذليل النذل من أبنائه ... أبدا ، وليس اليأس من شاراته
هذا « محمد » كان فردا أعزلا ... فاذا العروش تهد من صولاته
قد أرغم الخصم العنيد لركبه ... وغدا سراج الكون ، من ساداته
لم تثنه الأحداث ، وهي فواجع ... صبت عليه من جميع جهاته
أن ينصر الدين الذي يدعو له ... ويقر غير الحق في خطواته
عرضوا عليه المال ، إذ هو معسر ... والملك ، كي ينحاز عن دعواته
فأبى ، وعاش على الكفاف مناضلا ... عن خير دين ، قد أحب لذاته
بأبي وأمي أنت ياأصل الهدى ... ياخير خلق الله في طاعاته
ياأسوة سعد الأنام بنورها ... نور أضاء الكون في رحباته
أنت السراج يضيء أركان الورى ... يهدى الحيارى من عظيم هباته

من إشراقات الميلاد النبوي



إن ذكرى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه مستقرة في نفس كل مؤمن ، لا تنسى ولا يختص بها زمان دون زمان . ومن عظم شأنه وعلو قدره صلى الله عليه واله وسلم فقد قرن الله بينه وبين اسمه الكريم في كلمة التوحيد التي يكون بها المرء مسلما ، والتي هي الحد الفاصل بين الايمان والكفر ، وهي « لا إله إلا الله محمد رسول الله » صلى الله عليه واله وسلم . وجعل المناداة باسمه جزءا من الاذان الذي يكرر خمس مرات في كل ليل ونهار بصوت مسموع تتجاوب به المآذن في بيوت الله من الصباح

للدكتور / عبدالله بن عبد القادر بلفقيه الحسيني

والمساء ، إيذانا وإعلاما بالصلوات المكتوبة ، وجمعا على عبادة الله ، فيتعارفون ويتحابون ويتعاونون ويتحدون ، وانه ليذكر في التشهد كلما صلى مسلم فرضا او نفلا .

وذكر محمد عليه الصلاة والسلام قد خلده الله في كتابه الخالد ، ذكره باسمه الصريح ، وذكره بوصف الرسالة اصطفاء من الله على علم ، وذكره بوصف العبودية لله الواحد ، وذكره بعظمة خلقه ، وذكره برحمته للناس اجمعين وذكره بأنه المزكي للنفوس ، المعلم للكتاب والحكمة ، وذكره بالتبشير والانذار ، وأنه شهيد على أمته ، وبأنه صاحب المقام المحمود ، وجعل محبته من محبته ، وطاعته من طاعته ، وعصيانه من عصيانه صلى الله عليه واله وسلم .

وهكذا تلمع هذه الذكرى المحببة في كل موطن الاسلام عقيدة ، وعبادة ، وقدوة واهتداء ،وتفتر عنها ملايين الألسنة والشفاه في مشارق الأرض ومغاربها حينما أذن مؤذن أو أجاب مجيب أو صلى مصل أو أمن مؤمن أو تلا قاريء أو حدث محدث .

تلك لعمري هي الذكرى وهذا هو الخلود .

كان ايمان الأولين السابقين بهذه الذكرى وبصاحب هذه الذكرى عليه الصلاة والسلام ايمانا عمليا بالأفعال قبل الأقوال ، بالقلوب والأرواح قبل الصور والأشباح ، بالدموع والدماء ، بالأموال والأنجال ، بالأهل والعشيرة ، بالمتاع والنعيم ، بكل لون من ألوان التضحية والايثار والجهاد ، آمنوا بنبيهم ، وذكرى نبيهم لا عن طريق الخطب التي تلقى في شمائله ، ولا عن طريق الحفلات تطلق فيها الأنوار الصناعية والزخارف المزينة ، وإنما آمنوا عن طريق اتباعه وإحياء سننه والتحلي بأخلاقه ، واقامة شرعه ودينه ، امنوا بهذا وعلموا ان الايمان الحق يثمر المحبة الصادقة ، وللمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات ، فمن حقوقها المتابعة للمحبوب ، والرضا بما يرضيه ، والغضب لما يغضبه ، ومن تبعاته تحمل المشاق والتضحية بأعز شيء في سبيل الوصول الى رضاه : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)ال عمران / ٣١ : (**قل إن كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره**) التوبة / ٢٤

هكذا شأن المؤمنين الأولين يوم كان الايمان قويا في النفوس ، تشتعل

جذوته فتلتهب الجوارح وتبذل الأنفس ، وهكذا كانت الذكرى ماثلة في كل شيء ، في اقوالهم اذا نطقوا في حركاتهم اذا تحركوا وفي سكونهم اذا سكنوا ، وفي جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، السرية والعلنية ، الدنيوية والأخروية اساسها هذا النور المبين الذي جاء به محمد عن ربه ، فكان دستور الحياة وينبوع العزة والقوة والسعادة ، :(**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**) الاسراء / ٩

هكذا كان شأنهم ، كانت جميع اوقاتهم وجميع اعمالهم ذكريات متتابعة بهذا الرسول الكريم ، وكانت حالتهم مثالا صادقا ومرآة صافية ترى منها سيرته صلى الله عليه واله وسلم وشرعته واخلاقه ، فلم تكن بهم حاجة الى مذكر وهم في الذكرى دائما سابحون وبنورها مهتدون .

ظل المسلمون كذلك حتى ضعفوا واستكانوا ، فانطفأ هذا النور من قلوبهم ، وأقفرت بصائرهم من أسراره ، ولم يبق لهم منه الا صور مرسومة بحروف في الصحف أو الكتب يرجعون اليها كلما عاودتهم الذكرى أو اهل عليهم ربيع .

اكتفوا بذكرى محمد صلوات الله وسلامه عليه في شهر ربيع من كل عام كما اكتفى غيرهم ، وانه كان على خلق عظيم ، وان شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وتركوا الاقتداء والتأسي ، وانحازوا الى شرائع وتقاليد واخلاق لا يعرفها محمد ، وما انزل الله بها من سلطان فانخفضت رءوسهم واستوت اعناقهم ، وضعف سلطانهم ، وتفرق شملهم وتناثرت عزتهم ، شغلوا بالقول ونسوا ان دينهم ومنبع عظمتهم ومجدهم ، اساسه الايمان والعمل :

(**والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**)سورة العصر .

لا نعلم في القران ولا في تعاليم الرسول اية واحدة او حديثا واحدا يجعل سبيل السعادة مجرد القول ، بل نراهما ينوطان النجاح دائما بالايمان والعمل ، وينعيان على القوالين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم : (**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) الصف / ٢و٣ .

نعم ، قد اجد القول في شيءمن الايات والأحاديث ، ولكن تجده ، مقرونا بطلب العمل « قل امنت بالله ثم استقم »

وهكذا كان صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه فعالا قبل ان يكون قوالا ، وكان فعله اكثر من قوله ، كان معلما للخير بفعل الخير ، وكان داعيا للفضيلة ، وكان قدوة في اعماله واسوة بأفعاله ، يتوضأ ويقول لأصحابه « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » رواه ابن ماجه واحمد وكان يصلي ويقول لأصحابه « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وكان يحج ويقول : « خذوا

عني مناسككم » رواه النسائي

ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم شجاعا كأتم ما تكون الشجاعة ولم يكن شجاعا بالقول فقط وانما كان شجاعا بالفعل ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب لقد كنا اذا حمى الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا الى العدو ، وكان من اشد الناس يومئذ بأسا ، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه .

والتاريخ لم يعرف قائدا حكيما صبورا جلدا كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فر أصحابه من موقعهم يوم أحد متلهين بالغنائم ، ومعاندين أمره الذي أمرهم به . الا يبرحوا الشعب ولو رأوه واصحابه يقتلون . فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي بنفسه عن قوسه حتى تحطمت ، واحاط نفر من المسلمين به يدفعون عنه ويحمونه ، وترس أبو دجانة ، بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحنى ظهره والنبل يقع فيه ، ووقف سعد بن أبي وقاص الى جانبه يرمي بالنبل دونه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناوله النبل ويقول له ارم فداك أبي وأمي .

واصيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقع لشقه وكسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وجرحت شفتاه ، ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته ، ولكنه مع كل هذا تمالك نفسه وأخذ ينادي المسلمين « إلى عباد الله » فاذا به يقع في حفرة حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون فيأخذ علي بن أبي طالب بيده ويرفعه طلحة بن عبد الله حتى يستوي .

موقف من مواقف الشجاعة العملية لا يعهد لقائد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي هذا الموقف العملي يقول الله تعالى في كتابه العزيز : (**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون**) ال عمران ١٥٢ . ١٥٣

ولقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشترك مع اصحابه فيما يفعلون من شئون الحرب كأنه جندي منهم ، وكان يحمل التراب في غزوة الخندق على كاهله ، وهو يعلم أن فيهم من يكفيه ذلك راضيا مسرورا ، ولكنه يضرب لهم الأمثال بما يفعل ويثير في قلوبهم حماسة الايمان : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الاحزاب ٢١/ .

تلك لعمري هي الذكرى وهذا هو الخلود .

كتاب الشهر

أضواء على كتاب منهاج الصالحين

منهاج الصالحين
من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين
تأليف
عز الدين بليق
دار الفتح للطباعة والنشر

المؤلف : مؤلف [منهاج الصالحين] هو الأستاذ عز الدين بليق ، الكاتب الاسلامي اللبناني الذي عرفته الصحافة العربية الاسلامية من خلال مقالاته التي نشرت في بيروت والعالم العربي ، وهو مندوب المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الاسلامية بمنطقة الشرق الاوسط ، وقد زار اندونيسيا بدعوة من الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء اندونيسيا الاسبق ، واصدر كتابه الاول عن رحلته الى اندونيسيا بعنوان [انقذوا اندونيسيا يا مسلمون] استعرض فيه أوضاع المسلمين ونشاط الحركة الاسلامية والحركات التبشيرية مدعما بالخرائط والصور البيانية .

وقد اصدر كتابه الثاني الكبير [منهاج الصالحين] منذ عدة أشهر ، والذي استقبلته الاوساط والمراكز العلمية والجامعات بالترحاب ، كما استقبلته الصحف والمجلات في العالم العربي بالثناء والتقدير وقد بذل فيه المؤلف جهدا مباركا مشكورا يشبع رغبة ملحة لدى الكثيرين من المسلمين في العصر الحاضر في الاطلاع على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، من أقرب طريق ، كما جعله مرجعا شاملا للعقائد والعبادات والقوانين العامة ، والآداب الاجتماعية ، وهو الى جانب ذلك يقدم البلاغة النبوية الى القراء بصورة جميلة شيقة في العرض ، ممتازة في الاختيار حيث عرض أنماطا من البلاغة النبوية في كل باب من أبواب الكتاب ، وفي كل فصل من فصوله .

ومن الجدير بالذكر انه لا

يتسنى للباحث أو القـاريء أو طالب العلم أن يجد هذه الاحاديث التي اشتمل عليها الكتاب في مرجع واحد ، أو مصدر معين من مصادر كتب الحديث .

وها هو الأستاذ عز الدين بليق يساهم مساهمة مشكورة في جمع الأحاديث وتبويبها تبويبا جميـلا وتقريبهـا الى القـراء ، ويضـع العناويـن المناسبـة والملائمـة لمضمونها .

الكتاب :

ومنهاج الصالحين يحتوي على :

ــ مقدمة مهمة في علم الحديث .

ــ وعلى الخطوط الرئيسية لرسالة الاســلام بعنـوان [معالـم الاسلام] .

ــ وعلى (تعريفـات أساسيـة) توضح معنى الاسلام والايمـان والاحسان ، والمسلم والمؤمـن : والكافـر والمشرك والملحـد ، والمنافق ، والمستأمن والحربـي ، وأهل الكتاب والذمة والمواطنين ، والانسان وبنـى آدم ، والحيـاة الدنيا ،

ــ والمؤلـف يصـدر كل ابـواب الحديث بآيات كريمة من القرآن الكريم تناسب ابواب الحديث .

ــ وأهميـة [منهـاج الصالحين]أنه خلا من الأحاديث المتعارضة والأحاديث الضعيفـة والموضوعـة والمكررة ، بل إن المؤلف استبعد بعض الاحاديـث التي وردت في كتب الصحاح على أنها صحيحة ، إذا تبين له أن فيها علة تقدح في صحتها من ناحية المتن .

ــ كما يسلط الأضواء على رسالة الاسلام الأخلاقية لأن الرسـول صلى الله عليه وسلم يقول « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقد أورد في الكتاب أجمع ما ورد في الاخلاق الفاضلة ــ ٢٧ بابـا ــ وما يقابـل ذلك من النهـي عن الأخلاق السيئة .

ــ بالاضافة الى ذلك تجد أبواب (السياسة الداخلية للرسـول) و (السياسة الخارجية والعلاقات الدولية) في هذا الكتاب والتي لا يجدها القاريء في كتب الحديث بل يجدها في كتب السيرة والتاريخ .

ــ و [منهـاج الصالحـين من أحاديث وسنـة خاتـم الأنبيـاء والمرسلين] كتاب شامل جامـع يمتاز بالتنسيق والتبويب ويصلح لعامـة المسلمـين ، للطالـب والمدرس ، للطبيـب والمهنـدس ، والعامل ورب العمـل ، وللـزوج والزوجـة وليس فقـط للخاصـة والعلماء والفقهاء .

وهو يقع في ١٠٢٤ صفحـة من القطع الكبير ، في مجلد واحد . وقد صدر عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت .



ماذا تعرف عن مكة عند البعثة؟

للاستاذ علي القاضي

موقع مكة :

تقع مكة بين الأخشبين – جبل أبي قبيس المشرف على الصفا ، وجبل الاحمر المشرف وجهه على قعيعقان ، كما أنها تقع في مكان تلتقي فيه جميع الطرق الآتية من كل الجهات – الطريق الغربي الذي يبدأ من ظفار جنوبا ، وينتهي عند تيماء عبر مكة ، والطريق الشرقي الذي يبدأ من ظفار جنوبا وينتهي عند الطائف ، وتتصل بالبحر الاحمر عبر طريق ميقاتها جدة .

كانت مكة معبرا رئيسيا للقوافل الآتية من الشمال او الجنوب فتأثرت

بأوضاعهم ، وهي من اقدم مدن العالم ، يقول جارج بال – مترجم القرآن بالانجليزية في مقدمة الترجمة : « إن مكة معناها مكان تجمع عظيم ، وهي من أقدم مدن العالم بالتأكيد » .

كيف نشأت مكة

ذهب ابراهيم عليه السلام بالسيدة هاجر وابنها إسماعيل إلى مكان مكة التي لم يكن يسكنها أحد في ذلك الوقت ، ولم يكن بها ماء ولا طعام ، وحين طلب اسماعيل الماء ذهبت والدته يمنة ويسرة علها تجد ماء يروي غليل طفلها الرضيع ، فلم تجد ما تبتغيه ، فجعلت تحفر في مكان بئر زمزم ، فخرج الماء فشرب وليدها ، وشربت ، وقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام وأبوه ، إن الله لا يضيع أهله .

في هذه الفترة مرت رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فرأوا طائرا يحوم في السماء .فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما به ماء ، فارسلوا رسولا فاذا هم بالماء فرجعوا وأخبروا قومهم ، فأقبلوا وقالوا لأم اسماعيل : أتأذنين لنا ان ننزل عندك ، قالت نعم : ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : نعم ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم – وشب اسماعيل وتعلم العربية منهم وقد أحبوه ، فلما ادرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل ، وجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل ..

قال ابراهيم لابنه اسماعيل : إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمر ربك ، قال : وتعينني ، قال : وأعينك ، قال : فان الله أمرني ان ابني هنا بيتا ، واشار إلى اكمة مرتفعة على ما حولها – فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني ، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه لهم ، فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

فصارت ولاية البيت ومكة لاسماعيل ، ثم لذريته من بعده ، وانتشرت ذريته في الحجاز وكثرت ، ثم غالبهم عليه اخوالهم من جرهم ولم ينازعهم بنو اسماعيل لقرابتهم وإعظامهم للحرمة آلا يكون بمكة قتال ، ثم ان جرهم بغوا في مكة وظلموا من دخلها ، فلما رأى ذلك بنو بكر ابن عبد مناف من كنانة وغبشان من خزاعة اجمعوا على جرهم فا قتتلوا فغلبهم بنو بكر وغبشان ونفوهم خارج مكة ، فقد كانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ، ولا يبغي فيها أحدالا اخرج ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك .

ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بكر ، وقريش اذ ذاك بيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك ، حتى كان آخرهم جليل بن معينة فتزوج قصى بن كلاب ابنته ، فلما عظم شرف قصى وكثر

بنوه وماله ، هلك جليل ، فرأى قصى انه اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة وبني بكر ، وان قريشا رؤوس آل اسماعيل وصريحهم ، فكلم رجالا من قريش وكنانة في اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه ، وقال لهم : نحن اولى بهذا البيت منكم ، فا قتتل الناس قتالا شديدا ، وغلب قصى ، وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى ، وعرفوا انه سيمنعهم ويحول بينهم وبين الكعبة وامر مكة ، فلما انحازوا بادأهم وأجمع لحربهم ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، ثم تداعوا الى الصلح فحكموا يعمر بن عوف احد بني بكر ، فقضى بينهم « قصيا اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة ، وكل دم اصابته قصى منهم موضوع شدخه تحت قدميه ، وما اصابت خزاعة وبنو بكر فيه الدية وأن يخلى بين قصى وبين الكعبة » فسمي يومئذ يعمر الشداخ - فوليها قصى وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك عليهم وملكوه ، وأقر للعرب ما كانوا عليه لأنه يراه دينا لا يتغير .

مكة الجديدة وقصى :

ملك قصى على قومه واهل مكة وصارت اليه الحجامة ، والسقاية ، والرفادة والندوة ، واللواء ، وبذلك حاز شرف مكة كلها ، فأعاد تخطيط مكة ، فقطعها رباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها ، واصبحت داره بيت شورى لقريش والعرب ، فلا يقضي امر من امورها الا فيها تشريف له ، وقد سموه مجمعا ، لما جمع من امرهم واصبحوا يأتمرون بأمره .

فلما هلك اقام بنوه امره لا نزاع بينهم ، ثم إن بني عبد مناف ارادوا اخذ ما بيد عبد الدار ، واخيرا تداعوا الى الصلح ، على ان لعبد مناف السقاية والرفادة ، ولعبد الدار اللواء والحجابة والندوة ، فرضوا ، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام ، فقال : صلى الله عليه وسلم : « كل حلف في الجاهلية لم يزده الله الا شدة » .

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي ، انتقلت مكة من طور البداوة الى طور الحضارة المحدود ، وخضعت لنظام يقوم على انفاق تطوعي ، وتفاهم جماعي ، وتوزيع للمسئوليات والمهام ، وذلك على يدي قصى بن كلاب الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام ، وبذلك اصبحت مكة كبرى مدن الجزيرة العربية ، وبدأت تنافس صنعاء اليمن في زعامة الجزيرة بل انها تفوقت عليها بعد ما حدث باليمن من استيلاء الحبشة عليها ، وأصبحت مكة عاصمة الجزيرة العربية الروحية والاجتماعية ، وقد سماها القرآن الكريم « ام القرى » (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها) الشورى/٧ .

دار الندوة :

هي دار قصى بن كلاب اسسها لاصقة بالمسجد الحرام ، وجعل بابها الى مسجد الكعبة ، وقد اصبحت دار الشوري لقريش ، ودار الحكم في مكة ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، ولا يتشارون في امر نزل بهم ، ولا يعقد لواء لحرب لقوم من غيرهم الا في هذه الدار ، يعقده لهم بعض ولده ، ولا يرد عليه شيء صنعه ، وكان تعظيمه بعد وفاته كما كان في حياته ، ولم يكن يدخل دار الندوة من غير قصى الا ابن الاربعين ، ويدخلها بنو قصى جميعا وكذلك حلفاؤهم ، وكانت تجمع اقيال العرب وكبراء القبائل من شتى انحاء الجزيرة من اليمن جنوبا الى الغساسنة شمالا ، فاذا اهم العرب امر واحتاجوا الى امر جامع ، لا يجدون بنايةتجمعهم الادار الندوة في ارض مكة ، وكانت الرياسة فيها لقريش ..

وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ندوة قريش في صدر حياته ، وكان مع هدوء نفسه واطمئنان قلبه يلفت الأنظار ، وتتطلع اليه الابصار ، ويروي ان النبي عليه الصلاة والسلام (كما ذكر في كتاب « زهر الآداب » حضر الندوة ، وكان فيها قيل من اقيال اليمن ، فرأى الرسول ، ولاحظ انه كل ما عرض يراه خيرا اطمأن الى القول اطمئنان المؤمن ، واذا كان ما يرى فيه غير ذلك أحد البصر في هوادة من غير لين ، فقال ذلك القيل : ما لي أرى هذا الغلام ينظر اليكم تارة بعيني لبؤة ، وتارة بعيني عذراء خضرة ، والله لو أن نظرته الاولى كانت سهاما لانتظمت افئدتكم فؤادا فؤادا ، ولو أن نظرته الثانية كانت نسيما لأنشرت أمواتكم » .

وكانت المسئوليات موزعة بين رجال من قريش اقرت لهم بالفضل وحصافة الرأي ، وكانوا يتوارثون المكارم كابرا عن كابر ، وعند البعثة كان الذين يتولون هذه المناصب على النظام الآتي :

كان لأبي بكر ، وهو من تيم الاشنان ، الديات والمغارم ، فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه ، وامضوا حمالة من نهض معه ، واذا احتمل غيره خذلوه ، وكان لخالد بن الوليد وهو من بني مخزوم القبة والاعنة (القبة يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش الاعنة ـ كان على خيل قريش في الحرب) وكان لعمر بن الخطاب ـ وهو من بني عدي ـ السفارة فاذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرا ، وان ناداهم حي بمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا به ، وكان لصفوان بن امية وهو من جمح الاسار ، وهي الأزلام فكان لا يسبق بأمر هام حتى يكون هو الذي يسيره على يديه ، وكان للحارث بن قيس الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهتهم .

حلف الفضول :

اجتمعوا له في دار عبد الله بن

جدعان لشرفه وسنه وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب واسد بن عبد العزي وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة – وتعاهدوا على ان لا يوجد بمكة مظلوم من أهلها او ممن دخلها الا قاموا معه حتى ترد اليه مظلمته فقال الزبير بن العوام

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا
ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تحالفوا وتعاقدوا
فالجار والمعتر فيه سالم

شهد رسول الله عليه الصلاة والسلام حلف الفضول وقال بعد ان ارسله الله تعالى (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان مع عمومتي حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت)

الوثنية في مكة :

كانت ذرية اسماعيل عليه السلام على دين اسماعيل قرونا طويلة ، ولم يزالوا على ذلك حتى نشأ فيهم عمرو ابن لحي الخزاعي ، نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على امور الدين فأحبه الناس حبا عظيما ودانوا له لذلك ، حتى ملكوه عليهم فصار ملك مكة وولاية البيت بيده ، وظنوا انه من اكابر العلماء وافاضل الأولياء ، ثم انه سافر الى الشام فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقا ، لأن الشام محل الرسل والكتب فلهم الفضيلة بذلك على اهل الحجاز وغيرهم فرجع الى مكة وقدم ومعه « هبل » وجعله في جوف الكعبة ودعا الى الشرك اهل مكة فأجابوه ، وأهل الحجاز في دينهم تبع لأهل مكة ، لأنهم ولاة البيت واهل الحرم ، والى جانب ذلك فهناك اسباب اخرى للوثنية ، فالوثنية من بقايا الديانات القديمة مثل قوم نوح فقد كانوا وثنيين كما ان من اسبابها انتقال العدوى من الرومان ، وعدوى العقائد تسري كعدوى الأمراض ، والغساسنة عرب ، وكانوا يخضعون للروم والى جانب ذلك ما يقولونه من ان اول ما كانت عليه عبادة الامجاد من بني اسماعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت بهم مكة ، الا حمل حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، ويطوفون به كطوافهم للكعبة ، ثم خلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه الآباء وعبدوا الحجارة ، ومع ذلك فهم لم ينسوا الله تعالى ، وهذا فرق واضح بين وثنية العرب التي فيها ايمان بالله بلا وحدانية ووثنية الروم التي ليس فيها ذكر لله ، وفي ذلك يقول الله تعالى **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)** لقمان / ٢٥ .

ومن الاشياء التي ابتدعوها ما رواه قتادة قال : عمد ناس من اهل الضلالة فجزءوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله وجزءا لشركائهم وكان اذا خالط شيء مما جزءوا لله فيما جزءوا لشركائهم خلوه ، واذا اخالط شيء مما جزأ لشركائهم فيما جزءوا لله ردوه على شركائهم – وكان

اذا اصابتهم السنة ـ يعني الجدب ـ استعانوا بما جزءوا لله وأقروا ما جزأ لشركائهم ـ ولهذا نزل قوله تعالى **(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون)** الأنعام / ١٣٦ .

وعدد الاصنام التي كانت في مكة في جوف الكعبة عند البعثة ٣٦٠ ، كبيرها هبل ، وهو الذي نادى به ابو سفيان بعد موقعة بدر بقوله : اعل هبل ، وكان على بئر في جوف الكعبة وهو الذي يجمع فيها ما يهدي للكعبة ، وكان بالعقيق الأحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى ادركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من ذهب .. وكان امام البيت صنمان ، اساف ونائلة ، وكانوا يذبحون عندهما ، وكان في كل دار بمكة صنم يعبدونه وكانت الاصنام يطاف بها في مكة فيشتريها اهل البادية ويخرجون بها الى بيوتهم ، وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام ، ومن اشهر الاصنام « ود » بدومة الجندل لكلب ، وسواع لبني هذيل ، ويغوث لبني مذحج ، ويعوق لهمذان ، ونسرا بأرض حمير لذى الكلاع ، واللات بالطائف لثقيف وقد هدمها المغيرة بن شعبة ، ومناة بيثرب للخزرج هدمها علي ، والعزى لكنانة بنواحي مكة هدمها خالد بن الوليد وأساف ونائلة على الصفا والمروة ..

واهل مكة على وثنيتهم كانوا يعظمون الكعبة يطوفون بها ويقفون بعرفات والمزدلفة وان كانت التلبية قد اصبح فيها زيادات ..

وبدأت قريش ، مع توالي الزمن ، ترى أن لها حقوقا على سائر العرب في شئون الحج فخالفوا الناس في كثير من المناسك وابتدعوا اشياء بقصد الكسب المادي وسميت قريش حمسا لتشددهم وتحمسهم وتنطعهم في الدين بقصد الترفع والتعالي .

امتيازات :

قالت قريش : نحن بنو ابراهيم وولاة البيت فليس لأحد من العرب مثل حقنافلا نعظم اشياء من الحل مثلما نعظم الحرم ، لئلا تستخف العرب بحرمتنا ، فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها ، مع معرفتهم انها من المشاعر من دين ابراهيم ، ويرون لسائر العرب ان يقفوا بها ويفيضوا منها ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من اهل الحرم مثل ما لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك ، ثم ابتدعوا في ذلك امورا فقالوا : لا ينبغي للحمس ان يقطوا الاقط ولا أن يسلوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر ، ولا أن يستظلوا إلا في بيت من الأدم ما داموا حرما ـ ثم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل ان يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل الى الحرم اذا كانوا حجاجا او عمارا ، ولا

يطوفوا بالبيت اذا قدموا اول طوافهم ، الا في ثياب من الحمس ، فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة ، فان لم يجد القادم ثياب احمس طاف في ثيابه والقاها اذا فرغ ولم ينتفع بها احد غيره فكانت قريش تسميها الكفى وحملوا على ذلك العرب ـ فدانت به ـ أما الرجال فيطوفون عراة واما النساء فتضع المرأة ثيابها كلها الا درعا مفرجا ثم تطوف به فقالت ضاعة بنت عامر بن صعصعة وهي تطوف :

اليوم يبدو كله او بعضه
وما بدا منه فلا احله

قال السهيلي : ابتدعت قريش هذا لتبيع الثياب للحجاج وتكسب ما تشاء من المال ثم تغالت حتى عجز كثير عن الأثمان التي تطلبها قريش فأمروهم ان يطوفوا عراة ، ولم يزالوا كذلك حتى جاء الله بالاسلام فأنزل **(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)** البقرة/ ١٩٩ وانزل **(يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير)** الاعراف / ٢٦

النشاط التجاري والثقافي .

كان لقريش رحلتان تجاريتان احداهما الى الشام في زمن الصيف والاخرى الى اليمن في زمن الشتاء ، وكان اول من سن الرحلتين هاشم ابن عبد مناف ، وكانت عير قريش العائدة من الشام عند غزوة بدر قد بلغت الف بعير وبلغ المنقول عليها خمسين الف دينار ، وكانت المتاجر تغدو وتروح ذاهبة الى اليمن حاملة اليها بضائع الروم ومن اليمن تنفذ الى ما وراءها ، وكانت بضائع الفرس التي تؤخذ من اليمن تذهب الى الشام لتصل الى ما وراءها من الرومان ، وكان من النساء تاجرات لهن نشاط في ارسال القوافل التجارية الى الشام ـ منهن السيدة خديجة والحنظلة ام ابي جهل .

وكانت اشهر الحج عندهم اشهرا حرما يعقدون فيها اسواقهم التجارية بجانب البيت وداخل حدود الحرم ، والناس يهرعون الى هذه الاسواق يؤمونها من جهات الجزيرة البعيدة ليقضوا فيها حاجاتهم ويتزودوا لقومهم منها اسواق العطارين والفاكهة والرطب ـ وكان هناك مكان للحجامين والحلاقين ، وكانت رحيبة واسعة تباع فيها الحنطة والسمن والعسل والحبوب يحملها البعير من الخارج ـ وكانت اليمامة ريف مكة ، ولذلك فحين منع ثمامة بن اثال ، سيد بني حنيفة حمل الحنطة الى مكة بعد ما اسلم جهدت قريش وكتبوا الى رسول الله عليه الصلاة والسلام يسألونه ان يكتب الى ثمامة يخلي اليهم حمل الطعام فقبل ، وكان في مكة زقاق للحذائين وسوق للبزازين ، وكان تجار مكة يتجولون في بلاد كثيرة من افريقية واسيا ، وكانوا ينقلون من افريقية الصمغ والعاج والتبر وخشب الابنوس ومن اليمن الجلود والبخور والثياب ومن العراق التوابل ومن الهند الذهب والقصدير

والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والزعفران ، ومن مصر والشام الزيوت والغلال والاسلحة والحرير والخمور وكانوا يرسلون الى الامراء والملوك من بضائع مكة الجلود ، كما فعلت قريش حين بعثت الى النجاشي عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ليستردوا من هاجر من المسلمين الى الحبشة ولكنهم كانوا يحتقرون الصناعة ولم يباشرها الا الموالي وابناء العجم الا بعض صناعات كانوا مضطرين اليها .

وقد جعلوا من اشهر السنة اربعة اشهر يحرم فيها الصراع ، وفي اثناء هذه الأشهر تقام الاسواق حول مكة ، فتختلط التجارة وهي عملهم — بالحج الاكبر وهو عقيدتهم وبالشعر والخطابة وهو رمز قوميتهم ، فاذا جاء الموسم خرج الناس الى مواسمهم فيجتمعون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة ، فيقيمون عشرين ليلة تقام فيها اسواقهم بعكاظ ، والناس يبيعون ويشترون فاذا مضت العشرون ، انصرفوا الى مجنة فاقاموا بها عشرا واسواقهم قائمة فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فاقاموا بها ثمان ليال اسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية الى عرفة آخر اسواقهم ، وبذلك يحضر اكبر عدد من المناطق النائية لكي يزودوهم بالشعر والاقتصاد ، وكانت تقام المسابقات الادبية حيث يتبارى الشعراء والخطباء في ذكر مفاخر قبائلهم ، وكان لهم حكام يحكمونهم في من هو اشعر الناس ، ومن هؤلاء الحكام النابغة الذبياني الذي حكم للخنساء في سوق عكاظ بقوله : لولا ان ابا بصير (يعني الاعشي) انشدني آنفا لقلت : انك اشعرمن بالسوق ، وهذا الحكم لم يعجب حسان الذي قال له : والله لأنا أشعر منك ومن ابيك فقال له النابغة الذبياني : حيث تقول ماذا ؟ وجرى بينهما حوار طريف ذكرته كتب الأدب .

وكانت عامة مجالس اشرافهم امام البيت ينشدون فيها الشعر ويحضرها بعض كبار شعرائهم مثل لبيد بن ربيعة صاحب المعلقة المشهورة — وقد ذكر ان عبد المطلب بن هاشم كان يوضع له فراش في ظل الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا له .

وقد عززت قريش وضعها الاقتصادي برحلاتها التجارية وعززت وضعها القبلي بتشريعاتها الوثنية وارتباطها بالبيت الحرام — حتى اصبح كل من يتمرد على قريش فانما يتمرد على قدسية البيت ، وبذلك أصلت الوثنية الوضع القبلي واصبح هدم النظام القبلي يستدعي هدم النظام الوثني .

وكان من اهل قريش اغنياء مترفون منهم الوليد بن المغيرة وعبد العزي أبو لهب وأبو احيصة بن سعد ابن العاص الذي اسهم بثلاثين الف دينار في القافلة التي كان يقودها ابو سفيان وعبد الله بن جدعان الذي كان

يشرب في كأس من الذهب واشتهر باطعام المساكين والعباس بن عبد المطلب الذي كان ينفق امواله في الناس ويتعامل بالربا .. وكان منهم مترفون ، لهم مجالس سمر ولهم أرائك منصوبة وموائد ممدودة ونواد للشرب يلهون فيها ويسكرون وكان لهم منتزهات يقيمها المكيون في الاصائل من شهور القيظ وكان المتنعمون منهم يشتون بمكة ويصطافون بالطائف ، وقد اشتهر كثير من فتيانهم بالاناقة في الحياة والتجمل في اللباس ، وكانت كسوة بعضهم تقوم بمئات من الدراهم .. ومن الناحية المقابلة وجدت طبقة فقيرة تعرف بالصعاليك وقد اتخذت هذه الطبقة لنفسها مراكز في الخلاء الواسع ومنه تغير لتنهب حتى يمكنها أن تعيش .

وكانوا يتعاملون بالعملة الرومانية البيزنطية والعملة الايرانية الساسانية الدرهم والدينار وكانت الموازين والمكاييل منها الصاع والمد والرطل والاوقية والمثقال وكان عندهم علم بالحساب اعتمد عليه القرآن في ذكر السهام والفرائض .

وكان فيهم كتاب يعرفون القراءة والكتابة ـ ولكن الأمية كانت غالبة عليهم ولذلك يقول الله تعالى **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)** الجمعة / ٢

وكان اهل مكة مثلا في سلامة الذوق والظرف والاناقة ، وكانت اللغة هي الميزان وعليها الاعتماد في سائر اطراف الجزيرة ، وكانوا ابلغ العرب وكانوا شامة بين الناس يجمعون بين الفتوة والمروءة وكانوا يعنون بالأنساب وأخبارها ، ثم بالشعر ثم بالنجوم والانواء والعيافة وشيء من حلية الخيل والمعرفة الدقيقة بأعضائها وصفاتها .

الطب

كان عندهم بعض معلومات عن الطب من التجارب التي كانت عندهم والوصفات المتوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه ، وكان الكي عندهم عماد معالجتهم في كل مرض معضل .. وقد اعتقدوا في الأرواح الشريرة وانها سبب الامراض ولا يشفي منها الا السحر والتمائم على يد الكهان والعرافين وزاجري الطير والسحرة والمشعوذين ، وقد زعموا ان بين طلوع الشمس وغروبها امراضا واوبئة وعاهات وكانوا ينسبون اليها التأثيرات من خير وشر ، وانه اذا فشا فيهم الموت والجرذان اخصب الناس وانه اذا اذن ديك في دار فشا فيها مرض الرجال ـ واذا اذنت دجاجة فشا مرض النساء (دكتور عبد المعطي قلعجي في مقدمة كتابه الطب النبوي لابن القيم الجوزية) .

وقد تعلم بعض العرب من الهنود والفرس بعض القواعد الطبية وعلموها في بلادهم ومن اشهرهم الحارث بن كلدة من الطائف تعلم الطب في مدينةجنديسا بور وتمرن هناك وحصل على معارف في الداء والدواء وكان الرسول عليه الصلاة

والسلام يوصي بالتطبيب عنده ومن حكمه « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » (ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة) الذي اسلم على يد الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة والشفاء بنت عبدالله التي أسلمت وبايعت الرسول عليه الصلاة والسلام .

الحرب

كانت قريش تؤثر السلم والهدوء في عامة الاحوال ، فهي تؤمن بالتعايش السلمي ما لم تتحد عقيدتها ولم تثر غيرتها القبلية او الدينية .

ومع ذلك فقد كانت قريش قوة حربية يحسب لها حساب ، وكانت شجاعتها مضرب المثل بالفروسية والغضبة المضرية معروفة في جزيرة العرب وآدابها وأمثالها .

وكانت تستخدم ايضا قوة الأحابيش وهم بطون من القبائل العربية الضاربة حول مكة من كنانة وخزيمة بن مدركة وكان لقريش عدد كبير من العبيد والموالي الذين كانوا يقاتلون في صفوفهم وكانت تستطيع ايضا ان توجه عدة الوف وفي غزوة الاحزاب جمعت عشرة الاف مقاتل وهي اكبر قوة حربية عرفها تاريخ الجزيرة العربية .

الاخلاق

فشا في مكة القمار والميسر وافتخروا به وفشت فيهم الخمر وانتشرت مجالس اللهو والقيان وحفلات العزف التي يكثر فيها الشراب كما فشت فيهم بعض الفواحش وقد وجد فيهم الظلم والقسوة وغمط الناس حقوقهم واكل اموال الناس بالباطل وقد قال جعفر ابن ابي طالب للنجاشي (ايها الملك كنا قوما في جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي بالفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل الضعيف منا القوي ..)

وكان فيهم قتل الأولاد خشية الاملاق او البنات خشية العار والسبي ، وكذلك كانوا يفعلون في النذر للالهة كما فعل عبد المطلب من نذر ذبح احد ولده ان رزقه الله بعشرة منهم يحمونه ويمنعونه .

خاتمة :

هذه هي مكة عند البعثة النبوية الشريفة في مختلف جوانبها ، وقد ارسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق فأعاد بناءها على اسس الاسلام وغير من مفاهيمها واخلاقها وعاداتها حتى تكون على اساس الايمان بالله وحده لا شريك له ، ومحا الوثنية واعاد الى الحج شعائره الاصيلة وجعلها تبدأ صفحة جديدة في حياة جديدة وقاد رجالاتها – بعد ان دخلوا الاسلام – لواء نشر الثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية الى الدنيا كلها – حيث نعمت فترات طويلة بالأمن والعدالة والحرية والكرامة – هؤلاء هم الذين رباهم رسول الله عليه الصلاة والسلام تربية اسلامية كاملة .

لا... بل خلقت حواء من آدم

للاستاذ محمد حسن عبدالعزيز

من المسلم به أن آدم هو الانسان الأول وقد خلقه الله من تراب ، وجعله خليفة في الأرض ، وهو النفس الواحدة التي خلق الله منها زوجها .
لكن للاستاذة « زينب عزام » مؤلفة كتاب (الروح وتطور الأنواع) رأي مخالف نقله عنها الدكتور مصطفى محمود في مقال له بمجلة « صباح الخير » بتاريخ ١٩٧٦/٩/٩ بعنوان « هل كانت حواء أما لآدم » يقول : إن آدم لم يأت من تراب مباشرة ، وإنما جاء من حواء بالنفخ ، كما جاء عيسى ابن مريم ، نقله معلقا بأن ليس لديه من العلم بالأسرار ما يؤهله للفصل في هذه القضية ، بل ولا يظن أن أحدا يملك القول الفصل فيه ، وغاية الأمر عنده أن السيدة المؤلفة قد اجتهدت اجتهادا جديرا بالنظر .
ومع أن الرأي الجديد قد استند الى بعض آيات القرآن ، ولكن استنبط بطريق الخطأ النتائج التي توصل إليها ، فيقول : إن النفس الواحدة التي وردت في الآية الكريمة **(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا)** الأعراف / ١٨٩ ، هي حواء وإن الزوج هو آدم ، قياسا على آية أخرى في القرآن تقول : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)** آل عمران ٥٩ .

واذا حاولنا أن نستعرض الآيات القرآنية التي وردت في هذا المعنى وجدناها **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** الروم / ٢١
(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) النساء / ١ .
(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) الزمر ٦

فاننا نلاحظ أن « ثم » في الآية الأخيرة حرف عطف ، يقتضي تأخر ما بعده عما قبله بالذات ، أو بالمرتبة ، او بالوضع و« جعل » في الآية الأولى بمعنى خلق ، وبمعنى إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ، وبمعنى فعل ، والجعل أعم من الفعل مثل **(جاعل الملائكة رسلا)** فاطر / ١ و**(وجعل الظلمات والنور)** الأنعام / ١ والخلق في الآيات الثلاثة بمعنى إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، مثل « خلق السموات والارض » أي ابدعها على غير نسق سابق .
كذلك نجد أن القرآن الكريم قد استعمل كلمة « زوج » في الأعداد على مجموع الاثنين كما تطلق على الواحد منهما باعتباره مكملا لصاحبه زوجا ، فلم يعد فردا واحدا ، وعلى

القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات وغيرها وعلى كل ما يقترن بآخر مماثلا له او مضادا ، فلفظ زوجة في لغة العرب لغة رديئة جمعها زوجات أما زوج فجمعه « ازواج » وقد ورد اللفظ في القرآن على أربعة عشر وجها :

١ ـ **(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)** البقرة ٣٥ . بمعنى حواء . **(فقلنا يا أدم ان هذا عدو لك ولزوجك)** طه ١١٧ . **(وخلق منها زوجها)** النساء ١ .

٢ ـ **(سبحان الذي خلق الأزواج كلها)** يس ٣٦ بمعنى اصناف الموجودات .

٣ ـ **(ثمانية أزواج من الضأن)** الانعام ١٤٣ بمعنى الحيوانات المأكولات . **(وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)** الزمر ٦ .

٤ ـ **(قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين)** هود ٤٠ بمعنى أجناس الحيوانات

٥ ـ **(ومن كل شيء خلقنا زوجين)** الذاريات ٤٩ بمعنى كل ما له زوج .

٦ ـ **(من كل زوج بهيج)** ق ٧ بمعنى الاشجار والنباتات

٧ ـ **(أويزوجهم ذكرانا واناثا)** الشورى ٥٠ بمعنى البنين والبنات

٨ ـ **(جعل لكم من أنفسكم أزواجا)** النحل ٧٢ بمعنى المنكوحات والمحللات .

٩ ـ **(ولهم فيها أزواج مطهرة)** البقرة ٢٥ بمعنى الحوراء والعيناء من حرائر الجنات .

١٠ ـ **(ويذرون أزواجا)** البقرة ٢٣٤ بمعنى المخلفات في عدة الوفاة .

١١ ـ **(حتى تنكح زوجا غيره)** البقرة ٢٣٠ بمعنى المحلل في حق المطلقات .

١٢ ـ **(فيهما من كل فاكهة زوجان)** الرحمن ٥٢ بمعنى الفواكه والثمرات

١٣ ـ **(وإذا النفوس زوجت)** التكوير ٧ بمعنى اقتران الروح بالجسد .

١٤ ـ **(وأزواجه امهاتهم)** الاحزاب ٦ . **(زوجناكها)** الاحزاب ٣٧ بمعنى مخدرات بيت النبوة .

وهكذا نجد ان كلمة زوج في القرآن في قصة الخلق تعني حواء ، والنفس الواحدة آدم وأن التفسير الذي جاء في الكتاب حول الآية الكريمة **(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا)** الأعراف / ١٨٩ . بأن حواء هي

النفس الواحدة ، وأن الرجل هو الذي يتغشى المرأة فتحمل ، فيه تحميل للنص فوق ما يحتمل وألفاظ القرآن لا تحمل على المجاز إلا اذا تعذرت الحقيقة ، لكن الحقيقة واضحة بلا لبس ولا إبهام فالنفس الواحدة خلق الله منها زوجها ، من نفس جنسها ليأنس اليها ، وآدم حينما مس زوجته حملت منه حملا خفيفا لا يمنعها عن الحركة ، فلما ثقل عليها الحمل في نهاية مدته دعت الله هي وزوجها لئن منحتنا ولدا صالحا لنكونن من الشاكرين .

ويلاحظ ايضا ان القرآن كله قد خلا تماما من ذكر اسم حواء ، كما يلاحظ أيضا ان ذكر آدم ورد في القرآن كله متقدما على زوجه ، وهو لا يقدم ولا يؤخر الا لحكمة ، كما هو الحال في تقديم المرأة في آية الزنا ، وتقديم الرجل في آية السرقة ، وفي هذا دليل قاطع على أن آدم خلق أولا ، ومنه خلقت حواء .

وإذا عدنا الى قصة الخلق من واقع القرآن الكريم والنصوص المقدسة ، نجد ان القرآن الكريم قد عرض القصة في اكثر من ست وستين آية ، من خلال سبع سور تتلخص في ايجاز شديد في أن الله تعالى أبلغ ملائكته أنه سيخلق من الطين خليفة في الأرض ، فاذا سوى ونفخ فيه من روح الله ، عليهم أن يسجدوا له ، وكان الملائكة على علم مسبق أن آدم سيستخلف في الأرض ، وأنه سيكون منه فساد وسفك دماء بحكم طبيعته التي تجمع بين الخير والشر ، فبين الله لهم ان الأمر فوق تقديرهم فعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . وهنا عرفوا حقيقة المخلوق الجديد ، واطمأنوا الى صنع الله ، وأن المسألة أبعد من أن تقاس بمادة الخلق أو بالعبادات فلآدم صلاحيات أهلته لخلافة رب العالمين ، وسجد الملائكة اجمعون سجود تكريم إلا ابليس ابى فسوقا واستكبارا أن يكون بين الساجدين ، وهنا ظهر للانسان حاقدون وللعلم خصوم .

ومعنى انتصار آدم على الملائكة يأتي في إطار القاعدة والمبدأ العام المقرر في القرآن الكريم **(ولقد كرمنا بني آدم)** الاسراء / ٧٠ وذلك لاستعداده العقلي والنفسي والروحاني للتلقي والتعلم والتطور والتقدم ، وأنه بحكم تركيبه المعرض للخطأ والصواب محل الابتلاء ليعلم الله المجاهدين والصابرين ، وبالابتلاء تتقدم الحياة ، ويتنقل الانسان من الضعف الى القوة ، ومن الكفر إلى الايمان ومن الجهل الى العلم .

كما أن هناك دعامة هامة تنبع من قاعدة الابتلاء وهي العفو بعد التوبة ، فقد شاء الله تعالى ان يهيىء لأدم مناخ الاستخلاف ليؤدي وظيفته التي خلق من أجلها ، وخلق له حواء من ضلعه لتكون له سكنا وأنيسا في الجنة ، وضمن له فيها **(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)** طه ١١٨ و ١١٩ ثم نهاه نهيا قاطعا أن يأكل من شجرة معينة ، وكان وقتئذ من طبيعة

تؤذن بالخلود ، وأراد إبليس أن يثأر لهزيمته الأولى فوسوس لهما ، وهنا دار صراع بين صريح الأمر الالهي بالنهي ، وبين طموح الانسان الذي يحاول أن يقفز وراء حدوده وامكانياته (**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور**) الاعراف ٢٠ـ ٢٢ ، فالصراع كان طلبا للخلود ، أو أن يكونا ملكين ، حتى اقنعهما بالأكل مما نهيا عنه فبدت سوآتهما جزاء وعقابا ، وأصبحا عرضة للفناء والجهل والشقاء ، وطردا من الجنة ومعهما الشيطان ، وعتب عليهما ربهما ، ومن قبل حذرهما (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه / ١١٧ عرف آدم ذنبه فندم وتاب ، وتقبل الله توبته واجتباه (**وعصي آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه ١٢١ ـ ١٢٢ .

وهكذا ربط الله بين آدم وحواء في زوجية مقدسة ، وارتباط موثق ، لتقوم الحياة بين الحليلين في امتزاج روحي ، وائتناس واجتماع ومجانسة في الميول ، وحياة تقوم على السكينة والهدوء والاطمئنان وتأتلف بالرحمة والمودة .

ويلاحظ في قصة الخلق ان القرآن قد جعل وزر الخروج كله على آدم ، ولم يخص حواء بأدنى نصيب ، لأن آدم خالف إرادة ربه ، وهو في تمام الاستقلال الذاتي ، وهذا سر فضله وهناك من يحاول تصوير حواء بأنها أداة الشيطان ، ووسيلة الغواية ، وهو مخالف تماما لصريح نص القرآن ، وتلك النقطة محل الخلاف الوحيد بين القرآن وسفر التكوين في الكتاب المقدس . فقد خلق آدم مستعدا للخير بطبعه ، والشر طارىء عليه ، يأتيه من خارج نفسه ، وقد سقط في الغواية لأنه لم يقاوم الشيطان ، ومن هنا كان مأمورا وذريته بالتحصن ضد وسوسة ذلك اللعين .

وبانزال آدم إلى الأرض وزوجه ، بدأ تنفيذ تكليف الأمانة التي حملها الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا .

ومن هنا يتبين أن آدم هو الانسان الأول صاحب التكليف وحواء زوجة خلقت من أحد اضلاعه ، ومنهما معا يستمر سليل التراب لعمار الكون ، وعبادة الله .

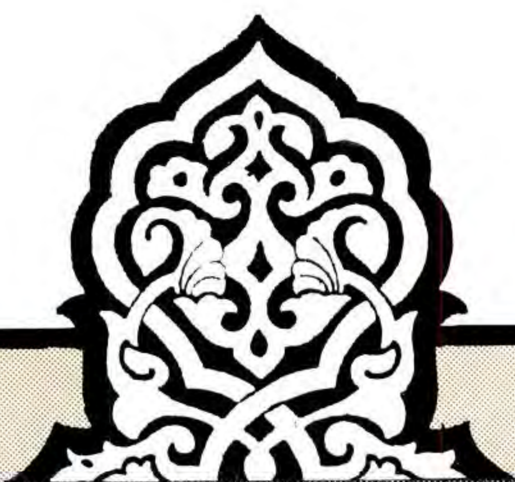
ونعود إلى مقال الدكتور مصطفى محمود الذي يقول في تفسير الآية (**قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق**) العنكبوت / ٢٠ ان المعنى المقصود ان الانسان لم يأت من طين مباشرة ، بل مر بمراحل وأزمنة مديدة ، وخطوات وتفاصيل كثيرة محجوبة ولو أن الانسان جاء من طين لما بقي هناك شيء يعرف في مسألة الخلق ، ومن هنا يكون الأمر لمعرفة كيفية بدء الخليقة له ما يبرره .

ولو حاولنا قراءة الآية السابقة مباشرة لوجدناها تقول : (**او لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم**

يعيده إن ذلك على الله يسير) العنكبوت / ١٩ . والمعنى ان طبيعة كل شيء تبدأ من العدم ، ثم تحيا ، ثم تفنى ، وهكذا الانسان ، وأن الله الذي خلق في البداية هو القادر على الاعادة ، وليس في الآيتين اشارة من قريب أو بعيد الى البحث عن المراحل الزمنية التي سبقت مرحلة الطين ، والقرآن قد أغنانا عن هذا السؤال مؤكدا اكثر من مرة ان الانسان خلق من طين ، وان نسله جعل من سلالة من ماء مهين ، ثم سوى ونفخ فيه من روح الله ، فلا مراحل زمنية ولا تفاصيل محجوبة ، وانما امر الله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون .

والاستناد الى الآية الكريمة : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** آل عمران / ٥٩ ومحاولة تفسيرها بأن عيسى لم يأت من طين مباشرة ، وانما جاء من مريم بطريق النفخ ، وإن كان الأصل طينا وصولا الى أن آدم هو الآخر جاء من سلالة سابقة ، وأنه عن طريق النفخ ، وأن الروح المنفوخ في حواء وهي الطينة المسواة عبر ألوف السنين ، والتي أدت الى نقلة التطور الهائلة من المرتبة الحيوانية الى المرتبة الانسانية والى مجيء آدم الابن الذي لا أب له . هذا الاستناد وهذا التفسير فيه تحميل للألفاظ فوق ما تحتمل فضلا عما فيه من نقص واضح في معرفة أسباب النزول ، فقد نزلت الآية في نصارى نجران الذين ادعوا الوهية المسيح بسؤالهم النبي عليه الصلاة والسلام عن أبيه فنزلت الآية والمتعمق في قراءتها يلاحظ انها عدلت عن ذكر الطين في خلق آدم بذكر التراب والطين مجموع التراب والماء ، والتراب ادنى العنصرين ، واكثفهما حيث كان المقصود مقابلة من ادعى الالوهية للمسيح بما يصغر امر خلقه فخلق آدم كان أكثر اعجازا من خلق المسيح ، عيسى جاء من امرأة بغير أب بنفخ الروح بقدرة الله وآدم خلقه الله من تراب بغير أب ولا أم ، وهو أمر اغرب واعجز ومن أحد اضلعه خلق زوجه من جنسه .

الاجتهاد مطلوب ، ولكن فيما لم يرد بشأنه نص صريح في القرآن أو في السنة ، فلا اجتهاد مع صريح النص ، والانسان مطالب باعمال فكره ، فما اكثر ما علم وما اكثر ما يجهل والخطأ كل الخطأ في محاولة التوفيق بين الكيفيات التي يفهمها العلم والكيفيات التي يقرها العقل لفهم المسائل الكونية في بداءتها الاولى ونهايتها الأخيرة ، فاليوم اذا نسب إلى الله أو إلى عمر الكون لن يفهم على أنه اليوم من عمر الانسان قبل ان يوجد ، وقبل أن توجد الأرض ، ولا يملك أحد أن يفسر خلق السلالة الآدمية من الطين على نحو واحد يمنع ما عداه ، وكل ما يجوز هو وجوب الايمان بأن الله تعالى سوى الطين وبث فيه روح الحياة ، وصنع منه السلالة التي نشأ منها آدم ، أما كيفية التسوية والنفخ وخلق السلالة والزمن ، فهو ادعاء على القرآن لا يقبل على أي وجه من الوجوه مهما كانت النية الباعثة عليه .



الإسلام وتحديد النسل



للاستاذ ابراهيم النعمة

كان كثير من الفقهاء الاوائل وما زال المعاصرون منهم ينظرون الى مسألة تحديد النسل أو تنظيمه نظرة خاصة ، حيث يعتقدونها مسألة اجتهادية ، إذ لا يجد الفقيه من نصوص الشريعة نصا قطعي الثبوت والدلالة يجعل الأمر غير قابل للاجتهاد . لذلك اختلفت وجهات نظرهم وتعددت أقوالهم وتباين استنباطهم في مسألة تحديد النسل وكل منهم حريص على الوصول الى الحق ومرضات الله وخدمة الأمة .

ويستطيع الباحث ان يجد في بطون الكتب الفقهية مادة غزيرة واسعة حول هذه المسألة ، فقد أبدع الفقهاء أيما ابداع وهم يقررون آراءهم فيها واستنباطاتهم حولها .. والمتأمل في كتاب الله عز وجل يدرك من سياق الآيات التي يقترن فيها ذكر الزواج بالنسل صراحة او كناية أن النسل مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية حرصت على المحافظة عليه وأولته اهتماما كبيرا لأنه من أهداف الزوجية ، أضف إلى ذلك ما ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى قال الله تعالى :

(وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا) الفرقان / ٥٤ .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..

النساء / ١ .

(وابتغوا ما كتب الله لكم) البقرة / ١٨٧ . وذكر بعض العلماء في تفسيرها أن المقصود من الزواج هو طلب الذرية التي كتبها الله لا اللذة المعهودة .

ومما يؤكد هذه المعاني أيضا ويدعو لكثرة النسل قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ **(تزوجوا الودود الولود فانى مكاثربكم الانبياء يوم القيامة)** رواه احمد وقوله : (سوداء ولود خير من حسناء عقيم) رواه احمد والطبراني .

ولا بد للباحث في مسألة تحديد النسل أو تنظيمه أن يحيط علما بالأحاديث الواردة في موضوع العزل المجيزة منها والمانعة إذ انها من اهم أسباب الاختلاف في أمر تحديد النسل قديما وحديثا .

من أدلة المانعين للعزل حديث جذامة بنت وهب قالت : حضرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أناس

وهو يقول : لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون اولادهم فلا يضر ذلك اولادهم شيئا ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله (ذلك الوأد الخفي) رواه مسلم ويشير الرسول — عليه الصلاة والسلام — في هذا إلى قوله تعالى **(واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت)** التكوير / ٨، ٩ .

وعن أسامة بن زيد (أن رجلا جاء الى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : إني أعزل عن امرأتي فقال له — صلى الله عليه وسلم — لم تفعل ذلك ؟ فقال له الرجل : أشفق على ولدها أو أولادها : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لو كان ضارا ضر فارس والروم) رواه مسلم وفي الصحيحين : (خرجنا مع رسول الله في غزوة بني المصطلق واحببنا العزل وسألنا عن ذلك رسول الله فقال : (ما عليكم أن تفعلوا فان الله عز وجل كتب ما هو خالق الى يوم القيامة) . وفي رواية البخاري : (لا عليكم ان لا تفعلوا) . وفسر العلماء هذا على انه حث على عدم العزل حتى قال الحسن بأن قوله (لا عليكم ان لا تفعلوا) تشبه الزجر . وقال ابن سيرين : هذا خبر الى النهى اقرب .

وهناك أحاديث أخرى في هذه المعاني لا يتسع المجال لذكرها .

على أن الذين يقولون بجواز العزل لهم من ظاهر بعض احاديث الرسول — عليه الصلاة والسلام — ما يتمسكون بها ويتخذونها دليلا في جواز العزل منها ما جاء عن جابر — رضي الله عنه — قال (كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل) رواه البخاري وفي صحيح مسلم : (فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا) . وأول ما يتبادر الى الذهن من هذا الحديث ان الرسول — عليه الصلاة والسلام — لم ينه عن العزل بل أقره ولو كان حراما لنهى عنه .

وعن جابر(أن رجلا أتى النبي — صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي جارية هي خادمتنا في النخل وانا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال : اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها) رواه مسلم فقد كان السائل يطلب من الرسول الحكم في امر العزل فجاءه النص صريحا في اباحة العزل .

وعن ابي سعيد الخدري قال : قالت اليهود : العزل الموءودة الصغرى ، فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — (كذبت يهود ان الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع احد ان يصرفه) رواه احمد وابو داود .

وروي عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — انه قال : (نهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ان يعزل عن الحرة الا باذنها) رواه احمد وابن ماجة .

ومن أدلة المجيزين لتحديد النسل كذلك قول الرسول — عليه الصلاة والسلام — (جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء) رواه الحاكم وقوله : (توشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الاكلة الى قصعتها فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا

بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ..) رواه ابو داود .

على ان استقراءنا لهذه الاحاديث وغيرها يهدينا الى ان الذين نقل عنهم اباحة الرسول العزل لهم انما هم أفراد قلائل ، ولربما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على معرفة بظروفهم ، أو هم الذين عرفوا الرسول بأحوالهم فأفتاهم باباحة العزل ، في الوقت الذي لم يبح العزل لسائلين آخرين ، إذ لم يجد لعزلهم مبررا ، فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ ينظر إلى أحوال السائل ثم يفتيه ، مثال ذلك ان شابا جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسأله عن القبلة في الصيام فنهاه عنها . ثم سأله شيخ فرخص له حيث كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينظر الى المصالح التي لا تتعارض وشرع الله ثم يجتهد في اجابة السائل عن سؤاله بما يتبين ويترجح له من علة فارقة ، وهكذا جوابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتحريم أو الكراهة او الاباحة .. يقول ولي الله الدهلوي وهو يتحدث عن العزل .

(ان المصالح متعارضة ، فالمصلحة الخاصة بنفسه في السبى مثلا ان يعزل ، والمصلحة النوعية الا يعزل ، ليتحقق كثرة الاولاد وقيام النسل ، والنظر الى المصلحة النوعية أرجح من النظر الى المصلحة الشخصية في عامة احكام الله تعالى التشريعية والتكوينية) .

على أن حديث جذامة القاضي بالتحريم يجوز أن يكون الناسخ لجميع الاباحات المتقدمة ، ويقرر ابن حزم ان هذا امر متيقن فهو لذلك لا يحل العزل عن حرة ولا عن امة .. كما يجوز ان تحمل احاديث الجواز على الاباحة الاصلية ..

فاذا كانت هذه الأحاديث محتملة لكل هذه الاحتمالات وغيرها فقد بطل استدلال من يستدل بها على جواز العزل لأن الحديث إذا طرقه الاحتمال بطل الاستدلال به .

واذا كان العزل من غير مبرر معقول غير جائز فان تحديد النسل من غير ضرورة غير جائز من باب أولى ، على اننا اذا قلنا ـ كما قال كثير من العلماء ـ بجواز العزل فان تحديد النسل باستعمال الادويةوالعقاقير المستعملة الان في جميع أرجاء العالم غير جائز ، ومن قاس تحديد النسل على العزل فقد أخطأ إذ هو قياس مع الفارق ، كما نستطيع القول بتحريم تحديد النسل أو تنظيمه إذا أخذنا بقاعدة سد الذرائع .

وأشير هنا الى ان النظر الفقهي الدقيق كثيرا ما يرجح بواسطة رأي الطب الحديث والتجارب الصحيحة في المسألة فما هو رأي الطب في تحديد النسل ؟

تحديد النسل والطب :

قرر الطب الحديث ان ضررا كبيرا وخطورة فادحة مترتبة على استعمال العقاقير والادوية المانعة للحمل بصحة المرأة ويكاد يجمع أطباء العالم على أنه لا توجد وسيلة من وسائل منع

الحمل الا ويترتب على استعمالهـا أضرار كبيرة بصحة المرأة عامة وعلى جهازها العصبي خاصـة ، يقـول الدكتور (كلير فولسوم) (ليسـت عندنا حتى اليوم أية وسيلة معلومة سهلة او رخيصة غير ضارة يمكن استخدامها لتحديد النسل) .
ويقول الدكتور (رينيل ديـوكس) (فالمرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع حملها ، فهي لا تتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب ، بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان) وتقول الدكتورة (ميري شارليـب) (ان وسـائـل تحديـد النسل ــ سواء اكانت هي اللولبيات المعدنية أو الاقراص والعقاقير القاتلة للحيوانات المنوية او حواجز المطاط وغيرها ــ وان كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهـري ولكنها اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان ، فلا بد أن يصيبها الانهيار العصبي قبل ان تبلغ سن اليأس ومن النتائـج الملازمـة لاستخـدام هذه الوسائل التبرم والتذمر والقلق والنزق والأرق وتوتر الاعصاب وتشـويش الفكر وهجوم الأحزان وضعف القلب ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين والرجلين والتهاب الجسد واضطراب العادة الشهرية) .
وشهادات أطباء العالـم في تأثـير الحبوب والعقاقير المانعة للحمل على صحة المرأة اكثر من ان تحصى ، وقد سقنا هذه الشهـادات على سبيـل التمثيل فقط .
واذا تركنا رأي الطب جانبا فان نظرة في كتاب الله الحكيم تهدينا الى حرمة تحديد النسل وتلك في قوله تعالى (**ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحـن نرزقكم واياهم**) الانعـام / ١٥١ وقوله تعالى (**ولا تقتلوا اولادكم خشيـة إمـلاق نحـن نرزقهـم وايـاكم**) الاسراء/ ٣١ واذا كان القرآن الحكيم قد نعى على الجاهلية فعلتها الشنعاء هذه ، فمـا الـذي يستعمل الحبوب والعقاقـير لقتـل الضيف المنتظر ــ ولو قبل تكوينه ــ بأحسن حالا من الجاهلية التي نعى القرآن على اهلها قتل أولادهم إذ قتل الولد قبل الخلق كقتله بعد خروجه الى نور الحياة ..
وإذا كان كثير من الفقهاء قد ذهب الى جواز تنظيم النسل بشروطه المحددة ، فان هؤلاء الفقهاء لم يلزموا أحدا بآرائهم لا في عصرهم ولا بعدهم .

ضوابط معقولة لتحديد النسل :

ولكن شريعة الله شريعة سمحاء ، فهي لم تغلق جميع الابواب بوجه تحديد النسل إنما فتحته بقدر الضرورة ، والضرورات تقدر بقدرهـا ، فمـن المبررات المقبولة لتحديد النسل :
١ ــ الخشية على الأم من الحمل أو الوضـع إذا كانـت المرأة عسرة الولادة ، أو كان الحمل يلحق بها أضرارا تعرضها للموت .
٢ ــ إذا كان بالاب او الأم مرض سار خطير يعرض المولود لآلام كبيرة طوال حياته ، او يجيء المولود مشوها .

في الذكرى منطق العصر

للأستاذ / محمد الدراجيلي

أحسبني حين أتحدث عن صاحب الذكرى أنني أشبه بمن يحاول حشد الربيع في زهرة أو سكب العبير في وردة ، أو بمن يحاول جمع المحيطات في قطرات ، أو اجتزاء الشمس في شذرات .

ذلك بلا جدال معتقد القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

وهو بلا جدال أيضا : معتقد الكثيرين غيره

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها
نسيجا الى آماله وتعلقا

ذلك كله لأن عناصر الاعجاز في حياة صاحب الميلاد ، وظاهرة التميز والتفرد في سلوكه تشغل مساحة لا نهائية في أرض العطاء والوفاء .

فمحمد صلى الله عليه وسلم شبيه بالوجود اللامحدود فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لانهاية له .

والنبوة هبة الله التي لاتنال بالكسب لكن حكمة الله قاضية بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها :**(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** الأنعام/ ١٢٤ ، **وهو** صلى الله عليه وسلم أرسله الله الى الدنيا فبعث الحياة في كيانها والدفء في أطرافها : **(فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج)** ، رأي الأرض وقد أغرقها طوفان من الرذائل البشرية كعبادة الشهوات ووأد البنات فعطر أجواءها من هذا العفن الكريه ، وطهرها من الدنس والرجس بمنهج الحق ، وشرع الله : **(قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق)** الأعراف /٣٣

ما كان محمد أبدا مجرد مولود لفظه رحم أمه فانخرط في اعداد الملايين على هذه الأرض ، وكذلك لم

يكن مجرد انسان تسلل الى المعمورة في غمار أعدادها الهائلة التي تتلقاهم صباح مساء ، بل كان قوة إلهية أعادت صياغة الحياة ، ونسمة زكية ردت الحياة الى رشدها ، وسكبت الطهر والعفاف في وجدانها ، ومنة كبرى أسداها الله الى المكدودين ، والمغمورين ، والضعفاء :

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤

ان الاحتفاء بميلاد رسول الله في اعتبار الحق وبصر المنطق احتفاء بالقيم الرفيعة والمثل العظيمة انه احتفال بمولد الهدي الذي أراد للانسانية اللاهثة أن تهدأ ، وللأثرة النابحة أن تكف فاذا الحياة طيبة المذاق في أفواه الأحياء ، واذا الكرامة مضفاة الرواء على كيان الانسان :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/ ٧٠ .

لقد طارد صاحب الذكرى الجهالات والنزوات ، وأحل محلها اشراقة الهداية وطمأنينة الضمير ، لتمضي الانسانية الى غايتها التي كتب الله لها .

من هذا المنطلق لم يكن من الوفاء أو الولاء لميلاد ـ محمد ـ أن تجيء ذكراه على هذا النمط من العبادات التي تشتعل بحماس العاطفة ، أو القصائد التي تحظى بموسيقا الخليل ، أو المواكب التي ترهق المدن والنجوع بقرع الدفوف ودق الطبول مهما أتيح لها من مبررات .

فمثل هذا الأسلوب حتى وان سلمنا به في فترات زمنية مضت وانقضت بمالها وما عليها ، فلا يليق بنا في هذا العصر ، أن نستبيح لأنفسنا الأخذ بمثل هذه الأساليب التي يستثمرها أعداء الله ، في التهوين من إيجابيات هذا الدين ، بل ربما وضعوها في ثنايا قوائم السلبيات التي تستغل في تشويه صورة الاسلام . ان الأقوال الراشدة ، والأفعال الرائدة التي حاصرت منذ المولد والى الأبد أساطين الحكمة ودهاقنة السياسة ، ووضعتهم في حيز ضيق على مائدة متواضعة ، وأمام منصة رهيبة لأستاذ أصغت لحكمته وعلمه الدنيا . واندهشت لتسامحه وبساطته المسيرة البشرية المتعاقبة عبر تدافع التاريخ تفرض علينا الآن وبلا تباطؤ أن نقف أمام القيم الاسلامية ، ونخلع المناظير الباهتة ، لنستبدل بها أبصارا وبصائر لترى عبر متطلعات انسان هذا العصر ومبتكراته المتجددة ، ومذهلاته التي لاتتوقف ، أن القيم الحضارية والمفاهيم التي ناضل نبي الاسلام ، في غرس مبادئها ودعم أسسها جديرة بأن نسبر أغوارها ، ونجهرها بمجهار الموضوعية ، والموازنة العصرية والمواجهة المصيرية لمستقبل الدعوة الاسلامية ، وألا نأخذ عطاءها المتجدد والمتدفق أخذا بشريا لأنها هبة

الله وفيضه الذي أفاء به على رسوله ، وفيض الله يستعلي على التوقف ويسمو على المكان والزمان ، وينبو عن الجفاف وصدق الله تعالى :(**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف/١٠٩ ، تلك غايات اسلامية نبيلة نستشرفها في ظلال مولد الهدى علها تكون مبعث هداية ، ودقة ناقوس تصحو بها ضمائرنا ، وتستيقظ لها قلوبنا فتعرف ما لها وما عليها في موقع الدعوة إلى الله ، ولست بدعا في هذا الرجاء ، فمثل ذلك استوحاه مفكرون مسلمون اطمأنت قلوبهم بمعرفة دقائق أسرار الرسالة المحمدية ، يسعدك ويسعدني بعضهم حين يرقي بتشبيه له جاء فيه أن اللفظة في القرآن أشبه بفص الماس ، لاتستطيع أن تتوفر على كل عطائها ، كأشعة الماس لايملك البصر كل شعاعه ، فاذا أحاط بشعاع شده اليه شعاع آخر فلا يستطيع أي شعاع يأخذ ، وأيه يدع . وسوف نسعد أكثر وأكثر حين نستمع الى ما جاء على ألسنة كتاب آخرين لاينتسبون لهذا الدين وآخرهم صاحب الكتاب المعنون له **برجل على رأس المائة** ، فقد اختار مؤلفه مائة من عظماء التاريخ ، ولم يستطع أمام صحوة من ضميره الا أن يضع محمدا صلوات الله عليه في الصدارة من القائمة حين أراد التحدث عنهم .

ــ ان القدوة برسول الله ، ورياضة المؤمن نفسه على التحلي بأخلاقه ، هي التمجيد الحق لمقامه الشريف ، والاحتفال الملائم للعصر ــ بميلاده الكريم فلنحاول ماوسعتنا الحيلة والمحاولة أن تكون لنا برسول الله أسوة حسنة ، وأن تكون لنا القدوة في طهارة ظاهره وباطنه ، في حلمه ورفقه ، في رحمته وعدله ، في بساطته وتواضعه ، في عفته ونزاهته ، في زهده وورعه ، في سلمه وفي حربه ، في كل مسيرته وسيرته .

ان متطلبات الدعوة في مواجهة هذا العصر تستوجب أن نسقط من حساباتنا رصد الجوائز النفيسة للفنانين والممثلين وأن نقدم وبكل فخر مكنون الجواهر للمؤلفين والمبدعين في إبراز القيم الاسلامية التي تصون حركة الحياة النبيلة المندفعة نحو الخير والحق ، من خلال كتبهم وبحوثهم ، بحيث تعد قوائم الشرف ، وهي تزين صدرها بألقابهم الرفيعة ، وكتاباتهم المجيدة في مولد الهدي ، ثم يصحبهم الرؤساء الى المنصات ليمنحوهم أكرم المنح ، وأسمى الهبات .

ــ ان حفظة كتاب الله هم الأمناء على دستور السماء ، وهم أولى الناس في هذا اليوم بتصدر كل مواكب الخير التي ينبغي أن تتواجد ، وأن تتدافع في علو رباني ، وهي تنشد في ايقاع رتيب كلمة لا اله الا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأن يوضع فوق رءوس الحفظة وهم يتقدمون المواكب أكاليل الغار ، وأوسمة الفخار يحدوهم الجيل المؤمن المتحفز الواثق في نصر الله .

ـ ان متطلبات العصر ، تفرض علينا أن نمسح بأيدينا بعض الضباب الذي يغطي قيمنا الاسلامية ، ومعتقداتنا الدينية والانسانية والعلميـة ، وأن نتوجه الى وضعها في الصورة المشرقة اللائقة بها ، ثم نتأمـل عطاءهـا وهديها تأملا شموليا يأخذ في أهدافه خلق المواطن القدوة الذي يشد اليه أنظار العالم بعلمه ومبتكراته بحيث تحتفـل المؤسسـات العلميـة والتعليمية ، وقد أخرجـت للعالـم برامج علميـة ومؤلفـات اسلاميـة تستهدي في خططهـا بهـدي اللـه وتستوحي ضمير الأمة الاسلاميـة الكبرى ، وتكفل لأبنائها من الحوافز والدوافع ما يهيىء لأبناء هذا الدين التمكين في الأرض ، ويعينهـم على ضرب الالحاد والزيف في حصونـه المدججة بأسلحة التبشير والتشهير ، بفكر مستنير وفهم مستضيء في ضوء توجيهات مؤمنة رائدة . تأخـذ في اعتبارها ارتيـاد الآخريـن لأسرار الحيـاة ، واكتشـاف المجاهيـل واستحـداث النظريـات العلميـة الحديثة ، وأن هذا العقل الكافر ـ ليس أرقى من العقل المؤمن ايمانا حقا .

وعندها سنرضي في شبابنا تطلعاته ونقنع فيه رغباته ، ونمنحه ثقة وفيرة في نفسه وبعدها فلن يتطرق اليـه الاحساس ـ أبدا ـ بأنه أقل شأنا ، أو أضعف قدرا من الآخرين . وذلك إثراء لدعوة صاحب الذكرى مابعده ثراء ، ورصيد دونه أعلى أرصـدة المال . لأن الاسلام كان يرصد ويدخر الرجال وليس المال ، وكان يفاخـر فيقول : رجل بألف مثل : القعقاع بن عمرو ـ وأمثال مصعب بن عمير .

ـ إن تراثنا ليس جدبا بل هو خصيب بالريادة في مختلف العلوم ، زاخـر بالبطولات في شتى الميادين ، عامر بالعبقريات الفذة التي يمنحها كتاب الله وهدي محمد المدد الذي لا ينفد فما أحوجنا الى التذكير بها ، ووضعها في الاطار الذهبي المناسب ، والصورة المتألقة الهاتفة ، والمثال الفذ القدوة ، ودفع أبنائنا لتحسس وتفقـد هذه المواقع وتلك المواقـف في تاريخنـا وتراثنا من خلال الدراسة المنهجية ، والبحـوث الأكاديميـة ، وأخذهـم بوسائل التأثر والانفعال الصادق بها وبأمجادها في أيام الذكرى ، ويجب أن يطول امتدادها ليشمل الشهر كله « ربيع الأول » لنشد شبابنا اليها وندفعهم في مثل الطريق الذي سلكه الآباء والأجداد وسوف يكون منهم بعون اللـه وحولـه من سيستـرد القدس ، ويمنع أفغانستان من براثن االأعداء ، ويخضد شوكة الطامعين فينا ويرفع راية النصر :(**ويومئـذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيـم)** الروم/ ٤و٥

ـ وبعد : فهذه خواطر ، لاتعدو أن تكون غيضا من فيض ، وقطرا من بحر ، نترك للأيام والأعمال أن تجيب على مافيها من الأماني والآمال والله من وراء القصد .



في القرآن

للدكتور / احمد الشرباصي

انعقد إجماع العقلاء البصراء من الناس على أن شخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو أعظم شخص في الدنيا بتاريخها القديم وتاريخها الحديث ، وهو إذا أردنا تشبيهه كالبسمة المضيئة المشرقة في ثغر الدنيا : شرقها وغربها ، وحينما نرجع في شأن هذا النبي العظيم الى حديث القرآن المجيد ، أصدق الحديث ، نجده يرسم لنا شخصية الرسول الأمين في معرضين أساسيين واضحين ، والمعرض الأول هو معرض التوقير والتكريم ، لأنه أهل لكل تعظيم ، والمعرض الثاني هو معرض التأديب والتكليف ، فتارة ينوه القرآن بالرسول ويمجده حتى يرفعه إلى أعلى عليين ، وتارة يمحص معدنه الكريم تمحيص النار للذهب الابريز .

وكأن الغرض من المعرض الأول هو الايحاء بأن محمدا أهل للنبوة والرسالة ، والهداية والامامة **(الله اعلم حيث يجعل رسالته)** الأنعام / ١٢٤ . والغرض من المعرض الثاني هو بيان أن العظمة لله وحده ، وأن الكبرياء شأنه وحده ، ومن نازع ربه ثوب الكبرياء قصمه الله ولا يبالي ، ولذلك يقول الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما ، قصمته ولا أبالي » . وبيان أن شرعة الثواب والعقاب ، وأسلوب الحساب والجزاء ، لا يتخلص منه أحد ، ولا يستعلى عليه انسان .

ومن هنا يتنوع حديث القرآن عن الرسول إلى أنواع نلحظ منها خمسة وهي : عنصر التكريم والتشريف ، وعنصر التكليف ، وعنصر الجمع بين التشريف والتكليف ، وعنصر التذكير بالبشرية ، وعدم القدرة أمام قدرة

الله ، وعنصر العتاب والمراجعة .

ولنستعرض طائفة من الآيات التي تنطق بالتكريم ، وتفيض بالتشريف .

فالله تعالى يقول لنبيه : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم / ٤ ، ويقول في سورة التوبة آية / ١٢٨ : **(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)** ويقول في سورة الانبياء / ١٠٧ **(وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين)** ، ويقول في سورة الأحزاب / ٤٥ ، ٤٦ **(ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)** ، ويقول في السورة نفسها : **(النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم)** الأحزاب / ٦ .

بل يتابع القرآن حديث التشريف والتكريم ، فيجعل طاعة النبي من طاعة الله ، فيقول تعالى في سورة النساء / ٨٠ : **(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا)** ، ويقول في السورة نفسها : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** النساء / ٦٥ ويجعل مبايعة الرسول كمبايعة الله فيقول في سورة الفتح / ١٠ **(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)**

ولا ينقضي إعجاب الانسان بهذه المكانة العلية التي رفعه إليها القرآن ، فهو صاحب الخلق العظيم ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، وهو رحمة الله للعالمين ، وهو السراج المنير ، وطاعته من طاعة الله ، وحكمه من حكم الله ، ومبايعته مبايعة لله ، وليس وراء ذلك تكريم أو تشريف .

***

وقد يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن هذا التكريم الواسع لا ضابط له ، ولا مقابل أمامه ، فتذهب الظنون السيئة مذاهبها ، ولو تعقل الانسان وتدبر ، لوجد أمام هذا التشريف ألوانا من التبعات والتكليف تنوء بحملها الجبال ، فاذا كان القرآن قد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من مراتب عالية ، ومنازل شريفة فاضت بآيات التكريم والتمجيد ، فان الله جل جلاله قد حمل نبيه في مقابل هذا اوامر وواجبات وتبعات هي كفاء لهذه المراتب والمنازل ، ولنستعرض طائفة من هذه الأوامر الالهية ، والتكليفات المتوالية التي كلف بها الله خاتم أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى في سورة الأحقاف مخاطبا نبيه :**(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون)**. ويقول في سورة الكهف / ٢٨ **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم**

بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) ، ويقول في سورة يوسف /١٠٨ **(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)** ، ويقول في سورة الشورى /١٥ : **(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)** ويقول الله عز وجل في سورة هود /١١٢ : **(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير)** ويقول لنبيه في سورة الحجر : ٩٤ : **(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)** ، ويقول في سورة الشعراء : **(وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)** الشعراء /٢١٤ ، ٢١٥

فها نحن أولاء نرى أن الله تبارك وتعالى قد صنع نبيه على عينه ، وجعله خيرة خلقه ، واختاره لأكرم رسالة وأعظم دعوة ، وكان هذا المقام يحتاج إلى التأييد والتمجيد ، والتكريم ، والتعظيم ، لأن العظائم كفؤها العظماء ، فكان اختيارا لرجل مناسب في مكان مناسب كما يقول أهل عصرنا ، فأعطاه ما أعطاه من الخصائص والميزات ، وحصنه بما حصنه به من قوى وطاقات ، ثم طالبه أمام هذا بما طالبه به من تبعات .

وقد بدأت سلسلة التكليف الالهي منذ طليعة الاختيار لهذا الداعي وهذه الدعوة ، ولذلك نجد في طلائع الوحي الالهي يأتي هذا النداء اللائق بالمثل الاعلى والنموذج الكامل للانسان في طهارته الحسية والمعنوية : **(يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) المدثر / ١ ـ ٧** وما هو إلا مدى قصير يمر بعد هذا التنزيل حتى يفاجأ الرسول بتنزيل مجيد آخر ، كله أوامر وواجبات ثقيلة تحتاج إلى جهد الأبطال ، فيقول له القرآن : **(يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . إن لك في النهار سبحا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا)** المزمل / ١ ـ ٨ .

***

ثم يأتي عنصر الجمع بين التأديب والتعظيم ، أو بين التكليف والامتنان ، ليتحقق التوازن العميق الدقيق بين ما ساقه الله إلى نبيه من فضل وتشريف ، وما طالبه به من واجب وتكليف ، ونحن نرى في القرآن الكريم مواطن يجتمع فيها هذان الامران ، فنرى آيات مكرمة معظمة ، ومعها آيات تفرض

وتوجب : ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم سورة الضحى ، فقد تضمنت هذه السورة على إيجازها آيات صدقت وتصدرت ، وفيها ما فيها من تبيان لعلو الشأن وسمو الشأو لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فذلك في الآيات الأولى من السورة وهي تقول : (**والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى**) **الضحى / ١ ـ ٥ .**

وعقب هذه الآيات يأتي تذكير من الله تعالى لنبيه بما سيق اليه من هبات وعطايا في الماضي ، فذلك حيث يقول النص الكريم : (**ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى**) الضحى / ٦ ـ ٨ ويأتي عقب ذلك الآيات الآمرة الموجهة المكلفة ، فتقول : (**فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث**) الضحى / ٩ ـ ١١ .

وهذه السورة التي جمعت بين مقام التشريف ومقام التكليف سورة وجيزة قصيرة ، وكأن الله تبارك وتعالى قد أراد من هذا الجمع بين التكليف والتشريف أن يظل الانسان في مجالات حياته وشعاب مسيرته على بصيرة من أمره ، وبصر بالميزان المتعادل الكفتين بين ماله وما عليه ، أو بين حقوقه وواجباته ، فكلما سعى الانسان ، وتعب في سعيه ، وأحس بقطرات العرق تسيل من جبينه ، تذكر أن هذا وفاء بما أمره الله به ودعاه اليه ، وأن هذا التعب المرهق له عاقبة مرضية ، وثمرة مرتقبة ، فيهون هذا التذكر عليه ما يشعر به من تعب ، أو يعانيه من نصب ، وحينما ينتقل الانسان إلى التمتع بثمرات سعيه ، ورآها ثمرات يانعة ، وخيرات ممتعة ، تذكر أنه مطالب بالجمع بينها وبين واجبه ، فلا يغتر بهذه الخيرات ، ولا يركن إلى هذه الثمرات ، بل يستبقي في نفسه العزم والعزيمة ، ليعود من جديد إلى السعي والعمل ، والنهوض بالتبعات والواجبات التي يؤهله أداؤها والقيام بها لكي تعاوده هذه الثمرات والخيرات ، وهكذا دواليك تسير مراحل الحياة ، وقد اجتمع فيها صفة التكريم لمن عمل وسعى ، وصفة العطاء والمنح لمن استحق ذلك ، وسار على الدرب بلا انقطاع .

وانما يأخذ الانسان العاقل هذا الدرس النافع من تصوير القرآن المعجز لعناصر الشخصية المحمدية التي جلاها لنا بأجلى منطق وأروع بيان .

***

ويأتي بعد ذلك التذكير الالهي للرسول الأكرم بعدم سلطته امام سلطة الله عز وجل ، فالرسول هو خير الناس ، وهو قائد المؤمنين ، وهو امام المتقين ، وهو أقرب الخلق إلى الله

عز وجل ، والمسلمون يفدونه بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، وهم لا يعصونه في أمر ، ولا يخالفونه في حكم ، ولكن هذا الرسول أمام جلال الله وسلطانه عبد من عباده ، فاذا كان له سلطة أو طاعة على غيره من الناس فهو أمام الله أعبد الناس وأطوعهم لله .

ونستطيع أن نستعرض طائفة من الآيات تتحدث عن ذلك ، فالقرآن يقول في سورة آل عمران /١٤٤ : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)** . وتقبل سورة الكهف بهذا الأمر : **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** الكهف / ١١٠ وفي سورة الأنفال ٦٣ : **(لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** ويقول في سورة البقرة /٢٧٢ : **(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)** وفي سورة آل عمران /١٢٨ : **(ليس لك من الأمر شيء)** ، وفي سورة النازعات ٤٢ ـ ٤٤ : **(يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها)** . وفي سورة الغاشية ٢١و ٢٢ : **(فذكر إنما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر)** وفي سورة الاعراف ١٨٨ : **(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** .

وقد يضل ضال فيتوهم أن هذا التجريد من السلطة فيه استهانة بمقام رسول الله ، او استخفاف بأمره ، ومعاذ الله ، فان رسول الله أحب خلق الله إلى الله ، وهو عنده بمكان عظيم ، وقد تعرضنا من قبل الى طائفة من آيات التشريف له والتكريم لشأنه . ولكن الحق جل جلاله أراد أن يفرق بين الخالق والمخلوق ، وأن يقرر أنه المعبود دون سواه ، وأنه يفعل ما يريد وما يختار ، لايشركه في ذلك نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد ، وهنا ليس للنبي من الأمر شيء ، ولو أنه إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، والشفيع المشفع يوم الدين ، وهو رسول الرحمة وكاشف الغمة والمنقذ للامة ، وجامع الكلمة ، وهو بالنسبة الى الكائنات سيد العالمين ، ولكن الأمر إذا انتهى إلى ساحة الله عز وجل ، فهو عبد الله ، وصفة عبد الله هي أعظم وسام يتحلى به رسول الله .

ومن الدقائق اللافتة للبصيرة هنا أن القرآن لا يكاد يذكر النبي الأمين في موطن تشريف أو تكريم إلا اختار له صفة العبودية على غيرها من كرائم الصفات ، فهو مثلا يتحدث عن إنزال

القرآن على الرسول وهو أكبر المعجزات فيصف الرسول بالعبودية فيقول : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)** . البقرة /٢٣ ويتحدث عن الاسراء وهي من كبريات المعجزات ، فيصف النبي بالعبودية فيقول : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)** الاسراء /١

ويفتتح سورة الكهف في الحديث عن الكتاب الذي أنزله على « عبده » محمد فيقول : **(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)** الكهف /١ ويفتتح سورة الفرقان بمثل هذه الطريقة قائلا : **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** الفرقان /١ ويقول ايضا في سورة الأنفال : **(واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)** الأنفال /٤١ ويقول في سورة النجم : **(فأوحى إلى عبده ما أوحى)** النجم /١٠ ويقول تعالى في سورة الجن عن دعوة الرسول الى الله : **(وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)** الجن /١٩ .

ثم يأتي عنصر العتاب والمراجعة ، فنحن نرى في القرآن الكريم آيات يعاتب الله فيها رسوله على بعض الأعمال أو التصرفات ، وينبغي لنا أن نتذكر أن العتاب في أغلب أحواله دليل المحبة والمودة ، ولذلك قال شوقي :

أما العتاب فبالأحبة أخلق
والحب يحلو بالعتاب ويصدق

وينبغي لنا أن نتذكر أيضا أن العتاب يسمو لفظا ومعنى كلما سما طرفاه ، فعتاب العلماء غير عتاب العامة والرعاع ، وعتاب العارفين غير عتاب الجهلاء ، وعتاب المقربين غير عتاب الأبرار وقديما قيل :

« حسنات الابرار سيئات المقربين » ، فمن لنا بأن نبلغ شأو العتاب بين الله عز في علاه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

إن تلك منزلة أسمى من إدراك الناس ومتناولهم ، فلعتاب الحبيب الأول مع محبه النقي مذاق يعلو على كل مذاق ، وإدراك يسمو فوق كل إدراك ونحن حين نستعرض آيات العتاب من الله لرسوله في القرآن نرى العتاب مغلفا بستار رقيق أنيق يشعر بالمحبة ، ويوحي بالمودة ، فها هو ذا مثلا لون من عتاب الله لنبيه في سورة التحريم ، حيث تبدأ هكذا : **(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)** التحريم /١ فآية العتاب تبدأ كما نرى بمخاطبة « النبي » وهو

وصف فيه مودة ومحبة وتشريف ، والعتاب يساق إلى هذا النبي بأسلوب الاستفهام ، لا بأسلوب « المؤاخذة ، « **لم تحرم ؟** » » . وأقرب سبب لنزول هذه الآية الكريمة خلاصته أن النبي صلوات الله وسلامه عليه حرم على نفسه بنفسه لونا من الحلوى كان يحبه ويتناوله ، وكان يقصد بذلك إرضاء بعض زوجاته ، ولذلك قالت الآية : (**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**) ثم ساقت الآية الغرض النبوي الكريم الذي قصده هو ، وهو إرضاء بعض زوجاته ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه مثلا أعلى وقدوة تحتذى في الاحسان إلى الزوجات ، يقول النص : (**تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم**) ، فكأن الله سبحانه تولى عن رسوله الاعتذار عنه : وتبيان الغرض الشريف من تحريمه ما حرمه ، وسارع الله اليه بالحكم الكريم الرحيم : (**والله غفور رحيم**) .

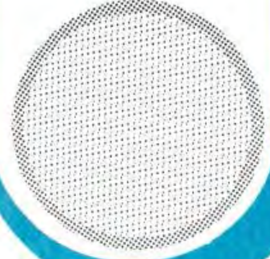
ويقول الله تعالى مخاطبا رسوله في سورة التوبة : (**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**) التوبة / ٤٣ والعتاب هنا يبدأ بداية حبيبة عجيبة ، إنه يبدأ بالعفو ولأمر ما كان أول الاية (**عفا الله عنك**) أي أن الحكم بالعفو والغفران قد سبق ذكر المعاتبة .

وقد يسأل سائل : ما الحكمة في إيراد القرآن لمواقف العتاب بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ويلوح لنا ــ والله أعلم بمراده ــ أن القرآن الكريم قد أورد آيات العتاب في القرآن ليشعر الناس بأن قاعدة الحساب والجزاء عامة مطردة ، لا يستثنى منها أحد حتى ولو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فها هو ذا القرآن يعاتبه ويراجعه ، ونكاد نقول : ويؤاخذه ، وها هو ذا يقرع السمع النبوي الكريم بمثل قوله عز من قائل في سورة الانفال :(**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم**)الانفال /٦٧

وهكذا كلما مرت علينا ذكرى من ذكريات محمد عليه الصلاة والسلام ، وأقبل علينا موسم من مواسمه الجليلة ، وأردنا له صورة مشرقة مونقة ، يعمرها الصدق والحق ، وعدنا إلى كتاب العربية الأقدس ، وهو القرآن المجيد ، وجدنا فيه هذه الصورة المثالية لرسول الله ، وهي صورة قائمة على عناصرها الخمسة : عنصر التنويه والتشريف ، وعنصر المطالبة والتكليف ، وعنصر المزج بين التشريف والتكليف ، وعنصر التذكير بالبشرية والتجريد من السلطة أمام سلطة الله عز وجل ، وعنصر المعاتبة والمراجعة ، وبهذه العناصر تتضح الملامح الباهرة للشخصية الفريدة المنقطعة النظير ، شخصية محمد رسول الله عليه صلوات الله وسلامه .

(**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**) . الاسراء /٩ .

الذكرى في منطق العصر



أحسبني حين أتحدث عن صاحب الذكرى أنني أشبه بمن يحاول حشد الربيع في زهرة أو سكب العبير في وردة ، أو بمن يحاول جمع المحيطات في قطرات ، أو اجتزاء الشمس في شذرات .

ذلك بلا جدال معتقد القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

وهو بلا جدال أيضا : معتقد الكثيرين غيره

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها
نسيجا الى آماله وتعلقا

ذلك كله لأن عناصر الاعجاز في حياة صاحب الميلاد ، وظاهرة التميز والتفرد في سلوكه تشغل مساحة لا نهائية في أرض العطاء والوفاء .

فمحمد صلى الله عليه وسلم شبيه بالوجود اللامحدود فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لانهاية له .

والنبوة هبة الله التي لاتنال بالكسب لكن حكمة الله قاضية بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها : **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** الأنعام/ ١٢٤ ، وهو صلى الله عليه وسلم أرسله الله الى الدنيا فبعث الحياة في كيانها والدفء في أطرافها : **(فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)** ، رأي الأرض وقد أغرقها طوفان من الرذائل البشرية كعبادة الشهوات ووأد البنات فعطر أجواءها من هذا العفن الكريه ، وطهرها من الدنس والرجس بمنهج الحق ، وشرع الله : **(قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق)** الأعراف /٣٣

ما كان محمد أبدا مجرد مولود لفظه رحم أمه فانخرط في اعداد

الملايين على هذه الأرض ، وكذلك لم يكن مجرد انسان تسلل الى المعمورة في غمار أعدادها الهائلة التي تتلقاهم صباح مساء ، بل كان قوة إلهية أعادت صياغة الحياة ، ونسمة زكية ردت الحياة الى رشدها ، وسكبت الطهر والعفاف في وجدانها ، ومنة كبرى أسداها الله الى المكدودين ، والمغمورين ، والضعفاء :

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤

ان الاحتفاء بميلاد رسول الله في اعتبار الحق وبصر المنطق احتفاء بالقيم الرفيعة والمثل العظيمة انه احتفال بمولد الهدي الذي أراد للانسانية اللاهثة أن تهدأ ، وللأثرة النابحة أن تكف فاذا الحياة طيبة المذاق في أفواه الأحياء ، واذا الكرامة مضفاة الرواء على كيان الانسان :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/ ٧٠ .

لقد طارد صاحب الذكـــرى الجهالات والنزوات ، وأحل محلها اشراقة الهداية وطمأنينة الضمير ، لتمضي الانسانية الى غايتها التي كتب الله لها .

من هذا المنطلق لم يكن من الوفاء أو الولاء لميلاد ــ محمد ــ أن تجيء ذكراه على هذا النمط من العبادات التي تشتعل بحماس العاطفة ، أو القصائد التي تحظى بموسيقا الخليل ، أو المواكب التي ترهق المدن والنجوع بقرع الدفوف ودق الطبول مهما أتيح لها من مبررات .

فمثل هذا الأسلوب حتى وان سلمنا به في فترات زمنية مضت وانقضت بمالها وما عليها ، فلا يليق بنا في هذا العصر ، أن نستبيح لأنفسنا الأخذ بمثل هذه الأساليب التي يستثمرها أعداء الله ، في التهوين من إيجابيات هذا الدين ، بل ربما وضعوها في ثنايا قوائم السلبيات التي تستغل في تشويه صورة الاسلام . ان الأقوال الراشدة ، والأفعال الرائدة التي حاصرت منذ المولد والى الأبد أساطين الحكمة ودهاقنة السياسة ، ووضعتهم في حيز ضيق على مائدة متواضعة ، وأمام منصة رهيبة لأستاذ أصغت لحكمته وعلمه الدنيا . واندهشت لتسامحه وبساطته المسيرة البشرية المتعاقبة عبر تدافع التاريخ تفرض علينا الآن وبلا تباطؤ أن نقف أمام القيم الاسلامية ، ونخلـــع المناظير الباهتة ، لنستبدل بها أبصارا وبصائر لترى عبر متطلعات انسان هذا العصر ومبتكـــراته المتجددة ، ومذهلاته التي لاتتوقف ، أن القيم الحضارية والمفاهيم التي ناضل نبي الاسلام ، في غرس مبادئها ودعم أسسها جديرة بأن نسبر أغوارها ، ونجهرها بمجهار المـــوضوعية ، والمـــوازنة العصرية والمواجهة المصيرية لمستقبل الدعوة الاسلامية ، وألا نأخذ عطاءها

المتجدد والمتدفق أخذا بشريا لأنها هبة الله وفيضه الذي أفاء به على رسوله ، وفيض الله يستعلي على التوقف ويسمو على المكان والزمان ، وينبو عن الجفاف وصدق الله تعالى :(**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف/١٠٩ ، تلك غايات اسلامية نبيلة نستشرفها في ظلال مولد الهدى علها تكون مبعث هداية ، ودقة ناقوس تصحو بها ضمائرنا ، وتستيقظ لها قلوبنا فتعرف ما لها وما عليها في موقع الدعوة إلى الله ، ولست بدعا في هذا الرجاء ، فمثل ذلك استوحاه مفكرون مسلمون اطمأنت قلوبهم بمعرفة دقائق أسرار الرسالة المحمدية ، يسعدك ويسعدني بعضهم حين يرقي بتشبيه له جاء فيه أن اللفظة في القرآن أشبه بفص الماس ، لاتستطيع أن تتوفر على كل عطائها ، كأشعة الماس لايملك البصر كل شعاعه ، فاذا أحاط بشعاع شده اليه شعاع آخر فلا يستطيع أي شعاع يأخذ ، وأيه يدع . وسوف نسعد أكثر وأكثر حين نستمع الى ما جاء على ألسنة كتاب آخرين لاينتسبون لهذا الدين وآخرهم صاحب الكتاب المعنون له **برجل على رأس المائة** ، فقد اختار مؤلفه مائة من عظماء التاريخ ، ولم يستطع أمام صحوة من ضميره الا أن يضع محمدا صلوات الله عليه في الصدارة من القائمة حين أراد التحدث عنهم .

ـ ان القدوة برسول الله ، ورياضة المؤمن نفسه على التحلي بأخلاقه ، هي التمجيد الحق لمقامه الشريف ، والاحتفال الملائم للعصر ـ بميلاده الكريم فلنحاول ماوسعتنا الحيلة والمحاولة أن تكون لنا برسول الله أسوة حسنة ، وأن تكون لنا القدوة في طهارة ظاهره وباطنه ، في حلمه ورفقه ، في رحمته وعدله ، في بساطته وتواضعه ، في عفته ونزاهته ، في زهده وورعه ، في سلمه وفي حربه ، في كل مسيرته وسيرته .

ان متطلبات الدعوة في مواجهة هذا العصر تستوجب أن نسقط من حساباتنا رصد الجوائز النفيسة للفنانين والممثلين وأن نقدم وبكل فخر مكنون الجواهر للمؤلفين والمبدعين في إبراز القيم الاسلامية التي تصون حركة الحياة النبيلة المندفعة نحو الخير والحق ، من خلال كتبهم وبحوثهم ، بحيث تعد قوائم الشرف ، وهي تزين صدرها بألقابهم الرفيعة ، وكتاباتهم المجيدة في مولد الهدي ، ثم يصحبهم الرؤساء الى المنصات ليمنحوهم أكرم المنح ، وأسمى الهبات .

ـ ان حفظة كتاب الله هم الأمناء على دستور السماء ، وهم أولى الناس في هذا اليوم بتصدر كل مواكب الخير التي ينبغي أن تتواجد ، وأن تتدافع في علو رباني ، وهي تنشد في ايقاع رتيب كلمة لا اله الا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأن يوضع فوق رءوس الحفظة وهم يتقدمون المواكب أكاليل الغار ، وأوسمة الفخار يحدوهم الجيل المؤمن المتحفز الواثق في نصر

الله .

ـ ان متطلبات العصر ، تفرض علينا أن نمسح بأيدينا بعض الضباب الذي يغطي قيمنا الاسلامية ، ومعتقداتنا الدينية والانسانية والعلمية ، وأن نتوجه الى وضعها في الصورة المشرقة اللائقة بها ، ثم نتأمل عطاءها وهديها تأملا شموليا يأخذ في أهدافه خلق المواطن القدوة الذي يشد اليه أنظار العالم بعلمه ومبتكراته بحيث تحتفل المؤسسات العلمية والتعليمية ، وقد أخرجت للعالم برامج علمية ومؤلفات اسلامية تستهدي في خططها بهدي الله وتستوحي ضمير الأمة الاسلامية الكبرى ، وتكفل لأبنائها من الحوافز والدوافع ما يهييء لأبناء هذا الدين التمكين في الأرض ، ويعينهم على ضرب الالحاد والزيف في حصونه المدججة بأسلحة التبشير والتشهير ، بفكر مستنير وفهم مستضيء في ضوء توجيهات مؤمنة رائدة . تأخذ في اعتبارها ارتياد الآخرين لأسرار الحياة ، واكتشاف المجاهيل واستحداث النظريات العلمية الحديثة ، وأن هذا العقل الكافر ـ ليس أرقى من العقل المؤمن ايمانا حقا .

وعندها سنرضي في شبابنا تطلعاته ونقنع فيه رغباته ، ونمنحه ثقة وفيرة في نفسه وبعدها فلن يتطرق اليه الاحساس ـ أبدا ـ بأنه أقل شأنا ، أو أضعف قدرا من الآخرين . وذلك إثراء لدعوة صاحب الذكرى مابعده ثراء ، ورصيد دونه أعلى أرصدة المال . لأن الاسلام كان يرصد ويدخر الرجال وليس المال ، وكان يفاخر فيقول : رجل بألف مثل : القعقاع بن عمرو ـ وأمثال مصعب بن عمير .

ـ إن تراثنا ليس جدبا بل هو خصيب بالريادة في مختلف العلوم ، زاخر بالبطولات في شتى الميادين ، عامر بالعبقريات الفذة التي يمنحها كتاب الله وهدي محمد المدد الذي لا ينفد فما أحوجنا الى التذكير بها ، ووضعها في الاطار الذهبي المناسب ، والصورة المتألقة الهاتفة ، والمثال الفذ القدوة ، ودفع أبنائنا لتحسس وتفقد هذه المواقع وتلك المواقف في تاريخنا وتراثنا من خلال الدراسة المنهجية ، والبحوث الأكاديمية ، وأخذهم بوسائل التأثر والانفعال الصادق بها وبأمجادها في أيام الذكرى ، ويجب أن يطول امتدادها ليشمل الشهر كله « ربيع الأول » لنشد شبابنا اليها وندفعهم في مثل الطريق الذي سلكه الآباء والأجداد وسوف يكون منهم بعون الله وحوله من سيسترد القدس ، ويمنع أفغانستان من براثن الأعداء ، ويخضد شوكة الطامعين فينا ويرفع راية النصر :(**ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**) الروم/ ٤و٥

ـ وبعد : فهذه خواطر ، لاتعدو أن تكون غيضا من فيض ، وقطرا من بحر ، نترك للأيام والأعمال أن تجيب على مافيها من الأماني والآمال والله من وراء القصد .

حقوق الإنسان

تحت هذا الشعار عقدت ندوة علمية دعت إليها كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت بالمشاركة مع لجنة الحقوقيين الدولية ، وبمؤازرة جامعة الكويت في الفترة الواقعة بين ٩ ـ ١٤ ديسمبر ١٩٨٠م وأقيمت « ندوة حقوق الانسان في الاسلام » تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح .

وفي جلسة الافتتاح حضر مستشار سمو الأمير الشيخ عبدالله الجابر ، بالاضافة الى عدد من المسؤولين في الكويت ، ورجال العلم والفكر ، والمهتمين بالدراسات الاسلامية .

فالقت عميدة كلية الحقوق والشريعة الدكتورة بدرية العوضي كلمة الافتتاح فقالت :

انه ليوم اغر ان تعقد في الكويت ندوة حقوق الانسان في الاسلام ، وان تضم النخبة الخيرة من اعلام العرب والمسلمين ومن المفكرين الذين تفهموا رسالة الاسلام ودافعوا عنها ووجدوا فيها رسالة خير ودعوة سلام .

وانها لمناسبة جليلة ان تعقد هذه الندوة في الوقت الذي نستقبل فيه القرن الخامس عشر الهجري ، يوم أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنا اول بيان لحقوق الانسان واقام شريعة تجمع الشعوب على الايمان باله واحد ، وتجمع القلوب على الحب والاخاء وتسوي بين الناس فلا يتفاوتون الا بالعمل الصالح .

لقد كان اختيار الكويت مقرا لهذه الندوة تكريما لبلد استطاع بفضل سياسته الحكيمة ، ان يقوم بدور فعال في المجال السياسي ، فاحتل مكانا محمودا في المجتمع العربي والدولي .

حضرات السيدات والسادة :

لقد جاء انعقاد هذه الندوة بمبادرة من جانب كلية الحقوق والشريعة بالتعاون مع لجنة الحقوقيين الدولية ومؤازرة جامعة الكويت ، لايمان الجميع بأهمية موضوع حقوق الانسان في المجتمع الدولي المعاصر وضرورة ابراز دور



في الاسلام

الاسلام في هذا المجال لما يتميز به من مبادىء تصون هذه الحقوق لجميع الافراد ، خاصة حق الانسان في الحياة والحرية والعدل ، وحقه في الكرامة وفي جميع الحقوق الاساسية التي تحفظ شخصيته الانسانية من الظلم والتسلط .

ان هذه الحقوق التي اعلنها الاسلام وحرر بها الانسان من قيود الذل والعبودية من القيم الخالدة التي تميزت بها حضارة الاسلام ، هذه الحضارة التي بنيت على دعوة عالمية لشريعة تسوس البشر بالعدل والمساواة دون تفريق ولا تمييز بينهم .

وبعد ، فان الكويت ـ بما اوتيت من سماحة في تقدير عامل الحرية ليسعدها ان تستقبل هذه العقول النيرة التي تقوم بدور كبير وفعال في خدمة الاسلام واحياء تراثه لتعرض ـ فيما اعدت من ابحاث ودراسات ـ حقوق الانسان في الاسلام مستمدة من مصادره وتطبيقاته ، بحيث تكون اساسا لبيان حقوق المواطن في الوطن العربي والاسلامي .

واخيراً اود وباسم كلية الحقوق والشريعة ان ارحب بكم راجية ان تثمر جهودكم في خدمة هذه الندوة لتحقيق الامل المرجو منها ، كما لا يفوتني ان اشكر باسم الكلية وباسمكم صاحب السمو امير البلاد لتفضله برعاية هذه الندوة .

ثم القى السيد جاسم المرزوق وزير التربية كلمة سمو امير البلاد .. فقال :

اخواني ، يسعدني ان ارحب بكم في الكويت ، متمنيا لكم طيب الاقامة ولندوتكم النجاح والتوفيق .

ويأتي لقاؤكم عن حقوق الانسان في الاسلام ، والعالم الاسلامي يستقبل القرن الخامس عشر بعد الهجرة ، التي اقام بها النبي عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه في المدينة مجتمعا جعل حقوق الانسان حقائق حياة ، ونقلها من سماء الامال الى ارض الواقع .

ذلك لان الاسلام يؤمن اولا بكرامة الانسان ، ويقول الله تعالى :
« **ولقد كرمنا بني آدم** » ومن كرامة الانسان ان يكفل له المجتمع حقه في المأكل والمشرب والمسكن والملبس والتعليم والعمل ، كما يكفل حقه في ابداء الرأي والمشاركة في صياغة حاضر امته ومستقبلها ، والامن على نفسه واهله .
ولكي تتوفر هذه الحقوق ، ينبغي ان يكون المجتمع قادرا على ادائها . والاداء واجب وعطاء .
وبهذا يبدو الواجب وجها اخر للحق . وكأن الحق والواجب جناحان يحلق بهما المجتمع الى آفاق الغد المأمول .
وهذا ما يفسر لنا عناية الاسلام بالعمل واحترامه ، والانتاج ، ومكانته في المجتمع ، وبموازنته بين حقوق وواجبات الاجيال الجديدة في التزود بالعلم ، والقدرة على الابتكار ، والتدرب على حمل المسؤولية ، حتى تكون قادرة على ابداء الرأي النافع ، وصناعة القرار ، واثراء الحياة ، واشاعة العدل على الصعيد الوطني والعالمي .

ايها السادة العلماء وانتم تلتقون حول حقوق الانسان في الاسلام ستتذكرون حقوقا ضاعت على اهلها ، حقوقا في ارضها ، حقوقا في اوطانها ، وحقوقا في الحياة الامنة .
ستتذكرون اخوة لكم في القدس وفلسطين لا تزال تحت سيطرة العدوان الاسرائيلي .
ستتذكرون اخوة لكم في افريقيا واسيا يعانون من التفرقة العنصرية والقهر في اوطانهم .
وستقولون كلماتكم المنيرة بالعدل والمشرقة بالامل ، في عودة الحقوق الى اصحابها ، في تعاون افضل بين الشعوب النامية والمتقدمة قائم على صيانة الحقوق والاحترام المتبادل وعرفان الجميل . وفي هذا تحقيق لما نادى به الاسلام من تحقيق كرامة الانسان .. كرامة ينال فيها حقه ويؤدي واجبه .

ثم القى الدكتور عبدالرزاق العدواني مدير جامعة الكويت كلمة رحب فيها بالحضور ، وأشار الى اهمية قضايا حقوق الانسان ، والتي تعود الى عصور قديمة ، كما انها اخذت اهمية كبرى في الميدان الدولي المعاصر .
وكان مما قال :
انه مع ازدياد العلاقات والمعاملات بين الدول والشعوب ، واعتداء بعضها على حقوق الانسان رغم المواثيق يتعين من جديد ابراز هذه الحقوق في الاسلام .
ثم تحدث سكرتير عام لجنة الحقوقيين الدولية السيد نيبال ماكدوموت فقال : ان لجنة الحقوق الدولية كانت بصدد اقامة مثل هذه الندوة ولكن كانت تريد مبادرة من دول المنطقة .
وانتقل الحديث الى السيد زهير الميداني الامين العام لاتحاد المحامين العرب فألقى كلمة عبر فيها عن أهمية الندوة وأثر التراث

الاسلامي واسبقيته في تحقيق حقوق الانسان فقال :
ان حقوق الانسان في الاسلام هي مجموعة من الاصول العامة ، نستخرجها من القرآن والسنة ، وهي بمثابة اسس عامة تفصل بين الخير والشر وهي قابلة للبناء عليها لما يسد مطلب كل عصر على نحو يعصم المجتمع من الانهيار ومن الحيرة بين المذاهب المختلفة والاهواء الجامحة .

○ **وقال رئيس وفد منظمة المؤتمر الاسلامي :** ان نتائج هذه الندوة ستطرح ضمن بنود أعمال القمة الثالثة التي ستعقد في مكة المكرمة في يناير حتى تعلن وثيقة لحقوق الانسان في الاسلام .
وبعد تلك الكلمات التى ألقاها اصحابها في جلسة الافتتاح : القى كلمة المؤتمر الرئيسية السيد أ. ك. بروحي ، وهو وزير سابق للقانون والشئون الدينية بباكستان ، والمحامي بالمحكمة العليا . وعضو لجنة الحقوقيين الدولية .
وقد أوضح السيد بروحي في كلمته شمولية الاسلام للأنظمة والقوانين ، و« طبيعة الشريعة الاسلامية ونظرية حقوق الانسان » . وعرف طبيعة القانون ووظيفته للتوصل الى القانون الاسلامي بهدف اعطاء خلفية عن الفكـــر القانوني لصلته الاساسية بحقوق الانسان في الاسلام ، من حيث الاعتراف بها وتطبيقها .
وتعرض لمفهوم العدالة في الاسلام ، والقيمة التي أوجدها القرآن الكريم ، والسنة الشريفة لمفهوم العدالة الواسع المتحرر ، وذلك من حيث المحتوى والنطاق والتطبيق العملي .

ثم عقدت جلسات ندوة حقوق الانسان في الاسلام .. في فندق المـــيريديان بالكويت وتوزعت اعمال الندوة على ست لجان هي :
● اللجنة الاولى : الرئيس الدكتور خورشيد احمد ، المقرر الدكتور محمد يوسف علوان ، مساعد المقرر ايرين خان .
● اللجنة الثانية : الرئيس الدكتور سليمان الحديدي ، المقرر الدكتور روان مباي ، مساعد المقرر الدكتور عجيل النشمي .
● اللجنة الثالثة : الرئيس الدكتور عبدالله شرف الدين ، المقرر الدكتور سعيد حسين ، مساعد المقرر الدكتور احمد شرف الدين .
● اللجنة الرابعة : الرئيس الدكتور حسين البحارنة ، المقرر الدكتور اسماعيل راجي الفاروقي ، مساعد المقرر الدكتور عبدالحليم احمدي .
● اللجنة الخامسة : الرئيس الدكتور عبدالوهاب حومد ، المقرر الدكتور جميل الحافظ (من اتحاد المحامين العرب) ، المساعد للمقرر الدكتور حسين علي .
● اللجنة السادسة : الرئيسة الدكتورة بدرية العوضي : المقرر د. الطاف جوهر ، مساعد المقرر الدكتورة بدرية الجاسر .

وقد اختصت كل لجنة بمناقشة

بحث اعده احد الاساتذة المتخصصين ..
فاللجنة الأولى ناقشت موضوع :
« الحرية الاقتصادية ووالعدالة الضريبية في الاسلام » للدكتور عبدالهادي النجار استاذ الاقتصاد والمالية العامة المساعد بكلية الحقوق والشريعة الاسلامية بجامعة الكويت الذي أكد أن الحرية الاقتصادية في الإسلام مقيدة

اما اللجنة الثانية فقد ناقشت المفاهيم الاسلامية في التربية في المجتمع الحديث من خلال بحث للدكتور سيد علي اشرف استاذ اللغة الانجليزية والسكرتارية ، بلجنة المتابعة للمؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة أثار فيه سؤالين وطلب الاجابة عنهما وهما : العلاقة بين المفاهيم الاسلامية والتعليم في المجتمع الحديث ، وما هي المفاهيم التعليمية التي يجب ان تكيف وتعدل طبقا للتغيرات الاجتماعية التي يجلبها ما يعرف بـ « العصرية » . وطرح الدكتور اشرف عدة افكار رئيسية منها :

- ان المفهوم الاسلامي للانسان له اتساع ومدى لا يوجدان في اي مفهوم اخر للانسان . وبما أن الانسان يستطيع ان يصبح « خليفة الله » بأن يرعى أو يحقق في داخله صفات الله وحيث أن هذه الصفات لها بعد لا نهائي فان امكانات تقدم الانسان عقليا وروحيا وخلقيا لا حدود لها .
- بما أن المعرفة هي مصدر هذا التقدم والتطور فان الاسلام لا يضع حاجزا لاكتساب المعرفة .
- مدى هذا الاكتساب لا بد أن يكون شاملا لانه باكتساب بعض الخبرة الفعلية فقط لا يستطيع الشخص ان ينمو نموا متوازنا . وهذا يتضمن ان التعليم لا بد ان يخطط بطريقة يكون لها نمط انضباطي متوازن فيما بينها . والانسان العليم او الخبير المتمرن ليس بالضرورة انسانا متعلما .
- ان المظاهر الجسمية والعاطفية والخيالية والفكرية والخلقية والروحية لشخصية الانسان تؤخذ في الاعتبار عند تكوين العلاقة بين هذه الانظمة ، ويجب ان يؤخذ في الاعتبار نمو عقل الطفل وقدراته لكي نضع الموضوعات والمناهج في مراحل مرتبة حتى يبقى الارتباط فيما بينها .

ثم انتقلت اللجنة الى سماع بحث الدكتور معروف الدواليبي الذي تساءل عن موقف الاسلام من دعوة الامم المتحدة الى نظام انساني جديد .. وعن موقف الاسلام من مجمل حقوق الانسان ومن المرأة بشكل خاص .
واجاب :
فيما يتعلق بدعوة الامم المتحدة الى نظام عالمي انساني جديد ، ووفقا لمبادىء حقوق الانسان ، فان ابرزما في دعوة الاسلام منذ ظهورها قبل اربعة عشر قرنا انما كان :
ـ في اعلان الاسلام « لوحدة الاسرة

البشرية » بكل صراحة وفي شجبه بكل قوة لذلك « التمايز » في الحق بالحياة بين الاجناس ، والاعراق والاقوام والاديان .

ـ وفي ايجابه الاعتراف « بالكرامة للجميع » من غير تفاضل .

ـ وفي الدعوة الى « التعاون » على الخير فيما بينهم اجمعين ، لا يمنعهم من ذلك اختلاف اقوامهم واديانهم

ـ وفي التأكيد على « العدالة المطلقة » بين الجميع حماية « للسلام » في الارض .

وبذلك ارسى الاسلام قواعد « مجتمع الخير الجديد » على اسس انسانية وعالمية ، واقام فعلا نظاما للحياة سوى فيه ما بين اشراف قريش من سادة العرب ، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، بل وبين احرار العرب وساداتها والارقاء المعتقين من مختلف الشعوب والاقوام وغزا بالحب المتبادل وقال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ـ ويكفينا في جملة ذلك ما قد اوجزه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع حيث خطب مودعا المسلمين ومؤكدا على اهم خصائص الاسلام وقد ابتدأ في ذلك بقوله سبحانه وتعالى « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » .

وعقب على ذلك بذكر الخصائص الكثيرة من خصائص الاسلام الانسانية العالمية وخاصة قوله عليه الصلاة والسلام ، « لا فضل لعربي على عجمي ولا ابيض على اسود الا بالتقوى » وقوله « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه أنفعهم لعياله » وشدد بصورة خاصة على حسن معاملة المرأة ، واعلن ان النساء شقائق الرجال .

ـ وانني اذ اكتفي بهذا القدر الوجيز فيماتقدم من الاشارة الى مجمل حقوق الانسان في الاسلام بصورة عامة والى نداء الاسلام بوحدة الاسرة البشرية ، ودعوتها الى التعاون فيما بينها على ما فيه خيرها فنلك رغبة بالترحيب الطيب بدعوة الامم المتحدة الى وجوب اقامة نظام جديد عالمي انساني ، وبالترحيب بالتقائها في دعوتها الجديدة الانسانية مع دعوة الاسلام العقائدية ، واملا بأن يسمح لي هذا الايجاز بعد ذلك للتفرغ في بقية كلمتي للتحدث عن « وضع المرأة في الاسلام » الذي قد اخترته للكلام فيه بصورة خاصة باعتباره موضوعا من اعظم مواضيع حقوق الانسان .

« نظرة الاسلام الى المرأة »

انما هي من خلال نظرته الى الله والكون والانسان ولا بد لنا اذا اردنا فهم ابعاد وضع المرأة في الاسلام من ان نلفت النظر اولا كما جرت عادتنا في شرح كل مبحث وحقيقة من حقائق الاسلام الى ان نظرة الاسلام الى « المرأة » بصورة عامة انما هي



« نظرة جزئية » من اصل نظرة كلية « هي » نظرة الاسلام الى الله ، والكـون ، والانسان وسوف نقتصر طبعا في كلمتنا الان على « النظرة الى المرأة في الاسلام » .

ويتوجب علينا ان نعلن منذ البدء ان نظرة الاسلام الى الانسان فيما له من حقوق وفيما عليه من واجبات ، هي نظرة واحدة الى كل من الرجال والنساء ، من غير تمايز ولا تفاضل بينهم وذلك :

ـ سواء في استخلاف الله للانسان من رجال ونساء على الارض ، كموظفين من قبله سبحانه وتعالى ليقوموا عليها بما عهد به اليهم جميعا من غير استثناء .

ـ وسواء استعمارهم في الارض اي في مطالبتهم جميعا بواجب القيام بعمارتها وفي تحمل المسؤولية في ذلك امام الله على السواء .

ـ وسواء في ايجاب عبادة الله عليهم جميعا من غير اي تمايز بين الجنسين عند الله في الوجوب وفي الثواب وفي العقاب .

وهكذا فقد شارك الجنسان في عمارة الارض بالتناسل مشاركـة تامة لا

امتياز فيه لاحدهما على الاخر ، كما استحق كل منهما الكرامة المتساوية عند الله على الاعمال الصالحة والعبادة الخالصة ، ومصداق كل ذلك قوله سبحانه وتعالى في الجنسين من الرجال والنساء **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم)** التوبة ٧١ ـ ٧٢ وقال ايضا « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » النساء ١٢٤ .

واللجنة الثالثة ناقشت موضوع الاقليات المسلمة وحقوق الانسان ، للدكتور ابو بكر احمد باقادر الاستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ركز فيه على توضيح حقوق الاقليات المسلمة في العالم والتي تنتشر في حوالي أربعين قطرا . وفي هذا البحث قدم اطارا لدراسة الموضوع واختار بعض الحالات لتوضيح ابعاده .

وقال ان الاقليات المسلمة تقدر بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة فاذا كان عدد المسلمين في العالم حوالي ٩٠٠ مليون نسمة فان هذا يعني ان ثلث المسلمين في العالم يعيشون كاقليات في الوقت الحالي .

ويعيش معظمهم في اسيا وافريقيا ولكن هناك عدد متزايد من المسلمين المحليين والمهاجرين في اروبا واميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وان عددهم وانتشارهم الجغرافي يجعلان اوضاعهم وحقوقهم تستقطب الاهتمام العالمي .

وعرف الدكتور باقادر معنى « اقلية » على اساس النسبة العددية وتوزيع القوى بين السكان .

وعرف المسلم ليس على أساس عرقي أو ثقافي أو لغوي ولكن فقط على أساس العقيدة والدين .

ثم ناقشت اللجنة موضوع « حق الانسان في العمل والضمان الاجتماعي في الاسلام » :

للدكتور صادق مهدي السعيد ، المحامي والخبير الاقتصادي والقانوني الدولي بقضايا العمل والعمال والضمان الاجتماعي ، واستاذ اقتصاد وتشريع العمل والضمان الاجتماعي بجامعة بغداد سابقا .

حيث قال الدكتور صادق :

« العمل هو المصدر الرئيسي ان لم يكن الوحيد للتملك في الاسلام ، لذا فهو المصدر الاساسي لضمان عيش كل الناس القادرين على العمل وغير القادرين على وجه العموم لذا فهو حقهم جميعا وليس العمل الاكتسابي أو الاشتغال غاية بذاته وانما هو الوسيلة الرئيسية والفضلى للعيش



والحياة . ولذا فيرتبط حق الانسان في العيش بحقه في العمل ارتباطا جوهريا تلازميا على وجه الدوام سواء كان قادرا على العمل أو غير قادر . اذ لا عيش بلا عمل . لذلك رفع الاسلام شان العمل عاليا واقر اهميته وحث الناس عليه بل فرضه احيانا على البعض لانه قوام الحياة الدنيا كلها . وعندما امرهم بالعمل الديني للدار الاخرة ، امرهم بالعمل الدنيوي كذلك بألا ينسوا نصيبهم من الدنيا بالعمل الصالح النافع فيها لأنفسهم وللناس معا .

وان الشعار الاسلامي الشهير « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » دليل واضح أيضا على هذه الميزة الاسلامية . علما بانه توجد الادلة الكثيرة المتنوعة في القرآن الكريم والحديث الشريف على اقرار هذه الموازنة ما بين امور الدين والدنيا في الاسلام .

وفي نهاية حديثه اكد ان الاسلام قد ضرب المثل الاعلى بين الاديان السماوية في تنظيم شؤون الناس الاقتصادية والاجتماعية في حياتهم الدنيوية الى جانب الامور الدينية . فحثهم على العمل بل اوجبه عليهم ونظم لهم قواعد المعاملات والتعاملات في مجال النشاط الاقتصادي كي يضمن لهم العمل والانتاج المستمرين ووجود السلع والخدمات الاقتصادية لاشباع حاجاتهم الشخصية والبشرية والاجتماعية والعامة كما ضمن لهم العيش الكريم بالعمل وبالوسائل العامة والضمان الاجتماعي الاسلامي .

● اللجنة الرابعة ناقشت موضوعا طرحه الدكتور ممتاز صويصال استاذ العلوم السياسية بجامعة انقرة حول « حرية الرأي والتعبير والتجمع » طالب فيه بضرورة إرساء مفاهيم اسلامية جديدة فقال :

الاسلام بكليته وشموله يهتم بعلاقة

الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه ، مما يجعلنا نستكشف طبيعة القوى التي يمكن ان يستخدمها أولئك الذين بيدهم الحكم . هل الحكام هم الصانعون الوحيدون للتوازن الذي يقوم بين المؤمنين والمجتمع وذلك بهدف خلق النظام الدنيوي المتناسق ؟ ام هل هناك اعتبار آخر يجب ان يحد من قوتهم ويمنعهم من العمل على تقليل الحريات الفردية ؟

وقال ان المحاولات الاولى لرسم ميثاق اسلامي لحقوق الانسان قد فشلت في هذا الامر الحيوي لربط مبدأ المسؤولية الشخصية للفرد وضرورة ضمان حقوقه قانونا . ولكن لو ان المخططين قد نجحوا في انشاء تلك الصلة لكان من الاسهل عليهم رسم قائمة لحقوق الانسان لا تنسجم فحسب مع الميثاق الدولي القائم ، ولكن ايضا تدور حول العقيدة الاساسية للاسلام .

ثم قال الدكتور ممتاز : وفي عالمنا الحديث حيث العديد من الدول الاسلامية التي لا تزال بعيدة عن البحث العام في سبيل ايجاد صياغة احسن وحماية لحقوق الانسان فان ما نحتاجه بشكل عاجل هو حل اسلامي وعالمي .

○ **اللجنة الخامسة** ناقشت موضوع « السلامة الشخصية وحقوق الدفاع ودور المحاماة في الاسلام » للدكتور احسان الكيالي ، بدأت اللجنة بمناقشة بحث للدكتور عثمان عبدالملك استاذ القانون العام المساعد بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت حول « حق الامن الضروري في الاسلام » قدم خلالها دراسة مقارنة مع القانون الوضعي ، بين فيها معنى الامن الضروري في الاسلام .

ان من أهم ضمانات الامن الفردي ، هي تلك الضمانات الجوهرية التي يحيطه بها قانون الاجراءات الجنائية ، والتي تبتغي ايجاد التوازن بين حق الدولة في تتبع المجرمين والحصول على ادلة الاتهام ومصلحة الافراد في صيانة حقوقهم الاساسية وتمكين الفرد عند اتهامه من الدفاع عن نفسه واثبات براءته دون ما خشية من مفاجآت العسف والتحكم .

والناس في ظل الشريعة الاسلامية سواسية كأسنان المشط ومفروض فيهم البراءة حتى يثبت عكسها ، لذلك كان منهجها في الاجراءات الجنائية قائما على انه اذا كان من مقتضيات العدل ان يؤخذ المسيء باساءته والا يفلت مجرم من العقاب ، فان مقومات العدل أيضا ألا يؤخذ البريء بجريرة المسيء . والا يكون من وسائل الوصول الى ادلة الاتهام تهديد الابرياء او الاعتداء على الآمنين المسالمين في حرياتهم وحرمة مساكنهم وحقهم في الخصوصية والاحتفاظ بالاسرار . لذلك حرصت الشريعة الغراء على ان تحقق هذا العدل بشقيه عند تقرير قواعد الاجراءات الجنائية ، وذلك بايجاد التوازن الضروري والكافي بين حق الافراد في الحرية والامن وحق المجتمع

الاسلامي في منع الجرائم وتتبع المجرمين .

واستعرض محاضرنا كثيرا من المــوضوعات المتعلقة بالامن في الاسلام فقال :

يجدر بنا ان نشير ونحن في هذا الصدد الى ان كثيرا من شراح القانون الجنائي الوضعي يتجهون في الوقت الحاضر نحو المناداة بتبني نظام للتجريم والعقاب شبيه بنظام التعزير الذي اخذت به الشريعة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا وينادون بالمرونة في تقرير قاعدة « ان لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون » وبضرورة الخروج عليها بالقدر الذي لا يجعل التشريع الجنائي نصوصا جامدة ومجردة من المرونة اللازمة لمواجهة الاجرام في تطوره تبعا لتقدم الحضارة وتعقد الحياة الاجتماعية . بل ان بعض فقهاء القانون الجنائي الروسي قد تبنوا فكرة حذف القسم الخاص من قانون الجزاء والاكتفاء بقسمه العام .

وقد كان للانتقادات التي وجهها فقهاء القانون الجنائي الى التطبيق الجامد لقاعدة « لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون » اثرها العملي فنجد ان بعض الدول قد نفت القاعدة كلية كما كانت عليه الحال في الاتحاد السوفياتي قبل عام ١٩٠٩ « المادة ٦ من قانون العقوبات الصادر في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٦ » .

وكما كانت عليه الحال في المــانيا النازية « المادة ٢ من قانون العقوبات المعدل بقانون ٢٨ يونية ١٩٣٥ » .

ومنها من خرج عنها في حدود معينة باباحة العقاب عن طريق القياس كما هو الشأن في القانون الدانمركي المادة ٢ من قانون العقوبات الصادر في ١٥ ابريل ١٩٣٠ .

اما في الدول الاخرى فان الاتجاه العام للمشرع هو الى المرونة في تطبيق قاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ، وافساح مجال التقدير للقاضي في تحديد العقوبة حتى تكــون ملائمة لحالة كل محكوم عليه . فوضع لكثير من الجرائم عقوبات تخييرية يتخير القاضي من بينها ما يراه اكثر ملاءمة للحالة المعروضة عليه كما جعل لكل عقوبة حدا اعلى وحدا ادنى يتخذ القاضي من بينهما ما يراه ملائما لحالة المحكوم عليه كما ان المشرع الوضعي قد اعطى القاضي سلطة النزول عن الحد الادنى للعقوبة بل وسلطة الامر بوقف تنفيذ العقوبة او الامتناع عن النطق بها اذا رأى ان هذا اجدى في اصلاح الجاني . وفضلا عن ذلك فقد اعطيت السلطة التنفيذية حق التدخل في تنفيذ العقوبة بل والتصرف فيها بما تراه محققا للغاية منها وذلك بتقرير حق رئيس الدولة في العفو وتخفيف العقوبة ونظام الافراج الشرطي عن المسجون قبل انتهاء مدة عقوبته وأخيرا نجد المشرع الوضعي قد ترك تقدير هذه العقوبة للسلطة التي تتولى تنفيذها وذلك بتقرير نظام العقوبة غير محددة المــدة وهو النظام الذي اخذت به الشريعة الاسلامية منذ فجر الاسلام .

وهكذا نجد ان المشرع الوضعي في

الوقت الحاضر يتجه في نفس الاتجاه الذي اتجهت اليه الشريعة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا في العقاب على جرائم التعزير .

وتحدث عن مصادر المشروعية وتدرج القواعد القانونية في النظام الاسلامي **فقال :**

ـ لقد سبق الفقهاء المسلمون غيرهم في الكلام عن مصادر التشريع او ما اطلق عليه علماء الأوصول ورجال الفقه « أدلة الاحكام » .

فاذا كان الفقه الدستوري قد عرف مبدأ تدرج القواعد القانونية حديثا واعتبره مبدأ اساسيا في الدولة القانونية بما يحققه من خضوع القاعدة القانونية الادنى للقاعدة القانونية الاعلى ،؛ فان الفقهاء المسلمين قد سبقوه الى البحث في هذا الميدان في علم من ادق العلوم هو علم أصول الفقه . وقرروا ان مصادر التشريع ليست جميعا على قدم المساواة فيما بينها وإنما ينظمها مبدأ التدرج من اعلى الى ادنى ، وجعلوا الحكـــم الشرعي (او القاعدة القانونية) المستمدة من مصدر اعلى تسمو على القاعدة القانونية المستمدة من مصدر ادنى ، وانه في ضوء هذا التدرج فان كلا من هذه القواعد القانونية لا يكون صحيحا الا بالقدر الذي تلتزم فيه الضوابط والحدود التي تقررها القواعد الاعلى ، علما بانها في ذات الوقت عند ثبوت صحتها ـ ملزمة للقواعد التي تتدنى عنها في المرتبة ومقيدة لها .

الضمانات القضائية

● الدكتور الناهي تحدث عن « حقوق الانسان والضمانات القضائية في الاسلام » فقال ان القضاء في الشرع الاسلامي ولاية عامة يتولاها الخليفة بنفسه وله ان ينيب عنه فيستعين بالقضاة ويوليهم القضاء ولاية مطلقة او مقيدة مخصصة وليس للخليفة او غيره من رؤساء الدول الاسلامية ان يهمل تنظيم خطة القضاء لان تنظيمها واختيار الأصلح أو الصالح لتوليها من جملة واجبات رئيس الدولة في الاسلام ولأن حكمة مشروعية القضاء حفظ النظام ودفع الضرر العام والخاص .

● **اما اللجنة السادسة** فقد ناقشت موضوع مركز ودور المرأة في الاسلام للدكتور علي عبدالمنعم عبدالحميد ، استاذ الشريعة بجامعة الكويت الذي ركز على موضوع الاسرة في الاسلام كنظام للحب والرحمة المتبادلين ثم تعليم ورعاية الاطفال فقال :

ـ الاسلام نظام شامل وتنظيم للحياة متكامل من كل الوجوه ، لا تجد في أسسه وقواعده ثغرة واحدة ينفذ منها الى ان يقال : لو غير هذا لكان احسن ولو بدل كذا مكـــان غيره لصار يستحسن . وما ذلك الاحكـــام والاتقان والبعد عن الفطور والنأي عن التغيرات الا لان مصدره الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور .

وبين مساهمات المـــرأة في صدر

الاسلام الاول فقال في صدر الاسلام ساهمت المرأة في كل شيء يمس وجود المسلمين ، واظهر ما كان في ذلك العهد الكريم هو ما يقوم الحياة في كل زمان ومكان هو العلم هو التعلم هو خدمة الاخرين ومعاونتهم في كل مجال . فانظر الى اسرة سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أول نشوئها على ارض مكة المكرمة ، من اقامها ، من ساهم فيها ، من نماها ، من امدها بكل مقومات الحياة بل وعصب الحياة ؟ ذلك الانسان الذي فعل ذلك هو خديجة بنت خويلد ، انظر كيف ساعدت سيدها وسيدنا حبيبها وحبيبنا محمدا في غدوه ورواحه الى غار حراء متعبدا وخلوته مع الله سبحانه مع هذا الكـــون الفسيح مع سمائه وارضه وجباله واوديته مع صفائه وغيومه مع كلا ملابساته ثم ماذا ؟

المساواة في الحقوق

واكد الدكتور علي عبدالمنعم ان للمرأة كافة الحقوق التي منحها الله للرجال فلها حق التعلم وحق التعاقد والالتزامات والتملك والمتاجرة وكل الاحوال المدنية فيما لا يخالف نصا ولا قاعدة اسلامية كالرجل حذوك القذة بالقذة الا فيما اختص به الرجال من حمل السلاح والقتال والاعمال الشاقة البدنية العضلية ، كما انها عند الضرورة قد حملت السلاح وقاتلت كما حدث في غزوة أحد دفاعا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الزواج هو اهم شيء واخطره في حياة الرجل والمرأة فقد أعطيت فيه من الحقوق ما أعطى للرجل ، وادلتنا وبراهيننا من سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله . وحين يشيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرأة الصالحة ويدعو الى التنقيب عنها في كل مكان ، لا يغفل امر الرجل الصالح بل ويدعو المرأة وولي امرها الى البحث والتنقيب عن الزوج الصالح والبعد عن الفاسقين ولم يلزم مطلقا امرأة بالزواج من رجل لا تطيقه او رجل يعمل عملا غير صالح فيقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير « رواه الترمذي عن ابي هريرة .

وقال ان الاسلام لا ينقص المرأة شيئا من حقوقها ومساواتها بالرجل في الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة . والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ، لكن في اطار الضوابط الاسلامية التي تحول دون ان تصبح المـــرأة سلعة في الاسواق السياسية والتجارية .

وهكذا عايشت مجلة الوعي الاسلامي وقائع ندوة حقوق الانسان في الاسلام عن قرب .. ورأت من خلال البحوث والمناقشات القيمة كيف أن ديننا الاسلامي الحنيف لم يترك مجالا في صالح الانسان في كل عصر و في كل مكان الا

كان له فضل السبق .. وكيف لا ، وهو الدين الذي جاء ليحرر الانسان فكرا وعقيدة وسلوكا وعملا ، ويرسم له طريق السعادة في دنياه ، وصولا الى الفوز والفلاح في أخراه .. والكل مسئول امام الله مسئولية مباشرة .. فلا وساطة بين العبد وخالقه .. والكل سواء فلا تفاضل بين جنس و آخر .. كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ولقد سادت أمتنا الاسلامية .. يــوم وقف اعرابي في مركز الاسلام الخالد « المسجد » ليصرخ في مسامع الزمن .. من خلال قوله لأعدل حاكم عرفه البشر « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .. فيقول الفاروق عمر بن الخطاب معلما كل حكام الدنيا من بعده : « الحمد لله اذ جعل في رعية عمر من يقوم عمر بسيفه اذا رأى فيه اعوجاجا » .

في ظل الاسلام .. لا طواغيت .. لا نعرات طائفية .. لا ظلم ولا اضطهاد... بل لا إكراه في الدنيا . والكل مطالب بالقيام بواجباته في اي ميدان تواجد فيه .. المرأة عليها واجباتها .. ولها حقوقها .. والرجل عليه واجباته ، كما ان له حقوقه .. واختصاص هذا بحكم ، أو ذاك بحكم ، لا يعني تفاضلا بين هذا وذاك .

الكون كله يعمل وفق ارادة الله .. فلا تنافر بين الدين والدنيا .. ولا تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .. وما دام العمل خالصا لله ، ومن أجل هدف نبيل .. فهو تسبيح متواصل وترنيمة خالدة بحمد الله وشكره .

هذا .. وفي ختام استطلاعنا هذا يطيب لنا أن نسجل التوصيات العامة التي اصدرتها ندوة حقوق الانسان في الاسلام وهي :

١ - يؤكد المشاركون تأييدهم الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة بالكفاح المسلح وحقه بتقرير مصيره والعودة الى وطنه واقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد .

٢ - يعلن المشاركون تضامنهم المطلق مع شعبي الصومال الغربي (اوغادين) وارتيريا في كفاحهم الباسل ضد الاستعمار . ويطالبون باتاحة الفرصة لهما لتقرير مصيرهما . وانسحاب القوى الاجنبية من أراضيهم .

٣ - يعلن المشاركون مساندتهم المطلقة لجهاد الشعب الافغاني المسلم ويشجبون التدخل الاجنبي المسلح في هذا القطر الاسلامي ويطالبون بالانسحاب الفوري منها حتى يستطيع الشعب الافغاني ان يقرر مصيره بمحض ارادته .

٤ - يؤيد المشاركون كفاح المسلمين في جنوب الفلبين وغيرهم من الأقليات الذين يسعون الى الحصول على حقوقهم المشروعة .

٥ - يناشد المشاركون الدولتين المسلمتين ايران والعراق إنهاء الحرب بينهما على اسس عادلة .

مائدة القارئ

استغفاره عليه الصلاة والسلام لأمته

قال تعالى : « **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم** »

الآية ١٩ من سورة محمد

معجزة

قال البوصيري :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتم

مطلع النور الأول

من قصيدة بهذا العنوان في ديوان مجد الاسلام نقتطف هذه الأبيات :

إملأ الأرض يا محمد نورا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد في كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا
جئت ترمي عبابه بعباب ... راح يطوي سيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمي ... امم الارض أن تذوق الثبورا

صنيع ضائع

سئل حكيم : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر الجود في أرض سبخة ، لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، وسراج يوقد في الشمس ، وجارية حسناء تزف الى أعمى ، وصنيعة تسدي الى من لا يشكرها .

هلم عن النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها ، قال : فذلكم مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني وتقحمون فيها » .

رواه مسلم

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

المروءة

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فأين المروءة فيه ؟

فقال : في قوله تعالى : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » ... ففيه المروءة ، وحسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله « **خذ العفو** » صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين . ودخل في قوله « **وأمر بالعرف** » صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله « **وأعرض عن الجاهلين** » الحض على التخلق بالحلم ، والاعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء والأغبياء .

الخير

قيل للحسن بن سهل : لا خير في السرف ... فقال : لا سرف في الخير .

ثمر ... ولؤلؤ

قال عبدالحميد الكاتب :

القلم شجرة ثمرها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

تزاوروا ولا تجاوروا

كتب عمر أمير المؤمنين الى أبي موسى الاشعري .. رضي الله عنهما :

« مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا »



الطب الإسلامي ومؤتمره الأول

محمد مؤذن

للدكتور/أحمد شوقي الفنجري

يعقد في الكويت أول مؤتمر من نوعه للطب الاسلامي في الفترة من ١٢ ـ ١٦ يناير في فندق الهلتون حيث دعت وزارة الصحة العامة أطباء المسلمين من أكثر من ثلاثين دولة للتباحث في إحياء التراث الطبي الاسلامي .

وتنقسم البحوث في هذا المؤتمر الى ثلاثة عناصر رئيسية :ـ

(أولا) تعاليم الاسلام في الطب والعلاج : وما جاءت به من

اوامر لخلق المجتمع الصحي المنيع ضد الأوبئة والأمراض وما جاءت به من أخلاقيات مهنة الطب .

(ثانيا) تاريخ اطباء المسلمين وما قدموه في ظل الاسلام الى الانسانية من اكتشافات علمية وفضلهم على تطور الحضارة والعلم .

(ثالثا) طب الأعشاب : وهو الطب الذي نبغ فيه أطباء المسلمين وطوروه .

وقد وصلت الى لجنة الطب الاسلامي اكثر من ١٥٠ بحثا قيما من مختلف العالم حيث تقرر أن تنشر هذه البحوث في كتيب ضخم باللغتين العربية والانجليزية .. كما وجهت الدعوة الى اكثر من ستين طبيبا وباحثا من مختلف شعوب العالم الاسلامي للحضور والقاء ابحاثهم .. وسوف يفتتح المؤتمر بكلمة من وزير الصحة الدكتور عبد الرحمن العوضي ، ثم يعقبها افتتاح معرض الطب الاسلامي الذي يمثل مراحل تطور الطب الاسلامي في العصور المختلفة من ازدهار الاسلام .. ويضم عدداً من اللوحات لأطباء المسلمين والآلات الجراحية التي ابتكروها والأعشاب التي استعملوها وانجازاتهم في شتى فروع الطب .

وفي ختام المؤتمر تصدر التوصيات التي تحث على تبني قسم طبي يقوم على شعائر الاسلام وتعاليمه بدلا من قسم أبقراط كما تطالب الكليات والمعاهد العلمية المختلفة في العالم الاسلامي بتبني دراسات الطب الاسلامي ورصد الجوائز للباحثين لخدمة هذا العلم بما يتلاءم مع تطورات القرن العشرين .

وسوف تذاع قرارات المؤتمر من مسجد فاطمة تيمنا برسالة المسجد الأولى التي كانت مصدرا للاشعاع على الدنيا كلها .

ويسر مجلة الوعي الاسلامي ان تقدم هذا المقال للدكتور احمد شوقي الفنجري الذي يعطي للقارىء فكرة شاملة عن قصة الطب الاسلامي ابتداء من عصر الجاهلية ثم ظهور الاسلام حتى عصرنا الحاضر ..

العلاقة بين الدين والطب : ـ

يختلف الاسلام عن غيره من الديانات في أنه قد جاء للدين والدنيا معاً .. وأنه الدين الوحيد الذي قاد دولة ومجتمعا وحكومة على ظهر الارض وهي دولة الرسول في المدينة .. ومن السماء مباشرة نزلت على الرسول كافة التعاليم والأوامر لادارة هذه الدولة .. فمن ذلك أوامر للعلاقات الاجتماعية . وأوامر لنظام الحكم وأوامر اقتصادية وأوامر عسكرية وبطبيعة الحال أوامر في صحة هذا المجتمع . وهي ما نسميه اليوم بالطب الاسلامي ، والهدف منها اقامة المجتمع الاسلامي الصحي المنيع ضد الاوبئة والامراض المعدية ـ القوى لحمل الرسالة وأداء الأمانة ..

تعاليم الاسلام في الطب الوقائي :

الطب الوقائي يشتمل على مجموعة من القوانين والارشادات لانشاء المجتمع الصحي .. فمن هذه القوانين ما يختص بالوقاية من الامراض المعدية ومنها ما يختص بالغذاء السليم .. ومنها ما ينظم مهنة الطب العلاجي .. ومن هنا نستطيع ان نقول إن الاسلام قد شمل بتعاليمه الطبية الجانب الوقائي والتنظيمي .. ولكنه لم يتناول الطب العلاجي لأن هذا ليس من صميم الدين ولا اختصاصه .

الطب والعلاج قبل الاسلام : ـ

قبل ظهور الاسلام كان هناك اعتقاد بين الناس أن المرض شيطان يدخل جسم الانسان عقابا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة .. وكانت الكنيسة في الدولةالبيزنطية بناء على هذا الاعتقاد تمنع الناس من الطب والدواء .. وتقصر العلاج على الدعاء وعلى صلاة الاستغفار وعلى اضاءة الشموع حول المريض لطرد شيطان المرض فاذا لم يشف المريض كان ذلك يعني أن ايمانه ضعيف .

وكان لدى العرب في الجاهلية اعتقاد قريب من هذا .. فكانوا يعتمدون في العلاج على الطقوس للأصنام .. وعلى البخور وزجر الطير والاستقسام بالازلام .. وعلى شرب القداح وقراءة الطالع والنجوم .. وعلى تعليق التمائم في صدور المريض أو وشمه في وجهه ورأسه . وكان الطبيب يسمى الكاهن أو العراف .. وكان الكاهن يقرأ على المريض بعض الكلام الغامض الذي يعتمد على السجع دون ان يكون له معنى . ثم يطلب منه فدية يقدمها على مذبح الآلهة حتى تشفيه . وقد تكون هذه الفدية ناقة أو شاة .. وقد يصل الأمر الى تقديم القربان بأن يطلب من المريض وأد أو قتل طفله المولود .

الاسلام يقضي على الكهانة والخرافات الطبية : ـ

عندما اشرق نور الاسلام .. كان أول ما فعله أن قضى على عبادة الأوثان وكل ما يتعلق بها من طقوس وخرافات وكهانة .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ

« من جاء كاهنا أو عرافا فآمن بما يقوله فقد كفر بما انزل على محمد » رواه مسلم والحاكم .

وبذلك حسم الاسلام حسما قاطعا .. وفصل الكهانة والعرافة عن الطب والدواء . فقد كان الاطباء يربطون بين المرض وغضب الآلهة وبين الطقوس الكهنوتية وبين شفاء المرضى .. اما الدواء والطب فقد كان نصيبهما من العناية والاهتمام قليلا حتى تخلفت مهنة الطب وانحصرت في العلاج البدائي مثل الحجامة والكي وبعض الأعشاب .

ولم يكتف الاسلام بذلك بل نهى عن كل ما يتعلق بالكهانة من خرافات طبية .. فمن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ـ

« لا هامة ولا طيرة ولا عدوة ولا صفر » رواه البخاري .

فقد كان الكهان في الجاهلية يربطون بين المرض وبين الشؤم وزجر الطير والسفر في شهر صفر وكانوا يعتقدون أن للمرض شيطانا يظهر له هامة بالليل فنهى الاسلام عن هذه الاعتقادات الباطلة الخرافية .

وكان أطباء الجاهلية ايضا يعلقون على صدر المريض تميمة تبعد عنه المرض .. وكانت التمائم انواعا مختلفة .. منها حجر من مكان معين .. أو تمثال صغير لأحد الآلهة .. أو رأس حيوان محفوظ مثل رأس الثعبان .. وما زالت هذه التمائم معروفة في كثير من الدول غير الاسلامية في أسيا وأوربا .. حيث يعلقون حدوة حصان أو بصلة أو رأس ثعبان على باب البيت ليطرد المرض والشر .. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ان الرقي والتمائم والتولة شرك » رواه احمد وفي قول آخر « من علق تميمة فلا أتم الله له » رواه احمد .

ومن الخرافات الباطلة التي نهى عنها الاسلام ايضا الوشم لطرد المرض .

وكان الوشم على صدر المريض أو رأسه أو وجهه على هيئة اله من الآلهة أو على هيئة شيطان أو جنية أو ثعبان لكي يفزع المرض ويطرده ..

وما زالت هذه العادة حتى اليوم معروفة في أوربا ، حيث رسم البحارة بالوشم جنية البحر على أجسادهم لكي تبعد عنهم شيطان المرض والغرق .. وقد نهى الاسلام عن الوشم لأنه تشويه لخلقة الله علاوة على أنه خرافة باطلة وشرك بالله وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : ـ

« لعن الله الواشمة والمتفلجة » رواه مسلم .

وقبل الاسلام ايضا كان الاطباء يعتمدون على قراءة الغيب والمستقبل لمعرفة هل يشفى المريض أم لا ومتى يشفى .. فكـــانوا يستطلعون النجوم أو يضربون الودع أو القداح على رأس المـريض .. ويستقسمون بالأزلام فجاء الاسلام بأمر حاسم في هذا الشأن واعتبره موازيا للكفر والشرك بالله .. اذ يقول الله تعالى :

(وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق) المائدة/٣

والأزلام جمع زلم وهو سهم لا ريش فيه مكتوب عليه كتابة ويختار المريض أحد السهام دون أن يراه فاذا ظهر سهمه كان ذلك مستقبل المرض .

وعندما تبين الأطباء العرب أن الاسلام قد نهى عن كل هذه الأمور قرروا الاجتماع برسول الله في أول وفد طبي من نوعه لمعرفة أوامر الاسلام في الطب والدواء والتمريض .

تعاليم الاسلام في الطب

كان وفد الأطباء الذي حضر الى المدينة المنورة لكي يجتمع برسول الله يتألف من كهان القبائل العربية المختلفة من اليمن ونجران والطائف ويثرب وغيرها .. وكان المتحدث باسمهم الشمردل طبيب بني نجران فقال :

« يا رسول الله .. اننا كنا في الجاهلية أطباء قومنا وكهانهم .. وقد امتنعنا عن ذلك في الاسلام وجئناك حتى نعرف ما يحل لنا أن نفعل ».

فأخذ رسول الله يلقي عليهم تعاليم الاسلام في هذه المهنة الخطيرة .

١) قال صلى الله عليه وسلم : « من طبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » رواه أبوداود والنسائي .

وفي هذا الحديث الشريف يعتبر أول اشارة أو أمر عرفته الانسانية عن الرخصة الطبية .. ومعناه أن من طبب أي مارس مهنة الطب ولم يكن لديه علم ودراسة لهذه المهنة وهو ما يقصد به في عصرنا الحاضر (شهادة أو أجازة طبية) فهو ضامن أي مسئول أمام القانون ..

وكان من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا للأطباء قوله :

٢) « لا تداووا أحدا حتى تعرفوا داءه » رواه مسلم .

وهذا النص كان القاعدة لما استنه أطباء المسلمين فيما بعد من ضرورة المشاهدة السريرية .. وضرورة فحص المريض جيدا قبل العلاج وهو أسلوب جديد لم يعرف قبل الاسلام وقد نقله الغرب عنهم .

٣) وكان من تعاليم الرسول أيضا في الطب قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى لم ينزل داء الا

جعل له الدواء علمه من علم وجهله من جهل . فاذا أصاب الدواء الداء برأ المـرض باذن الله .. » رواه مسلم .

وهذا الحديث يعبر عن حقيقة علمية هامة وخطيرة في تاريخ الطب .. فقبل الاسلام كان هناك اعتقاد عند الأطباء أن هناك أمراضا لا شفاء لها .. ولا دواء لها .. فاذا بالرسول يعلن أن لكل مرض في هذه الدنيا دواء يشفيه .. واذا كانت هناك أمراض لا نعرف دواءها أو نجهل علتها اليوم فذلك لا يجب أن يدعونا الى اليأس منها .. بل علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها الشفاء الناجع .. وقد كانت هذه الحقيقة الخطيرة من أهم أسباب تقدم المسلمين في علوم الطب واكتشافهم للكثير من الأدوية وتطلعهم الى معرفة علوم السابقين وغيرهم من الشعوب .

٤) ومن تعاليم الاسلام أيضا الى الأطباء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا حضرتم المـريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك يطيب خاطره وان لم يرد عنه شيئا » . رواه الترمذي ، وهذه قاعدة يعرف أهميتها أطباء العصر الحديث .. فان المريض يتعلق بكلمة تشجيع يلقيها عليه طبيبه .. وكثيرا ما ترفع هذه الكلمات معنويات المريض فتساعده على التغلب على المرض .

هذا الى جانب الكثير من التعاليم السماوية مما أوحى به الله تعالى على لسان نبيه . ومما كان له أعظم الأثر في تقدم مهنة الطب الاسلامي وفي الانجازات الضخمة التي ظهرت على الأجيال المتعاقبة من أطباء المسلمين .

طب الحرب في غزوات الرسول :

وأنزل الله أمره الى المسلمين بالجهاد والقتال في سبيل الله وفي سبيل نشر دعوة الحق . وسارت جيوش المسلمين من غزوة الى غزوة .. يصاحبهم أطباؤهم وممرضاتهم .. وكـان في هذه المعارك جراح كثيرة من الجانبين .. ففي معركـة أحد وحدها بلغ عدد الجرحى المسلمين ١٥٠ جريحا وعدد القتلى سبعين .

ولأول مرة في التاريخ يطبق المسلمون مبدأ الطهارة الذي أمر بـه الاسـلام في الجراحـة والتمريض .. فقد كان من أوامر رسول الله الى المسلمين قوله : « طهروا هذه الأعضاء طهركم الله ونخلوها بالماء » رواه الطبري .. وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أطباء المسلمين بغسيل الجراح بالمـاء المحرق (أي المغـلي سابقا) .

وبفضل مبدأ الطهارة كانت جراح المسلمين تشفى بسرعة مذهلة فحتى عهد قريب كان الأطباء في أوروبا يدخلون غرفة

العمليات وفي أيديهم بقايا الطعام وكانت الممرضة تداوي الجرحى وفي يديها بقايا القمامة أو آثار الطبخ .. وعندما طالب طبيب أمريكي لأول مرة في تاريخ الغرب طالب زملاءه بغسيل أيديهم قبل العملية سخروا منه وحسبوه مخبولا .. فمن يتصور أن الاسلام قد جاء بمبدأ الطهارة قبل الغرب بأربعة عشر قرنا من الزمان ..

التمريض في الاسلام :

وكان للمرأة في غزوات الرسول دور كبير في التمريض .. فكان من الممرضات في جيش الرسول أم أيمن وأم عمارة ورفيدة الأنصارية .. وقد كونت رفيدة فريقا من الممرضات وكونت أول مستشفى ميدان متنقل عرفه التاريخ وقد صحبن الرسول في كل غزواته .. وكانت تقسمهن الى كراديس أي فرق .. بعضهن للعمل في الاسعاف في الميدان وتحت سنابك الخيل .. وفريق آخر للاسعاف في مركز قيادة الرسول وفريق ثالث في خيمة الميدان ..

ومما يشهد لنساء الصحابة بالتفوق في الطب والتمريض تلك الرواية التي تذكر عن القائد العربي خالد بن الوليد فعندما حضرته الوفاة قال قولته المشهورة :

« لقد دخلت عشرات المعارك . وما في جسدي موضع الا فيه أثر ضربة من سيف أو طعنة من رمح .. ومع ذلك فهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير » .

وقد أحصى بعض الصحابة الجراح في جسم خالد بأنها قرابة الأربعين جرحا .. بعضها غائر يسع قبضة اليد .. فاذا كان خالد بعد هذا كله توفى على فراشه في ميتة طبيعية فانما ذلك دليل على تقدم الطب والتمريض في عهد الاسلام الأول وخاصة طب الحرب وذلك كله بفضل مبدأ الطهارة الذي جاء به الاسلام .

المسلمون والترجمة من طب الأغريق والفرس :

وبعد أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم توسعت الفتوح الاسلامية حتى وصلت الى الصين شرقا والأندلس غربا .. وانضوى تحت راية الاسلام عدد كبير من الشعوب والأجناس والحضارات ، ويجمع المستشرقون على أن المسلمين الأولين كانوا لا يقلون حماسا وتشوقا الى جمع العلم عن حماسهم للجهاد والقتال حتى كان الرومان يسمونهم « المتوحشون العلماء » LEARNED SAVAGES وقد أقبل المسلمون بسرعة مذهلة على تدارس الحضارات والعلوم السابقة وخاصة علوم الأغريق .. وذلك عملا بأمر نبيهم الكريم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي .

وقد بلـــغ اهتمام المسلمين بترجمة علوم الشعوب الأخرى ان كان الخليفة يكـــافيء من يترجم كتاب من كتب جالينوس أو بقراط في الطب بمثل وزن الكتاب المترجم ذهبا . فاذا علمنا أن الكتب في تلك العصور كانت من جلد الغزال السميك لتصورنا ضخامة المكـافأة .. وكـانت أعظم هدية يمكن أن تقدم الى أي قائد مسلم فاتح هي كتاب من كتب العلم والطب القديمة ..

وقد قيل ان أول ترجمة الى العربية عن الأغريقية تمت بأمر عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ حيث كلف بعض الأطباء النسطوريين أمثال ماسرجويه وثياذون بترجمة كتب أبقراط ونشر العلم بين المسلمين .

وقد أغرت هبات الخلفاء التراجمة من أهل الذمة بالاقبال على هذا العمل فاشتهر منهم حنين بن اسحاق .. واسحق بن حنين .. وعيسى بن يحيى .. ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق ..

ولم تكن الترجمة قاصرة على علوم الأغريق وحدها .. بل أن المسلمين في شغفهم الشديد للعلم قد ترجموا كتب الفرس والصين والهند .. وكان الخليفة اذا حصل على كتاب مترجم جمع أطباء المسلمين وأمرهم بالعكـــوف على دراسته والاستفادة منه عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج لطلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي .

مرحلة النقد والتأليف :

وانتهت مرحلة النقل والدراسة واستيعاب العلم ..

وجاءت مرحلة الغربلة ونقد الأخطاء ..

لقد كان أمحتب عند المصريين يسمى اله الطب وكـــان أبقراط وجالينوس أيضا آلهة للطب عند الاغريق .

● غلاف كتاب المنتخب في الطب

أما في نظر المسلمين فلم يكن أحد من هؤلاء أكثر من بشر يصيب ويخطيء .. وكانت كتب الاغريق رغم ما فيها من علوم غزيرة كانت لا تخلو من الأخطاء والانحرافات

والخرافات . وذلك بحكـــم أنهم كانوا أمة بغير دين وكانوا يعبدون الحجارة ويعبدون البشر كعرب الجاهلية .

وابتدأت الحاجة الملحة في العالم الاسلامي الى أن يكـــون للمسلمين علمهم وطبهم الخاص بهم .. والمبني على تعاليم دينهم .. الى جانب ما درسوه من علوم السابقين .. وهكذا ظهر أول عملاق في تاريخ الطب الاسلامي .. انه شيخ الأطباء المسلمين أبو بكر محمد بن زكريا الرازي سنة ٨٣٠م وتلاه عملاق آخر هو ابن سيناء ثم ابن الهيثم وابن النفيس والزهراوي وعشرات غيرهم ممن بزوا علم أبقراط وجالينوس بعلمهم وطبهم ..

شيخ الأطباء الرازي

ولد الرازي سنة ٨٣٠م في مدينة الرى .. وقد شغف بدراسة علوم الطب في سن متأخرة ومع ذلك فقد بلغت مؤلفاته في الطب وحده أكثر من ١٢٣ كتابا ومصنفا .. أهمها كتاب الحاوي الذي ظل يدرس في أوروبا على مدى قرون متوالية حتى القرن السابع عشر الميلادي .. وتقديرا لعلم الرازي وفضله على أوروبا فقد قررت جامعة برستول بانجلترا وضع صورته في أكبر قاعات للمحاضرات بها وسمتها باسمه ..

والرازي أول من اكتشف مرض الحصبة وميزه عن الجدري حيث



● الرازي يكتشف الحصبة



● صفحة من كتاب في الطب

كان الظن أن المرضين واحد .. وهو أول من اكتشف ما يعرف في عصرنا الحاضر بمرض الحساسية .. وقصته كما يرويها أن مريضا جاءه يشكو من نوبات من الرشح الشديد والتهاب في العيون وتورم وحكة في الوجه . ويقول الرازي أنه قد لازم هذا المريض مدة من الزمن في حله وترحاله وطعامه حتى يعرف سبب المرض فاكتشف أنه يصيبه في موعد معين هو موسم الربيع .. وأنه يزيد عندما يشم الزهور فكتب عن هذا المرض الذي يظهر مع (موسم الربيع وتفتح الورد) .

والرازي أول من اكتشف مرض تكسر الدم من أكل معين .. مثل البقول .. وميز هذا المرض عن مرض الصفراء الذي ينجم عن التهاب في الكبد .. وأثبت خطأ أبقراط في تصوره أن مرض الصفراء لا يأتي الا من مرض في الكبد .. وهو أول مكتشف لأسباب اليرقان وأنواعه وعلاجه .. وقد ألف الرازي كتابا عظيما باسم« الشكوك والمناقضات في كتب جالينوس » .

وقد أحدث هذا الكتاب دويا هائلا بين علماء عصره المسلمين وغير المسلمين اذ كان الاعتقاد السائد أن جالينوس لا يخطيء وأنه منزه عن النقد وأن أقواله حجة مسلم بها .. ولكن الرازي استطاع اثبات كل آرائه بالحجة والبرهان العلمي والعملي ..

وقد أصيب الطبيب الرازي بالعمي في آخر حياته .. وقد سئل كيف لم يستطع مداواة نفسه وخاصة أنه كتب عن أمراض العيون وعلاجها .. فكان في رده علم غزير .. فقد ذكر أن اصابته بالعمى هي ما يسمى بالماء الأبيض وأنه يعلم أن دواءه الوحيد عملية جراحية . ولكنه كان لا يجد في أطباء عصره من يبزه علما وخبرة ولذلك آثر أن يبقى على حاله عن اجراء الجراحة ..

ومن أعظم انجازات الرازي مصنف في آداب مهنة الطب ضمنه أخلاقيات مهنة الطب في الاسلام وكل نصائحه الى الأطباء وطلبة الطب بل وأيضا الى المرضى في

علاقتهم بالطبيب .

التشريح عند المسلمين

من المعروف ان جميع الشرائع السماوية تحرم التمثيل بالميت كما تحرم نبش القبور .

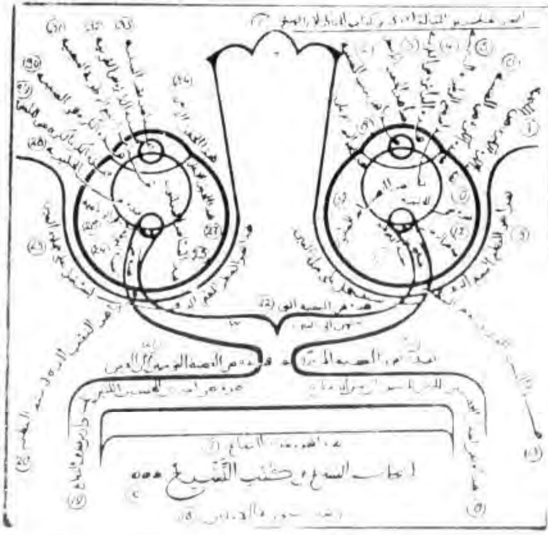
ولكن في الاسلام قاعدة تقول : ان الضرورات تبيح المحظورات وان ما لا يتم الواجب الا به يصبح واجبا .

فاذا كان التشريح ضرورة للمساعدة في اكتشاف جريمة قتل كما هو الحال في الطب الشرعي .

او ضرورة لتشخيص سبب الوفاة من مرض فتاك بقصد انقاذ الاحياء من نفس المصير كما هو الحال في الاوبئة الفتاكة .. فهذا يدخل تحت هذه القاعدة . وهذا هو الطبيب والفيلسوف المسلم ابن رشد يقول عن التشريح بالحرف الواحد .. « ان الذي يعرف التشريح جيدا ويعرف علم وظائف كل عضو في الجسم فأن ايمانه بالاعجاز الالهي لا بد ان يزيد » وقد جاء في كتاب فردوس الحكمة ان اطباء المسلمين كانوا يتعلمون التشريح على القرود .

وجاء في كتاب « طبقات الاطباء لابن اصيبعة ان الخليفة المعتصم سنة ٨٣٦ هـ قد أمر واليه على النوبة ان يمد اطباء المسلمين بحاجتهم الى نوع معين من القرود شبيه في جسمه واعضائه بالانسان وقد امر ببناء مركز خاص للتشريح على ضفاف نهر دجلة .. وكان يشرف على هذا المركز الطبيب المعروف « بوضد ابن ماسوية » .

ولم يخل كتاب من مؤلفات المسلمين في الطب مثل الحاوي للرازي والقانون لابن سيناء من باب مستقل عن التشريح توصف فيه الاعضاء المختلفة بالتفصيل وكل عضلة وعرق باسمه . وكان الرازي يمتحن المتقدمين للأجازة الطبية في التشريح اولا .. فاذا لم يعرفوه جيدا رفض امتحانهم على المرضى .



وقد كان المسلمون يعتمدون اول امرهم على ما كتبه الاغريق في التشريح ولكنهم اكتشفوا عن طريق التشريح الفارق الكبير من الاخطاء في علوم اليونان .. فأبتدءوا الاعتماد على انفسهم وكان اعظم اكتشافاتهم في هذا المجال هو الدورة الدموية لابن النفيس .

الجراحة والتخدير في الطب الاسلامي

يقول المثل الدارج « اذا كان الس...



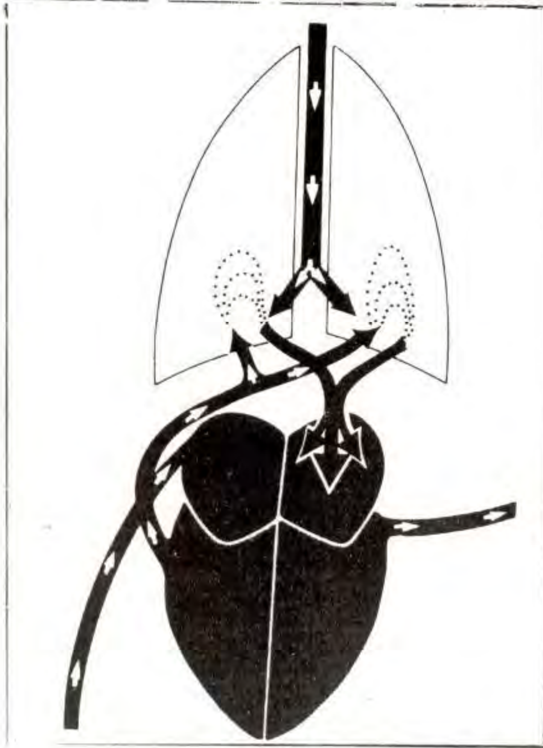
● تشريح الجهاز التنفسي

الباطني يتطور في زمن السلم فان الجراحة وليدة الحروب .. ولم يعرف التاريخ امة كل حياتها وتاريخها جهاد وحروب وفتح كالأمة الاسلامية ..

ومن هنا كانت انجازات المسلمين في الجراحة مذهلة ومن المعروف في التاريخ ان المسلمين اول من اكتشف التخدير الكامل قبل الجراحة ولذلك قصة هامة :

فقبل الاسلام لم تكن الانسانية تعرف اي دواء مخدر او مغيب عن الوعي قبل الجراحة .. وكانوا في بعض الاحيان يضربون المريض على رأسه ليفقد الوعي او يسقونه كمية من الخمر حتى يخف الالم . وكان لذلك اخطاء جسيمة .. وعندما ذهب وفد الاطباء الى رسول الله يسألونه عن الطب في الاسلام طلب بعضهم منه ان يأذن لهم باستعمال الخمر كمخدر قبل الجراحة .. فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عنها وقال لهم : « انها داء وليست دواء .. وما جعل الله شفاء امتي فيما حرمه عليها » . ومن تلك اللحظة ابتدأ المسلمون البحث عن دواء مخدر يغني عن الخمر فكانوا اول من اكتشف النبات المسمى « القناب العربي » المستعمل الآن في الجراحة .

واذا كانت السيوف العربية قد ذاع صيتها في التاريخ لصلابة معدنها وحدة شفرتها فان هذا يدل على تفوق المسلمين في صناعة الصلب والمعادن وهذا ما ساعدهم على التفوق في تصنيع الآلات الجراحية .. ويعتبر



● الدورة الدموية كما اكتشفها ابن النفيس

الطبيب الاندلسي ابو القاسم الزهراوي المولود سنة ٩٤٠ م زعيم الجراحين المسلمين وقد ظل وحيد عصره ورائد الجراحة في العالم حتى القرن السابع عشر الميلادي ..

لقد وصف الزهراوي في كتبه موسوعة كبيرة من آلات الجراحة معظمها من اختراعه وابتكاره .. واعطى وصفا دقيقا لكل آلة من ناحية الحجم والطول والمادة المستعملة فيها فمنها آلات من الفضة واخرى من الصلب وثالثة من النحاس .

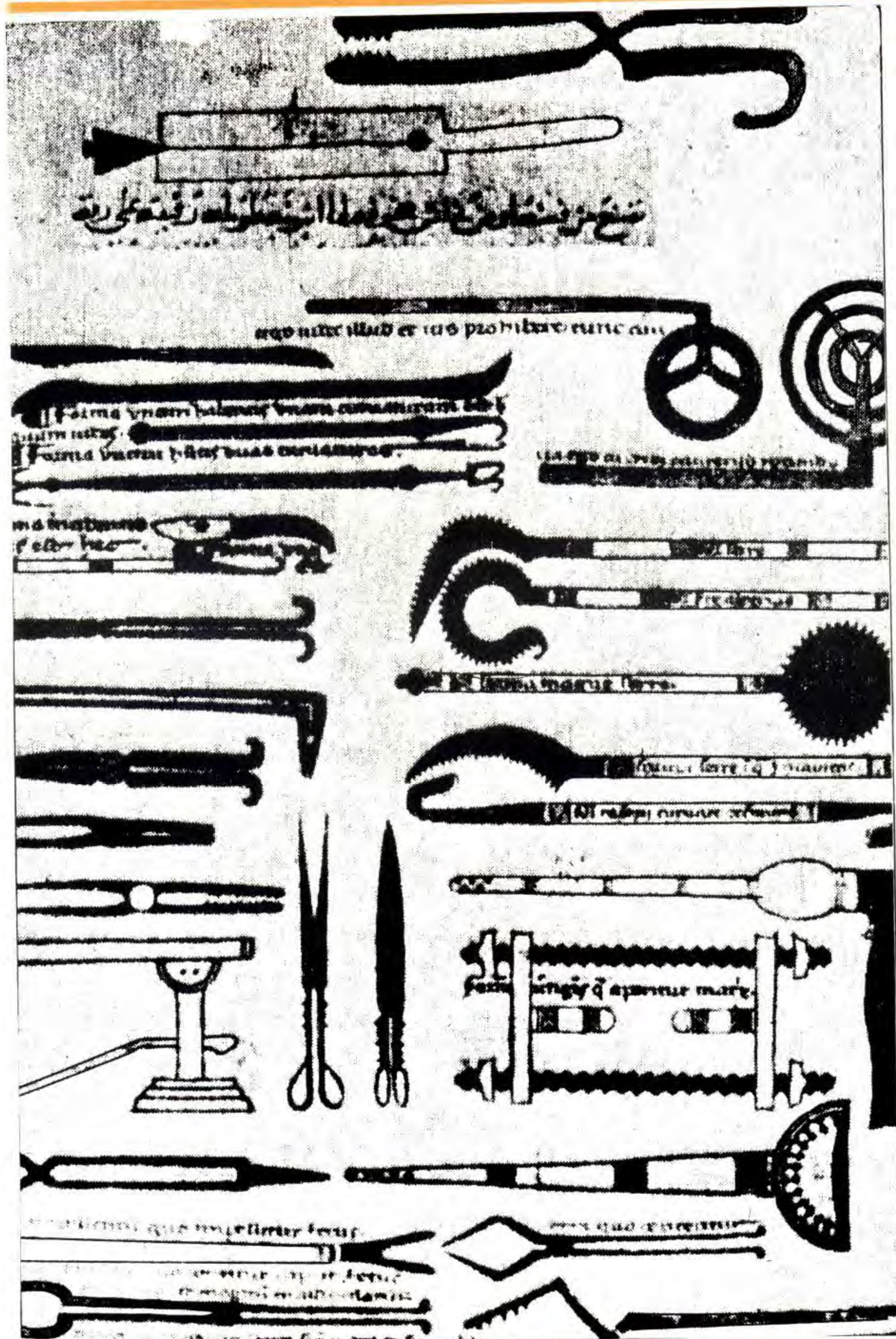
وقد ابتكر ابو القاسم الزهراوي والمعروف في اوروبا (بكاسيس) ابتكر عددا من العمليات لم تكن معروفة قبل عصره واكثرها يستعمل حتى عصرنا هذا كما جاء في كتبه .. فهو أول من استعمل عملية ربط الشرايين أو توصيلها واستعمل في ذلك خيوطا من جدار امعاء الغنم . كما انه أول من استعمل الحرير واوتار العود في خياطة الجروح .. وقد ابتكر عمليات استخراج الحصى من المثانة وعمليات قطع اللوزتين .. وهو أول من استعمل تقويم الاسنان بربطها بأسلاك من الذهب وهو اسلوب لم يعرفه الغرب الا في اواخر القرن العشرين .. واثناء الحروب الصليبية شاهد الاوروبيون عند احتكاكهم بالمسلمين .. شاهدوا معجزات الجراحة الاسلامية بالقياس الى تخلفهم الشديد . فكان ملوكهم لا يثقون الا بالاطباء المسلمين لعلاجهم واجراء الجراحات الكبيرة لهم .

وهذه الصورة التاريخية الموجودة في متاحف اوروبا اليوم تبين احد ملوك اوروبا وقد استدعى اطباء مسلمين لاسعافه واجراء الجراحة له ويرى الطبيب المسلم يفحص بوله في القارورة قبل الجراحة وقد عثر على هذا الرسم في قصر الملك تخليدا لذكرى الطبيب المسلم الذي أنقذ حياته فاصبحت اليوم ملكا للتاريخ .. ورمزا لفضل حضارة المسلمين على الغرب ..

المستشفيات الاسلامية

لقد عرف عن الدولة الاسلامية في عهود ازدهارها الاهتمام الشديد بمباني ومؤسسات الخدمات العامة كالمساجد ودور العلم والحمامات والاستراحات والمطاعم الشعبية ... ولكن اهتمامهم الاكبر كان بالمستشفيات وكانت هذه المؤسسات كلها تتسم بالنظافة والجمال معا . وذلك عملا بأمر الرسول الكريم : « ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة فنظفوا بيوتكم وافنيتكم » رواه الترمذي وتشير كتب التاريخ ان المسلمين أول من بنى المستشفيات في التاريخ وقد كان اول مستشفى تخصصي عرفته الدنيا الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٧ م في بغداد ثم بنى مستشفى ابن طولون سنة ٨٧٤ م ثم المستشفى المنصوري ، ولم يأت القرن الحادي عشر الميلادي حتى بلغ عدد المستشفيات في العواصم الاسلامية ٦٠ مستشفى وذلك قبل ان تعرف اوروبا المستشفيات بثلاثة قرون ..

ولم يكن بناء المستشفيات في الاسلام يتم الا بعد دراسة مبانية وتخطيط علمي دقيق تبينه هذه الحادثة التي يذكرها شيخ الاطباء الرازي في كتبه



● آلات جراحية من كتاب الزهراوي

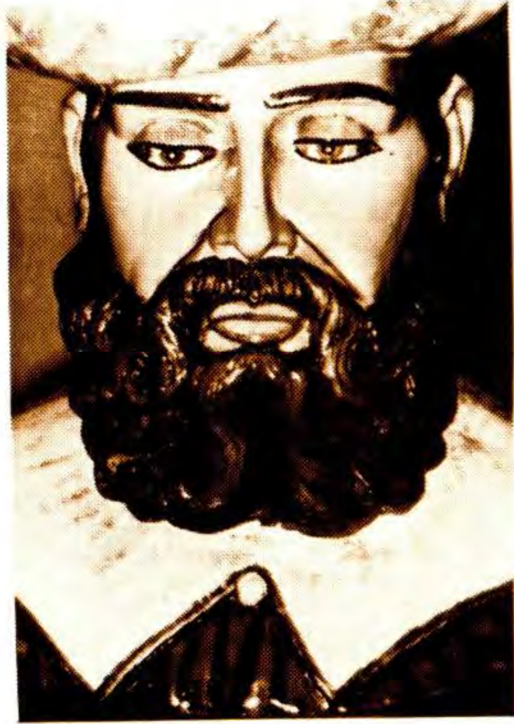


● الحمام (من وسائل العلاج الطبيعي في الطب الاسلامي)

في القرن التاسع الميلادي في عهد الخليفة المنصور .. فعندما طلب منه الخليفة الاشراف على بناء مستشفى ضخم في بغداد اشترى كمية كبيرة من اللحم . وقسمها الى عدة اجزاء واخذ يعلق في كل ضاحية من ضواحي المدينة قطعة من اللحم . ووضع عليها الحراس ليل نهار حتى لا يمسها طير أو حيوان أو انسان وكان كل يوم يمر على اللحم ويكشف عليه ويأخذ منه عينة يفحصها فى مختبره . والموضع الذي لم يتعفن فيه اللحم اعتبره اصلح المواضع للمستشفى لأن ذلك معناه نقاء هوائه وصلاحيته للاستشفاء .

البيمارستان

كان العرب أول الأمر يطلقون على المستشفى اسم البيمارستان وهي كلمة فارسية معناها « مكان المرضى » ثم غيروا الاسم الى



● ابن سينا

« المستشفى » أي مكان طلب الشفاء وفي أوروبا كانت المستشفيات عبارة عن ملاجئ عامة للفقراء والمعوزين والحجاج الى جانب المرضى . وكان الهدف منها الاحسان والايواء أكثر من الطب والعلاج ولذلك كانت تسمى Hospital وهي كلمة مشتقة من Hospitality أي الكـــرم والمعونة . ويعطينا المؤرخ الكبير ابن بطوطة في القرن الخامس عشر الميلادي وصفا للمستشفيات التي زارها في العواصم الاسلامية مثل غرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد . وكـــان أكبرها « المستشفى الأكبر المنصوري » . الذي بني سنة ١٢٨٤ م والذي انفق على البناء وحده ثلاثة آلاف الف « أي ٣ ملايين » دينار . كانت المستشفيات الاسلامية بالمجان لجميع الناس غنيهم وفقيرهم ..

والمسلم والذمي .. والرجال والنساء .. والأبيض والاسود لا تفرقة بينهم .. وكـــانت بها اجنحة متخصصة للعيون والجراحة والحميات والأطفال .. كما كان فيها جناح خاص للمسنين فقد كان المسلمون اول من وضع قواعد « علم طب المسنين عملا بأوامر القرآن وكان على الجناح هذه الآية الكـــريمة : **(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)** الاسراء/ ٢٤ وكـــان يتبع المستشفى مطابخ ضخمة توزع الطعام على المرضى حتى بعد خروجهم الى بيوتهم وكان بها صيدليات وقاعة محاضرات للاطباء ..

وكان المسلمون يهتمون جدا بنفسية المريض ومعنوياته في المرض .. فكان في الصباح يأتي المقرئون ليقرءوا عليهم القرآن .. ويفقهوهم في الدين .. وفي المساء تحضر الفرق المـــوسيقية لتعزف موسيقى ترفيهية وفي الليل يحضر عازف على آلة منفردة للمساعدة على النوم . وكان المريض الفقير منذ لحظة دخوله المستشفى يعطي راتبا من الدولة حتى لو لم يكن موظفا فيها وذلك لينفق منه على أولاده ..

فاذا غادر المستشفى زاد الراتب طوال فترة النقاهة حتى لا يضطر الى العمل قبل اكتمال صحته . والمسلمون أول من بنى المستشفيات للمجانين والامراض العقلية والمتخلفين عقليا في وقت كانت أوروبا تضع الحديد والقيود في أيديهم وأرجلهم ويضربونهم

بالسياط ، لكـــي يخرج الجن من أجسادهم ويحبسونهم في قبو مظلم في البيوت . وقد كان بعض الخلفاء يزورون المجانين في المستشفيات بأنفسهم من باب الرحمة والاشراف على رعايتهم .

وقد كان المسلمون أول من أنشأ العزل الصحي للأمراض المعدية وذلك عملا بأمر الرسول الكريم « لا يورد بمرض على مصح » (رواه مسلم) أي لا يجوز أن يختلط المريض بمرض معد بغيره من الاصحاء ..

وفي أجنحة الحميات كان الجو يلطف بنافورات المياه التي تعمل ليل نهار .

أول رخصة طبية عرفتها الانسانية

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » فهذا الحديث النبوي الكـــريم اول اشارة في التاريخ الى وجوب مراقبة محترفي مهنة الطب وعدم السماح لمن ليس لديه علم أو خبرة أو المشعوذين والدجالين بالاضرار بالناس ..

وبناء على هذه القاعدة فقد كان المسلمون اول من عرف الرخصة الطبية وامتحان الطبيب قبل حصولة على اجازة العمل . وقد حددت اول رخصة طبية رسمية عرفتها الانسانية في سنة ٣١٩ هــ اي في القرن العاشر الميلادي على يد الخليفة المقتدر .

ولم يكن امتحان الاطباء أمرا سهلا أو هينا .. وهذا هو شيخ الأطباء المسلمين الرازي ، يضع قواعد امتحان الطبيب فيقول : « يمتحن



● مستشفى قلاوون

طالب الطب أولا في كتب الطب التي وضعها الأولون واللاحقون .. ويمتحن في التشريح ومنافع الأعضاء .

فاذا لم يكن لديه علم بذلك كله ، فلا حاجة بك أن تمتحنه على المرضى »

ولم تقتصر الرخصة الطبية على الأطباء وحدهم .. بل تعدتهم الى الصيادلة .. ففي عهد الخليفة المأمون جاءه طبيبه وكبير أطباء الدولة يشكوان اليه من أن بعض الصيادلة « وكانوا يسمون العشابين » يعطي المريض اي دواء من عنده دون التزام بالوصفة التي يكتبها الطبيب « وكانوا يسمون الوصفات بالأنعات » .

فأراد الخليفة ان يمتحن الصيادلة بنفسه وامر طبيبه ان يكتب عدة وصفات باسم (سقطينا) ولم تكن سقطينا هذه كلمة طبية بل اسم ضيعة للخليفة . وذهب رسل الخليفة بالوصفات الى الصيادلة فبعضهم قبض الثمن وأعطى أي دواء من عنده والآخرون قالوا انهم لم يسمعوا بهذا الدواء ومن ذلك اليوم أمر الخليفة بامتحان الصيادلة ومنع الذين غشوا الدواء من مزاولة المهنة .

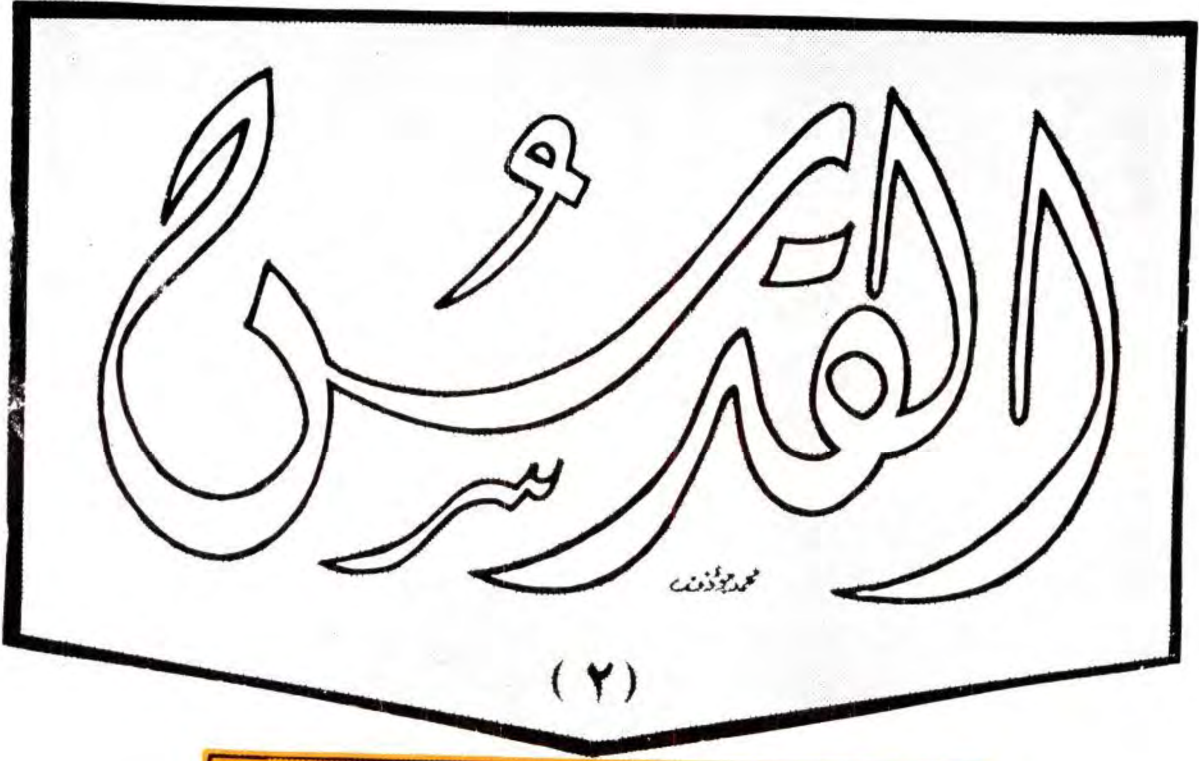
الطب الاسلامي يزحف على اوروبا

وفي القرن الحادي عشر الميلادي تأسست أول كلية للطب في أوروبا في مدينة سالرنو بايطاليا .. وكـــان مجلس ادارة هذه الجامعة يتألف من أربعة أساتذة أولهم عربي مسلم والثاني تركي مسلم والثالث يهودي من العالم الاسلامي والرابع مسيحي روماني .

وبدأت أول نهضة في أوروبا أثناء احتكـــاك الصليبيين بالمسلمين في الحروب الصليبية .. فقد عرف ملوك أوروبا قيمة تفوق العرب وأمروا بترجمة جميع كتبهم من العربية الى اللاتينية أولا ثم الى كافة اللغات الأوروبية ..

وكان التدريس في كليات الطب في أوروبا حتى القرن ١٥ الميلادي يعتمد على كتب الرازي وابن سينا وابن النفيس وغيرهم ..

ومع افول نجم الامبراطورية الاسلامية بعد أن ظلت تحمل مشعل العلم ثمانية قرون متوالية .. انتقل العلم العربي الى الغرب .. وهكـذا حال الدنيا .. لا تدوم على حال فهل آن الأوان لكي يقوم المسلمون من سباتهم الذي مضى عليه أربعة قرون . هل يعودون الى سابق امجادهم .. هل يعودون الى حمل شعلة العلم والنور كهداة للانسانية وقادة للبشرية الى الخير والرخاء .. هذه هي رسالة الأجداد الى الأحفاد .. وهذه هي أوامر دينهم الحنيف .. يأمرهم بالعودة الى العلم كما بدأوا به ..



(٢)

تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الاسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي اعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

كان لمدينة القدس في التاريخ أسماء كثيرة اقدمها يبوس نسبة الى اليبوسين بناة القدس وهم بطن من بطون العرب الاوائل نشأوا في الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها واستوطنوا هذه الديار سنة ٣٠٠ قبل الميلاد .

وكان اسمها عندما فتحها المسلمون أيلياء أو ايليا ومعناه بيت الله ... وقد ورد هذا الاسم في وثيقة الامان التي اعطاها عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه لسكان المدينة ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايليا من الامان اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها ان لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن ايليا معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا الروم واللصوص ومن خرج منها فانه آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن احب من اهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض .

فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى اهله فانه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى

ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص .

وقد سمي هذا الكتاب الذي كتبه عمر لاهل القدس (العهدة العمرية) نسبة الى العهد الذي اعطاه عمر على نفسه بان ينفذ الوعود التي استمل عليها الكتاب وقد جاء في خاتمة الكتاب العبارة التالية : « وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله والمؤمنين ».

واذا تأملنا في هذه العبارة نجدها ارتباطا رائعا بالعقيدة الاسلامية والتزاما قويا بمضامينها واحكامها والكتاب ليس معاهدة بين طرفين وانما هو عهد من طرف واحد هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بصفته خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين ومتضمن منحهم الامان على انفسهم وعلى اعراضهم واموالهم ومقدساتهم وعدم الحاق الاذى باحد منهم وليس في الكتاب كلمة توصي بانه اتفاقية بين طرفين .

دخل عمر بيت المقدس يوم الاثنين واقام بها حتى يوم الجمعة وصلى عمر في الحرم في مكان قريب من الصخرة الى الجنوب منها وطلب من بلال ان يؤذن وكانت اول مرة يؤذن فيها بلال بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تقديرا للمناسبة .

ولعل آذان بلال كان امرا مرتبا اظهارا لمكانة المناسبة وتعبيرا عن حرمة المسجد الاقصى الواردة في القرآن الكريم .

ثم عرفت المدينة في الاسلام ببيت المقدس

اخرج الامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتيت بالبراق يضع حافره عند منتهى بصره فركبته فسار حتى أتيت بيت المقدس .

واخرج الامام النسائي حديث الاسراء وفيه « ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبياء ».

وفي حديث قتادة في قول الله تعالى : « **فأينما تكونوا فثم وجه الله** » قال : كان المسلمون يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله بمكة قبل الهجرة وبعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام .

فهذه التسمية بيت المقدس او القدس كانت معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه اما تسميتها بايليا في العهدة العمرية فلا ينافي ذلك وقد يكون في ذكره تطيب لخاطر اهل البلد خصوصا انه اسم غير مستنكر لان معناه بيت الله .

اما الاسم الذي يستعمله الصهاينة للقدس وهو اورشليم فهو ليس اسم يتم عن اصل يهودي للمدينة وما هو الا تشويه للحقائق التاريخية التي دأب اليهود على اعتماده .

اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين
بقضية فلسطين والقدس الشريف

الغريب

مسرحية شعرية من فصل واحد وستة مناظر

للشاعر/ محمود عبد الغفار دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

(المنظر الاول)

القرود الثلاثة

خارج اسوار احدى المدن العربية القديمة وبجوار باب السور الضخم المغلق الذي يعلوه الحراس شاكي السلاح . ترتفع نخلة عجوز خاوية .
وقبيل غروب الشمس بقليل وبينما الليل البارد يقترب حثيثا . يتقدم شيخ طاعن في السن يدب على عصاه متجها ناحية أسوار المدينة .

الشيخ : (يردد وهو في سيره الوئيد ، بيتي الشعر المشهورين) :

مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

(يجلس الشيخ تحت النخلة الخاوية قرب السور ، كي يستريح من تعب الرحلة . وبعد أن يشرب جرعة ماء كانت معه .. يحمد الله .. ثم يلتفت ناحية سور المدينة المقفل في وجهه ، ثم يناجي نفسه قائلا) :

رعاك الله يا أمل ... فمنك الصبر والعمل
حكايات لنا عجب ... يشيب لهولها الحمل
شربنا المر ألوانا ... فقل لي كيف نحتمل ؟
يحارب بعضنا بعضا ... وضاع الرأي والخجل
كلاب الأرض تنهشنا ... متى ينهض لها رجل ؟
متى يشرق لنا صبح ... به الاحرار تحتفل ؟

(يفتح باب سور المدينة فجأة .. وتخرج منه ثلاثة أشباح في ثياب غريبة كأنهم قردة لهم ذيول يمشون في حذر نحو الشيخ ، حتى يقفوا أمامه ، ثم يبدأ استجوابهم له) :

القرد الاول : (يشير الى الشيخ بيده ويقول)
يا هذا الشيخ ، ألا قل لي ، من أنت ؟
الشيخ : (لا يرد عليه ولا يلتفت اليه) ..
القرد الثاني : (مهددا) **أجبنا أو تندم من أي طريق قد جئتم ؟**
الشيخ : (لا يجيب) ..
القرد الثالث : (متلطفا) **خبرنا عجل خبرنا فالليلة برد لا يرحم**
الشيخ : (يرفع رأسه ببطء نحو الثالث قائلا) **أنا في الزمان حكاية ، وسؤال .**
الاول : **حسنا**
الثاني : **... وما أصل الحكاية يا ترى ؟**
الشيخ : **يفني الزمان ، وما لها أمثال .**
الثالث : (وقد نفد صبره) **يا عم قل لي ما الحكاية ؟ نبِّنا**

(يجلس القرود الثلاثة امام الشيخ في شكل نصف دائرة)

الشيخ : (يلوح لهم بعصاه مهددا) .. **أنا لست عما للقرود وخالا**
الأول : (يلح في السؤال) .. **من أنت ؟**
الشيخ : (يتنهد قائلا) **غريب يا هذا .. قد جئت أفتش عن كبدي ..**
الثاني : (مستنكرا) **كبد مفقود ؟** (يضحك)
الثالث : (متعجبا) ... **يا عجبا ..** (يشارك الثاني الضحك)
الشيخ : (موضحا) **لا تعجب .. أعني ولدىّ**

الأول : (متعجباً) **ولداك ؟**
الثاني : (مستفهما) **وهل هربا ؟**
الثالث : (هازئا) **طبعا .. ما دام عجوزا عصبيا** (القرود الثلاثة يضحكون)
الشيخ : ١(ساخرا) **لم أبصر مثلك في دهري قرداً مغروراً وغبياً**
(يضحك القردان الاول والثاني فقط بينما يمتعض الثالث)
الأول : (مؤنباً زميله الثالث) **دعنا من لغوك يا هذا ..**
الثاني : (رابتا على كتف الشيخ) .. **وأجبنا يا شيخ أجبنا ..**
الشيخ : (متنهدا يكاد يبكي)

قلبي جـريـح والهمـوم ثقيلـة من ذا يعـين ؟ وكلنا غـربـاء
وئدت بصدري كل آمال الصبا وتفـرق الاحبـاب والابنـاء
والدار قد سلبت وشرد أهلها وتحكـم الاعـداء والجبنـاء

الثالث : (ساخرا) **الغزت ، وما جئت بشئ فلدينا ثمة أشبـاه**
الشيخ : (محتدا) **أشباهك أعـداء حياتـي وبلادي .. يلعنك الله**
الثالث : (مستنكرا غاضبا) **تشتمني ؟**
الشيخ : (يهز عصاه مهددا) **بل أكسر رأسك**
الأول : (يمسك بالعصى قبل أن تصيب زميله ، ثم يؤنب زميله قائلا)
أسكت من فضلك لا تنطق وكفانا لغوا تهـواه
(ثم يلتفت الى الشيخ قائلا) **أكمل قصتك بلا غضب .. أنا آذان**
الثالث : (يقاطع الاول ساخرا) .. **صماء** (ثم ينفجر ضاحكا)
الاول : (للثالث متوعدا) **قلنا أسكت ، أبدا لا تنطق**
(ثم يلتفت الى الشيخ قائلا)
أكمل قصتك وأمتعنا أنـا لحديثك اصغـاء
الثاني : (يستزيد الشيخ ليعرف بقية القصة)
كبدك مفقود وعرفنا فأزدنا يرحمك الله
الشيخ : (وكأنه يسترجع حادثة أليمة)
البنت ملاك مسحور .. ولهذا تدعى (حورية)
(وجهاد) ولدى اعصار .. تخشاه بحور غربية
الشيخ : (متابعا حديثه السابق)
خطفا بالغدر وساعدهم بالشرق عميل وخليه
الأول : (مستفسرا) **من هم ؟**
الشيخ : (يجيب وكأنه يسترجع الذاكرة)
أضيـاف غربـاء قد ضاعت مني الأسماء
الثاني : (متسائلا) **هل تعرفهم ؟**
الشيخ : (يحاول أن يتذكر ثم يجيب)

لا أعرفهم ، قوم غرباء   قد ضاعت مني الاسماء
أكرمت ضيافتهم زمنا

الثالث : (معلقا بسخرية) .. **سفـــه وغبـــاء**
الاول : (ينهر الثالث) .. **قلنا أسكت أبدا لا تنطق**
الشيخ : (يستمر في رواية ذكرياته الأليمة)
وغداة صباح العنه هب الجبنـــــــاء
ذبحوا الأطفال بلا سبب ، دفنوا الأحياء
الثالث : (مستنكرا) **ولماذا جئت لبلدتنا ؟**
الشيخ : (في تحدي) **ما شأنك أنت لتسألني ؟**
الأول : (يوضح للشيخ مهمتهم)
نحن الحراس لدولتنا   نحميها كيد الأعداء
الشيخ : (ينظر اليهم بسخرية ويقول)
أهلا بالأمن وصاحبه   فليهنأ جيش الاعداء
الثاني : (مستنكرا) **او تسخر منا ؟**
الشيخ : (متهكما) **حاشاني .. أن أغضب ذيل الوجهاء**
الثاني : (يفهم الشيخ الاجراءات التي تتبع عند دخول دولتهم)
ان كنت ستدخل دولتنا   فلنفحص كل الاشياء
الشيخ : (في ملل) **افحص ما شئت وخلصنا**

(يتولى الثالث عملية تفتيش امتعة الشيخ ، وفجأة يخرج قلما وكتابا من داخل حاجيات الشيخ ، يقلبهما بانزعاج وكأنه استخرج ثعبانا ساما ، ويصرخ)

الثالث : .. **ما هذا ؟ قل لي ما هذا ؟**
الشيخ : (باستغراب) **قلم ، وكتاب ..**
الثاني : .. **قلم ، وكتاب**
الاول : (في حزم) **ممنوع هذي الاشياء**
الشيخ : (متعجبا) **ولماذا ؟**
الثاني : (ينهر الشيخ قائلا) **اسمع ، لا تسأل .. سنصادر هذي الاشياء**

(يسلم الثاني القلم والكتاب للاول الذي يدخلهما في صدره ويقترب الثالث من الشيخ شارحا قوانين الدولة)

الثالث : **ما دمت غريبا فلتعلم قانون الدولة يا هذا ..**
الاول : (يشير الى الشيخ ويقول) **لا تسمع ..**
الثاني : (يقلد الأول قائلا)   **لا تبصر ..**

الثالث : (مقلدا الثاني) **ممنوع أن تتكلم**
(يكررونها مرارا وهم يرقصون حول الشيخ وكأنهم يرددون النشيد الوطني)
الشيخ : (متعجبا مستنكرا) **لا أسمع .. لا أبصر ممنوع أن أتكلم**
(ثم يسأل القرود الثلاثة صارخا) **ولماذا فمنا موجود** ؟
الاول : (يشرح له السبب الحقيقي لوجود الفم) .. **كي نأكل** ..
الثاني : (مكملا بقية وظائف الفم) **نشرب** ..
الثالث : .. **او نضحك** (يتضاحك القرود الثلاثة)
الاول : ... **لنقبل ثغرا ورديا** ..
الثاني : .. **لنعب كؤوسا** ..
الثالث : (يدفع الشيخ الواقف كي يسير معهم) .. **فتحرك** ..
الشيخ : (يقف ولا يتحرك ثم يسألهم) .. **ولساني** ؟
الاول : (واعظا) **تبلعه دوما** ..
الثاني : (ناصحا) .. **كي تسلم** ..
الثالث : (مرشدا زاجرا) .. **أو بتروا رأسك** ..
(يشير الى رأس الشيخ ممثلا حركة القطع)
الشيخ : (يواصل اسئلته لهم) .. **وعيوني** ؟
الاول : (يغمض عينيه ويقول) .. **تغمضها دوما** ..
الثاني : (معللا سبب النصيحة) .. **كي تنجو** ..
الثالث : (محذرا) .. **أو فتحوا قبرك** ..
الشيخ : (يضرب كفيه تعجبا مما يسمع ويقول) **عجبا ما اسمع** ..
الاول : (محذرا الشيخ) **لا تسمع**
الثاني : (مستدركا حديث زميله) .. **الا ما أمروا** ..
الثالث : (محذرا) .. **أو تهلك** ...
الشيخ : (صارخا مستنكرا ومشيرا اليهم باستخفاف وسخرية)
ما جئت لأسمع مهزلة لقرود الحكمة
الأول : (مقاطعا ومحذرا) .. **يا أحمق .. رفقا بحياتك فاسمعنا** ..
الثاني : (ناصحا) **تحيا في دعة** .. ..
الثالث : (مهددا) .. **أو تتعب** ..
الشيخ : (في سخرية) **أتسمي ما قلتم عيشا ، وحياة .. اني اتعجب**
الاول : (محذرا الشيخ وقد امسك بذراعه ليساعده على السير)
لا تعجب وادخل خلصنا
الثاني : (في نفاد صبر) **الليلة برد** ..
الثالث : (مشيرا الى الصحراء مهددا) .. **أو فاذهب** ..

يمشي الجميع بهدوء والشيخ يدب على عصاة مستندا الى ذراع القرد الثالث والشيخ يردد بيت الشعر المشهور :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

ويدخل الجميع باب المدينة) .

(المنظر الثاني)

السوق

الوقت ظهرا وسوق المدينة يعج بالناس المشترين والبائعين ، بالواقفين والغادين .. يلبس الناس اقنعة على العيون .. وكمامات على الأفواه .. وسدادات كالاقماع على الآذان .. كانهم مهرجون في (السيرك) .. يتبادلون البيع والشراء بالاشارات اليدوية فقط .. ولا ينطقون .. ولغير ما سبب يضربهم حراس السوق بالكرابيج .. فيضحكون .. لا يجرؤ احد منهم على الكلام او حتى البكاء .. فالبكاء ممنوع في هذا البلد .. قانون السوق الغش ربح وشطارة ، والصدق خيبة وخسارة .. كما تعلنه صراحة لائحة السوق المكتوبة بخط بارز وكل من في السوق من الرواد يبيع ويشتري في حركات بهلوانية ضاحكة .. لا تسمع الا الضحكات ، وصوت الكرابيج التي يلهب بها حراس السوق جلود من يحلو لهم من رواده ويقف الشيخ خارج السوق ، وقد عقدت الدهشة لسانه ، يفرك عينيه وكأنه في حلم مزعج ، لا يصدق ما يرى ولا يعرف له معنى ومنظر السوق بعجائبه مستمر كانه احد الافلام الضاحكة المبكية .. ثم يظهر القرود الثلاثة سالفو الذكر .. ويقفون وراء الشيخ تماما ، وكأنهم يتتبعون اثره ، ويرصدون حركاته وسكناته ..

الشيخ : (يسأل الحراس الثلاثة او القرود الثلاثة في دهشة) **ما هذا** ؟
« مشيراً للسوق »

القرد الاول : (ينهره مستنكرا) : **قلنا لا تنطق** ..

القرد الثاني : (متسائلا) **أنسيت أوامر دولتنا** ؟

القرد الثالث : (مذكرا الشيخ) **لا تسمع** ..

الاول : .. **لا تبصر** ..

الثاني : .. **ممنوع أن تتكلم** .

الشيخ : (مستنكرا) **لا أسمع** ؟.. **لا أبصر** ؟.. **ممنوع أن أتكلم** ؟
ولماذا هذا ؟ (يشير الى منظر السوق) **يا هذا** ؟
(يسأل القرد الأول)

الاول : (معلما) **في الدولة لا تسأل أبدا .. عن كيف ؟**
الثاني : (مكملا حديث الاول) .. **لماذا ؟**
الثالث : (مهددا متوعدا) .. **أو تعدم .**
الشيخ : (في الحاح ورجاء) **بالله عليكم ما هذا ؟**
الأول : (يعطي الشيخ ظهره ويكلم نفسه) **شيخ مجنون**
الثالث : **فليرجم .**
الثاني : (يقترب من الشيخ ويسأله) **أنسيت نصيحتنا العظمى ؟**
الاول : (يربت على كتف الشيخ ويقول له) **يا شيخ لنفسك فلترحم**
الشيخ : (متوسلا) **أرحمني أنت وأخبرني ما أبصر حقا ، أم أحلم**
الأول : (متعجبا) **تتكلم ؟ تبصر ؟ ثانية فمتى يا هذا تتعلم ؟**
الشيخ : (متحديا) **ان لم استفهم يا هذا فمحال يوما أن أفهم .**
الثاني : (متأففا) **الحفت والححت كثيرا أف لعنادك يا أرعن !!**
الثالث : (يعلق ساخرا) **خرف ، مجنون ، وعنيد**
سيموت قريباً أو يندم !!

الشيخ : (صارخا في ضراعة وهو يشير الى منظر السوق)
بالله عليكم .. ما هذا ؟
الأول : (يجيبه في يأس) **السوق .. السوق .. فلا تسأل !!**
الشيخ : (متعجبا) **هل هذا سوق أم ...**
الثاني : (مقاطعا مستنكرا) .. **ماذا ؟**
الثالث : (ينهر الشيخ) **السوق أمامك .. لا تسأل ..**
الشيخ : (يفكر قليلا ثم يسأل مترددا أول الأمر ثم تنهال اسئلته كالسيل ، والقرود من جنونه تتعجب ......)
حسناً ، ولماذا يضربهم هذا الشرطي ؟ ولا يرحم
ولماذا يضحك من ضربوا ظلما ؟ أو سرقوا ؟ لا أعلم ؟
ولماذا وضعوا أقنعة ؟ وأشاروا همساً ؟ لا أفهم ؟
ولماذا لا يبكي أحد ؟ أو يصرخ من ظلم أبكم ؟
هل صم ؟ عمى ؟ أم خرس ؟ هل هذي سوق ؟ أم مسلخ
كابوس هذا ؟ لا أدري هل أبصر بشراً ؟ أم ...

الأول : (وقد عيل صبره مقاطعا) .. **ماذا ؟**
الشيخ : (في هستيرية)

هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟

الثاني : (مذكرا) **في الدولة لا تسأل أبدا ، عن كيف** ؟
الثالث : (مكملا كلام الثاني ومهددا) .. **لماذا** ؟ **أو تعدم** ؟
الأول : (يحاول ان يفسر الأمر للشيخ بالتدريج)

أقنعة السوق مقدسة كي يسهل ربح او مغنم
الثاني : (مكملا) **والحزم ضروري جدا حتى لا ينكص من يغرم**
الثالث : (مؤكدا) **وبكاء الخاسر مضيعة للوقت ومن سرقوا أعلم**

الشيخ : (معلقا في سخرية) **هل هذي سوق أم مسـلخ** ؟
الأول : **لا فرق هنالك يا هذا** ..
الثاني : (متعجبا) **فعلام بربك لا تفهم** ؟
الشيخ : **ولماذا الضحك** ؟ **ولا كلم** ؟ **والهمس يدور ، ولا أفهم** ؟
الأول : **أسرار السوق مقدسة .. والضحك دواء** ..
الثاني : (يكمل حديث الاول) **بل بلسم** ..
الثالث : (مذكرا بعقوبة الكلام) .. **والكلم بلاء لا يرحم** .
الأول : (يعود الى تذكير الشيخ) **أنسيت أوامر دولتنا** ؟
الثاني : (يردد كلمات القانون) **لا تسمع .. لا تبصر** ..
الثالث : (يكمل حديث الثاني) .. **ممنوع أن تتكلم** ..

(فجأة يقفز من داخل السوق رجل يصرخ ثم يخلع قناعه ويرميه على الارض .. وحراس السوق توسعه ركلا وضربا ولا يساعده احد بل يقفون جميعا يتفرجون على المنظر الوحشي ، كأنهم خشب مسندة ، او تماثيل لا روح فيها) ..

الرجل : (يصرخ متألما ويقول)
سرقوني ؟ **غشوا .. لن أسكت** .. **سرقوني** ؟ **غشوا** ؟ **لن أسكت** ؟
الشرطي الأول : (وهو ينهال على الرجل ضربا) **مجنون أسكت**
الشرطي الثاني : (وهو يساعد زميله في الضرب ثم يضع يده على فم الرجل)
لا تنطق !

الشرطي الثالث : (يصرخ مهددا الرجل) **عكّرت الأمن بلا سبب** !
الشرطي الأول : **وخلعت قناعك يا أحمق**
الشرطي الثاني : **ونطقت الفحش علانية**
الشرطي الثالث : (يواصل ضرب الرجل) **ستنال جزاءك** ..
الشرطي الأول : (وهو يواصل الضرب) .. **بل يسحق** ..

الشرطي الثاني : (يأمر زميليه) **جروه إلى السجن جزاء**
الشرطي الثالث : (وهو يقتاد الرجل الى خارج المسرح)
« **محكمة الشعب** » **غدا تعقد** ..
الشرطي الأول : (يقرر في زهو وخيلاء)

والعدل سيأخذ مجراه والفتنة تقتل أو تحرق ..

يقتاد رجال الشرطة من حرس الاسواق الرجل خارج المسرح والكل « كوت .. والصمت رهيب .

القرد الاول : (يسأل الشيخ مهددا) **أرأيت العدل وشرعته ؟**
الشيخ : (ساخرا) **هل هذي سوق ؟ أم غابة ؟**
القرد الثاني : (يستنكر سؤال الشيخ) .. **هل تسخر ؟**
الشيخ : (يعلق في سخرية) .. **أبدا** .. **بل أهذى**
القرد الثالث : (ساخرا) **مجنون أحرق أعصابه**
الأول : (ينصح الشيخ)
يا هذا لا تسأل أبدا عن شيء تجهل أسبابه !
الثاني : (هامسا في اذن زميله)
في ظرف ثلاثة أيام راقبه سنعرف أصحابه
ما جاء ليبحث عن ولد ..
الثالث : (مؤكدا) **وقريبا نكشف ألعابه** ..

(اثناء حديث القرود ينفض السوق ، ويهبط الظلام تدريجيا .. ولا يبقى في دائرة الضوء الخافت غير الشيخ والقرد الأول فقط اللذان يدور بينهما الحوار التالي) :

القرد الأول : **هيا يا شيخ بنا نمشي كي نأكل شيئا أو نشرب**
الشيخ : (لا يسمع كلام القرد الاول ثم يحدث نفسه بصوت مسموع وكأنه يسترجع ذكريات طفولته **يقول** : **قد صدقت امي اذ قالت**
(يحاول ان يتذكر ما قالته امه)
القرد الاول : (يسمعه فيقول ساخرا) **أسمعنا حقا ما قالت**

(فجاة وتظهر امراة وقورة تهدهد طفلا وتقول له بصوت واضح عميق ومؤثر ، الأبيات التالية بينما الشيخ والقرد الاول يستمعان الى كلماتها في خشوع تام) :

الأم :

الـدنيـا يـا ولـدي غـابـة — نـعـم وذئـاب وثـابـه
وقطيـع ضـل بـلا راع — ورعـاة بـاعـت اسـلابـه
وقطيـع بيـع لجـزار — وقطيـع الّـه قصـابـه
وقطيـع سمنـه الـراعـي — للـذبـح بحـرب خـلابـه
وقطيـع شتتـه فـزع — مجـهـول زلـزل ألبـابـه
وكـلاب الصيد بهـا انتشـرت — والكـفـر يمـارس الـعـابـه
وفخـاخ الـغـدر منـوعـة — وبحـور دمـاء منسـابـه
وبـغـاث الطـير مـغنيـة — لليـل أغـانـي مـرتـابـه
وقـرود تـرقص في فـرح — للمـوز ، وأخـرى جـلابـه

القرد الاول : (يشير الى الشيخ في غضب)
أمك تشتمنا يا هذا — سحقا لا مرأة كذابة

(تختفي الأم تاركة القرد الأول والشيخ يتحاوران) :

الشيخ : (معترضا على سب القرد لأمه) **ما كانت أمي كذابة**
من قال الصدق فملعون — مجنون حطم أعصابه
القرد الأول : (آمرا وقد عيل صبره من الشيخ)
قم فأمش بنا وكفى لغوا — هيـا نتجـول في الغابة

(يدب الشيخ على عصاه في خطوات رتيبة يتبعه القرد الاول ، والشيخ يردد بيته المشهور :

مشينـاهـا خطى كتبت علينـا — ومن كتبت عليه خطى مشاها .



(يتبع)



محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق

ارسل الينا الاستاذ الشريف مأمون أبو الوفا كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص وفيرة ، ومحامد كثيرة جعلته أفضل الخلق على الاطلاق ، وأرفع الناس درجة ، وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السر وأخفى ، وفضله على خاصته وأحبابه ، وأعلى في الدارين مقاله ومقامه وحسبك شاهدا على ذلك ما يلي :

(١)أتاه الكمال في الخلق والخلق والأقوال والأعمال : فجمله بالسكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم : وكساه حسن القبول ، فاستمال القلوب ، وانقادت النفوس لموافقته ، وثبتت على محبته ومناصرته . وأمده برجاحة العقل وصدق الفراسة ، ومنحه زهدا في الدنيا وإعراضا عنها ، واكتفاء بالبلاغ منها ، وتواضعا للناس وهم له أتباع ، وخفض جناحه لهم وهو فيهم مطاع ، وكساه الحلم والوقار ، فما هزه طيش ، ولا استفزه خرق . وافاض عليه العلوم الجمة الباهرة ، والحكم البالغة ، وجعله أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا ، وأوجزهم كلاما ، وأجزلهم ألفاظا

(٢) ان الله جل شأنه خصه بخمس لم يعطهن أحدا من خلقه : تأمل مارواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل . ونصرت بالرعب مسيرة شهر . وأعطيت الشفاعة » رواه البخاري .

(٣) ان معجزة كل نبي تصرمت وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين – وهي القران الكريم – باقية إلى يوم الدين .

(٤) إن الله تعالي أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده ، أن يؤمنوا به وينصروه .

قال تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من**

الشاهدين) ال عمران / ٨١

(٥) إن الله تعالى أثنى على خلقه صلى الله عليه وسلم : فقال : (**وإنك لعلى خلق عظيم**)القلم / ٤ وهذا غاية الثناء .

(٦) إن الله جل شأنه أخبر أنه وملائكته يصلون على النبي ، وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه . وليس هناك شرف ورفعة فوق هذا :

(٧)إن الكتب القديمة السالفة حوت من البشائر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما لا سبيل إلى إنكاره .

(٨) إن الكهنة انقطعوا عن مبعثه ، كما انقطع استراق السمع . وفي هذا قضاء على الدجل والشعوذة وإماتة الشرك الخفي .

(٩)إنه أوتي الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ، وأن الله حفظ كتابه المنزل عليه من التبديل والتحريف . فقال جل شأنه :(**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** فصلت /٤٢

أضف إلى ذلك أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه . قال تعالى : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر /١٧ . وما عرف ذلك لكتاب غيره . وأنه مشتمل على جميع ما اشتملت عليه التوارة والانجيل والزبور .

(١٠) ان الله أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)** الحجر /٧٢ . والاقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزته عند الله العزيز الحكيم .

(١١) ان شريعته أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة .

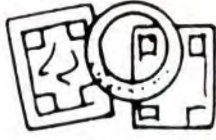
فقد كانت شريعة موسى عليه السلام شريعة جلال وقهر . أمروا بقتل أنفسهم وحرمت عليهم الشحوم وذات الظفر وغيرها من الطيبات ، وحرمت عليهم الغنائم وعجل لهم من العقوبات ما عجل ، وحملوا من الأصار والاغلال مالم يحمله غيرهم

أما عيسى عليه السلام فكان في مظهر الجمال . وكانت شريعته شريعة فضل واحسان لا يقاتل ولا يحارب . تأمل قول الانجيل : « من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك » .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع للقوة والعدل والشدة في الله ، واللين ، والرأفة ، والرحمة ، فشريعته أكمل الشرائع ، وأمته أكمل الأمم وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات . ولذلك أتت شريعته بالعدل فرضا ، وبالفضل ندبا ، وبالشدة في موضع الشدة ، وباللين في موضع اللين :

هذه أمة ، أمة جعلها الله خير أمة أخرجت للناس فكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الأمم . كما كمل لنبيهم الكريم من المحاسن ما فرقه في الانبياء قبله . وكما كمل في كتابهم من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله . فأتباع محمد هم المجتبون .

قال تعالى :(**هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج /٧٨ .



حول مقال « الصحبة المؤمنة »

جاء في مجلة الوعي الاسلامي الغراء العدد ١٩١ مقال (الصحبة المؤمنة) للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة .

والمقال من المقالات الجديرة بأن نقرأها بتمعن لنلمس القوة الايمانية التي كان يتمتع بها الصحبة الأبرار . وقد جمع مقال كاتبنا الكبير من الحقيقة والابداع الجمالي في تبيان أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخذوا بالخلق العظيم في كلمات وجيزة فيها النفع الكثير . ولكن هناك كلمة أحببت أن أنبه اليها .

فقد جاء في المقال (شأن القرآن كله في أساليبه الساحرة) فوصفه أساليب القرآن بالساحرة وصف لا يليق بالقرآن الكريم لأن هذا الوصف تفوه به المشركون فقالوا ان هذا الا سحر يؤثر .

أرجو أن يسعني حلم كاتبنا الكبير .

هذا ما رأيت بيانه وشكرا .

مصباح درويش
الشامية قطعة ٨ ـ الكويت

لا نفرق بين أحد من رسله

قرأت ما نشر على صفحات « الوعي الاسلامي » في عدد شوال ١٤٠٠ هـ مقالا تحت عنوان (قم للمعلم وفه التبجيلا) للأخ حلمي السيد محمود ـ ولا ريب أن ما كتبه جهد مشكور ، وتوجيه محمود ، لكني وددت أن أشير الى شيء هام يتعلق بما أورده عن « الخضر » و« موسى » على نبينا وعليهما السلام فقد تحدث الكاتب عن التلميذ موسى والأستاذ الخضر !! ولعلي أخالفه الرأي فموسى الكليم من أولي العزم وقد بوأه الله مكانته السامقة فكلمه . ولا ينقص من مكانته أن يطلب العلم من مثله ، فهو يقول لأخيه (**ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا**) ليعلم طلاب العلم (الصبر والطاعة) فبهما ينتقل العلم من النظرية الى التطبيقية ، فلا علم الا وله عمل ، ولا عمل بلا علم ، وعلم « الخضر » من الله (**وعلمناه من لدنا علما**) فلا دخل للبشرية فيه بلا شك ، ومعلوم أن العقل الانساني يجهل كليات

العلم المادي فكيف به لو تدخل في ما وراء « ناموس » المادة ؟ السفينة تخرق ولا يدخلها الماء .. انه وحي السماء للأرض وأمر المعبود للعبد ، والعبد قاصر عن تأويل أفعاله الا باتصاله بمدبر الأرض والسماء (**وما فعلته عن أمري**) فهو وصاحبه بل وكل الأنبياء سواسية ، وأنى لموسى أن يكون تلميذا ؟ وقد شهد « الخضر » له بالعلم .. ثبت في الصحيحين عن أبي بن كعب ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم « أن الخضر قال لموسى : انت على علم من علم الله ، لا ينبغي لي أن أعلمه ، وأنا على علم من الله لا ينبغي لك أن تعلمه » .

يقول تعالى : (**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**) البقرة/٢٥٣ . وتلاحظ أن الله قدم موسى .. أبعد ذلك نخاطبه أو نطلق عليه تلميذ لأنه جلس الى الخضر ..

وبعد : فهذا ما أردت بيانه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

عبد الجواد محمد الخضري
شربين ـ مصر

التصوير والنحت

السيد/ بن سوده محمد ـ حي الرميلة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .
والسيد/ غنيم عبد المقصود شهاب الدين ـ شبين الكوم ـ مصر .

يرجى الرجوع الى العدد ١٤٥ من مجلة (الوعي الاسلامي) صفحة ١٠٠ ففيه الاجابة الكافية عن رأي الاسلام في الصور والرسوم والنحت .

الاشتراك في المجلة

أرسل الى جميع القائمين على مجلة الوعي الاسلامي بالتحية والتقدير لما يقومون به من عمل في سبيل نشر الدعوة الاسلامية وأتساءل عن كيفية الحصول على بعض النسخ من الأعداد السابقة كما أحب أن أعرف بالتفصيل نظام الاشتراك في مجلة الوعي الاسلامي .

حسن محمد محمد محمود ـ مصر

تأسف المجلة لعدم وجود أعداد سابقة ونظام الاشتراك غير معمول به في المجلة وانما يمكنكم الاشتراك بواسطة الاتصال بأقرب موزع للمجلة وبيان الموزعين مطبوع على ظهر الغلاف الأخير منها .



اختتام الندوة الدولية عن الاسلام

○ توفير الحرية للأقليات الاسلامية بالدول غير الاسلامية .

○ الاسلام يقدم الحلول لكل المعضلات التي تواجه العالم .

كتبت صحيفة الرأي العام الكويتية في عدد رقم ٦١٣٥ حول الندوة الدولية عن الاسلام تقول :

انتهت الندوة الدولية عن الاسلام التي نظمها المؤتمر الاسلامي في اطار اليونسكو في باريس ، وشارك فيها عدد من الشخصيات الفكرية والدينية والعربية والاسلامية والدولية .

وأصدرت الندوة بيانا ختاميا جاء فيه « ان الاسلام بطابع رسالته الشامل يظهر للمؤمنين طريق الخلاص الأبدي ويقدم المقترحات التي يجب أن ترتكز عليها العلاقات الاجتماعية والدولية في عالم اليوم لايجاد حياة كريمة لكل انسان ، ومن هنا فان الشعوب الاسلامية تجد في السلام الوسيلة الفضلى لتحقيق تطلعاتها ومستقبل أجيالها في ضمان حقوق الانسان ، كما وأن الاسلام يقدم الحلول للمعضلات الدولية الراهنة ولا سيما في مجال التطور الاقتصادي كما وأنه يشجع التقدم العلمي والتكنولوجي .

وأشار بيان الندوة الدولية عن الاسلام ، في باريس الى ضرورة تمتين العلاقات بين الاسلام والعالم الغربي في الاحترام المتبادل رغم الاحتفالات التي يمكن أن تعترض مسيرة الجانبين ، وأكد البيان ضرورة توفير الحرية للأقليات الاسلامية المتواجدة في الدول غير الاسلامية ، وأن تقدم لها كافة الوسائل للحفاظ على أصالتها الاسلامية وهويتها الثقافية وأن تقدم التسهيلات لأبناء الجاليات الاسلامية في الغرب للحصول على ثقافة خاصة تؤهلها للاندماج في المجتمع الجديد الذي تتواجد فيه ، دون أن تفقد جذورها الروحية والثقافية . وتطالب الندوة الدولية ، الدول الغربية أن تعمل على نزع كافة الصور المنحرفة التي تقدمها وسائل الاعلام عن الاسلام ، وطالبت الندوة أيضا بمكافحة العنصرية التي تمارس بحق أبناء الجاليات الاسلامية في دول الغرب ، هذا وقد اقترحت الندوة أن يقدم المؤتمر الاسلامي كل عام

جائزتين ، الأولى لأحسن تحقيق في الصحافة المكتوبة أو المرئية عن الاسلام في أي دولة من دول العالم ، والجائزة الثانية لأحسن كتابة أدبية تتسم بالموضوعية عن حقيقة الاسلام وعلى الصعيد العلمي فان الندوة العلمية تشجع التعاون بين العلماء المسلمين والغربيين للعمل سوية لتصحيح الأخطاء السالفة والترجمات الخاطئة التي تمت بسرعة ، وتسيء الى معاني ما ورد في القرآن الكريم .

وطالبت الندوة ضرورة أن تقدم الدول الغربية ومنذ سن الدراسة وبصورة مباشرة لأبنائها فكرة ممتازة وصحيحة عن الاسلام .

الجهاد

في كلمة اوردتها مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالرباط قالت في عددها الخامس :

● من الحقائق التي يجب ان تعلو فوق كل الاعتبارات والحيثيات ، وتتجاوز الصراعات السياسية والايديولوجية الحقيقة المتصلة بقضية القدس الشريف ، وباعتبارها التحدي العقائدي والحضاري الذي ترفعه الصهيونية والشيوعية والصليبية والاستعمار في وجه المسلم المعاصر ايا كان موقعه ، ومهما يكن انتماؤه .

ولاول مرة في تاريخ المسلمين بعد العهد النبوي الشريف تلقى تبعة المواجهة الجماعية بهذه الكثافة والقدر الوافي من الالحاح والاستعجال . على كاهلنا جميعا .

● ومن اجل ذلك ، كان الاهتداء الى انشاء لجنة القدس ، بما تمثله من دلالات اسلامية عامة ، الخطوة الاولى الى التحرير الشامل باذن الله ، لانها جاءت استجابة لروح العصر التي تقتضي الخروج بالقضية من نطاقها الاقليمي والقومي الضيق الى مجالها الاسلامي العالمي الممتد عبر القارات الخمس .

ولقد اثبتت معطيات المراحل الاولى من العمل الاسلامي الموحد من اجل القدس الشريف ان ثمة حاجة ملحة الى تغيير اساليب المعالجة والتحرك والنظر الى القضية وما يحيط بها من ملابسات وان منطق رد التحدي بتحد اقوى واعنف يلزمنا بالانتقال الى الخطوط الثانية في الموقع الامامي ، وذلك حتى يشمل عملنا جميع الاطراف وينفذ الى الاعماق ويؤتي ثماره ان شاء الله . ومن ثم اتجهت الانظار الى الرصيد التاريخي الذي يفوق في قيمته واثره وتأثيره كل ما نملك من امكانيات

مادية ما ظهر منها وما بطن . ونقصد بذلك تراثنا الاسلامي الذي يلهمنا في مثل هذه الحالات باعلان الجهاد باعتباره الطريق الوحيد الذي لا طريق سواه للوصول الى المسجد الاقصى المبارك .

● وليس في الجهاد ما هو مقدس او غير مقدس . وانما الجهاد هو الاستنفار العام في سبيل الله وسعي في الارض لاعلاء كلمة التوحيد ، ولا يتأتي ذلك الا بتحرير اراضي المسلمين واسترجاعها الى دار الاسلام .

وفي عبارة تلائم ظروفنا ، فان الجهاد هو المعركة الكبرى الفاصلة لتحرير القدس تحريرا شاملا يردها الى اهلها المسلمين ويسترد سكانها بعودتها كرامتهم وعزتهم واعتبارهم الانساني .

وهو جهاد مقدس ما في ذلك شك ، لان كل عمل من هذا القبيل مقدس بالضرورة ، واعمال المسلمين التي تلتزم بشريعة الله كلها مقدسة

ان الامة الاسلامية تقف اليوم امام امتحان مصيري ، وبالجهاد تملك ان تتقدم وتقتحم وتسير ، وتحمي دينها وارضها وشرفها ، وتقي البشرية كلها من خطر الدمار الذي اوشك ان يتهددها ، بل اشرف على الانفجار .

وليست لنا رجعة عن القدس ، وجهادنا انما من اجل اولى القبلتين وثالث الحرمين ، اما الصورة العملية لهذا الجهاد فهذا من شأن اولى الامر فينا ، ولسنا نملك سوى الاستجابة والتلبية والجود بالارواح والاموال .

● ولعل الله سبحانه وتعالى اراد ان يكرمنا ونحن نتهيأ لاستقبال القرن الخامس عشر للهجرة باحدى الحسنيين : الشهادة او النصر .

وتلك وحدها ، الطريق الى القدس ، وما عداها سبل ومسالك تلتوي وتتشعب ولا تفضي الا الى الهلاك والمذلة والهوان .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
ابو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

إقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

المسجد النبوي الشريف

طباعة موسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم ا

١٩٧

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

لعدد ١٩٦ ● ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ● فبراير ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة
الوعي الإسلامي
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

صورة الغلاف

تحضير الأدوية من الأعشاب الطبيعية عند أطباء المسلمين قديما



كيف ندعو إلى الاسلام

الايمان بوجود اله خلق الخلق ودبر أمرهم عقيدة الاسلام التي يقوم عليها نظام كامل يتناول كل مظاهر حياة الانسان الأسرية ، والاجتماعية ، والدولية ، ومن ثم لا يمكن الفصل في حياة المسلم بين العقيدة الكامنة في ضميره المستقرة في قلبه ، والشريعة التي تحكم حياته .

وهذه الحقيقة قد رسمت خط سير الدعوة الاسلامية في عهد رسول الله ﷺ فكانت العقيدة والشريعة تسيران معا في تلاحم وثيق ، مما أدى الى قيام

المجتمع الاسلامي الذي يشرق ب
معاني السمو والتقدم والنهوض . ف
بدأ رسول الله محمد ﷺ دعوته
سبيل الله بتحرير الروح الانسان
من العبودية لغير الله فأنقذها م
وهدة الشرك ، وطهرها من عبا
الأصنام ، وأعدها لتكاليف الحي
الرفيعة التي خطط لها الاسلام .

ومهمة الدعوة الاسلامية
عهد رسول الله ﷺ هي مهمتها
كل عصر وفي كل بيئة ، عن طري
الكلمة الطيبة السديدة ، الت
تكون حياة الداعية الشخصي

ترجمة حية لها ، وبرهانا مؤيدا لمضمونها ، فلا يأمر بالبر وينسى نفسه ، ولا يقول ما لا يفعل .

ويجب أن يلاحظ الدعاة الاسلاميون أن الرسول ﷺ حين بدأ بالدعوة الى الله لم يكن في الجزيرة العربية حكومة مستقلة ، ولا أجهزة اجتماعية معينة ، ولم يكن بالعالم كله نظريات مقررة للحكم والاجتماع والاقتصاد كما هو الحال في هذا العصر .. فالعالم اليوم تحكمه نظريات اجتماعية مفصلة من صنع الناس ينشرها أصحابها ويقيمون أجهزة اعلامية لترويجها . ولذلك كان على الدعاة الاسلاميين أن يقدروا الظروف والملابسات التي تحيط بالدعوة الاسلامية ، وأن يضموا الى البدء بتكوين الفرد المسلم عقائديا وسلوكيا بيانا تفصيليا للحياة الاجتماعية كما قررها الاسلام ليتمكن بهذا البيان من الشعور بالفارق البعيد بين نظام الاسلام المحكم الذي تسعد بتطبيقه البشرية وبين تلك النظم التي تضطرب بها أوضاع الحياة في الأمم الآخذة بها ! فان ذلك يجعل المسلم الذي يتكون على هذا الأساس ينبعث انبعاثا ذاتيا الى تحقيق نظام الاسلام الأمر الذي يكسب الدعوة الاسلامية نجاحا وقدرة على تحويل النفوس الى الحق والاستعلاء بها عن الباطل .

والاسلام في هذا الزمن بحاجة الى دعاة فاقهين لرسالته عاملين بها ، يحسنون عرض أفكاره ومبادئه بأسلوب يتناسب وكل قوم ، فللعمال الكادحين خطاب يناسبهم ، وللماديين المنكرين لوجود الله خطاب يناسبهم . وهكذا يخاطبون الناس على قدر عقولهم يحدوهم لذلك قول رسول الله ﷺ : (خاطبوا الناس على قدر عقولهم) .

وعليهم أن يعتمدوا في أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن امتثالا لقول الله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

احتفال الوزارة



أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم بعد صلاة العشاء احتفالا كبيرا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف . وقد تقدم الحضور وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي ، ووكيل الوزارة والوكلاء المساعدون وكبار المسؤولين .

وقد ابتدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، بعد تقدمة موجزة من مقدم الحفل حول المعاني العظيمة لذكرى مولد الهدى محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ألقى وزير الأوقاف كلمة أثنى فيها على التاريخ العطر لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال أن مولد محمد صلى الله عليه وسلم غير وجه التاريخ وكان حدا فاصلا بين الجهالة والنور ، بين الظلمة والعدل .

وتحدث عن دولة الاسلام التي أنشأها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأثره الطيب في سائر أرجاء الدنيا معددا صفاته الخلقية ، وسيرته بين شعبه وعشيرته ، والشعوب التي دانت بالاسلام .

وفيما يلي نص كلمة معالي الوزير :

بالمولد النبوي الشريف

أحمد الله تبارك وتعالى الذي هدانا الى الايمان وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وأصلي وأسلم على صاحب السيرة العطرة والتاريخ الحافل بالأمجاد الخالدة سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وبعد ،

فاننا في رحاب ذكرى المولد النبوي الكريم نجتمع الليلة لنحتفل بحدث عظيم غير مجرى التاريخ حيث جاء مولد محمد صلى الله عليه وسلم حدا فاصلا بين ظلام الجاهلية ونور الاسلام .

نعم كان العالم يموج بالفتن المدمرة والعقائد الباطلة وكانت البشرية تتخبط في ظلمة الفوضى والجهل ، استبد الأقوياء بالضعفاء فسفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء وأتوا كل منكر بل ألغوا عقولهم فتركوا عبادة الخالق وسجدوا لأصنام لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع وفي هذا الجو الفاسد قدمت العناية الالهية الى البشرية الضالة والانسانية المعذبة محمدا صلى الله عليه وسلم ثم اختاره لهم مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبمنهج الله هدى الناس الى الطريق السوي وجمع القوى المتناثرة وألف بين القلوب المتنافرة ووضع موازين الحق والعدل ومبادىء التراحم والمؤاخاة وبذلك أسس دولة امتدت الى الصين شرقا والى الاندلس غربا تحكم بالقرآن وتعلن كلمة التوحيد « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

أيها الأخوة المؤمنون :

من حق صاحب الذكرى أن نذكر فضله الذي نشره وخلقه الكريم الذي تأثر به المجتمع وأن نذكر الرحمة التي كان باعثها والاخاء الذي

ربط به قوى الأمة والعدل الذي سهر من أجله والحلم الذي تميز به ، وكان طبيعة له ومع هذا مهما تحدثنا عن سيرته صلى الله عليه وسلم فلن نستطيع الاحاطة بجوانب عظمته لأنه كان صورة لأعلى قمة للكمال البشري .

وعلى امتداد قرون طويلة تحدث المسلمون في هذه المناسبة واستعرضوا جوانب العظمة المحمدية وأجادوا عرضها شعرا ونثرا ولكن الاقتصار على ذلك لا يمثل تكريم صاحب الذكرى فقد وافانا القرن الخامس عشر الهجري ورصيد الأحداث يزداد في حساب الأمة الاسلامية الأمر الذي يفرض على المسلمين أينما كانوا أن يحولوا الكلمات الى عمل بناء الى ايمان يحمي الأمة من الفرقة والضياع فبالايمان والعمل ننتصر على كل التحديات ونقهر الطامعين ونحرر الأرض والمقدسات في عزة واباء ، فلن يؤثر الكلام أمام عدو يستبيح الحق ولا يعرف الا منطق الحديد والنار . وماذا تصنع لغة الكلام لأرض محتلة وشعب مشرد ومقدسات سليبة ؟

أيها الأخوة المؤمنون :

مع اطلالة القرن الجديد كأني بالمسلمين بدأوا يتطلعون الى النجدة في لهفة ويتلمسون الطريق الى ساحة العزة والكرامة ، والطريق الى ذلك أن يتمسكوا بالذي أوحى الى نبيهم أن يحتكموا الى القرآن مؤمنين بأن خير تشريع ما جاء من عند الله ولقد جربوا تشريع البشر فوجدوا فيه الشر والضياع والمعاناة .

ان السير على منهج الله والحكم بما يراه الله ضرورة للحياة كلها ، ضرورة لسعادة الفرد ورقيه ، وللمجتمع لاستقراره وبقائه .

ان شريعة الله كونت أمة وأسست حضارة عاش العالم في ظلها أجيالا وقرونا يحس بسماحتها وينعم بعدلها ، ويوم أشرقت حضارة الاسلام في شرق الدنيا وغربها ، كانت أوروبا تعيش في ظلام التأخر والجهل ثم تنبهت الى هذا المد الاسلامي الزاخر بالعلم والمعرفة والمبادىء الانسانية فأرسلوا بعوثهم الى أقرب جامعة اسلامية اليهم وكانت في الأندلس ، تعلموا الطب والفلك والفلسفة والرياضيات ، تعلموا كثيرا من العلوم والمعارف على أيدي العلماء المسلمين هناك ، شهد بذلك كثير من المؤرخين والفلاسفة والمستشرقين وقرروا وهم على غير ملة الاسلام أن العلم وحده ليس هو الذي أعاد الى أوروبا الحياة بل أن مؤشرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة

الأوروبية .

أيها المسلمون :

بالأمس كنا سادة الدنيا و أساتذة العالم ثم أصبحنا في حاضر مؤسف أليم نطلب العلم ممن تتلمذوا على أسلافنا الأماجد . نستورد من الغرب صناعته و انتاجه ونطبق نظامه وشريعته وتعطلت فينا طاقات الانتاج وهي موفورة في قوانا البشرية والمادية . وبذلك استطاع المستعمر بأسلوبه الشرقي والغربي أن يخطط لاضعاف الأمة المسلمة واستطاع أن يستبيح حماها ويغتصب الخيرات ويدنس المقدسات وبالغزو الفكري فرض أنظمة وأشاع مفاهيم تشكك في صلاحية الاسلام وعمد المبشرون الى الدس والتزوير في ثقافتنا وتراثنا ، والطعن في قضايا الاسلام والمسلمين .

لقد أوقد أعداء المسلمين نار الفتنة بين صفوف الأمة حتى تفرقت الى شيع و أحزاب متناحرة وبقي على المسلمين أن يتنبهوا الى ما يراد بهم من خطر ودمار و أن يفتحوا الآذان والقلوب الى نداء القرآن « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

أيها الأخوة :

لا ينبغي أن نقف أمام الأحداث وقسوتها منكسي الرؤوس ، فنحن والحمد لله من سلالة أبطال لم يعرفوا الشعور باليأس والقلق وديننا يأبى الذلة والاستكانة وينشد العزة لاتباعه في قوة وايمان ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

أيها الأخوة المؤمنون :

مما يبشر بالخير لتصحيح مسيرة الأمة على درب الاسلام انعقاد المؤتمر الاسلامي على مستوى الزعماء والقادة في العالم الاسلامي في مكة المكرمة وفي رحاب حرم الله الآمن ، والى هذا التجمع الاسلامي تتجه القلوب ويتجدد الأمل في بدء مسيرة العودة الى منهج الله والحكم بما أنزل الله ، والعمل على وحدة الصف وجمع الكلمة وتناسى الخلافات وكل ترابط وتسامح واخاء وبصدق النوايا وصحة العزائم ننتزع من قلب الليل المظلم صباح فجر جديد ، كما علمنا صاحب الذكرى أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر



يسرا .

أسأل الله من فضله أن يردنا الى ديننا ردا جميلا وأن يهدينا الى الصراط المستقيم ، اللهم أعنا على أنفسنا وانصرنا على أعدائنا ووحد صفوفنا واجمع على الحق كلمتنا وانصر الاسلام وأعز المسلمين .

وفي ختام كلمتي أتقدم بالتحية والتهنئة في هذه المناسبة المباركة الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد والى سمو ولي عهده ، والى الشعب الكويتي الكريم والى العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها وكل عام وانتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

● ثم تحدث الدكتور عبد الله محمد تاليا حديث الوزير ومعددا ايجابيات الاسلام ومفهرسا ماهيته الدنيوية حيث استشهد بآراء بعض المستشرقين الأجانب ممن ناقشوا الاسلام بتعقل وتدبر وقد كان في ذلك عدة أطروحات علمية قدمت لجامعات غربية شهدت بسمو الاسلام وضرورته كبناء حضارة انسانية قويمة لا غنى عنها على مر التاريخ .. وفي كلمته وضح ماهية الاسلام بطابعها العملي في الدنيا والآخرة وكيف استطاع هذا الدين أن يثبت

معارف المساواة والحقوق بين الناس وأن يؤسس في نفوسهم حضارة شاملة شامخة بكل مفاهيمها .

● أما الدكتور أحمد كمال ابو المجد فقد ركز حديثه حول الجوانب العلمية للاسلام ومتطلبات التبصير بها للغير وحصر ذلك بثلاث نقاط تتلخص في سرد قصة النبوة وقضايا الجدل

المتطرف ونزعة التعبد قبل بزوغ فجر الاسلام لينبذ ذلك كله ثم ما رافق ذلك بعد انتشار الاسلام وبهذا كان الاسلام وسطا بين التطرف والتدني ثم أسلوب الدعوة والدعاة ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث لم يدع الناس الا بالحسنى والرفق والتبسيط ولم يكن فظا غليظ القلب ولا عجب في ذلك وقد رباه الله وأحكم تربيته .

● وأما كلمة الرائد الشيخ محمد الحشاش عن القوات المسلحة فقد تركزت حول مبادىء الاسلام وقصة بعض الصحابة ممن عاشوا وماتوا على حب الاستشهاد في سبيل الله وضرب مثلا بمصعب بن عمير الصحابي الجليل الذي فضل أن يموت شهيدا على أن يحيا مشركا ضالا رغم ثروة اسرته ومكانة جاهه فحمل راية الاسلام من يد ليد حتى سقط شهيدا وكفن ببردته البسيطة .

● في الختام ألقى فضيلة الشيخ محمود عيد كلمة استوقف فيها تاريخ المسلمين مقارنا بالحاضر وما يرافقه من ضياع وتشتت ثم طالب المسلمين بالتدبر والعبرة من كل ذلك لا سيما فيما يعانيه المسلمون في أصقاع العالم وما ترزح تحته القدس من احتلال غاصب .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- **كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافاة .**
- **موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر .**
- **الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .**
- **ترقيم جميع الآيات القرانية وتخريج الاحاديث النبوية الواردة .**
- **لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزاة .**

التضامن والتعاون في الإسلام

للاستاذ/ محمد كمال الدين

كان مبدأ التضامن من أهم المبادىء التي قام عليها المجتمع الاسلامي في كل عصوره ، وبفضله احتفظ المسلمون بقدرتهم على البقاء والتقدم ، وبنوا لأنفسهم مجدا مؤثلا ما زال يحتفظ باعجاب العالم وانبهاره ، وكان المسلمون في الشدائد باستمرار ، قوة ويدا واحدة ، وبفضل تضامنهم وتعاونهم كان لهم النصر حليفا ، والوحدة رائدا ومتجها .

والتعاون كمبدأ إسلامي يوجد في مظاهر كثيرة ، يوجد بين المرء ونفسه ، ويوجد بين المرء وزملائه في العمل أو السكن ، ويوجد بين المرء ومجتمعه ، ثم هو يوجد بين جماعة وجماعة ، أو بين شعب وشعب ، ويقوم دليلا حيا على اكتمال « الجمع » وسلامته .

ويظهر التعاون أو التضامن أول ما يظهر بين المرء ونفسه ، متمثلا في

أعضائه ، فما لم تكتمل أعضاء الشخص ، وتعمل مع بعضها البعض في توافق وانسجام ، اضمحل هذا الشخص وضعف ، ونتصور هذا إذا امتنعت حاسة في المرء عن العمل كالسمع أو البصر أو اللمس ، فاننا نرى الجسم ككل يفقد عنصرا من عناصره ، أو بالأحرى يفقد سببا من أسباب تضامنه واكتماله ، وفي داخل الانسان تتحرك أجهزة كثيرة يربط بينها تعاون وثيق ، فلكل من القلب والمعدة والكبد وغيرها وظائف محددة لو تجاوزها أو قصر عنها لكانت لها آثارها الضارة على الجسم كله .

كذلك يظهر التعاون بين المرء وغيره من أفراد المجتمع ، ولنأخذ مثلا لذلك برغيف العيش ، فانه يصل إلينا وقد تعاونت في صنعه وإعداده بالشكل النهائي عدة أعمال ـ لكل عمل متخصصون ـ ولا يستطيع فرد واحد القيام بها جميعا ، إذ يشترك فيها الزارع والبائع والطاحن والخابز والتاجر ولا سبيل إلى عمله إلا بالتضافر بين جميع هذه العناصر ، وذلك بتوزيع العمل وتنويع الانتاج ، وفي النهاية نجد صورة مكتملة نتيجة لهذا التعاون الجماعي ، وما يقال عن الخبز يمكن قوله عن أي مظهر اجتماعي آخر ، ولا بد لهذا التعاون أن يأخذ صورة خيرة تسهم في بناء المجتمع السليم القوي ، والا فسد وضاع أثره في خضم الحياة .

ولهذا كله جاء القرآن الكريم بأعظم الأمثلة والنماذج التي تدل على أثر التضامن والتعاون في حياة الفرد والجماعة ، فيقول تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)** . « آل عمران / ١٠٣ » ويقول سبحانه وتعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)** « آل عمران / ١٠٤ ، ١٠٥ » ، ويقول أيضا : **(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** « الانفال / ٤٦ » ، ويقول جل شأنه : **(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)** « المؤمنون / ٥٢ » ، **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** « الحجرات / ١٣ » ، **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** « المائدة / ٢ » **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** « الصف / ٤ » **(إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم)** « الحجرات / ١٠ » .

هذه الآيات الكريمة ـ وغيرها كثير ـ تثبت أن التعاون والتضامن بين المسلمين هو من دواعي قوتهم ،

وأن الله خلقهم ليتعاونوا ويتعارفوا ويطيعوا الله ورسوله ، ويكونوا يدا على من سواهم ، فبهذا يقوم صرح الأخوة الاسلامية وبنيان مجتمعهم المسلم الصحيح .

وفي هذا الاطار الكريم تقوم سنة الرسول الأعظم ، فيقول عليه الصلاة والسلام : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم . ويروى أن الصحابة كانوا في أول امرهم إذا نزلوا منزلا في أثناء سفرهم توزعوا من الشعاب والأودية ، فقال لهم الرسول : « إن تفرقكم هذا من الشيطان » رواه ابو داود . فصاروا لا ينزلون بعد هذا منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى ليقال فيهم : لو بسط عليهم ثوب لعمهم ، وفي يوم سمع الرسول اثنين من عامة المسلمين يناديان بنداء العصبية فيقول أحدهما : يا للأنصار ، ويقول الثاني : يا للمهاجرين ، فيغضب الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ويقول : « أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فانها فتنة » رواه الترمذي ويقول الرسول ايضا « من ذب عن عرض أخيه كان حقا على الله أن يقيه من النار » رواه احمد والطبراني ، ويقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » رواه الشيخان ، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » رواه البخاري ، ولذلك فان نصيحة رسول الله للمسلمين « لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه ابو داود وابن ماجه ، من اغلى التوجيهات الاسلامية في سبيل أخوة متضامنة تبنى ولا تهدم ، تقوم ولا تعوج ، تصلح ولا تفسد ، تقاوم الفتن التي تقوم بين طوائف المسلمين ، تحارب البدع التي يدسها عليهم أعداؤهم ، تنقى عقائدهم من كل دخيل ، تحفظ عليهم كلمتهم ، توحد صفهم ، تؤآخي بينهم . إن الاسلام يحارب الفرقة والخلاف ، ويجعل من الحرية دعوة للحب والاخلاص لا سبيلا إلى البغض والاختلاف ، ولنأخذ من التاريخ الاسلامي بعض النماذج المشرقة في التضامن والتعاون ، وأثرهما في تقوية أواصر الود والأخوة بين المسلمين ، وكلنا يتذكر صحبة أبي بكر الصديق للرسول يوم الهجرة ، وكان الأعداء يتربصون به الدوائر ، فكان أبو بكر يمشي مرة عن يمين الرسول وفجأة ينتقل إلى يساره ، ثم فجأة يسير أمامه أو من خلفه ، فيسأله الرسول عن ذلك ، فيقول أبو بكر : « أخاف الرصد فأمشي أمامك ، ثم أخاف الطلب فأمشي خلفك ، ثم أخاف أن يأتي عدو

من يمينك أو شمالك فأمشي عن يمينك أو شمالك » فيرفع الرسول بصره إلى السماء ، وينادي : « اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة » فنودى أن قد استجيب لك .

ويروى عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل ، فسلم عليه ، ثم جلس ، فقال له ابن عباس : « يا فلان أراك مكتئبا حزينا » ، قال : نعم يا ابن عم رسول الله ، فان لفلان على حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه » ، قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت ، قال فخرج ابن عباس من المسجد فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ ـ أي من الاعتكاف ـ قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب ، فدمعت عيناه ، وهو يقول : « من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها ، كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين » . رواه البخاري .

ويذكر التاريخ أن المسلمين حين تضامنوا ، وتعاونوا ، وتكاتفوا أمام حصار قريش الظالم ، ثلاث سنوات ، حتى تحطم على صخرة إيمانهم ، وخرجوا من الحصار منتصرين ، وبفضل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبها وسع الأنصار المهاجرين في ديارهم ، وأموالهم ، حتى أثنى عليهم الله جل جلاله بقوله : (**والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر أليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الحشر / ٩ » .

وتحت لواء التضامن والتعاون بين المسلمين ، استطاع القائد « صلاح الدين الأيوبي » أن ينتصر على الصليبيين في موقعة « حطين » ، ويطهر فلسطين منهم ، واستطاع القائد « قطز » القضاء على التتار في موقعة « عين جالوت » بعد أن دوخوا العالم ، وقضوا على معالم الحضارة ، بالقضاء على خلافة العباسيين ، وفي تاريخنا المعاصر نتذكر العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ، الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣) يوم تضامن المسلمون في سيناء والجولان ، فأثبتوا أنهم عند الملمات يد واحدة ، وقوة ضاربة ، يخشى العدو بأسها ، وهذا ما كان ، وارتفعت راية الاسلام مرة أخرى ، عزيزة منتصرة ، وما زالت المعارك تنتظر حتى يتم لهم النصر بتطهير قدسهم الشريف ، وأرضهم السليبة ، ويعود لفلسطين أهلها وأرضها ، وشرط الاسلام عليهم ، أن يحافظوا على وحدة كلمتهم ، وتضامن صفهم ، وتضافر جهودهم ، وحينئذ سوف يصدق فيهم قول ربهم عز وجل : (**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**) « غافر / ٥١ » وكذلك قول رسولهم الكريم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البيهقي ، وصدق الله ورسوله .

التوبة أثرها في الفرد والمجتمع



للدكتور : وهبة الزحيلي

أولا : الباعث على التوبة :

الانسان في أصل فطرته ـ وان كان ميالا الى الشر واقتراف الذنوب والمعاصي لكنه كثيرا ما يدرك خطورة انحرافه وشذوذ سلوكه ، فيبادر الى تصحيح مسيرته ارضاء لشعوره الداخلي واحساسا بمرارة الألم والضيق الذي يعقب الفعل الجانح واستجابة لنداء الضمير وندما على التورط في المعصية ، وتأثرا بالوازع الديني الفطري المستكن في النفس الانسانية ، وطمعا في نيل العفو من الله تعالى ، وخوفا من عقاب السلطة الحاكمة في عالم الدنيا .

والتخلص من الخطيئة بالتوبة دليل على قوة الارادة وبعد النظر وسعة الأفق العقلي . وذلك بسبب قوة تأثير المغريات والشهوات الباعثة على الانحراف ، لا سيما اذا اعتادها الانسان والعادة طبيعة ثانية ، وفي نزع الناس عن عاداتهم حرج عظيم ، ولأن الانسان عادة يتعجل الأمور ، وقلما ينتظر المؤجل ، الا بشيء من الأناة والصبر والفهم والتخطيط ، لذا لفت القرآن الكريم نظر الناس لطبائعهم فقال تعالى : (**كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة**) « القيامة / ٢٠ ، ٢١ » (**بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى**) « الأعلى / ١٦ ، ١٧ » .

ثانيا : تعريف التوبة :

التوبة ، عبارة عن : ندم يورث عزما وقصدا على عدم العود أو تكرار الخطيئة وتتحقق بأن يرجع الخاطىء عن الفعل القبيح شرعا وعقلا ، أو عن الاخلال بالواجب في الحال ، ويندم على ما مضى ، ويعزم على تركه في المستقبل قال عليه الصلاة والسلام : (الندم توبة) رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان

والحقيقة أن التوبة لغة : هي الرجوع : ولا يلزم أن تكون عن ذنب . وشرعا : هي الرجوع عن التعويج الى سنن الطريق المستقيم . وأما الندم والعزم فهما من مقومات الرجوع الصحيح الذي يعد اقلاعا صادقا عن المعاصي . ولا بد أن يكون الباعث على الرجوع مع الندم والعزم دينيا أو شخصيا بحتا مع القدرة والارادة ، فلو رجع لسبب آخر من ضعف بدن أو غرامة مالية أو تهديد بحبس أو اكراه من الدولة لم تكن التوبة محققة نتائجها الدينية المرجوة وأخصها تكفير الخطايا في عالم الآخرة ، وان حققت نتيجة مدنية تهتم السلطة بها ألا وهو قمع الاجرام وتوفير الأمن والطمأنينة والاستقرار .

ثالثا : شروط التوبة :

اشترط العلماء لصحة التوبة شروطا معينة تختلف بحسب كون المعصية بين الانسان وبين الله تعالى ، أو تتعلق بحقوق الناس . فان كانت المعصية تمس أمرا بين الانسان وربه ولا تتعلق بحق شخصي لانسان آخر أي في حقوق الله تعالى فلها ثلاثة شروط :

أحدها – الاقلاع عن المعصية في الحال .

ثانيها – الندم على المعصية والمخالفة .

ثالثها – العزم على ألا يعود الى مثل تلك المعصية أبدا في المستقبل .

فالتوبة ذات أركان ثلاثة : الاقلاع ، والندم ، والعزم ؛ فان فقدت أحد هذه الأركان الثلاثة لم تصح التوبة . الا أن من عجز عن العزم والاقلاع كتوبة الأعمى عن النظر الى المحرم ، وتوبة المجبوب عن الزنا ، فتوبته مجرد الندم ، لأن « الميسور – لا يسقط بالمعسور » . أي لا يسقط المقدور عليه بالمعجوز عنه ، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة مثلا بما عجز عنه ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة . اي اذا امرتكم بمأمور فأتوا من ذلك المأمور ما استطعتموه أو ما قدرتم عليه .

وان كانت المعصية تتعلق بحق شخصي لانسان ، فشروطها أربعة وهي الثلاثة السابقة ، ويضاف اليها الخروج من المظالم بأن يبرأ العاصي من حق صاحبها ، فان كانت المعصية اخذ مال أو نحوه بدون حق رده اليه وان كان الفعل قذفا ونحوه مكن المقذوف منه أو طلب عفوه . وان كان غيبة استحله منها وطلب مسامحته عن طعنه فيه في غيبته .

وأكمل أنواع التوبة ما حدده علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك فيما روى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إني استغفرك وأتوب اليك ، وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له علي كرم الله وجهه : ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج الى التوبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما التوبة ؟ قال « اسم يقع على ستة معان : على الماضي من

الذنوب : الندامة ، ولتضييع الفرائض : الاعادة ، ورد المظالم ، واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته » من تفسير الامام الالوسي

والتوبة المستوفية كامل شرائطها هي التوبة النصوح الصادقة المشار اليها في قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا)** « التحريم / ٨ » . **(وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)** « طه / ٨٢ » .

واختلاف العلماء في تحديد هذه التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا ، مجرد اختلاف ظاهري في العبارة ، من هذه الأقوال ما قال القرطبي : التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والاقلاع بالأبدان ، واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيىء الخلان .

رابعا : حكم التوبة شرعا :

أ ــ وجوب التوبة فورا : اتفقت مصادر الشريعة في القرآن والسنة واجماع الأمة على وجوب المبادرة الى التوبة فور وقوع الخطيئة ، فمن أخرها زمانا صار عاصيا بتأخيرها وذلك حتى يتحقق المقصود الأكمل منها بالتخلص من الأوزار ، والظفر بمغفرة الله تعالى في الآخرة والرضا عن الانسان في الدنيا ولتطهير المجتمع من الجرائم ، ومنع الاسترسال في الانحراف كيلا تتجدد ظروف العود أو التكرار مرة أخرى في المستقبل ، وغير ذلك من وجوه المصلحة المترتبة على التوبة التي يمكن فهمها من الحث المتكرر عليها في القرآن والأحاديث النبوية :

فمن آيات القرآن الكريم قوله تعالى : **(وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)** « النور / ٣١ » . **(وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا)** « هود / ٣ » **(يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا)** « التحريم / ٨ » **(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)** « النساء / ١٧ » **(فان يتوبوا يك خيرا لهم)** « التوبة / ٧٤ » **(ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)** « النساء / ١١٠ » .

ومن الأحاديث النبوية المؤكدة للقرآن أو المبينة الموضحة لبعض أحكامه قوله صلى الله عليه وسلم : (والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) البخاري (يا أيها الناس توبوا الى الله ، واستغفروه فاني أتوب في اليوم مائة مرة) مسلم . وقد استنبط العلماء من هذين الحديثين أنه يستحب للتائب اذا ذكر ذنبه الذي تاب منه أن يجدد الندم على فعله ، والعزم على ترك العود الى مثله ، بل ولا يلزم أن تكون التوبة عن ذنب كما قلنا سابقا ، فلا يعني الحديثان اذن ان النبي صلى الله عليه وسلم يذنب في كل يوم سبعين مرة أو مائة مرة ، بل معناه تجديد التوبة وتكريرها عن ذنب واحد صغير واستعظام التقصير أو التفريط ، أو ارتكاب أي خطيئة مهما صغرت ، تشريعا وتعليما للأمة وارشادا

للناس وفتحا لباب التوبة للامة ، كل على قدر منزلته ، وعلو رتبته ، ومدى مسئوليته العامة أو الخاصة . أما النبي فقد تاب الله عليه من أي شيء .

ومن الأحاديث المرغبة في التوبة أيضا : (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة) الشيخان .

ب ـ ما تجب التوبة عنه ووقت قبولها : تجب التوبة من جميع الذنوب أو المعاصي ، فان تاب المرء من بعضها صحت توبته عند أهل السنة من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي .

والمقصود بالذنب : هو كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل . ومما يدل على جواز التوبة عن أي مخالفة لأحكام الاسلام قوله تعالى : **(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة)** « النساء / ١٧ » فانه يعم الكفر وسائر المعاصي ، فكل من عصى ربه ، فهو جاهل حتى ينزع أو يقلع عن معصيته ، قال قتادة : أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أن كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت أو جهلا .

وايجاب التوبة على الفور هو الأصل المبدئي العام ، ومع ذلك يمكن قبول التوبة طوال حياة الانسان تفضلا من الله ورحمة ، وتيسيرا وسماحة ، وفتحا لباب الامل . وابعادا لليأس والقنوط عن النفس ، اذ (كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) حديث رواه الترمذي وغيره . ويرشد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) رواه احمد والترمذي . أي ما لم تبلغ روحه الحلقوم ، وفسر عكرمة قوله تعالى : **(ثم يتوبون من قريب)** من الآية ١٧ من سورة النساء بأن الدنيا كلها قريب . وقال الضحاك : كل ما كان قبل الموت فهو قريب وفي حديث آخر : (ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر الا قبل الله منه أدنى من ذلك ، وقبل موته بيوم وساعة ، يعلم الله منه التوبة والاخلاص اليه ، الا قبل منه) رواه ابن مردويه .

قال العلماء : انما صحت التوبة قبل الموت ولو بيوم ، لأن الرجاء باصلاح الانسان باق ، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل القبيح . أما من صار في حال اليأس من الحياة ، كفرعون الذي آمن حينما صار في غمرة الماء والغرق ، فلا تنفعه التوبة ، أو اظهار الايمان في ذلك الوقت ، لأنها حال زوال التكليف الشرعي ، قال تعالى عن قصة فرعون : **(وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)** يونس / ٩٠ ، ٩١ . ويؤكد ذلك آية أخرى في موضوعها وهي : **(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما)** النساء / ١٨ .

دلت الآيتان على عدم قبول التوبة حال اليأس من الحياة ، وهو رأي ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين .

وقال الشيخ محمد عبده : المراد بالزمن القريب : الوقت الذي تسكن فيه ثورة الشهوة النفسية ، أو تنكسر به سورة الغضب ، ويثوب الى فاعل السيئة حلمه ، ويرجع اليه دينه وعقله . فالظاهر من آية **(من قريب)** أنها بينت الوقت الذي تقبل فيه التوبة من كل مذنب حتما . وأما الآية التالية لها : **(وليست التوبة)** فانها بينت الوقت الذي لا تقبل فيه توبة مذنب قط ، وما بين الوقتين مسكوت عنه ، وهو محل الرجاء والخوف ، فكلما قرب وقت التوبة من وقت اقتراف الذنب ، كان الرجاء أقوى ، وكلما بعد الوقت بالاصرار وعدم المبالاة والتسويف كان الخوف من عدم القبول هو الأرجح .

جـ ـ الوعد المضمون الحصول بقبول التوبة : وعد الله سبحانه وتعالى المغفرة لمن اجتنب الذنوب الكبائر ، فقال : **(ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)** النساء / ٣١ . أي اذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب ، وأدخلناكم الجنة ، جزاء على الامتناع عن الكبائر ، والصبر عنها ، والحث على الدوام والبقاء على طريق الاستقامة . فهذا اخبار من الله سبحانه ، وهو الصادق في وعده بأنه يقبل التوبة عن العاصين من عباده . ومثله قوله تعالى : **(ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده)** التوبة / ١٠٤ . وقوله **(وإني لغفار لمن تاب)** طه / ٨٢ .

قال القرطبي : فاخباره سبحانه وتعالى عن أشياء أوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الأشياء . والعقيدة : أنه لا يجب عليه شيء عقلا ، فأما السمع فظاهره قبول توبة التائب والخلاصة : أن الآيات تتضمن وعدا من الله ، ولا خلف في وعده أنه يقبل التوبة اذا كانت بشروطها المصححة لها ، وهي الأربعة السابق ذكرها .

وأما العقل فلا يوجب قبول التوبة على الله خلافا للمعتزلة ، لأن من شرط الموجب أن يكون أعلى رتبة من الموجب عليه والحق سبحانه خالق الخلق ، ومالكهم والمكلف لهم ، فلا يصح أن يوصف بوجوب شيء عليه تعالى عن ذلك .

د ـ المشيئة الالهية وحرية الاختيار في مغفرة الذنوب : قد يعفو الله عن السيئات صغيرها وكبيرها من غير اشتراط شيء كالتوبة للكبائر واجتناب الصغائر . لقوله تعالى : **(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون)** الشورى / ٢٥ .

أي يقبل الله التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي مطلقا سواء الصغائر والكبائر لمن يشاء ومشيئة الله موافقة لحكمته ، وجارية على مقتضى سننه .

وجاءت آية أخرى تستثني الشرك بالله مما يغفره الله تعالى ويراد بالشرك مطلق الكفر الشامل لكفر اليهود وغيرهم . وذلك لأنه تتولد منه سائر الرذائل التي تهدم الأفراد والجماعات قال عز وجل : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** النساء / ٤٨ . أي أن مغفرة المعاصي لا لكل الناس ، ولكن لمن يشاء الله من عباده الموفقين للايمان والتوبة والعمل الصالح . **(إن الحسنات يذهبن السيئات)** هود / ١١٤ **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)** الزمر / ٥٣ .

أي أن رأى جماعة من العلماء قيدوا المغفرة في هذه الآيات بشرط التوبة ، حتى لا يفهم من القرآن الاغراء بالمعصية والجرأة عليها . والحقيقة أن الآية فوق ذلك ، فهي تقارن بين الشرك وغيره ، فالشرك معاقب عليه حتما لافساده النفوس البشرية وأما ما عداه فمغفرته ممكنة حسب المشيئة الالهية ، لأنه لا يصل إلى درجة الشرك في إفساد النفس .

والكلمة الأخيرة في قضية تكفير السيئات وعدم المؤاخذة عليها في الآخرة هي أنها تتعلق بمقاصد النفس وقوة الايمان وسلطانه في القلب . وهذا رأي الغزالي وتبعه الأستاذ الامام محمد عبده ، فمن صح إيمانه واتجه قصده وارادته إلى كف النفس عن المعاصي استحق المغفرة والرضوان .

وأما الاضرار بحقوق الناس المالية والأدبية فهو يعتبر كالشرك بالله لا يقبل المغفرة ما لم يسقط صاحبه حقه الشخصي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « الدواوين عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله منه شيئا ، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : **(إن الله لا يغفر أن يشرك به)** النساء/١١٦ وقال : **(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)** المائدة/٧٢ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه ، أو صلاة ، فان الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء . وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا ، (القصاص لا محالة) رواه احمد والطبراني والحاكم .

خامسا : التوبة والعقوبة :

أ ـ نوعا الجزاء أو العقوبة في الاسلام : من المعلوم أن الشريعة الاسلامية تقرر نوعين من العقاب على الجرائم : وهما عقاب دنيوي وعقاب أخروي . فالعقاب الدنيوي : هو الذي تطبقه السلطة الزمنية الحاكمة في الدنيا والعقاب الأخروي : هو الذي يوقعه الله تعالى على العاصي في عالم الآخرة كالتعذيب في النار ونحوه ، والجنايات الموجبة للعقوبة الدنيوية المحددة ثلاثة عشر هي : القتل ، والجرح ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والسرقة والبغي ، والحرابة (قطع

الطريق) ، والردة : والزندقة ، وسب الله ، وسب الانبياء والملائكة ، وعمل السحر ، وترك الصلاة والصيام .

والسبب في تنوع العقاب في الاسلام هو الحماية الفعلية للأنظمة والأخلاق والفضائل وقمع الرذائل والقضاء عليها . فمن أفلت من عقاب الحاكم الزمني غفلة منه ، أو تحايلا عليه أو لعدم توفر وسائل الاثبات المطلوبة ، أو لم يكن لجريمته عقاب مقرر في القوانين المطبقة كالكذب وخلف الوعد والحقد والحسد والغيبة والنميمة ونحوها ، عوقب على مخالفاته ، في عالم الآخرة بين يدي أحكم الحاكمين الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

كما أن الجزاء الأخروي يمتاز بمكافاة الصالحين على فعل الخير تشجيعا للفضيلة وحثا على الاستقامة وصلاح الاعمال في الدنيا ، والتوبة النصوح قد تساعد على تطبيق العقوبة في الدنيا بالاقرار بالجريمة أمام القاضي ، وقد تسقط الجزاء الأخروي فتساهم في إصلاح المجرم ، وانقاذه من الزلات والأخطاء التي ارتكبها ، وتجعله في عداد الصالحين ، فيتحقق تلقائيا أو بصفة ذاتية الهدف الجوهري من تشريع العقوبات الزاجرة .

ب ـ الهدف من العقوبة : يلتقي الفقه الاسلامي كأساس عام مع أفضل المبادىء والنظم التي توصلت إليها المدرستان التقليدية والوضعية لتحديد أساس حق العقاب ووظائف العقوبة قانونا .

ففي مواجهة المدرسة التقليدية التي تقيم حق العقاب على أساس منفعة المصالح الاجتماعية عن طريق المنع أو الوقاية في المستقبل ، نرى فقهاءنا يقررون أن اساس أو مناط العقوبات المقررة شرعا : هو مصلحة الناس العامة وسعادتهم فكل ما يحقق مصالح البشرية فهو مشروع مطلوب لأن المقصود الأصلي من مشروعية الحدود والتعزيرات هو زجر الناس وردعهم عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات دفعا للفساد في الأرض ومنعا من إلحاق الضرر بالأفراد والمجتمعات . قال ابن عابدين : إن مدار الشريعة بعد قواعد الايمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم .

ومن حرص الشريعة على تحقيق المصلحة في العقاب أنها تمنع كل الوسائل التي تؤدي إلى الاجرام كتناول المسكرات والمخدرات ، بل واعتبرتها جرائم في ذاتها وتطبيقات مبدأ « سد الذرائع » تؤكد ذلك ، فالفاحشة مثلا حرام ، والنظر الى عورة الأجنبية حرام ، لأنها تؤدي الى الفاحشة .

ثم إنه في مواجهة المدرسة التقليدية الجديدة التي تقول : إن أساس حق العقاب هو العدالة المطلقة مجردة عن فكرة المنفعة ، يقرر فقهاؤنا ضرورة وجود تناسب بين الجريمة وعقوبة التعزير . ولكن دون فصل لمبدأ العدالة عن مراعاة المصلحة . وانما يستهدف العقاب تحقيق العدالة وحماية المصالح الاجتماعية الثابتة .

وفي مواجهة المدرسة الوضعية التي تتفق مع المدرسة التقليدية من حيث

ارتكازها على المبدأ النفعي ، وتطالب بالعناية بشخص المجرم لتقدير درجة خطورته ومدى قابليته للاصلاح ، نرى فقهاءنا يقررون ذلك صراحة عند تقدير القاضي للعقوبات التعزيرية لاكثر الجرائم الواقعة وذلك على قدر الجناية وعلى قدر مراتب الجاني . كما ان فقهاءنا يتميزون اساسا سواء في الحدود والتعزيرات بفتح باب التوبة عن المخالفات ، ليبادر الجاني باصلاح نفسه اصلاحا ذاتيا صادرا عن اقتناع واختيار وحرية فكرية .

جـ ـ الحاجة الى العقوبة : في كل انسان نزعتا الخير والشر ، وبما ان الخير سبيل الاصلاح والتقدم والسعادة وجب تقوية دوافع الخير في الانسان ، واضعاف عوامل الشر في نفسه ، فكان لا بد من تشريع العقاب الزاجر ، لانه يساعد في مقاومة الميل الى الشر او يرغب في الخير .

وحينئذ يعتبر تطبيق العقوبة على الجناة محققا لمبدأ الرحمة العامة ، والرحمة العامة في الحقيقة هي العدل والعدالة الحقيقية هي الرحمة الحقيقية ، ويعني ذلك ان ـ الرحمة والعدالة في الشريعة متلازمتان فليست الرحمة فوق العدل ، ولا العدل فوق الرحمة او القانون ، بدليل صريح القران الكريم : **(وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا)** ***الكهف*** **/٥٨** . فاذا كانت العدالة تقتضي تعجيل العقوبة في الدنيا ، فان الرحمة تستدعي تأخيرها فتحا لباب الامل والتوبة والعدول عن المخالفة امام كل انسان في الحياة ، وبذلك تكون التوبة اثرا من اثار الرحمة الواجب مراعاتها في تشريع العقاب مع مراعاة العدالة ، وهذا هو جوهر رسالة الاسلام . ـ **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء / ١٠٧ قال ابن القيم « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها » .

وقال ابن تيمية : « من رحمة الله سبحانه وتعالى ان شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض في النفوس والابدان والاعراض والاموال والقتل والجراح والقذف والسرقة ، فاحكم سبحانه وتعالى وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الاحكام ، وشرعها على اكمل الوجوه ، المبينة لمصلحة الردع والزجر ، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع » .

واستعرض العز بن عبدالسلام مفاسد الجرائم التي شرعت عنها الزواجر من الحدود والتعزيرات بعبارة دقيقة البيان عميقة التحليل .

د ـ فلسفة التوبة او هل تؤثر التوبة على المصلحة المقصودة من العقاب ؟ :

ان الشريعة الاسلامية ـ كما هو معروف ـ تستهدف في احكامها حماية مصالح الدنيا ، وحفظ مقاصد الاخرة ، بل ان الدنيا في الحقيقة « مزرعة الاخرة » ، كما ورد في الاثر .

وبناء على هذا فلا يتصور ان تكون التوبة سببا في ضياع مصلحة الجماعة في

تطبيق العقوبة ، ولا وسيلة تؤدي الى الاغراء بالمعاصي والتجرئة عليها او تسهيل ارتكابها ، وانما على العكس تكون التوبة الصادقة مساعدة في استئصال شأفة الجريمة ، لانه اذا كانت الغاية الاولى للعقاب هي اصلاح المجرم ، فان التوبة تكون اقوى تأثيرا في تحقيق تلك الغاية لصدورها عن باعث ذاتي واقتناع داخلي . فهي اذن تفتح باب الامل امام المخطئين ـ وتدفعهم الى معترك الحياة بروح ايجابية جديدة وحيوية وفعالية منتجة .

ثم ان دور التوبة قاصر ـ باتفاق الفقهاء كما سنبين ـ على الحالة التي لم تعرض فيها قضية الجريمة على محاكم القضاء ، وفي حقوق المجتمع المحضة « اي حق الله بتعبير فقهائنا » فان عرضت القضية على الحاكم لم يكن للتوبة تأثير في اسقاط العقوبة . وان مست الجريمة حقا شخصيا للفرد لم يقبل الحد « اي العقوبة المقدرة شرعا » الاسقاط ايضا بالتوبة ولا بغيرها كالابراء والعفو والتنازل والصلح والمعارضة .

هـ ـ المعاصي التي يتاب منها وكيفية التوبة عنها : يتناول هذا الموضوع امرين : تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر ، وتقسيم الذنوب الى ما يكون حقا لله او للادميين .

التقسيم الاول : تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر :

كل معصية في الاسلام تصح التوبة عنها ، سواء اكانت من الكبائر ام من الصغائر ابتداء من جريمة الكفر او الشرك بالله الى أدنى المحظورات ، والمراد من الصغائر : هي التي تحصل لظرف طارىء كثورة او غضب ، أو نزوة طائشة ، ثم يعقبها تأنيب وندم يمحو صفة الاصرار . عن ابن عباس ان رجلا قال له : الكبائر سبع ؟ فقال هي الى سبعمائة اقرب ، لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار .كالنظر الى ما لا يحل النظر اليه من المرأة الاجنبية « اي التي لا قرابة محرمية منها » ، وضرب الخادم بدون ذنب ، وسماع الملاهي والاوتار ، واللعب بالنرد ، ومجالسة شاربي الخمر والفساق والخلوة بالمرأة الاجنبية .

واختلفت عبارات العلماء في تحديد الكبائر :

- فقال ابن عمر : كل ما نهي عنه فهو كبيرة .
- وقال صحابي اخر : كل ما وعد الله عليه بالنار فهو كبيرة .
- وقال بعض السلف : كل ما اوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة .
- واما غير الصحابة فقال الذهبي : الكبائر : كل ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والاثر عن السلف الصالحين . وذكر في كتابه « الكبائر » سبعين كبيرة ، من أهمها : الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والسحر ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . وهذه السبعة هي السبع الموبقات في الحديث

النبوي الذي رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة . . وعقوق الوالدين وشهادة الزور ، والظلم ، والغدر ، وعدم الوفاء بالعهد ، واليمين الغموس « وهي الكاذبة قصدا وعمدا » والرشوة ، والقمار ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والغصب ، وايذاء الناس وشتمهم .

● وذكر المفسرون في تفسير المعصية الكبيرة اراء اهمها اربعة :

احدها : أنها المعصية الموجبة للحد .

والثاني : انها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة .

والثالث : قال إمام الحرمين وغيره : كل جريمة تنبيء بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة .

والرابع : ذكر القاضي ابو سعيد الهروي : أن الكبيرة : كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل او غيره . وترك كل فريضة مأمور بها على الفور ، والكذب في الشهادة والرواية واليمين .

واذا كان القول الثاني هو لاكثر المفسرين : فان الرأي الثالث هو أولى الاراء بالقبول لأن الغزالي اعتمده ، واستحسنه الرازي .

فالكبيرة اذن : هي كل ما يشعر بالاستهانة بالدين وعدم الاكتراث به .

التقسيم الثاني : تقسيم الذنوب الى ما يتعلق بحق الله أو بحق العباد

تنقسم الذنوب الى ما بين العبد وبين الله تعالى ، والى ما يتعلق بحقوق الاشخاص .

والمقصود بحق الله تعالى : ما يمس المجتمع ، وهو ما يتعلق به النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد . وينسب إلى الله تعالى لعظم خطره ، وشمول نفعه .

وأما حق العبد : فهو الحق الشخصي : وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة كحرمة مال الغير ودمه وعرضه .

فأما ما يتعلق بحق الله تعالى : فهو كترك الصلاة والصوم . والتوبة لا تصح منه ، حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها .

وأما ما يتعلق بحقوق العباد فهو كترك الزكاة وقتل النفس وغصب الأموال وشتم الاعراض ، والتوبة منه تكون برد الحق لصاحبه . ففي حال التفريط بالزكاة يجب القضاء . وفي القتل . تكون التوبة بالتمكين من القصاص ان كان عليه ، وكان مطلوبا منه قضاء . وفي القذف ببذل ظهره للجلد ان كان مطالبا به . فان عفي عنه أو عن القتل مجانا كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص ، فان عفي عن القتل بمال فعليه أداؤه ان كان واجدا له ، قال تعالى : **(فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان)** البقرة / ١٧٨ . وكذلك شراب الخمر والسراق والزناة اذا أصلحوا وتابوا سقط الحد عنهم في رأي

بعض العلماء كما سنبين تفصيل الكلام فيه .

وان كان الذنب من مصالح العباد ، فلا تصح التوبة عنه الا برده الى صاحبه والخروج عنه ـ عينا كان أو غيره ـ ان كان قادرا عليه . فان لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه اذا قدر في أعجل وقت وأسرعه .

وان كان العاصي أضر بآخر فانه يزيل ذلك الضرر عنه ، ثم يطلب منه العفو والاستغفار له ، فاذا عفا عنه ، سقط الذنب عنه .

وان أساء رجل الى آخر بأن فزعه بغير حق ، أو غمه ، أو لطمه ، أو صفعه بغير حق أو ضربه بسوط فآلمه ، أو شانه بشتم لاحد فيه ، ثم ندم واستعفى من المضرور ، وعزم على ألا يعود فعفا عنه صاحب الحق ، سقط عنه ذلك الذنب .

المطلب الثاني : أثر التوبة الصادقة في الجـزاءات أو العقوبـات الأخروية :

يترتب على التوبة النصوح ـ كما ذكرنا ـ اسقاط عقوبة المعصية قطعا فيما بين التائب وبين الله تعالى ، لأن التوبة تسقط أثر المعصية . ولو كانت أعظم الجرائم التي هي الكفر أو الشرك بالله ، لانه يغفر كل ذنب للتائب الا اذا أصر عليه فلا يغفر . قال تعالى : **(غافر الذنب وقابل التوب)** غافر / ٣ . وقال سبحانه **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين)** الانفال / ٣٨ **(ان الله يغفر الذنوب جميعا)** الزمر / ٥٣ . أي بشرط التوبة في رأي الزمخشري وغيره .

روى مسلم من حديث عمرو بن العاص ، قال: لما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : أبسط يدك أبايعك فبسط يمينه ، فقبضت يدي ، فقال : (مالك ؟) قلت : أردت أن أشترط ، قال (تشترط بماذا ؟) قلت : أن يغفر لي ، قال : (أما علمت يا عمرو **أن الاسلام يهدم ما كان قبله ،** وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟!) .

ويؤيد ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) رواه ابن ماجة والطبراني والبيهقي (لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ، ثم تبتم لتاب الله عليكم) ابن ماجه (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم) مسلم

وسنذكر هنا نموذجا من توبة العصاة :

١ ـ **توبة الكافر :** الكفر أو الشرك اما في الألوهية أو في الربوبية فالشرك في الالوهية هو الشعور بسلطة وتأثير وراء الاسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى ، وكل قول وعمل ينشأ عن ذلك الشعور . والشرك في الربوبية : هو الاخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي .

وتوبة المشرك أو الكافر تكون باعلان الاسلام والاقرار بتوحيد الاله « توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية » سواء قدر عليه الحاكم أم لم يقدر عليه ، لأن عدم القدرة ليست مشترطة في توبة الكفار . والتوحيد الذي يناقض الشرك : هو عبارة

عن اعتاق الانسان من رق العبودية لكل أحد من البشر وكل شيء من الاشياء السماوية والارضية وجعله حرا كريما وعزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة الا لمن خضعت لسنته الكائنات ، بما أقامه فيها من النظام في ربط الاسباب بالمسببات ، فلسنته الحكيمة يخضع ، ولشريعته العادلة المنزلة يتبع . وانما خضوعه هذا لعقله ووجدانه ، لا لأمثاله في البشرية وأقرانه .

وتقبل توبة الكافر اتفاقا ترغيبا في الاسلام . ولقوله تعالى : **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)** الانفال / ٣٨ .

٢ ـ **توبة المنافق :** النفاق : اظهار الايمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب والمنافق وهو الذي لا يتدين بدين أشد خطرا على المسلمين من الكفار ، لأنه يكتم الكفر والكيد للمسلمين ويتربص الدوائر بهم ، ويرتكب السيئات بباعث النفاق الظاهر والخبث الباطن ، فاستحق العذاب مرتين ، وكان في الدرك الاسفل من النار .

وتوبة المنافق تكون بتزكية نفسه ومجاهدتها بقدر الاستطاعة والطاقة ، وطلب العفو عما لا طاقة له به ، وترك الكفر ظاهرا وباطنا ، واعلانه الايمان بالله ورسوله ويمكن قبول توبة المنافق لقوله تعالى **(ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما)** الاحزاب /٢٤ . **(وآخرون اعترفوا بذنوبهم ـ الآية إلى قوله تعالى ـ عسى الله أن يتوب عليهم)** التوبة / ١٠٢ **(وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم)** التوبة / ١٠٦ .

٣ ـ **توبة الزنديق :** الزنادقة : هم الدهريون الذين ينكرون وجود الاله ويزعمون أن العالم وجد مصادفة . ثم أصبحت الزندقة صفة كل من يظهر الاسلام ويسر الكفر .

واختلف العلماء في توبة الزنديق ، فقال العترة من الزيدية ، وأبو حنيفة ومحمد والشافعي : تقبل توبة الزنادقة ولا يقتلون ، لعموم قوله تعالى : **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)** . الانفال / ٣٨ .

وقال مالك وأبو يوسف والجصاص : لا تقبل توبتهم ، فاذا عثر على الزنديق قتل ولا يستتاب ولا يقبل منه ادعاء التوبة اذ يعرف منه عادة : التظاهر بالتوبة تقية ، بخلاف ما يبطنه ، واستثنى الامام مالك : من جاء تائبا قبل ظهور زندقته فتقبل توبته .

قال صاحب البحر الزخار الزيدي : لكن الأقرب العمل بالظاهر ، وان التبس الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم لمن استأذنه في قتل منافق : (أليس يشهد أن لا اله الا الله ؟) رواه مسلم .

٤ ـ **توبة المبتدع :** المبتدع : هو الذي أحدث شيئا في الاسلام ليس منه ، ولم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي . أو هو كل من قال قولا خالف فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة .

فاذا كان ببدعته منكرا لما علم بالتواتر والضرورة « أي البداهة » من

الشريعة ، فهذا كافر ببدعته ، كالمجسمة أو المشبهة الذين شبهوا معبودهم بانسان له جسم محدود بسبعة أشبار بشبر نفسه ، أو الذين ألهوا أحدا من البشر .

وأما ان كان المبتدع لا يكفر ببدعته ، فهو ضال فاسق كأهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة أو سيرة السلف الصالح في بعض المسائل الاعتقادية ، مثل القدرية القائلين بخلق الانسان أفعال نفسه ، والخوارج الذين كفروا عليا ومعاوية وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة .

وتوبة المبتدع : تكون بالتخلص من بدعته والتزام العقيدة الحقة ولا مانع من قبول توبته وان كان كافرا ، لأن العقل يجوز ذلك ، وظاهر الشرع وعموم الآيات القرآنية يدل على امكان قبول توبة الكفار والمشركين .

والخلاصة ان قبول التوبة في عالم الآخرة مشروط بعدم الاصرار على المعصية ، وعدم التلاعب بالاسلام وعدم البقاء على الكفر قبل الموت وذلك هو ما يشير اليه القرآن الكريم في الآيات الثلاث الآتية :

١ ـ **(والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .** آل عمران / ١٣٥

٢ ـ **(ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) .** النساء / ١٣٧ **(ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم)** آل عمران / ٩٠

٣ ـ **(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به)** آل عمران/ ٩١ .

المطلب الثالث : اثر التوبة في الجزاءات او العقوبات الدنيوية :

تمهيد في أنواع العقوبات :

العقوبات الدنيوية بحسب نوع المصلحة المقصودة منها ثلاثة انواع وهي :

١ ـ **الحدود :** وهي العقوبات المقدرة شرعا ، الواجبة حقا لله تعالى في الشريعة اي التي تستوجبها المصلحة العامة : وهي دفع الفساد عن الناس ، وتحقيق الصيانة والسلامة لهم . وتطبق على جرائم سبعة : الزنا ، القذف ، شرب المسكرات ، السرقة ، الحرابة ، الردة ، البغي .

٢ ـ **القصاص والدية :** أما القصاص : فهو معاقبة الجاني على جريمة القتل او القطع او الجراح عمدا بمثلها . واما الدية : فهي العوض المالي الواجب دفعه بدل النفس . وقد شرع القصاص مراعاة للحقين : حق الجماعة العام في اصل العقاب ، وحق المجنى عليه الخاص في نوع العقاب .

٣ ـ **التعازير** : وهي العقوبة المشروعة على معصية او جناية لاحد فيها ولا كفارة ، سواء اكانت الجناية على حق الله تعالى ، كالأكل في نهار رمضان وترك الصلاة ، وطرح الاقذار في طريق الناس ونحو ذلك ، أم على حق شخصي للعباد كأنواع السب والضرب والايذاء بأي وجه ، وغير ذلك من مختلف انواع جرائم الاعتداء على الأموال والأنفس التي لا حد فيها .

وتعتبر اغلب الجرائم التي نص عليها قانون العقوبات في مصر وسوريا داخلة تحت عقوبات التعزير الشرعية ، سواء اكانت جنايات وجنحا مضرة بالمصلحة العامة ، أم تحصل لآحاد الناس ، أم كانت مخالفات عادية .

وسنبحث اثر التوبات في هذه العقوبات .

أولا : آراء الفقهاء في اسقاط الحدود بالتوبة :

اتفق الفقهاء على ان الحدود اذا رفعت الى ولي الأمر او نائبه القاضي ، ثم تاب المتهم عن جريمته بعد ذلك ، لم يسقط الحد عنه ، بل تجب اقامة الحد وان تاب المجرم حينئذ ، سواء أكان قاطع طريق ام لصا ام زانيا ام قاذفا وغيرهم ، اذ لا يجوز تعطيل الحد ، لا بعفو ، ولا بشفاعة ، ولا بهبة ، ولا غير ذلك لأن الجريمة تمس مصلحة الجماعة والتصرف على الرعية منوط بالمصلحة العامة . ويرشد لذلك من السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل العفو عن سارق رداء صفوان بن امية ، وقال لصفوان (فهلا قبل ان تأتيني به ؟) ثم قطع يده ، يعني صلى الله عليه وسلم انك لو عفوت عنه قبل ان تأتيني به لكان العفو سائغا جائزا .

وذكر في الموطأ عن عثمان رضي الله عنه . انه قال : « اذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع » .

وفي سنن ابي داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب) .

واتفق الفقهاء ايضا على قبول توبة المحارب قاطع الطريق قبل قدرة السلطان عليه : وهو ان يأتي الى الحاكم عن طوع واختيار ويظهر التوبة عنده ، ويسقط عنه الحبس ، لأن الحبس للتوبة ، وقد تاب فلا معنى للحبس . ودليلهم صريح قوله تعالى في حق المحاربين : **(الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم)** المائدة / ٣٤

ومفهوم الآية ألا يسقط عنه شيء بالتوبة بعد الظفر عليه ، لأن الظاهر ان التوبة قبل ذلك توبة اخلاص ، ولترغيبه في التوبة وبعدها الظاهر انها تقية من اقامة الحد عليه ولا حاجة لترغيبه في التوبة لأنه قد عجز عن الفساد والمحاربة .

أما ما يسقط عنه بالتوبة : فاختلفوا فيه فقال فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والامامية والزيدية في أرجح الآراء لديهم : تسقط بتوبة المحارب حقوق الله تعالى كحد الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر لأنها حدود الله تعالى ، فتسقط بالتوبة كحد المحاربة ، ولأن في اسقاطها ترغيبا في التوبة .

ولا تسقط عنه حقوق الناس الشخصية كحد القذف والقصاص وضمان

الأموال ، اذ لا دليل على اسسقاطها .

وهناك آراء اخرى ، قال الهادي من الزيدية ، والأباضية : يسقط عنه ما قد أتلف ولو حقا لآدمي في نفس او مال او قتل ، لعموم الآية : **(إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) .**

وقال بعضهم : ترفع التوبة جميع حقوق الله ، ولكن يؤاخذ بالدماء ، والأموال بما وجد بعينه في يده ، ولا تتبع ذمته .

وبعضهم قال : ان التوبة تسقط جميع حقوق الله ، وحقوق الآدميين من مال ودم ، الا ما كان من الأموال قائم العين بيده .

وشدد بعضهم وهو قول عند الشافعية وللامام مالك . فقال : لا تسقط التوبة عن المحارب الا حد الحرابة فقط ، ويؤاخذ بما سوى ذلك من حقوق الله وحقوق الآدميين .

عقوبة الردة والبغي :

الردة : ترك الدين الاسلامي والخروج عليه بعد اعتناقه . والبغي : الخروج عن طاعة الحاكم بثورة مسلحة ، او الخروج على الامام مغالبة .

وقد اتفق الفقهاء على اسقاط عقوبة الباغي « وهي القتل » بالتوبة لان القصد من عقابه توفير الطاعة والولاء والعدول عن البغي .

كما ان عقوبة المرتد « وهي القتل ومصادرة ماله » تسقط ايضا بالتوبة بأن يتبرأ عن الاديان كلها سوى الاسلام او عما انتقل اليه من مذهب الكفر ، لأن الغاية هي رجوعه الى الاسلام ، لذا استحب الحنفية استتابته وعرض الاسلام عليه قبل القتل ، لاحتمال ان يسلم وأوجب جمهور الفقهاء حصول الاستتابة قبل القتل ثلاث مرات ، فان تاب قبلت توبته ، وان لم يتب وجب عليه القتل .

وأضاف الزيدية وأئمة المذاهب أن من تكرر منه الردة والاسلام حتى كثر فهو مقبول التوبة لقوله تعالى : **(يغفر لهم ماقد سلف)** الانفال/٣٨ ولم يفصل النص بين من تكرر منه ذلك أو لم يتكرر .

ذكر النسائي عن ابن عباس قال : كان رجل من الانصار اسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ثم ندم فارسل الى قومه : سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ؟ فجاء قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من توبة ؟ فنزلت آيات من سورة آل عمران آخرها قول الله تعالى **(الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم)** الاية/ ٨٩ وماقبلها من قوله تعالى : **(كيف يهدي الله قوما كفروا)** الاية /٨٦ . قال ابن عباس فارسل الى الرجل فاسلم .

عقوبة القذف :

اتفق العلماء على ان التوبة لا تسقط حد القذف لانه حق آدمي

الحقوق الشخصية للناس :

يظهر مما سبق ان حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة مالم ترد المظالم لاصحابها

كما انه لا يغفرها الباري سبحانه الا بمغفرة صاحبها ، ولا يسقطها الا باسقاطه .

عقوبة السرقة والزنا وشرب الخمر :

اختلف الفقهاء في اسقاط عقوبات هذه الحدود بالتوبة على رأيين :

الرأي الاول : قال الحنفية والمالكية والشافعية والزيدية والاباضية في ارجح الاراء لديهم : ان التوبة لا تسقط سائر الحدود المختصة بالله تعالى كالزنا والسرقة وشرب الخمر سواء بعد رفع الامر الى الحاكم او قبله واستدلوا بالادلة الاتية :

١ ــ عموم الايات القرآنية التي تقرر عقوبة هؤلاء العصاة مثل قوله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور/٢ **(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما)** المائدة/٣٨ فكل نص منهما عام في التائبين وغيرهم ولا يستثنى الا حد الحرابة كما بينا ، وحد تارك الصلاة لو تاب سقط القتل قطعا ، ولو بعد رفعه الى الحاكم ، لان عقابه على الاصرار على الترك لا على مجرد الترك في الماضي . وكذلك اذا زنى الكافر ثم اسلم يسقط عنه الحد .

٢ ــ اقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد على من جاءه تائبا ، اذ رجم ماعزا والغامدية وقطع الذي اقر بالسرقة ، وقد جاءوا تائبين يطلبون التطهير باقامة الحد ، بدليل ان الرسول صلى الله عليه وسلم سمى فعلهم توبة ، فقال في حق المرأة (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم) رواه الجماعة الا البخاري وابن ماجة من حديث عمران بن الحصين .

٣ ــ ان الحد كفارة ، فلم يسقط بالتوبة ككفارة اليمين والقتل ولو جاز اسقاط الحد بالتوبة لتمكن كل مجرم من اسقاط العقوبة عنه بادعاء التوبة ، وفي ذلك تشجيع على الاجرام والفساد .

٤ ــ لا تقاس الحدود على حد الحرابة لان مرتكبها مقدور عليه ، فلا تسقط التوبة عنه الحد المقرر كالمحارب بعد القدرة عليه .

الرأي الثاني : قال الحنابلة في الارجح عندهم والشيعة الامامية وبعض الحنفية والمالكية ، والشافعية ، والزيدية : إن التوبة تسقط حد الزنا والسرقة وشرب الخمر عن العصاة من غير اشتراط مضي زمان قبل رفع الامر الى الحاكم او قبل القدرة عليهم او قبل البينة وثبوت الحد عليهم واستدلوا بما يأتي :

١ ــ ثبت في صحيحي البخاري ومسلم من حديث أنس قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يارسول الله ، اني اصبت حدا فاقمه علي ، قال : ولم يسأله عنه فحضرت الصلاة ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ، قام أليه الرجل ، فاعاد قوله ، قال : أليس قد صليت معنا ؟ قال : نعم ، قال : « فان الله عز وجل قد غفر لك ذنبك » ففي هذا دليل على ان التائب غفر الله له ، ولم يكن بحاجة لاقامة الحد عليه طالما اعترف به .

٢ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ابن ماجه والطبراني والبيهقي ومن لا ذنب له لا حد عليه . وقال في ماعز لما اخبر بهربه : « هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه ؟ » واقامة الحد عليه بالرغم من توبته تجاوب مع ما اختاره بنفسه كما اختارته المرأة الغامدية ، قال ابن تيمية : ان الحد مطهر ، وان التوبة مطهرة ، وهما اختارا التطهير بالحد على التطهير بمجرد التوبة ، وأبيا الا ان يطهرا بالحد ، فاجابهما النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك .

٣ ـ صرح القرآن الكريم باسقاط حد الزنا بالتوبة في قوله تعالى : **(واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما)** النساء /١٦ وباسقاط حد السرقة ايضا في قوله سبحانه : **(فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه)** المائدة/ ٣٩

٤ ـ لا فرق بين حد الحرابة وبقية الحدود ، فاذا اسقطت التوبة حد حرابة مع شدة ضررها وتعديه ، فلان تدفع التوبة مادون حد الحراب بطريق الاولى والاحرى ، وقد قال الله تعالى : **(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف)** الانفال /٣٨ .

قال ابن القيم : الله تعالى جعل الحدود عقوبة لارباب الجرائم ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا ، فليس في شرع الله ولا قدره عقوبة تائب البتة .

والكلمة الاخيرة ان ظواهر القرآن والسنة والعمل بمبدأ الستر في الاسلام تؤيد الرأي الثاني الذي يسقط الحدود بالتوبة اذا كانت خالصة لله تعالى اي لمصلحة الجماعة ، ولم تكن متعلقة بالحقوق الشخصية للناس . وليس في هذا الرأي اخلال بمصالح المجتمع لان التائب بتوبته يحقق المصلحة المنشودة ، لا سيما اذا لاحظنا اشتراط كون التوبة صادقة نصوحا .

قال الحنابلة : اذا قلنا بسقوط الحد بالتوبة ، فهل يسقط بمجرد التوبة او بها مع اصلاح العمل ؟ فيه وجهان :

احدهما : يسقط بمجردها ، وهو ظاهر قول اصحابنا ، لانها توبة مسقطة للحد فاشبهت توبة المحارب قبل القدرة عليه .

والثاني : يعتبر اصلاح العمل لقول الله تعالى : **(فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما)** النساء /١٦ وقال : **(فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه)** المائدة /٣٩ فعلى هذا القول : يعتبر مضى مدة يعلم بها صدق توبته وصلاح نيته ، وليست مقدرة بمدة معلومة .

ثانيا : هل التوبة مسقطة للقصاص والدية :

اذا ثبت القتل وجب على القاتل اما القصاص ، واما الدية ، ولا يسقط القصاص الا بعفو اولياء المقتول على ان يأخذوا الدية او بدون شيء فلا يسقط القصاص او الدية اذن بالتوبة لتعلق الحق الشخصي به لاولياء الدم . وبناء عليه لا تصح توبة

القاتل حتى يسلم نفسه للقود « القصاص » او يؤدي الدية حين العفو او حالة القتل الخطأ . وتوبة القاتل لا تكون بالاستغفار والندامة فقط ، بل يتوقف على إرضاء اولياء المقتول ، فان كان القتل عمدا لابد من ان يمكنهم من القصاص منه ، فان شاءوا قتلوه ، وان شاءوا عفوا عنه مجانا فان عفوا عنه كفته التوبة . وبالعفو عنه يبرأ من العقوبة الدنيوية .

وهل يبرأ فيما بينه وبين الله تعالى ؟

استظهر ابن عابدين ان الظلم المتقدم لا يسقط بالتوبة لتعلق حق المقتول به فيخاصم القاتل يوم القيامة واما ظلم القاتل لنفسه باقدامه على المعصية فيسقط بالتوبة وقال الامام النووي واكثر العلماء : ان ظواهر الشرع تقتضي سقوط المطالبة في الاخرة بالعقوبة عن القاتل اذا تاب فقد دلت احاديث نبوية على انه لا يطالب ، من اشهرها الحديث المروى في الصحيحين الذي ذكر فيه توبة القاتل مائة نفس في الامم السابقة وقبول الله توبته .

ثالثا ـ اسقاط التعازير بالتوبة :

يظهر مما ذكره الفقهاء في اسقاط الحدود بالتوبة ضرورة التفرقة في التعزيرات بين حقوق الله وحقوق الافراد لان ضابط التعزير هو : كل من ارتكب منكرا أو آذى غيره بغير حق بقول أو فعل أو اشارة فقد يكون التعزير حقا لله أو حقا للفرد أو يشترك فيه الحقان واحدهما غالب على الاخر .

فان كان التعزير حقا خالصا للفرد او الغالب فيه حقه كالشتم والسب والمواثبة والضرب بغير حق والتزوير وشهادة الزور ونحوها مما يتوقف على الادعاء الشخصي فلا يسقط بالتوبة كما لا يسقط بعفو القاضي الا ان يصفح المعتدي عليه واما ان كان التعزير حقا لله تعالى كتعزير مفطر رمضان عمدا بدون عذر وتارك الصلاة واكل الربا ظاهرا ومن يحضر موائد الخمر ومجالس الفسق او كان حق الله فيه غالبا كمباشرة امرأة اجنبية فيما دون الجماع كتقبيل وعناق وخلوة بها ونحو ذلك فيسقط بالتوبة كما يسقط بعفو القاضي وهذا التفصيل في الواقع هو رأي الحنفية والشافعية .

ولكن وردت عبارات لبعض الفقهاء يفهم منها بعمومها ان التعزير مطلقا يسقط بالتوبة باتفاق الفقهاء .

قال القرافي : ان التعزير يسقط بالتوبة ما علمت في ذلك خلافا .

وقال في البحر الزخار : يسقط التعزير بالتوبة ويقرب انه اجماع المسلمين الان لكثرة الاساءات فيما بينهم ولم يعلم ان احدا طلب تعزير من اعتذر اليه واستغفر ولا من اقر بانه قارف ذنبا خفيفا ، ثم ناب منه ، ولاستلزامه تعزير أكثر الفضلاء ، إذ لم يخل أكثرهم عن مقارفة ذنب وظهوره في فعل او قول ولعل المراد من هذه العبارات التعزير الواجب حقا لله تعالى لان الخلاف بين التعزير والحد هو في حقوق الله تعالى .

« خاتمة »

يتبين من بحثنا ان للتوبة نظاما دقيقا في الشريعة الاسلامية اذ انه قد يكشف عن الجريمة فيبادر الجاني الى الاقرار بمعصيته امام القاضي وللقاضي حينئذ توقيع العقوبة عليه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن اقر بالزنا امامه وهو رأي ابن تيمية وابن القيم .
وقد تساعد التوبة على التقليل من الجرائم باصلاح الجاني نفسه ورده الحقوق لاصحابها بدافع ذاتي واقتناع داخلي اذا توافرت شرائط التوبة الشرعية فكانت توبة صادقة نصوحا .

ثم انه قد تكون التوبة دليلا على تحقيق الولاء والطاعة السياسية فتحقن دماء كثيرة ولا تهدر الكرامة الانسانية في سبيل دعم الحكم فتتخلص الامة من شر كبير وفساد عظيم وقعت به في الماضي حين قام بعض الحكام بالبطش بخصومهم المعارضين لسياستهم كما يظهر في توبة البغاة والخوارج وقطاع الطرق .
وقد تكون التوبة ايضا سبيلاً سهلا لتوفير احترام العقيدة والنظام الاسلامي كما في توبة المنافقين والمرتدين والزنادقة .

لهذا كله نقر الرأي القائل باسقاط الحدود والتعزيرات بالتوبة اذا كانت الجريمة ماسة بمصلحة المجتمع (حق الله) ما لم يرفع في شأنها دعوى الى القضاء اما اذا كانت الجريمة متعلقة بحق شخصي (حق الفرد) او رفع في شأنها دعوى الى القضاء فمن العدل والمنطق الا تسقط التوبة العقوبة اطفاء لنار الفتنة ودفعا للضرر عن المجني عليه وشفاء لالم المصاب واستئصالا للجريمة فلا يتجرأ احد على الاعتداء على حقوق الاخرين في نفس او مال او عرض .
وهذا هو رأي الحنابلة والشيعة الامامية وبعض فقهاء المذاهب الاخرى في نطاق الحدود الثلاثة : (حد الزنا والسرقة وشرب الخمر) وهو رأي الفقهاء عامة فيما يبدو بالنسبة للتعازير وبقية الحدود الاخرى .

وفي ذلك مصلحة للمؤمنين بشرائع الاسلام في وقت عطلت فيه الحدود الشرعية ولم يبق امام المؤمن الصادق سوى التوبة لتكفير خطاياه .
والله الموفق الى سواء الصراط ، عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ، ولو لقيتني بملء الارض خطايا لقيتك بمثلها مغفرة ما لم تشرك بي شيئا . ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك) رواه الترمذي .

حركة النهضة الحديثة في العالم الإسلامي



للدكتور / بكر مصباح تنيره

تعاقبت القرون على العالم الاسلامي ، وشعوبه تعاني من التدهور والتخلف الحضاري في شتى نواحي الحياة ، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وذلك بعد ان كان المسلمون الأوائل قد أدوا رسالتهم كما أمرهم الله في قوله سبحانه وتعالى : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)** التوبة/٤١ .

فنشروا الدعوة الاسلامية حيثما حلوا ، وأرسوا أصول حضارة إنسانية شاملة ، اتسعت لمختلف فروع العلم والمعرفة ، وازدهرت في عصورها الذهبية حتى عبق أريجها العقل والكون معا ، ونهلت من منابعها العلماء ، وتتلمذت على كنوز تراثها الحضارة الحديثة . اعترف بذلك المنصفون في الغرب والشرق ، قديما وحديثا . فذكر المفكر العربي محمد كرد على ، في كتابه « الاسلام والحضارة العربية » قول كارلايل في انصاف العرب المسلمين ورسالتهم الحضارية ما نصه :

« قوم يضربون في الصحراء كانوا نكرة عدة قرون ، فلما جاء النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعارف ، وكثروا وعزوا ، ولم يأت عليهم قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم » .

وبلغ المسلمون ذروة السلوك الانساني الحضاري ، عندما اعتمدوا على العقل والمنطق في نشر الاسلام ، والأخذ بيد الشعوب على اختلاف ألوانها وأجناسها ، نحو التقدم والرقى دون تمييز أو تعصب ، يشهد بذلك العالم الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه « روح السياسة » فيقول :

« ظن المؤرخون بعزوهم تفوق المسلمين الذهني والمادي في العالم الى قوتهم المادية ، أنهم أصابوا كبد الحقيقة ، فيرد عليهم بأن الحضارة الاسلامية استمرت في الانتشار زمنا طويلا بعد زوال سلطان المسلمين وبأن عدد المؤمنين بالقرآن بلغ في الصين عشرين مليونا مع أنه لم يكن للمسلمين هيمنة على تلك البلاد في وقت من الاوقات وبأن عدد مسلمي الهند صار خمسين مليونا أي أكثر منه أيام دولة المغول . ولا يزال عدد المؤمنين بالاسلام يزيد زيادة مطردة ، فالعرب بعد الرومان هم الامة الوحيدة التي استطاعت أن تمدن مختلف الشعوب وأن تجعلها ترضى بكل عنصر من عناصر حضارتها أي بدينها ونظمها وفنونها » .

ويحاول ادوارد جيبون ان يكتشف سر قوة الاسلام ، وايمان المسلمين ، فيقول في كتابه « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » ما نصه :

« وقد وقف المسلمون بالاجماع يقاومون الاغراء الذي ينزل بعقائدهم وتقواهم الى مستوى حواس الانسان وخياله . فشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » ، هي الشهادة الاسلامية البسيطة التي لا تتغير . فصورة الاله في الأذهان لم تصبها مهانة قط بتمثيلها بوثن يراه الناس . والأمجاد التي أسبغت على النبي لم تتعد قط حدود الفضائل البشرية . وحصرت تعاليمه الحية اعتراف أصحابه بفضله في داخل حدود العقل والدين » .

هكذا كان الاسلام أساس التقدم والحضارة لكافة الشعوب التي آمنت به . ثم دار الزمن دورته ، فأصاب المسلمين الضعف والوهن ، ومزقتهم الخلافات المذهبية والسياسية ، فغدوا شعوبا وقبائل ، وفرقا وأحزابا . وتكالبت عليهم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها ، مثلما ورد في الحديث النبوي الشريف . فوقعوا هم وديارهم فريسة لأخطر ظاهرة تمخضت عنها الحضارة الغربية الحديثة ، ألا وهي ظاهرة الاستعمار ، الذي جد واجتهد في ترسيخ الفرقة والخلاف بينهم وإضعاف مقوماتهم الحضارية التي جمعتهم على كلمة سواء ، يوم أن كانوا أمة ودولة وحضارة .

غير أن الاسلام في أصوله الثابتة

أبدا ، ونعني بها القرآن الكريم والسنة الشريفة يملك دائما ، وعلى مر العصور الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، عناصر القوة ، ومناهج التجديد ، مصداقا لقوله تعالى :

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) الاسراء/ ٩ .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم .

لقد أدرك المؤمنون ذلك ، فنهضوا من كبوتهم ، وعادوا الى المنابع الصافية لعقيدتهم الغراء وتراثهم الحضاري الزاخر بألوان العلم والمعرفة ، وما هي الا بضع سنين حتى اصبح العالم الاسلامي يموج بحركات التجديد ، والدعوة الى النهضة الحديثة ، التي قد تبدو لأول وهلة أمام المراقب العادي للتطورات أنها انبثقت فجأة دون مقدمات تاريخية ، واسباب موضوعية ، مباشرة وغير مباشرة ، وتجارب ذاتية للشعوب الاسلامية أسفرت عن نتائج ايجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى ، ولكنها في النهاية ، وضعت أسسا جديدة للنهضة في تطورها المعاصر .

ارهاصات النهضة الاسلامية الحديثة :

يشاء الله سبحانه وتعالى ، ان تكون ارهاصات الأولى للنهضة الاسلامية الحديثة في مهد الدعوة وأرضها ، في جزيرة العرب ، فالوقائع التاريخية تدل على ان طلائعها بدأت منذ ما يزيد على قرنين من الزمان ، وذلك عندما نهض الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عاش في الفترة ما بين ١٧٠٣ ــ ١٧٩١م ، يدعو الى العودة لمنابع الدين الحنيف وتخليصه مما علق به من خرافات وخزعبلات ووثنيات هو منها براء ، براءة النور الساطع من الظلمات ، والتمسك بما أمر الله به في القرآن ، والأخذ بما ثبتت صحته من الحديث الشريف ، وكان منهجه في الحقيقة يقوم على تجديد الايمان والعمل بالكتاب والسنة ، ومستمد من أصول مذهب الامام احمد بن حنبل ، واجتهادات ابن تيمية . ولا نغالي إن قلنا ان الدولة العربية السعودية في مختلف أطوارها ، قامت على هذه الدعوة الاصلاحية ، واستطاعت أن تثبت بذلك قدرة الاسلام في كل عصر على ملاحقة التطور وتلبية حاجات الحياة ، وقبل كل شيء تهذيب العقل وتنمية معارفه ، وضبط السلوك العام والخاص بما يحفظ للانسان حقوقه وقدره وكرامته .

وقد تركت دعوة الاصلاح التي نهض بها الشيخ ابن عبد الوهاب ، أثرها في مختلف اقطار المسلمين وتأثرت بمنهجه وتعاليمه الحركات الاسلامية في الهند ومصر والدولة العثمانية ، كما سنرى . ثم تبع ذلك

دعوة الفيلسوف الاسلامي الثائر جمال الدين الافغاني ، الذي اكتشف بثاقب بصره وبصيرته ، أن خلاص المسلمين ، بل والشرق عموما ، من كل ما كانوا يعانون منه ، من تخلف وانحطاط ، وخضوع المسلمين للاستعمار الاوروبي آنذاك ، لا يتم إلا بثورتين : **أحدهما** : ضد السيطرة الاجنبية ، **والأخرى** : ثورة فكرية أصيلة لتجديد الدعوة وجلاء جوهرها ، وتحديث مناهج التفكير ، وفتح باب الاجتهاد . وللحق والحقيقة ، فقد كادت هذه الدعوة أن تؤتي ثمارها في أكثر من قطر إسلامي ، فكانت تجربتها الأولى في مصر ، إبان الثورة العرابية (١٨٨١ ـ ١٨٨٢م) التي قامت بفضل بذور النهضة الفكرية التي غرسها الافغاني في نفوس وعقول النجباء من تلاميذه ، أمثال الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ومحمود سامي البارودي واحمد عرابي وغيرهم كثير ، غير أن التدخل العسكري البريطاني المباشر ، وسكوت الدول الاوروبية عنه ، وعدم تحرك الدولة العثمانية لمقاومته كما فعلت أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م ، هو الذي فت في عضد هذه التجربة ، والتي تؤكد الوثائق التاريخية أنها كانت ستعم الشرق الاسلامي كله ، وتكون بداية النهاية للاستعمار الاوروبي .

ولكن المسلمين لم ييأسوا ، وهم يرددون قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران/ ٢٠٠ ، وتكررت محاولات النهضة في تركيا ذاتها ، والتي كانت تعتبر دار الخلافة في ذلك الحين ، على يد مدحت باشا المسمى « بأبو الدستور » ولكنها تعثرت ثم أخفقت أمام استبداد السلطان عبد الحميد الثاني ، وفساد حاشيته ، وتفشى الرشوة في مختلف اجهزة الحكم والادارة . ثم جرت محاولة في تونس قام بها المصلح خير الدين التونسي ، الذي عاش في الفترة ما بين ١٨١٠ ـ ١٨٧٩ ، وتولى عدة مناصب عليا ، وأقدم على تنفيذ كثير من المشاريع الاصلاحية في الادارة والاقتصاد والتعليم ، غير أن حركته هذه توقفت بسبب التدخل الفرنسي المباشر في شئون تونس .

بالاضافة الى هذه المحاولات العديدة ، التي اتسمت بالتنظيم والفكر والعمل عن طريق اجهزة الحكم في الغالب ، فقد قامت حركات اسلامية ذات طابع ديني لا تقل عنها شأنا أو قوة وكان لها أثرها في مقاومة الاستعمار الاوروبي في بلادها ، ومن هذه الحركات الحركة المهدية في السودان التي تمكنت في مرحلة من مراحلها ، أن تلحق أول هزيمة عسكرية بالاستعمار البريطاني في أفريقيا . وكذلك فان الحركة السنوسية في ليبيا ، والتي قامت بدور فعال وأساسي في تحريرها من الاستعمار الايطالي وتوحيدها .

وعلى أثر ذلك ، وتكرار محاولات النهضة ، واشتداد ساعدها أحيانا ،

تنبه الاستعمار الاوروبي عامة ، والانجليزي منه على وجه الخصوص ، وظن أنه اذا ما تمكن من إبعاد الاسلام عن كراسي الحكم في أوطانه ، استطاع أن يفقده قوة السلطة في دفع عجلة النهضة ، وللحق تم للاستعمار ما أراد ، وأصبح الحكم في كثير من البلاد الاسلامية يقوم على أسس علمانية حديثة ، ولا يأخذ من الشريعة الاسلامية الا بقدر يسير رغم نصوص الدساتير ، على ان الشريعة مصدر رئيسي من مصادر التشريع . غير أن الاسلام ظل يتولى قيادة الحركة الثقافية والفكرية التي تدعو المسلمين الى النهضة ، وتحرير أنفسهم وبلادهم ، وتجديد فكرهم ، مع الأخذ بمناهج العلم الحديث . وقد أثبت الاسلام قدرته على التحدي ، وتزعم الثورات التي أطاحت بالسيطرة الأجنبية في معظم أقطاره في المغرب والجزائر ومصر وباكستان ، وايران ، وهذه افغانستان تقدم لنا دليلا جديدا على حيوية الاسلام وعمق إيمان المسلمين به وتحديهم للقوى العظمى في العالم ، مصداقا لقوله تعالى :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) آل عمران/١٧٣ .

وقد اكتسب العالم الاسلامي وشعوبه ، أهمية متزايدة في العصر الحديث ، ولذلك اسباب كثيرة : استراتيجية ، واقتصادية ، وسكانية .. مما جعل الدول الكبرى تخشى يقظته ونهضته خوفا على مصالحها وحذرا من أن يقيم العدل والانصاف في الأرض فيفسد عليها استغلالها وظلمها للشعوب الضعيفة .

أهمية النهضة الاسلامية للعالم المعاصر :

تنبع أهمية النهضة الاسلامية ، أنها تشمل بلادا وشعوبا ممتدة من أرخبيل الجزر الاندونيسية في الشرق حتى المغرب وموريتانيا في الغرب ، ومن طشقند في الشمال الى السودان والصومال في الجنوب ، فهذا المحيط الجغرافي المترامي الأطراف ، يمثل حزاما يفصل الشمال المتقدم عن الجنوب المتخلف على الكرة الأرضية ، ويشمل غالبية الدول الاسيوية والافريقية ، كما تقع أجزاء منه في جنوب وشرق اوروبا حيث توجد أقليات اسلامية كبيرة العدد نسبيا في كل من روسيا وألمانيا ويوغوسلافيا ، ويقطنه ما يزيد على ثلث سكان العالم ، ويملك موارد طبيعية هائلة من المواد الخام التي تحتاجها الصناعات المختلفة في الدول المتقدمة ، وعلى رأسها النفط الذي يعتبر عصب التقدم الصناعي والتكنولوجي حتى وقتنا الراهن . وهو من الناحية الاستراتيجية ، يشرف على المحيطات الثلاثة الدافئة ، ونعني بها المحيط الاطلسي في غربه ، والمحيط الهندي في جنوبه ، والمحيط الهادي في شرقه ، مثلما تتحكم الدول الاسلامية في جميع المضايق والممرات

المائية التي تربط اجزاء مختلفة من العالم ببعضها ، كمضيق جبل طارق ، وقناة السويس ، ومضيق باب المندب ، ومضيق ملقا في جنوب شرق آسيا والذي يقع بين ماليزيا وجزيرة سومطرة .

الاسلام على اختلاف مذاهبه ، يجمع بين شعوب هذه البلاد ، وهو العصب الحيوي الذي يحركها تلقائيا وبسرعة في الازمات لمواجهة التحديات والأخطار التي تتعرض لها بعضها ، تماما كما حدث عندما احترق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ، ومساندة الدول العربية في مواجهة اسرائيل ، والعطف على أماني المسلمين في الحرية والاستقلال في كل من اريتريا والفلبين ، وليس أدل على ذلك من تلك الغضبة الجامحة التي عبر بها المسلمون عن موقفهم من الاعتداء الطائش الذي وقع على المسجد الحرام في مكة المكرمة في شهر نوفمبر ١٩٧٩ . ومما يقوي شوكة الشعوب الاسلامية ومكانتها الدولية ، أنها تلتقي مع كافة شعوب الشرق على اختلاف دياناتها في روح واحدة ، وأمال مشتركة ،

ومشاكل متشابهة ، فجميعها عانت من الاستعمار ، كما تعاني من التخلف بمعناه الواسع بالاضافة الى انها غير منحازة الى اي من المعسكرين الشرقي او الغربي ، وعلى ضوء ذلك ، يمكن القول ، ان العالم الاسلامي ، بمقوماته المتعددة ، يعتبر مصدرا للقوة والطاقة والقلق في آن واحد ، فهو مصدر للقوة اذا ما توحدت شعوبه ، واتفقت كلمة حكامه ، ولو على الحد الأدنى كما حدث بالنسبة لمواجهة التدخل العسكري السوفييتي في افغانستان ، واستمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية والقدس بالذات ، وقد عبرت عن ذلك القرارات التي صدرت عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في اسلام اباد في باكستان في يناير سنة ١٩٧٩ ، بذلك يستطيع العالم الاسلامي ، ان يقوم بدور رئيسي في تقرير شئونه وشئون العالم من حوله ، في السلم والحرب على حد سواء . وهو مصدر للطاقة الصناعية ، والحركة الاقتصادية بشقيها ، وهما : الانتاج والاستهلاك . لذا فهو مصدر للقلق بالنسبة للقوى الدولية الكبرى التي ترى ان مصلحتها تقتضي الابقاء على النظام الدولي الراهن ، واوضاعه السياسية والاقتصادية ، بحيث يتحقق لها اكثر قدر من المصالح والنفوذ والسيطرة على كثير من مناطق العالم وشئونه المتنوعة ، ومنها ما هو متعلق ببلاد اسلامية . لا نتجاوز الحقيقة إن قلنا ، إن الخبرة التاريخية للعلاقات السياسية والحضارية بين الاسلام وبين اوروبا والغرب عموما ، تمثل هاجسا نفسيا ما زال يجد له صدى في وقتنا الحاضر . ولطالما عبر عنه المؤرخون والمفكرون الغربيون ومما كتبه جوستاف لوبون في هذا الصدد ، قوله :

« لا جرم ان اتباع محمد كانوا خلال قرون طويلة من أخوف الاعداء الذين عرفتهم اوروبا ، فكانوا بتهديدهم الغرب بسلاحهم في عهد شارل مارتيل وفي الحروب الصليبية وبعد استيلائهم على الاستانة (القسطنطينية) يذلونا بمدنيتهم السامية الساحقة والى امس الدابر لم ننج من تأثيراتهم » .

ويعترف كارل ماركس نفسه ، ان الاسلام مصدر الثقة بالنفس والمساواة التامة بين أبنائه ، وهو الذي يجعلهم متفوقين على الاوروبيين فيقول :

« غير أن المسلم الحقيقي لا يرى في مثل هذه الاشياء وفي النجاحات او الاخفاقات في الحياة سببا ليميز بين ابناء محمد ، فعندهم مساواة مطلقة في المعاملة الاجتماعية تبدو طبيعية تماما » .

أساس ذلك وجوهره ، كما يقول الامام محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية » « إن الاسلام عقيدة دينية ، ومنهج عقلي للتفكير في النفس البشرية والظواهر الكونية ، ونظام شامل للروح والجسد معا » . وقد وصفه الامام محمود شلتوت في كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » ،بقوله :

« واذا دلت طبيعة الاسلام على شيء ، فانما تدل على انه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، وانه لا يقف فيما وراء عقائده الأصولية وأصول تشريعه على لون واحد من التفكير ، أو منهج واحد من التشريع ، وقد كان بتلك الحرية دينا يساير جميع انواع الثقافات الصحيحة ، والحضارات النافعة التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها ، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة » .

هذا هو الاسلام الذي نهض بالمسلمين من تخلفهم الحضاري ، ففي قرنين من الزمان حققت شعوبه الاستقلال ، وعادت مدنه تغص بدور العلم والمعرفة ، وأصبحت المدنية الحديثة كلها تعتمد على ما تملكه أقطاره من مصادر الطاقة والصناعة ، وغدا التضامن هو الرباط الذي يجمع شعوبه من أقصى الارض في الشرق الى المغرب العربي في الغرب . ومع ذلك فان التقدم التكنولوجي الهائل ، والسريع ، الذي تحققه الحضارة الغربية ، يوجب على المسلمين الجد والاجتهاد ، كي يلحقوا بمن سبقهم في هذا المضمار ، وذلك لخيرهم وخير غيرهم من الشعوب ، وفي هذا ضمان لتقدم شعوب جميع الكرة الارضية عموما ، وليس ادل على ذلك من هذه المساعدات المختلفة التي تقدمها البلاد العربية الى الدول الافريقية والاسيوية ، والتاريخ خير شاهد على ذلك ، فنهضة الاسلام هي في مصلحة الانسان أيا كان لونه أو جنسه ، أو قوميته أو لغته ، وقد صدق احمد شوقي ، حيث اوجز هذه الحقيقة من جوهره ــ اي الاسلام ــ فقال :

والله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء

المرأة العصرية

في دول الغرب

للاستاذ محمد ابراهيم عامر

ان شيئا من حقوق المرأة في غير المجال الاسلامي لم يطرح الا في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بعد ان توسعت النهضة الصناعية في اوروبا ، فأوجدت ـ مع توسعها ـ أسلوبا حديثا للحياة اضطر المرأة إلى أن تخرج للعمل في المصانع والشركات والمعامل ، فكانت الحاجة إلى عملها ضاغطا على الرجل ، كما جعلتها تفتح فمها بالمطالب ، وتقاضيه : ما سمي « حقوق المرأة » .

ومع الدفعة الصناعية كان انفتاح على الثقافة العربية والاسلامية في صورة ما ، وفي هذه الثقافة لمحت المرأة الغربية صورة « المسلمة » .

« **لها مهر يدفعه الزوج في الوقت الذي تدفع فيه الغربية لزوجها « الدوطة » .**

ورأت « المسلمة » تملك ، وترث ، وتتصرف في مالها ، وتبرز في معارك السياسة والحرب كيوم صفين ، وفي غزوات الرسول ، وفي معترك المعرفة تبدو محدثة وناقدة وشاعرة ، وهذا لا يتأتي الا في اطار كبير من الحرية . ولها في الاسلام حق الملكية ، وحق المطالعة والتثقف ، وحق الحركة ، وحق التفكير والرأي ، وحق المحافظة عليها وعلى حقوقها .

مع شحب التشكيك في محمد عليه الصلاة والسلام لمحت المرأة الغربية أضواء من الاسلام للمرأة المسلمة كان لها انطباع دفع نساء الغرب إلى تلمس الحياة الكريمة ، فبدأت ثورة المرأة الأوروبية على الرجل .

ولما كان الغزو الاستعماري الغربي للدول العربية والاسلامية حين غاب عنها الاسلام أو غابت هي عن الاسلام ، رأينا إلى جانب الارهاب بسلاح المدفع عملية التحطيم للمجتمعات العربية الأسلامية ، بتمزيقها فكريا وغزوها تشريعيا باحلال قوانين وضعية محل التشريعات السماوية وخاصة في الحدود ، ومن بين عمليات التمزيق الفكري إظهار سمو النظم الغربية ، وسقوط النظم الاسلامية ، فنسب المستعمر وأبواقه إلى الغرب ـ كذبا ـ احترام المرأة ، وإلى الاسلام ـ زورا ـ « احتقار المرأة » وهكذا رمتني بدائها وانسلت . وظهر في مصر « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » لقاسم امين وجاراه بعض الكتاب ورد عليه بعضهم ومنهم المرحوم « طلعت حرب » في كتابه « تربية المرأة والحجاب » وخلق بذلك الاستعمار معركة .

وكانت قصة « الحقوق العامة للمرأة » كما يقرر بعض الباحثين وسيلة صهيونية لافساد اوروبا ، ومنها امتدت العدوى إلى العرب .

لقد بدأ التخطيط لها بعد الحروب الصليبية ، وبدأت إبان احتلال الغرب للبلاد العربية ممن سموا انفسهم « أنصار المرأة » « **يجاهرون بانهم يريدون التحرر**

من القيم الدينية وأنهم يسعون لتقليد الغرب في كل شيء » .

واستخدمت المرأة كسلاح فعال لهدم القيم الدينية وصبغ الأمة بالصبغة اللادينية تمهيدا للسيطرة الصهيونية وغيرها من الاهداف الاستعمارية ، ووجد الغرب أدواته في تعميق الاتجاهات اليسارية والمادية .

وهكذا تتكشف أهداف النفوذ الغربي (الاستعماري والماركسي والصهيوني) من خلال المؤامرة على المرأة المسلمة .

وإذا كان دعاة التحرير المزعوم قد رفعوا شعار « تحرير المرأة » فانهم يعنون منه في الواقع أمرين خطيرين : ـ

أولهما : تحرير المرأة من بيتها . **ثانيهما :** تحريرها من زيها

إنهم يعرفون أن المرأة بلا شك نصف المجتمع وهي نصف خطير ، وبيتها هو تلك الجامعة التي تخرج كل أبنائها ، وتحريرها منها يعني ببساطة إغلاق تلك الجامعة المسلمة وهذا هدف خطير .

وتحريرها من زيها يعني كشف ما امر الله به ان يستر ، وهتك ما أمر الله به أن يصان ، وهذه وتلك بالضرورة تعني انحلال المجتمع وسقوطه بكل قيمه وأخلاقه ومثله .

إن فرنسا ـ غير المسلمة ـ صاحبة الامبراطورية الكبيرة قد سقطت تحت أقدام الالمان على مدى أسبوع واحد في الحرب العالمية الثانية ، وهي ـ كما صرح « ديتان » رئيس جمهورية فرنسا انذاك ـ قد هزمها الانحلال قبل أن يهزمها الاحتلال .

لقد رأينا ما وصل إليه أمر دعوة التحرير أو التحرر في السفور والاختلاط والعمل خارج المنزل والمساواة بالرجل في الوظيفة والعمل والأجر ، وفي الحقوق السياسية ، وفي الولاية العامة وغيرها من مساوىء يندى لها جبين الأنسانية والفضيلة خجلا ! .

لقد عملت المرأة الغربية لحاجة مجتمعها نفسه إلى يدها لنقص الرجال ، ومجتمعنا لا يشكو نقصا في الرجال والحمد لله واذا كنا نهدف في نهاية بحثنا إلى عقد مقارنة بين المرأة المسلمة كما حدد معالمها الاسلام ، وبين المرأة الغربية المتمدينة فجدير بنا وقد حددنا عطاء الأسلام للمرأة المسلمة ان نلقى مزيدا من الضوء على المرأة الغربية اولا وسوف نستشهد ما امكن بألسنة الغربيين أنفسهم بما يؤكد ويقطع بفساد المجتمع الغربي فسادا يفوق الجاهلية وذلك كله بسبب البعد عن الله والجري وراء المادة والهوى ، وفيما يلي بعض علامات المجتمع الغربي في سطور وأخص بالذكر ما يتصل بالمرأة : ـ

١ ـ تقع في العالم كل سنة ٣٠ مليون حالة اجهاض ، وقد سمحت انجلترا بهذه العملية مما جعل أكثر نساء الغرب يسافرن ألى بريطانيا ، ودعت مجلة « نوفيل اويسر فاتور » الفرنسية إلى السماح بالاجهاض في فرنسا ونشرت بكل جرأة اعترافات سيدات شهيرات مارسن الأجهاض وتقول الصحف إن ٣٠ ٪ كل سنة

يتم إجهاضهن بما يعادل ربع المولودين .
٢ ـ أفردت الصحف الغربية بحوثا مستفيضة عن تجارة الجنس وعن أرباحها وتحدثت « نيوزويك » عن الأفلام السينمائية والخلاعية والكتب والمجلات المصورة وصالونات التمسيد والملاهي الليلية فضلا عن البغاء التقليدي ، وقالت : إن أرباح هذه التجارة تبلغ ملياري دولار في السنة ، وأن مدينة « نيويورك » أصبحت عاصمة هذه التجارة الرابحة ، ففي مدة سنتين قفز عدد صالونات التمسيد من أربعة إلى ستة واربعين وليست هذه التسمية سوى تورية عن الدعارة ومحايلة على القانون وأن اجور عناية ثلاث ممسدات تبلغ مائة دولار وبعض صالونات التمسيد تستقبل كل يوم مائة رجل ولا تعطل في نهاية الأسبوع .
٣ ـ نشرت جريدة الأهرام في (٢٤ مايو ١٩٧٣) ان عمليات الاجهاض المشروعة للفتيات اللاتي تقل اعمارهن عن خمسة عشر سنة قد ارتفعت في بريطانيا بنسبة الثلث في العام السابق ، وبلغ عدد حالات الاجهاض من بين هذه الاعمار ٢٢٩٦ بزيادة ٦٥٤ عنها عام ١٩٧٠ وكشف التقرير الذي أصدرته إدارة الأحصاء البريطانية أن بين هذه الحالات ٣ فتيات لا تزيد أعمارهن عن ١١ سنة .
٤ ـ صدرت مجلة جديدة في أمريكا اسمها (بلاي جيرل) وصاحبتها سيدة جميلة اسمها (توتي مولت) والمجلة مخصصة للنساء فقط فهي تنشر صور الشبان وهم عرايا تماما وتكتب المقالات والدراسات حول تصرفات الرجل وميوله واتجاهه وكيفية الايقاع ، والاحتفاظ به تحت قبضة المرأة ، وقد صدرت هذه المجلة لترد على مجلة (بلاي بوي) الشهيرة بنشر صور أجمل نساء العالم .
٥ ـ مسرح (اوبرا كوبنهاجن) عاصمة الدينمارك عرض باليه (أشعار الموت) المأخوذ من قصة « يوجين أونسكو » وتدور حول أطماع الانسان ونزعته إلى الدمار حيث يقف ٢٢٠ راقصا وراقصة عريا تماما لا تستر اجسادهم حتى ورقة التوت .
٦ ـ سرطان الصدر خطر يهدد المرأة : هذا ما أعلنته صحف الغرب فقالت : إن ٢٥٠ ألف امرأة تموت سنويا بسبب سرطان الصدر وأن العدد يرتفع في اوربا الغربية وأمريكا .
نعم لقد وصل تحرر المرأة الغربية الى حد انها تبدو اليوم عارية في صالات العرض وصناعة « الموديل » وفي العلاقات الجنسية تعرض في المجلات المتخصصة أو في دور السينما أو في صناعة التدليك يقوم بها الرجال للنساء وبالعكس ، وأدى كل هذا إلى رفض الزواج كنظام في بناء الاسرة ، وإيثار العلاقة المؤقتة بين الرجل والمرأة عليه قضاء للوطر بعيدا عن قيود الطلاق المعقدة هناك .

كما وصل الأمر بحرية المرأة الشخصية إلى الغاء اعتبار الزنا من جانب المرأة المتزوجة سببا من اسباب الطلاق وصدرت قوانين الأسرة في مجتمع اسكندنافيا منذ عام ١٩٧٢ ، مؤكدة هذا الالغاء ! .

وتخطت حرية المرأة الشخصية حدود هذا النطاق إلى اختيار الرجل الذي تنجب

منه طفلا إذا انبعثت فيها عاطفة الأمومة في غير زواج شرعي عن طريق المعاشرة الجنسية بعض الوقت أو عن طريق التلقيح الصناعي .

وقد أفقدت المساواة في العمل المرأة الغربية كثيراً من أنوثتها وكل عفتها وكرامتها وأكسبتها خشونة الرجل وقسوته وغلظته بسبب ممارستها للاعمال الشاقة كالتنقيب عن المعادن واستغلال المناجم وقيادة السيارات والقطارات كما فقدت احترام الرجل وعواطفه وميوله نحوها .

ونستطيع أن نوجز ما برز في حياة المرأة الغربية نتيجة لكل ما تقدم فيما يلي : —

١ ــ يباح للمرأة ان تجهض نفسها إذا لم تكن راغبة في الولد أو خشية النزول عن مستواها الاقتصادي .

٢ ــ تبيح المرأة الغربية لنفسها كما يبيح لها العرف القائم هناك « التجربة قبل الزواج » باسم الصداقة وقد يستمر لسنوات لا يتم بعدها زواج .

٣ ــ يباح للمرأة كزوجة أو كصديقة أن تدخل مع زوجها أو صديقها فيما يسمى « تبادل الزوجات أو الصديقات » ويعرف هذا باسم « المعاشرة الجنسية بين المجموعة » فيتنازل كل عن زوجته أو صديقته لغيره ويأخذ معه اخرى وقد تتم هذه المعاشرة الجنسية الجماعية في حجرة واحدة او في حفلات خاصة أو نواد دون تدخل من الدولة .

٤ ــ يباح لها أن تنجب ولدا عن طريق التلقيح الصناعي أو المباشرة لرجل اجنبي .

٥ ــ يباح لها أن تمارس البغاء في صور شتى فقد شاع البغاء كصناعة رأسمالية كما ذكرنا قبلا .

إنها صور الجاهلية الأولى إن لم تكن أبشع وأفظع ، فأين ترى المرأة الغربية نفسها وسط هذه الاسواق الحيوانية المتسغلة ؟ وكيف تراها الان وبعد كل هذا الهوان المرأة المسلمة ، نعم وأي هوان بعد هذا ؟

لقد ضبط احد الازواج ــ في منزل الزوجية ــ زوجته عارية كيوم ولدتها أمها بصحبة رجل اجنبي عريانا ايضا كيوم ولدته أمه ، فرفع أمره للقضاء طالبا الطلاق من زوجته البغي التي استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ، غير أن القضاء الانجليزي في إحدى محاكم لندن لم يرقه تصرف ذلك الزوج الرجعي الذي لا يتمشى مع التقدم الغربي ، والرقي الاجتماعي ، فقضى برفض دعواه مبررا هذه الفعلة بأن الزوج يجب عليه ان يقدر الظروف والتقاليد .

وقد ضبط أحد الشبان الهنود ــ وقت إقامته بباريس ــ رجلا يجلس مع امرأة في حالة مريبة واضحة الفجور في الطريق العام ، فلم يجد بدا من الاستعانة بجندي البوليس الذي قبض على الشاب الهندي المبلغ بتهمة الأخلال بالحرية الشخصية . أية حرية تلك التي يجب احترامها يا قوم ؟

على أن المرأة الغربية كذلك تفقد اسم والدها وأسرتها نهائيا بمجرد عقد الزواج وتنتسب إلى الزوج وهذا رق حديث مشئوم لا يقره الأسلام للمرأة المسلمة .

والمرأة الغربية لم تعرف لها القوانين هناك صفة الاهلية في كثير من الشئون المدنية ، ففي فرنسا تنص المادة ٢١٧ من القانون المدني الفرنسي على « **أن المرأة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض او بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته موافقة كتابية** »

بينما المرأة المسلمة لها شخصيتها المدنية المستقلة كاملة

لقد اكتملت الصورة البشعة المخيفة للمرأة الغربية بل وأحست هي واقعها الاليم فبدأت وبدأ كتابها يطالبون بانقاذ عاجل بل وطالب البعض بالعودة إلى الله وتقليد المرأة المسلمة فيما أعطاها الخالق عز وجل .

ولقد بدت المقارنة الان بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة سهلة وتميز الحق من الباطل وبدا النور من الظلام ، فالأسلام حفاظا على المرأة والفضيلة والمجتمع ينكر ويستنكر : إجهاض الجنين ومباشرة التجربة قبل عقد النكاح ، وتبادل الزوجات والرجال ، والتلقيح الصناعي ، والبغاء ، وتبرج النساء فضلا عن العري في النوادي والشواطىء وغيرها .

ان الاسلام يسلك بالمرأة المستوى الانساني السليم ويعمل على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الانساني الكريم يتبلور في :

ـ الزام الرجل أبا أو أخا بالانفاق على البنت والزوجة والام والاخت ، ويعفى المرأة من السعي للكسب والعمل خارج المنزل ويحفظ بذلك عليها :

أ) أنوثتها التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها والسعي اليها .

ب) قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية لتلك السكنى والاستقرار والمودة والرحمة .

جـ) حرصها على دور الامومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة .

فاذا قامت أصوات نشاز بعد هذا كله تنادي مثلا بتقييد حق الرجل في الطلاق أو سحبه منه وجعله في يد القاضي أو بمساواة المرأة بالرجل في هذا الحق على الاقل .

- أو برفع قوامة الرجل على المرأة .
- أو بمساواة المرأة بالرجل في ولاية الزواج .
- أو بمنع تعدد الزوجات .
- أو بمساواة المرأة بالرجل في الشهادة .
- أو بمساواتها له في الميراث .
- أو بمساواتها له في الولاية العامة .

فاننا نرد هؤلاء ونرد على هؤلاء بالاسلام والمنطق والعقل والطبيعة والواقع في ايجاز سريع

١ ــ تقييد حق الرجل في الطلاق .. الخ أمر يتنافى مع أنه ــ كما قرر القرآن ــ الذي بيده عقدة النكاح فالمنطق أن يكون بيده فك هذه العقدة ثم انه بحكم الاسلام يحمل كل أعباء الزوجية بدءا من المهر فتأثيث منزل الزوجية فالنفقة ثم النفقة والمتعة والحضانة ان طلق ثم مهر جديد وأعباء أخرى ان تزوج ولذا فانه يحتكم الى عقله ويفكر الف مرة في الطلاق ، قبل أن يوقعه عكس المرأة في كل ذلك ، وهو ربان السفينة ورب البيت بحقه ، وسحب حق الطلاق منه وجعله بيد القاضي فضلا عن أنه تحريم لما أحل الله ، وسلب لحق أعطاه الله اياه ، وتناقض مع مسئوليته العامة عن الاسرة ، فهو مدعاة لكشف أسرار الزوجية ونشرها خارج حمى الزوجية وهو البيت .

على أن الاسلام الذي جعل الطلاق في ولاية الزوج قد جعل للمرأة الحق في أن تخلع نفسها بعرض أمرها على القاضي في حالة التضرر ، وأن تختلع من زوجها بتقديم مقابل له كما أن لها حق الطلاق اذا كانت العصمة بيدها .

ومن أسف أن بعض المسلمات اذ يتبجحن بطلب قصر حق الطلاق على القاضي ــ لا يدرين ما يدور في عالم الغرب الذي يحرصن على تقليده من اكتوائه بنتائج قصر الطلاق على القاضي بالمطالبة بانزال هذا الحق الى صاحبي الحق الاصليين ــ الزوجين ــ وتم بالفعل تعديل قانون الاسرة في « السويد » على هذا النحو واعتبر قفزة تحررية على طريق تحرير المرأة الاوربية .

أما عن « **رفع قوامة الرجل على المرأة** » فان طبيعة خلقته بالفطرة تلك التي تميز بها عن المرأة أصلا وبما كانت له من اليد العليا في الانفاق وبأنه رب البيت وأبو الاولاد واليه ينتسبون فانه القوام عليها واقعا وعملا ، وقلب هذا قلب للفطرة .

أما عن مساواة المرأة بالرجل في « **ولاية الزواج** » فلعله قد غاب عن ادراك المطالبين بذلك ان الاسلام أعطى المرأة هذا الحق وأكد عليه بما لا يوجد في غيره من الانظمة والاديان فللزوجة حق اختيار الزوج ومباشرة عقد الزواج بنفسها وحرية تزوجها ممن تشاء ، ولو رفض ولي أمرها بشرط أن يكون الزوج كفءا لها .

أما عن « **منع تعدد الزوجات** » ففضلا عن أن الاسلام جاء مقيدا له وقد كان مطلقا ، وأنه أباحه لضرورات انسانية أو شخصية ، وبشرط ضمان العدل ، فان نسبة التعدد اليوم لا تتجاوز ٢٪ وهي نسبة ضئيلة على أن الاسلام قد حل به مشاكل لم يستطع الغرب أن يتغلب عليها الا باباحة البغاء أو احلال الخليلات مكان الحليلات ، والاسلام لا يعرف الا علاقة النقاء والطهر والنظافة ويمكن الرجوع الى ما كتبنا قبلا في هذا الموضوع .

وأما عن **مساواة المرأة بالرجل في** « **الشهادة** » فان الاسلام في الحيلولة بينها وبين بعض الامور مراع لطبيعتها ولصونها عن مواطن لا تحسن شهادتها

فيها .

وأما عن « **الميراث** » فكما قلنا انها ان أخذت نصف الرجل فلتدخره لأنها أعفيت من كل شيء أما الرجل فان ما يأخذه يعود فينفقه كله عليها وعلى أولادها .

وأما عن « **المساواة في الولاية العامة** » فلأنها لم تخلق لها اذ الوالي له سلطاته الدينية والسياسية والمرأة لم تتهيأ بحكم فطرتها لذلك .

واذا كانت المرأة قد تولت في العشر سنوات الاخيرة في بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية الرياسة الكبرى (الهند ـ سيري لانكا ـ الارجنتين) فقد خرجت كل واحدة منهن من ولايتها العامة بضياع كل النفقة تماما ، وبرضيد من الانحرافات في الحكم تعطي الدليل الواضح على تقلب المرأة وسرعتها في الاستجابة العاطفية للمؤثرات وعدم الاطمئنان الى فصلها في الامور .

« أما بعد »

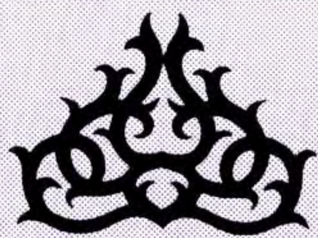
فهذا عطاء الله وذاك عطاء الناس ، نعم هذا عطاء رب الناس ، وذلك عطاء الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، وهذه هي المرأة المسلمة عفيفة شريفة ، كريمة عظيمة ، مصونة مكنونة سيدة متسيدة ، قائدة رائدة ، معلمة تخلق الاجيال ، مديرة تصنع الرجال ، أستاذة تخلق الكمال قوية تجتاز بايمانها المحال ، تعرف ربها ، وتملك قلبها ، وتهب بيتها ومن فيه ودها وحبها ، سكن لبعلها ، حانية على طفلها ، تنشر في مجتمعها أريج الفضيلة ، وتنأى بنشئها عن كل رذيلة ، لها في قلب زوجها أغلى مكان ، وهي مصدر الحب والالهام والحنان ، ثم هي محل التقديس من البنين والبنات ، فالجنة تحت أقدام الامهات .

أما هذه المرأة الغربية اللاهية ، فانها في مجتمعها داهية ، تغدو وتروح كاسية عارية ، وقد باعت نفسها للشيطان ، ولم يعد لله في قلبها مكان ، ونظر اليها الانسان نظرة الحيوان بل ان من الحيوان ما يحنو على مولوده ويحرص على بقائه ووجوده ، لكن هذه تكفر به جنينا فتجهضه .. أو وليدا فتلقي به أو تطرده ، قد شغلها المال والجمال ، عن العيال ولم تفكر في مآب ولا في مآل ، سارت في طريق الاثم حتى كبت ، ونفرت عن طريق الحق فتنكبت ، هانت حتى على نفسها ، وباعت للشيطان كل عواطفها وأحاسيسها .... بل غدت سلعة تباع .... وغرقت في الهوان والضياع .

فأين الثريا اذن من الثرى ... وأين من تسر اذ ترى ممن لا تود أن ترى ؟ أين العفاف من الاسفاف ؟ أين الشرف من التلف ؟ أين التجلي من التخلي ؟ وأخيرا أين الانسان من الحيوان ؟

فليعض المسلمون بالنواجذ على ما أعطى الاسلام لهم ، وليحمدوا الله أن جعلهم من بين الناس (**خير أمة أخرجت للناس**) **آل عمران / ١١٠ .**

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران / ٨ .



في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

الوحي ينظم حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر

النبيّ الأمي يعلمنا القراءة والتفسير لآيات الله القرآنية وآياته الكونية

للاستاذ : محمد العفيفي

١ ـ إن حقيقة نزول القرآن منجما وحقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وحقيقة أسباب النزول هذه الحقائق جميعا ، تعمل على تحريك الحياة الإنسانية ، تحريكا متواصلا ، في تقدم ثابت ، وحركة متجددة ، لا مصدر لها إلا الوحي الالهي في القرآن والسنة معا ، وأنهما بذلك يشتد ارتباطهما ولا ينفصلان من حيث مصدرهما الواحد وهي وحي الله ، ومقاصدهما الواحدة ، وهي بيان أوامر الله ونواهيه . ثم إن تحديد أنواع النسخ بأنها ثلاثة أنواع ، هي ما نسخ حكما وتلاوة ، وما نسخ تلاوة لا حكما ، وما نسخ حكما لا تلاوة . هذا كله تنظيم لحاجات البشر إلى أحكام الوحي بما فيها من عموم وخصوص ، وقد جاء في كتب العلماء القدامى أمثال السيوطي .

وقد بين السيوطي في كتابه « معترك الأقران » أن الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ خلائق لا تحصى .

٢ ـ ولكن الربط بين أسباب النزول وبين النسخ ، يجعلنا ننظر إلى هيمنة الوحي من قرآن وسنة على حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر ، وجعلها حركات أصيلة دائما ، لا تنقطع أبدا ، عن الحقيقة بكل وجوهها التي يسر الله معرفتها للبشر بكل زمان ومكان . ولعلنا نذكر هنا ما سبق من أن القرآن والسنة يتجددان تجددا ذاتيا لا يحتاج إلى أي مدد خارج على وحي الله تعالى ، كما بينه لنا في كتابه وسنة رسوله . ندرك ذلك حيث ننظر في أسباب النزول فنجد كل سبب منها يحمل معه الفارق بينه وبين غيره من الأسباب ، كما يحمل معه أسس اتصاله بالوحي في جملته وتفصيله ، سواء ما يتصل بذلك من آيات القرآن وأجزائها ، ومواضع كلماتها وحروفها في القرآن كله ، أو يتصل بالوحدة والنوع في مقاصد السنة القولية والعملية ، أو كل ما يخضع لذلك من الوقائع المتجددة في حياة البشر ، على اتصال الحياة الانسانية من الدنيا إلى الآخرة .

وقد اقتضى ذلك أن يكون ما سميناه معا من قبل ـ التراسل بين القرآن والسنة ـ قائما على التنسيق المعجز بين ما اختص به القرآن من المقاصد والأحكام ، وما اختصت به السنة من ذلك ، في حركة متتابعة بينهما ، وحاجات متتابعة من الحياة الإنسانية إليهما .

كل ذلك من إعجاز الوحي الالهي ، الذي جعل في السنة ناسخا

ومنسوخا ، كما وجدنا في القرآن ناسخا ومنسوخا .

وكل ذلك في إطار أسباب النزول لا يحصيها إلا الله تعالى .

٣ ـ فلئن كانت أسباب النزول أسبابا ظاهرة في الحقيقة الخاصة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ مثلا ، فإن هناك من أسباب النزول التي يعجز البشر عن إحصائها ، والإحاطة بما فيها من الثبات والحركـــة ، والأصالة والتجدد ، هو بعدد مواضع كل حرف وكلمة وجملة ، نجد كلا منها ، بكل آية قرآنية ، كلما نظرنا إلى ما تتعدد مواضعه من هذه الأجزاء ، في آيات كثيرة .

وكذلك الأمر إذا نظرنا بعمق عظيم إلى تجدد أحوال الضبط والترتيب ، بالحروف جميعا ، في الكلمات جميعا كلما اقتضت حكمة الله تنويع صيغ الكلمات ، فضلا عن تنويع ما خص الله به كل صيغة لكل كلمة من عدد مواضعها في القرآن كله ، حتى أمر الله عبده ورسوله ، بترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف كما هو محفوظ بحفظ الله فلا ينبغي أن يحرف أو يبدل بحال من الأحوال .

هذه كلها أسباب للنزول لا نحيط بما هو ظاهر منها إذا نظرنا في الأسباب الواقعة في أحوال البشر كتحويل القبلة ، أو ما نزل في التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها ، كما لا نحيط بما هو دقيق وخفي منها كلما نظرنا في ثبات القرآن على الناحية الشكلية في حروفه وكلماته وجمله وآياته ، مع مقاصده الكثيرة ، الدائبة التجدد ، والمرتبطة بهذه الأجزاء في جملتها وتفصيلها وحركتها في مواضعها ، ثم حين ننظر إلى السنة في تنوع المقاصد التي يجمع لنا ألوانها الكثيرة كل باب من أبواب الحديث الشريف .

٤ ـ وأقرب مثل لذلك أن السنة قد استقلت بالتشريع في شأن القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس فلم ينزل في ذلك قرآن ، وإنما صدر بذلك أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في القرآن وجوب طاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر/٧

ولقد ظلت السنة هي المصدر في جعل القبلة إلى بيت المقدس حتى شاء الله أن يتم القرآن ، هذه الحركة التي بدأتها السنة فتوفر السبب المرتبط بنزول الآية الخاصة بذلك .

ولو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من تركيب أيسر أجزائه ، إلى ما في الحياة الإنسانية بكـــل أزمنتها وأمكنتها من أسباب الخضوع لذلك ، مع ما يتعلق بمقاصد القرآن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا حركة قرآنية معجزة ذات تقدم يمضي دائما على يقين لا ريب فيه ، كما تشرق الشمس في كل يوم جديد ، بضوء جديد ، وموضع من جريان الشمس جديد ، والضوء واحد ، في

جملة حقائقه ، وحاجات الكـــون والحياة الإنسانية إلى هذا الضوء تتجدد حتى يرث الله هذا العالم وما فيه .

ويلخص لنا مصطفى صادق الرافعي ، هذا التجدد الدائب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى » .

غير أن الذي نريده بذلك هو التجدد في ذات القرآن وذات السنة ، من حيث الوحدة والتنوع في النصوص والمقاصد ، والاحاطة بحركة الحياة الانسانية في تجدد دائب ، يبين لنا ما هو حق من كل أقوالنا وأعمالنا وما هو باطل .

فإذا نظرنا إلى سبب النزول الخاص بتحويل القبلة ، ثم سبب النزول الخاص بالتي تجادل في زوجها ، وجدنا لقطتين متفردتين في موكب الحياة كله ، بلا تكرار من جهة ، وبلا انفصال بينهما وبين بناء الحياة كله من جهة أخرى ، لأن إحاطة الله بكل المقاصد إحاطة قادرة على هذا التجديد المستمر ، الذي لا سبيل إلى مثله في حدود القدرة البشرية .

فلننظر إلى هذين السببين من أسباب النزول :

والسبب الأول :

هو تحويل الكعبة كما جاء في الحديث المتصل السند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء)** البقرة/١٤٤ ، الى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما قالوا في ذلك فأنزل الله تعالى : **(قل لله المشرق والمغرب)** البقرة/١٤٢ .

والسبب الثاني :

هو الذي خص الله تعالى به أوائل الآيات في سورة المجادلة وأنها نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها ، فكانت هذه الآيات ، وما بينها وطبقها من السنة ، مصدرا في أحكام الظهار وما يترتب عليها من أمور .

إن هدفنا من النظر إلى ما تقدم هو بيان هذا التجدد الذي يخص كل أمر بذاته ، فيفرد له موضع ارتباطه بالحياة في جملتها وتفصيلها ، وأن هذا لا يكون في أي كلام إلا في الوحي الالهي من قرآن وسنة .

والفرق بين القرآن والسنة هنا ، هو أن القرآن دائب الحركة المعجزة ، في مبناه ومعناه وترتيب أجزائه في جملتها وتفصيلها ، بينما السنة دائبة الحركة المعجزة في ما يخص أحاديث الرسول في جملتها وتفصيلها ، من الوحدة والتنوع في مقاصد كل حديث ، بين الأحاديث كلها ، تماما ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرك بعد صلاة

الفريضة ، ليصلي ركعتي السنة بعد صلاة الظهر أو صلاة المغرب ـ مثلا ـ في موضع جديد ، من المسجد .

وما ذلك إلا وحي إلهي يوجه السنة العملية نحو التقدم الدائب ، والحركة المتجددة بغير انقطاع .

ـ النسخ في السنة يرتبط بكل ما تقدم :

٥ ـ لذلك كانت السنة أيضا تتخذ من النسخ خطوات دائبة يتحقق بها لكل داء دواؤه ، فيما يناسبه من المكان والزمان ، فلا يستقر حكم ليشمل كل فترات التاريخ إلا إذا كان من الأمور العامة التي تتسع للحياة الإنسانية بغير حدود ، أما إذا كان هناك هدف محدود ، فله من الأحاديث المنسوخة ما يحققه ، إلى أن ينتهي زمنه ، ونتعلم منه كيف لا نخلط بين العام والخاص في أحكام الله تعالى :

(أ) ومن النسخ في السنة ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه النسائي والترمذي .

وواضح أن السنة هنا تنسخ حكما بحكم وفعلا بفعل ، لحكم كثيرة علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها سبيلا إلى ممارسة الأمة للتفكر ، والمقارنة بين الأشباه والنظائر .

وزيارة القبور مع حداثة عهد الناس بالشرك ، غيرها بعد استقرار الاسلام ، وظهور حقيقته .

(ب) ومن النسخ بالسنة ما نجده في جزم الصحابي ، بأن الناسخ هو الحكم الذي كان أخيرا ، بعد حكم آخر كان قد سبقه ، فكان هو المنسوخ .

وذلك مثل حديث جابر رضي الله عنه :

« كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الوضوء مما مست النار » رواه أبو دا ود والنسائي .

(جـ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في النظر إلى التاريخ وتعاقب فتراته . فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين ، يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم .

وذلك كحديث شداد بن أوس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أفطر الحاجم والمحجوم) رواه البخاري

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .

فقد بين الشافعي أن الثاني ناسخ للأول من حيث أنه روى في حديث شداد أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وروى في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك أن الأول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر .

(د) ومن النسخ في الحديث ما يعرف بالإجماع كحديث :

« قتل شارب الخمر في المرة الرابعة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

فلقد عرف المسلمون أن هذا الحديث منسوخ بانعقاد الإجماع على ترك العمل به ، والإجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

والحقيقة أن السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التي بينت لنا هذا النسخ .

ذلك أنه جاء في حديث قبيص بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه ـ في الثالثة أو الرابعة ـ فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة) رواه احمد .

فلعلنا ننعم النظر في هذا التراسل العملي بين القرآن والسنة ، حيث خص الله كلا منهما بأنواع من المقاصد ، في تقديم وتأخير ، وناسخ ومنسوخ ، حتى نعلم دائما أن السنة في تفسيرها للقرآن ، لا تنفصل عنه من حيث الوحدة والتنوع في مضمون الوحي ومقاصده ، ولا من حيث التطبيق المستمر للقرآن ، في السنة القولية والعملية ، على نحو لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

ـ دور الأمة في هذه الحركة المتجددة :

٦ ـ ومما يتصل بأهداف هذا التراسل بين مقاصد القرآن والسنة ، أن الله جعل للأمة نصيبا من الوحي ، ممثلا في نزول أجزاء يسيرة من الآيات على ألسنة نفر من الصحابة ، ثم في رؤية من رأى صيغة الأذان في نومه وموافقة ذلك لصيغة الأذان كما طبقتها السنة في الواقع العملي .

فأما أجزاء الآيات التي ألهمها الله بعض الصحابة فكان في ذلك توثيق بين ما نزل به جبريل على الرسول وبين ما خص الله به الأمة من ذلك ، فمنها ما صح عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو إتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت **(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)** البقرة/ ١٢٥

وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : **(عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)** التحريم/ ٥ . فنزلت كذلك : (الحديث أخرجه البخاري وغيره)

والأحاديث في ذلك قليلة ولكنها صحيحة ودالة على أن الله جعل للأمة نصيبا في تلقي الوحي ، حتى يكون عملنا به قريبا من حياتنا العملية ، ويزيد الله به المسلمين فضلا على فضل .

أما الأذان فقد روى الترمذي عن عبدالله بن زيد بن عبدربه أنه رأى الأذان بصفة وصيغة في رؤيا فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تبين أن عمر رضي الله عنه رأى رؤيا مثلها فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا هو الأذان الذي يفسر لنا بالواقع العملي قوله تعالى :

(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) المائدة/٥٨

وقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)

وبذلك يكون الأذان بيانا للآيتين السابقتين ، وتطبيقا عمليا لهما في كل مكان وزمان .

فلننظر كيف جعل الله تعالى الأذان وحيا للأمة ذاتها ، تسانده السنة العملية في تفسيرها للقرآن ، وتطبيقها لمقاصده ، لأن هذا مما يوافق الدعوة المتجددة في كل مكان وزمان ، لإقامة الصلاة .

ـ من تعليم الله لخاتم رسله :

أ ـ يسر الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أن ينظر في بناء الكون حيث ركب الله كل شيء ابتداء من أدق الأشياء ، وانتهاء بالكون كله في جملته الواحدة ، وجعل في هذا بيانا لآياته الكونية ، فكان أول ما نزل عليه من الوحي قوله تعالى :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق/١ ـ ٥ .

فهذه الآيات الخمس ، فيها انواع التراكيب التي جعلها الله متفقة مع مكانات المعرفة الانسانية والوجود الانساني بين آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية ، لتتم نعمة الله على عباده تماما ، لا ينبغي أن ينال منه نقص ، او ترد عليه زيادة ، كما يقول الله تعالى : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** (٨٩) النحل .

ألا نرى قوله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** فالقراءة هنا هي قراءة آيات الله الكونية ، التي هي مركبة في أنواع كثيرة ممتزج بعضها ببعض ، متحرك بعضها في بعض ، ومع ذلك فكل نوع ثابت على ما يدل عليه ابتداء من شكله ونفاذا إلى مضمونه ، وفي الكثير والقليل منه على سواء ، لينتفع به الناس جميعا وفرادى ، بكل مكان وزمان ، في صدق وعدل دائمين .

ثم تأتي الآية الثانية لتنتقل بنا من هذا التعميم في القراءة ، الى التخصيص كما يقول سبحانه : **(خلق الانسان)** ، والانسان كالكلمة في هذه الآيات ، السابقة ، آيات الخلق .

والانسان هنا اسم جنس ، يدل

على الخاص والعام من نوعه ، حتى يأتي قوله تعالى : **(خلق الانسان)** على ذكر البشر في جملتهم وتفصيلهم ، كماهو الشأن في الكلام في جملته وتفصيله ، وهو يتركب من الجمل التي تشبه المجتمعات ، ثم يتركب من الكلمات التي تشبه الأفراد .

ونواصل قراءة هذه الآية فنجد قوله تعالى : **(خلق الانسان من علق)** والعلق كائنات دقيقة لم يرها الانسان الا في العصر الحديث مع اكتشاف المجهر الكهربائي .

ولكن الذي يهمنا هنا أنها تشبه في اللغة ، الحروف بكل ثباتها على خواصها وحركتها في الكلمات ، ثم حركة الكلمات في الجمل ثم حركة ذلك كله في الكلام كله ، كلما كانت هناك حاجة حقيقية الى الحركة الجديدة الهادفة النافعة ، في كلام الله او خلق الله .

أما صناعات البشر أو كلامهم فهم عاجزون أبدا في كل ذلك ، عن تحقيق مثل هذا الثبات وهذه الحركة ، او مثل هذه الاصالة وهذا التجديد .

ب ـ فلننظر كيف بدأ الله في تكليف عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم بقراءة الخلق ، مع ذكر تركيبه العام الشامل بكل أنواعه ثم خص الانسان بالذكر ، وهو نوع قائم بذاته بين كتاب الخلق بكل فصوله ، ثم العلق ، وهو كالحرف في تكوين كلمة الانسان ، أو إن شئت فقل إنه الجزء البسيط الذي يتركب منه الوجود الانساني ، بكل ما فيه من ثبات وحركة ، جعلها الله أساس معرفتنا وجودنا ، نحن البشر .

ثم تتصل الآيات ، فيقول الله تعالى : **(اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** فهاهنا ؛، يأتي ذكر القراءة اللغوية قراءة الحروف والكلمات والجمل ، التي تكتب بالقلم ، لتربط الأفهام ، بكل ما أمرنا الله به ، من عقيدة وقول وعمل ، وتبين لنا نواهيه في كل ذلك .

ـ السنة تكشف لنا أسرار الحروف :

لقد جعل الله تعالى تركيب آياته القرآنية قائما على هذا النظام ابتداء من النظر في الحروف المجردة كما نرى في فواتح السور ، ثم ننظر في تركيب الكلمات من الحروف ، ثم ننظر في تركيب الجمل والآيات والسور ، ثم نقيس الأشباه والنظائر بين مواضع كل هذه الأنواع كلما اقتضت كلمة الله أن تكثر مقاصدها ، فتكثر مواضعها بمقدار متفق تماما مع المقاصد والغايات .

والسنة المطهرة لا تضعنا في صميم هذا التركيب القرآني على نحو ما رأينا فيما سبق ، الا ليزداد ارتباطنا بالقرآن ، وعيا وثباتا وتجددا .

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهذا التفسير للرسول صلى الله

عليه وسلم يبين لنا أنه لا سبيل للقدرة الانسانية على معرفة معاني الحروف ، لأنها أصوات مجردة لا يعلم معانيها الا الله وحده .

أما اذا اتصلت الحروف بالكلمات ، والكلمات بالجمل والجمل بالآيات ، والآيات بالسور ، فهكذا يكون فهمنا للمعاني ميسرا كما يسره الله وجعله موافقا لأساليب معرفتنا ونحن نحيا في صميم هذا الوجود الكوني الذي نعيش في رحابه .

فلما كان البشر لا يستطيعون ان يفهموا معاني الحروف فقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالربط بين قراءتها وبين الثواب الذي أعده الله لذلك ، ولم يأت في كلامه ما يشير الى معانيها .

ولقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا التفسير بين الحروف المجردة وبين التراكيب التي ترتبط بها مع تنوع صيغ الكلام ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ حرفا من كتاب الله » وهذا يشمل التراكيب في الكلمات والجمل والآيات والسور .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا أقول : (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهكذا ربط الرسول بذلك بين استقلال الحروف بأصواتها المجردة ، وبين ارتباط كل نوع بما يرتبط به من انواع التراكيب في الكلام ، وأنواع التراكيب المماثلة لها في آيات الله الكونية ، مع ما خص الله به القرآن ، من السمو على آيات الله الكونية ، بأنه لا مجال معه للهدم والبناء كما هو الشأن ، في الموت والحياة والبعث في حياة البشر ، كما قضى الله ذلك عليهم ، بكل ما يتصل بهذه الناحية من أحوال الكون المادي الذي يعيشون فيه ، وانما القرآن نور من نور الله ، يسره الله للذكر ، كما هو في ترتيب أجزائه وتركيبها ، فالقرآن وان كان في جملته نورا واحدا ، لا تبديل له ، ولا تحريف لمواضعه ، فهو في تفصيله يتضمن أنواعا كثيرة من وجوه العلم ، لا يحصيها أحد الا الله تعالى وحده لا شريك له .

وحتى يزداد الأمر وضوحا فان من الدليل العملي على التركيب المعجز لفواتح السور ، وهي الحروف القرآنية المجردة ، التي تأتي في القرآن غير مركبة في كلمات ، أنها تكثر في آيات السور التي نجدها في أولها ، كثرة لا مثيل لها في غير ذلك من السور . فلما كانت كلمات الآيات متنوعة في صيغها ، فقد دل ذلك على كثرة التنويع في حركة هذه الحروف بصيغ الكلمات ، من حيث ضبط الحروف ثم من حيث مواضعها في كل كلمة .

فلننظر ـ مثلا ـ الى قوله تعالى :

(الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) يونس / ١، ٢ .

ونحن نجد هذه الحروف الثلاثة التي تتكون منها (الر) تكثر وتتنوع

من حيث الضبط والموضع في كلمات هاتين الآيتين من سورة يونس .

وليتأمل ذلك من شاء فهو ظاهر لا ريب فيه فهكذا تعمل الحروف على تنويع صيغ الكلمات وتجديد حركتها بين آيات القرآن .

ثم تعمل الحروف في فواتح السور ، وهي مجتمعة في صيغها على تجديد أنواع الارتباط من حيث المقاصد التي نحصل عليها كلما نظرنا في حركة (الر) ـ مثلا في مواضعها الخمسة في القرآن كله .

ففي الموضع السابق اتصلت (الر) بالكلام عن آيات الكتاب الحكيم ، أي الآيات التي نزلها الله بمواضعها من سورها ، ثم بمواضع أجزاء هذه الآيات من حرف أو كلمة أو جملة فحيثما وجدناها في آيات وسور أخرى ، فلا بد أن يصلنا كل جزء بجديد من المقاصد ، مع ما يرتبط به من سياقه في كل آية جديدة .

ثم ننظر في الموضع الثاني لفاتحة السورة (الر) فنجدها ثابتة على نصها مما يدلنا على أنها تركيب واحد لا يتغير ، كما نجدها قد تحركت حركة جديدة هادفة بدليل تجديدها لما نحصل عليه من مقاصد القرآن حيث قوله تعالى :

(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود / ١ .

ومن الجديد بيان التفصيل للآيات أي كثرة مقاصدها بكثرة ما ترتبط به أجزاؤها بسياقها في كل موضع جديد أو ترتبط به هذه الآيات بجملتها اذا تعددت مواضعها مثل : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر)** القمر / ٣٢ ، أو **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)** في سورة الرحمن .

ومن الجديد هنا كذلك ذكر مصدر هذا الاعجاز في تركيب القرآن **(من لدن حكيم خبير)** ثم ننظر في الموضع الثالث لفاتحة السورة (الر) فنجد تنويعا في تجديد المقاصد **(الر تلك آيات الكتاب المبين)** يوسف / ١ .

ومن الجديد هنا ان وصف الآيات جاء دالا على أنها آيات الكتاب المبين . فالبيان أمر آخر غير الاحكام وغير التفصيل ، ولكنه متصل به ونتيجة من نتائجه .

وهكذا نلمح اتصال المقاصد التي تجتمع في أفهامنا ونحن ننظر في هذا التركيب القرآني المعجز ، اتصالا لا ينقطع مع التجديد والتنويع اللذين لا مثيل لهما في كلام البشر .

حتى إذا نظرنا في الموضع الرابع لفاتحة السور **(الر)** وجدنا قوله تعالى :

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) ابراهيم / ١ ومن الجدير هنا بيان مهمة الرسول في تلقيه للقرآن كما يقول تعالى : **(أنزلناه اليك)** وترتيبه لآياته وسوره كما أمره الله وعلمه ، وهذا مستفاد من قوله تعالى : **(أنزلناه)** لأن الانزال يعني في بعض دلائله التركيب بما فيه من ثبات النصوص ، وحركتها كلما تعددت مواضعها ، ثم تطبيقه في الحياة العملية حتى يخرج المؤمنين

من الظلمات الى النور كما يقول تعالى : **(لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)** .

ولا شك أن القرآن قد أخرج الناس جميعا من الظلمات الى النور لأنه هو الكتاب الذي قضى على كل ظلمات الجهل ، وفتح للناس جميعا آفاق الحضارة والتقدم ، فضلا عن الذين آمنوا بالقرآن وعملوا به ، فهم قمة عالية في الوجود الانساني .

وأخيرا نصل الى الموضع الخامس والأخير لفاتحة السورة **(الر)** حيث قوله تعالى : **(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)** الحجر /١ .

ومن الجديد هنا أن هذه الحروف المجردة في أساس البناء في تركيب الكلمات القرآنية بكل ما في صيغها من حركة وتنويع وتجديد ، ثم تركيب الجمل من الكلمات ، وتتركب الآيات من كل ذلك ، فذلك من بعض العلم في قوله تعالى : **(تلك آيات الكتاب)** ثم يتصل المعنى حتى نجد قوله تعالى : **(وقرآن مبين)** أي أن تركيب الآيات كما سبق بيان ذلك ، منه تتركب السور ، ثم ترتب كما رتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن من ربه ، فيكون في ذلك أساس البيان في القرآن ذاته ، وفي ما يقوم على أساسه من السنة العملية والقولية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال الله تعالى : **(وقرآن مبين)** وهذا نفسه هو المنهج القويم للبحث العلمي في الكون كله .

ذلك أن المعرفة الانسانية لا تحصل على المضامين والمقاصد من آيات الله الكونية ، الا في تراكيب وأشكال متنوعة تبدأ من أبسط الأشياء كالذرات والخلايا ، ثم يتسع التشكيل ويتنوع ويتجدد ، فنبدأ نحن البشر بمعرفة الأشكال ، ثم نتعمق في مضامينها ومقاصدها .

وهذا هو النظام المستفاد من تركيب القرآن ودلالة السنة عليه .

ـ ثلاثة أنواع من القراءة :

وهكذا تعلمنا هذه الآيات التي كانت أول ما نزل من القرآن ثلاثة أنواع من القراءة وأساليب المعرفة التي يسرها الله لنا نحن البشر .

فأما النوع الأول : فهو قراءة آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية في سعة وشمول واتصال وهذا النوع هو أساس كل قراءة فلا يستعاض بغيره عنه .

والمقصود بذكر آيات الله الكونية ، مع آيات الله القرآنية ، أن الله نزل القرآن ، لنقرأه ونحن على وعي بكل ما يخبرنا به من حقائق الكون والحياة ، مع وجوب التفرقة دائما بين المخلوقات المادية ، وبين القرآن وهو من علم الله .

وأما النوع الثاني : فهو قراءة الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، لنعرف أنواع الأجزاء المركبة كالجمل التي تتركب من الكلمات ، والكلمات التي تتركب من الحروف ، وبكل ما يتجدد من المقاصد ، كلما تعددت

مواضع أي نوع من ذلك .

والمقصود بذلك أن نكون على وعي بأن نظام التركيب واحد ، في كلام الله ، وفي خلق الله ، وان كانت المخلوقات ، خاضعة لما كتب الله عليها من الموت والحياة ، بينما القرآن باق على تركيبه الذي لا يزول .

وأما النوع الثالث : فهو قراءة الحروف التي تتكون منها هذه التراكيب .

والأجزاء الدقيقة في مخلوقات الله تتنوع مع كثرة الخلايا أو الذرات ، وتشبه حروف اللغة في تكوينها وكثرة حركتها فيما خص الله به كل نوع من أنواع خلقه ، فهو يتكاثر مع ثبات خصائصه التي تقوم على هذه الحروف الدقيقة ، فتركيب الأشياء منها هو الذي يجعلنا نرى كل نوع من انواع الخلق .

ولننظر مثلا الى كتلة من الذهب او الحديد او الرصاص ، فنحن نراها طالما ظلت متماسكة في تركيبها القائم على ذراتها .

ولنترك ــ بعد ذلك ــ العقل يتصور أن ذرات هذه الكتلة المركبة المتماسكة قد تناثرت ذراتها ، وتباعد ما بينها من الروابط الوثيقة .

فهل يمكننا أن نراها بعد ذلك ؟

الحقيقة أننا لا نستطيع ان نرى الناس يتحركون في أرجاء الحياة أو نرى الجبال والأنهار والأقمار والشموس ، والغابات الفسيحة ، إلا إذا كانت مركبة من حروف الذرات والخلايا ، كما وصل الله أجزاءها ، وجعل حواسنا ، همزة وصل بين وجودنا بينها ، ووعينا بها .

فاذا تفرقت الذرات والخلايا ، وهي دقيقة لا نراها إلا بالمجهر الكهربائي ، استحال هذا العالم الذي نعيش فيه غيبا لا يراه إلا الله وحده لا شريك له .

لذلك جعل الله الربط على القلوب ، همزة وصل بينها وبين الحقيقة مهما تتباعد دلائلها ، ويحجب الغيب أسرارها ، وتدق آياتها عن الأفهام .

يقول الله تعالى عن أهل الكهف :

(وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) الكهف / ١٤

ويقول عن أم موسى عليه السلام :

(إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) القصص / ١٠

ويقول عن المؤمنين يوم بدر :

(وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) الأنفال / ١١

إننا أمام الاعجاز في الوحي الالهي ، الذي يتجلى في أن الله تعالى ، علم عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو النبي الأمي ، أنواعا من القراءة ، والعلم ، والتفسير ، ليست لأحد غيره ، وانما سبيلنا الى معرفتها هو اتباعه ، والأخذ عنه ، ولا سبيل الى هذا النور المبين ، الا بذلك .

وحسبنا في هذا البحث ان حاولنا ــ معا ــ ان نتبين معالم منهج كامل للتفكير الشمولي السديد ، بالقرآن والسنة معا .

التلازم بين التشريع السماوي ووجود الانسان

الله سبحانه وتعالى حينما خلق الكون جعل له نظاما وقانونا بحيث لا يخرج عنه، ونلاحظ أن الكون يسير على أسس وقواعد، تحفظ له بقاءه واستمراره على أحسن وجه، فالشمس تشرق وتغرب، ويتعاقب الليل والنهار، والقمر له منازل لنعلم أول الشهر وآخره، وعدد السنين والحساب، قال الله تعالى: **(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون. إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون)** يونس/ ٥، ٦

كما نجد أن الله خلق السماوات والأرض وما فيهما، ونظم شئونها، ودبر أمورها وسير حياتها بما فيه المصلحة، ودوام المنفعة، قال الله

الحلقة الخامسة

للدكتور محمد طموم

تعالى : (**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون**) يونس/٣ .

فاذا كان هذا شأن الله في الكون ، ومع جميع مخلوقاته ، فكيف يتصور تخلف ذلك مع أفضل مخلوقاته ، وهو الانسان ، الذي كرمه ، وسخر له الكون لخدمته ، فهو أولى بالرعاية ، وذلك بالتقنين له لتنظيم حياته واستقراره ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل كل مخلوقات الله في السماوات والأرض من جماد ونبات وحيوان وغير ذلك تعبد الله وتسبح بحمده ، قال الله تعالى : (**تسبح له السموات والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) الاسراء / ٤٤ .

فاذا كان هذا شأن الله في الكون ، ومع جميع مخلوقاته ، فكيف يتصور تخلف التقنين والتنظيم والارشاد من أفضل مخلوقات الله ، وهو الانسان ، الذي كرمه وفضله ، وسخر الكون لخدمته ؟ فهو الأولى بالرعاية ، وذلك بالتشريع له ، والتقنين من عند خالقه ، حتى تنتظم حياته وتستقر .

قال الله تعالى : (**وإن الدين لواقع**) الذاريات / ٦ .

واعتقد أنه لا ينكر ذلك عاقل ، فضلا عن كونه مؤمنا بوجود الله .

وسأؤكد وجود التشريع السماوي من عند الله من بدء الخليقة ، وحتمية التلازم بين وجود التشريع الالهي ووجود الانسان الأول على الكرة الأرضية ، وأن الانسان الأول والأسرة الأولى رافقها التشريع السماوي ، وأن الله تعالى لم يتخل عنها لحظة من وقت أن وطئت الأرض ، ووجدت عليها ، وذلك بما يأتي :

١ ـ الخلافة :

قال الله تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**) البقرة / ٣٠ .

وقال تعالى : (**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا**) فاطر /٣٩ .

فالله سبحانه وتعالى جعل الانسان خليفته في الأرض ، وتعيينه خليفة يقتضي صدور الأمر له بما يجب أن يفعل ، ونهيه عما يشينه ويبعده عما كلف به ، وتوضيح الواجبات عليه ليؤديها ، والمعاصي ليتجنبها ، وهذا هو التكليف والتشريع السماوي .

٢ ـ التكريم :

قال تعالى : (**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**) البقرة/ ٣٤ ، وآيات الاسراء/ ٦١ ، طه/ ١١٦ .
قال الله تعالى ـ على لسان إبليس عندما امتنع عن السجود لآدم : (**هذا الذي كرمت علي**) الاسراء / ٦٢ .

وقال تعالى : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات**) الاسراء / ٧٠ .
فالله سبحانه وتعالى كرم الانسان ، وأمر بتكريمه ، وسخر له مخلوقات الله من جماد ونبات وحيوان ، والبر والبحر والجو ، وغير نلك ، ومن التكريم أن ينظم الله حياته ، ونلك بالتقنين والتشريع له ، وإرشاده الى ما يحفظ كرامته ، حتى يحافظ على مكانته بين سائر خلق الله .

٣ ـ التفضيل

قال تعالى : (**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء / ٧٠
فالله تعالى قد فضل الانسان بالعقل والعلم وغير نلك ، واذا كان الله قد نظم الكون وما فيه من مخلوقات ، ووضع لكل منها قانونا تسير عليه ولا تتعداه ، فمن باب أولى أن يضع قانونا للانسان يسير عليه ، ويسترشد به في حياته ، لتستقيم شئونه ، ويسعد في حياته الدنيوية ، فتحسن آخرته ، فلا أقل من أن يتساوى مع غيره من مخلوقات الله في التقنين والتنظيم من عند الله ، ولا يتصور أن يكون أقل من بقية المخلوقات من جهة التقنين والتنظيم ، بل يستحيل نلك عقلا وشرعا ، قال الله تعالى : (**أيحسب الانسان أن يترك سدى**) القيامة/ ٣٦

٤ ـ العبادة :

قال الله تعالى : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون · إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات/ ٥٦ ـ ٥٨ .
وقال تعالى : (**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله الا أنا فأعبدون**) الانبياء / ٢٥ .
الانسان خلق ليعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئا ، والعبادة هي طاعة الله فيما أمر ، والبعد عما نهى الله عنه ، ولن يتمكن الانسان من عبادة الله الا بمعرفة أوامره ونواهيه ، ولتحقيق نلك لا بد من بيان هذه الأوامر والنواهي للانسان ، وتبليغها له ، وطريق نلك إرسال الرسل بالشرائع السماوية ، قال الله تعالى : (**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**) فاطر/ ٢٤ .

٥ ـ عداوة إبليس للانسان وتحديه :

قال الله تعالى : (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك**) طه/ ١١٧
وقال تعالى : (**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض**

مستقر ومتاع إلى حين) البقرة/ ٣٦ .

وقال تعالى : **(قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)** الاسراء/ ٦٢ ـ ٦٥ .

وقال تعالى : **(قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين)** الحجر/ ٣٩ ، ٤٠ .

وقال تعالى : **(إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا)** الاسراء / ٥٣ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله عداوة ابليس للانسان ، واستمراره في هذه العداوة ، وإصراره عليها ، وحقده على الانسان ، وتحديه للانسان ، محاولا اثبات عدم أفضلية الانسان عليه ، وعدم طاعته لله ، وقد قبل الله تحديه للانسان ، وأعطاه قوة ، وسلطة الاغراء والتزيين لضعاف النفوس ، ثم أنزله مع الانسان ليعيش معه في الأرض ، فلا يمكن شرعا وعقلا ان يترك الله الانسان بدون إرشاد ، وبدون تبيين الطريق المستقيم ، ولذلك كان التشريع السماوي للانسان من أول وجوده على الأرض أمرا حتميا ، اقتضته عدالة الله تعالى .

٦ ـ حادثة ابني آدم قابيل وهابيل :

قال الله تعالى : **(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)** المائدة/ ٢٧ ـ ٣٠ .

يبين الله لنا في هذه الآيات ما حدث لأول ذرية للأسرة الأولى ، الذي تكون منهم أول مجتمع إنساني على الأرض ، وبمتابعة الحوار الذي دار في هذه القصة ، بين قابيل وهابيل ـ ابني آدم ـ يتبين لنا أمور كثيرة ، يثبتها هذا الحوار ويؤكدها ، ونستخلص منها أن المجتمع الانساني الأول عرف أفراده ما يأتي :

أ ـ القربى والتقرب ، ووسيلة التقرب ، وعلامة القبول وعدم القبول ، ومن الذي يتقبل منه .

ب ـ التقوى وخوف الله ، والمعصية والاثم ، والظلم والاعتداء ، وجزاء ارتكاب المعاصي .

جـ ـ الله سبحانه وتعالى وشرعه ، وأوامره ونواهيه ، وهو الذي يتقرب اليه ، وهو الذي يقبل عمل المتقين ،

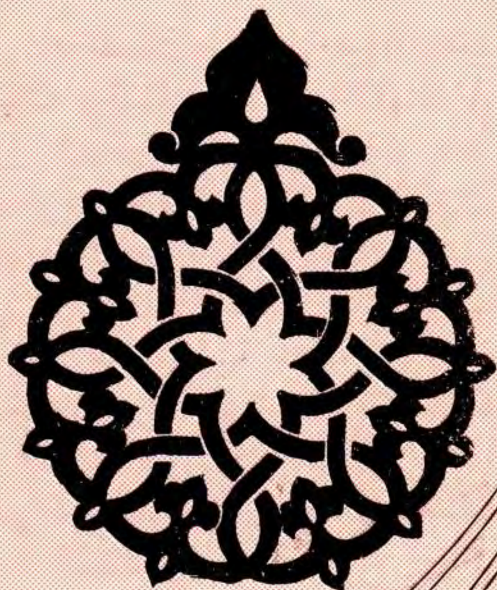
ومعصيته إثم وظلم ، وأنه الذي يحاسب .
د ـ اليوم الآخر ، والحساب ، والجنة والنار .
ومن كل هذا يتضح أن الله شرع للمجتمع الأول ، وبين لهم أحكامه ، ولم يتركه بدون تشريع ينظم حياة أفراده ، لأن هذه الأمور لا تدرك بالعقل .

٧ ـ تتابع الرسالات :

قال الله تعالى : **(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)** فاطر / ٢٤ .
وقال تعالى : **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** المائدة/ ٤٨ .
وقال تعالى : **(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)** غافر/ ٧٨ .
ثابت أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل الى الناس في عصور وأزمنة مختلفة ، وأمكنة متعددة ، وقد تتابعت الرسالات واستمرت ، حتى ختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعثه الله الى الناس كافة ، والى يوم القيامة ، فاذا كان هذا إرادة الله مع الناس ، وعنايته بتنظيم حياتهم وشئونهم حتى نهاية الدنيا ، فذلك دليل على عناية الله واهتمامه بأول مجتمع إنساني على الأرض ، لأن حاجته إلى التقنين والتشريع أشد ، بل هو أولى . فكان إرسال الرسل واستمرار الرسالات حتى يوم القيامة ، دليلا على بدء حياة الانسان على الأرض بالرسالة والتشريع الالهي .

٨ ـ حساب الانسان :

قال الله تعالى : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء / ١٥ .
وقال تعالى : **(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد . ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم)** المجادلة / ٦ ، ٧ .
وقال تعالى : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة / ٧ ، ٨ .
في هذه الآيات الكريمة ، وغيرها من الآيات ، يبين الله سبحانه وتعالى أنه سيحاسب كل فرد على عمله ، خيرا أو شرا ، وعدالة الله تقتضي أن يبين للناس أوامره ونواهيه قبل حسابهم ، وذلك بالتشريع لهم وإرسال الرسل ، فدل ذلك على أن التشريع الالهي يبدأ مع بدء حياة الانسان على الأرض ، وينتهي بانتهاء حياة الانسان على الأرض .
ومن كل ما سبق يتبين لنا حتمية التلازم بين التشريع السماوي ووجود الانسان على الأرض .



العسل والداء السكري

للاستاذ / ضياء الحاج حسين

الداء السكري هو اضطراب في عملية الاستقلاب الغذائي ، وخاصة استقلاب ماءات الفحم ، ويحدث نتيجة قصور في غدة خاصة تقع تحت المعدة مرتبطة بالقناة الهضمية ، تدعى المعثكلة (البانكرياس) فهي عند المصابين بالداء السكري غدة متعبة لا تنتج كفاية البدن من الانسولين مما يؤدي ببدن المصاب لعدم استفادته الكاملة من (السكاكر) ، ويطرح الفائض منها مع البول خارج الجسم ، ويرى

العـالمان Beck و Smedly في كتابهما :
« Honey & your Healt » والـــذي صدر في Bantam في نيويــورك عام ١٩٧١م .
بأن داء السكري ينجم عن تصلب المعثكلة والتهابها نتيجة الافراط في تناول السكر الصناعي وكذلك ملح الطعام ، ويورد العـالمان المذكوران تجربة (أريما) Arema اليابانـي التي اجراها على نفسه في طوكيو ، ولم يكن يشكو طيلة حياته من الداء السكري ، وفي عام ١٩٤٣ أخذ يفرط عن عمد في تناول ملح الطعام ، فبدأ يعاني من كثرة التبول أعقبه إصابة بالداء السكري .

وقـد كرر التجربـة مرة ثانيـة فتكررت نفس النتيجـة ، والعالـم Areman وصف الانسان المتمدن بأنه « مخلل أو كبيس بالملح » وهو يعتقد أن الاصابات المبكرة في الشرايـين والشيخوخـة يسببهـا « الملـح » . وكثير من علماء التغذية ضد استعمال

الملح ، وينسبون له حين كثرته في الطعام التصلب والخمول لأن المـح والاوعيـة والعضـــلات والعيـــون والأجهزة التناسلية وغيرها ، تفقـد مرونتها وتصبح قاسية ثم تتكلس وبالمثل نجد أن السكاكر المصنعـة كالسكر العـادي له نفس التأثـير الضار .

ويعتبر نقص الغلوكوجين من أهم مظاهـر الاضطـراب في الـداء السكري ، ويختزن الغليكوجين عادة في العضلات والدم ، وعلى الاخص في الكبد التي تعتبر بنك الادخار الرئيسي لتخزين هذه المادة ، ثم يستعملـه البدن كأهم مصدر للطاقة على شكل سكر عنب .

والبدن المصاب بالسكري والعاجز عن حرق سكر العنب ، يضطرب عنده ايضا استقلاب الدهـن لان المواد الدسمة ـ كما يقال تحترق بلهـب السكريات . وعدم الاحتراق الكامل للدسم في الجسم يكون الحموضـة الامينية غير المؤكسدة التي تدعـى بالحلـول Aceton وهـذا يؤدي الى اضطـراب في التـوازن الحمضي ـ القلوي في العضوية وتستنـزف في النهاية كل مدخراتها القلوية . ثم إن لاستقلاب السكاكر أهميـة كبـيرة للمراكز الدماغية ولتمثلها عملا هاما في الفعاليـة الكيمائيـة للخلايـا الدماغية ، ويبدو ذلك واضحـا من استعمال الانسولين لمعالجة مختلف الاضطرابات العقليـة . وأن نقص السكر عند المصابين بالداء السكري والانقباض النفسي وحالة السبـات Coma التي قد تنتهي بالموت ، تدل على ما لتمثيل السكر من اهمية في نشاط الخلايا الدماغية واستعمـال الانسولين « هرمون المعثكلة » يصلح الوضع المرضي عند السكريين ويحول ماءات الفحـم الى غلوكوجـين ، فالانسولين ملحق في معالجة الـداء

السكري ، ولكن ليس وسيطا للشفاء ، واستعماله عملية شاقة . اذ يتحتم على المصاب ان يحقنه في اوقات خاصة كما أن جرعته أو كميته يجب ان تتناسب مع نوعية الطعام ودرجة تحمل المصاب ... الخ ، وكلها اجراءات تتطلب المزيد من الوقت والمصروف والجزع عند استعماله ، وتشترك فيها الكيمياء مع الحساب كما نرى .

ولهذا فكل مادة تستعمل في الحالات المتوسطة عن طريق الفم لتحويل السكاكر الى غلوكوجين لا تقدر بثمن . وان الاستغناء عن استعمال الحقن المزعجة تحت الجلد يكون بحد ذاته خدمة للمريض واراحة له لا يقدر ثمنها .

وعلاوة على هذا فلوسئل المصابون بالسكري فيما إذا كانوا راضين عن نوعية الطعام الذي يمكنهم تناوله لأجابوا بصعوبة تحمل هذه الحمية لحرمانهم من تناول السكريات طيلة العمر .إن العسل والسكر المكرر مختلفان كثيرا ليس في تركيبهما الكيماوي فقط بل وفي تأثيرهما الغريزي (الفيزيولوجي) أيضا .

وان احتواء العسل على سكر محول (Innerted Sugar) يوفر على العضوية القيام بعمل لتحويل السكر التجاري . وهذا عامل هام وله منفعة تستحق الاهتمام . وبالنسبة لداء السكري فهناك اختلاف كبير بين العسل والسكر كما أن هناك اختلافا بين سكر الفواكه وسكر العنب .

وسكر الفواكه يشكل جزءا هاما اذ تبلغ نسبته حوالي ٤٥٪ من تركيب العسل وهنا يجدر بنا أن نسرد نتائج ابحاث كوخ Koch وبوم غارتين Boumgarten اللذين وجدا أن إعطاء السكر المقلوب أوالمحول (Innerted Sugar) ومنه سكر الفواكه بالوريد لا يرفع سكر الدم الا بمقدار ضئيل اقل بكثير من ارتفاعه بعد اعطاء سكر العنب . كما وجد هذا العالمان أنه بعد إعطاء محاليل العسل وريديا فان مستوى سكر الدم يهبط أيضا !! وقد ربطا هذه الظاهرة بفعل نوعي للعسل . ولقد قام العالمان كيليان وتوبباس من جامعة فرانكفورت بالمانيا الغربية بسلسلة من التجارب هدفها اثبات إمكانية استعمال العسل كمادة للتحلية لدى المصابين بالسكري ، وإعطا كمية متعادلة من عسل النحل وسكر العنب (نفس المعادل الكيمائي) لاشخاص أصحاء وآخرين مصابين بالداء السكري .

فعند المجموعة الاولى (الاصحاء) عوير سكر الدم مرتين الاولى بعد اعطاء ٥٠ غ من سكر العنب ، والثانية بعد مضي يومين وبعد اعطاء ٦٢ غ من العسل (وهي المعادل الكيمائي لـ ٥٠ غ من سكر العنب حسب جداول شال) فتبين أن

سكر الدم يرتفع بعد اعطاء العسل بشكل أسرع قليلا عنه بعد اعطاء سكر العنب وهبوط سكر الدم بعد فترة يكون اسرع قليلا في حالة اعطاء العسل منه عن حالة سكر العنب .

وعند المجموعة الثانية (المصابين بالداء السكري) وجدا اختلافا بين ارتفاع مستوى السكر الوسطى عند من تناولوا سكر العنب وبالعكس لوحظ هبوط مستوى سكر الدم الوسطى عند بعض من تناولوا العسل اذ في ٥٠٪ من المصابين هبط سكر الدم بعد ١٨٠ دقيقة من تناول العسل الى ما تحت المستوى الاصلي وقدبين هذان العالمان بأن إعطاء السكريين مقدار ٢٠ غ عسلا صباحا و ٢٠ غ بعد الظهر (دون تغيير في كمية الانسولين أو نوعية الحمية) : لا تؤثر بصورة ملحوظة على مستوى سكر الدم اليومي عندهم وكذلك أكدا بأن أنواع العسل المختلفة لها تأثير مختلف أيضا . فالعسل الصيفي حيث لا تطعم النحلة غير رحيق الازهار هو عسل ممتاز للسكريين ونتائجه جيدة بينما العسل الشتوي (حيث يطعم النحل السكر العادي) لا يناسب السكريين لاحتوائه على نسبة مرتفعة من السكر العادي أو سكر القصب .

ولقد تابع الدكتور ستويمير ملادينوف S Mladenov من صوفيا عام ١٩٧١ تغير مستوى السكر في الدم والبول عند ٥٠٠ مريض بالطرق التنفسية مع مستوى سكر دموي بالحدود الطبيعية كانوا خاضعين للمعالجة بالعسل ، وقد تناول الواحد منهم من ١٠٠ ـ ٥٠٠ غ من العسل يوميا وطيلة عشرين يوما . ففي خلال هذه الفترة لم يرتفع مستوى السكر الدموي بل بالعكس انخفض من ١٢٧,٧ غ / ل إلى ١٢٢,٧ غ / ل أما في البول فلم يلحظ له أي أثر وقد نشر الدكتور (دافيدوف) الروسي في مقاله (العسل والداء السكري) . مجلة الطبيب الروسي عدد ٢٦ لعام ١٩١٥ م خلاصة في استعمال العسل لمرضى السكر ، فبين ما خلاصته أن استعمال العسل لمرضى السكر مفيد جدا في الحالات التالية : ـ

(١) كنوع من الحلوى ليس لها ضرر (٢) كمادة غذائية تضاف الى نظام المريض الغذائي ، لأن المريض إذا تناول العسل لا يشعر بعده بأي رغبة في تناول أي نوع من الحلوى المحرمة عليه ، وهذا عامل مهم في الوقاية (٣) كمادة مانعة لتحلوية الدم (وهو مادة الاسيتون الخطرة في الدم) اذ ان ظهور الاسيتون في الدم يحتم استعمال السكريات ، واتباع نظام أكثر حرية في الغذاء على الرغم من مضارها للمريض ، وذلك للحيلولة دون استمرار وجوده .كمادة سكرية .. لاتزيد ، بل على العكس تنقص مدة إفراغ سكر العنب وأطراحه في بول المصابين بالسكري .. وقد تم اكتشاف تغير ذلك علميا بعد أن تم اكتشاف (هرمون) مشابه (للانسولين) في

تركيب العسل الكيمائي وان سكره هو سكر الفواكه .

والدكتور امريك من بلدة ايتون بأوهايو ـ الاخصائي بمعالجة السكري ، استعمل العسل بنجاح مع الراتب الغذائي لأكثر من ٢٥٠ مريضا ـ وشهرة الدكتور غوس من بلدة Middle Perry انه كان يعالج السكريين بالعسل . والمعروف ان المرضى يأتون اليه للمعالجة وهم ضعاف منهكون . وبعد برهة يستعيدون وزنهم ونضارتهم ويستطيعون السير لأميال وفي الكتاب الذي نشره كل من بيك وسمدلي في كتاب (Honey your Health) وصف لكثير من الحالات المرضية يبين ان العسل قد تحمله المصابون بالداء السكري واعطاهم القوة اللازمة منها :

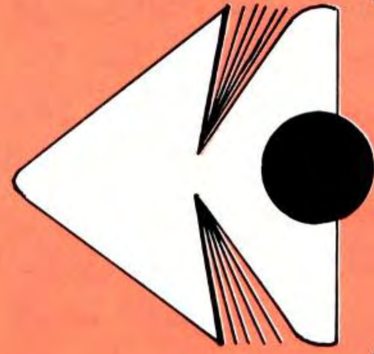
(١) حالة السيد غ . ج من بلدة كاوكونا بولاية وسكنسون الامريكية .

(٢) وكذلك حالة السيد ف . د . وزوجته كانا مصابين بالسكري وبعد المعالجة عند العديد من الاطباء وعدم الاستفادة ، لجأ هذان الشخصان الى العسل والى الفواكه بكثرة فأصبحا معافين .

وفي عام ١٩٣٩ درس البروفسور فاتيف Vatev من كلية طب صوفيا التأثير الدوائي للعسل على الاطفال المصابين بالداء السكري وتوصل بالنتيجة الى القول : لقد تبين لي بشكل لا يقبل الجدل حسن تأثير العسل على سير الداء السكري ، فقد عالجت ٣٦ طفلا مصابا بالسكري وحصلت على نتائج جيدة ، ولقد كنت أعطي الطفل المصاب ملعقة شاي واحدة من العسل قبل كل وجبة طعام « أي ٣ ملاعق شاي يوميا مع تطبيق الحمية الخاصة المعروفة » .

وينصح البروفسور ايوديش ١٩٦٦ السكريين بتناول العسل ، وخصوصا ما يسميه « العسل الفيتامين » والذي حضر خصيصا للسكريين من قبل « معهد الفيتامينات للابحاث العلمية التابع لاكاديمية العلوم الطبية السوفياتية » . والعسل الفيتامين هو عسل نحل طبيعي ويفضل عسل التفاح والحمضيات . مضافا اليه بطريقة خاصة مجموعة الفيتامينات ب وخصوصا ب أ و ب ب وفيتامين C والتي تبدي تأثيرا حسنا على استقلاب ماءات الفحم في عضوية المصاب بالسكري . والعسل الفيتاميني يعطي بدون شك ـ كما يرى أيوديش ـ فائدة كبيرة للسكريين ، حتى إن بعضهم أمكنه الاستغناء مطلقا عن حقن الانسولين .

ونحن نرى أن المصابين بالداء السكري يمكنهم أن يجربوا ما ورد في هذه الصفحات على لسان عدد كبير من الاطباء والباحثين ، إلا أنه بدون شك يجب أن يتحروا العسل الصافي الخالي من الغش ، وأن يتأكدوا من أن النحل لم يطعم السكر العادي . وأن تجرى المعالجة تحت إشراف طبيب اختصاصي .



هذا هو

للشيخ / معوض عوض ابراهيم

أخذ انقضاء القرن الرابع عشر للهجرة النبوية وابتداء القرن الجديد شيئا من اهتمام المسلمين ، تمثل في بعض المحاضرات والخطب والأحاديث المسموعة والمقروءة ، وأحفال أقيمت في عدد من المدارس والمؤسسات العامة ، ثم أسدل الستار ، ومضى الى طيتهم الذين أسهموا في كل هذه الأعمال والأحفال قبل أن يتواصوا بابراز عبر حادث الهجرة ودروسه بعامة ، منائر هادية راشدة للناس ودون أن يردوا الأبصار والبصائر الى ما في مرور أربعة عشر قرنا على الدين العظيم من عظات لابد أن تؤخذ ، في ظروف كان الاسلام فيها يحكم دنيا الناس ، فكانوا به خير أمة أخرجت للناس ، وأحقاب كان أهل الاسلام فيها أبعد ما يكونون عن دينهم ، حين فتحت عليهم الدنيا ، وتنافسوا في احراز حطامها أو السقوط في شهواتها سقوط النباب في الشراب ، فتداعت عليهم الأمم ، وكان أمرهم فرطا كما يعرف ذلك في بعض مراحل الماضي ، ويراه في بعض جوانب الواقع من يرى ويسمع ويقرأ التاريخ .

ولقد استقبلت بعض دول الاسلام مطلع القرن الخامس عشر للهجرة بنشاط اعلامي مكثف ، ومؤتمرات ومقررات ينجزها القوم على المدى القريب في العام الأول ، وعلى المدى البعيد في خمسة أعوام !! ولو أن هذه المقررات خرجت الى حيز التنفيذ لكانت شيئا ذا بال ، في رد الناس الى دينهم ، وشد الأواصر فيما بينهم ، والانطلاق بذلك الى ما يشبه اليقين — إن لم يكنه — بأن عزة المسلمين في الاعتصام بحبل الاسلام ، والتزام هدايات هذا الدين ، واستلهام سيرة أوائلهم ، ومواصلة المسيرة التي بدأوها في نور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فكانوا أهل سنة الله تعالى في قوله :

(واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) الأنفال/٢٦

وما زال في الامكان أن توفي الدول والهيئات بما وعدت ، وأن يتراءى ذلك

الطريق



واقعا ينير المسالك ، ويهدي الحيارى ، وينبه الذين كأنهم في بعض الحال الذي يقول له من قال سكران : سكر هدى وسكر مدامة .. ومتى إفاقة من به سكران !

حتى لا يكون القوم ممن قال فيهم رب العالمين :

(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) الصف/٢و٣

ان الاسلام الذي هاجر به النبي صلى الله عليه وسلم هو الاسلام الباقي كتابا وسنة وسيرة رجال ، سلكهم الله مع مصطفاه في مجال الاشادة به وبهم فقال سبحانه :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) الفتح/٢٩

ولقد وصل هذا الصف الكريم في اعصار وأمصار رجال ونساء تتعطر بسيرتهم الحياة ، ويبقون عدة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعث فخره في قوله : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » والحديث أخرجه مسلم حتى نكر أقواما يأتون من بعدهم « يظهر فيهم السمن » وهؤلاء الخلوف تقع عليهم الأعين بدون عسر في مواقع نوات عدد من المجتمع : عبيد دنيا مؤثرة ، وشهوات مدمرة ، وأنانيات لا تصل أصحابها واصلة بالأنصار الذين هاجر اليهم المسلمون ، فأنزلوهم االصدور والدور على سواء ومجدهم الله في الذكر الحكيم فقال :

(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) الحشر/٩

وليس عسيرا أن يثوب الناكبون عن طريق الاسلام الى رشد ، وأن يفيئوا الى أمر الله ، ولا عذر لهم ان لم يسرعوا التوبة ، ويتعجلوا الى دينهم

الأوبة ، فهم خلف لسلف راشد ، ان كان قد خالط حياتهم من الغفلات ، وعراهـم ما عراهـم من كدر الشهوات ، فانهـم بعنصرهـم الأصيل ، واصلهم الماجد ، يشيعان الأمل في غد قريب يكونون فيه خير خلف لخير سلف ؛ بالعمل لا بالانشاد والتمني والأمل ورحم الله اسماعيل صبري فهو يقول لواردى النيل ..

لا تقربوا النيل ، ان لم تعملوا عملا
فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

وأين هؤلاء من واردي الاسلام أكرم مورد ؟ ! ان عطاء الاسلام يتجدد ، ولا ينفد ، وان المسلمين قد عرفوا اقبال الحياة وإدبارها ، وذاقوهـا أذاويق صافية ، أو كدرة بقدر ما عاشوا بالاسلام ، أو عاشوا بالأهواء والأوهام !!

وما ينبغى أن يمضي قرن هجري ، ويقبل آخر ، ونحن في مفترق الطريق في أماكننا لم نتقدم بالاسلام خطوة تؤهلنا لخطوات على صراط الكمال الممكن ، أو ـ في أقل القليل ـ ونحن لا نذكر دواعي التخلف والنكوص على الأعقاب ، لننطلق بعلم وايمان الى مراد الله عز وجل من الأمة التي قال الله فيها :

(كنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعـروف وتنهـون عن المنـكر وتؤمنـون باللـه) آل عمران/ ١١٠

ولا ريب في أن الاسلام قد منـي بقواصم الظهـور ، وكاد له عبـر الدهور أقوام بما كان بعضه يكفي في استئصاله كلا أو بعضا ـ كما قال الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله ، وذهب أولئك الأعـداء وبقى الاسلام مصـداق عدة اللـه تعالى :

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيـث من الطيـب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنـم أولئـك هـم الخـاسرون) الأنفال/ ٣٦و٣٧

أجل بقى الاسلام ـ وسيبقى عدة الله التي تجدد للمتشبثين به عهد الله ووعده بأن يذكر من يذكره ، وينصر من ينصره ، ويضاعـف خـيره لمن يشكره ـ وذهب كأمس الـداء من كانوا للاسلام ومـكروا ، وعـرف الناس أفراحا لهؤلاء الذين مضوا ولا كرامة ، تتسلط عليهم الأضواء في شتى الأنحاء ، وهم أحقر وأدحر من أن يزعجوا الخواطـر أو يزعزعـوا البصائر ان نحن أخذنا الاسلام مأخذ الجـد ، وأنزلنـاه منـزل الهيمنـة والتوجيه لمسيرة المجتمع ، ثقة بأنه شرع الله ودينه العاصم من كل كيد وشر وضر ..

ومن الجديد الذي أضعـه قيـد الأنظار بمناسبة حفل النادي الثقافي الهندي في الكويت باطلالة القـرن الخامس عشر الهجري ، أن جيمس الأول ملك الانجليـز أرسـل الى الامبراطور المسلم في الهند رسولا بعد

أن قامت الشركة الشرقية الهندية الانجليزية ، وسيلة لتغلغل الانجليز في القارة الهندية ، فأهمل « جهانكير » رحمه الله ، رسول جيمس مدة عامين ، ولم يأذن بلقائه ، وتوسل الرسول الى رئيس الوزراء أن يعينه على أن يعود بكتاب من الامبراطور الى مليكه ، وكان رد الرئيس على مستوى اهمال الامبراطور للرسول الانجليزي اذ قال له « ان مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم ، أن يكتب كتابا الى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون » !! .. وهو اعتزاز بالاسلام ، نتساءل أين مثاله في دنيا الذين يقول كتابهم (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) كان ذلك في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، وكان الاسلام يهيمن على القارة الهندية عبر ثمانية قرون ، واشعاع الاسلام يصل ما بين بلاد العرب وبلاد الهند وقوافل التجارة متصلة والتجار بايمانهم وسلوكهم الاسلامي ، وجهودهم الشخصية تعمق إيمان الاخوة في الديار النائية التي تلامس رءوس أهلها السماء ، لو أرادوا بجدارة ، فآثارهم العلمية وعنايتهم بكتب السنة والسيرة والفقه وغيرها تشغل حيزا ضخما في المكتبة الاسلامية بلسان القرآن ولغة العرب التي تكاد تحس وحشتها وغربتها في مؤسسات علمية وفى نواد وجماعات ثقافية في بلادنا العربية .

وكم كنت سعيدا وأنا أصغي بكل ما أملك من اصغاء وانصات الى شاب هندي كان يقرأ سورة « ق » في حفل النادي الثقافي الهندي ، بمستوى من القراءة حفظا وتجويدا وأداء ، ووددت أن يطول ويتصل ، وأن يسمعه أساتذة لهم في ميادين العلم اعتبار ، ليتعلموا من أحد أبناء الاسلام في الأفق البعيد . كيف يقرأ القرآن ؟ !!

.. وبعد فهل قضينا حق الاسلام بما قيل عنه وكتب في هذه الأيام ؟ لئن كان ذلك هو الوفاء للدين الذي يرجح بكل هبات الله تعالى لكان الوفاء شيئا هينا يسيرا ، لكن الأمر ليس كذلك ونحن بعد كل ما قيل وكتب نرى دنيانا كما قيل

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ان الوفاء في أيسر صوره وأشكاله للرسالة الخاتمة ، وللدين الذي أكمله الله وامتن به على المسلمين فقال (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣

هذا الوفاء يبقى زعما ودعوى حتى نراجع هذا الدين ، ونرجعه ليحكم مسيرة هذه الأمة بدون استثناء حكم من أحكامه أو قضية من قضاياه في السياسة والاقتصاد والادارة ونحن نطلب النصر بأسبابه من كتاب الله تعالى :

(**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) الحج/ ٤٠و٤١

هذا هو الوفاء لأنفسنا ، وهذا هو الطريق !!

ردّ على مقال

الصرف وبيع

أحمد الله تعالى وأستغفره وأعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأصلي وأسلم على خير الانام محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان، وبعد: فقد جاء في العدد ١٩٢ من الوعي الاسلامي الصادر في اول ذي الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق اكتوبر ١٩٨٠ م مقال عنوانه « الصرف وبيع العملات » للدكتور الفاضل علي أحمد السالوس، وذكر الدكتور في مقاله انه استمع الى شريط مسجل فيه فتوى بجواز بيع الاوراق النقدية باوراق نقدية اخرى باجل مع جواز الزيادة في مقابلة الاجل على طريقة ما يسمى « بيع السلم » المباح شرعا بنص الحديث وذكر الدكتور ادلة على تحريم هذا النوع من التعامل في العملات وعلى انه الربا الذي حرمه الله تعالى تحريما قطعيا وتوعد فاعله بالحرب والمحق لما اصابه من مال نتيجة ذلك. وقبل البدء في الرد على المقال المذكور وايضاح وجهة نظري ابادر فاقول:

١ ـ أشكر للدكتور على غيرته وجهده في محاولة تبصير المسلمين بالحرام والحلال في معاملاتهم المالية التي أصابها من غبار الحرام شيء كثير جدا سوى ما ذكر.

٢ ـ أرجو كل عالم غيور أن يتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » فيحاول التيسير ما وجد الى ذلك سبيلا تدعمه الأدلة.





العملات



للشيخ/ حسن محمد أيوب

٣ ـ لا يليق بعالم أن يحكم بخطأ غيره إلا إذا لم يجد له في فتواه مستندا من الأدلة ولا قائلا برأيه من أئمة الأمة الاسلامية ، فان كان له مستند ومعه غير الامام الواحد أئمة يقولون بقوله فان تخطئته حينئذ هي الخطأ بعينه :يمكن أن يقال : هذا رأيه ولا نوافقه عليه . ولا يجوز أن يتهم بأنه أحل الربا وأنه معلن من الله ورسوله بالحرب .... الخ .

٤ ـ إن الرجوع الى الكتاب والسنة وإلى تصرف الفقهاء في الأدلة واستنباط الأحكام فيها مع التعمق والصبر في البحث لو حدث مع النظرة العملية إلى واقع المسلمين والتطورات التي حدثت في عصرنا هذا لغير كثير من العلماء من آرائهم وتركوا المغالاة المعوقة والوقوف على صخرة الجمود التي أوقفت حركة المد الاسلامي قرونا عديدة .

وقد كان فقهاؤنا يغيرون من اجتهاداتهم حسب ما يظهر لهم من ضروريات ومقتضيات . والشافعي في مذهبه القديم والجديد ، وأحمد في آرائه المتعددة حول المسألة الواحدة ، وأبويوسف ومحمد وغيرهم أمثلة على ما ذكرته .

٥ ـ هناك أمور كثيرة أخذ بها المشرعون في الوصية والزواج والطلاق وغيرها لم يقل

بها أحد من الأئمة الأربعة ولا جمهور الفقهاء ، بل كانت شاذة في نظرهم أو محاربة ، ومع ذلك حين وجد المشرع أن الأمر يستدعي الأخذ بها لم يتوان في ذلك .

والأمثلة على ذلك كثيرة : منها الوصية الواجبة ، وعدم إيقاع الطلاق المعلق ، وإيقاع الطلاق الثلاث في لفظة واحدة طلقة واحدة كما هي الفتوى في محاكم مصر وفي السعودية وغيرهما .

٦ ـ وإذا كنت أنا صاحب الفتوى والشريط فاني أذكر لاخواني من العلماء الفضلاء ومن القراء الأعزاء ، وجهة نظري والأدلة التي اعتمدت عليها ، وردي على الدكتور الفاضل الجليل / على أحمد السالوس ليقولوا رأيهم والحق أحق أن يتبع « وهو بحث يحتاج إليه الجميع » .

الأصل الذي يدور من حوله النقاش

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث أنه نهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، إلا اذا كان البيع يدا بيد مثلا بمثل على معنى أن تسلم الفضة وتأخذ وزنها فضة بدون أي زيادة أو نقص وبشرط أن يحصل التسليم والتسلم عند العقد وفي مجلسه ، فان سلم أحد زيادة أو نقص شيئا ولو يسيرا جدا فان هذا يعتبر ربا حراما والتبادل يكون باطلا ، وكذلك لو سلم أحدهما الفضة التي معه ولم يأخذ مقابلها في المجلس ، على معنى أنه انصرف قبل قبض هذا المقابل ، فان هذا يجعل المعاملة ربوية وتصير باطلة شرعا ولو كان الانصراف من أجل إحضار المبلغ من مكان قريب بحيث لا تتجاوز مدة التفرق خمس دقائق أو أقل منها .

فان كان التعامل عبارة عن فضة بذهب سقط شرط المماثلة في الوزن وبقى شرط التقابض في المجلس ، فان لم يحدث تقابض بطل التعامل وصار ربويا ، وهذا الكلام ينصب على باقي الأصناف المذكورة في الحديث : وهي القمح ، والشعير ، والتمر ، والملح .

فمن باع قمحا بقمح ، أو شعيرا بشعير ، أو تمرا بتمر ، أو ملحا بملح وجب على البائع والمشتري أن يكون القمح الذي أخذه مساويا للقمح الذي دفعه تماما في الكيل ، وأن يحصل التبادل في المجلس ، فأن اختل شرط فقد حصل الربا وبطل البيع الذي حدث بينهما ولو كان أحدهما جيدا والآخر رديئا ، أو أحدهما سليما والآخر به آفة ، أو أحدهما قديما والآخر حديثا . كل ذلك وغيره لا قيمة له ولا يؤثر في هذين الشرطين ، ولذلك عليه أن يتخلص من التورط في الربا بأن يبيع البر الرديء ويشتري بالثمن البر الجيد ، ويبتعد عن بيع بر ببر ، أو شعير بشعير الى

آخر ما ذكر .

أما إن باع قمحا بشعير أو بتمر أو بملح فانه تجوز زيادة أحدهما عن الآخر بشرط التقابض في المجلس وإلا حدث الربا .

تصنيف الفقهاء

والفقهاء أخذا من النصوص الواردة جعلوا هذه الستة قسمين كل قسم له أحكامه الخاصة به : فالذهب والفضة قسم ، والأربعة الباقية قسم . لأن الذهب والفضة من الموزونات وهي مخلوقة لتكون أثمانا للأشياء .

أما البر والشعير والتمر والملح فهي من المكيلات ومن الأطعمة وسمى الفقهاء الباب الذي يجمع أحكامه التعامل بالذهب والفضة بعضهما ببعض باب « الصرف » وذكروا أحكامه كما سبق .

وجميع الفقهاء اتفقوا على أن هذه الأصناف الست المذكورة في القسمين السابقين هي أصناف ربوية ، بمعنى أن فقد شرط مما سبق ذكره يجعل المعاملة ربوية محرمة : وهذا غير الربا الذي عرفه الناس وربما لم يعرفوا غيره ، وهو أن تعطي إنسانا مبلغا قرضا على أن يرده إليك زائدا نسبة معينة ، أو تقول له عند حلول الأجل : أزيدك في المدة وتزيد في المبلغ الذي عليك . وهو الربا الذي كان في الجاهلية والمذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا » ولذا قال : « فان تبتم فلكم رءوس أموالكم » .

على أي شيء اختلف الفقهاء ؟

رأى بعض الفقهاء أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في تحريم الربا وجعله من الكبائر ، وأمر هذا شأنه لا بد وأن يبينه النبي صلى الله عليه وسلم تبيينا كاملا ، وهو لم يبين إلا هذه الستة فيجب الوقوف عندها ، خصوصا وأنه كانت توجد في زمنه أطعمة كثيرة غيرها فلم يذكر شيئا منها مع هذه الأصناف التي كرر ذكرها في عدة أحاديث تزيد على عشرة ، كما أن الاقتصار عليها فيه رحمة بالناس وتخفيف عليهم ، ورفع الحرج عنهم في أمور تفاصيلها يعجز عن فهمها المتعلمون فما بالكم بالآخرين ؟

ورأي أكثر الفقهاء أن التحريم في هذه الأصناف لعلة ثم أخذوا يبحثون عن العلة ، وعن نوع العلة ، وعن مصدر العلة ، فاختلفوا اختلافا كثيرا زاد على عشرة آراء كما ذكر ابن حزم في المحلى .

القضية التي أخالف فيها الدكتور السالوس

بعد ما سبق تستطيع أيها القارىء أن تسايرنا في المناقشة لنصل الى الحق في معاملة كلنا نتعامل بها ، وهي تبادل الأوراق المالية البنكية من فئة الدينار والدرهم والجنيه والريال وأمثالها ، وأنا أقول : إن الأوراق المالية لا تأخذ حكم الذهب والفضة في التعامل بها - أعني لا تنطبق عليها أحكام الصرف التي سبق ذكرها بل تأخذ حكم الفلوس الرائجة كما جاء في كتاب الحوالة الذي أخرجته موسوعة الكويت الاسلامية في عهد الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا .

ويجوز أن تعامل معاملة عروض التجارة ، بلا فرق عندي لأني لا أقول بالعلة في موضوع الصرف .

فيجوز على هذا أن تبيع ورقة مالية بأخرى سواء زاد سعر الأخرى أو نقص ، وسواء حصل التقابض بين الطرفين في المجلس ، أو تأخر أحدهما فلم يقبض حقه إلا بعد مدة طويلة أو قصيرة . الممنوع ألا يحصل تقابض من أحدهما ، لأن ذلك يعتبر بيع دين بدين وهو ممنوع في جميع أنواع النقود ، وجميع أنواع السلع .

وأقول : إن هذه الأوراق تسري عليها جميع أحكام البيع والقرض والسلم وغيرها . أما الدكتور والقائلون برأيه فانهم يرون أن تعامل الأوراق المالية البنكية المتداولة بين الناس معاملة الذهب فتخضع لأحكام الصرف مثلا بمثل - يدا بيد . وإلا بطل التعامل لأنه ربا ، وأظن القارىء الآن يستطيع أن يتتبع المناقشة بوضوح .

وليكن مفهوما أن الدكتور اعتبر الأوراق كالذهب ، وأن الموسوعة الكويتية اعتبرتها مثل الفلوس الرائجة التي تصنعها الحكومات من النحاس وغيره وتخرجها للناس ليتعاملوا بها ، فأجازت الموسوعة التبادل بالأوراق المالية بزيادة ونقص بشرط التقابض بين الطرفين في المجلس ، وسيأتيك من نصوص الفقهاء الرد الصريح على هذا الشرط ، وأنه لا مبرر له .

وإليك الحوار لتحكم فيما اختلفنا فيه والله يهدينا سواء السبيل :

أولا : قال الدكتور في تعريف الصرف : إنه بيع الأثمان بعضها ببعض . يريد أن يبرر رأيه بهذا التعريف فيقول : إن الأوراق المالية أثمان فتدخل في أحكام الصرف .

وهذا التعريف مخالف للحقيقة فان الامام النووي قال في شرح مسلم جـ ١١ ص ٩ قال العلماء : « إذا بيع الذهب بذهب أو الفضة بفضة سميت مراطلة ، وإذا بيعت الفضة بذهب سمى صرفا » لصرفه عن مقتضى البياعات من جواز التفاضل

والتفرق قبل القبض والتأجيل ، وقيل : من صريفهما وهو تصويتهما في الميزان » انتهى كلامه وهو نص ما قاله ابن حجر في فتح الباري جـ ٤ ص ٣٤٩ حين تعرض لتعريف « الصرف » .

فلا يطلق الصرف إلا على بيع الذهب بالفضة أو العكس . هذا هو الأصل . وإذا عرف الفقهاء الصرف شرعا بأنه « بيع الثمن بالثمن » فانهم يبينون أن المراد بالثمن : هو ما خلقه الله ليكون ثمنا وهو الذهب والفضة ، ويقولون عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة إنه صرف من باب التوسع على عادة الفقهاء ، راجع « الدرر الحكام في شرح غرر الأحكام » لمنلا خسرو جـ ٢ص ٢٠٣ ، ولا يصح أن يقال : إن الصرف هو بيع الأثمان بعضها ببعض بهذا الاطلاق ، لأن كل شيء صالح للبيع يصلح أن يسمى ثمنا : فيقال : اشتريت دارا بعشر بقرات ، أو بمائة شاة ، أو بعشرين مترا مربعا من الأرض ، أو بألف كيلو من السكر أو الزبيب ، وعلى هذا إجماع العلماء كما قال ابن حزم في المحلى جـ ٨ ص ٤٧٧ ، فظهر بطلان الاطلاق في التعريف .

ثانيا :استدل الدكتور على أن تبادل العملات الورقية الموجودة في أيدي الناس في عصرنا يخضع لأحكام الصرف بقرار مجمع البحوث الاسلامية المنعقد سنة ١٣٨٤ هـ ونصه :

« يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية وأوراق النقد والأوراق النقدية وعروض التجارة على أساس قيمتها ذهبا . »

وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة وما زلت أقول به ، وقال به جميع العلماء ولكنه لا يصلح دليلا على أن الاوراق المالية تخضع لأحكام الصرف ، لأنه ذكر أنها تقوم بالذهب مثل جميع السلع التي فيها التجارة ، فما صلة هذا بما نحن فيه ؟

ثالثا :ذكر الدكتور بعد ما سبق أن مجمع البحوث الاسلامية قرر أن بيع وشراء العملات هو من قبيل الصرف ، وتطبق عليه أحكام الصرف المحددة في الشريعة الاسلامية ، وذكر أن البنوك الاسلامية ، وبيت التمويل الكويتي : الكل يطبق هذا النص ، وأنا أناقش الجميع في هذا ، وأرجو أن يفسحوا صدورهم لنصل الى الحقيقة رحمة بأنفسنا وبالناس .

أقول : إن البنوك الاسلامية وبيت التمويل الكويتي لا تستطيع أن تطبق أحكام الصرف في جميع معاملاتها الحاصلة بتبادل العملات الورقية ، لأننا إن اعتبرنا الأوراق قائمة مقام الذهب وتعامل معاملته فأخبروني : كيف يكون التماثل بين ورقة مالية من فئة الدينار الكويتي وأخرى من فئة الجنيه المصري ؟

هذا مستحيل : فاطلاق كلمة « تطبق أحكام الصرف عليها » إطلاق غير معقول وغير مطبق في هذه البنوك بالنسبة للمثلية ، وهذا وحده كاف في ابطال الالحاق المذكور .

وإذا نظرنا إلى الأوراق على أنها أثمان وأن علة الربا في الذهب والفضة هي الثمنية فيجري عليها أحكام الصرف المطلوبة في بيع ذهب بفضة بمعنى أن الدينار

الكويتي يعامل معاملة الذهب والدولار الأمريكي يعامل معاملة الفضة قلنا هذا تحكم لا أصل له ولا مثيل له في الواقع ولا في الشرع ، ولا دليل عليه من نقل صحيح أو ضعيف ولم يقل به مجمع البحوث الاسلامية .

وإن قلنا إنها مطلق أثمان وإنها أوراق اصطلح المجتمع على اعتبارها كذلك وعلة الربا هي الثمنية ، وهي أثمان مختلفة يجوز بيع ورقة منها هي الدينار مثلا بثلاث ورقات من فئة الجنيه المصري مثلا فلا يشترط فيها إلا التقابض وقت العقد قلنا إذا فجميع البنوك الاسلامية وبيت التمويل الكويتي تتعامل بالربا حين تأخذ أوراقا مالية كويتية في الكويت مثلا لتسلم بدلا منها أوراقا مصرية في مصر بعد مدة قد تصل إلى سنة أو أكثر أو أقل والكل حرام باطل ، لأنه ربا .

قالوا في الجواب : إن الشيك سند معتمد وموثوق به كما ذكر الدكتور ، وكما ذكر الأستاذ الكبير مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة الصادر عن الموسوعة الاسلامية بالكويت ، وكما ذكر كثير من العلماء في عصرنا فأقول لهم : هذا ما لم يقل به أحد من السابقين مطلقا وهو مخالف لنص الحديث « يدا بيد » يعني تسلم الورقة النقدية وتأخذ ما يقابلها في حين التسليم فان حصل افتراق قبل تسليم أحد الثمنين بطل العقد ، ولم يقل أحد : يجوز أن يسلم النقد ويأخذ بدلا منه مكتوبا موثوقا به ، أو مسجلا في إحدى المحاكم . ومعلوم ان المكتوب يقوم مقام الشيك في كل شيء بالنسبة لضمان الحقوق خصوصا إذا كتب بصفة أمانة ، وهذا الخطأ أفحش بكثير من الخطأ الذي نسبه إليّ الدكتور صاحب المقال لأنه مخالفة صريحة للنص ووقوع صريح في الربا لا محالة ، والحديث الآتي أكبر دليل ، روى مسلم في صحيحه عن مالك بن أوس ، قال : أقبلت أقول : من يصطرف الدراهم ؟ (أي يأخذ ذهبا ويعطيني دراهم) فقال طلحة بن عبيد الله : « وهو عند عمر بن الخطاب » أرنا ذهبك ثم ائتنا اذا جاء خادمنا نعطك ورقك (فضتك) فقال عمر بن الخطاب : كلا ،والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الورق بالذهب ربا الا هاء وهاء .. الخ » جـ ١١ ص ١٢ والمراد أن الواجب في مبادلة الذهب بالفضة هو أن تعطي وتأخذ عند العقد وفي وقته .. ويجب أن ندرك أن الثقة في طلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب المشهود لهما بالجنة أكثر من الثقة في الشيك الذي يقدمه البنك ولو كان الافتراق بدون قبض لأحد البدلين جائزا عند الاستيثاق لكان عمر بشهادته على طلحة وطلحة بوعده بالوفاء كافيين في ذلك وأضمن من الشيك المأخوذ على البنك .

ولو كان أي نوع من كتابة الدين كافيا لذكره الشارع كما ذكر الله ذلك في آية المداينة ، أو كان قد ارتضى من المتأخر في دفع الثمن دفع رهن يماثله حتى يفي به ، ولكن كل ذلك لم يحدث منه شيء ولم يجز أحد من علماء المسلمين شيئا منه فكيف جاز الآن عند البنوك الاسلامية وهل هناك أي دليل عليه ؟

والذي جرنا إلى ذلك كله هو اعتبار الأوراق البنكية عملة يجري فيها ما يجري في الصرف ، وهذا الحكم منقوض بالآتي :

رابعا : جاء في فقه الأحناف في كتاب « رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين » ما يأتي : « باع فلوسا بمثلها أو بدراهم أو بدنانير فإن نقد أحدهما جاز ، وإن تفرقا بلا قبض أحدهما لم يجز » لأنه بيع دين بدين وهو محرم بالاجماع . والفلوس هي العملة المصنوعة من النحاس كما في المختار والمنجد ، والدراهم هي ما صنع من الفضة والدنانير ما صنع من الذهب .

وقد قرر المؤلف أن بيع الفلوس بالذهب أو الفضة لا يشترط فيه قبض كل من البدلين بل يكفي قبض واحد منهما وكذلك لو كان بيع فلوس بفلوس ، فلم يعتبر الفلوس مما يعامل معاملة الصرف ، والفلوس تضمنها الدولة وهي التي تضربها وتخرجها للتعامل بها ، ووضعها أقوى من الورقة المالية من ناحية الثمنية ، لأن الورقة مكتوب عليها أنها سند أما العملة فمكتوب عليها أنها نقد ، وقد علق ابن عابدين في حاشيته على ما سبق بقوله : سئل الحانوتي عن بيع الذهب بالفلوس نسيئة (أي بأجل) فأجاب بقوله : يجوز اذا قبض أحد البدلين لما في البزازية (اسم كتاب) لو اشترى مائة فلس بدرهم يكفي التقابض من أحد الجانبين ، ومثله ما لو باع فضة أو ذهبا بفلوس ـ كما في البحر المحيط (اسم كتاب) انتهى ج ٤ ص ١٨٤ .

وجاء في الدر المختار أيضا أن عملة الذهب والفضة اذا كان أكثر ما فيها ليس ذهبا ولا فضة فانها في حكم عروض التجارة ، فيصح بيعها بجنسها متفاضلة مع القبض في المجلس مراعاة لما فيها من ذهب أو فضة ، ومفهومه أنها اذا لم يكن فيها ذهب ولا فضة فانها عروض يجوز فيها التفاضل وتأجيل أحد الثمنين ، وهذا صريح وواضح كل الوضوح في أن العملة الرائجة اذا خلت من الذهب والفضة صارت عروض تجارة .

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي ج٤ص١٠٩ أن الراجح جواز بيع الفلس بالفلسين وأنه قول الثوري وأبي حنيفة وأكثر أهل العلم لأنه ليس بموزون ولا مكيل (يعني ليس فيه علة ربا عند القائلين بالعلة) وهذا هو الصحيح ، اذ لا معنى لثبوت الحكم (يقصد حكم الصرف) مع انتفاء العلة وعدم النص والاجماع . انتهى .

ومراد صاحب المغني أن الفلوس الرائجة لا تخضع لأحكام الصرف لأنه لا علة ولا نص ولا اجماع يلحقها بالذهب والفضة ، فما رأي علمائنا في هذه النصوص الفقهية والتي عليها أكثر العلماء كما قال صاحب المغني ؟

وهذه النصوص التي نقلتها من كتب الفقهاء كافية في الرد على كل من أخضع الأوراق المالية والنقود المعدنية بالذهب في أحكام الصرف .. وهذه هي آراء القائلين بالعلة وقد ذكرت كلامهم مجاراة فقط ، والا فأنا لا أقول بها وأرى أن الربويات محصورة في الستة المذكورة .

خامسا : قال الدكتور : انني قلت في الشريط الذي فيه الفتوى والذي يرد عليه

الدكتور : ان تحريم الربا في الأصناف الستة المذكورة في الحديث غير معلل بعلة ، وان الربويات قاصرة عليها . كما تقول الظاهرية وأقام الدكتور الدنيا ولم يقعدها في مقاله بناء على أن الظاهرية وحدهم لا يصلحون حجة في نظره ثم انضم الى القائلين بالعلة ، وقد عرفت فيما سبق أنهم لا يقولون بقوله وأن أكثرهم معي ، وسنرى هنا أن الظاهرية ليسوا وحدهم القائلين بعدم العلة ، بل معهم أئمة غيرهم في القديم والحديث . فقد قال بهذا الرأي من القدماء طاوس وقتادة وعثمان البتي وأبو سليمان كما ذكر ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٤٦٨ ووافقه صاحب المغني على طاوس وقتادة ، واختاره ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس كما ذكر ابن القيم في : « اغاثة اللهفان » ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : ان ابن عقيل قال : ان علل القياسيين في الربا علل ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس .

ومعهم أبو بكر الباقلاني كما قال ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢ ص ١٢٣ حيث قال : وأما القاضي أبو بكر الباقلاني فلما كان قياس الشبه عنده ضعيفا (وهو الذي أخذ به الجمهور كما قال ابن رشد) وكان قياس المعنى عنده أقوى منه اعتبر في هذا الموضع قياس المعنى ، اذ لم يتأت له قياس علة ، فألحق الزبيب فقط بهذه الأصناف الأربعة (ولم يلحق شيئا بالذهب والفضة) . انتهى . ونتيجة رأيه تساوى نتيجة رأي الظاهرية فيما عدا الزبيب الذي ألحقه بالربويات .

وقال به من المحدثين الصنعاني في كتابه« سبل السلام » حيث قال ج ٣ ص ٣٦ : والى تحريم الربا فيها (أي الستة المذكورة في الحديث) ذهبت الأمة كافة ، واختلفوا فيما عداها ، فذهب الجمهور الى ثبوته فيما عداها مما شاركها في العلة ولكن لما لم يجدوا علة منصوصة اختلفوا فيها اختلافا كثيرا يقوي للناظر العارف أن الحق ما ذهبت اليه الظاهرية من أنه لا يجري الربا الا في الستة المنصوص عليها وقد أفردنا الكلام على ذلك في رسالة مستقلة سميتها « القول المجتبي » ، وقال به أيضا من المحدثين أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري « في كتابه : « الروضة الندية » حيث قال ج ٢ ص ١١٠ : « أما اختلاف مثبتي القياس في علة الربا فليس على شيء من هذه الأقوال حجة نيرة ، انما هي مجرد تظننات وتخمينات انضمت اليها دعاوي طويلة بلا طائل ، فما أحسن الاقتصار على نصوص الشريعة وعدم التكليف بمجاوزتها والتوسع في تكليفات العباد بما هو تكليف محض ، ولسنا نقول بنفي القياس لكنا نقول بمنع التعبد به فيما عدا العلة المنصوصة .. الى أن قال : والحاصل أنه لم يرد دليل تقوم به الحجة على الحاق ما عدا الأجناس المنصوص عليها بها :

أقول : ثبت أن القائلين بأن الربا لا يتعدى الأصناف الستة أكثر عددا مما ذكر الدكتور ، وأنهم أولى بالاتباع في هذه المسألة رحمة بالناس ، وخروجا من المآزق العديدة التي أوقعهم فيها القائلون بغير ذلك ، فان آراء كثير منهم تجعل أكثر ما في الدنيا من معاملات يدخله الربا ، وحسب أقوالهم فان البنوك الاسلامية والمتعاملين معها والمتعاملين في المطعومات والمشروبات والمكيلات والموزونات واقعون في الربا لا

محالة لأنهم لن يفقهوا آراء الفقهاء بسهولة ولن يستطيعوا تطبيقها بيسر لو فقهوها .

ومع ذلك فقد قال ابن رشد عن المالكية في بداية المجتهد ج ٢ ص ١٢٢ ان علة الربا في الذهب والفضة كونهما رؤوسا للأثمان ، وقيما للمتلفات ، وهذه العلة هي التي تعرف عندهم بالقاصرة لأنها ليست موجودة عندهم في غير الذهب والفضة ومعلوم أن الفلوس الرائجة كانت موجودة في وقته كما هو معروف لمن يرجع الى تاريخ العملات . فقد توفي ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ ، والفلوس رائجة رواج العملة الورقية اليوم أو قريبا من ذلك ، وقد قال بالعلة القاصرة الشافعية أيضا وهي رواية عن أحمد ، كما ذكر ابن حزم ، وقد ذكر ذلك الدكتور في مقاله المذكور حيث ذكر أقوالا هي حجة لنا عليه ، وأنا أنقل هنا نص كلامه ، قال : قال الأحناف للشافعية : علتكم قاصرة فانها لا تتعدى الذهب والفضة ، وهما الأصل الذي استنبطتم منه العلة فلا فائدة فيها فان حكم الأصل قد عرفناه وانما مقصود العلة أن يلحق بالأصل غيره .

وأجاب الشافعية : ان مذهبنا جواز التعليل بالعلة القاصرة ، فان العلل أعلام نصبها الله للأحكام منها متعدية ومنها غير متعدية ، انما يراد منها بيان حكمة النص لا الاستنباط والحاق فرع بالأصل ، كما أن المتعدية عامة التعدي وخاصته ، ثم لغير المتعدية فائدتان : احداهما : أن تعرف أن الحكم مقصور عليها فلا تطمع في القياس ، والثانية : أنه ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيلحق به .

ويلاحظ أن آخر الكلام مناقض لأوله فان العلة القاصرة لا يقاس عليها شيء . وفي آخر الكلام جعلها الدكتور صالحة للقياس ليصل الى أغراضه في الأوراق المالية ، وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل ، وجعل العبارتين متقابلتين هكذا تشعر بهذا التناقض الذي جاء من الدكتور لا من غيره : الحكم مقصور على العلة القاصرة فلا تطمع في القياس عليها .

ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به هذا : ومعلوم أن العلة الربوية عند الأحناف ورواية عن أحمد هي الوزن : والأوراق البنكية والفلوس الرائجة اليوم لا توزن في المعاملة ، ولا يتداولها الناس على أساس الوزن فلا تخضع لأحكام الصرف ، ومن ذلك نجد أن القائلين بالعلة القاصرة في الذهب والفضة ، هم (المالكية والشافعية) كالقائلين بعدم العلة المانعين للقياس حيث أن العلة القاصرة لا يقاس عليها فكأنها لا علة ، وهذا ما فهمه ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٤٧٧ حيث قال ردا على القائلين بالعلة القاصرة : قالوا انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ستة أصناف : أربعة مأكولة واثنتين هما ثمن الأشياء فقسنا على المأكولة كل مأكول ، ولم نقس على الأثمان شيئا فقلنا : هذا أول الخطأ . ان كان القياس باطلا فما يحل لكم أن تقيسوا على الأربعة المأكولة المذكورة غيرها ، وان كان القياس حقا فما يحل لكم أن تدعوا الذهب والفضة دون أن تقيسوا عليهما كما

فعلتم في الأربعة المأكولة ولا فرق ، فقيسوا على الذهب والفضة كل موزون كما فعل أبو حنيفة أو كل معدني فان أبيتم وعللتم الذهب والفضة بالتثمين (وهو العلة القاصرة عندكم) قلنا : هذا عليكم وليس لكم لأن كل شيء يجوز بيعه فهو ثمن صحيح لكل شيء يجوز بيعه باجماعكم مع الناس على ذلك ، ولا ندري من أين وقع لكم الاقتصار على التثمين على الذهب والفضة ، ولا نص في ذلك ولا قول أحد من أهل الاسلام ؟

وهذا خطأ فاحش ولازم للشافعيين والمالكيين لزوما لا انفكاك منه . انتهى ، من المحلى لابن حزم ج ٨ ص ٤٧٧ ، وابن حزم لا يبارى في فهم أصول الفقه كما يعلم الدارسون .

والنتيجة هي أن علة الربا في الصرف هي الوزن عند الأحناف ولا ينطبق ذلك على الأوراق المالية لأنها لا توزن .

وهي الثمنية عند المالكية والشافعية : ولكن قاصرة على الذهب والفضة ، فلا تتعداهما الى أي ثمن آخر كما سبق ، وقد مرت صور تطبيقية للفلوس وأنها لم تعامل عند الفقهاء معاملة الذهب والفضة فبالله أخبروني ما هي الحجة بعد هذا كله في الحاق الأوراق المالية أو الفلوس بالذهب والفضة ؟

وقد وقع في هذا الأستاذ المربي والفقيه الكبير مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة السابق ذكره حيث اعتبر الأوراق البنكية كالفلوس الرائجة وهذا معقول ، ولكنه أوجب التقابض في المجلس وعدم تأخير احد الثمنين ، وعلل ذلك بأن الأوراق أثمان فيجب فيها حكم الصرف ، وتورط فيما تورط فيه الآخرون بالنسبة للمعاملات البنكية في تحويل العملات الورقية ، فلعله يزيدنا ايضاحا بعد الذي ذكرناه عن الأئمة ، ولعله يرجع عن اعتبار الشيك كافيا عن القبض في المجلس أو يأتينا بمثل واحد عن أحد الفقهاء المسلمين يشهد لما يقول ، وكذلك أقول لمجمع البحوث الاسلامية المحترم والذي هو أمل المسلمين في عصرنا الحاضر وقد آن الأوان لنترك التعصب لمذهب معين ولنخرج من ضغط كلمة « الجمهور » فان كثيرا مما قيل فيه « انه رأي الجمهور » ثبت بعده عن الحق حين يعرض على الكتاب والسنة وآراء السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، ثم يجب أن نعلم أن للظاهرية وزنهم في الفكر الاسلامي ، وأن قارىء كتاب المحلى لابن حزم يشعر بأن الحق معهم في قضايا كثيرة جدا وليس مع القائلين بالقياس .

سادسا : ومع ذلك فلست وحدي القائل ـ في عصرنا هذا ـ بأن الأوراق المالية تعامل معاملة السلع وعروض التجارة ، فقد قال به غيري من العلماء المعاصرين : فقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر في كتابه « مجموعة رسائل » أن للعلماء أقوالا مختلفة في الحكم في الأوراق المتعامل بها ، فبعض الفقهاء ألحقها بالعروض ، وبعضهم ألحقها بالسند على البنوك ... الخ » ج ١ ص ٣١٧ .

سابعا : إن قضية الانكار على الغير لها في الشرع أصول وأن من هذه الأصول ألا يكون لمن تنكر عليه سند صحيح أو دليل واضح أو مسلك من مسالك الأدلة معتمد ، فان كان له شيء من ذلك فلا ينكر عليه ، ولا يقال انه مخطىء مطلقا ، انما يقال : هو يرى ذلك ودليله كذا ، وأنا أرى غير ذلك ودليلي كذا ، ثم يترك الأمر للناس ليختاروا ما يقتنعون به من كلا الرأيين أو من غيرهما بدون غمز بقهر فكري معين .

ثامنا : والخلاصة أنني أرى أن الأوراق النقدية بعيدة كل البعد عن اعتبارها أثمانا ربوية مثل الذهب والفضة ، وأنه يجوز التعامل بها يدا وبيد وبأجل وبزيادة ونقص مثل عروض التجارة والفلوس ، وأنه يجوز السلم فيها بأن تعطي فلانا عشرة دنانير اليوم على أن يسلمك بدلا منها ثلاثين جنيها مصريا بعد شهر مثلا ، ومعلوم أن السلم يجوز فيه باتفاق الفقهاء أن يكون سعر الشراء بثمن أقل من السوق كمن يدفع عشرين دينارا اليوم ثمنا لثمانين كيلو من السكر يأخذها بعد سنة مثلا مع أن سعرها الحقيقي هو عشرون دينارا لسبعين كيلو ، ما لم تكن الزيادة أو النقص مما لا يقبله العرف ، ويعتبر غبنا في نظر الناس فهذا هو الحرام أو المكروه عند العلماء ، فمن أعطى عشرين دينارا لفلان أو للبنك ليأخذ بدلا منها ثلاثين جنيها بعد شهرين مثلا فذلك جائز بشرط ألا يتكرر ذلك في نفس الصفقة بمعنى أنه لو جاء وقت السداد فقال المعطي أو الآخذ نزيد في المدة شهرين مثلا ويصير المبلغ أربعين جنيها فان هذا هو ربا الجاهلية المنصوص عليه في القرآن والسنة وفاعله مأذون بحرب من الله ورسوله ومثله ما لو قال المعطي : خذ عشرين دينارا اليوم لتعطيني بدلا منها ثلاثين جنيها بعد شهرين وكلما زادت المدة تزيدني كذا ، لأن الأمر هنا تحول الى قرض جر نفعا ، والى الربا بأضعاف مضاعفة ، وقد وقع فيه البعض ، وقد نبهت على ذلك مرارا وقلت اني بريء ممن يفعله ، لأنه مرتكب كبيرة من شر الكبائر وماله سحت ممحوق ، وفاعله يجب الانكار عليه ويطلب هجره ، وهذا له مثيل صدرت فتوى به من فضيلة الشيخ ابن باز وغيره ، وهو جواز بيع السيارات وغيرها بالأجل مع زيادة في السعر عن البيع المدفوع ثمنه في حين الشراء وبه قال بعض أئمة الفقه بشرط ألا تتكرر الزيادة بتكرار التأجيل .

تاسعا : هذا ما رأيت أن أتقدم به الى مجلة الوعي ، شاكرا لها اهتمامها بأمور المسلمين ، والموضوع كله صالح للمناقشة العلمية المتأنية ، والكل يريد الحق إن شاء الله ، وأما قرار مجمع البحوث الاسلامية فهو قرار جماعة وليس اجماعا ، وتوجد جماعة أخرى تقول غير ما يقول كما ذكر صاحب كتاب « مجموعة الرسائل » وليس قول جماعة حجة على جماعة أخرى والكتاب والسنة هما مرجع الجميع ، ونحن لم نخالف نصا من النصوص ولا إجماعا من إجماع المسلمين ولله الحمد .. بل معي في رأيي أكثر الأئمة بما يشبه الاجماع ، فمعي الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وليس مع المجمع نص ولا اجماع ولا قياس معتبر .



مع السنة

أخوة الإسلام

للاستاذ/محمد محمد حلاوة

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل . رواه مسلم وغيره .

الفضل ما زاد على حاجة الانسان من أي شيء ، والمقصود بالظهر ما يركب من الدواب ، والزاد طعام المسافر .

مشكلة الفقر والفقراء ورفع المعاناة عنهم أقدم مشكلة للبشرية على الأرض منذ أن خلقها الله ، وسخرها للانسان ، وعمرها به ، فقد خلق الله الناس مختلفين في الاجسام وفي العقول ، متباينين في المواهب وفي القدرات ، واقتضت حكمته ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يسوي بينهم في الرزق : (**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**) الاسراء الآية ٣٠ ، ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن ليبلوهم فيما آتاهم . خاف الناس الفقر ولعنوه ، واستعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن دعائه « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق » رواه البخاري ، وإلى الفقر يرجع السبب في كل ما يقوم بين الناس من منازعات وحروب ، وما يقع من جرائم .

وقد شغلت مشكلته الناس في كل مكان ، وأرقت العلماء ، والباحثين ، والفلاسفة ، والحكماء ، والساسة من قديم الزمان ، ولاتزال ، لأنها تتصل بلقمة العيش ، بما به قوام الحياة ، من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ودواء ..

وتصورنا لهذه المشكلة في أول عهد الانسان بالحياة أنها كانت هينة ومحدودة ، وأنها لم تعدم من العقلاء من فكروا في حلول لها ربما أخفقت أحيانا ونجحت حينا ، أو لعلها قد نجحت أحيانا وأخفقت حينا ،

ولم تتعقد هذه المشكلة إلا مع تقدم الزمن ، ووجود التجمعات البشرية الكبيرة حيث تعددت المصالح ، وتشابكت المطالب ، وقد بلغت غايتها من التعقيد في هذا العصر بعد ان سار الانسان شوطا كبيرا في المدنية والتقدم .

وقد اهتمت الأديان كلها بمشكلة الفقر اهتماما كبيرا فقررت التوراة أن الفقر والغنى بيد الله وحده ، وأنه مالك السموات والأرض ، ورغبت في الانفاق ووعدت القائمين به الجنة ، وحذرت من الشح وتوعدت المسكين بالعقاب الأليم « من يعطي الفقير لا يحتاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كبيرة » أمثال « لا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له » التنبيه ، وجاء المسيح عليه السلام وقد انحرف الناس عن تعاليم التوراة ، واستبدت بهم المادة ، ولجوا في الضلال والفجور فعالج الموضوع بما يتفق وهذه الأوضاع علاجا تربويا خلقيا « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » إنجيل متى .

ثم جاء الاسلام فعالج المشكلة بما لم يعالجها تشريع قط ، لأنه جاء عاما وشاملا ومتمما لمكارم الاخلاق ، وبذلك حقق حلم الفلاسفة والحكماء في « المدينة الفاضلة » و « العالم المثالي » .

فها هوذا رسولنا الكريم يحل مشكلة الفقراء وذوى الحاجات حلا هينا رفيقا عمليا في كلمات معدودات قبل ساسة العالم ومفكريه بثلاثة عشر قرنا أو تزيد دون جلسات تعقد ، ومناقشات تطرح ، ونصوص تعد ، وقرارات تصاغ ، ودون مؤتمرات تجتمع لتنفض ، وذلك حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له » فمعنى الحديث في بساطة اي فرد في المجتمع عنده شيء أي شيء زائد عن حاجته ، وغيره في حاجة إليه فليعطه له . يالله ! وما أروع الصورة ! المجتمع كله في حركة دائمة يتنفس برئة واحدة ، وينبض بقلب واحد ، ويحيا بروح واحدة ، يقوم معا ، ويقعد معا ، يتألم جميعا ، ويفرح جميعا ، يعطي بعضه بعضا ، ويأخذ بعضه من بعض في توازن دقيق عجيب لا يختل ولا يهتز ، فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث إلى التكافل الاجتماعي ليست خاصة بحالة السفر ، ولا قصرا على الظهر والزاد وحدهما ، بل تتناول جميع الحالات ، وتشمل كل ألوان التكافل معاشيا وإقتصاديا وخلقيا وسياسيا وعاطفيا ودفاعيا مثل عطف القوى على الضعيف ، ورحمة الصحيح بالمريض ، ورعاية المقيم للغريب ، وبناء مستشفى ، وانشاء مسجد ، واقامة مدرسة ، وأمر بمعروف ، ودفع خطر .. وهكذا ..

وتلك بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ألوان مختلفة من التضامن : « لا يؤمن أحدكم حتى

يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » « إذا كان الوباء بأرض ولست بها فلا تدخلها ، وإن كان بأرض وأنت بها فلا تخرج منها » « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »

على ان الاسلام اوجب زكاة المال على الأغنياء ، وبين مصارفها وحدودها (**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**) الذاريات/ ١٩ . (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) التوبة/ ٦٠ ، كما رغب في الانفاق وأكد عليه ، ودعا إلى الاتحاد والتعاون والاخاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإنه لمن المخزي حقا بعد ذلك أن يتطلع المتشدقون من أدعياء العلم والمعرفة والسياسة إلى الغرب أو إلى الشرق يقتبسون منه ، أو يتشبهون به ، أو يقلدونه ، فهاهم أولاء أساتذة الغرب ومستشرقوه يشهدون بعظمة الاسلام في كل النواحي ، ويعترفون بأن النظام الذي وضعه لرعاية الفقراء والمحتاجين لا يدانيه نظام ، ونكتفي هنا أن نسجل شهادة أحدهم .

يقول دروسن : (ولقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا : الأولى في قول القرآن الكريم : (**إنما المؤمنون إخوة**)الحجرات/ ١٠ . فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذى مال) .

ولقد تمخضت النظريات الحديثة التي تصدت لعلاج هذه المشكلة عن مذاهب شتى أهمها الشيوعية والاشتراكية ، فهل حلت كل منهما المشكلة حقا ؟! الواقع يقول : لا فهي حلول قاصرة وكليلة ، والأساس الذي قامت عليه واه وضعيف ، لأنه إما أساس مادي ، أو لا ديني ، أو أناني ، وأي واحد من هؤلاء لا يصلح أساسا لحل مشكلة ، فضلا عن مشكلة حساسة كهذه .

والحق يقال : إن علاج هذه المشكلة عن طريق القوانين والقرارات والنصوص والهيئات كثيرا ما يكون سطحيا وشكليا ، بخلاف التكافل الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو تكافل حق ، لأنه نابع من القلب والضمير والوجدان ، مبني على الشعور بالانتماء ، على الاحساس الصادق بالرابطة التي تربط الانسان بالانسان ، على أصالة العاطفة التي تشد كل فرد إلى الآخر ، وهذا هو سر نجاحه وتفوقه وخلوده فقد صنع به المسلمون الأوائل أقوى وأعظم دولة عرفها التاريخ .

ولقد كانت مجتمعاتنا الاسلامية بالأمس القريب تحظى بقدر غير ضئيل من التضامن الاجتماعي . كان الجار يسأل نفسه عن جاره كل يوم ماذا طعم ؟ وماذا شرب ؟ وكيف نام ؟ وكيف صحا ؟ وما الذي

يشغله ؟ فان وجده في حاجة أي حاجة أقبل إليه مسرعا ، وكانت ربات البيوت إذا أعدت إحداهن طعاما طيبا لا يقر لها قرار إلا إذا أهدت منه جارتها على اليمين وعلى الشمال ، وربما تجاوزتهما إلى جارات أخرى ، ومثل هذه الروح كانت في العامل والزارع والتاجر والطبيب والمعلم ، في الحقل ، وفي المصنع ، وفي كل مرافق الحياة .

وقد كان لأجدادنا العرب قدم ثابتة في هذا المضمار ، فقد كانوا يتنافسون في الكرم والنخوة والشهامة والنجدة والايثار والوفاء ، وكانت هذه الصفات موضع فخرهم واعتزازهم . كانوا يكرمون الضيف ويقدمون له أطيب ما يملكون ، ويجيرون الملهوف وإن كلفهم ذلك حياتهم ، ويحمون الجار مهما كان الثمن ، ويوفون بعهودهم ، ويساعدون المضطر والبائس والمحروم ، وهم بذلك كله جد فرحين ، ويخرجون في الليلة الباردة يوقدون النار يهتدي بها المدلج والساري ليطعم ويقر ويأمن .. كل ذلك بدافع قلبي لم تنظمه قوانين ، ولم تضبطه قرارات ، ولم يحتج إلى تصديق من رؤساء .

أما اليوم ــ وبعد اختراع الآلة ــ فقد فتر التضامن إلى حد كبير ، فقد يكون عرس في مسكن بينما يكون مأتم في المسكن المقابل له في الوقت نفسه دون أن يحس أحد الجارين بالآخر ، وقد ينفق أهل بيت في ليلة واحدة آلاف الجنيهات على ما لذ وطاب ، وعلى مقربة منهم من يتضور جوعا وألما ، وقد يكون الانسان في ضائقة شديدة وصديقه ، بل أقرب الناس إليه يكتنز الآلاف فلا يمد يده إليه ، ولو تقدم يطلب مساعدته لنكره وأعرض عنه .

وبعد فمع روائع الكلم ، مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نتأمل لحظات :

في استخدام كلمة ــ من ــ الدالة على العموم دعوة إلى جميع الناس دون استثناء ، ودون تخصيص ، وفي جميع الحالات أن يتكافلوا وأن يتعاونوا .

وفي تنكير كلمة ــ فضل ــ تعظيم يدل على أهمية هذا الفضل مهما كان ضئيلا .

وفي « كلمة ظهر » خفة ورقة وجمال لا تخفي على أحد .

وفي « فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل » دلالة على ان ميدان الفضل واسع يبدأ من الابرة والماعون إلى ما شاء الله ، كما أن فيه تذكيرا للانسان بأن ما معه ليس له ، بل هو مستخلف فيه ، وفيه كذلك إشعار بأننا جميعا ــ ما عدا الفقراء والمحتاجين ــ قادرون على بذل الفضل ، فمن منا لا يملك فضلا في أي لون من ألوان المال ، أو أي جانب من جوانب الحياة .

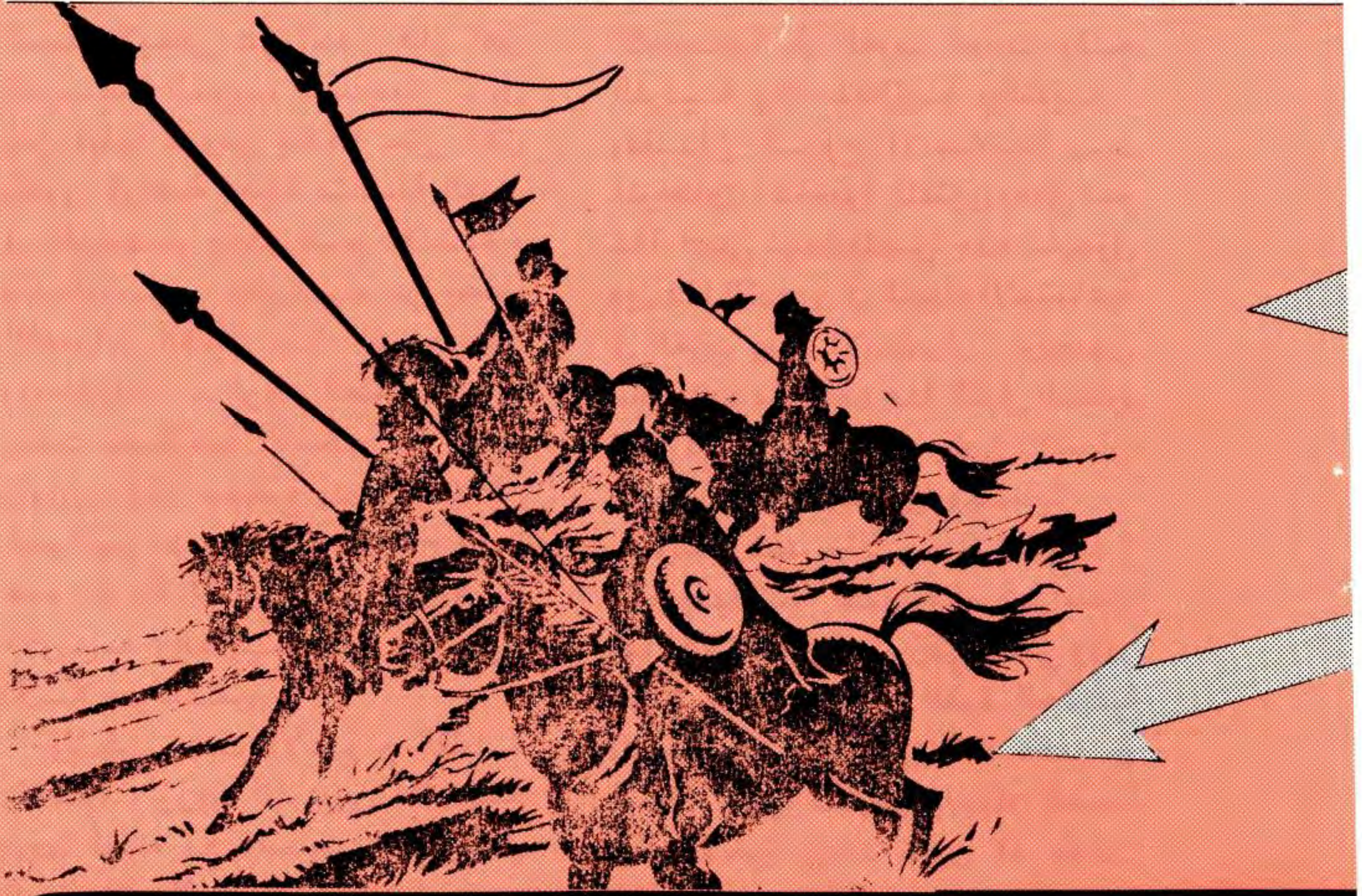
نسأل الله أن يلهمنا الصواب والرشاد ، وأن ينفعنا بهدى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . والله اعلم .

المدّ الإسلامي والتحدّي

للأستاذ/ عبد المقصود محمد حبيب

ان الرسالة التي حملها الى الدنيا كافة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ماتزال – على عهد البشرية بها – مدعوة لكي تقود العالم كرة أخرى نحو مصير سعيد ، اذ ان الأهداف التي حمل النبي صلى الله عليه وسلم رسالته من أجلها الى الناس كافة لم تستنفد ، والطاقة الخارقة التي تتوفر عليها لايمكن أن تنفد :(**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف/ ١٠٩

ذلك لأن الرسالة السماوية الخالدة قائمة على قواعد فطرية تتمشى وصالح الكائن الانساني في كل عصوره ومختلف أطواره ومراحل تطوره . والذين يقولون عن عمد أو جهالة أو سوء نية بأن الدين لم يعد له مكان في عالم اليوم ويعنون بذلك الدين الاسلامي . فهم حادون عن طريق الصواب الطبيعي والفطري . لأن الدين الاسلامي هو الدين عند الله ، وهو الذي يقوى على مسايرة الحياة وقيادة التطور الانساني في كل عصر . وعليهم أن يعودوا الى أناة وتحرر من عقد وأمراض في النفس . ويدرسوا العالم عندما نزل الاسلام في أول أمره ثم التطورات التي حدثت في العالم من بعد ثم يمضوا مع التاريخ في سيره الى عصرنا الحاضر ، حيث تضطرب البشرية في شتى المجالات باحثة عن



مخلص ينقذها مما تعاني من مشاكل معقدة عرف أولها ولم يعرف لها آخر . وقد جربت كل الحلول فلم تأت لها بالنجاعة المنشودة . الا الحل الاسلامي الذي يجب ان يعرض على الدنيا من جديد .

ونرى في هذه الأيام ظاهرة مفاجئة . لكن لها أسباب . فالمواضيع المتعلقة بالاسلام والمسلمين تحتل الآن في أوروبا عامة الصفحات الأولى من الصحف اليومية والمجلات ، سواء كانت أسبوعية أو شهرية أو دورية وذلك نتيجة للتطورات البالغة الأثر في تحويل السياسة العالمية .. مثل تلك التطورات التي تحدث على رقعة العالم الاسلامي فلا توجد الآن صحيفة كبيرة أو صغيرة .. الا وفي غالبية أعدادها دراسة عن الاسلام والمسلمين .. بالاضافة الى برامج التلفزيون والاذاعة في جميع بلدان العالم الغربي ، والندوات التي تعقد والدراسات التي تقام هنا وهناك .. وكلها عن الاسلام والمسلمين .

اهتمام كبير بحياة المسلمين الذين يعيشون في الدول الاسلامية أو الدول غير الاسلامية ، وكان من الأولى ان يكون هذا الاهتمام البالغ والمفاجيء ، أسبق في عصر بروزه عن هذا الوقت الذي نحن فيه . لكن

السبب لايخفى على أحد . فان أهل الغرب منذ الحروب الصليبية – بل ومن قبلها – ومن بعدها حتى الآن يكنون كراهية عميقة متأصلة العمق في نفوسهم وجذورهم للاسلام والمسلمين . بالرغم من بعض الأصوات القليلة جدا التي درست واستشرقت – لوجه العلم فقط – ونادت بصلاحية الاسلام لكل عصر وأوان . وكل مجتمع ودولة . الا أن أصواتهم ذهبت أدراج الرياح وسط هذه الموجة العارمة من الكراهية الأوروبية والغربية على حد سواء للاسلام والمسلمين .

ولكن جاءت الأعوام القليلة الماضية . ووجد الغربيون أنفسهم وجها لوجه مع المسلمين سواء في الدول الاسلامية أم في الدول غير الاسلامية ، وجدوا أنفسهم معهم وجها لوجه . فعصب الاقتصاد العالمي وهو النفط . أغلبه في يد البلاد الاسلامية . وهو بلا مبالغة . أساس حياة الغربيين . وتطورهم الاقتصادي والاجتماعي مربوط ومرهون به . لو توقف ضخه اليهم . لماتوا برودة وتعطلا وتضخما وإفلاسا .

من هنا جاءت هذه الاهتمامات المفاجئة بالاسلام والمسلمين . عندما بدأت في الجو العالمي صيحة الانبعاث للاسلام والاستنفار بين أهله في كل أنحاء الأرض .

ومن ناحية أخرى بدأ علماء الاجتماع ينظرون بجدية نحو الاسلام في خضم تدهور الحياة الاجتماعية في الغرب تحت وقع الفردية والاستغلالية والمادية ، وفقدان الروح الانسانية بين المواطنين . فأخذوا يلتفتون بعمق نحو هذا الدين ليستخلصوا منه مايحول بين هذا التدهور في الحياة الاجتماعية في الغرب وبين الاستمرار . ويجدون مايمكنهم من وقف هذا التيار الخطير الذي لن ينتهي الا بأن يكون الانسان محطما نفسيا ومعنويا وجسديا .

ولذلك نجد مثلا مجلة (تايم) الأمريكية تبدأ احدى هذه الدراسات بما قاله الشيخ أحمد زكي يماني وزير النفط السعودي : « القوة الحقيقية للاسلام هي الشعور بأنك عضو في أسرة . أخوة تمارس واجبات لخدمة هذه الأخوة وبذلك تكون قد خدمت الله » .

لقد بدأ العالم الغربي الآن يشعر بالقوة الفعلية للاسلام والمسلمين . بل نجد كل هذه الدول تقريبا تنادي بتحرير أفغانستان المسلمة من التدخل السوفييتي والاجنبي على السواء .

وثمة دول أوروبية تعيش فيها جاليات اسلامية ضخمة ، وهي اما تاريخية عريقة مما لايمكن معه أن توصف بجاليات لأنها من صميم الشعوب التي تعيش في دولها مثل الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وألبانيا . واما مستجدة على هذه الشعوب مثل مافي بريطانيا وألمانيا الغربية وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول في أوروبا وأمريكا .

ومن الاحصاءات الأخيرة يتضح أن المسلمين في الدول غير الاسلامية يشكلون نسبا يعتد بها . ففي الصين (١٨ مليون) وفي بورما مانسبته ٤٪ من السكان ، وفي الهند (٨٠ مليونا بنسبة ١٣٪ من السكان) ويوجسلافيا (٤,٥ مليون ٤٪) وفي المانيا الغربية تجاوزوا المليونين ، وبريطانيا كذلك ، وفي الولايات المتحدة الامريكية ٣,٥ مليون مسلم وفي الاتحاد السوفييتي ٥١ مليون مسلم .

ولقد أكدت مجلة تايم أن أصوات المؤذنين في أرجاء العالم زادت قوة عما كانت عليه . وعادت في قوتها الى العصور الاسلامية الأولى التي امتدت فيها دولة الاسلام حتى أوروبا وحدود شرق آسيا وأفريقيا . وأن اختلاف لغات المسلمين لايغير من حقيقة وحدتهم الدينية اذ أن المسلمين يتحدثون بالروسية والفارسية والصينية والفرنسية والانجليزية والألمانية والماليزية والتركية . وغير ذلك من اللغات الكثيرة . بالاضافة الى االلغة العربية التي نزل بها كتاب الله « القرآن الكريم » وبها يؤدون جميعا صلواتهم وفروض عباداتهم . وتقول ان الدين الاسلامي هو أحدث الأديان السماوية بل هو آخرها ، وان كلمة أمة المسلمين تثير الآن شغفا متزايدا لدى المسلمين في كافة أرجاء العالم ، وأن وحدة الأمة الاسلامية أمر ليس خيالا ولامبالغة فيه . فقد أصبحت اليوم هذه الوحدة أمرا مفروغا منه تماما .

وتذكر المجلة صورا لذلك الاهتمام المتنامي لبعث الدعوة الاسلامية من جديد عند المسلمين ، وتستدل على ذلك بزيادة عدد الدول التي أخذت تطبق الشريعة الاسلامية بوضوح تام ، وما أخذت الشعوب تنادي به في الدول الاسلامية الأخرى من تطبيقها . وتزايد عدد الحجاج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة عاما بعد عام . وتزايد اهتمام الأجيال الجديدة من الشباب في أرجاء العالم الاسلامي بالدين الحنيف . وتزايد عمق الايمان عندهم بأنه لايصلح مجتمع صلاحا كاملا الا بالاسلام .

وكان بعض الغربيين قد ظنوا ان الزمن عامل من عوامل انهيار الاسلام وانتهاء مده .. ولكن كما قالت صحيفة الفيجارو الفرنسية « ان **الاسلام يخطو في هذا العام خطواته الأخيرة نحو القرن الخامس عشر الهجري » وهذا لايعني أنه بلغ من العمر عتيا فهو أكثر الأديان العالمية قوة وشبابا وانتشارا ، فهو من ناحية يعد أحدث دين عالمي جاء بعد المسيحية واليهودية وهو من ناحية أخرى يعد أكثر الأديان حيوية وانتشارا حتى الآن ، وفي أعداد تصل أحيانا الى مئات الألوف سنويا يدخلون الاسلام طوعا واختيارا وايمانا ، وخاصة في قارتي آسيا وأفريقيا التي يتنبأ علماء الاجتماع والأديان المعاصرون بأنها قارة المستقبل بالنسبة لانتشار الدين الحنيف .**

ويخطـــيء من يظـــن أن العصر الحديث لم تعد تحركه المعتقــدات الدينية ، ولايمكن لأي مؤرخ الآن يتابع الأحداث اليومية الراهنة ، أن يعتقد أن أوروبا قد نسيت تماما ان الاسلام كان على وشك الاستيــلاء عليها كلها في يوم من الأيام .

ان العودة الى الدين أصبحت هي الدعوة الرئيسية التي بدأ الكثيرون من العلماء والفلاسفــة في الغــرب ينادون بها لانقاذ الحياة من التفكك المريع والانهيار القاتل تحت ماسيطر على العالم الغربي منذ مائتي سنة تقريبا باسم التقدم أو التطور .

وفي مقال لهاينريش بانيكة في عدد أخير لمجلة اشتــرن وهـــي كبــرى المجلات في ألمانيــا الغربيــة كتــب يقول ـ ماذا صنع التقدم التقنـــي بالانسان ؟ الحب ضاع من الحياة مثل كل العوامل الخيرة الأخرى . بل وحتى العلاقــة بــين الزوجــين أصبحــت واجبــا من الواجبـــات الوطنية . مثل الخدمــة العسكريــة الالزامية .

وكما قال من قبله كارليل صاحب كتاب « العالم ذلك المجهول » قوله الذي أكد فيه أن الحضارة المادية تحمل معها علة سقوطها ، فمن غير الدين يفقد الانسان أسمى عواطفه . فلابد من العودة الى الدين .

وكما قال أحد المستشرقين حول آصرة المجتمع بين أفراد الأمة الاسلامية « المسلم في المجتمع الاسلامي . كل مسلم آخر مهما كانت لغته وأصله وسلالته وبلده فهو أقرب له من مواطنه الذي قد يتكلم لغته وينحدر من نفس سلالته ولكنه لايدين بنفس عقيدته وهي الاسلام » .

انه بعد أقل من قرن من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الدين الاسلامي الحنيــف قد ضم فارس ومصر وسوريا وتونس والمغرب وأسبانيا وجنوب فرنســا وجنــوب ايطاليا وصقلية ووصل حتى نهــر السند ووسط آسيا .

كيف استطاع الاسلام ان يخرج العرب من جاهليتهــم الغارقــة في الظلام ؟ الى ان يقفزوا قفزتهم الهائلة ـ وعلى غير مثال سابق ـ الى مركز القيادة العالمية والزعامة الانسانية ، وبدون أن يتوفر لهم ولو أقل مايمكن من امكانيات مادية أو بشرية أي عقل يمكن ان يهضم بروز خير أمة وأعظم دولة لم ير التاريخ لها شبيها من مجتمع قبلي جاهلي ، لم يكن يدري مامعنى النظام ولا مامعنى الدولة لا ليحرر أرضه ويصبح سيد أمره ومقرر مصيره فوق أرضه فحسب . بل وليدك عروش البغي والعــدوان في فارس والروم وفي كل بلد هضمت فيه كرامة الانسان وحيل بينه وبين ممارســة حقوق آدميته . ثم ان ذلك المجتمع الاسلامي الأول ، استطـــاع قواده اقامة نظام فريد من نوعه ، محق الظلم وسحق العدوان وأزال الطبقية وألغى الفروق ووحد الأشتات وجمع صنوف البشر تحت رايته . ورسم هدفا انسانيا أعلى ، الشيء الذي أقنع العديد من شعوب الأرض بالانضمام الى صفــوف الدعــوة الاسلاميـــة

والالتفاف حول رجالها في حب واعزاز واندفع الموج البشري في زحفه ينشر الضياء ويمزق أغشية الظلام ، حتى كانت الدعوة الاسلامية تعم الأرض في ظرف من الزمن جد قصير .

هل كان ذلك الانتشار للاسلام بحد السيف أو بقوة العقيدة وفهم الناس لما تقدمه لهم من حياة آمنة سعيدة كريمة ؟ كلهم فيها سواء لافرق بين أحدهم والآخر الا بتقوى الله ومايقدمه للناس من خير ونفع . اذا تتبعنا سلسلة التاريخ الاسلامي نجد ان الاسلام لم ينتشر الا بالدعوة . حيث انتشر الاسلام في أنحاء الأرض بعد ان قام الدعاة يقدمون الاسلام بالفكر والموعظة الحسنة دون ضغط أو اكراه . وفي ذلك يقول توماس كارليل عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم اذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر فرد سيفه ليقتل به الناس ويستجيبوا لدعوته . فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين » .

ويقرر التاريخ ان الحرب لم تقم بين المسلمين وبين شعوب الأرض المجاورة ، بل مع أعدائهم الأصليين الذين استرقوهم قرونا عديدة بدليل ان المصريين والسوريين والعراقيين كانوا يؤيدون الزحف العربي الاسلامي ويؤازرونه ، لما وصل الى أسماعهم من عدالة الاسلام ولما كانوا يعانونه من ظلم الاستعمار الروماني والفارسي .

إن أي تفسير بالمنطق العادي للانسان لتحليل ماحدث بالنسبة لاقامة النظام الاسلامي على الأرض على النحو الذي ظهر به والذي انتشر به . ذلك النظام الذي اختير لزعامته محمد النبي الأمي الذي برز في صميم أرض الجزيرة العربية التي انطلقت منها جيوش الفتح الاسلامي تفتح العقول والأفكار قبل افتتاح المدن والأقاليم ، ثم اختيار الأمة العربية بالذات لكي تقوم بدور الرائد .. الأمة التي أحسنت القيادة الرائدة احسانا حير العقول .

ان أي تفسير لذلك بالمنطق الانساني العادي ، ظل وسوف يظل عاجزا كعجز القزم حين يمد قامته لكي يتعادل مع العملاق وان كل تأمل عقلي مجرد من أثقال المادة ونزعات الهوى . أكد وسيظل يؤكد لنا على مد الزمن بما لامجال للريب فيه ، بأن الاسلام قادر تماما على تحقيق آمال البشرية فيه بشرط واحد فقط وهو ان يرتفع الانسان الى الأفق الذي أراد الله للناس السمو اليه حين أنزل قوله الكريم : **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/ ٧٠

ان رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ستبقى مابقيت الحياة — كما نزلت من لدن حكيم بالناس عليم — تقدم الخير للانسان وترسم الطريق القويم للبشر في كل أنحاء الأرض — كما جاءت للبشر كافة —

الطريق القويم الذي يرفع الانسان الى أحسن درجة بين المخلوقات حيث يكرمه الله . ترسم لهم طريق الخير والسعادة . طريق الانسانية الكريمة المبنية على الحب والعدل والحق والخير . من الانسان لنفسه . ومنه لغيره .

سوف تبقي الرسالة المحمدية كذلك . مابقيت الحياة . ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومن هذا المنطلق فان هذه الرسالة مدعوة الى تغيير وجه العالم . وانقاذه مما يئن تحته اليوم وادخاله في ظلال الرحمة الالهية بالبشر . عندما يعبدونه ويطيعون أوامره وينتهون عن نواهيه . ولدينا نحن أصحاب هذه الرسالة والدعاة اليها مانعرضه على البشرية اليوم . فمادامت عجلة الحياة سائرة ومادام هناك على الأرض باطل فان الاسلام مدعو لوضع طاقته في الميدان . مدعو برجاله الى ذلك . كي يرد الحق الى نصابه ويقيم شريعة الحق والعدل وينشر على الدنيا بساط الرحمة .

ان البشرية اليوم . تعيش أيام ظلام حالك . وظلم قاتل . وقد جاء الاسلام في أوله والدنيا كما هي اليوم . حق ضائع . مهضوم من القوي نحو الضعيف . الانسان مسخر للذات جسدية . أو مسخر تحت ضغط قوة لاترحم انسانيته ولاتعترف بحقوق بشريته . هذا ماتعيشه البشرية اليوم . وكما جاء الاسلام لينقذها بارادة من الله القوي العزيز قبل ١٥ قرنا . هاهو الدور اليوم أيضا ليتقدم المسلمون باسلامهم لينقذوا البشرية مما تعيش فيه وتعانيه اليوم .

وهذا دور ليس بجديد على الاسلام والمسلمين . فان الاسلام قوة دافعة منذ جاء الى الدنيا نحو التطور المطرد من أجل وصول الانسان الى كسب المنزلة العليا التي خلق لكي يرقاها . فسبق المسلمون في ميادين عدة في هذه الحياة ومنها مايرجع الى العلم التجريبي وبلغ كشوفا مذهلة وقف حيالها العالم مشدوها . وبنى عليها تقنيته وحضارته التي يتحدث ويتشدق بها .

هذا الدور الخالد .. الممتد في شعاب الزمن من قديم يواجه اليوم الضلال والعمى ، والطغيان والهوى ، والاضطهاد والبغي والتهديد والتشريد ، فهل يهب المسلمون ليمضوا في طريقهم بهذا الدور الخالد الكريم والذي بعث الله به رسالتهم . هل يهبون ليمضوا في هذا الطريق ثابتين في الخطو مطمئنين في الضمير ، واثقين من نصر الله متعلقين بالرجاء فيه متوقعين في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد : **(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)** ابراهيم/١٣و ١٤

لقد انبعثت الصيحة مدوية . بالعودة الى الاسلام ودوره القيادي . للبشرية كلها فهل نحن فاعلون . ؟

الأدلة الجنائية في القرآن الكريم (١)

للدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي

مما لا شك فيه أن القرآن العظيم يحوي من صنوف الحقائق وآيات الموعظة وأساليب الهدى للناس ما يشكل الأساس المتين لبنيان حياتهم الدينية والاجتماعية : (**هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين**) آل عمران/ ١٣٨ . أنه الكتاب الجامع ، والدستور الأعظم والدليل الذي لا يأتيه الباطل . ثابت على مر العصور والحقب : (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .

لكنه قد يعارض البعض أن يحاول شخص ما أن يستخلص من القرآن الكريم أمثلة أو اشارات لعلم أياما كان لعلم من العلوم الحديثة خصوصا وأن الموضوع الذي نطرقه اليوم لم يرتده الكثيرون من قبل . وعلى أية حال فان هناك مدرستين متباينتين عن التعرض لما يسمى بالتفسير العلمي لآيات القرآن الكريم :

١ - الأولى ترى أن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع لكل العلوم الدينية والدنيوية ، لم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها : (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**) النحل/ ٨٩ . وأن أية علوم دنيوية هي في الأساس في القرآن الكريم ومن القرآن ، وأن عدم اسستنباط أصولها من القرآن لا يعني عدم وجودها فيه بل يعني عدم قدرتنا على هذا الاستنباط (**يؤتي الحكمة من يشاء**) البقرة/ ٢٦٩ ، (**ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**) البقرة/ ٢٥٥ ، (**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ .

٢ - والمدرسة الأخرى ترى أن القرآن الكريم هو كتاب الأحكام الكلية والمبادىء العامة الثابتة . انه الكتاب الصالح لكل زمان ومكان أما العلوم الدنيوية فمتغيرة بمزيد من الاكتشافات والاضافات التي تضطرد كل يوم بارتياد مجالات جديدة للعلم . لذلك كله فلا يمكن أن نخضع تفسير آيات القرآن الكريم لعلوم العصر الحديث ونظرياته أو نحاول استنباط علوم الدنيا المتغيرة منه . ذلك تحميل لمعاني القرآن الكريم ليست في الأصل واردة .

على أن ما يأتي في القرآن الكريم من اتفاق مع نظريات أو أصول العلوم الدنيوية الحديثة ما هي الا أمثلة جاءت لترشد الناس ، ولتكون مصابيح هداية لهم ، وعليهم أنفسهم أن يجتهدوا ليلموا بأحكامها وقوانينها التفصيلية : (**وتلك**

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) العنكبوت/ ٤٣ ، (**ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم**) النور/ ٣٥ .

ونحن نرى بصحة نظرة المدرسة الثانية ذلك أنها أقرب الى المنطق ، ولأنها تضع القرآن الكريم في مكانته المقدسة التي يجب أن تكون عليها لأنه دستور كل الدساتير ، وجامع كل الأحكام لا أن يكون عرضة للفروض الجدلية المتغيرة لنظريات العلم الحديث .

على أننا يجب أن ننوه أن كلا من المدرستين ترى بوجوب الاجتهاد ـ لأهل العلم والتخصص ـ وتحث عليه ؛ وعلى ذلك فلا مانع هناك من مناقشة الأمثلة الواردة في القرآن العظيم لعلم من العلوم العصرية (**وقل رب زدني علما**) طه/ ١١٤ .

ان ما سوف نحاوله هنا ليس تفسيرا جديدا لبعض آيات القرآن الكريم المباركة ، لكنه محاولة لفهم معاصر لهذه الآيات من وجهة نظر متخصصة في علم من علوم الدنيا ألا وهو علم الأدلة الجنائية .

تمهيد :

منذ عصى آدم وحواء ربهما وأكلا من الشجرة المحرمة فكان جزاؤهما تجربة الحياة على الأرض ، ومنذ مسيرة الخليقة المضطردة تلازم الخير والشر وترافقت الجريمة مع الحياة ، وقتل قابيل أخاه هابيل كي يفوز ـ كما تقول الأساطير ـ بالزواج من أختهما الفاتنة **اقليما** . وبذلك فقد سجل الانسان بدمه المهدور أول جريمة في التاريخ كتبت فوق سطح هذا الكوكب .

ولأن الاسنان مخلوق اجتماعي ، فقد انتظم بحكم طبيعته في أسر وعشائر . ولأن مصالح الناس متباينة ، ولكي تتوافق مصالح المجموعة مع مصالح الأفراد فقد ارتضت الجماعة **بالعقد الاجتماعي** أنواعا من السلوك فأجازتها ، بينما جرمت ضروبا أخرى من السلوك ووضعت الجزاء رادعا لمن يقترفها . واستهدفت الجماعات من ذلك كله الحفاظ على كيانها . وتوطيد أركان أمنها حتى يعم الرخاء والاستقرار والأمان .

وبمرور الزمن تطورت أساليب الحياة في المجتمعات البشرية ، وكذلك تطورت أفكارها وثقافاتها . كما تطورت كذلك نوعية الجريمة وأساليبها ، وتطورت معها بالضرورة وسائل كشفها ومكافحتها وطرق التعرف على فاعليها .

أهمية الأدلة الجنائية :

لم تكن الجرائم ـ في حالة وقوعها ـ في المجتمعات البدائية محاطة بالغموض والأسرار . بل كان طبيعيا أن يضبط الجاني متلبسا بجريمته في التو واللحظة ، ويكون اعترافه شيئا لا مناص منه وبالتالي مبررا لادانته . أما اذا أنكر فغالبا ما

كانت أقوال الشهود تشكل سببا كافيا لادانته . وعليه فقد كان توجيه التهمة للمتهم يستند أساسا على الدليل المعنوي . ولذلك أشتهر القول أن **الاعتراف سيد الأدلة** .

لكنه من ناحية أخرى فقد كان الاستناد على الدليل المعنوي وحده كأساس للاتهام وبالا على العدالة ذاتها ؛ لأنه كان سببا لأن تجيز سلطات التحقيق لنفسها انتزاع الاعتراف مستخدمة أبشع وسائل التعذيب والاكراه . وظهر الى حيز الوجود ما سمي **بغرف التعذيب** التي كانت تحظى بكل اهتمام سلطات الأمن وتحتوي على كل ما هو جهنمي لاهدار الانسانية وانتزاع الاعتراف .

ومع تعقد أنماط الحياة وتطور المجتمعات البشرية واتساع العمران أصبحت المدن بما حوت من أخلاط بشرية ، وما تحفل به من صراعات مادية ومغريات جنسية . . بيئة خصبة لا نتشار شتى أنواع الجرائم الغامضة . والمجرم حين يرتكب جريمته يحرص على ارتكابها خفية دون أن تراه أعين الناس . ومع تطور وسائل المواصلات أصبح في مقدوره أن يصل الى مسرح الجريمة وأن يغادره بسرعة متناهية بحيث لا يلحظ أحد وجوده هناك بل وعلى النقيض يحرص أن يلاحظ المحيطون به استمرار حياته الاعتيادية في الوجود على مسافة قصيرة من مسرح الجريمة . فاذا حدث واتجهت اليه الشبهات فانه ينكر عن عمد أي صلة له بالجريمة ، بل ويجد من يشهد على وجوده في مكان آخر ساعة وقوعها . وبذلك لا يجد المحقق في الأدلة المعنوية سندا ولا نصيرا .

لكننا نبادر بالقول أنه مهما بلغ حرص المجرم ومهما كانت براعته في التخفي والتستر فهو لابد وأن يترك في مسرح الجريمة ـ دون قصد منه ولا وعي ـ أثراً ماديا يمكن أن يدل عليه ؛ وهو في نفس الوقت لا بد وأن يحمل من مسرح الجريمة أثرا يدل على أنه كان موجودا فيه وهذا ما يعرف **بنظرية تبادل الأثر** .

وتجدر الاشارة هنا أنه يرجع الفضل في فحص مختلف أنواع الآثار المادية وإبراز الكامن منها وبيان دلالتها وصلتها بالجريمة ، وصلة الجاني والمجني عليه بها الى التقدم العلمي . فقد أصبحت الأجهزة العلمية المستخدمة في فحص الآثار الجنائية المادية هي التي تقدم الدليل المادي الحاسم على البراءة أو الادانة .

ولما كان **البحث العلمي الجنائي** أو علم الأدلة الجنائية ، يستخدم طرق وأساليب وأجهزة العلوم الطبيعية . فقد نما وتطور بنموها ونهضتها ، ووجدت فيه سلطات الأمن البديل العصري لغرف التعذيب . كما أصبح هذا العلم هو السلاح الماضي الذي تعتمد عليه السلطات في حربها الضارية ضد الجريمة ، وكشف غوامضها وإدانة مقترفيها .

أنواع الأدلة الجنائية :

قيل قديما أن التحقيق صراع بين الجاني والمحقق ؛ الأول يحاول اخفاء معالم

الجريمة ويعمل الآخر ـ وخصوصا بما لديه من أدلة جنائية ـ على الكشف عن حقيقتها واستجلاء الغامض منها ، والتعرف على طرق ارتكابها ، وتتبع الجاني واقتفاء آثاره اذا ما حاول الفرار من وجه العدالة حتى يمكن القبض عليه لينال جزاءه .

والأدلة الجنائية تشتمل على نوعين :

١ ـ **الأدلة المعنوية** : وهي عبارة عن اعتراف المتهم وشهادة الشهود .

٢ ـ **والأدلة المادية** : وهذه تشتمل على الآثار المادية التي يتركها الجاني في مسرح الجريمة أو تلك التي يحملها منه . والأدلة المادية لا يمكننا أن نعددها أو نذكرها فهي لا تقع تحت حصر لانها تتفاوت في أشكالها وأحجامها فمنها الظاهر الذي لا يخفى على العين لكبر حجمه ومنها الدقيق الذي يتناهى في الصغر ولا يدرك الا بالمجهر . والأمثلة على الأدلة المادية كثيرة منها بصمة الاصبع ، بقعة الدم ، شعرة من رأس أو جسد ، البقايا المتخلفة عن الطعام ، الأشياء المتخلفة عن الحريق ، المقذوف الناري ، آثار المعادن والطلاء وغيرها الكثير من الأشياء المادية .

نماذج من الأدلة الجنائية في القرآن الكريم

من المعروف أن هناك تقسيمات عديدة للجرائم لتسهيل مناقشتها ودراستها ، وقد اخترنا تقسيما سهلا يفي بغرضنا في دراسة الأمثلة المختلفة على الأدلة الجنائية في القرآن الكريم . وعليه فيمكننا القول بأن الجرائم نوعان :

أ ـ **الجرائم المعنوية** : وهي الجرائم التي تتصل بالنواحي المعنوية في الإنسان كفكره وعبادته وحريته وملكاته الذهنية .

ب ـ **الجرائم المادية** : وهي الجرائم التي تتصل بالنواحي المادية للانسان وتشتمل على :

(١) **جرائم النفس** .

(٢) **جرائم العرض** .

(٣) **جرائم المال** .

وسوف نورد ـ من القرآن الكريم ـ الأمثلة التي اخترناها للدراسة آخذين في الاعتبار التقسيم السابق للجرائم بالاضافة الى أصول عامة في علم الأدلة الجنائية أو البحث العلمي الجنائي لنكمل بها هذه الدراسة . على أننا يجب أن ننوه أننا قد قصرنا هذه الأمثلة على النوع الذي يحقق المعنى الحرفي للدليل الجنائي ، ولم نتطرق للأمثلة الأخرى التي تشتمل على أنواع لا حصر لها من الأدلة على قدرة الخالق أو على ضرورة التفكير والتدبر أو الأخذ بأساليب العلم بصفة عامة . وكذلك

فاننا ننوه الى أن سورة يوسف في رأينا هي النموذج الرباني الأمثل للقصة والرواية بما فيها من تسلسل أو بناء درامي فانها تعتبر من جهة أخرى وبحق النموذج الأمثل لاستخراج الأدلة الجنائية والدلالة عليها لما تحتويه ـ كما سيلي ذكره ـ على أكثر من جريمة : (**الر تلك آيات الكتاب المبين ★ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ★ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين**) يوسف/١ ـ ٣ .

○ **الجرائم المعنوية** :(١) (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ★ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ★ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ★ قال لقد كنتم أنتم و آباؤكم في ضلال مبين ★ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ★ قل بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن و أنا على ذلكم من الشاهدين ★ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ★ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ★ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ★ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ★ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ★ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ★ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ★ فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ★ ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) الأنبياء/٥١ ـ ٦٥ .

اتفق قوم آزر على عبادة الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وشاء الله أن يبعث فيهم رسولا منهم هو الخليل ابراهيم يدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار . وتوضح لنا الآيات كيف يدعو ابراهيم قومه الى التوحيد بالاقناع والحجة ، لكن قومه رفضوا الدعوة متعللين بأنهم يتبعون ملة آبائهم الأولين . ويدع ابراهيم الجانب السلمي في دعوته ويعمد الى تحطيم أصنامهم يوم عيدهم ، ويحطم ابراهيم الأصنام كلها الا أكبرها كي يترك لقومه الفرصة في استخدام عقولهم ، وأن هذه الأصنام لا تستطيع دفع الضرر عن نفسها فكيف تدفع الضرر عنهم . ويتساءل القوم عمن فعل ذلك بآلهتهم ، ويشهد البعض أنهم سمعوا ابراهيم يذكر الآلهة بسوء . وتعقد المحاكمة على مشهد من الناس . وينكر ابراهيم التهمة ويتحداهم متهكما فلتسألوا كبير الأصنام عمن فعل ذلك بهم . ويغلق القوم عقولهم أمام دعوة التوحيد ويجادلونه بالباطل وهم يعرفون ويقرون أن هذه الأصنام لا تنطق لكنه الكفران المبين .

أما من الناحية الجنائية :

فالجريمة هنا ـ من وجهة نظر قوم ابراهيم ـ تتعلق بالعقيدة الدينية وهي عدم عبادة الأصنام ، وذلك ما يمكن أن نطلق عليها اليوم **جريمة أمن عام** لأنها ليست موجهة لفرد بعينه بل هي موجهة لكل أفراد المجتمع ، وهي خروج على ما ارتضاه

هذا المجتمع لنفسه من نظام ديني . ولقد توافرت للجريمة كل عناصرها كما توافر لها بعض الأدلة الجنائية :

● دليل معنوي : يتمثل في شهادة الشهود بأنهم سمعوا ابراهيم يذكر آلهتهم بالشر :(**قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم**) .

● دليل مادي : وهو ما نطلق عليه جسم الجريمة وهو هنا هذه الأصنام المحطمة : (**فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون**) .

● دليل مادي : قصد به التمويه ؛ وهو تعليق الفأس - أداة الجريمة - في عنق كبير الأصنام كي يعتقد القوم أن الصنم الأكبر هو فاعل الجريمة . أما ما قصد اليه سيدنا ابراهيم فهو أنه كان يهدف الى افحامهم بالحجة وعن طريق التعجيز ليؤمنوا أن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر .

وترى الآيات(**فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون**) مقررة رجوع القوم الى انفسهم والرجوع الى النفس يعني العودة الى استخدام العقل والتدبر في اتخاذ القرار ، وهي توضح أن العقل والمنطق لا يستطيعان - ما داما يعملان بطريقة سوية - مكابرة الدليل المادي الجنائي ؛ لذلك كان عدول القوم عن اتهام ابراهيم واعترافهم بأنهم هم الظالمون لسؤال ابراهيم أو لعبادة ما لا ينطق ولا يدفع عن نفسه شرا . ونرى بلاغة القرآن الكريم في قوله تعالى (**إنكم أنتم الظالمون**) والضمير أنتم هو لتوكيد الفاعل ، وتعبيرا عن الاعتراف بظلمهم لابراهيم وعبادتهم لما لا ينفع ولا يضر . وتأكيدا - من وجهة نظرنا - لأهمية الدليل المادي الجنائي في الاقناع والحجة والتحكيم .

وتضطرد الآيات (**ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) تروي أن قوم ابراهيم عادوا فنكسوا على رءوسهم . ولقد استعمل القرآن الكريم كلمة نكسوا بصيغة نائب الفاعل ليدلل على أنهم سلبوا العقل وأصبحوا بلا ارادة نتيجة العجز في مواجهة الدليل المادي الجنائي . على أن تنكيس الرأس في حد ذاته وهو مكان التدبر ومناط العقلانية والتفكير دلالة على انعكاس موازين الحكم وتقييم الأمور . لذلك فقد جادلوا ابراهيم بطريقة مقلوبة بل ضد ما اقتنعت به عقولهم على أنه الصواب . وكانت محاكمتهم العلنية لابراهيم لتحطيم الآلهة ولايمانه بدين جديد . ثم ينجيه الله من كيدهم وظلمهم وتكون النار التي أوقدوها لاحراقه بردا وسلاما عليه .

(٢) (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ★ انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ★ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة

لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) الكهف/ ١٩ ـ ٢١

كلنا لا بد يعرف قصة أهل الكهف . انهم فتية آمنوا بربهم وهربوا بدينهم من الاضطهاد ، وزادهم الله هدى وتقوى وقوى على قلوبهم بالصبر وقول الحق والشجاعة . لقد وقفوا بين يدي مليكهم ليعلنوا أنه لا اله الا الله وحده لا شريك له ، رب السموات والأرض ولن يعبدوا من دونه الها آخر بلا دليل واضح أو برهان بين . ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالآيات لما جاءته .

وشاء ربك أن يستطيعوا الفرار بدينهم فلجأوا الى الكهف لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ويهيىء لهم من أمرهم رشدا . وشملتهم رحمة ربك فأنامهم في الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم شاء ربك أن يوقظهم ليعطي للناس آية جديدة على قدرته وحكمته وعلمه . انه يستطيع سبحانه ـ وغيره لا يستطيع ـ أن يحيي العظام وهي رميم . واختلف الناس في مدة بقائهم في الكهف لطولها لكن الحقيقة علمها عند ربي . ولقد شاء ربك كذلك أن يعثروا عليهم بعد أن ذهب أحدهم بعملة فضية كي يشتري طعاما وبرغم الحذر الشديد كي لا يعرفهم قومهم فقد كانت العملة دليلا أرشد الناس أن هؤلاء القوم من زمان غير زمانهم .

ومن الناحية الجنائية :

فالجريمة هنا تشبه سابقتها لانها تتعلق أيضا بالعقيدة الدينية التي ارتضاها المجتمع وفي محاكمتهم أمام الملك اعترفوا بأنهم يعبدون الله وحده لا شريك له وانهم لا يؤمنون بديانة قومهم . لكنه ومع هذا الاعتراف الذي يدينهم استطاعوا الهرب والفرار بدينهم . وشاء ربك أن يبعثوا من جديد بعد أن دار الزمن دورته ومرت السنون . وأيا كان الأمر من الناحية الجنائية نحو سقوط التهمة بالتقادم فلقد عثر القوم عليهم وكان الدليل الذي أشار اليهم هو العملة الفضية التي تختلف بالطبع عن العملة التي كانت سائدة وقت أن بعثوا من جديد .

والدليل المادي الجنائي هنا هو العملة الفضية ، واختلاف العملة عن السائد في زمانها هو ما نطلق عليه اليوم **جرائم النقد** أو **تزييف العملة** . فمن المعروف أن لكل عملة مواصفاتها من النقوش والرسوم والوزن والحجم وكذلك لها تركيبها الثابت من سبائك معينة يكون تركيبها الكيميائي دقيقا حتى يصعب على مزيفي العملة تقليدها . وأي تغيير في هذه المواصفات من قبل أي جهة أو فرد غير الجهة التي أصدرتها يعتبر من جرائم تزييف العملة . والدليل المادي الجنائي هنا له أهميته القصوى في التعرف على المتهمين حتى وان كانت هوياتهم مجهولة بالنسبة للمجتمع . ولقد استخدم القرآن الكريم تعبيرا رائعا (**وكذلك أعثرنا عليهم**) كي يشير الى أن السبب المباشر في العثور على أهل الكهف هو الدليل المادي وهو العملة الفضية . **الا أنه من رحمة ربك أنه كان لأهل الكهف شأن آخر .**

مائدة القارئ

احذر هؤلاء

قال الله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . »
الآيتان ١٤٢ و ١٤٣ من سورة النساء

مفاتيح خير

مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح الاجابة الدعاء .

اعمى .. وسراج

كان يسير في الطريق ، حاملا على عاتقه جرة ، وبيده سراج ، حتى انتهى الى النهر ، فملأ الجرة ، فرآه أحدهم فقال : يا هذا .. أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب ، يستضئ به ، لئلا يعثر في الظلمة ، فيصطدم بي ، فأقع ، وتنكسر جرتي .

دعاء

قال يناجي ربه :يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، أذقني برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك .



الرياء

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **(إن اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ! يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فاطلبوا عندهم الجزاء) .**

حوار بين أحمقين

رأى رجل منارة الجامع ، فقال : ما كان أطول الذين بنوا هذه المنارة ، فقال صاحبه : اسكت ، فما أجهلك ، هل رأيت أحدا في الدنيا في طول هذه المنارة ؟ . لقد بنوها على الأرض ، ثم رفعوها .

سر قوته

يحكى أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه ، والشاب يعجز عن ذلك . فعجب منه ، واستحضره ، فحادثه في ذلك ، فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه .

غريب

غريب الدار ليس له صديق ... جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شيء ... كما يتعلق الرجل الغريق
فلا تجزع فكل فتى سيأتي ... على حالاته سعة وضيق

مؤتمر الطب



الاسلام دين الفطرة .. دين الواقع .. دين التشريع للحياة بكل جوانبها .. وللآخرة من اجل الفوز برضوان الله .. دين يعيش به الانسان موصولا بتعاليم السماء .. لتكون حياته شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري يعيش العالم الاسلامي انتفاضة اسلامية يحيي بها تراثه .. ويعيد بها امجاده .. ليواصل عطاءه الخير للانسان في كل مكان .. فالدين الاسلامي يشمل نقاء النفس الى جانب سلامة البنيان .. يعنى بالداخل عنايته بالظاهر .. فالطهارة مطلب اساسي فيه طهارة الثوب والمكان ، ونظافة البدن .. وصفاء الضمير ، ونقاء الوجدان .

دين يدعو المسلم لان يكون عابدا بالليل .. فارسا بالنهار .. يدعو المسلم لان يكون سليم البدن وصولا الى سلامة العقل .. لان العقل السليم في الجسم السليم .. واذا ما اصاب البدن افة كان لابد من العلاج .. وقبل العلاج عرف الاسلام الوقاية .. كما عرف الاسلام ادواء النفس وعالجها .. عرف ادواء البدن ووضع الله لها دواء على الانسان ان يبذل جهده في استكشافه واستخراجه مما اودعه الله فيه .

مع القرآن

قال تعالى : « وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

وقال سبحانه : « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

وقال سبحانه واصفا رسوله والمؤمنين بالقوة والشدة على اعدائهم : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » .

الاسلامي الأول

محمد فؤاد

ويقول الله تعالى مبينا فضله على الانسان : « **او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون . ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون** » .

ومن الصفات التي يتفضل بها الله على خلقه ان يكون افضلهم هو الواسع العلم القوى الجسم قال تعالى : « **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** » .

مع السنة :

ونأتي الى المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي السنة النبوية الشريفة فماذا يقول رسول الانسانية محمد ﷺ ؟.

يقول : « لكل داء دواء فإذا اصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل »

وروى ابو سلمى بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضى الله عنه قال **قال رسول الله** ﷺ: لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعرابي : يارسول الله : فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها ؟.

قال : « فمن أعدى الأول ؟ » .

ويقول : « ان هذا الوجع ، او السقم ، رجز ، عذب به بعض الامم قبلكم ، ثم بقى بعد بالارض ، فيذهب المرة ويأتي الاخرى ، فمن سمع به بارض فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه » .

وهكذا يدعو القرآن الكريم والسنة المطهرة الى سلامة الجسم ، والحفاظ على الصحة ، وبرز من علماء المسلمين من اشتهر بالطب مثل : ابو بكر الرازي ، وعلي ابن عباس ، وابن سينا ، وابو القاسم القرطبي ، وابن زهر الاشبيلي ، وابن رشد ، وغيرهم ممن عرف العالم القديم والحديث مكانتهم في الطب الاسلامي .

وكان من علمائنا من اشتهر بالجراحة ، وفي الصدر الاول كانت هناك الممرضات يضمدن جراح الجند المسلم ، ويسهرن على رعاية المريض ، وعرف الوطن الاسلامي المستشفيات والعلاج ، يوم ان كان العالم يعيش في ظل الخرافات وخزعبلات الكهنة والمشعوذين .

واليوم ـ وعلى أرض الكويت ينعقد المؤتمر الاول للطب الاسلامي تحت رعاية صاحب السمو امير البلاد .. وفي مسجد فاطمة .. يكون اجتماع العلماء .. وكيف لا .. والمسجد هو المدرسة الاسلامية الجامعة .

جلسة الافتتاح

وبالقرآن الكريم يكون البدء .. وباسم الله الرحمن الرحيم يكون الافتتاح .. ثم كلمة سمو امير البلاد التى القاها نيابة عنه الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة الكويتية فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

« **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » .

صدق الله العظيم

اصحاب السعادة الاخوة الوزراء .. حضرات الاخوة والاخوات اعضاء المؤتمر .. حضرات الضيوف الكرام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد شرفني حضرة صاحب السمو امير البلاد ـ راعى هذا المؤتمر بأن انوب عن سموه ، في افتتاح المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي الذي تقيمه دولة الكويت ، في نطاق احتفالات العالم الاسلامي ، بدخول القرن الهجري الخامس عشر ، ويسرني ان انقل اليكم تحيات سموه مرحبا بكم في الكويت البلد الذي يؤمن ايمانا راسخا بالعروبة والاسلام متمنيا لكم طيب الاقامة ، بين اخوتكم وفي بلدكم وراجيا لمؤتمركم كل نجاح وتوفيق .

يتساءل الكثيرون لماذا نقيم مؤتمرا للطب الاسلامي ؟ واقول ردا على هذا التساؤل ، ان هناك حقيقة تاريخية بالغة الاهمية لا مجال لان ينكرها او يتجاهلها احد في هذا العالم ، تلك الحقيقة ، هي دور الاسلام العظيم في حضارة الانسان وفي تبديد ما ساد العالم وقت ظهوره من ظلمات وجهالة وفتح النوافذ الى نور العلم والمعرفة ، لان الاسلام رسالة السماء الى البشر كافة ، رسالة الخير والهداية الى سواء السبيل ، فهو دين شامل متكامل ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة من امور الدين والدنيا الا وعرض لها ، سواء فيما سنه من تشريعات أم عبادات أم أوامر أم نواهي كلها استهدفت خير الانسان ورعايته وحمايته من الاذى .

واضاف يقول : ومن جانب اخر فان التاريخ شاهد على ان الاسلام قد حمل لواء الحضارة والمعرفة ، لاكثر من الف عام ، وكان منارة اضاء نورها العالم اجمع ، وقد استطاع علماء المسلمين ان يقدموا للعالم تراثا خالدا ، في مختلف مجالات العلم لا يزال حتى يومنا هذا ، محل تقدير واعتزاز جميع العلماء ولا غرو في ذلك ، فلقد كانوا صادقين مع انفسهم ، امناء على اعمالهم ، ذلك لان مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، قد بنيت على الصدق والامانة ، ولم تعتمد على الدعاية الزائفة .. وفي هذه المناسبة يطيب لنا ان نذكر بالفخر والاعتزاز ، الرواد الاوائل من علماء المسلمين العظماء .. الذين تدين لهم الحضارة الانسانية .. امثال الرازي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ، والبيروني ، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لحصرهم هؤلاء العلماء الفوا كتبا في الطب والعلوم والفلك والرياضة ، وغيرها من مجالات المعرفة ، ما زال علماء العالم يرجعون اليها وينهلون منها ، ويقدرونها حق قدرها .

هذه قطرات من بحر تعاليم الاسلام ، واعمال السلف الصالح ، من علماء المسلمين اوردتها لكم على سبيل المثال لضيق المجال .. ولا اظن بعد ذلك ان يسأل سائل .. لماذا مؤتمر للطب الاسلامي ..؟ الا يكفي منهجا لهذا المؤتمر ان يتناول بالبحث والتدقيق ، تراثنا الاسلامي الشامخ ، في مجال الطب ، والتعاليم التى تضمنها هذا التراث ، في مجال الوقاية والعلاج .. تلك التعاليم التى لو اتبعها الانسان .. لما احتجنا الى هذا العدد الكبير من المستشفيات ، ومصحات الامراض العصبية والنفسية والجنسية .. ومشافي الادمان على الخمر والمخدرات وملاجىء اللقطاء وغيرها .

من هذا المنطلق فكرت الكويت في الدعوة الى عقد هذا المؤتمر .. ليكون المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي .. وذلك في نطاق احتفالات عالمنا الاسلامي .. بدخول القرن الهجري الخامس عشر .. وبدعوتنا لكم ايها الاخوة الاساتذة العلماء والباحثون نكون قد بدأنا المسيرة الكبرى .. مسيرة العمل في هدى الاسلام .. لكي نصل الى الكنوز العظيمة ، التى تركها لنا . الرواد الاوائل ، من علماء المسلمين الذين اسهموا في اقامة الحضارة الاسلامية العظيمة التى سادت العالم كله لاكثر من الف عام .. دعوناكم ايها الاخوة لهذا المؤتمر لنتدارس هذا التراث الشامخ .. ولنستخلص منه ما يمكن ان نقدمه للبشرية ، التى تحتاج الان الى من ينقذها مما تعانيه من الانغماس في الماديات .. والابتعاد عن الروحانيات ، والسير في ركاب الثراء وبريقه الزائف .. واتباع طريق الشيطان .. بدلا من التقرب الى الله الواحد الاحد الديان .

انه لما يحز في نفس كل مسلم ، يؤمن بربه ورسوله الكريم ، أن ننسى نحن اصحاب التراث الاسلامي العظيم .. ننسى او نتناسى حضارتنا

العريقة ، وماضينا المجيد ، الـذي حاول الغرب اسدال الستار عليه زمنا طويلا .

وجذبنا الى افكاره وحضارتـه ، وهـي اصـلا من تراثنـا ونتـاج حضارتنا .. وما ان نسينا فضـل ديننا الحنيف ، واصالتنا العريقـة حتى كاد اللهان ينسينا انفسنـا ، ونتيه في ظلمات الجهل ، واصبحنا في مؤخرة التقدم الفكري والحضـاري المستورد ، والذي سيطر على معظم مجالات حياتنـا واصبـح شغلنـا الشاغل التفاخر بالامجاد ، دون ان نضيف جديدا لتراثنا العظيم خلال خمسة قرون مضت .. وليكن مؤتمرنا هذا بداية الطريق من اجل مواصلة مسيرة روادنـا العلمـاء المسلمـين الاوائل .. ولا سبيل لنا لبلوغ هذا الهدف .. الا بسلوك منهج البحث العلمي ، في اطار تعاليم الاسلام . وانني لعلى ثقة من ان هذه التظاهرة العلمية الاسلامية ، التى جمعها هذا المؤتمر .. لقادرة بعون الله وتوفيقه على احياء تراثنا وصلـة حاضرنـا بماضينا وتحقيق نتائج جليلة في عالم الطـب مستهديـن بروح الاسـلام الحنيف .

حضرات الاخوة والاخوات .. انه ليطيب لي في هذه المناسبة .. ان اشيد بتشجيع ورعايـة حضرة صاحـب السمو امير البلاد ! وسمو ولي العهد رئيس مجلس الـوزراء .. للبحـث العلمي في مختلف مجالات احيـاء تراثنا الاسلامي بصورة عامة ، وفي الطب الاسلامي بصورة خاصة ولقد كانت اقامة مؤتمرنا هذا ، والاعداد الجيد الذي تم انجازه له ، بفضل توجيهات ورعاية صاحب السمو امير البلاد وسمو ولي العهد .. وسـوف تواصل الكويت مسيرتها ، بعون من الله العلي القدير ، في سبيل احياء تراثنا الاسلامي العظيم .. وفي هذا المجال ، يسرنـي ان اعلن لكم ان مؤسسـة التقـدم العلمـي بدولـة الكويت ، قد قررت تقديم ثلاث منح دراسية سنويا ، تخصص احدى هذه المنح للبحث في مجـال التـراث ، وتخصص المنحتان الاخريان للبحث في مجال التطبيق العلمي والاكلينيكي للطب الاسلامي هذا بالاضافة الى تخصيص عدد من الجوائز القيمـة سنويا ، لاحسن بحوث تقدم في مجال الطب الاسلامـي وسـوف يضـع مؤتمركم الضوابط والشروط المتعلقة بهذه المنح الدراسية والجوائز .

ثم اشاد الاستاذ سعدون محمد الجاسم ـ رئيس اللجنة الوطنية للاحتفال بالقـرن الخـامس عشر الهجري بالمؤتمر ورجـال الطـب الاسلامي وقال في كلمته :

لقد كانت الهجرة المحمدية نقطة الانطلاق لبناء الدولـة الاسلاميـة وانتشار الاسلام في العالم ، فعندما تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لاذى قريش ومكائدها ومحاولاتهـا المتكررة للقضاء على دعوته العظيمة الى الخير والمحبة والبناء والعدل ، اذن الله له بالهجرة مع اتباعه الى المدينة ، حيث وجد فيها كل اسباب القـوة



والدعم ، فقد نصره اهلها وايدوه ، وامدوه بالمال والرجال ، ليعود الى مكة بأذن ربه فاتحا ومنتصرا ، وليعطي للبشرية درسا عميقا بالمحبة والتسامح والعفو عند المقدرة .

ولقد وضعت تلك العودة المظفرة قواعد بناء الدولة الاسلامية التى امتدت الى الاندلس غربا والى الصين شرقا ، وارست اصول دعوة اضاءت بنورها حياة البشرية ، واخرجتها من ظلمات الضلالة والجهل الى نور الايمان والمعرفة ومن براثن العصبية والكراهية والظلم الى رحاب التسامح والعدل .

وبفضل هذه الدعوة العظيمة ، استطاع المسلمون ان يسهموا في بناء الحضارة الانسانية وارساء قواعد السلام والبناء في ربوع العالم ، وامكن بفضلها ان يعلو شأن هذه الامة وتتعزز مكانتها .

ان دولة الكويت كانت سباقة الى الدعوة للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري ، وعملت عن طريق اللجنة العليا للاحتفالات بهذه المناسبة على وضع البرامج المختلفة لابراز هذه المناسبة واعطائها ما تستحقه من اهتمام على جميع المستويات وعلى مشاركة جميع

الاجهزة المتخصصة والمواطنين في نشاطاتها ، ولعل ابرز دليل على مدى اهتمام دولة الكويت بهذه المناسبة الطبية ان توج صاحب السمو امير البلاد برامج الاحتفالات بكلمة قيمة جامعة وجهها للعالمين العربي والاسلامي والى شعبنا في الكويت افتتح بها تلك البرامج العديدة ، كما ان رعاية سموه لمؤتمركم هذا لخير دليل على ذلك .

لقد كان للطب في الاسلام شأن كبير وظهر من بين المسلمين عدد من علماء الطب كانوا في طليعة الرواد الاوائل من العلماء الذين وضعوا كثيرا من الاسس في هذا الحقل العلمي الحيوي من حقول المعرفة الانسانية واثروا المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب التى ظلت نبراسا يهتدى به ويرتكز عليه الى يومنا هذا .

ثم تناول خيط الحديث الدكتور حسان حتحوت .. رئيس اللجنة العامة للمؤتمر فقال مبتدئا بقوله تعالى :

« الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار . يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .

صدق الله العظيم

سعادة مندوب صاحب السمو .. حضرات الاخوة في الله من ضيوف واهل دار .. يمتاز لقاؤنا في هذا المؤتمر بثلاثة امور :

الاول انه تحت مظلة الاسلام . والاسلام يجب ما سواه . فهو لقاء اخوة في الله ينحسر دونها العرق والجنس واللون واللسان والعنوان .. وتذوب كلها بتأثير « لا اله الا الله محمد رسول الله » فالمؤمنون ليسوا اخوة فحسب ولكنهم امة .. خاطبها ربها بقوله : « وإن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » . وعلى التاريخ لم تحز الامة فلاحا الا بهذا الهدى ولم تصب طلاحا الا بالاعراض عنه والتفرق فيه .

والامر الثاني اننا اذ نؤوب الى تراثنا فكالشجرة الطيبة تصل فروعها باصولها واغصانها بجذورها واعاليها بأساسها .. لانها ان لم تفعل اقتلعت وذبلت وعقمت وصارت خشبا جامدا لا نباتا حيا . ويوم كانت شجرتنا ترتوي من اصولها ، واصولها ترتوي من ايمانها وامر ربها ، كانت واسعة الفيء سخية الثمر طيبة الريح لاهلها وللعالمين .

والامر الثالث ان عكوفنا على ماضينا ليس لنحبس انفسنا فيه بل لنغترف منه زادا لمقبلنا .. ولا ننظر للامس نظرة الاعجاب ولكن نظرة الاستفادة . وحتى في صميم المجال الطبي التجريبي يغوص علماؤنا في التراث ثم يطفون منه بلآلىء جديدة تثري الحاضر . ولعل مجموعة البحوث التى سيعرض لها المؤتمر في

هذا الباب مؤشرات الى أن تراثنا ما زال معطاء حتى في يومنا هذا والطب في ذروة سنامه ، مبشرات بان بعض الامراض التى لم يتهيأ لها حل قد تجد الحل في هذا التراث او من وحيه .

معرض الطب الاسلامي

قام الوزير والمشاركون بافتتاح معرض الطب الاسلامي الذي اشتمل على اربعة انواع من المعروضات اولها الصور :

١ ـ صور تاريخية من المتاحف المختلفة في شتى انحاء العالم .

٢ ـ صور محلية مبنية على دراسة علمية من كتب تاريخ الطب .

٣ ـ صور لمخطوطات من كتب الطب الاسلامي منقولة عن المتاحف العالمية .

ثانيا : الآلات الجراحية الاسلامية :

وضعت في معهد التكنولوجيا في الكويت كما جاءت في كتب الطب الاسلامي وخاصة في كتب الجراحة ..

ثالثا : كتب عن الطب الاسلامي ومراجع ومخطوطات :

رابعا : نباتات واعشاب طبية مما كان يستعمل في العصور الاسلامية :

خامسا : نماذج من جسم الانسان محنط وبلاستيك وجبس :

كما شمل المعرض طب ما قبل الاسلام والمستشفيات الاسلامية .





ندوات المؤتمر

وبعد ذلك عقدت عدة لجان ، وطرحت ابحاث قيمة ، ناقشها الاطباء المسلمون ، فكانت اولى الندوات عن ابن سينا .. الطبيب الفيلسوف العالم :

رأس الندوة عبد العزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب وشارك فيها الدكتور احسان دوجرا ماجي والدكتور المهدى بن عبود والدكتور محمد عبد الهادى ابو ريده والدكتورة سعدية راشد .

عرف المحاضرون الحسين بن عبد الله بن سينا بانه صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات .. واصله من بلخ .. ومولده في احدى قرى بخاري وقد صنف نحو مائة كتاب بين مطول ومختصر ونظم الشعر الفلسفي الجيد ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين .

اشهر كتبه القانون ، طبع في اوروبا ما بين عام ١٤٧٣ وعام ١٥٠٠ خمس عشرة مرة باللاتينية ومرة بالعبرية وظل الكتاب المقدس في الطب مدة لم يتمتع بها كتاب غيره .. حيث ظلت صفحاته تقلب على منابر الجامعات في اوروبا الى اواسط القرن السابع عشر .

وقد عرف عن ابن سينا انه يفرق بين داء الجنب وبين التهاب الحجاب الحاجز .. وعرف خصائص العدوى في السل الرئوي .. وعرف انتقال الامراض التناسلية وعلل الميول الشاذة في الانسان ودرس الاضطرابات العصبية وعرف بعض الحقائق

النفسانية والمرضية من طريق التحليل النفسي .. واكد المحاضرون على اهمية الاراء التى طرحها ابن سينا في علم النفس التى اعتبرها قسمين احدهما يدخل في باب العلوم الطبيعية والطب والاخر علم النفس من تغذية ونمو وتوليد وحس واعصاب .

والمحاضرة كانت قيمة وقد ابرزت مجموعة من الاراء والنظريات التى طرحها ابن سينا والتى لا زالت مطبقة حتى الان .

ثم تابع المؤتمر ندواته ودراسة البحوث المقدمة ، والتى تعنى بابراز دور الطب الاسلامي وانجازاته .

فكان ان ترأس احدى جلساته الدكتور ابراهيم بدران حيث جرت مناقشة موضوع :

نظرة تاريخية للطب الاسلامي من ناحية تحقيق المؤلفات الطبية وقد تحدث في هذه الجلسة كل من الدكتور سامي حمارنة حيث شرح في البحث الذي قدمه مسألة « التقنية وصناعة الحيل الطبية في كتاب الجراحة لابن القف » ، والدكتور سليم عمار الذي قرأ بحثا حول « مقالة اسحق بن عمران في الماليخوليا » ، والدكتور امادور دياز غارسيا الذي قدم بحثا حول « الكتاب المستعيني لابن بكلارش » ، والدكتور سعيد شيبان الذي قدم بحثا حول « طب ابن رشد » ، والدكتور البير زكي اسكندر الذي قدم دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي لابن سينا والدكتور احمد عروة الذي قدم بحثا حول فيزيولوجيا التنفس عند ابن سينا والدكتور نظير احمد الذي قدم بحثا حول المؤلفات الفارسية الاولى في الطب الاسلامي .

وفيما يلي بعض المقتطفات من البحث الذي قدمه الدكتور سامي حمارنة حول (التقنية وخدعة الحيل الطبية النافعة في كتاب الجراحة لابن القف) :

لقد اغفل كثير من الباحثين اعطاء اهتمام لتطور الحيل وادوات الجراحة في العمل الصحي التطبيقي . وواقع الحال يحتم وجود عناصر هامة جدا ساهمت بها الحضارة الاسلامية في هذا المضمار .

واشار الى اكتشاف تم في مدينة الفسطاط في النصف الاول من هذا القرن حول الات جراحية هامة تعود للقرن الثاني الهجري دلت باوصافها على ظهور دقة ونضوج ممارسة الطب الجراحي منذ مطلع النهضة الاسلامية وكان هذا الكشف رائعا من نوعه في ذلك الزمن .

وفي القرن الثالث الهجري نبه كثير من الاطباء في الاسلام على اهمية فن التشريح وعلم الغرائز وشاركوا في تقديم العمل باليد والتقنية الطبية فمثلا اشاد يحيى بن ماسويه بصناعة الجراحة وشرح الطبري امورا مختصة بالفصد والجراحات وعلاج

النقرس والمفاصل . ثم ان ابا زيد حنين بن اسحق العبادي (١٩٥ - ٢٦٠هـ) وضع تراجم كتب ابقراط وجالينوس وبولس وشرحها في التشريح والجراحة بالاضافة الى دراسة لطب العيون تحتوي اول رسوم باقية لتركيب العين وتشريحها .

وفي القرن الرابع الهجري دخلت حضارة الاسلام عصرها الذهبي في المهن الصحية بجميع فروعها ورائدها النطاسي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي اشتهر في الطب السريري الاكلينيكي وفنون الكيمياء والمداولة وطب الروح والجراحة ..

وقد اجاد ابن وطنه المجوسي المتوفى عام ٣٨٤ هـ باستقصائه لامور الامراض والجراحة ، ونال قصب السبق في عمل اليد والرسوم الجراحية وكيفية صنعها ودقة اوصافها الطبيب ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (المتوفي حوالي ٤٠٤ هـ) في عاصمة الاندلس الاموية .

ان مؤرخي الطب اجمعوا على انه اعظم جراحي العصور الوسطى حتى زمنه وعميدها واوسعها شهرة حتى ان جيرارد كريمونا (١١١٤ - ١١٨٧ م) اعظم مترجمي الغرب من لغة الضاد الى اللاتينية قام بنفسه بترجمة مقالة الزهراوي الجراحية مع الرسوم البديعة الاتقان فانتشر عمله بذلك في تقديم الصناعة الى الغرب في القرن الثاني عشر الميلادي .

وفي القرن السادس الهجري ايضا نبغ عدد من الاطباء النابهين مثل امين الدولة ابن التلميذ شيخ اطباء بغداد (ت ٥٦٠ هـ) وأبو نصر عدنان بن العين زربي (ت ٥٤٨ هـ) وأبو مروان بن زهر الاندلسي (٥٥٧ هـ) الذين بينوا اهمية فنون التشريح والجراحة وتركيب الادوية .

اما الدكتور سليم عمار فقد شرح في البحث الذي قدمه مقالة اسحق بن عمران عن « المالينخوليا » فقال :

لقد اتى اسحق بن عمران منذ ما يقرب من ألف سنة من العراق قاصدا افريقيا حيث تولى صناعة الطب بالقيروان في خدمة الامير ابراهيم بن الاغلب ثم زياد الله الثالث الاغلبي فاقام اساس دار الحكمة بالقيروان وكان أول من ادخل حسب ابن ابي اصيبيعة حقائق المداواة والتطبيب بالمغرب العربي ولقد ألف احد عشر كتابا لم يصلنا منها الا مقالته في « المالينخوليا » او مرض السوداء والاكتئاب حيث يحفظ مخطوطها الوحيد بمكتبة ميونيخ بالمانيا .

يحتوي هذا المخطوط على مقالتين :

الاولى تتعلق بالتعريف بالمالينخوليا وبارضية الاسباب والمظاهر السريرية المختلفة للمرض ، اما الثانية فجاءت بيانا اضافيا للعلاج على اختلاف انواعه التي تشمل العلاج النفساني والحمية والتغذية والطرق المرتكزة على البيئة والمحيط فالطرق الفزيائية مثل الدلك بالادهان والاستحمام واخيرا العلاج بالادوية والعقاقير الذي شرحه ابن

عمران بكل دقة من حيث صناعة الادوية وكيفية استعمالها فسطر كل الوسائل العلاجية المعروفة اليوم في نلك الداء . ولقد وصف ابن عمران كل الاشكال الاكتئابية تقريبا ما عدا الاشكال العصابية والارتكاسية غير انه لم ينكر ولو مرة واحدة كلمة الانتحار .

هذا وان الابحاث المماثلة التى ترفع الركام عن تراثنا العربي الاسلامي النفيس من شأنها ان تزودنا بمزيد من الحكمة والتفطن فتفتح المجال لابحاث واسعة في ميدان الفرماكولوجيا من جهة وتجعلنا من جهة اخرى نقدر مليا قداسة الرسالة الطبية الشاملة التى اقسمنا ان نؤديها لصالح البشر حسب تعاليم الطب الاسلامي الذي كان ابن عمران من ابرز رواده .

وبعد نلك تحدث الدكتور احمد عروة عن فيزيولوجيا النفس عند ابن سيناء فقال :

الغرض من هذا البحث هو ابراز مرحلة مهمة في تفهم وظائف التنفس حسبما اوردها ابن سينا في القانون في الطب .

تحتل تحاليل ابن سينا مستوى متقدما بالنسبة لما جاء به الاطباء الاقدمون وذلك رغم انه لم تكن لديه صورة كاملة عن الدورة الدموية الرئوية كما وضحها من بعده ابن النفيس ثم من بعده من الغربيين .

وفضلا عما عرضه في ميادين التشريح العضوي والحركات الالية لأعضاء التنفس ودور الاعصاب المتدخلة فيها فانه قد اظهر فطنة بالغة في شرح الوظيفة التنفسية .

اولا : في تحليل التبادلات التنفسية الاساسية التى تتحقق في ثلاث عمليات :

١ ـ ادخال عنصر هوائي جديد يختلط بالدم ويتكون منه « الروح الغريزي » .

٢ ـ تنقية الدم من الفضلات الاحتراقية وهى البخار الدخاني والحرارة المحتقنة .

٣ ـ هديل الحرارة الطبيعية بالترويح .

ثانيا : في ابداء نظرية تظهر ان الاستحالة التى تحدث في كيفية الهواء المستنشق لا سيما بمخالطة البخار الدخاني وتتحكم في حركات التنفس ..

ثالثا : في تحديد معنى ووظيفة الروح « الذي يصحب الدم في الشرايين بمفهوم موفق يقترب مما نصف به اليوم غاز الاكسجين وهو كما يقول : لطيف متحرك صاعد لا يحتاج الى تنكيس وعائه حتى ينصب » .

هذه التحاليل التى توصل اليها ابن سينا تشهد على التقدم العلمي الكبير الذي احرزه علية الاطباء العرب والمسلمون في العصور الوسطى والذي سيتخذه العلماء الغربيون وقليلا ما يعترفون بذلك اساسا وقدوة لبعث النهضة العلمية المعاصرة .

ثم واصل المؤتمر في احدى جلساته برئاسة الدكتور فؤاد سيزكين ، وكان

نائب الرئيس الدكتور عدنان العقيل ،دراسة النظرة التارخية للطب الاسلامي من حيث تحقق الاعمال والمنجزات .

وقد عرض الدكتور عبد العزيز بن عبد الله من المغرب بحثا حول تاريخ التراث الاسلامي بالمغرب الاقصى ، كما عرض الدكتور كمال السامرائي بحثا اخر حول التعليم الطبي في العصور الاسلامية ، في حين قدمت الدكتورة سعاد حسين بحثا يدور حول التمريض في الاسلام .

اما الدكتورة كارمن بينا ميونوز فقد قدمت بحثا خاصا عن النباتات الطبية المستعملة في الطب التقليدي العربي ، وتضمن البحث قائمة شاملة بهذه النباتات واوصافها وانواعها .

ثم قدم الدكتور عبد الحافظ حلمي بحثا عن تاريخ مرض اللثمانيا ودور الاطباء فيه ، وبعد نلك قدم الدكتور فريد الدين بقائي من باكستان بحثا حول الجراحة في الطب الاسلامي .

وقال الدكتور كمال السامرائي في موضوعه حول تعليم الطب في العصور الاسلامية :

لا تعتبر دراسة تاريخ الطب الاسلامي كاملة ما لم تشفع بدراسة وافية في تاريخ التعليم بهذه الصناعة ، والمصادر التراثية بهذا الموضوع قليلة جدا ، كما لم يحاول احد من الكتاب المعاصرين البحث فيه بالرغم من اهميته العلمية والتراثية .

وهناك ثمة اشارات الى بعض اطراف هذا الموضوع نقف عليها لا تفي بالغرض المطلوب . كما ان للاطباء المسلمين كتبا نستنتج من اسمائها انها وضعت في بحث التعليم الطبي ، الا ان تلك لا تزال مع الاسف تعد من المفقودات ، وكل ما وصلنا منها قطع من كتاب (النافع في تعليم صناعة الطب) لابن رضوان المصري ـ (ت ٤٥٣ هـ) عثر عليها في المكتبة الوطنية بالقاهرة ، وفيها اشارة الى تعليم الطب في مدرستي قوص وقنيدس ، وفي المدارس البيتية بأثينة ، وفي طريقة التعليم واجوره وامد دراسته في مصر بتلك الايام . كما جاء فيه اراء خاصة بمؤلف الكتاب في اصول تعليم الطب .

واذ ان الطب العربي وثيق العلاقة بطب الشعوب التى سبقت ظهور الاسلام وبصورة خاصة اليونانيين منها ، فان دراسة تعليم الطب عند تلك الشعوب هى في الحقيقة امتداد الى الخلف لتعليم الطب عند المسلمين ، ولابد وان تماثلت بعض طرق التعليم في كليهما بمحض الصدفة او بالاقتباس . وتقليد الخلف كما عند السلف والاخذ عن معارفهم وصنائعهم وارد بكثرة في تاريخ الانسان المتحضر ، ولا يعتبر نلك مثلبة أو نقيصة لمن فعل نلك منهم .

وليس من المعقول ان تكون لتلك المعارف جنور واوليات ابتكرتها اقوام سبقتهم زمنيا في المعرفة .

ففي اصول الحضارة الاوروبية بهذا القرن كثير من المعارف التى هي



من افكار العلماء المسلمين .

وفي العلوم الاسلامية كثير من المعارف اليونانية ، وفي علوم هؤلاء كثير من المعارف البابلية . وفي الحضارة البابلية يطغى الطابع السومري على كل ما ابتكره الاكديون والبابليون والاشوريون في العلوم .

وعلى مفهوم ما تقدم نرى لكثير مما مارسه اليونانيون في التعليم الطبي نظيرا له في تعليم الطب عند المسلمين ، ولذلك اخذنا عن تراثياتهم كاحد مصادر هذا البحث ، ولو لم نشر الى مفردات ما اخذناه منها . والمطلعون على تاريخ الطب اليوناني يستطيعون بسهولة ان يميزوا بين التقليد والمبتكر في اسلوب التعليم عند المسلمين .

اما الدكتور عبد الحافظ حلمي الاستاذ بجامعة الكويت فقد قدم موضوعا بعنوان تاريخ مرض اللثمانيا ودور الاطباء المسلمين فيه فقال :

يحظى مرض اللثمانيا الجلدي بكثير من عناية الباحثين المعاصرين والسابقين وهذا البحث قاصر على صور المرض الجلدية التى تعرف باسم « قرحة الشرق » بصفة عامة . وللمرض قرحة تسم المصاب بأثر يبقى في مكان ظاهر من جسمه طيلة حياته ومن ثم كان الاهتداء الى وصفها في المرجع القديم امرا ميسورا نسبيا وعلى جانب كبير من الوثوق في معظم الاحيان .

بيد ان الاشارة العابرة الى ما سمي « دمل النيل » في بردية ابرس المصرية ليس فيها اي دليل على ان هذا الدمل كان قرحة الشرق بالذات ،

ثم تتابعت جلسات المؤتمر فكانت هناك ندوة عن الطب والدعوة

الاسلامية برئاسة الدكتور عبد العزيز كامل .

واخرى عن اداب المهنة وتطبيقاتها في ضوء الاسلام برئاسة الدكتور/ احمد كمال ابو المجد .

وثالثة عن وثيقة الكويت لدستور طبي اسلامي برئاسة الدكتور حسان حتحوت .

وفي جلسة الختام لخص الدكتور حسان حتحوت الحقائق التى أسفرت عنها الجلسات العلمية للمؤتمر كما يلي :

ان الاسلام جاء من الله عقيدة فأمة فدولة فحضارة قامت عليه ولم تكن لتقوم لولاه ولا تدوم إلا به ، إن الاسلام كان ولا يزال موجبا ودافعا وحافزا ومحركا لطلب العلم والكشف عن اسرار الكون وايات الله سواء اكانت في النفس ام الجماد ام الحيوان ام النبات ام الافاق .. بغير حدود ولا سدود ولا حجر ولا مصادرة ولا اكتفاء ، ولا سماح لاحد من الخلق ان ينتحل لنفسه سلطة الهية تجعل له سلطانا على قلوب الناس او على عقولهم .

ان هذا الاساس الاسلامي قد عاد على الانسانية بنعمتين بالغتين .. الاولى حفظ التراث العلمي الانساني السابق من الضياع والاندثار بعد أن تهدده الاندثار بالمصادرة والاحراق وتعذيب من يقتنيه وتكفير من يجيل الفكر فيه . والثانية اقامة صرح علمي شامخ واحراز انتصارات جديدة علمية ضخمة من كشوف وتقنيات ومعارف وفي شتى المجالات العلمية والنظرية على افق كامل يمتد من الفقه والتشريع حتى الطبيعة والكيمياء ... وكانت العلوم المتصلة بالطب احدى سمات هذه النهضة .

ان الاسلام باحتضانه لاهل الذمة من النصارى واليهود واعتبارهم مواطنين في دولة الاسلام واكرامهم والبر بهم وتحديد مكانهم بالقاعدة الشرعية « لهم مالنا وعليهم ما علينا » قد كفل لهم المناخ الذي يتيح لعقل الانسان ان يعمل وان يثمر وهو آمن مطمئن ، فكان دورهم في الترجمة والبحث والممارسة الطبية اثراء للانسانية كلها عملا بدين يعني بالانسانية كلها .

ان الاسلام في صلب تشريعاته وعباداته واوامره ونواهيه قد عرض مباشرة او بالاشارة او بالتوجيه والتنبيه الى امور وثيقة الصلة بصحة الانسان الجسدية والنفسية وعلى نطاق الفرد والجماعة .

ان هذا المد العلمي الاسلامي في الطب وفي غيره من ابواب العلم كان القبس الذي وجدت عليه اوروبا هداها وهي تنفض عنها ظلمتها وعماها وتفتح جفنيها على ما يسمى عصر النهضة ، مرسلة بعوثها لطلب العلم في ديار الاسلام ، مستقدمة الاساتذة لجامعاتها من الجامعات الاسلامية ، دائبة على تعلم اللغة العربية لتيسير طلب العلم فلما انحرفت امة المسلمين عن الاسلام فغربت شمسه عنها . ظل الشغل

الشاغل لاوروبا ترجمة اعمال المسلمين وظل العمل الرئيسي للمطبعة بعد اختراعها طباعة التراث العلمي الاسلامي ، الذي كان الاساس والركاز للحضارة الغربية المعاصرة وان ضنت عليه الان ـ رغم علمها به ـ بكلمة العرفان والشكران .

ان هذا التراث ـ رغم ذلك ـ يظل اغنى مما كشف منه حتى الان . وما زال يدعو الى المزيد من البحث والتنقيب ، فهو كنز لم تنفد ذخائره ومورد لم يجف معينه ، ومستودع لم يبح بكل اسراره .. ولو غاص فيه الباحثون ثم عرضوا صيدهم على ميزان البحث العلمي التجريبي الحديث فالمبشرات كثيرة بانه يستطيع ان يعين عالمنا المعاصر على بعض مشكلاته المرضية التى لم تحل .. وقد اوردت بحوث السادة العلماء المشاركين نماذج من هذه المؤشرات والمبشرات .

ان عالمنا المعاصر وما يشهد من كشوف وتطبيقات مذهلة في العلوم الحياتية تكتنفه متغيرات شديدة الوطاة حتى على الاعراف السلوكية والانماط الاخلاقية والتراث الانساني الاصيل .

وان التقدم العلمي الرهيب ينطوي على اخطر الاحتمالات ان لم يشهد بالضوابط التى تكفل له ان يكون في خدمة الانسان وتعصمه من ان يهدد الانسانية في صميم كيانها . والا كانت كالسفينة التى فقدت سكانها أو الساري الذي غم عليه الطريق .

والناظر في الاسلام قرآنه وسنة نبيه واحكام شريعته يدرك بوضوح ان فيها عناصر الدستور الطبي الاخلاقي الذي يكفل الهداية في غير ما عائق للتقدم .

اقتراح

هذا وتمنى المؤتمر على دولة الكويت انشاء منظمة اسلامية مستقلة تعنى بشؤون الطب الاسلامي تراثا وبحوثا وممارسة ، وذلك خلال توصية رفعها للحكومة وجاء فيها :

ان المؤتمر يتوجه بالشكر الى دولة الكويت على ما اتاحته من فرصة لهذا اللقاء الاسلامي العلمي التاريخي الحافل .

وقد تأكد للمؤتمر خلال ما دار من بحوث ومساجلات مدى القصور الفادح في اكتشاف ذخائر التراث الطبي الاسلامي لا من الناحية التاريخية فقط ولكن من الحقائق الكامنة وغير المستعملة للانتفاع بها في مجال البحث العلمي والعلاج الطبي لامراض ما زال الطب حائرا امامها .

ويقدر المؤتمر عظم المسؤولية التاريخية عليه وهو يتبين الحاجة الماسة لتلافي هذا القصور خدمة للاسلام وللعلم .

لهذا يود المؤتمر ان يضع بين يدي حكومة الكويت هذه الامانة ويناشدها ان تحمل هذه المسؤولية وذلك عن طريق :

تبني انشاء منظمة اسلامية

بالكويت ذات استقلالية في العمل وعالمية في الاثر ، تعنى بشؤون الطب الاسلامي تراثا وبحوثا وممارسة وتكون اهدافها كالاتي :

١ ـ احياء العلوم الطبية الاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي والتحقيق والتطبيق .

٢ ـ تشجيع العاملين في مجال الطب الاسلامي وتوفير الامكانيات اللازمة لهم لتمكينهم من متابعة ابحاثهم وتمكين الرابطة بينهم ومساعدتهم على رفع المستوى الصحي .

٣ ـ تشجيع اقامة هيئات وطنية تعمل بنفس الاهداف في انحاء العالم وتقديم الدعم اللازم لها لنشر رسالتها على اكمل وجه .

٤ ـ السعي لتطوير برامج التعليم وخاصة في مجال الطب باسلوب فعال كفيل بتوعية النشء المسلم بتراثه وربطه بالقيم التى ارتكزت عليها حضارته الاسلامية وتعاليم دينه الحنيف وشريعته السمحة .

٥ ـ العمل على توحيد المفاهيم العلمية والاخلاقية الاسلامية للمهنة الطبية .

يكلف المؤتمر سعادة الدكتور عبد الرحمن عبدالله العوضي ان ينوب عنه في السعي بهذه الامانة النبيلة ويساعده في ذلك هيئة المؤتمر المشكلة من نائبي الرئيس والمقرر العام . على ان يختاروا معهم ثلاثة من ذوي الراي والخبرة . ويكلف المؤتمر هذه الهيئة بمتابعة ما يصدر عن هذا المؤتمر من مقررات وتوصيات .

يناشد المؤتمر دولة الكويت التفضل بعقد المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي بالكويت بعد عام من الان .

لقاء الخير

وبعد ان شارك وفود اربعين دولة من دول العالم في المؤتمر بحوالي ثمانين بحثا ، وناقشوا اربعين تقريرا علميا .. سعد ممثلو الوفود باستقبال سمو امير البلاد لهم كممثلين للمؤتمر الاول للطب الاسلامي .

وقد شكر اعضاء الوفد لسمو الامير الشيخ جابر الاحمد الصباح رعايته للمؤتمر واشادوا بمبادرات الكويت المستمرة في هذا المجال ، وبعد ذلك طلب سموه منهم العمل على ابراز دور الطب الاسلامي والانجازات التى قدمها للعالم وتمنى لهم التوفيق في اعمالهم للخروج بالنتائج التى من شأنها ان تحقق الاهداف المطلوبة .

وبعد ذلك استقبل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح الوفد الذي يمثل المؤتمر ، وقد تبادل سموه الاحاديث الودية مع وزراء الصحة العرب المشتركين في المؤتمر ورؤساء الوفود وتمنى لهم التوفيق والنجاح في مؤتمرهم الهام .

ثم زار الوفد نائب رئيس الوزراء وزير الاعلام الشيخ جابر العلي حيث جرى تبادل وجهات النظر حول مختلف الامور المتعلقة بالمؤتمر الاول للطب الاسلامي ، وقد رحب الشيخ جابر العلي بوزراء الصحة العرب واعضاء الوفود وشكرهم على جهودهم وتمنى لهم النجاح والوصول الى النتائج المرجوة .

كلمات حول المؤتمر

الكويت

خدمات قدمها الاسلام للبشرية

قال الاستاذ يوسف جاسم الحجي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية :

الحقيقة ان دخول القرن الخامس عشر الهجري الجديد والاستعدادات التى تمت ابتهاجا بهذه المناسبة العظيمة قد اعطتنا والامة الاسلامية اشياء لم نكن نعرفها او لنقل سلطت الاضواء على علوم وخدمات انسانية كنا نتهم بالتقصير فيها من قبل .

واعتقد ان اجتهاد الاخوان في وزارة الصحة وبحثهم في العلم الذي اتى به الاسلام قد ابرز بطريقة تخدم العالم كله وتعرفهم باهمية العلم لدى الدين الاسلامي وبالتالي توضح ما حققه هذا الدين الحنيف للبشرية من خدمات لذلك نأمل ان يكون المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي انطلاقة وجهدا كبيرا من جهود تبذل لتعريف ما قدمه الاسلام للبشرية في مختلف المجالات ، ونحن بدورنا لم نكن نتصور ان العلماء المسلمين قد حققوا كل هذا .

كانوا في الماضي مندفعين للعلم وتكاسل من جاء بعدهم مما جعلنا نتأخر ونأمل ان نعود الى ماضينا العريق ونفيد العالم بما لدينا من علوم ان شاء الله تكون بمستوى المسؤولية لنحقق للعالم بعضا من عزة الاسلام وكرامة الانسان وقدرته ومكانته بين المخلوقات .

التبشير والطب

مدير ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عبد الله العقيل قال : من الامور المسلمة التى يدركها كل شخص ان التبشير استفاد من الطب كوسيلة من انجح الوسائل في كسب المؤمنين بالدين الذي يبشر به ويدعو الناس اليه ، ومن هنا يتوجب علينا ان نتناول بعض جوانب التبشير في مجال الخدمات الطبية ففي سنة ١٨١٣ بدأت الارساليات التبشيرية عملها وسط

مسلمي الصين ، وانتشرت انتشارا واسعا وخاصة من خلال الاطباء والمرضين وفي عام ١٨٨٩ اسست ارسالية التبشير العربية التابعة لكنيسة الاصلاح الاميركية فروعا لها في البصرة والكويت والبحرين والشيخ عثمان وعدن والموصل وبغداد وكلها تحتوي على مستشفيات تبشيرية وبلغ عدد المترددين على المستشفى في شيخ عثمان ٢٠ الف مسلم .

وقال ان المبشرين يبدون اهتماما خاصا بطب الامراض النسوية والولادة ضمن تركيزهم على التأثير على المرأة باعتبارها عضوا اساسيا في التحول الاجتماعي لذلك فالمهمة كبيرة ولابد من استخدام الطب في نشر الاسلام وفي كل مكان وتأمين الاطباء المسلمين في المناطق التى ينشط فيها التبشير لوقف هذا التيار قبل فوات الاوان .

قطر

اقامة جامعة طب اسلامية

وقال وزير الصحة القطري خالد المانع ان هذا اول مؤتمر للطب الاسلامي يعقد بمبادرة اسلامية ، ونحن اذ نشكر دولة الكويت وسمو اميرها على هذا العمل المشرف نتمنى اقامة المزيد من هذه المؤتمرات .

واضاف انه ينبغي الاستفادة من الخبرات الاسلامية المتواجدة في البلاد الاسلامية .

ودعا الى تعزيز فكرة اقامة جامعة طب اسلامية والاستفادة من استخدام الادوية المستخرجة من الاعشاب .

الاردن

خطوة للوصول الى ما هو افضل

قال الدكتور زهير ملحس وزير الصحة الاردني :

ان اقامة هذا المؤتمر بشكله الحالي لاول مرة في العالم الاسلامي اعتبره خطوة صادقة لنصل بأنفسنا الى ما هو افضل لامتنا العربية والاسلامية .

ومن المؤسف اننا تجاهلنا الكثير من تراثنا الطبي العربي والاسلامي سواء على مستوى جامعاتنا أم على مستوى نقاباتنا . وفي هذه الخطوة يوجد تصحيح للنهج ، فمن لا يحترم ما قام به اجداده من اعمال كانت رائدة ومتقدمة على ما كانت فيه في تلك العصور فانه لن يحقق لنفسه تقدما علميا ومكانة لائقة في المجتمع الدولي ، لذلك فاننا شاكرون لدولة الكويت ولسمو اميرها الذي رعى هذا المؤتمر والدكتور عبد الرحمن العوضي الذي رفع اسمنا كعرب عاليا في المجالات الدولية ، وذلك افسح المجال لنا لاحياء تاريخنا في هذا

المجال

واضاف الوزير الاردني :

ان المؤتمر يبحث في الدرجة الاولى عن الطب في الاسلام وفي تاريخ الاسلام العريق ومنجزاته التى يشهد لها كل متحقق وكل دارس ، اما ان نقارن او نقول ان طريقة الطب الاسلامي في المعالجة تختلف عن الطريقة الحالية فهذا غير وارد ، لاننا نريد ان نؤكد دراسة تاريخنا الطبي والعلمي في الماضي ونحصل منه على العبرة لكي ننطلق في مجالات التقدم العلمي الحديث ولا اجد اي تضارب بين استعمالات كثيرة لطرق علاجية اسلامية او شعبية وبين العلم الحديث ، فمن المعروف ان مواد كثيرة مستعملة حاليا في الطب اصلها من النبات وعرفت منذ القدم وعلى سبيل المثال مسكن الآلام (الافيون) ومادة الاتروبين من (البيلادونا) وحتى المواد التى تستعمل في التخدير الان اصلها من الاعشاب .

نحن نريد ان نعرف الطب الاسلامي ، ومن الضروري ان تدرس هذه المادة في جامعاتنا كلها كمادة اساسية ، وهذه تعني الاستفادة من تاريخنا الكبير الذي نسيناه او الذي اجبرنا على نسيانه ، ومن هنا تأتي اهمية هذا المؤتمر الذي يمكن ان يحقق لنا الاستفادة والتباحث مع الدول الاسلامية والدول غير الاسلامية التى تهتم بموضوع الطب الاسلامي .

وبذلك ختم المؤتمر العالمي للطب الاسلامي الأول جلسة الافتتاح التى عقدت صباح يوم الاثنين ١٢/١/١٩٨١ .

هذا .. وقد حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء الكويتيين بالاضافة الى الدكتور العوضي وزير الصحة ، منهم وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ يوسف جاسم الحجي ، ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الاستاذ عبد العزيز حسين ، ووكيل وزارة الاوقاف الاستاذ محمد ناصر الحمضان ، ووكلاء الوزارات ، وكبار الشخصيات ، بالاضافة الى عدد كبير من مختلف دول العالم ، منهم اربعة وزراء صحة ، هم وزراء قطر ، والاردن ، وتونس ، والعراق ، وشخصيات اسلامية وطبية لها مكانتها بلغ عددها ٧٢ طبيبا ، و ٧ من المتخصصين في القانون والادب .



التوصيات

وفي يوم الجمعة ١٦/ ١/ ١٩٨١ اصدر المؤتمر توصياته في مسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم ـ بالكويت . حيث عقد المؤتمر جلسة صباحية أعلن بعدها هذه التوصيات :

اولاً :

تقدير البادرة الطيبة التى اتخذتها دولة الكويت بالدعوة الى هذا المؤتمر الاول واستضافته وتقرير ان يكون هذا المؤتمر عملا دوريا مستمرا في العالم الاسلامي يلتقي فيه العلماء والباحثون لعرض ما تجمع لديهم من حصيلة علمية في مجال الطب الاسلامي .

ثانيـاً :

الدعوة لوصل الامة الاسلامية بتراثها وتعريفها بالاسباب التى مكنت لها من بلوغ ما بلغت من مدارج الرقي في كل مجال بما في ذلك المجال العلمي والطبي

واستثارة همتها للاخذ بتلك الاسباب من جديد .
والمؤتمر لذلك يناشد القائمين على شؤون التعليم في العالم الاسلامي ان تكون المقررات الدراسية في شتى مراحل التعليم وافية بهذه الغاية .

ثالثاً :
الدعوة لتشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ضمن غيره من انواع التراث العلمي الاسلامي .. ويناشد المؤتمر كافة الجهات المسؤولة عن الثقافة في العالم الاسلامي بذل الجهود متضافرة ومنسقة للتنقيب عن هذا التراث ولم شعثه واجتلابه من مكامنه او مواطن غربته وتيسير تناوله للدارسين . والمؤتمر يحيي الخطوة المباركة التى تستهدف اقامة مركز للطب الاسلامي بالكويت يضم مكتبة وثائقية مجهزة بمطالب الدارسين في هذا المجال .

رابعاً :
تشجيع البحوث العلمية التجريبية الاكلينيكية والمختبرية التى تكفل التوثيق العلمي العصري لتراثنا الاسلامي مع تقديم ثمرات هذه البحوث في مجال علاج الامراض او التوقي منها الى الاسرة الانسانية جمعاء .
ويناشد المؤتمر كافة الجهات العلمية في العالم وخاصة العلماء المسلمين مؤازرة هذه الابحاث العلمية اولا بالاهتمام بها وثانيا برصد ما يلبي حاجتها من ميزانيات وادوات ومختبرات .. وفق اصول البحث العلمي المعاصر مع نشر ما تسفر عنه من نتائج ايا كانت .

خامساً :

مناشدة المتخصصين في تاريخ الحضارات وتاريخ العلوم وتاريخ الطب في العالم اجمع ان يسلطوا على تاريخ الحضارة الاسلامية ضوء الحقيقة وان يصارحوا شعوب العالم بها في غير تعصب ولا تحريف ولا انكار وانما في سمو العلماء عن العواطف العامة التى طغت على المجتمعات الغربية حقبة من الزمن فأن استقرار السلام في العالم والمحبة بين الشعوب وحدب الانسان على الانسان لن يرتكز الا على اساس من الحقيقة المجردة والصدق النزيه الذي لا بد سيعلو صوته يوما مهما طال الزمن .

سادساً :
مناشدة المسؤولين عن التعليم الطبي ان تشتمل المقررات على دراسة للاسلام ولتاريخ الطب الاسلامي ولاخلاقيات الطبيب التى يحض عليها او يوصي بها الاسلام والتى يراها المؤتمر حرية بالاعتناق من قبل الهيئات الطبية كلها لا اطباء

المسلمين فحسب وتشكيل اللجان اللازمة لتحديد محتوى هذه المقررات .

سابعاً :

تبني وثيقة الكويت عن الدستور الطبي الاسلامي وقسم الطبيب ووضعها تحت انظار المسؤولين في العالم الاسلامي لاقرارها والعمل بها .

ثامناً :

السعي لتشكيل مجلس اسلامي من اهل الثقة والكفاءة من المتخصصين في الفقه ومن المتخصصين في العلوم الطبية والحياتية يتناول بالدراسة المحدثات من نتائج التقدم العلمي التى لا تندرج تحت نص ولا تقاس الى سابقة حتى تصدر الفتيا فيها على بينة شاملة لكل جوانبها محيطة بدقائقها الطبية والفقهية معا . ويكون كذلك مرجعا فيها يستشكل على الناس في امورهم الصحية وما يترتب عليها من فتاوي شرعية .

ويعقد المؤتمر الامل على دولة الكويت لتأخذ بزمام المبادرة في تكوين هذا المجلس والسعي بفكرته الى حيز التنفيذ .

تاسعاً :

تشكيل لجنة تقوم بمتابعة توصيات هذا المؤتمر والقيام على تنفيذها وتنفيذ ما يترتب عنها من اجراءات .

وهكذا انهى المؤتمر العملاق جلساته على امل العودة في العام القادم ، مبينا الربط بين الدين والطب ، كما قال الدكتور حسان حتحوت :

وما الطب الا حنو السماء — على الارض بالبر والمرحمات
وكف سعت بين رب العباد — وبين العباد بفيض الحياة
براءة ايوب من ضره — وغاية عيسى من المعجزات
بناء البنوة حتى تشب — وراعي الامومة والامهات
سياج الشعوب من التهلكات — وعون الشعوب على المهلكات
تباركت ربي فيما صنعت — وفيما بدعت من المعجزات
ببرك انت وصلت الحياة — فكان الاطباء تلك الصلات !

وهكذا رأينا شمولية الدين الاسلامي لكل ما ينفع الناس ، وفضل علماء المسلمين على التقدم الذي يشهده الغرب في كل ميادين الحياة .. فالى صحوة اسلامية قوية تحيى مجد الاسلام ، وتسير الى الامام والله يعز دينه ، وينصر جنده ، ويوفق المخلصين لما فيه الخير .

التدخين وأضراره

للأستاذ عزت أبو الفتوح حموده

لقد خلق الله الانسان في أكمل وأجمل صورة . قال تعالى : **(يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك)** وقال : **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)** وزينه بنعمة العقل الذي يستطيع به أن يفرق بين الشيء الذي ينفعه والذي يضره واننا لا نجد أبدا شيئا أمر الله به الا وفيه فائدة للخلق بصفة عامة والانسان بخاصة .

وكذلك لا نجد شيئا حرمه الله الا وفي اتيانه ضرر للخلق بصفة عامة وللانسان بصفة خاصة .

كـذلك نجد أن الاسلام بدعوته القوية الواعية طالب بخمسة أشياء فيها سعادة البشر ، وعمارة الدنيا ،

ورضاء الله سبحانه وتعالى وهي ..
« حفظ النفس ــ وحفظ العقل ــ وحفظ العرض ــ وحفظ الدين ــ

وحفظ المال » كما جعل الموت في سبيل صيانتها من أعظم أنواع الشهادة ..

فعن سعيد بن زيد رضى الله عنه .
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » ... رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه ــ حديث حسن ــ

والحق أن الاسلام عندما جاء يدعو الى صيانة هذه الخمس وحفظها ، لم يكن في ذلك بدعا بين الأديان . فقد كانت هذه الخمس المحور الذي قامت عليه الأديان على امتدادها ...

ولذلك فنحن حين نتعرض للحديث عن التدخين نريد أن نبين خطره من ناحيتين هما :

- ناحية اعيائه للبدن واضعافه .
- وناحية اذهابه للمال واهداره » .

ومما لا شك فيه أنهما أمران يتصادمان مع الدين ومع ما يدعو اليه . وهنا يجب أن نفكر بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم ابلاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . » ..

ولقد ثبت علميا وطبيا مدى ضرر التدخين بالنفس والمال وقد جعلهما الله وديعتين عند كل انسان . وأمره بصيانتهما . وهنا قد يطرأ الى ذهن القارىء سؤال ما هو التركيب الكيميائي للسيجارة . وللاجابة على ذلك أقول ..

تتكون السيجارة من التبغ الذي يتكون أساسا من مادة « النيكوتين » وتحتوي مؤخرة السيجارة على أكبر كمية ممكنة من النيكوتين .. وعندما تشتعل السيجارة وتدخن فان أبخرة النيكوتين تمتص عن طرق الغشاء المخاطي المبطن للانف والقناة الهضمية حيث تتصاعد بعض مكـونات التبغ وهي .. البيرودين ، والقيرفورال ، والأكرولين » كما أن هناك غازات ضارة مهيجة للغشاء المخاطي تنتج نتيجة لاحتراق الورق الذي يغلف السيجارة مثل غاز أول أكسيد الكـــربون وثان أكسيد الكربون ..

ولقد وجد أن تدخين سيجارة واحدة يعطي حوالي ١٠ مجم من النيكوتين . ولكن ما هو اذا تأثير النيكوتين على جسم الانسان . ــ وهنا أقول ــ ان تأثير النيكوتين ضار بجميع أجهزة جسم الانسان ..

أولا ــ الجهاز العصبي المركزي ..
يؤثر عليه مباشرة وخاصة على مراكز

التنفس ومركـــز الجهاز الدوري ، ومركــز القيء في النخاع المستطيل فيؤدي الى تنشيطها . ولذلك نجد عندما يحصل المدخن على كمية كبيرة من النيكوتين فانها تؤدي الى حدوث رعشة وتشنجات عصبية كما أنه له أثر كبير في ادرار البول نتيجة لتأثيره على الفص الخلفي من الغدة النخامية ..

ثانيا ـ تأثيره على الجهاز العصبي اللا إرادي .. وجد أنه يؤثر على العقد العصبية في الجهازين السمبثاوي والباراسمبثاوي . وكـــذلك نهاية الأعصاب في العضلات الارادية فيؤدي الى تنشيطها أولا ثم شلها ثانيا ..

ثالثا ـ تأثيره على الجهاز الهضمي .. يؤدي الى الشعور بالغثيان والقيء ثم اسهال يعقبه امساك وكـــذلك يزيد من افرازات اللعاب والشعب الرئوية . ولقد وجد أنه قد يحدث التسمم الحاد بالنيكوتين بجرعة قدرها ٤ جم من التبغ . ويمكن استخلاص هذه الجرعة من أربع سجائر فقط ولكن في الحقيقة أن معظم النيكوتين لا يمتص ..

رابعا ـ تأثيره على الجهاز الدوري .. يؤدي أولا الى ارتفاع ضغط الدم وذلك نتيجة للتأثير المنشط لمركز الجهاز الدوري في المخ كذلك نجد أن ضربات القلب تقل أولا ثم لا تلبث أن تزيد نتيجة لتأثيره على الجهاز السمبثاوي .

ننتقل أخيرا الى ذكـــر بعض الأعراض التي تظهر على الانسان الذي يدخن بكثرة مثل :

١ ـ التهاب مزمن في الجهاز التنفسي مما يؤدي الى صعوبة التنفس .
٢ ـ فقدان الشهية وسوء الهضم .
٣ ـ يؤدي الى ضيق في الشريان التاجي الذي يغذي القلب مما قد يؤدي الى حدوث أعراض الذبحة الصدرية .
٤ ـ يؤدي الى ضعف حاسة الابصار (العين) وذلك نتيجة لضيق الأوعية الدموية المغذية لشبكة العين .
٥ ـ فقدان الدم لجزء كبير من وظيفته في حمل الأكسجين الى خلايا الجسم نظرا لأنه يحتوي على مادة كربوكس هيموجلوبين نتيجة لوجود غاز أول أكسيد الكربون بالدم ..
٦ ـ قد يؤدي الى حدوث سرطان الشعب الرئوية نتيجة لحدوث التهابات مزمنة بالأغشية المبطنة للشعب الهوائية للرئتين ..

وبعد هذا العرض أستطيع أن أقول بأن التدخين عادة سيئة ومكروهة من قبل الله عز وجل حيث أنه يكون سببا أساسيا في اصابة جسد المـــدخن بالأمراض العديدة وكذلك في اهدار وضياع المال وانفاقه في طريق غير مشروع ..

ولذلك فانني أقول لمن يدخن بكثرة عليه أن يقلل من التدخين تدريجيا وأن يعزم عزما أكيدا على ترك هذه العادة السيئة التي لا يعود عليه منها سوى ضياع الصحة والمال ..

البريد في الدولة

عرفت الدولة الاسلامية نظام البريد منذ نشأتها في المدينة على يد النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي امر ان يعهد بالبريد لمن يكون حسن الوجه حسن الاسموذلك اضافة الى تمتعه بالذكاء وطلاقة اللسان ويتضح هذا من اختياره لعامله ومبعوثه الى قيصر امبراطور الروم دحية الكلبي الذي خاطب القيصر قائلا « يا قيصر ارسلني من هو خير منك والذي ارسله خير منه ومنك فاسمع ثم اجب » وكان هذا المبعوث يحمل اول رسالة بريدية او سفارة اسلامية من النبي الى حاكم الروم يدعوه فيها الى الاسلام .

وتطور البريد ايام الامويين الذين ادركوا اهميته في معرفة احوال البلاد ، ونقل الاخبار السياسية والاقتصادية والامنية والعسكرية ، فكان صاحب البريد ينقل المعلومات عن طريقة معاملة الولاة للرعية واثر هذا على ولاء المواطنين لسلطة الدولة المركزية وعن طريقة جباية الاموال من زكاة وخراج ، وهل فيها تعسف او ظلم ، لا يتفق مع القوانين الشرعية والنظم المعمول بها التى يجب ان يلتزم بها الولاة في توفير العدالة بين كافة افراد الامة ، على اختلاف الوانهم وديانتهم ومناطقهم ؟ وتأتي اهمية البريد في سرعة اتخاذ السلطة المركزية في دمشق للاحتياطات الامنية بارسال الجنود والشرطة للعمل على استتباب الأمن والنظام بالقبض على من يحاول الخروج على سلطان الدولة ، او يحاول اثارة الفتن ،

وتتعاون الشرطة مع الجند في هذا المضمار بينما يقوم الخليفة بارسال الجند للدفاع عن الوطن على الحدود الفاصلة بين الدولة الاسلامية واطرافها وذلك بارسال النجدات واعادة تجديد الحصون والاستحكامات الدفاعية ليهب الجند



الإسلامية

للأستاذ/ محمد الحسيني عبدالعزيز

للدفاع عن الوطن والاسلام .

وتتضح اهمية البريد في نظر الخلفاء من قول الخليفة عبد الملك بن مروان لحاجبه « وليتك ما حضر ببابي الا اربعة : المؤذن داعى الله تعالى فلا حجاب عليه ، وطارق الليل فشرٌ ما أتي به ولو وجد خيرا لنام ، والبريد فمتى جاء من ليل او نهار فلا تحجبه فربما افسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة ، والطعام اذا ادرك فا فتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول » .

وكان هذا القول اكبر دليل على دور البريد في توفير الأمن في انحاء الدولة ، وربط اجزائها ومعرفة اخبار الولايات والاخطار عن تحركات الجيوش على الحدود ، ومقدار استعداد العدو للحرب وتحديد موعد الهجوم لتكون قوات الدولة جاهزة للهجوم قبل ان تفاجأ بالعدو ، خاصة ان الهجوم احد قواعد النصر وركائزه .

وكـذلك فطن الخليفة ابو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية الحقيقي لدور البريد وخطورة مهمته في قوله « ما كان احوجني الى ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم هم اركان الملك ، ولا يصلح الملك الا بهم . اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية ، والرابع صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة » .

وكان صاحب البريد ايام العباسي يؤدي مهمات اكبر حيث يقف على اعمال الولاة وعلى اعمال القضاة وما يصدرونه من احكـــام ويسجل في تقاريره للخليفة اسلوب الحكم وطريقة التقاضي والتحري عن الشهود ، وهل تتوفر العدالة او ان الحكم والقضاء يسير على هوى الولاة ؟ ولا يستند الى ما تقرره الشريعة من نظم تحقق

الاخاء وتكفل المساواة ، كما يكتب صاحب البريد عن اسعار المـــواد الغذائية وهل هي في مستوى عامة الشعب او مرتفعة ؟ وهل هناك استغلال من التجار ؟ وأهم من هذا كله هو قيام الجيش في الولايات وعلى الحدود بواجبه وتدريباته ، ليكون على المستوى اللائق الذي تريده الدولة في السهر على حماية امنها وسلامة حدودها البرية والبحرية وحماية سواحلها وشواطئها ومراقبة تحركات العدو عن طريق الاستخبارات والمناورات على السواحل التى تكشف العدو قبل وصوله .

استخدام الحمام الزاجل في المراسلات البريدية :

عرفنا ان مهمة صاحب بريد الولاية هي موافاة الخليفة بجميع الامور الهامة في ولايته ، وما يدور فيها .

ومعرفة احوال المـــوظفين وعمال الخراج ، وما يقومون به من اعمال وكتابة تقارير عن احوال الولاية وادارتها ، وتصرف المسئولين مع الصناع وعمال الزراعة ، وكـــان لعمال البريد اكبر الفضل في تحسين احوال الرعية وتقوية الروابط بينهم وبين كبار الرسميين والخليفة ، وكانت الخيل التى تخصص للبريد تمتاز بالسرعة والمهارة ، وتقيم لها الدولة محطات استراحة بين منطقة واخرى ، وتشيد هذه المراكز ببناء محكم له قباب ثلاث تميزه على غيره ، وكانت قطارات البريد تتألف من اكثر من اربعين دابة ، ويوضع البريد في اكياس من الجلد لحفظه ، وكانت الخيول تستبدل بين فترة واخرى حتى لا يصيبها الجهد ، وليصل البريد بأقصى سرعة وفي الوقت المناسب .

واستبدل الحمام الزاجل بدلا من الخيل لسرعة الحمام حيث يستطيع الطيران والوصول في مدة تقل عن ثلث الوقت اللازم للخيل عند قطعها نفس المسافة ، ويذكر المؤرخون ان الخليفة العباسي ثالث الخلفاء ، كان اول حكام المسلمين في استخدام الحمام في نقل البريد .

وطريقة التراسل بالحمام هي شد الرسالة تحت جناح الحمامة او ذيلها على ان المسئولين في الدولة الاسلامية كانوا يكتبون الرسائل من صورتين ترسل كل منهما مع حمامة ، الثانية بعد الأولى بساعتين ، وذلك ضمانا لوصول الرسائل .

التراسل الحربي :

كـــانت الرسائل الحربية توضع ضمن غلاف صغير من الورق الذي لا يتأثر بالماء وذلك بطلائه بالزيت ، وتعلق الرسائل في عنق الحمامة او في جوف الريشة من ذنبها ، او داخل قارورة صغيرة تحت جناح الحمامة ويرسل الحمام من ابراج الحصون بين بغداد او حلب او دمشق او القاهرة

وقد توسع السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي في استخدام الحمام

الزاجل اثناء حصاره لمدينة عكا في اغسطس ١١٩٠ م ، وقد ادى الحمام دورا هاما في نقل الرسائل الحربية التى تطالب بالامدادات والنجدات البشرية التى يجب ارسالها برا وبحرا لتحطيم قوات الغزو الصليبي لبلاد الشام .

وكانت الاسراب التى تطلق من مصر تطلق من ابراج قلعة صلاح الدين الى الصالحية ، فبلبيس ، ثم غزة ، والقدس ، ونابلس ، فدمشق ، وفي هذه المحطات يمكن استبدال الحمامة باخرى ، لكن الحمام كان يستطيع الطيران مسافات بعيدة ، وكانت سرعة طيران الحمام في الساعة حوالي اربعين ميلا . وكان العمال يبصمون منقار الحمامة ببصمات خاصة ، ينقش اسم السلطان عليها ، ويسجل عليها رقمها ، وبمجرد وصول هذا الطير الى قصر الخلافة ، تفض الرسالة وتعرض فورا على الخليفة ، ليتصرف بسرعة وفق ما يراه .

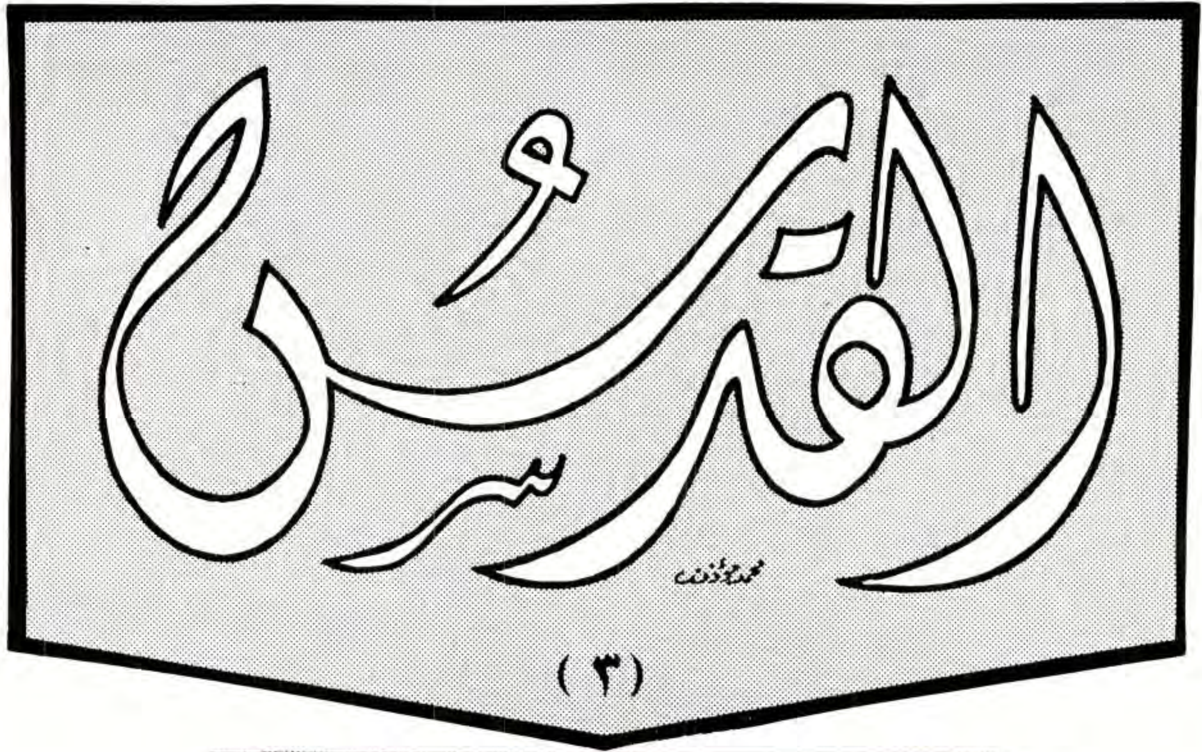
وقد حطم المغول ابراج الحمام الزاجل بسوريا حين غزوا هذه البلاد في زحفهم على مصر الذي توقفوا فيه بعد ان هزموا في معركة عين جالوت بفلسطين ، بفضل تعاون قوات الجيش الاسلامي في مصر والشام على مجابهة هؤلاء الغزاة ، لكن هذه الابراج والمحطات اعيدت للعمل بعد ان تم اصلاحها في عهد السلطان الظاهر بيبرس المملوكي .

وهكذا فقد كانت المراكز الخاصة بالحمام موزعة في الطريق بين مصر والشام على مسافات منتظمة في كل مركز موظفون ساهرون ، يتولون عملية استبدال الرسائل او الحمام وفي كل مركز حراس وموظفون ، يراقبون وصول الحمام ليلا او نهارا خوفا من ان يمر عليهم وهم نائمون .

وكان المتبع الا يطلق الحمام في الجو العاصف الماطر الا نادرا ، حرصا على وصول الرسائل بسلام الى الاماكن المحددة .

وكذلك كان يطلق الحمام للمساعدة في خدمة تجارة القوافل حيث يرسل صاحب القافلة رسالة مع الحمام في حالة تعرضه للخطر ، او في حالة طلب بيانات عن الاسعار ، او طلب بضائع بسرعة لتصل قبل مواسم الشتاء او الصيف او قبل الاعياد الدينية والقومية ، وتطور استخدام الحمام فيما بعد الى قيامه بنقل الرسائل العادية بين الافراد كالتجار ، بعد ان كان مقتصرا على الرسائل العسكرية والرسمية بين الولاة ، ودار الخلافة ، خدمة للمصلحة العامة .

وقد حقق البريد في الدولة الاسلامية اجل الخدمات وافضلها ، وساهم في تحقيق النصر اثناء الحملات الحربية ، كما ساعد على نشر الامن والقبض على قطاع الطرق في الصحراء بالاسراع في ارسال النجدات وضبط الادارة الحكومية ، وضمان سيرها على اسس من العدالة حتى نعم ابناء الامة الاسلامية بمزيد من الامن والطمأنينة على انفسهم وحرياتهم واموالهم .



تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الإسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي أعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

حينما نزلت الآية الكريمة (**سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**) . لم يكن المسجد الاقصى ولا القدس في يد المسلمين فكان ذلك تحولا عظيما وباعثا يدعو المسلمين لنشر لواء الاسلام في بلد حمل ركاب خاتم الانبياء وامام الانبياء فيه .

وعندما أذن الله بالفتح الاسلامي امر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده ابا عبيدة بن الجراح ان يتوجه من الشام الى بيت المقدس فأعد العدة وسير جيشا بلغ عدده خمسة وثلاثون الف مقاتل . ولعل المقاتل الصابر الذي يحب الموت في سبيل الله كما نحب الحياة يذكرنا بقول الله جلت عظمته « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » ولعلنا نتذكر قول الشاعر :

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا
من شدة الحزم لا من شدة الحزم

وبعد حصار دام اربعة اشهر طلب السكان من أبي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فخرج عمر رضي الله عنه الى بيت المقدس وخرج صقر نيوس بطريق بيت المقدس الى عمر بن الخطاب فاعطاه عمر وثيقة الامان التي عرفت بالعهدة العمرية .

وكل ارض يفتحها المسلمون سلما أو حربا تصبح دار اسلام ويجب على المسلمين جميعا المحافظة عليها واقامة حكم الله فيها وحمايتها وصيانتها من ان تمس بسوء من سلب او نهب او احتلال .

وواجب على الناس اذا جاء العدوأن ينفروا المقل منهم والمكثر ويقول الامام ابن الهمام في كتابه الهداية « وقتال الكفار واجب وان لم يبدأوا ولا يجب الجهاد على صبي ولا امرأة ولا اعمى ولا مقعد لعجزهم فان هجم العدو على بلد وجب على جميع الناس الدفع». تخرج المرأة بغير اذن زوجها لانه صار فرض عين بل لقد مضى الفقهاء على ما هو اكثر من ذلك فقالوا ان استولى الكفار على اموال اهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الاسلامية وجب استعادتها كما تستعاد اموال المسلمين .

اما الجنوح الى السلم فانه يأتي ابتداء من الكفار ولا يبادئهم المسلمون بطلبه اعمالا لبقية النصوص الخالدة:فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم .

وقوله تعالى « **فلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** ».

اما الاستدلال على جواز الصلح من السنة منقوض ايضا فمعاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش في صلح الحديبية كانت على ارضهم وشتان بين معاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تضمنت اعتراف قريش بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين كقوة دولية وبين رأي من حاولوا جعل مئات الملايين من المسلمين في مقام كفار قريش حيث يطلب منهم الاعتراف بدولة يهود على أرض مباركة من أرض المسلمين .

وقد كان فيما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا لامته في أن اليهود قوم لا يصلح معهم عهد ولا صلح يتجلى ذلك مما آلت اليه معاهداتهم من غدرهم وبغيهم مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يجليهم لأنهم اشد الناس عداوة للذين آمنوا.

وأرض فلسطين كلها اسلامية لا تفريط بشبر واحد منها وقد مرت في تاريخنا فترات لا تقل مرارة عن هذه الفترة لم ينهض بها من كبوتها الا صدق اللجوء لله والاخذ باحكام الاسلام فلا يجوز شرعا اقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه والله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال المعتدين .

(واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم) .

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .

واليهود عبر تاريخهم المظلم لا يعرفون ولا يفهمون الا لغة واحدة هي لغة القتل لانهم أحرص الناس على الحياة .

اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين
بقضية فلسطين والقدس الشريف

الغريب

٢

مسرحية في فصل واحد من ستة مناظر

للاستاذ/ محمود دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبـه ، وذلك أضعف الايمان » .

المنظر الثالث

المحكمة

قاعة محكمة غريبة ، يتربع على منصتها قاض على رأسه طرطور يعلوه سلك هوائي طويل ، وعلى أذنيه سماعات ، وعلى اليمين يقف ممثل الاتهام ـ في

ملابس جلاد - وراء منصته .. وعلى الشمال قفص الاتهام ، وخلف القضبان يقف ثلاثة من الرعايا المتهمين ، وقد وضعوا على رؤوسهم الاقنعة التنكرية التي كانوا يلبسونها في السوق ، وهم مكبلون بالاغلال الطويلة يحرسهم بعض رجال الشرطة من رجال الاسواق ، وفي يدهم السياط .

وفوق رأس القاضي مباشرة ، يعلق شعار الدولة ، وهو عبارة عن رسم لقرود ثلاثة : الاول : يضع كفيه على عينيه ، والثاني : يضع كفيه على اذنيه ، اما الثالث فيضع كفيه على فمه ، ويتدلى من هذا الشعار ميزان العدالة وكفته اليمنى الى اعلى ، واليسرى الى أسفل .. وتحت الميزان شعار مكتوب عليه بخط احمر بارز (المتهم مدان حتى لو ثبتت براءته) وهناك حاجب مقنع يقف امام منصة القاضي وعلى جانبي قاعة المحكمة بابان للدخول والخروج .. ولا يوجد محامون بهذه المحكمة .. وتمضي فترة ترقب وانتظار طويلة نسبيا لا ينطق فيها احد من الحاضرين بالمحكمة ، كأنهم خشب مسندة ، او تماثيل جامدة .. ثم يتحرك القاضي فقط ويلعب في الهوائي الذي يعلو رأسه ثم يشير الى الحاجب بابهامه .

الحاجب : (يتحرك بنشاط صارخا)

الجلسة فتحت فانتبهوا والعدل سيأخذ مجراه

القاضي : (يشير اليه القاضي قائلا) : **ناد أسماء الأوغاد**

الحاجب : (يشير الى المتهم الاول الماثل في قفص الاتهام ويقول)

الوغد الأول سيدَنا بالقفص الماثل ينتظر

المتهم الاول : (لا ينطق بل يهز رأسه في حركات عصبية مضحكة)

القاضي : (يوجه كلامه الى ممثل الاتهام) **ما التهمة ؟**

ممثل الاتهام : (يشير الى المتهم الأول)

..... هذا سيدَنا وغد يتحدى بعناد

قد ثار بسوق مدينتنا يمطرنا فحش الاحقاد

يقلد صوت المتهم ساخرا

سرقوني ، غشوا ، لن اسكت فلتبتر رأس الاوغاد

القاضي : (بغضب) (يفكر قليلا ثم ينطق بالحكم)

يتحدى السلطة في صلف ... . ارسله لسيف الجلاد .

(فور نطق القاضي بالحكم ينقض الحراس على المتهم المسكين ، وهو يقاوم

ويصرخ ثم يقتاده احدهم الى خارج قاعة المحكمة ويخرجان من الباب)

القاضي : (بعد ان يسود السكون قاعة المحكمة يشير الى الحاجب) .
ناد اسماء الأوغاد ..

الحاجب : (يشير الى المتهم الثاني الذي يقف في قفص الاتهام)

الوغد الثاني سيدَنا بالقفص الماثل ينتظر

القاضي : (يسأل ممثل الاتهام) **ما التهمة ؟**

ممثل الاتهام : (يشير الى المتهم)
هذا سيدنا لا يضحك بل يبكي دوما
ذبلت عيناه بلا عمل واشاع الحزن بلا جدوى
لا يسهم في نفع ابدا وغدا قد تنتشر العدوى
العدل سيشفي علته وكلاب الصيد به اولى

القاضي : (يستجوب المتهم متهكما)
ماذا أبكاك لتزعجنا ؟ يا نسل البومة والشؤم
(صارخا) **انطق ان شئت واسمعنا سببا يدعوك الى اللؤم**

المتهم : (في ضراعة يبدأ كلامه) : **مولاي أنا رجل ....**

القاضي : (بمجرد ان يسمع المتهم ينطق أنه رجل يقاطعه في غضب ساخراً)
.... **رجل ؟ ستنال جزاءك يا رجل**
اوقفت تجادلنا حقا ؟ ونسيت حدودك يا حمل
ونطقت أمامي في صلف ؟ لا ادب فيك ولا خجل

(ثم يلتفت القاضي الى حارس المتهم قائلا) **يا حارس ...**

حارس المتهم : (في خوف بالغ) ..... **سمعا سيدنا**
القاضي : (يأمره) **نفذ ما تسمع وامتثلوا** :
(ينطق بالحكم)
محكمة الشعب تجرمه ولسجن الدولة ينتقل
خازوق العدل سيضحكه ولسان الفاجر يعتقل

الحارس : (في خشوع تام) **السمع لأمرك والطاعة ...**

(يهجم الحارس على المتهم ويجره جرا خارج قاعة المحكمة والاخير يصرخ)

المتهم الثاني : (يبكي ويصرخ)
مظلوم ... اني مظلوم ... مظلوم ... اني مظلوم ...

(يظل يرددها حتى يخرج مجرورا من قاعة المحكمة)

القاضي : (يشير الى الحاجب) **ناد أسماء الأوغاد**

الحاجب : (يشير الى المتهم الثالث الواقف بالقفص)

الوغد الثالث سيدَنا   بالقفص الماثل ينتظر

القاضي : (يسأل ممثل الاتهام) **ما التهمة ؟**

ممثل الاتهام : (يشير الى المتهم ويقول) :
...... هذا سيدنا   مأجور ينقل أسرارا
يسترق السمع لاخبار   للدولة ليلا ونهارا
سيحيك مؤامرة كبرى   للفوضى يجمع أنصارا
ويشيع بأن عدالتكم   ظلم ، وسيشعلها نارا

القاضي : (يتعجب في غضب)
عجبا لكلاب نطعمها   ما لذ وطاب وتنهشنا
لا نطلب الا طاعتها   لتعيش بظل رعايتنا
(يسأل المتهم) **اتقول بأن عدالتنا   ظلم وتهدد مولانا ؟**

المتهم الثالث : (مقاطعا صارخا في يأس)
ما قلت ولا سمعت اذني   سرا او جهرا مولانا
منبوذ مالي من احد   ولعدلك انشد الحانا

القاضي : (صارخا في المتهم)
اتكذب دعوانا علنا   سأريك عذابي الوانا

القاضي : (يسأل ممثل الاتهام) **التهمة ثابتة** ؟
ممثل الاتهام : (مؤكدا ومشيرا الى ملف القضية الضخم الذي يضعه اامامه) **طبعا**
القاضي : (يهز راسه في صلف وغرور قائلا) ... **العدل سيأخذ مجراه**
(يعتدل في جلسته وينطق بالحكم)
نظرا لبشاعة فعلته تقطع اذناه ورجلاه
(ثم يشير الى الحارس)
علقه بلا رأس شهرا بالسوق وتقلع عيناه
المتهم : (صارخا والحارس يجره الى الخارج)
مظلوم ... اني مظلوم ... مظلوم اني مظلوم
(المتهم يرددها حتى يخرج وبعد فترة صمت قصيرة يداعب القاضي السلك الهوائي ثم يسأل
القاضي : (موجها كلامه الى ممثل الاتهام)
اهناك قضايا ننظرها في هذا اليوم - لنا الله

ممثل الاتهام : (يجيب في ثقة) .... **ابدا ما ظل بحوزتنا** ....

(تسمع جلبة وضوضاء صادرة من الخارج ثم تزداد تدريجيا ، ثم يدخل من الباب الشيخ الغريب يتوكأ على عصاه ، يتدافعه القرود الثلاثة ، ويقفون جميعا بالقرب من القضبان التي كان يقف بداخلها المتهمون السابقون - القاضي وممثل الاتهام يتبادلان نظرات الاستفسار والدهشة ويظهر عليهما الضيق والملل - حيث قطع الداخلون اقوال ممثل الاتهام)

القاضي : (يوجه كلامه للقرد الاول) .... **يا هذا ما هذي الفوضى** ؟
ممثل الاتهام : (مستفسرا محتجا)
بل كيف دخلتم ؟ ولماذا ؟

القرد الاول : (يجيب في خشوع ورهبة)
عفوا سيدنا لا تغضب قد جئنا من عند الوالي
مولانا الحاكم سيدنا يرجو ان تسمع أقوالي

القاضي : (في ملل وضيق)
افصح عن قصدك مختصرا اياك تعطل اعمالي

ما القصة ؟

الاول : (يشير الى الشيخ قائلا)
..... هـذا سيـدنـا الشيـخ غـريب الاطـوار
مـذ جاء وادخـل دولتنا يتسقط كـل الاخبـار

القرد الثاني : (مدعما قول الاول)
يتكلم جهـرا بـل يسمـع ويـرى ممنـوع الاسـرار
قـد زعم يفتش عن كبد ولديه : (جهاد ، حورية)

القرد الثالث : (مكملا القصة)
واليـوم يـريـد مقـابلـة للوالي من اجل قضية

القاضي : (في غضب للشيخ)
عجبـا لغبائـك يـا هـذا الوالي من اجل قضيـة ؟

القاضي :
وانـا ما افعـل ؟ خبرني أنسيت أصـولا مرعيـة ؟
ولمـاذا أزعجت الـوالي ؟ هـذي أعمـال سـوقيـة
مـولانـا الـوالي مشغـول بشئـون الحكم السلميـة

(ثم يبدأ القاضي في استجواب الشيخ)

يا هذا .... من انت اجبني ؟

الغريب الشيخ : (يجيب في ثقة واعتزاز)

أنا في الزمان حكاية وسؤال !!

أما الحكاية .... فاسألوا تاريخكم عنها فقد يتذكر الجهال ...
أما السؤال ... فقد أجابت حالكم فعرفت ما نطقت به الأحوال ...

القاضي : (في غضب)
ماذا تقول ؟ أراك تهذي ملغزا ... هـلا اجبت موضحـا الغـازا ...
من أي أرض جئت تبغي أرضنا ؟ مـاذا تريـد ؟ وحدد الألفـاظا ..

الشيخ : (يرد في ثقة) **من جنة للخلد جئت معاتبا ...**

ممثل الاتهام : (يعلق على كلام الشيخ ساخرا) **الشيخ يهذي ...**
القاضي : (يشير بيده بما يدل على شكه في القوى العقلية للشيخ)
ما عليه ملام ...
(ثم يهدد الشيخ)
أوتدعى هذا الجنون لتتقي غضبي وبطشي ؟ خابت الأوهام

الشيخ : (يشير الى القاضي آمرا مهددا)
(قرقوش) اقصر واستمع لمقالتي هذي بلادي والحبيب يزار
قد شاقني اهلي ، ومهد زعامتي والقدس ، والزيتون والأسوار

القاضي : (مقاطعا صارخا) **اتسبني ؟ من ذا تكون ؟**
الشيخ : (ينتصب في اعتزاز وفخر قائلا)
...... انا الذي تاريخه عطر يفوح ونار
الغرب يعرف من اكون وشرقنا والقدس والتاريخ والكفار
انسيت (عكا) حيث اسرك يا ترى؟ وفدتك اموالي ففك اسار[1]
قد كنت مملوكا فصرت مملكا هزل الزمان وضاعت الاقدار
واذا الرعاع تحكموا في سادة هدم القضاء وضيع الاحرار

ممثل الاتهام : (يوجه كلامه للقاضي محتجا)
حتام نصبر ؟ والدعي يسبنا
القاضي : (في مكر ودهاء) **صبرا جميلا تكشف الاسرار**
(ثم يسأل الشيخ)

قد ضاق صدري منك هلا قلت لي ؟ من انت قل لي ؟ ايها الثرثار
الشيخ : (مذكرا في سخرية مرة)
اخسأ .. وأقصر كل قولة هازىء أني صلاح الدين يا حمّار

القاضي : (يضرب كفيه دهشة واستغرابا ويقول هازئا)
الشيخ جن فجاء يهذي هاهنا لم يدر أن صلاحه أطمار
يا شيخ قد مات العزيز وفي الثرى دفن الأبيّ ، وبالشآم مزار

الشيخ : (مؤكدا اقواله)
ما مت بل احيا بفردوس السما واليوم عدت فهالني استنكار

(١) اشارة الى أسر (قرهقوش) في (عكا) وافتداء صلاح الدين له بالمال حتى فك اسره

هـل تنكـرون البعث ؟؟
القاضي : حـــاشـــا انمـــا
يوم القيامة بعثنا ...

الشيخ : (وقد فهم التورية في قول القاضي فيرد معقبا) ... **أصفار**

بُعثَ (العُزَيّرُ) وكان مثلك منكرا وحمَارُهُ ، فاستغفر الانكار[2]
قدَ عاد قبلي فِتيةٌ قد آمنوا اصحابُ كهفٍ كلهم اخيار

القاضي : (وقد افحمته الحجة ، ولكنه يكابر غير مصدق لما يسمع فيصرخ آمرا القرود الثلاثة)
هذا الجنون بعينه متجسدا السجن يشفي عقله والنار

(يهجم القرود الثلاثة على الشيخ : ثم يقتادونه الى خارج قاعة المحكمة)
الشيخ : (يصيح مهددا متوعدا)
تبا لمثلك يا بغى وفي غد تأتيك انبـاء لها اخطـار

(يخرج القاضي وممثل الاتهام والحاجب)

المنظر الرابع

القصر

في احدى الليالي الساهرة وفي قاعة العرش في قصر الوالي جلس الوالي منتفخ الاوداج صلفا وغرورا ، تحيط به الجواري والغلمان ، وقد تهيأ الجميع لاقامة حفل ساهر ما جن من ليالي الف ليلة وليلة .. وعلى يمين القاعة الفخمة وقف كبير الحجاب على الباب والحراس في كل مكان .

ويصفق الوالي بيديه ويشير ايذانا ببدء الحفل ، فتبدأ الجواري والقيان بالعزف والرقص ، والغناء والضحك ، ثم تقدم احدى القيان كأس شراب يرتشفه الوالي قطرة قطرة وهو يكاد يذوب من النشوة والسرور والسعادة .
وتقوم المغنية لتغني بصوت شجي ، ولحن سحري اغنية يسكر لها الجميع ويتمايلون طربا :

(٢) اشارة الى (العُزَيّر) الذي يدعى اليهود أنه ابن الله .. لعنهم الله بكفرهم ؛ كما جاء في سورتي التوبة الآية رقم (٣٠) والبقرة الآية رقم ٢٥٩ .

فــاتن ملــك	مــاس وارتبـك
يسحــر النهى	اينمـا سلـك
راقص الخطى	تــاه وامتلـك
سهم لحظـه	قــاتـل فتـك
صــاد مهجتي	غــازل الشبـك
ظــالم الهـوى	حبــه شــرك
هــز عطفـه	صبـرنـا هلـك
بت ســاهــرا	ارقب الفلـك
زار طيفـه	قلت : هيت لك
شفني الجـوى	ليتني معــك
قـال ضاحكـا :	انت من ملـك
شـاعر الهـوى	كيف ضيعــك

كبير الحجاب : (يترك مكانه عند الباب ويقترب من الوالي قائلا في خشوع) **مولاي** (يتوقف الرقص والغناء)

الوالي : (بغضب لان الحاجب قطع عليه لهوه ومجونه) **لماذا تزعجنا** ؟؟

كبير الحجاب : (مبينا السبب وكأنه يعتذر) ... **مولاي وزيرك بالباب** .

الوالي : (في ضيق)

اف ... اي الوزراء ترى ؟ في هذا الليل المرتاب ..

(يشير بيده للجواري والقيان للانصراف قائلا)

انصرفوا الليلة احبابي ...

(يخرج الجميع ما عدا كبير الحجاب والحراس)

(ثم يشير الوالي الى كبير الحجاب قائلا) **ادخله كبير الحجاب ...**

كبير الحجاب : (في خشوع) **فورا مولانا** (ينحني امام الوالي ثم يجري الى الباب مهرولا)

كبير الحجاب : ثم يشير الى وزير الدولة بالدخول قائلا) **وتفضل...**

وزير الدولة: (يدخل وعلى رأسه طرطور طويل ثم ينحني ويقبل يد الوالي)

مـولاي تعطف وتقبـل من عبدك رصد الاحـوال

(ثم يقدم للوالي ملفا ضخما منتفخا بالأوراق والتقارير)

الوالي : (يأخذ الاوراق بعدم إكتراث ويقول في ضيق)

تقـريـرك مغـروف سلفـا ألديك جـديد بـالوادي ؟

الوزير : (في ثقة يشرح ملخص التقرير شفهيا)

احوال الشعب مطمئنة والخير وفير بالوادي
لا احد يبصر او يسمع او ينطق خوف الارصاد
وسجونك عامرة دوما بكلاب الحقد الاوغاد
والقاضي يعرف واجبه والعدل نشيد الاعياد
اركان الامن مدعمة وعدوك رهن الاصفاد

الوالي : (وقد مل وضاق صدره مما يسمع)

هذا ما كنا نعرفه أهناك جديد ببلادي ؟
ما حال الجيش وعدته ؟ وقلاع الشرق الميداد ؟
وعيوني ، هل جاءت منهم أخبار تخدم أغراضي ؟

الوزير : (في ثقة واعتزاز)

مولاي جيوشك مفخرة تتحرق شوقا لجهاد
اعداؤك باتوا في رعب وقلاعك حصن الامجاد
وعيونك تسعى في حذر تترصد كيد الحساد

الوالي : (تنفرج اساريره ويقول في سعادة)

حسنا ، ضاعفت سعادتنا أين الشعراء لإنشادي ؟

الوزير : (يشير الى الباب الذي يقف عنده كبير الحجاب ويقول)

بالباب فريق مجتمع هل ندخل شحرور الوادي ؟

الوالي : (يتذكر شيئا مهما فيشير بيده قائلا)

مهلا ، حدثني هل صنعت اقفال السر السحرية ؟

الوزير : (يجيب في سرور بعد أن تذكر هذا الأمر فيقول)

مولاي نسيت فسامحني لك عندي بشرى وهدية
حدادك عبدك مسعود صنع اقفالا سرية
لا تفتح الا برموز تجهلها كل البشرية
لحزام العفة مفتاح ولسور الدولة مفتاح
ولبيت المال وخزنته ولسجن الدولة مفتاح

ولكـل نفيس تملكـه صنف أرقـامـا مخفيـة

الوالي : (وقد بهرته تلك الأنباء)

بشـراك أهاجت أفـراحي أمـلاكي بـاتت محميـة
أمـا الاقفـال فجـربهـا ان نجحت ضعها بروية
ورمـوز السر تسجلهـا ومفـاتحهـا تبقى عنـدك
لا يغلق قفـل او يفتـح الا بكتـابي اوتـذبـح

الوزير : (يتحسس رقبته في خوف ويقول في ذلة)

سمعا مولاي ومن فوري اضـع الاقفـال واختبـر
ان نجحت فـزنـا بنظـام لـلامن ، ومجدك يـزدهـر

الوالي : (في لهجة آمرة)

يا رجل الدولة فلتسـرع واصدع بالامر فلا تخسر

الوزير : (ينحني في خشوع قائلا) **سمعا مولاي سأنصرف**
(يخرج من الباب الذي جاء منه)

الوالي : (يقول للوزير مهددا وهو يخرج) **عجل ، وحذار تتأخر .**

كبير الحجاب : (يقترب من الوالي ويقول) **مولاي ... القاضي بالباب ..**

الوالي : (آمرا) **ادخله كبير الحجاب ...**

كبير الحجاب : (في خشوع) **فورا مولانا** (يهرول الى الباب ويقول للقاضي) **وتفضل ..**

القاضي : (يدخل في زيه الغريب الذي كان يرتديه في المحكمة ينحني ويقبل يد الوالي)

مـولاي اتيتك كي احظى بسـديد الـرأي وأنتصح
ميـزان العـدل بـدولتكم لـولاكم مـال وننفضـح

الوالي : (يشير للقاضي بالجلوس)

اجلس .. وتمهل واسمعني هل جاءك شيخ مجنون ؟

القاضي : (يحك رأسه كأنه يتذكر ثم يجيب قائلا)

قد جاء صباحا تحـرسه انيـاب زرق وعيـون
جادلني - فصبرت طويلا وهجـاني ذاك الملعـون

الوالي : (ينفجر ضاحكا عند سماعه عبارة القاضي الاخيرة خصوصا وان القاضي قالها بتأثر)

لا تغضب واهدأ وتذكر السر خطير مدفون
مذ جاء رصدنا حركات يأتيها ، فالأمن مكين
لولا اسرار نجهلها قتل المأجور المأفون

القاضي : (تنفرج أساريره عند سماع ذلك فيقول) **مولاي بماذا تأمرني ؟**
الوالي : (بعد تفكير) **ارسل للسجن لكي يحضر**
القاضي : (يقف ممتثلا ويقول) **سمعا مولاي سأخبرهم**
(يسر لكبير الحجاب بما يفعل)
كبير الحجاب : (يخرج برهة ويعود ثانية لمكانه والقاضي والوالي يتابعان حركاته ثم يعود القاضي لمجلسه قائلا)
القاضي : **في التو سيمثل مخفورا**
الوالي : (في ثقة وكأنه يحدث نفسه) .... **وسنعرف سرا مستورا**
كبير الحجاب : (يتقدم الى الوالي قائلا) **مولاي الشيخ لدى الباب**
الشيخ : (يدخل مكبلا بالاغلال وعصاه في يده يتوكأ عليها وحوله بعض الحراس الشيخ يردد بيت الشعر المشهور) :
مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

الوالي : (مرحبا بالشيخ في مكر ودهاء)
اهلا وسهلا هلت الانوار اهلا وسهلا ساءنا استهتار

(ثم يلتفت الى الحراس قائلا)
فكوا وثاق الشيخ من اغلاله فالشيخ ضيفي حقه الاكبار

الحراس : (يسرعون بفك اغلال الشيخ)
الوالي : (يأمر الحراس بالخروج) **هيا اخرجوا ودعوه حرا بيننا**
(يسرع الحراس بالخروج) (يلتفت الى الشيخ ويقول)
اجلس ... تفضل انتم الاخيار
الشيخ : (يجلس صامتا وقد بدت عليه علامات التعذيب)
الوالي : (**متوددا**)
اني اعتذرت لما اصابك آسفا هلا عفوت ، وربك الغفار
العفو من شيم الكرام وفي غد يأتيك من جوف الظلام نهار

الشيخ : (لا ينطق .. وانما يتطلع فيما حوله صامتا)
الوالي : (ينادي على كبير الحجاب) **يا آمر الحجاب**
كبير الحجاب : (يأتي مهرولا) .. **سمعا سيدي** ...

الوالي : (يشير الى الشيخ قائلا) **للشيخ بالقصر الكبير مقام**
هيا اصطحبه الى هناك مكرما وتعهدوه فحقه الاكرام

(يقوم الشيخ يدب على عصاه يسنده كبير الحجاب ويخرجان من الباب ويغيبان عن الانظار)

القاضي : (يبدي تعجبه ودهشته مما رأى)
مولاي ماذا قد رأيت بربكم ؟ او هكذا تتعهد الاشرارا ؟

الوالي : (هازئا من غباء القاضي)
هذي السياسة يا غبي وفي غد نجلو الخبىء ، ونعرف الاسرارا

كبير الحجاب : (يعود كبير الحجاب ويبلغ الوالي ان امره قد نفذ)
مولاي أمرك نافذ ومنفذ

الوالي : حسنا (يعود كبير الحجاب الى مكانه) .
(ثم يلتفت الوالي الى القاضي قائلا) ... **ودعني استريح موفقا** .
(يقف القاضي ثم ينحني أمام الوالي ويخرج من القاعة والوالي يفكر ويدبر)

كبير الحجاب : (معلنا قدوم وزير الدولة) **مولاي وزيرك بالباب** ..

الوالي : (آمرا وقد فرغ صبره) ... **ادخله كبير الحجاب** ..

وزير الدولة : (يدخل مبتهجا فرحا)
ابشر مولاي لقد نجحت اقفال الرمز السحرية
اغلقت بأمرك أبوابا للدولة باتت محمية

الوالي : (يفرك يديه من السعادة) **حسنا .. ضاعفت سعادتنا** ..

وزير الدولة : (يشير الى الباب ويقول)
عبدك مسعود منتظر بالباب ليحظى بعطية

الوالي : (يقف ويفكر قليلا ثم يقول)
حسنا ... علقه بلا رأس بالسوق وتقلع عيناه

وزير الدولة : (يسأل في رعب وهو لا يصدق ما سمعته أذناه) **ولماذا** ؟

الوالي : (مبررا فعلته) ... **كي نحفظ دوما للأقفال السرية**

(**يخرج الوزير ... وبعد لحظات تسمع صرخة مدوية دليل قتل مسعود**)

يتبع



صلاة الجمعة

ارسل الينا الاخ الاستاذ احمد حسين مرواد ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ـ رسالة يبين فيها فضائل صلاة الجمعة من القرآن الكـريم والسنة الشريفة .. ويهدى مقالته الى الاخوة القراء حتى لا يفرطوا ولا يتهاونوا في اداء صلاة الجمعة مهما كانت الظروف .. فالصلاة عماد الدين من تركها فقد ترك الدين .

ونمضى مع الاستاذ مرواد فيقول :

قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » **الجمعة / ٩** .

تبين لنا الآية الكريمة ان صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم وهي واجبة على كل انسان بالغ عاقل يقوم بواجبه لله رب العالمين .

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث تحذرنا من ترك صلاة الجمعة . فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم .. « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع الى الجمعة ومن استغنى عنها بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد » **رواه الطبراني** .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ـ « يأيها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا ، وصلوا بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السر والعلانية **ترزقوا وتنصروا وتجبروا** . واعلموا ان الله افترض عليكـم الجمعة في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهري هذا ، من عامي هذا الى يوم القيامة ، فمن تركها في حياتي أو بعدي وله امام عادل ، أو جائر ، استخففا بها وجحودا بها فلا جمع الله شمله ، ولا بارك له في امره ، الآ ولا صلاة له ، الا ولا زكاة له ، الا ولا حج له ، الا ولا صوم له ، الا ولا بر له ـ حتى يتوب ـ فمن تاب تاب الله عليه . **رواه ابن ماجة** .

وعن فضل السعي الى صلاة الجمعة .. روى مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من توضأ فأحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام . ومن مس الحصى فقد لغي » اي وضع يده على الارض

متلاعبا اثناء الخطبة مشغولا عن سماعها ومعنى قوله لغى خاب من الاجر ، وقيل أخطا ، وقيل صارت جمعته ظهرا .

وروى مسلم وغيره عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ « الصلوات الخمس ، والجمعة للجمعة ، ورمضان الى رمضان ، مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة : من عاد مريضا ــ وشهد جنازة ــ وصام يوما ــ وراح الى الجمعة ــ واعتق رقبة » .

ومن السنة الغسل يوم الجمعة روى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان يوم الجمعة فا غتسل الرجل وغسل رأسه . ثم تطيب من اطيب طيبه . ولبس من صالح ثيابه ــ ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق بين اثنين ثم استمع للامام غفر له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء يوم الجمعة فليغتسل ، وان كان عنده طيب فليمس منه ، وعليكم بالسواك » .

يوم الجمعة خير ايام الاسبوع .

فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه ادخل الجنة ، وفيه اخرج منها ، وفيه تقوم الساعة » .

رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي .

ويفضل التبكير الى الجمعة .

فلقد وردت احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين فضل التبكير الى الجمعة وتنهي عن التأخير فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من اغتسل يوم الجمعة ، ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكـأنما قرب بقرة ــ ومن راح في الساعة الثالثة فكـانما قرب كبشا اقرن . ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكـأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وروى الامام احمد والطبراني في التبكير عن ابي امامة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقعد الملائكة على ابواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس ، فاذا خرج الامام طويت

الصحف » ـ قلت يا ابا امامة ليس لمن جاء بعد خروج الامام جمعة ؟ قال : بلى ولكن ليس ممن يكتب في الصحف .

ولما كانت صلاة الجمعة محفلا كبيرا من محافل الاسلام . فقد راعى الاسلام لها آدابا ونظاما بحيث لو تعداها المصلي يكون متجاوزا لتعاليم الاسلام . ومنها التحذير من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة .

« ولقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث صريحة في دلالتها تحذر من تخطي رقاب الناس يوم الجمعة . واعتبرت ذلك العمل ضربا من ضروب الاذي ـ والاسلام دين ينهي عن اذي العباد قل أو كثر . فهو دين اسمه السلام . وفي السلام سلام من كل الاذي .

وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء رجل يتخطى رقاب الناس حتى جلس قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته **قال** : « ما منعك يافلان أن تجمع معنا ؟ قال يارسول الله قد حرصت ان اضع نفسى بالمكان الذي ترى ـ قال .. قد رأيتك تتخطى رقاب الناس وتؤذيهم . من آذي مسلما فقد آذاني ـ ومن آذاني فقد آذي الله عز وجل » . **رواه الطبراني في الصغير والاوسط .**

ومعنى : فقد آذي الله عز وجل : اي لم يعبأ **بشرعه تعالى ولم يتأدب في بيته سبحانه ولم يخشع لجلاله وهناك تحذير من الكـــلام وقت الخطبة ، بل يجب الانصات لسماع خطبة الجمعة .**

وبقدر ما رغب الاسلام في الانصات بقدر ما حذر من الكلام وجعل ذلك لغوا يحبط ثواب المصلي .

وفي يوم الجمعة يتلاقى المسلمون في بيوت الله ، فتتحقق اقوى الروابط الانسانية ، في ظل عبادة الله وحده ، وهذا هو طابع المناسبات الدينية عموما .

آيات جرت مجرى الامثال

ومن الاستاذ محمود زيدان السفاريني بالاردن جاءتنا هذه الفقرة الجميلة :

لكل نبأ مستقر . قل كل يعمل على شاكلته . ولا تنس نصيبك من الدنيا . كل نفس بما كسبت رهينة.ولا يحيق المكر السيء الا بأهله . كل نفس ذائقة الموت . كل من عليها فان . تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى . كل حزب بما لديهم فرحون . وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .



الصفا والمروة

السيد اسماعيل أحمد عبد الله من السودان يسأل عن سبب نزول الآية :

« إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » .

سبب نزول الآية ١٥٨ من سورة البقرة هو أنه كان على الصفا صنم يقال له (اساف) وعلى المروة صنم يقال له (نائلة) ، وكان المشركون اذا طافوا تمسحوا بهما فخشى المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية . وتحرجوا من الطواف لهذا السبب فنزلت الآية المذكورة تدفع الحرج عنهم لأنهم انما يسبعون لله لا للأصنام .

وأخرج البخاري والترمذي عن أنس رضى الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال : « كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله : (ان الصفا والمروة من شعائر الله .. »

طوفان نوح

السيد سالم أبو ريده من العراق أرسل لنا رسالة مطولة عن تاريخ نوح عليه السلام ولكنه توقف عند الطوفان ويسأل هل عم طوفان نوح الكرة الأرضية :

يميل بعض العلماء الى عموم طوفان نوح ويقول بعض علماء الجيولوجيا : اننا كلما بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش الا في الماء ، وهذا يستدعي وجود طوفان على هذه الجبال ، بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف في عمر هذه البقايا ، فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عم ، قال تعالى (**وجعلنا ذريته هم الباقين**) ويميل فريق آخر الى أن الطوفان لم يكن عاما بل كان طغيان الماء على الجهة التي يسكنها نوح وقومه وأما بقية بقاع الأرض فلم يصلها هذا الطوفان .

والمسألة ليس فيها نص من القرآن بل كل ما فيه من هذه الناحية أن قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه في الفلك وجعل ذريته هم الباقين فالعموم محتمل والخصوص محتمل .

المهر

السيد عبد الكريم محمد السامري من دبي أرسل الينا يستفسر عن مقدار المهر المفروض في الشريعة الاسلامية .

المهر في الشريعة الاسلامية هبة وعطية وليس له قدر محدد اذ الناس يختلفون في الغنى والفقر ويتفاوتون في السعة والضيق فتركت الشريعة التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته وحسب حالته وقد اتفق الفقهاء على أنه لاحد لأكثره لقوله تعالى (وآتيتم أحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) .

وأقله ثلاثة دراهم (ربع دينار) عند مالك .

وعند الشافعي وأحمد لا حد لأقله ويجوز بكل شيء له قيمة .

الله .. والاله

السيد عبد الفتاح العطار من القاهرة يسأل عن الفرق بين لفظ الله ولفظ الاله .

الأول اسم علم للذات المقدسة لا يشاركه فيه غيره ومعناه المعبود بحق والثاني يطلق على الله تعالى وعلى غيره وهو مشتق من (الَّه) ومعناه المعبود سواء كان بحق أو غير حق فالأصنام التي كان يعبدها العرب تسمى (آلهة) جمع (اله) لأنها عبدت بباطل من دون الله ، وما كان أحد يسمي الصنم (الله) بل كان العربي في الجاهلية اذا سئل من خلقك ؟ أو من خلق السموات والأرض ؟ يقول : الله وفيهم يقول القرآن الكريم : **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ..) .**

ابن باجه وابن البيطار

السيد حسن موسى من الكويت أرسل الينا يود معرفة شيء عن كل من ابن باجه وابن البيطار :

ابن باجه هو أبو بكر محمد ظهر في غرناطة وكان قد ولد في سرقسطة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وتوفي في فاس عام ١١٣٨م وقد اشتهر بالطب والرياضة ومن مؤلفاته كتاب تدبير المتوحد وفيه يتحدث عن الأفعال الانسانية وأنواعها ورسالة الوداع وفيها بعض مبادئه الفلسفية .

أما ابن البيطار فهو عبد الله بن أحمد بن البيطار ولد في ملقة بجنوب اسبانيا في أواخر القرن السادس الهجري وتوفي في دمشق عام ١٢٤٨م .

ويعتبر ابن البيطار من أعظم العلماء العرب في التاريخ الطبيعي عامة وعلم النبات خاصة الذين ظهروا في القرون الوسطى ومن مؤلفاته كتابا المغنى في الأغذية والأدوية والجامع في علاج الأعضاء .



نشرت مجلة الدعوة السعودية في عددها رقم ٧٧٨ كلمة بعنوان :

مصير الأمة الاسلامية .. وارتباطه بتطبيق الشريعة

الحقيقة التي لا يجوز الجدال فيها ان الحكم بشريعة الله فرض واجب على سائر من ينتمي الى الاسلام .. ولا يعتبر مسلما كل من يطبق غير شرع الله ، وكل من يرضى بهذا التطبيق .

وقد عاشت أمة الاسلام مرهوبة الجانب مرفوعة اللواء يوم حكمت نفسها وحكمت الدنيا بهذه الشريعة الغراء التي نزلت من لدن اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق .

وحين تخلت معظم الشعوب الاسلامية عن تطبيق هذه الشريعة بضغوط الصليبيين واعوانهم فسدت مسيرتها وتعثرت خطواتها واصابها وبال كبير وشر مستطير لازال يحيط بها من كل جانب من جوانبها العامة .

بيد ان هناك الى جانب هذه الآثار السيئة العامة التي اصابت المسلمين من الحكم بالقوانين الوضعية ـ أثرين خطيرين يعملان عملهما المدمر في جسم الأمة الاسلامية :

اولهما : الانفصال العقلي بين عقيدتها الكامنة في اعماقها والمتجاوبة مع مشاعرها ، وبين الثقافات المفروضة عليها ، والتي تجدها اقل جدارة ، واسوأ في مطابقتها لبديهيات الحياة والحقائق .

انها لم تعد تتلقى هذه الثقافات من موقف القوة النافذة الواثقة ، بل تتلقاها من موقع الانهزامية الفكرية التي تحاول ان تكيف فكرها مع هذا الفكر الناقص المفروض عليها بالقوة الطاغية .

ومن هنا سادت عبودية الفكر وانساقت الجماهير شبه المثقفة كالمخبولة ، وراء شعارات من هنا وهناك ، دون ان تحاول مرة عرض الافكار على حقائق العقول وبداءة التفكير .. لقد اصبح الفكر الوافد في البلاد الاشتراكية والعلمانية فكرا يحميه القانون الوضعي .. وقد اصبح من التضحية الكبيرة

مقاومته ، ومحاولة احلال الفكـــر الاسلامي الأصيل مكانه .. ومن هنا أخذ الانشقاق الفكـــري طريقه ، وأخذت اللامبالاة طريقها .. وتاهت الحقائق في زحمة الصراع بين الحق المعروف ، والباطل المفروض .

اما ثاني الاثرين السيئين فهو : ما يسميه الفقهاء المسلمون (بنظرية البطلان في الشريعة الاسلامية) ، وأساس هذه النظرية ان الأوامر والنواهي التي جاءت في القرآن بصرف النظر عن انها تشكل اجزاء اساسية من القرآن والسنة ، فهي ايضا لم تجيء عبثا ، وهي جزء من دين المسلم من حقه ان يمارسه في بلده المسلم سياسة واقتصادا واجتماعا .. والا .. فما معنى قول الله تعالى : **(وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)** « سورة النساء ٦٤ » وما معنى قوله ايضا : **(يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول)** « سورة النساء ٥٩ » وما معنى قوله ايضا : **(وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** « الحشر ٧ » .. وما معنى مئات الأحاديث والآيات القرآنية الأخرى التي تتحدث عن احكـــام مجملة واخرى تفصيلية في الزكـــاة وفي الحدود وفي الاحوال الشخصية (قوانين الأسرة) وفي الحرب وفي السياسة وغيرها ؟.. ان هذه الآيات لم تأت الا لتطبق كالصلاة والصيام ، وهكـــذا كان يطبقها الصحابة رضوان الله عليهم والراشدون في كل دولة اسلامية .!

وبالتالي ، ففي يقين المسلم وفكره ـ ان هذه القوانين الوضعية قوانين باطلة ما انزل الله بها من سلطان ، ومن حقه الا يكيف حياته معها ، وان يتحايل عليها ، وان يقاومها سرا .. اذا استحال مقاومتها فكرا في ظل الحكومات العسكـــرية والثورية المـــأجورة ضد الاسلام وقضية الانسان المسلم .

ويصوغ الشهيد عبد القادر عودة (نظرية البطلان) من ناحية أثرها القانوني على الأمة فيقول :

« واذا طبقنا نظرية البطلان على القوانين واللوائح والقرارات والأوامر ـ أمكننا ان نقول على وجه القطع ان التشريعات الوضعية على اختلاف اسمائها تكون باطلة بطلانا مطلقا كلما جاءت مخالفة لنصوص الشريعة الاسلامية ، او خارجة على مبادئها العامة ، او مباينة لروح التشريع الاسلامي ، واساس هذا البطلان كونها مخالفة للشريعة طبقا لرأي جمهور الفقهاء ، وأساسه ان القوانين واللوائح والأوامر مما يمس صالح الجماعة ونظامها العام ، او يمس حقوق الله وكل ما يتصل بصالح الجماعة ونظامها باطل اذا جاء مخالفا للشريعة الاسلامية » .

ويتعمق في الذهنية المسلمة هذا التناقض الفكري بين التشريع الذي

يؤمن به المسلم ، والقوانين التي تفرض عليه ، عندما نحس بمدى البؤس والحيرة اللذين يعانيهما المسلم ، وهو يعلم من دينه الذي يؤمن به حقائق أكيدة وثابتة .

١ ــ ان الله أمر باتباع الشريعة ونهى عن مخالفتها فلم يبح الاسلام لمسلم ان يتخذ من غير شريعة الله قانونا .
٢ ــ ان الله لم يجعل لمسلم ان يرضى بغير حكمه ، او يتحاكم الى غير ما أنزل الله ، بل لقد أمره الله ان يكفر بكل حكم غير حكمه .
٣ ــ ان الله لم يجعل لمسلم ولا لمسلمة الخيرة من أمرهم غير ما اختاره الله سبحانه .
٤ ــ ان الله حرم على المؤمنين ان يسبقوا رسوله بقول أو فعل أو أمر أو رأي ، بل حرم عليهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوت النبي .
٥ ــ ان الله أمر أن يكون الحكم طبقا لما انزله ، وجعل من لم يحكم بما أنزل الله كافرا وظالما وفاسقا في آيات صريحة .
٦ ــ كذلك حرم الله على المسلم ان يحاول التوفيق بين ما جاء من عند الله وما جاء من هوى البشر ، مذهباً او تشريعاً ، او تصورا ، بل كلمة الله هي العليا دائما ، واي تلفيق هو نفاق مرفوض .
٧ ــ وان الله قد نفى الايمان عن العباد واقسم بنفسه على ذلك ، حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم من الدقيق والخطير والحقير وكل أمر .

واخيرا : فها هي تجربة الأمة الاسلامية مع القانون الوضعي قد امتدت قرنا كاملا ، ولم تصب الأمة من هذا القانون الجاهلي الا الفساد والتخلف والتمزق .. ولقد آن ان تعود الأمة المسلمة الى دينها القويم ..

(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) « الروم ٣٠ » .. وان ذلك اليوم لقادم باذن الله .

نشرت جريدة الاهرام بعددها رقم ٤٤٣٦ كلمة للاستاذ احمد بهجت

تحت عنوان

نعمة الله

يامر الله عباده ان يحمدوه .. ويحدثهم انه يزيد في نعيم من يشكر « لئن شكرتم لأزيدنكم » .. وهذا من رحمة الله بعباده .

وشكر الله تعالى يكاد يكون هو العمل الوحيد الذي لا ينتهي ، لان نعم الله عز وجل على عباده بلا نهاية ولا حصر ولا يمكن احصاؤها

« وان تعـــدوا نعمــــة الله لا تحصوها » .

ونعمة الله تبدأ بنعمة الحياة .. وكلمة الحياة تعني تسخير الشمس بطاقتها والقمر والسحاب والهواء والارض والجبال والبحار والبحيرات والانهار وانواع الاشجار والنباتات والفواكه والطيور ولقد حسب احد العلماء الغربيين ثمن الطاقة الشمسية التى تصلنا من الله بلا ثمن ، حسب ثمنها بالنسبة للفرد في الساعة واقام حسابه على فرضية ان الطاقة الشمسية ليست مجانا انما هي سلعة لها ثمن .

ولقد وجد هذا العالم ان على الانسان ان يدفع كل ساعة ٢٦ الف جنيه ثمنا لما يستخدمه من طاقة الشمس .. والحساب نسبي لانه اعد طبقا لاسعار عشر سنوات مضت .

اي ان كل انسان مدين لله تعالى في كل ساعة بستة وعشرين الف جنيه ثمن ما يصله من الطاقة الشمسية .. اي ٦٢٤ الف جنيه كل يوم ، لم يحسب العالم ثمن الهواء لو كان له ثمن ، لم يحسب ثمن الماء ، لم يحسب ثمن حركة السحاب ، لم يحسب ثمن كل متر يسقط من المطر ، لم يحسب .. لم يحسب .

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » والاحصاء هنا عام شامل ، يتصل بعدد انواع النعم ويتصل بقيمتها ويتصل بقدرها واثارها ونتائجها .

ولو تاملنا خلية نباتية بسيطة ورأينا كيف تعمل وقدرنا ثمنا لها فسوف نكتشف انها اغلى من قدرة الذهن على الحساب او التصور .. وكذلك كل نعم الله تعالى ، وكل انسان مدين لله تعالى بعدة ملايين من الجنيهات كل يوم ثمنا لتسخير الكون له لو ترجم تسخير الكون الى قيمة مادية .

رغم ذلك ، تسدد هذه الملايين كلها لو قال الانسان عبارة واحدة ـ الحمد لله .

ولذلك يقول المسلم في صلاته اليومية الحمد لله سبع عشرة مرة اثناء الصلوات الخمس ، واذا كان مقتضى العدل ان يسدد الانسان دينه لله بهذا الحمد ، فان مقتضى العدل الا يكـــافأ الانسان بعد ذلك .. ولكـــن رحمة الله تعالى سبقت عدله .. انه يزيد الشاكرين ويجزيهم الجنة .

العالم الاسلامي

تعتزم « الوعي الاسلامي » بمشيئة الله تعالى ، ابتداء من العدد القادم التعريف بعالمنا الاسلامي كل قطر في عدد .. دراسة موجزة .. وتعريفا مجملا .. مع خريطة تحدد موقع كل قطر في دنيا الواقع .. وذلك بمناسبة القرن الهجري الخامس عشر .

وفي هذا العدد نبدأ بنشر خريطة كاملة واحصائية شاملة للعالم الاسلامي .

الدول الاسلامية المستقلة

البلد	العاصمة	المساحة	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبتهم
السعودية	الرياض	٢,١٥٨,٠٠٠	٨,١٧٥,٠٠٠	٨,١٧٥,٠٠٠	١٠٠
الكويت	الكويت	١٧,٨٠٠	٩١٧,٠٠٠	٩١٧,٠٠٠	١٠٠
الامارات المتحدة	ابو ظبي	٥٨,٨٠٠	٣٢٠,٠٠٠	٣٢٠,٠٠٠	١٠٠
عمان	مسقط	٢١٣,٢٠٠	٧٥٠,٠٠٠	٧٥٠,٠٠٠	١٠٠
ليبيا	طرابلس	١,٧٥٩,٥٠٠	٢,١٧٨,٠٠٠	٢,١٧٨,٠٠٠	١٠٠
موريتانيا	نواكشوط	١,٠٣٠,٠٠٠	١,٢٢٧,٠٠٠	١,٢٢٧.٠٠٠	١٠٠
قطر	الدوحة	١٠,٤٠٠	١٧٠,٠٠٠	١٧٠,٠٠٠	١٠٠
الصومال	مقاديشو	٧٠٢,٠٠٠	٣,٩٥٠,٠٠٠	٣,٩٥٠,٠٠٠	١٠٠
جزر مالديف	مالا « مالي »	,٢٣٥	١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	١٠٠
المغرب	الرباط	٤٤٦,٥٥٠	١٦,٩٩٥,٠٠٠	١٦,٨٢٦,٠٠٠	٩٩
اليمن الشمالي	صنعاء	١٩٥,٠٠٠	٦,٠٧٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠	٩٩
تركيا	انقرة	٧٨٠,٥٨٠	٣٨,٠٠٠,٠٠٠	٣٧,٦٢٠,٠٠٠	٩٩
البحرين	المنامة	١,١١٨	٢٢٢,٠٠٠	٢٢٠,٠٠٠	٩٩
افغانستان	كابول	٦٥٢,٠١٥	١٧,٩٠٠,٠٠٠	١٧,٧٢١,٠٠٠	٩٩
الجزائر	الجزائر	١,٥٠٠,٢١٢	١٥,٧٠٠,٠٠٠	١٥,٣٨٦,٠٠٠	٩٨
ايران	طهران	١,٦٤٨,٠٠٠	٣٢,٢١٥,٠٠٠	٣١,٥٧١,٠٠٠	٩٨
باكستان	اسلام اباد	١,٠٤١,٧٣٥	٦٤,٨٩٢,٠٠٠	٦٢,٩٤٥,٠٠٠	٩٧
العراق	بغداد	٤٣٨,٤٤٦	١٠,١٦٤,٠٠٠	٩,٦٥٧.٠٠٠	٩٥
اليمن الجنوبي	« عدن »	٢٩١,٢٠٠	١,٥١٦,٠٠٠	١,٤٤٠,٠٠٠	٩٥

غينيا	كوناكري	٢٤٥,٨٥٧	٤,٠٤٧,٠٠٠	٤,٢٥٩,٠٠٠	٩٥
السنغال	داكار	١٩٦,١٩٢	٤,٠٢٠,٠٠٠	٣,٨١٩,٠٠٠	٩٥
اندونيسيا	جاكرتا	١,٤٩١,٥٦٤	١٣١,٧١٣,٠٠٠	١٢٥,١٢٧,٠٠٠	٩٥
تونس	تونس	١٦٥,١٥٠	٥,٥٢١,٠٠٠	٥,٢٤٥,٠٠٠	٩٥
الاردن	عمان	٩٤,٥٠٠	٢,٥٥٦,٠٠٠	٢,٤٢٩,٠٠٠	٩٥
جزر القمر	موروني	٢,٢١٦	٢٩٠,٠٠٠	٢٨٦,٠٠٠	٩٥
الصحراء المغربية	العيون	٢٧٤,٠٥٥	٧٦,٤٢٥	٧٣,٠٠٠	٩٥
مصر	القاهرة	١,٠٠٥,٣٢١	٣٥,٩٠٠,٠٠٠	٣٣,٣٨٧,٠٠٠	٩٣
النيجر	نيامي	١,٢٧١,٨٩٦	٤,٣٥٥,٠٠٠	٣,٩٦٣,٠٠٠	٩١
مالي	باماكو	١,٢٣٩,٩٨٨	٥,٣٩٢.٠٠٠	٤,٨٥٣,٠٠٠	٩٠
سوريا	دمشق	١٨٦,٨٠٨	٦,٨٩٠,٠٠٠	٥,٩٩٤,٠٠٠	٨٧
بنغلادش	دكا	١٤٣,٣٢٨	٧٥,٠٠٠,٠٠٠	٦٣,٧٥٠,٠٠٠	٨٥
غامبيا	بادرست	١٠,٢٤٦	٣٨٤,٠٠٠	٣٢٧,٠٠٠	٨٥
تشاد	فورت ـ لامي	١,٢٨٩,٠٨٠	٣,٩٩٩,٠٠٠	٣,٤٠٠,٠٠٠	٨٥
السودان	الخرطوم	٢,٥١٥,٥٠٠	١٦,٩١١,٠٠٠	١٤,٣٧٥,٠٠٠	٨٥
نيجيريا	لاجوس	٩٢٧,٣٣٩	٧٩,٧٥٩,٠٠٠	٥٩,٨٢٠,٠٠٠	٧٥
البانيا	تيران	٢٨,٨٦٠	٢,٣٥٠,٠٠٠	١,٧٦٣,٠٠٠	٧٥
غينيا ـ بيساو	دوبوي	٣٦,١٢٥	٨١٠,٠٠٠	٥٦٧,٠٠٠	٧٠
تنزانيا	دار السلام	٩٤٣,٣٣٢	١٤,٣٨٠,٠٠٠	٩,٣٤٧,٠٠٠	٦٥
اثيوبيا	اديس ابابا	١.٢٢١,٩٠٠	٢٦,٥٩٨,٠٠٠	١٧,٢٨٩,٠٠٠	٦٥
سيراليون	فري تاون	٧٢,٦٠٥	٢,٧٦٩,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٦٥
داهومي	بورت ـ نوفو	١١٥,١٥٤	٢,٩٠٩,٠٠٠	١,٧٤٦,٠٠٠	٦٠
لبنان	بيروت	١٠,٤٠٠	٣,٠٢١,٠٠٠	١,٧٢٣,٠٠	٥٧
فولتا العليا	اوجادوغو	٢٧٥,٢٥٩	٥,٥١٤,٠٠٠	٣,٨٧٩,٠٠٠	٥٦
افريقيا الوسطى	بنجاوي	٦١٨,٤٢٠	١,٦٤٠,٠٠٠	٩٠٢,٠٠٠	٥٥
ساحل العاج	عبيدجان	٣٢٢,٥٠٠	٤,٥١٥,٠٠٠	٢,٤٨٤,٠٠٠	٥٥
الكاميرون	ياوند	٤٧٧,٢٧٧	٦,١١٧,٠٠٠	٣,٣٦٥,٠٠٠	٥٥
توغو	لوم	٥٦,٦٠٠	٢,١٢٠,٠٠٠	١,١٦٦,٠٠٠	٥٥
ماليزيا	كوالالامبور	٢٨٦,٠٠٠	١١,٣٩٣,٠٠٠	٥,٩٢٥,٠٠٠	٥٢

تعداد مسلمي العالم

عدد المسلمين في الدول الاسلامية المستقلة	٥٩٩,٦٦٢,٠٠٠
دول/ مناطق اسلامية تحت حكم غير ا سلامي	٧٧,٨٧٥,٠٠٠
المسلمون في دول غير اسلامية	٢٢٩,٦٦٠,٠٠٠
★ مجموع مسلمي العالم	٩٠٧,١٩٧,٠٠٠

خريطة العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري

المسلمون ٩٠٪ فأكثر من السكان	
" من ٧٥٪ إلى أقل من ٩٠٪	
" من ٥٠٪ إلى أقل من ٧٥٪	
المسلمون من ٢٥٪ إلى أقل من ٥٠٪	
" من ١٠٪ إلى أقل من ٢٥٪	
" أقل من ١٠٪ من السكان	

الاتحاد السوفيتي
١٧٪
كازاكستان
٤٢٪
منغوليا
الصين الشعبية
٩٪
الهند
المحيط الهندي
السودان
الجزائر
موريتانيا
النيجر
استراليا
فنلندة
بولندا
فرنسا
اسبانيا

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت

١٩٧

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

مؤتمر القمة الإسلامي الثالث



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

لعدد ١٩٧ ● جمادى الاولى ١٤٠١ هـ ● مارس ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة :

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

مؤتمر القمة الاسلامي الثالث

في المدة من ١٩ ـ ٢٢ من ربيع الأول ١٤٠١ هجري الموافق من ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ ميلادي وفي جو ملء بالرهبة والخشية من الله ، والثقة والأمل في صدق الاتجاه والعمل ، اجتمع قادة وزعماء ثمان وثلاثين دولة اسلامية ، في رحاب البلد الحرام ، وفي كنف الكعبة المشرفة ، مهبط الوحي وقبلة المسلمين . لينظروا أمورهم ، ويتدبروا أحوالهم ، ويناقشوا مشاكلهم ، ويرسموا الطريق المستقيم لاسترداد حقوقهم ، وتحقيق عزتهم وكرامتهم .

وقد كان لجوؤهم إلى بيت الله الحرام ، والطواف به ، أمارة الجد والصدق في اتخاذ السبيل الذي وضعه الله تعالى ، لتحقيق الحياة العزيزة الكريمة (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) كما كان تجاوبا مع الصحوة الاسلامية المباركة التي تنادي بتخليص أراضي الأمة الاسلامية ومقدساتها من قبضة الاحتلال الصهيوني ـ في القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة ـ والغزو السوفياتي الاستعماري ـ لأفغانستان المسلمة ـ .. كما تنادي بحياة نظيفة طاهرة ، قوية غلابة ، تستمد من الاسلام وجودها وقوتها ومن تعاليمه نظافتها وطهرها .

وقد اتخذ المؤتمرون في ختام اجتماعاتهم قرارات ايجابية حكيمة يتحقق بتطبيقها الخير والعزة والمنعة ، وهي تتلخص في :

إعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس وفلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة ..

والاستمرار في مساندة مجاهدي أفغانستان حتى يحرروا أراضيهم من الغزو الاستعماري المسلح الذي تقوم به الشيوعية .. وإنشاء محكمة العدل الاسلامية ، ومعاونة الأقليات المسلمة في البلاد غير الاسلامية على الاحتفاظ بحقوقها الدينية والمادية .

ومما لا شك فيه أن تطبيق هذه المقررات فيه إنقاذ للأمة الاسلامية من محنتها ونقل لخطاها على طريق الكرامة والمجد وتخليص لها من المهانة التي حاقت بها .

ولتحقيق الجهاد المقدس يجب الأخذ الفوري بالنظام الاسلامي في كل نواحي الحياة وصبغ الأمة الاسلامية حكاما وشعوبا بصبغة الله . روحا ، وقانونا ، وثقافة ، وعدالة ، وقضاء ، وسلوكا ، وإعدادا لكل وسائل القوة المعنوية والمادية . فبذلك تتوثق الروابط ، وتقوم الأخوة الاسلامية على واقع عملي ، وفي بيئة رشيدة ، تتربى فيها النماذج الانسانية الحية الذي تبذل أرواحها وأموالها في سبيل الله لقاء الجنة :

(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) .

كما يجب تنظيم وتنسيق خطة العمل الموحد بين كل الدول الاسلامية التي تعاهدت على الجهاد ، بحيث تقوم كل دولة اسلامية بنصيبها في دعم الخطة عسكريا وماليا وسياسيا واقتصاديا . فان ذلك أقرب الطرق للوصول إلى الهدف المنشود .

كما يجب أن تقف الدول الاسلامية ــ على المستوى الدولي ــ وقفة ضاغطة على الدول المناوئة لها ، العاملة على سلب حقوقها ، فان هذا الضغط يفسح للدول الاسلامية

المجال نحو أهدافها العادلة .. ذلك ان تلك الدول المناوئة التي تضع العقبات في طريق نهضتنا ، وتتآمر على سلب حقوقنا ، وتعمل على نشر الفساد في ربوعنا ، توهينا لقوتنا واضعافا لروحنا ، دول لها مصالح حيوية في بلادنا لا تستطيع أن تنهض

بغيرها .

إن لدينا سلاحا يهز كيان الدول المعادية لنا وهو (النفط) فهو مادة الحياة والقوة لهذه الدول .. ولا يجوز – في عرف العدل والحق ، وفي رحاب الجهاد المقدس – أن نتغاضى عن استعمال هذا السلاح ، وأن نترك النفط يمضي غزيرا ليمد أعداءنا بأسباب الحياة والقوة ، في الوقت الذي يمدوننا فيه بأسباب الموت والضعف ، ويبسطون إلينا أيديهم وألسنتهم بالسوء ، ويعملون على أن نظل دولا متخلفة إلى الأبد ، نستهلك ما يصنعون وما ينتجون !!

ان أعداء الأمة الاسلامية يأخذون (نفطها) بأرخص الأسعار ، ويخزنونه في مستودعات رحبة ، ويقدمون لها مقابله اغتصابا لأرضها وسلبا لحقوقها !!

لقد سلبوا منها فلسطين بمقدساتها ، وأعطوها لليهود ، منذ ثلاث وثلاثين سنة ومازالوا يساعدون

اليهود على توسعات جديدة في بلاد المسلمين ، وما زالوا يعملون على توهين الشخصية الاسلامية حتى لا تتطلع إلى حقوقها ، وحتى تظل كما مهملا بين الدول .

وهيهات ثم هيهات أن تظل الأمة الاسلامية كما يريدها الأعداء فلقد إستيقظ العملاق الذي بيده حل المشكلات والتغلب على الأزمات ..

نعم قد استيقظ الاسلام في نفوس المسلمين ليزيح من الطريق كل طاغية جبار .. وما أحسن ما قاله المؤتمرون في بيانهم : (إننا نقدر أن أمتنا الاسلامية تتهيأ لها أسباب أصيلة من مقومات الوحدة والتضامن ، ومن عوامل التقدم والنهضة ومن دواعي العزة والرفاهية بما تملك من كتاب ربها وسنة رسولها وبما لها فيهما من نهج كامل للحياة يرشدها إلى الحق والخير والنجاة) .

ان مؤتمر القمة الاسلامي الثالث أفسح للشعوب الاسلامية مجال الأمل في مستقبل عزيز كريم بما اتخذ من قرارات . والشعوب ترمق تطبيق هذه القرارات بكل تجاوب وحماس وعسى أن يكون ذلك قريبا (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



تفسير فاتحة الكتاب

للامام الشيخ محمد عبده

تلخيص الدكتور
احمد حسنين القفل

الاقدام على تفسير القرآن الكريم ليس بالامر الهين ، وان كان التصدى لطلبه وتعقله وتدبره امرا مطلوبا . وترجع صعوبة التفسير الى امور كثيرة :

١ ـ منها انه كلام الله المنزل على قلب اكمل الانبياء ، وانه يشتمل على معارف عالية ومطالب سامية لا تدركها حق ادراكها الا عقول صافية ونفوس زاكية .

٢ ـ يجب ان يشعر من يتصدى لتفسير القرآن الكريم بالهيبة والجلال ، وانه يترجم كلام الله تعالى فلا يسجل الا حقا ، ولا يكتب الا صدقا ولا يتصدى الا لما يقدر عليه . ومع ذلك فقد خفف الله علينا الامر ،

فامرنا سبحانه بفهمه وتعقله ، ويسره لنا تيسيرا . ويكون التفسير المطلوب اذن ، هو ما يعين على هذا الفهم ، وما ييسر تعقله وتدبره من حيث هو دين يرشد الناس الى سعادتهم في الدارين وهذا هو الاساس .

وللتفسير وجوه شتى :

١ ـ النظر في اساليب القرآن ومعانيه وما اشتمل عليه من انواع البلاغة واعجازه في هذا المجال :

٢ ـ الاعراب وما يتصل به من بيان وجوهه وما تحتمله الالفاظ في هذا المضمار .

٣ ـ تتبع القصص . وقد زاد قوم في هذا الوجه من التفسير فسجلوا من الاسرائيليات ما يخالف الشرع ولا يطابق العقل .

٤ ـ غريب القرآن .

٥ ـ الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات والاستنباط منها .

٦ ـ الكلام في اصول العقائد ، ومقارعة الزائغين ، ومحاجة المختلفين .

٧ ـ المواعظ والرقائق وان كان البعض قد مزجها بحكايات المتصوفة والعباد بطريقة خرجت بها على المألوف من حدود الفضائل والاداب .

٨ ـ ما يسمونه بالاشارة . وقد اشتبه على الناس لما فيه من ألغاز ونزغات ، دين الله وكتابه بريئان منها .

هذا : وان الافاضة عما ينبغي في اي وجه من الوجوه السابقة دون احتياط وتعقل قد يجنح بصاحبه الى الشطط ، ويبتعد به عن المعاني المطلوبة .

وهناك سؤال مطروح هو : هل يمكن أن يكتفى بتفاسير الائمة السابقين ، ويكتفى بما استنبطوه من كتاب الله ؟ والاجابة : ان هذا زعم لا يستند الى اساس سليم ، فهو مخالف لاجماع الامة ، بداية بالنبي (صلى الله عليه وسلم) حتى آخر واحد من المؤمنين . هذا وليكن معلوما ان القرآن الكريم له سلطانه على نفوس الذين يقرأون فيفهمون ويعقلون ، وله تأثيره في قلوب الذين يتلونه حق تلاوته .

وذلك السلطان وهذا التأثير لا شك تتفتح له القلوب التي شاء الله لها أن تستنير بكلامه والنفوس التي أراد الله لها ان تنشرح بتلاوته وبذلك تدرك القلوب والنفوس بالبرهان ما لا يدرك بالكلام . وشيء اخر وهو ان كثيرا من حكم القرآن ومعارفه واسراره لم يكشف عنها النقاب بعد ولم يحصها عالم ولا إمام . وانما يميط الله عنها اللثام تباعا ليكون للقرآن الكريم

عطاؤه في كل عصر ، وليظل جديدا حيا أبد الدهر . وسيبقى القرآن — كما قال أئمة الدين — حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم الدين ، شاهدا لهم أو عليهم .

خاطب الله بالقرآن من كانوا في زمن تنزيله على رسوله ، لا لخصوصية في اشخاصهم ، ولكن لانهم يمثلون الانسان على طول الزمان ، وقد انزل هذا القرآن ليكون هداية لهذا الانسان في كل عصر وزمان ومكان . ولكل انسان ان يفهم آيات الكتاب على قدر طاقته ، يستوى في ذلك العالم الضليع والعامي البسيط ، ويكفي هذا الاخير ما يفهمه من ظاهر الايات وبالقدر الذي يجذب به نفسه الى الخير ، ويصرفها عن الشر ، فالله سبحانه الذي يعلم اقدار عباده وتفاوتهم ، قد انزله لهدايتهم جميعا ، ولو شاء لجعلهم امة واحدة في فهمه ولكن لا يزالون مختلفين . ولذلك خلقهم .

ولتفسير القرآن الكريم مراتب :

أ — ادناها : التفسير الاجمالي الذي به يتشرب القلب عظمة الله تعالى وتنزيهه ، وبصرف النفس عن الشر ، ويجذبها الى الخير . وهذا القدر ميسر لكل مؤمن .

ب — اما المرتبة العليا ، فتتم بامور منها :

١ — فهم حقائق الالفاظ والتدقيق اللغوي مع الاخذ في الاعتبار بان كثيرا من الالفاظ كانت تستعمل زمن التنزيل لمعان ثم نزلت لتفيد معان أخرى ، (مثال ذلك : التأويل ، الهداية .. الخ) ولفهم لفظ من القرآن على حقيقته يحسن ان يجمع مع مشتقاته في كل موضع تكرر فيه في القرآن كله ثم ينظر ما يعنيه في كل منها ، فقد تكون المعاني مختلفة ، حسب الاسلوب وحسب الموضع من السياق .

٢ — الاساليب : ينبغي ان تفهم على حقيقتها وذلك بالممارسة مع التفطن والتدبر ومع العناية بمراعاة مكان الوقوف حسب المراد . فقد يتغير المعنى كلية بسوء الوقف .

٣ — علم احوال البشر : فالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية وهو للناس كافة ، ولهذا فقد جمع ما لم يجمع غيره من احوال البشر وقصص الاقدمين والظواهر الكونية .. الخ .

٤ — العلم بالكيفية التي تجعل القرآن هداية للناس جميعا ، برهم وفاجرهم ، وهذه الكيفية يحتم ان تتغير بتغير العصور تبعا لتغير عادات الناس وطباعهم وسلوكهم .

٥ — العلم بسيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه وسلوكهم العلمي والديني والدنيوي .

والتفسير — كما يقول الاستاذ الامام — عند قومنا حاليا ، وقبل ذلك بقرون عدة ، يقتصر على الاطلاع على ماقاله بعض العلماء في كتب التفسير ، على ما في كلامهم من اختلاف يتنزه عنه القرآن . ولو ان هؤلاء المفسرين ثبتوا جميعا على تفسير واحد يطلبون فهمه من غيرهم له لهان الامر ، ولكنهم — وهذا ما يضيفه الاستاذ الامام —

« طلبوا التفسير صناعة يفاخرون بالتفنن فيها ، ويمارون فيها من يباريهم في طلبها ، ولا يخرجون في اظهار البراعة في تحصيلها عن حد الاكثار من القول ، واختراع الوجوه في التأويل ، والاغراب في الابعاد عن مقاصد التنزيل »

ثم يبين الاستاذ الامام بعد ذلك ويشير الى امور منها :

١ ـ ان الله سبحانه وتعالى لا يسأل العلماء يوم القيامة عما قاله عامة الناس وفهموه من القرآن ولكنه سوف يسأل العلماء حتما عما فعلوه بكتابه الذي أنزله هدى لهم وبينات ، وعن سنة نبيه التي وضحت ماخفى من هذا الكتاب . وهل بلغوا الرسالة ، وهل ادوا الامانة ، وهل تدبروا مابلغوا ، وهل عقلوا مانهوا عنه ، وما أمروا به ؟ وهل عملوا بما علموا ؟

٢ ـ النهي عن تنشئة الطفل المسلم ملقنا بترديد الالفاظ والايمان الكاذبة دون اكتراث ، واستخدام القرآن في التعاويذ ، وحمل القرآن كتميمة وللبركة . حتى لا ينشأ الطفل ويشيب معتبرا هذه الاكاذيب عبادة ، وكأنه يعبد القرآن ولا يعبد منزل القرآن بالقرآن .

٣ ـ التأدب عند سماع تلاوة القرآن والانصات لتذكر معانيه :

٤ ـ تعليم اللغة العربية ، وفهم أساليبها فهما دقيقا ، والتعرف على آدابها ، حتى يكون كل ذلك مدخلا يعين على فهم القرآن ، وتفسيره ، وتدبره بحق .

تفسير فاتحة الكتاب

أولا : **التسمية ومتى وأين نزلت :**

١ ـ سميت « بالفاتحة » لانها اول سورة في القرآن ترتيبا . فهي افتتاحيته .

٢ ـ تسمى « أم الكتاب » لانها اجملت كل ما فصل في القرآن على نحو ما سيتضح بعد .

٣ ـ قالوا : إنها المراد « بالسبع المثاني » في قوله تعالى : **(ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)** الحجر /٨٧

وليس في الفاتحة ناسخ ولا منسوخ ، وهي مكية ـ في الرأي الغالب ـ وقال بعضهم : إنها نزلت مرتين : مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، وأخرى بالمدينة حين حولت القبلة . وقال كثيرون : انها اول سورة نزلت بتمامها . ويرجح البعض انها اول مانزل من القرآن على الاطلاق ، حتى قبل قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) استفتاح سورة العلق ودليلهم في هذا انها تجمل معنى القرآن كله ، ومن ثم ، نزل االاجمال قبل نزول التفصيل جميعه .

ثانيا : **المعنى الاجمالي :**

تشتمل الفاتحة على مجمل مافي القرآن ، بمعنى ان الاصول التي وردت في الفاتحة جاءت مفصلة في القرآن كله ، وليس في هذا القول إشارة بالحروف (كمن يقولون : ان اسرار القرآن في الفاتحة ، واسرار الفاتحة في البسلمة ، واسرار البسملة

في بائها ، واسرار الباء في نقطتها ، فهذا كلام لا يستند الى أســاس ، وانما هو كلام مخترع يفقد القرآن خاصته وهي البيان) .

ويمكن اجمال ما أنزل القرآن من أجله في أمور هي :

١ ــ التوحيد لالغاء الوثنية .

٢ ــ وعد من أخذ به ، وتبشــيره بالمثوبة ، ووعيد من جافاه ، وانذاره بسوء العقوبة .

٣ ــ العبادة التي بها يحيا التوحيد في القلوب ، ويثبت في النفوس .

٤ ــ توضيح سبيل السعادة الموصل الى نعيم الدنيا ونعيم الاخرة .

٥ ــ قصص من وقف عند حدود الله ، والتزم بأحكام دينه ، واخبار الذين انحرفوا ، وتنكبوا الطريق المستقيم ، وكل ذلك من أجل الاعتبار ، واختيار طريق المحسنين .

والفاتحة بآياتها السبع تشتمــل على إجمالي هذه الامور :

١ ــ فالتوحيد يدل عليه قوله تعالى : **(الحمد لله رب العالمين)** فكل نعمة مصدرها الله ، في الانسان كانت او فيما عداه ، وكل التصرفات لله في كل ملكوته ، ولما كان التوحيد أهم ما جاء لأجله الدين ، فقد استكمل في الفاتحة بقوله سبحانه : **(اياك نعبد واياك نستعين)** فاجتثت بذلك جذور الشرك والوثنية ، وسقط كل طاغوت يدعى من دون الله .

٢ ــ واما الوعد فيكمن في « البسملة » ففيها رحمة وسعت كل شيء ، وفيها وعــد بالاحســان ، لا سيمــا وان « **الرحمن الرحيم** » تكررت ثانية بعد عبارة التوحيد ، اما الوعيد والوعد معا فيكمنان في قوله تعالى : **(مالك يوم الدين)** فاللــه سبحانــه هو السلطان بلا منازع يوم الجزاء ، وله سبحانه السيادة المطلقة ، فيجازي كل نفس بمــا كسبــت ، ثوابــا للمحسنين ، وعقابا للمسيئين ، وذكر **(الصراط المستقيم)** بعد ذلك ، يدل دلالة واضحة على ان من سلكه نجا وفاز ، ومن تنكبه هلك وخسر .

٣ ــ اما العبادة : فبعد ان ذكرت في مقام التوحيد ، بقوله تعالى : **(اياك نعبد واياك نستعين) اردفها الله بطلب عبيده منه قائلا : (اهدنا الصراط المستقيــم)** المؤدي الى السعادة ، وكمال العبادة بعد التوحيد هو التــواصى بالحــق ، والتــواصى بالصبــر ، كمـــا جاء في سورة « **العصر** » وروح العبـــادة هي : إشراب القلوب خشية الله وهيبته ، والرجاء الخاشع لفضله ، وليســت عمـــلا بلا روح ، وحــركات بلا مضمون ، فمخ العبادة الفكر والذكر والعبرة .

٤ ــ أما توضيح سبيل العبادة فيكمن في طلب الهداية الى طريق وصــف بالمستقيم ، فهــو غــير ذي عوج ، يسلكه الذين أنعم الله عليهم بصفة مطلقة وبلا تحديد .

٥ ــ وأما القصص والأخبار فتكمن في قوله تعالى :

أ ــ **(صراط الذين أنعمت عليهم)** وهم الذين التزموا احكام الله ، فانعم عليهم بالهداية على نحو ما سيتضح بعد .

ب ـ (**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**) ويلاحظ ان « **المغضوب عليهم** » هم من ضلوا عن صراط الله ضلالا كبيرا ، اما « الضالون » فهم من جاحدوا وعاندوا من يدعو الى صراط الله .

ويتضح مما سبق ، ان الفاتحة قد اشتملت اجمالا ، على الاصول التي يفصلها القرآن الكريم تفصيلا ، في بقية سوره جميعها ، ولذا كانت الفاتحة جديرة بأن تسمى « **ام الكتاب** » .

ثالثا : البسملة :

١ ـ القرآن الكريم إمامنا وقدوتنا ، وهو دستور حياتنا ، وافتتاحه بالبسملة ، ما هو الا ارشاد لنا ، بأن نفتتح أعمالنا .. كل أعمالنا ـ بالبسملة .

٢ ـ ليس معنى الافتتاح بالبسملة ، هو ذكر الله على سبيل التبرك والاستعانة فقط بل ان عبارة « **باسم الله** » **كما وردت في البسملة بنصها ، مطلوبة بذاتها ولذاتها . فلا يكفي مثلا أن أفتتح عملا فأقول : « بالله الرحمن الرحيم »** أفتتح عملي ، ولكن لابد ان ينص فأقول : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » عند افتتاح العمل .

والمعنى يكون اذن :

أ ـ انني اعمل بأمر من الله ، واعمل له دون سواه ، ولا أعمل باسمي مستقلا به على انني صاحب العمل ، ولا باسم غيري من البشر . فكأني اقول بصريح عبارتي : ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي ، ولا لحظ غيري .

ب ـ أو هو اعتراف كامل مني بأن القدرة التي أنشأت بها العمل أو أنجزته ، انما هي من الله تعالى ، فلولا انه منحني قوتي ما انجزت شيئا . واذن فهذا العمل لم يصدر عني الا باسم الله وليس باسمي . وقد تم هذا المعنى باتباعه بلفظ « **الرحمن الرحيم** » وخلاصة معنى « **باسم الله** » أنني أعمل عملي ـ الذي بدأته بالبسملة ـ متبرئا من ان يكون باسمي بل هو باسمه تعالى ، لانه سبحانه مصدر قوتي ورعايتي ، ولولا ذلك ما استطعت الانجاز ، ولا قمت بالتنفيذ ، ومن ثم ، تكون عبارة « **باسم الله** » مطلوبة بذاتها ، ويكون مطلوبا ايضا اردافها بعبارة « **الرحمن الرحيم** » .

٣ ـ وكأول بسملة في أول سورة من القرآن الكريم ، فان معناها يكون ان جميع ما يقرر في القرآن الكريم من احكام وآيات .. الخ ، هو لله ، ومنه سبحانه ، ليس لاحد غير الله فيه اي نصيب .

٤ ـ لفظ « **الرحمن** » ولفظ « **الرحيم** » مشتقان من « الرحمة » . والرحمة في الانسان ألم في النفس علاجه وشفاؤه الاحسان .. ولما كان الله سبحانه وتعالى منزها عن الآلام ، والانفعالات ، فالرحمة بالنسبة اليه سبحانه تقتصر فقط على أثرها ، دون مبعثها ، والاثر هو الاحسان من الله الى عباده كرما وفضلا .

وكلمة « **الرحمن** » غير كلمة

« **الرحيم** » وليس في القرآن الكريم كلمة تغاير كلمة اخرى ، ثم تأتي لمجرد تأكيدها ، بدون ان يكون لها في ذات نفسها معنى تستقل به ، حتى ولو كان هذا المعنى زيادة في معنى الكلمة الاخرى ، تقريرا لها أو إيضاحا ، ولكن لا يكون « مرادفا » لها تماما . والجمهور على أن :

أ ـ معنى « **الرحمن** » : المنعم بجلائل النعم ، أو المنعم بنعم عامة ، تشمل الناس جميعا لا فرق بين مؤمن وكافر ، وصفة « **الرحمن** » **تدل على كثرة الاحسان ، ودوامه ، واستمراره ، واتصاله ، وصفة** « **الرحمن** » من صفات الله وحده .

ب ـ ومعنى « **الرحيم** » المنعم بدقائق النعم . او : المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين او : هو منشأ ومنشيء الرحمة والاحسان . وصفة « **الرحيم** » صفة ثابتة واجبة لله تعالى .

وبهذا يكون الوصفان مختلفين . فصفة « **الرحمن** » هي صفة المفيض للنعم فعلا . اما صفة « **الرحيم** » فهي صفة ثابتة يمتد أثرها من الله على مخلوقاته . ولكن ذكر « **الرحيم** » بعد ذكر « **الرحمن** » تكون كذكر « الدليل » بعد « المدلول » ليقوم شاهدا وبرهانا عليه .

رابعا : قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم)

١ ـ عبارة « **الحمد** » معناها الثناء الجميل باللسان (تفاديا للثناء بالشر) ومعنى عبارة « **الحمد لله** » أن أي شيء يستوجب الحمد فالله مصدره . واليه مرده ومرجعه ، ومعناه ايضا : ان الحمد يكون لله ، وعلى اي حال ، وفي اي حال . والجملة خبرية بمعنى انها تثبت ان الثناء الجميل في اي من انواعه تحقق ، فهو ثابت له تعالى ، وراجع اليه لأنه متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون . والخلاصة : ان اي حمد يتوجه الى محمود ما فهو لله تعالى : سواء لاحظه الحامد أم غفل عنه .

٢ ـ اما عبارة « **رب العالمين** » فوصف يشعر ببيان وجه الثناء المطلق .

و « **الرب** » هو السيد المربي ، الذي يسوس مسوده ، ويربيه ، ويدبره ، ولفظ « **العالمين** » يراد به جميع الكائنات ، أي كل المخلوقات بعواملها المتعددة والممكنة .

٣ ـ وعبارة « **الرحمن الرحيم** » تقدم معناها . ولكن لماذا كررت ثانية هنا بعد ورودها في البسملة ؟ ذلك لان تربية العالمين ليست لاحتياج الله اليهم في جلب منفعة او دفع مضرة عنه سبحانه ، وانما هي لعموم رحمته ، وشمول احسانه ، وحتى لا ينصرف مفهوم الربوبية الى الجبروت والقهر ، فاراد سبحانه ان يذكر عباده بانه « **الرحمن** » اي المفيض للنعم بسعة وبتجدد لا منتهي لهما ، وأنه « **الرحيم** » الذي ثبتت له صفة الرحمة ، فلا تفارقه ابدا ، ولا ينافي عموم الرحمة وسبقها ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا ، وما اعده من العذاب في الاخرة ، لمن تنكب

الطريق . فكما ان الرحمة ترغيب للمطيع لينيب ، فهي ترهيب للمنحرف لينزجر ويثوب .

خامسا : قوله تعالى : (مالك يوم الدين)

١ ـ قيل ان قراءتها : « **بملك** » ابلغ من قراءاتها « **بمالك** » فاللفظ الاول يدل على السلطان والقوة والتدبر ، وقيل ان القراءة باللفظ الثاني ابلغ لان « الملك » يدبر الاعمال العامة دون الخاصة . والمقصود « **بالدين** » الجزاء والخضوع .

٢ ـ وقال الله : **(مالك يوم الدين)** ولم يقل « **مالك الدين** » فقط لنعلم نحن ، ويؤكد سبحانه ان للجزاء يوما محتوما ممتازا على سائر الايام ، تجزى فيه كل نفس بما كسبت . واذا كان كل يوم من ايام حياتنا في الدنيا هو « **يوم جزاء** » فملاقاة البؤس جزاء تفريط صاحبه ، وهكذا .. الخ . الا ان الجزاء في الدنيا قد تتوه معالمه في ترجمة الاحداث فلا يفطن له عامة الناس ولا حتى افرادهم . فالامة المنحلة قد يحل بها عدل الله كمجموعة ، ولكن قد يوجد فيها من الظالمين من يتمرغون في الثراء ، والملذات ، والترف دون ان يتضح عدل الله فيهم في دنياهم . ومن ابرز الامثلة في هذا الصدد ، هؤلاء الملوك والامراء الذين تشقى بهم شعوبهم .. وعلى عكس هؤلاء ترى محسنين وصالحين يضنيهم المرض ويطحنهم الفقر .. وهكذا .. وما كل ذلك الا لأمر يريده الله لهم ولا يظهرهم عليه . اما في «**يوم الدين** » فسوف توفى كل نفس ماكسبت **(لا ظلم اليوم)** غافر/١٧ لأن **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة ٧ ، ٨ ويكون **(والامر يومئذ لله)** الانفطار/١٩

٣ ـ وقد أردف سبحانه عبارة « **الرحمن الرحيم** » ـ وهي كما وضح معناها سابقا ـ بعبارة « **مالك يوم الدين** » ليعرفنا سبحانه أنه ان كان يدين عباده ويجازيهم على أعمالهم . فلا يظلم مثقال ذرة ، فان رحمته وسعتهم فرباهم بنوعى التربية كليهما : الترغيب والترهيب . وتشهد بذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : **(نبىء عبادي اني انا الغفور الرحيم . وان عذابي هو العذاب الاليم)** الحجر ٤٩ و٥٠ وقوله سبحانه : **(إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم)** الانعام ١٦٥

سادسا : قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) :

١ ـ العبادة : ضرب من الخضوع : الذي يبلغ حد النهاية ، والذي ينشأ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف مصدرها . واعتقاد من جانب العبد بسلطة للمعبود لا يدرك كهنها ، ولا ماهيتها ، وقصارى ما يعرفه العابد منها انها سلطة محيطة به من كل جانب ، ولكنها فوق ادراكه . فمن ينتهي الى اقصى درجات الذل للملك من البشر لا يقال انه عابد له حتى وان قبل مواطىء اقدام سيده ، مادام سبب الذل والخضوع معروفا . وهو خوف من ظلم واقع ، لا يملك له من

دافع ، او طمع في كرم نافع ، او جاه شافع .

٢ ـ لذلك قالوا : ان لفظ « **العباد** » مأخوذ من « **العبادة** » فتكثر اضافته الى الله تعالى ، اما لفظ «**العبيد**» **فتكثر اضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من** « **العبودية** » بمعنى الرق ، وهناك بون شاسع بين العبادة والعبودية .

٣ ـ لكل عبادة صحيحة اثرها في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والاثر انما يكون عن تلك الروح وذلك الشعور الناشئين عن التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة للعبادة عارية من هذا المعنى ، فانها لا تكون عبادة . كما ان صورة الانسان أو تمثاله لا تمثل انسانا حقيقيا (ولذا يطلب الله اقامة الصلاة ، ولا يطلب الصلاة بلا اقامة)

٤ ـ وأما « **الاستعانة** » فهي طلب المعونة ، والمعونة : هي سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز صاحب العمل عن اتمامه بنفسه ، بعد بذل كل طاقة ممكنة فيه ..

كل عمل يعمله الانسان ، تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التي اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية الى هذا العمل . وقد مكن الله الانسان بما يسره له من علم وقوة وعقل من دفع بعض الموانع ، وكسب بعض الاسباب ، وحجب عنه بعض الموانع والاسباب الاخرى . ومن ثم فيجب على من يناط به اداء عمل ـ اي عمل ـ ان يبذل قصارى ما يستطيع من حول وقوة من جهته ، اذا اقتضى الامر ذلك او بالاستعانة بغيره اذا اقتضت الضرورة مساعدة ومعونة . ثم بعد ذلك ـ اي بعد الاخذ بجميع الاسباب المكنة ـ يفوض الامر فيما وراء ذلك الى القادر على كل شيء ، اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ومالكها ، مثال **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)** البقرة/٢٤٩

فقوله تعالى : **(اياك نستعين)** استكمال لقوله تعالى : **(اياك نعبد)** لان الاستعانة بهذا المعنى : فزع من القلب الى الله ، وتعلق من النفس به . وذلك مخ العبادة .

٥ ـ وترشدنا آية **(واياك نستعين)** على امرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والاخرة . وهما :

أ ـ ان نمارس الاعمال النافعة مجتهدين في اتقانها جهد طاقتنا ، ثم نكل الامر بعد ذلك لله وحده فيما لا طاقة لنا به .

ب ـ وجوب تخصيص الاستعانة بالله وحده ـ بلا شريك ـ فيما وراء الطاقة . (ولا ينافي ذلك الاستعانة بالغير استكمالا للاسباب) ومن يثق في الله وعونه ، لا يطلب المعونة من سواه ، ولا يلجأ الى غيره من « **الروحانيين والدجالين** » من الاحياء والاموات ، ولا يلجأ الى التعاويذ والتمائم ، وهذا ليعيش المؤمن مع الناس حرا كريما ، ومع الله عبدا له خاشعا خاضعا .

سابعا : قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم)

الهداية لغة : هي الدلالة بلطف على ما يوصل الى المطلوب ، وقد منح الله الانسان اربع هدايات يتوصل بها الى سعادته وهي :

١ ـ هداية الوجدان الطبيعي ، والالهام الفطري (بكاء الطفل اذا جاع ـ مص الطفل للبن الثدي)

٢ ـ هداية الحواس والمشاعر ! وهي مكملة للهداية الاولى . ويشترك الانسان مع الحيوان في هذه الهداية ، واعتماد الحيوان عليها اوضح (الغرائز كما في النمل والنحل .. الخ)

٣ ـ هداية العقل : وهي ميزة للانسان وحده دون سائر الاحياء ، ليعيش في مجتمع يعمل فيه باختياره ، ويتقدم بالعلم المكتسب ، وبالخبرة والمران ، لا بالفطرة ، كالحال في الحيوانات .

٤ ـ هداية الدين : قد يسلك الانسان بهداياته السابقة ـ وخاصة بهداية العقل ـ مسالك الضلال ، فيسخرها لشهواته ولذاته ونزواته ، حتى تورده موارد التهلكة ، من ظلم لنفسه ، وظلم لغيره في مجتمعه الذي يعيش فيه ، لذا كانت هداية الدين اساسية وجوهرية ، لترشد الناس في ظلمات اهوائهم ، اذا غلبت عليهم شقوة عقولهم ، ولكي تبين لهم حدود اعمالهم ليقفوا عندها ، ويكفوا ايديهم عما وراءها . والله الذي يعلم من خلق ، هو الذي يسن الاحكام التي تصلح صنعته ، وتهديها الى بر الامان ، والى سعادة الدنيا والاخرة .

وهناك هداية اضافية خامسة ، ويراد بها طلب الاعانة والتوفيق والسير في خير طريق ، والنجاة مع الدلالة ، ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال في فهم احكام دينه ، وفي استخدام حواسه ، واستعمال عقله ، كان الانسان في أمس الحاجة الى هذه الهداية الاضافية الخاصة ، وقد أمرنا الله ان نطلبها منه في قوله : **(اهدنا الصراط المستقيم)** ومعناها : ياربنا دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك ، تحفظنا بها من الضلال والخطأ . ويعتبر هذا اول دعاء قرآني ـ لانه ورد في الفاتحة ـ علمنا الله اياه ، لان حاجتنا اليه سبحانه اشد من حاجتنا الى اي شيء سواه .

والصراط (او السراط) : هو الطريق . ولفظ « **مستقيم** » يدل على انه غير معوج اي ليس به انحراف عن الغاية او الهدف الذي يجب ان ينتهي اليه . ويكون « **الصراط المستقيم** » **اذن هو كل ما يوصلنا الى سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة ، من عقائد ، وآداب ، واحكام ، وتعاليم .**

وطلب الهداية الى الطريق المستقيم من الله ، وتكرير العبد المؤمن لها في كل ركعة من صلاة تجعله اذا اخطأ يسارع فيتوب ، واذا تاه يسرع الى رشده ويثوب .

ثامنا : قوله تعالى : (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

أ ـ من هم « **الذين انعم الله**

عليهم » ؟

قال البعض : انهم هم المسلمون ، ولكن لما كانت الفاتحة اول ـ او من اوائل ـ سورة انزلت ، ولما كان المسلمون وقت انزالها قلة ، وهم الذين يطلبون من الله ان يهديهم الصراط المستقيم ، اي صراط المنعم عليهم ، صار من الاولى ـ والحال على ما قدمنا ـ ان يكون المراد هو ما جاء في قوله تعالى : **(فبهداهم اقتده)** الانعام/ ٩٠ وهم **(الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)** النساء/ ٦٩ من الامم السالفة .

وبذلك يكون ما اجمل في الفاتحة قد احيل على معلوم فسره وفصله بقدر الحاجة . والملاحظ ان ثلاثة ارباع القرآن الكريم تقريبا قصص وتوجيه للانظار الى الاعتبار باحوال الامم في كفرهم وايمانهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، وهذه اشارة واضحة لنا ـ نحن المؤمنين ـ بتحبيذ دراسة تاريخ الامم ، ومعرفة احوالها ، والاسباب التي رفعت من شأنها ، او حطت من كيانها .

ويلوح في هذا المقام سؤال هو : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمونا وعندنا احكام وارشادات في قرآننا لم تكن عندهم ؟ وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم ، واصلح لزماننا ومابعده عن شرائعهم ؟ .

والاجابة : ان دين الله في جميع الامم اي في كل الرسالات واحد . وانما تختلف الاحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان . واما الاصول فلا خلاف عليها او فيها **(قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)** آل عمران/ ٦٤ **(إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده)** النساء/ ١٦٣ **(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله)** البقرة/ ٢٨٥

ب ـ من هم « **المغضوب عليهم** » ؟

قال البعض : انهم اليهود . ولكن فريق المغضوب عليهم يشمل كل من خرج على الحق بعد علمه به ، والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافا عن الدليل ، واكتفاء بما ورثوه عن آبائهم او قلدوه .

جـ : من هم « **الضالون** » ؟

قال البعض : انهم النصارى . ولكن فريق الضالين يشمل في الحقيقة فريق المغضوب عليهم ، وهم الذين وصلهم الحق ، وعرفوا الحقيقة ، ولكنهم نبذوا كل شيء وراء ظهورهم . كما يشمل فريق الضالين فئات اخرى لم يتضح الحق جليا لهم ، فهم تائهون هائمون ، اذ ان الرسالة لم تبلغهم قط ، او بلغتهم على وجه لم يتبين لهم فيه الحق . والفئات الاخيرة هذه هي الاجدر باسم « **الضالين** » اذ الضال هو التائه العمي الذي لا يهتدى الى المطلوب . والعماية في الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل ، وتشبه الصواب بالخطأ .

والضالون على اقسام :

١ ـ فئة من لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة ، او بلغتهم مشوهة بحيث لم يتوافر لهم من انواع الهداية سوى

مايحصل بالحس والعقل ، وهؤلاء قد حرموا رشد الدين ، وسلوك هذه الفئة في دنياهم هو التخبط والتيه ، اما امرهم في آخرتهم فعلى انهم لن يتساووا مع المهتدين في منازلهم . وقد يعفو الله عنهم ، فهو الفعال لما يريد .

٢ ـ من بلغتهم الدعوة على وجه يبعث على النظر ، فساقوا همتهم اليه ، واستفرغوا جهودهم فيه ، ولكن دون توفيق الى الاعتقاد بما دعوا اليه ، وانقضى عمرهم وهم في الطلب . وهذه الفئة تتكون من آحاد اي افراد مبعثرة في الامم ، بحيث لا يعم حالهم شعبا كاملا . وذهب البعض (الاشاعرة) الى ان الفرد الضال من هذه الفئة ترجى له رحمة الله تعالى . ويذهب الجمهور الى ان مؤاخذة الفرد الضال تكون اخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل ، وكفر بنعمة العقل ، ورضي بحظه من الجهل .

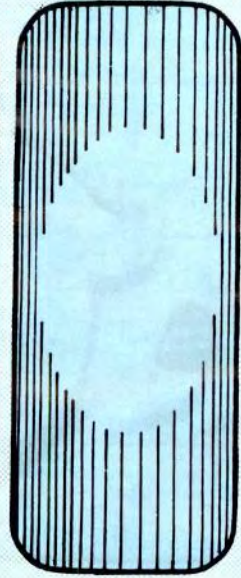
٣ ـ من بلغتهم الرسالة ، وصدقوا بها ، بدون نظر في ادلتها ، ولا وقوف على اصولها . فاتبعوا اهواءهم ، وحكموها في فهم ماجاءت به اصول العقائد . وهؤلاء هم « المبتدعة » في كل دين ، ومنهم المبتدعون في الدين الاسلامي ، وهم المنحرفون في اعتقادهم عما تدل عليه جملة القرآن ، وما كان عليه السلف الصالح واهل الصدر

(مثال : من يحلف على المصحف كذبا ولكنه لا يجرؤ ان يحلف بالولى من البشر كذبا) مثال : المهونين مخالفة الله على نفوس العبيد)

٤ ـ الضلال في الاعمال وتحريف الاحكام عما وضعت له . كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات والخطأ في الاحكام التي جاءت في المعاملات (مثال : الاحتيال في الزكاة بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول ثم استرداده بعد ذلك)

وكل فئات الضالين السابقة ـ فيما عدا الفئة الثانية ـ يظهر اثرها في الامم فتختل قوى الادراك فيها ، وتفسد الاخلاق ، وتضطرب الاعمال ، ويحل بها الشقاء عقوبة من الله لابد من نزولها بهم ، وكل هذه دلالات غضب الله عليهم . ولهذا كانت الدعوة في الفاتحة بطلب الهداية بطريق الذين ظهرت نعمة الله بادية وظاهرة فيهم ، وطلب تجنيب طريق اولئك الذين ظهرت فيهم آثار نقمة الله بالانحراف عن شرائعه ، سواء كان ذلك عمدا وعنادا ، أم غواية وضلالا .

والامة اذا ضلت وانحرفت ، ولعب الباطل بأهوائها ، فسدت اخلاقها ، ووقعت في الشقاء ، وسلط الله عليها من يذلها ولا يرحمها ، وعجل عذابها في الدنيا ، لدرجة قد تصل الى محو أثرها كلية من الوجود : كما حصل لأمم سابقة . اما الافراد ، فلم تجر سنة الله بلزوم تعجيل العقوبة لكل ضال في هذه الحياة الدنيا . فقد يستدرج الضال ، ويدركه الموت ، قبل زوال النعمة عنه . ولكنه سيلقى جزاءه حتما **(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)** الانفطار/١٩



الفكر الإسلامي

محمد مؤذن

ما أكثر الدروس وما أعمق المعاني التي يمكن أن نخرج بها كلما حاولنا فهم الاسلام .

اننا كلما بذلنا جهدا لمعرفة جوانب هذا الدين القيم ، وفهم قيمه وتعاليمه ، وتحليل سيرة رسوله العطرة ، وأقواله الصادقة الهادية أو أعمال رجال الاسلام ومواقفهم المشرقة المليئة بالمعاني والعبرة ، كلما حاولنا ذلك ازددنا اعجابا بهذا الدين الذي كرم عقولنا وقلوبنا فاهتدت اليه .

اننا عندما ندرك هذا الدين فاننا ندرك أنصع الحقائق التي تنير طريقنا وتجنبنا الزلل ، وتقودنا الى الفضل والفضيلة ، وتقينا الوقوع في الإثم والخطأ ، وتلهمنا الرشد ، وتهدينا الى صراط مستقيم .

العقيدة .. والحياة .. والفكر

ما أعظم هذا الدين عندما يكون عقيدة لقوم يدركونها ، وحياة لاناس يعيشونها ، وفكرا لأمة تعي حقائقه ، وتتفهم معانيه ، وتنهض بمطالبه ، تسليما بحق الله خالقها ، وقياما بواجبها تجاه نفسها ، وادراكا لحياتها وما تتطلبه ، ودنياها وما يصلح لها وما لا يمكن أن تصلح الا به ، فالاسلام بكل جوانبه المضيئة المشرقة يعطي عطاء مثمرا حقا وعدلا وأمنا ومودة وإخاء ، ويؤدي الى قيام الحياة السعيدة الصالحة ويحقق السعادة الكاملة المثالية لمجتمع كامل مثالي .

واننا عندما نقف أمام هذا الدين ونعايشه معايشة واعية ، نتفهم العقيدة التي جاء بها الكتاب الكريم ، وبلغها الرسول الصادق الأمين ، أو عندما نعايش السيرة العطرة النضرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، أو نعايش كل الأقوال المضيئة الهادية للسلف الصالح الملتزم قولا وسلوكا بالكتاب والسنة ، أو نعي تاريخا طويلا مشرقا تمتليء صفحاته أمجادا وبطولات وفضائل لقوم آمنوا بربهم ، وصدقوا نبيه وصدقت أعمالهم وأقوالهم ، فحملوا أمانتهم ، وقاموا برسالتهم ،

للأستاذ
فاروق منصور

ودروس الهجرة

عندما نعايش ذلك ونتفهمه فاننا نكون قد وضعنا أيدينا على الطريق ، وفتحنا الباب أمام عقولنا لتدرك وتعي ، وتصنع من إدراكها ووعيها بناء جديدا ، وحياة جديدة جديرة بها أمتنا الاسلامية .

.. إنه واجب فكرنا الاسلامي

وإذا كنا عندما نتفهم الاسلام ونعي حقائقه تسمو نفوسنا ، وتعلو مداركنا ، وإذا كان الفهم والادراك يوفر لدينا طاقة على العمل ، وقدرة خلاقة للابداع والاضافة ، وهذا من شأنه أيضا أن يعطينا مزيدا من الثقة يدفعنا لأن نجعل من شعورنا حقيقة ، ومن رغباتنا في البناء واقعا ، فانه يمكن نتيجة لذلك ، واستقراء له أن يقال : أن فهمنا للاسلام ، ووعينا للحقائق الاسلامية من شأنه أن يغير حياتنا ، ويطور مفاهيمنا ، وينقلنا من واقعنا الذي نشكو رتابته ، ونتألم من تخلفنا فيه ، وضعفنا عن كثير من الأمم التي تملك اليوم القوة بأنواعها - الى حياة مليئة بالعطاء ، يدب فيها النشاط ، ونستطيع أن نكون كغيرنا أو نسبق هذا الغير ونتفوق عليه خاصة وأن ذلك هو دورنا ورسالتنا .

وعندما نسلم بذلك - والتسليم به بديهة - فان واجبنا حينذاك يكون ، الإقرار بأننا يجب أن نفعل ما نؤمن أنه الحق والخير ، فنحاول فهم الاسلام والعمل به ، وإذا كان ذلك يأتي نتيجة للفهم والاقناع ، فانه أيضا يتأتى من صريح دعوة الاسلام ، ومن كمال الايمان بها ، بل من اشتراط الايمان بها . فان هذا الدين قد جاء يبني وينظم ، وقد تنزل ليعيش الناس به وعليه ، يهتدون بهديه ، ويتخلقون بقيمه ، ويتعاملون بشرائعه .

وتسليما بذلك كله ، وتحقيقا له ، فان الفكر الاسلامي المعاصر عليه دور يجب أن يؤديه ، وعليه عبء يجب أن ينهض به في هذه المرحلة التي نمر بها ، وفي هذه

الفترة الزمنية والحضارية التي نعيشها ، يتمثل هذا الدور في أن يعايش هذا الفكر حياتنا وتراثنا يتفهم كتابنا وسيرة رسولنا ، والصفحات المضيئة المشرقة من تاريخنا الاسلامي ، والنضال المشرف الذي خاضته الأمة العربية عبر تاريخ طويل ، ثم يأخذ من ذلك كله ما يمكن أن يأخذه من دروس ، أو يعيه من قيم ليربط حياتنا المعاصرة بالدين ، ويبلور العقيدة من سلوك وأساليب حياة أو معاش ، ثم عليه أن يكتشف بعد قيامه بعملية الدراسة ومحاولة الفهم والادراك ـ الطريق الذي يجب أن تسلكه جماهيرنا لكي تحقق وجودها ، وتبرهن عن ذاتها وتعطي الحياة عطاء اسلاميا معاصرا .

فحينئذ يكون هذا الفكر قد قام بواجبه وتكون أجيال قد استطاعت أن تؤدي واجبها تجاه العصر ، وتجاه الانسانية ، وأن تحمل الرسالة التي كلفنا بحملها ، والتي يجب أن نؤديها بأمانة ، ونتفانى في هذا الأداء مهما كلفنا من جهد أو حملنا من مشاق .

صعاب يجب أن تزول

ولكن أمام الفكر الاسلامي المعاصر صعاب تعترض قيامه بهذا الواجب ، وتمنعه عن تحقيق كل المطلوب منه بالدرجة الكبيرة والفعالة التي نريدها ، تتمثل هذه الصعاب في تلك الجفوة المصطنعة بين ثقافتنا وتراثنا ، بين ما لدينا من فكر اسلامي موروث وما نعيش فيه من فكر غريب عنا ، مختلف كل الاختلاف عن طبيعتنا وظروفنا البيئية والنفسية والعقائدية .

أضف الى ذلك أن الكثيرين منا لم يعد بمقدورهم اليوم وعي ما لدينا من تراث ، لأنهم بعدوا عن لغته أو روحه ، أو انسلخوا من قيمه وخصائصه فأصبحوا غير صالحين لفهمه فكيف يمكنهم اذن الافادة منه أو الانتفاع به .. ؟

واذا نظرنا اليوم الى هذه الرقعة المتسعة المترامية الأطراف التي تمثل العالم العربي ، والأرض التي يقف عليها تجمع اسلامي كشعوب اسلامية ، أو جماعات تدين بالاسلام ، فاننا نجد الكثير من المشكلات التي تتطلب حلولا جذرية ، ولكن مهما كانت أحجام تلك المشكلات ، فانها يجب ألا تخيفنا أو تدعونا للجزع واليأس .

كما أنها يجب ألا تشغلنا عن واجبنا ، أو تضطرنا حاجتها الملحة للحل الى تقديم الحلول الوقتية ، أو علاجها علاجا جزئيا منسلخا عن الاستفادة مما لدينا ، وتفهم الأمور في ضوء ما نؤمن به من دين ، وما نستمسك به من قيم ، وما يجب أن نجتمع حوله من مباديء وعقائد لأن مقدرتنا على حل مشكلاتنا ، وقدرتنا على مجابهة الحياة ، لن تتأتى على وجهها الأكمل الا في ضوء تفهم الاسلام ، والالتزام به . وكلما أدركنا ذلك وآمنا به استطعنا أن نلزم به أنفسنا ، وأن نضطرها الى تحمل كل مشقة بلوغا للهدف ، ولكي نحقق كل ما نرجوه .

واذا نظرنا اليوم أيضا الى حقيقة فكرنا الاسلامي المعاصر ، فاننا نجد الكثير منه جيدا يلبي حاجة الأمة الاسلامية ، ويخدم صالح البشرية عندما يقدم للانسان ما يجعل لحياته قيمة ولسلوكه فيها معنى . ولكن الكثير من هذا الفكر أيضا لا يخدم قضايا الانسان في عصرنا ، ولا يمكن أن يسهم في احداث التقدم ، بل من الانصاف أن يقال انه يعوقه ويشتت الجهود عبثا دون أن يعين على الوصول الى أدنى غاية ، أو حتى تحقيق أدنى نفع ، لماذا ؟ لأنه فكر لا يأخذ من الاسلام منهجه ، بل يأخذ منه اسمه لا يهتم بأن يعبر عن مضمون اسلامي بقدر ما يحفل بتوفير ما يعتقد - خطأ - أنه المفهوم الاسلامي .

واذا كانت مجموعات كثيرة من شبابنا الدارس قد استطاعت أن ترفض مثل هذا الفكر ، أو تستحدث ما يعوضه أو يصنع البديل له ، فانه مع ذلك أيضا سيظل لهذا الفكر تأثيره السيىء على الانسان المسلم ، وسيظل له لفترة طويلة القدرة على القيام بدوره المدمر ضد الاسلام الصحيح بتعاليمه وقوانينه ومفاهيمه .

ان جناية هذه التيارات على حاضر المسلمين أنها تقدم التواكل على الاعتماد ، وترى في النوم بديلا عن الحركة ، وفي الاستسلام تعبيرا عن الرضا كما تفتح الأبواب أمام العقول القاصرة لتتوه في طقوس وأقاويل وموروثات ليست من الاسلام في شيء .

تلك بعض الصعاب التي تواجه الفكر الاسلامي ، أو التي عليه أن يواجهها ليتخلص منها ويسحقها الواحدة بعد الأخرى ، حتى يمكنه أن ينطلق ويحقق من انطلاقته هذه النفع والافادة ، ويكون في موضع يمكنه من احداث التغيير وصنع الحضارة التي تتلاءم مع طبيعتنا ، وتتناسب مع امكانياتنا كأمة حملت الأمانة ، وكان منها الرسول الكريم الذي بلغ الرسالة حفيا بها صادقا في حملها ، أمينا في نقلها الى الآخرين منذ نزول الوحي حتى انتقاله الى الرفيق الأعلى .

وعندما يستطيع الفكر الاسلامي أن يتفهم نفسه ويعي حقيقته فانه يكتشف ذاته ويستكشف المجالات التي يمكنه العمل فيها ، وكيفية العمل وأساليبه ، وبذلك يضمن لنفسه أن يحقق ما يرجوه ويضمن لجهده أن يكون مثمرا ، خاصة وأننا في وقت يجب أن نحرص فيه أول ما نحرص على أن يكون لعملنا ثمرة ولجهدنا المبذول عائدا ، وبشرط أن تكون تلك الثمرة وذلك العائد في اطار الشريعة وأحكامها ، وفي ضوء ما اشترطه الله تبارك وتعالى ، وما أمر به أن يتبع .

رسالة أمة .. وأمانة أقوام .

واذا كان فكرنا الاسلامي المعاصر قد بعد كثيرا عما كان يجب أن يسير فيه ، وتباعد أو أبعد عن مساره الطبيعي الذي كان واجبه أن يسلكه ، فانه محتاج وهذا أمره الى جهد صادق مخلص يبذل لتصحيح الخطأ ، وتقويم المعوج والاهتداء الى

المسار الصحيح . ذلك واجبنا نحن الذين نزعم أننا نهتم بالفكر الاسلامي ، وتؤرقنا الام الأمة الاسلامية ، ويشغلنا أمر مستقبلها ونود أن نضع لبنة في البناء الفكري الاسلامي ـ والاكانت دعوانا باطلة ، وما نردده مجموعة من الأكاذيب . وهذا ليس ما نرجوه وليس ما يدعونا الاسلام اليه .

إننا مطالبون بالقيام بهذا الواجب ليتسق سلوكنا مع ايماننا ، وينعكس ايماننا على سلوكنا ، وهذا ما يحتمه الاسلام وما يرتضيه ، فالايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

كما أن آيات الله البينات قد تولت تأكيد ذلك سواء بالنص صراحة عليه أو بالاشارة اليه يقول تعالى :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة/١٤٣

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .) البقرة/١٧٧

ان ذلك هو رسالتنا كأمة ، وهو واجبنا كأقوام نؤمن بالشريعة الغراء ـ التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيظل ذلك واجبنا كأمة ، ورسالتنا كأقوام ، ما بقيت الحياة ، وما عاش البشر في عالمنا الذي نعيش فيه .

واذا كان الاسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لنا فما علينا الا أن نفي بالحق ونخلص الجهد في القيام بالواجب ، ونعمل على أن نكون ملتزمين بقوله تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .البقرة/١٣٦

واذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء ليختتم الرسالات ويتم النبوة ، فان ذلك يعني أن الدين قد اكتمل وضوحه ، وأن أتباع هذا الدين عندما يعقلونه ويخلصون في القيام به ، في امكانهم أن يتولوا أمانة التبليغ بهذا الدين وهداية البشر اليه ، وأنه بعد أن كمل هذا الدين بتوفيره العقول التي يمكن أن تعيه وتدركه ، واعداده النفوس التي تؤمن به وترعاه وتحرص على تبليغ شريعته ، واقامة أحكامه يكون في هذه الحالة ميسورا للناس وميسرا على من ابتغى مخلصا أن يقوم بواجبه لحمل كلمة الله ، والدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فاذا ما وضح ذلك لنا وهو واضح ـ والذي ينقص أن نكون نحن واضحين معه يتمثل الوضوح في الاخلاص بالقيام به والتفاني في أدائه ـ كان لزاما علينا أن نؤديه والا اعتبرنا مقصرين ، وما لم يقم القادرون منا به فقد أثمنا جميعا .

نسأل الله أن يمكننا من القيام بشرائعه ، ويتجاوز عن تقصيرنا عندما نقصر أو تفريطنا عندما نفرط وأن يهدينا دائما للصواب .

عندما يواجه الفكر رسالته !

وعندما يواجه الفكر الاسلامي واجبه ويتصدى لحمل أمانته فانه حينئذ ليس أمامه الا أن ينطلق بمفاهيمه وقيمه التي يستقيها من الكتاب والسنة ، وتراثه الفقهي ، وتاريخ نضال رجال العقيدة ، وحملة هذا الدين الذين آمنوا به وهم قلة ، وناصروه يوم احتاج الى النصير ، وانطلقوا به في الآفاق بعد أن باعوا لله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وبعد أن قاتلوا في سبيله فقتل من قتل وعاش من عاش فلقى كل منهم الفوز المبين ، إما شهادة في سبيل الله وإما نجاحا في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ان الفكر الاسلامي المعاصر يجب أن يكتشف ذاته في هذا التراث ، ويجب وهو يمارس تجربة جديدة في العطاء وتطوير الكلمات واستحداث معطيات جديدة لها أن يبدأ من تراثه ويتفاعل مع قيمه وينفعل بكتابه وسنة نبينا ، وتراث أولئك الفقهاء الذين كانوا منارا للعلم ، وقمة عالية للادراك والمعرفة . والفكر الاسلامي عندما يقوم بذلك فانه يكون قد وقف على أرض أصيلة ثابتة ويكون قد استلهم ما يمكنه بحق أن يلهمه ، واستعان بما يجد عنده أخصب عون وأعظم معونة .

مسئولية حياة .. لا تعصب جنس

ان ظروفنا كلها تحتم علينا أن تكون نهضتنا قائمة على أساس من تراثنا وقيمنا ، كما تحتم علينا أن يكون فكرنا مرتبطا بهذا الدين لا عن تعصب عقائدي ، ولكن عن فكر واع مفتوح وتفهم كامل لما بين أيدينا من تراث ، وقيمة ما نملكه من معارف .

كما أن هذا التراث الذي نملكه وان كان قرآني الأساس ، اسلامي النزعة والمنهاج فانه يمثل معطيات شعوب كثيرة ساهمت بكل جهدها وأعطت في ظل الاسلام والعروبة كل ما تملك وكل ما أبدعت متأثرة بالاسلام والعروبة وموفقة بالكتاب والسنة ومسترشدة في مسارها بهدي الله وتوفيقه .

إنه ... ما يدعونا الاسلام اليه !

والاسلام كما نعلم جميعا دين يمقت التعصب ، ويرفض الجمود ، وينكر التزمت ، ولكنه يدعو الى الاستمساك بالحق ، والحق واضح وجلي ، ويدعو الى اتباع ما وافق العقل ـ المؤمن المميز القادر على الادراك ـ ورأى فيه العقل أنه

الصواب وأنه يتمشى مع أوامر الخالق ، ويحقق صالح الناس ، لذلك فاننا لا نقول الا بما يقول به الاسلام ولا نطالب الفكر الاسلامي أن يكون بعيدا عن هذه الجوانب الواضحة المحددة التي رسمها الاسلام لأنه لا يمكن أن يكون لدينا رغبة في الخروج عن المحدد الصالح الى المجهول ، ولا يجوز أن يكون لدينا تفكير في تحقيق منهج أسلم من هذا المنهج الأمثل الذي وضعه الاسلام ، وطبقه المسلمون فقويت شوكتهم بعد ضعف ، وازدهرت حضارتهم وامتدت بعد أن كانت عاجزة عن تجاوز أجزاء من الصحراء العربية .

واذا كنا في حياتنا المعاصرة نأخذ بالمنهج العلمي ، ونستفيد بمعطيات التجربة فان ذلك من شأنه أن يلزمنا بأن نتبع ما أثبتت التجربة صلاحه قبل أن نجري وراء السراب أو نأخذ في تجربة المشكوك في صلاحه ، وربما المتيقن عدم صلاحه وهو هذا الفكر الغريب عنا المتعارض مع قيمنا وسلوكنا .

باطل ... كل ما خالف الاسلام

على أنه يجب أن يكون مفهوما دائما وواضحا أمام أذهاننا وعقولنا اننا لا نسقط أي تجربة انسانية ولكن نعمل دائما على الافادة منها . والاستفادة بها في تطبيقات حياتنا ، وشئون عالمنا ما دامت لا تتعارض مع نص صريح لدينا ، أو تخالف طبيعة الدين الذي نؤمن به ، والذي تقوم أحكامه على نفع مادي ، أو مكسب نظن خطأ أنه أكثر فائدة ، لأن هذا الدين ما تنزل عبثا ولا جاء لازجاء الفراغ ، أو لتترك أحكامه بلا تطبيقات ، أو لتعجز أحكامه عن صنع التقدم وتطوير الحياة . بل جاء لتقيم أحكامه الحياة المثلى وتوفر الضمانات التي يمكن أن تحمي الحياة وتصنع التقدم وتحقق سعادة الانسان لذلك فكل ما وافق الاسلام فهو الحق ، وباطل كل ما خالف الاسلام أو عارض نصوصه ، أو صادم روحه وتعاليمه ، ونحن أمة مسلمة تؤمن بالاسلام ويجب أن تعيشه وتسعى للتمكين له بأن تقيمه في حياتها لتصلح تلك الحياة ولتصلح الأمة المسلمة نفسها أن تكون قدوة ومثالا يحتذى وبذلك تتحول الى دعوة عملية والى منهاج تطبيقي تدعو الى دين الله الحق وتطبق شرائعه وأحكامه السمحة السامية .

ولكن ما هو الطريق ... ؟

ان الهدف واضح وتحقيقه ميسور الى حد ما مهما كانت الصعاب ، ومهما كان حجم التضحية المطلوبة ، ويبقى أن نسأل أنفسنا كيف السبيل الى تحقيق ما نريد ؟ ما هي الخطوات التي يجب أن نسلكها كي نحقق ما نريد ونصنع ما نؤمن به . ونرى أنه السبيل الأمثل ، أو الغاية المرجوة منا والامانة التي يجب أن نتحمل

أداءها ونفرح عندما نقوم بها ، إن ذلك يحتاج الى تأمل ما لدينا وفهم ما عندنا ثم محاولة الاستفادة به ، ولا يمكن أن يكون ذلك سليما ما لم تكن خطتنا نحوه متكاملة ، وتكون حياتنا كلها مرتبطة به والا تركنا لشبح الفراغ أن يتضخم فيعوق المسيرة أو يغلفه بالضباب الذي يضللنا عن الهدف أو يبعدنا عنه .

اننا يجب ان نتفهم الاسلام عقيدة وشريعة ، ونلتزم بالمنهج الأمثل الذي نجده في هذا الدين ، والذي يجب أن نقيم حياتنا الجديدة عليه ، بمعنى أن يكون الاسلام هو المقياس الذي نقيس به الأمور ، وهو الوسيلة التي نشخص به الداء ونأخذ منه الدواء بهذا نقي أنفسنا من الضرر ، ونحفظ لحياتنا ما يحفظها ، ويرقيها .. ولأهدافنا ما يحققها .

عندما تكون الهجرة منطلقا !

بهذا الادراك الذي ألزمنا أنفسنا به ماذا يكون الموقف عندما تعود الى الكتاب أو السنة أو التراث ؟ ان الموقف سيكون محددا واضحا ، والطريق سيضيء أمامنا ممهدا ويمكن السير فيه .

وعندما نقف أمام الهجرة كحدث تاريخي نسلم بصحة حدوثه ، وتؤكده الكثير من القرائن التي لا يمكن انكارها أو التقليل من شأنها ما هو المطلوب من الفكر الاسلامي المعاصر عندما يقف أمام هذا الحدث الجليل العظيم ؟

ان أول واجباته أن يفهم هذا الحدث العظيم في صورته الطبيعية ، ثم يحاول نقل هذا الفهم الى الانسان العصري مهتما بالتأمل أكثر من اهتمامه بابراز الخوارق والمعجزات ، وهو مطالب أيضا بالتأني في الحكم والبعد عن التخمين وعن التعميم أو الالتجاء للمعميات لأن الحدث بطبيعته غني بالأحداث ، مليء بالدروس ، مشحون بالأهداف التي يمكن أن تحقق حياة مثالية كما أنه مشحون بالعبر التي يمكن أن تؤخذ منه ، والتعاليم التي يستلهمها العقل والوجدان .

دين العقل ... ما أزهده في الخوارق

ان الاسلام وهودين العقل والدين الذي جاء بمناهجه لتأصيل المعرفة ، لا يتخذ لتحقيق ذلك سبيلا الا الفكرة الواضحة والرأي المقنع والمثال الواضح ، والكلمة الموحية بصدقها ووضوحها . وأن دينا هذا منهجه ، وتلك طبيعته لا يمكن أن يقيم وزنا للحديث عن الخوارق ، أو أيهام العقل بما يحجبه عن الرؤية ويعوقه عن الفهم .

فاذا كانت تلك هي طبيعة الاسلام فلتكن هي طبيعة الفكر الاسلامي عندما يحاول الفهم وعندما يتولى التوضيح والابانة ، أو يحاول تجميع الدروس

والملاحظات فيقف عند حادث الهجرة وقفة تتفهم المعقول وتستكشف الواضح ، وتحاول بالربط والتحليل الخروج برؤية متكاملة للأمر كله ، الأمر بالهجرة وحكمته ، الظروف التي دفعت اليه ، والظروف التي تم فيها ، الأشخاص الذين هاجروا قبل الرسول ، والبقاع التي هاجروا اليها ، ما لقيه المهاجرون من ترحيب أو مقاومة وتعقب ، أمانة المؤرخ العربي وهو يسجل الحدث التاريخي بكل تفاصيله وبأدق دقائقه ، ولماذا لم يغفل مثلا المنافقين أو القساة أو المتجبرين وهو يدون السيرة النبوية ، لماذا لم يحاول التقليل من شجاعة المقاتلين عندما يكونون أعداء أو يضيف اليهم بطولات زائفة وهم في صفوف المسلمين كما يفعل القاص في الملاحم والسير الشعبية الموجودة في كافة اللغات ولدى كل الشعوب لماذا حرص المؤرخ العربي أن يكون أمينا ، ولماذا سلك منهجا دقيقا فأسند الرواية لصاحبها حتى أننا أصبحنا نستطيع بعد ما يقرب من أربعة عشر قرنا أن نميز بين الصحيح والمكذوب والصواب والمنحول ؟

ان الفكر الاسلامي مطالب بأن يقدم الاجابة على ذلك أولا ، ثم عليه أن يستفيد من الأحداث والمناهج وهو يبني ويدعم لفكر أمة ناهضة في حاضر نرجو ازدهاره ، ويسعى لبناء مستقبل نأمل أن يكون أكثر ازدهارا ، وأكثر تحقيقا للآمال ، وتأكيدا لصلاحية هذا الدين وتفوقه ، صلاحيته للتطبيق في كل عصر ومكان ، وتفوقه على ما عداه من الشرائع والنظم والنظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والعمرانية .

القائد ... والجند

وعلى الفكر الاسلامي أن يتفهم شخصية الرسول القائد ، لا بهذا الأسلوب السطحي الذي ألفنا فيه كتبا ، ورحنا نثبت فيها أن نظريات القيادة الحديثة كانت معروفة عن الرسول ، وأن في تصرفاته صلى الله عليه وسلم وسلوكه ما يتفق وتلك النظريات .

لأن وجود مثل هذه النظريات المعاصرة يجب ألا يستحوذ على كل اهتمامنا ، كما يجب ألا يكون التوفيق بين الاسلام وبين الآراء العصرية المطروحة هو الواجب الأول والأخير فنعمل على اخضاع النصوص ، أو التلفيق لنخرج بفائدة ساذجة وغير ذات نفع عندما نقول اننا عرفنا هذا الأمر أو ذاك .

فالمهم والأجدى أن نفهم أولا ما عندنا على حقيقته بغض النظر عما هو موجود الآن ، ثم نحاول أن نفهم بعد ذلك هل ما لدينا أعمق وأهم ، أم أن تجربة غيرنا قد جاءت بشيء جديد ذا قيمة لا بأس من الاستفادة بها مع ضرورة التسليم بأننا في أمور العقائد ملزمين بالاتباع ، وفي العبادات ملزمين بالطاعة ، أما في كل ما

يتعلق بالاختيار ويخضع للتجربة والخطأ فلا علينا من أن نجرب ونقارن ، ونقبل ونرفض ما دمنا ندرك حدود الله ونعرف حدودنا .

ان الرسول القائد كان شيئا خاصا ، شيئا فريدا لا يقاس عليه ولا يقارن بغيره ، ولكن يجب أن تفهم طبيعة قيادته وكيف لزم المسلمون تجاه أوامره الطاعة القوية وليس الخضوع الذليل . لقد كان الرسول وهو يؤدي الرسالة ويقوم بواجبه الذي كلفه به ربه مثالا يجب أن تسعى المدارس العصرية لتقليده ودراسة أساليبه القيادية ، وأن تبذل جهدها لفهم هذه الدروس المثالية النادرة في حزم القائد وبصيرته ، وتفانيه وقدرته على أن يجعل كل جندي من رجاله يحس أنه القائد المسئول وأنه وحده الذي يعمل ، وعليه تحمل كل الأعباء سواء أدى غيره واجبه أم لا .

لقد نجح الرسول في أن يجعل من كل المسلمين قادة ، وأن يضرب لهم المثل في التضحية وانكار الذات ، لذلك فانه من الطبيعي أن يلبي المسلم كل ما طلبه منه الرسول .

وأن يستجيب لكل ما طلبه منه دينه أو تطلبته عقيدته من تضحيات وتحمل مشاق ، فيترك وطنه ويهاجر الى الحبشة أو يصمد أمام التعذيب ، ويستهين بكل أنواع القمع والسحق والابادة التي تعرض اليها . ان صدق ايمانه ووضوح العقيدة أمام عقله وقلبه هو الذي دفعه الى سلوك ذلك الطريق ، وارتضائه لكل التضحيات ، ثم احساسه بوجود القيادة الرشيدة التي تجود بنفسها قبل أن تقدم غيرها للأخطار ، وتقدم غيرها عليها عند المغنم ، هذه القيادة هي التي أعطت لتصرفات المسلمين قبيل الهجرة وبعدها الكثير من أخلاقيات ومثلها ، وهي التي دفعت المسلمين الى احراز ما أحرزوه من بطولات وما تميزوا به من صمود وثبات .

عندما يكون ... الله غايتنا :

ان الفكر الاسلامي المعاصر عندما يقف امام أحداث الهجرة ستبهره حقائقها ، ويمكنه الاستفادة من مواقف كثيرة فيها .

ان الهجرة لم تكن في حقيقتها الا نهاية لمراحل سبقتها ، وتفاعل ظروف أدت اليها ، وهنا يجب أن يعي فكرنا الأسباب التي أدت اليها .

لقد دعا الرسول الناس الى الاسلام وطالبهم بأن يتبعوا دين أبيهم ابراهيم ، والحق المنزل على الأنبياء جاءهم يدعوهم الى الاسلام دينا وحياة ، جاءهم ومعه آيات بينات من ربهم ترشدهم الى الخير والحق وتبني عقولهم وقلوبهم به .

ووجدوا أن ما يدعوهم اليه هو الحق الذي عقلوه وأحست عقولهم وأفئدتهم أنه الطريق الذي يجب أن يتبعوه فصدقوا وآمنوا ، وعندما صدقوا وآمنوا اختاروا أن يكون الخالق جل جلاله هو غايتهم إليه يتوجهون بالطاعة ويتقربون بالعبادة وعندما

قرروا أن يكون الله غايتهم فقد قرروا أن تكون حياتهم بالأسلوب الذي يرضي الله ، ويكون سلوكهم في الاطار الذي ارتضاه الله لهم وعلى الأخلاق التي رسمها لهم الكتاب المبين .

وعندما قرروا أن يكون الله غايتهم فقد قرروا أن يكونوا آدميين ، ولا تتضح الآدمية الا في ضوء الكمال الانساني ، ولا يتحقق الكمال الانساني الا بالارتفاع عن الصغائر والتسامي عن الآثام ونبذ الشهوات المحرمة ، وعدم الخضوع للمغريات أيا كان لونها أو تأثيرها .

وبذلك قدموا الدليل على صدق ايمانهم كما قدموا الدليل على وضوح هذا الايمان في عقولهم وقلوبهم ، لأنهم أدركوا أن طاعة الله انما تكون في الفناء في تنفيذ أوامره ، والتضحية بكل شيء في سبيل أن تكون كلمته هي العليا . لقد أدركوا أنهم عندما يقولون ان الله هو الغاية فلا غاية لهم بعد ذلك الا ما يوصلهم الى الله .

وعندما يدركون هذه الحقيقة فان عملهم كله يكون خالصا لوجه الله يتسابقون الى التضحية ويسارعون الى الجود بكل ما يملكونه ما دام ذلك يحقق للدين فائدة ، ويدفع بهم خطوة للاقتراب من الفوز برضى الله ورحمته ، ويكون هنا واجب الفكر الاسلامي في اكتشاف المنهج الاسلامي لبناء العقيدة عند المؤمنين بالاسلام ، ومحاولة اكتشاف طبيعة الاسلام كعقيدة والامكانيات الهائلة التي يمد بها المؤمنين به ، وعندما نكتشف المنهج ونعي الظروف التي يجب أن تهيأ عند تطبيقه يمكننا العمل على اعادة تطبيق هذا المنهج ، ليكون لنا منه نفس النتيجة وما أحوجنا الى ذلك في حاضرنا ومستقبلنا .

الانسان ... والفكرة :

اذا كان الايمان يصنع في النفوس ما يصنعه من خير ويعطيها من قوة وصلابة في مواجهة الأحداث ، واستهانة بالصعاب ، وصفح وغفران ، وقيام برعاية الحقوق وحفظ الجوارح والجوار ، وتقديم الرحمة على الجزاء ، والبر على الانتقام ، والمغفرة على المحاسبة .

وهو درس من دروس الهجرة وما أكثر دروسها وما أعمق معانيها ، فالانسان أيضا درس من دروس الهجرة ، اننا نجد فيه الكثير من المباديء التي تصنع انسانية الانسان ، وتحقق كماله . لقد كان الرسول بالمنهج الالهي الذي تربى عليه قمة الانسانية ، وكانت مواقفه يوم الهجرة أو قبلها أو بعدها من أجل المواقف ، لقد احتمل من العذاب ما يفتت الصخر ، تعذب بدنه بالجوع والمعاناة والضرب أحيانا ، وتعذبت نفسه وهو يرى أصحابه يتعرضون للعذاب وهو لا يملك أن يرفعه عنهم ، أو يقيهم منه ، وتعذب يوم وقف يودعهم وهم أصحابه وأهله وبقية منه أيام قاموا بهجرتين الى الحبشة أو سبقوه الى المدينة ، وقاسى كثيرا من العذاب وهو

يغادر الوطن تاركا أرض الآباء والأجداد والبيت الكريم الذي بناه ابراهيم واسماعيل ، فلم يكن من السهل عليه أن يترك مكة لولا أن في هذا الخروج طاعة ربه والامتثال لأمره .

وما كان لانسان أن يحتمل هذا العذاب ، ولكنه تحمله لأنه نبي ، واستطاعت نفسه أن تقدر عليه وتتماسك أمامه ، لأنه محمد الذي اختارته السماء والذي هيىء للقيام بهذا الدور .

وتولى الخالق جل جلاله اعداده لتحمل هذا العبء فحمله وكان هو الصالح له ، وهو النبي المؤتمن عليه ، القادر على تأدية الدور وعندما يذعن لأمر ربه فإنه وفقا للاسلام ومناهجه لابد أن يعد للأمر عدته ، ويضع له من التنظيم والترتيب ما يحققه .

ان الاسلام لا يعرف التواكل ولا يرضى بالعمل الأهوج غير المدروس .

ويتطلب من أتباعه أن يفكروا ويمعنوا النظر في الأمور ، ويقدروا لكل أمر . لقد أعد الرسول عدته لذلك وواجب الفكر الاسلامي هنا أن يتعرض لدراسة هذا الاعداد وتحليله والافادة منه ، واعتمد على ربه وفوض اليه أمره بعد أن أدى هو واجبه وطالبه بأن يعينه على ما هو مقبل عليه « وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » ٨٠/ الاسراء .

الصداقة ... والصديق

ثم الموقف الذي وقفه أبو بكر عندما أبلغه الرسول بأمر الهجرة وتصديقه للرسول وسعادته بأن يكون صاحبه في هذا الأمر اننا يجب أن نعي من ذلك قيمة الصداقة ومقدرتها على تحقيق أمور لا يستطيع غيرها أن يحققه .

لقد وجد أبو بكر في محمد الانسان صورة مثالية للكمال الانساني ، وجد عنه الخلق كما يجب أن يكون ، والصدق الذي لا تشوبه شائبة ، وجد فيه الانسان صاحب الفكرة الذي يؤمن بها ويصدق كل جزئياتها ، ويقدم بعمله وسلوكه ما يؤكد التزامه بالفكرة التي يؤمن بها والمبدأ الذي يدعو اليه ، فهذا الصدق وهذا الالتزام الفريد يصلح منهجا ، وكما أقنع أبا بكر فإنه يقنع الملايين غيره ، ويصلح طريقه للاقناع في عصرنا وفي كل العصور ، الا نتعلم من هذا المنهج النبوي الدرس الأول في الايمان بالفكرة ، والاخلاص لها ، وضرورة الالتزام بالصدق مع أنفسنا أولا حتى نكون صادقين مع الآخرين ،وسيقود صدقنا الى الاقناع ويؤدي اقناعهم الى اتباعهم ما ندعوهم اليه أو نريدهم أن يكونوا عليه .

لقد قال الرسول له« ان الله أذن لي في الخروج والهجرة » فلم يسأله عن شيء ولم يحاول أن يتأكد منه عن الخبر ، بل قدم نفسه مباشرة وكان قوله : « الصحبة يا رسول الله » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر الأمر ويعرف متاعبه ، ويعرف صديقه ويقدر صداقته ، ويعرف أنه أهلا لكل خير وأنه كفء لتحمل أية مشقة واحتمال أي تعب ، فلم يزد على أن قال له : الصحبة

الوسائل والأساليب

وعندما يكون الوضوح هو سمة الفكرة والانسان ، فان الاسلوب أيضا يجب أن يكون محددا وواضحا فلا يختار من الوسائل الا ما يضمن التحقيق على أكمل وجه وقد تمثل ذلك في الهجرة عندما اختار أبو بكر الراحلتين الصالحتين القادرتين على تحمل المشاق وأسند الأمر الى أهله فاختار الدليل الذي يعرف الطريق حتى يمكنه أن يدلهم عليه في دقة ويسر .

لقد اختار عبد الله بن أريقط ليدلهما على الطريق وهو مشرك .

عندما ترعاك السماء !

لقد تعرض الرسول والصديق للأخطار وكانت قريش قادرة على اللحاق بهما وتمزيقهما اربا ، ولكن عناية الله كانت ترعى الرسول وصاحبه ، لقد خرجا من ديارهم طاعة لله وامتثالا لأمره ، أرادا أن ينصرا دين الله وينتصرا له فنصرهم الله (**الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) . التوبة/ ٤٠

لقد كانت الهجرة تجربة ايمان ، صدق الانسان في ايمانه بخالقه وأوفى الله وعده فنصره وأمده بقوة لم تستطع قوة أخرى أن تقف أمامها واذا كان لكل تجربة نتائج فان نتيجة هذه التجربة أن الايمان الصادق يحقق الكثير وتتضاءل أمامه كل الصعاب .

واذا كان الانسان يتطلب النتائج حتى يصدق ، فقد كان في الهجرة أكثر من دليل على قدرة الله وصدق الرسول .

لقد جاءنا بالقرآن الكريم برهانا ، من ربه تتضمن آياته وعد الله بالنصر لمن ينصر دينه ، ووعده للرسول بأنه سيتم عليه نصره ، ويحقق له ما وعده به ، ثم تجيء الهجرة فيتحقق ذلك .

واذا كان المسلم يؤمن بأن كل ما جاء من الله حق وصدق فان غير المسلم يجب أن نقدم له من الحقائق ونتائج التجربة ما يقنعه .

لقد حدثت الهجرة وجاء النصر ، انتصرت القلة على الكثرة والفقر على الغنى ، والايمان على القوى الباغية ، وكان ذلك مقدرا بالآيات المنزلة من قبل ، وتحقق فعلا كما قررت الآيات فهذا دليل مادي على صدقها لمن لا يقنعهم الا الدليل المادي ، واذا وجد الدليل المادي الذي يؤكد صدق هذه الآيات ، فان ذلك يقودنا الى تصديق من جاء بها ، والذي جاء بها يقول انه رسول يوحى اليه ولا فضل له فيما أتانا به ، وأنه لم يقم إلا بالبلاغ وأن هناك إلها-أحد صمد متفرد-بكل الكمالات ومنزه عن الشبيه والشريك ، قد أوحى له بهذا وأصدق ما نقله الينا .

وما دمنا سلمنا بصدق الرسالة ، وصدق الرسول ، فإنه يجب أن يقودنا ذلك الايمان بوجود اله هو كما وصف نفسه في كتابه الكريم الذي جاءت التجربة الانسانية لتؤكد صدقه .

هذه الفكرة الموجزة درس من دروس الهجرة يجب أن يتولى الفكر الاسلامي بحثه وشرحه وتوضيحه ، يؤكده ويجلوه للمسلمين ، ويبرز حقائقه الناصعة وما يستلهم منه ، وما يستفاد به لغير المسلمين .

البناء ... الفكري والعقائدي :

ويصل الرسول الى المدينة ويفي أهلها بعهدهم له ، ويتم الله عليه نصره فماذا يفعل ؟ ما الأمور التي يهتم بها في هذا المجتمع الجديد ؟ انه يمضي الى بناء المجتمع الذي يدعو اليه وفقاً لتعاليم الله .

يبدأ هذا المجتمع بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وايمان الجميع بمعنى الأخوة تلك المعاني التي أكدتها صور واقعية حدثت آنذاك ، صورة المسلمين وهم يصنعون أكمل مبدأ للتعاون والمشاركة وتأكيد الاحساس بالوحدة والاخاء بين البشر فيتنازل الانسان عن أمواله ويقتسمها مع أخيه وهو سعيد بذلك .

ثم يقوم الرسول ببناء المسجد ليكون العلم والعبادة أساسا لهذا المجتمع وليقوم المسجد برسالة مجيدة في تعليم الناس أمور دينهم ، وفي تجميعهم حول تعاليم هذا الدين تلك التعاليم التي تثري حياتهم ، وتنير طريقهم ، وتحقق لهم الأمن والاستقرار ، وتكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، ويهتم الرسول بتنظيم كافة شئون المدينة ، ويبحث لها عما يدفع الحياة الى الاستمرار ويصون أمنها ، ويؤدي الى انتظام أمورها .

لم ينزل الرسول المدينة ليستريح ويهدأ ، ولكنه شرع في العمل واستمر عليه لأن الاسلام دين عمل وبناء فكري وعقائدي ، ولا يكتفي بالبناء الفكري والعقائدي ويقف عند الجانب النظري ، بل لابد من التطبيق لأنه دين حياة ، والحياة تتطلب ما يصلحها ويحفظها .

ان هذه المعاني والدروس كلها بحاجة الى البحث والدراسة والتأمل ، بحاجة الى تحويلها الى ايحاءات وقوى ملهمة موجهة وهذا هو واجب الفكر الاسلامي .

العلم في مدرسة القرآن

للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة

نزل القرآن العزيز لمواكبة الحياة الانسانية على امتداد أعصارها ، وتلاحق آمادها ، ليصحح وضعها ، وينير جنباتها ، وينفي منها العقد والنكسات ..

ومن إعجاز هذا الكتاب أنه جاء ملبيا حاجات الفطرة ، مستجيبا لنداء الطبيعة ، متحركا بالانسان إلى حيث شرفه ومجده ، وسؤدده وفخره ، فكانت صيحته منذ أول لحظة نزل فيها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، أمرا محتما على كل انسان أن يلج العلم من أوسع أبوابه ، ويحصله بكل وسيلة ، ويستوعب منه كل ما يفيده في دينه ودنياه ، ويركب في سبيله كل صعب ، فان فيه حياته ، وعليه ترتكز دائرة وجوده ، وبه يصعد الانسان إلى الذرا العالية . فلا غرابة بعد ذلك أن نرى القرآن العظيم يجمع في أول آياته نزولا ، وسائل العلم وطرقه التي بها يكتسب ، وكأنه بهذا يريد أن ينكشف للعالمين على طبيعته الحضارية الأصيلة ، وأنه فعلا كتاب العالمية والخلود ، وهو الشريعة المتكاملة الباقية التي جمعت بين دفتيها كل مجد ومكرمة .

قال ربنا تقدست أسماؤه :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق ○ خلق الانسان من علق ○ اقرأ وربك الأكرم ○ الذي علم بالقلم ○ علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ ـ ٥

ماذا أقول ؟ إن هذه الآيات هي جماع الحضارات ، وأم المدنيات ، بل إنها حوت أسرار التقدم البشري ، وأطوار السبق الانساني . علم وقراءة وقلم ، ألفاظ جديدة ، وتعبيرات مشرقة ،

وكلمات مشعة ، وكأني بالانسانية لم يترطب لسانها بهذه الألفاظ من قبل . ؟

وممن أخذت هذا كله ؟

يا لله !!! إنها تعلمته من محمد بن عبد الله ، ذاك الرجل الأمي ، الذي ما عرف قراءة ولا كتابة ، ومع ذلك فان معجزته التي تحدى بها البلغاء ، وأخرس بها الفصحاء ، وأخضع بها الانس والجن ، كانت كتابا افتتحه رب العزة بالحديث عن العلم :

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) العنكبوت / ٤٨ و٤٩ .

وبهذا المعنى هتف شوقي عندما قال :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتم

والقرآن هنا ، يهيب بالناس جميعا ، أن يحصلوا القراءة ، عن طريق العلم الذي يقرعون بابه ، ويطلبون أسبابه .

ونحن هنا نلاحظ لمسة حضارية معجزة للقرآن الكريم في هذا السياق ، وذلك في هذا الامر العام « اقرأ » . هكذا بكل العموم والشمول . فكل من يتوجه إليه الخطاب مكلف ومأمور بالقراءة ، أيا كان موقعه ، وعلى أي صورة كان مستواه .

فالانسان في شريعة القرآن هو الانسان ، موطن العزة ، ومعقد السيادة ، وهو الذي أعطاه ربه سلطة الهيمنة على الكون وتسخيره .

والقرآن الماجد بذلك ، قد سبق دعوة أولئك الذين كانوا يزعمون لأنفسهم أنهم مجددون عندما نادوا بضرورة أن يكون العلم للانسان كالماء والهواء ، لا يحرم منه ، بل هو لازمة من لوازمه .

نقول هنا : إن القرآن هو صاحب أول نداء وتوجيه إلى هذا المبدأ ، بمطالبته للعاملين جميعا أن يتعلموا ، ليصححوا أوضاع الانسانية ، ويصعدوا بها في درجات الكمال .

ولم كان هذا الطلب ؟ بل لم كان هذا الأمر الذي لا مناص منه ولا مفر عنه ؟

لأنه بالعلم يعرف الانسان ربه ، ويدرك ذاته ، ويتبصر طريقه ، ويهتدي إلى موقعه في هذه الحياة ، فيرعى إنسانيته ، ويصون آدميته ، ويتربع على عرش الزعامة والسيادة . فالعلم حياة القلوب وربيع الأرواح ، وغذاء العقول ، ونور الفكر ، وجلاء البصيرة .

العلم أفضل ما طلب وجد فيه الطالب ، وأشرف ما كسب واقتناه الكاسب ، وطلاب العلم أن كانوا من أقل الناس عاشوا كراماً ، وإن كانوا من أوساطهم ساروا دواما ، وإن كانوا من خيارهم صاروا نجوما وأعلاما ، والله جل جلاله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات .

وذات يوم سئل الامام علي رضي الله عنه : أيهما خير العلم أو المال ؟

فقال نضر الله تاريخه :
« العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، ولأن العلم ميراث الأنبياء والصالحين ، والمال ميراث الجامعين والكانزين ، ولأن العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ولأن العلم يزكو ويزيد بالانفاق ، والمال ينقص بالنفقة ويضيع بالاسراف ، ثم قال منشدا :
ما الفخر الا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء
وروى أن موسى ناجي ربه ذات يوم فقال له : يارب أي عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال يارب فأي عبادك أقضى ؟ قال : الذي يحكم بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يارب فأي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه ، عسى أن يصيب ما يدله على الهدى ، ويرده عن الردى .

والاسلام يحث على العلم ، ويأمر به ، لأن مبادئه ونظمه وتوجيهاته لا تدرك الا بالعلم ، ولا يقف على أسرارها إلا الذين تفتحت قلوبهم ، وتفتقت عقولهم بنور المعرفة ، وتزودت بزاد الثقافة .
وإذا تصفحت آيات الكتاب المجيد ، وجدت حشدا هائلا من النصوص التي تدفع الانسان دفعاً إلى طلب العلم وتحصيله بكل أسلوب . ترغيباً فيه ، وحضاً عليه . قال تعالى :
(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران /١٨
(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر /٩
(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة /١١

(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) آل عمران /٧
وإذا ذهبت تحصي الآيات التي تدفع الى العلم والفكر والنظر والبحث ، لوجدتها تربو على ثمانمائة آية .
علام يدل هذا ؟ لا شك أنه يدل على الموقع الفريد للعلم في شريعة القرآن الخالدة ، وأنه منها حجر الزاوية ، والركيزة المتينة ، والدعامة الراسخة .

وعلى أساس من هدى القرآن ، فاضت أحاديث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنصائح غالية ، وتوجيهات سديدة ، وكلها تبين ما للعلم من مكانة ، وما يتبوؤه من منزلة ، وتحفز الانسان إلى طلبه والسعي إليه .
ومن ذلك :
« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » رواه الترمذي
« الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها

فهو أحق بها » ابن ماجة
« إن الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم » النسائي
« إن العالم ليستغفر له كل من في السماوات ومن في الارض حتى الحيتان في قاع البحار تستغفر للعالم » أصحاب السنن
« يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء يوم القيامة » الطبراني
بل إن الرسول الأكرم صلوات الله عليه وسلامه ، يحلق بالعلم في سماء لا تطاولها سماء ، عندما يرفع منزلة العالم على منزلة العابد . فيقول عليه الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل فيكم » أبو داود
« ساعة عالم متكئ على أريكته ينظر في علمه خير له من عبادة مائة عام » الطبراني
« مجلس علم خير من الدنيا وما فيها » ابن ماجة
هذه النماذج من كلام الله عز وجل ، ثم من اقوال سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، تكشف الغطاء ، وتزيح الستار ، وتصدع بهذه الحقيقة الخطيرة وهي : أن الاسلام له جناحان يحلق بهما في دنيا الوجود الانساني ألا وهما : علم وفكر .
علم يسلط أضواءه الكاشفة ، فيحل الألغاز ، وينفذ إلى الأسرار ، ويستبطن الأغوار ، حتى يضع يده على مفاتيح الأشياء ، فيجعلها تخضع له ، وتذعن لسلطانه .
ثم فكر يستقبل معطيات العلم ، ويصهرها في بوتقته ، ويوجه إليها عيونا باصرة ، فاذا بها تستحيل إلى مزيج فيه روح الابداع ، ويبدو عليه جلال اليقين . والظاهرة الفريدة التي اتسم بها العلم في ظلال القرآن : أنه لابد أن يسير في هذه الدائرة الخاشعة المتواضعة التي تعتصم بالله ولا تتمرد على سلطانه .

(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) ال عمران/ ١٠١

هذه الدائرة الالهية هي التي عناها النص المقدس عندما قال : « باسم ربك » . وبالله ما ابهاها !!! وما أكثر إشراقها !!!
إن العلم هنا ليس منتفخ الأوداج ، ولا مزور الجناب ، ولا شامخ الأنف ، لأنه علم يعرف قدره ، ويدرك مدى حجمه ، وينظر إلى ذاته على أنه بالنسبة لعلم الله الواسع المحيط ، كقطرة في بحر ، أو حبة رمل في صحراء واسعة . « و لله المثل الاعلى »

(ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) لقمان / ٢٧

فاذا طلب الانسان العلم ، فان القرآن يوجب عليه أن يبتغيه باسم الله ، ويحصله بقدرة الله ، ويطرق أسبابه وهو مستعين بقوة الله ، ويسير في مسالكه وهو متوكل على الله ، لأن العناية الربانية إذا فارقت إنسانا ، أو تخلت عنه ، فانه سيخرج من كل نشاطه صفر اليدين .

وإذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يقضي عليه اجتهاده

إذا لا غرور ، ولا صلف ، ولا كبرياء ، ولا غطرسة ، ولا أي شيء من هذه الآفات الأخلاقية ينبغي أن يندس إلى كيان الانسان ، أو يتسرب في نفسيته ، بل لابد أن يكون متدثراً بدثار الحياء ، متحلياً بحلية المراقبة ، متزينا بزينة التواضع .

لأن الانسان يمكث حياته كلها متعلما ، وفي النهاية إذا ما أراد أن يقيس حصيلة علمه ، أو يحدد لها نسبة ، فانه سيلفى نفسه أنه مازال يحبو على أول الطريق ، ويصعد أول الدرجات .

وبهذا المعنى هتف معلم البشرية وامام الرسل صلوات الله وسلامه عليه :
« لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل » أصحاب السنن ، وإذا سار الانسان في هذا الطريق المنير ، وانتظم في هذا العقد الوضيء ، وأفاض الله عليه ، فيجب أن يسخر كل هذا لغاية واحدة ، ومقصد واحد ، وهو رضا الله وخدمة الانسانية ، وحل مشاكلها ، لأن شعار المسلم هو أنه يجب ان يسخر كل شيء في حياته لخدمة عقيدته وإعلائها والسمو بها ، لأن العقيدة اذا طارت من دنيا الوجود الانساني فان الموازين ستختل ، والمعايير ستفسد ، والمقاييس ستضطرب ، وستتحول الحياة الى غابة حيوانية ، يأكل قويها ضعيفها ، ويستعبد كبيرها صغيرها بدون رادع او وازع .
وجاء مصداقا لهذا قول الرسول الأعظم .
« إذا طلع علي يوم لم أزدد فيه علما يقربني من ربي ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » الطبراني .
ولم كل هذا ؟ أليس العلم عبادة من العبادات بل هو أعظم العبادات شأنا ؟ ألم يقل الرسول محمد : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » الترمذي .
« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » ابن ماجة ..
و إذا كان الأمر كذلك فيجب أن نتوجه بهذه العبادة لله ربنا ، نقصده وحده ، ونضعه نصب أعيننا حتى لا نضل او نزيغ . ومعنى توجهنا اليه بهذا العلم ، أننا نستغله في المجالات التي ترضيه سبحانه وهي كل ميادين النفع العام والخير الشامل للانسانية قاطبة .

وما أجل الرسول وما أروعه !!! عندما صدع بمبدأ الخشية والمراقبة الذي لا مناص من أن يلتزمه الانسان في مسيرته العلمية .. وذلك في قول الرسول الجليل عليه الصلوات « يقربني من ربي » انظروا !! هل تبصرون هذا المعيار النبوي السديد الذي ضبط به محمد قضايا العلم ونظرياته ؟ هل تدركون مدى سموه وجلاله ؟ ان الانسانية في قفزاتها العلمية ، اذا لم تعتصم بهذا المبدأ ،

ولم تأو الى ذاك الحصن ، فكل حصادها سيتحول الى هشيم تذروه الرياح . ذلك لانه فقد العاصم الذي يعصمه ، والحامي الذي يحميه ، فيتبدد ويتلاشى في جحيم الحياة البعيدة عن الله ، وأتونها المستعر المشبوب .. ان العلم في مدرسة القرآن .. فكر وتأمل ونظر عابد ، وقلب خاشع ، واستغلال نافع لنواميس الكون وأسرار الوجود ، وتحليق وصعود ليستشرف الانسان بنفسه عوالم الجمال والجلال ويتساوق مع كائنات الله في سبحاتها الطهور ويتجاوب معها وهي تسبح لخالقها ، وتشهد له بالوحدانية والصمدانية ، والديمومة والهيمنة والاستعلاء .

(وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء / ٤٤ .

وقد يثب الى ذهنك سؤال : ما مدى نظرة القرآن إلى العلم ؟ وهل باين في نظرته بين علوم الدين والدنيا ؟

ونقول لك يا أخانا القارىء الكريم ، معاذ حضارة القرآن الرائدة أن تنكمش وتتقاصر فلا تحوي في ساحتها العريضة المديدة علوم الدين والدنيا معا .

إن القرآن جاءنا بالدين ، ولكن ليصلح به الحياة ، ويقوم معوجها ، ويؤسس به حضارة يرضاها ربنا ، ويشيد بسلطانه مدنية تنهض بأمتنا ..

فحاشاه ثم حاشاه بعد ذلك ، أن يعيش في عزلة ، أو ينسحب من الميدان ، أو يتقوقع في إطار ذاتي جامد .. أو يفر من مواجهة الحياة بتياراتها الدافقة ومدها الزاحف .

وأي كتاب غير القرآن يا أخي : ربط الانسان بالكون ، وأقام بينهما صلة وطيدة لا تبلى ولا تفنى .. بعد ان كان خليفة الله لا يتجاسر على التأمل فيه ..؟

ان نظرة واحدة تطلعك على أن القرآن كتاب الحياة الصادق ، الذي لا يعرف الزيف او التمويه أو قلب الحقائق .

وها هو ذا الكتاب المبين بين أيدينا ، نتحدى أي إنسان يأتينا ولو بآية واحدة تدل من قريب او بعيد على التفريق بين علوم الدين والدنيا .

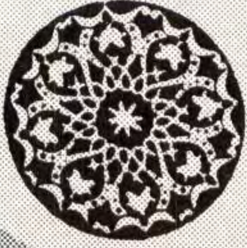
وإذا كان القرآن أتى لينبذ الحياة ، ويقيم بينها وبين أتباعه عداء ، فلماذا يقول لأتباعه :

(كنتم خير امة أخرجت للناس) آل عمران / ١١٠ .

إن الزعم بأن القرآن فصل بين الدين والدنيا ، فرية ظالمة كذوب ، روج لها أدعياء الثقافة وجهلة العلم .

وكذا الزعم بأن كتاب الله يعزل علوم الدين عن علوم الدنيا ، تخرص أفاك لا يصدر إلا من إنسان متهافت ضحل في فكره .

إن القرآن دين ودولة ، مصحف وسيف ، عبادة وسياسة ، دنيا وآخرة علم ومعرفة ، ثقافة وعمران ، حضارة ومدنية ، تقدم وارتقاء .



القضاء في



للدكتور : محمد زكي عبدالبر

يكثر الكاتبون والمتحدثون الكلام عن عظمة القضاء الانجليزي وغيره من القضاء الأجنبي . ولسنا نريد الغض من شأن هذا القضاء ، ولكنا نلفت النظر إلى أنه كان في الدولة الاسلامية قضاء سام عزيز منيع يسمو على القضاء الأجنبي الذي يفتخر به أهله ، ولكنا نسيناه أو أهملناه بفعل تأثرنا بالأجانب وانسياقنا وراءهم . وقد مد هذا القضاء الاسلامي وارف عدله على كل من أظلتهم سماء الدولة الاسلامية ، لم يخش حاكما ولم يظلم ذميا ولا ضعيفا ، وإنما سار في قوة وأمانة ، على كتاب الله وسنة رسوله ، يخط في معترك الحياة سبيل العدل والاستقامة ، وقد آن لنا في مرحلة اليقظة التي تجتازها الآن أمتنا أن نلتفت إلى تاريخنا ومنه القضاء . وفيما يلي كلمة موجزة عنه مقصود بها مجرد لفت النظر إلى تراثنا على ما تقدم .

كان هناك ثلاثة انواع من القضاء : ١ ـ القضاء العادي . ٢ ـ قضاء المظالم . ٣ ـ الحسبة ونتكلم على كل فيما يلي :

١ ـ القضاء العادي

في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو الذي يتولى الفصل في الخصومات . ولما عين ولاة على بعض البلاد عهد الى هؤلاء الولاة بالقضاء أيضا . فعهد به الى معاذ بن جبل حين جعله واليا على اليمن والى عتاب بن أسيد حين نصبه واليا على مكة ـ فكانا يقضيان بين الناس في الخصومات ولما انتشر الاسلام اذن عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ولبعض آخر بالفتيا . وكان المرجع في القضاء والفتيا القرآن الكريم والسنة النبوية .

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه كان هو القاضي في المدينة ، وكان ولاته في الأمصار هم القضاة . ثم أسند القضاء إلى عمر بن الخطاب ولكنه لم يلقب في عهد أبي بكر بالقاضي .

وفي عهد عمر رضي الله عنه انتشر الاسلام واتصل العرب بغيرهم فدعت الحاجة إلى وضع نظام جديد يقوم على الفصل بين الولاية والقضاء وتعيين قضاة غير الولاة ينوبون عن الخليفة في الفصل بين الناس في الخصومات وفقا للقرآن والسنة والاجماع والقياس . وكان عمر رضي الله عنه أول من عين القضاة فولى أبا الدرداء قضاء المدينة وشريحا قضاء الكوفة وأبا موسى الأشعري قضاء البصرة وعثمان بن قيس بن أبي العاص قضاء مصر . وروى أن عمر في آخر

عهده قال ليزيد بن أخت النمر : اكفني بعض الأمور (يعني صغارها) ورد عني الناس في الدرهم والدرهمين .

ففي عهد الخلفاء الراشدين كان القاضي يفصل في الخصومات المدنية أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار . وكذلك كانت العقوبات التأديبية تصدر من الخليفة أو عامله . وعلى العموم فقد كان الخليفة يحدد للقاضي ولايته .

وفي عهد بني أمية ظل القضاء على ما كان عليه أيام الخلفاء الراشدين . وكان القاضي يقضي بالقرآن والسنة وفقا لاجتهاده إذ لم تكن المذاهب الفقهية قد ظهرت بعد . ولكن يلاحظ ان الاحاديث النبوية كانت محل جدل كبير بين الفقهاء والمحدثين ونقدة الحديث .

وفي العصر العباسي الأول الذي يبدأ بسنة ١٣٢هـ ظهرت المذاهب الفقهية : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرها . وجمع الحديث في ستة مصنفات هي - باجماع المسلمين - اصح الكتب بعد كتاب الله ولذلك أطلق عليها « الصحاح » وأصحابها هم : البخاري (٢٥٦هـ) ومسلم (٢٦١هـ) وابن ماجة (٢٧٣هـ) والترمذي (٢٧٣هـ) وابو داود (٢٧٥هـ) والنسائي (٣٠٣ هـ) . وضعفت روح الاجتهاد واصبح القاضي ملزما باصدار أحكامه وفق أحد المذاهب السابقة ففي العراق كان القاضي يحكم وفق مذهب أبي حنيفة . وفي الشام والمغرب وفق مذهب مالك وفي مصر وفق مذهب الشافعي . واذا كان الخصمان من غير المذهب الشائع في بلد ما أناب القاضي عنه قاضيا على مذهبهما . وقد أخذ العباسيون عن الفرس نظام « قاضي القضاة » وكان يقيم في حاضرة الدولة ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار . وأول من لقب بهذا اللقب أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) صاحب أبي حنيفة وصاحب كتاب « الخراج » في عهد هارون الرشيد. وكان قاضي القضاة في الاندلس يسمى « قاضي الجماعة » وفي هذا العصر اتسعت ولاية القاضي فبعد أن كان ينظر في الخصومات المدنية والجنائية أصبح يفصل في الدعاوي والأوقاف وتنصيب الأوصياء . وقد يضاف إليه الشرطة والمظالم والقصاص والحسبة ودار الضرب وبيت المال . وفي هذا العصر بعد أن كان لكل ولاية قاض أصبح في كل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة فصار يولي القضاء أربعة يمثلون المذاهب الاربعة ، ينظر كل منهم في النزاع الذي ينشب بين أتباع مذهبه وفي ذلك يقول السيوطي . « كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت حكمهم ، ثم يستنيب القاضي من تحت أمره من يشاء في كل اقليم وفي كل بلد ولهذا كان يلقب « قاضي القضاة » ولا يلقب الا من هو بهذه الصفة ومن عداه بالقاضي فقط وقاضي بلد كذا . وأما الآن فصار في البلد

الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب « قاضي القضاة » .

وفي العصر العباسي الثاني لم يقتصر الفساد على حالة الدولة المدنية والحربية بل امتد إلى القضاة . وكان القاضي يصدر حكمه وتتولى السلطة تنفيذ هذا الحكم .

ويلاحظ أنه في عهد بني أمية لم يكن القضاة متأثرين بالسياسة بل كانوا مستقلين في أحكامهم لا يتأثرون بميول الحاكمين ، وكانوا مطلقي التصرف وكلمتهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج وكان القاضي كما كان في عهد الخلفاء الراشدين رجلا عفيفا ورعا تقيا عالما مجتهدا سالما من العيوب لا تأخذه في الحق لومة لائم . اما في عهد بني العباس فقد تأثر القضاة بالسياسة لأن الخلفاء العباسيين كانوا يريدون إكساب أعمالهم صبغة الشرعية فعملوا على حمل القضاة على السير وفق رغباتهم في الحكم حتى امتنع كثير من الفقهاء عن تولي القضاء ومنهم أبو حنيفة .

٢ ـ قضاء المظالم

أنشيء هذا القضاء لوقف تعدي ذوى الجاه والحسب فكانت تعرض على قاضي المظالم القضايا إذا عجز القاضي عن تنفيذ حكمه في قضية رجل من ذوى النفوذ والجاه أو لجأ إليه المتقاضيان لاعتقادهما أن القاضي لم يحكم بينهما بالعدل . ولذلك كان يتولى النظر في المظالم رجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم « قاضي المظالم » .

ولم يجلس للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين إلا عليا رضي الله عنه فانه كان ينظر في مشكلة من يأتيه من المتظلمين ويعمل على إنصافه ولكنه لم يعين يوما معينا أو ساعة معينة لذلك .

وكان عبدالملك بن مروان أول من جلس من الخلفاء للنظر في ظلامات الناس . وقد أفرد يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين وإذا استعصى عليه مشكل رده إلى قاضيه ابن ادريس الأزدي فكان ابن ادريس هو المباشر وعبدالله هو الآمر . وكان يحضر مجلسه الفقهاء ليرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية .

ويدخل في ولاية قاضي المظالم :

١ ـ النظر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة .

٢ ـ جور العمال فيما يجبونه من الأموال فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها وينظر فيما استزادوه فان رفعوه إلى بيت المال أمر برده وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه .

٣ ـ كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه له ويوفون منه فيتصفح أحوال ما وكل إليهم فان عدلوا بحق ، من دخل أو خرج ، الى زيادة أو نقصان اعاده الى قوانينه .

وهذه البنود الثلاثة المتقدمة لا

يحتاج والي المظالم في تصفحها إلى متظلم .
٤ ـ تظلم المرتزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم وإجحاف النظر بهم فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل فيجريه عليهم وينظر فيما نقصوه أو منعوه من قبل فان اخذه ولاة أمورهم استرجع منهم وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال .
٥ ـ رد الغصوب وهو ضربان :
أ ـ احدهما غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها إما لرغبة فيها وإما لتعد على أهلها ـ فهذا إن علم به والي المظالم عند تصفح الأمور ، أمر برده قبل التظلم إليه ، وإن لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه .
ب ـ والثاني الغصوب التي تغلب عليها ذوو الأيدي القوية وتصرفوا فيها تصرف الملاك بالقهر والغلبة وهذا موقوف على تظلم أربابه ولا ينتزع من يد غاصبه إلا بأحد أمور أربعة هي :
١ ـ اعتراف الغاصب وإقراره .
٢ ـ علم والي المظالم فيجوز له أن يحكم عليه بعلمه . ٣ ـ بينة تشهد على الغاصب بغصبه أو تشهد للمغصوب منه بملكه . ٤ ـ تظاهر الأخبار الذي ينفي عنها التواطؤ ولا يختلج فيها الشكوك لأنه لما جاز للشهود أن يشهدوا في الأملاك بتظاهر الأخبار كان حكم ولاة المظالم بذلك أحق .
٦ ـ مشارفة الوقوف (جمع وقف) وهي ضربان : عامة وخاصة .
ـ فأما العامة فيبدأ بتصفحها وإن لم يكن فيها متظلم ليجريها على سبيلها ويمضيها على شروط واقفها إذا عرفها .
ـ وأما الخاصة فان نظره فيها موقوف على تظلم أهلها عند التنازع فيها لوقفها على خصوم متعينين فيعمل عند التشاجر فيها على ما تثبت به الحقوق عند الحاكم .
ـ تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه من احكام .
ـ النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة كالمجاهر بالمنكر ضعف عن دفعه والتعدي في طريق عجز عن منعه .
ـ مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد .
ـ النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين ، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه .

٣ ـ الحسبة

الحسبة نظام يدور اساسا حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت وظيفة المحتسب هي النظر فيما يتعلق بالنظام العام وغيره مما يستدعى الفصل فيه السرعة .
فوظيفة المحتسب كانت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على الآداب العامة وعلى الفضيلة والأمانة فكان :
ـ ينظر في مراعاة أحكام الشرع
ـ يشرف على نظام الأسواق
ـ يحول دون بروز الحوانيت مما يعوق نظام المرور

ـ استيفاء الديون
ـ الكشف على الموازين والمكاييل .
وكان لها دار خاصة فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم فيعايرها فان وجد فيها خللا صادرها وألزم صاحبها شراء غيرها أو أمره باصلاحها .

وكان عمر أول من وضع نظام الحسبة وكان يقوم بعمل المحتسب بنفسه فقد رؤى مرة يضرب جمالا ويقول له : حملت جملك ما لا يطيق .

وكان القضاء والحسبة يسندان في بعض الأحيان إلى رجل واحد مع ما بين العملين من تباين فعمل القاضي مبني على التحقيق والأناة في الحكم ، وعمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل .

فالقضاء في الدولة الاسلامية كان يقوم به في البداءة ولي الأمر إذ ولى الأمر في الاسلام يجمع ، بتعبيرنا الحاضر ، السلطتين التنفيذية والقضائية أما التشريع فهو لله سبحانه وتعالى : « **إن الحكم الا لله** » وايضا سنة رسوله واجماع المسلمين . ولما بدأت مشاغل ولي الأمر تكثر وتتعقد اخذ يولي غيره في بعض واجباته حسب الظروف . ومعروف انه مما يلتزم به ولي الأمر في الاسلام حفظ الدين وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين وإقامة الحدود ، ففوض غيره في بعض ذلك فكان هناك القضاء العادي وقضاء المظالم والحسبة .

وقد تبين أن هذه الأنواع من القضاء ليست أقساما مستقلة بعضها عن بعض بل هي متداخلة إذ كان يتصل بالقضاء في الاسلام الأخذ على يد الظالم (المظالم) كما كان يتصل به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) حتى انه كان يولي أحيانا شخص واحد أمرين منها ويجوز لوالي المظالم أن يحكم في الدعوى بدلا من القاضي مما يجعل من الصعب القول بأنه كان بين متولي هذه الأنواع ما بين الجهات القضائية بمعناها الآن من الاستقلال ، ولعل الأصدق ان يقال إنه كان تقسيم تعاون وتضافر لا قسمة اختصاصات وخصوصا وأن المتولين لهذه الأنواع الثلاثة كانوا بمثابة الوكلاء عن شخص واحد هو صاحب السلطة جميعا ، وهو ولي الأمر ، فهو يشبه من حيث طبيعة التقسيم ـ تقسيم العمل بين أعضاء النيابة العامة مع نيابتهم جميعا عن النائب العام في النظم الحالية .

ولا شك في أن هذا التنظيم يدل على حرص الدولة الاسلامية على حسن سير الامور فيها بوضع نظام مناسب لعصره . لا يغض من ذلك ان هذا النظام يحتاج ـ في العصر الحاضر ـ الى نظرة بقصد تحديد الولايات بحيث لا يكون هناك تداخل ، وتنظيم أدق برعاية السلطة القضائية وعدم التداخل بينها وبين السلطة التنفيذية .

والله المستعان ،



لقد كان لكم
في
رسول الله
أسوة حسنة

للاستاذ : محمود منسي

سار الرسول صلوات الله وسلامه عليه في طريقه يدعو الناس الى الله بعد الأحداث التي مرت بساحة المسلمين ، ولم يلتفت الى ما كان يدبره أعداء دين الله ، إن مكائدهم — وقد أعطاه الله البصيرة النافذة — لا تلبث أن تزول وأن تذوب امام زحف الاسلام ، فما ينفع الناس يمكث في الأرض ، واما الزبد فيذهب ولا يبقى ، ولو حاول الناس ما استطاعوا الى ما يريدون سبيلا أو الى ما يبتغون طريقا .

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد مكنوا للايمان في نفوسهم كانوا نعم العون للرسول ، وكانوا مثل هداية وشجاعة واصرار على الحق ، لا تستطيع قوة مهما بلغت من العنف والطغيان أن تزحزحهم عن أماكنهم ، أو تجعلهم يحيدون عن طريقهم الذي رسمه لهم دينهم الذي جاءهم من عند الله ، بعد أن ضلوا وضل أسلافهم مئات القرون في عماية الجهل والضلال .. فقد قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في السنة الثالثة من الهجرة ، رهط من قبيلتي عضل والقارة فقالوا : يارسول الله ، إن فينا اسلاما ، فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام وهم : مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب ابن عدى ، وزيد بن الدثنه ، وعبدالله ابن طارق ، كانوا ستة من الصحابة ، وجعل أميرهم أولهم وهو مرثد بن أبي مرثد — رضي الله عنهم أجمعين —

وخرجوا مع القوم ، يبتغون وجه الله ، وتركوا أهلهم وديارهم في سبيل دينهم حتى إذا كانوا على الرجيع — والرجيع مكان به ماء لقبيلة هذيل في الحجاز — حاولوا الغدر بهم ، وأدرك الصحابة المكيدة ، والشرك الذي وقعوا فيه ، فاستلوا أسيافهم واستعدوا للقتال ، وعندما رأى القوم منهم هذا الاصرار ، قالوا لهم انا والله ما نريد قتلكم أو القضاء عليكم ، ولكننا نريد أن نأخذكم الى أهل مكة لنصيب بكم شيئا من مال أو متاع مقابل تسليمكم إليهم — وهم أهل لكم — وهنا تظهر شجاعة المسلم ، فقد قال مرثد بن أبي مرثد وتابعه خالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت : والله لا نقبل من مشرك مخادع عهدا ولا عقدا أبدا وأنشد عاصم :

ما علمي وأنا جلد نابل
والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل
الموت حق ، والحياة باطل
وكل ما حم الاله نازل
بالمرء والمرء اليه آئل

ثم قاتلوا القوم حتى قتل مرثد وصاحباه خالد وعاصم .. ومن الطريف انه عندما قتل عاصم ، أرادت « هنيل » ان تأخذ رأسه لتبيعها الى سلافة بنت سعد ، وكانت قد نذرت حين اصاب عاصم ابنيها في احد ، لئن استطاعت أن تحصل على رأس عاصم لتشربن الخمر فيها ، وحاول رجل من هذيل أن يحمل رأس عاصم اليها ، وإذ هو في طريقه خرجت عليه أسراب من النحل في الطريق ، ومنعته من الوصول ، وضاعت منه رأس عاصم أو أعماه الله عنها .. وكان عاصم قد أعطى الله عهدا ألا يمسه مشرك أو يمس مشركا أبدا ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه ما حدث : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم قد نذر ألا يمس مشركا في حياته ، فمنعه الله وحفظه بعد مماته ، كما حفظه في حياته .

وأما الثلاثة الذين لم يقتلوا وهم : زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ، فقد أسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، ولكن عبدالله بن طارق استطاع أن يفك نفسه من حبال قيده ، ولكنهم تابعوه وقتلوه رميا بالحجارة ، فقبره هناك في الظهران رحمه الله رحمة واسعة ، وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما الى مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فاشترى خبيبا حجير بن أبي أهاب وسلمه لعقبة بن الحارث ليقتله بأبيه الحارث – وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وقد شهدت قريش كلها مقتل زيد بن الدثنة عندما خرج به صفوان إلى التنعيم بأرباض مكة ليقتص منه .. وبعث به صفوان مع مولى له يقال له « نسطاس » إلى التنعيم ، وأخرجوه هناك ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش فيهم سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين تقدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن يكون محمد في مكانك ، وأن تكون الآن بين أهلك هنا – ويقصد أبو سفيان من قوله هذا ان يعرف رأي زيد في محمد ومدى حبه له ، بعد أن صار إلى هذه الميتة بسبب إسلامه – فقال زيد والله ما أحب أن يصاب رسول الله بالأذى ، ولو كانت شوكة تؤذيه – قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب غيره كحب أصحاب محمد لمحمد .. ثم قتله نسطاس يرحمه الله ، أما خبيب فتقول ماوية مولاة حجير بن أبي اهاب – وكانت قد أسلمت – قالت :

كان خبيب عندي ، وحبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوما ، وفي يده قطف من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، قال لي حين حضره القتل : ياأمة الله ، ابعثي إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، فأعطيت غلاما من الحي الموسى ثم قلت له : ادخل بها على الرجل البيت .. قالت : فأخذها الغلام وأسرع بها إليه ، ثم إنني لمت

نفسي على هذا الفعل ، فماذا يكون من أمري إذا اقتص من الغلام وقتله واقتص لنفسه قبل موته .. فلما ناوله الموسى أخذهـا من يده ثم قال : لعمرك ، أما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الموسى إلي ؟ ثم أخلى سبيله .

ثم خرجوا بخبيب ، كما خرجوا بزيد قبله إلى التنعيم بحضور رجالات قريش فقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا .. قالوا دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : إنا والله لولا أن تظنوا أنني أطلت جزعا من الموت والقتل لاستكثرت من الصلاة ، فكان خبيب ابن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

ثم رفعوه على خشبة وأوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله .

يقول معاوية بن أبي سفيان بعد أن دخل في الاسلام : لقد حضرت خبيبا حين اقتص منه أهل مكة ، وكان في جملة الحاضرين أبو سفيان ، فرأيته يلقيني على الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه ونام على جنبه لم يلحقه الأذى .

وكان سعيد بن عامر رضي الله عنه عاملا لعمر بن الخطاب على بعض بلاد الشام ، فكانت تصيبه غشية فيقع وهو جالس أو سائر بين الناس ، فذكر الناس هذا لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فقال عندما سأله عمر لما قدم عليه : ياسعيد ، ما هذا الذي يصيبك ، ويلم بك ؟

فقال سعيد : والله ياأمير المؤمنين ، وياصاحب رسول الله ، ما بي من بأس ، ولكني كنت ممن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي ، أو تذكرتها وأنا في مجلس من المجالس إلا غشى علي .

قال ابن عباس : لما أصيب مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذي هلكوا هكذا ، فلا هم قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم أي المنافقين قوله تعالى : **(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا)** أي يتظاهر بالاسلام وقلبه ملئ بالنفاق ... **(ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)** البقرة/ ٢٠٤ . وهو أشد الناس كرها للاسلام وإن حاول أن يخفي ما في نفسه ، ويحاول تغطية هذا بالجدال والمحاجة ، ويقول حسان بن ثابت راثيا خبيبا من قصيدة طويلة نجتزئ منها :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا
لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الجور في الرفق

وهكذا لم تكن الأرض التي سار عليها الاسلام مفروشة بالزهور والورود ، بل انها كانت في كثير من الأوقات ملأى بالأشواك ، وتكتنفها الصخور والجنادل ، وما أصحاب الدين الذين تحدثنا عنهم في الحديث السابق إلا مثالا من الأمثلة الهينة الدالة على صدق هذه الدعوة ، وصحة هذا القول ، فهذا شأن الناس دائما ، فالف الأمور وتعودها يجعل منها ركائز ثابتة في حياتهم ، ومحاور لفكرهم لا يخرجون عن سلطانها ولا يحيدون عن دورانها ولا يستطيعون منها فكاكا وان أرادوا ، لقد كان كثير من الكفار يعرفون أن رسالة السماء وما جاءت به هو الحق ، ولكنهم غير قادرين على الخروج على عاداتهم وما ألفوه في حياتهم ولا يقتصر الأمر عند حد الوقوف موقفا لا يتقبلون فيه الجديد ، ولكنهم يحاولون طمسه والعدوان عليه ، ومن ذلك ما حدث عند بئر معونة بعد ثلاثة أو أربعة أشهر من أحد ، فقد قدم أبو براء عامر بن جعفر ـ ملاعب الأسنة ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة ، فعرض عليه الدخول في الاسلام ودعاه إليه ، فلم يرفض وإنما قال :

لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد ، فدعوا الناس هناك إلى دينك رجوت أن يستجيبوا لك .. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إني أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فاختار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنذر بن عمرو ـ أخا بني ساعدة ـ مع أربعين رجلا من خيرة أصحابه فمنهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة ابن أسماء ، ونافع بن بديل بن ورقاء ، وعامر بن فهيرة مولي أبي بكر الصديق وغيرهم من رجال مشهود لهم بالسبق في الاسلام ، فساروا حتى نزلوا بأرض تسمى بئر معونة ، وهي بين مضارب بني عامر ، وبين بني سليم ـ فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ينظر حتى يقرأه بل قتله قبل أن يفض خطابه ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبو أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا :

إن أبا براء ـ ملاعب الأسنة قد عقد لهم عقدا وجوارا وانا لن ننقض عهده معهم ، فاستصرخ عليهم بني سليم فأجابوه إلى ذلك .. وخرجوا حتى أحاطوا بصحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستعدوا لقتالهم ، ودارت معركة غير متكافئة انتهت بقتل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق ، وعاش حتى قتل في غزوة الخندق ومات شهيدا .

وتصادف أن كان قريبا من المكان عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، فرأوا طيورا تحوم على

موضع من الأرض فقالا : لا شك أن لهذه شأنا ، ثم انطلقا حيث تحلق الطيور ، فوجدا أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تسربلوا بدمائهم قد لحقوا بأهل الشهادة ، واستقر رأيهما على اللحاق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليخبراه بما رأياه ، ولكن لحقهما عامر بن الطفيل ، ورجاله ، فهرب الأنصاري ولكن عمرو بن أمية وقع أسيرا ، فلما أخبرهم أنهما من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته ، واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

وسار عمرو بن أمية بعدها حتى إذا نزل بمكان في الطريق نزل به رجلان ، ولما سألهما عرف أنهما من بني عامر ، فتحين الفرصة وقتلهما ، وهو لا يعلم أن بين بني عامر ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهدا ، وهو يرى أنه قد أخذ ببعض ثأر المسلمين بفعلته هذه ، فلما قدم عمرو ابن أمية على الرسول ، وأعلمه الخبر قال له : ياعمرو ، لقد قتلت اثنين قد عاهدناهما ، وعلينا ديتهما ، ولما بلغ أبو براء ما حدث ، شق عليه إخفار عامر بن الطفيل له ، واستعانته ببني سليم للقضاء على صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بني النضير : « يستعينهم في دية هذين الرجلين اللذين قتلا من بني عامر ، وقد قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، وكان أيضا بين بني النضير وبين بني عامر حلف وعهد فلما أتاهم قالوا : نعم ياأبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، وما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إن هذه فرصة مواتية ، فمن يجلس إلى جنب جدار من جدرنا ، فما علينا إلا أن يقوم رجل منا فيلقي حجرا على رأسه فيموت لساعته ، وبذلك يأمن اليهود على أنفسهم بعده ، ويريحنا منه .. وانتدبوا لهذا العمل عمرو بن حماش بن كعب ـ أحدهم ـ فقال : أنا لذلك .

فصعد ليلقي عليه الصخرة ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نفر من أصحابه ، وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ

فعلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أتاه الخبر من السماء بما يدبر من خلف ظهره ، فقام على الفور ورجع صلى الله عليه وسلم ـ ومن كان معه ، ولما سأله أصحابه عن الأسباب التي دفعته على القيام ومغادرة المكان ، فأخبرهم الخبر ، وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتهيؤ لهم والسير إليهم ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه بالحصون .

وأرسل المنافقون وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول ـ زعيم المنافقين ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، أرسلوا إلى بني النضير يقولون لهم مشجعين : اثبتوا وتمنعوا ، فانا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم

خرجنا معكم ، ولكنهم خافوا مغبة فعلهم وفشلوا في محاولة نصرتهم ، وقذف الله في قلوب بني النضير الرعب ، وسألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجليهم وأن يكف عنهم وعن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الابل إلا السلاح ، فقبل ، وخرجوا من ديارهم يحملون أموالهم ومتاعهم بقدر ما استطاعت الابل أن تحمل ، ثم خرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى بلاد الشام .

يقول ابن هشام ، إن عبدالله بن بكر قال : إنهم خرجوا بالنساء والأموال والأولاد ، معهم المزامير والدفوف وما بقى من الأموال وضعت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليضعها في بيت مال المسلمين ، ثم قسمت على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف ، وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونزلت في بني النضير آيات بينات من سورة الحشر ، يذكر فيها ما أصابهم من نقمة الله عز وجل ، وما سلط عليهم من العذاب فقال تعالى :

(هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار) الحشر/٢ ، هذه بعض صور مما لاقاه المسلمون على أيدي أعداء الاسلام من المنافقين واليهود وغيرهم ، النين وقفوا من النور موقف المعاند المعارض ، الذي يرى الحق بعينيه ، ويسمعه بأذنيه ، ويمحصه بعقله ، ولكنه يأبى أن يستجيب لداعي الحق كبرا وعنادا وصلفا واستعلاء ، وكم في حياة الناس من هؤلاء من يرون الحق ولكنهم ينكرونه ، ومن يسمعون دعوته ولكنهم يضعون أصابعهم في آذانهم ، ويستكبرون استكبارا ، ولكن النصر يأتي في أعقاب الهزيمة ، والنجاح الذي يأتي في أعقاب كل عمل مخلص يقصد به وجه الله إنما هو من أعظم الأعمال أجرا ، وأرفعها قدرا عند رب العالمين ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

لم يكن ممكنا والحال هكذا أن يتوقف القتال ، أو يهدأ الطرفان ، فالدين القادم من السماء قوة تحاول الانطلاق بما تحمل من مبادئ وقيم ومثل ونظم فيها صلاح للبشر في حياتهم ومماتهم ، ودنياهم وأخراهم ، أما العبادة القديمة فهي قائمة على الوهم ، ولا بد لها أن تصارع لتبقى فهذه سنة الحياة ، فان الفناء فكرة لا تتقبلها الحياة إلا مرغمة ، ولا تستسيغها إلا مكرهة ، مهما كان نوع هذه الحياة ، حتى لو كانت طفيلية لاقيمة لها ولا وزن .. فما بين السنة الثالثة والخامسة للهجرة حدثت حوادث وغزوات صغيرة متفرقة ، كغزوة بدر الآخرة ، والتي لم يحدث فيها قتال أو لقاء ، لأن أبا

سفيان كان قد قال مقالة عقب خروجه من ميدان أحد ، وهي : موعدنا معكم العام المقبل ، ورد عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقبول للقاء ، في نفس الموعد ، فخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بارا بوعده ، وبقى هناك أياما ، رغم أن أبا سفيان وقريشا لم يبرا بوعدهما ..

وكذلك غزوة ذات الرقاع في غطفان ، ولم تحدث بها حرب كذلك ، كما قام الرسول — صلى الله عليه وسلم — بغزو دومة الجندل ، ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، وهي موطن حديثنا اليوم ، والتي سوف يتضح منها أنها كانت قمة لتلاحم أئمة الكفر والمنافقين واليهود للوقوف في وجه الدين الجديد ، والنور الوليد ..

فقد اجتمع نفر من زعماء اليهود ، منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبى الحقيق النضري وغيرهم من بني النضير وبني وائل ، وقاموا بتحزيب الأحزاب وتجميعهم ، فقد خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ودعوهم إلى حرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأكدوا لهم أنهم سيكونون في مقدمة هؤلاء المحاربين بعد مالقوا من محمد ، وقالوا : إنا سنكون معكم حتى نستأصله فأجابتهم قريش أو أجابهم سادتها بأن قالوا : يامعشر اليهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، وأنتم تعلمون أننا نختلف مع محمد ، وأن ديننا يختلف مع دينه ، فمن على حق منا ، أهو أم نحن ؟ فقال لهم زعماء اليهود : بل أنتم على حق ، ودينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ..

ولما سمعت قريش ، أو سمع زعماء قريش مقالة اليهود سرهم ماسمعوا ، ونشطوا وخفوا وتسارعوا إلى دعوة رءوس اليهود لقتال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وترك زعماء اليهود مكة وانطلقوا إلى غيرها يؤلبون الكفار والمنافقين على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعلى دينه الجديد ، ويبينون لهم الأخطار التي ستحيق بزعامتهم إذا هم لم يقاتلوا محمدا وينتصروا عليه ، فذهبوا إلى غطفان ، وقالوا لهم ما قالوه لزعماء قريش ، ولم يخرجوا من ديارهم إلا وغطفان قد انضمت لجموعهم ، واستعدت لحرب المسلمين والقضاء عليهم ، وعلى الدين الجديد ، وذهبوا إلى فزارة ، وبني مر وغيرهم ، فخرجت قريش يقودها ويحمل لواءها أبو سفيان بن حرب ، كما خرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن ، وخرجت بني مرة يقودها الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى في بني مرة ، ومسعر بن رحيلة فيمن تابعه من أشجع ، خرجت هذه الجموع التي بلغت عشرة آلاف مقاتل ، يملكون عدد الحرب والقتال ، ومعهم مايحتاجونه من الطعام والزاد لمدة طويلة ..

ولما بلغ الخبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جمع أصحابه واستشارهم ، واستقر رأيه ورأيهم على حفر خندق حول المدينة — وكان اقتراحا من رجل فارسي مسلم ، هو

سلمان الفارسي – رضى الله عنه – وأجمعوا أمرهم على مباشرة الحفر على الفور ، حتى لا تسبقهم أحزاب الكفر في الوصول إلى المدينة ودخولها ، وهنا ظهرت المساواة بين الناس في حفر هذا الخندق ، فقد أشترك في حفره جميع المسلمين وفيهم الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – فقد كان يشارك في الحفر بيديه الكريمتين كأقل رجل في المسلمين ، ولكن المنافقين اتضح موقفهم ، فهم لا يرفعون رءوسهم إلا في مثل هذه الظروف العصيبة ، وأخذوا يتباطئون في عملهم ، ويعتذرون بالضعف وعدم القدرة على تحمل مشقة العمل ، ويتسللون إلى أهليهم بغير إذن أو علم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الوقت الذي كان لا يستطيع فيه أحد من المسلمين أن يترك مكانه حتى لقضاء حاجته الا باذن من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيأذن له ، ويعود بعدها ، رغبة في الخير واحتسابا في الأجر . يقول سبحانه وتعالى :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) النور /٦٢

وقال تعالى في المنافقين : **(قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** النور /٦٣

وعندما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون من حفر الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم من بني كنانة وأهل تهامة كما أشرنا من قبل ، وكانت فيهم غطفان ومن تابعها من أهل نجد ، ونزلت بجانب أحد ..

وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وعسكر خلف الخندق ، أما النساء والأطفال فقد أودعوهم حصون المدينة ..

وأخذت الفتنة تلعب بقرونها ، وحاول – عدو الله – حيى بن أخطب النضرى أن يغرى كعب بن أسد زعيم بني قريظة ، وكان قد وادع – رسول الله صلى الله عليه وسلم – وعاهده ، فلما جاءه حيى بن أخطب يطرق بابه قال له : اذهب عني فأنت رجل مشئوم .

ولكن هذا لم يثن حيى بن أخطب فقد كان داهية في المكر والخديعة ، والقدرة على إقناع الناس بما يريد ، وظل ينادي كعب بن أسد زعيم بني قريظة ، ويتوسل إليه حتى فتح بابه له ، فقال : تغلق بابك دوني وقد أتيتك بالخير وعز الدهر ، جئت بجيش لا قبل لمحمد به ، ولن يستطيع أن يصمد في وجهه مهما حاول ، لقد جئتك بقريش وقادتها وذوى الرأي والبطش وأصحاب الثراء والمال فيها حتى أنزلتهم هناك بمجتمع الأسيال من رومة – مكان يسمى بهذا الاسم ،

وهو الذي عسكرت فيه قريش .
وجئتك بغطفان ومعها سادتها وأرباب الرأي والشرف فيها ، وأنزلتهم إلى جانب أحد ، لقد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبارحوا هذا المكان حتى يستأصلوا شوكة محمد ، وينهوا الأمر فيعود إلينا سلطاننا وحياتنا التي ألفناها .

ولكن كعب بن أسد القريظي قال له : جئتني والله بذل الدهر ، وبسحاب جهام لا ماء فيه ولا خير ، فهو يبرق ويرعد وليس فيه شيء ، ويحك ياابن أخطب ، فدعني وشأني ، فأنا لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا وبرا .

ولكن حيي لم يسلم بالأمر ولم يزل بكعب حتى أعطاه عهدا وميثاقا بأنه إذا رجعت قريش دو ن أن تقضي على محمد ، فسوف يدخل بقومه معه في حصنه ، وليحدث لهم ما يحدث ، وليصيبهم ما يصيبهم سويا ... ولما بلغ الأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم بعث إليهم سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير وقال لهم : اذهبوا وانظروا .. أحقا ما بلغنا من أمر هؤلاء القوم .

عسكر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بجنده خلف الخندق في ثلاثة آلاف في غزوة الخندق ، وكما سبق أن ذكرنا في الحديث ، أن المشركين من قريش وأنصارهم ومن تابعهم قد جاءوا بعشرة آلاف مقاتل ، وعسكروا في أماكن أحاطوا بها بالمدينة ، وقد جمع أشتات هذا الجيش الكبير يهود بني النضير وحرضوهم على قتال المسلمين ، وحاولوا ضم بني قريظة إلى هذا الجمع المعادي للمسلمين ، وعرفنا أن حيى بن أخطب استطاع أن يجعل كعب بن أسد ينكث وعده مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأرسل الرسول جماعة من أصحابه لاستقصاء هذا الأمر ومعرفة مايدبر بنو قريظة ، وليتأكد من صحة ما وصله من أخبار عن اتصال الأعداء بهم ..

ولما وصلت الجماعة المكونة من سعد ابن عبادة وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير إلى بني قريظة وسألوهم عما بلغ المسلمين من نكثهم لعهدهم واتصالهم بأعدائهم ، فوجدوهم على أخبث مما سمعوا أو بلغهم من نبئهم إذ قالوا : من رسول الله هذا ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه صرامة وحدة ، ولكن سعد بن عبادة قال له : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا أكبر من المشاتمة ثم أقبلا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعهم بقية من ذهب إليهم .. ولما سألهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن القوم قالوا : عضل والقارة — أي كغدر أصحاب الرجيع بأصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم .
ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم : قال باطمئنان : ابشروا يامعشر المسلمين ..

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الكرب ، وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق عن بعض المنافقين حتى قال أحدهم لائما ومثبطا :
لقد كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن اليوم على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال أوس بن قيظي : يارسول الله : إن بيوتنا عورة ، فهي خارج المدينة ، وإنا نخاف أن يدخلها الأعداء فأذن لنا أن نذهب إليها لحمايتها ..
وقد نزلت فيهم آيات كريمة من القرآن الحكيم وحاصر الكفار والمشركون المدينة ما يقرب من شهر ، ولم تكن هناك حرب سوى المبارزة والرمي بالنبال ، ولما اشتد على الناس البلاء ، وعظم الخطب ، أرسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى رجلين من قادة أعدائه وهما عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، وقبل الرجلان الصلح على هذه الشروط ، وقبل أن يشهد على إقرار الصلح طلب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وهما سيدا الأوس والخزرج فاستشارهما في الأمر ، ولكنهما قالا له :
يارسول الله ، أهو أمر تحبه فنصنعه ؟ أم شيء أمرك الله به ؟ ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : بل هو أمر أصنعه لكم .. ثم قال : والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وأتوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما .
فقال سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وكانوا لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، فكيف وقد أكرمنا الله وشرفنا بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك نعطيهم نخيلنا وأموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .
فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنت وذاك ، وتناول سعد بن معاذ الصحيفة ومحا ما فيها من الكتابة .
وحاولت مجموعة من فرسان العدو أن يقتحموا المدينة على المسلمين ، فاختاروا مكانا ضيقا ، وحاولوا عبوره بخيلهم وقد تصدى لهم علي بن أبى طالب وجماعة من المسلمين فردوهم على أعقابهم .
ومن المبارزات الشهيرة في تاريخ الاسلام ما حدث بين علي بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ وبين عمرو ابن ود ، وهو أحد أبطال العرب الذين شهدت لهم ميادين القتال بالفروسية والشجاعة فقد وقف في مواجهة المسلمين أمام الخندق وسار راكبا فرسه مختالا قائلا :
ــ ألا من مبارز ؟ ..ألا من مبارز ؟ أنا عمرو بن ود لا ينكرني أحد من العرب ، وكلهم يخافني ويرهبني فبرز

له علي بن أبى طالـب ـ كرم الله وجهه ـ وقال : ياعمرو ، إنك كنت قد عاهدت ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذتهما منه .
فقال عمرو : أجل .. فقال له علي : فاني أدعوك إلى الله ورسولـه والى الاسلام .. ولكن عمرا أجابه بقوله : لا حاجة لي بذلك .. ثم أتبع على مقالته بدعوته للنـزال .. فأجابـه عمـرو قائلا : ولم ياابن أخي تدعوني إلى ذلك ؟ فو الله ما أحب أن أقتلك ، ولكن عليا أثاره بقوله : ولكني أحب أن أقتلك .. والحقيقة أن علي بن أبى طالب كان يود أن ينازله فاستثاره لذلك ، لأن قتل رجل مثل عمرو بن ود بمثابة هزيمة لجيش كبير ، وإن كانت الأخرى فهي الشهادة ، وهي إحدى الحسنيين ، وكان قصـده من هذه المبارزة رفع الروح المعنوية لدى جند المسلمين بعدما لا قوه من العنـت والبلاء بسبب الحصار ، إنها مواقف مضيئة في تاريخ الاسلام ، يجب ألا تمر بسهولة حين نسمعها أو نقرؤها فهي مواقف بطولة خالـدة على مر الدهور ..
ولما سمع عمرو بن ود كلام علي بن أبى طالب وتحديه السافر ، وكان علي ـ كرم الله وجهه ـ لازال حدثا صغيرا نزل عن فرسه ، وعقره على مرأى ومسمـع من الجيشـين ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على ناحية علي بن أبى طالـب شاهـرا سيفـه فتنـازلا ، وتبارزا ، ودارت معركة شرسة بين رجلين ، رجل قوي مارس الحروب وله شهرة في عالم السيف وشاب لازال في مقتبل عمره يحاول بشجاعته وإيمانه أن ينتصر على هذا الخصم القوي ، ويثبت الله فؤاد علي ، ويحدث مالم يتوقعه الناس من كلا الجيشـين ، ويقتل علي بن أبى طالب عمرو بن ود فارس العرب ، وابرع من أمسـك سيفـا في جزيـرة العـرب في هذا الوقت .. كان مقتل عمرو بن ود فألا سيئا للأحزاب الذين اجتمعوا لقتال المسلمين في هذه الغزوة المشهورة في تاريخ الاسلام ، فقد رأى الكفـار أعظم محارب في تاريخ العرب يخر صريعا تحت أقدام غلام صغير من رجال محمد ، ليست له خبرة طويلة بعد بفنون الحرب والقتال كما كان عمرو .. ولقد هلل المسلمون وكبروا الله عز وجل الذي هزم وقتل عمرو بن ود على يد علي بن أبى طالب ، والذي كان منذ وقت قصير يمشي مختالا متبجحا مغرورا ، وهللوا وكبروا لأن الله قد وهبهم بطلا ترهبه الأبطال ، وتخافه الشجعان ، فلقد عوضهـم انتصاره عن المشقة التي لاقوها في حفر الخندق ، وما سمعوه وتناقلته الأخبار عن انضمام بنـي قريظـة لأعدائهم ، حتى أن عكرمة بن أبى جهل عندما رأى مصرع عمرو ألقى برمحه على الأرض وهو في أشد حالات الغيظ والاحباط هربا ، ويقول في هذا حسان بن ثابت شاعـر الاسـلام والمسلمين :

فر وألقى لنا رمحه
لعلك عكرم لم تفعل
ولم تلو ظهرك مستأنسا
كأن قفاك قفا فرعل

فداء

للدكتور
محمد فوزي فيض الله



تشبث بعض الذين كتبوا في فقه السيرة وغيرها ، بقصة أسرى بدر ، ورأوا فيها مجالا ودليلا على اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم انتهوا من ذلك الى تقرير انه : « اذا صح للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يجتهد . صح منه بناء على ذلك أن يخطىء في الاجتهاد ويصيب غير ان الخطأ لا يستمر بل لا بد أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده » .

ولم نشته هذا المس لمقام النبوة ، وتسوية اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الأصل ، باجتهاد غيره ، بحيث يخطىء كما يخطىء غيره ويصيب فمثل هذا القول لا يصح ان يطلق على سيد اهل الدنيا والآخرة ، وسيد ولد آدم ، وسر هذا الكون ومعناه .

وكنا نود ان يفرق في اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين ما يتصل بشئون الدنيا ، وهذا لا نزاع فيه ، وبين ما يتصل بأحكام الشرع ، وهذا محل نزاع قديم معروف ـ مع ذلك ـ في الاصول : فمنعه ابن حزم ، واقره آخرون ، وتوقف فيه حجة الاسلام الامام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ..

ومع ذلك فلن نخوض في هذا المبحث الاصولي الآن : وهو يستحق ان يفرد بالبحث : لكنا سنناقش فكرتين :

الأولى : تشبيه اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتسويته باجتهاد غيره ، كما يفهم من النص الذي

أسرى بدر

أشرنا اليه : إذ قضية الخطأ والصواب في الاجتهاد ، هي شأن المجتهدين والحكام .

الأخرى : فكرة اجتهاده في أسرى بدر ، فهل كان قبوله الفداء منهم اجتهادا ، وهل كان مخطئا في هذا الاجتهاد ، حتى ترتب عليه نزول الوحي بالقرآن مصححا خطأه ، معاتبا له فيما وصل اليه فيه من حكم ؟

ونقول في تسوية اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ باجتهاد غيره : ان اجتهاد غيره قد يكون في تفهم النصوص التي بين يديه ، أو في دفع التعارض الذي قد يبدو فيما بينها ، بالتوفيق أو الترجيح أو النسخ أو ما الى ذلك ، أو في القياس على المنصوصات الثابتة .

أما اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يكون ـ عند القائلين به ـ الا في قياس حكم الحوادث التي تجد ولا نص فيها على نظائرها مما نزل عليه فيه الوحي . ومن هنا افترق اجتهاده عن اجتهاد غيره ، لأنه آيل الى الوحي ، وهو بمنزلة الوحي ، ولهذا يجب الوقوف عند اجتهاده ، والتزامه والايمان به على انه وحي ، وحكم منزل ، لا خيرة لأحد فيه ، ولا تعقيب عليه .. فلا يمكن أن يحتمل الخطأ .

اما اجتهاد غيره ، فيعروه الخطأ ، من حيث أنه قد ينحرف به فهم النص ، وقد يبدو له التعارض ،

وهو غير واقع ، وقد يذهب الى النسخ وهو غير ثابت ، فلهذا يقع في الخطأ ، ويخالفه غيره من المجتهدين . وهذه الأمور والملابسات لا تنزل بساحة النبوة ، التي تبينت معا في التنزيل ، وبينته للناس ، وعينت موضع كل دليل ، وميزت الناسخ والمنسوخ ، لا جرم ترفع اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا عن الخطأ ، وتعرض اجتهاد غيره لبعض الخطأ .

ان الذي يرتد اجتهاده الى الوحي ، فاجتهاده وحي ، فيكون بمعزل عن الخطأ . فهذا قول الله تعالى : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى**) . النجم/ ٣و٤ .

وإن الذي يقلب نظره في معاني النصوص والتنزيل ، وتتعارض بين يديه الأدلة . ويحاول التوفيق بينها قد يخطئه الحمل والتوفيق ، لا جرم كان هو الذي قد يخطىء في اجتهاده ويصيب . وقضية هذا الخطأ ومبعثه انه لا يعتمد على الوحي مباشرة . اما اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا مصدر له الا الوحي ، نصا أو قياسا والوحي منزه عن الخطأ فكذا الاجتهاد الذي يبتني عليه .

وليس من الحق بعد هذا البيان ـ وهو الحق ـ أن يقال : « اذا صح له ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يجتهد صح منه بناء على ذلك ان يخطىء في الاجتهاد ويصيب » فسقطت فكرة الخطأ في اجتهاده ، وسقطت تبعا لها فكرة التسوية بين اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجتهاد غيره . وثبت ان اجتهاده لا يتأتى عليه خطأ ، ولا يوصف الا بالصحة والعصمة . ولا يختلف في هذا المسلمون .

وأهل العلم متفقون على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأبعدهم نظرا ، وأكثرهم عبرا ، في سائر أحواله ، لا يناغي في ذلك ولا يجاري وهم متفقون على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معصوم بعصمة الله تعالى له ، ولا نص في الكتاب ولا في السنة ، ولا في كلام الصحابة ، ولا السلف في خير القرون ، ولا في كلام الأئمة المقتدى بهم ، يشير الى نسبة الخطأ اليه .

هذا ما يتعلق بفكرة اجتهاده ، ونسبة الخطأ اليه .

أما ما يتعلق بفكرة اجتهاده في قبول الفداء من أسرى بدر ، فقد تعلق بها أيضا بعض الكاتبين ، وانتهوا إلى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخطأ في قبول الفداء منهم ، وانه نزلت فيه الآيات معاتبات .

والثابت من الروايات في هذه الواقعة ، هو : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار أبا بكر وعمر ـ واستشار الناس في الأسرى يوم بدر :

فقال أبو بكر : يا نبي الله : هؤلاء هم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وإني أرى أن تأخذ منهم الفداء ، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على

الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا .

وقال عمر : والله ما أرى رأي أبي بكر : ولكن أرى ان تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

قال عمر : فهوي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت الى النبي - صلى الله عليه وسلم - والى أبي بكر ، وهما يبكيان ، فقلت : ما يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما !

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » رواه مسلم لشجرة قريبة منه - وانزل الله - عز وجل - : **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم)** الانفال/٦٧/ ٦٩ .

ونحن نتساءل فنقول : هل في هذه القصة ما يدل على خطأ النبي - صلى الله عليه وسلم - في الاجتهاد ؟ وهل فيها ما يدل على عتابه في اجتهاده هذا ؟

والواقع انه ليس في هذه القصة المذكورة ، ما يدل على اجتهاده مطلقا ؟ فلا تدل على انه اخطأ بالضرورة ، كما لا تدل على عتابه في اجتهاده لزوما : وذلك للأمور الآتية :

١) - إن حكم الاسرى معروف في الاسلام ، وهو تخيير الامام بين الفداء والقتل فاطراح المسألة على الصحابة للاستشارة والاستشارة في ترجيح احد الامرين . « رواية الامام احمد : « استشار النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس في الاسرى يوم بدر » . فالاستشارة لبيان اي الوجهين اقرب الى المصلحة فقدم رأيان مدعمان بالدليل ، وبدا له - صلى الله عليه وسلم - ان قبول الفداء أرجح وأصلح ، فأخذ به . فليس في القضية اجتهاد ، وانما هي الاستشارة ، واختيار احد حكمين معروفين وللحاكم - من قبل ومن بعد - حق الخيرة منهما - فأين هذا من الاجتهاد ؟

٢) - ان اختياره - صلى الله عليه وسلم - قبول الفداء ، جاء موافقا لما في أم الكتاب ، بتفسير ابن عباس قوله تعالى : **(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم)** ، فقد روي عنه ان المراد :

لولا ما ثبت في ام الكتاب من ان المغانم والاساري حلال لكم ، لمسكم فيما اخذتم من الاسرى فداء عذاب عظيم . والفداء في معنى الغنائم ، من حيث انه مال مأخوذ من الكفار .

٣) ــ انه ما يكون لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقتضى كمال فطرته ، وعظيم خلقه ، وبالغ رأفته ورحمته بأمته ، وقد خير بين القتل والفداء ، ان يختار الا الفداء . فهذا من تطبيقات ما صح في الحديث : « ما خير رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين أمرين الا أختار أيسرهما ، ما لم يكن اثما » رواه البخاري فكيف يوصف اختياره لامر منسجم مع طبيعته وسلوكه انه مخطئ فيه ؟

٤) ــ ان قوله تعالى بعد ذلك : **(فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا)** اقرار له عليه الصلاة والسلام ــ على ما فعله ، وهو اختيار الفداء ، وهل يمكن ان يقر على ما اخطأ فيه ؟ وكيف ينكر عليه ما وافق المكتوب في ام الكتاب ؟

٥) ــ ان قضية الخطأ ولازمه ان يؤمر ــ لو حدث ــ برد الفداء على الأسرى ، لا ان يقال له : (**فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا**) اذ كيف يعتبر لازم الخطأ واثره حلالا طيبا ويباح تناوله بعد العلم ؟

٦) ــ لو كان اختياره هنا خطأ نبه عليه ، لما امتدح باحلال الغنائم له ، بقوله في الصحيح : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » .

٧) ــ قد كان فعله احتياطا وحكمة ، وتوقفا وانتظارا ــ كما يقول الامام ابن العربي ــ ، وليس معصية غير معنية ، كما رأى بعض الناس ــ وحاشاه من ذلك ــ فالقتل لا يفوت بأخذ الفداء ، اذ يمكن رده وتنفيذ الاثخان : بخلاف ما لو وقع الاثخان أولا ، فانه يفوت قبول الفداء . ورشح هذا الانتظار قتل سبعين من المشركين ، فيهم الصناديد والاكباش : فهل كان ذلك كافيا في الاثخان ؟

٨) ــ أن قبول الفداء حكم شرعي ثابت قبل غزوة بدر : فقد فدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عثمان ابن عبد الله ، والحكم بن كيسان ــ حين أسرا في سرية عبد الله بن جحش ، التي خرجت تعترض عيرا لقريش . كل واحد بأربعين اوقية . ولم يخطأ وقتئذ ولم يعاتب ، فكيف يخطأ هنا ويعاتب ؟

٩) ــ ورد « عن علي قوله : جاء جبريل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر ، فقال له : خير أصحابك في الاسارى : إن شاؤوا القتل ، وان شاؤوا الفداء ، على ان يقتل منهم ــ يعني من الصحابة ــ في العام المقبل مثلهم . فقالوا : نختار الفداء ، ويقتل منا » . وذلك رغبة منهم في الشهادة في سبيل الله تعالى ــ .

فيقول الحافظ ابن حجر معلقا على هذا الحديث : وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه . وعلى هذا

يكون العتب موجها اليهم ، لاختيارهم غير الاولى .

١٠) - يبدو من مراجعة كتب السيرة والروايات في هذه القصة ، ان النبي - صلى الله عليه وسلم - استشار عامة الناس بشأن الاسرى ! واستشار ايضا الشيخين وعليا أيضا في كبار القوم فكان الاتجاه الى الفداء . فالعتاب النازل لم يكن موجها الى النبي - صلى الله عليه وسلم - وانما كان موجها الى الذين ، مالوا الى الفداء ، بالمال واقترحوه عليه عندما استشار عامة الناس .

ويستحيل أن يظن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يريد الدنيا ، وهو الذي أبى أن تكون له جبال تهامة ذهبا ، وقال : « مالي وللدنيا ؟ ما انا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » رواه احمد والترمذي كما يستحيل ان يظن بالصديق ذلك ، وهو الذي وهب نفسه وماله كله ، في سبيل الله ، ورسوله ، ودعوة الاسلام .

بل إن سياق قصة الاسرى والفداء في الحديث الشريف الذي رويناه ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها مجيبا عمر - رضي الله عنه - : « للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ؟ لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » . يدل على أن البكاء كان من أجل العتاب ، لا على أنه هو المعاتب ، بل هو الذي عرض على أصحابك وهو أخذهم الفداء ، لا أخذه هو .

وكذلك قوله : « لقد عرض علي عذابهم » فهو يبكي للعتاب اللاذع ، والعذاب الواقع ، الذي كان يهددهم ، وكاد يحيق بهم .

والخطاب في الآية : **(لمسكم فيما أخذتم)** موجه الى الجماعة لا الى النبي - صلى الله عليه وسلم .

واذا فالمخاطب والمعاتب ، والذي تعرض للعذاب ، هو ذلك الفريق من الصحابة ، الذي اقترح في المشورة أخذ الفداء . وهذا هو الحق الظاهر .

ولا أدري بماذا يجيب الذين يرون في الحادثة ضربا من الاجتهاد ، عما ثبت من أن المجتهد اذا أصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر .. فهل يرون ان العتاب من الاجر أيضا ؟

ويتلخص من هذا العرض السريع ، لقصة الفداء في أسرى بدر : انا لم نكن حيال اجتهاد من قبل النبي ، صلى الله عليه وسلم - ولا في نزول الوحي بخلاف اجتهاده بل كنا بصدد حكم شرعي ، يخير فيه حاكم المسلمين بين أمرين : الفداء أو القتل فاستشار الصحابة في الاخذ بأحدهما ، وترجيحه على الآخر ، بحسب الحكمة والمصلحة . فلم يجتهد ، ولم جتهدوا - لأن الاجتهاد - كما هو معروف - « استفراغ الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي مجهول » . والحكم هنا معروف ، وإنما وقعت الشورى لاختيار الاولى من جهتي الحكم والأنسب لظروف المسلمين وقتئذ .

مــن أنـمَاط البشــر



لقــد بات معلومــا من الديــن بالضرورة أن القرآن الكريم معجز ، بل ان بعض اعداء الاسلام في القديم والحديث لا ينكرون ذلك الاعجــاز للقرآن ، ووجوه الاعجــاز متعــددة النواحــي ومــن ثم وجدنــا بعض المفسرين يركزون على الناحية التي تبرز آراءهم ازاء تفسير آي القرآن الكريم ، ولكنهم ــ وهذا حق لا مرية فيه ــ لم يستطيعوا حتى الآن ان يأتوا على كل اوجه الاعجاز بالتجلية والتوضيح ، وانى لهم ذلك والمعين لا ينضب ، وبواعث البهر لا تفتأ تهز القلوب والألباب ؟!!

على ان اهم اوجه الاعجــاز ــ وربما اكون على صواب ــ هي تغلغل القرآن الكريم في نفوس البشر لكشف ما انطوت عليه الجوانح ، وكتمته السرائر والضمائر حتى يغدو الباطن كالظاهر امام العيان لحكمة ربمــا نوفق الى اظهارهــا في ثنايــا هذا المقال .

فلما كان الناس معادن في تباين طباعهم فقد عنى القرآن الكريم في عرض بليغ جانب بكشف الستار عن نماذج من الناس تخفت وراء البهرج الزائف ، والتصنع الخبيث ، ففــي سورة البقرة تطالعنا آيات بينــات لتضع ايدينا على نموذجين متقابلين من البشر ، أحدهما مسف هابط في موازين الناس ، والثاني تسنم ذروة القبول والرضا من الله ، واستحوذ على قمة الاعجاب من الغير ، لتوضيح النمط الأول تقول الآيات : (**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى**

في القرآن الكريم

محمد فؤاد

للاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي

في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) البقرة/ ٢٠٤ ــ ٢٠٦ . فقد ذكرت هذه الآيات في إيجاز مبين ، وبيان كاشف كل ما يتسم به هذا النمط البشري من صفات وطبائع حتى عرته من غلائل المداهنة والنفاق ، ولو حاول الباحثون أن يجدوا في هذا النمط صفة أخرى فوق ما أتت به الآيات لأصابهم العجز والكلال .

فنحن في رحاب الآيات أمام بشر يود أن ينسلخ من إنسانيته ليدخل حظيرة الحيوان ، ويلبس جلود الثعالب أنا ، والثعابين آنا آخر ، وقد ركزت الآيات اولا على الاشارة الى غطائه السميك : **(يعجبك قوله)** ، **(ويشهد الله على ما في قلبه)** .

فالغطاء من طبقتين ، الاولى قول معسول ، ولفظ لين ، ومنطق معجب آسر ، والثانية أيمان مغلظة كاذبة على صفاء القلب ، ونقاء السريرة ، .

والى هنا كان من الممكن ان يحرز هذا النموذج نجاحا امام الدهماء من الناس ، وربما استطاع جذب كثير من العقلاء أيضا ، ومن ثم كانت عناية القرآن بكشفه وتجليته حتى لا يقع في أحابيله أحد ، ثم تأخذ الآيات بعد كشف الغطاء عن هذا النمط في بيان الطبائع والسمات ، فهذا الذي يقسم ويشهد الله على ما في قلبه من حب للناس هو المترع القلب بالبغض ، والسعاء دائما حيث الفساد ، فقلبه المغيظ المحنق يحرك جوارحه الى مباءات الشر : **(واذا**

تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحـرث والنسـل) ، ولام التعليل هنا تفيد أن هذا النمط الآدمي لم يخط الا الى فساد ، وكأنه قد عمي تماما عن كل جهات الخير والاصلاح ، أو أن ينابيع الحب والرحمة التي يولد بها الانسان قد نضبت من قلبه حتى انه اذا ذكر بعمله بعد فضحه ليرجع ويثوب لم يسمع في داخله أي نداء للخير ، ولم يستجب الا لنواقيس الكبر والعناد ، والايغال في الفساد : **(وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم)** فعناد هذا النمط وتأبيه عن الانصياع لدعاء الهدى والخير دليلان على تأصل الخبث عنده ، وانقطاع الامل في اصلاحه ، ومن ثم ختمت الآيات التي تتحدث في شأنه بمصيره المؤلم : **(فحسبه جهنم ولبئس المهاد)** .

وبينا نحن مع الآيات أمام خبث البشر وفسادهم وعنادهم اذا بالآيات تصعد بنا الى جو ملائكي ، فتقفنا أمام نمط آخر من الناس يتفجر الخير منه أنى سار .

ولما كان إيصال الخير يتطلب الجهد والعمل ، وربما الفداء والتضحية ، فقد وجدنا هذا النمط الآدمي الخير يضحي بنفسه ـ وهي أغلى ما يملك ـ في سبيل إرضاء الله ، أي في سبيل الخير على تعدد مناحيه ، وتباين مسالكه ، فالخير هو الهدف الاسمى عنده ، خير في العقيدة ، وخير في العبادة ، وخير في المسلك ، والمعاملة ، تقول الآية موضحة هذا النمط البشري في ايجاز معجز : **(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)** البقرة/٢٠٧ فهذا النمط من البشر نموذج فذ للانسان المتكامل الذي يستأهل الوصف بالانسانية في أبر طباعها ، وأقوم نزعاتها ، ولقد ضغطت الآية الكريمة كل مميزات هذا النمط الأريحي في هذه الجملة القصيرة : **(يشرى نفسه)** ، ثم ضغطت الاتجاهات النبيلة لهذا القصد في جملة أخرى يتلخص فيها على قصرها كل ما يعن للفكر الانساني من اوجه الخير ، وزوايا البر والرحمة : **(ابتغاء مرضاة الله)** فلقد اصبح ارضاء الله امام هذا النمط المعيار السليم لكل ما يأتي او يدع ، وغدت اهداف حركاته وسكناته تنحصر في ذلك الارضاء .

والى هنا نجد أنفسنا ـ ونحن نستطلع هذا النمط من البشر ـ ننظر من شاهق ذروته انسانية نبيلة ـ الى حضيض بؤرته حيوانية خسيسة ، اذ المقابلة بين النمطين الآنفين كالمقابلة بين الاوج والحضيض رفعة وخسة .

واذا تركنا هذا المجال : مجال المعاملة والاحتكاك الى مجال العقيدة طالعتنا آيات اخر من سورة الحج متضمنة نمطين من البشر يكاد تفكيرهما العقائدي أن يخرجهما من زمرة البشر ، الاول جاهل مغرور ، يجادل في صلف عيى وكبر مأفون دون اعتماد على علم أصيل ، أو فكر ناضج ، يجادل في كل ما يتصل

بالعقيدة – وهي اساس الايمان – تاركا هدى الانبياء ، وكتب المرسلين ، هذا مجال جداله ، اما هدفه فهو الاضلال ، والصرف عن عبادة الله ، فهو باختصار نموذج متعجرف خاو مضل ، تقول الآيات في توضيحه : (**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله**) الحج/٨و٩ ، وفي مقابل عجرفته الخاوية وإضلاله المبين كان جزاؤه المناسب الخزي في الدنيا والنار في الآخرة : (**له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**) الحج/٩ هذا النموذج الذي تصوره تلك الآيات يوجد في حياتنا كثيرا ، ولشد ما يصيبنا بلاؤه ، هو نموذج بشري يهوى الجدال غير معتمد على علم أو ثقافة عامة ، ويزداد غرورا وصلفا كلما وجد بيئته تصغى اليه جبنا أو جهلا ، وكأن الأديان الكريمة تشير إلى أنجع طريقة لمعاملة هذا النمط من الناس حينما تقول : (**له في الدنيا خزى**) . اذ ينبغي أن يخزى ذلك الصنف بأية وسيلة تسبب له الخزي والهوان حتى يفيق الى رشده ، ويعرف مكانته بين جماعته ، فعدم ترصده بالخزى تقصير ممن يعايشونه لما يترتب على ذلك من إيغاله في الغرور والجدال الاعمى .

بعد هذا النموذج المتعالي على خواء تصور لنا سورة الحج نموذجا آخر كالهباء ، أوكالريشة في الهواء ، هو نموذج ضعيف واه لا يرتكز على ركائز قوية من الايمان العميق ، واليقين الثابت والاطمئنان القلبي للحق ، فهو نمط ابرز ما يتميز به الزعزعة والتردد ، اذ هو دائما وكما تبين الآية في ايجازها البديع على حرف ، والتعبير القرآني في وصف هذا النمط بالتأرجح على حرف اروع وأحكم مما يتشدق به علماء النفس حديثا في وصفهم هذا التأرجح باهتزاز الشخصية ، فكل ما يأتي به هؤلاء العلماء من اوصاف وسمات لهذا النمط البشري – وان ملأ الصفحات من كتبهم – لا يفي بما يفيده هذا التعبير القرآني المعجز : « على حرف » !! ، فالتعبير لم يتعد الجار والمجرور ، ولكنه بمجرد وصوله الى الاذن الواعية يسكب في العقل شحنة من المعاني التي تصور هذا النموذج الآدمي تصويرا يفوق كل تصوير دقة وإحكاما واستيعابا لكل أجزاء الصورة .

والآيات وان كانت تصور هذا الصنف في مجال العبادة فانها ترسم لنا النهج المنحرف الذي يسلكه هذا النمط من الناس : نهج النفعية الشخصية ، وحصر دائرة الافق الذهني والنشاطي في هذه النفعية ، فهذا النموذج وصل في تسفله العقائدي الى أن يعبد الله لا لأن الله يستحق العبادة بل ليفيض الله عليه الخير والنعم ، فان وجد غير ذلك لم يتحرج من ان ينخلع من الايمان بسهولة ويسر يدلان على ان ايمانه لم يعد لسانه .

وهذا النموذج في واقعنا كثير ، فمن منا لم يصادق في حياته من صاحبه لمأرب ذاتي ، ولا يفتأ يؤكد عرى الصداقة طالما تسح سحائب النفع ، فان ونت اليد الممدودة بالخير انصرمت أواصر الصداقة ، ولا اقول نضب الحب من القلب اذ لم يكن في قلبه حب !!

وكأن الآيات في توضيحها لهذا النمط النفعي تحذرنا مغبة صداقته ، فضره اكثر من نفعه ان تصور ان فيه نفعا ، وهو دائم القلق والاضطراب ، ولا يعرف الثبات والاستقرار ، اذ هو يجري دائما وراء النفع الذاتي حتى من وراء العبادة التي ينبغي ان تكون خالصة لله تعالى : (**مخلصين له الدين**) . ولكنه لا يعرف القيم ولا المبادئ فهو يدوسها في طريق الوصول الى هدفه الهابط .

واذا كانت الآيات قد رسمت في النهاية جزاء هذا النمط والذي يناسب مبدأه الوضيع ، ذلك الجزاء الذي يتضح من قوله تعالى : (**خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**) ـ فانها تنبهنا الى ما ينبغي ان يعامل به في مجتمعه ، فينبغي ان يمني ذلك الصنف الآدمي المزعزع العقيدة بخسارتين تفوتان عليه غرضه ، وتوصدان في وجه نفعيته الأبواب ، فهو في عبادته الزائفة من أجل النفع الشخصي يستدرج بافاضة الخير حتى يفتن في حياته فينقلب على وجهه ، معاديا ربه ، ونابذا دينه ، فيخسر الدنيا والآخرة ، وبمثل هذا خليق بالناس أن يعاملوه ما داموا يشمون في صداقته رائحة النفعية ، فيحرموه متعة الصداقة ، ونعيم النفع ، ولعل في ذلك الجزاء جذبا له الى الاستقامة المطبة لشخصيته ، وانقاذا له من وهدة البوار في الدارين إن وجد عنده استعداد فطري لذلك .

هذا ، ولقد الفينا الآيات التي تعرضت لتصوير النماذج البشرية ـ قد اكثرت من نماذج الفاسدين ، موضحة طباعهم وسماتهم ومناهجهم ، ولم تذكر من نماذج الصالحين سوى نموذج واحد ، وأرى التعليل (والله أعلم بمراده) ـ يكمن في أن أتباع الفساد فعلا كثرة ، وأتباع الصلاح قلة ، ويشهد لذلك قول الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات : (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) ، (**ولكن اكثر الناس لا يؤمنون**) (**ولكن اكثر الناس لا يشكرون**) ـ غافر/٥٧و٥٩و٦١ .

وقوله في شأن الصالحين : (**الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**) ، وبعد ، فاخالني لست محتاجا الى توضيح الهدف من هذا التطويف في رحاب تلك الآيات بعد أن برزت امامنا صور تلك النماذج البشرية ، خيرة وشريرة ، لنقتفي اثر الاولى ، ونحذر الاخيرة ، فنحظى بسعادة الدارين ويصدق فينا قول الله تعالى : (**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب**) الزمر/١٨ .

استدراكات
تحذيرية
هامة
للمسلمين

القرآن الكريم
واليهود

للاستاذ / محمد عزة دروزه

في القرآن الكريم بعض آيات فيها تنويه ببني اسرائيل وايذان برعاية الله لهم وتفضيلهم على العالمين . وكتابته لهم الأرض المقدسة . وتوريثه اياهم مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها . وايجاب على المسلمين بالجنوح للسلم معهم اذا جنحوا اليه .

ومع ان في القرآن الكريم آيات كثيرة تنسخ ذلك ، فان اليهود يستغلون تلك الآيات لخداع بسطاء المسلمين واقامة الحجة عليهم من قرآنهم ، ليجعلوهم يسيغون ما كان منهم من عدوان وبغي وظلم واغتصاب ، وما يدعون اليه من الصلح على اساس الأمر الواقع الذي يؤيده القرآن الكريم في زعمهم .

ولذلك صار من واجب علماء المسلمين ونبهائهم توضيح الأمور ووضعها في نصابها الحق ، لتنوير عامة المسلمين وتحذيرهم من خداع اليهود وتضليلهم . وفي ما يلي شيء من ذلك بسبيل القيام بهذا الواجب :

أولا : في القرآن الكريم هذه الآيات :

١ ـ (**يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين**) البقرة/٤٧

٢ ـ (**ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل . وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**) السجدة/٢٣ و ٢٤

٣ ـ (**ولقد اتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب . هدى وذكرى لأولى الألباب**) غافر/٥٣ و ٥٤

٤ ـ (**ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون انه كان عاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين**) الدخان/٣٠ ـ ٣٣

٥ ـ (**ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين**) الجاثية/ ١٦

وفي القرآن آيات اخرى فيها اشارة لتفضيل بني اسرائيل على العالمين . فاكتفينا بما تقدم .

وقبل كل شيء نقول ان المفسرين متفقون على ان ما ورد في هذه الآيات من تنويه وتفضيل هو منحصر بالظرف الذي منحوها فيه وليس على التأبيد .

ولقد احتوت اية سورة السجدة تعليلا لما كان من جعل الله من بني اسرائيل أئمة يهدون بأمره وهو : (**لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**) وهذا التعليل ينسحب على جميع ما في الآيات أيضا . ولقد حكت آيات كثيرة جدا بغيهم وعدوانهم وعصيانهم وتكذيبهم للانبياء وقتلهم اياهم وتحريف كتب الله وارتكاسهم في الكفر والشرك وعبادة العجل وأكلهم السحت وعدم تناهيهم عن المنكر ومخالفتهم لشرائعهم . ومكابرتهم في الحق . وصدهم عن سبيل الله وسعيهم بالفساد في الارض ونقضهم ميثاق الله المأخوذ عليهم . وخياناتهم لعهودهم واماناتهم . واستحلالهم اموال الغير ، واعراضهم عن الانضواء في الدين الاسلامي القرآني ، الذي دعوا اليه ، وتآمرهم على الاسلام والمسلمين مع الاعداء . وقررت ان الله تعالى عاقبهم على كل ذلك ، فضرب عليهم الشتات والذلة والمسكنة ، وحرم عليهم ما احل لهم من الطيبات ، ومنحه لهم من الخيرات وأدخلهم في وصف (شر البرية) الذي وصف به الكافرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وصب عليهم الغضب ، ولعنهم وجعل منهم القردة

والخنازير ، وآلى على نفسه ان يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . واذن لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم ، وينكل بهم ويطهر الأرض من رجسهم ، على ما جاء في آيات كثيرة جدا منها قوله تعالى : (**يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا .**

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) النساء/١٥٣ ـ ١٥٦ و : (**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما**) النساء ١٦٠ و ١٦١ ومنها : (**ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم**) المائدة/١٢ و ١٣ .

ولقد وصف الله المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/١١٠ ووصف الله المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يعملون الصالحات بانهم (**خير البرية**) في الاية السابعة من سورة البينة فيكون هؤلاء هم المفضلون على غيرهم من جميع اهل الملل والنحل والاديان الاخرى قاطبة منذ الرسالة المحمدية الى الأبد وانهم الناجون وحدهم يوم القيامة .

والآيات القرآنية التي اوردنا نصوصها تربط بين اخلاق ومواقف وانحرافات وتحريفات الاسرائيليين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وبين اخلاق مواقف وانحرافات وتحريفات ابائهم كجبلة واحدة يرث الخلف السلف في كل ذلك . وفي الاسفار التي يتداولها الاسرائيليون ويقدسونها والتي كتبها كتاب اسرائيليون قدماء . صور لا تحصى عن سوء أخلاق ومواقف وتحريفات

وانحرافات الاسرائيليين القدماء بأوسع نطاق وأشمله تتطابق مع ما وصف القرآن به الاسرائيليين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وحسب ما جاء من تفصيل في كتاب **تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ،** فصاروا بذلك أسوأ جيل بشري وما زال ذلك مستمرا في أجيالهم جيلا بعد آخر ، على ما هو مشهور معروف منشور في جميع لغات العالم وكتبهم . واستحقوا من اجل ذلك ما قررته الأسفار ثم القرآن من غضب الله ولعنته وعذابه وبلائه والتشتت في أنحاء الارض وسومهم العذاب الى يوم القيامة من غيرهم . ونسخ بذلك بطبيعة الحال ما أغدقه الله عليهم من صفات ونعمة وميزات حينما صبروا واستقاموا لفترة فلم يعد لليهود اي حق بدعوى ذلك ولم يبق لهم أي مجال لتضليل الناس به .

وثانيا : في سورة المائدة هذه الآيات : **(وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)** ٢٠ و ٢١ وفي سورة الأعراف هذه الآية : **(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)** ١٣٧ .

ولقد جاء بعد آيتي المائدة آيات تحكي موقف اللجاج والتمرد والجبن الذي وقفه بنو اسرائيل وايجاب الله عليهم التيهان في الأرض وعدم دخول تلك الارض المقدسة بسبب فسقهم وهي : **(قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين)** ٢٢ ـ ٢٦ وهكذا يكون الأمر من ناحية النص القرآني قد وقف عند هذا الحد وانتهى مدى حكاية قول موسى ان الله كتب لهم الارض المقدسة . هذا فضلا عن ان المفسرين متفقون على ان ذلك هو بالنسبة للظرف الذي كان وانقضى وليس على التأبيد . وجاء مصداق هذا فيما قرره القرآن عليهم من تشتت في أنحاء الارض ومن استمرار اللعنة والذل والمسكنة والغضب عليهم الى يوم القيامة .

ومن الجدير بالذكر ان الاصحاح (٢٦) من سفر الاحبار احد اسفارهم التي يتداولونها انذرهم انذارا رهيبا بالنكبات والضربات والشتات وتسلط الأغيار عليهم واذلالهم وتدميرهم اذا هم انحرفوا عن وصايا الله وشرائعه . ولقد سجلت اسفار عديدة من اسفارهم مثل اسفار القضاة وصموئيل والملوك واخبار الايام وحزقيل ودانيال انحرافات دينية وأخلاقية ارتكسوها فيها ففقدوا من وجهة نظر اسفارهم ما أذنهم الله من تفضيل وإرث ايضا .

ثالثا : في سورة الانفال هذه الآيات : (**ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم**) ٥٥ ـ ٦١ ومعظم المفسرين وروايات النزول على ان هذه الآيات في صدد الاسرائيليين الذين كانوا في المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي مضامينها قرائن أو دلائل على صحة ذلك . وينطوي في الآيات صورة قوية لما كان عليه اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من كفر وفسق وخيانة وتآمر على المسلمين وايجاب على المسلمين باعداد كل قوة لكفاحهم والتنكيل بهم وتشريدهم . والنقطة المهمة في بحثنا في هذه الفقرة هي جملة : (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**) واليهود اليوم في فلسطين يعلنون من آن لآخر رغبتهم في الصلح مع العرب مع اعتراف العرب بدولتهم في فلسطين والصلح معهم على هذا الاساس .

والجملة القرآنية انما تنطبق عليهم حين نزولها حيث كان ارض ومنازل وحقول ومزارع خاصة بهم غير مغتصبة من غيرهم . وتنطبق على كل عدو آخر للمسلمين له دار ودولة خاصة من غير اغتصاب من الغير ثم أراد مسالمة المسلمين والانتهاء من عدوانه وعدائه . اما اليهود في فلسطين فهم أعداء معتدون على دار المسلمين والعرب . مغتصبون لما احتلوه من فلسطين اغتصابا بمساعدة طواغيت الاستعمار اعداء المسلمين والعرب بعد ان حاربوا المسلمين والعرب فيها اشد حرب وآذوهم اشد أذى وطردوهم من مدنهم وقراهم واستولوا على بيوتهم ومزارعهم وبساتينهم وكرومهم وثرواتهم المنقولة وغير المنقولة

وحوانيتهم ومصانعهم وقتلوا عددا كبيرا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم وشيوخهم ، وهتكوا حرماتهم ودنسوا مقدساتهم وهدموا مساجدهم وأزالوا معالم الاسلام والعروبة من البلد المسلم العربي المقدس . ولم يتوقفوا لحظة واحدة عن كل ذلك بعد قيام دولتهم المجرمة في قسم من فلسطين ، حيث ظلوا يطاردون من بقي من العرب فيه ، ويصادرون اراضيهم وينشئون عليها المستوطنات ، ويمنحونها لمهاجرين من شذاذ الآفاق ، ويسلحونهم ويحرضونهم على العرب الذين يسكنون في الاراضي المجاورة ، ويسنون القوانين العنصرية ضدهم ، ويضيقون عليهم الرزق والأنفاس ، ويعاملونهم معاملة العدو والدون في التعليم والمرافق الاخرى ، بينما يتقاضون منهم الضرائب الباهظة ، ويعتقلون من يتحرك منهم بأي حركة سياسية او اجتماعية ، ويحاكمونهم ويحكمون عليهم بأشد الأحكام ، ويسومونهم في السجون سوء العذاب والارهاب ، وحيث ظلوا يعتدون على البلاد العربية المجاورة ، ويقصفون مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويمعنون فيهم قتلا وتدميرا بدون تفريق بين رجل وامرأة وطفل وشيخ . وقد حرقوا المسجد الأقصى ، ونسفوا حيا كاملا امام حائطهم المسمى بحائط المبكى ، وفيه زاوية ابي مدين ومئات البيوت الوقفية . وفرضوا قوانينهم على بيت المقدس ، واحاطوه بالعمارات الضخمة بقصد تهويده وازالة معالمه الاسلامية العربية ، واستولوا عنوة على قسم من الحرم الابراهيمي في الخليل وهو مسجد اسلامي منذ مئات السنين وحولوه الى كنيس لهم . ولم يكن بينهم وبين المسلمين والعرب سابق عداء قبل تفكيرهم في غزو فلسطين وانشاء دولة لهم فيها على انقاض اهلها العرب والمسلمين . بل كان المسلمون والعرب والسلطان الاسلامي يمنحون كل ما كان عندهم من الحرية والأمن والطمأنينة في حين كانوا وظلوا معرضين للاضطهاد والمطاردة والمصادرة بسبب من سلوكهم واخلاقهم الفاسدة في جميع البلاد التي كانوا يقيمون فيها . فلا ينطبق عليهم معنى الجنوح الى السلم اذا اعلنوا انهم يريدون الصلح مع المسلمين والعرب مع احتفاظهم بما اغتصبوه من دارهم وبالدولة التي اقاموها بغيا وعدوانا على انقاضهم ، وبقاء اهلها الاصليين مشردين عنها في انحاء الارض ، يحيون حياة البؤس والشتات والحرمان ، ولا يجوز للمسلمين والعرب اجابتهم الى ذلك .

حتى لو تركوا بعض ما اغتصبوه واكتفوا بالقسم الذي قررته لهم هيئة الأمم . لأنه دار المسلمين والعرب وليس لهيئة الأمم ان تمنحهم جزءا مهما كان صغيرا من هذه الدار . وليس لأحد من المسلمين والعرب حق في قبول ذلك . واي تساهل في ذلك هو خيانة لله ولرسوله وللمسلمين . وعلى المسلمين واجب اعداد كل قوة

يستطيعونهـا ، والاستعـداد بكل وسيلة لمقاتلتهم وتضييـق الخنـاق عليهم بدون كلل ولا فتور كما امر الله ، الى ان يخرجوهم من دارهم ويطهروا كل بقعة منها من رجسهم ، وتعـود الى السلطـان العربـي والاسلامي كما كانت . وكل تهاون في اي شيء من ذلك اثم ديني عظيم .

ويحسن ان ننبه في هذه المناسبة على نقطة هامة . وهي ان الجنوح للسلم يجب ان يكون من العدو . وقد نهى الله المسلمين عن ذلك كما جاء في آية سورة محمد هذه : (**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم**) ٣٥ لأن الجانح للسلم هو الجانب الأضعف ولا مناص له من قبول شروط الجانب الأقوى . وقـد كرم اللـه المسلمين عن ذلك . ولا سيما انه انما شرع الجهاد عليهم للدفاع ، ويكون المسلمون فيه في موقف المدافع المقابل بالمثل ، ويكون الكفـار في موقـف العدوان عليهم . وقد قال اللـه عز وجل : (**ولمن انتصر بعد ظلمـه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليـم**) الشـورى/٤١ و ٤٢ وهذا حال المسلمين والعرب واليهود اليوم . فهؤلاء هم الظالمون الباغـون ، وأولئـك هم المنتصرون المتصدون لدفع الظلم .. ولقد امر الله تعالى المسلمين بعدم التهاون في قتال اعدائهم الى ان ينتهوا من عدوانهم ، حتى ولو كان في ذلك مشقة عليهم لأنهم على الحق . وعدوهم هو الباغي عليهم ، وقد وعدهم بالنصر كما جاء في قوله تعالى : (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين**) البقرة/١٩٣ وقوله : (**ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونـوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيمـا**) النسـاء/١٠٤ وقولـه : (**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**) الروم/٤٧ وقوله : (**ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقديـر**) الحـج/٣٨ و ٣٩ و : (**لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز**) الحج/٤٠ و قولـه : (**ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور**) الحج/٦٠ . ولقد آن للمسلمين من عرب وغير عرب ، ان ينتهوا من موقف العجز والتمـزق الذي ارتكسوا فيه سنين طويلـة ، والذي جعل أذل أمة في الأرض تذلهم وتستهين بهم وتفعل بهم وبمقدساتهم من الأفاعيل ما يحرك الحجر . ولهم من العدد العظيم والطاقات الهائلة ما يضمن لهم النصر الساحق عليهـم وعلى انصارهم ، واسترداد الحـق المهضوم والوطن السليب المقدس اذا ما صدقوا العـزم ونصروا اللـه . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز .

والحمد لله رب العالمين .



لا دينا



أنزل الله سبحانه وتعالى الأديان السماوية لهداية الناس الى طريق الايمان والعلم والخير والحق ، ولاصلاح احوالهم وتنظيم حياتهم ليحيوا حياة حرة كريمة طيبة ، قوامها الاخاء والوئام والسلام والعدل والتعاون والتعارف ، والسبيل الى ذلك كله الايمان بالله تعالى والاعتصام بحبله وطاعته والامتثال لأوامره ونواهيه . واذا ما تفكر الانسان في الله وادرك وجوده وعرفه ، آمن به وحده لا شريك له واطاعه واتقاه . لكن الانسان في حاجة دائما الى روابط تربطه بالله وتشده اليه كلما سولت له نفسه الامارة بالسوء ان يخرج عن طريق الله وينحرف عن صراطه المستقيم ، والى ما ينبهه الى الله ان غفل عنه وما يذكره به عز وجل ان نسيه ، فيبقى قلبه عامرا بتقوى الله ومعاني الحق والعدل والفضيلة . وما يربط الانسان بالله تعالى ربطا وثيقا ويشده اليه شدا محكما . كلما زين له الشيطان الابتعاد عنه تبارك وتعالى ، وخير منبه ينبهه اليه واقوى مذكر يذكره به عز وجل كلما غشيه غاشى الاغفال والنسيان العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر وتسبيح . شأنه في ذلك شأن المتعلم ، يبقى حافظا واعيا لما تعلم بدوام المطالعة والمذاكرة

لمن لا أخلاق له

محمد مؤذن

للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

وينساه بالاهمال والهجر او مثل السلاح الذي يعتريه الصدأ ويعلوه الغبار اذا اهمل ولم ينظف باستمرار . فبالعبادات يبقى المرء متصلا بالله معتصما بحبله ومتبعا سبيله وبانقطاعه عنها ينقطع عن الله ، وينحرف عن صراطه المستقيم وينسى تقواه وطاعته .

وذلك يعني ان الحكمة من العبادات كلها من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحو ذلك ، والهدف من فرضها على الانسان طاعة الله وتقواه ، واتباع شريعته والتحلي قولا وعملا بأخلاقه السماوية وفضائله السامية من حق وعدل وشرف وصدق وامانة وتواضع وتضحية وايثار وما الى ذلك من مكارم الاخلاق ، وبذلك تصلح احوال الناس وتستقيم امورهم وتطيب حياتهم ويظلهم التعاون والتآخي والتعايش السلمي . وتتجلى هذه الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ومن ذلك قوله تعالى : **(اتل ما اوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت/ ٤٥ .

وان ثمرة الصلاة تهذيب النفس وسمو الروح واجتناب الفاحشة والمنكر ، فمن لم تنهه صلاته عن ذلك فلا صلاة له عند الله تبارك وتعالى ،

وفرض على المسلم ان يصلي ويجتنب الفحشاء والباطل ، ومن لم يفعل ذلك بطلت صلاته وسقط ثوابها .

ومثل الصلاة الصوم فمن صام عن الطعام والشراب ولم يصم عن الشر والأذى فلا صوم له عند الله تعالى . فحكمة الصوم العليا هي تقوى الله ونبذ الشر والزور كما قال الله عز وجل : **(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** البقرة/١٨٣ فالتقوى هي حكمة الصوم السامية وثمرته الطيبة المرجوة .

ويوضح ذلك رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه** » .. رواه البخاري .

والزكاة والصدقة تزكيان النفس من داء الشح والبخل وتمحوان صور البؤس والفقر والجوع الذي يدفع احيانا الى اقتراف الشرور والآثام . وينالها المحتاج العاجز عن السعي والعمل ولا عائل له ولا منفق عليه ، ويرمز الاحسان والانفاق في سبيل الله والزكاة للتراحم والتكافل الاجتماعي بين عباد الله اقوياء وضعفاء واغنياء وفقراء . قال الله تبارك وتعالى : **(خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم)** التوبة/١٠٣ .

وكذلك الحج فهو رحلة روحية الى بيت الله الحرام والديار الاسلامية المقدسة تعمق الايمان بالله في نفس المسلم وتزيده نورا وسناء وتوثق صلته بربه وطاعته له . وتثمر له توبة نصوحا تنفعه في الدنيا والاخرة . ويمكن ان يكون موسم الحج مؤتمرا اسلاميا ، يتلاقى فيه المسلمون ويتعارفون ويتدارسون شؤونهم المختلفة ، ويتعاونون على ما فيه الخير والعزة لهم .

والمتأمل المتفكر في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ، يتبين له ان الحكمة العليا والغاية المثلى من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ، ان يتخلق المسلمون باخلاق الاسلام الفاضلة وادابه العالية وفضائله السامية ، ومنبع ذلك كله الايمان بالله وحده وطاعته قولا وعملا ظاهرا وباطنا . فمعظم الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة تدور حول الاخلاق والفضائل والسلوك ، وتغري بالتحلي بمكارم الاخلاق وحميد الخصال من صدق وامانة وشجاعة وتضحية وايثار وشرف وطهارة وتواضع ونحو ذلك . وتنهى عن الرذائل والمفاسد من كذب وخيانة وجبن وأثرة وأنانية وغش وخداع واستغلال واحتكار وزنى وربا وما الى ذلك من رذائل ودنايا . ويوضح ذلك هذه الآية الكريمة : **(لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)** الحديد/٢٥ وقال عز وجل : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا)** الملك/٢ .

ولن يقوم النــاس بالقســط ولن تستقيم امورهم ولن تصلح احوالهم ولن يخيم عليهــم العــدل والوئــام والسلام الا بتقوى اللــه والعمــل بشريعتــه الغــراء والتحلي بمــكارم الاخلاق والفضائل التي امر الناس ان يتحلوا بها في اقوالهم وافعالهم وحياتهم وسلوكهم . وذلك يعني ان جوهر الدين وثمرته الطيبة الخلــق الكريم والسلوك القويم . وتتجلى **هذه** الحقيقة في أحاديث شريفة عديدة منها قوله صلى الله عليه وسلم : « **انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق** » رواه البخاري والحاكم والبيهقي .

وقال صلوات الله عليه وسلامه : « **المسلم من سلم المسلمــون من لسانــــه ويـــده** » رواه أحمـــد والترمذي .

ونتعلم من الآيات الكريمة فضيلة التواضع والتسامــح والاعتــدال في الانفاق كما يقــول اللــه تعــالى : (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونـــا واذا خاطبهـــم الجاهلـــون قالـــوا سلامـــا**) الفرقان/٦٣

وقال عز وجل : (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بــين ذلك قوامــا**) الفرقــان/٦٧ وبالايمان والتقوى يجتنــب المؤمــن الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا عمــلا بقولــه جل جلالــه : (**والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما**) الفرقان/٦٨

ويأبى عليه ضميره شهادة الزور والخوض في اللغو كما قال عز وجل : (**والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغــو مروا كرامــا**) الفرقان/٧٢

وتحثنا الآية الكريمة الآتية على الصدق وتنهانا عن رذيلــة الــكذب والنفاق : (**ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما**) الاحزاب/٢٤ ونتعلــم من هذه الآيات الكريمة ادب التواضع وغض الصوت : (**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيــك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير**) لقمان/١٨و١٩

وينهانا الله تعالى عن العدوان : (**ولا تعتدوا ان اللــه لا يحــب المعتدين**) البقرة/١٩٠

ويأمرنا جل شأنه بالعفو والصفح اذ يقول : (**وليعفوا وليصفحوا الا تحبــون ان يغفــر اللــــه لكم**) النور/٢٢

ولا تصفو الحياة الانسانية ولا تطيــب ولا تنمــو علاقــــات المودة والصداقة ولا تثمر الا بالتسامــح ومقابلــة الشر بالخــير والاســـاءة بالاحسان وهذا ما يدعونا اليه الله تبارك وتعالى فيقول : (**ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**) فصلت/٣٤ والحياة الآمنة تتطلــب استئصــال شأفة الظلم والفساد والاجرام لذلك

نهانا الله تعالى عن ذلك فقال : (**انه لا يفلح الظالمون**) الانعام/ ٢١ وقال عز وجل : (**وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**) الأعراف/ ٨٦ وقال جل وعلا : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**) النمل/ ٦٩

ومن اسباب الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة ازدهار الأمانة والعدل في المجتمع لذلك امرنا الله تعالى بالتحلي بهما فيقول : (**ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل**) النساء/ ٥٨

ويأمرنا كذلك عز وجل باصلاح ذات البين والصلح بين المسلمين الذين يقتتلون ويتنازعون والوقوف الى جانب الحق ليبقى المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص . يقول الله جل شأنه : (**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله**) الحجرات/ ٩

ويعلمنا الاسلام الحنيف التعاون على الخير والحق وعدم التعاون على الشر والباطل إذ يقول الله تعالى : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) المائدة/ ٢

ويشربنا الاسلام رحيق العزة والقوة الرحيمة العادلة كما يقول الله عز وجل : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون/ ٨

والدين لا يصان والوطن لا يحمى ولا يتحرر اذا اغتصب ، والحق المسلوب لا يسترد الا بالجهاد الصادق بالمال والنفس والقول والعمل والعلم ، وما تقاعس قوم عن الجهاد الا ذلوا وهانوا وتعرضوا للغزو والعدوان ، لذلك امرنا الله تعالى في آيات كثيرة بالجهاد بالمال والنفس .

ومن ذلك قوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/ ٤١ .

وقال جل جلاله : (**ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) الصف/ ٤ .

وقال تبارك وتعالى : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) آل عمران/ ١٦٩ .

والأعمال الصالحة الطيبة من ثمرات الايمان الصادق بالله كما يقول الله سبحانه وتعالى : (**والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) سورة العصر .

وآفة التعاون والاتحاد الأثرة والأنانية ولا وحدة ولا اتحاد ولا ائتلاف الا تحت مظلة التضحية والايثار اللذين هما من اسمى اخلاق المؤمنين الصادقين كما يقول عز وجل : (**ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة**) الحشر/ ٩ .

وكذلك السنة النبوية المباركة محورها وملاكها الأخلاق والآداب والفضائل ، ومن ذلك هذا الحديث

الشريف : « **آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أؤتمن خان** » (رواه البخاري ومسلم) . فهو ينهي عن الكذب وخلف الوعد والخيانة . وجوهر الايمان بالله ومكارم الاخلاق ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه وان يتحلى بالتضحية والايثار . وهذا ما حث عليه رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله : « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » . (رواه البخاري ومسلم وأحمد) .

والمؤمن أخ للمؤمن يشعر بشعوره في السراء والضراء وفي اليسر والعسر كما يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » . (رواه أحمد ومسلم) .

والمؤمنون الصادقون يتعاونون على غرس الخير واقتلاع الشر يدا واحدة وقلبا واحدا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا** » (رواه البخاري ومسلم) .

ومن الاخلاق الكريمة اللازمة لصنع الحياة الطيبة الجميلة الصدق والنصح وفي ذلك قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **ان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة . ثم يختم له عمله بعمل اهل النار . وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار . ثم يختتم له عمله بعمل اهل الجنة** » . (رواه النسائي) . وقال عليه الصلاة والسلام : « **من غش فليس منا** » (رواه الترمذي) .

والاخلاص في العمل واتقانه من عماد الايمان بالله ومكارم الأخلاق كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « **ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه** » (رواه ابو يعلي وابن عساكر عن عائشة) والأمانة خلق عظيم وفضيلة سامية وهي عماد الايمان بالله فلا ايمان لخائن غادر كما قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه : « **لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له** » (رواه احمد والبزار والطبراني في الأوسط) ومن الأمانة تحمل المسؤولية والقيام بالواجب كما قال عليه الصلاة والسلام : « **كلكم راع ومسؤول عن رعيته** » (رواه البخاري) .

والشجاعة من الايمان والاخلاق العظيمة . فبالشجعان يحق الحق ويقام العدل وتظهر الحقيقة ويقوم الاعوجاج ويتحرر الوطن المحتل وفي ذلك يقول رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) « **اذا رأيت امتي تهاب ان تقول للظالم : يا ظالم فقد تودع منهم** » (رواه الحاكم) .

والسماحة خلق طيب كريم كما قال صلوات الله عليه وسلامه : « **رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى** » . (متفق عليه) .

وخير الناس وأحبهم الى الله ورسوله أحسنهم عملا واكثرهم نفعا وخيرا للناس كما قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « **خير الناس أنفعهم للناس** » وقال : « **أحب عباد الله الى الله أحسنهم خلقا** » (رواه الطبراني) . وقال : « **ان احبكم الي احسنكم اخلاقا** » (رواه البخاري) .

ومن اجمل الاخلاق وأسماها عزة النفس ، وان يكون المرء منعما متفضلا لا سائلا مستجديا والى ذلك يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » . (رواه البخاري) .

والمسلم الحق يأنف من التقليد الأعمى ويأبى التبعية والانجرار لغيره فلا يكون ذيلا لأحد ولا ظلا لشخصية أخرى ، بل تراه حر التفكير والارادة مستقل الشخصية كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **لا يكن أحدكم إمعة يقول انا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساءوا اسأت ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم** » (رواه الترمذى) .

وهكذا نرى ان معظم الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تدور حول الاخلاق والآداب والفضائل والعمل والسلوك ويوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « **انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق** » . (رواه البخاري والحاكم والبيهقى) . وقوله : « **اتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** » **(اخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب من صحيحه) وذلك يعني ان جوهر الاسلام الحنيف ولبابه مكارم الاخلاق والسلوك القويم الكريم والعمل الطيب المثمر فدين المرء أخلاقه وأعماله ولا دين ولا ايمان لمن لا أخلاق له .**

ولنا ان نتساءل هنا : لماذا كانت الأخلاق والآداب جوهر الاسلام الحنيف وسائر الاديان السماوية وثمرتها وغايتها العليا ؟ لانه بمكارم الاخلاق والآداب العالية والفضائل السامية ينهض الانسان ويرتقي روحيا وماديا وعلميا وحضاريا وفي شتى نواحي الحياة . وبها تطيب الحياة الانسانية وتسمو على الحياة الحيوانية ، ويعيش الناس في امن وسلام واخاء وحرية ومساواة وبها تزدهر العدالة الفردية والاجتماعية ، ويعلو الحق على الباطل ويصفو الجو ويحلو العيش . وبانتكاس الاخلاق والفضائل واضمحلالها تنتكس الحياة البشرية ، وينحط البشر

ويرجعون القهقرى ، ويفسد الفرد والمجتمع ويسود الناس التنافر والتباغض والتعادي ، وتتحكم فيهم الشهوات والغرائز والأطماع وتسودهم شريعة الغاب .

فالمرء الذي يفتقر الى مكارم الأخلاق من جد واجتهاد وصدق وأمانة ورحمة وعزيمة وإرادة وصبر ومثابرة وشجاعة ونحو ذلك ، يسفل ولا يفلح في حياته ولا يؤمن جانبه . أما الشخص الذي يتحلى بالاخلاق الكريمة والفضائل السامية فانه يعلو ويسمو ويبلغ اوج العلى ويحلق في السماء . وكذلك المجتمع الذي تطغى عليه المفاسد والرذائل ، يمرض ويضعف ويهبط الى الحضيض ويتفسخ ويفتقد السعادة والعيشة الآمنة الراضية والحياة الحرة الكريمة . اما المجتمع الذي تظلله المثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة فانه يتمتع بنعمة الصحة والعافية والقوة والحياة الطيبة الجميلة ، ويعيش حرا عزيزا سيدا ويرتقي في جميع ميادين الحياة من علمية ، وحضارية ، وثقافية ، واقتصادية ، وعسكرية ، واجتماعية ، وصناعية . وقد أدرك ذلك احمد شوقي ووعاه فقال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقال :

وليس بعامر بنيان قوم
اذا اخلاقهم كانت خرابا

وأوضح من ذلك ان البلدان التي دخلها العرب المسلمون فاتحين ، وهداة مصلحين أيام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين والأمويين والعباسيين ، وجدت منهم الرحمة والعدالة والرفق والانسانية ، ولم يستعبدوها ولم ينهبوا خيراتها وثرواتها ولم يسفكوا دماءها ، لانهم كانوا حملة رسالة انسانية اخلاقية ، ودعاة الى دين الله سبحانه وتعالى ، وأصحاب مبادىء سامية ومثل عليا ، ولم يكونوا استعماريين ماديين ، وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون الى ان يقول : « ان التاريخ لم يعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب » . اما البلاد التي غزاها الاستعمار الغربي قديما وحديثا في الحروب الصليبية والعصر الحديث ، فقد استرق شعوبها وسخرها لخدمة مصالحه الاستعمارية اللئيمة ، ونهب خيراتها وثرواتها وحكمها بالحديد والنار ، وأعمل فيها حمامات دم غزيرة وارتكب مجازر بشرية رهيبة ، ولا ينتظر غير ذلك من غاز مستعمر مجرد من المبادىء الانسانية والقيم الاخلاقية ، ولا هم له الا النهب والسلب والاستغلال والاحتكار والسيطرة .

والقاضي الذي يفتقر الى الخلق الكريم والضمير الحي ولا يتقي الله ، يمكن ان يرتشي ويتلاعب بالقانون

وفق الهوى والغرض ، وينحرف عن جادة الحق والعدل .

ونرى اصحاب المثل العليا والقيم الأخلاقية ، يسلكون طريق الحق والعدالة والاستقامة والشرف ، ونرى اللا أخلاقيين اللا إنسانيين يتبعون طريق الباطل والجور والانحراف والخسة .

والقوانين والدساتير والقرارات المكتوبة الموضوعة ، تبقى حبرا على ورق مطوى ، وتظل مجمدة معطلة ، ويمكن ان يتلاعب بها ويتحايل عليها وتحرف حسب الهوى والمصلحة ، ما لم يقم على تنفيذها وتطبيقها ناس أولو ألباب وأخلاق وضمائر . فميثاق الأمم المتحدة ينص على حق تقرير المصير لجميع الشعوب والأمم وعلى حق الانسان في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل ، ويحرم التدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب . ومع ذلك نرى الدول الكبيرة القوية ، تتقاسم فيما بينها مناطق النفوذ في العالم وتتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الضعيفة ، ولا تتورع عن تسخيرها لتحقيق مصالحها الاستعمارية الخبيثة . ولم لا نقول ان الشعوب التي نالت حريتها واستقلالها ، لم تنلها وفق ميثاق الأمم المتحدة . بل نالتها بعد كفاح مسلح مرير وتضحيات بشرية ومادية جسيمة ، وانتزعتها من براثن الاستعمار انتزاعا بقوة السلاح .

وذلك يعني انه لا فائدة من اصدار القوانين والقرارات والدساتير العادلة المنصفة ، ما دامت النفوس والعقول والقلوب خالية مقفرة من معاني الحق والعدل والفضائل السامية ومكارم الأخلاق . ومنبع ذلك كله الايمان بالله وتقوى الله عز وجل ، ومن لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل .

ومصدر الأخلاق والفضائل والآداب ومنبعها الصافي الثر المتدفق الأديان السماوية والثقافات الانسانية المستوحاة من السماء . ولا شيء يجعل سلوك المرء طيبا مستقيما وأخلاقه كريمة حميدة كالايمان بالله وتقوى الله تبارك وتعالى ، واذا ما تحلل المرء من طاعة الله ومخافته انساق مع نفسه الأمارة بالسوء ، وجرفه تيار شهواته البهيمية وغرائزه الحيوانية . ولنا ان نتساءل هنا هل التحلي بمكارم الأخلاق يغني عن أداء العبادات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحو ذلك .

أجل ! إن بلوغ الغاية لا يتحقق الا بتوفر الوسيلة المناسبة ، والوصول الى الهدف لا يكون الا بسلوك الطريق الموصل اليه . والانسان ينسى ما لديه من الوان المعرفة والثقافة بالاهمال والانقطاع عن قراءة الكتب ومطالعتها . ولا ينساها بالمواظبة على النظر في الكتب ومراجعتها ، وكذلك العبادات تهذب نفس المرء وتطهر قلبه وتسمو بروحه وتعلمه الأخلاق الفاضلة والآداب العالية وتبعث فيه ضمير الانسان وتشحنه بتقوى الله ما دام مواظبا على ادائها وداعيا

لحكمتها ومدركا لثمرتها ومستضيئا بأنوارها . فالنفس البشرية امارة بالسوء بطبعها وطبيعتها والعبادات الخالصة لوجه الله تعالى تضبط النفس وتكبح جماح الشهوة والغريزة وتحبس الأهواء والنزوات وتتحكم بها .

لذلك كانت العبادات فرامل للنفس توقفها عند الحاجة ولجاما للغريزة يلجمها ويحول دون جموحها وانفلاتها وهي حبل للمرء يربطه بالله تعالى ويشده دائما اليه كلما زين له الشيطان الخروج عن حده . وهي ضرورة حياتية لا غنى عنها وحاجة انسانية تلزم للناس جميعا على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية . فلذا فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم جميعا لخيرهم ومصلحتهم وهدايتهم وصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة . فمن عبد الله تعالى صادقا مخلصا واستقام أمره وصلح حاله ، نفع نفسه في الدنيا والآخرة . ومن لم يعبد الله عز وجل أضر بنفسه وأساء اليها وجنى عليها . وفي الحقيقة ان الله سبحانه وتعالى ليس في حاجة الى صلاة الناس وصيامهم وعباداتهم له بل هم في أمس الحاجة الى ذلك كله . فهو تبارك وتعالى غني عن العالمين ، والناس هم الفقراء اليه فتعالى الله وهو الغني الحميد أن يكون فقيرا الى الناس كما قال جل شأنه : (**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**) فاطر/١٥ .

وفرض على الانسان ان يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويعبد الله صادقا مخلصا وفرض عليه كذلك ان يتعلم من عبادته لله ويستضيء بأنوارها الهادية وينتهي عن الفحشاء والمنكر ويهجر الباطل والشر والأذى قولا وعملا ظاهرا وباطنا . فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عبادة لا تنهي صاحبها عن الشر والرذيلة ولا تحليه بالخير والفضيلة .

وذلك يعني ان التحلي بمكارم الأخلاق وحسن السلوك وصالح العمل لا يغني أبدا عن اداء العبادات كاملة متقنة ، فقد فرض الله تعالى على عباده أن يصلوا وينصرفوا عن الفاحشة والمنكر وان يصوموا عن الشر والباطل كما يصومون عن الطعام والشراب وان يزكوا ويحجوا ويتقوا الله ويطيعوه وينفعوا الناس بما اعطاهم تبارك وتعالى من علم وحكمة ومال وقوة وسلطان .

فالعبادة شجرة طيبة والعمل الطيب ثمرتها وكما انه لا نفع في شجرة لا تثمر ولا ثمرة بلا شجرة لا ثواب كذلك لعبادة لا تقترن بالعمل الصالح وتقوى الله . وكما انه لا بد من توفر الوسيلة والطريق لبلوغ الغاية والهدف ، كذلك لا بد من العبادة الصادقة الخالصة لوجه الله تعالى لظهور العمل الصالح المثمر والحياة الطيبة الراضية وفي ذلك قال الشاعر الباكستاني :

إذا الايمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحي دينا

مائدة القارئ

القرآن ... والانسان

الناس في موقفهم من القرآن الكريم صنفان : صنف أنعم الله عليه فرأى الايمان والنور فاهتدى .. وصنف أمعن في الفساد والشر فأصابه العمى .. قال تعالى : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا** » ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ **من سورة الاسراء** .

تلاوة القرآن .. والمسجد

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم .

دعاء

يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء عند النوم : « اللهم اني أسلمت وجهي إليك ، وفوضت امري اليك ، والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت » .

امرأة

كانت عاتكة بنت عمرو بن نفيل ، امرأة جميلة ،
تزوجت عبدالرحمن بن ابي بكر فقتل عنها ، ثم تزوجت عمر بن الخطاب فقتل عنها ، ثم تزوجت الزبير بن العوام فقتل عنها ، ثم تزوجت محمد بن ابي بكر فقتل عنها .



رجل كريم

حكى الأصمعي : أنه قصد رجلا مشهورا بالكرم ، فلما جاءه منعه البواب من الدخول وقال له : ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك الا لرقة حاله ، وقصور يده .
فكتب الأصمعي في ورقة دفعها إلى البواب هذا البيت :

اذا كان الكريم له حجاب   فما فضل الكريم على اللئيم

فأخذها البواب وأعطاها لصاحبه ، فوقع على ظهرها بهذا البيت :

إذا كان الكريم قليل مال   تحجب بالحجاب على الغريم

وعاد بها البواب الى الأصمعي ومعها صرة فيها خمسمائة دينار .

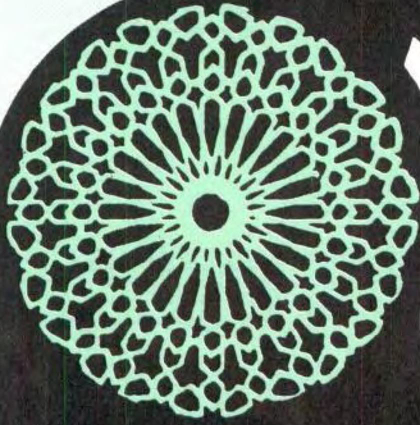
بين رجل وولده

أرسل رجل ابنه إلى السوق ليشتري له رشاء للبئر ، طوله عشرون مترا فوصل الولد إلى منتصف الطريق ، ثم رجع الى والده فقال : يا أبت ! عشرون مترا في عرض كم ؟ فقال الوالد : في عرض مصيبتي فيك يا بني .

موقف الكلاب

قال ابن الأحنف :

يمشي الفقير وكل شيء ضده   والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب   ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة   خضعت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوما فقيرا عابرا   نبحت عليه وكشرت أنيابها



الإسلام دين المدنية والحضارة

للأستاذ / علي عبدالله طنطاوى

أتخذ اعداء الاسلام من حاضر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة وسيلة لنشر سمومهم ، وتشكيك المسلمين في دينهم ، زاعمين أن أحكام الاسلام لا تساير المدنية الحديثة ، وأنها سبب تأخر المسلمين وتخلفهم .

وقد اتخذت هذه الفرية الخبيثة أوجها كثيرة ، وكان لكل وجه منها قناع ، فمن عدو حاقد قائل : إن القوانين الاسلامية لا تتمشى مع روح العصر الحديث ، وذلك مثل المستشرق « بروكلمان » الذي يقول : إن القانون الجزائي في الاسلام قد ظل على مستوى يقرب من السذاجة ، وهو لا يمثل إلا تقدما ضئيلا بالنسبة إلى مفاهيم القوانين الوثنية القديمة .

ويقول « وليم جيفورد » متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا ان نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة التي لم يباعدها عنه إلا محمد وكتابه .

ومن جاهل بأحكام الشريعة لا يعرف شيئا من ضخامة ثروتها التشريعية فيصفها بالجمود ، ومن قائل أو قائلين : إن الحدود وإن صلحت في الماضي لأنها شرعت لنفوس قاسية ، فانها لا تصلح ولا تتمشى مع طباع الحاضر لعلو نفوس الناس ، وإرهاف مداركهم .

واليقين الذي لا شك فيه أن هذه المفتريات والأباطيل لا سند لها إلا الحقد والجحود ، وسنتاولها في إلمامة عاجلة .

فبالنسبة للفرية الأولى القائلة بتخلف التشريعات الاسلامية فانها جاءت من قائلها بلا سند او دليل سوى الحقد الأعمى الدفين ، بقصد التطاول على التشريع الاسلامي ، ويكفينا للرد عليها أقوال أبناء جلدته ودينه من المستشرقين المنصفين ، الذين لا يمكن لأحد أن يرميهم بالتعصب للاسلام أو الدفاع عنه ، كما أنه لا يمكن رميهم بالجهل أو قصور العلم ، لأنهم من أساطين الفقه والقانون .

فيقول العلامة الكاثوليكي « شيرل » عميد كلية الحقوق بفينا : « إن محمدا الذي تفخر البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتي قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون ــ نحن الأوروبيين ــ أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى عام .

ويقول الفقيه الكبير « فمبري » : إن فقه الاسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم .

ويقول الدكتور « هوكنج » أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد : » إن في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وإنما في انعدام الميل إلى استخدامها ، واني أشعر بأني على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض » .

ويقول العلامة الكبير « سانتيلانا » : إن في الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل فيه ما يكفي الانسانية كلها .

ويقول العلامة الألماني « كهلر » معلقا على رسالة الدكتور محمود فتحي في نظرية التعسف في استعمال الحق : « إن الألمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم في ابتكار نظرية الاعتساف ، والتشريع لها في القانون المدني الألماني الذي وضع سنة ١٧٨٧م ، أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحي ، وابان لنا أن رجال الفقه الاسلامي تكلموا فيه طويلا ابتداء من القرن الثاني للميلاد ، فانه يجدر بالعلم القانوني الألماني أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعدة قرون » .

ويقول العلامة « ليفي أولمان » في تقديم رسالة الاثبات للدكتور محمد صادق فهمي : إن في هذه الرسالة ما يكفي للاعتقاد بأن التشريع الاسلامي كاف لأن يكون تشريعا عاما ، وعلى ضوء هذه الرسالة يجب اعتبار الشريعة الاسلامية

مصدرا حيا للقانون العصري ، ومناطا للحق في أدواره المختلفة .

كما شهد بسمو الشريعة الاسلامية وتقدمها المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد بلاهاي عام ١٩٣٧ ، والذي قرر أن الشريعة الاسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن .

وقد اعرب كبار رجال القانون الغربيين المشتركين في هذا المؤتمر عن بالغ تقديرهم لمبادىء الشريعة الاسلامية ، ومن هؤلاء العميد الايطالي « دل فكيو » الذي شهد بمرونة الشريعة ، « وايفارستوكا روزى » أستاذ القانون الروماني ، والعميد الامريكي « ويجمور » والفقيه الفرنسي « لامبير » .

وقد قرر المؤتمر الثاني المنعقد بلاهاي سنة ١٩٣٨ أن الشريعة الاسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية .

ويتبين من شهادة كبار رجال الفقه والقانون في العالم ، وما قررته المؤتمرات الدولية بشأن الشريعة الاسلامية أن ما قرره « وليم جيفورد » و « بروكلمان » وامثالهما ليست إلا مفتريات أملاها عليهم الهوى ، قصد بها تعمية الحقائق والصد عنها ، إذ أن التشريعات الوضعية إنما تقتفي في رقيها وتقدمها أثر الشريعة الاسلامية ، ولا أدل على ذلك ـ على سبيل المثال ـ من أنه من المبادىء المقررة في الاسلام انه لا يبطل دم في الاسلام ، فلا تذهب جريمة قتل بغير عقوبة أو تعويض أسرة القتيل ، فاذا كان القاتل لا يملك مالا لدفع الدية فانها تجب على عاقلته ، فان عجزت فـإنها تجب على بيت مال المسلمين .

وفي حالة القسامة إذا لم يعرف القاتل فان الدية تكون على بيت المال ، وقد كان للشريعة السبق في هذا المضمار لجميع الشرائع والقوانين ، إذ أن هذا المبدأ القائل بتعويض المجنى عليه لم تعرفه القوانين الوضعية إلا حديثا ، وقد طالب به « جارو فالو » و « أنريكومتري » ثم أوصى به المؤتمر الدولي لقانون العقوبات المنعقد في بروكسل سنة ١٩٠٠م ثم نشطت هذه الفكرة « مارجري فري » التي طالبت به سنة ١٩٥٧ في مقال نشر بجريدة الاوبزر فر البريطانية .

وقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر الدولي لقانون العقوبات المنعقد في بودابست سنة ١٩٧٤ .

ومن الدول التي أخذت بمبدأ مسئولية الدولة في تعويض المجنى عليه نيوزيلاند سنة ٦٣ وانجلترا سنة ٦٤ وولايات كاليفورنيا ونيويورك وماساسوستش بالولايات المتحدة الامريكية وفنلندا وهولندا وثماني محافظات كندية ، وكما هو معروف فان هذا المبدأ الحديث ليس إلا قبسا من نور الشريعة الاسلامية ، والذي سبقت به جميع الشرائع والقوانين منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

وأما الفرية الثانية القائلة بأن القرآن ومدينة مكة هما سبب تخلف المسلمين عن الحضارة ، فانها يقينا أكذوبة جاهل وليست سقطة عالم .

والتاريخ خير شاهد على أن القرآن هو الذي قاد العالم إلى المدنية التي يزعمون أنه لا يسايرها ، إذ أنه لم يقترب القرن الهجري الأول على تمامه ، إلا ودولة

المسلمين التي كانت محصورة في حدود جزيرة العرب قد أصبحت تمتد من حدود الصين شرقاً الى جبال البرانس غربا ، وتنتظم معظم أقاليم آسيا وإفريقيا وأضحى البحر الابيض المتوسط بحيرة إسلامية يضيء الاسلام بنوره شواطئه وثغوره وجزره .

وأن هذا الذي بلغه المسلمون لم يكن يمر بخلد أحد ، فقد كانوا أقلة تحارب كثرة ، ومجموعة من البدو تحارب دولتين حضاريتين هما دولتا فارس والروم ، ولا مراء في أن عظمة المسلمين وحضارتهم التي شيدوها في هذا الوقت إنما ترجع إلى صدق إيمانهم ، وتمسكهم بقواعد دينهم ، وأن في قيام هذه الدولة الاسلامية قرونا طويلة على العزة والمنعة والعدل وفي ظل شريعة القرآن ، لهو خير دليل ، وأسطع برهان على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وفي ذلك يقول « ادموند بيرك » : « إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقي ، وهو أعظم قضاء علمي ، وأعظم تشريع عادل ، لم يسبق قط للعالم إيجاد مثله ولا يمكن فيما بعد » .

وحضارة الاسلام التي قادها القرآن وأثرها على العالم حقيقة لا تقبل المناقشة ولا الجدل أقر بها العدو قبل الصديق ، وهذه هي آراء بعض مفكري رجال الغرب وعلماؤهم في هذا الشأن ، واني لا أقصد بها تقديم برهان أو دليل لصالح شريعة الاسلام وإنما أوردها لهؤلاء المفتونين بآراء الاجانب علهم يؤمنون بقيمة شريعتهم وتراثهم .

يقول جوستاف لوبون : كان تأثير العرب في الغرب عظيما للغاية فأوروبا مدينة للعرب بحضارتها ، ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة اوروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها .

ثم يقول : « ... فتحوا لأوروبا المعرفة العلمية والأدبية والفلسفية التي كانت تجهلها ومدنوها وظلوا أساتذة لنا لمدة ستة قرون » .

وتقول الدكتورة « سجريد هونكة » : حين كانت اوروبا غارقة في ظلمات العصور الوسطى وجهالتها ، وقف العرب على أبوابها يرفعون مشعل الحضارة طوال سبعة قرون .

ويقول مونتيه : والاسلام في الواقع حضارة قائمة بنفسها ، حضارة ترجع أصولها إلى قديم الزمان ، فقد بلغت تلك الحضارة أوج مجدها في الشرق والغرب في الزمن الغابر ، ثم أخذت في الهبوط والانحطاط ، ولكنها لم تنعدم قط في وقت ما .

ويقول سارتون : حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى ، فكتبت أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأغزرها مادة باللغة العربية ، حتى لقد كان ينبغي لأي كائن إذا أراد أن يلم بثقافة عصره ، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية .

ويقول العلامة « دريبر » في معرض دفاعه عن الحضارة الاسلامية وسر إخفاء

الأوروبيين لها : « ينبغي أن أنعي على الطريقة المحكمة المنتظمة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا » .

أما هذه المآثر فانها على اليقين سوف لا تظل كثيرا بعد الآن مختفية عن الانظار ، وأن الغرور المبنى على الحقد الديني ، والغرور الوطني ، لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

نعم لقد صدق هذا العلامة وأنصف إذ أن غمط الاسلام فضله وتشويه حقائقه ، ومحاولة النيل منه ، والاقلال من شأنه إنما مبناه الحقد الديني من هؤلاء المتعصبين الذين يلبسون حقدهم الدفين ثوب البحث العلمي .

وليس القول بجمود الشريعة الاسلامية إلا فرية من هذه المفتريات قصد بها تعمية الحقائق والصد عنها ، ذلك أن الشريعة الاسلامية جاءت بنصوص عامة ، وقواعد مجملة ، وتركت لأولى الامر سلطة استكمال ما يلزم من تشريعات سكتت الشريعة عن رسم قواعدها ، شريطة أن تكون هذه التشريعات متفقة مع مبادىء الشريعة وروحها ، وإلا كانت تشريعات باطلة ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على خصوبة الشريعة الاسلامية في مجال التشريع .

ولقد شهد بذلك « لامبير » كبير أساتذة القانون المقارن بفرنسا بقوله : « من ضروب الخطأ الاعتقاد أن الشريعة الاسلامية في حالة سبات ، يذكرنا بسكون المقابر وجمودها ، والحقيقة هنالك غير ذلك ، فالشريعة الاسلامية لا تزال تعد من الانظمة القانونية العظيمة في العالم الحديث » .

اما الزعم بأن العقوبات في الشريعة الاسلامية لا تصلح للحاضر ، لعلو المشاعر والأحاسيس ، خلافا لما كان سائدا وقت تشريعها ، فانه كذب وبهتان ، وواقع الحال ينطق بفريته ، إذ المتتبع لاحصائيات الجرائم في بعض الدول ، يلمس أنها في زيادة مضطردة ، فضلا عن اتسامها بطابع العنف ، وعلى سبيل المثال لقد بلغ عدد الجنايات التي أبلغ عنها في جمهورية مصر العربية سنة ٧٣ (٣١٨٥) جناية منها (١٢٤١) جناية قتل ، (٢٠٣) سرقة باكراه ، والعدد الباقي مختلف الأنواع . وبلغت عدد جرائم الجنح المبلغ عنها (١٠١٦٠١٤) ، ولقد سبق أن أوضحنا أن هذا العدد لا يمثل الواقع الفعلي للجريمة في مصر ، أما جرائم الاختلاس فحدث عنها ولا حرج ، إذ طالعتنا الجرائد بأن قيمة المبالغ المختلسة بلغت مليون و٨٣٤ ألف و ١٦٣ جنيها ، هذا غير عدد القضايا التي ما زالت قيد التحقيق ، وعددها (٢٤٩٤) قضية .

وليست زيادة الجرائم قاصرة على الدول العربية ، وإنما قد تكون بصورة أكبر وأشد عنفا في غيرها من الدول المتقدمة ، ولقد طالعتنا الصحف أن الرئيس الامريكي طلب من الكونجرس إجراء تغييرات واسعة في القوانين الجنائية الفيدرالية ، وتشديد العقوبات في بعض الجرائم ، وذلك لمواجهة هذا النوع من الجرائم العنيفة والوحشية التي تجعل الامريكيين مذعورين ، ويخشون الخروج من منازلهم ليلا .

ولو ان هناك علوا في المدارك والأحاسيس كما يزعم البعض ، لما ارتفع معدل الجريمة الى هذا الحد ، لا سيما في بلد متقدم كالولايات المتحدة ، والتي جعلت بعض مواطنيها يخشون من خروجهم ليلا ، وكما يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : « استبحر العمران ، واتسعت الحضارة ، وتعددت معها ضروب الاجرام ، واتسعت معها أبوابه ، ذلك أن النفوس قد انحرفت ، فكبرت العقول ، وضعفت القلوب ، وكبرت أدوات الشر بمقدار كبر العقول ، واستمكنت من الناس بمقدار ضعف القلوب » .

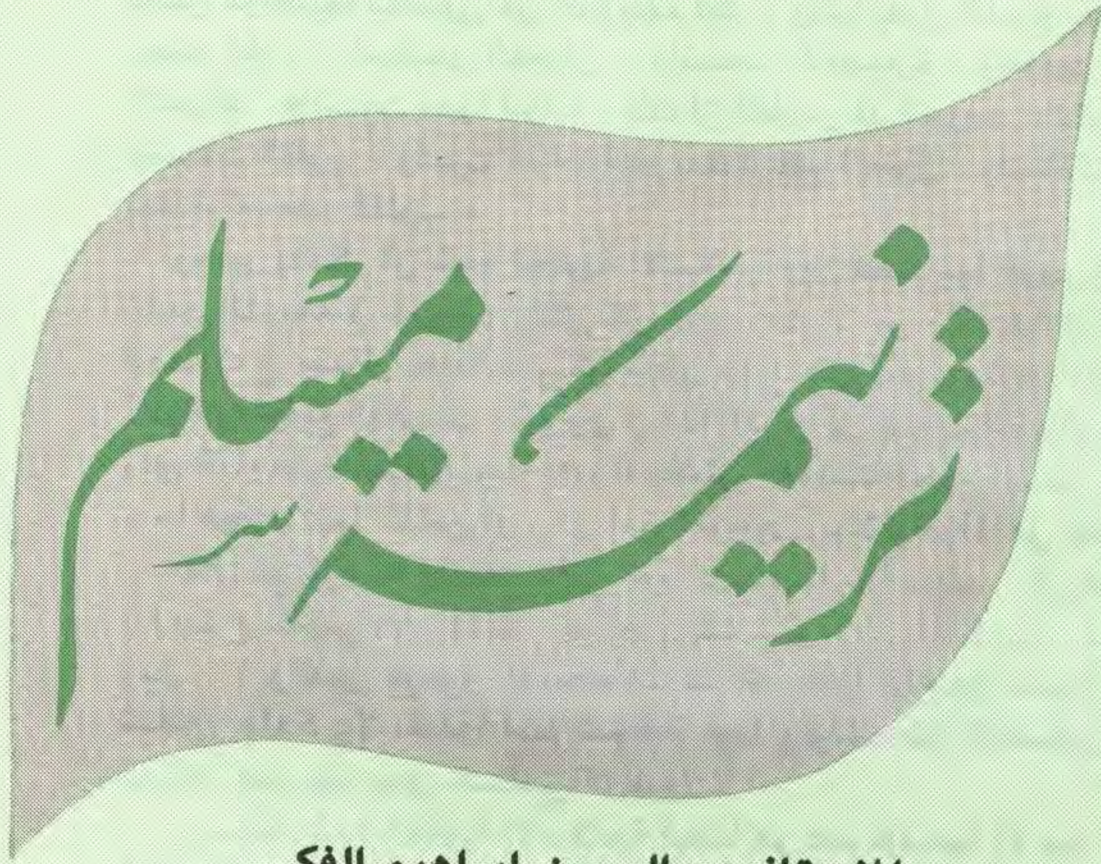
وجدير بالذكر أن شدة العقوبة الاسلامية وإن قصد بها الزجر إلا أنها وليدة تشدد الشريعة في شروط وأركان كل جريمة فضلا عن تشددها في طرق الاثبات فحصرته في وسائل معينة لا يمكن تجاوزها ، حتى ولو من أمير المؤمنين نفسه ، المنوط به توقيع العقوبات ، ويروى في هذا الشأن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أثناء فترة خلافته رجلا وامرأة يأتيان الفاحشة فجمع الناس ، وقال لهم : « ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة ؟؟ » .

فقال علي كرم الله وجهه : يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهود ، أو يجلد حد القذف إذا صرح باسمي من رآهما ، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين ، ثم تلا قوله عز وجل : **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)** النور/ ٤ فسكت عمر ولم يعين شخصي الزانيين .

إن مبعث شدة العقوبة الاسلامية أيضا هو عدم توقيعها إلا بعد انتفاء جميع الشبهات ، فان قامت شبهة ولو تافهة سقط بها الحد ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه ابو داود والترمذي ومن ثم كان لزاما إزاء هذه الضمانات أن يؤخذ العابث المنحرف بما يقومه ، ويحمي المجتمع من آثامه وشره .

ولقد أثبت الواقع والتاريخ أن شدة العقوبة كافية لاستتباب الأمن في المجتمعات ، فقد روى أن هشام بن عبدالملك عطل حد السرقة سنة فتضاعفت الحوادث ، وصار الناس غير آمنين على أنفسهم ، ولا أموالهم من الغصب والنهب ، فلما تفاقم الأمر واضطربت الأحوال ، أعاد العقوبة كما شرعها الله تعالى ، فكان الأعلام بالأعادة وحده كافيا لصون الحقوق وحفظ الأموال والنفوس .

والحال في المملكة العربية السعودية خير دليل على ذلك فقد سادها الأمن والهدوء والنظام بعد تطبيقها شريعة الله ، فأصبحت الجرائم فيها لا تتجاوز أصابع اليد ، بعد أن كان الناس قبل ذلك لا يأمنون فيها على أرواحهم ولا أموالهم ، وإن دل ذلك على شيء ، فانما يدل على أن ما أصاب المسلمين من انحلال وتخلف ، إنما كان أثرا من آثار انصرافهم عن اعتبار دينهم نظاما اجتماعيا ، فضلا عن تقليدهم الأجانب ، واعتبارهم المثل الأعلى في نظام الحياة والسياسة والحكم والتشريع .



للاستاذ عبدالرحمن ابراهيم الفكي

أمـــة الاســـلام أيـــن الحـــكم بالشرع القويم
أيـــن منـــا يوم كنـــا عابـــدي اللـــه العظيم
فاذكروا عهـــد الرضـــا عهـــد جهـــاد وإباء
حـــين كان الحـــب للـــه جميعـــا .. بصفاء
نتبـــع الايمـــان بالصـــدق .. وبالعهـــد الوفاء
وعـــدو اللـــه .. والشيطـــان .. نوليـــه العداء
رب فاجمعنـــا على نهجـــك وارزقنـــا الثبات
كي نعـــد ماض به كنـــا عبـــادا أتقياء
إذلنـــا في ذكرك الطاهـــر نور وهناء

ويقـــين يغمـــر النفس . وفيض من ضياء
ومسرات على القلـــب تغذيـــه مساء
حـــين يأتـــي الليـــل والنـــاس نيـــام وهجوع
نقطـــع الليـــل قيامـــا وسجـــودا .. وركوع
نذرف الدمـــع وندعـــوك .. وفي العـــين دموع
ونعـــي قولك بالعقـــل وبالقلـــب المطيع
أيـــن مناتلـــكم التقـــوى وذيـــاك الخشوع
إننـــا ندعـــوك ربـــاه .. فعـــل الخيرات
قد تغشانـــا من الأعـــداء .. إعصـــار أليم
وضعونـــا في متاهـــات بهـــا الشر مقيم
قد تولى الخـــير عنهـــا ليغذيهـــا الجحيم
إذ بهـــا من خلقـــك الضالـــين أكداس تروم
كل ما يبعدهـــا عنـــك لتشقـــى .. وتهيم
جهلـــوا سر الحيـــاة الضخـــم بل كنـــه الوجود
عدلـــوا عن شرعـــك السمـــح لتشريـــع العبيد
ودعـــاة النـــار والفتنـــة يابئس الدعاه
يهدمـــون الخـــير بالشر ومـــا كانـــوا بناه
أعرضـــوا عن محـــكم الشرع لأحـــكام الطغاه
كل ما أنتجـــه العقـــل ضلال .. وتياه
وظـــلام لا ترى فيـــه إلى عدل نجاه
إنمـــا التشريـــع والأحـــكام من حق الاله
وعقـــول النـــاس لا ترقـــى لتشريـــع الحياة
هي للعلـــم إذا كانـــت تؤدي مبتغاه
إيـــه ياقـــوم أفيقـــوا .. بلـــغ السيـــل زباه
واعلمـــوا أن طريـــق اللـــه مفض لرضاه
كل من يبغـــي سواه ضل عن هدى وتاه
كل من لم يعبـــد اللـــه . فعبـــد لسواه



إيتاء الزكاة

للاستاذ عبدالرزاق نوفل

كما حرص الاسلام بمصدريه .. القرآن والسنة .. عند الدعوة الى الصلاة أن ينص على اقامة الصلاة .. فلقد حرص كذلك عند الأمر بالزكاة على نص لم يتغير ولفظ لم يتبدل هو إيتاء الزكاة .. ففي الدعوة إليها يقول القرآن الكريم :

(فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الحج/٧٨ .

وفي الحديث عن المؤمنين والمؤمنات الذين يؤدون ما فرضه الله عليهم نجد النص الشريف :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة/٧١ .

وهكذا في كل الآيات القرآنية التي ذكرت الزكاة .. ووجوب أدائها وبيان فضلها تذكر الزكاة بلفظ إيتاء الزكاء ..

ولما تحدث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين اركان الاسلام فقد أوضح في نص حديثه الشريف :

« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه احمد .

ولا شك أن التأكيد والاجماع حلا ذكر ايتاء الزكاة .. وهذا أمر لابد ان يتدبره كل مسلم ويتذكره لعله يهتدي اليه .. ويتعرف عليه ..

إن الزكاة .. معناها لغويا النماء .. فايتاء الزكاة .. يكون من معانيها .. اتخاذ الانسان السبيل الى النماء .. فعلى الانسان ان يتدبر ويبحث عن أهداف الزكاة ..

لقد قرر القرآن الكريم في كثير من آياته أن انفاق الانسان هو سبيل زيادة ماله وتحسين حاله فيقول الله جل شأنه :

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) آل عمران/٩٢ .

هكذا تشترط الآية على الانسان .. أن ينفق حتى ينال البر .. والبر يشمل الخير كله من مال وولد وبركة وفضل في الدنيا والرحمة والمغفرة والأجر والثواب في الآخرة وتقول الآيات الكريمة :

(وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) سبأ/ ٣٩ .

فان الله سبحانه وتعالى يخلف على الانسان ما انفق .. وحرصت الآية على ذكر الرزق فيها بل تقرير الحقيقة ان الله هو خير الرازقين ليتأكد في وجدان الانسان ان الانفاق يعوضه الله بزيادة رزق المنفق .

بل إن القرآن طالب صاحب الرزق المحدود بالانفاق كصاحب الرزق الواسع فان المعسر اذا انفق .. سيجعل الله له بعد العسر يسرا .. اذ يقول عز من قائل :

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) الطلاق/ ٧ .

وتتكرر آيات الانفاق والبذل والعطاء في القرآن الكريم لتقرر ما للانفاق من فضل على الفرد والمجتمع .. وفي ضوء هذه الحقائق القرآنية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(حصنوا أموالكم بالزكاة) .

وقال (ما نقص مال من صدقة)

فالزكاة اذا لا تنقص المال بل تحصنه .. أي تحفظه وتنميه ..

وقد تكرر الأمر بالانفاق والصدقات .. وحبب القرآن اليها .. ولكن لأن الانسان بطبيعته يحب المال .. فهو من ضمن زينة الحياة الدنيا إذ يقول الحق تبارك وتعالى :

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) الكهف/ ٤٦ .

وقرر حقيقة من حقائق الخلق الانساني .. الا وهي حب المال .. حبا شديدا اذ تقول الآيات الكريمة :

(وتحبون المال حبا جما) الفجر/ ٢٠ .

لذلك فقد فرض الاسلام على كل مسلم ان يخرج قدرا مما يملك ومما يرزقه الله به .. هذا هو الحد الأدنى للانفاق .. وجعلها حقا مكتسبا لمن تجب عليهم الزكاة فيقول القرآن الكريم :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) الاسراء/ ٢٦ .

وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم .. ومن يخلفه في ولاية أمر الناس بأن يأخذ هذا النصيب المفروض اذا لم يخرجه المسلم طواعية واختيارا فقد قال الله ولم يزل قائلا :

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة/ ١٠٣ .

ودراسة ايتاء الزكاة .. أي سبيل النماء .. قد أوضحت في ضوء العلم الحديث ما للزكاة من افضال على شخص الفرد الذي يزكى فيتزكى .. والمجتمع الذي يضمه والدولة التي يعيش في كنفها . فالزكاة ليست نوعا من الصدقة او الاحسان يدفعه المسلم وانما هو حق معلوم وفي ادائه على هذا النحو صون لكرامة الفقير وحفظ لماء وجهه . فلا يحس الفقير بأنه موضع الصدقة والاحسان .. إنما يشعر ان

الزكاة ضريبة الأخوة .. وحق المسلم الفقير على المسلم القادر فهي ليست وسيلة لمحاربة الفقر .. قدر ما هى وسيلة لمحاربة جرائم الفقر إذ أن الفقر أساس جرائم الفرد وثورات الجماعات .. واداء الغنى للزكاة يكسبه حب الفقير وتقديره ويعمل على الحرص عليه وعلى ماله .. ولذلك فان الزكاة .. كما قدرت الدراسات الاقتصادية والاجتماعية اكبر عامل على منع انتشار المبادىء التي تثير الحقد على الاغنياء .. كما انها تعتبر من اهم وسائل تحقيق تداول المال بين أفراد المجتمع ، وتحد من قيام طبقة الأغنياء الذين يستغلون بمالهم كل مقدرات المجتمع وافراده .. فهي من أهم عوامل توزيع الثروة وانتقالها بين ايدي مختلف طبقات الشعب وهي كذلك سبيل قيام ثروات جديدة تنشأ من الزكاة وترفع بذلك من دخل الافراد المحدودي الدخل . وتحد من الفوارق الشاسعة التي قد توجد في المجتمع الذي استغل فيه بعض الاغنياء ثرواتهم .. فزاد ثراؤهم .. وزاد فقر الفقراء .. وهنا تدخل الزكاة كوسيلة من وسائل ضغط هذه الفوارق واذابتها ..

وتتميز الزكاة عن كافة ضروب الاداء بموعد ادائها .. فأوجب الاسلام الزكاة مرة كل عام ما عدا الثمار والزرع فموعد زكاتها تمام نموها وهذا أفضل الآراء . فان وجوب الزكاة كل يوم او كل اسبوع او كل شهر يضر برأس المال ولا يدفعها الدافع عن سماح وتراض .. كما ان وجوبها مرة واحدة في العمر يضر بمن وجبت لهم الزكاة من المساكين والفقراء فليس اعدل من مواعيد الزكاة .. وكذلك الأمر بالنسبة لحدودها فان العدل هو اساس هذا التحديد .. ففي الزرع نجد انها نصف العشر منه اذا كانت الأرض المزروعة تروى بالآلات وتحتاج لذلك الى كلفة ونفقة .. واما اذا كانت الأرض تسقى بدون انفاق كالمحاصيل التي تنمو على المطر، أو من عيون ترسل الماء الى الأرض فلا كلفة من صاحبها فيجب اخراج العشر من محصولها .. كما أعفى الاسلام دور السكن الخاصة والثياب وأدوات الركوب وأدوات الزينة التي لا تتخذ للتجارة .. وآلات العمل اليدوية التي يحتاج اليها المتكسب بيده من الزكاة .

وأثبتت الدراسات الحديثة ان الزكاة تغرس الامانة المطلقة في نفوس الناس .. وتربي ضمائرهم .. وتثير فيهم نزعة الايمان بمراقبة الله لهم . فالانسان يقدر بنفسه مقدار زكاة ماله ولا حسيب عليه غير ضميره ــ ويخرجها من الصنف ولا رقيب عليه إلا الله .. فان شاء أخرجها أقل مما يجب ــ ومن أسوأ مما انتج .. ولكن احساسه وايمانه بأن الله هو الرقيب عليه وأنه تركه يقدر ما يستحق عليه من زكاة يجعله أمينا في التقدير . سخيا في الانفاق عادلا مع نفسه ومع الناس .

وتؤكد الدراسات النفسية على أن الزكاة تحدد الانسان من سيطرة حب

المال على نفسه . تلك السيطرة التي تؤدي بالانسان دائما الى المرض بل الى الانتحار احيانا .. اذ ان جمع المال والحرص عليه والبخل به هو السبيل الى سيطـرة حب المال على الانسان وما من طريـق ايجابـي لمحاربة هذه السيطرة الا البذل والجود والعطاء .. وتأتي الزكاة .. وفرض إيتائها .. في قمة وسائـل وقايـة الانسان وعلاجه من اخطر أمراض النفس المدمرة .. مرض سيطرة حب المال على الانسان .

والمتدبر لآية مصارف الزكاة وهي :

(إنمـا الصدقـات للفقـراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من اللـه واللـه عليـم حكيـم) التوبة/ ٦٠ .

نجد أن **أول سهم** من الزكاة قد خصص للفقراء وهم من لا يملكون كفايتهـم .. **والسهـم الثانـي** للمساكين وهم الذين لا يستطيعون السعي والتكسب أو انهم فقراء أهل الكتاب **والسهم الثالث** للعاملين على الـزكاة .. يجمعونهـا ويوحدونهـا ويتابعون توزيعها وبذلك يقوم العامل على الزكاة بعمله نظير أجر حتـى يجتهد في عمله ويخلص له .. **والسهم الرابع** للمؤلفة قلوبهم وهم زعماء غير فقراء بتأليف قلوبهم .. أو قلـوب تابعيهم وذويهم مصلحة للاسلام .. ويتدرج تحت هذا البند ما يطبع من وسائل وما ينشر به من دعوة للاسلام ومحاربـة للالحـاد .. **والمصرف الخامس** للزكاة هو تحرير الرقيق .. اي فك الرقاب .. ليصبح المجتمع الاسلامـي اينمـا كان حرا .. متحررا .. وبانتهاء الـرق فيمـكن توجيه هذا السهم للتعليم فهو كفك رقبة الانسان من الجهل .. **والسهم السادس** للزكاة يوجه الى الغارمين وهم الذين عليهم ديون اثقلت كاهلهم ولا وفاء عندهم يستطيعون به سداد الديون .. بشرط أن تكون هذه الديون بسبب العمل ولم يكن بسبب سوء أو شر أو حرام .. **والمصرف السابع هو** في سبيل اللـه ويختص بالناحيـة العسكرية والدفاعية للدولة الاسلامية فيصرف منه على المحاربين والمرابطين وكافة شئون الحـرب والدفـاع .. **والمصرف الثامن** هو ابن السبيل وهو من انقطع عن بلاده بالسفر بحيث لا يستطيع الوصول الى ماله ومهما كان غنيا فهو في غربته في حاجة الى مال .. ينفق منه على غذائه وكسائه ومبيته وسفره ..

وهذه كلها ما نسميه في عصرنا الحديث بالشئـون الاجتماعيـة .. واعمال البر .. والدفـاع والدعـوة الاسلاميـة وكل مختلـف نواحـي المجتمـع والدولـة .. واحسـاس الانسان بمساهمته في كل ذلك انما هو سبيل الاطمئنان النفسي والصحة العقلية فيقول علم النفس ان اساس الصحة العقلية في اشتراك الانسان في النشاط الاجتماعي وشعـوره بأنـه يؤدي للمجتمع نفعا وانه عضو عامل فيه .. ان افضال الزكاة .. للفرد والجماعة حقا . لا نهاية لها ..

صفحة من التاريخ الاسلامي

دور الشباب في غزوة أحد

للاستاذ سيد ناجي

الحديث عن أحد وأهل أحد حديث عن العظمة والبطولة ، عن الشهامة والرجولة ، عن الشباب وقد شمروا عن ساعد الجد ونحن نتحدث عن معركة من معارك الاسلام التي كان للشباب فيها دور بارز لا نتحدث بالتفصيل ولكنا نلم المامة سريعة مع بعض ابطال الاسلام وشباب الاسلام الذين احدثوا بعد ذلك في تاريخ الاسلام اثرا بعيدا ، لذلك فنحن نستعين الله ، نطلب منه العون ونستلهم منه الرشد والتوفيق .

المسلمون : انتصر المسلون في بدر وكانوا فرحين بهذا النصر العظيم وذلك الفوز الباهر كانت غزوة بدر معركة كبرى حولت تاريخ البشرية خرج المسلمون وهم قلة في العدد والسلاح فلقوا هذا الحشد الهائل والجحفل الضخم من قريش في عدتهم وعتادهم وكتب الله لهم النصر على أعدائهم .

أيقن المسلمون انهم اصحاب دعوة تؤيدها السماء فالنصر حليفهم بل زاد ايمانهم ما تم لهم من نصر على بني

قينقاع بعد بدر بقليل .
قريش : فقدت رشدها بعد الهزيمة النكراء التي لحقتها في بدر فرصدت أرباح القافلة لمحاربة المسلمين .
بدأت قريش في الاعـــداد المادي والعسكري .
عام كامل وقريش في حالة اعـداد واستعداد تحشد الرجـال وتجمـع السلاح وتدرب الشباب وتوقـد نار الحقد في صدور ابنائها .
عام كامل وقريش لا يهدأ لها بال ولا يطمئن لها ضمير الا ان تثأر لقتلاها فتحرز نصرا ينسيها مرارة الهزيمة التي لحقتها في بدر .
ان معركة بدر طأطأت رأس المشركين وعفرت جباههم فارادوا ان يقوموا بمعركة ترد اليهم كرامتهم وتعيد لهم بين الناس هيبتهم .
لقد فقدت قريش كل شيء سياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا .
اخذ ابو سفيان بن حرب يؤلب الناس ويحضهم على الأخذ بثأرهم وبذلك استطاع ان يجهز جيشا قوامه ثلاثة الاف مقاتـل بعـد ان ضم اليـه الاحابيش والاحلاف ولما تم ما اراد قاد هذا الجيش ومعه النساء لئلا يفر الرجال من المعركة وتوجه بهم نحو المدينة مدينة الرسول وقلعة الاسلام .
اليهـود : غص اليهـود وشرقـوا بانتصار المسلمين في بدر وارتفـع غليـان حقدهـم واخـذوا ينفثـون سمومهم وافرغوا كل ما يقدرون عليه من دس وكيد وتآمر .
رفضوا ان يشتـركوا في غزوة بدر معللين ذلك بان المعركة تدور خارج المدينة ولم يعاهدوا على ذلك بل صاروا يهونون من شأن نصر المسلمين في بدر واجههم الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ولئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس .
لم يسكت المسلمون على هذا التحدي السافر ووصفهم بالغرور وهو داء وبيل استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم .
لقد تنبه المسلمون على صيحات العدو الغادرة وهم يعلنـون الحـرب فلن يستسلمـوا ويشتـد عواء الذئـاب الغادرة وتنطلق الحناجر الكاذبة لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس ، لم يسكت المسلمون على هذا التحـدي والتهديد بالحرب واظهار المسلمـين بالغرور بالنصر وانهم ـ اليهود ـ هم اهل الحرب والقتال كان لابد ان يقطع هذا اللسان الكاذب وان يخمد هذا الصوت الاثيم فكانـت غزوة بنـي قينقاع وتم اخراجهم من المدينة .

« الخروج للمعركة »

اقبلت قريش يقودها ابو سفيان بن حرب وعلم المسلمون بذلك وهنا تطلع علينا وعلى البشرية كلها صورة رائعة من صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفحة مشرقة من صفحاته الكريمة .
ترى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف اذا هم بأمر له شأنه وخطره هل كان يعمل برأيه وهو

المبصر من الله بالصواب ؟؟
ان الرسول صلى الله عليه وسلم مع انه لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف الا بما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين ومع ذلك كان يستشير اصحابه ولا يقطع امرا دونهم وكما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم بدر وعمل برأيهم استشارهم كذلك يوم احد وعمل بمشورتهم ولم تكن مشورته صلى الله عليه وسلم لهم امتصاصا لغضبهم او ارضاء لعواطفهم وانما كانت مشورة صادقة عمل بها الرسول صلى الله عليه وسلم رغم مخالفتها لرأيه .
عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الرأي على أصحابه أيخرج لقتالهم ام يمكث بالمدينة ؟؟
رأى أهل السن واصحاب التجارب ان يمكثوا بالمدينة فان هاجمهم مهاجم أمطروهم بالنبال وقذفتهم النساء من اعلى المنازل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يميل الى هذا الرأي ويرى فيه الحكمة والصواب اما الشباب الذين لم يشتركوا في غزوة بدر وظاهرهم بعض الشيوخ وكانوا يمثلون الاغلبية كان رأيهم ان يخرجوا للعدو معللين ذلك لئلا يظن العدو ان عدم خروجهم جبن عن لقائهم والحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله فقد ساقه الينا وقرب المسير يا رسول الله اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا . البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ ص١٣ .

ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأيهم ودخل داره ولبس لأمة الحرب واستعد لخوض المعركة فقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج وقالوا يا رسول الله ان احببت ان تمكث في المدينة فافعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » وكان اصحاب هذا الرأي اغلبهم من الشباب تجري في عروقهم دماء الشباب وتفيض قلوبهم بالشجاعة والايمان .
قال صاحب الظلال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم القى عليهم درسا نبويا عاليا فللشورى وقتها حتى اذا انتهت جاء وقت العزم والمضي والتوكل على الله عز وجل ولم يعد هناك مجال للتردد واعادة الشورى والتأرجح بين الاراء انما تمضي الامور لغاياتها ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء . تفسير الظلال جـ٤ ص٥١ .
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض ان يكون مترددا فلا مفر من المعركة حشدت الجياد وعلى ظهورها رهبان الليل وفرسان النهار ودقت الطبول طبول المعركة ونشرت الالوية والشباب في فرح وسرور وشوق الى خوض المعركة فاما نصر يعتز به الاسلام واما شهادة ينالون بها خير الدنيا والاخرة .
ان الشباب الذين تربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا اكرم شباب الدنيا كانوا اعظم الناس قدرا وارفعهم شأنا نبالة خلق وصفاء

عقيدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابعهم بارشـاده ويوجههم دائما الى الخير ، شباب هانت في عينه الحياة فأتوا من ألوان البطولة والفداء ما ادهش العالم وحير الالباب وملأ النفوس اجلالا واعظاما لهذا الشباب المؤمن القوي كان للشباب رغبة ملحة في حضور المعركة بادروا بالخروج فرد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم من استصغره رد عبد الله بن عمرو واسامة بن زيد واسيد بن ظهير والبراء ابن عازب وزيد بن ارقم وزيد بن ثابت وعرابة بن اوس وعمرو بن حزام ثم اجاز الرسول صلى الله عليه وسلم من لهم قدرة على حمل السلاح وخوض المعركة فشهود المعارك وصك السيوف وتطاير الرءوس ليس هذا بالامر السهل ورغم هذا فقد اجازالرسول صلى الله عليه وسلم من رآه مطيقا للمعركة سمرة بن جندب ورافع بن خديج وكان سنهما يومئذ خمس عشرة سنة .

حملة اللواء

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف للشباب قدره وينزله المنزلة اللائقة به ويوليه اعظم الاعمال وهو بعد لم يزل في دور الشباب وميعة الصبا فحملة اللواء في احد كانوا شبابا كان يحمل لواء المهاجرين مصعب بن عمير فلما استشهد حمله علي بن ابي طالب وكان يحمل لواء الاوس اسيد بن حضير وكان يحمل لواء الخزرج الحباب بن المنذر . امتاع الاسماع للمقريزي جا ص١١٨ .

وحمل اللواء كما يقول الشيخ عبد الحميد الكتاني يفيد انه اذا اجتمع قوم تحت لواء واحد جعل بينهم الاتحاد بمعنى ان هذا اللواء يكون علامة على اجتماع كلمتهم ودلالة على اتحاد قلوبهم فيكونون كالجسد الواحد يألف بعضهم بعضا اشد من ائتلاف ذوي الارحام واذا كانوا في معركة القتال لا ييأسون من الظفر مادام لواؤهم منشورا بل تقوى همتهم ويشتد عزمهم لذلك كان حملة اللواء في أحد من الشباب وبايجاز شديد نتحدث عن حملة اللواء .

١ ـ مصعب بن عمير

شاب من شباب الاسلام مرت به في اسلامه محن قاسية وايام عصيبة تجرع غصص الحياة واصابه شظف العيش فتحمل ذلك بنفس راضية وصدر رحب .

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه قبل اسلامه تبدو عليه اثار النعمة وتشيع في جنباته المباهج ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة داعيا الى الاسلام فكان له في نشر الدعوة الاثر الطيب وكان له في احد البلاء الحسن ضرب للشباب اروع الامثال في التضحية والبطولة والفداء حتى شاء الله ان تنطوي هذه الحياة فكانت غزوة احد هي الميعاد الموقوت في صحائف الغيب ليكتب مصعب بن عمير مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وفتحت أبواب السماء لتستقبل افواج

الشهداء .

٢ ـ علي بن ابي طالب

بطل من أبطال الاسلام وشاب من خيرة الشباب كان رضي الله عنه مميزا بين الناس قوة في الخلق وطهارة في النفس وشجاعة في الحرب قلب ثابت لا تستطيره النوائب يرى الموت في المعارك فلا يزعجه ويرى الاسنة فلا تروعه فلا للموت في المعارك سلطان عليه ولا للفزع سبيل اليه ولا عجب فهو ربيب بيت النبوة وغرس الدين الحنيف لما سقط الشاب المسلم المترف الشجاع الابي مصعب شهيدا كان من يحمل اللواء خلفا له من يماثله في شبابه وقوته في إقدامه وجرأته فكان فارس الاسلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب .

٣ ـ اسيد بن حضير

شاب من الانصار اسلم على يدي مصعب بن عمير بالمدينة شهد بدرا وقيل لم يشهدها كان رضي الله عنه احد العقلاء الكملة اهل الرأي وكان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه واحدا ويقول انه لا خلاف عنده .
كان احد النقباء ليلة العقبة وفي غزوة احد جرح سبع جراحات وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشف الناس عنه كان رضي الله عنه من احسن الناس صوتا بقراءة القرآن وقصته في قراءة القرآن ونزول الملائكة لاستماع القرآن وهو يتلوه معروفة .
قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل اسيد بن حضير نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح) وعن عائشة رضي الله عنها قالت ثلاثة من الانصار لم يكن احد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الاشهل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر . اسد الغابة لابن الاثير جـ ١ ص٤٣٦ شعب .

٤ ـ الحباب بن المنذر

شاب من شباب الانصار من اهل بدر قاتل في احد وكان يحمل اللواء ولم يزل شابا حضر بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فيكون سنه في غزوة احد أربعا وثلاثين سنة وكان رضي الله عنه صاحب الرأي يوم بدر الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان قائلا أهذا المنزل منزل انزلكه الله فليس لنا ان نتعداه ام هو الرأي والحرب والمكيدة ومن يومها كان يعرف بين الصحابة بالرجل ذي الرأي .
وحمله اللواء في احد يعني انه قائد قومه والمقدم عليهم اليس في هذا تكريم للشباب واعتماد عليه وتوليته المناصب الكبرى ، ان جميع الذين اشتركوا في احد شيوخها وشبابها ، نساءها . كلهم وهبوا حياتهم لله . لو تتبعنا تاريخهم لضاقت الصفحات .

على هامش

مؤتمرات

في مهبط الوحي وموطن الرسالة ومنبع النور الالهى وفي أقدس بقعة على الأرض حيث نزلت فيها تعاليم السماء فبددت بضيائها دياجير الظلمة والجهالة منذ أربعة عشر قرناً .. انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ م .

وقبل ان نستعرض أهم المقررات التى تمخضت عن هذا المؤتمر لابد من العودة قليلا للوراء لنضع بين أيدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها القرارات التى انبثقت عن مؤتمري القمة الأول والثاني اللذين انعقدا خلال السنوات العشر الماضية .

ماذا بعد صدور قرارات القمة الاسلامية الثالثة

لقد انتهت اعمال هذا المؤتمر وصدرت عنه هذه القرارات التى تجسد بعض آمال المسلمين وتضع الحلول لبعض قضاياهم الاساسية ، لقد انتهى هذا المؤتمر والف مليون مسلم كان يملؤهم الرجاء والأمل بأن تكون قرارات المؤتمر فيها عودة الروح للجسد الاسلامي الواهن ليجري الاسلام في عروقه من جديد ، كان

القمة الاسلامية

المسلمون يأملون أن يذهب قادتهم واولو الامر منهم الى ابعد مما ذهبوا وتوصلوا اليه ، ومع ذلك فالقرارات قد صدرت وتبنت ما تبنت من امور عديدة والشعوب المسلمة الآن تنتظر الالتزام بهذه القرارات قولا وعملا .

ان الالتزام بهذه القرارات يعني عودة روح الجهاد وبها نحرر الأرض والأوطان والمقدسات ونستجيب لصرخات اليتامى والثكالى والمشردين .

ان الالتزام بهذه القرارات يعني عودة التعاون والتعاضد بين المسلمين والاستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني نبذ الخلافات وتصفيتها بروح الاخوة الاسلامية والمحبة لا بقعقعة السلاح .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني الانتماء الى العقيدة الاسلامية ونبذ ما سواها من عقائد شرقية أو غربية .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني حمل الأمانة والمسؤولية بكل اخلاص وثقة بعون الله ، ولا شك ان الشعوب المسلمة لم تجن من المؤتمرات السابقة الا القليل ويحدوها امل كبير بأن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ العملي لتتمكن من قطف ثمارها في المستقبل القريب لا ان تكون مجرد قرارات دون تطبيق .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

كيف انبثقت مؤتمرات القمة الاسلامية

ان الدافع الاساسي لعقد أول مؤتمر قمة اسلامي كان اقدام اليهود على احراق المسجد الاقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩ م مما ألهب الشعور واجج العواطف المسلمون في كل ارجاء المعمورة لمؤتمر طارىء يجسد هذا الشعور الذي انتاب المسلمين في كل مكان فكان مؤتمر الرباط في الحقيقة مرآة صادقة لتلك المشاعر القائمة والذي انعقد بعد شهر واحد فقط من اقدام اليهود على جريمتهم النكراء .

مؤتمر القمة الاسلامي الأول

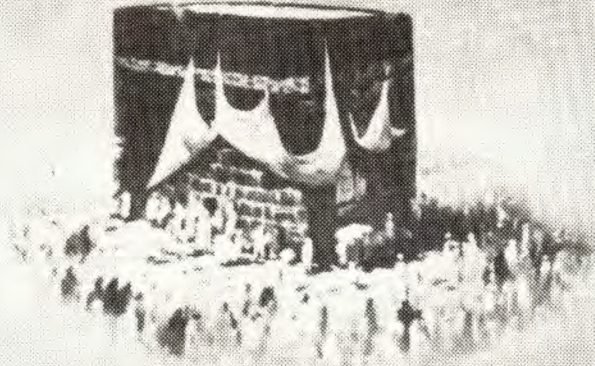
انعقد هذا المؤتمر في عاصمة المملكة المغربية (الرباط) في شهر رجب ١٣٨٩ هـ الموافق سبتمبر ١٩٦٩ م في جو مشحون بالغضب والكراهية لجريمة الصهاينة وصيحات مخلصة تدعو للانتقام وتخليص بيت المقدس من ادران الاحتلال . وحضرت المؤتمر وفود تمثل « ٢٢ » دولة اسلامية . ونظراً لأن الدعوة للمؤتمر كانت مفاجئة دون ان يسبق ذلك تخطيط لجدول الأعمال . لذلك انعقد المؤتمر دون ان يسبقه مؤتمر تمهيدي لوزراء الخارجية (بعكس المؤتمرات التالية) . فجاءت مقررات هذا المؤتمر مجرد رد فعل عاطفي على حادث الاقصى . كما قام المؤتمر ببحث امكانية قيام منظمة دائمة من واجباتها الاتصال بالحكومات الاسلامية الممثلة في المؤتمر والتنسيق بين اعمالها . وكان هذا بالفعل تمهيداً لنشوء منظمة المؤتمر الاسلامي فيما بعد .

مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الاسلامية

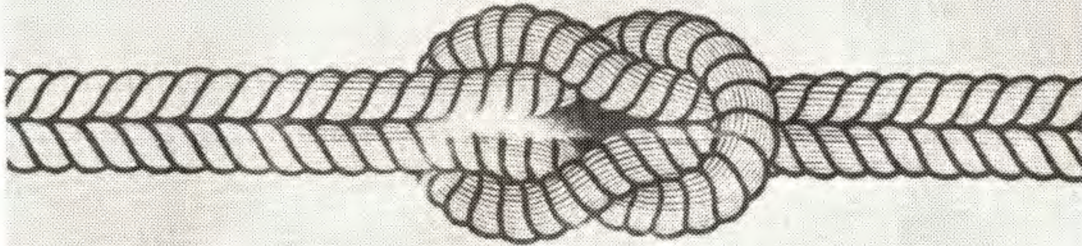
في السنوات الاربع التالية التى اعقبت مؤتمر الرباط انعقدت اربع مؤتمرات لوزراء خارجية الدول الاسلامية وكانت مقرراتها بصورة عامة اكثر فاعلية ونضجاً وجدية من مقررات مؤتمر القمة الاسلامي الأول وتعد اللبنة الاولى في بناء صرح التعاون الاسلامي ولابد من القاء الضوء قليلا على هذه المؤتمرات وما صدر عنها من مقررات .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الأول

انعقد هذا المؤتمر في جدة (السعودية) في شهر محرم ١٣٩٠ هـ مارس ١٩٧٠ م وكانت قراراته ايضاً انفعالية تتماشى مع الحدث المفجع وهو احراق الاقصى والذي كانت آثاره لا تزال باقية في النفوس وكانت اهم قرارات المؤتمر المطالبة



واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا



○ تلبية لنداء السماء (واعتصموا بحبل الله) انعقد المؤتمر

بعودة القدس للسيادة العربية وذلك كما كان وضعها قبل حرب يونيو بين العرب واليهود سنة ١٩٦٧ م وقرر المؤتمر اعتبار يوم ٢١ اغسطس من كل عام « يوم التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني » .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثاني

انعقد في كراتشي (باكستان) في شهر شوال ١٣٩١ هـ / ديسمبر

١٩٧١ م وكانت قراراته تأكيداً لما سبق ان صدر في المؤتمرات السابقة بشأن فلسطين والقدس والأراضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧ م . وخطا المؤتمرون في هذا المؤتمر خطوة نحو الامام عندما طرحوا فكرة انشاء وكالة للانباء الدولية الاسلامية .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثالث

انعقد ايضاً في جدة في شهر محرم ١٣٩٢ هـ / مارس ١٩٧٢ م وقد بحثت فيه القضية الفلسطينية عامة والقدس خاصة كما بحثت فيه قضايا الأقلية المسلمة في جنوب الفيلبين وطالب المؤتمر بايجاد حل عادل لهذه المشكلة بينما اغفلت المؤتمرات الاسلامية السابقة مشكلة (ارتيرية) كما وضعت في هذا المؤتمر الاسس الكفيلة بقيام وكالة الانباء الاسلامية عملياً من حيث انشاء الادارات المالية والاقتصادية في اطار المنظمة .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الرابع

انعقد في بنغازي (ليبيا) في شهر صفر ١٣٩٣ هـ / مارس ١٩٧٣ م واصدر المؤتمر عدة قرارات تضمنت نصرة القضية الفلسطينية وتابع الخطوات الجدية في انشاء وكالة الانباء الاسلامية بحث الدول الاعضاء على تسديد اشتراكاتهم في الوكالة بصفة عاجلة وقرر المؤتمر انشاء صندوق مالي تابع للأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي يسمى « صندوق الجهاد » يرصد لحركات التحرر الاسلامي كما أبدى المؤتمر تعاطفه الكامل مع مسلمي الفيلبين وأبدى التعاطف ولأول مرة مع نضال شعب ارتيرية الذي يخوض حرباً تحريرية ضد اثيوبيا من اجل نيل الحرية والاستقلال .

تقييم سريع لما صدر من مقررات

اننا من خلال نظرة سريعة الى ما تم بحثه واصدار قرارات بشأنه في مؤتمر القمة الاسلامي الأول ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية الاربع نلمح بأن معظم القرارات ظلت تتعثر في الخروج لحيز التنفيذ الفعلي بسبب الصعوبات التى كان تعترض تنفيذها وعلى سبيل المثال لا الحصر ظلت وكالة الانباء الاسلامية دون المستوى المطلوب كوكالة اسلامية عالمية تساهم في بث الفكر الاسلامي ودعم حركات التحرر الاسلامية وانارة الطريق للشعوب الاسلامية التى تسعى للوصول الى مكانة افضل بين شعوب العالم . ونرى ايضا ان صندوق الجهاد الذي انشيء اصلا لدعم حركات التحرر الاسلامية لم يظهر أثره بشكل ايجابي في الماضي



○ اعلام الدول الاسلامية المشاركة في المؤتمر

والحاضر ولا تزال مشكلات الاقليات المسلمة وخاصة في الفلبين وارتيريه تدور ضمن حلقات مفرغة مكتفية من المؤتمرات الاسلامية بالقرارات فقط .

وما تزال اسرائيل ماضية في مخططاتها الاستعمارية رغم القرارات العديدة التى صدرت عن المؤتمرات السابقة بدعم ونصرة فلسطين مع الاصرار على عروبة القدس .

فمن اجل التخلص من هذه السلبيات ودفع العمل الاسلامي نحو ايجابية أفضل انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني .

مؤتمر القمة الاسلامي الثاني

انعقد في مدينة لاهور (باكستان) في شهر محرم ١٣٩٤ هـ / فبراير ١٩٧٤ م وحضرت المؤتمر وفود تمثل « ٣١ » دولة اسلامية . لقد انعقد هذا المؤتمر في جو يختلف تماماً عن جو المؤتمر الأول . كان العرب قبل المؤتمر بشهور قليلة قد حققوا نصراً على اعدائهم الصهاينة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ م / رمضان ١٣٩٣ هـ .

وبرزت من خلال هذه الحرب فائدة التضامن الاسلامي لذلك جاءت الوفود الى مؤتمر لاهور وهي على ادراك تام بأنه لا سبيل لخلاص المسلمين من الواقع السيىء الذين يعيشونه الا بالوحدة الاسلامية . وهذا ما ظهر جلياً واضحاً اثناء المناقشات التى دارت في المؤتمر . وكان مؤتمر لاهور قد سبق بمؤتمر تمهيدي لوزراء خارجية الدول الاسلامية أعد برنامج المؤتمر (بعكس مؤتمر الرباط) .

لقد اصدر المؤتمر في نهاية اجتماعاته العديد من القرارات



○ وزير خارجية المملكة السعودية يفتتح مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي سبق المؤتمر

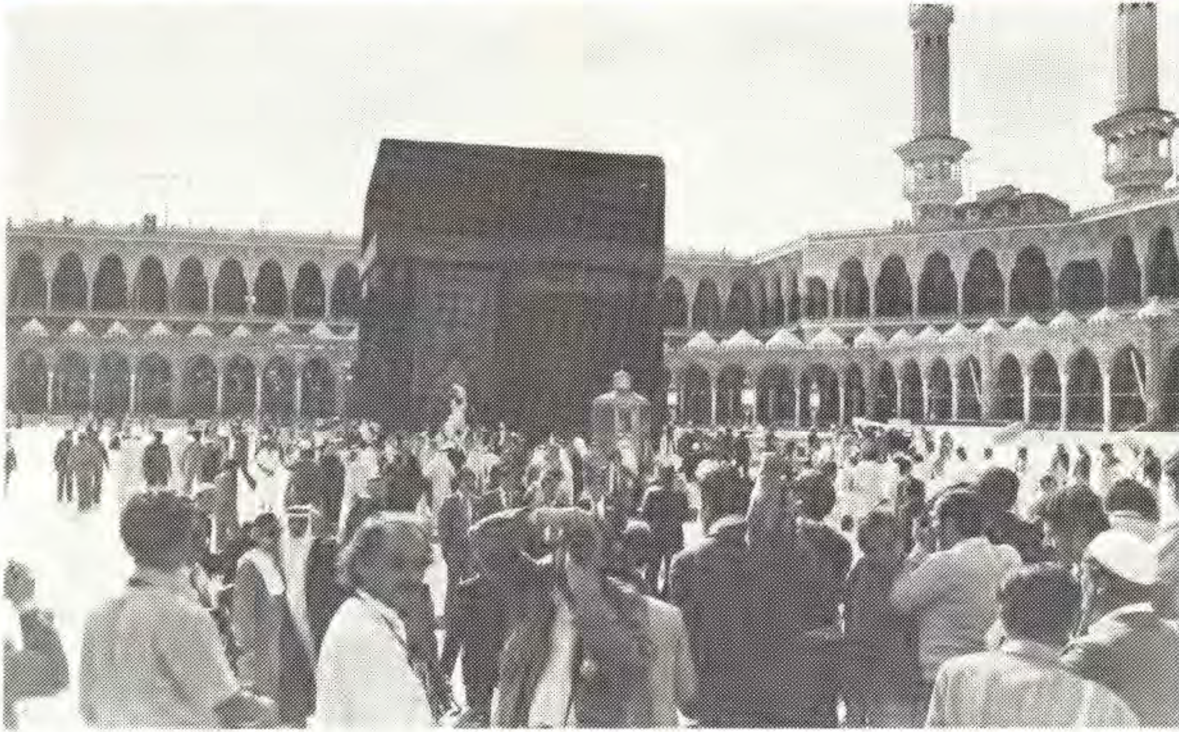
بعضها ركز على ضرورة تنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين الدول الاسلامية ومن اجل ذلك تم انشاء « صندوق التضامن الاسلامي » واكد المؤتمر على عروبة القدس واسلاميتها وحق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه والمطالبة بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، كما طالب بايجاد حل عادل لقضية مسلمي الفلبيين .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الخامس

عقد في كوالالمبور في يونيو ١٩٧٤ م . بعد فترة قصيرة من مؤتمر لاهور وقد ركز هذا المؤتمر على النواحي الاقتصادية وقرر انشاء « بنك التنمية الاسلامي » كما بحث من جديد قضية مسلمي الفلبين وطالب بايجاد حل منصف لها وانشأ لمساعدة مسلمي الفلبين « وكالة غوث وانعاش اسلامي لمسلمي جنوب الفيلبين » ثم تلا مؤتمر كوالالمبور عدة مؤتمرات اسلامية « دون مستوى القمة » لم تخرج مقرراتها عن نطاق المقررات التى وردت في المؤتمرات السابقة لذلك كانت الحاجة ماسة لعقد مؤتمر على مستوى القمة يتخطى السلبيات السابقة ويحاول بعث الروح والحياة في جسد الأمة الاسلامية ومن هنا كانت القمة الثالثة في مكة المكرمة .

مؤتمر القمة الاسلامي الثالث

هذا المؤتمر يعد من اهم المؤتمرات



○ حكام المسلمين يطوفون بالبيت العتيق

الاسلامية ، لانه يعقد في ظروف بالغة الاهمية والخطورة تجتاح عالمنا الاسلامي والعربي ففلسطين لا تزال ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني رغم العديد من القرارات المنددة باسرائيل بل توغلت اسرائيل اكثر في مخططها واعلنت مؤخرا بأن القدس هي العاصمة الابدية للشعب الاسرائيلي ، وافغانستان المسلمة تواجه غزواً شيوعياً ملحداً وشعبا الفيلبين وارتيرية لا يزالان يكافحان من اجل نيل الحرية ، والنزيف الدامي من جراء الحرب العراقية ـ الايرانية لا يزال مستمراً ينشر الخراب والدمار في كلا الدولتين المسلمتين الجارتين والنزاعات الجانبية المتجددة باستمرار بين الدول الاسلامية الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي تحدث شروخاً عميقة في كيان المنظمة .

في ظل هذه الاجواء القاتمة يظهر بصيص الأمل ويرنو المسلمون جميعاً بأبصارهم وقلوبهم الى مكة المكرمة داعين ربهم أن يلهم حكامهم لما فيه خير المسلمين .

لقد تم انعقاد المؤتمر في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢٢ ربيع الأول / الموافق ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ م بحضور ٣٨ دولة اسلامية وتغيب دولتين هما (ليبيا ، ايران) ولا تزال ايضا عضوية كل من مصر وافغانستان معلقة . كما حضرت المؤتمر وفود عديدة تمثل كثيراً من المنظمات والمجالس والاتحادات الاسلامية والعالمية وكان شعار دورة المؤتمر (دورة فلسطين والقدس الشريف) .

انعقدت الجلسة الافتتاحية



○ قبل تأدية صلاة المغرب

للمؤتمر في رحاب الكعبة المشرفة وفي الشهر الذي ولد فيه منقذ البشرية وهاديها لطريق الخير محمد صلى الله عليه وسلم مما اعطى لهذه الجلسة طابعاً خاصاً تميز بالخشوع والمهابة وجعل قادة المسلمين يحسون بأهمية الموقف الذي وضعوا فيه وثقل الأمانة الملقاة على عاتقهم . وقد ظهر هذا من خلال كلمة الافتتاح الموجزة التى القاها الملك خالد بن عبد العزيز داعياً فيها الله ان يجمع على الحق كلمة المسلمين وان ينصرهم ، ثم القى الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد السعودي خطاب صاحب الجلالة الملك خالد ووضع فيه حكام المسلمين امام مسؤولياتهم واشار للصحوة الاسلامية المباركة المبشرة بالخير ودعا لنبذ الخلافات بروح الاخوة الاسلامية .. ثم انتقل المؤتمر ليعقد جلساته في الطائف وتتابع رؤساء المسلمين في القاء كلماتهم التى تضمنت كافة المسائل الاسلامية كما القى ممثل المجاهدين الافغان كلمة مؤثرة امام الوفود اشار فيها للغزو الشيوعي لبلاده وما اصاب مسلمي أفغانستان من ذل وتشريد من جراء هذا الغزو الذي يشكل خطراً على العالم الاسلامي كله .. وان المعركة على ارض افغانستان ستكون حاسمة بين الاسلام والشيوعية وطالب بقطع العلاقات بين الدول الاسلامية والاتحاد السوفيتي كما القى الدكتور (فالدهايم) الامين العام لمنظمة الامم المتحدة كلمة في المؤتمر تعرض فيها لمشاكل البشرية ودور الكتلة الاسلامية في المساهمة في حلها .. وقبل ختام المؤتمر بيوم واحد وافق المؤتمر بالاجماع على (بلاغ مكة) .



○ في رحاب البيت الحرام كانت جلسة الافتتاح

لقد تضمن هذا البلاغ عزم وتصميم قادة المسلمين على الجهاد للذود عن حقوقهم واراضيهم المغتصبة وبذل كل الجهود لتحرير فلسطين واستعادة الحقوق الثابتة لشعبها واعربوا عن قلقهم للغزو السوفيتي لأفغانستان وطالبوا بايجاد حل عادل لهذه المشكلة على اساس الانسحاب الفوري لقوى الغزو ..

وفي الجلسة الختامية وافقت الوفود على البيان الختامي لمؤتمر القمة الاسلامي الثالث وقد تضمن هذا البيان الامور الآتية :

في المجال السياسي

● اكد المؤتمر من جديد على عروبة القدس واسلاميتها مع رفض قرار الصهاينة بجعل القدس عاصمة لاسرائيل .

● اكد المؤتمر على الترابط التام بين قضية القدس وقضية الشرق الاوسط ، مع رفض اتفاقية (كامب ديفيد) والمطالبة بتعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بشأن الشرق الاوسط .

● المطالبة بانسحاب قوات الغزو السوفيتي من افغانستان .

● تدعيم التضامن بين الدول الاسلامية وفق قواعد الاسلام .

● اعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس والاراضي العربية المحتلة .

● مناشدة كل من ايران والعراق وقف اطلاق النار فوراً وقبول مبدأ الوساطة الاسلامية .

● تقديم المساعدات للسواحل الاسلامية المتضررة بالجفاف .



○ وفد الكويت في المؤتمر برئاسة سمو امير الكويت

● مساندة دولة جزر القمر في استعادة جزيرة مايوت .

● المطالبة بايجاد حل عادل وسلمي لقضية شعب ارتيريا .

● الموافقة على انشاء محكمة عدل اسلامية وتشكيل لجنة لتضع النظام الاساسي لها .

● دعم الشعب الافريقي المسلم في القرن الافريقي وتقديم المساعدات له .

في المجال الاقتصادي

● انشاء « المركز الاسلامي لتنمية التبادل التجاري » على ان يكون مقره (طنجة) من اجل تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الاعضاء .

● بحث مشروع اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات في الدول الاعضاء الاسلامية من اجل بلوغ التقدم الاقتصادي للشعوب الاسلامية .

● بحث مشروع انشاء اتحاد اسلامي للنقل البحري في جدة .

● تقديم مساعدات خاصة للبلدان الاسلامية الاقل نمواً .



○ احدى جلسات المؤتمر في الطائف حيث انتقل المؤتمر الى هناك .

في المجال الثقافي والاجتماعي

● دعم ميزانية صندوق التضامن الاسلامي .

● انشاء وكالة اسلامية للغوث .

● مساهمة الدول الاعضاء في اعادة بناء مدينة الاصنام الجزائرية .

● الالتزام بانجاز مشروع (مركز غينيا بيساو الاسلامي) ومركز أحمد بابا في تونبكتو والجامعتين الاسلاميتين في النيجر واوغندا .

● دعم المؤسسة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا .

● دعم المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

● تنظيم دورة التضامن الاسلامي للألعاب الرياضية .

● كما قرر المؤتمر انشاء مجمع يسمى (مجمع الفقه الاسلامي) من العلماء والفقهاء في العالم الاسلامي لدراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهاداً اصيلا فاعلا .

الصور عن وكالة كونا

في العدد القادم

يعيش عالمنا الاسلامي اوضاعا جديدة تتطلب رأيا اسلاميا واضحا .. وحتى نصل الى الحقيقة كان لا بد من عرض الرأي وأدلته .. والرأي الآخر وبراهينه .

ولعلك - أخي القارىء - تابعت ما نشر حول « الصرف وبيع العملات » وفي عددنا القادم :

○ نواصل الحديث عن « الصرف وبيع العملات » للدكتور علي احمد السالوس .

○ كما ستنشر المجلة دراسة عن عقد التأمين .

○ واستطلاعا عن مؤتمر غرف التجارة الاسلامية .

آفة الانفتاح الثقافي على الغرب

للأستاذ/ طه محمد كسبه

يصاب المتأمل لحياتنا الثقافية والفكرية على امتداد ساحتنا العربية والاسلامية بالدهشة والعجب، ومبعث هذا كله ذلك التناقض الذي يحدث الآن في فكرنا وسلوكنا، في قولنا وعملنا، ذلك التناقض الذي أصبح يمثل ظاهرة تحتل جزءا كبيرا في حياتنا، وتمثل بعدا من أبعاد شخصيتنا، في مجتمعنا العربي المسلم.

ذلك أننا فيما بيننا، لا بين قطر وقطر من اقطار الوطن العربي والامة الاسلامية على نطاق واسع، ولا بين البلد والبلد او القرية والمدينة، او الحضر والريف، ولكن بين ابناء الجيل الواحد، في البيت الواحد، نجد ظاهرة الغربة الفكرية والثقافية سائدة وتترسخ الآن، وهذا في حد ذاته يمثل مسألة من أهم المسائل، وقضية من اخطر القضايا التي تواجه المجتمع الاسلامي اليوم.

ذلك ان قضية التعليم الذي كان وسيلة التدمير التي اتخذها الاستعمار نحو غزو الشخصية الاسلامية والعربية ليست في وجود التعليم الديني من عدمه، ولكن الاخطر من ذلك كله وقوع ذلك

التناقض الغريب والمريب في مدارسنا ومعاهدنا ذلك الذي يوجه ضد اجيالنا الشابة والفتية .

وتعلق د . بنت الشاطئ على هذه الحالة الغريبة التي نحياها وتحياها حياتنا الثقافية في مجتمعاتنا الاسلامية حين قالت : واحد تربى في مدرسة فرنسية لا يعرف عن العربية والاسلامية شيئا واخوه الشقيق في مدرسة انجليزية وثقافته انجليزية واخته في مدرسة الراهبات لا تدري شيئا عن الانجليزية او الفرنسية ولا الالمانية ولا العربية ولا الاسلامية ...

والمناهج الدراسية قاصرة لا تكفي ولا تجيب على تساؤلات شبابنا المسلم ولا تسد حاجة هذا الشباب الملحة الى المعرفة ، فأعداء الاسلام اعتمدوا أسلوب « فك العقل الاسلامي واعادة تركيبه وصياغته من جديد لصالحهم وعلى هواهم بعد ان فشلت الحروب الصليبية في تحقيق اهدافها في القرون الوسطى ، وكانت المدارس الاجنبية والتبشيرية هي الساحة الحقيقية التي خاضت منها قوى الاستعمار وارساليات التبشير هذه المعركة ضد أوطاننا وديننا .

إن قضية التعليم قضية من اخطر القضايا التي يمكن ان تعترض مسيرة اي مجتمع مسلم واخطر منها قضية على جانب كبير من الاهمية ـ والتي من الممكن ان تجعل قضية التعليم اكثر ايجابية في الحل او اكثر سلبية ـ الا وهي قضية التربية الاسلامية والمناهج الدراسية ، ذلك ان الاسرة المسلمة والمجتمع المسلم قد وقع في اطار من غيبة الوعي الديني بسبب ذلك الغزو الفكري والثقافي الذي اصبح فريسته وضحيته ، وبالتالي اصبح الشباب المسلم كما مهملا ومتروكا نهبا لكل حملات الاستشراق واعمال التبشير التي تتم يوميا عبر وسائل الاعلام والصحافة في أرجاء وطننا العربي والاسلامي .

ولعل من الاشياء التي يؤسف لها ان التعليم الديني في اوطاننا الاسلامية قد اصيب بالسكتة القلبية وحلت محله مناهج التعليم اللاديني سعيا الى الوصول الى علمنة المناهج الدراسية ولا دينية التعليم وصولا الى علمنة المجتمع الاسلامي ، وهذا بالضبط بعض ما يحدث في اجزاء عزيزة من ارضنا العربية والاسلامية .

واذا جاز لي القول فان حل مشكلة التربية والتعليم الديني ، وحل مشكلة الغربة الفكرية والثقافية التي أصابت شباب جيلنا وأبناءه ، مرجع ذلك كله الى المناهج والى المدرسة والمعلم ، والى المجتمع الاسلامي ذاته ، بكل فئاته وهيئاته وأشكاله وهياكله وعلينا بالاتجاه الى كل هؤلاء بالدراسة والبحث والتحليل حتى نتبين اوجه القصور والخطأ ومن ثم يمكن العلاج والتصحيح .

كما انه لا ينبغي ان يغيب عن فكرنا انه من الضرورة بمكان ان نعيد النظر في حياتنا كلها ، ونستخرج أوجه القصور فيها ونتدارسها ونبحث عن علاج لها جميعا ، فالتربية الدينية مثلا في مدارسنا ومعاهدنا العلمية

بوضعها الحالي مازالت تعاني من الاهمال المخيف والمؤلم ، ومازال بعض الارتجال والعشوائية يسيطران على تدريس هذه المادة في دور العلم عندنا ، ولا تخلو صحفنا ووسائل اعلامنا من الاشارة الى هذه المأساة التي يعيشها أبناؤنا ، هذا الاهمال الذي يتجسد في اشكال الانحراف المختلفة التي تطفو على سطح المجتمع المسلم في اشكال مختلفة ومتعددة الوجوه ، متباينة الملامح .

ومن نافلة القول ان الثقافة التي يتلقاها المرء تطبعه بطابعها ، وتترك فيه بصماتها وآثارها التي تؤثر بالتالي على عقيدته ومعتقداته ، ومن هنا تاتي الدعوة الماسة الان الى بعث ثقافة عربية اسلامية موحدة في ربوع الوطن ، تجعل الاساس المادي للثقافة مرتكزا على اسس وقواعد ثابتة مستمدة من تعاليم الاسلام ، ولا تترك الباب مغلقا امام انواع الثقافات الاخرى التي تأتي بعد ترسيخ الثقافة الاسلامية العربية اولا .

كما أن الحاجة ماسة اليوم الى اعادة النظر في مناهج التربية الدينية واعدادها بحيث تلبي احتياجات الشباب كل في سنه ، وقادرة على ان تعطيه الاجابات المقنعة لما يعن له من تساؤلات ومشاكل يجد نفسه في مواجهتها وحتى لايجد هذا الشاب نفسه مدفوعا الى البحث عن اجابات لما يواجهه في المذاهب والنظريات والفلسفات المعقدة والملحدة التي تسوقه الى اعتناق هذه المذاهب وهذه الفلسفات على اساس انها البديل الطبيعي للدين ومبادئه وقيمه التي يغرسها في نفوس المؤمنين .

وعليه فانه من الضروري ان نوحد المناهج الدراسية لمادة التربية الدينية في كل مدارسنا ومعاهدنا العلمية وحتى يكون المنبع والمصدر الاول للمعرفة الدينية واحدا وثابتا وقويا لا فرق بين مدارس خاصة ومدارس الوزارة ، او مدارس فرنسية او انجليزية وراهبات ومن الضروري ان تتدخل وزارات التربية والتعليم العالي في تحديد مسار ومناهج هذه المادة دائما وباستمرار ومتابعة ذلك كله اولا باول وبالتنسيق مع الهيئات الدينية المعنية .

وخلاصة ذلك انه يجب علينا ان نفهم الاسلام بعقلية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا ان نفهمه بعقلية المستغربين العرب ، ولا بعقلية المستشرقين من ابناء الغرب ، ولا بعقلية ذوي الثقافة العربية المستوردة ، كما ان علينا ان نفهم العلم بعقلية الغد المتفتحة على كل جديد ومستحدث .

ولعلي أتساءل لم لا يكون هدفنا وشعارنا ، إنشاء جيل مسلم لا يعرف الا العربية لغة ، والاسلام دينا ، ثم ينفتح على كل العالم بعد ذلك ، لغة وثقافة وفلسفة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يروج الكثير منا اليوم لدعوى الانفتاح على الغرب وعلى العالم كله سواء اكان شرقا أم غربا ، ونسمع كل يوم صباح مساء عن هذه الدعوات التي اصبحت

تسمم حياتنا ، وكأن كل ما اصابنا لم يكن الا نتيجة لعدم الانفتاح الذي يزعمون لكن هناك كلمة حق يجب ان تقال ، وهي ان مسألة الانفتاح على الثقافة العالمية ـ غربية كانت أم شرقية ـ مسألة واردة في حسابنا لكنا نرى ان ننفتح بعدما تتم عملية الانفتاح على ثقافتنا الاسلامية والعربية اولا ، علينا ان نتسلح بمعطيات ثقافتنا التي هي نحن ، ثم نتجه الى الثقافات العالمية بعد ذلك حتى تتم لنا شمولية النظرة ، وكلية الثقافة والفكر .

ان من المحزن حقا ان تجلس لتناقش مجموعة من الشباب فتجد انه من العسير جدا ان تخرج براي يتفق عليه او فكرة واحدة ، حيث لكل رايه الذي يتمسك به وثقافته التي يفخر بها والفيلسوف الذي نقل عنه والذي لو اخذ العالم بكلامه لاصبح عالمنا اليوم غير ذلك ، فليس هذا فقط ، لكن الذي يملك ان يقول ، لا يمكن الذي يريد ان يقول من ذلك ، فهم يحاربون بعضهم البعض ، وكأن ايمانهم بالحرية قاصر على حرية انفسهم في ان يقولوا ما يريدون دون حرية الاخرين .

ولعلي اتساءل ، وتساؤلي موجه الى دعاة الثقافة الاجنبية سواء اكانت غربية أم شرقية والى دعاة الانفتاح الثقافي على العالم لماذا نحن ، ونحن دائما ، مبهورون باشياء الغرب والشرق ، مع انها ليست في صدق أشيائنا ؟ ولماذا لا نرى الغرب أو الشرق منبهرا باشيائنا مع انها الصدق والحق ذاته ؟؟

او بعبارة اكثر دقة ، لماذا لا نرى غربيا او شرقيا ينادي بانفتاح قومه على ثقافتنا الاسلامية والعربية التي عاشوا عليها سنين طويلة واخذوا منها كثيرا ، بينما نحن ـ المستغربين منا ومن على شاكلتهم ـ يتنافسون فيما بينهم على الدعوة الى الانفتاح على العالم والاخذ من ثقافته وفكره الذي لا يصل الى قيمة ما عندنا من ثقافة وفكر وقيم .

ولعلنا جميعا ندرك الآن ، أن الاستعمار لم يعد يأتي بجنوده وعتاده وسلاحه ليحتل أرضنا ، فهذا سلاح أدرك الاستعمار انه لا يجدي معنا ، لكنه استحدث سلاحا آخر أقوى وأمضى ، هو سلاح الفكر والثقافة ، فهل لنا أن نتدارك هذا الغزو الفكري الجديد ، وأن نحذر الفكر والثقافة المستوردة ؟ وأن نحذر آفة الانفتاح على بلاد الغرب والشرق .. كما ينبغي لنا ان نأمن على ديننا وفكرنا وثقافتنا وتراثنا وقيمنا ومبادئنا .. ففي هذا كله نجاتنا ، ونجاة أوطاننا من غزو يهدد حياتنا ويهدد كل تراثنا وتاريخنا على امتداد القرون الأربعة عشر ..

ولعل هذا بعض ارهاصات اشم رائحتها ونحن على اعتاب القرن الخامس عشر لنفكر ونتدبر امرنا بعقلية متفتحة ، وفكر واسع ، حتى نتعامل مع العصر بأسلوبه وفكره وثقافته ، وحتى لا تدهسنا متغيرات هذا العصر الذي نعيشه .. بفلسفاته وأيديولوجياته التي ترتدي أردية التقدمية والعصرية .. وهي من كل هذا براء .

أمراض الدعاة

ـ وأمراض الدعاة اكبر عقبة ..
إنها نسف من داخل ، والنسف من داخل يأتي على البناء من قواعده ، غير النسف من خارج ..
أو هو السلاح في يدك ، لا تضرب به عدوك ، بل تضرب به نفسك وهكذا ضرب الله المثل : **(يخربون بيوتهم بأيديهم) الحشر /٢**
ـ وهي أمراض تنتاب :
النفس ، أو القلب ، أو العقل ، ونحاول باذن الله أن نعرض لهذه الأدواء .. علّنا نجد لها باذن الله الدواء .. فان نجاح الاستشفاء وقف على نجاح التشخيص .

أولا : أمراض النفس :

وأمراض النفس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه .. والثلاثة تعني ابتعادا عن أمر الله .. إلى أمر غير الله : من شح ، أو هوى ، أو عجب وغرور .. والشح مرض يصيب النفس فتضن بالتضحية .. وأول صفات الداعية بعد الاخلاص:تضحية .. تضحية بوقته ، تضحية بجهده ،تضحية بماله تضحية بنفسه ..

للدكتور: علي جريشة

فاذا أصابها الشح صارت بكل ذلك أو بأكثره ضنينة ..!
وقد تمضى في طريق الشح .. إلى نهايته ، فتجري وراء كل ما يؤدي إلى الشح ، فتصير طائعة للشح نفسه !
ومن ثم إن سمعت نداء للتضحية ونداء للشح .. كانت استجابتها لنداء الشح ..
وصدق الله العظيم : **(وأحضرت الأنفس الشح)** النساء /١٢٨
وصدق الله العظيم : **(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر /٩
وعلاج الشح مزيد من البذل ، يتطبع به الداعية حتى يصير طبعا ، ويتعوده حتى يصير عادة !
والهوى المتبع .. هو طاعة كذلك لما تهوى النفس .. وما تهوى النفس كثير : النساء ، البنين ، القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . والخيل المسومة والانعام والحرث .
ولا يزال الهوى يمسك بتلابيب النفس ، ويملك عليها أقطارها حتى يصير لها إلها تعطيه معنى العبادة وتصير له عبدا تعطيه الطاعة وما هو أكثر من الطاعة : **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعدالله)** الجاثية / ٢٣
ولذا كان أنجع علاج لهوى النفس : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

واعجاب كل ذي رأي برأيه :

والاعجاب بالرأي – أيا كان – مرض نفسي خطير !
يحجب الانسان عن الحق .
ويعتد لنفسه ولرأيه .
وقديما أصيب فرعون بهذا المرض فقال : **(ما أُريكم إلا ما أرى وما أَهديكم إلا سبيل الرشاد)** غافر / ٢٩
وإذا تمكن المرض .. رأى صاحبه الحق باطلا والباطل حقا ، والفساد صلاحا والصلاح فسادا : **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** البقرة /١١ و ١٢
وهكذا صار الطهر جريمة عند المفسدين: **(أَخرِجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)** النمل / ٥٦

وهكذا تصور فرعون في النهاية أن موسى جاء ليظهر في الأرض الفساد : **(ذروني أقتلْ موسى وليدعُ ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)** غافر / ٢٦

ـ وإذا أصيب الدعاة بهذا المرض .. كان إثمهم أكبر ومصيبتهم أعظم ـ وهم يتلون آيات الله وفيهم رسوله !

وعلاج هذا المرض : تقوى الله أولا .. وتمثل عظمته ، وضعف الانسان امامه . ثم رد الأمر عند النزاع إلى حكم الله وحكم رسوله في الكتاب والسنة : **(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)** النساء / ٥٩

:**(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)** الحجرات / ١ .

وعلاجه بعد ذلك أدب تلقيناه عن أئمة الفقه حين كانوا يقولون : « رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب » وسئل أحدهم : « أرأيك عين الصواب ؟ فقال : بل قد يكون عين الخطأ » .. ثم شيء من الايثار المعنوي .. كما يتنازل الانسان عن حقه أو شيء من ماله إيثارا لأخ له ، فليتنازل كذلك عن رأيه أو شيء من رأيه إيثارا لأخيه : فليس بالايثار المادي وحده يكون خلق الاسلام .

ثانيا : أمراض القلب :

صدأ أو صدود . دنيا مؤثرة ، غفلة عن الآخرة ،

أما الصدأ أو الصدود :

فيصيب القلب إذا طال عليه الأمد بغير ذكر الله .. فيصدأ و يقسو ، ويصيبه الجفاف والجفاء .. فاذا به يميل بعد الصدأ إلى الصدود ..

فلا يعود يستريح إلى مجالس العلم والذكر ، بل يميل إلى مجالس اللغو ثم اللهو ..

وعلاج الصدأ والصدود مزيد من ذكر الله مزيد من قيام الليل ، مزيد من مجالسة الصالحين ، والبعد عن الفاجرين والفاسقين !

أما الدنيا المؤثرة :

فالدنيا إن كانت في يد المؤمن أو الداعية ، فهو يسخرها لطاعة الله وفي طاعة الله ، ويعبدها لله رب العالمين مترنما بقول الله : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)** الانعام / ١٦٢

لكن الدنيا حين تنتقل من يده إلى قلبه .. تصير مرضا .. ومرضا خطيرا .. قد تتمثل الدنيا في :

الدرهم والدينار ، والريال والدولار !

أو في المرأة حليلة أو خليلة (الأولى بالحاء والثانية بالخاء) ! أو في الجاه والمنصب والامارة !

وكم من الدعاة لم يسقط أمام الطغاة ، لكنه سقط أمام المال والجاه ! وإنها

لمصيبة ومكيدة نجح فيها أعداء الاسلام ..
لكن كما قلت : إن الدعوة لا تضار ، فانها تتخفف من هذا العبء الثقيل الذي تحمله بدلا من أن يحملها ، وإنها لتنفث خبثها في ابتلاء الخير كما تنفثه في ابتلاء الشر .

أما علاجها :

فهو إرجاع الفضل لله في كل شيء:(**ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس**) يوسف /٣٨:(**قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**) النمل / ٤٠ (**قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا**) الكهف / ٩٨:(**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم**) البقرة / ٣٢ .

ـ : استشعار أن هذا كله إلى زوال مهما طال .. ما لا كان أو جاها . (**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**) يونس / ٢٤ (**فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا**) الكهف/٩٨ .
(**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**) القصص / ٨٣

ـ : ابتغاء الدار الآخرة وتذكرها :

فانها تؤكد المعني السابق وترسخه .
(**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/٧٧

أما الغفلة عن الآخرة :

فقد تكون نتيجة متممة للمرض السابق .. فان الدنيا إذا دخلت القلب طردت منه الآخرة ! فينساها الداعية أو يكاد ! لكن الغفلة عن الآخرة ، ربما كانت بغير دنيا تستحق الذكر من مال أو جاه أو نساء أو بنين !
وهو أمر وارد مع الحياة الرتيبة ، والمشاغل العديدة ، التي معها قد تقل خلوات الداعية مع نفسه .. ومن ثم خلواته مع ربه ، ومن ثم تذكره لليوم الآخر .
وقد يقترن نسيان الآخرة بنسيان الله .. هنا يضطرب حال الداعية ، فينسى نفسه !
:(**نسوا الله فأنساهم أنفسهم**) الحشر / ١٩ ، :(**نسوا الله فنسيهم**) التوبة / ٦٧ .
ولأمر ما اقترن الايمان بالله مع الايمان باليوم الآخر .. ليكون من هذين الثقلين

أكبر صقل لقلب المؤمن ! وليتحقق له بهما التوازن الذي يصبغ حياته بالجد ، ويعطيه الميزان الحق العادل .. يزن به الحياة ، والناس ، والأمور !

من أجل ذلك .. كان علاج هذا المرض ..مزيد من الايمان بالله واليوم الآخر . يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، ومن ثم وجب تغذيته بالطاعات والمسارعة في الخيرات ، ودرء النقص عنه بتجنب المعاصي والابتعاد عنها .

وكان من شأن بعض الدعاة حتى يتذكر الموت والآخرة .. أن يذهب إلى المقابر في جنح الليل ووحشته ، ويفتح قبرا فيضطجع فيه ، ليستشعر رهبة الموت وما بعد الموت ، وليتذكر لقاء الله ، وليتلو إن شاء !

(إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يونس /٧و٨

ثالثا : أمراض العقل :

وأولها قلة التخطيط :

سمعتها من بعض الدعاة ، « لسنا بحاجة إلى تخطيط ، إنا متوكلون على الله »

قلت . بل متواكلون لا متوكلون !

لأن الله أمركم في كتابه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)** الأنفال / ٦٠ .

أليس التخطيط .. إعدادا .. ينبغي أن يرتفع إلى أعلى حدود الاستطاعة (**ما استطعتم**) .

أليس التخطيط جزءا من القوة .. هي قوة الذهن والعقل الذي أنعم الله عليكم وأي قيمة لقوة .. بغير تخطيط وبغير إعداد ..؟!

إنها تؤكل كما أكلت قوى غاشمة اندفعت بغير إعداد ، ولا نظام ، لذا كان من أمراض العقل التي تصيب الدعاة .. قلة التخطيط ويزيد في أهمية هذا المرض وخطورته أن أعداءنا يعدون لنا ويخططون .. على أعلى مستوى .. لهدم بنائنا ، وللقضاء علينا ونحن نقف موقف المتفرج الابله الذي ينتظر الضربة ، ولا يدافع عن نفسه ، ولا عن عرضه ، ولا عن دينه .. ثم يزعم أن هذا قضاء الله وأننا له صابرون وعلى العهد قائمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ..

ونحن نعترف :

أن الصبر جميل .. وأن الثبات واجب .. وأن انتقام الله من الظالمين وارد .. لكننا في الوقت نفسه لا بد أن نقرر : أن الجهاد أجمل . وأن الثبات والذكر ، وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع ، والصبر .. أسلحة خمسة واجبة مع الجهاد .

وأن الجهاد لا يصح بغير إعداد وتخطيط . ذلك أمر الله ، وتلك سنة رسوله العملية . ولو كان أحد منصورا بغير جهاد وإعداد وتخطيط .. لكان أولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلاج ذلك :

أن نفيق .. وأن نفهم .. أن نفيق من غفلتنا .. فقد طالت حتى أطمعت فينا كل ضعيف وخسيس ! وأن نفهم ديننا .. ونعترف أن الاعداد بالتخطيط جزء من الجهاد ، وأن على رافعي رايات الجهاد ان يخططوا قبل أن يرفعوا عقيرتهم بهذا الشعار الجميل !

حسن الظن بالأعداء :

وتبلغ السفاهة بنا .. أن نحسن بعدونا .. فنقيسه بمقاييس المحسنين ونزنه بموازين الصالحين ..!!

ومن ثم إذا وقعت منه الضربة خسيسة ولئيمة .. قلنا ما كنا نتوقع منه هذه الخسة وهذا اللؤم .. والقانون لا يحمي المغفلين .. والقرآن من قبله يحدثنا عن : **(كيد الخائنين)** يوسف / ٥٢ ، **(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)** فاطر / ٤٣ ، **(ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم)** النمل : ٥٠ و ٥١

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا : « الحرب خدعة » رواه البخاري ومسلم ، ويجيز لنا الكذب (وهو شعبة من شعب النفاق) على الأعداء . ويجيز لنا الخداع في الحروب بل يسنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان يستر الغزوة ويوري بغيرها ..

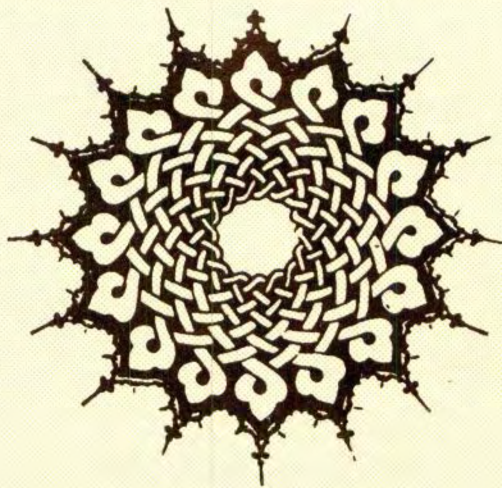
وكان يقول للصحابي الذي كان يهوديا وأسلم : « خذل عنا » (كما روت كتب السيرة) وكان يبعث بالعيون ترقب تحركات الاعداء .. الخ .. ومع ذلك نحسن الظن باليهود .. والقرآن يقول فيهم : **(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)** المائدة / ٨٢ .

ويقول : **(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون)** الانفال / ٥٦ ونحسن الظن بالصليبيين والقرآن يقول فيهم : **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** البقرة / ١٢٠ : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** البقرة / ٢١٧ ونحسن الظن بعملاء هؤلاء وهؤلاء إذا رفعوا الشعارات ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بتقتيل أمثالهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهم فوق عمالتهم .. قتلة .. تقطر أيديهم من دم أطهر شباب الجنة !

نحسن الظن بأولئك وهؤلاء ، والله أنزل فيهم من الآيات ما يكشف خبيئتهم ، وما يهتك نفاقهم وفجورهم وكفرهم فبماذا نحتج عند الله إلا أن نقول : كنا مغفلين !!

وعلاج هذا المرض كذلك :

ان نفيق .. وأن نفهم .. أن نفيق من الغفلة التي نعيشها .. وأن نفهم ديننا .. وسيرة رسولنا (صلى الله عليه وسلم) لنسلك نفس السبيل نحسن الظن باخوتنا ونسيء الظن بأعدائنا ..



(٢)

القرآن الكريم وتلوث البيئة

للمهندس : محمد عبد القادر الفقي

○ جسد الانسان ، وحكمة الله في تخليص هذا الجسد من الرصاص ومركباته السامة
○ الضباب الدخان ، وظلمات البحر الذي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
○ هل كان المطر الذي انزل على قوم لوط مطرا ملوثا بطين مشع ؟
○ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس والسبب : التصنيع !
○ تلوث الهواء يكسر مكونات (السقف المحفوظ)
○ وإذا البحار فجرت ، نتيجة لارتفاع درجة الحرارة ، وانصهار جبال الجليد في المتجمدين : الشمالي والجنوبي .

تلوث الهواء

الهواء هو كل المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض ، بما في ذلك بخار الماء ، ويتكون اساسا من غازي النتروجين (نسبته ٧٨,٠٨٤٪) والاكسجين (٢٠,٩٤٦٪) ويوجد الى جانب ذلك غاز ثاني اكسيد الكربون (نسبته حوالي ٠,٠٣٣٪) وبخار الماء وبعض الغازات الخاملة وتأتي أهمية الاكسيجين من دوره العظيم في تنفس الكائنات الحية التي لايمكن أن تعيش بدونه وهو يدخل في تكوين الخلايا الحية بنسبة تعادل ربع مجموع الذرات الداخلة في تركيبها .
ولكي يتم التوازن في البيئة ولا يستمر تناقص الاكسيجين شاءت حكمة الله سبحانه أن تقوم النباتات بتعويض هذا الفاقد من خلال عملية البناء الضوئي ، حيث يتفاعل الماء مع غاز ثاني اكسيد الكربون في وجود الطاقة الضوئية التي يمتصها النبات بواسطة مادة الكلوروفيل الخضراء ولذلك كانت حكمة الله ذات اثر عظيم رائع ، فلولا النباتات لما استطعنا ان نعيش بعد أن ينفد الاكسيجين في عمليات التنفس والاحتراق ، ولا تواجد أي كائن حي في البر أو في البحر ، إذ أن النباتات المائية أيضا تقوم بعملية البناء الضوئي ، وتمد المياه بالاكسيجين الذي يذوب فيها واللازم لتنفس كل الكائنات البحرية .
(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)
لقمان ــ آية ١١ .

لكن إنسان العصر الحديث قد جاء ودمر الغابات ، وطغى بالعمران على المساحات الخضراء وراحت مصانعه تلقي كميات هائلة من الأدخنة في السماء ، ولهذا كله أسوأ الآثار على الهواء وعلى توازن البيئة ، و إذا لجأنا إلى الأرقام لنستدل بها ، فسوف نفزع من تضخم التلوث ، فثاني اكسيد الكربون كانت النسبة المئوية الحجمية له حوالي ٠٢٩ ,٠٪ في نهاية القرن الماضي ، وقد ارتفعت الى ٠٣٣ ,٠٪ في عام ١٩٧٠ وينتظر أن تصل الى أكثر من ٠٣٨ ,٠٪ في عام ٢٠٠٠ ، ولهذه الزيادة آثار سيئة جدا على التوازن البيئي .

تعريف تلوث الهواء : ـ

هو وجود أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية بالهواء بكميات تؤدي الى أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية بالانســان والحيوانــات والنباتــات والآلات والمعدات ، أو تؤثر في طبيعة الأشياء وتقدر خسارة العالم سنويا بحوالي ٥٠٠٠ مليون دولار ، بسبب تأثير الهواء ، على المحاصيل والنباتات الزراعية .
ويعتبر تلوث الهواء من أسوأ أنواع التلوث التي تصيب البيئة ، وتزداد الحالة سوءا كلما ازدادت كمية الملوثات بالجو ، وكلما ازداد عدد السكان في المنطقة الملوثة .

وعلى مدار التاريخ وتعاقب العصور لم يسلم الهواء من التلوث بدخول مواد غريبة عليه كالغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من فوهات البراكين ، أو تنتج من احتراق الغابات ، وكالاتربة والكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض ، الا أن ذلك لم يكن بالكم الذي لا تحمد عقباه ، بل كان في وسع الانسان أن يتفاداه ، أو حتى يتحمله ، لكن المشكلة قد برزت مع التصنيع وانتشار الثورة الصناعية في العالم ، ثم مع هذه الزيادة الرهيبة في عدد السكان ، وازدياد عدد وسائل المواصلات وتطورها ، واعتمادها على المركبات الناتجة من تقطير البترول كوقود ، ولعل السيارات هي اسوأ أسباب تلوث الهواء بالرغم من كونها ضرورة من ضروريات الحياة الحديثة ، فهي تنفث كميات كبيرة من الغازات التي تلوث الجو ، كغاز أول أكسيد الكربون السام ، وثاني أكسيد الكبريت والأوزون .

طرق تلوث الهواء : ـ

اولا : بمواد صلبة معلقة : كالدخان ، وعوادم السيارات ، والأتربة ، وحبوب اللقاح ، وغبار القطن ، وأتربة الاسمنت ، وأتربة المبيدات الحشرية .
ثانيا : بمواد غازية او ابخرة سامة وخانقة مثل الكلور ، اول اكسيد الكربون ، أكاسيد النتروجين ، ثاني اكسيد الكبريت ، الاوزون .
ثالثا : بالاشعاعات الذرية الطبيعية والصناعية .
رابعا : بالبكتيريا ، والجراثيم ، والعفن الناتج من تحلل النباتات والحيوانات الميتة والنفايا الآدمية .

التلوث الناتج من عادم السيارات : ـ

يمكننا القول ان السيارة ما هي الا مصنع متحرك ، يضر بالصحة ، ويؤثر على

عمر الانسان والنبات والحيوان ، وهذا مرده الى غازات العادم الناتجة عن احتراق الوقود احتراقا ليس مثاليا ، ومن أسوأ الملوثات التي تنتج مع غازات العادم : —

غاز أول أكسيد الكربون : وهو يشكل النسبة الكبرى من غازات العادم ، كما انه ينتج ايضا من مواقد الفحم ، وهو غاز عديم اللون ، ذو تأثير سام ، وهو يقلل من قدرة الدم على استخلاص الاوكسيجين من الهواء المستنشق يوما بعد آخر ، وزيادة نسبة امتصاصه تؤدي الى اضطراب في كرات الدم البيضاء والحمراء ، مما يؤدي الى الاصابة بالأمراض الخبيثة ، كما انه يتحد مع هيموجلوبين الدم ، مما يؤدي الى حدوث الاختناق والوفاة .

غاز ثاني اكسيد الكبريت : وهو ايضا غاز عديم اللون ، نفاذ الرائحة وخانق ، له رائحة الكبريت المحترق وهو يخرج مع غازات العادم ويختلط بالرطوبة ، ويكون حامضا مهيجا للاغشية كما يحدث عادة التهابات في الاسطح المخاطية الرطبة ، وله تأثير ناحر في الصدور ، ومثير للسعال ، ومسبب للحساسية ، وهو ذو أثر ضار ايضا على خضرة الاشجار والنباتات .

غاز الأوزون : وهو في منتهى الخطورة وسام جدا وهو اكثر سمية من السيانيد ، وهو عامل مؤكسد قوي يؤدي الى تدمير وهلاك خلايا الرئة وخلايا الاغشية المخاطية ، وهو يؤدي الى هلاك النباتات ، ويزداد تأثيره عليها اذا وجد معه غاز ثاني اكسيد الكبريت .

اكسيد النتروجين : غاز حامضي الخواص ، له تأثير ناحر على الخلايا الحية .

البنزين غير المحترق : له رائحة غير مرغوبة تضيق بها الصدور ، كما انه يهيج الاغشية والشعيرات الدموية .

السناج : ذرات صلبة دقيقة من الكربون ، تنتج عن الاحتراق غير المثالي للبنزين ، أو أي وقود بترولي أو من أصل نباتي .

ويؤدي دخول ذرات السناج صدر الانسان وتراكمها يوما بعد يوم ، الى صعوبة تخلص الجسم منها ، وبذا تتكون بؤر لبعض الامراض الخبيثة .

مركبات الرصاص : تنتج املاح الرصاص من اضافة رابع ايثيلات الرصاص tetra ethyl lead الى البنزين ، وذلك لمنع الخبط فيه ، وتتطاير املاح الرصاص مع غازات العادم في شكل دقائق صغيرة تسبح في الهواء ، ثم تتساقط على الأرض ، واذا تعرض لها الجسد البشري فانه يمتصها ، وجسم الانسان يمتص يوميا ما بين ٠,٢٥ —٠,٥ ملليجرام ، وتنتشر تلك الدقائق في العظام وفي الانسجة الناعمة ، وتشاء حكمة الله سبحانه وتعالى ان يطرد الجسم البشري نفس معدله الطبيعي في امتصاص الرصاص ، وهو ٠,٣٠ ملليجرام عن طريق البول والعرق والشعر ، وذلك برهان كبير على قوله تعالى : **(الله لطيف بعباده)** الشورى / ١٩ وقوله ايضا : **(وفي انفسكم أفلا تبصرون)** ؟ الذاريات — آية ٢١ .

لكن اذا زاد تركيز الرصاص عن المعدل الطبيعي الذي يمكن لجسم الانسان ان يتخلص منه ، فان ذلك يؤدي الى التسمم بأملاح الرصاص ، والرصاص خطر للغاية اذ انه يهاجم المخ مسببا لبعض الامراض كما يقتحم الصدر ، ويخلق مراكز نشيطة تتجمع حولها ايونات الرصاص الاخرى ليؤدي في النهاية الى بعض الامراض الخبيثة ، البعض منها لايقدر على تحملها الانسان ، وبعضها لايفيد فيه طب ولا علاج .

والنباتات تمتص هي الاخرى املاح الرصاص ، وهي تمتصها بشراهة ومن الطريف بل من المؤسف ان اذكر هنا ان فريقا من الباحثين والعلماء المهتمين بالتلوث قد قاموا باجراء تجارب على النباتات المزروعة حول الطرق العامة ، فوجدوا أن نسبة تركيز الرصاص في هذه الاشجار اكبر من تلك التي تبعد عن هذه الطرق ، ووجدوا انه كلما زاد الابتعاد عن هذه الطرق ، كلما قل تركيز الرصاص ، وفي هذا دليل كبير على ان الرصاص الذي امتصه النبات انما جاء من عادم السيارات لا من مصدر اخر .

الضباب الدخان smog : –

وقد اشتقت تسميته في اللغة الانجليزية من كلمتي دخان Smoke وضباب fog ، وهو يتكون نتيجة لاختلاط الدخان بالضباب ، نتيجة لتأثير ضوء الشمس على الغازات المكونة للدخان ، ويؤدي الضباب الدخان الى حدوث ظاهرة الانعكاس الحراري ، حيث تعلو طبقة من الهواء الدافيء طبقة من الهواء البارد ، على عكس الوضع الطبيعي ، فالمفروض أنه كلما زاد الارتفاع عن سطح الارض كلما قلت درجة الحرارة ، لكن في حالة الانعكاس الحراري هذه يحدث احتجاز للضباب الدخان في طبقة الهواء القريبة من الارض دون ان تتبدد في طبقات الجو العليا مما يؤدي الى زيادة حجم التلوث ، وانعدام الرؤية في بعض الاحيان حيث تزداد الحالة سوءا مع ازدياد التلوث ، وقد حدثت كارثتان بسبب احتجاز الضباب الدخان دون ما تبدد ، الأولى حدثت في مدينة « دورونا » احدى مدن ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، وقد اصيب فيها حوالي نصف السكان بامراض الجهاز التنفسي ، وتوفي حوالي عشرون شخصا ، والثانية حدثت في مدينة لندن عام ١٩٥٢ وانعدمت الرؤية بحيث اصبحت العين لا ترى امامها اكثر من المتر ، وتساقط الناس اطفالا وشيوخا ونساء في الطرقات والشوارع ، وبلغ عدد الوفيات حوالي ٤٠٠٠ بسبب تلك الكارثة .

ويصور القرآن الكريم في اعجاز علمي بياني باهر هذه الحالة التي تنعدم فيها الرؤية نتيجة لتكون سحب الضباب الدخان ، حين يصور اعمال الكفار بانها مثل ظلمات البحر العميق الواسع الهائج الذي تتلاطم امواجه ، ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطي ذلك كله سحاب كثيف قاتم ، يحجب النور عنها ، فاذا اخرج راكب البحر يده فانه لايكاد يراها ، ولعلك اذا قارنت بين حالتي احتجاز الضباب الدخان في مدينتي دورونا ولندن ، والتصوير القرآني ، لاثارك عظمة الاعجاز

القرآني ، وروعة التصوير ، والسبق العلمي في تصوير السحاب المظلم الناتج عن الضباب الدخان ، قال تعالى :

(او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) سورة النور ـ آية ٤٠ .

٢ ـ التلوث بالمواد المشعة :

ظهر هذا التلوث مع بداية استخدام الذرة في مجالات الحياة المختلفة ، وخاصة في المجالين : العسكري والصناعي ، ولعلنا جميعا ما زلنا نذكر الضجة الهائلة التي حدثت بسبب الفقاعة الشهيرة في احد المفاعلات الذرية بولاية « بنسلفانيا » بالولايات المتحدة الامريكية ، وما حادث انفجار القنبلتين الذريتين على « ناجازاكي وهيروشيما » إبان الحرب العالمية الثانية ببعيد ، فما تزال آثار التلوث قائمة الى اليوم ، وما زالت صورة المشوهين والمصابين عالقة بالاذهان ، وكائنة بالابدان ، وقد ظهرت بعد ذلك انواع وانواع من الملوثات فمثلا عنصر الاسترنشيوم ٩٠ الذي ينتج عن الانفجارات النووية يتواجد في كل مكان تقريبا ، وتتزايد كميته مع الازدياد في إجراء التجارب النووية ، وهو يتساقط على الأشجار والمراعى ، فينتقل إلى الاغنام والماشية ومنها إلى الانسان ، وهو يؤثر في إنتاجية اللبن من الأبقار والمواشي ، ويتلف العظام ، ويسبب العديد من الأمراض ، وخطورة التفجيرات النووية تكمن في الغبار الذري الذي ينبعث من مواقع التفجير الذري حيث يتساقط بفعل الجانبية الأرضية ، او بواسطة الامطار ، فيلوث كل شيء ، ويتلف كل شيء .

وفي ضوء ذلك يمكن ان نقرر او ان نفسر العذاب الذي قد حل بقوم سيدنا لوط عليه السلام بأنه ، كان مطرا ملوثا بمواد مشعة ، وليس ذلك ببعيد ، فالأرض تحتوي على بعض الصخور المشعة مثل البتشبلند ، وهذه الصخور تتواجد منذ آلاف السنين ، وإذا تأملنا قوله تعالى في الآيات التالية ، وكلها نزلت في قوم لوط ، سنجد أن هذا الاحتمال غير بعيد : ـ

ـ **(فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد)** ـ سورة هود ـ الآيتان ٨٢ ، ٨٣

ـ **(فنجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)** ـ سورة الشعراء ـ آية ١٧٠ ـ ١٧٣

ـ **(وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)** ـ سورة النمل ـ آية ٥٨

ـ **(إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون)** ـ سورة العنكبوت ـ آية ٣٤

ومما يدعم رأينا ويقويه قوله تعالى : **(جعلنا عاليها سافلها)** ، وهذا لا

يتأتى إلا من زلزال عظيم ، أو تفجير نووي كبير ، وهذا الاحتمال الأخير أرجحه ، خاصة وأن آيات سورة الشعراء التي ذكرتها قد سبق ذكر المطر فيها قوله تعالى : **(ثم دمرنا)** ، فالمطر قد جاء بعد التدمير ، ولم تقل الآية : ثم أهلكنا الآخرين ، وهذا يتمشى مع ما أثبتته التجارب العلمية من أن تلوث مياه الأمطار بالاشعاع الذري ، أو الغبار الذري لا يتم إلا بعد التفجيرات النووية ، كما أن (**الرجز**) في اللغة يعنى القذر ــ بفتح القاف والذال ــ أي المواد الملوثة .

ومن المرجح في ضوء ذلك ، ان يكون المطر الذي نزل عليهم ملوثا بطين مشع ، وهذا يتمشى مع قوله تعالى في آية أخرى : **(لنرسل عليهم حجارة من طين)** ــ سورة الذاريات ــ آية ٣٣

التلوث الالكتروني :

وهو أحدث صيحة في مجال التلوث ، وهو ينتج عن المجالات التي تنتج حول الأجهزة الالكترونية ابتداء من الجرس الكهربي والمذياع والتليفزيون ، وانتهاء إلى الأقمار الصناعية ، حيث يحفل الفضاء حولنا بالموجات الراديوية والموجات الكهرومغناطيسية وغيرها ، وهذه المجالات تؤثر على الخلايا العصبية للمخ البشري ، وربما كانت مصدراً لبعض حالات عدم الاتزان ، وحالات الصداع المزمن الذي تفشل الوسائل الطبية الاكلينيكية في تشخيصه ، ولعل التغييرات التي تحدث في المناخ هذه الأيام ، حيث نرى أياما شديدة الحرارة في الشتاء ، وأياما شديدة البرودة في الصيف ، لعل ذلك كله مرده إلى التلوث الالكتروني في الهواء حولنا ، وخاصة بعد انتشار آلاف الأقمار الصناعية حول الأرض .

تأثير تلوث الهواء على البر والبحر :

تتجلى عظمة الله ولطفه بعباده في هذا التصميم الرائع للكون ، وهذا التوازن الموجود فيه ، لكن الانسان بتدخله الأحمق يفسد من هذا التوازن ، في المجال الذي يعيش فيه ، وكأن هذا ما كانت تراه الملائكة حينما خلق الله آدم ــ قال تعالى : ــ

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم . وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ــ سورة البقرة ــ الآيتان ٢٩ ، ٣٠

ولعل مما يؤكد وجهة نظرنا أن القرآن الكريم قد عرض وجهة نظر الملائكة بعد أن جاء في الآية السابقة من أن الله قد خلق للبشر كل ما يلزمهم في الأرض ، قبل أن يخلق الله آدم ، كالأنهار والبحار والجبال والاشجار والهواء **(خلق لكم ما في الأرض جميعاً)** .

بيد أن الفساد في الأرض يجب ألا ننظر إليه من وجهة النظر المادية وحدها ، بل هو يتضمن أيضا الطغيان والعصيان والظلم من جانب الانسان ، وآيات القرآن

الكريم تتحمل كلتا الوجهتين ، فالفساد في الأرض قد يكون من ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وقد يكون بعصيانه لأوامر ربه ، وقد يكون تدخل الانسان في مكونات الأرض والسماء ، وإفساد اتزانها على نحو ما نرى في موضوع التلوث البيئي ، وقد يكون التلوث الأخلاقي ، وقد يكون كل ذلك .

وعظمة القرآن في أنه يتحمل كل هذه المعاني ، ويشعها جميعا من كلمة واحدة ، هي **الفساد** ، وتأمل قوله :

ـ (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) ـ سورة الاعراف ـ آية ٥٦

ـ (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) سورة البقرة ـ الآيتان ١١ ، ١٢

ـ (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ـ البقرة ـ آية ٦٠

أما الآية التي تجسم التلوث بكل أبعاده فهي الآية رقم ٤١ من سورة الروم : ـ

ـ (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ـ

حيث تشير إلى التلوث الذي يظهر في البر والبحر نتيجة لما تصنعه يد الانسان ، كما تبين أيضا العذاب والوبال الذي يحل بالانسان نتيجة لفعله هذا **(ليذيقهم بعض الذي عملوا)** .

ومن المؤسف أن تيار التلوث قد وصل إلى أماكن لم يكن يتوقع أحد أن يصل إليها ، فقد وجد العلماء أن هناك نسبة كبيرة من الرصاص في الجليد في جزيرة « جرينلاند » تزيد عن نسبتها منذ عشرات السنين ، وتعجبوا من أين جاء هذا التلوث ، والجزيرة خالية من السكان تقريبا ، وخالية من السيارا ت والمصانع ، وتقع بعيدا عن مناطق العمران هناك في المنطقة المتجمدة الشمالية .

إن الرياح هي المسئولة عن نقل هذا التلوث من مكان إلى مكان ، فالأبخرة والدخان والغازات الناتجة من المصانع التي تنفثها المداخن في اوروبا تنقلها الرياح إلى بلاد نائية في الشرق مثل السويد وشمال غرب روسيا : ـ

(واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) ـ الجاثية ـ الآية ٥

ليذيقهم بعض الذي عملوا :

وجد أن للتلوث آثارا ضارة على النباتات والحيوانات والانسان والتربة ، وسوف نناقش هنا الأثر الناتج عن تلوث الهواء :

أ ـ صحياً : ـ تؤدي زيادة الغازات السامة إلى الاصابة بأمراض الجهاز التنفسي والعيون ، كما أن زيادة تركيز بعض المركبات الكيميائية كأبخرة الامينات

العضوية يسبب بعض أنواع السرطان ، ولبعض الغازات مثل أكاسيد غاز النتروجين آثار ضارة على الجهاز العصبي ، كذلك فان الاشعاع الذري يحدث تشوهات خلقية تتوارثها الأجيال إن لم يسبب الموت .

ب ــ مادياً : ــ ١ ــ يؤدي وجود التراب والضباب إلى عدم إمكانية الرؤية بالطرق الأرضية والجوية .

٢ ــ حدوث صدأ وتآكل للمعدات والمباني ، مما يؤثر على عمرها المفيد ، وفي ذلك خسارة كبيرة .

٣ ــ التلوث بمواد صلبة يحجز جزءا كبيرا من أشعة الشمس ، مما يؤدي إلى زيادة الاضاءة الصناعية .

جـ ــ على الحيوانات : ــ تسبب الفلوريدات عرجاً وكساحا في هياكل المواشي العظمية في المناطق التي تسقط فيها الفلوريدات ، أو تمتص بواسطة النباتات الخضراء ، كما أن أملاح الرصاص التي تخرج مع غازات العادم تسبب تسمما للمواشي والأغنام والخيول ، وكذلك فان ثاني أكسيد الكبريت شريك في نفق الماشية .

أما الحشرات الطائرة فانها لا تستطيع العيش في هواء المدن الملوث ، ولعلك تتصور أيضا ما هو المصير المحتوم للطيور التي تعتمد في غذائها على هذه الحشرات ، وعلى سبيل المثال انقرض نوع من الطيور كان يعيش في سماء مدينة لندن منذ حوالي ٨٠ عاما ، لأن تلوث الهواء قد قضى على الحشرات الطائرة التي كان يتغذى عليها .

د ــ على النباتات : ــ تختنق النباتات في الهواء غير النقي وسرعان ما تموت ، كما أن تلوث الهواء بالتراب ، والضباب والدخان والهباب يؤدي إلى اختزال كمية أشعة الشمس التي تصل إلى الأرض ، ويؤثر ذلك على نمو النبات وعلى نضج المحاصيل ، كما يقلل عملية التمثيل الضوئي من حيث كفاءتها ، وتتساقط زهور بعض انواع الفاكهة كالبرتقال ومعظم الأشجار دائمة الخضرة ، وتتساقط الأوراق والشجيرات نتيجة لسوء استخدام المبيدات الحشرية الغازية ، وكمثال للنباتات التي تتأثر بالتلوث محاصيل الحدائق ، وزهور الزينة ، والبرسيم الحجازي ، والحبوب ، والتبغ ، والخس ، وأشجار الزينة ، كالسرو ، والجازورينا ، والزيزفون .

هـ ــ على المناخ : ــ تؤدي الاشعاعات الذرية والانفجارات النووية إلى تغيرات كبيرة في الدورة الطبيعية للحياة على سطح الأرض ، كما أن بعض الغازات الناتجة من عوادم المصانع يؤدي وجودها إلى تكسير في طبقة الأوزون التي تحيط بالأرض ، والتي قال عنها القرآن : **(وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)** الانبياء ــ آية ٣٢

إن تكسير طبقة الأوزون يسمح للغازات الكونية والجسيمات الغريبة أن تدخل جو الأرض ، وأن تحدث فيه تغيرات كبيرة ، أيضا ، فان وجود الضباب والدخان

والتراب في الهواء يؤدي إلى اختزال كمية الاشعاع الضوئي التي تصل إلى سطح الأرض ، والأشعة الضوئية التي لا تصل إلى سطح الأرض بذلك ، تمتص ويعاد إشعاعها مرة اخرى إلى الغلاف الجوي كطاقة حرارية فاذا أضفنا إلى ذلك الطاقة الحرارية التي تتسرب إلى الهواء نتيجة لاحتراق الوقود من نفط وفحم وأخشاب وغير ذلك ، فسوف نجد أننا نزيد تدريجيا من حرارة الجو ، ومن يدرى ، إذا استمر الارتفاع المتزايد في درجة حرارة الجو فقد يؤدي ذلك إلى انصهار جبال الجليد الموجودة في القطبين وإغراق الأرض بالمياه ، وربما كان ذلك ما تشير إليه الآية رقم ٣ في سورة الانفطار : (**وإذا البحار فجرت**) حيث ذكر المفسرون أن تفجير البحار يعني اختلاط مائها بعضه ببعض ، وهذا يمكن له الحدوث لو انصهرت جبال الجليد الجليدية في المتجمدين الشمالي والجنوبي .

خاتمة : ــ

إنها صورة سوداء قاتمة صنعها الانسان ، ويذوق وبالها الآن ، وسوف يعاني الكثير من جرائها في السنوات القادمة ، خاصة وأن التصنيع يرتبط بالتلوث ، والبعض يرى أن التصنيع هو السبيل الوحيد للتقدم ، وأنه هو الدليل الوحيد على الحضارة والتمدين ، ولقد أدركت الدول المتقدمة خطورة هذه المشكلة فمنعوا قيام بعض الصناعات التي ينتج عنها كميات هائلة من الملوثات ، وصدروها إلى الدول النامية بدعوى نشر الحضارة والتكنولوجيا ، وهي مأساة كبيرة ستشمل البشرية كلها ، وعلينا أن نوقفها ، وأن نضع كل إمكانياتنا وأن تتحد إرادتنا من أجل المحافظة على الحياة ، وعلى الانسان ، من جهل الانسان ، فقد (**ظهر الفساد في البر والبحر**) فهل من مدكر ؟

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .
- موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .
- الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .
- ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
- لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .

تعقيب على
تعقيب على
مقال

مع إنجيل برنابا

للاستاذ/ مصطفى عبد الله

قرأت مؤخرا مقالة بعنوان تعقيب على مقال « مع انجيل برنابا » للاستاذ مصطفى محمد في الوعي الاسلامي ، ولاحظت ما فيها من آراء لا ينبغي السكوت عليها فرأيت ان أعقب على هذه الآراء بما يشفي الغليل ويبين الجليل ولكن قبل اقبالي على هذا بالدليل أرى لزاما علي ان أتحدث أولا عن برنابا والأنجيل الذي كتبه محاولا اظهار الحق الذي كان مخفيا واشعار الباطل الذي كان سريا ومن هذه المحاولة استغفر الله ان أخطأت وأتوب الى الله ان أكون قد صبأت .

كان برنابا أحد الحواريين عند عيسى عليه السلام وهذا ما يقوله التاريخ وما جاء عنه في العهد الجديد وفي دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الامريكية وغيرها من الكتب المسيحية نجد اخبارا وافية عنه وكل هذه المصادر تؤكد لنا أن برنابا كان شخصا موجودا عاش في زمان عيسى عليه السلام ومن المقربين اليه مما ينفي شك الاستاذ مصطفى محمد في وجوده عند عيسى عليه السلام .

وكان اسم برنابا يوسف وقد لقبه تلاميذ المسيح ببرنابا وترجمته ابن الوعظ وأحسبه كناية عن الواعظ كما ان ابن السبيل في العربية كناية عن المسافر وابن الزنا كناية عن الزاني وكان برنابا يقضي معظم وقته في صحبة المسيح عليه السلام ليستمع الى تعاليمه واقواله ، فهو ـ اذا ـ جدير بأن يكتب عن سيرة المسيح ويسجل اقواله والحوادث التي كانت تدور حول المسيح ، ويشتمل الانجيل الذي كتبه على كل هذه وليس هو الانجيل الذي تلقاه عيسى عليه السلام من عند الله ، مع انه من المحتمل ان يكون بعضاً ، وان لم يكن كل تعاليم عيسى واقواله ـ أو تفسيرا للأنجيل المنزل عليه .

ولم يكن لدى دارسي حياة برنابا العلم اليقيني عما اذا كان برنابا كتب انجيله في زمان عيسى او بعده الا انهم استدلوا من حكايته مع بولس وماركس بأنه كتبه بعد ما رفع عيسى الى السماء بعد رجوعه الى وطنه قبرص .

ولقى هذا الانجيل قبولا حسنا في كنائس اسكندرية وصار قانونا عند اهلها حتى سنة ٣٢٥ م ثم أصبح فتنة وادخل المسيحيون عقيدة التثليث ، فأمر رجال الكنيسة باحراق كل الاناجيل والكتب ضد هذه العقيدة ومن ضمن الكتب التي تعرضت للاحراق انجيل برنابا ، لأنه يدعو الى التوحيد ، ويصدق نبوءة عيسى عليه السلام وبما فيه من بشارة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعرض لذكر قضية الصلب على حقيقتها وغيرها من الحقائق التي تناقض عقائد الكنيسة الجديدة ، فلما رأوا ما رأوه في هذا الانجيل من مخالفة عقائدهم الجديدة ، اصدروا أمرا باعدام كل من وجد عنده نسخة من انجيل برنابا .

ويرجع هذا النهي عن مطالعة انجيل برنابا الى سنة ٣٢٥ م ، اي قبل اكثر من مائتي سنة من ولادة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم في سنة ٣٦٦ م منعه البابا دماسس مع انه حفظ نسخة منه في مكتبته ، واستمر هذا النهي عن مطالعة هذا الكتاب قرنا بعد قرن وبهذا الصدد يقول الدكتور خليل سعادة مترجم انجيل برنابا الى العربية ووافقه في تصديق هذا القول محمد رشيد رضا منشئ المنار : ويذكر التاريخ أمرا اصدره البابا جلاسيوس الاول الذي جلس على الاريكة البابوية سنة ٤٩٢ م يعدد فيه اسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا « مقدمة انجيل برنابا » .

ومرت سنون وانقضت قرون ولم يسمع لهذا الانجيل خبر ، ولكن الحق لا بد ان يظهر عاجلا كان او آجلا ، فلما كان القرن السادس عشر عثر عليه راهب إيطالي يسمى « فرا مرينو » في مكتبة البابا سكنس الخامس وفي قصة عثوره على هذا الانجيل ، يقول خليل سعادة ناقلا عن مصطفى العرندي « انه عثر على رسائل لايرينابوس وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس وان ارينابوس اسند تنديده هذا الى انجيل القديس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب مرينو المشار اليه شديد الشغف بالعثور على هذا الانجيل واتفق انه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا سكنس الخامس فحدث يوما انهما دخلا معا مكتبة البابا فران الكري على اجفان قداسته فاحب مرينو ان يقتل الوقت بالمطالعة الى ان يفيق البابا فكان الكتاب الاول الذي وضع يده عليه هو هذا الانجيل نفسه فكاد ان يطير فرحا من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في احد ارديته ولبث الى ان استفاق البابا فأستأذنه بالانصراف حاملا ذلك الكنز معه فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على اثر ذلك الدين الاسلامي (مقدمة انجيل برنابا) .

هكذا كان مصير انجيل برنابا ولم ينته خبره بعد الى هذه الغاية لأنه بعد قرنين اي في القرن الثامن عشر انتشر خبره في اوروبا في دائرة الدين واحدث فيها دويا عظيما وفي خلال هذه الفترة لم يسمع له خبر فلما شاع خبره في هذا القرن

واضطرب رجال الكنيسة من محتوياته ، عقدوا اجتماعا للبحث في هذا الانجيل فاتفقوا اخيرا على انه من وضع مرتد عن النصرانية او مسلم .

وهذا الحكم الذي اصدر من قبل رجال الكنيسة لا يقوم على اي اساس اذ ان في هذا الانجيل حقائق لا يعرفها الا من كان له المام واسع بالتوراة والانجيل والقرآن ، واني له العلم بالقرآن قبل انزاله فان قيل زعموا انه وضع بعد الاسلام قلنا كفى بنا التاريخ شهيدا وقد مر بك ان هذا الانجيل نهى عن مطالعته في سنة ٣٢٥ م . الى غيره من اخبار تاريخية ودلائل منطقية .

ومهما يكن من الأمر فأننا مع كل ادلة لدينا على ثقة عظيمة بأن هذا الانجيل ، كتب بقلم رجل مؤمن بالله ورسوله ومن المقربين اليه ، والذي سجل ما سمع من أقوال المسيح وتعاليمه وما شاهد من الحوادث التي حدثت مع المسيح عليه السلام وكم فيه من أقوال حكيمة وقصص ذات عبرة ، وتعاليم اصيلة والاخبار عن الغيب التي لا يمكن ان ينطق بها الا نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة ، فهو اذا كتاب جدير بأن يعول عليه ولا بد ان يتلقى بالقبول ويرجع اليه في مسائل تاريخية وبعض الحقائق ، بل يمكننا ان نستخدمه لتفسير بعض آي القرآن ـ اذا صح التعبير ـ خصوصا الآي التي تتعلق بقصة المسيح عليه السلام لأنه يفصل بعض ما اجمله القرآن مثل قضية الصلب وبشارة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعاء المسيح الى التوحيد واخباره عن حكايات معجزاته وعن قصص الانبياء الذين جاءوا قبله ، هو في الواقع كتاب وحيد من نوعه يوافق القرآن واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخالف في الكثير الاناجيل التي تقرأ اليوم في كنائس العالم .

قد انتهيت من اخبار برنابا وانجيله اختصارا والآن دعني اعقب على آراء الاستاذ مصطفى محمد واحدا واحدا كما لمحت في البداية هذا هو الغرض الذي دفعني الى كتابة هذه المقالة التي ارجو ان تكون مفيدة .

ذكر الاستاذ استنكافا من مطالعة انجيل برنابا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا اهل الكتاب عن شيْ » واجيب عن هذا بأنه من المحتمل جدا ان يكون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال الكفار من اهل الكتاب دون المؤمنين منهم ، وهذا الاحتمال عندي هو مراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا نجد في القرآن آيات حيث يذكر الله تعالى المؤمنين من أهل الكتاب في معرض المدح ، حيث سأذكر بعض هذه الآيات في نهاية هذه المقالة ، واذا مدح الله مؤمني أهل الكتاب لايمانهم وتقواهم ، فلا ارى جرما في سؤالهم عن شي في دين الله ، لمكانهم بالعلم بالتوراة والانجيل ولأن الايمان هو الذي يفرق بين المسلم والكافر ، فاذا وجد الايمان في اليهود والعرب والفرس وغيرهم فهم في الصدق على السواء .

اما احتجاج الاستاذ بقول معاوية في حق كعب الاحبار « انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » فلا ادري كيف شك معاوية في صدق كعب الاحبار بينما كان ابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون على كعب الاحبار

ووهب ابن منبه في تفسير بعض آيات القرآن التي تتعلق بقصة بني اسرائيل وكيف يظن بكعب الاحبار الكذب ، وكان من أحسن الناس اسلاما والكذب من سمة المنافقين ، فأن قيل كان كعب متهما بالكذب فلا يصدق في كلامه ، قلت ولو كان بالواقع كذابا فإن كذبه لا يبطل صدق غيره من مؤمني أهل الكتاب ، لأن نفى حكم الواحد لا ينفي حكم الجميع ، اعني بهذا ان كان كعب كذابا فلا نصدق كلامه ولكن نصدق كلام غيره من مؤمني أهل الكتاب .

ومن كان كذابا في دين الله كان منافقا لقوله تعالى : (**والله يشهد ان المنافقين لكاذبون**) المنافقون/١ ومن كان منافقا فنحن اشد فرارا منه فما ظنك بحبر الأمة وغيره من الصحابة الذي هم اعلم الناس واتقاهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قيل لم يتعمد كعب الاحبار الكذب فلا نكذبه ولا نصدقه قلت كذلك كل من لا يتعمد الكذب لا نكذبه ولا نصدقه من مؤمني اهل الكتاب كان أو من العرب أو غيرهم ، فهم في حكم النهي عن السؤال على السواء لا نفرق بين احد منهم .

واما احتجاج الاستاذ بقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شئ**) الأنعام/٣٨ فقد اختلف في معنى الكتاب على ثلاثة أقوال أولها ـ المراد بالكتاب القرآن ثانيها ـ ان المراد به اللوح المحفوظ وثالثها ـ ان المراد به اجل كل شئ ذكرها الطبري في معجم البيان ، وان قلنا ان المراد بالكتاب هنا القرآن فالقرآن لم يذكر كل شئ تصريحا فمثلا اين ذكر كل انبياء الله بعد قوله تعالى : (**ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**) غافر/٧٨ وغير هذا اشياء كثيرة لم يذكرها القرآن يطول ذكر بعضها هنا .

واما الآي التي يحتج بها الاستاذ والتي تصدق حقيقة القرآن من انه من عند الله فلا تمنع من مطالعة غيره ، واما الآي التي ذكرها والتي يذكر الله تعالى أهل الكتاب في معرض الذم والتوبيخ فبرنابا كاتب انجيل مع بره وزهده وورعه لا يدخل في عدادهم وليت شعري لو قرأ الاستاذ قوله تعالى : (**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**) آل عمران/١١٣ و١١٤ وقوله (**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب**) آل عمران/١٩٩ وقوله (**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**) البقرة/١٢١ . لو قرأ الاستاذ هذه الآي وامثالها وتدبر فأدخل برنابا في عداد من قال الله تعالى فيهم هذه الآي لكان صوابا وكوكبا يهتدي به .

هذا مع ان الاستاذ مع ذلك اجتهد وابتعد ولا تخلو مقالته من قول حسن وهو نصيحته « ثم لماذا لا نوجه جهدنا أولا وقبل كل شي إلى دراسة ديننا وذخائرنا فإن تسعة اعشار كتبنا وتراثنا ما تزال حبيسة مكتبات دور الكتب وهذه النصيحة التي أقبلها من أعماق قلبي لا بد أن تكتب على باب كل مسلم .

الغريب

٣

مسرحية شعرية من فصل واحد وستة مناظر

للشاعر/ محمود عبد الغفار دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

المنظر الخامس

المؤامرة

قاعة العرش في قصر الوالي ، الوالي يقطع القاعة ذهابا وايابا مطرقا مفكرا مدبرا ، وكبير حجابه على الباب ، والحراس في كل مكان ..)

الوالي : (يسأل كبير الحجاب وقد استبد به القلق)

هل جاء الشيخ كما قلنا

كبير الحجاب : (يجيب في اضطراب)

ابدا مولاي ..ولم يظهر

الوالي : (في غضب)

استعجل فورا مقدمه

كبير الحجاب : (يجيب خائفا)

ارسلت بأمرك للعسكر

الوالي : (محذرا)

اياك يفر ويفضحنا

كبير الحجاب : (مطمئنا الوالي)

... ابدا لن يفلت لو دبر

احكمنا طوق حراسته شيخ مجنون يتكبر

الوالي : (محدثا نفسه بصوت مسموع)

هذا المجنون له سر والسر سيكشف او يقبر

(ثم يلتفت الى كبير الحجاب ويأمره بحسن استقبال الغريب)

ادخله لفورك محتفيا ان جاء .. حذار يتأخر

يظهر الشيخ على باب قاعة العرش ، وقد تبدلت حاله فلبس افخر الثياب واسترد عافيته ومظهره المهيب الجليل وهو يدب على عصاه)

كبير الحجاب : (يخف مرحبا بالشيخ) ..

... اهلا بالشيخ ومقدمه

الوالي : (هاشا باشا)

....اهلا بالحكمة والسعد

(يأخذ بيد الشيخ ثم يسيران معا ويجلسه الى جواره)

يا شيخ تفضل اسعدنا بحديث الحكمة والود

(يتلفت الشيخ حواليه في تردد ويقلب عينيه في دهشة لهذه الحفاوة ولا ينطق بحرف)

الوالي : (يحاول ان يخرج الشيخ من صمته)

قل ما تشاء لك الامان مبجلا الرأي في ليل الخطوب منار

الشيخ : (يتنهد آسفا ثم يقول)

ماذا اقول وكل قول فاسد ... ما لم يكن لمقالة آثار ؟!
مالي أراكم خاملين تضاربت ... اهواؤكم فتحكم الاشرار
هم يعملون وينتجون وهاهنا ... بالشرق جهل عاجز خوار

الشيخ : (مواصلا حديثه)

يغزون ارجاء الفضاء بعلمهم ... ونخاف نمشي والطريق نهار
مستهلكون لكل ما قد ابدعت ... امم هناك ، ويربح السمسار
والمبدعون بأرضكم قد ضيعوا ... بوظائف ارزاقها اصفار
والثرثرات طعامكم وشرابكم ... والشائعات شرارها اعصار
والجنس والادب الرخيص بضاعة ... راجت ، وجهد الناصحين بوار
والخوف والارهاب اصبح زادكم ... والرأي يقتل والخطوب كبار
متفرقون بكل درب مظلم ... تتنابذون وارضكم اعشار
طمع الذئاب بارضكم وتحفزوا ... فالويل ان لم تجمعوا والعار

الوالي : (يتبرم من الحديث فيهدده خفية)
هذا حديث سياسة ومحرم ... ان تستباح سياسة وقرار

الشيخ : (يقول في حزم)
ان السياسة ان تساس رعية ... بالعدل والشورى يكون قرار
لا ان يروع آمن في سربه ... وبغير ذنب يقتل الاحرار

الوالي : (يغضب من هذا التلميح والتنديد بسياسته فيتساءل) **ماذا تقول ؟**
الشيخ : (مؤكدا في حزم)
اقول ما استمعت له اذناك اني ناصح مغوار
الوالي : (مسفها كلام الشيخ)
دع عنك هذي الفلسفات مكرما ... بحر السياسة ماله اغوار

الشيخ : (متحديا)
انسيت اني كنت قبلك قائدا ... شهد العدو بحكمتي والجار
الكفر قد رفع الصليب مهددا ... باسم المسيح تمسح الاشرار
طمع الذئاب بأرضنا فتجمعوا ... والله يشهد اننا احرار

وحدت صف العرب قلبا واحدا   هزم الطغاة وحفنا الاكبار

الوالي : (مقاطعا)

اليوم غير الامس

الشيخ (متحديا)

هـــذا زعــمكــم   بئس الـ[illegible] لقو[illegible]ه الخوار
ماذا لدى الاعداء ينقص قومنا ؟   فتقاعست همم [illegible]ل عثار
خير الشعوب شعوبنا إن وحدت   فالدين سمح وا[illegible]ار عمار
والمال موفور ، وكل صناعة   بالارض يعرف سرها الاحرار
علماؤنا كنز البلاد وذخرها   هجروا الديار وشتت الاخيار
لا خير في وطن تشتت اهله   مزقا تئن ، فجمعهم اصفار
ضموا الصفوف ووحدوا أهدافكم   عزم الرجال ارادة وقرار

الوالي : (مغيرا مجرى الحديث)

اسمع هداك الله قل لي صادقا   ماذا اردت غداة جئت لدولتي ؟

الشيخ : (في ثقة واعتزاز)

لا شيء الا ان تفك احبتي   (حريتي) اخت (الجهاد) وعزتي

الوالي : (مراوغا)

حسنا ... وماذا بعد تطلب يا ترى

الشيخ : (في ثقة واعتزاز)

...ان تستفيد بحكمتي وبخبرتي

الوالي : (محاولا شراء الشيخ)

اني امرت بأن تعين هاهنا   كوزير دولتنا تشير بما ترى

الشيخ : (معترضا)

ما جئت اطلب منصبا او مغنما   من قال هذا لا تكلف بيننا

الوالي : (متلطفا)

انت العزيز المستشار وفي غد ...

الشيخ(يتنهد ثم يقول في حسرة)

يا ويلكم مما يخبئه الغد .. يا ويلكم مما يخبئه الغد
.. يا ويلكم مما يخبئه الغد

الوالي : (مستنكرا) **ماذا تقول ؟**

الشيخ : (ناصحا)

نبــــوءة لمجـــرب خبر الحياة وجرب الاخطارا
أنست نورا قلت عليّ اهتدى فوجدت نارا تأكل الابرارا
وقتلتمو الحب الجميل بارضكم فالناس في ليل الخطوب سكارى
وتبعتمو زيف الحضارة والهوى ونسيتمو تاريخكم اطمارا
ابناء صهيون تجسد حقدهم هتكوا النساء وشردوا الاخيارا
حرقوا المساجد واستباحوا ارضنا والقدس والزيتون والافكارا
هلا رجعتم للكتاب وسنة غراء حتى نهزم الكفارا
هيا اجمعوا صف العروبة والقنا وتوحدوا كي لا نظل حيارى
الله يهدي من يشاء لنوره فمتى نتوب ونسجد استغفارا ؟

الوالي : (وقد مل نصائح الشيخ)

يا شيخ إنك قد اطلت مواعظا هل جئت تشعل فتنة ام نارا ؟

الشيخ : (مستنكرا رفض نصحه)

ما جئت اشعل فتنة بل اتقى فتنا زرعتم شوكها اسوارا
الظلم يشعل في القلوب مرارة عمياء تهدم ملككم أشطارا

الوالي : (معللا سبب بطشه واستبداده) :

الحزم محمود لحكم بلادنا كي نردع الفجار والاشرارا

الشيخ : (معترضا على هذا التبرير الكاذب)

العدل فوق الحزم بل هو نوره يحيي النفوس ، ويخلق الاحرا

الوالي : (مدافعا عن رأيه)

العدل نسبي اذا حللته والخوف يمنع فتنة وبوارا

الشيخ : (مفندا هذا الادعاء)

العدل قانون الوجود وشرعة لله نزله هدى ومنارا
ميزانه لا يستقيم برهبة والبطش يهدمه ويشعل نارا

كبير الحجاب : (يجيب مضطربا)
مولاي .. لقد سرقوا عمدا سر الاقفال السرية

الوالي : ((يصرخ في رعب)
ضعنا والله لقد ضعنا ضعنا والله لقد ضعنا
سرقوا احلامي الوردية سرقوا احلامي الوردية

(وبعد لحظة تفكير يشير بأصبع الاتهام الى الشيخ قائلا)
هذا المأفون له ضلع وسنعرف سرا لقضية
فخذوه سريعا للقاضي كي نقطع رأس الهمجية

(يهجم الحراس على الشيخ ويجرونه الى الخارج)

○ ○ ○

المنظر السادس

السر

غرفة باحد السجون .. نافذة الغرفة عالية ضيقة مليئة بالقضبان التي يتسرب منها شعاع ضئيل من الضوء .. الغرفة موحشة ، مقبضة للنفس والعين معا .. وبابها ضيق تعلوه كوة يطل منها السجان من حين الى آخر .. الشيخ قابع في ركن من اركان الغرفة المظلمة وحيدا مقيدا بالاغلال ممزق النفس والثياب يئن ويتوجع نتيجة التعذيب الوحشي .. ويناجي نفسه بالابيات التي سبق ان قالها في المنظر الاول :

الشيخ :
رعاك الله يا أمل فمنك الصبر والعمل
حكايات لنا عجب يشيب لهولها الحمل
شربنا المر الوانا فقل لي : كيف نحتمل ؟
يحارب بعضنا بعضا وضاع الرأي والخجل
كلاب الارض تنهشنا متى ينهض لها رجل
متى يشرق لنا صبح به الاحرار تحتفل

والخوف يزرع في القلوب عداوة تجني على حكم الطغاة دمارا
بالعدل تبنى دولة وحضارة مرموقة لا تعرف الاخطارا
وحد جموع الشعب تحت مظلة للعدل وارفع للاخاء شعارا
واهدم جدار الخوف ، واحكم راشدا بالدين واحذر خائفا مكارا

الوالي : (مبررا ظلمه بحجة استعداده لحرب الاعداء)

سنخوض حربا للجهاد ولازم ان نحمي الاسوار والاسرارا
ولذامنعت الناس ان يتكلموا او يبصروا او يسمعوا الاخبارا
وشريت اسلحة نرد بها العدا وسنهزم الاعداء والكفارا
وغداة نصري سوف اسمح بالذي حرمت قبل وننشد الاشعارا

الشيخ : (ساخرا من هذه الافكار)

اتخوض حربا للجهاد بزمرة لا يبصرون لليلهم انوارا ؟
الخائفون المتعبون اذلة يوم اللقاء تراهمو ادبارا
يتوقعون الموت كل دقيقة فالخوف افرخ رهبة وفرارا

الشيخ : (متابعا حديثه السابق)

اتخوض حربا للجهاد بعدة للحرب صنعها العدو شنارا
تتشدقون بكل قول كاذب كم تعشقون المدح والدولارا
لن تحصدوا غير المذلة في الورى ما دمتمو متفرقين سكارى
واحذر مؤامرة تحاك بظلمة نسج الصديق خيوطها امتارا

كبير الحجاب : (يدخل مهرولا وهو في ذهول ثم يقول)

مولاي ... وزيرك مقتول ......

الوالي :(مستفسرا وقد ظهر الرعب على وجهه) مقتول ؟ من ذا قد قتله ؟
كبير الحجاب : (يجيب مضطربا)
لا نعرف ... لكن القاضي يستجوب اوباش السفلة ..

الوالي : (محاولا اظهار رباطة الجأش)
حسنا .. هل سرقوا شيئا نعرفه ؟

يفتح باب الزنزانة فجأة ويدخل شاب مفتول العضلات حسن الوجه ولكنه مكبل بالقيود والاغلال .. ويقف الشاب امام الشيخ .. ثم يغلق باب الزنزانة وبعد ان تتعود عين الشاب على ظلام الزنزانة .. ينحني امام الشيخ ويقبل يده في شوق ولهفة ..

الشاب : (في حب ولهفة)
ابي .....

الشيخ : (مستفسرا)
... **من انت يا ولدي** ؟

الشاب : (موضحا عاتبا)
... (**جهاد**) ... **كيف تنساني** ؟

الشيخ : (في لهفة)
.. (**جهاد**) **انت يا ولدي** ؟

(يتصفح وجهه قليلا ثم يضمه الى صدره)
.. **حبيبي** .. **بين احضاني** ....

حسبت الدهر ضيعنا

الشاب : (في ثقة وقوة)
... **محال انه الحاني** ..

الشيخ : (مستفسرا)
ولكن كيف ؟ خبرني اتيت برغم قضبان ؟
وكيف عرفت يا ولدي ؟ مكاني رغم سجان ؟
وهل (حوريتي) ضاعت بقبر مظلم ثان ؟

الشاب : (متنهدا)
سمعت بانها تحيا بقصر الماجن الجاني

الشاب : (متابعا حديثه)
يراودها فتعصاه ولا تعبأ بحرمان
تذوق الذل ممزوجا بتعذيب ونكران
ويحرمها ضياء الشمس مزهوا بسلطان

تكـاد تمـوت مـن كمـد ويـغـزل خيط اكفـان

الشيخ : (في ثقة)

لـهـا ربـي، سيـرعـاهـا ويبطـل كـل بـهتـان
ولكـن كيـف يـا ولـدي اتيـت بـرغـم سجـان ؟
وكيف عـرفت يا ولـدي ؟؟ مكـانـي رغـم قضبـان ؟

الشاب : (شارحا سبب مجيئه)

اتيـت بـأمـرهم قـالـوا : بـانـك خنـت اوطـانـى
سـرقت مفاتـح الاسـرار ...

الشيخ : (مقاطعا في غضب)

كـذابـون يـا ولـدي

الشاب : (مكملا حديثه)

قتلـت وزيـر دولتـهـم بـاخـوان وأعـوان
وقـد دبـرت مـا دبـرت كـي تحظـى بتيجـان
وان لـم تـعتـرف فـورا شنقت ....

الشيخ : (في رثاء للنفس)

..... جـزاء احسـانـى ......

اتيـت محـذرا عبثـا فمـن يسمـع لاشجـانـي ؟
وكيف تعـالـج البلـوى ؟؟ سـؤال هـز اركـانـي

الشاب : ((يتابع حديثه)

اتيـت بـأمـرهم قـالـوا : اذا لـم يـعتـرف فـورا
سنقتلـه ونـذبحكـم ونحـرقكـم بميـدان

الشيخ : (يربت على كتف ولده مطمئنا)

بنـى هـداك رحمـن رحيـم عـادل احـد
جزعت لباطل البهتان ؟ اين العزم ؟ والجلد
اتخشى الموت ؟.. كل الناس موقوت لهم اجل

اتخشى الفقر ؟.. والرزاق موجود وإن بخلوا
هداك الله يا ولدي .. فلا تجزع وإن جهلوا

الشاب : (في قلق)
ومـــاذا انـــت قائلـــه ؟ ومـــاذا انـــت فاعلـــه ؟

الشيخ : (في ثقة)
اصـــلي فـــرض بـــارئنـــا صـــلاة الشكـــر للنـــعـــم
وادعـــوه وارجـــوه ليكشـــف ظلمـــة الـــغمـــم

يقوم الشيخ ويتجه ناحية القبلة ، ويصلي ركعتين لله .. ويدعوه ان يكشف الغمة فتعم الاضواء الباهرة الزنزانة اثناء الصلاة .. وتسمع ترانيم ملائكية جميلة .. وبعد ان يفرغ الشيخ من صلاته يلتفت الى ولده قائلا) :

الشيخ : (يربت على كتف ولده قائلا)
هـــداك الله يـــا ولـــدي
فدعني راشدا واذهب
وقـــل لـــهمـــو سيـــعتـــرف
لحاكمهم متى يرغب

الشاب : (متعجبا في دهشة)
وهـــل حقـــا ستـــعتـــرف ؟

الشيخ : (في هدوء وثقة)
.. نـــعـــم حقـــا ســـأعتـــرف

يعانق جهاد اباه بحب شديد ويقبل يده وراسه .. ثم يذهب ناحية باب الزنزانة ويطرقه .. يفتح الباب ويخرج جهاد)

○ ○ ○

قاعة المحكمة ، وقد تصدر الوالي نفسه منصة القضاء بينما جلس على يمينه القاضي بملابسه المعهودة ، ووقف ممثل الاتهام امام منصته في زي الجلاد ..

(اما الشيخ فماثل في قفص الاتهام ، والحراس في كل مكان ، اما حاجب المحكمة فقد وقف مستعداً لاعلان بدء المحاكمة .. تمضي فترة ترقب وانتظار قبل ان ينطق احد من المشاركين في المشهد .. وفجأة يشير الوالي بيده للحاجب .. ايذانا ببدء المحاكمة .. والوقت ظهرا ...)

الحاجب : (يصرخ معلنا بدء الجلسة)

برئاسة مولانا العادل الجلسة فتحت فانتبهوا
ينصره الله ويرعاه فالعدل سيأخذ مجراه

الوالي : (يشير الى الحاجب قائلا)

... ناد اسماء الأوغاد

الحاجب : (يشير الى الشيخ الماثل في قفص الاتهام)

.. الوغد وحيد مولانا بالقفص الماثل ينتظر

الوالي : (يسأل ممثل الاتهام)

... ما التهمة ؟

ممثل الاتهام : (يشير الى الشيخ)

... هذا مولانا الشيخ غريب الاطوار
قد حاك مؤامرة كبرى واغتال وزير الاسرار
بل سرق مفاتح دولتكم واليوم امامك يعترف

الوالي : (مهددا الشيخ)

اجبني انت متهم بقتل وزير دولتنا
وقد دبرت ما دبرت موهوما بغفلتنا
سرقت مفاتح الاسرار من اعماق خزنتنا
وان لم تعترف فورا قتلت بسيف غضبتنا
وعدلي سوف تعرفه قصاصا رغم رحمتنا

الشيخ : (متهكما)

عجيب ما ارى حقا واعجب منه ما زعموا
واين العدل يا هذا ؟ وانت الخصم والحكم ...

الوالي : (صارخا)

تجادل مرة اخرى ؟ وربى سوف انتقم

الشيخ : (في روية)

تمهل راشدا واسمع دليلي بعد برهاني
الم اك عندكم حتى دهاك الحادث القاني ؟
فكيف قتلت من زعموا ؟ وكيف اكون ذا الجاني ؟
ولم اعرف مفاتيحا واسرارا لانسان ..
انا ما خنت اعدائي فكيف اخون اوطاني ...

الوالي : (صارخا)

كفى لؤما ، ومعذرة اما قد جئت تعترف ؟

الشيخ : (في ثقة)

نعم قد جئت اعترف ...

الوالي : (في انشراح)

بماذا جئت تعترف ؟

الشيخ : (في ثقة)

بأني جئت في بلد غريب ليس اوطاني

وان النصح لا يجدي وربي شاهد حان
وان القاتل المأجور فيكم ....

ممثل الاتهام : (مقاطعا صارخا يمد اصبع الاتهام الى الشيخ قائلا)

... انك الجاني .....

الشيخ : (يرفع يديه الى السماء مبتهلا)

سألت الله رحمته سيخزيكم ويرعاني

تسمع جلبة وضوضاء صادرة من الخارج ... ثم يدخل القرود الثلاثة ومعهم شخص مكبل بالقيود يجرونه حتى يقفوا به امام منصة القضاء ...)

الوالي : (موجها كلامه للقرد الاول في غضب)

يا هذا ... ما هذي الفوضى ؟ بل كيف دخلتم ولماذا ؟

(يظهر الارتباك على كل من ممثل الاتهام والقاضي)

القرد الاول : (يجيب في خشوع)
عفـوك مـولانــا لا تغضب ارجــو ان تسمــع اقــوالي

الوالي : (في ضيق شديد)
افصح عن قصدك مختصرا ايــاك تــعطــل اعمــالي

ما القصة ؟

الاول : (يشير الى الرجل الذي يقبضون عليه)
... **هذا مأجور ... اغتال وزيرك مولانا**
الثاني : (مؤكدا قول الاول)
ووجــدنــا بــين مــلابســه سر الاقفــال الســريــة

الوالي : (يشير الى الشيخ في شماتة قائلا)
قـد جاء شـريكك يـا هـذا وسـنـعـرف سـرا لقضيــة

الثالث : (مؤكدا كلام الثاني)
قــد كــاد يفــر بفــعلتــه عنــد الاســوار الشــرقيــة
ليبيــع مفــاتــح دولتنــا لكــلاب الارض الســوقيــة

الوالي : (يأمر الثالث بادخال العميل قفص الاتهام)
حسنــا ادخله الى قفص ... بجــوار صنيــع الهمجيــة

(يدخل العميل القفص الى جوار الشيخ)
الوالي : (يسأل العميل)
ما الاسم ؟
العميل : (في خزي ومسكنة) **رغال** (اشارة الى رمز الخائن العربي الشهير ابو رغال)
الوالي : (في سخرية)
لا مرحى ... بسليل الخسة والغدر

(يسأل العميل ومشيرا الى الشيخ)
وشريكــك .... هــــذا تــعــرفــه ؟

العميل : (يتفحص وجه الشيخ جيدا ثم يقول)
.. **ابـدا ... ابـدا ... لا اعـرفـه**

الوالي : (ساخرا مستنكرا)
اتريد حمايته ؟ طبعا (آمرا صارخا) **من هم شركاؤك خبرنا ؟**
العميل : (مؤكدا اعترافاته)
لا اعرف شيخكمو هذا ... ابدا لن اكذب .. ولماذا ؟

ما دمت سأقتل من فوري .... شركائي هذا (مشيرا لممثل الاتهام)
والقاضي ...

القاضي وممثل الاتهام معا : (يصرخان) **المجرم ضيعنا ... ضعنا ...**
المجرم ضيعنا ... ضعنا ...
القاضي : (في ثورة عارمة)
كذاب ... نذل ... عربيد ...
ممثل الاتهام : (يصرخ وهو يسب العميل)
مأجور .. وغد ... رعديد ..

الوالي : (يصرخ في ممثل الاتهام)
اسكت لا تنطق (ثم يسأل القاضي)**يا قاضي ما قولك فيما تسمعه ؟**
القاضي : (في ذلة)
كذاب .... مولانا ..
العميل : (مؤكدا اعترافاته)
ابدا ... والخاتم عندي والمال ...

قـد راسـل سـرا اعـداءك كـي يسلـم كـل الاسـوار
ويفـوز بعـرشـك من غـده واليـك اكيـد البـرهـان

يخرج العميل من صدره كيسا صغيرا يسلمه الى حارسه الذي يسلمه بدوره الى الوالي ويفتح الوالي الكيس ويخرج منه خاتما ورسالة ، يقلب الخاتم متأملا متذكرا ويقول :

الخاتم هذا أعرفه

(ثم يشير الى القاضي بعد ان تذكر قائلا)
أعطيتك إياه هدية

القاضي : (في ذلة)**الخاتم ضاع** ... (ثم يشير الى العميل قائلا) **وقد سرقه**
(في تبجح) **وهناك مئات الامثال** ...

الوالي : (يقرأ الرسالة ثم يقلبها في يده ثم يسأل القاضي)
ورسالة من هذي قل لي ؟
(مؤكدا) **بل هذا خطك اعرفه** (صارخا)**تبا لخداعك يا خائن** ..
(آمرا الحراس) ... **جروهم للسجن جميعا** ...

يهجم الحراس على كل من ممثل الاتهام والقاضي والعميل والشيخ ويقتادونهم جميعا الى الخارج .. ولكن الوالي يأمرهم في آخر لحظة باطلاق سراح الشيخ قائلا)

... **الشيخ بريء** ... **فدعوه** ....

(يطلق الحراس الشيخ ... ثم ينطلقون بالباقين الى الخارج)

الشيخ : (وقد تم اطلاق سراحه هاتفا) **الله اكبر** ... **الله اكبر**
(ثم يردد بيت الشعر المشهور) ..
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

الوالي : (يربت على كتف الشيخ قائلا)
عينتك في سلك قضائي ...
الشيخ : (معتذرا) **لن اقبل الا ولديا** ...
(حرية) **روحي و**(جهادي)
الوالي : (مستوضحا) ... **ولماذا** ؟
الشيخ : (في خبث) **تسألني رأيي في صدق** ؟ **كي تعرف حقا** ؟ **ام ماذا** ؟
الوالي : (بحب وصدق) **اسألك النصح فصارحني** ..
الشيخ : (مندداً بعدالة الوالي)
... **هل آمن عدلك** ؟ **ام ماذا** ؟

الوالي : (ضاحكا) وقد فهم ما يرمي اليه الشيخ)
لـك عـهـدي أمن وسـلام فـاصدقني رأيـك في الحكم

الشيخ : (مشيرا الى شعار المحكمة ذي القرود الثلاثة وميزان العدالة المائل)

ميزان العدل بدولتكم كفته مالت للظلم
وقرود الحكمة مهزلة والشعب يضج من الغرم
لن تحكم شعبا تظلمه حتى لو ظاهر بالسلم
فأساس الملك عدالته والعدل سياج للحكم
لن تكسب حربا واحدة والناس تعامل كالبهم
صنع اسلحة لا تشرى وامر بالعلم وبالادب
واحكم بالعدل وبالشورى واحكم بالشعب وللشعب
قرآن الرحمة يرشدكم للنور ويأمر بالحب
فاجعله دليلا دستورا للدولة ينصركم ربي

الوالي : (يحتضن الشيخ وفي ود بالغ يقول)
احسنت النصح ومن غدنا نحكم بالعدل وبالحب

الشيخ : (محرضا الوالي على البدء فورا)
عجل بالبر فعاجله خير كي ندرك من سبقوا
يكفي ما فات فلا تهنوا وتعالوا نبني ما هدموا

الوالي : (يشير الى شعار المحكمة سالف الذكر ويأمر قائلا)
اني امرت وباسم الله نبدؤها مسيرة للهدى الله يحميها

فور نطق الوالي بعبارته السابقة .. يسطع نور باهر يغمر قاعة المحكمة ويتغير شعار المحكمة فيختفي شعار القرود الثلاثة ، ويحل محله شعار « الله اكبر .. العدل اساس الملك » كما تستوى كفتا الميزان .. اما شعار « المتهم مدان حتى لو ثبتت براءته » فيتحول الى شعار « المتهم بريء حتى تثبت ادانته في محاكمة عادلة ...)

الشيخ : (وقد بهره تحقق حلمه يحتضن الوالي بحب شديد ويهتف)

الله اكبر والاسلام يعلنها
حربا على الكفر لا قامت رواسيه
يا امة الخير هبوا اليوم واتحدوا
لا تتركوا الذئب يرعى في مراعيه

تمت



« غلاء المهور »

جاءنا من الاستاذة سعاد صبحي شحادة من الاردن كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما في الناس بعد ان رأى غلاء المهور وأراد ان يحدد المهر باربعمائة درهم فقامت امرأة وقالت أما سمعت قول الله تعالى (**... وآتيتم احداهن قنطارا ..**)آية ١٩ من سورة النساء فقال اصابت امرأة واخطأ عمر .

وقال الله تعالى عن المهر (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) آية ٣ من سورة النساء .

وقد جعل الله تعالى مهر المرأة خاصا بها وهي حرة التصرف فيه وهو هبة من الخاطب لخطيبته واكرام لها فليس لاحد من الناس ابا كان ام اخا ان يأخذ من هذا المال شيئا إلا برضي المرأة وموافقتها .

واية (**... وآتيتم احداهن قنطارا ..**)لا تعني غلاء المهور في الاسلام انما تعني انه ليس لاحد ان يحدد المهر لان الناس يختلفون في قدراتهم وفي امكانياتهم فجعل الله تعالى ذلك حسب الاتفاق بين الخاطب وخطيبته او وليها .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة قال عليه الصلاة والسلام « .. عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » رواه ابو داود والترمذي .

وقال حديث حسن صحيح : والنواجذ : الانياب وقيل الاضراس فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء يسير جدا وزوج بناته رضي الله عنهن بشيء يسير ايضا .

تقول فاطمة رضي الله عنها تزوجت عليا رضي الله عنه وليس لنا الا اهاب كبش كنا نعلف ناضحنا عليه بالنهار وننام عليه بالليل ، اي يطعمون عليه البعير في النهار ويقلبانه وينامان عليه بالليل .

وهذا سعيد بن المسيب التابعي رحمه الله زوج ابنته الجميلة العالمة من رجل فقير يدرس عنده العلم بدرهمين ورفض ان يزوجها لابن امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وتزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بخمسة دراهم فاقره رسول الله

صلى الله عليه وسلم . فالعبرة ليست بكثرة المهر او قلته بل العبرة في هذا المتقدم لخطبة الفتاة من وليها فاذا كان صاحب دين وخلق فاهلا به وسهلا وأما ان كان صاحب بدعة وبعد عن الدين فعلى ولي الامر ان يصرفه .

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » .

فاذا زوج المسلم ابنته لرجل عنده الدين فيكون مرتاح البال والضمير حتى لو كان زوجها فقيراسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن زواج البنت فقال « زوجها لرجل عنده دين فان احبها اكرمها وان كرهها لم يظلمها » لأن دينه يردعه عن ظلمها .

اما في ايامنا هذه فنجد الاباء لا يسألون عن دين الزوج ولا عن خلقه بل يسألون اول ما يسألون عن وظيفته وماله فان كان غنيا زوجه وان كان فقيرا صرفه . فهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظهور الفساد الكبير الذي نجده قد استشرى في الامة فنجد الشباب ضائعين لا يستطيع احدهم ان يجد زوجة يسكن اليها وتسكن اليه بعد ان اخذ الاباء يطلبون الاف الدنانير والدراهم وغرف النوم والاثاث وما الى ذلك من الاشياء التي اخذ الناس يتسابقون فيها ويتنافسون في طلب مهر اغلى لا يستطيع معها الشباب ان يدفعوا مثل هذه المهور المرتفعة .

فأخذ الشباب يعزفون عن الزواج لان طرق الحلال اصبحت صعبة المنال وطرق الحرام اصبحت ايسر منالا واكثر يسرا .

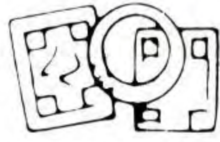
ونجد البنات اخذن يكبرن ويبلغن من الكبر عتيا ولا يجدن من يتزوجهن لان آباءهن يطلبون مهرا كبيرا . وهذا كله مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فبمخالفة طريق الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي الخسارة وباتباع سنته يأتي الفلاح والنجاح في الدنيا والاخرة .

فهذه البنات امانة في اعناق ابائهن ولهم الاجر ان هم احسنوا تربيتهن وزوجوهن من رجل صالح كن لهم سترا من النار .

عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين » وضم اصابعه رواه مسلم والجاريتين : البنتين .

وقال صلى الله عليه وسلم « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار » متفق عليه ابتلى : اختبر وامتحن .

ولا يجوز للرجل ان يفرق بين اولاده الذكور والاناث في النفقة بل يجب عليه المساواة والعدل قال عليه السلام« اتقوا الله واعدلوا في أبنائكم .. » متفق عليه نسأل الله تعالى ان يعود المسلمون الى سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في كافة شؤون حياتهم حتى يفوزوا في الدنيا والاخرة .



تدوين السيرة النبوية

ان السيرة النبوية الشريفة منهج حياة ومنطلق تاريخ الاسلام ومرجع للأحكام فكيف دونت أحداثها ومتى كان البدء في هذا التدوين

اسماعيل أحمد ـ تونس

ان كل الباحثين والدارسين المهتمين بتاريخ العلوم الاسلامية ، والحضارة العربية متفقون على أن تاريخ بداية تدوين السيرة النبوية كتابة وتصنيفا ، جاء بعد تدوين السنة وفي أواخر القرن الأول الهجري .. ذلك أن أول من ألف السيرة ودونها هو عروة بن الزبير المتوفي سنة ٩٢هـ .. ثم ابان بن عثمان المتوفي عام ١٠٥هـ ، ثم وهب ابن منبه المتوفي عام ١١٠هـ .. ثم شرحبيل بن سعد المتوفي عام ١٢٣هـ ، ثم ابن شهاب الزهري المتوفي عام ١٢٤هـ . الا أن معظم آثار هؤلاء لم يصلنا منه الا ما ذكره الطبري في كتابه في التاريخ لا كتابه في التفسير ـ ويقول بعض الباحثين أن آثار هؤلاء لا تخلو من « الاسرائيليات » ، ولهذا لم يكتب لها البقاء والخلود ، اللهم الا بعض البقايا المحفوظة في خزانة مدينة « هايدلبرج » بالمانيا ، ويتعلق الأمر بسيرة وهب بن منبه خاصة ..

وبعد هذه الطبقة الأولى من كتاب السيرة النبوية تأتي الطبقة الثانية وعلى رأسها « محمد بن اسحاق » المتوفي سنة ١٥٢هـ .. والذي يعد كتابه في السيرة النبوية من أوثق ما كتب في السيرة والمغازي ، وعليه اعتمد « ابن هشام » المتوفي سنة ٢١٣هـ في كتابه المشهور بـ « السيرة النبوية » لابن هشام ، وخصوصا اذا عرفنا أن الفرق الزمني بين تأليف هذين الكتابين في السيرة لا يتعدى خمسين سنة .

والحقيقة أن السيرة النبوية أسدت للتاريخ الاسلامي خدمة ما بعدها خدمة ، لان كتابها اعتمدوا الدقة والصحة في التدوين ، وتحروا كل شبهة من الشبهات الكاذبة ، والاسرائيليات المخادعة ، والأساطير الفارغة ، والخرافات المبالغة ،

ومن هنا نرى المؤرخين الاسلاميين يضعون السيرة النبوية في رأس قائمة « فنون التاريخ » عندهم حينما يقولون : « عرف العرب من فنون التاريخ **أولا - السيرة - ثانيا - الطبقات - ثالثا - التراجم - رابعا - التاريخ العام ثم الخاص** .. الخ .. ثم يقولون وهم ينوهون بالدور الفعال الذي تؤديه السيرة النبوية في بداية تاريخ الاسلام : « كان أول ما عنى به المسلمون - في التاريخ الاسلامي - سيرة النبي ﷺ .. وكان مرجعهم في ذلك ما رواه الصحابة والتابعون عن حياته ﷺ منذ ولادته ونشأته وبعثته وغزواته حتى وفاته .. » .

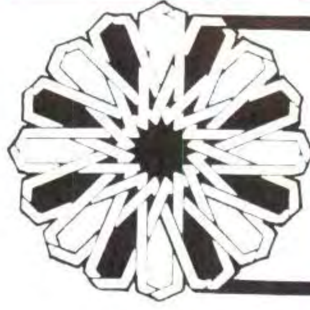
ولما اتسعت رقعة الاسلام ، وتفرغ الباحثون لكتابة تاريخ الاسلام مستقلا عن السيرة والأحاديث والتراجم والمغازي والطبقات في بداية القرن الثالث الهجري - وجدوا أمامهم السيرة النبوية كأكبر مصدر موثوق به فاعتنوا بها واعتبروها « المنطلق الأول لبداية تسجيل الأحداث الأولى لتاريخنا الاسلامي » .

نموذج اسلامي

من السيد عطية محمد شعبان رئيس المجلس الشعبي لمركز زفتى بمصر جاءتنا رسالة مطولة لعل اهم فقرة فيها هى : -

أصدر المجلس قرارا بالاجماع على التبرع بمكافأة جميع الاعضاء بالبدل الذي يتقاضونه من المجلس عن شهر واحد لمجاهدي افغانستان تقديرا منهم لهذا الدور المجيد الباسل الذي يقومون به ضد الشيوعية الكافرة وقد وقف الاستاذ محمد محمد شرف الدين عضو المجلس وقرر تنازله عن البدل الذي يصرف له شهريا طوال مدة وجوده بالمجلس لهؤلاء المجاهدين الأبطال ، كما أعلن تبرعه بدمه في نفس الوقت وقال : (اتمنى ايضا أن اقدم روحي وانال الشهادة في سبيل الله لنصرة الاسلام في اي مكان ، ويعلم الله وحده انني لو كنت املك شيئا آخر لتبرعت به وتنازلت عنه ويكفي أن اتبرع الآن بمبلغ أدخره من قوت اولادي) . وقد أحس جميع الاعضاء مع هذه الروح الطيبة والمشاعر الصادقة انهم امام مخطط عالمي كافر وعلى الجميع ان يواجهوه بحزم وايمان وترابط .

والمجلة تشيد بالروح الطيبة والنماذج الحسنة للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرة الاسلام وتدعو الله أن يكثر منهم بين المسلمين .




مع صحافة العالم

واحد ونصف مليون مسلم في بريطانيا

يتكاثر المعتنقون للاسلام في دول العالم يوما عن اخر ويزداد اهتمام الرأي العام العالمي بهذا الدين كيف لا وهو دين الحياة والدين الصالح لكل زمان ومكان حتى انه في بريطانيا وحدها يوجد الآن اكثر من ٢,٥ مليون مسلم منهم ٥٠ الف بريطاني وعددهم في ازدياد مستمر .

وتقول صحيفة (الجارديان) في مقال لها عن الاسلام في بريطانيا :

٤٠٠ مسجد تقوم الآن في مختلف انحاء البلاد اما عدد المسلمين فيها فيناهز اليوم مليونا وخمسمائة الف مسلم وهم يناهزون بهذا العدد عدد سائر من يقومون بحضور الطقوس من المسيحيين في كنيسة انجلترا في ذروة المواسم والذين يقدر عددهم بحسب الاحصاءات بمليون وسبعمائة الف وبالرغم من ان التفسير الرئيسي لانتشار الاسلام في بريطانيا يعود للهجرة الا ان هناك عددا كبيرا يعتنق الاسلام ويقدر عددهم حاليا بخمسين الف مواطن .. وفي تصريح لبعض هؤلاء المعتنقين للدين الاسلامي من البريطانيين يقولون انهم تحولوا لاعتناق هذا الدين عندما اتيحت لهم الفرصة لمصادقة بعض المسلمين المقيمين في بريطانيا حيث امكنهم قراءة القرآن الكريم المترجم للغة الانجليزية فلمسوا بعد الشقة من الفراغ الذي كانت تحفل بها حياتهم وخلوها من أي مثل اخلاقية أو أدبية .

ويقول هؤلاء المسلمون انهم معجبون كثيرا بالخصال الاسلامية اما النساء فيرحبن بالازار الذي يغطي وجوههن ويصفنه بانه جهاد اخر اشارة الى الجهاد المفروض على كل مسلم بحمل رسالة الاسلام الى الشعوب الاخرى والقتال في سبيله في وجه المشركين والكفرة ، أن كثيرا من

هؤلاء المعتنقين للاسلام رجالا ونساء هم من طلبة الجامعات الذين اتيحت لهم فرصة التعرف على هذا الدين خلال زيارات لهم للبلاد الاسلامية حيث عادوا الى بريطانيا ليعتنقوا الاسلام ويتعرضوا لاضطهاد من معلميهم واقرانهم ولكنهم مع ذلك يرحبون بهذا الاضطهاد لانهم يقارنونه بالاضطهاد الذي تعرض له النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سعيه لاظهار الحق وسط محافل المشككين والكفرة ويجمع المعللون لهذه الظاهرة على انها تكمن في حالة التفكك الاخلاقي الظاهر الذي بات منتشرا في الدول التى اعمتها الحضارة الحديثة عن ذكر الله كازدياد حالات الطلاق وتفكك العائلات والتشرد في صفوف الشباب والاجرام وانكار الله وانعدام التلاحم الاجتماعي ، وتقول احدى النساء المعتنقات للاسلام وقد اطلقت على نفسها اسم سكينة في تصريح لها ان اللباس المتعارف عليه للمرأة المسلمة رائع جدا فهو يقضي على السفور ويحول دون اثارة الشهوات .. كما ان سائر الحدود التى نص عليها القرآن الكريم عادلة ومفيدة .

ان الكفرة ينكرون الاعتقاد بكل كلمة من الكتب السماوية المنزلة اما نحن في الغرب فاننا نتمسك ببحث المظاهر الخارجية الا اننا لا نغوص الى كوامن هذا الدين الالهي الذي يحمل اكثر من رد على جحافل الكفرة والمشككين والذين باتوا اكثر من رمال البحر هذه الايام في مجتمع بات لا يعي الا المادة وابعاد المادة والعياذ بالله .

اول نسخة لترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية

ستصدر قريبا في الصين اول نسخة لترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية الحديثة .

وكان مترجم هذه النسخة وهو محمد مكين قد بدأ ترجمتها في عام ١٩٣٩ ولكنه توفي في عام ١٩٧٨ دون ان يشهد صدورها .

وسبق ان اصدرت في الصين ست ترجمات صينية للقرآن الكريم فيما بين ١٩٢٠ م و ١٩٣٠ م بيد ان اللغة الصينية التقليدية المستخدمة في هذه الترجمات قد جعلتها غير مفهومة للقارىء العادي .

وتقدر الاحصائيات عدد مسلمي الصين باكثر من عشرين مليونا .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة المكرمة

المملكة العربية السعودية

الجزيرة العربية أرض مترامية الأطراف ، تقع بين قارتي افريقيا وآسيا ، تفصلها عنهما مساحتان مائيتان كثيرتا التضاريس ، احداهما هي البحر الأحمر ، والأخرى هي الخليج العربي ، بينما يحدها من الجنوب الغربي خليج عدن ، ومن الجنوب الشرقي خليج عمان . في ثنايا هذه المساحات الشاسعة من الأرض ، تمتد المسالك المتعرجة التي عبرت منها إلى العالم أثمن هبة وافدة من الجزيرة : ألا وهي العقيدة الاسلامية .

ومساحة الجزيرة العربية تتجاوز مليونا من الأميال المربعة ، تشغل منها المملكة العربية السعودية أكثر من ٨٧٠,٠٠٠ ميلا مربعا ، يقطنها سبعة ملايين نسمة .

وتنقسم المملكة العربية السعودية إلى عدة مناطق إدارية ، أهمها : المنطقة الوسطى المعروفة تاريخيا باسم (نجد) وعاصمتها الرياض التي هي عاصمة البلاد أيضا ، ثم المنطقة الغربية المعروفة تاريخيا (بالحجاز) وأهم مدنها مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة ، والطائف ، والمنطقة الشرقية المعروفة تاريخيا (بالاحساء) وعاصمتها الدمام ، ومنطقة الجنوب المعروفة تاريخيا (بعسير) وعاصمتها أبها ، والمنطقة الشمالية وأهم مدنها تبوك .

ويحد المملكة العربية السعودية من الشمال الأردن والعراق والكويت ، ومن الشرق قطر والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب اليمن ، وسلطنة عمان ، وليس في المملكة أنهار جارية ، كما أن المناخ عموما حار وجاف خاصة في المناطق الوسطى .

وتعتمد المملكة على الثروات البترولية في اقتصادياتها .

تنتمي المملكة العربية السعودية لعدد من المنظمات والهيئات الدولية ، فهي عضو مؤسس للأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي العالمي ، وعضو في الجامعة العربية ، وهيئة الأمم المتحدة ، وصندوق النقد الدولي ، وفي عدة مؤسسات وهيئات عالمية اخرى .

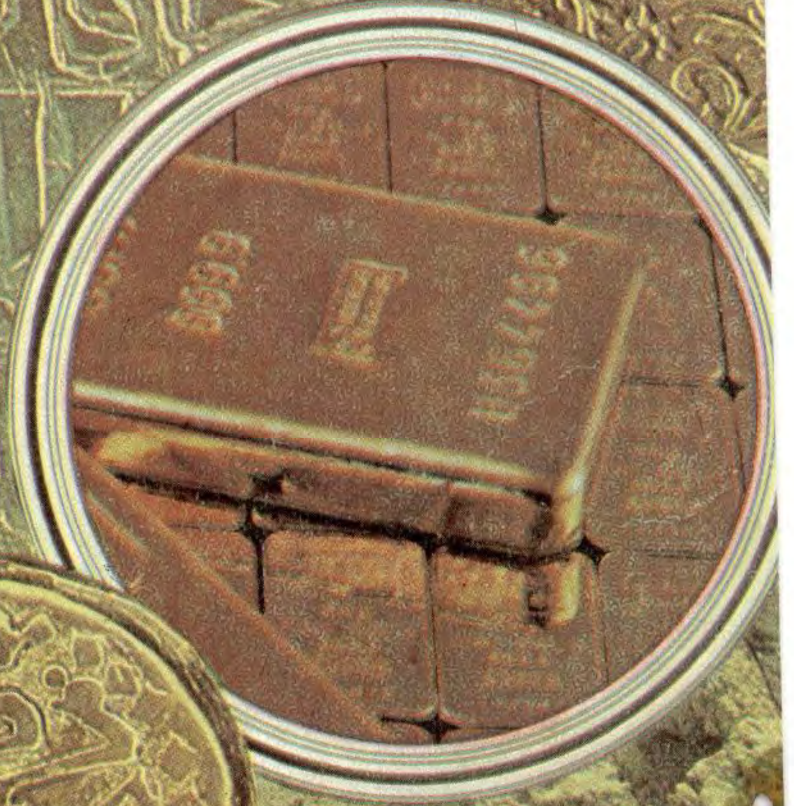
ومنذ قيام المملكة العربية السعودية على يد المغفور له الملك عبدالعزيز ، أرسيت قواعد الحكم فيها على أساس كتاب الله وسنة نبيه الكريم .



الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

١٩٨


الصرف وبيع العملات في ضوء الشريعة الإسلامية

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٨ ● جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ ● ابريل ١٩٨١ م

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هـدفهــا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيـدا عن الخلافـــات المذهبيـــة والسياسية

تصـدرهـــا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـة بالكويـت في غرة كل شهـر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقـم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقـم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●



كلمة الوعي

المعاني السامية في الوطنية

حب الانسان للاقليم الذي نشأ فيه ، ودرج على أرضه ، واستظل بسمائه ، ونعم بهوائه ، وحنينه اليه ، وانعطافه نحوه ، امر مركوز في فطر النفوس ، لا يسهل فكاكها منه .

وقد زكى الاسلام الحنين الى الوطن وما يحوي من معالم ، حدث ان سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في دار هجرته صحابيا يصف مكة فجرى دمعه حنينا اليها وقال : « يا أصيل دع القلوب تقر » .

والاسلام يجعل من الواجب على كل مواطن ان يعتز بوطنه ، وأن يبذل جهده لصيانته وحفظه ، وان يغرس مبادىء الحق والخير والعزة والسيادة في نفوس ابنائه .. بل لقد شدد المولي جل شأنه في ذلك ابلغ التشديد حين كتب العزة للمؤمنين ولم يجعل للكافرين عليهم سلطانا فقال : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** وقال : **(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)**

ومعلوم ان الاسلام رسالة عالمية انزلها الله لخير الأمم والشعوب جميعا ، لا فرق بين جنس وجنس **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** .. **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** .. ولهذا أعلن الأخوة الانسانية لأول مرة في تاريخ البشر : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)** .

ومعلوم ان الاسلام كذلك قرر أقوى معاني الأخوة بين المؤمنين به إلى درجة أن جعل الأخوة أكمل معاني الايمان . فقال تعالى : **(انما المؤمنون اخوة)** .. وقال : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)** وقال النبي الكريم

صلى الله عليه وسلم : (وكونوا عباد الله اخوانا) .
وقد فهم المسلمون الأولـون عن الاسلام هذا المعنى الأخـوي ، وأملت عليهم عقيدتهم في دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف وأنبل مظاهر التواد والتعارف ، فكانوا على اختلاف اوطانهم وأجناسهم رجلا واحدا وقلبا واحـدا ويـدا واحدة ، حتى امتن الله بذلك في كتابه فقال جل شأنه : **(وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم).**

وفي هذا العصر يفرض على أهل كل اقليم من أقاليـم الاسـلام أن يستدركوا ما فاتهم من معانـي الأخوة تحت ضغـط الاستعمـار وآثـاره وعبـث عملائـه .. وان يعتصموا بحبل الله جميعـا وان يترابطوا على الخير ، ويعملوا على تعمير وطنهم باقامة منهج الله في جميع مرافق الحياة ، حتى يكون الوطن الخاص لبنة متماسكة قوية في بناء الوطن العام الذي يحـد بالعقيدة لا بالتخوم الأرضية ولا بالحدود الجغرافيـة .. وإذ ذاك يكون المسلمون في جميع الأقطار اخوة يشعـرون بشعـور واحـد ويصـدرون عن رأي واحـد ، ويتجهون في جميع اقطارهم لرفع رايـة الاسـلام على كل بقـاع الأرض .. ويعتبرون كل شبر من الأرض فيه من يدين بدين القرآن الكريم قطعة من الأرض الاسلامية العامة التي يفرض الاسلام على كل أبنائـه حمايتهـا واسعادهـا ، فالوطن الاسلامي يتسع ويسمـو عن الحدود الخاصة الى وطنيـة المبـادىء الساميـة والعقائـد الخالصة الصحيحة ، والاسـلام حين يشعر ابناؤه بهـذا المعنـى يفرض عليهم فريضة لازمـة ان يعملـوا جميعـا لحمايـة أرض الاسـلام من عدوان المعتديـن وتخليصها من غصب الغاصبين وتحصينها من مطامع المعتديـن وتطهيرها من شرور المفسدين .
تلك هي المعاني السليمة في الوطنية يزكيها الاسلام ويدعو اليها وفي استجابة المسلمين لهذه المعانـي عزتهـم وسيادتهـم ومجدهـم :

(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسـول اذا دعـاكم لما يحييكم ،.) .
اما المعاني الفاسدة التي يريدها بعض الناس ـ كتقسيم الأمة الى أحزاب وطوائف تتناحر وتتباغض وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض ، وتنحـاز لمناهج وضعية من صنع الناس تمليها الأهواء والمآرب الذاتية ، وكانعزال كل اقليم داخل حدوده الجغرافية ـ فهي مزالق خطـيرة تودي بالأوطان جميعهـا وتفتـح الطريق أمـام الأعـداء لتعويـق نهضتها والتهام خيراتها .
ومن ثم فان الاسلام يرفض تلك

المعاني ويعتبر الدعاة اليها دعاة زيف وضلال ينادي اتباعه ان يبتعدوا عنها فيقول لهم :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)

وقال تعالى **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)**

ويفرض على القادة المؤمنين والدعاة الاسلاميين في كل قطر من اقطار الاسلام ان يكون لديهم معرفة يقينية بمنهج الاسلام للحياة وايمان به وتقدير له ، حتى يعصموا من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره ، وأن يكون لهم الارادة القوية التي لا تضعف والوفاء الثابت الذي لا يتحول والتضحية العزيزة التي لا تعرف الجبن ولا الطمع ولا البخل . فعلى هذه الأسس تقام المبادىء الحقة وتتربى الأمم على الخير ، وتنهض الشعوب بالواجب ، وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا ..

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبب ضعف الامم وهن نفوسها وخلاء افئدتها من الأخلاق النبيلة وصفات الرجولة الصحيحة ، وان كثر عددها وزادت خيراتها فقال صلى الله عليه وسلم: (يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن) فقال قائل : او من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : (لا انكم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) !

نعم ان الأمة التي ترتع في النعيم ، وتفتن بزهرة الحياة الدنيا وتأنس بالترف ، وتنسى مقارعة الخطوب والمجاهدة في سبيل الحق ، امة تضيع عزتها وتدفن آمالها وتتيح لأعدائها الاستخفاف بها والعدوان عليها .

وما احرى المسلمين أن يرفعوا رؤوسهم عزيزة بالاسلام ليقيموا مجدهم من جديد وينفضوا عن أنفسهم أسباب الهوان ويستنزلوا بايمانهم وصالح أعمالهم نصر الله وعونه فهو سبحانه نصير المؤمنين العاملين **(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)** .. **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** .. **(ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)** .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

القرآن نبع

سلم القرآن الكريم على مدار الزمن من التحريف والتبديل واحتفظ بسر الوحي الالهي في حرارته وقدسيته وشدة تأثيره على القلوب والمشاعر . وتضمن من التشريعات الحية الخالدة ما جعله دائما يضفي على الحياة من روح التقدم الذي يضمن لها الازدهار والتألق لانه يستوعبها ويغمرها ويمنعها ان تنحرف او تميد وربما كان ذلك مقصورا على القرآن الكريم وحده الذي هو اساس حضارة الاسلام . ويشهد بذلك خصوم الاسلام قبل اتباعه .

يقول رينان : الفيلسوف الفرنسي

ان القرآن هو اساس الاسلام وقد احتفظ بكينونته القديمة بدون ان يعتريه اقل تبديل او تحريف ، وعندما نستمع الى بعض آياته وما فيها من بلاغة وسحر تأخذنا رجفة الوله والوجد ، وبعد ان نتوغل في دراسة روح التشريع التي تنطوي عليها بعض الآيات الالهية لا يسعنا الا ان نعظم هذا الكتاب العلوي ونقدسه ، وقد دلتني تحرياتي العلمية انه لا صحة مطلقا للافتراءات التي يدعيها بعض المتحاملين عليه من امثال (فولتير) وهي افتراءات ذميمة وقحة توجه ضد محمد والقرآن العظيم أ. هـ « عن كتاب الحضارات والديانات للاستاذ طه سرور ص ١٢٦ و ١٢٧ بتصرف » .

ثم اردف ذلك ببيان ان هذه العصمة تخص القرآن وحده دون غيره من الكتب السماوية الاخرى وهذا الاعتراف الخطير من رينان المعروف بازدواج الشخصية . والذي يقول احيانا كلمة الحق تمهيدا لكلمات من

حضاري متجدد

للاستاذ / توفيق محمد سبع

الباطل شأن غيره من المستشرقين له دلالة وهو هنا ينطلق مع الحق مشيدا بالقرآن . وبالرسول . مدافعا عنهما مقراً بما لهما من قدسية وتأثير . ثم لا يقف عند هذا الحد . وانما يتناول الخصوم من ابناء جلدته ويرميهم بالكذب والدس والافتراء ، لقد تخلى الرجل عن تعصبه ومذهبيته فجأة فصدر عنه هذا الاعتراف الخطير . ويعنينا هنا ان نتلقف كلامه ونلقي عليه بعض الضوء . فهو يتضمن مجموعة من الحقائق الضخمة تؤيد ما نذهب اليه . وما نقرره دائما من ان القرآن وحده هو نبع الحضارة العالمية . وذلك لأنه اولا وكما يقرر رينان كتاب علوي يحتفظ بكينونته القديمة تلك الكينونة التي تجعله قادرا على التأثير في العقول والقلوب .. والتي يظهر اثرها فيمن يقرأ هذا الكتاب الخالد او يستمع اليه . اذ تعتريه انتفاضة التأثر ورجفة الوله وهزة الوجد ونشوة الفرح تبعا لتوزع آياته على الوعد بالجنة او الوعيد بالنار . او تناول احوال الامم وتاريخ الدول ومواقف الرسل من اقوامهم وصراع الحق مع الباطل كل ذلك يتتابع في مد متلاحق ، ويرمي بأمواجه داخل النفس الانسانية فتتحرك معه انقباضا وانبساطا ، وانها لخاصية مقصورة على القرآن الكريم وحده ، من بين سائر الكتب المنزلة ، لأنه قد سلم من التحريف والدس واحتفظ بنقائه وصفائه ومقدرته على التأثير اما نصوص التوراة والانجيل فقد اعتراها من التغيير والتبديل والدس ما افقدها التأثير وما احالها الى ترانيم سمجة متكلفة ، تتردد في الكنائس والبيع

بعيدة عن اي حرارة او سحر او سلطان على المشاعر والقلوب .

ولاشك ان المنهج الحضاري يفتقر الى كتاب ثابت المنهج ، مستقيم الوجهة ، قوي التأثير حتى يندفع الناس به بناة لصرح الحضارات على تقوى من الله ورضوان . وتلك هي روح القرآن العظيم ..

وهناك خاصية حضارية اخرى اروع واجل وهي روح التشريع التي ينطوي عليها ذلك الخالد ففيه من النصوص الحية المتجددة ما يلائم روح الحياة في كل عصر وجيل وما يدفع بعجلة التقدم الى الامام على هدى وبصيرة . دون ما اسراف طائش او جمود عائق . لتمضي حركة الحياة في خطو متزن وايقاع سديد . لانه منهج الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى : **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك / ١٤ .** وانها لتشريعات تتناول الحياة كلها لا تترك شأنا من شئونها الا ان تقول فيه قولا سديدا .. اما بالنص او باجتهاد العقل .. او باجماع اهل الفقه والرأي . ذلك أن الفقه الاسلامي يستمد من شريعة إلهية تثريه وتغنيه ، وتعينه على أن يستنبط الحكم الملائم والحل السليم . وبذلك يصبح فقها شاملا مستوعبا متجددا مع مشكلات العصور وما تدفع به من قضايا جديدة .. فهو بهذا نظام متكامل للحياة الانسانية يرسي قواعدها على اساس من كتاب الله ــ وسنة رسوله . ويخصب العلوم والمعارف الانسانية على امتداد الزمن ، ويمدها بالنماء والازدهار ولذا تمكن بناة النهضة القرآنية من تأسيس علوم ومعارف كلها تستقي من نبع القرآن وتقوم على توجيهاته . وهذه الخاصية الفريدة توثق العلاقة بين القرآن والحياة ، فهو يمنحها القوانين والاحكام والعلوم والمعارف ، ويمضي بها على طريق الهداية والخير ، ويضفي عليها من السمو والجلال ما يبعدها عن الابتذال والمهانة اللتين تزخر بهما الحضارات المادية في هذا العصر !!

ويوم يسود نظامه ، وتطبق أحكامه يوم تسمو الحياة ، ويطرد تقدمها على صراط العزيز الحميد .. ويوم تنفصل عنه تضل وتضطرب ويعبث بها الهوى والشيطان . ومن ثم فقيمة هذا الكتاب الخالد تكمن في تطبيقه ليكون نظام مجتمع ومنهج حياة . يعبد به الله ، وتحارب به الجيوش ، وتحكم به الجماعة ، وتساس به الأمور كلها .

هذه الخاصية التشريعية التي يشير اليها « رينان » لا توجد في كتاب آخر . لأن هذه الكتب قد تخلت ــ بفعل المحرفين ــ عن الحياة . ومن ثم ادارت ظهرها للمجتمعات وانتصرت على مسائل الروح اما القرآن الكريم فهو كتاب الحياة . ومستودع الحكمة . ومستقر المعرفة الحقة . وينبوع العلم الدافق . ونظام السياسة والاجتماع . يثير العقل ويحركه . وينطلق به جوابا باحثا في ملكوت الله ــ وانه ليربط الناس بالتقدم الصحيح . الذي يحفظ عليهم

جوهر دينهم ودنياهم .. ولا ينزلق بهم في هاوية الضياع والفساد .

ان حضارة القرآن بهذا التصور خصبة ولود . تمضي مع ركب المجتمع . ملبية حاجة البشر .. متجاوبة مع اهدافهم وطبيعتهم ، مستوعبة لمشكلاتهم وحاجاتهم . تجد لكل مشكلة طارئة حلا موفقا . ولكل سؤال وارد جوابا سديدا . فلا تجمد امام ما ترد به الأعصار والأمصار من مسائل جديدة . لم تكن في العهد الاول للاسلام .. بل تقيس الحاضر على الماضي . وتلحق الفروع بالأصول . وتنظر في علة الحكم التي تشملها . ثم تستنبط الاحكام الملائمة . وبذلك يأخذ التشريع القرآني سمته الحضارية ويبسط سلطانه على الحياة فلا تنفلت منه . او تزور عنه . لائذة بالفجرة والشياطين الذين يحكمون بغير ما انزل الله . في غيبة الايمان الصحيح والحكم الرشيد .

وما اجمل ان تتعانق روح التشريع بقضايا الحياة . فتمضي الحياة الانسانية الى غايتها ـ مسددة الخطا .. نبيلة الهدف . ومن ثم تشرق الارض كلها بنور ربها . وتغمرها بركات السماء وصدق الله العظيم اذ يقول : **(ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)** طه / ١٢٤ ـ ١٢٦ .

والضنك الذي اشارت اليه الآية ليس ضنك الأموال والمتاع فحسب . بل إنه يشمل في الدرجة الاولى ضنك الروح وما تعانيه من ضياع وتعاسة في ظل الحضارات المادية التي اماتت عواطف الانسان واحيت شهواته . وكفى بذلك خسرانا !!

وهكذا يجب ان تتألق حضارتنا المؤمنة في رحاب القرآن . وفي جو الايمان لتزدهر وتونق . وتؤتي اكلها كل حين باذن ربها . ولكي تمضي في طريق التجدد الصاعد والنماء المستمر . ولكي ينبض قلب الحياة دائما بمشاعر الخير . وتطرد مسيرتها المباركة . وتستجمع اسرار التقدم المادي والروحي معا . معبرة بذلك عن فطرة الانسان التي فطره الله عليها .

وينبغي ان نتنبه الى ان هذه الحضارة المباركة ، لا يتصور لها ان تجف او تذوب الا حين تنفصل عن كتابها الخالد . فاذا اعتراها في بعض العصور وهن او شحوب فما هو الا من جراء بعدها عن الله . وما هو الا ان ترتبط به من جديد فتجري فيها دورة الحياة ، ويعود اليها النماء والازدهار ، وبهذا تظل قادرة على مواجهة التحديات الحضارية الاخرى عبر القرون ، لأنها مزودة من العليم القدير بما يضمن لها القوة والصمود . وسيظل القرآن يمدها بالتألق لتضيء جوانب الحياة كل الحياة ، بالأمل والخير والحق والعدل والسلام وكل المعاني الطيبة والقيم النبيلة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها والله ولي التوفيق .

قصة الإنسان المعاصر
بين الهدى والضلال

عندما يريد العقل اقتحام عالم الغيب



للاستاذ محمد لبيب البوهي

يحاول العقل البشري ان يتطلع الى المجهول .. محاولا اقتحامه واكتشافه ، ولعل ذلك من عظمة الانسان ما لم يجنح به الخيال الى غير طاقته ، او يركب الفكر جناح الأوهام ، وهناك رغبة شديدة لدى كثير من العقول منذ قديم الزمان ان تنفذ الى ما وراء حجب الحياة ، وقد تصر على ذلك وتعاود المحاولات مرة بعد مرة مهما منيت بخيبة الآمال . وهذا ما مارسه الفلاسفة على وجه الخصوص منذ فجر التاريخ ونحن نحاول في هذه المقدمة ان نناقش الأمر عسى أن ترتدع بعض العقول عن المحاولات العقيمة لاقتحام عالم الغيب بغير عنصر الايمان ، وعندما نجلس في هدوء ونترك للفكر العنان فاننا سننظر مثلا الى جبل بعيد ، الى اقصى ما يستطيع البصر أن يصل في فضاء رحب مكشوف هنالك قد يرى الانسان أضواء تلمع عند السفح فيقول العقل لنفسه إنني ارى هنالك على ذلك البعد البعيد نهرا أو على اقل تقدير بحيرة صغيرة او نقع ماء ، ثم يذهب به الخيال الى أن ذلك الحائط الذي يراه من بعيد انما هو جدار يقوم على حافة الماء .. ثم لعله يذهب الى هناك ، الى ذلك الجبل فيدرك أن ما كان يراه إنما هو ما يسمى بالسراب وأن ما تصوره جدارا عند حافة السفح لم يكن غير عربة نقل وقفت على بعد عدة أميال منه ثم ذهبت .

لقد عاش الفكر أحيانا في ضلال ظنه حقيقة ، وذلك في حياته الواقعية وقد ينظر الى نهر تجري فيه المياه ويرى صور الطيور والاشجار والتلال تنعكس على صفحة الماء وهي تبدو مرتعشة مهتزة بحكم امواج المياه وهي ليست هكذا في الطبيعة فهي ثابتة وليس لها هذا الاهتزاز والارتعاش .

هكذا يحسن ان نتهم التفكير حين لا نمسك بأيدينا مستندات التجربة التي يمارسها الانسان بنفسه ، او التي تأكد من حقيقة وجودها حين جاء

بأنبائها من نثق فيهم ، وممن أثبتت الأيام صدق ما جاءوا به ، وقامت الأدلة على صدق ما قالوه .

السبيل الى ترشيد الفكر

واضح ان التفكير هو غذاء العقل ، والعقل بدون التفكير قد تتجمد فاعليته ، ولما كان أمر هذا الغذاء الفكري يشبه ما يكون من غذاء الجسم ، فان من الغذاء ما هو سام وكذلك من التفكير ما هو ضلال ، قد يردي صاحبه في مهاو ليس لها من قرار .. والعقل هو النعمة الكبرى متى أمسك صاحبه بالزمام ، وحدد خطوط المسار ، ولقد ذكر بعض الفلاسفة ان العقل هو العالم الصغير الذي تنعكس عليه بصور شتى معالم عالمنا الواقعي الكبير ، وبالعقل قد يرقى المرء الى مستوى الملائكة ولكن إذا قاده الهوى فقد يهوى به الى أسفل سافلين ، وقد يهيم في وديان الاوهام ، ويصور لصاحبه الباطل كأنه قد احسن فيه صنعا ، وعلينا أن نذكر دائما ان تفكيرنا الذي هو غذاء عقولنا إنما ينبع من بحر كوني لا حدود له تحرك امواجه معارفنا وثقافتنا وعقائدنا ، بل انه حتى ما قد يتخبط فيه المرء من جهل او ظنون او أوهام إنما ذلك أيضا لا يأتي من فراغ ، وإنما هذه الظنون والأوهام والضلالات كثيرا ما يأخذ بعضها بزمام بعض .. وكل إنسان له محيطه الفكري الخاص ، حتى لقد نستطيع ان نقول عن تفكير الجنس البشري انما عدده هو بقدر عدد افراده .. وليس هذا فحسب بل إن الفرد الواحد قد يتغير تفكيره مرارا فيخضع لتغييرات جديدة وغريبة وقد يناقض بعضها بعضا .

من أجل هذا كان لخير البشرية أن يكون هناك المنبع الأصيل الذي تأخذ منه فروع الينابيع كالنهر الكبير حين تأخذ منه فروعه فيكون ما يجري فيها مطابقا لما جاء من المنبع الصافي الذي هو من صنع مدبر حكيم قدير عالم بصير لا تتغير مناهجه بتغير الزمان والمكان ، بحيث يستطيع كل عقل ان يتغذى من هذا المنبع ، ويكون حجم غذائه بقدر ما يهيىء نفسه له ، وبهذا يقل الضلال .. او يتباعد وعند بعض الناس قد يتلاشى تماما ..

كيف تفكر تفكيرا صافيا سليما ؟

انه لا بد من وجود قواعد ثابتة يبدأ منها العقل اتجاهاته ، وإلا لو كان كل عقل عليه ان يبدأ من جديد .. من درجة الصفر في كل شيء .. فأنه ان لم يضل تماما فسوف يظل يدور حول نفسه .. وعلينا ان نتصور مثلا انسانا لا يؤمن بالطب ، ولا بدواء الأطباء .. لأنه لم يشترك معهم في تجاربهم التي كانت عبر عشرات او مئات السنين ، وهو فخور بعقله وتفكيره الخاص ويريد وحده ان يفكر في ابتكار دواء يشفي طفله المريض الذي يتلوى امامه .. فان هذا ولا شك اتجاه باطل وسفيه ، ولن يتسع عمره لشيء من ذلك ، ولا هو يعرف الطريق

وسوف يموت الطفل الذي منع عنه الدواء الذي استقرت عليه الامور .. وهكذا قد يتصور كثير من الناس .. وعندما صعد رجل الفضاء الروسي بضع مئات من الاميال فوق الأرض ورآها كرة معلقة في الفضاء ، لم يهتد فكره إلا إلى الغرور فقال : إنه لم يجد الله .. على حين أن زميلا له من رجال الفضاء « الأميركان » بهرته أفكاره حين رأى الأرض وهي كرة صغيرة تدور في فضاء الله بغير عمد تشدها فعاد مشدوها بالايمان واستقال من عمله وراح يعمل واعظا مرشدا الآخرين الى آيات الله التي رآها بعين البصيرة ..

عندما يهيم العقل في ظلمات الضلال

يكون ذلك دائما حين يحاول الخروج عن طبيعته ودائرة حدوده ويصر على نبذ كل ما لا يتيسر تجسيده لدراسته في المعامل .. فهو يرفض كل ما غير ذلك منكرا لكل العلامات والبينات التي لا تتجسد ، وإن جاء بها حكماء صدقت براهينهم ، ووضح على مدار الأجيال صدقهم .

يقول الفيلسوف « باسكال » إنه لكي يكون تفكيرنا صحيحا يجب ان يبدأ من قوانين ثبت وجودها في العالم الكبير ، ثم تلقاها العقل وهو العالم الصغير كمسلمات طبيعية ، وليس على العقل بعد ذلك من بأس أن يحاول ان يتفهم بعض جوانب هذه القوانين ، او يستنبط بعضها ، او يفسرها تفسيرا جديدا باضافات تكشف بعض جوانب كانت متوارية في العالم الكبير مما يخضع للتجربة ، ثم استنباط القوانين التي تحكم ما فسره او تفهمه فهما جديدا ، اما خارج العالم المحسوس ، اي ما وراء الحياة فان هناك مسلمات ثابتة ببراهينها يجب قبولها ، واذا حاول العقل ان يصدف عنها لينفذ الى اعماق الغيب غير مسترشد الا بتفكيره الذاتي فان هناك حاجزا هائلا سوف ترتد عنده افكاره بخيبة أمل كبير أو يضل في ظلمات ضلال بعيد ، لانه كلف عقله ما لم يعد له ، وما هو خارج عن دائرة التكليف ، والمثل أكبر بكثير من أن تحاول نملة مثلا ان تتفهم ما يدور في اعماق البحار او ما يسبح في أجواز الفضاء .

ما هو الغيب الذي يحاول العقل ان يمخر عبابه ؟

إن الذين طمس على قلوبهم وهم يحسبون انهم بتفكيرهم هذا يحسنون صنعا لا يريدون ان يؤمنوا الا ان يكشف لهم الغطاء عما وراء الحياة ، ونحن نريد ان نسألهم ، ما الذي يبغون ان يروه هناك ؟ وما الغيب الذي اذا بصروا به آمنوا ؟ هل يريدون أن يروا الله جهرة ؟ ام يريدون أن يريهم ملائكته ويسألونه كيف خلقتهم وأين يقيمون ؟ هل هذا هو الغيب الذي تتطلع اليه بعض العقول وألا فلا إيمان عندهم ؟ أم يريدون ان يشهدهم ربهم سبحانه خلق السموات

والارض وخلق أنفسهم منذ كانـوا أجنة في بطون أمهاتهم ؟!!
لقد سبقهم الى ذلك آخرون ، حتى بلغ بهم سفه السخرية أن طلبوا الى ربهم ان يسقط السماء عليهم كسفا ، وفي هذه الأيام المعاصرة أخذت السماء باذن ربها تساقط عليهم كسفا ، فلو أمسكنا بخريطة لهذا الكوكب الأرضي البئيس لوجدنا كل ركن من أركانها ينضح دما بما كسبت ايدي الناس مصداقا لقوله تعالى (**فكلا أخذنا بذنبه**) العنكبوت / ٤٠ .

وماذا لو كشف لهم الغطاء ؟

إن الله غني عن العالمين وليس ايمان أهل السموات والأرض بما يضيف إلى ملك الله مثقال جناح بعوضة فلماذا يغمض بعض الخلائق اعينهم عن طريق الخير لانفسهم ؟ ويطيب لهم أن يتخبطوا في دياجير الضلال إن أمر هؤلاء عجيب ولو قد كشف لهم الغطاء كما يزعمون فلن يزيدهم ذلك إلا خبالا .. إذ ما هي المقاييس الحسية أي المادية التي سوف يقيسون بها ما يكشف عنه الغطاء من أسرار الكون ؟ اعني لو رأوا السماء عندما كانت دخانا .. ولو رأوا الملائكة وهم بين قائم أبدا وساجد ابدا .. ولو سبحوا في أقطار السموات لعادوا اكثر ضلالا .. لأنه لا يمكن للعقل المادي أن يحتضن إلا ما هو من نتاج الفحص المعملي ولقالوا : (**إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**) الحجر / ١٥ .

لقد كان من فضل الله على الناس ان جعل فيهم فطرة الايمان التي ولدوا عليها وخلقوا بها وجاءوا وهي طبيعة فيهم إلا أن تطمس بعض العقول مصابيح قلوبها .. ان في كل انسان مهما كان لونه أو موقفه بذرة إيمان كبذرة الشجرة ، عليه أن يسقيها ويرعاها حتى تنمو ، والبعض يجتث هذه الشجرة من أساسها .. ولو لم يكن هذا فضلا من الله لقضوا جميعا حياتهم في متاهات من صنع الأوهام .. فالفطرة قد أنقذتهم من هذا ..
ولا نريد ان ننكر على العقل حقه في أنه حين يهتم بخصائصه فانه يصل إلى روائع عظيمة .. كما حدث ذلك في علوم كثيرة على الأرض .. هناك علماء في الفلك والهندسة والطب وغير ذلك .. ومع هذا فان أصحاب هذه العقول المتفتحة يختلف بعضهم مع بعض ، وقد يخالف هذا ما آمن به ذاك وذلك في علومهم التي خضعت لتجارب معاملهم ، ولنضرب مثلا .. فان مريضا قد يذهب الى الطبيب النفساني ، فيرى هذا الطبيب أن ما يحسه مريضه ، انما يرجع الى عوارض نفسية . فاذا ذهب ذلك المريض إلى الطبيب الباطني ، فانه قد يغض الطرف عما ذهب اليه العالم الأول ، ويرى أن مريضه إنما يعاني من مرض عضوي .. بل إن الفلاسفة أنفسهم ، وما أكثر ما ذهبوا إلى نظريات أفنوا فيها أعمارهم ، يزعمون أنهم وصلوا بها الى الحقيقة ، ثم يأتي فلاسفة آخرون ،

ويقيمون البراهين على فساد ما سبقوا اليه من نظريات فلسفية .. وهكذا قد لا نستطيع ان نرى نظرية فلسفية .. أو أخلاقية من صنع البشر ، نالت حظ الدوام والاستمرار على مدار الزمن ..

كيف إذن يكون الايمان ؟

العجيب أن الانسان حين يصور له تفكيره انه يستطيع أن يقتحم عالم الغيب فان الشيطان لا يخيب ظنونه ، وإذا كان الناس يفخرون بما وصل اليه العلم في دنيا المادة في كل زاوية من زوايا الوجود المادي وتكوينه ، فقد جاء في احصاء دقيق أنه يوجد في فرنسا وحدها سبعة آلاف عراف وعرافة لقراءة الكف و « الفنجان » والورق ، وهذا هو الاتجاه العصري المعكوس في محاولة فهم الايمان ، وهناك جمعيات تغذي أهواءهم فيما يسمى بجلسات العالم الروحاني ، حيث تبدو الشياطين في صور ما فتهلل لها صحف القرن العشرين ويقولون لقد تجسدت لنا أرواح الموتى .. بل ان هناك الآن في الغرب جهازا ألكترونيا صغيرا في الأسواق ، من يدفع ثمانمائة فرنك يستطيع ان يحوزه ويدير اقراصه على التاريخ واليوم والساعة فيعطيه الجهاز تنبؤات بما ستكون عليه صحته ، واحواله المالية والاجتماعية .. بل ليس أمر الأميركي « جونز » ببعيد فقد حمل زهاء ألف إنسان في أكبر دولة علمانية على قتل أنفسهم للانتقال الفوري إلى الجنة التي رسمها لهم الرائد جونز .

هذه ألوان من عالم الغيب كما يفهمونه .. أو كما يريدونه أن يكون .. وذلك إن دل على شيء فعلى وجود فطرة أصيلة كامنة في أعماق النفس ، خلقهم الله تعالى عليها ، غير أن الذين طمس على قلوبهم وعقولهم يضلون السبيل اليها .

وبعد :

فان هذه هي الحيرة الفعلية التي تتفاقم عادة في أعقاب الكوارث كالحروب الشاملة المدمرة . والتي تلتمس علاجا لدائها بعيدا عما أرداها من عقم الاسراف المادي مما يبعث أملا من نوع ما ــ إن هذه إرهاصات تدل على أن أمر الانسان العصري يتطلب علاجا روحيا سليما .. وهذا العلاج هو الدين ــ ولما كان الدين عند الله الاسلام . فان هذا هو السبيل الأوحد .

ولكن الناس لن يناموا ذات ليلة ليصبحوا كي يجدوا رايات الاسلام منشورة في أرجاء ملك الله ، انه لا بد من تخطيط ذكي مخلص دؤوب ، يبدأ بالمسئولية الفردية من كل مسلم ، يحس هذه التبعة ويدرك أنها أمانة ذات مسئولية باصلاح النفس ــ ثم الأسرة ــ حيث تتكون المجتمعات من مجموعها . ولو بدأ كل إنسان ــ أو عدد مناسب من الناس ــ بمثل هذا لكانت هذه هي البداية التي سيفتح الله سبحانه كما وعد أمامها سبل التوفيق : **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** العنكبوت / ٦٩ وهو سبحانه المستعان .

التقوى في ميزان الإسلام

للدكتور محمود محمد عمارة

يقولون :
ان الوظيفة تخلق العضو .
فاذا كان المشي وظيفة رجلك .. فأن رجلك هذه تظل صالحة للحركة ما دامت تمارسها على ارض الواقع .. ولو أنك وضعتها في قالب يجمد نشاطها .. فقدت صلاحيتها .. لأنك عطلت وظيفتها التي لا تكون الا بها .

ومن طبيعة الانسان الى طبيعة الايمان .. لنجد نفس المعنى :
فاذا لم يتحرك الايمان ليصبح في السلوك عملا بعد ان كان في القلب املا ..
توقف ذلك الايمان عن الحركة .. وفقد في نفس الوقت قدرته على صنع المواقف ومواجهة الحياة ..

ان الاستفتاء على وجود الايمان في القلوب سيأخذ بالطبع اغلبية مطلقة بين جماهير المؤمنين !

ولكن .. عندما يوضع ذلك الايمان على محك التجربة .. عندما يستفتي عليه كأمانة في المتجر .. وجودة في المصنع .. واخلاص في الدرس .. وتضحية في الازمات .. سوف تنحسر النسبة نحو الصفر .. ان لم تكنه !!

ومن اجل ذلك يأمرنا الحق سبحانه وتعالى بالتقوى .. كوظيفة للايمان يتحرك بها الانسان .. ليتحول بالتقوى من شعاع خافت .. ونبالة تتراقص .. الى قوة بانية محركة ..
وذلك قوله عز وجل :

(قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) الزمر/ ١٠ .

فلم نكلف بنداء العبودية ان نؤمن .. لكننا بحكم الايمان الحاصل فعلا مأمورون بالتقوى كصورة عملية للعقيدة ..

اننا عباد الله .. ومؤمنون به .. فلنتقدم على طريق الكمال خطوة يتم بها الميثاق ويكون بها الالتزام .. بالتقوى :

(.. اتقوا ربكم)

السفر البعيد !

ولكن الزاد هنا قليل . والشقة بعيدة .. والتكليف شاق ؟

والذي خلق الانسان ادري بطبعه .. ومن ثم .. يمهد له السبيل .. ويحمله برفق ولين ليخوض الغمرات .. ويجتاز مراحل الطريق بسلام .. ونحن واجدون في كلمات الآية الكريمة ومضات من هذا الود وتلك الرحمة تعين على امر الله :

فالنداء بوصف العبودية وما فيه من حنو .. ووصف الايمان وما يفرضه من الوفاء بالتزماته .. ثم اضافة المنادي الى ربهم وما يوحي به من سابق النعم ولا حقها ايضا .. مع احساسك بأنك بالتقوى على اوفى معاني الاحسان .. كل اولئك باعث للهمم من مراقدها لتنطلق عاملة آملة .. ولتقتعد بهذه الحركة المباركة قمة الاحسان :

(للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة)

ولا يرضي منك الاسلام ان تستسلم للواقع الضاغط .. على حساب تقواك بفضائلها ..

فاذا سمحت لك الظروف بالحركة صاعدا في مراتب الكمال الانساني .. فبها .. والا .. **(فأرض الله واسعة)**

ولا عذر لك في البقاء بأرض لا تحقق فيها انسانيتك ..

واذا قال الشاعر :

بلادي وان جارت علي عزيزة
واهلي وان ضنوا علي كرام

فأن هناك ما هو اعز من قومك واكرم .. وهو : دينك الذي اكرمك الله به .. ومبادئك التي استخلفك عليها ..

وصحيح ان فراق الاوطان مر المذاق لدى الانسان .. ولكن عدتك من الصبر الجميل تستعلي بك فوق المتاعب والمصاعب ..

ذلك بأن الصبر ضياء .. والحياة في سناه اوسع ما تكون ..

كما وان اليأس ظلام .. فالحياة في اسره اضيق ما تكون

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

الاسوة الحسنة

فاذا انت اخذت نفسك بالصبر سبيلا الى تحقيق التقوى .. كأخلاق

عمليـة في كل اتجـاه .. وعلى كل مستوى ..

فأنت مطالب بأن ترفع بصرك الى اعلى .. لتملأ عينيك بمشهده صلى الله عليه وسلم .. انه امامك يمشي على ذات الطريق ! :

(قل اني امرت ان اعبـد الله مخلصا له الدين.وامرت لأن اكون اول المسلمين) الزمر/١١ .

فهو لا يأمرك بالتقوى من خلف المكتب الوسيم .. او عبـر مكبـر الصوت .. لا .. انه يتقلب امامك في دروب الحيـاة محققـا مضمـــون الايمان .. لتنســج على منوالــه .. وتترسم خطاه ..

فـي رحلـة لا ينـجح فيهـا الا العاملون .. الذيـن يدعمـون بهذا العمل مفهوم الايمان في القلب ..

اي ان صور النشاط الانساني كلها فوق انها مقصودة لذاتهـا .. تثبت في ذات اللحظة دعائم الايمان بهذه الممارسة العملية التي تنعكس آثارها على الباطن رسوخا وثباتا ..

ان النفس الموصولة بالحـق .. الماضية على طريق الخير طاعة لأمره سبحانه .. حتى وان عرضت لها من الشيطان عوارض .. تبقى دائما على عهدها القديم .. وفاء وولاء ..

ولا يفقدها الصراع الدائم قدرتها على الكشف .. ما بقيت سائرة على الدرب .. محققة منهجها في واقـع الحياة على نحو صارم .. لا يجامل في الحق .. والمتقـون في هذا المجـال فرسان الحلبة ..

وحين نقرأ قوله تعالى :

(فأما من اعطى.واتقى وصدق بالحسنـى.فسـنيسره لليسرى) الليل/٥ ـ ٧ .

يبرز دورهم العملي الذي ينعكس على الباطن ضياء كاشفا .. يميزون به الخبيث من الطيب .. فينفرون من الاول .. ويمضون الى الثاني ..

ان الحركة الذاتية طاعة لله تقوى الملكات النفسية في كيان الانسان .. وتمنحه قدرا من الطاقة .. يعينه على قطع مرحلة اخـرى عبـر الطريـق الطويل ..

وفي هذا المعنى نقـرأ ما قالـه المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه « دستور الاخلاق في القرآن » وهو يتحدث عن اثر النشاط المادي في حركة الحياة :

يصبح دوره مزدوجا : فبدلا من ان يجنح بنتائجه الى الخارج فقط .. يستدير في الوقت نفسه الى الداخل . ليقوى استعداداتنا الفطرية . ويزيد في تأصيلها .

الم يؤكد القرآن ان الاحسان يثبت النفس فقال جل ذكره :

« **ينفقـون أمـوالهم ابتغـــاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم** » البقرة/٢٦٥ .

ويطهر الانسان ويزيد في قيمته :

« **تطهرهـم وتزكيهـم بهـــا** » التوبة/١٠٣

وهذا هو شأن الاعمال الصالحة كلها كما قال الامـام الغـزالي .. فالغرض منها اساسا تغيير صفات انفسنا .. قال الامام :

(فلا تظن ان في وضع الجبهة على

الارض فرضا . من حيث انه جمع بين الجبهة والارض . بل انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب .

فأن من يجد في نفسه تواضعا .. فاذا استكان بأعضائه .. وصورها بصورة التواضع . تأكد تواضعه .

ومن وجد في قلبه رقة على يتيم .. فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه) ويقول قبل ذلك :

واذا حصل اصل الميل الى المعرفة . فأنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه . فأن المواظبة على مقتضى صفات القلب . وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة . حتى تترسخ الصفة .. وتقوى بسببها .. وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر . وربما زال وانمحق . بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا . فيميل اليه طبعا ميلا ضعيفا . ولو تبعه وعمل بمقتضاه .. فداوم على النظر والمجالسة . والمخالطة والمحاورة . تأكد ميله . حتى يخرج امره عن اختياره . فلا يقدر على النزوع عنه .

ولو فطم نفسه ابتداء . وخالف مقتضى ميله . لكان كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل .

ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعة . وترك المعاصي بالجوارح .. لأن بين الجوارح والقلب علاقة .. حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر . فالقلب هو المقصود . والأعضاء آلات موصلة الى المقصود .

وبهذا يتضح دور المتقي في ترقية الحياة .. فليس هو ذلك الهارب في مغارة جبل او مدخل .. بيد انه الصورة المتحركة .. التي تملأ العيون .. وتؤكد بحركتها ذاهبة آيبة قدرة الاسلام على بناء الانسان الفاضل .. والمجتمع الفاضل .. لقد حرص اعداء الاسلام على صنع نماذج تنتسب الى الاسلام اسما .. ثم تخاصمه فعلا .. حتى اذا رآها السطحيون حكموا على الاسلام من خلالها .. ثم ضعفت ثقتهم بالاسلام تحت ضغط هذه الدعاية الكاذبة الخاطئة .. وواجب الدعاة ان يكثروا العمل .. تدعيما للنظام .. لا ان يكثروا القول تشدقا بالكلام .. وأذا كان المتقي كما قال الحكيم الترمذي :

(بمنزلة رجل خرج من الحمام . وقد تطهر من الادناس والاوساخ . ولبس ثيابا بيضا فاذا رأى غبارا او هاجت رياح . توقى على رأسه وثيابه اشد التوقى) ..

اذا كانت هذه صورة المتقى .. فأن دوره يأخذ شوطا آخر على طريق العمل الايجابي .. ذلك الدور الذي لخصه الحكيم الترمذي هنا ايضا بقوله :

(... وان يحدوهم على الخيرات .. ولا يدعوهم اليها) ؟

ان تكون له في رسوله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة .. فلا يكتفي بالدعوة المجردة الى الخير .. بلسانه .. بل يحملهم عليها بعمله اولا .. ان خطبة بليغة .. رائعة .. افضل منها عمل واحد .. تراه العين .. ويسجله التاريخ ..

أضواء على المضاربة

للأستاذ/ مجدي عبد الفتاح سليمان

المضاربة في اللغة عبارة عن : أن يدفع شخص مالا لآخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطا والخسارة على صاحب المال .. وهي مشتقة من الضرب بمعنى السفر لأن الاتجار يستلزم السفر غالبا ، وتسمى قراضا ومقارضة مشتقة من القرض وهو القطع ، سميت بذلك لأن المالك قطع قطعة من ماله ليعمل فيه بجزء من الربح ، والعامل قطع لرب المال جزءا من الربح بسعيه على بابها .

والمضاربة عند الفقهاء : عقد بين اثنين على الشركة في الربح (بمال من أحد الجانبين وعمل من الجانب الآخر) وما يرزق الله به من ربح ، يكون بينهما حسب اتفاقهما من ربع أو ثلث أو غير ذلك من الأجزاء المعلومة .

○ دليل المضاربة وحكمة تشريعها :

يقول العلامة ابن حزم : « القراض كان في الجاهلية ، وكانت قريش أهل تجارة ، لا معاش لها غيرها ، وفيهم الشيخ الكبير الذي لا يطيق السفر ، والصغير واليتيم ، فكانوا - وذو الشغل والمرض - يعطون المال مضاربة لمن يتجر به بجزء مسمى من الربح » المحلي/ جـ٢ . وقد ورد في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في مال السيدة خديجة - رضى الله عنها - مضاربة

والبنوك الاسلاميّة

الى الشام وذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم . سيرة ابن هشام ١ ص ١٨٧ ويقول العلامة الكاساني في كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع :

« ان المضاربة شرعت بالكتاب والسنة والاجماع »

● **ففي القرآن الكريم** يقول الله تعالى : (**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**) المزمل/٢٠ . كما يقول سبحانه وتعالى : (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/١٠ . ويقول جل ثناؤه : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**) البقرة ١٩٨ .

● **وفي السنة** : فقد روى أن العباس ابن عبد المطلب كان اذا دفع المال مضاربة اشترط على صاحبه أن لا يسلك به بحرا ولا ينزل به واديا ولا يشتري به ذات كبد **رطبة ، فان فعل فهو ضامن ، فرفع شرطه الى** رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجازه . البيهقي ، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والناس يتعاقدون بالمضاربة فلم ينكر عليهم ، وذلك تقرير لهم والتقرير أحد وجوه السنة .

○ **وفي الاجماع** . فقد تعاملت الصحابة بهذا العقد دون نكير منهم ولا من غيرهم من التابعين ، اذ قد روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه :

« انه دفع مال اليتيم وضاربه خوفا من أن تأكله الزكاة » الاختيار لتعليل المختار ٣ ص ٣٧ ـ وروى عن سيدنا علي كرم الله وجهه انه قال : « في المضاربة الوضيعة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه .. » نيل الأوطار ص ٣٩٢ .

وقد روي أن عبد الله وعبيد الله ابنى سيدنا عمر خرجا في جيش العراق وكان أبو موسى الأشعري يومئذ أمير البصرة فنزلا عنده ، وقال لهما اني أحب أن أعمل لكما عملا ينفعكما لو أقدر على ذلك ، ثم قال لهما ان عندي مالا من مال الله أريد أن أبعث به الى أمير المؤمنين وتنفعا بربحه ، فرضيا بذلك ، وفعلا باعا فربحا ، فلما دفعا إلى أمير المؤمنين سألهما : هل أسلف أبو موسى كل الجيش أو اختصكما أنتما به فقالا بل اختصنا ، فقال انه قد فعل معكما ذلك لأنكما ابنا أمير المؤمنين ، وطلب منهما أن يدفعا رأس المال وربحه الى بيت المال ، فسكت عبد الله ، أما عبيد الله فقال له : هذا لا ينبغي لك يا أمير المؤمنين لأن المال كان في ضماننا ولو هلك لألزمتنا به ، فلم يلتفت عمر الى قوله ، وطلب منهما تسليم المال وربحه فرد عليه عبيد الله ثانيا ، فقال رجل من الحاضرين لو جعلته قراضا يا أمير المؤمنين ، أي لبيت المال نصف الربح ولهما نصفه ، فقال : اجعله قراضا وفعل ذلك . الفقه على المذاهب الأربعة المجلد الثالث .

● وقد شرعت المضاربة للحاجة اليها ، وذلك لأن الناس بين غني بالمال لكنه يجهل التصرف فيه ولا يعرف كيف يستثمره ، وبين فقير لا يملك المال ولكنه يحسن التصرف فيه ويعرف كيف يستثمره ، فمست الحاجة الى وجود المضاربة لكي يتمكن كل ذي قدرة من أن يعمل ، فان لم يكن بماله ، فبمال غيره ومن هنا يتم التوازن بين العمل ورأس المال ، والتكامل بين الخبرات والأموال وتنشيط التجارة .

● **أركان وشروط المضاربة** : قرر الفقهاء أن عقد المضاربة ركنه الايجاب والقبول ، وذلك يكون بألفاظ تدل على المعنى المقصود كأن يقول له خذ هذا المال واعمل فيه ، وضاربه ، أو مقارضة ، أو معاملة ، أو خذ هذا المال مضاربة على أن ما يرزقنا الله من ربح فهو بيننا من نصف أو ثلث ، فيقول المضارب أخذت أو رضيت أو قبلت ، ولو قال خذ هذا المال بالنصف أو على النصف ولم يزد على هذا فان ذلك يكون مضاربة **صحيحة** . **من هنا نجد أن العقود في الشريعة تنعقد وتقوم أركانها على أساس الرضا** والاتفاق في الاطار الذي أباحته الشريعة الغراء ، وكما تنعقد بالايجاب والقبول تلفظا تنعقد كذلك بالكتابة ، هذا وقد أوضح الفقهاء الطرق المتعددة والمختلفة بشروطها للتعبير عن ارداة كل من طرفي العقد بالقول الملفوظ أو المكتوب ، أو انعقاده بالاشارة أو الرسالة أو الكتابة ، وقد تتم بعض العقود بالمعاطاة ، كالبيع الذي يتم بأخذ المشتري لسلعة

معروضة كتب عليها ثمنها بدفع الثمن لصاحبها وتسلمها ، دون تلفظ بالايجاب والقبول ، ولفظ المضاربة صريح في عرف أهل المدينة لأنهم يسمون المضاربة مقارضة أو قراضا لأن رب المال يقطع يده عن رأس المال ويجعله في يد المضارب .

● **ما اشترطه الفقهاء في العاقدين (رب المال والمضارب)** : لقد اشترط الفقهاء أن يكون كل من العاقدين في المضاربة له أهلية التوكيل والوكالة ، أي أهلية التصرفات في الأموال من بلوغ وعقل وغير ذلك مما اشترط في صحة التوكيل والوكالة ، فلا يصح عقد المضاربة من صبي أو مجنون أو مكره ، ويقول العلامة الكاساني « ان المضاربة تصح بين أهل الذمة ، وبين المسلم والذمي والحربي حتى لو دخل حربي دار الاسلام بأمان فدفع ماله الى مسلم مضاربة أو دفع اليه مسلم ماله مضاربة جاز ذلك ، لأن المستأمن في دارنا بمنزلة الذمي ـ والمضاربة مع الذمي جائزة : فكذلك مع الحربي المستأمن ـ فان كان المضارب هو المسلم ودخل دار الحرب بأمان وفعل بالمال ، فهو جائز لأنه داخل دار رب المال فلم يوجد بينها اختلاف الدارين فصار الأمر كأنهما في دار واحدة .

● **الشروط المتعلقة برأس المال** : تتلخص الشروط المتعلقة برأس مال المضاربة فيما يلي :

(١) أن يكون رأس المال من النقود المضروبة : ويقول الكاساني ، انه يشترط في رأس مال المضاربة ـ عند عامة العلماء ـ أن يكون من الدراهم أو الدنانير ، ويوضح العلامة الشيخ علي الخفيف هذا بقوله : انه « يشترط فيما تنعقد عليه المضاربة ـ وهو رأس مالها ـ ما يشترط فيما تصح به الشركة وتنعقد عليه من مال ، وعلى ذلك يجب أن يكون رأس المال ذهبا أو فضة مضروبين أو نقدا رائجا على الأصح ، فلا تصح المضاربة على العروض من عقار أو منقول ، ولو كان المنقول مثليا ... » الشركات في الفقه الاسلامي صـ ٦٨ ، وقد أورد صاحب بداية المجتهد ٢ صـ ٢٣٦ حجة من قالوا بعدم جواز المضاربة بالعروض على أساس اعتبار ذلك من قبيل الغرر ، لأن المضارب « يقبض العرض وهو يساوي قيمة ما ، ويرده وهو يساوي قيمة غيرها ، فيكون رأس المال والربح مجهولا

(٢) أن لا يكون رأس المال دينا في ذمة المضارب : يقول الكاساني انه اذا قال صاحب الدين للمدين : « أعمل بديني الذي في ذمتك مضاربة بالنصف ، فان المضاربة فاسدة بلا خلاف .. » فان عمل بذلك « أي المدين » ـ رغم فساد المضاربة ـ فان الدين يبقى في ذمته ، وله الربح وعليه الخسارة ـ وذلك عند أبي حنيفة . أما عند أبي يوسف ومحمد فان ما اشترى وباع يكون لرب المال ربحه وعليه وضيعته .

وتعرض الكاساني للمضاربة بالوديعة ، بأن قال المودع لمن أودع عنده مالا « اعمل بما في يدك مضاربة بالنصف » فقال إن هذا جائز بلا خلاف . وقد فرع على ذلك أيضا أنه لو

أعطى رجل آخر مبلغا من المال على أن نصفه وديعة في يد المضارب ونصفه مضاربة على نصف الربح فيه بأن ذلك جائز » ... والمال في يد المضارب على ما سميا ، لأن كل واحد منهما « أي الوديعة ومال المضاربة » أمانة فلا يتنافيان .

(٣) أن يكون رأس المال معلوما : فلا يصح على مجهول القدر ، والمقصود من ذلك تحديد المال المضارب به ، باعتبار أن هذا المال المدفوع سوف تجري اعادته عند تصفية المضاربة ، فاذا لم يكن معلوما فان ذلك يؤدي الى المنازعة .

(٤) أن يكون رأس المال مسلما للعامل : والمراد بالتسليم اما الدفع بالمناولة أو تمكين المضارب من أخذه ، وذلك لأنه أمانة في يده ، ولا تصح المضاربة الا بالتسليم والتخلية بين المضارب والمال . فلو شرط بقاء يد المالك على المال فسدت المضاربة .

● **الشروط المتعلقة بالربح** :

(أ) أن يكون نصيب كل من الطرفين ـ مما يرزق الله به من ربح ـ معلوما حين العقد : أي بيان مقدار حصة المضارب من الربح ـ على الأقل : لأن ذلك يعتبر كافيا لازالة الجهالة المفضية الى النزاع . فلو قال مالك المال للمضارب : بأن لك ثلث الربح ، فان هذا يعني بداهة أن للدافع الثلثين فاذا لم يعلم قدر الربح فان الجهالة ـ كما يقول السمرقندي ـ توجب فساد العقد لأن كل « شرط يؤدي الى جهالة الربح ـ يفسد المضاربة . تحفة الفقهاء صـ ٣ ، غير أنه لا يشترط بيانها باللفظ الصريح ، بل يكتفي بالقرينة . وعلى ذلك لو أن رب المال دفع للمضارب « ألف درهم على أنهما شريكان في الربح ، ولم يبين مقدار الربح ، جازت المضاربة والربح بينهما نصفان لأن الشركة تقتضي المساواة ، وذلك باعتبار أن تصريح الدافع بالشركة في الربح فيه ، هو بيان المقدار من هذه الناحية .

(ب) أن يكون لكل من المضارب ورب المال من الربح حصة شائعة منه (كالثلث أو النصف) وليس مقدارا محددا (كألف دينار مثلا) فان مبنى ذلك قائم ـ كما يقول صاحب تبيين الحقائق ـ على أساس أن الشركة تتحقق بذلك . أما اذا شرط لأحدهما « دراهم مسماة » فان المضاربة تبطل « لأنه يؤدي الى قطع الشركة على تقدير أن لا يزيد من الربح على المسمى » تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق صـ ٥ .

● قسمة الربح في المضاربة : اذا ربح العامل من مال المضاربة شيئا فان في قسمة الربح بينه وبين رب المال قولا للفقهاء : **الحنفية قالوا** : « لا يصح قسمة الربح قبل أن يقبض صاحب المال رأس ماله ، فاذا قسم الربح قبل ذلك وقعت القسمة موقوفة ، فان قبض المالك رأس المال صحت ، والا بطلت القسمة .

الشافعية قالوا : يصح قسمة

الربح قبل أن يقبض رأس المال إلا أن الربح إذا قسم قبل بيع جميع السلع ، وقبل أن يصبح رأس المال « ناضا » أي يتحول عن عروض تجارة الى نقد فان ملك الربح لا يستقر ، فلو حصل بعد القسمة خسارة في رأس المال جبرت بالربح ، فيرد الجزء الذي أخذه العامل منه ويحسب الجزء الذي أخذه رب المال من رأس المال - **المالكية قالوا** : القاعدة في ذلك أن رأس المال اذا خسر منه شيء بالعمل فيه أو تلف بآفة سماوية أو سرقة لص ، فان الخسارة تجبر من الربح بمعنى أن الباقي بعد التلف أو الخسارة يكمل بالربح ثم اذا زاد شيء بعد ذلك يقسم بين المالك والمضارب بحسب الشرط الذي دخلا عليه .

والحنابلة قالوا : لا يستحق المضارب شيئا من الربح حتى يسلم رأس المال الى صاحبه والخسارة تجبر من الربح فاذا اشترى متاعا ربح فيه ثم اشترى صفقة أخرى فخسر فيها حل الربح محل الخسارة ولا يحسب شيء من الخسارة على رأس المال » . الفقه على المذاهب الأربعة المجلد الثالث .

يستفاد من أقوال الفقهاء فيما يتعلق بقسمة ربح المضاربة ، أنهم يعتبرون الربح وقاية لرأس المال ، ومعنى هذا هو أنهم ينظرون الى سلامة رأس المال باعتباره الأصل الذي يبني عليه الربح ، وعليه فانه اذا لم يسلم الأصل فلا يقال ان هناك ربحا قابلا للقسمة .

○ مدى صلاحية نظام المضاربة في البنوك الاسلامية :

يتضح لنا مما سبق ، أن المضاربة ما هي الا وسيلة من الوسائل التي عرفها الناس في الجاهلية ، وأقرها الاسلام ، باعتبارها نظاما مقبولا لاستثمار النقود على أساس تعاقدي بين من يملك مالا وبين من يعمل في ذلك المال ، وقد كان عقد المضاربة هذا وسيلة متلائمة مع حاجات المجتمعات في تلك العهود ، الا أن التنظيم المصرفي المتطور استطاع - خصوصا في مجال الاستثمار - أن يتجاوب مع الحاجات المعاصرة بما قدمه من أساليب توفق بين الرغبات والمتطلبات ، ووسائل متطورة مكنت من يملك المال ومن يحتاج اليه - على حد سواء - من الافادة من فرصة العمل المنظم ، وأصبحت الوظيفة الرئيسية للبنوك التجارية « الربوية » تتحصل في « **منح الائتمان** » أي تقديم مبالغ نقدية - سواء كانت نقدية أم كتابية - الى الأفراد ورجال الأعمال وأصحاب المشروعات على اختلاف أنواعها لأجل قصير غالبا يتفق عليه ، ولا يتجاوز عادة العام الواحد ، وذلك لتمكينهم من مواصلة ومباشرة أعمالهم ووجوه نشاطهم ، على أن يقوموا بسداد هذه المبالغ عند حلول الأجل المتفق عليه ، وأيضا الفوائد المستحقة على هذه المبالغ ويرجع السبب في حاجة هؤلاء الى النقود والتجائهم الى البنوك للحصول عليها ،

الى أنهم يجدون أنفسهم في كثير من الأوقات يباشرون عملية تجارية أو انتاجية معينة لن يتحقق الايراد المنتظر منها الا بعد عدة أشهر ، وفي الوقت نفسه فانهم مضطرون في الوقت الحاضر الى تمويل مثل هذه العملية حتى يمكن لها أن تتم ، وكذلك تمويل العمليات التي تتلوها ، وذلك في شكل دفع أجور العمال وثمن المواد الأولية أو المواد المصنوعة وكافة المصروفات التي تتطلبها العمليات التجارية والانتاجية ، وغالبا لا تستطيع معظم البنوك أن تؤدي هذه الخدمات باستعمال مواردها الخاصة دون غيرها ، والغالب أن تستعين بأموال الغير التي تأتيها في صورة ودائع أو حسابات جارية دائنة . ومعنى ذلك أن العمليات التي يقوم بها البنك « منح الائتمان » تسبقها عمليات أخرى هي « تلقي الودائع » وهذه العملية الأخيرة تسمح للبنك بالحصول على الأموال التي يقرضها للغير والتي يعتمد عليها في نشاطه اعتمادا شبه كلي . أما موارد البنك الخاصة فهي تلعب دورها الطبيعي كضمان لالتزاماته قبل المودعين وغيرهم ، ولكنها لا تعد مادة للاقراض ويقول المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربي « فالبنوك بتمويلها المشروعات عن طريق أرصدة الودائع تستحدث نفعا وتستحدث ضررا في آن واحد . والنظام الاسلامي حريص كل الحرص على اتقاء الضرر ودفعه ، واجتلاب النفع واستبقائه » الأعمال المصرفية ورأي الاسلام فيها للدكتور عبد الله العربي . وقد قدم فضيلته بحثا وضح فيه تعديل نظام أعمال البنوك حتى يتلاءم مع أحكام عقد المضاربة الاسلامي وحتى تحل أرباح المضاربة محل الفائدة المحرمة على الوجه الآتي :

أولا : تكييف العلاقة بين المودعين والبنك :

يعتبر المودعون - في مجموعهم لا فرادى - « رب المال » والبنك هو « المضارب » مضاربة مطلقة ، أي يكون له حق توكيل غيره في استثمار مال المودعين ، وعلى هذا النحو يمضي البنك من تقديم المال لاصحاب المشروعات ، موجها كل ما لديه من فطنة ودراية مالية وخبرة سوقية من تخير المشروعات والقائمين بها ، لأنه أمين على هذا المال ، فيجب عليه أن يتحمل هذه الأمانة على الوجه الأكمل ، هذه المشروعات الاستثمارية قد ينجح بعضها ، وقد يفشل البعض ، ففي كل سنة مالية يقوم البنك بتسوية شاملة بين أرباح وخسائر جميع المشروعات الاستثمارية ، والتي وظف فيها أموال الودائع وبعض أموال المساهمين ، والصافي يخصم البنك منه مصاريفه العمومية وأيضا الاحتياطيات القانونية ، ثم يوزع الباقي بينه وبين المودعين ، طبقا للاتفاق الذي تم بين المودعين والبنك ، فاذا اتفق الطرفان على أن يكون للبنك نصف الربح مثلا

والنصف الآخر للمودعين ، وزع البنك عليهم النصف بنسبة مبالغ ودائعهم وبنسبة الأجل الذي بقيته هذه الودائع في حوزة البنك ، وساهمت بمقتضاه في هذا الاستثمار ، أما النصف الثاني من صافي الربح ، وهو النصف الذي خص البنك فيوزعه البنك على مساهميه بنسبة مبالغ أسهمهم .

ثانيا : تكييف العلاقة بين البنك وأصحاب المشروعات الاستثمارية :

أما العلاقة بين البنك وأصحاب المشروعات الاستثمارية فهي عكس العلاقة بين المودعين والبنك ، فهنا يعتبر البنك « رب المال » وأصحاب المشروعات هم « المضارب » وتسري القواعد الخاصة بالمضاربة بشأن حقوق رب المال وواجباته ، وحقوق المضارب وواجباته ، فالربح الذي أنتجه صاحب المشروع - وهو المضارب - يقتسمه مع البنك - وهو رب المال - بالنسبة التي اتفقا عليها . أما اذا لم يؤت المشروع ربحا ، وسلم رأس المال من كل تلف أو خسارة ، فليس لصاحب المشروع شيء ، وعاد رأس المال الى البنك ، وأما اذا تلف جزء من رأس المال أو كله لسبب أو حادث لا يد لصاحب المشروع فيه فالخسارة لا تحيق الا برب المال « البنك » وأما اذا كان صاحب المشروع « المضارب » قد تسبب في تلف رأس المال أي صار « متعديا » فيكون عليه الضمان .

ويقول فضيلة الدكتور عبد الله العربي : « ولست أنكر أنه في التنفيذ العملي يخالطه بعض التعقيد ، فلا شك أن النظام القائم في البنوك الآن - من تحديد فائدة معلومة للمودع وتحصيل فائدة معلومة من المقترض - أيسر في التنفيذ . ولكن شيئا من التعقيد يعدل البعد عن أوزار الربا ، والنجاة من آثامه وشروره على أن هذا التعقيد الذي يخشى منه في البداية سوف يتضاءل تدريجيا ، كلما درجت عليه البنوك ، ورسمت له المعايير الواضحة الملائمة ، وكلما ألفه الناس عاما بعد عام في معاملاتهم المصرفية » الأعمال المصرفية ورأي الاسلام فيها للدكتور محمد عبد الله العربي .

● وهناك رأي آخر يرى أن تطبيق القواعد الخاصة بعقد المضاربة - بشكله المبين من المؤلفات الفقهية - أمر متعذر تطبيقه عمليا في مجال الاستثمار الجماعي على النسق المصرفي ، كما أنها لا تنطبق على طبيعة نشاط البنك ، ومن ثم فقد استفاد من الأحكام الخاصة بالأجير المشترك ، ما يساعد على توضيح الفوارق في الأحكام بين حالات التعاقد الخاص وحالات التعاقد الذي يشمل عملا مشتركا لا يختص به فرد أو مجموعة محصورة من الأفراد ، وكما أن الاجارة - بالنظر لمقصودها المتمثل في الحصول على منفعة معينة في مقابل

عوض معلوم ـ قد استطاعت أن تستوعب في نطاقها أحكام الأجير المشترك ، كذلك يمكن للمضاربة ـ ومع المحافظة على مقصودها المتمثل من الاسترباح من المال بطريق عمل الغير فيه ـ أن تستوعب أحكام المضارب المشترك ، وقد أوضح صاحب هذا الرأي الى أن شكل العلاقة بين المضاربين وبين البنك « المضاربة المشتركة » تضم ثلاثة فرقاء ، **يتمثل الفريق الأول** : من جماعة المستثمرين وهم الذين يقدمون المال بصورة انفرادية على أساس توجيهه للعمل به مضاربة ، **أما الفريق الثاني** : فانه يتمثل في جماعة المضاربين وهم الذين يأخذون المال منفردين أيضا لكي يعمل كل منهم فيما حصل عليه من مال بحسب الاتفاق الخاص به ، **وأما الفريق الثالث** : فانه يتمثل في الشخص أو الجهة التي تكون مهمتها التوسط بين الفريقين لتحقيق التوافق والانتظام في توارد الأموال واعطائها للراغبين من الفريق الثاني للعمل فيها بالمضاربات المعقودة مع كل منهم على انفراد . ويعتبر هذا الفريق الثالث ـ وهو الوسيط ـ هو الشخص الجديد في نظام المضاربة المشتركة ، فان اهميته تتمثل في صفته المزدوجة التي يبدو فيها مضاربا بالنسبة للمستثمرين « وهم أصحاب الأموال » من ناحية ، كما أنه يبدو كمالك المال بالنسبة للمضاربين من ناحية ثانية . لذلك فان تعامل هذا الوسيط يبعده عن أن يكون مضاربا خاصا ويقربه أكثر من امكان وصفه بالمضارب المشترك . ذلك أن هذا المضارب لا يلتزم بالعمل كمضارب لشخص معين أو أشخاص معينين ، بل هو يعرض خدمته على كل من يرغب في استثمار أمواله . أما المضاربون فان المضارب المشترك يبدو أمامهم كمالك للمال حيث يعطي شروطا منفردة مع كل من يتعامل معه ـ أما بالنسبة للمستثمرين فيما بينهم فيعتبرون شركاء في الربح الذي يتحصل ، رغم عدم وجود أي تعاقد فيما بينهم ، وانما يتعاقدون مع المضارب المشترك ، والمضاربون مستقلون تماما ـ بعضهم عن بعض ـ سواء في العمل ، أو الربح أو الشروط ، ولا يؤثر تصفية العلاقة القائمة مع أحدهم على استمرار عمل الآخرين وهكذا يرى صاحب هذا الرأي أن المضارب المشترك هو الشخص الجديد الذي يتطلبه تنظيم المضاربة المشتركة في اطار الاستثمار الجماعي بشكله الحديث . تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الاسلامية صـ ٤٣٢ وما بعدها للدكتور سامي حسن أحمد .

○ عمليات المشاركة في البنوك الاسلامية :

لا شك أن هناك مزايا عديدة تتحقق من خلال القيام بعمليات المشاركة لكل طرف من أطرافها ، وتمثل عمليات المشاركة النشاط الذي

ينبغي على البنك التوسع فيه بقدر ما تسمح به موارده ، وقد تكون هذه المشاركة مشاركة في رأس مال المشروع ، أو مضاربة على أساس صفقة معينة ، أو مشاركة منتهية بالتمليك (مشاركة متناقصة) :

١ ـ المشاركة في رأس مال المشروع : قد يلجأ البنك الى شراء أسهم شركات قائمة أو المساهمة في رأس مال مشروعات جديدة ، ولا شك أن هذا النوع من المشاركة يجمد جزءا من أمواله المتاحة للاستثمار فترة طويلة ، لذلك فمن المستحسن أن هذه المشاركة محدودة ، والأمر متروك لادارة البنك لتحديد النسب التي تخصصها من الأموال لكل نوع من أنواع الاستخدامات وفقا لطبيعة الموارد وظروف العمل .

٢ ـ المشاركة على أساس صفقة معينة : ويمكن للبنك في هذا المجال أن يشارك بتقديم رأس المال كاملا للصفقة المطلوبة ، أو جزءا منه حسب قدرة المضارب الخاص ، والثقة التي يتمتع بها ومقدار الموارد المتاحة للبنك وتشبه الصفقة المعينة عملية التمويل المؤقت لمشاريع قائمة ، أو جزءا من نشاط مشاريع جديدة لفترة معينة . وقد تكفلت النظم المحاسبية الحديثة بامكان تحديد نسبة العائد ربحا أو خسارة ، بالنسبة للجزء الذي قام بتمويله البنك وفي الوقت المتفق عليه ، ويجب أن ينص العقد على توضيح كامل لهذه الأسس المحاسبية بحيث يكون الطرفان على علم بها .

٣ ـ المشاركة المتناقصة (المشاركة المنتهية بالتمليك) : وهذا النوع من المشاركة قد يميل اليه كثير من المضاربين الذين لا يرغبون في استمرار مشاركة البنك لهم وفي هذا النوع من المشاركة ، يعطي البنك الحق للشريك من الحلول محله في الملكية دفعة واحدة أو على دفعات ، حسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها وطبيعة العملية ، على أساس اجراء ترتيب منظم لتجنيب جزء من الدخل المتحصل كقسط لسداد قيمة الحصة . ومن المجالات المناسبة لهذا النوع قطاع النقل والمباني . وقد قام بنك ناصر الاجتماعي الاسلامي بتجربة رائدة ، وذلك بشراء أنواع مختلفة من السيارات وطرحها للبيع بالتقسيط بشروط معينة للسائقين ، لمساعدتهم على الحصول على مصدر للدخل ، الا أن البعض يرى « أن هذا العمل لا يعتبر عملا استثماريا بالمعنى المصرفي » ، ويضيف هذا الرأي الى « أن المصرف لا يصلح أن يكون تاجرا ولا يجب أن يكون كذلك لأن دوره الحقيقي هو دور الوسيط بين مالك المال والعامل فيه » تطوير الأعمال المصرفية المرجع السابق صـ ٤٧٢ .

وأخيرا ... فان البنوك الاسلامية قوة اقتصادية ضاربة سوف تدفع بمعدلات التنمية الى الامام ، وذلك من خلال اشتراكها في المشروعات المنتجة والهامة لخطة التنمية .

مع السنة

الجزاء المفتوح

للاستاذ محمد محمد حلاوة

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم وأحمد .



« داحس » اسم جواد لقيس بن زهير العبسي ، « والغبراء » اسم فرس لحمل بن بدر الذبياني أقيم بينهما سباق ، وخاف حمل أن يسبق « داحس » فرسه ، فأعد مع بعض أعوانه حيلة ليربح السباق ، وذلك بأن نصب كمينا قرب النهاية ، حتى إذا أقبل « داحس » سابقا ضرب الكمين وجهه .. وتمت المؤامرة ، وخسر « داحس » وسبقت الغبراء ، ولكن الحيلة ما لبثت أن انكشفت فغضب قيس ، ، وغضبت له عبس ، وشبت الحرب بسبب ذلك بين القبيلتين ، وظلت ـ فيما يقال ـ أربعين عاما أتت فيها على اليابس والأخضر ، عندئذ تقدم سيدان من ذبيان هما الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان ، فأصلحا بين القبيلتين ، وبذلك حقنا الدماء ، وقطعا دابر الشر .

هنا نجد دعوتين : **الأولى دعوة إلى الشر** ، **وهي** إعداد حمل بن بدر مع بعض أعوانه الحيلة التي انتهت بضرب وجه داحس وسبق الغبراء ، ولو تدبرنا هذا العمل لوجدناه عملا غير عادي ، لأن الأضرار التي نتجت عنه ليست هينة ، ولا وقتية . ولا محصورة ، وإنما **هي** أضرار كثيرة ، وممتدة ، وجسيمة . ألم تنشب الحرب بسببه أربعين عاما سقط فيها من الضحايا من سقط ، وترملت نساء ، ويتمت أطفال ، وهلكت أموال ، ووقف دولاب العمل ، وتعطلت الحياة !! ، ولذلك وجب أن تكون العقوبة عليه صارمة وشديدة بقدر من تأثر به ، وبقدر مانتج عنه من أوزار وأضرار .

والدعوة الأخرى دعوة إلى الخيروالهدى ، **وهي** سعي الحارث بن عوف وهرم ابن سنان بالصلح بين القبيلتين ، وتحملهما ديات القتلى ــ ثلاثة آلاف بعير ــ من أموالهما الخاصة ، ولو تدبرنا هذا العمل أيضا لوجدناه عملا غير عادي ، لأن الآثار التي نتجت عنه ليست هينة ، ولا وقتية ، ولا محصورة بل **هي** آثار كثيرة ، وممتدة ، وجليلة . ألم تحقن الدماء !! ألم يقطع دابر الشر !! ألم تنقذ القبيلتان من خطر ما حق !! ألم تعد البسمة إلى الشفاه ، والأمل الى القلوب !! لذلك لزم أن يكون الأجر عليه عظيما بقدر من تأثر به ، وبقدر ما نتج عنه من منافع ومكاسب . ولنستمع إلى الخيال يصور كيف كانت حياة هاتين القبيلتين قبل نشوب الحرب بينهما ، كانت حياتهما هادئة هانئة يحرسها الحب ، ويرفرف عليها السلام ، آمنة مطمئنة لا قلق يفزعها ولا خوف يردعها . تسير سخاء رخاء ، نهارها سعي وكفاح ، وليلها سمر وأفراح . وجوه ناضرة ، وعيون باسمة ، ونفوس راضية وقلوب ملؤها السعادة والصفاء ، ولنستمع إليه مرة اخرى **وهو** يصور ما آلت اليه حياتهما بعد الحرب ، بؤس يحدق بهما ، وشقاء يخيم عليهما ، وخوف يشملهما ، ومعاناة مريرة تمزق النفوس والأفئدة ، وأهوال يشيب لها الولدان : ديار هدمت كأنها أطلال ، وربوع دكت كأنها آثار ، أطفال تصرخ ، ونسوة تولول ، وشباب كالزهر يذهب وقودا للنار . مات الزرع بعد اخضرار ، وجف الضرع بعد إدرار ، ولبست الأرض السواد ، كأنما **هي** في حداد !!

وقد أجاد شاعرنا العربي **زهير بن أبي سلمى** وصف هذه الحرب وويلاتها ، وأثنى ثناء طيبا على **الحارث وهرم** لما قاما به من جهد مبرور في وضع حد لهذه المأساة ، وذلك في معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

ان صور الدعوة الى الهدى ، والدعوة الى الضلالة كثيرة كثيرة لا تنتهي ، ولا يمكن ان تقع تحت حصر ، يحدث منها في كل لحظة الوف والوف . فالبر والوفي والأمين والعادل ومقاومو الطغيان وناشرو الوعي ومحببو الناس في الحب والحق والخير والفضيلة والجمال ــ كل هؤلاء دعاة هدى ، والفاجر والغادر والمنحرف والمستغل والظالم وقطاع الطرق وناشرو الفساد ومروجو الرذيلة ــ كل اولئك دعاة ضلالة .

وقد تفاعلت هذه الدعوات خيرها وشرها مع التاريخ في عصوره المختلفة ، وتأثر بها تأثرا عظيما الى درجة حولت من مساره ، وغيرت من وجهته حتى لقد رأينا بعض فتراته تنسب الى حصاد هذه الدعوات ، فقرأنا عن عصر الاقطاع ، وعصر الاصلاح ، وعصر الرقيق ، وعصر الاستبداد ، وعصر الحرية ، وعصر الفوضى ، وعصر الاستقرار ، وهكذا ...



وها هوذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوتي من محكم الايجاز .. يجمع صور الدعوة كلها خيرها وشرها صغيرها وكبيرها ، منذ أن خلق الله الأرض وعمرها بالانسان الى أن تقوم القيامة في جملتين اثنتين عدد كلماتهما اربع وثلاثون : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » . وإن المتأمل في حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليؤخذ بسحر بيانه ، وروعة ادائه في أكثر من موضع :

● فقد أغرى بالدعوة الى الهدى ، وحذر من الدعوة الى الضلالة في أسلوب سهل واضح معبر بما فتحه من جزاء امام الدعاة متحديا بذلك الخيال ان يحلق اليه ، وعلماء الرياضيات أن يصلوا الى حقيقته .. « كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » و« كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »

● واستخدم اسم الموصول العام « من » للدلالة على انه لا فرق في الدعوة بين الرجل والمرأة ، وانه كما يقوم بها فرد واحد يقوم بها اكثر من واحد

● ونكر كلمتي « هدى » و« ضلالة » اما للدلالة على التعظيم في هدى والتحقير في ضلالة ، واماللدلالة على أن أي هدى مهما كان ضئيلا فهو كثير ، وان أية ضلالة مهما كانت صغيرة فهي جسيمة ، « فأول الغيث قطرة » و« معظم النار من مستصغر الشرر » او لكلا الأمرين معا .

● واختار كلمة « دعا » دون غيرها من الالفاظ لما توحي به من رفق ورقة وكياسة ، **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)** سورة النحل / ١٢٥ ، وفي هذا يكمن سر نجاح الداعية ، فبقدر حظه من دقة الحس ، ورقة القول ، ودماثة الخلق ، والحكمة ، وبعد النظر يكون نجاحه ، وكم دعاة سقطوا في اول الطريق لانهم كانوا دون الكفاية المطلوبة .

كما اطلق عليه الصلاة والسلام ـ الدعوة ولم يقيدها لتشمل كل انواعها : فهناك دعوة القلم ، وفرسانها الأدباء من كتاب وشعراء ، فمن سخروا اقلامهم لخدمة الدين والمسلمين ، ووقفوها على محاربة الباطل ، وتأييد الحق ، ونصرة الله ـ

فأولئك هم المفلحون ، ومن سخروها في الحض على الشر ، والتحريض على الفساد ، وترويج البدع فأولئك هم الخاسرون ، وهناك دعوة القول يقوم بها الأئمة والوعاظ والعلماء في دروسهم ، أو من خلال ندواتهم ومحاضراتهم ، أو من فوق منابرهم يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم ، ويعرفونهم الحلال والحرام ، ويميزون لهم الخبيث من الطيب ، ووقانا الله ووقى المسلمين ممن كفروا بنعمته فكانت ألسنتهم حربا على الحق والخير ، عونا للشر وللباطل ، ومن الدعوات التي يكاد لا يلتفت اليها احد دعوة العمل ، وتتمثل في كل من يحترم العمل ويقدسه ، ويعطيه حقه كاملا غير منقوص ، وقتا وجهدا واداء . الا فليعلم الكسالى والمتهاونون والمقصرون والذين يعطلون مصالح الناس ويسرقون أوقاتهم انهم دعاة فساد وفوضى ، وان الله لهم بالمرصاد و **(ان بطش ربك لشديد)** البروج / ١٢ ومن اقوى الدعوات أثرا وأشدها خطرا دعوة القدوة سواء أكانت سيئة أم كانت حسنة فصاحبها إما مثل يحتذي في الخير ، وإما مثل يحتذى في الشر . ولا تقتصر الدعوة على الكبار وحدهم ، فكم من أطفال قادوا إلى خير أعجز اعظم الرجال ، وكم من أطفال تسببوا في شرور أرهقت الكبار وحيرتهم ، وعلى الآباء والمعلمين ان يعوا ذلك جيدا فينموا في أطفالهم اتجاهاتهم إلى الخير ، ويعدلوا ما يبدر من اتجاهاتهم نحو الشر ، فتلك حلقة من حلقات التربية أهملت للأسف في منازلنا ومعاهدنا !

ومن اجل الدعوة وأثرها العظيم والفعال في الأفراد والمجتمعات صلاحا وفسادا ، سعادة وشقاء ، قوة وضعفا ، عزة وذلة ، تقدما وتخلفا ـ جاء الدين الاسلامي حاضا على الدعوة الى الهدى ، مخوفا من الدعوة الى الضلالة ، مصدقا بذلك ما جاءت به الأديان من قبل .

(آلم . الله لا إله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) « آل عمران / ١ــ٤ »

(آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) استهلال سورة البقرة .

(يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) « الأحزاب / ٤٥ــ٤٨ » وتكاد لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الترغيب في كل حسن وجميل ، والتنفير من كل سيىء وقبيح ، والأمر كذلك بالنسبة لأحاديث الرسول إمام الدعاة ومعلمهم .

وفي رحاب القرآن الكريم يطيب لنا ان نعيش لحظة مع بعض أمثلة من هديه : في الدعوة إلى القوة يقول الله سبحانه وتعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال / ٦٠ .

وفي الدعوة إلى الاتحاد والتمسك بالدين يقول عز وجل : **(واعتصموا بحبل الله**

جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة اللهعليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران الآية ١٠٢ .

وفي الأدب الاجتماعي يقول جل شأنه :(**يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقو الله إن الله تواب رحيم)** الحجرات /١١ ـ ١٢ .

وفي تهذيب النفس يقول تبارك وتعالى : (**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** العصر/٣ : (**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)** لقمان/١٨ـ١٩ : (**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)** « الاسراء / ٣٦ ـ ٣٨ » .

فيا أمة محمد يا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله بادروا بالدعوة الى الهدى باذلين في سبيلها المال والجهد والوقت والنفس ، محطمين كل ما يعوقكم من اداء اسمى رسالة في الوجود ، حتى يعزبكم الاسلام ، وتحققوا للبشرية احلى امانيها ، وبذلك تنالون اعلى درجات الدعاة ، ويحق عليكم قول الباري جل جلاله : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)** التوبة / ٧١ ، وحتى تفوزوا بجزاء الرسول الأكبر :
« لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »
الكنز الثمين .

واعتقد ان القارىء ليس بحاجة بعد الى وصف ما يكون عليه مجتمع يشيع فيه دعاة الخير ، ويختفي منه دعاة الضلالة فأقل ما يقال فيه : « انه مجتمع بلا مشكلات » .
نفع الله بهدى الرسول ، ووفقنا الى اتباعه .. وما التوفيق الا من عند الله ان الله عزيز حكيم .

عقد التأمين

للشيخ / أحمد محيي الدين العجوز

الحمد لله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادي العباد ، الى سبيل الرشاد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فان التأمين الحديث بشروطه ومبادئه يخالف الضمان والكفالة الشرعيين في شروطهما المعتبرة ، فهو من القضايا المستجدة كبيع الوفاء وغيره .

تسرب الينا من بلاد الغرب ، وانتشر في بلادنا انتشاراً واسعاً ، وانتقل العمل به الى فريق كبير من المسلمين ، وأسست له شركات ، وفتحت له مكاتب ، وتعاطاه كثير من التجار ، وارباب المصالح ، والاعمال من المسلمين ، ضماناً لسلعهم المستوردة ، وتعويضا عن أثمانها إن هلكت ، أو سرقت أو عما يطرأ في أعمال البناء والمصانع والعمال من هدم أو خسارة أو قتل وأذى ، أو عما يحدث للسيارات من صدام أو سرقة ، وعطب ، أو عما يعرض في حفر الآبار وشق المناجم من انهيار ، تخلصاً من المسؤولية الماليةأو عن حياة المستأمن نفسه ، طمعاً بالتعويض عنه لورثته إن مات ، أو غير ذلك من شؤون كثيرة وفيرة .

وقد صنفوها ووضعوا لها الحدود والشروط ورتبوا عليها الأقساط المالية كل عام ، يدفعها المستأمن للشركة التي تنظم له عقد التأمين حسب قوانينها الموضوعة وقد تبنتها الحكومات ، واعتبرت قوانينها ، وتساءل عنها الناس كثيراً من عشرات السنين .

الشريعة الاسلامية .

جاءت الشريعة الاسلامية صالحة لكل عصر ، تؤاخي العلم والرقي ، وتماشي تطورات الحياة البشرية ، فلا تختص بجيل ، ولا تقف عند قبيل ، وقد أتت بنصوص صريحة حددت الكثير من أحكام التكاليف في الوجوب والتحريم لتكون أسساً ثابتة على مر الزمن ، لا تتغير ولا تتبدل كما اتت بأصول عامة تركت لنا مجالا للاجتهاد فيها كيما تستمر في انطلاقها ، باستنباط الأحكام الملائمة لما يجد من قضايا وامور طارئة .

وقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في حديث معاذ بن جبل حينما ارسله الى اليمن قال له : كيف تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله قال : فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأي . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدري ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله . رواه ابو داود والترمذي عن طريق الحارث بن عمر .

واجب العلماء نحو التأمين

ان من واجب العلماء نحو هذا التأمين ان يتناولوه بالدراسة الدقيقة ـ مشتركين متعاونين ليستنبطوا له الحكم الملائم مستلهمين فيه روح الشريعة الاسلامية ، مع التحري الدقيق فيما لا يخالفها ، إذ لا يجوز إهماله ـ وقد عم الابتلاء به ومن الضروري ان لا يكون السلب للامور المستجدة بداراً بدون ترو فيها ، فان هذا ليس من مقتضى الواجب ، والرأي الصائب .

كما أنه ليس من المستحسن أن يبادر المرء الى قبول كل جديد بدون ان يعرف حكم الشارع فيه ، من الجواز أو الحرمة .

قال الله تعالى : (**فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) وقد تناوله بعض العلماء الأجلة على انفراد ، كابن عابدين في حاشية : (رد المحتار في باب المستأمن من كتاب الجهاد) والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي القاهرة سابقاً جواباً على استفتاء علماء الأناضول فيه . والشيخ محمد عبده وغيرهم من العلماء واهل الرأي .

فمنهم من يراه عقد مقامرة ، ومنهم من يراه عقد رهان يتحدى فيه قضاء الله وقدره ،

ومنهم من يراه التزام ما لا يلزم ، ومنهم من يراه عقد تعاون على تغطية المضار الطارئة .

فكان منهم المانعون باطلاق ، وكان منهم المجيزون بين نوع وآخر ، وكان منهم الذين يرونه جائزاً بجميع انواعه كما سيأتي ذلك في التفاصيل الآتية :

حقيقة التأمين :

التأمين هو تعاقد بين طرفين على اساس المعاوضة ، غايته التعاون

المشروط بينهما على تغطية اضرار المخاطر الطارئة على احدهما : (وهو المستأمن) او ما يتعلق به من مال وتجارة ومصانع ، ووسائل سير ، وبناء وأعمال يقوم التأمين من قبل شركات مساهمة ، تجمع أقساط التأمين من المستأمنين ، ثم يدفع من هذه الاقساط المتجمعة ما تلتزمه من تعويضات بعد وقوع الاحداث المؤمن منها .

ويتكون ربح الشركات الفرق بين ما تجمعه ، وما تدفعه ، فان لم تقع الأخطار كانت الاقساط المقبوضة من المستأمنين ربحاً للشركات ، ما عدا التأمين على الحياة فانه ترد اقساطه المتجمعة مع فائدتها الى المستأمن اذا بقي حياً بعد فوات مدة التأمين ، فان مات قبل انتهاء المدة أعطى المبلغ المؤمن به الى ورثته حسب الاتفاق .

وقد رأى أكثر من واحد من علماء الأمة صواب التأمين على الحياة دون ما يلحق الاقساط من فائدة : « اذا بقي المستأمن حيا » اذ عدوا ذلك من المصلحة .

رأي العلماء في المصلحة .

يرى علماء المالكية والحنابلة ان المصلحة تعتبر اذا اعتبرها الشارع في مجموع نصوصه واحكامه ، لا في نص معين ، وقد اخذوا بالمصلحة المرسلة ، وهي المصلحة التي لا يشهد لها نص بالابقاء ، او الالغاء ، ولكنها من جنس المصالح المعتبرة وقد اشترطوا في هذه المصالح ثلاثة شروط ، وهي :ـ

١ ـ ان تكون ملائمة لمقاصد الشرع .
٢ ـ ان يكون في الأخذ لها دفع حرج ، وفي تركها حرج .
٣ ـ ان لا تعارض نصا قطعي الدلالة .

ويرى علماء الشافعية والحنفية أن المصالح جاءت بالنصوص صراحة ، أو ببيان الأصل الذي يرجع اليه ، فلا تعتبر المصلحة الا اذا كان لها شبيه معين اعتبره الشارع بالنص عليه .

ويرى البعض الأخذ بالمصلحة المجردة من غير شرط فيها .

من ذلك اختلفت الآراء في عقد التأمين بين حله وتحريمه .

آراء بعض العلماء الأجلة السابقين :

بحث محمد بن عابدين (الحنفي المذهب) في التأمين باسم « سوكرة » كما شاع بين الناس في باب « المستأمن ـ من كتاب الجهاد » من حاشية رد المحتار . فقال : « ان على الامام نصرة المستأمنين وهم الحربيون الاجانب الذين يدخلون الى دار الاسلام باذن الامام لاقامة مؤقتة » . ماداموا في دار الاسلام ، وانه لا يحل للمسلم ان يتعاقد في دار الاسلام مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين كما لا يجوز ان يؤخذ من المستأمن شيء يلزمه شرعا ـ وان جرت به العادة ، كالذي يؤخذ من زوار بيت المقدس . وبما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا ـ وهو انه جرت العادة ان التجار اذا

استأجروا مركباً من حربي يدفعون له أجرته ، ويدفعون ايضاً مالا معلوماً لرجل حربي مقيم في بلاده يسمى ذلك المال « سوكرة » على انه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق او غرق او نهب او غيره . فذلك الرجل ضامن له بمقابل ما يأخذه منهم ، وله وكيل عنه مستأمن في دارنا ، يقوم في بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان ، يقبض من التجار مال « السوكرة » اي قسط التأمين .

واذا هلك من مالهم في البحر شيء يؤدي ذلك المؤمن للتجار بدله تماما ، ثم قال : يظهر لي انه لا يحل للتاجر اخذ بدل لهالك من ماله لأن هذا التزام ما لا يلزم « ثم اورد على الرأي الذي ابداه بعدم الجواز ، مسألتين منصوصا عليهما في كتب المذهب . لرد ما قد يشعر كل منهما من الجواز بالقياس عليهما » وهما :ـ

الاولى ـ مسألة الوديع بأجر حيث يضمن الوديعة اذا هلكت .

الثانية ـ ضمان خطر الطريق التي ينص عليها فقهاء الحنفية في كتاب « الكفالة » وهي :ـ

ما لو قال شخص لآخر : اسلك هذا الطريق فانه آمن ، وان اخذ فيه مالك فانا ضامن . فان القائل يضمن مال السالك في هذا الطريق اذا اخذ ويعلله فقهاء المذهب بان هذا القول تغرير من القائل مع التعهد بالضمان ، فيضمن للمغرور .

اما الاولى فقد اجاب عنها ابن عابدين بقوله : فان قلت ان المودع اذا اخذ اجرة على الوديعة يضمنها اذا هلكت قلت : مسألتنا ليست من هذا القبيل ، لان المال ليس في يد صاحب السوكرة . بل في يد صاحب المركب الخ .

ثم ميز بين ان يكون عقد التأمين معقوداً في دار حرب مع المؤمن الذي يسميه (صاحب السوكرة) او يكون معقوداً في دار الاسلام ، حيث تطبق عليه احكام الاسلام .

اما اذا كان معقوداً في دار الحرب ، وارسل صاحب السوكرة بعد هلاك البضاعة مبلغ التعويض الى صاحبها التاجر الذي هو في دار الاسلام فان اخذه عندئذ حلال ، لأنه اخذ لمال حربي برضاه دون غدر ولا خيانة ، وليس لعقد معقود في دار الاسلام حتى يكون خاضعاً لاحكامها .

الخلاصة

انه يحل هذا المال بثلاثة شروط هي :ـ

١ ـ ان يكون صاحب السوكرة حربيا .

٢ ـ وان يعقد العقد في دار الحرب .

٣ ـ وان يعطي صاحب السوكرة التعويض للمسلم عن رضاه فان اختل شرط من هذه الشروط فلا يجوز اخذ التعويض عنه ، ولذلك نعلم ان التأمين الجاري اليوم لا يجوز برأيه « اي برأي محمد بن عابدين » .

فتوى الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية في السوكرتاه

اجاب على سؤال ورد من بعض علماء الاناضول بتركيا عن

(السوكورتاه) بقوله :
ان المقرر شرعا ان ضمان الاموال اما ان يكون بطريق الكفالة أو بطريقة التعدي أو الاتلاف .
اما الضمان بطريق عقد الكفالة فليس متحققا هنا قطعاً لان شرطه ان يكون المكفول به ديناً صحيحاً ، لا يسقط الا بالاداء ، أو الابراء ، أو عيناً مضمونة بنفسها ، بان يجب على المكفول عنه تسليمها بعينها للمكفول له ، فان هلكت ضمن مثلها في المثليات ، وقيمتها في القيميات وذلك كالمغصوب ، والمبيع بيعاً فاسداً .
(ثم اورد امثلة اخرى) ثم قال :
وعلى ذلك لابد من كفيل يجب عليه الضمان ، ومن مكفول له ، يجب تسليم المال المضمون اليه ، ومكفول عنه يجب تسليم المال عليه ، ومن مكفول به يجب تسليمه للمكفول له .
وبدون ذلك لا يتحقق عقد الكفالة ، ولاشك انها لا تنطبق على العقد المذكور ، فان المال الذي جعله صاحبه تحت ضمان اهل « القومبانية » لم يخرج من يده ، ولا يجب عليه تسليمه لأحد غيره . فلم يكن دينا عليه اداؤه ولا عيناً مضمونة عليه بنفسها يجب عليه تسليم عينها قائمة او مثلها ، او قيمتها هالكة .
فأهل القومبانية « الشركة » لو ضمنوا مالا للمالك وهو لم يزل تحت يده يتصرف فيه كيف شاء فلا يكون شرعا من ضمان الكفالة .
فهذا الضمان انما يكون على المتعدي كالغاصب اذا هلك مغصوبه ، او على المتلف كالشريك الموسر اذا اعتق نصيبه في عبد مشترك . واتلف بالعتق نصيب الشريك الآخر .
واهل القومبانية « الشركة » لم يتعد واحد منهم على ذلك المال ، ولم يتعرض له بأدنى ضرر ، بل ان المال هلك بالقضاء والقدر . ولو فرض وجود متعد او متلف فالضمان عليه دون غيره ، فلا وجه حينئذ لضمان اهل القومبانية « الشركة » من هذا الطريق ايضا .
اذا علم ما تقدم كان هذا العقد هو عبارة عن ان الانسان يلتزم بدفع مقدار معين من الدراهم لاهل تلك الشركة في نظير التزامهم ان يدفعوا له في حياته أو لورثته بعد موته مقداراً معيناً من الدراهم اذا هلك ذلك الانسان نفسه وهو ما يسمونه (السوكورتاه) الحياة والنفس أو اذا هلك المال الذي وضعه تحت ضمانهم ، وهو ما يسمونه (سوكورتاه الأموال) مع كون المال المذكور باقياً تحت يد مالكه ، وفي تصرفه ، ولم يدخل تحت يد أحد من اهل (القومبانية) بوجه من الوجوه ، فيكون هذا العقد عقد التزام لما لا يلزم شرعا .
(الى ان قال) :
والعقد المذكور لا يصلح ان يكون سبباً شرعياً لوجوب الضمان ولا يجوز ان يكون عقد المضاربة كما فهمه بعض العصريين لان عقد المضاربة يلزم فيه ان يكون المال من جانب رب المال ، والعمل من جانب المضارب ، والربح على ما شرطا والعقد المذكور

ليس كذلك ، لأن اهل القومبانيـة يأخذون المال على ان يكون لهم ، يعملون فيه لانفسهم ، فيكون عقداً فاسداً شرعاً . وذلك معلق على خطر ، تارة يقع ، وتارة لا يقع ، فهو قمار معنى .

نقاش

قوله : « لانه معلق على خطر . تارة يقع . وتارة لا يقع . فهو قمار معنى » :

يرد عليه امر الكفالة ، فانها كذلك ، فان المكفول تارة يفي بما التزمه ، فيخلو الكفيل من المسؤولية ، وتارة لا يفي فيجبر الكفيـل على دفـع ما استدانه المكفول من مال ، ومع ذلك لا يقال : انه قمار بالمعنى ، بل انه لزوم ما يلزم ، لان الكفالة كانت سبب الادانة ، ولولاها لما كان ذلك . بيد أنها يغلب الوفاء بها .

القسم الاخير من عقد التأمين
فتوى الشيخ محمد عبده

سأله مدير شركة اميركية عن رجل اتفق مع جماعة ـ « قومبانية » ـ على أن يعطيهم مبلغاً معلوماً في مدة مطلوبة على اقساط معينة للايجار فيما يبدو فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المدة المذكورة وكان حيا يأخذ هذا المبلغ منهم مع ما ربحـه من التجارة في تلك المدة ، واذا مات في خلالها يأخذه ورثته ، ويطلق له حال حياته ولاية اخذ المبلغ المذكور مع الربح الذي ينتج مما دفعه . فهل ذلك يوافق شرعاً ؟

فأجاب الشيخ محمد عبده بما يلي :

اتفـاق هذا الرجـل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيـل شركة المضاربة ، وهي جائزة ، ولا مانع للرجل من اخذ ماله مع ما انتجه من الربح بعد العمل به في التجارة . واذا مات الرجل في ابـان المدة ، وكان الجماعة قد عملوا فيما دفعه ، وقاموا بما التزموه من دفع المبلغ لورثته او لمن يكون له التصرف بدل المتوفي بعـد موته ، جاز للورثة او لمن يكون له حق التصرف في المال ان يأخذ المبلغ جميعه مع ماربحه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور .

مناقشة :

قوله عن هذا الاتفاق : من قبيل شركة المضاربة . ليس من كل وجه .

فانه وان كان المال من جانب ، والعمل من جانب آخر ، فليس فيه مشاركة بالربح على مقدار ، بل ان الربح كله حسب الجواب يعطى مع المال المتجمع الى صاحبـه ، وليس الواقع كذلك . ثم ان هذا الجواب هو صحيح على قدر السـؤال ، ولـكن السائل اوهم في سؤاله واخفى حقيقة عقد التأمين ليكون الجواب على ما يهوى ، فيكون سندا بيده ، يغري به الناس كما يظهر من خلال سؤاله ، ولو اظهر فيه الحقيقة لكان المنـع المحقق من الشيخ محمد عبده رحمه الله .

فمن افتى من بعض العلماء بجواز التأمين على الحياة على عقد المضاربة استنادا على هذه الفتوى الصادرة من الشيخ محمد عبده سنة ١٣١٩ هجرية لم يصب المرمى .

آراء بعض العلماء المعاصرين واهل القانون المسلمين .

اختلفت الآراء في وجهات النظر حول عقد التأمين من بعض علماء الشرع المعاصرين ، واهل القانون المسلمين فتناولوه بالبحث والدراسة ، والكتابة والتأليف على انفراد ، وفي ندوات ومجتمعات ، وتداولوا الآراء حوله تحت ضوء الشرع من ناحية ، والقانون من ناحية أخرى ونظروا في اوضاعه واوصافه ، ومبادئه وغاياته ، فتباينت آراؤهم ، ولم يتلاقوا فيه على نقطة واحدة ،

اهل القانون المسلمون .

رأى بعض اهل القانون من المسلمين : ان عقد التأمين ضرورة ، اجتماعية في هذا العصر الحديث ، درجت عليه الامم والشعوب في معاملاتهم ، في كل حقل من حقول الحياة ومرافقها ، في التجارة والزراعة والاقتصاد ، وفي النقل والانتقال بين البلاد والأقطار ، وفي البناء والمعامل والحياة ، وفي سائر الاعمال التي قد يطرأ عليها خسارة او مكروه ، براً وبحراً وجواً .

وانه عامل مهم في التعاون على تخفيف وطأة الكوارث والأخطار عن كاهل المصابين بها ، من كافة الطبقات فيخفف عبء الخطر عن كاهل المصاب ، ويوزع على كواهل المستأمنين ، بما يتجمع لدى المؤمن من الاقساط بتكاثر عددهم ، فيطمئن المستأمن المصاب بنيل قيمة التأمين عند وقوع الكارثة .

ويرون ان من اهمية مشروع التأمين ، ان الحكومات تناولته بعناية ، ووضعت له نظماً وقوانين حددت فيها اعماله ، ومقادير المسؤولية فيه عند وقوع الاخطار واعارت القيام باعبائه عنايتها ، بان اشترطت شروطاً فيه من الضمانات ، ما يجعل عمليته تحت الرقابة الحكومية والاشراف المستمر .

ويرى اهل القانون ان الاسلام الذي جاء لخير المجتمع على مر العصور لا ينافي التأمين بمبادئه ، لانه نهج خيري تعاوني ، فيستحسنونه لذلك ، ولا يعارضونه .

العلماء المعاصرون .

واما علماء الشرع المعاصرون ، فمنهم من يمنعونه باطلاق ومنهم من يجيزه ، ومنهم وسط بين الفريقين .

المانعون

احتاطوا كثيراً لحدود الشرع ، لاسيما وان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ؛ فمن اتقى المشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ؛ الا وإن لكل ملك

حمى ، ألا إن حمى الله في ارضه محارمه » رواه البخاري .

ويرى هؤلاء المانعون ان اوصاف التأمين متنافرة ، وشوائبه متضافرة ، لا يرون من خلالها بصيص الجواز ولا خير المصلحة المعتبرة ، فرفضوه بحزم ، لانه يخالف قاعدة المعاملات المشروعة ، ويباين وسائل الكسب المألوف ، فلا تكافؤ في المعاوضات ، وليس فيه شيء من الخير العام ، او ضرورة المصلحة ، ولا يتوقف عليه انتظام شأن المسلمين ، ولا تقدمهم الاقتصادي والعمراني في مجال الحياة ، والشوائب التي تلابسه هي :ـ

١ ـ شائبة القمار ، لان الذي يدفع المال القليل في التأمين يكون قصده ان يربح مالا كثيراً ، وهو لا يدري مقدار ما سيدفع ، ولا مقدار ما سيأخذ ان وافاه الحظ ، فقد يدفع قسطا واحداً ، وتقع الكارثة ، وقد يستمر دفع الاقساط كلها ولا تقع فلا يناله شيء ، وكذلك المؤمن ، فانه لا يستطيع ان يحدد ما سيأخذه من الاقساط ، ولا ما سيدفعه الى المستأمن اذا وقعت الاخطار . وهذا شأن القمار .

٢ ـ شائبة الغبن ـ فان احد الطرفين مغبون لا محالة فاذا ربح احدهما خسر الآخر .

٣ ـ شائبة الغرر ، اذ فيه خطر الخسارة ، وجهالة النتيجة .

٤ ـ شائبة الربا ، اذ تعطى فيه الفائدة فضلا عن ان المستأمن يعطي القليل ليأخذ الكثير .

ويرون ان انتشار التأمين في البلاد ، وبين الناس ليس لمصلحة عامة ضرورية ، وانما ذلك للاغراء والطمع فقد غلب على طباع كثير من البشر حسب المعروف ادراك الغنى في اسرع وقت ، وايسر وسيلة من غير جهد ولا عناء ، وبأي سبب ، ومن اي طريق ، لذلك كله عدوه عقداً باطلا من جميع وجوهه .

المجيزون

واما المجيزون فانهم يرون ان عقد التأمين اذا خلا من الربا فانه جائز بجميع انواعه ، لأنه مبني على اساس التعاون وان هذا التعاون الذي يتضمنه له نظائر في الاسلام معروفة ، يقاس عليها ، وهي :ـ

١ ـ عقد الموالاة .
٢ ـ ونظام العواقل .
٣ ـ وقاعدة الالتزامات .
٤ ـ وبيع الوفاء .

عقد الموالاة

عقد الموالاة هو رابطة بين عاقدين ، يلتزم احدهما ما يطرأ على الآخر من موجب مالي من جناية قتل خاطئة توجب عليه الدية ، فيدفعها عنه في مقابل انه يرثه اذا مات ولا وارث له .

فيرون ان عقد الموالاة وان اختلفت اصحاب المذاهب في اعتباره سبباً من اسباب الارث فقد قال بصحته عدد

من الصحابة ، منهم عمر وابن مسعود ، وابن عمر ، واخذ به ابو حنيفة واصحابه بحدود وشروط بينوها ، وان خالفهم في ذلك سواهم من المجتهدين ، فهو نوع من التعاون الأخوي المستحسن .

نظام العواقل .

ان نظام العواقل وردت السنة النبوية به ، واخذ به ائمة المذاهب . وقد درج عليه العرب قبل الاسلام ، واستحسنه الاسلام وأقره .

والعواقل هم اهل القاتل وعشيرته ، فاذا وجبت عليه دية القتيل خطأ تعاون الرجال البالغون منهم بمبلغ الدية في ثلاث سنوات ، يدفع كل منهم زهاء اربعة دراهم في السنة ، كانوا يتحملونها عنه لانهم حماته وناصروه .

ونظام العواقل عادة تعاونية ، تتوزع بها المسؤولية المالية ، ويجبر بها مصاب اهل القتيل ، وقد درجت عليها العشائر الاسلامية الى يومنا هذا .

قاعدة الالتزامات والوعد الملزم .

قاعدة الالتزامات عند المالكية هي ان يعد شخص غيره عدة بقرض ، او تحمل وضيعة عنه « اي خسارة » او اعارة او نحو ذلك ، مما ليس بواجب عليه في الاصل هل يكون بالوعد ملزماً ، ويقضي عليه بموجبه ان لم يف له ، او لا يكون ملزما ؟

اختلف فقهاء المالكية في ذلك على اربعة آراء .

فمنهم من يقول : يقضي بالعدة مطلقاً .

ومنهم من يقول : لا يقضي بها مطلقاً .

ومنهم من يقول : ان العدة تلزم الواعد فيقضي بها اذا ذكر لها سبب ، وان لم يباشر الموعود ذلك السبب . كما لو قال الانسان لغيره : اريد ان اسافر فاقرضني كذا فيعده بذلك ، ثم رجع عن وعده قبل ان يسافر طالب القرض ، فان الواعد ملزم ، ويقضي عليه بالتنفيذ جبرا ان امتنع .

ومنهم من يقول : لا يلزم بوعده الا اذا دخل الموعود في سبب الوعد وباشره ، وهذا هو الراجح في مذهب المالكية .

فقاعدة الالتزامات هذه نوع من التعاون المحبوب .

بيع الوفاء .

بيع الوفاء هو بيع شيء بثمن معين بشرط رده لصاحبه عند استيفاء الثمن منه ، وينتفع الشاري بالمبيع من سكنى ، وايجار الى حين الاستيفاء . وقد نشأ بيع الوفاء في القرن الخامس الهجري . وهو نوع من التعاون ، غير ان علماء الحنفية اختلفوا فيه ، فمنهم من نظر الى صورته فاعتبروه بيعاً ، ومنهم من نظر الى شروطه فاعتبره فاسداً ومنهم من اعتبره بيعاً ، واعتبر شرطه لا غيا ومنهم من اعتبره رهنا مشروطا فيه الانتفاع بالمرهون ، لا يملكه المشتري ، ولا

ينتفع به ، وهو ضامن لما أكل من ثمره ، واتلف من شجره .

الفريق الوسط بين المانعين والمجوزين

الفريق الوسط بين المانعين والمجوزين . يتساهلون بعض الشيء في بعض انواع التأمين .

فبعضهم يرى ان التأمين على السيارات مثلا لضمان اصلاحها ليس بحرام ، اذ ليس فيه معاوضات مالية ، لكن فيه شيء من الاحتمال الملحوظ ، وذلك ان المستأمن يدفع ما يلتزمه في هذا السبيل ، وقد لا تصاب سيارته بعطل وضرر طول المدة المحددة ، فيكون قد بذل المال من غير فائدة ، وقد تصاب مرات كثيرة ، واصابة بالغة فيقوم المؤمن باصلاحها ، ويبوء بالخسران .

ويرى بعضهم جواز التأمين على الحياة ، وانه عقد مضاربة فكما ان عقد المضاربة عقد شراكة في الربح بمال من طرف وعمل من طرف ، وعمل من طرف آخر ، فان التأمين على الحياة كذلك ، فالمال من جانب المشتركين المستأمنين ، والعمل من جانب الشركة التي تعمل بما تجمع لديها من مال . والربح بينهما حسب التعاقد ويرى هذا البعض أن هذا العقد صحيح نافع للمشتركين وللشركة ، وانه ليس فيه اضرار باحد ولا أكل مال احد بغير حق . والشريعة انما تحرم الضار او ما كان ضره اكبر من نفعه .

ويرى البعض ان التأمين استولى على الحركة العملية فعم القاصي من البلاد والداني ، واوجبت حكومات الاقطار التأمين على البضائع الصادرة ، ولم يكن من السهل تركه .

والاسلام دين عام باق ما بقي الزمن ، فلا يمكن ان يقف مكتوفا امامه ، وامام ما يجد من قضايا وشؤون ومعاملات شتى بين الناس ، وان الائمة السابقين بذلوا الجهد ، وافرغوا الوسع في استنباط الاحكام لما جد في عصرهم من اعمال واحداث وقضايا حتى زخرت كتب الفقه بابحاثهم وآثار اجتهادهم ، وعلينا ان نسلك سبيلهم في ذلك ، وننظر الى ما يحمل التأمين من نفع في تفتيت المصائب والمخاطر وتخفيضها ، ونستنبط الحكم على ضوء المصلحة بما لا يخالف الشرع القويم اجازة او تحريما ، حتى يقوم اعتباره في ضوء ذلك للبت في امره .

لفت نظر في بعض الوجوه السابقة

ان العلماء الاجلة يجتهدون بحرص وعناية لاستنباط الاحكام الملائمة لكل ما يجد من اعمال وشؤون باخلاص ونزاهة جزاهم الله خيراً .

بيد ان التعليل القياسي قد يكون قاصراً على بعض الوجوه فقط ، فيكون تحت فارق بين المقيس والمقيس عليه في الوجوه الاخرى .

كقياس التأمين على عقد الموالاة ، ونظام العواقل ، وقاعدة الالتزامات ،

وبيع الوفاء .

فعقد الموالاة

وان كان يحمل معنى التعاون الأخوي المحمود فانه يكون بين المسلم واخيه المسلم احدهما عربي ، والآخر غير عربي . كما نشأ هذا العقد في عهد الصحابة الكرام فاين هذا من عقد التأمين الذي قد تتكون شركته من اضراب شتى غير مسلمين ؟

ونظام العواقل .

وان كان فيه تجزئة المسؤولية المالية اعني الدية وحطها عن كاهل الجاني الخاطىء ، فانما هو لمجموعة من الناس ربطت بين افرادها صلة القرابة والعشيرة فالتزم كل مكلف من رجالها دفع جزء منها عن رغبة ورضى .

فاين هذا من مجموعة المستأمنين في عقد التأمين ، وهم على تباين في العقائد ، وتجاهل بين الافراد ، وتقاطع في الصلات ، وعدم معرفة بالطوارىء على البعض ، ولا دراية بمقدار تحمل الشركة لها ؟

وقاعدة الالتزامات .

وان كان فيها جبر على العون حسب الوعد لمطلق الافراد ، فانه يكون من جانب الواعد فقط ، وربما تضرر الموعود بعدم الوفاء .

فاين هذا من عقد التأمين الذي يلتزم فيه كل من المؤمن والمستأمن لصاحبه دفع ما توافقا عليه .

وبيع الوفاء

وان كان فيه عون مؤقت دعت اليه الضرورة ، ويجب ايفاؤه ، فقد داخلته المشاكل ، واختلفت فيه الآراء واضطربت الاحتمالات فلا يقوى على القياس عليه في شيء ، فهذا عرض اطرحه ، وتحليل اوضحه يسهل به اعمال الفكر ، وتوخي الحق ، واستنباط الحكم بالتحري الدقيق ، والاستلهام العميق ، فيما يوافق الشرع ويلائمه ، وبذلك يعرف الناس به واقعه فيباشرون ما يرضي الله تعالى ، ويقفون عند حدوده .

قال تعالى : **(ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)** الطلاق/١ ولا يستحسن تركه واهماله ، وقد عم الابتلاء به في التعامل بين الناس .

وخلاصة آراء العلماء فيما تقدم ان التأمين يحل تعويضه فيما يلي :ـ

١ ـ اذا كان المؤمن حربيا وعقد في دار حرب لمستأمن مسلم في دار اسلام ، ودفعه عن رضى .

٢ ـ اذا كان التأمين عن حياة ، ودفع المؤمن ما تجمع من الاقساط مع ارباحها للمستأمن ، او لورثته من بعده .

٣ ـ اذا جرى التأمين في الحكومات الاجنبية على السلع المستوردة جبراً .

هدانا الله للصواب ، والهمنا السداد والرشاد والحمد لله رب العالمين

ترغيب الشباب في الزواج



للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة

روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .
صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب من لم يستطع الباءة فعليه بالصوم .

تخريج الحديث : هذا الحديث رواه الامام مسلم أيضا في صحيحه ، فهو متفق عليه (كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ، ووجد مئونة ..)
وفي بعض روايات الامام مسلم بزيادة في آخره ، وهي : « فلم ألبث أن تزوجت » .

الشرح والبيان

راوي هذا الحديث هو عبدالله بن مسعود ، فمن يا ترى يكون ابن مسعود ؟
هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود بن غافل ينتهي نسبه الى هذيل ، وأمه هي أم عبد بنت سواء ، وهي هذلية ايضا .
وهو من السابقين الأولين الى الاسلام ، وكذلك اسلمت امه قديما وكانا كثيرا ما يغشيان بيوت ازواج

النبي صلى الله عليه وسلم للخدمة وقضاء الحاجات حتى كان يظن من يراهما انهما من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وابن مسعود — على ضآلة جسمه ، وضعف عصبيته — هو اول من جهر بالقرآن في مجامع صناديد اهل الشرك ، وقد آذوه غاية الاذى ، ولكنه لم يعبأ بالايذاء ، وقال للنبي وأصحابه : لئن شئتم لأغادينهم بها — يعني لأقرأن عليهم سورة الرحمن في الغد ولكنهم قالوا له : حسبك ما فعلت ، وهذا يدل على انه كان يحمل قلبا مؤمنا حقا ، لا يرهب أحدا من زعماء الشرك ، ويستعذب الاذى والهوان في سبيل الله وفي سبيل رسوله ، صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ، وهذا الضعيف في جسمه ، القوي في ايمانه هو الذي اجهز على فرعون هذه الامة ابي جهل — لعنه الله — وعلاه وهو في سكرات الموت ، واحتز رأسه وهو يقول له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم !! وهكذا لم يتخل عن فرعونيته حتى وهو مجندل على الأرض خاسئ ذليل حقير .

وكان كثير الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صاحب السواك ، والمطهرة والوساد والنعلين يحملهما في ساعديه اذا خلعهما النبي صلى الله عليه وسلم ، ويلبسهما اياه اذ اراد السير وهو يدل على مبلغ حب الصحابة للرسول وتكريمهم له .

وكان من احفظ الناس للقرآن وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم احد اربعة ممن يؤخذ منهم القرآن كما كان من اعلم الناس بعلوم القرآن ولا سيما المكي ، والمدني ، واسباب النزول روى ذلك في الاحاديث الصحاح كما كان من احفظ الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له في الصحيحين وغيرهما احاديث كثيرة وبعد هذه الحياة الحافلة بالصحبة والجهاد والعلم ونشره كانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة فرضي الله عنه وارضاه .

قول ابن مسعود : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا » .

المراد بالمعية هنا المصاحبة على الهدى والخير ، والحق ، والبر ، والتعاون على نشر الدعوة الى الله والى الاسلام و« شبابا » جمع شاب ، وغرضه هو ومن كان معه ممن هم على شاكلته من شباب الاسلام « لا نجد شيئا » يعني نتزوج به ، فقال لهم النبي : « يا معشر الشباب ... » .

المعشر هم الجماعة الذين يشملهم وصف ما ، يقال للشباب معشر ، وللانبياء معشر وللعلماء معشر ، وهكذا والشباب : جمع شاب ، ويجمع ايضا على شببة — بفتح الشين والباءين الموحدتين — وشبان — بضم الشين وفتح الباء المشددة .

والشاب : هو من حين البلوغ الى سن الثلاثين ، وقيل : الى الثانية والثلاثين ، ومن الثلاثين الى الاربعين يقال له : كهل وما زاد على الاربعين يقال له شيخ ، وهذا في عرف اللغة

العربية الشريفة واما في غير اللغة فللناس فيه اعراف اخرى ، فقد يطلق على الشاب او الكهل اذا كان من اهل الدين والعلم والمنزلة في قومه وخص الشباب بالخطاب ، لأن الغالب وجود القوة الدافعة لهم الى النكاح فيهم بخلاف الكهول والشيوخ . وان كان هذا المعنى معتبرا اذا وجد الداعي الى الزواج في الكهول والشيوخ أيضا .

« من استطاع منكم الباءة فليتزوج » .

الباءة ــ بالباء الموحدة بعدها همزة ، آخره تاء تأنيث ــ ويقال أيضا : الباه ــ بالمد بلا همز ــ ويقال ايضا : الباء ــ بمد الباء وبهمزة بدون هاء ــ ورابع اللغات « الباهة » بابدال الهمزة هاء ، والباءة ماخوذة في اللغة من الباءة وهي المنزل ومنه مباءة الابل ، وهي مواطنها ، وقيل لعقد النكاح باءة لان عادة العرب ان من تزوج امرأة بنى لها منزلا .

وقد اختلف العلماء في المراد بالباءة على قولين :

الاول : أن المراد بالباءة مؤن النكاح من مهر ، ونفقة واسكان ونحوها وعلى هذا يكون المعنى من استطاع منكم يا معشر الشباب مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع مؤن النكاح ومستلزماته فلا يتزوج وعليه بالصوم فان الصوم يضعف الشهوة ويحد من سلطانها ويكفكف من غلوائها .

الثاني : ومنهم من قال ، المراد بالباءة القدرة على المباشرة .. والقيام بحقوق الزوجة بعد الزواج ، وقد نوقش هذا القول بانه غير مستقيم في المعنى ، لان من ليست له قدرة على المباشرة الزوجية ليس في حاجة الى الصوم ليحول بينه وبين الاستجابة للشهوة ، والعمل بمقتضاها والاكان الصوم غير مفيد ولا ناجع لانه وعدمه سيان بالنسبة لمن ليست له قدرة .

والذي عليه المحققون : ان المراد بالباءة مجموع الامرين معا : القدرة على المباشرة ، والقدرة على مؤن النكاح ومتطلباته ، وبذلك يستقيم معنى الحديث ويكون المعنى ومن لم يستطع فعليه بالصوم لكسر الشهوة واضعاف سلطانها على النفس وليس من شك في ان الصوم يفيد الشباب الذين لم تتوافر لهم وسائل النكاح ، وفي الوقت ذاته هو عبادة مشروعة وبذلك يستفيد من الصوم فائدتين : الاولى تهذيب النفس وتأديبها والحيلولة بينها وبين الوقوع في المعصية بسبب عدم الزواج ، والثانية : كونها عبادة تقرب صاحبها الى الله وتغلب الجانب الروحي في الانسان على الجانب المادي فانظروا ــ يارعاكم الله ــ الى تشريعات الاسلام الحكيمة !! وقد علل الرسول الكريم امر الشباب بالتزوج بقوله فانه اغض للبصر واحصن للفرج » .

واغض واحصن فعلا تفضيل والمعنى ان التزوج اشد غضا للبصر عن الامتداد الى الحرمات واشد احصانا للمرء من الوقوع في الفاحشة ، وليس من شك في ان المتزوج عندما يحمله

على الغض وهي زوجته ، فاذا كان ولا بد فلينظر اليها وان تاقت نفسه الى النساء فعنده زوجته يقضي معها حاجته ، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا حينما قال : « اذا رأى احدكم امرأة حسناء ، فأعجبته فليأت اهله ـ فان البضع واحد ، ومعها مثل ما معها » رواه الخطيب بلفظه ومسلم بمعناه . ولن تجدوا ـ وايم الحق ـ انجع من هذا الدواء النبوي الكريم لمثل هذه الحالة ، وقد بلغ الفصيح البليغ صلى الله عليه وسلم الغاية في الادب القولي والادب النفسي بهذا الحديث الموجز البليغ الذي تنطق به العذراء في خدرها فلا يخدش حياءها ، ولا تجد حرجا فيما تفوه به وهي قدرة في التعبير انفرد به النبي المعلم المربي المؤدب صلى الله عليه وسلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » وفي رواية الطبراني « ومن لم يقدر على ذلك فعليه بالصوم » وهما بمعنى واحد وقد قال العلماء ان في هذا الاسلوب النبوي البليغ « فعليه بالصوم » ، اغراء للغائب وهو مما اختلف فيه علماء اللغة ، وعلماء النحو ، لان الاغراء انما يكون للحاضر لا للغائب .

والحق ان هذا الاسلوب الفصيح البليغ ليس من اغراء الغائب ، وانما هو من اغراء المخاطبين الحاضرين الذين خاطبهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » فالهاء في قوله : « فعليه » ليست للغائب وانما هي لحاضر ولكنه مبهم ، اذ لا يصح خطابه بالكاف فيقال : « فعليك بالصوم » فان من يختار الصوم منهم مبهم غير معروف ، فلذلك حسن الاتيان به على صورة الغائب ومثل ذلك من الكلام المعجز المبين قوله تعالى (**فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان**) بعد قوله عز شأنه : (**كتب عليكم القصاص في القتلى**) البقرة الآية ١٧٨ . فلله در كلام الله ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم !!!

« فانه له وجاء » هذا الكلام من التشبيه البليغ يعني فانه له كالوجاء والوجاء ـ بكسر الواو ـ هو في الاصل بمعنى الطعن ، يقال : وجأه بالسيف اذا طعنه ، والمراد به هنا : رض الانثيين حتى تنقطع العروق التي توصل المادة المنوية وبذلك يفقد الحيوان شهوته فيسمن جسده ويطيب لحمه ، واما الخصاء فهو شل الانثيين واخراجهما فالوجاء ليس هو الخصاء ، ومن فسره به فقد تساهل ، ويزيد من روعة هذا التشبيه البليغ أن المخاطبين كانوا يعرفون الوجاء والخصاء غاية المعرفة ، ومراعاة احوال المخاطبين عماد البلاغة في اللغة العربية الشريفة لغة القرآن والسنة .

ما يؤخذ من الحديث من الاحكام والآداب والتوجيهات :

(١) أن الـزواج سنـة من سنـن الفطرة ، وأنه في حق الشاب أو الرجل القادرين الموسرين اللذيـن ليسـت عندهما موانع شرعية ، ويتيقن كل منهما او يغلب على ظنه غلبة الوقوع في الفاحشة فرض او واجـب ، وعلى الشاب الذي يسافر الى البلاد التي تعم فيها الفاحشة ويتسهل له الوقوع فيها ، ان يتزوج قبل ان يسافـر ليحصـن نفسـه من الوقـوع في الفاحشة .

وفي حق من يخشى على نفسه التعرض للفتنة ولا يتحقق ذلك ولا يغلب على ظنه مسنون مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم : « فليتزوج » وادنى ما يحمل عليه الاستحباب والسنية ، وفي حق من يعلم من نفسه عدم القدرة على المباشرة او عدم القـدرة على مؤن النكاح والنفقة حرام ، وفي حق من يترجح عنده عدم القدرة او عدم القيام بحقوق الزوجية مكروه وفي حق من يستوى في حقه الزواج وعدمه ان كان تقيا او مشتغلا بعلم او تأليف شغله عن الوقوع في الحرام ، بل وعـن التفكير فيه ــ هو مباح ، ومن ثم نرى انه تعتريه الاحكام الخمسة .

(٢) الوجاء ، والخصاء لا يجـوز بالنسبة للانسان ، لما يترتب عليه من قطع النسل الذي يترتب عليه خراب الارض ، وعدم عمارتها ، وكذلك كل ما كان في معناهما كالعمليات التي يجرونها الان لتعقيم الرجـال ، او لتعقيم النساء ، فكل هذا حرام في الاسلام وفي حكم الله وشرعه ، وقد يسألني سائل فيقول : وما رأيك في تناول الدواء لهذا الغرض ؟

والجواب : ان الدواء قسمان دواء يقطع الشهوة ويقضي عليها وهذا لا يجوز ودواء يسكن الشهوة ويضعفها ولا يقطعها ، وهذا يجوز لانه في معنى الصـوم الـذي يضعـف الشهـوة ويكسرها ولا يقطعها .

(٣) واما الخصاء او الوجاء للحيوان فالحيوان اما ان يكون غير مأكول اللحم ، او مأكول اللحم اما الاول فلا يجوز حتى لا ينقرض النـوع والله تبارك وتعالى لم يخلق شيئا في هذه الدنيا الا لحكمة ومصلحة ، وامـا مأكول اللحم فيجوز اخصـاؤه في صغره رغبة في السمن وطيب اللحم ، ولا يجوز في كبره لما فيه من تعذيب الحيـوان ، والاسـلام رحيـم بالحيوان ، كما هو رحيم بالانسان ، وفي الحديث الصحيح : « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة » والقتلة ــ بكسر القاف اسم هيئة والمراد القتل الحق كالقصاص والذبحة ــ بكسر الذال اسم هيئة من الذبح ــ والمراد الذبح المشروع ومما ينبغي ان يعلم ان الخصاء لا يكون على سبيل التعميم والا لانقطع نسل الحيوان وحينئذ فلا يجوز .

(٤) استدل بعض العلمـاء بهـذا الحديث على تحريم الاستمناء لانه صلى الله عليه وسلم ارشد عند العجز عن التزوج الى الصـوم فلـو كان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه اسهل وهو استدلال حسن وقد اباحه بعض العلماء لاجل تسكين الشهوة وعدم الوقوع في الفاحشة ، والحق هو

عدم الاباحة وقد ذكر بعض الاطباء الحذاق ان الاستمناء له اضرار كثيرة وقد يفضي الى امراض خبيثة كالامراض الصدرية وكثيرا ما يؤدي الى ان يفقد الشباب القدرة على المباشرة بعد الزواج ، ومن قواعد الشريعة المؤكدة أنه « لا ضرر ولا ضرار » ولم استدل بالحديث المشهور « ناكح يده ملعون » لأنه حديث ضعيف لا يقوم به الاحتجاج .

(٥) ان الرهبانية في الاسلام غير مشروعة والرهبنة هي ترك التزوج واعتزال الدنيا وملازمة الصوامع والشريعة الاسلامية هي الشريعة السمحة الموائمة للفطر ، وطبائع البشر ، ولو ترهب الناس جميعا فمن الذي سيعمر الارض ؟! وفي الحديث الذي رواه الطبراني بسنده من حديث سعد بن ابي وقاص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة » واما الحديث المشهور على الالسنة « لا رهبانية في الاسلام » فلا اصل له ولم يثبت وانما الثابت هو حديث الطبراني فليعلم ذلك من يزعمون انه حديث .

(٦) التزوج لاجل اكثار النسل امر مشروع ومرغوب فيه في الاسلام وقد ورد في ذلك احاديث كثيرة منها حديث : « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم يوم القيامة » وهو حديث اخرجه ابن حبان ، وقال الحافظ ابن حجر : انه حديث صحيح ومنها ما رواه البيهقي من حديث ابي امامة : « تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » والدعوة الى تحديد النسل وتقليله بين المسلمين دعوة في اصلها استعمارية يقصد بها الحد من هذه الكثرة الكاثرة في الامة الاسلامية ثم تطورت فلبست ثوب الاقتصاد وحماية العالم من المجاعة وحصل بها تلبيس على كثير من المسلمين وليسأل هؤلاء الذين يدعون الى هذه الدعوة الفاشلة انفسهم : هل استنفدوا المنافع والوسائل التي اودعها الله في الارض ـ وما اكثرها ـ وهي تكفي لكل من في الارض واكثر منهم ؟ ان كثيرا مما استودع في ارض الله لا يزال بكرا لم تمسسه يد مستثمر وما استفيد به منها لم يحسن استغلاله وما استغل اصبح نهبا مقسما بين المشتغلين والمنتفعين بل الكثير من موارد البلاد الفقيرة المتخلفة اقتصاديا انما ينتفع بها غير اهلها !! اليس كذلك ؟! بلى والله !!

(٧) ان على البلاد الاسلامية والعربية الغنية في الثروات والموارد ان تعمل ما استطاعت على تكثير النسل بين اهلها حتى يوجد من ابنائها من يدافعون عنها في هذا العالم الذي لا يخضع الا للقوة ، ان الموارد الكثيرة من الرجال خير من الموارد من المال والرجال هم الذين يأتون بالمال ، والمال عاجز عن توفير الرجال وصدق الله : **(قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين)** فصلت /٩ ; ١٠ .

المثل الذي نفتقده

للدكتور/عزالدين علي السيد



المسلمون بخير !

كثير من المتفائلين الذين لا يلتاعون لحاضر المسلمين يقول هذه الجملة ! ولكن المسلم المرهف بالأحداث الجارية داخل بلاد الاسلام وخارجها يقف من هذا التعبير موقف الشك أو الرفض ، وما تقرره الحال الواقعة في السياسات والأحكام والتمزق يؤكد هذا الشك فيزيد به اللهفة !

المسلمون بخير ، لأن طريق المجد الغارب مفتوح لكي يعود .

المسلمون بخير ، لأن النور المخرج من الظلمات بين أيديهم لايزال يناديهم !

والمسلمون بخير ، لأن الفرصة إلى اليوم تلوح بيديها : أن هلموا هلموا قبل أن أغضب فلا أعود !

والمسلمون ليسوا بخير ، لأنهم تنكبوا الطريق المفتوح لعودة المجد الغارب !

والمسلمون ليسوا بخير ، لأنهم صموا عن نداء النور الذي يخرجهم من ظلمات الحيرة والضياع إلى حياة الأمن واليقين !

والمسلمون ليسوا بخير ، لأنهم لم يهتبلوا هذه الفرصة التي تلوح بيديها وقد أوشكت أن تغاضب ، فان غاضبت لن تعود !

المسلمون : جمع تتساوى أفراده في صفة الاسلام التي هي حقيقة التسمية ، والاسلام تلك الصفة السامية فوق الصفات ، والكريمة فوق الكرائم ــ دين شامل يوحدهم لاشتراكهم في خصائصه ، التي كل شعيرة منها جمع لا تفريق ، وحب لا عداوة ، ومناصرة لا مخاذلة ، وإيثار لا أثرة ، فهم به يوم التزامهم مبادئه أمة واحدة ، كما خاطبهم ربهم : **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** الأنبياء/٩٢ .

بل هم به يوم التزامهم مبادئه كما وصفهم تفخيما لشأنهم **(خير أمة أخرجت للناس)** آل عمران/١١٠ .

وأولى تلك المبادئ التي منحتهم التفضيل على من سواهم ، هو ما جاء في السياق بمنزلة العلة ، حثا على إعظامها والعض عليها ، ليظل المسلمون بالمكان الأعلى من الخير : **(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/١١٠ . وما تقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في النظم الكريم عبثا ــ تنزه الله ــ وإنما لما فيهما من إتصال مباشر بحياة المسلمين فردا وجماعة ، على وجه يكون للايمان بالله درعا وحصنا ، وأين يكون الايمان بالله إيمانا في مجتمع سقط فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصار المنكر معروفا لتفشيه ، والمعروف منكرا لعزته ؟

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يتعديان إلى مأمور ومنهى من نفس فاقدة ، وهنا يتفاقم الخطر ويعظم الخطب أمام الدعاة المرشدين ــ وخاصة العلماء ــ الذين هم من الأمة بمثابة المصابيح ، فاذا لم تضئ الحكمة قلوبهم خرج أمرهم

ونهيهم من الأفواه مظلما ، وإذا لم تشعل الغيرة على حدود الله أنفسهم مضت حروفهم متعثرة على الـدرب تنكب لا تعلو ، وتلك كارثة طغى بها على الداعين الخـوف من تعسـف الظالمين ، والمجاملة لسلطان الأرض طمعا في صفح سلطان السمــاء ، وسلطان الأرض إنما يمـكن له في الأرض أن يحمى بسياج الأمنــاء الناصحين ، فهم خير له وللأمة في الدين والدنيا من جميع جنده ، لأن الله يؤيد بالحق من أيد الحق ونصره ، وكلما استجاب لصوت الحق زاده الله بالحب تأييدا ، وزاد الأمــة حولــه التفافا وطاعة .

وحسن التأني حكمة يصل بها الحكيم فلا يخفق ، وسوء المصارحة غلظة ينقطع بها الأحمق فلا يصل ، لذلك قال الحق تبارك وتعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنــة وجادلهــم بالتــي هي أحسن)** النحل/ ١٢٥ .

والحكمة تتدرج بالأولى إلى الأعلى نفوذا أو شذوذا ، لذلك أوصى الله موسى وهارون فقال : **(فقولا له قولا لينــا لعلــه يتــذكر أو يخشى)** طه/ ٤٤ .

وقد قرأت ـ فيما قرأت ـ : انه لما ولى عمر بن هبيرة العراق وأضيفت إليه خراســان في أيــام يزيــد بن عبدالملك ، استدعــى ابــن هبـيرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي سنة ١٠٣هـ فقال لهم : إن يزيد خليفة الله ، استخلفه الله على عباده ، وأخذ عليهــم الميثــاق بطاعتــه وأخــذ عهدنــا بالسمـــع والطاعة ، وقــد ولانــي ما ترون ، فيكتب لي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلد من ذلك فما ترون ؟

فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية ؟ فقال ابن هبيرة : ما تقول ياحسن ؟

فقال البصري : « ياابن هبيرة ، خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ! إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصر إلى ضيق قبر ، ثم لا ينجيك إلا عملك !

ياابن هبيرة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق !

ولــولا حصانــة قلــب الحســن بالالتزام والتصون الذي جعله مهيبا في الخلق ، لكان له طريق صاحبيه طريقا ، ولسنا نغمز الصاحبين في ذلك بتعريض ، وقد شهد التاريخ فضلهما في العدالة ، ولكنا نرشد إلى منازل الداعين من منازل المدعوين ، وطوبى لمن ثبت الله بالحق جنانه ، وأنطق بالحكمة لسانه ، فأنزل الدمع من عين لاهيــة ، والرحمــة في مهجــة عاتية !

المثل الذي نفتقده

أما المثل الذي نفتقده اليوم ، وقد أصبحت بلاد الاسلام قطعا ، وأهلها شيعــا ، يطمــع فيهــم استهانــة وجشعا ، من كان يبصبص بذيلــه رجاء برهم طمعا ـ فهو ذلك الذي

جعله الله لمحمد وأصحابه ـ صلوات الله عليهم ـ مثلا في التوراة والانجيل والقرآن ، حين وصفهم في قمة النصر ، ويوم أكرمهم بأكرم الفتح **(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)** الفتح / ٢٩ .

يالله للمسلمين اليوم !

إنهم اليوم رحماء بالكفار قساة بينهم !

أدر في خاطرك **(أشداء على الكفار)** بما تحمل صفة الشدة من إيحاء بالعزة ، والصلابة ، والمنعة ، والثقة ، والاخافة ..

وأدر في خاطرك **(رحماء بينهم)** بما تحمل صفة الرحمة من شفقة ، ومحبة ، وتواضع ، وتسامح ، وعفو ، وإيثار ، رجاء استحكام الوحدة وتكامل القوة !

إن التراحم بينهم تأكيد للشدة على الكافرين وتوثيق ، فالأمران متلازمان كل التلازم ، بل هما اليد والسلاح جميعا لكسب النصر ، فلو فقدت الشدة على الكفار مع التراحم بين المؤمنين لأقض الكفار مضاجعهم ، ولو وجدت الشدة على الكفار مع قسوة المؤمنين بينهم لأكلهم الكفار في ساعة من نهار !

ولو فقد الأمران معا ـ وقد كاد أو كان ـ لذهب كل عدو بما قدر ، واغترب المسلمون وهم في عقر دارهم ، بين مساجد ومعاهد أكثر ما فيها لمن فيها دون الأبواب لا وراءها ، فالحياة محتواة إلا ما شذ منها ، بكل خارج عن دينهم ، خادع فاتن بدنياهم ، آخذ بهم أخذا عن حقيقة واثقة يؤمنون بها ، ولكنهم ناكبون عنها ، لأن الجارف من السيل أقوى من الواهن الواني من العزيمة ، وفنون البلاء التي افتن بها أعداء الاسلام حربا وسلما ، أكثر عدا ، وأوفر مددا ، وأشد هولا ، من أن تضارعها ، فضلا على أن تفوقها ، طوائف متخاذلة يمقت بعضها بعضا ، ويعمل بعضها لدمار بعض .

المثل الذي نفتقده : أن نراهم ركعا ، سجدا ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ! محافظة على شعائر دينهم ابتغاء الفضل والرضوان ، وابتغاء الفضل والرضوان بوسائله المشروعة جدير بأن يجاب ! وأولى وسائله المشروعة ما انبنى المثل عليه ، من الشدة على الكفار والرحمة بينهم !

ولقد أكمل الله المثل الكريم بصورة على القلوب حبيبة ، تستفز النفس إلى الاعجاب ، وتقسرها على التدبر : **(كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع)** .

لقد تماسكت الصفات وتشابكت

وتتالت يعقب بعضها بعضا ، حصيفة التقرير لهذه الشدة وتلك الرحمة !

عش معى في ظلال الجمل الأربع الأولى ، الواصفة للزرع مع ما للزرع دون الوصف من استمالة للنفس بالبهجة .

أخرج شطأه ـ آزره ـ استغلظ ـ استوى على سوقه .

قوة في البنية ، وسلامة من الآفة ، ومواتاة من عناصر النماء والقوة ، واكتمال للصورة التي نهايتها المحتومة **(يعجب الزراع)وأي زرع كهذا في القوة والجمال وسرعة الانتقال إلى الغاية المنشودة لا يعجب الزراع ؟**

أما النتيجة للممثل له بذلك المثل ، فهي ربط للآخر بالأول ، وإحكام للشدة المنشودة ، حيث الأول « **أشداء على الكفار** » وحيث الآخر « **ليغيظ بهم الكفار** » .

وما أدق أداء الفعل ها هنا للغاية ، فان كثيرا من الشدة يخيف ولا يغيظ ، وإنما يغيظ منها ما لا حيلة للعدو به ولايد للوقوف في وجهه !

هكذا كانوا ، وهذا هو المثل الذي نفتقده ! فكان الجزاء : **(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) .**

(محمد رسول الله والذين معه)

أترانا من الذين معه اليوم ؟ إنها معية متصلة المعنى كلما تحققت هذه الخصائص ، واتصف المسلمون بتلك الصفات ، فليست صفات الذين معه أمرا مجهولا بل أمرا مهجورا ، على حد براءة الرسول بقوله : **(يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)** الفرقان/ ٣٠ . وليس هجره ألا يوجد في الحقائب والبيوت أو يتلى ويعلم ، ولكن هجره ألا يقود المسلمين من قلوبهم إلى طاعة ربهم ، وجمع شملهم ، والخضوع لأحكامه ، وفيما أخذنا عن أبي هريرة أن النبي صلوات الله عليه رفع يوما بصره إلى السماء فقال : هذا أوان رفع العلم ! فقال صفوان بن عسال أو زياد بن لبيد : كيف ، وفينا كتاب الله نتعلمه ونعلم أبناءنا ، ويعلم أبناؤنا أبناءهم ، فغضب رسول الله حتى عرف ذلك في وجهه وقال : « أو ليست التوراة والانجيل في يد النصارى واليهود فما أغنت عنهم حين تركوها ؟ » رواه ابن ماجه والدارمي .

إن هذه المعية غالية نفيسة لأنها وحدها سفينة النجاة ، لا عاصم من طوفان الهلاك غيرها ، وإن رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لحريص علينا بالمؤمنين رءوف رحيم ، ولكن ماذا يصنع بقوم يأخذ بحجزهم عن النار وهم يتفلتون فيها ؟ وبماذا يجيب إذا سأل ربه الرحمة بأمته فقال الله : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟

لقد أحدث المسلمون بعده ما رفع التكريم بهذه المعية عن سوادهم ، فارتد بينهم من أبنائهم في ديارهم المتوقحون ، تحمل صحفهم دون وقار لله ولا للعقل الذي كرم الله به

الانسان ، ما يكبر القلم أن يعيد حروفه للتحذير منه !

« الله وحده عدو الاشتراكية » أحد الموضوعات الوضيعة الكافرة الساخرة من الله والدين ، تطالع به صحيفة عربية في وطن عربي شباب الاسلام الذين هم أمل الغد وقوام المستقبل ، فلا يندى لذلك جبين المسلمين خجلا ، ولا تشتعل قلوبهم حرارة ، ولا يسأل كاتب فاجر عما اجترح من سوء ما أتى به ، لأنه باسم الرأي الطليق يكتب ، وبالحرية غير المشروطة بشرط يهدم ، وإنما يكون الحساب وعاجل العقاب لمن يكتب باسم الاسلام ردا على فجور ، أو تحذيرا من هلكة !

إن المعية مع رسول الله لن يردها إلينا أو يردنا إليها أن يختبئ كل امرئ في عقر نفسه ، وأن يستغشى ثوبه مستعيذا من جامح الفتنة ، ولا أن نتأول على غير وجه صحيح قوله تعالى (**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**) المائدة/١٠٥ . فان الضرر خطير ، والعذاب جسيم ، إذا طمع الكبير لاستقرار عقيدته في النجاة منه ، فلا طمع له في نجاة بنيه وهم أكبادنا وامتداد ديننا وأمانتنا .

ثم ماذا يبتغي المارقون بموالاة الكافرين ؟ أيبتغون عندهم العزة ؟ فان العزة لله جميعا ، وأين العزة في قوم لا كرامة للفرد عندهم ؟ ولا حرمة للأخلاق فيهم ، ولا أرب يشغل أفكارهم إلا امتلاك الوسيلة الناجحة للقضاء على أهل الأرض في ساعة طيش مذهل أو جنون مجنون !

ألا إن زهوة الحياة باطلة ، وندامة المنكوب بها واقع لابد أن يكون ، وستذهب السكرة يوم تبلو كل نفس ما أسلفت ، فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

حق لا نطالب به ملحدا ، ولا ننبه إليه كافرا ، ولكنا نطالب من وقر الايمان في قلبه ، وجرب فقره إلى الله ولذة الحب فيه ، أن يحرص على هذه المنحة المنجية ، فيدعو إليها كل حائر ، ويستنقذ بها كل هائم ، ويحذر عليها من كل عاد لئيم .

ونسأل الله أن ينفخ من روحه في بلاد الاسلام نفخة بعث ، تديل لأهلها ما دال عنهم ، ليكون من ولاتهم أبو بكر قامع الردة ، وعمر الفاروق قائد العزة ، الذي يحفظ له التاريخ فيما يثير الشجون : « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله أذلنا الله » .

هذا هو المثل الذي نفتقده ، وليس الطريق مسدودا من دونه ، فمايزال القرآن غضا لا تنقضي عجائبه ، ومايزال الرسول على رأس الصراط يدعونا إليه (**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**) .

كما لاتزال التوبة والاصلاح والاعتصام سبيلا ميسورا إليه ، تجده قلوبنا في قول ربنا : (**إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما**) النساء/١٤٦ .

أصحّ وثيقة في تاريخ الفكر البشري

للاستاذ : ابو الـــوفا مصطفى المراغي

نص القرآن أصح وثيقة وأقواها في تاريخ الفكر البشري ، تلك قضية لا يشك فيها الناس على اختلاف أممهم وأجناسهم ، من آمن به من المسلمين ، ومن لم يؤمن به من غيرهم ، أما المسلمون فانهم يضعون الثقة بصحة نص القرآن موضع العقيدة الدينية ، وينزلونها منزلة الايمان بالله ، فمن شك في صحة نص القرآن فهو خارج عن حظيرة الايمان ، كالشك في وجود الله ، وفي رسالة محمد وغيره من الانبياء ، والأيمان بصحة نص القرآن الذي احتواه المصحف ، والذي يقرءونه في صلواتهم خمس مرات كل يوم ، ويحفظه كثير منهم ، ويتعبدون بتلاوته ، ما واتتهم الفرصة احتسابا والتماسا لرضوان الله ، إيمان ضروري عندهم جميعا ، لا يسألون كيف نزل ، ولا على أي صورة وصل إليهم ، وبما أنه كتاب دينهم وشريعتهم ، فهو أغلى شيء لديهم ، وأعز ما عندهم في حياتهم ، ويفدونه بأرواحهم وحياتهم ، ويقوم علماؤهم وحراس شريعته بحفظ سلامة ذلك النص ، ودفع غارات المغيرين عليه ، ودحض شبهات المشككين فيه ، وبعامل أنه كتاب شريعة المسلمين ، وأنه معجزة رسولهم التي تمت بها رسالته ، وبعامل حمايته وحفظه ظل نص القرآن كما نزل محفوظا من التغيير والتبديل ، لم تسقط منه كلمة ، ولم ينحرف منه حرف ، وكان ذلك مصداقا لقوله تعالى : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ .

أي حافظوه من التبديل والتغيير ، والزيادة والنقصان ، ولم يكل حفظه إلى غيره ، كما وكل حفظ التوراة والانجيل إلى الاحبار والرهبان ، فلم يحفظا ، ووقع فيهما ما وقع مما سنشير إليه فيما بعد ، وإنما حفظ الله القرآن لأنه أراد أن يكون آخر الكتب ، وشريعته خاتمة الشرائع ، وأراد الله ان تكون شريعة دائمة لا تنسخها شريعة ، ولا يأتي بعد حاملها رسول ، فوجب أن يكون كتابها محفوظا ، ثابت النص ، صحيحه ، لأنه لو وقع في كتابها وهو أصلها تغيير وتبديل لوقع فيها التغيير والتبديل ، تبعا لتغير أصلها ، أما غير المسلمين ممن لا يدينون بالاسلام ، ولا يقرون بالقرآن فانهم في حاجة إلى بيان إثبات صحة نصه علميا ، ومن هذه الناحية لم نر نصا علميا توافرت له عناصر الاثبات والتوفيق كما توافرت لنص القرآن في جميع المراحل ، منذ نزل على محمد حتى عهد الناس اليوم .

لقد حمل جبريل نص القرآن عن ربه ، وأخذه عنه باسماعه إياه ، كما قال البيهقي في تفسير قوله تعالى : **(إنا أنزلناه في ليلة القدر)** القدر/ ١ قال : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه ، وأنزلناه بما سمع ، وجبريل أمنه الله على وحيه ، وهو أحد الملائكة الذين فطرهم الله على الطاعة ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولقد أبلغه محمدا كما حمل لم يزد ولم ينقص فيه ، كما قال سبحانه : **(نزل به**

الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) الشعراء/ ١٩٣ ـ ١٩٥ . وكان ينزل به منجما أي مقسطا شيئا فشيئا حتى تم نزوله في مدى ثلاثة وعشرين عاما ، وإنما أنزلــه مقسطا ليتيسر حفظ ما ينزل منه حفظا تاما ، كما قال تعالى : **(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكـــث ونزلناه تنزيلا)** الاسراء/ ١٠٦ . فكان النبي يحفظ ما ينزل منه ويستحفظه أصحابه وقد نبه الله نبيه محمدا أن يتمهل في تلقي الوحي من جبريل حتى يأخذه صحيحا كما أراد الله ، فلا تنفلت منه كلمة ، ولا يسقط حرف ، فقال سبحانه : **(ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه)** طه/ ١١٤ . أي لا تعجل بالتقاط القرآن من فم جبريل بل تأن وتريث ، وقال سبحانه : **(لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعــــه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه)** القيامة/ ١٦ ـ ١٩ يعني لا تحرك لسانك بقراءة الوحي مادام جبريل يقرأ لتعجل به ، يعني لتأخذه على عجلة ، لئلا ينفلت منك ، فقد تكفلنا بجمعه في صدرك ، وتثبيته في لسانك ، وفي ذلك تحقيق شوقك ، وتلهفك ، وحرصك على حفظه .

كـــان النبي يحفظ ما ينزل من الوحي ، وكان يحفظه أصحابه ، ولا يكتفون بذلك ، بل كانوا يكتبونه فيما يتيسر من أدوات الكتابة ، مثل الأدم والعظم والجريد ، ولم يقتصر الأمر في العناية بأن يكون صحيحا بذلك ، بل كان جبريل يلتقي بالنبي ويدارسه القرآن ليتفق حفظاهما ، فلما كان العام الأخير لحياة النبي التقي به جبريل وتدارساه مرتين ، ليثبت حفظ النبي ويستقر ، وليستقر تبعا لذلك حفظ أصحابه ، وظل القرآن محفوظا في صدر النبي وأصحابه ، وفيما كتب فيه حتى انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ففكـــر أصحابه في طريقة الاحتفاظ بالقرآن حتى لا يناله على مر الأيام ما نال غــــيره من التبديل والتحريف ، وائتمروا لذلك ، وكانت لهم مباحثات ومناقشات أبدى فيها كل واحد منهم وجهة نظره في جواز جمعه مما كتب فيه ، ومن صدور من حفظوه ، ذلك الأمر الخطير الذي لم يترك لهم النبي رأيا في شأنه حتى وفقهم الله إلى الاتفاق على ما اقترحه عمر من وجوب جمعه ، ولما أخذوا في تنفيذ الفكرة استجمعــوا لهــا كل وسائل الاحتياط للتوثيق ، وانتدبوا لهـــا من عرف من الصحابة ممن توافرت فيه المواهب والكفاية لذلك العمل ، فانتدبوا لذلك زيد بن ثابت لأنه اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ومن كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكـــان فوق ذلك معـــروفا بخصوبة عقله ، وشدة ورعه ، وعظم أمانته ، وكمال خلقه ، واستقامة دينه ، وتردد زيد في القيام بهذه المهمة تهيبا من المسئولية الدينية ، ومازال أبو بكر يعالج تلبثه ، وبين له وجه المصلحة حتى أقنعه ، فأخذ في جمعه باشراف

كبار الصحابة ومعاونته ، حتى تم لهم ما أرادوا ، ومن ثقل مسئولية جمع القرآن على زيد بن ثابت وتهيبه منه خشية ان يكون ذلك ماسا بدينه ، أولا يتم ذلك على الوجه الذي يرضاه ، يقول : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به ـ يعني أبا بكـــر ـ من جمع القرآن .

وانتهج زيد أغـرب الأساليب في التثبت والاحتياط ، حتى انه كان لا يقبل شيئا من المكتوب من القرآن حتى يشهد شاهدان عدلان على أنه كتب بين يدي رسول الله ، وقد أودع المصحف الذي جمعــه زيد عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وظل المسلمون يقرءون القرآن من صدورهـــم في أمصار المسلمين ، واتخذت لهجاتهم طريقها إلى ألسنتهم في تلاوة القرآن حتى كانت خلافة عثمان رضي الله عنه ، فرأى أن يسد على المسلمين طريق الاختلاف في كتاب الله ، فأمر بأن يكتب بنص واحد ، ورسم واحد ، وسمى مصحفه المصحف الامام ، ليكون القدوة في كتابة المصاحف ، وأمر بنسخ نسخ منه أرسلت إلى أمصار المسلمين ، واتبع عثمان في عمله هذا ما اتبع أبو بكـر ، واحتاط له كل الاحتياط ، ووكله إلى جمع من الصحابة ممن أشتهروا بالحفظ والورع والتقوى ، وقد تم لنص القرآن بعمل أبي بكر وعثمان أسباب الحفظ والرعـــاية ، وأمنه من الخطر الذي أوشك أن يقع في كلام الله في أساليبه واستعمالاته ، واستنباطات الفقهاء .

وإذا وزنا هذا العمل بالمــوازين العلمية في أي عصر من العصور ، وجدناه عملا علميا رائعا تجلت فيه الحصافة العلمية ، والنظر الدقيق في مستقبل نص القرآن ووصوله سليما كاملا ، ثبت للأجيال فائدته وفضله .

والفرق بين جمع أبي بكر وعثمان كما قال القاضي أبو بكر الباقلاني :

لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعـــه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلـــم ، وإلغـــاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد .

وقد جعل الاسلام للمحافظة على نص القرآن وسائل كثيرة ، منها أنه يسر حفظه بما لم ييسر قبله لكتاب سماوي آخر ، قال تعالى : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر/ ٤٠ وهذا التيسير دفع المسلمين بقوة الى تعلمه وتعليمه ، وإلى حفظه والترغيب فيه ، وزجرهم عن إهمال حفظه والتهاون فيه بالترهيب ، ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلــم القرآن وعلمه » رواه البخاري ، وقال : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن وقام به آناء الليل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار »

رواه ابن ماجه . وقال : « بئس مالأ حدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسى واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » وتفصيا (تخلصا وتفلتا) رواه البخاري .

وقد سمع رسول الله رجلا كان يقرأ في المسجد فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا . وكان عليه الصلاة والسلام يحب أن يسمعه من غيره .

وبهذه السنن التي رسمها القرآن ، وسنها رسول الله للمحافظة على نص القرآن ، أخذ المسلمون وبالغوا في ذلك ، فعدوا سوره وكلماته وحروفه ، ووضعوا لقراءته آدابا تليق بقداسته ، وبهذه الدوافع الايمانية تنافس المسلمون في حفظ القرآن ، فحفظه صبيانهم وشبابهم وشيوخهم ، وصار المقياس العلمي للشخص هو حفظ القرآن كله أو بعضه ، وفهم ما يستطيع فهمه منه ، وتلك مزية من مزايا القرآن انفرد بها عن غيره من كتب الأديان ، فلم يعهد في كتاب غيره حفظه ، ولم يترك المسلمون مناسبة من المناسبات دون أن يباركوها بتلاوة شيء منه بدءا وختاما ، ولم يكتفوا بما وضع من رسوم تقديسه ، بل شددوا فيها وبالغوا رغبة في التقرب بخدمة كتابهم كتاب الله الكريم ، ووضعوا للقارئ والمستمع إليه آدابا ، وعن الترمذي الحكيم في نوادره أنه قال : من حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهر ، وأن يقرأه وهو على طهارة ، وأن يستاك ويتخلل فيطيب فاه ، إذ هو طريقه ، وأن يستقبل القبلة لقراءته ، وأن يمسك عن القراءة اذا تثاءب ، لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج ، والتثاؤب من الشيطان . وأن يقرأه على تؤدة وتمهل وترسل وترتيل ، وله آداب كثيرة أفردت بالتأليف تتعلق كلها بصيانته وتقديسه ، وبهذه الرسوم والسنن التي رسمها القرآن الكريم ، وسنها الرسول ، ونهجها العلماء ، حفظ نص القرآن الكريم منذ نزوله ، حفظه الصحابة والمسلمون ، ثم انتقل بعدهم إلى التابعين ، ثم إلى من بعدهم جيلا بعد جيل ، حتى وصل إلينا كاملا لم ينتقص منه حرف ، وظل بقلوب المسلمين وأعينهم ، وكانوا حراسا عليه قراءة وكتابة وطباعة وإملاء ، لا يسمحون في رسومه بتغيير أيا كان نوعه ، ولا يختص بذلك طائفة دون طائفة ، فهو واجب إسلامي عام ، وإن كانت مسئولية العلماء عنه أشد نظرا لخبرتهم بمواضع الصواب والخطأ .

وهنا سؤال يخطر على بال كثير من الناس إما عن حسن نية أو عن سوء قصد ، وهو : إذا كان نص القرآن كما ذكرتم على صورة واحدة ، فما بالنا نسمع للقراء تلاوات مختلفة متغايرة ؟ وهل يكون ذلك إلا لاختلاف نص القرآن ؟ وجوابنا على ذلك : أن اختلاف القراء في التلاوة ليس اختلافا في أصل النص ، وإنما هو

اختلاف في طريق أداء ذلك النص ، فالاختلاف بين القراء اختلاف لهجات ، والنص واحد .

مثال ذلك اختلاف لهجات الناس في نطق اللفظ والأصل واحد ، وإنا لنسمع مثلا لأهل الجنوب في مصر لهجة في نطق بعض الألفاظ غير ما نسمعه فيها لأهل الشمال ، واختلاف اللهجات أمر معـــروف في جميع اللغات ، والدليل على اتحاد النص أن جميع المصاحف في أنحاء العالـم الاسلامي على رسم إملائي واحد ، وتختلف لهجات النطق به ، ويظهر الاختلاف واضحا بين لهجات العرب وغيرهم . ونحب أن ننبه هنا إلى أن ما ذكرناه في هذا السؤال كان مدخلا لأعداء القرآن إلى التشكك فيه منذ زمان ، ولـــكنه كان مدخلا ضيقا سرعان ما أفسد على أصحابه بما بينه العلماء مما اقتبسناه من هذا الجواب ؟ قال العلامة : محمد علي الهندي في كتابه الدين الاسلامي : لم يخل الاسلام في كل العهود من أعداء أرادوا الحط من قدره ، فتقولوا على القرآن ، وهـــو أول أصل للاسلام ومادته ، واختلقوا نصوصا كاذبة لا قيمة لها في جانب ما هو مجمع عليه من صحته وخلوه من العبث .

تلك قصة نص القرآن في جميع مراحله منذ أن نزل على رسولنا صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلينا وقد رأينا كيف أحاطه اللــه بما وعــد بحفظه ، وكيف هيأ له الأسباب التي ألمنا بشيء منها ، حتى صدق وعد الله ، وكان أصح وثيقة في تاريخ الفكر البشري ولا عبرة بأقوال من أنكر الوحي من القدامى او المحدثين ، فقد أصبح الاعتراف بامكان الوحي ووجوده سواء لمحمد صلى الله عليه وسلم أو غــيره من الانبياء قضية مسلمة ، ولقد قال المستشرق الغربي المعــروف في مقدمة ترجمته للقرآن بالفرنسية : « كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بني اسرائيل في القديم ، كان ملهما يرى الـــرؤيا ويوحي إليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالوهية متمكنة فيه كما كانت متمكنة في أولئك الانبياء أسلافه فيحدث فيه كما كان يحدث فيهم ذلك الالهام النفسي ، وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يحدثان في العقل البشري المراقي والتجليات والوحي والاحوال الروحية التي من بابها ، وقد أجمعت الأمة منذ نزل على أن كتابها وحي بلغنا إياه رسول ثبتت رسالته بالبراهين القاطعة ، وهــم يتوارثونه حفظا وتلقينا جيلا بعــد جيل ، حتى إنهم وضعوا لكتابهــم رسما خاصا لا يخرجون عنه ، ووضعــوا للنطق به قواعــد خاصة ليحفظوا بها العبارة التي سمعوها من الرسول كما هي ، ووضعوا له آدابا لاستماعه وقراءته ، وجعلــوه مرجعا لهم في كل شئونهم الدنيوية والأخروية ، ولقد يكون من الاغماض لحق القرآن أن يوضع في الميزان مع كتب الأديان الأخرى ، ولكن تطرح الموازنة لمن يكتب للعلم والتعليم وبيان الحق .



مؤتمر الغرفة الاقتصادية الاسلامية الثاني

على الطريق من أجل ارساء أسس التعاون الاقتصادي الاسلامي ، وفي أعقاب مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد بمكة المكرمة ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١م بفترة وجيزة والذي أكد بمقرراته الاقتصادية على ضرورة الاسراع في دفع عجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية ليعم الخير وتسود الرفاهية في جميع أرجاء العالم الاسلامي ... من أجل ذلك انعقد مؤتمر الغرفة الاقتصادية الاسلامية الثاني في دولة الكويت فيما بين ١٢ ـ ١٤ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ الموافق ١٧ ـ ١٩ فبراير ١٩٨١م بحضور ممثلي ٢٤ دولة اسلامية اضافة لممثلي أربع منظمات اسلامية .



● من أجل خير ورفاهية المسلمين انعقدت الدورة الثانية للغرف الاسلامية

ولا بد لنا قبل أن نستعرض أهم ما تمخض عنه هذا المؤتمر من قرارات من العودة قليلا للوراء لنرى نشأة هذا المؤتمر والهدف من انشائه .

نشأة الغرفة الاقتصادية الاسلامية

تأسست الغرفة استجابة لقرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السابع المنعقد في استنبول ١٢ ـ ١٥ مايو ١٩٧٦م وتمت الموافقة على عقد الاجتماع التمهيدي لغرف التجارة والصناعة الاسلامية في استنبول ١٧ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٧٧م حيث تم وضع دستور الغرفة وحددت أهدافها .

أهداف الغرفة الاقتصادية الاسلامية

● تشجيع التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية وابتكار وسائل جديدة في المستقبل لتنمية التعاون الاقتصادي .



● سمو ولي عهد الكويت يفتتح المؤتمر

● تنمية التعاون بين الغرفة الاقتصادية الاسلامية والمؤسسات الاقتصادية الدولية .
● تشجيع الدول الأعضاء على منح الأفضلية في التجارة بين بعضها البعض .
● التعاون في مجالات البنوك والتأمين والملاحة .
● حل المنازعات الناشئة عن النواحي الاقتصادية بالاحتكام للغرفة الاقتصادية الاسلامية .
● تنظيم أسواق تجارية دولية وصالات عرض مشتركة .
● حماية الاقتصاد الاسلامي واتخاذ مواقف جماعية اقتصادية ضد من يعتدي على البلاد الاسلامية .
● السعي التدريجي لانشاء المجموعة الاقتصادية الاسلامية .

مم تتكون الغرفة الاسلامية

تتكون الغرفة الاقتصادية الاسلامية من الجمعية العمومية والأمانة العامة والجمعية العمومية هي السلطة العليا للغرفة الاسلامية وتتشكل من مندوبين تعينهم المنظمات الأعضاء من ٤٣ دولة اسلامية وتتولى وضع السياسة العامة للغرفة وبرنامج عملها ودستورها وميزانيتها وقد عقدت الجمعية العمومية للغرفة الاقتصادية الاسلامية حتى الآن الدورات الآتية :

○ **الدورة التمهيدية في استنبول (تركيا) ١٩٧٧م .**
○ **الدورة التأسيسية في كراتشي (باكستان) ١٩٧٨م .**
○ **الدورة الأولى في داكار (السنغال) ١٩٨٠م .**
○ **الدورة الثانية في الكويت ١٩٨١م .**

افتتاح الدورة الثانية للجمعية العامة بالكويت

عقدت الجمعية العامة للغرفة الاقتصادية الاسلامية دورتها الثانية برعاية الشيخ سعد العبد الله الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء فيها وألقى كلمة في جلسة الافتتاح أكد فيها على أهمية التضامن والتعاون الاقتصادي الاسلامي وقال إنه اذا كانت وحدة العقيدة والتاريخ المشترك قد جمعت بين الشعوب الاسلامية منذ القدم فان تماثل المصالح وتبادلها هو خير ما يعزز تلك الروابط في يومنا الحاضر واذا كانت شعوب كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها قد قطعت أشواطا بعيدة في مجال التعاون الاقتصادي الأقليمي فان البلدان الاسلامية أجدر بمثل هذا التعاون وأكثر حاجة اليه ولا يعني هذا التعاون الاقتصادي الاسلامي الانعزال عن سائر العالم فذلك أمر ليس مرغوبا ولا ممكنا .

النظام الاقتصادي في الاسلام نابع من دين الفطرة

ثم ألقى السيد عبد العزيز حمد الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت كلمة طالب فيها بألا تنحصر جهود الغرفة الاسلامية على المشاريع المشتركة وزيادة التبادل التجاري بل يجب أن يكون لنشاط الغرفة بعد علمي ثقافي يهدف لتنظيم وتكثيف عمل رجال الفكر الاقتصادي المسلمين لاكتشاف النظام الاقتصادي في الاسلام بكل منطلقاته وقواعده الفكرية . هذا النظام سيوجد لنا الانسان المسلم في انتاجه واستهلاكه وانفاقه وادخاره وشرائه وبيعه وتعامله مع غيره ثم عدد السيد الصقر مزايا النظام الاقتصادي الاسلامي المستمد من دين الفطرة الانسانية والذي يتميز بالتوازن والاعتدال والعدل وهذا لا يمكن أن يتحقق في أي نظام اقتصادي آخر .

السلاح الاقتصادي طريقنا للقدس

ثم تابع السيد الصقر مطالبا الغرفة بأن تتبنى قرارا باستخدام السلاح الاقتصادي كأحد الوسائل الأساسية في جهودنا لتحرير بيت المقدس من براثن الاحتلال عن طريق فرض مقاطعة اقتصادية اسلامية للعدو الغاصب ونظرا لأهمية



● الشيخ اسماعيل ابو داوود رئيس الغرفة الاقتصادية الاسلامية يلقي كلمته

الكلمة التي ألقاها السيد رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت في حفل الافتتاح فقد تقرر اعتبارها احدى وثائق الدورة .

كلمة رئيس الغرفة الاسلامية الاقتصادية

ثم اختتم رئيس الغرفة الاقتصادية (الشيخ اسماعيل أبو داوود) حفل الافتتاح بكلمة عدد فيها الانجازات التي حققتها الغرفة بعد انعقاد الدورة الأولى لها في (داكار) قبل عام واقترح انشاء شركة اسلامية لاعادة التأمين وقال إن الغرفة أثبتت أنها عنصر لا غنى عنه في تحقيق التعاون الاقتصادي الاسلامي وسلط الضوء على الظروف الصعبة التي واجهتها الغرفة وحالت دون تحقيق بعض أعمالها .

قرارات الدورة الثانية للجمعية العمومية للغرفة

ثم توالت الاجتماعات خلال أيام انعقاد مؤتمر الغرفة الاقتصادية الاسلامية وألقى ممثلو الوفود كلماتهم وأبدوا اقتراحاتهم التي من شأنها تطوير الغرفة ودفع عجلة التعاون الاسلامي في المسار الايجابي . وقد اختتمت جلسات المؤتمر باصدار عدد من القرارات والتوصيات من أهمها :



● السيد يوسف جاسم الحجي والشيخ بدر المتولي في قاعة المؤتمر

● أن يستخدم اسم الغرفة الاقتصادية الاسلامية اعتبارا من الآن بديلا للاسم السابق (الغرفة الاسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع) .
● الموافقة على الميزانية المقترحة لعام ١٩٨١م والبالغة (٢٢٢,٨٨٠) دولارا أمريكيا والمصادقة على البيان الختامي لحسابات الغرفة عن عام ١٩٨٠م .
● الموافقة على القوانين والنظم التالية :

□ **قوانين وأنظمة الغرفة الاسلامية .**
□ **النظم المالية للغرفة الاسلامية .**
□ **نظام العاملين في الأمانة العامة بالغرفة الاسلامية .**

● التوصية بأن تقوم جميع الدول الأعضاء بتطبيق القرارات التي تبناها مؤتمر القمة الاسلامي الثالث والخاصة بالمقاطعة الاقتصادية لاسرائيل وطلب منح منظمة التحرير الفلسطينية تسهيلات خاصة في مجال التعاون الاقتصادي للمساعدة في دعم صمود الشعب الفلسطيني .
● تأييد فكرة انشاء الاتحاد الاسلامي لأصحاب السفن وفق ما تقرر في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في الطائف .
● الترحيب بفكرة انشاء شركة اعادة تأمين اسلامية واستكمال الدراسات الفنية الخاصة بهذا الموضوع .



● احدى جلسات المؤتمر

● متابعة موضوع تاسيس السوق الاسلامي المشترك بالاشتراك مع منظمة المؤتمر الاسلامي .

● عقد الاجتماع الثالث للجمعية العمومية بالمغرب في ديسمبر ١٩٨١م والاجتماع الرابع في بنغلادش في ديسمبر ١٩٨٢م .

● اعادة انتخاب رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمدة عامين آخرين ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م .

● الاعراب عن شكر وتقدير الجمعية العمومية لما تم الاعلان عنه من دعم مالي للغرفة الاسلامية من قبل البلدان الأعضاء وفق ما يلي :

الكاميرون	١٠٠,٠٠٠	**دولار أمريكي**
ايران	٢٥,٠٠٠	**فرنك سويسري**
السعودية	٢٠,٠٠٠	**دولار أمريكي**
الكويت	٢٠,٠٠٠	**دولار أمريكي**
الامارات العربية	٢٠,٠٠٠	**دولار أمريكي**
المغرب	١٠,٠٠٠	**دولار أمريكي**

وقررت الجمعية في الختام توجيه برقيات شكر لكل من أمير دولة الكويت وسمو ولي العهد والى السيد رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت تعبيرا عن دعم دولة الكويت ومساندتها لكل عمل اسلامي بناء .

الأدلة الجنائية

في القرآن الكريم (٢)

للدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي

بيّنا في المقال الأول المنشور في العدد ١٩٦ أهمية الأدلة الجنائية كمرشد لسلطات التحقيق وكبديل لغرف التعذيب التي أجازتها هذه السلطات لنفسها للحصول على الاعتراف الذي هو سيد الأدلة .

كما بيّنا أنواع الأدلة الجنائية ومنها الأدلة المعنوية التي تشمل على الاعتراف وشهادة الشهود ، والأدلة المادية التي تشمل على كل الآثار المادية التي يتركها الجاني في مسرح الجريمة .

ونتابع اليوم استنباط هذه الأدلة الجنائية من القرآن الكريم في كل من الجرائم المعنوية والمادية وجرائم العرض وجرائم المال كي نصل إلى الأصول العامة لعلم البحث العلمي الجنائي من القرآن الكريم .

○ الجرائم المادية :

أولا : جرائم النفس :

(١) (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ★ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ★ قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ★ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ★ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ★ وجاءوا أباهم عشاء يبكون ★ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ★ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) يوسف/ ١١ - ١٨ .

يوجب القرآن العظيم على أمة محمد ألا يفرقوا في معاملة أبنائهم . وينبع ذلك أساسا من اهتمام الاسلام بالانسان من جميع جوانب حياته وأهمها الناحية النفسية فان العدل في المعاملة يورث الحب ، ويجمع الشمل ، ويقوي أواصر الأخوة ؛ وهي لبنات هامة في بناء صرح المجتمع الاسلامي . أما العكس من ذلك وهو التفرقة في معاملة الأبناء فيولد الشقاق والحقد وضغينة الأولاد بعضهم لبعض ، وهو ما يشتت أفراد الاسرة التي هي الدعامة الأولى والأساس القوي

للمجتمع الاسلامي .

ولعل في قصة أولاد النبي يعقوب خير دليل على ما نقول . فلقد أحس أولاد يعقوب عليه السلام بفارق المعاملة في الحنان والحب من جانب أبيهم تجاه يوسف وأخيه بنيامين ، وايثاره لهما على بقيتهم . لذلك حقدوا على يوسف وأجمعوا أمرهم أن يتخلصوا منه كي لا يشاركهم أحد في حب أبيهم وان النفس لامارة بالسوء . لذلك فقد القوا به في بئر مظلمة عسى أن يأخذه بعض المارة ، ويكمل الحياة بعيدا عنهم دون أن يستأثر دونهم بعطف والده . وتمويها لجريمتهم النكراء في حق أخيهم فقد ادعوا أن الذئب قد أكله وجاءوا على قميصه بدم كذب كدليل على براءتهم . لكنه هيهات أن يصدق يعقوب النبي دعواهم ، وهيهات أن يثمر ما يأفكون .

أما من الناحية الجنائية :

فنحن هنا أمام جريمة خطف لصبي وحبسه في مكان مظلم يمكن أن يؤدي الى الموت . ولا تتركز جرائم النفس فقط في قتلها بل وكذلك في تعذيبها والاعتداء عليها بخطفها أو حبسها أو حتى منعها من ممارسة حياتها الطبيعية . وهي الجرائم من نوع الجنايات .

والجريمة هنا شبه كاملة من ناحية التفكير فيها والاعداد لها وتنفيذها واخفاء معالمها . ولكننا أيضا أمام أدلة مادية جنائية هي قميص يوسف وبقعة دم . ود الجناة أن يقنعوا بها أباهم على أنها من دم يوسف . ولقد قصد بهذه الأدلة المادية نفي المسئولية الجنائية عنهم ، وتصوير الجريمة على أنها حادث عرضي نتيجة ظروف قاهرة . وهنا يأتي دورنا لمناقشة هذه الأدلة الجنائية في هذه القضية :

أ ـ لابد وأن النبي يعقوب قد لاحظ اختفاء جسم الجريمة ، أي جثة ولده يوسف فلا يستطيع أي ذئب أن يتناوله جميعه بلحمه وعظامه كاملة . وهذا دليل عكسي على حادثة الموت العرضي لظروف قاهرة .

ب ـ أن قميص يوسف وهو دليل صحيح لأنه كان بالفعل قميص النبي الضحية . لكن يعقوب الحكيم لابد وقد لاحظ أن القميص سليم ولا يعقل أن يخلع يوسف قميصه أولا ليأكله الذئب ، ولا يعقل كذلك أن يكون الذئب قد أكل يوسف دون أن يخدش القميص . كما ولابد أن يعقوب قد لاحظ كذلك أنه لا أثر للذئب على القميص كرائحته وهي رائحة مميزة للغاية أو وجود شعرة منه . وقد عرف عن النبي يعقوب دقة الملاحظة ، وقوة حاسة الشم كما سيلي ذكره بعد قليل .

جـ أن النبي يعقوب لابد قد لاحظ اختلاف دم الانسان عن الدم المكذوب على قميص يوسف وهو دم لحيوان .

د ـ أن النبي يعقوب قد لاحظ توتر أولاده كما لاحظ محاولة كذبهم من أقوالهم ومن طريقتهم في الكلام لأنهم بادروه أنهم واثقون أنه لن يصدقهم ولو كانوا صادقين : (**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**) . ولقد خافوا افتضاح كذبهم فحاولوا

البكاء تمثيلا كي يوهموا الأب بصدق روايتهم . وكذلك فقد انتظروا حتى يحل المساء : (**وجاءوا أباهم عشاء يبكون**) كي لا يكون هناك مجال لرؤية مسرح الجريمة في التو واللحظة .

وتجدر الاشارة هنا أن العلم الحديث استطاع أن يبتكر جهازا **لكشف الكذب** ، وتقوم نظرية هذا الجهاز على أساس قياس فرق الجهد الكهربائي الناشىء عن الدوافع والنزعات النفسية التي تتكون في نفس الشخص الماثل أمام رجل الأدلة الجنائية . ولذلك كله اشتهر القول العربي قديما : « يكاد المريب يقول خذوني » من شدة توتره في كلامه ولفتاته وسكناته وحركاته . .

هـ ـ أنه مما زاد في شك سيدنا يعقوب أن الجريمة بالطريقة التي صورها له أبناؤه وهي الموت نتيجة مهاجمة الذئب ليوسف وأكله له ، قد التقطت من حديثه هو بعينه معهم عشية الحادث : (**وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**) . وكثيرا ما يحدث أن يعطي الضحية الى المجرم ـ دون قصد منه ـ خيطا يتبعه عند تبرير جريمته كخوفه من شيء معين أو ارتياده لمكان معين أو عداوته لاناس معينين مما يساعد المجرم على احكام تدبيره . لكنه في المقابل يعطي الضحية هاديا قويا ليتعرف على طريقة وسلوك المجرم في ارتكاب الحادث كما يكون ذلك سببا في الشك في كل أقواله وتفسيرها على ضوء ملابسات الحادث .

من ذلك كله لم يقتنع يعقوب برواياتهم أو بالدم المكذوب على قميص يوسف وكان حكمه أو قراره : (**بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**) . ان كل ذلك لم ينف عنهم جريمة خطف يوسف وحبسه في قعر بئر مظلمة وبالتالي لم ينف عنهم مسئوليتهم الجنائية . وعلى أية حال فان جريمة اختفاء يوسف لم تسقط بمرور الزمن وظلت حية في نفس ووجدان سيدنا يعقوب .

(٢) (**اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ★ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون**) يوسف/٩٣و٩٤ .

وأراد ربك أن يسبغ نعمته على يوسف فأنجاه الله من كيد اخوته له ، والتقطه بعض المارة ثم باعوه لعزيز مصر الذي رباه وأكرمه . وتمر أحداث كثيرة ليشاء ربك بعدها أن يتبوأ يوسف مكان الوزارة ، وأصبح أمينا على خزائن مصر . ثم التقى باخوته ، ويبعث بقميصه مع اخوته ليلقوه على وجه أبيه ليرتد بصيرا . وكان ذلك فضلا من الله وآية . ولما انفصلت القافلة عن أرض مصر قال يعقوب لمن كان معه انه يشم رائحة يوسف لولا خوفه من اتهامهم له بالجنون أو ضعف العقل لأخبرهم أن يوسف قريب من ديارهم .

ومن الناحية الجنائية :

فقد قلنا أن جريمة اختفاء يوسف ظلت ماثلة في ذهن سيدنا يعقوب حتى جاءه

الدليل المادي على صدق حكمه وقراره بأن يوسف لم يأكله الذئب وأنه ما زال حيا . والدليل المادي الجنائي هنا هو رائحة قميص يوسف ، وقد قلنا آنفا أن سيدنا يعقوب قد امتاز بقوة حاسة الشم .

وانه من العجيب أن يصل العلم الحديث اليوم الى ما يسمى **بتكنولوجيا الرائحة** وهو ما يشير اليه اكتشاف أجهزة تعتمد في عملها على الرائحة . والرائحة علميا عبارة عن تطاير أو تسامي أو تبخر المواد المختلفة ؛ أي أنها صورة من صور المادة . ومن المعروف أن الجسم البشري يفرز مواد بروتينية ودهنية وغيرها خاصة بكل انسان ، وحينما تتطاير هذه المواد بفعل حرارة الجسم في الجو فانه ينتج ما يعرف **برائحة الشخص المميزة** .

وقد استغل علم الأدلة الجنائية ضخامة مركز حاسة الشم في عقل الكلاب اذا ما قورنت بحجم مركز حاسة الشم في الانسان ، وحاول تدريبها - أي الكلاب - على استعمال هذه الخاصة في الكشف عن الجرائم وتتبع فاعليها ومعرفة أماكن الأشياء المخبأة . ولعل ما يروى عن الكلاب البوليسية في الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية خير دليل على ذلك .

ثانيا : جرائم العرض

اتفقت الشرائع السماوية كلها وكذلك القوانين الوضعية في كل بقاع الدنيا على حرمة عرض الانسان ، وتجريم كل من يحاول النيل منه ، بل وأعطته الحق في الدفاع عن هذا العرض بنفسه . ومن ناحية أخرى فان جرائم العرض تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد جرائم النفس في هذه الشرائع والقوانين .

وترجع أهمية جرائم العرض الى أنها تتعلق بأخص خصائص الانسان لذلك كان تأثيرها بالغا من الناحية النفسية فغالبا ما يعتبر الانسان عرضه مترادفا مع شرفه وكبريائه ومكانته بين أفراد مجتمعه لذلك كله فان الاعتداء على هذا العرض بأي صورة من الصور وبأي شكل من الأشكال جريمة يوضع الجزاء المناسب لها .

وتتدرج جرائم العرض ابتداء من جرائم **خدش الحياء** وتكون بالتعدي باللفظ أو بالاشارة أو بغيرهما بما يجرح حياء الأنثى . ثم تتدرج الى جرائم **هتك العرض** وهي مراودة الأنثى عن نفسها ومحاولة ايذائها عن طريق عمل غير مشروع على ألا يؤدي ذلك الى اتمام عملية النكاح . فاذا حدثت الأخيرة تحولت الجريمة الى مايسمى بجريمة **الاغتصاب** ؛ لكنه اذا ما تم ذلك برضاء الأنثى ومشيئتها أطلق على الجريمة « **تسمية الزنا** » .

ولقد تبوأت جرائم العرض في الشريعة الاسلامية أهمية بالغة فقد حرم الله الزنا وشدد عقوبته حتى وصلت الى حد الموت . على أن ما يهمنا في هذا المجال - هو ابراز أو استنباط الدليل الجنائي من القرآن الكريم - أن تقول أنه نظرا للأهمية البالغة لما يتعلق بجرائم العرض وحساسيتها فاننا نلاحظ - من وجهة نظر علم

الأدلة الجنائية ـ ما يلي :
أ ـ أن القرآن الكريم جعل مناط اثبات جرائم العرض الى الدليل المعنوي وهو الاعتراف أو الشهادة أساسا ، وجعل الدلائل المادية كلها على سبيل الاسترشاد لأن الدليل المعنوي لا يحتمل التأويل ولكونه صادرا من الانسان وهو المتميز بالفعل والتدبر فانه يخضع لضوابط الحكمة والمسؤولية والتروي .
ب ـ وبرغم أن مجال الدليل المادي الجنائي أصبح ضيقا اذا قورن بالدليل المعنوي في نطاق جرائم العرض فاننا نلاحظ أهمية هذا الدليل المادي ووجوده في جرائم خدش الحياء وهتك العرض والاغتصاب حيث يكون الاثر الناتج من الجريمة الأولى والثانية محدودا ، أما في الثالثة فان أهمية الدليل المادي الجنائي ترجع الى أن الجريمة تتم دون ارادة الأنثى مما يشكل هدما لاستقرار المجتمع وأمنه ، وتعريضا للسلام الاجتماعي بين أفراده للخطر . لكننا نلاحظ أنه لا مجال في جريمة الزنا للدليل المادي فقد أوجب القرآن الكريم ضرورة وجود أربعة شهود رؤية ، وجعل ذلك شرطا لاقامة الحد وفي هذا صعوبة كاملة لاثبات التهمة تصل حد الحكمة لأن في هذه الجريمة بالذات هدما للاسرة التي هي أساس المجتمع .
ج ـ أنه ـ وبصفة دائمة ـ اتبع الجريمة بالتوبة عنها وحدد مسار المسلك الايجابي للتوبة في اصلاح ما فسد ، وفي ذلك تثبيت لدعائم أمن المجتمع وسلامته من الأمراض الاجتماعية . ولعل طريق الشريعة السمحة في اصلاح ما فسد بحدوث الجريمة ـ يبين أنها الطريق الوحيد لمحو أثر الجريمة من أساسه واحلال المودة والتراحم بدلا من الحقد والرغبة في الانتقام وعلى سبيل المثال فان جريمة الاغتصاب تسقط بالزواج من الضحية ، وتصبح المصاهرة سببا للترابط بدلا من أن تكون الجريمة دافعا للتناحر والكراهية وارتكاب مزيد من الجرائم .
د ـ أما في جرائم **اثبات النسب والبنوة** فلقد أخذت الشريعة الاسلامية بالدليل المادي كأساس للاثبات وتقرر القاعدة الفقهية أن **الولد للفراش** . وأنه لما كان هناك عقد صحيح اتبع بدخول ، وكان هناك وقت معلوم للحمل حسبما قرر الفقهاء فانه يثبت أن الولد للفراش . ويرجع الأخذ بالدليل المادي هنا للعمل على استقرار الانساب وأخذ مستقبل الصغير في الاعتبار حيث تفوق أهمية هذا المستقبل أهمية أي شيء آخر .
وفيما يلي نورد أمثلة على الأدلة الجنائية من القرآن الكريم في جرائم العرض :
(١) (**واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب اليم ★ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ★ وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ★ فلما رأى قميصه قد من دبر قال أنه من كيدكن ان كيدكن عظيم**) يوسف/ ٢٥ ـ ٢٨ .
قلنا أن الله قد من على يوسف فأنجاه من كيد اخوته ، واشتراه عزيز مصر وأكرم مثواه . وكان يوسف عليه السلام جميل الخلقة الى حد مذهل ، حتى ليظن

من يراه أنه ليس بشرا بل هو ملك كريم . وراودته امرأة العزيز « زليخة » عن نفسها بعد أن أغلقت الأبواب وهيأت له نفسها . وتسابقا الى الباب ، ومزقت ملابسه من الخلف وهي تشده كي تمنعه من الهرب والنجاة بنفسه . ووجدا زوجها لدى الباب . وببديهية الأنثى التي عزت عليها نفسها ولم تنل مأربها اتهمت يوسف بمحاولة التغرير بها والاعتداء عليها . ونفى يوسف التهمة عن نفسه . وكان التحكيم لواحد من أهلها . وشهد الحكم أنه ما دامت ملابس يوسف قد قطعت من الخلف فصدق هو وكذبت المرأة . وهكذا كانت عناية الله ترعاه وتحرسه .

ومن الناحية الجنائية :

فنحن أمام جريمة هتك عرض ، وهي هنا بين طرفين غير متكافئين : فطرفها الأول هو امرأة العزيز بوضعها الاجتماعي كزوجة لملك مصر يفترض فيها الصدق فيما تقول . وهي كذلك أكبر من يوسف سنا حيث كانت زوجة العزيز حينما اشتراه الأخير من النخاسة وهو صبي ، وعليه فقولها له احترامه ومكانته لأنها بمثابة أم له . وطرفها الثاني هو مولاها أو خادمها يوسف عليه السلام . والدليل المادي الجنائي هنا هو قميص يوسف نفسه وقد مزق من الخلف ونلاحظ ما يلي :

أ ـ أن الدليل المادي هنا يخص المدعى عليه وليس المدعية ، والمنطق أن يكون التمزيق بقميص المدعية حيث أنها الضحية والمهاجم هو يوسف . وهذا يحتمل أحد أمرين :

- اما انها كانت بلا ملابس ساعة المحاولة وهذا لا يتأتي بغير رضاها وعليه فلا جريمة هناك ما دامت ملابسها سليمة بغير تمزيق .
- واما أن يكون ادعاؤها كذبا من أساسه .

ب ـ أن التمزيق بقميص المدعى عليه من الخلف وليس من الأمام ، وهذا لا يمكن تصور حدوثه الا في حالة أن تكون المدعية قد أمسكت به وهو يحاول الفرار . ولو كان الأمر معكوسا أي كان يوسف معتديا عليها بحق لكان التمزيق من الأمام حيث يصبح دفاعا منها عن شرفها وعفتها .

جـ ـ أن الحكم كان من أهل المدعية ، والخير ما شهدت به الأعداء . وذلك يؤكد أن نطقه بالحقيقة لابد وأن يكون قد تم بعد اقتناع لا شك فيه ، وبعد تدبر وروية لازمين ، وبعد مجاهدة للنفس ـ بحكم تعاطفه الطبيعي مع قريبته ـ حيث كان أمام حقيقة ساطعة كشمس النهار .

د ـ أنه وبرغم كل ذلك قرروا أن يسجن يوسف الصديق : (**ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين**) يوسف/ ٣٥ . ونرى من وجهة نظرنا أن ذلك تأكيد على أن الدليل المادي الجنائي يؤخذ على سبيل الاسترشاد في جرائم العرض ، وللحكم أو القاضي مطلق الحرية في أن يأخذ به أو أن يدعه . ولذلك فبرغم أن المجتمع قد أقر بصدق رواية يوسف الا أنهم حكموا بسجنه برغم الآيات

والدلائل التي تؤكد براءته . لكنه لا يفوتنا أن نؤكد وبحق أن ذلك الحكم كان ظلما بينا لسيدنا يوسف عليه السلام .

هـ ـ وتم سجن يوسف ، ولبث في السجن بضع سنين . وحينما أراد العزيز أن يستخلصه لنفسه أراد يوسف أن يعيد القضية التي سجن من أجلها الى الأذهان ، وأن يبرئ ساحته ويمحو أثر التهمة بالدليل الناصع على براءته فطالب بشهادة النسوة من جديد . وكان اعتراف « زليخة » زوجة العزيز بارادتها هذه المرة أنها هي التي راودت يوسف عن نفسه : (**قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين**) يوسف/ ٥١ .

والدليل الجنائي هنا معنوي وهو اعترافها ، وقد تم بارادة المدعية بعد أن هداها الله الى الصواب . ولقد استعمل القرآن الكريم تعبيرا رائعا حيث أقرت امرأة العزيز بأمرين : الأول بأنها كانت متجنية على يوسف وهي التي راودته عن نفسه (**أنا راودته عن نفسه**) والثاني بأن روايته للحادث كانت صادقة ؛ تأكيدا البراءة يوسف وطهره وعفته .

(٢) (**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ★ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما**) النساء/ ١٥و١٦ .

(**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ★ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ★ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ★ والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ★ ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ★ والخامسة أن لعنة الله عليها ان كان من الصادقين ★ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم**) النور/ ٤ ـ ١٠ .

تفرق الشريعة الاسلامية بين المرأة المتزوجة وغير المتزوجة في تطبيق حد الزنا ؛ فبينما تقرر عقوبة الايذاء وهي تتدرج من التوبيخ حتى الجلد لمن يقترف الفاحشة من غير المتزوجين فانها قد تصل الى حد رجم الأنثى اذا كانت متزوجة والسبب يعود في ذلك الى أهمية المرأة في عملية الانجاب ودورها في المحافظة على عدم اختلاط الانساب . كذلك فانه يمكن محو أثر الجريمة بالزواج ـ كما سبق أن بينا ـ إذا كانت المرأة غير متزوجة أما في حالة المرأة المتزوجة فلا يمكن ذلك .

ومن الناحية الجنائية :

أ ـ فان الدليل الجنائي في جرائم الزنا هو الدليل المعنوي ، ويكون ـ كما سبق أن

أوضحنا ـ بالاعتراف أو بشهادة أربعة شهود رؤية للواقعة . ان طلب أربعة شهود للرؤية في تهمة الزنا هو من المقررات البالغة حد الحكمة فان هذه الجريمة من أشنع الجرائم وثبوتها يجر الى أشد العقوبات ، وأما الاحتياط في اثباتها الى هذا القدر فانه عدل ليس وراءه عدل . فان شهد أربعة شهود على أن الأنثى قد أتت بالفاحشة فتحبس في البيوت حتى الموت أو حتى يجعل الله لها مخلصا ؛ فتتكبد بذلك الحد المترتب على اتيان الفاحشة هذا اذا كانت متزوجة ، أما غير المتزوجين من الرجال والنساء أي الأبكار الذين يأتون الفاحشة فعقابهم يكون بالايذاء الذي يتدرج من التوبيخ والتقريع وقيل بالتغريب والجلد ؛ فان تابوا وأصلحوا ما أفسدوا من عملهم باتيان الفاحشة فيجب الصفح عنهم .

ب ـ ونظرا لأهمية هذه الجريمة في المجتمع الاسلامي فقد قرر القرآن أنه من يرمي محصنة بجريمة الزنا ثم لا يستطيع أن يثبتها بواسطة أربعة شهود رؤية ، فانه يجلد ثمانين جلدة جزاء وفاقا على ما قدمت يداه ، كما لا تقبل له شهادة أبدا وهو خارج عن الدين لأن الجريمة ليست هينة وحدها ليس بسيطا .

ولعل قضية **حديث الافك** التي توضحها آيات سورة النور (١١ ـ ١٩) خير تطبيق عملي على ضرورة تدقيق المسلمين لاتهام المحصنات بغير علم . ان اتهام المحصنات شيء في غاية الخطورة عند الله سبحانه وتعالى ـ وبرغم كل سلبيات حديث الافك الا أنه قد أظهر المنافقين من المسلمين على حقيقتهم وكشف ما يدور بنفوسهم ، ولولا ما حدث لظن المسلمون باخوانهم خيرا . لذلك أنزل الله من آياته ما يبرىء به ساحة عائشة عليها رضوان الله .

جـ ـ لكن الأمر يصبح دقيقا اذا رمى الزوج زوجته باتيان الفاحشة فقد لا يستطيع أن يثبت ذلك بواسطة أربعة شهود رؤية .

لذلك فان تطبيق النص العام ـ والقاضي بوجوب اثبات التهمة بواسطة شهادة أربعة شهود رؤية للواقعة . ـ يستحيل مع ما يجب أن تكون عليه نفس الزوج رضا ومودة لزوجته وثقة فيها . ولا يمكن أن تستقيم الحياة الزوجية في حالة عدم استطاعة اثبات التهمة لذلك فالزوج الذي يقذف زوجته بالزنا عليه أن يشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين في قذفه اياها ، ويقول في الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . وهي تستطيع أن تدفع عن نفسها الحد بأن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، وتقول في الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين . لكل ذلك يحكم عليهما القاضي بالفراق وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **فرق بين المتلاعنين** » .

ثالثا : جرائم المال :

(١) (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون ★ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ★ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ★ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا

لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ★ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ★ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ★ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ★ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) يوسف/ ٧٠ ـ ٧٧ .

(ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين) يوسف/ ٨١ .

استخلص عزيز مصر يوسف الصديق لنفسه ، وجعله أمينا على خزائن مصر . وجاءه اخوته للتبادل التجاري فعرفهم وهم له منكرون . وطلب يوسف من اخوته أن يصطحبوا معهم في المرة القادمة أخاهم بنيامين ، ووافقهم يعقوب على مضض لأنهم لم يحفظوا الأمانة السابقة وهي يوسف عندما كان صبيا . ولما تم التبادل التجاري هذه المرة وجهز يوسف اخوته للسفر ، دبر جريمة سرقة مشربة الملك ووضعها في أمتعة أخيه بنيامين ، وأعلن على الملأ عن فقد مشربة الملك وأن هذه القافلة التي تضم اخوته ـ هم السارقون ـ ودافع الاخوة عن أنفسهم بأنهم لم يجيئوا كي يفسدوا في هذه الأرض وليسوا بسارقين . وكان الفصل في الأمر بتفتيش الأوعية . كذلك فقد اتفق الاخوة مع يوسف على أن يسترق من توجد مشربة الملك في متاعه . وقد كان هذا التدبير الهاما من الله ليوسف . وبدأ بأوعية اخوته وهو يعلم أنها خالية حتى يطمئنهم الى عدالة القضية ، ولكي يكونوا مستعدين نفسيا لتقبل الحكم ثم استخرج المشربة من وعاء بنيامين . وبهذا التدبير استطاع يوسف أ ن يضم اليه أخاه حيث كان جزاء السرقة في قانون العزيز هو الضرب والتقريع فقط .

ولقد تحامل الاخوة على بنيامين بعد أن رأوا بأعينهم صواع الملك في متاعه ، وقالوا انه سارق مثل أخيه . وأخفى يوسف هذه التهمة السيئة في نفسه لأن اخوته أكثر شرا فقد سرقوه من أبيه من قبل والقوه في قعر البئر المظلمة . وتداول الأخوة أمرهم بينهم ، وقال بعضهم لنرجع إلى أبينا فنخبره بأن بنيامين قد سرق . ولقد شهدنا لك عليه اذ رأينا الصواع يستخرج من وعائه ، وبرغم كل مواثيقنا لك فلم نكن نعلم الغيب ، ولم ندر حين أعطيناك الموثق أن أخانا سيسرق أو أنك ستفرط في حبه كما أفرطت في حب يوسف من قبل .

ومن الناحية الجنائية :

فنحن أمام جريمة سرقة . والجريمة تمت على أرض مصر لكن المتهمين ليسوا من أبنائها . ومنذ قديم الزمان أخبرنا القرآن الكريم أن هناك جذورا **للقانون الدولي** فالقانون المطبق على هذه الحالة هو القانون المصري العرفي وكانت العقوبة آنذاك هي الضرب والتوبيخ . لكن الله قد أوحى ليوسف (وهو ممثل لمصر) أن يتفق مع

اخوته (وهم ممثلون لقومهم) على أن يطبق في هذه الحالة ما يعتبر **اتفاقية قانونية جنائية** وهي استرقاق المذنب ، ومن المعروف الآن أن الاتفاقيات القانونية تكون ملزمة لطرفيها ، وهي من الأسس التي بنى عليها القانون الدولي ، وقد تمت إجراءات التفتيش بموافقة الاخوة ، وفي حضورهم ، مما يعني أن القضية قد استوفت الشكل للمحاكمة .

أما الدليل المادي الجنائي هنا فهو مشربة الملك ، ولذلك كان الحكم باسترقاق بنيامين مما يؤكد أهمية الدليل المادي في هذه القضية .

وتجدر الاشارة الى أن ما حدث من تدبيريوسف لاسترقاق أخيه بنيامين ـ برغم كل نواياه الطيبة ـ يشير الى أنه في مقدور أي سلطة سياسية منذ قديم الزمن تدبير جرائم مكتملة الشكل والموضوع لمواجهة مخالفيها أو أعدائها والحكم عليهم . وهو ما يجري الآن في مجتمعنا المعاصر .

كذلك فاننا نلاحظ أنه برغم ثقة اخوة يوسف في أخيهم بنيامين ومعرفتهم التامة بأنه لا يسرق فانهم لم يستطيعوا مواجهة الدليل المادي الجنائي ؛ لذلك جاء تعبير القرآن الكريم في غاية البلاغة (**وما شهدنا الا بما علمنا**) أي أن روايتهم لأبيهم قد بنيت على علمهم ، وأساسه هو رؤيتهم للدليل المادي الجنائي وهو صواع الملك في متاع أخيهم وعليه فلا مجال لأي حديث آخر .

(٢) (**انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ★ واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما**) النساء/ ١٠٥و١٠٦ .

وسبب نزول هذه الآيات أن رجلا يدعى طعمة بن أبيرق سرق درعا من جاره في جراب دقيق . ولكي يبعد الشبهات عنه فقد جعل الدقيق يتسرب من خرق في الجراب حتى انتهى الى دار يهودي فخبأ الدرع والجراب عنده . لكن شكوك صاحب الدرع اتجهت نحو أبيرق فطالبه بدرعه فأنكر . وتتبع صاحب الدرع أثر الدقيق حتى وجدها في بيت اليهودي . فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاءه أهل أبيرق يرجونه أن يجادل عن قريبهم خشية أن يفتضح أمره ببراءة اليهودي ، وهم الرسول أن يفعل ذلك رحمة منه وتطييبا لخاطر أهله ؛ فنزلت به الآيات ناهية الرسول عن ذلك ، حيث تقرر أن الله قد أنزل القرآن الكريم الى الرسول متلبسا بالحق ليحكم بين الناس بما عرفه الله وأوحى به اليه على ألا يكون للخائنين مدافعا أو محاميا . وطلبت الآيات من رسول الله أن يستغفر ربه مما هم به فان الله دائما هو الغفور الرحيم .

ومن الناحية الجنائية :

فنحن أمام جريمة سرقة أيضا المتهم فيها رجل يهودي وجدت الدرع المسروقة بداره . والأدلة المادية الجنائية في هذه القضية هي :

أ ـ جسم الجريمة وهي الدرع مخبأة في جرابها .

ب ـ أثر الدقيق المتسرب من بيت المجني عليه وحتى بيت المتهم .

لكنه تحوم الشبهات أيضا حول الجار الذي شك فيه المجني عليه لأول وهلة حيث كان صاحب مصلحة في هذه السرقة . ونلاحظ على هذه الأدلة الجنائية أنه أريد بها التمويه على الجاني الحقيقي . فلا يعقل أن يترك الجاني أثرا يدل عليه بهذا الوضوح وانما الأثر يكون دون وعي منه ولا قصد ، وعلى ذلك فالشك هنا يتجه أولا الى تزوير الدليل المادي ذاته . لذلك كله لاحظنا أنه برغم وجود الأدلة المادية الجنائية الدامغة على اتهام اليهودي ، فان الفاعل الأصلي وأهله كانوا في خوف ورعب أن يفتضح أمرهم . فان حصافة الرسول الكريم وحكمه العادل لابد وأن تكتشف براءة اليهودي من التهمة . كل ذلك جعلهم يتوجهون الى رسول الله طالبين منه أن يجادل عن قريبهم فهم الرسول بذلك رحمة منه وتطييبا لخاطرهم فنزلت الآيات الكريمة تنهاه عن هذا الفعل فالحق أحق أن يتبع .

(٣) (**يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألأ ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ★ وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم**) البقرة/ ٢٨٢و٢٨٣ .

تختص الآيات السابقة بالأصول القانونية الاسلامية للتداين والتعامل التجاري ، وضرورة كتابة الدين وشروط هذه الكتابة وهو ما يمكننا أن نقول إنه يندرج تحت علم **القانون المدني** ، **القانون التجاري** . لكننا رأينا أن نناقش هذه الأمور هنا ونحاول استنباط الأدلة الجنائية من القرآن الكريم لصلة هذا الموضوع **بالقانون الجنائي** وهذه الصلة هي ما يشكل بعض جرائم المال . وعلى سبيل المثال فان جرائم **تزوير المحررات المالية** ، **وتزييف خطوطها** ، وجرائم **النصب والاحتيال** ، **وجرائم خيانة الأمانة** كلها تتعلق بالمعاملات المالية في القانون المدني .

وتبين الآيات الكريمة أن على المؤمنين اذا ما تداينوا الى موعد مسمى أن يكتبوا هذا الدين ، فان ذلك أوثق وأكثر دفعا للنزاع وليكتب هذه المحررات كاتب عادل لا يجور على أحد الطرفين . وعلى الكاتب الا يمتنع عن الكتابة فان ذلك واجب عليه

لكي ينفع الناس بعلمه كما نفعه الله بتعليمه الكتابة . ان ذلك أشبه بضريبة العلم يؤديها المتعلم لمجتمعه الذي وفر له وسائل التعليم . وعلى المدين أن يملل الكاتب بالحق ، وعليه بمراعاة الله في ألا ينقص من دينه شيئا فان ذلك من تقوى الله . أما اذا كان المدين لا يستطيع أن يملل لقلة عقله أو سفهه أو ضعفه الناتج عن عته أو كبر أو جهل فعلى قيمه أو وكيله أن يملل هو . ويجب أن يشهد على هذه المحررات رجلان أو رجل وامرأتان ممن يوثق في شهاداتهم .

ويبين الله للمؤمنين ضرورة كتابة الديون والحقوق سواء كانت كبيرة أم صغيرة الى أجلها المعلوم فذلك أعدل وأقوم للشهادة وأقرب للثقة وعدم الشك . على أنه في حالة المعاملات التجارية والتي يفترض فيها أن تتميز بالثقة بين المتعاملين وكذلك بالسرعة نتيجة الحرص على الكسب الحلال . فان الشريعة السمحة لم تشترط كتابة الديون الخاصة بها واكتفت بالشهادة . ويجب ألا يضار الشهود أو الكتبة نتيجة كتاباتهم للمحررات أو شهاداتهم بالحقوق فان ذلك من تقوى الله .

هناك حالة أخرى لا يشترط فيها كتابة الدين : وهي حالة السفر . فاذا لم يتوفر الكاتب العادل في السفر فانه يقوم مقام الكتابة ذاتها رهان يعطيها المدين للدائن . فاذا كان الدائن يأمن المدين ولم يأخذ عليه محررا بدينه أو لم يتسلم منه رهانا له فعلى هذا المدين الذي أؤتمن أن يؤدي الأمانة وليخف الله ربه حيث أنه يجب أن تسود الثقة بين أفراد المجتمع المسلم لذلك فان جريمة خيانة الأمانة أكثر عقوبة وأشد ضررا .

وفي جميع الأحوال فان على الشهداء أن يستجيبوا في حالة طلبهم للإدلاء بشهاداتهم ، وألا يمتنعوا عن الشهادة ولا يكتموها فإن كتمانها اثم كبير . وليعلم الجميع أن الله مطلع عليهم يعلم ما يفعلونه .

ومن الناحية الجنائية :

فلسنا هنا أمام جريمة معينة ، لكننا أمام توجيهات للمؤمنين ليتبعوها عند التداين أو الاقتراض . فقد اشترطت الشريعة السمحة ضرورة كتابة الدين صغيرا كان أم كبيرا الى موعده فان في ذلك تسهيلا كبيرا على القاضي والمتقاضين عند التنازع لأن محرر الدين نفسه يصبح موضوع القضية وسندها ، كما يعتبر هو بذاته الدليل المادي اذا صاحب الدين جريمة من التي أوردناها سالفا مثل تزييف المحررات أو تزوير المخطوطات أو جرائم النصب أو خيانة الأمانة . وعلى ذلك فان هناك شروطا معينة يجب أن تتوافر لهذه المحررات حتى يمكن لرجل الأدلة الجنائية أن يكتشف أي لبس فيها ويزيل أي غموض يتعلق بهذه الجرائم . وهذه الشروط التي يجب توافرها في المحرر هي : كتابة قيمة الدين وتاريخ حدوثه وتاريخ الاستحقاق أو السداد وتوقيع المدين وتوقيع شاهدين من الرجال أو رجل وأمرأتين . وقد اشترطت الشريعة كذلك أن تتم كتابة المحررات أمام أو بواسطة كاتب عادل لا ينحاز لأحد الطرفين . ومن المعروف قانونا أن هناك نوعين من المحررات هما :

المحررات الرسمية والمحررات العرفية والأولى هي التي توثق في حضور كاتب حكومي رسمي ؛ ولعل ذلك هو المعنى المتطور الذي تشير اليه الآيات الكريمة بخصوص الكاتب العادل ، وأهمية وجود جهاز للتوثيق وحفظ المحررات في المجتمع الاسلامي حتى يصعب تزويرها أو تزييفها وهي ما يعرف الآن بمكاتب **التوثيق والشهر العقاري** .

وتشترط الآيات في توجيهاتها كذلك أن على المدين اذا لم يكن يعرف الكتابة ـ أن يملل دينه بنفسه للكاتب العادل ، ويعني ذلك اعترافه بقيمة الدين الذي عليه . أما اذا كان يعرف الكتابة فمن المنطقي أن يكتب المحرر بنفسه . ولقد أثبت العلم الحديث أن لكل انسان طريقة معينة في الكتابة يتعلمها ويتعود عليها منذ طفولته ولا يستطيع مهما أوتي من دقة وحذر أن يغيرها كلية تماما بل ذهب العلم أيضا الى المقولة بأنه بالامكان دراسة نفسية وسيكلوجية أي انسان من خطه وطريقة كتابته . وفي مجال الأدلة الجنائية فان أي محاولة لتقليد خط أي انسان لا بد وأن تبوء بالفشل ، وهي أيضا لا بد وأن تكتشف بواسطة خبير التزييف والتزوير الذي يستعمل أجهزة علمية متخصصة تمكنه من ذلك . كما يحاول هذا الخبير **استكتاب** الشخص من جديد ويقارن بين خطوطه . وبالقطع فان هذا العمل ليس هينا بل يحتاج لخبرة تامة حيث أن الكتابة في الظروف الطبيعية تختلف عنها في حالات الاستكتاب .

ولقد رأت الشريعة الغراء أنه لتأكيد الدليل المادي وتعضيده أن يشهد عملية الكتابة شاهدان من الرجال أو رجل وامرأتان ، وهو ما يعني في الوقت الحاضر توقيع الشهود على المحررات . ويبدو هذا الأمر مفيدا للغاية في حالة المحررات العرفية وهي غير المكتوبة أمام كاتب عادل فان وجود الشهود يرفع هذه المحررات الى مرتبة تقارب مرتبة المحررات الرسمية . على أن الشريعة السمحة رأت إمكان عدم كتابة الدين في حالتين :

أ ـ الأولى في حالة المعاملات التجارية التي تتميز بالسرعة والسهولة والثقة فيجوز ألا يكتب الدين ويكفي الاشهاد في هذه الحالة ، وهذا يعني العودة ثانية الى الدليل المعنوي . وتجدر الاشارة هنا الى التعبير البليغ الذي استعمله القرآن الكريم وأعطى به للمعاملات التجارية صفتين لازمتين للتجارة وهما السرعة أو الحضور ودورة رأس المال (**الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم**) وهما ما يستفيض الاقتصاديون في شرحهما هذه الأيام . لكل ذلك كان الاشهاد ؛ لكنه لما كان من غير المعقول الاشهاد على كل معاملة تجارية في الوقت الحاضر نتيجة لتطور الحياة وتعقيدها . فان ذلك استبدل بضرورة كتابة هذه الديون في السجلات التجارية . وقد اشترط القانون للأخذ بها ضرورة تنظيمها واستعمالها بطريقة معينة . وهذا يعني ـ من وجهة نظر علم الأدلة الجنائية ـ العودة الى الدليل المادي مرة أخرى .

ب ـ الثانية في حالة السفر ، فان لم يتمكن المتداينان من ايجاد كاتب عادل لكتابة

محرر الدين فانه يجوز أن يسلم المدين الى الدائن رهانا تقوم مقام المحرر وتسترد عند سداد الدين ، وهي هنا تقوم مقام الدليل المادي نفسه - ويجوز أيضا في حالة السفر الا يسلم المدين الى الدائن محررا بالدين أو رهانا يقابله اذا أئتمن الدائن مدينه . لكن على المدين أن يؤدي الأمانة ، وأن يرد الدين الى صاحبه . فقد اتبع القرآن الكريم عدم رد الأمانة بقوله ((**فانه آثم قلبه**) وهو نفس التعبير الذي استعمله في مواضع أخرى مقترنا بالكفر ذاته . لذلك فقد شدد المشرع عقوبة خيانة الأمانة لأن فيها هدما للثقة بين الناس وإشاعة لروح عدم الاستقرار والمودة . ولم تشترط الشريعة الاسلامية أن تكون قيمة الرهان مساوية للدين وهو ما يعني استخدام الرهان كدليل مادي عند التنازع .

البحث العلمي الجنائي في القرآن الكريم :

أوضحنا في بداية هذا البحث أن الأدلة الجنائية هي كل ما يتركه المتهم في مسرح الجريمة من أثر يدل عليه . أو ما يأخذه هذا المتهم من مسرح الجريمة من أثر يكشف عن وجوده فيه ساعة الحادث . كما بينا أن هذه الأدلة لا تقع تحت حصر فمن الممكن أن تشتمل على بصمات الأصابع وبقع الدماء والطلقات النارية وآثار الطعام وغيرها . وقلنا ان علم الأدلة الجنائية يعتمد على العلوم الطبيعية في الكشف عن الجرائم . ويرجع الفضل في الاستعانة بالأساليب العلمية في فحص آثار الجرائم الى العديد من العلماء الذين توجهوا الى مجال العلوم الطبيعية ليأخذوا منها نظرياتها وطرقها وأجهزتها ، ويطوروا هذه الطرق والأجهزة بما يناسب أغراض البحوث الجنائية حتى اتضحت معالم علم جديد أطلق عليه **الشرطة العلمية** أو **البحث العلمي الجنائي** أو **العلوم الشرعية** .

والبحث العلمي الجنائي هو العلم الذي يطبق العلوم الطبيعية في البحوث المتعلقة بكشف الجريمة . ويعتبر « هانز جروس » هو المؤسس الحقيقي لهذا العلم لأنه أعطاه الدفعة الأولى ثم أسهم بعده في تطويره واتساع مجاله وفروعه آخرون منهم « لاكاساني » ، و« سيدني شميت » و« سالزبوري » وغيرهم .

وسوف نحاول أن نستخرج من القرآن الكريم بعض الأصول الخاصة بهذا العلم . على أننا ننوه - بادىء ذي بدء - أن كثيرا قد سبقونا في التعرض لواحد من هذه الأصول في القرآن الكريم وهو فردية البصمات لكن تناولهم ظل محصورا في نطاق العمومية فقط . لذلك نرى أنه مما يفيد أن ندلي بدلونا في هذا الموضوع اضافة الى موضوعات أخرى .

أولا : **تحقيق الشخصية** :

(١) - (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ★ بلى قادرين على أن نسوي بنانه**)القيامة /٣ و ٤ .

(٢) ـ (**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**) يس / ٦٥ .
(٣) ـ (**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون**)فصلت/ ٢١ .

كذب المشركون رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأنكروا حقيقة البعث ويوم الحساب . وتساءلوا كيف يمكن أن يبعث الله البشر من جديد ، وكيف يمكن أن تكون الحياة بعد الفناء والعدم . وقد كان رد المولى عز وجل شافيا لأنه قادر على كل شيء ، خلق السموات والأرض بالحق وبدأ خلق الانسان من طين . ومن كان قادرا على الخلق الأول فهو ولا شك قادر سبحانه على بعث الناس من جديد . ونزلت الآيات الكريمة من سورة القيامة تبين قدرة المولى عز وجل على جمع العظام بعدما تفرقت في الأرض بل وقادر على أن يعيد الأحياء يوم القيامة بذاتها وبجميع مواصفاتها وأشكالها حتى تسوية أطراف البنان مرة أخرى . تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

ويوم الحساب يهلك كل شيء ، ولا يبقى للانسان الا صالح عمله ، ويفر من حوله ذووه وأقاربه حتى زوجته وأبناؤه . وتشهد عليه حواسه بما اقترفه من آثام ومنكرات . وتبين سورة يس أن الله يخرس الألسنة يوم القيامة وتتكلم الأيدي والأرجل بما كسبت أيدي الناس من سوء وشر . ويؤكد سبحانه وتعالى نفس المعنى في سورة فصلت بأن جلود الناس سوف تكون شاهدة عليهم حيث ينطقها الله الذي أنطق كل شيء سبحانه جل شأنه له الأمر من قبل ومن بعد .

أما من وجهة نظر البحث العلمي الجنائي فاننا نرى :

أ ـ أن الجسم البشري يتكون بصفة عامة من أنسجة رخوة هي اللحم وأنسجة أخرى صلبة . وقد أختار الله سبحانه وتعالى للتدليل على قدرته مثلا لكل نسيج وهما البنان والعظام . ونرى أن اختيار هذين المثلين لم يكن عشوائيا ولا عبثا ، بل كان الاختيار لشيء أعمق وأعظم . إن البنان والعظام بجمعها صفة واحدة ألا وهي الثبات والدوام وعدم التغيير .

ب ـ أن المولى عز وجل استخدم تعبير تسوية البنان عند الدلالة على القدرة على بعث الناس من جديد يوم القيامة . إشارة إلى دقة الخلق وصعوبته ، وحاشالله أن يأتي أحد بمثل ما خلق وسوى . فالامر ليس هينا أو بسيطا بل هو في غاية التعقيد . ومن كان قادرا أن يأتي بالأمر الصعب فهو قادر على أن يأتي بالأمر الأسهل . والتسوية هنا لها صفتان هما الخلق على فترة زمنية ممتدة كدليل على دقة الخلق والابداع ، كذلك فانها تكون عند الدلالة على التمايز في الخلق . يقول المولى في كتابه العزيز : (**ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها**) الشمس/ ٧ و ٨ . لأن طبائع الناس مختلفة ، وعليه تتباين تصرفاتهم وأنماط سلوكهم . لذلك كله يقال إن الخلق والتسوية للمتمايز . أما الصنعة فانها تكون للمتماثل .

ـ أن الله سبحانه وتعالى سوف يختم على الأفواه ويخرس الألسنة يوم القيامة .

ولقد استعمل القرآن الكريم تعبيرا رائعا ودقيقا هو الكلام للأيدي . ولسنا نرى - كما ذهب بعض المفسرين - أن الكلام يكون بالصوت المسموع ، لكننا نرى أن الكلام يكون بوسيلة أو بصفة واضحة بينة لا لبس فيها ولا غموض لهذه الأيدي والأرجل ، وهي ما يعرف الآن بالبصمات . وكما يمكن تمييز الأشخاص من أصواتهم ولغاتهم فإنه يمكن تمييزهم من بصماتهم . وهذه الوسيلة أو الصفة هي لغة كاملة فيها من التعبير الدقيق القادر ، الكفاية تماما لتمييز الذوات عن غيرها . وهذا لا يتأتى الا بفرديتها المطلقة وتنوعها اللامحدود .

د - أما في سورة فصلت فقد استخدم القرآن الكريم تعبيرا بديعا وهو النطق للجلد ، وهو تأكيد للمعنى السابق ، ولا يكون النطق مسموعا بل يكون بصفة أكثر ثباتا وجلاء . والجلد يكسو الجسم كله وبالتالي فهو يكسو الأصابع والبنان أي أن صفة ما في جلد بنان الأيدي والأرجل لها صفة الفردية والتمايز والوضوح والثبات ؛ ألا وهي البصمات .

من كل ذلك نقول إن الله جلت قدرته قد خص كل فرد من عباده على ضخامة عددهم وتباين أجناسهم واختلاف نحلهم بميزة خلقية من أدق عمليات الخلق ، لا تتكرر أبدا في فردين بنفس الشكل حتى ولو كانا توأمين تم تخليقهما من بويضة واحدة أو في أصبعين لشخص واحد . تلك هي بصمة البنان التي سواها الله سبحانه وتعالى بشكل خطوط حلمية بارزة بينها أخاديد غائرة ، وتمتد هذه الخطوط وتتنوع وتنثني وتلتف وتتوازى أحيانا وتتقابل في أحيان أخرى في نظام هندسي بارع ومبهر يبدأ في التكوين في الشهر الثالث أو الرابع من عمر الجنين متزامنا مع وقت تكوين العظام . ثم يظل هذا الشكل الهندسي المعقد ثابتا لا تتغير تفاصيله ، وخطوطه ونظامه مدى الحياة والى ما بعد الوفاة بفترة غير قصيرة . ولقد أثبت العلم الحديث أن البصمات لا تتأثر بالوراثة أو الجنس أو الأصل ، وتختلف في كل فرد عن الآخر .

وبذلك جعل الخالق من بصمة الأصبع أحسم الأدلة المادية على إثبات شخصية الفرد وتميزه تمييزا قاطعا عن كل شخص آخر عداه . وعندما تأكدت بحوث ودراسات العلم الحديث من فردية البصمة واستحالة تكرارها بنفس النظام في أصابع شخصين اتخذتها الدول كعامل أساسي ووحيد في تحقيق شخصية الأفراد ، وبذلك حلت هذه الطريقة محل جميع الطرق الأخرى القاصرة على صورة الشخص الفوتوغرافية ومقاساته الجسدية وعلاماته البدنية المميزة .

وكذلك فقد استفاد البحث العلمي الجنائي من هذه الحقائق الثابتة . وذلك في التعرف على صاحب البصمات المرفوعة من مسرح الجريمة إذا ما تطابقت بصمات المشتبه فيهم أو بصمات شخص ذي سجل جنائي .

على أننا يجب أن نؤكد من جديد أن ما قلناه بخصوص البصمات ليس دليلا على صحة القرآن الكريم ، لكنه دليل على أن ما وصل اليه العلم الحديث على يد السير « وليم هرشل » عام ١٨٥٨ - أول من اكتشف هذه المعجزة الالهية وبين أهميتها في

تحقيق شخصية الانسان فجذب هذا الاكتشاف الفذ انتباه العلماء في كافة دول الأرض - كان يمكن أن يصل اليه علماء المسلمين بقراءة أكثر دقة لآيات القرآن الكريم ، وتفسيرا أكثر نضجا وتطورا لهذه الآيات الجامعة الخالدة .

ثانيا : صحائف السوابق :

(يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) الاسراء/ ٧١ و ٧٢ .

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كثير من محكم آيات كتابه العزيز بحتمية يوم البعث والحساب . يوم يعرض البشر على الرحمن صفا ، ويذهب عن الانسان كل ما كسبت يداه الا عمله الصالح وعمله السيىء كل قد حفظ في كتاب مسطور . ومن أوتي كتابه بيمينه فهو من أهل الجنة وحسنت مستقرا ومقاما . وأما من أوتى كتابه بشماله فسوف يصلى سعيرا وساءت مصيرا .

وتؤكد آيات سورة الاسراء نفس المعنى السابق ؛ ففي يوم النشور يدعو المولى جلت قدرته كل قوم بامامهم الذي ارتضوه إماما أو دينهم أو زعيمهم أو يدعوهم بكتاب أعمالهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم فرحين بما فيه مستبشرين بحكم ربهم ولا يظلمون شيئا قليلا . ومن كان في الدنيا أعمى القلب فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

ومن ناحية البحث العلمي الجنائي :

فاننا نرى أن الانسان قد استوحى فكرة صحائف السوابق أو حسن السير والسلوك بقصد أو دونما قصد من الآيات السابقة ومثيلاتها . ففي هذه الصحائف يدون للانسان ما قد أتاه من نشاط إجرامي (صحيفة السوابق) ، أو يظل كتابه ناصعا لا غبار عليه (حسن السير والسلوك) . ومما يؤكد هذا الاستنتاج ما يلى :

أ - أن القرآن الكريم قد أخبرنا بحمل الانسان لهذه الكتب في ساحة المحكمة الالهية ساعة الحساب في يوم البعث والنشور . أما في الحياة الدنيا فان الانسان قد ابتكر هذه الصحائف للالمام بماضي الأفراد الاجرامي ولحماية المجتمع السليم من أعضائه غير الصالحين . خصوصا مع ازدياد عدد أفراد المجتمع ، وتعقد سبل الحياة فيه . وكذلك استخدام هذه الصحائف عند التقاضي .

ب - أننا قد اخذنا هذه الآيات بالذات لأننا نرى أن فيها ربطا بين استخدام هذه الصحائف في الحياة الدنيا ووجودها يوم الحساب (**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**) . إن استخدام القرآن الكريم لتعبير العمى للدلالة على ارتكاب الفاحشة والمعصية والجرم يعني بقاء هذا الخطأ كنقطة سوداء في الحياة الدنيا لأي فرد يعاقبه المجتمع السليم عليها . وهو في الآخرة نقطة سوداء

كذلك لكن الجزاء هناك يكون أكثر ردعا حيث أتبع العمى بالضلال . « والعمى » المجازي في هذه الآيات له صفة الدوام من الناحية الجنائية لأنه لا يسقط العقاب عليه في الدنيا ، بل يبقى كذلك في الآخرة إلا ما شاء ربك حيث يمكن أن يمحي الاثم بالتوبة الصالحة . ونحن نرى أن صفة الدوام للتذكير والمحاسبة على هذه الأخطاء تكون بتسجيلها في الصحائف التي سبق الاشارة إليها .

هذا وقد أثبتت صحائف السوابق أهمية قصوى في مجال البحث العلمي الجنائي حيث تشتمل هذه الصحائف على بصمات المجرمين بما يمكن خبراء الأدلة الجنائية من مضاهاة أية البصمات يمكن أن تكون في مسرح الجريمة بتلك المحفوظة لدى أجهزة الأمن ، حيث تتجه الشبهات أولا لمن لهم سوابق اجرامية خصوصا في حالة عدم معرفة الفاعل الحقيقي للجريمة . كما أثبتت هذه الصحائف كذلك أهمية بالغة لدى القضاء حيث تشدد العقوبة على من أتاها سابقا ، لأن ذلك يعني تشبث المجرم وتصميمه على تكرار جريمته . وهذا ما يعرف قانونا بجرائم العود .

ثالثا : طرق الاستدلال :

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون)فصلت/ ٢١ .

يحدثنا القرآن الكريم عن اليوم المشهود ، يوم البعث والحساب ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا . ويوم القيامة يشهد على الناس سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يقترفون من الآثام والمنكرات في حياتهم الدنيا ، وتعجب الناس فكيف تشهد عليهم جلودهم وهي أجزاء منهم وسوف تألم بالعذاب معهم . لقد أنطقها الله الذي أنطق كل شيء ، وهو الذي خلق الناس ابتداء من لا شيء واليه يرجعون للحساب فلم العجب والدهشة اذن . ولقد نسى الناس أن يستتروا عند ارتكاب الفواحش حتى عن أعضائهم ظنا أنها لا تشهد عليهم ، وتوهما أن الله لا يعلم كثيرا مما يقترفون من آثام وخاب ظنهم .

ومن ناحية البحث العلمي الجنائي :

أ ـ فلقد قلنا فيما سبق أن هذه الآيات وردت لتبين ما سوف يحدث يوم القيامة أي يوم المحاكمة الالهية للبشر حيث يشهدعليهمسمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وانه يمكن ان نستوحي من هذه الآيات فكرة استخدام آثار السمع والأبصار والجلود كاثار تخدم العدالة وترشد عن المجرمين عند التقاضي .

ب ـ أنه من المعروف ان للانسان حواسا خمسا هي السمع والبصر واللمس والشم والتذوق لكن القرآن الكريم أورد ثلاثة فقط هي السمع والبصر واللمس ونرى أن ذلك لم يكن عبثاً بل ان ذلك راجع الى أهمية هذه الحواس الثلاثة في الشهادة يوم الحساب عن الحواس الأخرى . وكذلك ـ من وجهة نظر البحث الجنائي ـ فان هذه الحواس الثلاث فقط يمكن أن تترك أثارا تدل على فاعلي الجرائم ؛ أما الشم والتذوق فانها لا تترك آثارا .

جـ أنه كما سبق أن بينا فان المقصود بالشهادة من ترك اثر مادي كدليل على اتيان الفاحشة والجرم وليس المقصود كما ذهب بعض المفسرين أنها الشهادة الصوتية المسموعة أو المنطوقة . ولقد اوضحنا عند الحديث على بصمات الاصابع كيف أن بصمة الاصبع تعتبر لغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وكيف أن فردية البصمة كأعجاز الهي أصبحت أساسا لتحقيق شخصية الأفراد وعاملا هاما في التعرف على المجرمين وتمييزهم .

د ـ أن المقصود بآثار السمع والبصر ليست الاعضاء ذاتها وانما كل ما يدل عليها ، وعليه فالتسجيل الصوتي مثلا أو الصورة أو المخطوط المقروء أو أية آثار أخرى يمكن أن تترك في مسرح الجريمة ، تعتبر كلها أدلة جنائية يمكن الاعتماد عليها في مجال علم البحث العلمي الجنائي ، وعليه فهي لا تقع تحت حصر .

هـ ـ أن ترك أية أثار للسمع والبصر في مسرح الجريمة بالاضافة الى البصمات ، أو أخذ أي شيء من مسرح الجريمة يدل على المجرم ،هي ما نعرفه اليوم بنظرية تبادل الأثر ، التي أشرنا اليها في بداية البحث . وهي ذات أهمية قصوى بل وعماد علم البحث العلمي الجنائي كله .

و ـ أنه يمكننا أن نؤكد الاشارة الى نظرية تبادل الأثر من القرآن الكريم ، وكذلك الاشارة الى التعبير الشائع : أنه لا توجد جريمة كاملة ، وأن المجرم لابد تارك في مسرح الجريمة شيئا يدل عليه حينما نفهم بعمق قوله تعالى : (**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم**) وهو تهكم من الله سبحانه وتعالى يعني استحالة الا يشهد على المجرم سمعه وبصره لأنها أجزاء منه ، وهذا يعني بالضرورة تركه لأية آثار يمكن أن تدل عليه في مكان الجريمة .

وبعد :

فليس المقصود ـ كما سبق أن أوضحنا ـ أن استنباط أصول علم من علوم الدنيا من القرآن الكريم اثبات على صحة الكتاب السماوي . حاشالله ، بل هي إشارات تنبه المسلمين فقط الى ضرورة تدبر آيات القرآن والاجتهاد المستمر في فهم ما خفي من معانيه فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر إنها دعوة اسلامية شاملة تواكب وتنمو ولا تتخلف عن ركب الحضارة . وهي من جهة أخرى إثبات عملي على أنه لا تعارض بين القرآن الكريم ومن ثم الشريعة الاسلامية وبين التطور أو الحضارة في العصر الحديث بأي شكل من أشكالها أو أي علم من علومها . وأن أي حديث يعكس ذلك أنما هو محض افتراء .

مائدة القارئ

دعاء

اللهم اغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك ، واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك ، وأدم لنا لزوم الطريق اليك ، وهب لنا نورا نهتدي به اليك ، واسلك بنا سبيل أهل مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا عن سبيلك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، وأيقظنا من غفلاتنا ، وألهمنا رشدنا ، وحقق في كرمك قصدنا ، واسترنا في دنيانا وآخرتنا ، واحشرنا في زمرة المتقين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

نصرة المظلوم

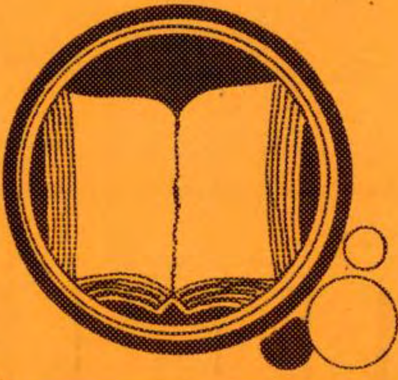
يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم ينصره » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس والطبراني عن أبي الدرداء .

اموات

قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة : ما تقول في موت الوالد ؟
قال : ملك حادث .
قال : فموت الزوج ؟ قال : عرس جديد .
قال : فموت الأخ ؟ قال : قصر الجناح .
قال : فموت الولد ؟ قال : صدع في الفؤاد .

قالوا في الاسلام

سئل وليم موير عن سر إعجابه بدين الاسلام فقال : « ان عظمة الاسلام تتجلى في أنه دين اليسر والانجاز » وسئل مارماريوك بيكثار ، ما الدليل على صدق الدين الاسلامي فقال : « ان الدليل على أن هذا الدين هو الحق ، ان اتباع محمد لاقوا كثيرا من أصناف الاضطهاد والتعذيب ومع ذلك لم يزدادوا الا قوة يقين بدينهم ، وكانوا يزيدون ولا ينقصون » .



وصية

عندما حضرت الوفاة سيدنا أبا بكر رضى الله عنه دعا ابنته أم المؤمنين عائشة وقال لها : « يا عائشة لقد ولينا أمر المسلمين فما استبقينا لأنفسنا من مالهم شيئا ، لقد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وما بقي عندنا من مال المسلمين الا هذا البعير الناضح ، وهذا الخادم وهذه القطيفة الجرداء فإذا مت فابعثي بها الى عمر فإني لا أحب أن ألقى الله بشيء من مال المسلمين » .

مات دينارك في النفاس

حكى أشعب قال : جاءتني جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك . فجعلته بين ثني الفراش ، فجاءت بعد أيام ، وقالت : يا أبي أين الدينار ؟ فقلت ارفعي فراشي وخذي ولده ، فانه قد ولد ، وكنت قد تركت جنبه درهما ، فأخذت الجارية الدرهم ، وتركت الدينار . ثم عادت بعد أيام ، فوجدت معه درهما آخر ، فأخذته ، وفي الثالثة كذلك ، وجاءت في المرة الرابعة فرأيتها تبكي فقلت ما يبكيك ؟ فقالت : لم أجد الدينار . فقلت : مات دينارك في النفاس . فقالت : ويحك ، وكيف يكون للدينار نفاس ، قلت : يا هذه تصدقينني بالولادة ولا تصدقينني بالنفاس !!

كلمات مضيئة

- أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم .
- قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع .
- الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فغمتهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء فغرتهم وأبعدتهم عن الله .

أحكام النقود

بين يدي البحث

الحمد لله تعالى حمدا كثيرا ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل الكرام وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته .
اما بعد :

فعندما كتبت بحثي السابق عن الصرف وبيع العملات ، أشرت الى الرأي المسجل على (شريط كاسيت) ولم أشأ أن أذكر اسم صاحب الرأي ، غير أنني أشرت الى فضله وأثره الطيب فيمن استمع الى خطبه ومواعظه . وكنت أتوقع أن يغير صاحب الرأي رأيه ، وأن يأخذ بفتاوي المؤتمرات الاسلامية المعاصرة ، وعلى

باقية

للدكتور/علي أحمد السالوس

الأخص بعد أن بينت خطأ الأساس الذي انبنت عليه فتواه . الا أن مجلة الوعي الاسلامي نشرت في عددها رقم ١٩٦ الصادر في ربيع الثاني ١٤٠١ هجرية بحثا لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن محمد أيوب عنوانه « رد على مقال الصرف وبيع العملات » ، وذكر في بحثه أنه صاحب الفتوى التي أشرت اليها .

وقرأت رد فضيلة الشيخ ، فلم أسترح للمنهج الذي سلكه ، وعجبت للنتيجة التي انتهى إليها .

وقد رأيت أن الصواب خلاف ما ذهب إليه ، فكان لزاما علي أن أكتب في الموضوع مرة أخرى ، سائلا الله جلت قدرته أن يهدينا جميعا الى الحق ، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل .

وسأبدأ بالنتيجة التي انتهى إليها ثم اعود لمناقشة رده من البداية ، والله المستعان .

هل جميع الأئمة مع رأي الشيخ ؟

يقول فضيلة الشيخ في ختام بحثه :

« وأما قرار مجمع البحوث الاسلامية فهو قرار جماعة وليس اجماعا ، وتوجد جماعة أخرى تقول غير ما يقول كما ذكر صاحب كتاب مجموعة الرسائل ، وليس قول جماعة حجة على جماعة أخرى ، والكتاب والسنة هما مرجع الجميع ، ونحن لم نخالف نصا من النصوص ولا اجماعا من اجماع المسلمين ولله الحمد ، بل معي في رأيي أكثر الأئمة بما يشبه الاجماع ، فمعي الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية ، وليس مع المجمع نص ولا اجماع ولا قياس معتبر . » هذا ما جاء في نهاية البحث ، وأرجو فضيلة الشيخ أن يقرأ معي ما جاء في باب « التأخير في صرف الفلوس » ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦جـ ٣ من المدونة الكبرى لامام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه وأرضاه . وأنقل ما جاء في المدونة بالنص :

« (قلت) أرأيت ان اشتريت فلوسا بدرهم فافترقنا قبل أن يقبض كل واحد منا (قال) لا يصلح هذا في قول مالك ، وهذا فاسد قال لي مالك في الفلوس لا خير فيها نظرة بالذهب ولا بالورق ، ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة (قلت) أرأيت ان اشتريت خاتم فضة أو خاتم ذهب أو تبر ذهب بفلوس فافترقنا قبل أن نتقابض أيجوز هذا في قول مالك (قال) لا يجوز هذا في قول مالك ، لأن مالكا قال : لا يجوز فلس بفلسين ولا تجوز الفلوس بالذهب والفضة ولا بالدنانير نظرة (ابن وهب) عن يونس بن يزيد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال : الفلوس بالفلوس بينهما فضل فهو لا يصلح في عاجل بأجل ولا عاجل بعاجل ولا يصلح بعض ذلك ببعض الا هاء وهات (ابن وهب) قال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد وربيعة أنهما كرها الفلوس بالفلوس بينهما فضل أو نظرة وقالا : انها صارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم (ابن وهب) عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر قال :

وشيوخنا كلهم أنهم كانوا يكرهون صرف الفلوس بالدنانير والدراهم الا يدا بيد (قال ابن وهب) قال يحيى بن أيوب قال يحيى بن سعيد اذا صرفت درهما فلوسا فلا تفارقه حتى تأخذها كلها » .

هذا ما جاء في المدونة الكبرى .

وجاء في شرح فتح القدير للكمال بن الهمام وهو في الفقه الحنفي ص ١٦٢ من المجلد السادس (طبعة دار احياء التراث العربي ببيروت) :

« لا يجوز أن يبيع فلسا بغير عينه بفلسين بغير أعيانهما لأن الفلوس الرائجة

أمثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على سقوط قيمة الجودة منها فيكون أحدهما فضلا خاليا مشروطا في العقد وهو **الربا** » .

(وأقول للتوضيح : اذا اشتريت شيئا بدينار كويتي فليس المقصود دينارا بعينه ، وانما يراد أي دينار كويتي ، فلا فرق بين دينار ودينار آخر . فقوله « فلسا بغير عينه » معناه أي فلس من العملة المتداولة بين الناس ، وهي الفلوس الرائجة دون تعيين للفلس . فأي فلس يقوم مقام غيره ، وسيأتي ان شاء الله بيان لمذهب الحنفية في الفلوس) .

وجاء في ص ٢٧٨ من المجلد نفسه :

« لو باع فلسا بغير عينه بفلسين بأعيانهما لا يجوز ، لأن الفلوس الرائجة أمثال متساوية وضعا لاصطلاح الناس على سقوط قيمة الجودة فيكون ربا » ؟ . هذا بعض ما جاء في الفقه الحنفي ، .

وجاء أيضا في الفتاوي الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية (وهو حنبلي المذهب)جـ ٢٩ ص ٤٦٨ :

« صرف الفلوس النافقة بالدراهم هل يشترط فيها الحلول ؟ أم يجوز فيها النساء ؟ على قولين مشهورين هما قولان في مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل : أحدهما وهو منصوص أحمد وقول مالك واحدى الروايتين عن أبي حنيفة أنه لا يجوز .. »

وقال في ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ من الجزء المذكور بعد أن بين أن الأظهر في العلة هو الثمنية :

« والتعليل بالثمنية تعليل بوصف مناسب ، فان المقصود من الأثمان أن تكون معيارا للأموال يتوسل بها الى معرفة مقادير الأموال ، ولا يقصد الانتفاع بعينها ، فمتى بيع بعضها ببعض الى أجل ، قصد بها التجارة التي تناقض مقصود الثمنية ، واشتراط الحلول والتقابض فيها هو تكميل لمقصودها من التوسل بها الى تحصيل المطالب ، فان ذلك انما يحصل بقبضها لا بثبوتها في الذمة مع أنها ثمن طرفين ، فنهى الشارع أن يباع ثمن بثمن الى أجل ، فاذا صارت الفلوس أثمانا صار فيها المعنى ، فلا يباع ثمن بثمن الى أجل » .

وقال ابن القيم في اعلام الموقعين (جـ٢ ص ١٣٢) (وهو حنبلي المذهب أيضا) :

« وأما الدراهم والدنانير فقالت طائفة العلة فيهما كونهما موزونين ، وهذا مذهب أحمد في احدى الروايتين عنه ، ومذهب أبي حنيفة وطائفة قالت : العلة فيهما الثمنية ، وهذا قول الشافعي ومالك وأحمد في الرواية الأخرى ، وهذا هو الصحيح بل الصواب » .

ثم قال : « وحاجة الناس الى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة ، وذلك لا يمكن الا بسعر تعرف به القيمة ، وذلك لا يكون الا بثمن تقوم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره ، اذ يصير سلعة يرتفع وينخفض ،

فتفسد معاملات الناس ويقع الخلف ويشتد الضرر ، كما رأيت من فساد معاملاتهم ، والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح ، فعم الضرر وحصل الظلم ، ولو جعلت ثمنا واحدا لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الأشياء ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس » .

من هذا كله نرى أن من غير الصحيح ما قاله الشيخ حسن بأن معه المذاهب الأربعة . والقول بأن قرار المجمع قرار جماعة وليس اجماعا قول صحيح ، ولكن ليست جماعة كأي جماعة أخرى ، فالفتاوي التي تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية تمثل اجماع السادة كبار علماء المسلمين الذين اختيروا من جميع البلاد الاسلامية فان قرارات مجمع البحوث الاسلامية لا تصدر الا اذا اتفق جميع الحاضرين فان خالف عالم واحد فان الفتوى لا تصدر مما يبين قيمة الفتاوى التي يصدرها المجمع وهذا الاجتهاد الجماعي له وزنه وتقديره عند جميع المسلمين في بقاع الأرض الا من شذ برأيه ، ولا يوجد أي مؤتمر اسلامي عقد في عصرنا وبحث الأوراق النقدية الا خرج بالنتيجة التي رفضها الشيخ حسن ، فاذا انضم لرأيه فرد أو أفراد قلائل ممن يتجرأ على الفتوى فقولهم ليس بحجة ، ولا نعذر أمام الله تعالى اذا تركنا فتوى جماعية للمئات أو الآلاف من كبار العلماء ومجتهدي العصر ، وأخذنا برأي فرد أو أفراد .

وقول الشيخ حسن ينقضه ما نقلته من قبل وأقول لفضيلته : ان قرارات المجمع لا تصدر الا في ضوء الأدلة ، أما رأيك فيما أرى والله أعلم فلا يسنده كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس معتبر . وفيه تعطيل لكتاب الله العزيز ، ولنستمع الى قول الله تعالى :

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة/ ٣٤و٣٥ . .

الناس الذين يكنزون الآن انما يكنزون الأوراق النقدية وليس الذهب والفضة وكلمتا « يحمى » « فتكوى » تتناسبان مع الذهب والفضة لا مع الأوراق النقدية ، فان لم نقل بالعلة وبأن ما ينطبق على الذهب والفضة ينطبق على نقود العصر الحديث عطلنا كتاب الله تعالى وأوقفنا العمل به وهدمنا مقاصده .

ورأيك فيه تعطيل لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرسول حدد نصاب زكاة النقود بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية وبين أحكام الصرف بالنسبة لتلك العملة التي كانت في عصره ، فعرفنا ما هو حلال وما يعتبر ربا في الصرف ، فان لم نقل أيضا بالعلة وبأن ما ينطبق على العملة السابقة ينطبق على النقود التي نتعامل بها أصبحنا في عصر تنتهي فيه زكاة النقود (وفرق بين هذه الزكاة وزكاة عروض التجارة لأن النقود قد تدخر ولا تستخدم في تجارة ويكفي شرطا الحول والنصاب لوجوب الزكاة) .

وكذلك أصبحنا في عصر يستحل فيه الربا ، فما دام الشيخ حسن يرى أن الأوراق النقدية ليست من الأموال الربوية فما يضر المرابي أن يعطي ألف دينار اليوم بألف ومائة بعد مدة لا على أنه قرض جر نفعا وانما بيع وشراء ، فهو بيع مؤجل أو سلم .

والقول بالعلة في الزكاة وعدم القول بها هي نفسها في الصرف تناقض بين وليس هذا من العلم في شيء . وعرضت لهذه المسألة في بحثي السابق فلم يشر اليها في رده الطويل مع أنها في جوهر الموضوع ولبه .

وأراني مضطرا هنا للدخول في أصول الفقه - بقدر - لبيان بعض القواعد الأصولية اللغوية ، وأترك لأستاذنا الجليل المرحوم عبد الوهاب خلاف هذا البيان :

تحدث رحمه الله عن هذه القواعد ، وبين في القاعدة الأولى الطرق الأربعة من مدلولات النص وهي : عبارته واشارته ودلالته واقتضاؤه .

ومما قاله في دلالة النص :

« المراد بما يفهم من دلالة النص المعنى الذي يفهم من روحه ومعقوله ، فاذا كان النص تدل عبارته على حكم في واقعة لعلة بنى عليها هذا الحكم ، ووجدت واقعة أخرى تساوي هذه الواقعة في علة الحكم أو هي أولى منها ، وهذه المساواة أو الأولوية تتبادر الى الفهم بمجرد فهم اللغة من غير حاجة الى اجتهاد أو قياس ، فانه يفهم لغة أن النص يتناول الواقعتين ، وان حكمه الثابت لمنطوقه يثبت لمفهومه الموافق له في العلة ، سواء كان مساويا أم أولى . » .

وقال :

« وهذا الطريق ، أي طريق الدلالة ، كما يسمى دلالة النص يسمى القياس الجلي لظهور فهم المساواة أو الأولوية بين المنطوق والمفهوم الموافق له ، ويسمى حكمه مفهوم الموافقة ؛ أي المفهوم الذي وافق المنطوق في حكمه بناء على موافقته له في علته موافقة تفهم بمجرد فهم اللغة . ويسمى فحوى الخطاب أي روحه وما يعقل منه ، لأن كل نص دل على حكم في محل العلة ، يدل على ثبوت هذا الحكم في كل محل تتحقق فيه العلة بتبادل الفهم ، أو تكون العلة أكثر توافرا فيه » .

وتحدث في القاعدة الثانية عن مفهوم المخالفة فقال :

« اذا دل النص الشرعي على حكم في محل مقيدا بقيد ، بأن كان موصوفا بوصف أو مشروطا بشرط أو مغيا بغاية أو محددا بعدد ، يكون حكم النص في المحل الذي تحقق فيه القيد وهو منطوق النص ، وأما حكم المحل الذي انتفى عنه القيد فهو مفهومه المخالف . والمعنى الاجمالي لهذه القاعدة ، ان النص الشرعي لا دلالة له على حكم ما في المفهوم المخالف لمنطوقه ، لأنه ليس من مدلولاته بطريق من طرق الدلالة الأربع ، بل يعرف حكم المفهوم المخالف المسكوت عنه بأي دليل آخر من

الأدلة الشرعية التي منها الاباحة الأصلية » . ثم بين أنواع مفهوم المخالفة وهي مفهوم الوصف ، والغاية ، والشرط ، والعدد ، واللقب ، وبين أن الأصوليين اتفقوا على عدم الاحتجاج بمفهوم اللقب واختلفوا في غيره .

قال رحمه الله :

« فأما ما اتفقوا على عدم الاحتجاج بالنص على مفهوم المخالفة فيه فهو مفهوم اللقب . والمراد باللقب اللفظ الجامد الذي ورد في النص اسما وعلما على الذات المسند اليها الحكم المذكور فيه . ففي حديث : (في البر صدقة) لفظ البر اسم للحب المعلوم الذي أوجبت فيه صدقة . وفي حديث (في الغنم زكاة) لفظ الغنم اسم للحيوان المعروف الذي أوجبت فيه زكاة . ولا يفهم لغة ولا شرعا ولا عرفا أن ذكر البر احتراز عما عداه من الحبوب ، ولا أن ذكر الغنم احتراز عما عداها من السوائم ، ولا أن ايجاب صدقة في البر يفهم منه أن لا صدقة في الشعير والذرة وغيرهما من الحبوب ، ولا أن ايجاب زكاة في الغنم يفهم منه أن لا زكاة في الابل والبقر وغيرهما . فلهذا اتفق الأصوليون على عدم الاحتجاج بمفهوم المخالفة في اللقب لأنه لا يقصد بذكره تقييد ولا تخصيص ولا احتراز عما عداه .

ولا فرق في هذا بين النصوص الشرعية ونصوص القوانين الوضعية ، وعقود الناس وتصرفاتهم وسائر أقوالهم . فمحمد رسول الله لا يفهم منها أن غير محمد ليس رسول الله ، ودين المتوفي يؤدي من تركته لا يفهم منه أن غير دينه كنفقة تجهيزه ووصاياه النافذة لا تؤدي من تركته ، والبيع ينقل الملكية لا يفهم منه أن غير البيع لا ينقلها ، وأن بيع الحقوق في تركة انسان على قيد الحياة ولو برضاه غير باطل . ولهذا قال الشوكاني :

« والقائل بمفهوم المخالفة في اللقب لا يجد حجة لغوية ولا عقلية ولا شرعية . ومعلوم من لسان العرب أن من قال : رأيت زيدا لا يفهم من قوله أنه لم ير غيره . وأما اذا دلت القرينة على العمل في جزئية خاصة فما ذلك الا للقرينة » .أهـ .

من هذا البيان نرى أن القول بأن الأموال الربوية لا تتجاوز الأصناف الستة المذكورة في الأحاديث الشريفة لا يعتبر أخذا بهذه الأحاديث ، بل تعطيلا لها ، لأن هذا يعني عدم الأخذ بدلالة النص ، فالمسلمون تعاملوا بدنانير ودراهم غير اسلامية حيث لم يظهر الدينار الاسلامي الا في الدولة الأموية ، وهذه الدنانير والدراهم ، اختفت اليوم وحل محلها تماما ـ في التبادل ـ العملة الورقية فالاستدلال بمفهوم الموافقة أو الفحوى يعطي هذه العملة أحكام النقدين . والرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد عددا ، فلم يقل مثلا : الربا في ستة أصناف ، حتى نقول هنا يجوز الخلاف ، وانما ذكر اللقب ، وهو ما أجمع الأصوليون على عدم الاحتجاج به في مفهوم المخالفة . فرأيك ـ باجماع الأصوليين ـ فيه تعطيل للنص وليس أخذا به .

ورأيك لا يسنده اجماع ، بل هو خروج على اجماع جمهور الفقهاء في القديم ، وعلى اختيار اكثر علماء العصر مجتمعين في المؤتمرات الاسلامية ومنفردين فقولك القديم المسجل على الشريط وهو الذي اشرت اليه في بحثي السابق فيه القول بالعلة في الطعام وعدم الاخذ بها في النقود ، واظنك تنفرد بهذا الرأي فجمهور الفقهاء قائلون بالعلة في الجميع ، واهل الظاهر منكرون لها . وقولك الجديد المعدل الذي جاء في ردك فيه موافقة لأهل الظاهر ومخالفة لاجماع جمهور الفقهاء .

والموافقة هنا في عدم الاخذ بالعلة ، اما عند التطبيق فقد خالفتهم ايضا عندما قلت بالسلم في الاوراق النقدية ، واهل الظاهر لا يجيزون السلم في المعدود ولا في غير المكيل او الموزون وقوفا عند ظاهر النص كما سنرى في الحديث عن السلم .

واهل الظاهر يستحقون التقدير والاحترام ، غير ان مذهبهم لا يصلح لدين جاء للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان الى قيام الساعة . وما اكثر الكتب التي تبين هذا قديما وحديثا ، والمجال لا يتسع لمثل هذا البيان ، ولا نكاد نسمع عن جماعة اخذت بمذهب اهل الظاهر كما اخذ بالمذاهب الاخرى بل انك لم تستطع ان تأخذ بمذهبهم في مسألة واحدة فقلت بالعلة في الطعام وعدم العلة في النقود ، ثم عدلت رأيك فجأة دون ادنى اشارة الى انك غيرت رأيك ، فقلت بعدم العلة في الاصناف الستة لتحل الربا في نوع من الصرف ، ثم قلت بالعلة في النقود بالنسبة للزكاة ، فوقعت في تناقض بين واضح . وخالفت اهل الظاهر فانهم لا يرون زكاة في مثل نقود العصر ولا يرون زكاة في عروض التجارة (انظر المحلى لابن حزم ٥/٣٤٧ـ ٣٥٧) فأصحاب آلاف (الملايين) من نقود العصر ، وكبار كبار التجار ، لا زكاة في اموالهم لو اخذنا برأي اهل الظاهر . أرأيت لو اخذنا بمذهب اهل الظاهر لما بقى من الزكاة في عصرنا الا القليل حيث انهم قالوا (كما جاء في المحلى ٥/٣٠٨) « لا تجب الزكاة الا في ثمانية اصناف من الاموال فقط وهي : الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والابل والبقر والغنم » أرأيت ان الاخذ بهذا الرأي يصنع شريعة الله ؟



أردت أن أبدأ بما انتهى اليه الشيخ لأنه ربما استقر هذا في اذهان بعض السادة القراء وعلى الاخص الذين لم يلموا بالموضوع من جوانبه المختلفة فأردت ان امحو هذا الاثر ، وان اعيد الحق الى نصابه . واعود بعد هذا للنظر في بحث الشيخ الفاضل من البداية فاقول مستعينا بالله عز وجل ليهدينا الى فهم شريعته ، ومعرفة الاحكام التي يرتضيها سبحانه وتعالى .

واني اولا اقدر شكر فضيلة الشيخ ، وما دمنا جميعا نريد الحق فان الخلاف في الرأي لا يؤثر في اخوة الاسلام ، وقد يكون اشتداد الخلاف دليلا على شدة الرغبة في الوصول الى الحق والصواب .

تيسير ام ربا ؟

لا خلاف مع فضيلة الشيخ حسن في وجوب التيسير ومراعاة مصالح الناس ، وقد اشرت الى هذا التيسير وهذه المصالح في الحديث عن السفتجة والحوالة والشيك فمما قلت : « والسفتجة وما شابهها من باب الخدمات التي تؤدي ، والتيسير على الناس ، والرفق بهم ، ومراعاة المصالح العامة » والرأي الصواب هنا فيما أرى هو رأي جمهور العلماء في العصر الحديث اما رأي فضيلة الشيخ فليس من باب التيسير والمصلحة وانما يفتح الباب امام المرابين ، واضرب هنا مثلين من الواقع :

يأتي احد التجار ليأخذ قرضا لشراء سلعة معينة على ان يسدد ثمنها بعد شرائها وبيعها ، فهو يسدد الثمن بعد شهرين مثلا ، ويشتري السلعة بالدينار ويبيعها بالجنيه ، والقرض يُحَدَّدُ له مبلغ معين من الفائدة ، فيتفق على بيع الدينار بثمن يقابل هذه الزيادة ، فاذا اخذ ألف دينار رد المبلغ ألفا ومائة فاذا كان الثمن الحالي ثلاثة جنيهات زيد عشرة بالمائة ، فيأخذ الألف ويكتب شيكا بثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة ، فالثلاثمائة زيدت كفائدة للقرض .

والزيادة هذه ليست نسبة شائعة من الربح الفعلي ، بل نسبة ثابتة من رأس المال ؟

سواء اكسب المقترض ام خسر وهذا ربا ، وكما نعرف ان هناك فرقا بين القرض الانتاجي الربوي الذي افتى مجمع البحوث الاسلامية بانه ربا محرم ، وبين نظام القراض او المضاربة في الاسلام ، والصرف لا يدخل فيه القرض ، ولا يحل فيه التأجيل الا لضرورة من ضرورات العصر ، فالتأجيل على قدر الضرورة بغير تعامل او خلاف عن السعر اليومي السائد .

هذا مثل ، والمثل الثاني لتاجر مسلم آخر يلتزم بنظام القراض الاسلامي ، فهو يعطي بالدينار لتاجر آخر يشتري سلعة ويبيعها بالجنيه ، وبعد ذلك يحسب ما يقابل رأس المال ، ثم يشترك الاثنان في الربح الفعلي .

هذان مثلان ، والامثلة كثيرة ، وليس الامر قاصرا على القروض الانتاجية الربوية ، بل تعداها كذلك الى القروض الاستهلاكية ، وهو شائع هنا بين بعض العمال . حيث يعطي المرابي اهل العامل في مصر قرضا بالجنيه ، ويأخذ هنا بالدينار بعد فترة زمنية بسعر اعلى مستغلا الحاجة التي الجأت العامل لاخذ القرض بالجنيه والاعطاء فيما بعد بالدينار ، ولا يذكر هؤلاء كلمة « قرض » بل هو بيع وشراء حسب فتوى الشيخ .

فرأي الشيخ حسن ليس من باب التيسير ومراعاة مصالح الناس ، بل يسر الامر امام المرابين ، فلم يعودوا منبوذين في المجتمع ، وانما وجدوا ما يبررون به فعلتهم .

قضايا العصر لا تحل باجتهاد فردي

لو كان الخلاف بيني وبين فضيلة الشيخ لكان محقا كل الحق في قوله « لا يليق بعالم ان يحكم بخطأ غيره ... الخ » الا ان الامر هنا ليس خلافا بين رأيين وتعارضا بين فتويين ، فلست ممن يجرؤ على الفتوى ويقول برأيه خلافا لجمهور العلماء في القديم او الحديث . ومشكلات العصر التي تجد ، ويحتاج المسلمون الى معرفة حكم الاسلام فيها علينا ان نجمع لها من استطعنا من العلماء ليخرجوا لنا بفتوى جماعية،ومن قال برأيه قبل ان نجمع العالمين،فمسلكه اقرب الى الخطأ منه الى الصواب ، اما اذا اجتمع العلماء ، وحسموا الامر ، وقالوا القول الفصل ، فليس لاحد ان يخرج على المسلمين برأي مخالف .

وعلى المسلمين الا يأخذوا بهذا الرأي المخالف ، وليعلموا انه لا يكون حجة لهم عند الله تبارك وتعالى .

وفضيلة الشيخ حسن ايوب انفرد بالرأي ، ومخالفة جمهور العلماء في القديم ، بل حاول ان يقلل من شأنهم ، وهاجم مجمع البحوث الاسلامية حيث اعتبر علماءه الاجلاء مجتمعين يفتون بغير دليل من كتاب او سنة او اجماع او قياس معتبر ، وعارض المؤتمرات الاسلامية الاخرى ، وجميع هيئات الرقابة الشرعية بالبنوك الاسلامية ، وحاول ان يوهم المسلمين بان رأيه هو الصحيح —

واحب ان اذكر لفضيلة الشيخ ايوب ، وللسادة القراء ، بعض الاخبار وارجو ان نتدبرها جيدا :

روى الامام الدارمي في باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة عدة اخبار منها :

- ما رواه بسنده عن المسيب بن رافع قال :

« كانوا اذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر اجتمعوا لها واجمعوا ، فالحق فيما رأوا فالحق فيما رأوا .»

- ما رواه بسنده عن أبي سلمة ، ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة فقال : « ينظر فيه العابدون من المؤمنين .»

ومما ذكره في باب الفتيا وما فيه من الشدة :

١ ـ عن عبيد الله بن ابي جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار .»

٢ ـ عن ميمون بن مهران قال : كان ابو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله في ذلك الامر سنة قضى به فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال : اتاني كذا وكذا ، فهل علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء فيقول ابو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فان اعياه ان يجد فيه سنة من رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على امر قضى به .

٣ ـ عن جابر بن زيد ، ان ابن عمر لقيه في الطواف فقال له : يا ابا الشعثاء انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعلت غير ذلك هلكت واهلكت .

٤ ـ عن عبد الله بن مسعود ، قال : اتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك ، وان الله قد قدر من الامر ان قد بلغنا ما ترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل ، فان جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله فان جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقض به رسول الله فليقض بما قضى به الصالحون ، ولا يقل اني اخاف واني ارى فان الحرام بين والحلال بين وبين ذلك امور مشتبهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك .

٥ ـ عن الشعبي ، عن شريح ، ان عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله فاقض بها فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فان جاءك ما ليس في كتاب الله ، ولم يكن في سنة رسول الله ولم يتكلم فيه احد قبلك فاختر اي الامر ان شئت ، ان تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم ، وان شئت ان تتأخر فتأخر ، ولا ارى التأخير الا خيرا لك .

وما ذكره فضيلة الشيخ ايوب من رجوع الفقهاء عن بعض آرائهم وتغييرهم من اجتهاداتهم ، ارجو ان يأخذ به فضيلة الشيخ في مسألتنا هذه ، وان يتدبر ادلة جمهور الفقهاء في القديم والحديث ، وان يعي ما نتج عن رأيه من اضرار جسام ، وان يدرك ان المرابين لن يجدوا بابا اوسع من فتواه .

وجميع المؤتمرات والهيئات الاسلامية في العصر الحديث قد افتت بحرمة ما احله فضيلة الشيخ ، فان لم يقتنع بان هذا من الحرام البين ، فليجعله من الامور المشتبهات على اقل تقدير ، فلا يحمل نفسه اوزار المرابين الذين استندوا الى فتواه .

ليس الخلاف بيني وبين الشيخ حسن

ذكر فضيلة الشيخ عناوين ثلاثة وهي : « الأصل الذي يدور من حوله النقاش »

و « تصنيف الفقهاء » ثم « على اي شيء اختلف الفقهاء ؟ » لينتقل بعد هذا الى قوله « القضية التي اخالف فيها الدكتور السالوس » .

والنقاش يدور حول هذه القضية ، ولكي يعلم السادة القراء ان الخلاف ليس بيني وبين فضيلته ، اقول :

بعد ان كتبت بحثي السابق قرأت فتوى لهيئة كبار العلماء بالسعودية ، واخرى للجنة الفتوى بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت :

الفتوى الاولى تبين ان الاوراق النقدية تأخذ حكم النقدين ـ الذهب والفضة ـ في جميع الاحكام سواء أكان في وجوب الزكاة ام في مبادلة بعضها ببعض . (انظر قرار الهيئة رقم ١٠ بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٣٩٣هـ) .

والفتوى الثانية تقضي « بحرمة تحويل عملة الى عملة اخرى بالمؤجل لانها ربا » . وجاءت هذه الفتوى اجابة عن السؤال الآتي :
« يقوم بعض الناس بتحويل الدينار الى جنيهات مصرية بسعر الدينار حالا ٢٨٠ قرشا تقريبا ، وتحويل الدينار مؤجلا بعد ثلاثة شهور بسعر الدينار ٣٢٠ قرشا ، فهل التأجيل بالسعر الأكثر حلال ام حرام ؟ » .
(انظر الفتوى رقم ٥٦ الصادرة في ٦ / ٦ / ١٣٩٩ هـ الموافق ٣ / ٥ / ١٩٧٩م)

فرأيه اذن مخالف لذلك .

تعريف الصرف

عندما تحدث فضيلة الشيخ عن القضية ذكر رأيه ورأي غيره ثم بدأ بالحوار بقوله :
« قال الدكتور في تعريف الصرف : انه بيع الاثمان بعضها ببعض . يريد ان يبرر رأيه بهذا التعريف فيقول : ان الاوراق المالية اثمان فتدخل في احكام الصرف . وهذا التعريف مخالف للحقيقة » .

ثم ذكر فضيلته دليله من كلام للامامين النووي وابن حجر وهو : قال العلماء : « اذا بيع الذهب بذهب او الفضة بفضة سميت مراطلة ، واذا بيعت الفضة بذهب سمي صرفا » .

ثم قال : « فلا يطلق الصرف الا على بيع الذهب بالفضة او العكس . هذا هو الاصل . واذا عرف الفقهاء الصرف شرعا بأنه (بيع الثمن بالثمن) فانهم يبينون ان المراد بالثمن : هو ما خلقه الله ليكون ثمنا وهو الذهب والفضة . ويقولون عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة انه صرف من باب التوسع على عادة الفقهاء ...الخ »

واقول لفضيلة الشيخ :
١ ـ التعريف ليس دليلاً قائما بذاته وانما يساعد على التعرف على العلة ، ولذلك قلت : « الم يلحظ الثمن عندما عرف الصرف بأنه بيع الاثمان بعضها ببعض في وقت لم يكن فيه الا الدينار والدرهم ؟ »٢ ـ عندما تحدثت في بحثك عن « الاصل الذي يدور من حوله النقاش » و « تصنيف الفقهاء » ذكرت باب الصرف ولم تذكر المراطلة مع انك ذكرت تبادل الذهب بذهب والفضة بفضة ، فان كنت ترى ان ما ذكره الامامان النووي وابن حجر في كتابين من كتب الحديث يجب ان يطبق في الفقه فلم لم تفعل هذا ووقعت فيما ذكرت انه مخالف للحقيقة وفيه بطلان ؟!

٣ ـ لم آت بتعريف الصرف من عندي ، وانما ذكرت تعريف الصرف كما نجده في كتب الفقه ، وذكرت الاحاديث الشريفة التي بينت احكامه ، ثم ذكرت هذه الاحكام التي اتفق عليها الفقهاء وليس فيها ذكر لشيء غير الذهب والفضة والدينار والدرهم . والأوراق النقدية لم يأت ذكرها هنا وانما اثبت بعد ذلك انها تلحق بهذا الاصل كما ذهب عامة العلماء في العصر الحديث .

فالتعريف للفقهاء في القديم ، والرأي لعامة العلماء في الحديث ، فمن غير الصواب اذن ان يقال بأنني اتيت بتعريف لتبرير رأيي ، فلست صاحب التعريف ولا صاحب الرأي .

٤ ـ قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (جـ ٢٩ ص ٤٥٩) : « واما بيع الفضة بالفلوس النافقة : هل يشترط فيها الحلول والتقابض كصرف الدراهم والدنانير ؟
فيه قولان ، هما روايتان عن احمد :
احداهما لا بد من الحلول والتقابض ، فان هذا من جنس الصرف ، فان الفلوس النافقة تشبه الأثمان ، فيكون بيعها بجنس الأثمان صرفا » .

أفرأيت كيف ان الامام احمد بن حنبل ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ـ رضي الله عنهما ـ قد اطلقا (الصرف) على غير الذهب والفضة مراعاة للثمنية ؟

وتقول انت : فلا يطلق الصرف الا على بيع الذهب بالفضة او العكس !

٥ ـ قول الامامين النووي وابن حجر لا يعني ان الصرف لا يطلق الا على بيع الذهب بالفضة او العكس ، لانهما قالا : « اذا بيعت الفضة بذهب سمي صرفا » ، وهذا لا يعني ان الصرف لا يطلق على شي اخر .

ولننظر في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية لنرى بعض ما يمكن ان يسمى صرفا :
فمما جاء تحت كلمة « صرف » :
صرف الشي صرفا : رده عن وجهه ، وصرف المال : انفقه .
وصرف النقد بمثله : بدله ... الخ

ومما جاء تحت كلمة « الصرف » :
صرف الدهر : نوائبه وحدثانه .
والصرف في الاقتصاد : مبادلة عملة وطنية بعملة اجنبية ، ويطلق على سعر المبادلة ايضا (مج) (اي ان هذا التعريف من الالفاظ التي اقرها مجمع اللغة العربية) .
والصرف في اللغة : علم تعرف به ابنية الكلام واشتقاقه ... الخ

فانظر من قول الامام احمد الى شيخ الاسلام ابن تيمية الى مجمع اللغة العربية ..
وبعد هذا كله نتساءل : من الذي خالف الحقيقة ووقع في البطلان ؟

الزكاة والصرف

انتقل فضيلة الشيخ حسن بعد ذلك الى نقطة ثانية فقال : « استدل الدكتور على ان تبادل العملات الورقية الموجودة في ايدي الناس في عصرنا يخضع لأحكام الصرف بقرار مجمع البحوث الاسلامية المنعقد سنة ١٣٨٤ هـ ، ونصه :
يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية واوراق النقد والاوراق النقدية وعروض التجارة على اساس قيمتها ذهبا .)
وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة وما زلت اقول به ، وقال به جميع العلماء ، ولكنه لا يصلح دليلا على ان الاوراق المالية تخضع لاحكام الصرف ، لأنه ذكر انها تقوم بالذهب مثل جميع السلع التي فيها التجارة ، فما صلة هذا بما نحن فيه ؟ »

واقول لفضيلة الشيخ :

١ ـ نلاحظ ان القرار ذكر اوراق النقد وعروض التجارة ، فليس كل ورق نقدي يراد منه التجارة ، فهما امران مختلفان :

فمثلا اذا ادخر احد نقدا ، ولم يتاجر به ، ولم يقصد التجارة بحال من الأحوال ، بل اراد الاحتفاظ به لشراء مطالبه الخاصة ، فان الزكاة تجب متى بلغ النصاب وحال الحول ، اليس كذلك ؟

واظن جميع العلماء يدركون الفرق بين زكاة النقدين وزكاة عروض التجارة ، فلا حاجة للتفصيل .

٢ ـ النقدان لهما احكام خاصة كالنصاب الشرعي للزكاة ، والنصاب الشرعي لقطع يد السارق ، واحكام الصرف ، وغيرها .

والاوراق النقدية اما ان نعتبرها قائمة مقام النقدين فتطبق عليها احكامهما بغير تفرقة بين حكم وحكم ، واما ان نقول مقالة اهل الظاهر ، فلا زكاة ولا ربا ولا غيرهما من احكام النقدين ، بل تنتهي احكام الشريعة هذه بنهاية التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي .

ولذلك عندما انعقد مؤتمر في دبي لمناسبة افتتاح المقر الرئيسي للبنك الاسلامي بها ، ابدى الكثرة الكاثرة من العلماء الذين اجتمعوا لهذه المناسبة رأيهم في الاوراق النقدية فقرروا ما يلي :

« ان الأوراق النقدية اخذت حكم النقدين في كل الاحكام سواء ما يتصل منها بالربا او الزكاة او احكام السلم الى غير ذلك . »

وذكرت من قبل الفتوى المماثلة التي صدرت عن هيئة كبار العلماء بالسعودية .

٣ ـ اصبت عندما قلت : « وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة ، وما زلت اقول به ، وقال به جميع العلماء »

ولي معك وقفة عند نهاية قولك « وقال به جميع العلماء » :

فاهل الظاهر لا يقولون بهذا ، حيث وقفوا بزكاة النقدين عند الذهب والفضة ، فالأوراق النقدية اذن لا زكاة فيها ، ويرون كذلك الا زكاة في عروض التجارة .

وفي عصرنا الحاضر وجدنا من ينادي بأن الأوراق النقدية لا زكاة فيها .

فرأى اهل الظاهر ، والآراء الأخرى لم تمنعك من ان تقول « جميع العلماء » ، حيث لم تجعل لرأيهم اي اعتبار .

واسمح لي يا فضيلة الشيخ بالاستفادة من تعبيرك لأقول :
قال جميع العلماء « ان الأوراق النقدية اخذت حكم النقدين في كل الأحكام ... الخ » .

فتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية وغيرهم

ما قاله فضيلة الشيخ حسن في « ثالثا » يتلخص في ان الاوراق النقدية اذا اعتبرناها كالنقدين وقعنا في الربا ، لأن تعامل البنوك بهذه الأوراق لا يتحقق فيه التماثل ولا القبض في المجلس .

وهذا الاعتراض ذكرته في بحثي بايجاز ، ورددت عليه ايضا بايجاز والشيخ هنا لا يعترض علي وحدي ، وانما يعترض على تصرف البنوك الاسلامية وعلى كثير من علماء العصر ، ولذلك سأترك الرد لغيري ، ثم اذكر بعض ما جاء في كلامه مما ارى انه غير صحيح .

واول ما ابدأ به فتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية التي اشرت اليها من قبل ، اذكرها هنا كما جاءت بالأدلة .

استدعت الهيئة بعض المختصين من الاقتصاديين ، واستشارتهم في بعض الاشياء ، وبعد البحث صدرت الفتوى التالية :

« بناء على ان النقد هو كل شي يجري اعتباره في العادة او الاصطلاح ، بحيث يلقى قبولا عاما كوسيط للتبادل كما اشار الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال :

واما الدرهم والدينار فما يعرف له حد طبعي ولا شرعي ، بل مرجعه الى العادة والاصطلاح ، وذلك لانه في الأصل لا يتعلق المقصود به بل الغرض ان يكون معيارا لما يتعاملون به والدراهم والدنانير لا تقصد لنفسها ، بل هي وسيلة الى التعامل بها ، ولهذا كانت اثمانا ـ الى ان قال ـ والوسيلة المحضة التي لا يتعلق بها غرض لا بمادتها ولا بصورتها يحصل بها المقصود كيفما كانت . أ . هـ ـ ج ٢٩ ص ٢٥١ من مجموع الفتاوى .

وذكر نحو ذلك الامام مالك في المدونة من كتاب الصرف حيث قال : ولو ان الناس اجازوا بينهم الجلود حتي يكون لها سكة وعين لكرهتها ان تباع بالذهب والورق نسيئة . اهـ

وحيث ان الورق النقدي يلقى قبولا عاما في التداول ويحمل خصائص الأثمان من كونه مقياسا للقيم ومستودعا للثروة وبه الابراء العام .. وحيث ظهر من المناقشة مع سعادة المحافظ ان صفة السندية فيها غير مقصودة والواقع يشهد

بذلك ويؤكده ، كما ظهر ان الغطاء لا يلزم ان يكون شاملا لجميع الأوراق النقدية ، بل يجوز في عرف جهات الاصدار ان يكون جزء من عملتها بدون غطاء ، وان الغطاء لا يلزم ان يكون ذهبا بل يجوز ان يكون من امور عدة كالذهب والعملات الورقية القوية ، وان الفضة ليست غطاء كليا او جزئيا لأي عملة في العالم ، كما اتضح ان مقومات الورقة النقدية قوة وضعفا مستمدة مما تكون عليه حكومتها من حال اقتصاد فتقوى بقوة دولتها وتضعف بضعفها ، وان الخامات المحلية كالبترول والقطن والصوف لم تعتبر حتى الان لدى اي من جهات الاصدار غطاء للعملات الورقية .. وحيث ان القول باعتبار مطلق الثمنية علة في جريان الربا في النقدين هو الأظهر دليلا والأقرب الى مقاصد الشريعة ، وهو احدى الروايات عن الأئمة مالك وابي حنيفة واحمد ، قال ابو بكر روى ذلك عن احمد جماعة . كما هو اختيار بعض المحققين من اهل العلم كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما ، وحيث ان الثمنية متحققة بوضوح في الاوراق النقدية لذلك كله فان هيئة كبار العلماء تقرر بأكثريتها ان الورق النقدي يعتبر نقدا قائما بذاته كقيام النقدية في الذهب والفضة وغيرهما من الأثمان ، وانه اجناس تتعدد بتعدد جهات الاصدار بمعنى ان الورق النقدي السعودي جنس وان الورق الامريكي جنس وهكذا كل عملة ورقية جنس مستقل بذاته وانه يترتب على ذلك الأحكام الشرعية الآتية :

اولا : جريان الربا بنوعيه فيها كما يجري الربا بنوعيه في النقدين الذهب والفضة وفي غيرها من الأثمان كالفلوس وهذا يقتضي ما يلي :

أ ـ لا يجوز بيع بعضه ببعض او بغيره من الأجناس النقدية الاخرى من ذهب او فضة او غيرهما نسيئة مطلقا فلا يجوز مثلا بيع الدولار الامريكي بخمسة اريلة سعودية او اقل او اكثر نسيئة .

ب ـ لا يجوز بيع الجنس الواحد منه بعضه ببعض متفاضلا سواء كان ذلك نسيئة او يدا بيد فلا يجوز مثلا بيع عشرة اريلة سعودية ورق بأحد عشر ريالا سعوديا ورقا .

جـ ـ يجوز بيع بعضه ببعض من غير جنسه مطلقا اذا كان ذلك يدا بيد فيجوز بيع الليرة السورية او اللبنانية بريال سعودي ورقا كان او فضة او اقل من ذلك او اكثر وبيع الدولار الامريكي بثلاثة اريلة سعودية او اقل او اكثر اذا كان ذلك يدا بيد .

ثانيا : وجوب زكاتها اذا بلغت قيمتها ادنى النصابين من ذهب او فضة اوكانت تكمل النصاب مع غيرها من الأثمان والعروض المعدة للتجارة اذا كانت مملوكة لأهل وجوبها .

ثالثا : جواز جعلها رأسمال في السلم والشركات .

والله اعلم وبالله التوفيق ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،
« هيئة كبار العلماء »

هذا ما جاء في فتوى السادة الأجلاء كبار علماء السعودية ؟!

بعد هذه الفتوى ننظر الى البنوك الاسلامية ، لنرى ماذا يقولون عن القبض في المجلس ؟
في فتوى لفضيلة الشيخ بدر المتولي عبد الباسط ـ الأمين العام للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت ، جاء ما يلي :

« يمكن ان تكون وسيلة التقابض في كل عصر ، وفي كل شي ما يناسبه . ويعتبر اعطاء شيك حال بمنزلة التقابض في المجلس ، لأنه يساوي ورق النقد تماما من حيث التداول » .

واشار الشيخ ايوب الى قول الاستاذ مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة الصادر عن الموسوعة الاسلامية بالكويت ، واذكر هنا نص الجزء المشار اليه ، وهو :

« فاذا نظرنا الى ان الشيكات تعتبر في نظر الناس وعرفهم وثقتهم بمثابة النقود الورقية ، وانها يجري تداولها بينهم كالنقود تظهيرا وتحويلا ، وانها محمية في قوانين جميع الدول ـ من حيث ان سحب الشيك على جهة ليس للساحب فيها رصيد يفي بقيمة الشيك المسحوب يعتبر جريمة شديدة تعاقب عليها قوانين العقوبات في الدول جميعا ـ اذا نظرنا الى هذه الاعتبارات يمكن القول معها بان تسليم المصرف الوسيط شيكا بقيمة ما قبض من طالب التحويل يعتبر بمثابة دفع بدل الصرف في المجلس ، اي ان قبض ورقة الشيك كقبض مضمونه ، فيكون الصرف قد استوفى شريطته الشرعية في التقابض . » (ص ٢٣٢)

ويظهر من كلام الاستاذين بدر المتولي عبد الباسط ، ومصطفى الزرقا ان الشيك ليس لمجرد ضمان الحق ، وانما يساوي ورق النقد من حيث التداول كما نص الاثنان ، ولا ادري من اين فهم الشيخ ايوب ان الشيك لضمان الحقوق فقط !

جدل عقيم

بعد هذا كله اقول :

١ ـ من الخطأ قول الشيخ حسن :
« اخبروني كيف يكون التماثل بين ورقة مالية من فئة الدينار الكويتي واخرى من فئة الجنيه المصري ؟ هذا مستحيل . فاطلاق كلمة « تطبق احكام الصرف عليها » اطلاق غير معقول وغير مطبق في هذه البنوك بالنسبة للمثلية ، وهذا وحده كاف في ابطال الالحاق المذكور » .

اقول بان هذا خطأ لأن احدا لم يقل بهذا التماثل بين عملتين مختلفتين ، ويكفي ردا على فضيلته ما جاء في فتوى السادة الأجلاء جماعة كبار العلماء بالسعودية .

٢ ـ ومن الخطأ كذلك قول فضيلته « ان الشيك سند معتمد وموثوق به كما ذكر الدكتور » ، لينتقل من هذا الى ان الشيك لمجرد ضمان الحقوق ، ويقول : « ولم يقل احد : يجوز ان يسلم النقد ويأخذ بدلا منه مكتوبا موثوقا به ، او مسجلا في احدى المحاكم ، ومعلوم ان المكتوب يقوم مقام الشيك في كل شيء بالنسبة لضمان الحقوق خصوصا اذا كتب بصفة امانة » .

والخطأ هنا هو انني لم اقل بأن الشيك لمجرد ضمان الحقوق ، وانما قلت بالنص :
« الذي يحدث عادة عندما يقوم احد ببيع عملة حرة بما يقابلها من عملة تخضع للقيود ، انه يعطي المبلغ نقدا ويأخذ ما يقابله بشيك ، فخذ وهات (هاء وهاء) تتحقق هنا في قبض العملة من جانب ، وقبض الشيك من الجانب الاخر ، ولكن يشترط هنا حتى يتم القبض شرعا ان يكون الشيك مكتوبا بالمبلغ الذي تم الاتفاق عليه ، وان يكون مؤرخا للسحب في اليوم نفسه » .

افهذا لمجرد الضمان يا فضيلة الشيخ « وان يكون مؤرخا للسحب في اليوم نفسه » ؟

ان هذا هو القبض الممكن في عصرنا بالنسبة للعملة التي تخضع للقيود ، فلم يتعمد احد التأجيل ، او معصية الله عز وجل ، وانما كان التصرف في حدود الطاقة : (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة / ٢٨٦

وكما تعلم فان الضرورات تبيح المحظورات ، ولهذا قلت ايضا :
« فاذا لم يتيسر قبض احدى العملتين لضرورة من الضرورات حل محل العملة : شيك او حوالة او سفتجة او غيرها مما يقوم مقامها » .

والشيك المؤجل فيه ضمان للحق ولكن لا يعطي معنى القبض في المجلس ، ولذلك قال فضيلة الاستاذ الشيخ بدر « ويعتبر اعطاء شيك **حال** بمنزلة التقابض في المجلس » .

وبهذا يفترق المتصارفان وليس بينهما شيء ، اخذ احدهما الاوراق النقدية ، واخذ الآخر شيكا صالحا للسحب في الحال ، فلا يؤجل الا بقدر الضرورة ، لان الضرورة تقدر بقدرها .

٣ ـ ومن الخطأ كذلك ان يستدل على ان الشيك لا يصلح للقبض بموقف سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه ، فالقياس هنا لا يستقيم ، لأن القبض ممكن ، فلا يحل التأجيل بأي حال ، اما في ايامنا هذه فقيود النقد معروفة ، وقبض العملة ذاتها لا يسمح به بالنسبة لبعض الدول ، فتم قبض الشيك الذي به يمكن اخذ العملة داخل بلد معين .
اي ان قبض ورقة الشيك كقبض مضمونه كما قال الأستاذ الجليل مصطفى الزرقا .

٤ ـ ومن الخطأ ايضا ان نقارن بين الثقة في الشيك والثقة في عمر وطلحة رضي الله عنهما ، فهما اوثق عندنا من شيكات الارض جميعا ، ولكن الشيك ليس لمجرد ضمان الحق كما سبق .

٥ ـ ونختم الحديث عن الاخطاء هنا بقوله :
« ولو كان اي نوع من كتابة الدين كافيا لذكره الشارع كما ذكر الله ذلك في اية المداينة ، او كان قد ارتضى من المتأخر في دفع الثمن دفع رهن يماثله حتى يفي به ، ولكن كل ذلك لم يحدث منه شي ، ولم يجز احد من علماء المسلمين شيئا منه ، فكيف جاز الآن عند البنوك الاسلامية ؟ وهل هناك اي دليل عليه ؟ »

والخطأ هنا هو ان البنوك الاسلامية ، التي تخضع للرقابة الشرعية الدقيقة ، لم تجز ما قاله الشيخ ، فالصرف لا يجوز فيه الدين ولا الرهن كما قال ، والبنوك الاسلامية تعرف هذا جيدا ، فهي لا يمكن ان تجيزه باي حال من الأحوال .
والذي جر الشيخ الى هذا الخطأ هو ما سبق من اعتباره الشيك لمجرد الضمان ، فاعتبره كالرهن وكتابة الدين !

٦ ـ ويبقى ان نوضح مراده من جدله :
يقول فضيلته : « والذي جرنا الى ذلك كله هو اعتبار الاوراق البنكية عملة يجري فيها ما يجري في الصرف » ومعنى هذا : اننا ما دمنا لا نستطيع ان نحقق القبض بالصورة التي كانت على عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ وما شابهها ، فلا ننظر الى طبيعة العصر ، ولا للضرورات ، ولا للمراد من القبض الشرعي وما يحققه هذا القبض ، لا ننظر الى شي من هذا ، وانما نقول مقالة الشيخ : فيحل تعمد التأجيل

مع زيادة المؤجل بقدر زيادة الأجل !
انظر ماذا اراد ؟! غفر الله تعالى لنا جميعا وهدانا سواء السبيل .

آراء الأئمة في الفلوس

ما ذكره الشيخ في « رابعا » ينقضه ويبطله ما نقلته من قبل من المدونة عن الامام مالك ، والسادة شيوخ المالكية ، والامام الليث بن سعد ، وما ذكرته من فقه الحنفية حيث اعتبروا الزيادة في تبادل الفلوس الرائجة ربا ، وما نقلته كذلك عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم (وهما حنبليا المذهب) وفتوى السادة جماعة كبار العلماء بالسعودية .. الخ .
ومع ان هذا فيه غنى وكفاية الا انني اريد ان اقف هنا وقفة لأبين موقف الائمة المجتهدين من الفلوس الرائجة وغير الرائجة ، وسبب الخلاف بينهم ، وعدم الخلاف بين علماء العصر ثم اعقب على ذلك ان شاء الله جلت قدرته .
- رأى المالكية واضح معروف كما ذكر في المدونة وعلة الثمنية القاصرة عندهم تعني ان العلة في وقتهم غير ظاهرة الا في الذهب والفضة ، والدنانير والدراهم ، فلما اصطلح بعض الناس على الفلوس ، وصارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم ، الحقت بهما ، وقال الامام مالك قوله الفصل : « لو ان الناس اجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها ان تباع بالذهب والورق نظرة » .
فالمرجع اذن في النقود الى اصطلاح الناس وعرفهم ، وما يرتضونه فيما بينهم .
والشافعية يتفقون مع المالكية في علة الثمنية ، وفي كونها علة قاصرة الا انهم اختلفوا عن المالكية في التطبيق ، فالشافعية وان قالوا : ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة فيلحق به » الا ان جمهور الشافعية رأوا ان الفلوس لا تلحق بالاصل .
فالفلوس كانت رائجة في اقليم خراسان ، فذهب علماء هذا الاقليم من الشافعية الى الحاقها بالدنانير والدراهم لانهم رأوا ان علة الثمنية موجودة وقال اكثر الشافعية اذا كانت الفلوس قد راجت في اقليم خراسان فلم ترج في غيره ، فعلة الثمنية لا تتحقق في الفلوس . وذهب الامام النووي الى ما هو ابعد من هذا فقال في المجموع : اذا راجت الفلوس رواج النقود لم يحرم الربا فيها ومعنى هذا ان الشافعية يرون ان الفلوس النحاسية تلحق بالنحاس ولا تلحق بالنقود . والنحاس عندهم ليس من الاموال الربوية ، والفلوس قيمتها في ذاتها كنحاس لا كنقود .
واعتبروا رأى اهل خراسان شاذا .

ـ والحنفية ذهبوا الى عدم التعليل بالثمنية ، وانما العلة عندهم الجنس والقدر (الوزن هنا) فيجري الربا في كل موزون بجنسه كالنحاس والحديد والرصاص وغيرها . غير انهم اختلفوا في الفلوس ، ويمكن بيان رأيهم بما جاء في كتاب الهداية ثم ما جاء في بعض شروحه ، قال صاحب الهداية :

يجوز بيع الفلس بالفلسين باعيانهما عند ابي حنفية وأبي يوسف ، وقال محمد : لا يجوز ، لان الثمنية تثبت باصطلاح الكل ، فلا تبطل باصطلاحهما ، واذا بقيت اثمانا لا تتعين ، فصاركما اذا كانا بغير أعيانهما ، وكبيع الدرهم بالدرهمين ولهما ان الثمنية في حقهما تثبت باصطلاحهما اذ لا ولاية للغير عليهما ، فتبطل باصطلاحهما . واذا بطلت الثمنية تتعين بالتعيين ولا يعود وزنيا لبقاء الاصطلاح على العد .. الخ .

اقول للتوضيح معنى الفلس بعينه .

(الاصل ان الفلوس الرائجة كالدراهم والدنانير لا تتعين بالتعيين ولكن قد تقصد بعض الفلوس لذاتها لغرض ما غير التعامل بها كنقود، فتخرج بذلك عن كونها نقدا الى كونها عينا معينة ، وسلعة محددة مقصودة لذاتها وقد نجد مثل هذا في العملات التذكارية في ايامنا)

وجاء في شرع العناية على الهداية ومثله في شرح فتح القدير :

بيع الفلس بجنسه متفاضلا على اوجه اربعة : بيع فلس بغير عينه بفلسين بغير اعيانهما ، وبيع فلس بعينه بفلسين بغير اعيانهما وبيع فلس بغير عينه بفلسين بأعيانهما وبيع فلس بعينه بفلسين باعيانهما والكل فاسد سوى الوجه الرابع : اما الاول فلأن الفلوس الرائجة امثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على اهدار قيمة الجودة منها فيكون احد الفلسين فضلا خاليا عن العوض مشروطا في العقد وهو الربا واما الثاني فلانه لو جاز امسك البائع الفلس المعين وطلب الاخر وهو فضل خال عن العوض واما الثالث فلانه لو جاز قبض البائع الفلسين ورد اليه احدهما مكان ما استوجبه في ذمته فيبقى الآخر له بلا عوض واما الوجه الرابع فجوزه ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله ، وقال محمد رحمه الله لا يجوز لان الثمنية في الفلس تثبت باصطلاح الكل وما يثبت باصطلاح الكل لا يبطل باصطلاحهما لعدم ولايتهما على غيرهما فبقيت اثمانا وهي لا تتعين بالاتفاق فلا فرق بينه وبين ما اذا كان بغير اعيانهما وصار كبيع الدرهم بالدرهمين وبهذا يتبين ان الفلوس الرائجة ما دامت رائجة لا تتعين بالتعيين حتى لو قوبلت بخلاف جنسها كما إذا اشترى ثوبا بفلوس معينة فهلكت قبل التسليم لا يبطل العقد كالذهب والفضة ولهما ان الثمنية في حقهما تثبت باصطلاحهما اذ لاولاية لغيرهما عليهما ، وما ثبت باصطلاحهما في حقهما يبطل باصطلاحهما كذلك واعترض عليه بأنها اذا كسدت باتفاق الكل لا تكون ثمنا باصطلاح المتعاقدين فيجب الا يكون عروضا ايضا

باصطلاحهما اذا كان الكل متفقا على ثمنيتهما سواهما واجيب بان الاصل في الفلوس ان تكون عروضا ، فاصطلاحهما على الثمنية بعد الكساد على خلاف الاصل، فلا يجوز ان تكون ثمنا باصطلاحهما لوقوعه على خلاف الاصل، واما اذا اصطلحا على كونهما عروضا كان ذلك على وفاق الاصل فكان جائزا ، وان كان من سواهما متفقين على الثمنية، وفيه نظر لانه ينافي قوله ان الثمنية في حقهما تثبت باصطلاحهما اذ لاولاية للغير عليهما، ويمكن ان يقال معناه ان الثمنية قبل الكساد تثبت باصطلاحهما، او بشرط فساد ان يكون من سواهما متفقين على الثمنية واذا بطلت الثمنية فلعودها عروضا تتعين بالتعيين، فان قيل اذا عادت عرضا عادت وزنية فكان بيع فلس بفلسين من بيع قطعة صفر بقطعتين، وذلك لا يجوز. اجاب المصنف رحمه الله بقوله ولا يعود وزنيا لانهما بالاقدام على هذا العقد ومقابلة الواحد بالاثنين اعرضا عن اعتبار الثمنية دون العد حيث لم يرجعا الى الوزن ، ولم يكن العد ملزوم الثمنية حتى ينتفي بانتفائها فبقى معدودا .. الخ » اهـ

هذا هو رأي الحنفية بالتفصيل في بيع الفلوس بعضها ببعض . اما صرف الفلوس الرائجة بالدراهم : ايشترط فيها الحلول ام يجوز التأجيل ؟ فقد ذكرت من قبل انهما قولان مشهوران في مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل .

والعلة عند الحنابلة فيها رأيان فعن الامام احمد روايتان اشهرهما ان العلة الوزن ، والاخرى ان العلة الثمن وبالنسبة للفلوس : فالمنصوص عن الامام احمد قوله : لا يباع الفلس بالفلسين ولا السكين بالسكينين ، ولا ابرة بابرتين اصله الوزن .

وذكر صاحب كتاب المغني روايتين عن القاضي ، احداهما تتفق مع ما سبق ، لان هذه الاشياء اصلها الوزن ، فلا تخرج بالصناعة عنه ، واختار هذه الرواية ابن عقيل .

والرواية الاخرى انه لا يجري الربا في هذا ، وقال : وهو قول الثوري ، وابي حنيفة ، واكثر اهل العلم ، لانه ليس بموزون ولا مكيل ، وهذا هو الصحيح ، اذ لا معنى لثبوت الحكم مع انتفاء العلة ، وعدم النص والاجماع فيه » اهـ

والمراد بالفلوس هنا الفلوس غير الرائجة ، فهي تباع كقطع نحاسية بالعد لا بالوزن فمنهم من نظر الى ان اصلها الوزن ، ومنهم راعى انها تعد ولا توزن وكل هذا باعتبار ان العلة الوزن لا الثمن اما الفلوس الرائجة فعند الحنفية كما بينا آنفا حكم اخر ، فاعتبروا بيع الفلس بالفلسين ربا .. وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية الذي نقلته في البداية ، وكلامه الآخر الذي جاء في فتوى هيئة كبار علماء السعودية ، وكلام تلميذه ابن القيم يوضح هذه المسألة .

ويمكن ان نسأل هنا : لماذا اختلف ائمتنا في القديم ولم يختلف علماؤنا في عصرنا ، بل كادوا يجمعون على رأي ؟

اقول - والله عز وجل هو الاعلم :

ربما حدث هذا لان الأصل وهو التعامل بالدينار والدرهم كان هو الشائع والفلوس كان دورها محدودا للغاية ، فما تتكون منها الثروات ، ولا رؤوس الاموال ، فالكثير منها بالدرهم الواحد ، فما بالك بالدينار ! فمنهم من قال : « الفلوس في الاصل من باب العروض ، والثمنية عارضة لها ، وبذلك عوملت معاملة النحاس الموزون او غير الموزون على خلاف بينهم ، ومنهم من نظر الى اصطلاح الناس وعرفهم فألحق الرائجة بالاثمان اما الآن فان الاصل قد انتهى ، فلا تعامل بدينار ذهبي ولا درهم فضي ، وحل محل الاصل الاوراق النقدية التي يتعامل بها جميع البشر ، فما لم تأخذ حكم الاصل او قفنا حكم الله تعالى ، وابطلنا شريعته في ركن هام من اركان الاسلام فالظهور الواضح كل الوضوح للثمنية في الاوراق النقدية ، مع اختفاء الاصل وانتهاء التعامل به.جمع كلمة العلماء في عصرنا ووحد رأيهم .

لا ... ما هكذا يكون الاستدلال !!

ويبقى بعد هذا التعقيب على قول فضيلة الشيخ :

قلت في بحثي السابق : ذهب الامام ابو حنيفة الى ان العلة هي الوزن ، وبهذا قال الامام احمد في احدى روايتين عنه .
وقال الائمة : مالك والشافعي واحمد في الرواية الثانية : العلة في الاثمان الثمنية .
والشيخ في رده نقل كلاما من فقه الحنفية ومما يتفق معهم من الرواية الاولى عن الامام احمد ، ثم قال : هذه هي آراء القائلين بالعلة ! ولم يشر الى الاخرين ، ولا الى ان هذه آراء القائلين بان العلة هي الوزن لا الثمنية !!
كما نقل اجزاء مبتورة ، وشرحها كما اراد : فقال « باع فلوسا بمثلها او بدراهم او بدنانير فان نقد احدهما جاز » .
ومعلوم كما سبق ان هذا فيه قولان مشهوران في مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل فذكر الشيخ ما يوافق رأيه ولم يشر لغيره .
ثم ذكر كلاما استنتج منه ان الفلوس الرائجة عند اكثر العلماء لا تخضع لاحكام الصرف ، فيجوز بيع الفلس بالفلسين مع القبض او تأجيل احد الثمنين !!
وتلك قاصمة الظهر !
هذا اجمال للادلة التي ساقها فلننظر بشيء من التفصيل :
ما نقله الشيخ حسن من حاشية ابن عابدين كلام مبتور لا يعطي الصورة الصحيحة لمذهب الحنفية ولو انه نقل الكلام بتمامه ثم عقب بما اراد لكان المسلك مناسبا للبحث العلمي الصحيح .
واليك البيان :

جاء الحديث عن حرمة بيع كيلي ووزني بجنسه متفاضلا ولو غير مطعوم ، وحل بيع ذلك متماثلا لامتفاضلا ، وكذلك حل البيع اذا لم يصل المعيار الشرعي ، وهو الحبة في الوزن ، ونصف الصاع في الكيل كحفنة بحفنتين وتفاحة بتفاحتين ، وفلس بفلسين باعيانهما وشرح ابن عابدين وبين الآراء المختلفة وفي الفلوس تحدث بايجاز عما نقلته بالتفصيل من قبل كما جاء في الهداية وبعض شروحه ، والحكم هنا وهناك واضح ، وهو غير ما انتهى اليه الشيخ حسن فلا حاجة لذكر شرح ابن عابدين هنا .

ويأتي بعد ذلك ما نقله من الدر المختار وهو « باع فلوسا بمثلها او بدراهم او بدنانير فان نقد أحدهما جاز ، وان تفرقا بلا قبض احدهما لم يجز » .
وبين ابن عابدين في حاشيته الآراء المختلفة مع الأدلة ثم انتهى الى قوله .
« فصار الحاصل ان ما في الاصل يفيد اشتراطه من احد الجانبين وما في الجامع اشتراطه منهما » وما ذكره ابن عابدين هنا هو ما قال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية بانهما قولان مشهوران في مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل اذن عدم اشتراط التقابض هنا هو احد رأيين عند الحنفية ، وليس هو مذهب الحنفية كما ذكر الشيخ حسن .
وما ذكره بعد ذلك على انه تعليق لابن عابدين غير صحيح ، وانما هو جزء من كلام اثبته ابن عابدين ليعلق عليه ، واليك النص كاملا :
« تنبيه : سئل الحانوتي عن بيع الذهب بالفلوس نسيئة ، فاجاب بانه يجوز اذا قبض احد البدلين لما في البزازية لو اشترى مائة فلس بدرهم يكفي التقابض من احد الجانبين قال : ومثله ما لو باع فضة او ذهبا بفلوس كما في البحر عن المحيط ، قال فلا يغتر بما في فتاوى قارىء الهداية من انه لا يجوز بيع الفلوس الى اجل بذهب او فضة لقولهم لا يجوز اسلام موزون في موزون الا اذا كان المسلم فيه مبيعا كزعفران والفلوس غير مبيعة بل صارت اثمانا : اهـ
قلت : والجواب حمل ما في فتاوى قارىء الهداية على ما دل عليه كلام الجامع من اشتراط التقابض من الجانبين ، فلا يعترض عليه بما في البزازية المحمول على ما في الاصل وهذا احسن مما اجاب به في صرف النهر من ان مراده بالبيع السلم ،

والفلوس لها شبه بالثمن ، ولا يصح السلم في الاثمان ومن حيث انها عروض في الاصل اكتفى بالقبض من احد الجانبين تأمل « انتهى ما في الحاشية) هذا هو التنبيه كاملا ، وتعقيب ابن عابدين يبدأ من كلمة « قلت » والشيخ حسن نقل ما في البزازية والمحيط فقط على انه تعليق لابن عابدين يؤيد القول بالتأجيل ! ثم قال بعد هذا :
جاء في الدر المختار ايضا ان عملة الذهب والفضة اذا كان اكثر ما فيها ليس ذهبا ولا فضة فانها في حكم عروض التجارة فيصح بيعها بجنسها متفاضلة مع القبض

في المجلس مراعاة لما فيها من ذهب او فضة .
ومفهومه انه اذا لم يكن فيها ذهب ولا فضة فانها عروض يجوز فيها التفاضل وتأجيل احد الثمنين . وهذا صريح وواضح كل الوضوح في ان العملة الرائجة اذا خلت من الذهب والفضة صارت عروض تجارة » أهـ
واقول لفضيلته :

كيف يستنتج هذا الاستنتاج الصريح الواضح كل الوضوح ! وهم قالوا في الفلوس الرائجة بان بيع الفلس بالفلسين ربا ؟ وقالوا : لان الفلوس الرائجة امثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على سقوط قيمة الجودة منها ، فيكون احدهما فضلا خاليا مشروطا في العقد وهو الربا . ولاخلاف في هذا عند الحنفية جميعا ، اما الخلاف فهو في الفلوس المعينة كما بينا التي هي عروض لا اثمان ونقود حيث فقدت قيمتها كنقود ، وبقى ما فيها من نحاس وصنعة ومن هنا يمكن الاختلاف ، والنقود غير الرائجة يجوز فيها بيع الفلس بالفلسين في رأي ابي حنيفة واحد الصاحبين وهو ابو يوسف وخالف في هذا محمد
فاستنتاجك يمكن ان يكون صحيحا لو انك قلته بالنسبة للعملة غير الرائجة ويكون هذا مخالفا لاحد الصاحبين .

اما ان يقولوا جميعا : هذا ربا ، هذا حرام وتستنتج انت بانه يفهم من كلام لهم انه حلال فهذا بعيد كل البعد عن الصواب ولمزيد من البيان اقول :
الصورة الوحيدة التي اباحها ابو حنيفة واحد صاحبيه هي بيع فلس بعينه بفلسين باعيانهما وهذا لا ينطبق بحال على العملة الورقية ، مثلا ، اذا اشتريت شيئا بدينار كويتي ، فلا يقصد دينار بعينه ، اي الدينار رقم كذا ، وانما اي دينار كويتي ما دام رائجا قابلا للتداول حتى اذا اخرجت الدينار وعرف انه رقم كذا يمكن ان يستبدل بدينار اخر والبيع يقع صحيحا ، ولا يملك احد حق الاعتراض .
فمن غير الصواب اذن قياس العملة الورقية على الفلوس في الصورة التي اباحها الامام واحد الصاحبين وربما جاز القياس على الصور الاخرى التي اجمعوا على انها غير جائزة وان الزيادة ربا .
على ان هذا كان مقبولا عندما كان هناك دراهم ودنانير هي اصل التعامل ، وفلوس قد يتعامل بها الناس .

وجاء في الرد ايضا كلام من كتاب المغني واستنتج منه ان اكثر اهل العلم يقولون في الفلوس الرائجة بجواز بيع الفلس بالفلسين ؟
وكلام المغني ذكرته في كلام سبق عن الفلوس عند الحنابلة وهو موجود في المغني تحت فصل « فاما مالا وزن للصناعة فيه كمعمول الحديد والرصاص والنحاس والقطن والكتان والصوف والابريسم » .

فتحول هذا الى ان « مراد صاحب المغني ان الفلوس الرائجة لا تخضع لاحكام الصرف ثم يبلغ الذروة فيقول : فما رأى علمائنا في هذه النصوص الفقهية والتي عليها اكثر العلماء كما قال صاحب المغني ؟ وهذه النصوص التي نقلتها من كتب الفقهاء كافية في الرد على كل من اخضع الاوراق المالية والنقود المعدنية بالذهب في احكام الصرف » .

واترك الرد هنا للسادة العلماء ، فالسؤال موجه اليهم ولكن القارىء العادي ، فضلا عن العالم ، يستطيع ان يقول : لا .. ما هكذا يكون الاستدلال !!

سؤال

لعل من المفيد ان نسأل الشيخ :

ماذ تريد ان تقول للمسلمين ؟

قررت ان الفلوس الرائجة يجوز بيع الفلس بالفلسين ، وليس في هذا ربا فضل ، ولا ربا نسيئة ، لأن الفلوس الرائجة لا تخضع لاحكام الصرف ، ومثلها نقود العصر ، والربا في الصرف ينحصر في الذهب والفضة .

فلو صح ما تقول :

لجاز بيع الدينار بالدينارين ، والجنيه بالجنيهين والريال بالريالين ، والدولار بالدولارين ، وبالطبع لن يقبل احد ان يتم هذا الا مع الاجل .

لا تقل : بان هذا قرض جر نفعا ، لانك لم تقله في بيع الفلس الحال بالفلسين الآجلين ، وقلت بان الاوراق النقدية كالفلوس الرائجة . وعلى سبيل المثال :

يمكن التجارة مع الحجاج والمعتمرين :فما اشد حاجاتهم الى الريالات السعودية ! فيجوز لتجار العملة ان يعطوهم الريال بالريالين بعد عام ، أو الريال بجنيه مصري بعد عام ، وان اختلف عن السعر اليومي . أبهذا تيسرون على انفسكم وعلى الناس ، وترحمون انفسكم وترحمون الناس ؟

أخطاء

ما ذكره فضيلة الشيخ في « خامسا » يستطيع القارىء الكريم ان يجد ما يكفي

للرد فيما سبق من هذا البحث ، بل لم يعد مايصدر يحتاج إلى رد ، واذا كنا جميعا نعلم انه « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ، فانني ـ والله تعالى يشهد ـ احب له الا يتجرأ على الفتوى .

واكتفي هنا ببيان بعض الاخطاء (من وجهة نظري بالطبع ، وربما اكون انا المخطىء ، والله تعالى اعلم) :

١ ـ من الخطأ قول الشيخ حسن :

« قال الدكتور : انني قلت في الشريط الذي فيه الفتوى والذي يرد عليه الدكتور : ان تحريم الربا في الاصناف الستة المذكورة في الحديث غير معلل بعلة ، وان الربويات قاصرة عليها ، كما تقول الظاهرية ؛ واقام الدكتور الدنيا ولم يقعدها في مقاله بناء على ان الظاهرية وحدهم لا يصلحون حجة في نظره » .

والخطأ هنا هو انه ينسب اليَّ غير ما قلت ، فقد قلت بالنص :

« ومما تجدر الاشارة اليه ان صاحب الفتوى قال بان الفقهاء قاسوا جميع المطعومات على الاربعة المذكورة ، ولا ندري لماذا لم يشر الى القياس بالنسبة للذهب والفضة ؟! »

وبعد ان بينت علة الربا في الذهب والفضة عند الائمة الاربعة ، وذكرت بعض ما حدث بين الحنفية والشافعية ، قلت :

« والمهم هنا ان الأئمة ذهبوا الى التعليل ، وان اختلفوا في بيان العلة ، فليس صحيحا ما ذكره صاحب الفتوى من القول بأن الحكم لا يقبل التعليل » .

ولا ادري كيف نسب إلى ذاك القول ، واستنتج استنتاجه ؟!

وقد يكون الرأي في اهل الظاهر هو ما استنتجه ، غير انه لم يقل برأيهم الا في رده ، اما فتواه المسجلة ففيها ما ذكرته ، وأخذته عليه ، ولذلك قلت في محاضرة عامة :

كان على صاحب الفتوى ان يبين ان هذا رأي خاص به ، فليس مع اهل الظاهر ، ولا مع الأئمة الاربعة ، اما ان يقول بان الفقهاء قاسوا جميع المطعومات على الاربعة المذكورة ، وان الحكم ذكر بغير تعليل فلا يقبل التعليل في الذهب والفضة ، فهذا غير صحيح .

٢ ـ ومن الخطأ كذلك ما ذكره الشيخ حسن من كلام صحيح لابن رشد ليستنتج منه ان المالكية لا يلحقون الفلوس الرائجة بالنقدين ! وما نقلته من المدونة في بداية البحث عن الامام مالك نفسه ، وعن شيوخ المالكية جميعا ، فيه النص على الحاق الفلوس بالنقدين ، فكيف اباح الشيخ حسن لنفسه ان يستنتج هذا الاستنتاج الخاطىء ، ويقول عن المالكية ما لم يقولوا ؟!

ثم يقول بعد ذلك :

« وقد مرت صور تطبيقية للفلوس ، وانها لم تعامل عند الفقهاء معاملة الذهب والفضة » .

وما ذكرته في بداية البحث ، ردا على النتيجة التي انتهى اليها ، فيه ما يكفي لبيان خطأ هذ القول .

٣ ـ ومن الخطأ كذلك ان يقال :

« الفلوس رائجة رواج العملة الورقية اليوم او قريبا من ذلك » .

فالفلوس في اكثر الاوقات رواجا لها دور محدود للغاية لا تزيد عنه ، إلى جانب وجود الدينار والدرهم ، اما العملة الورقية فقد حلت محل النقدين ، وانتهى التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلوس التي تصنع من النحاس وغيره لا تزال تقوم بدورها المحدود الى جانب العملة الورقية .

٤ ـ ومن الخطأ قوله :

« العلة القاصرة لا يقاس عليها شيء . وفي آخر الكلام جعلها الدكتور صالحة للقياس ليصل الى اغراضه في الاوراق المالية ، وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل ، وجعل العبارتين متقابلتين هكذا تشعر بهذا التناقض الذي جاء من الدكتور لا من غيره : « الحكم مقصور على العلة القاصرة فلا نطمع في القياس عليها . ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به . »

اقول : لو كان هنا تناقض لكان من الشافعية وليس مني لانهم هم اصحاب هذا القول ، فكيف يقال بان التناقض جاء من الدكتور لا من غيره ؟!

ولو كان هنا تناقض لكان من المالكية اوضح ، فهم قائلون بالعلة القاصرة كما ذكر الشيخ نفسه ، ومع ذلك الحقوا الفلوس الرائجة بالنقدين ، وقال الامام مالك قوله الذي ذكر من قبل « ولو ان الناس اجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها ان تباع بالذهب والورق نسيئة » .

غير انني اقول : لا تناقض هنا ، لان الكلام يعني انهم عند استنباط العلة وجدوها قاصرة ، فلا نقود الا الدينار والدرهم ، فلا يطمع احد في القياس اذن في ذاك الوقت ، ولكن هذا لا يعني انها تظل قاصرة على النقدين الى قيام الساعة ، ومن هنا جاء قولهم : ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به .

فلا تناقض هنا اذن ، وبينت سابقا الاتفاق بين المالكية والشافعية في القول بالعلة القاصرة ، والاختلاف في تطبيقها على الفلوس الرائجة .

بقى هنا ان اشكر الشيخ حسن على قوله « وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل » ، فنحن مأمورون بالتواصي بالحق ، وان كان ما سلكته هو المسلك الصحيح ، الا انه بدا له ان هذا خطأ فذكره ، وكما قيل : رحم الله امرأ اهدى الى عيوبي .

وارجو الشيخ الفاضل حسن ايوب النظر الى المآخذ التي ذكرتها في بحثي على انها من هذا الباب ، باب التواصي بالحق .

مجموعة رسائل رئيس المحاكم الشرعية بقطر

قال الشيخ حسن في « سادسا » :

« ومع ذلك فلست وحدي القائل . في عصرنا هذا ـ بان الأوراق المالية تعامل معاملة السلع وعروض التجارة ، فقد قال به غيري من العلماء المعاصرين : فقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر في كتابه (مجموعة رسائل) ان للعلماء اقوالا مختلفة في الحكم في الأوراق المتعامل بها ، فبعض الفقهاء الحقها بالعروض ، وبعضهم الحقها بالسند على البنوك » .

وتوقف الشيخ حسن عند هذا القول لينتقل الى « سابعا » ، ولعل من المفيد ان نذكر الكلام بتمامه .

جاء في الكتاب المذكور تحت عنوان : « البيان في حكم التبايع نسيئة بالاوراق الجاري بها التعامل في هذا الزمان »

البيان في حكم التبايع نسيئة بالاوراق الجاري بها التعامل في هذا الزمان :

« ان للعلماء اقوالا مختلفة في الحكم في الاوراق المتعامل بها ، اي فيما يتعلق بالتعامل بها وفي تحقيق المناط في الحاقها بشيء من العقود المتعامل بها وفي حكم زكاتها ، وفي حكم بيع بعضها ببعض نسيئة .

فبعض الفقهاء الحقها بالعروض وبعضهم الحقها بالسند على البنوك .

ويظهر ان هذه الاقوال صدرت منهم حال ابتداء اختراع التعامل بها وعدم الثقة بها في ابتداء امرها ، حيث جعلها بعضهم بمثابة العروض وبعضهم جعلها بمثابة الدين على البنوك الذي لا يثق به حتى يقبضه ، فهي سند على نقود دين لم تقبض ، هذا حاصل الاقوال منهم حالة ابتدائها وهو اجتهاد منهم يؤجرون عليه ، غير أن الأجتهاد يتبدل كما قال عمر في مسألة المشتركة : « تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي » .

ان حاصل الاوراق المالية في ابتداء امرها حال اختراع التعامل بها كانت تصدرها الحكومات على اختلاف اجناسها ، وتلتزم دفع المبلغ المكتوب عليها ذهبا كان او فضة فحامل ورقة الذهب يقبض ذهبا وحامل ورقة الفضة يقبض فضة من غير تأخير ، فجرى العمل بذلك ازمانا متعددة .

اما الآن وفي هذا الزمان ، فقد زال هذا الالتزام ، لان الحكومات على اختلاف اجناسها اخذت تسك اوراق العملة بدون ملاحظة لما لديها من ذهب او فضة ، فهي تتمشى على عز الدولة وقوتها وسياستها في نظام تقوية عملتها ، مما يقتضي الثقة بها

وقبول البنوك لها .

إذ ليس في الامكان الآن ان تدفع الحكومة ما لديها من ذهب وفضة الى من بايديهم الاوراق المتعامل بها ، وانما تحتفظ بالذهب والفضة في خزائنها ، مع التزامها لسير عملتها وتعزيزها في التعامل بها كذهب وفضة .

ومن نظر الى الاشياء بعين المعقول وطبقها على قواعد النصوص والاصول يتبين له بطريق الوضوح ان حكمة التشريع تقتضي جعل هذه الاوراق المتعامل بها بمثابة الذهب والفضة على حد سواء . بحيث تجعل ميزانا للتعامل كالنقود المعدنية في البياعات وفي الديات وقيم المتلفات واروش الجنايات وفي دخول الربا عليها ووجوب الزكاة فيها .

وليس عندنا ما يمنع جواز اختراع الناس لنقود من القرطاس او النحاس او الرصاص ، يتعاملون بها كتعاملهم بالذهب والفضة ، سيما اذا كانت هذه العملة مضمونة عن طريق الحكومة والبنوك فيتعلق بها من الاحكام وامور الحلال والحرام ما يتعلق بالذهب والفضة والفلوس على حد سواء .

وبذلك يتبين ان الاوراق المالية على اختلاف اجناسها تقوم مقام الذهب والفضة في المنع من بيع بعضها ببعض نسيئة وينطبق عليها حكما ومعنى ما ينطبق على بيع الذهب والفضة نسيئة أ هـ . ، هذا ما جاء في الكتاب الذي اشار اليه الشيخ حسن ، ولولا هذه الاشارة ما نقلت شيئا من هذا الكتاب القيم ، لان قضايا العصر لا يبحثها فرد ويقول فيها برأيه ، بل الافضل - ان لم يكن الواجب - ان تكون الفتاوي جماعية ، لهذا لم استند في بحثي الى فتاوي افراد .

وما دام فضيلته قد جرنا الى هذا الكتاب فلنقرأ شيئا قليلا منه جاء في ص ٣٢٠ ، ٣٢١ :

« والقواعد الشرعية والقياس الصحيح يعطي النظير حكم نظيره ويسوي بينهما في الحكم ويمنع التفريق بينهما والاستدلال بالملزوم على لازمه وتعديه هذا الخصوص الى العموم لان الاعتبار في احكام الشرع هو بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولو لم يكن حكم الشيء حكم مثله لما لزمت التعدية ولما قامت الحجة على الناس في سائر احكام الكتاب والسنة .

كما ان الصحابة - رضي الله عنهم - يقيسون الاشياء بنظائرها ويشبهونها بامثالها ويلحقون بعضها ببعض في احكامها ففتحوا للعلماء باب الاجتهاد ونهجوا لهم طريقة وبينوا لهم قاعدة تحقيقه وتطبيقه .

فالشريعة منزهة عن ان تنهي عن شيء لمفسدة فيه ثم تبيح ما هو مشتمل على تلك المفسدة او ازيد منها ، فان الله سبحانه على لسان نبيه اوجب الحلول والتقابض في بيع الدنانير بالدراهم ونهى عن بيع بعضها ببعض نسيئة رحمة منه بأمته ومن المستحيل ان يشرع من التبايع بهذه الاوراق النقدية ما يسقط به ما اوجبه او يبيح به ما حرمه من التوصل الى الربا الذي لعن آكله ومؤكله وآذنه بحرب

من الله ورسوله وشدد فيه الوعيد لما يشتمل عليه من المفسدة في الدنيا والدين ومع هذا يتحيل بعض الناس في التوصل الى هذا الامر المحرم بجعل هذه النقود بمثابة العروض التي يسوغ بيع بعضها ببعض نسيئة وخفي عليهم ان حكم النظير حكم نظيره وانكار التفريق بين المتماثلين فلا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل .

فالذهب والفضة من الاوراق المتعامل بها وان اختلفا جنسا ، فقد اتفقا حقيقة ومعنى لاعتبار كل منهما قيما للاموال وتضمن بالاتلاف ومتى كان الربوي يشارك مقابله في المعنى فانه يشاركه في حكمة المنع اذ لا يمكن ان ينهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بيع الذهب بالفضة دينا ، ثم يرخص فيما يماثلهما ويقوم مقامهما في الثمنية اذ الاحكام الشرعية تعطي النظير حكم نظيره .

فمتى كان الامر بهذه الصفة ، فان بيع اوراق العمل بعضها ببعض نسيئة هي نفس ما نهى عنه رسول الله من بيع الدراهم بالدنانير نسيئة . »

وفي ص ٣٢٣ :

« وسر الحكمة ان من قال بجواز بيع اوراق العملة بعضها ببعض نسيئة ، واعتبرها كعروض ، فقد فتح للناس باب الربا على مصراعيه واباحه لهم بنوعيه وقادهم الى فعل ما نهاهم عنه رسول الله .»

السلم

ما ذكره في « سابعا » اشرت الى مثله من قبل ، وذكرت الرد عليه .

وفي « ثامنا » قال :

« والخلاصة انني ارى ان الاوراق النقدية بعيدة كل البعد عن اعتبارها اثمانا ربوية مثل الذهب والفضة ، وانه يجوز التعامل بها يدا بيد وبأجل وبزيادة ونقص مثل عروض التجارة والفلوس ، وانه يجوز السلم فيها . »

وألاحظ هنا :

ان قوله « يدا بيد وبأجل » ، « وبزيادة ونقص » يؤكد ما قلته من قبل من ان هذه الفتوى تعني حل بيع الدرهم بالدرهمين ، والدينار بالدينارين ، والريال بالريالين ، وهكذا ، مع الاجل !! وعلى سبيل المثال كذلك :

لو ان احد التجار كان عنده كمبيالة تستحق الدفع في الحال ، وآخر عنده كمبيالة تدفع بعد عام ، والاولى بالف دينار ، والاخرى بالف وخمسمائة ، يحل بيع الاولى بالثانية !

وهكذا نرد على اعقابنا الى ربا الجاهلية من اوسع الابواب بطريقة عصرية .

وقد اشرت الى هذا ، وتحدثت عن السلم في بحثي السابق ، فلا حاجة لاعادة ما

ذكرته ، غير اني اضيف هنا ما يأتي عن السلم :

العلماء اجمعوا على جوازه في كل ما يكال او يوزن لما ثبت من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر السنتين والثلاث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم » . (متفق عليه) واتفق العلماء كذلك على امتناع السلم فيما لا يثبت في الذمة ، وهي الدور والعقار . واما سائر ذلك من العروض والحيوان فاختلفوا فيها ، فمنع ذلك داود وطائفة من اهل الظاهر مصيرا الى ظاهر هذا الحديث . والجمهور على انه جائز في العروض التي تنضبط بالصفة والعدد . (انظر بداية المجتهد ٢ / ٢٠١)

ومن المعلوم ان السلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المعجل فيه هو الثمن ، وهو من الذهب او الفضة ، والمؤجل هو الشيء المكيل او الموزون ، وكان عادة من الطعام .

والقول بأن الاوراق النقدية يجوز فيها السلم قول مرفوض لما يأتي :

١ - الوقوف عند ظاهر الحديث في الصرف ، وعدم الوقوف عند ظاهر الحديث في السلم تناقض .

٢ - اعتبار احدى العملتين الورقيتين رأس مال السلم يعني اعتبارها كالذهب والفضة ، فكأننا نقول : العملة الورقية ليست اموالا ربوية لانها ليست كالذهب والفضة ، وتعتبر رأس مال السلم لانها كالذهب والفضة !!

٣ - اعتبار احدى العملتين كالطعام او ما شابهه مما يكال او يوزن ، والعملة الاخرى كالذهب والفضة ، تحكم بلا دليل .

٤ - إن المال يقسم في الفقه الاسلامي طبقا للغرض منه الى :

أ - مال يقصد به المعاملة ، وهو النقود فقط .

ب - مال يقصد به الانتفاع ، وهو العروض .

وتنقسم العروض الى قسمين :

- عروض قنية : وهي غير معدة للبيع ، وغير مرصدة للنماء .
- عروض التجارة : وهي معدة للبيع ، ومرصدة للنماء .

وبناء على ذلك فاننا نجده خلط بين قسمين منفصلين باعتباره الاوراق المالية (وهي نقود) تعامل معاملة عروض التجارة ، وهذا خلط جوهري ، لان التقسيم السابق بني على أساس أن النقود مجموعة منفصلة عن العروض نظرا لأنها لا تقتنى لذاتها ، أو للأنتفاع بأعيانها ، والعكس صحيح بالنسبة للعروض .

بقى هنا ان اقف وقفة مع رأي الشيخ حسن الذي قال بأنه يتفق مع رأي اهل الظاهر :

فالواقع انه لا يتفق الا في الجانب النظري الظاهري القائل بعدم التعليل والقياس ، اما عند التطبيق على العملة الورقية فلا يتفق معهم في شيء !

فهو يرى جواز بيع بعضها ببعض مع الاجل من باب السلم ، والظاهرية يمنعون هذا :

فهم يقولون : « السلم ليس بيعا ، لان التسمية في الديانات ليست الا لله عز وجل ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وانما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلف ، او التسليف ، او السلم » .

ثم يقولون :

« لا يجوز السلم الا في مكيل او موزون فقط ، ولا يجوز في حيوان ، ولا مزروع ، ولا معدود ، ولا في شيء غير ما ذكرنا » (المحلى ١٠/٤٥)

فالاوراق النقدية ليست من المكيل او الموزون ، وانما من المعدود الذي نصوا على انه لا يجوز .

رأي الشيخ حسن اذن يخالف جمهور الفقهاء من السلف والخلف لعدم اخذه بالتعليل ، ويخالف اهل الظاهر ايضا عندما جاء للتطبيق العملي .

الخاتمة

ما جاء في « تاسعا » وهو ختام بحثه هو الذي بدأت به بحثي هذا .

وقبل الانتهاء من البحث احب ان نتذكر ما يأتي :

١ ـ قضايا العصر التي تجد وتحتاج الى اجتهاد لبيان حكم الاسلام فيها ، لا يستطيع عالم فرد ـ كائنا من كان ـ ان يتحمل وحده مسؤولية الاجتهاد والبيان ، ولذا قرر المجمع في اول مؤتمر له « ان السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة هي ان يتخير من احكام المذاهب الفقهية ما يفي بذلك ، فان لم يكن في احكامها ما يفي به فالاجتهاد الجماعي المذهبي ـ فان لم يف كان الاجتهاد الجماعي المطلق ـ وينظم المجمع وسائل الوصول الى الاجتهاد الجماعي بنوعيه ليؤخذ به عند الحاجة » .

٢ ـ كل من يتصدى للاجتهاد عليه ان يتثبت حتى لا ينزل عليه سخط من الله جلت قدرته ، على ان يكون ممن استكمل شروط الاجتهاد المقررة .

٣ ـ فقه الامام الشافعي في الجديد اختلف عن فقهه في القديم كما ذكر الشيخ حسن ، وبالطبع لم يقلل هذا من شأن الامام ومقامه ومكانته .

فمتى اتضح عدم صحة الفتوى وجب العدول عنها فورا ، وكذلك اذا وجد انها خالفت مقاصد الشريعة فساعدت مثلا على اكل اموال الناس بالباطل .

٤ ـ التيسير على الناس يظهر في فتوى مجمع البحوث الاسلامية في الحوالة التي تعتمدها البنوك .

فقد بحثها في مؤتمره الثاني وارجأ اصدار الفتوى لمزيد من البحث ، ثم عاد لاستكمال البحث في مؤتمره الثالث واصدر فتواه بانها حلال .

(ولعلنا نستفيد من هذا المسلك في التريث في اصدار الفتوى ، وفي الاخذ بالفتاوي الجماعية دون الفردية)

ويظهر التيسير كذلك في الاخذ بان مفهوم القبض قد يختلف بحسب طبيعة الاشياء ، وهذا واضح في البيوع ، وبحسب احوال الناس في العصور المختلفة ، والبيئات المتباينة ، وطبيعة معاملاتهم :

فكما كانت السفتجة ـ وهي ورقة ـ تقوم مقام القبض ، فكذلك الحوالة والشيك الحال . فهنا لا تعمد للتأجيل ومخالفة عن امر الله عز وجل ، وانما طبيعة العصر تمنع الناس من قبض بعض العملات الورقية ذاتها في الحال .

اما اذا كانت العملتان موجودتين ، فلا ضرورة ، ولا حاجة من حاجات العصر الملجئة ، وهنا يكون قبض كل من العملتين لازما ، لأن الضرورة تقدر بقدرها .

٥ ـ تعمد تأجيل احدى العملتين مقابل الزيادة كلما زاد الاجل يعود المسلم على التعامل بالربا ان لم يكن هو عين الربا ، كما يمنع القرض الحسن .

والفوائد التي تحددها البنوك ، والتي هي ربا محرم كما افتى مجمع البحوث الاسلامية ، يمكن ان تصبح من باب السلم الذي ذكره الشيخ حسن ، ويمكن كذلك حتى تكون مطبقة لنص فتواه ان تأخذ بعملة وتعطي باخرى ، وتعطي بعملة وتأخذ بأخرى ، فتقرض مائة دينار مثلا بالفي ريال بعد عام ، ولا تذكر كلمة (قرض) وانما تبيع وتشتري . والذي اخذ مائة الدينار ليس من اصحاب الريالات ، ولا يريد بيعا ولا شراء ، وانما يريد قرضا حسنا ، فلما لم يجد اخذ هذا القرض الذي لبس ثوب البيع ، وواضح جلي ان البنك حصل على مئات الريالات فائدة لهذا القرض .

وتعمد التأجيل مع الزيادة ليس من باب التيسير والرحمة بالناس ، ولا تدعو اليه ضرورة ولا حاجة ، وانما هو فتح لباب التعامل بالربا ، واغلاق لباب القرض الحسن .

٦ ـ الذين استفادوا ـ دنيوياً ـ من فتوى الشيخ حسن اكثرهم من تجار العملة ، الذين اشاعوا فتواه المسجلة ، ثم نشروا رده على نطاق واسع قبل ان تنشره مجلة الوعي الاسلامي .

وهذا الصنف من التجار ـ وبالطبع لا اقصد كل تجار العملة ، يعتمد على نظام الاقتراض والاقراض بفائدة تقل عند الاقتراض ، وترتفع عند الاقراض ، وجعلوا هذه القروض بيعا وشراء ومرت امثلة لهذا .

٧ ـ كانت النقود التي تعارف الناس عليها موجودة قبل التعامل بالذهب والفضة كما هو معلوم لمن يدرس تاريخ النقود ، واشرق عصر النبوة وتعامل المسلمون بنقود رومية وفارسية ، ولم يظهر الدينار الاسلامي الا في عهد الدولة الاموية وتطورت النقود بعد ذلك حتى وصلت الى ما نراه في عصرنا ، وقد تتبدل بعد هذا فتصبح شيئا آخر .

وشرع الاسلام احكام النقود في فترة من تاريخها ، افتبقى هذه الاحكام وتطبق على النقود التي يتعامل بها البشر في اي عصر ، ام يتوقف حكم الله تعالى ويتعطل ركن من أركان الاسلام ؟

٨ ـ احكام النقود باقية لا تتعطل ، سواء اكانت من ذهب او فضة ام كانت من غيرهما مما يصطلح الناس عليه ويتعاملون به .

وممن رأينا انهم يعطون جميع النقود احكام النقدين في الصرف الامام مالك ، وجميع شيوخ المالكية جميعا ، والامام الليث بن سعد ـ الذي قيل انه افقه من الامام مالك ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ثم جميع علماء العصر الحديث تقريبا .

ويعارض هذا الرأي رأي اهل الظاهر الذين اتفق الجميع على عدم الاخذ برأيهم في الزكاة وفي السلم ، مما يجعلنا نرفض رأيهم ، فلا يصح ان نأخذ برأيهم في حكم واحد من أحكام النقود ثم نرفض باقي الاحكام وأدلة الاحكام هنا واحدة .

والمهم في مسألتنا هو ما رأيناه من قبل : حيث ظهر ان رأي أهل الظاهر يتفق مع جميع من ذكرنا آنفا في منع الأجل عند بيع الأوراق النقدية لأنهم لا يجيزون السلم في المعدود ولا في غير المكيل او الموزون .

وغير هؤلاء الأئمة والعلماء لا أستطيع ان اجزم برأيهم في المسألة ، وان كنت أرجح ان علماء العصر لا يختلفون معهم : فالحنفية غير قائلين بالثمنية ومع ذلك وجدنا رأيهم في الفلوس الرائجة يسير مع هذه العلة فما بالنا لو ان ائمة الحنفية عاشوا في عصرنا ، ووجدوا نقود اليوم تأخذ مكان نقود الأمس ؟

والشافعية رأوا ان ما يشارك الاصل في علة الثمنية يأخذ حكمه ، ومع ذلك لم يطبقوا هذا على الفلوس الرائجة كما بينت رأيهم من قبل ، ولكن لو أن الامام الشافعي كان في عصرنا أيمكن ان تخفى عليه علة الثمنية في نقود العصر ؟

والحنابلة كذلك الذين اختلفوا ايمكن الآن أن يقولوا بالوزن ويتركوا الثمنية ؟! ان الثمنية في عصرنا من الوضوح والظهور بما لا يبقى اي خلاف والذين اتفقوا مع اهل الظاهر في ترك التعليل ، يمكن ـ بل يجب ـ ان يتفقوا معهم في التطبيق العملي حتى لا يقعوا في التناقض والاضطراب فهم اذن لا يختلفون مع فقهاء العصر في مسألتنا .

ومع الأخذ بالنصوص دون التعليل يمكن عدم الانفراد بالرأي ، وإنما تطبق احكام الدنانير والدراهم على كل النقود أخذا بما يعرف في الأصول بفحوى الخطاب ومفهوم الموافقة ، فتطبيق حكم النقدين على نقود عصرنا ، بل نقود كل عصر ومصر ، هو أخذ بدلالة النص لمن تدبر وفقه .

واحب هنا ان أوضح منهجا للشافعية قد يغيب عن بعض الناس :

فالامام الشافعي في مذهبه ينظر في العقود الى الاستيفاء الشكلي ، فيصح العقد عنده متى استوفى الاركان والشروط ، بغض النظر عن البواعث والمقاصد . وصحة العقد لا تعنى انه يحله ، فقد يحكم بصحة العقد ، وفي الوقت ذاته يحكم بالحرمة .

مثال هذا بيع السلاح في الفتنة بقصد تسليح اهلها ، فالامام الشافعي يقرر صحة البيع ، غير انه لا يحل تمكين اهل الفتنة من السلاح .

والقريب من مسألتنا هنا مثلا هو بيع العِينَة ، والعينة معناها السلف ، وبيع العينة هو ان يبيع شيئا بثمن مؤجل ويسلم للمشتري . ثم يعود المشتري ليبيع الشيء نفسه للبائع نقدا بثمن اقل مما اشترى،مثلا يبيع تاجر سلعة بألف دينار والثمن يدفع بعد شهر ، ويتسلم المشتري السلعة ثم يأتي البائع ليشتري السلعة المذكورة من المشتري ويدفع له في الحال تسعمائة دينار .

الصورة هنا بيع وشراء والحقيقة قرض بربا ، اقرضه تسعمائة يردها بعد شهر الفا .

وهذا البيع هو الذي استدل ابن القيم على عدم جوازه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم - « يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » وقال عنه : من المعلوم ان العينة عند من يستعملها انما يسميها بيعا ، وقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد ، ثم غير اسمها الى المعاملة ، وصورتها الى التبايع الذي لا قصد لهما فيه البتة ، وانما هو حيلة ومكر وخديعة لله تعالى .. الخ .

هذا المسمى بالبيع لم يحله احد من الفقهاء ، فهو عمل غير مشروع ، وحيلة آثمة ، غير ان الامام الشافعي واصحابه يرون ان البيع من حيث الشكل الظاهري صحيح : فالبائع باع سلعته بثمن مؤجل وهذا بيع صحيح ، والمشتري عندما تسلم السلعة اصبحت ملكا له وان كان مدينا بثمنها ، ثم باع ما يملك بثمن عاجل ، وهذا بيع صحيح ايضا من حيث المظهر والشكل ولكن هذا البيع في حقيقته ومضمونه وقصده ما هو الا قرض ربوي ، وهنا يتفق الشافعية مع غيرهم في حرمة هذا العمل وان صح عقد البيع عندهم .

فاذا نظرنا الى هذا المنهج ، والى بيع العملات في عصرنا ، والى تجار العملة الذين يلجئون الى التأجيل مع الزيادة في المؤجل تبعا لزيادة الاجل ، وجدنا هذا الصنف من الناس انما يريدون قرضا ربويا كما بينت من قبل ، فكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » .

ولو افترضنا جدلا ان الشافعية يمكن ان يحكموا بصحة مثل هذا البيع من حيث الشكل الظاهري ، فانهم لا يمكن ان يقولوا بأن هذا حلال . فلا بد اذن ان يتفق الشافعية مع غيرهم في ان هذا عمل غير مشروع ، والله تعالى اعلم .

٩ ـ المجتهد ينظر في الأدلة ، ويراعى أحوال الناس في ضوئها : فيلجأ الى التيسير لا التعسير ، كما يلجأ الى سد الذرائع ، واجتناب الشبهات كما قال صلى الله عليه وسلم "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه" (رواه الشيخان وغيرهما)
ويطول الحديث عن سد الذرائع واجتناب الشبهات غير ان موقفاً اعجبني لرجل من اهل الجنة هو عبدالله بن سلام رضي الله عنه :

روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال :"قدمت المدينة فلقيت عبدالله بن سلام فقال : الا تجيء فاطعمك سويقا وتمرا وتدخل في بيت ؟ ثم قال : انك في ارض ـ يقصد العراق ـ الربا بها فاش ، اذا كان لك على رجل حق ، فأهدى اليك حمل تبن ، او حمل شعير ، او حمل قت ، فانه ربا".
قال الحافظ ابن حجر في الفتح : « يحتمل ان يكون ذلك رأي عبدالله بن سلام ، والا فالفقهاء على انه انما يكون ربا اذا شرطه ، نعم الورع تركه .
واذا كان هذا في عصر ابن سلام فما بالنا بعصرنا الذي يمكن ان نسميه عصر الربا ؟!

(والمواقف كثيرة فلا يقال بمفهوم المخالفة اياه : باقي المواقف لم تعجبه !)



بعد هذا كله اقول :

ربما كان فضيلة الشيخ حسن لا يتوقع ان يستغل المرابون فتواه ، ولعله الان أدرك النتائج الخطيرة التي نتجت عن رأيه الذي انفرد به كما بينت آنفا .
واذا قال الجميع : هذا ربا محرم ، أفيقول هو : هذا حلال ؟
ولو افترضنا جدلا انه حلال ولم نتعامل به ، فما الضرر ما دمنا نتعامل بما لاخلاف حول حله ؟ بل نثاب ونؤجر اما اذا كان حراما فكيف نحل لانفسنا ان نكون ممن يأذن بحرب من الله ورسوله ؟

وان لم يكن هو الربا الجلي والحرام البين ، افليس فيه شبهة ربا ؟ الا يكون من المشتبهات على اقل تقدير ؟
وشبهة الربا كالربا توجب الحيطة والحذر ، والبعد عن ارتكاب كبيرة من الكبائر ، أو الاقتراب منها .

هذا ما اردت بيانه ، ولعلني في هذه المرة أكون وفقت في اقناع الشيخ الفاضل الجليل حسن محمد ايوب ، ليعلن في شجاعة المؤمن وفقه العالم العابد ، انه غير رأيه وانه مع جمهور العلماء في القديم والحديث .
وأعتذر له ان يكن القلم قد شط ، او أغلظ في قول ، فما أردت طعنا او انتقاصا او اي تجريح، ، وانما الحق والصواب والخير اردت .

فان أكن وفقت فهذا من الله تعالى وحده ، بفضله وكرمه ونعمه التى لا تحصى وان تكن الاخرى فاني لا اقنط من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، استغفره واتوب اليه ، انه هو التواب الرحيم :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) يونس / ٩ و ١٠ .

بلاغة

قال الأصمعي عبد الملك بن قريب : شاهدت فتاة تبكي بين قبرين بالبصرة وتكاد تختفي بينهما قلة وذلة ، وهي تقول : «اللهم انك كائن قبل كل شيء ، وانك كائن بعد كل شيء ، وانك خالق كل شيء ، وانك يا رب قد خلقت أبوي من قبلي ثم خلقتني بعدهما منهما وانك انستني بهما ما شئت ثم أوحشتني منهما اذ شئت ، اللهم فكن لهما راحما وكن لي بعدهما حافظا » .

قال الأصمعي عبد الملك بن قريب : والله لقد خلبت عقلي بحسن كلامها .. فقلت : يا بنية أعيدي كلامك .. فرفعت رأسها فبصرت بي فقالت لي : والله يا شيخ ما أنا لك بزوجة فتأنس بي ، ولأ نسك بأهلك أولى بك .. فقال الأصمعي ، ففررت والله عنها حياء منها ..



أين الحضارة

للاستاذ مصطفى عكرمة

لا شيء عند الغرب يغريني ... فكمال ديني عنه يغنيني
والشرق !! ذل الشرق ليس له ... مما ادعاه ما يمنيني
قد سخرا للظلم علمهما ... فالكون يصرخ من ينجيني ؟!
فن الفناء يقود مركبنا ... من بغى من عاشوا بلا دين
خوف الدمار يشل عالمنا ... اما السلام فغير مضمون
صنعا ، وقد برعا بما صنعا ... في سلب لقمة كل مسكين
يتنافسان على استلاب منى ... كل الشعوب ، وكل محزون
والنهب والاذلال دأبهما ... حتى ينالا كل تمكين
لا يأبهان لما يهددنا ... من ذا يرجى غوث مجنون !!
فكلاهما يبني حضارته ... ويهيم في شكل وتزيين
لا شيء غير الجسم عندهما ... والجسم من طين الى طين
ان يسبقاني في اختراعهما ... فالحق يسبق بي ويعليني
والحق أبقى وهو منتصر ... حسبي بأن الحق يرجوني
الشرق مثل الغرب ضل ولا ... يرجى لانصاف الملايين
ضلا على علم وأي هدى ... يهديك من يحيا بلا دين !!
فكلاهما يحيا بلا قيم ... تسمو به .. فكلاهما دوني
إني المرجى بعد أن فشلا ... فالكون للانقاذ يدعوني
إني المرجى ما سواي لها ... ما دام هدى الله يحدوني

كتاب الشهر

للاستاذ

حمزة الجميعي الدموهي

الاقتصاد في الاسلام

عرض وتحليل

الأستاذ/عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

يعتبر الجانب الاقتصادي من الجوانب الهامة في حياة الفرد والجماعة اذ ينعكس أثره بشكل أو بآخر على الحياة الانسانية بجوانبها المختلفة . وقد انتابت الحياة الاقتصادية منذ بدء الحياة على الارض تيارات ومناهج متعددة ، لم يستطع احدها ان يقود العالم الى نتائج مرضية . ونظرة بسيطة الى عالم اليوم بما فيه من ازمات ومشاكل تؤكد فشل هذه الافكار والنظم الماضية والحاضرة وضرورة البحث عن نظام او منهج مثالي يقود الحياة الاقتصادية الى الخير والفلاح . وهذا المنهج او النظام المطلوب هو موضوع الكتاب الذي نتناوله في هذا الموضع بالعرض .

ولقد تناول الكاتب هذا المؤلف في جزأين تحدث في الاول عن النظام الاقتصادي المعاصر وما آل اليه من نتائج ، ثم أورد في الجزء الثاني

عرضاً للنظام الاقتصادي الاسلامي .

الجزء الاول :

يضم هذا الجزء ثلاثة أبواب تناول فيها الكاتب النظام الاقتصادي العالمي المعاصر بالشرح والتوضيح ، ولهذا فقد تعرض الكاتب لمناقشة النقاط التالية :

* **الباب الاول :** وتناول فيه الكاتب النقاط الجوهرية التالية :ـ

(١) نشأة الحياة الاقتصادية ، وهنا يوضح الكاتب ان الاقتصاد قد نشأ مع وجود الانسان على الارض وفي ظل تعاليم الدين الالهية ، ثم أخذ يبتعد عنه شيئاً فشيئاً ـ عبر التاريخ كله ـ الى ان ظهر في عدة صور مختلفة تبعاً لاختلاف الزمان والمكان وظروف الناس واحوالهم حينذاك ، حيث سجل الاقتصاديون أهم هذه الصور التي ظهرت في العهد القديم وخاصة في اليونان وروما ، واغفلوا تاريخ الاقتصاد في مصر رغم ان الحضارة المصرية هي أصل الحضارتين اليونانية والرومانية في كل المجالات . وأشار الكاتب في سياق حديثه الى ما وضعه يوسف عليه السلام من مبادىء وأسس للنظام الاقتصادي حال استقبال البلاد على خطر الازمات والمجاعات وتتلخص هذه الاسس في :

● ـ الاهتمام بالزراعة والعناية بها .
● ـ الاهتمام بالتخزين .
● ـ تنظيم الاستهلاك .
● ـ عدالة التوزيع .
● ـ تحديد الاسعار .
● ـ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .
● ـ الايمان والعلم والعمل .

(٢) الفكر الاقتصادي في العصور الوسطى وبخاصة نشأة نظام الاقطاع الذي تفشى بأبشع صوره وما أدى اليه من تقسيم اوروبا الى اقطاعيات مستقلة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً كذلك ظهور جماعة المدرسين من بين رجال الكنيسة وما دعوا اليه من ربط الاقتصاد بالدين والاخلاق ودفاعهم عن النظام الطبقي في المجتمع .

(٣) سياسة التجاريين والتي تهدف الى تحقيق الثراء والقوة للدولة عن طريق تدخلها في الشئون الاقتصادية . وقد أدى تفشي هذه السياسة الى ظهور الاستعمار وقيام الحروب وظهور الدعوة الى فصل الاقتصاد عن الدين والاهتمام بالميزان التجاري دون ميزان المدفوعات ، وكثرة النقود والتضخم والبطالة واختناق الزراعة وتدهور الصناعة ، الامر الذي ادى الى نبذ هذه السياسة .

(٤) المذهب الحر أو الفردي أو الطبيعي الذي ساد في منتصف القرن الثامن عشر وظهر كرد فعل معاد لسياسة التجاريين التي ثبت فشلها ، وقدم الكاتب الاسس التي يقوم عليها هذا النظام وهو عدم تدخل الدولة في شئون الافراد وترك الحياة

الاقتصادية لنظام طبيعي والاهتمام بالزراعة وفرض الضرائب على الارض فقط الخ .

(٥) المذهب الكلاسيكي ، الذي ظهر في انجلترا بزعامة آدم سميث حيث أصدر كتابه « بحث في طبيعة وأسباب ثروة الامم » الذي قيل عنه انه اعظم مؤلف خطه انسان وعالج فيه الظواهر الاقتصادية بأسلوب جديد ، يقوم على اعتبارات جديدة ، حيث يعتبر العمل وحده مصدر الثروة ، واستند الى تقسيم العمل والتخصص واعتبر النقود مقياسا للقيمة واهتم بالعمال ورعى مصالحهم الخ .

(٦) ظهور المذهب الرأسمالي ، نتيجة لما أدى اليه تطبيق المذهب الحر من تطور وازدهار في جميع الميادين ، مما زاد من قوة رأس المال وسيطرته على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

(٧) الاشتراكية : وظهرت في شكل مذاهب متعددة ، تهدف كلها الى هدم النظريات الفردية التي هي مضمون النظام الحر ، لتحل محلها النظرية الجماعية كشعار براق لما يسمى بالاشتراكية . وتعارضت المذاهب والافكار والتيارات المتسترة تحت شعار الاشتراكية مع بعضها ، ولم تتفق جميعا الا في كونها صالحة للتعبير عن كافة الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية المعادية للرأسمالية .

وتعرض الكاتب لبيان بعض المذاهب الاشتراكية والتي من بينها :ـ

- ● ـ اشتراكية الدولة .
- ● ـ اشتراكية رأس المال .
- ● ـ انصار التدخل .
- ● ـ الشيوعية .
- ● ـ البلشفية .
- ● ـ الفوضوية .

الباب الثاني :

ويدور هذا الباب حول تعاريف علم الاقتصاد والتي أوجزها الكاتب فيما يلي :ـ

(١) علم الاقتصاد هو علم الثروة ، ورائد هذا التعريف هو آدم سميث حيث قال ان علم الاقتصاد يرتبط بوجود الثروة .

(٢) علم المصلحة الشخصية ، حيث رأى الاقتصاديون التقليديون ان الاقتصاد هو علم المصلحة الشخصية باعتبارها الدافع الوحيد وراء أي نشاط يقوم به الانسان .

(٣) علم الرفاهية المادية ، وذلك لان الهدف الحقيقي الذي يسعى الانسان لتحقيقه يدور حول تحقيق هذه الرفاهية .

(٤) علم اشباع الحاجات المادية .

(٥) وذهب الفريد مارشال الى تعريف الاقتصاد بانه علم دراسة الانسان ومتطلباته .

(٦) ودارت بعض التعاريف الاخرى حول الاقتصاد من زوايا مختلفة منهم من يرى انه : علم الندرة . ومنهم من يرى أنه : علم

المبادلة . ومنهم من قسمه الى ثلاثة فروع هي : الانتاج والتوزيع والاستهلاك الخ .

(٧) اما ابن خلدون فقد درس الاقتصاد كفرع من فروع علم الاجتماع وعرض لدراسة الظواهر الاقتصادية ، ويتضح من دراساته انه يرى ان الاقتصاد هو المعاش الذي يعني ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله .

الباب الثالث

: في هذا

الباب الاخير من الجزء الاول يقوم الكاتب بتقييم النظامين الرأسمالي والشيوعي باعتبارهما اكبر المذاهب الاقتصادية التي سادت اقتصاديات العالم في العصر الحالي ، وبين الكاتب الخلاف الشديد بين المذهبين في العديد من النواحي ، ثم استعرض الاسس التي تجمع المذهبين وهي :

● تقديس المادة ● اهدار مبادىء العدالة الاجتماعية ● الطبقية ● الانسان المادي ● استبعاد الدين والاخلاق ● الاقتصاد المجرد

ولمساوىء النظامين فقد ظهرت المشاكل المتعددة سواء على مستوى الدول النامية فقط او على مستوى الدول كلها فقيرها وغنيها .

ففي الدول الفقيرة وضح جليا انخفاض الدخل القومي وبالتالي دخل الافراد ، وظهر عجز ميزان المدفوعات ، وازدادت مشكلة الغذاء وندرة السلع الضرورية ونقصت الاستثمارات ، وغيرها من المشكلات .

وفي الدول بصفة عامة ظهرت المشكلات التالية :

● ازمة الغذاء العالمي ● ازمة الطاقة وارتفاع الاسعار . ● ازمة التضخم . ● الازمات الروحية نتيجة الابتعاد عن الدين والاخلاق .

الجزء الثاني :

تناول الكاتب في هذا الجزء من الكتاب دراسة النظام الاقتصادي الاسلامي ، وقد استغرق في شرح ذلك وتوضيحه ستة أبواب على النحو التالي :ــ

* **الباب الاول : تعريف الاقتصاد** في الاسلام ، وأوضح الكاتب المعنى العام لكلمة اقتصاد مسترشدا بالايات الكريمة من القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر وقد استخلص منها : ــ ان الاسلام قد رفع مرتبة **العمل** الى مرتبة الايمان في احيان كثيرة وبذلك يكون قد سبق كل المذاهب التي تدور حول هذا المعنى .

ــ **الانتاج** ، رفع الاسلام شأن الانتاج الى درجة الجهاد بالاموال والانفس حيث سوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال وحارب العجز والبطالة والكسل .

ــ **الجهد والوقت** ، حيث يدعو الاسلام الى تطبيق قاعدة الحصول على أقصى منفعة ممكنة بأقل التكاليف حفاظا على الجهد والوقت باعتبارهما اهم عوامل الانتاج .

ــ **الشمول** ، حيث يشمل كل جهد يبذله الانسان حتى المشي والحديث

وكل الموارد قلت أو كثرت وكل الحاجات المادية والروحية المشروعة .

ـ الانسان الاقتصادي ، اقام الاسلام اقتصاده على اساس انسان خير لا يميل ولا ينحرف ولا يتنكر لخالقه على اية حال وتحت اية ظروف .

وختم الكاتب هذا الباب بتعريف الاقتصاد وفقا لما أشارت اليه الشريعة الاسلامية الغراء بأنه « الاعتدال في التفكير والسلوك بالتزام الحد الاوسط في كل مجهود ماديا أو ذهنيا ، فرديا أو جماعيا لاشباع الحاجات المشروعة ، سواء المادية أم الروحية ليكون وسيلة الى معرفة الله وعبادته » .

الباب الثاني

: موضوع

الاقتصاد في الاسلام ، وتدور عناصر هذا الباب حول بيان لمعاني كل من الانسان والجماعة والعالم والمنهج الاقتصادي في ظل هذه المفاهيم .

حيث تقوم دراسة الاسلام للانسان على أساس :

ـ الانسان الحقيقي بشقيه المادي والروحي .

ـ الحاجات ويهتم الاسلام بتلبية حاجات الانسان المادية والروحية ، وهي تشمل كل ما ينتفع به الانسان ولا يضره .

ـ الاشباع ، غاية الاقتصاد الاسلامي بشرط الاشباع المادي والمعنوي كعقيدة تدعو الى الحق والعدل والحرية والمساواة .

وفي دراسة الانسان داخل الجماعة يرى الاسلام :

ـ الانسان الفرد جزء من كل ، لا ينفصل عنه ، يؤثر فيه ويتأثر به .

ـ عدم الغاء شخصية الفرد ليظل مسئولا عن تصرفاته صوابا ام خطأ .

ـ عدم الغاء شخصية الجماعة لكي تبقى كتلة صلبة قوية بوحدتها غنية بتعاونها .

ـ محافظة الفرد على الجماعة وعدم مخالفتها وحماية الجماعة للفرد وكفالة أمنه وحقوقه .

هذا وقد تميز الاسلام بتطبيق الفكرة الجماعية لا على مستوى الفرد فقط بل على مستوى الشعوب على اعتبار :ـ

ـ ان الناس جميعا من أصل واحد .

ـ الناس تختلف في المواهب والقدرات ليجد كل عمل من يقوم به أو ما يعرف بالتخصص وهذه حكمة الله في خلقه .

ـ جعل الله اختلاف الموارد الطبيعية في الارض من مكان لآخر كما ونوعا تأكيدا لضرورة التعاون والتكافل بين الشعوب .

وتناول الكاتب موضوع الاقتصاد الاسلامي علاوة على تقدم دراسة المنهج الاقتصادي الذي يلتزم به كل فرد كذلك الجماعة والعالم تحقيقاً لكل مصلحة ومنعا لكل ضرر ويقوم هذا المنهج على قسمين :ـ

(١) الاصول الكلية الاساسية والاحكام العامة .

(٢) الفروع والتفصيلات وكل جديد ينفع الناس من واقع التجربة الفعلية

في كل زمان ومكان .

الباب الثالث :

مميزات

النظام الاقتصادي في الاسلام ، من خلال هذا الباب بين الكاتب العلاقة بين الاقتصاد والاسلام فأكد ارتباطه الوثيق بل جعل الاقتصاد جزءا من أهم اجزاء الاسلام ، وأوضح كذلك الارتباط الوثيق بين العمل والعبادة وبين الاقتصاد والدين . وتكلم في سياق حديثه بما يتصل بالزكاة والحج ، كذلك مصارف الانفاق ودور كل ذلك في تحقيق التكافل والتوازن في المجتمع ، وكذلك أوضح ان الاقتصاد الاسلامي يحقق التوازن بين الروح والمادة وذلك بالسعي للعبادة اولا ، ثم ابتغاء الرزق من فضل الله بعد ذلك ، وذلك لتوفير حاجات الجسد ومطالب الروح في آن واحد ، وذكر بعض الميزات الخاصة بالاقتصاد الاسلامي من ناحية شموله وكماله :ـ

ـ بعكس المذاهب الأخرى التي اهتمت بجانب دون آخر من حياة الانسان المادية والروحية ، نظر الاسلام نظرة شاملة فاهتم بالروح والجسد معا .

ـ الحاجات المادية والروحية على حد سواء ، على اساس ان الاسلام دنيا ودين معا .

ـ الثروات المادية والمعنوية في نفس المستوى من الاهمية .

ـ الجهود ، يهتم الاسلام بدراسة كافة الجهود البدنية والفكرية التي تبذل لاشباع سائر الحاجات بشقيها المادي والروحي .

ـ يتقرر الاقتصاد على الانسان في كل وقت وفي كل مجهود ، حفاظا للطاقة والوقت والتكاليف .

ـ يقر الاسلام بوجود دوافع أخرى غير المصلحة الشخصية مثل الايمان والمثل العليا التي تتعارض مع المصلحة الشخصية وتدفع الانسان لنشاط ما .

ـ الجمع بين النظريتين الفردية والجماعية .

ـ الجمع بين الملكية العامة والملكية الخاصة والميراث في الحقوق .

ـ الاقتصاد في الاسلام موجه للناس جميعا في كل زمان ومكان .

ـ الجمع بين الطرق الاستنباطية والاستقرائية ورفض مبدأ الادراك المجرد للاقتصاد .

ـ الربط بين الاقتصاد وسائر العلوم .

ـ مصدر الاقتصاد الاسلامي كتاب الله والسنة النبوية الشريفة ، والقوانين الوضعية اذا لم تتعارض مع المنهج الالهي .

ـ العمل للدنيا والآخرة في وقت واحد وقيام العدالة ايمانا بالبعث والجزاء والحساب .

ـ تحقيق السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة .

فأي شمول بعد هذا يبغي الاقتصاديون ، وأي اهداف أسمى من هذه الأهداف ، إنه شمول وكمال ، ودنيا ودين ، يصلح لكل زمان ومكان .

الباب الرابع :

العلاقة بين الاقتصاد والعلوم الأخرى ، أكد المؤلف العلاقة الوثيقة بين الدين والاقتصاد وكذلك بين الاقتصاد وكافة العلوم الأخرى كما يلي :

ـ العلوم بقسميها : الطبيعية والاجتماعية حيث ان الاولى تتناول دراسة الطبيعة مثل الفلك والكيمياء والهندسة وغيرها ، ورغم ان التخصص مطلوب في فروع العلم المختلفة غير أن هناك تداخلا وترابطا بين شتى الظواهر الاجتماعية .

ـ **الاقتصاد والاخلاق :** وهذه حقيقة مؤكدة حيث انه كلما تجرد الناس من مكارم الاخلاق والمثل العليا والقيم الانسانية ، كلما تجردت الحياة من الرفاهية الانسانية والسعادة الحقيقية بل من الامن والسلام ، ولقد دعا الاسلام الى مكارم الاخلاق .

ـ **الاقتصاد والقانون :** يجب ان تكون كل القوانين الوضعية مستمدة من القانون الالهي من غير خروج وابتعاد بحيث تنتشر البدع وتظهر الفتن ، ولذلك فالقانون المقصود هنا هو ما يستمد من القانون الالهي لانه يكفل الحق والعدل والحرية والمساواة في كل زمان ومكان ، ويقضي على الحقد والمنازعات ويكفل الحب والتعاون والتضحية والايثار ، ويعتمد في التطبيق على العلم والايمان .

ـ **السياسة والاقتصاد :** يقر الاسلام السياسة ويراعيها ان كانت عادلة ويحرمها ان كانت ظالمة ، ولكي تكون السياسة عادلة فهي تلتزم بالاتي :ـ

** الحكم لله . ** الدولة وعلى رأسها الحاكم . ** الكتاب والسنة . ** مراعاة الحق والعدل والمساواة والحرية وتطبيق مبدأ الشورى .

** مهام الدولة وتتلخص في :ـ تأمين الناس على انفسهم

ـ سيادة البلاد والدفاع عنها ـ اقامة المشروعات والمرافق ـ تدبير الموارد وتوجيه الاموال ـ تنظيم الانتاج والاستهلاك ـ اعادة الموازنة ـ تحديد المسئوليات ـ اقامة العلاقات الخارجية وتوطيدها .ـ الاسلام يربط بين الاقتصاد والتاريخ ، وذلك ليكون دائما موضع نظر وتفكير عند بحث ودراسة الظواهر الاجتماعية لاستخلاص الحقائق والانتفاع بها ، وتتضح أهمية التاريخ من القصص القرآني عن السالفين على مر العصور .

ـ ثم ربط الكاتب أيضا بين الاقتصاد وعلم النفس والجغرافيا ، كذلك علم الجمال وأخيرا ربط بين الاقتصاد والتكنولوجيا في بيان ظاهر ، وحكمة بالغة .

الباب الخامس :

الدراسات الاقتصادية في الاسلام ، أورد الكاتب العديد من الآيات القرآنية التي تحكم سلوك الانسان في

كل الاتجاهات مثل : العمل والانتاج ـ الاستهلاك ـ الفوائد ـ الملكية ـ الادخار ـ الاستثمار ـ عوامل الانتاج ـ فروع الانتاج (الزراعة ـ الصناعة ـ التجارة) ـ ويسمى هذا بالاقتصاد النظري في الاسلام .

ثم انتقل الى دراسة الاقتصاد التطبيقي والذي يعني بتطبيق الاسلام كنظام شامل متكامل جاء من عند الله تبارك وتعالى للتطبيق الفعلي .

ثم تناول الاقتصاد الاجتماعي ، حيث يرى أصحاب هذا المذهب ان :

ـ الاقتصاد يجب ان يوجه الى المجتمع البشري كله .

ـ علم الاقتصاد هو علم الاخلاق .

ـ تحسين الطبقة الاكثر عددا والاسوأ حالا .

اما الاقتصاد الاهلى فهو الذي يدرس اقتصاد كل أمة على حدة باعتبار ان لكل منها ظروفا معينة ، ولا يمنع الاسلام من ذلك بشرط عدم التعارض مع القواعد العامة والاحكام الاساسية التي تظهر الحق وتقيم العدل والتي جاءت بكتاب الله وسنة رسوله الكريم .

وتناول الكاتب بعد ذلك ارتباط المذاهب الاقتصادية بالمسيحية ودرس اهمية كل منها ، كذلك ما يتصل بمذهب لبلاي الفرنسي ثم تناول الاسرة في الاسلام ، وأخيرا درس الكاتب مذهب التضامن الذي تزعم النداء له والانتصار لآرائه « ليون بورجوا » .

الباب السادس :

الاقتصاد الاسلامي والاقتصاد الرأسمالي تناول الكاتب في هذا الباب ما يتصل بنواحي متعددة شارحا الفرق بين كل من النظام الاقتصادي في الاسلام ، والنظام الاقتصادي الرأسمالي ، والذي ساد في النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، وتناول الكاتب في المقارنة المبادىء التالية :ـ

١ ـ الاخلاق . ٢ ـ الثروة . ٣ ـ العمل . ٤ ـ تقسيم العمل . ٥ ـ التبادل والانتاج . ٦ ـ الاسواق . ٧ - الاسعار والنقود . ٨ ـ الحرية الاقتصادية . ٩ ـ حرية التجارة . ١٠ ـ الاحتكار . ١١ ـ الرسوم الجمركية . ١٢ ـ الدفاع . ١٣ ـ المصلحة الخاصة والمصلحة العامة . ١٤ ـ القضاء . ١٥ ـ الخدمات العامة . ١٦ ـ الضرائب . ١٧ ـ الفائدة ورأس المال . ١٨ ـ السكان . ١٩ ـ مبدأ الادراك المجرد للاقتصاد . ٢٠ ـ الدولة .

ووجه الكاتب في خاتمة الكتاب الدعوة الى دراسة الاسلام قبل توجيه الاتهام اليه ، وقال إن نسب التخلف الذي يعيشه المسلمون الآن الى الاسلام ظلم وافتراء ، وأكد عدم دراسة هؤلاء لحقيقة الاسلام ، رغم انه موجه لكل الناس أيا كانت عقائدهم ، وبذلك يكون القرآن حجة على كل إنسان ودراسته واجبة الى آخر الزمان .



فتى الكهول
عبد الله بن عباس

في حياة الشعوب الأصيلة والامم البشرية ابطال عماليق ، وعباقرة افذاذ ، ومصلحون اصحاب مبدأ ، ارواحهم الطموحة سيوف نضال لا تصدأ ، وصدورهم تحمل ثقل المسئولية ، ولواء الكفاح مرفوع فوق رؤوسهم بالسلاح او بالفكرة العبقرية .

والتاريخ الاسلامي زاخر بدروس العظمة ، والسيرة العطرة ، وصور البطولات الخالدة حافل بالرجال الذين سطروا صحائف المجد والعزة والفخار ، وملأوا الدنيا نورا باخلاقهم الطاهرة ، واعمالهم المجيدة ، وحياتهم المملوءة كفاحا وجهادا ونضالا ، وسلوكهم الاسلامي الرفيع الذي اكتسبوه من مثلهم الاعلى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، المثل الاعلى في البطولة بطولة الجهاد ، وبطولة الفكر ، وبطولة الخلق ، وصدق المولى تبارك وتعالى حيث يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**) ـ ٢١ /الاحزاب .

وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ واحد من اولئك الابطال الذين حفل بهم التاريخ في فترات مختلفة ، وابلوا في سبيل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بلاء حسنا ، وجاهدوا لرفع كلمة الحق

للاستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

جل شأنه والذود عن دينه ، وقاتلوا من اجل الوطن ومن اجل العقيدة وكان لهم دورهم البارز في حياة الاسلام بايمان صادق عميق ، وتضحية خالصة لوجه الله عزوجل وفداء وبطولة وخلق ساطع فضربوا بذلك المثل الاسمى والقدوة الحسنة للأجيال على مر العصور واستحقوا الخلود على مدى الدهر .

صاحب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ودعا له بالحكمة مرتين وقال عنه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » ، وكان من رواة الحديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن طائفة من الصحابة وروي عنه اخرون .

يقول ابن عباس محدثا عن نفسه : « رأيت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين وقال ايضا : « ارسلني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلب الادام - الطعام - وعنده جبريل فقال : هو ابن عباس ؟.. قال : بلى .

قال : فاستوص به خيرا ، فانه حبر امتك اوقال : « حبر من الاحبار » .

اوصافه واخلاقه :

كان عبد الله بن عباس طويلا مفرطا في الطول ابيض البشرة مشربا بصفرة جسيما ، وسيما ، صبيح الوجه ، يخضب بالحناء ، ذا ذكاء خارق وفطنة بالغة ، متواضعا اشد التواضع ، حليما اعظم الحلم ، بارا كل البر ، شجاعا لايهاب الموت ، كريما جوادا لا يخشى الفقر ، طاهر النفس زكي الروح ، عفيفا ، صادقا في القول والعمل ، عالما ، حكيما .

نسبه ونشأته :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي وامه ام الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية .

ولد قبل هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من « مكة » الى « المدينة » بثلاث سنين وقيل بخمس سنين وكان « بنوهاشم » اذ ذاك بشعاب مكة وذلك حين رأت قريش ان الدعوة الاسلامية قد نجحت نجاحا ساحقا منقطع النظير واخذت تنتشر بين الطبقات العليا وان جميع محاولاتها لارجاع المهاجرين من الحبشة قد فشلت وان عدد المسلمين قد ازداد واخذ خطرهم يظهر وشكيمتهم تقوى باسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب - رضي

الله عنهما ـ فاتجهت الى استخدام اسلوب جديد وشهرت في وجه المسلمين سلاحا رهيبا لتقاوم به انتشار الاسلام وهـــو سلاح المقاطعـــة الاقتصادية فاتفقت قريش على ان تقاطع بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة فلا يتزوجون من نسائهم ولا يبيعون لهم شيئا ولا يشترون منهم ولا يخالطونهم ولا يقبلون منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا الـــرسول صلى الله عليه وسلم .

وسجلوا كل هذه القرارات في صحيفة ختمت باختام وعلقت في جوف الكعبة تأكيدا لاحترامها فيكـــون الخروج عليهـــا بمثابة الخروج على العقيدة المتوارثة وكانوا يعتقدون ان سياسة التجويع هذه والمقاطعة سيكون لها من الاثار والفاعلية ما سيحقق اغراضهم .

وازاء هذه المقاطعة الظالمة لجأ بنو هاشم وبنو عبد المطلب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التحصن بشعب بالجبل تحت امرة ابي طالب ولم يتخلف عنهم سوى عمه ابي لهب الذي أسرف في تعصبه للاصنام وتهور في بغضه للاسلام ولم يرع للقرابة حرمة ولا للـــرحم مودة وقد امر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المسلمين من غير بني هاشم وبني عبد المطلـــب بالهجرة الى الحبشة لئلا يهلكهم الجوع .

وبلغت مدة الحصار المؤلم ثلاث سنوات اثر فيهـــا الحصار على المحاصرين تأثيرا شديدا فلم يجرؤ خلالها واحد منهم على ان يدخل مكة وكاد يهلكهم الجوع ومع ذلك فقد ضربوا اروع الامثلة في الصبر وقوة الاحتمال .

وخلال هذه الايام العصيبة شب عبد الله بن عباس في حجر النبوة وترعرع في نور الدعوة المحمدية فقد كان بحكم صلته بالرسول صلى الله عليه وسلم كثير الاتصال به يرى عن قرب تطور الدعوة الى الاسلام ويهفو قلبه الصغير الى ذلك الدين الجديد الذي عم نوره أرجاء مكة كلها .

وكان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يحب اهله وينزل العباس عمه منزلة خاصة في نفسه فاحب عبد الله لانه كان يحب اباه العباس ولقد روى انه عليه الصلاة والسلام دعا عبد الله وهو صغير فمسح رأسه وتفل في فيه وقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » رواه احمد .

ولا يذكر المؤرخون كيف اسلم عبد الله ولكنهم يذكرون انه صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل صغير لم يبلغ السابعة او الثامنة من عمره .

وقد هاجر الى المدينة مع من هاجر من المسلمين من اهل مكة ولم تذكر كتب التاريخ شيئا عن حياته في المدينة سوى انه كان شغوفا برواية الحديث منذ نعومة اظفاره كما حفظ القرآن الكريم .

وعندما لحق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الاعلى كان عبد الله قد بلغ مبلغ الرجال واينع قلبه وعقله بالعلـــم والتقوى فاخذ يجمع

الحديث ويتفقه في القرآن الكـــريم ويتعلم من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم السابقين ما فاته سماعه وتعلمه من الـرسول عليه الصلاة والسلام نفسه .

ولقد جعل من نفسه علامة استفهام دائمة فلا يسمع ان أحدا يعرف حكمة أو يحفظ حديثا الا وسارع اليه وتعلم منه وكان عقله الواعي الطموح يدفعه لفحص كل ما يسمع فهو لا يعني بجمع المعرفة فحسب بل ويعني مع جمعها بفحصها وفحص مصادرها ويقول عن نفسه : « اني كنت لاسال عن الامر الواحد ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم » ويعـطينا ابن عباس صورة دقيقة لحرصه على ادراك الحقيقة والمعرفة فيقول : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لفتى من الانصار : هلم فلنسأل اصحاب رسول اللـه فانهم اليوم كثير .. فقال : عجبا لك يا ابن عباس !! اترى الناس يفتقرون اليك وفيهـم من اصحاب رسول الله من ترى ؟.. فتركت ذلك واقبلـت انا اسأل اصحاب رسول الله ... فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتى اليه وهو قائل في الظهيرة فاتوسد ردائي على بابه يسفى على التراب حتى ينتهي من مقيله ويخرج فيراني فيقول ؛ يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟.. هلا ارسلـــت الى فآتيك ؟.. فاقول : لا ، انت احق بان اسعـى اليك فأسألـه عن الحديث واتعلم منه » .

على هذا النحو كان عبد الله بن عباس يسأل ثم يفحص الاجابة مع نفسه ثم يناقشها بعقل جريء وهو في كل يوم تنمو معـــارفه وتشب حكمته حتى توفرت له في شبابه حكمة الشيوخ وأناتهم وحصافتهم وصار في منزلة اعلام الصحابة .

عبد الله وعمر

وعندما توفي ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وآلت الخلافة الى عمر ابن الخطاب كان عبد الله بن عباس قد بلغ في العلم غايته واتاه الناس من كل مكان ينهلون من علمه ويبتغون من فضله وقد احبه عمر حبا جما وادناه منه وقربه وكان يشاوره في بعض الامور شأنه في ذلك شأن كبار الصحابة ويأخذ بقوله وكـان عمر يدعوه للمعضلات ومن حوله اهل بدر من المهاجرين والانصار فيتحدث ابن عباس ولا يجاوز عمر قوله .

روي ان جماعة من المهاجرين قد وجدوا ضيقا في نفوسهم من عمر بن الخطاب لانه يقرب ابن عباس اليه من دونهم ويسأله فقال عمر : اما اني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله به فسألهم عن هذه السورة « اذا جاء نصر الله والفتح » فأجاب بعضهم بان المولى تبارك وتعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يحمده ويستغفره اذا رأى الناس يدخلون في دين الله افواجا فقال عمر : تكلـم يا ابن عباس .. فقال : أعلمه متى يموت فقال : اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلـون في دين الله افواجا فهي اية موتك فسبح بحمد ربك واستغفره .

ولقد بلغ من حب عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس وتقديره لعلمه انه قال : « ابن عباس فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول كما قال : نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو ادرك اسناننا ما عاشره منا رجل و : ما سمعت فتيا احسن من فتيا ابن عباس الا ان يقول قائل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله وعثمان

ولما تمت البيعة لعثمان بن عفان عقب مقتل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ نال ابن عباس من رعاية عثمان مثلما نال من رعاية عمر وكان عثمان يثق فيه ثقة عظيمة وفي السنة السابعة والعشرين من الهجرة وجه عثمان والي مصر عبد الله بن ابي سرح لغزو افريقية وبعث اليه بالجيوش والامدادات التي يحتاجها وكان من بين من اشترك في هذا الغزو ابن عباس وجماعة من أجلاء الصحابة فقاتل وابلى في القتال بلاء حسنا لانه كان حريصا على ان يعفر وجهه بتراب الغزو في سبيل الله عز وجل وفوزا بالجنة التي بها مائة درجة اعدها المولى تبارك وتعالى للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض واشترك ـ ايضا ـ في فتح طبرستان ـ الى جانب الحسن والحسين وعمرو بن العاص والزبير بن العوام تحت قيادة سعيد بن العاص ـ رضي الله عنهم اجمعين .

وكما احب ابن عباس عمر بن الخطاب احب عثمان كذلك ومع ذلك فقد كان لا يتورع عن مواجهة عثمان بالحق اذا اقتضى الامر ذلك وقد فزع اشد الفزع عندما قتل عثمان واعرب عن أسفه العميق لمقتله وقد روي عنه انه قال فيه : رحم الله ابا عمرو كان ـ والله ـ اكرم الجعدة ـ اي : اكرم الناس ـ وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا عند كل منحة حييا ابيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين .

منزلته وفضله

لقد كان عبد الله بن عباس صاحب منزلة من القرآن الكريم والاسلام وكان يعلو المنبر فيقرأ سورتي البقرة وال عمران ويفسرهما اية اية وكان اذا سئل عن شيء بحث عنه في الكتاب والسنة فان لم يجده فيهما اجتهد وكان يصوم يومي الاثنين والخميس وكان يلقب بـ البحر لغزارة علمه وتعدد موارده ومع غزارة علمه ونفاذ حجته لم يكن يرى في المناقشة والحوار معركة ذكاء يزهو فيها على خصمه بعلمه بل كان يراها طريقا قويما لرؤية الصواب ومعرفته .

وقد امتاز ابن عباس على الناس بصفات لا تحصى فقد كان متفقها في الدين عالما باخبار الماضي ملما باحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه والى جانب ذلك فقد كان يحدث الناس في النسب والمغازي متبحرا في الشعر واللغة والفرائض

والتفسير والحساب .
يروى عن ابي صالح احد صحابة ابن عباس انه قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها به فخر ... لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطرق فما احد يقدر ان يجيء ولا ان يذهب فدخلت عليه فاخبرته بمكانهم على بابه فقال لي : ضع لي وضوءا ثم قام فتوضأ وجلس وقال لي : اخرج فقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه وما اريد منه فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألـوا عنه او اكثر ثم قال : اخوانكم ـ اي : بالباب ـ ثم قال : اخرج فقل : من اراد ان يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم عنه وزادهم مثله او اكثر ثم قال : اخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل : من كان يريد ان يسأل عن الفرائض وما اشبهها فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ثم قال : اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل : من كان يريد ان يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم عنه وزادهم مثله او اكثر ثم قال : اخوانكم فخرجوا فلو ان قريشا كلها فخرت بذلك لكان لها فخر فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس .

ويقول عنه مسروق : « كنت اذا رأيت ابن عباس قلت : اجمل الناس .. فاذا تكلم قلت : افصح الناس .. واذا تحدث قلت : اعلم الناس .

ولقد كان عبد الله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ صاحب حلم ، طاهر النفس نقي القلب ولا يحمل لاحد حقدا ولاضغينة ولا كراهية يؤثر الرفق على العنف والمنطق على القوة يتمنى الخير لكل من يعرف من الناس ومن لا يعرف يقول عن نفسه : اني لآتى على الآية من كتاب الله ـ عز وجل ـ فأود لو أن الناس جميعا علموا مثل الذي اعلمه واني لاسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط فافرح به وادعو له وما لي عنده قضية واني لاسمع بالغيث يصيب للمسلمين ارضا فافرح به وما لي بتلك الارض سائمة » .

وكان رضي الله تعالى عنه يتلو القرآن الكريم على الـدوام ويتهجد بالليل ويكثر عند ذلك بكاؤه ويطول نحيبه .

وهكذا كان عبد الله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ إماماً في علمه وقدوة صالحة في خلقه ومثالا للحلـم والشجاعة فاحتل بشخصيته مكانته العظيمة بين اعلام المسلمين الذين يحتفظ لهم التاريخ باجمل الذكريات واطيب الاثر .

رحمه المولى تبارك وتعالى وطيب ثراه وجعلنا ممن يترسمون خطاه ويسيرون على دربه ومنواله .



قصص لا تنسى :





أشار (أوسمان) بسبابته إلى الممرضة التي دخلت القاعة لتتفقد حالة المرضى الثلاثة ، ولما اقتربت من سريره تمتم بكلمات امتزجت فيها التركية بالألمانية ، ففطنت لما يريد ، ولم تضطره إلى مزيد من الايضاح ، وأخذت بذراع السرير تديره فترتفع مقدمته به حتى شارف الجلوس ، فأشار إليها بالتوقف ، ثم رفع راحته إلى فمه بطلب الماء ، فصبت له كأسا من الثلاجة القريبة ، وبعد أن سبرت حرارته ابتسمت له ، وهي تكتب الدرجة الثامنة والثلاثين على اللوح الخاص به ، ومن ثم انصرفت لخدمة النزلاء الآخرين بعد أن طمأنته على وضعه الصحي ..

وفي جهد رفع كلتا يديه ليتلمس رأسه الملفوف بالضماد ، وليمر راحتيه على وجهه الغارق أكثره تحت الأربطة ، وشعر بشيء غير قليل من الارتياح ، إذ لم يجد أي حس بالألم الذي كان يعانيه كلما لمس هذه الأجزاء من جسمه حتى مساء أمس .. ودون أي وعي جعلت شفتاه تتحركان بكلمة (الحمدلله ...) على أنه لم يكد ينتبه إليها حتى شخص ببصره نحو المجهول ، ولبث دقائق كالحائر الذي فقد قدرة التركيز الذهني على أي شيء .. إلا أنه ما لبث أن عاد إلى لفظها مرة أخرى ، ثم مرة ومرة ، وكأنه يتطلع من خلال حروفها إلى مالا يستطيع هو تحديده ..

الحمدلله ..

ما أبعد عهده بهذه الحروف .. لقد فقد جرسها ومعناها منذ عشر سنوات على الأقل ، حتى لا تكاد تمر على شفتيه إلا أن يسمعها من أبويه ،

للاستاذ / محمد المجذوب

أثناء قضائه إجازته السنوية في « أنقرة » حيث يقيمان في المنزل المتواضع ، الذي أطل من خلاله على الدنيا ، وقضى فيه سنيه العشرين ، فلم يغادره إلا بعد زواجه .. أو يسمعها من بعض مواطنيه المهاجرين مثله للعمل في ألمانيا الغربية ، وفي مدينة « دوسلدروف » هذه التي يصارع فيها الحياة منذ خمس عشرة سنة .

إنه ليذكر جيدا نشاته في ظل هذين العجوزين ، إذ كانا ياخذانه وإخوته الثلاثة بذلك التدريب الدائب على أخلاق الاسلام ، من صلاة وصيام وتلاوة القرآن ، على كثرة ما يلقي الأب في سبيل ذلك من قسوة رجال الشرطة الذين لا ينفكون عن التحقيق معه ، كلما نقل إليهم المخبرون نبأ عمله ذاك المخالف لتحذيرات السلطات الكمالية .. وكم من مرة أخذ ذلك الوالد للتحقيق ثم لم يعد إلا بعد أشهر ، وكل ذنبه أن المخبرين قد سمعوا بعض أطفاله يترنمون ببعض آيات القرآن ، فاذا ما سالوهم عن ملقنهم إياها لم يستطيعوا الكتمان الذي أرادهم عليه أبوهم ..

وتمضي الذكريات « باوسمان » إلى المدرسة الابتدائية التي قضى فيها مع العديد من أبناء حيه ، ست سنوات كاملة ، شحنت صدره بالكثير من التناقضات التي لم يستطع مزايلتها حتى الساعة .. إذ كان عليه أن يتلقى كل ما يمليه عليهم مدرسوهم المتحمسون « لأتاتورك » بالتسليم المطلق ، على أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل ، وهم أينما تحركوا من أرجاء انقرة واجهتهم تماثيله مؤكدة تلك المعاني ، مرسخة إياها في أعماق تصوراتهم ، حتى اذا عاد إلى البيت سمع من والده كل تكذيب لتلك الدعاوي ، بل ربما تجاوز التكذيب إلى الاتهام بالألحاد والخيانة واليهودية ..

وشد ما وقف أمام هذه المفارقات فلم يستطع توفيقا بينها ، على الرغم من ذكائه الذي كان به من المتفوقين طوال سنيه الابتدائية .. ولم يكتف ذلك الأب المحافظ بكل هذه المحرضات حتى ختمها بالضربة التي لايـزال « أوسمان » يعاني من أثرها حتى الآن .. واي ضربة أثقل من أن يحرمه مواصلة الدراسة في مدارس الدولة ، ليصرفه إلى هذا المسلك المضني ، الذي لا يفتا يخوض غماره في صفوف العمال ..

كثير من رفاقه في تلك المدرسة قد أتيح لهم أن يواصلوا دراستهم ، حتى انتهوا إلى المراتب المرموقة ، مع أنه كان سابقهم جميعا ، ولا يشك في أنه لو قدر له أن يستمر في ذلك الطريق لكان حريا أن يوازيهم على الأقل ، إذا لم يتقدمهم ..

ولم حيل بينه وبين ذلك المصير ؟..

ويتذكر إلحاح والده ، وإصراره على اقتلاعه من ذلك الاتجاه ، إيثارا لدينه ولمسلكه الذي ورث به خصائص أبيه الآخر ، الذي أدى به عناده للنظام الجديد إلى الموت على المشنقة .. وطالما ما سمع من والده العجوز تلك الكلمة الجازمة التي كان يواجه بها بكاءه لفراق الدراسة : (خير لك يابني أن تعيش بكدح يديك ، وأنت مؤمن معتصم بحبل الله ، على أن تحتل أسمى المناصب وأنت فارغ الذهن والقلب من نور الايمان ..) .

ويطرق « أوسمان » مليا ثم يرفع رأسه إلى الأعلى ليعود إلى وضعه الذاهل ، وهو يهمس : ومع ذلك فأين الايمان الذي ضيع مستقبلي من أجله ؟..

وما كاد يصل من تأملاته إلى هذه الصورة حتى ألفى نفسه تلقاء ذلك الموقف الحرج الذي بدأ به التحول الجديد الذي طرأ على مسيرته ..

ومن وراء عشرين من السنين أطلت عليه وجوه أولئك الرفقة الذين جمعته بهم حرفة البناء ، وباتوا يعانون معا أعباء البطالة ، التي أناخت بأثقالها على الكثيرين من طوائف العمال على اختلاف اختصاصاتهم ..

وراح هؤلاء يستعرضون الواقع السيء الذي انتهت إليه طبقاتهم ، بعد الركود الكبير الذي شمل الاقتصاد التركي ، على الرغم من وفور الخيرات التي تفيض بها هذه الأرض ..

لقد وقفت عجلة العمل أو أوشكت أن تقف .. ومع ذلك لم تتوقف تكاليف الحياة عن التضخم فأسعار الضروريات في ارتفاع محموم ، والنقد التركي فقد القدرة على مجابهتها .. وكاد الانفراج ينحصر في نطاق اروام واليهود ، وكبار الحكام وحدهم ..

إنهم يجترون شكاواهم أينما تلاقوا ، وتكاد هذه الشكاوي أن تكون اللازمة على ألسنة الفقراء والعمال ، وسائر أبناء الطبقة الوسطى ..

لكأن ثمة يدا خفية تقود حياة الناس في طريق غامض مجهول لا يعرف أحد غايته سواها ..

واذا فلابد لهذه الطبقات المنكوبة من التفتيش الجاد عن مخرج من هذا المأزق الرهيب ..

ويتعذر على « أوسمان » اليوم أن يحدد الظروف التي ساقته إلى اعتناق الماركسية ..

لكنه يتذكر شيئا واحدا هو أن تلك اللحظة كانت هي التيار الذي جرفه بعيدا عن طريق والده .. إذ ما كاد يستقبل ذلك الوافد الفكري العنيف حتى سلخه من كل علاقة بسواه .. وهكذا ما برح يزداد إيغالا في البعد عن ماضيه ، كلما تقدم خطوة في طريقه الجديد ، حتى لم يعد لديه مجال للريب ، بأن السبيل الوحيدة للتغيير الصحيح محصورة في القضاء على كل الأنظمة المتوارثة ، ولاسيما القيم الدينية والأخلاقية ..

وكرة أخرى يمر راحتيه فوق أربطة رأسه ووجهه ، ويقدح ذلك في خياله صورة اللحظة التي حصل فيها التصادم ..

كانت ذاكرته لاتزال تحتفظ بصورة العقرب ، وهو يعلو الرقم العاشر من ساعة السيارة حين فوجىء بشجرة الرصيف تسد عليه السبيل ، فلا يجد محيدا عن نطحها ..

إنه لا يدري كيف أقبلت تلك الشجرة نحوه بهذه السرعة ، ولكنه لا يستطيع أن ينسى أنه كان في دوامة من السكر والقلق ، فهو خارج لتوه من المشرب الذي اعتاد أن يقضي فيه معظم لياليه ، حيث يتناول كؤوسه المقدرة من الخمرة الرخيصة اثناء جلوسه للقمار مع مجموعة من زملائه في المصنع ، حتى إذا دقت ساعة المشرب الثانية عشرة ، خرجوا يحملون أنفسهم إلى سياراتهم الشعبية ـ الفولكس ـ وقد فقدوا نصف وعيهم على الأقل ـ وفقد اكثرهم كل ما حملوه من الماركات ، التي أخذت سبيلها إلى صندوق صاحب الحانوت ، إلا قليلا مما ظفر به المحظوظ منهم .

وكان قلقه ليلتئذ أكبر من المألوف في تلك السهرات ، إذ كان غارق التفكير في ما وراءها من أحوال أسرته ، التي أتمت خلال هذا الشهر العدد السادس بميلاد طفله الرابع ، الذي دعاه عمر ـ على اسم جده ـ

ولقد قدم إلى المشرب وفي صدره أمل كبير بأن يكون صاحب حظ الليلة ، فيحرز معظم ماركات الرفاق ليؤمن بها فرحة الصغار في عيد الفطر الذي أصبح على الأبواب ..

أجل .. إن أوسمان مقطوع الصلة بمعنى العيد ، فهو لا يستشعر له أي علاقة في نفسه ، وكان من الممكن أن ينساه نهائيا ، مادام كالكثيرين غيره من الجيل الكمالي ، قد فارق سبيل المتدينين ، فلا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام .. إلا أنه مع ذلك كله لا يجد فسحة للتخلص من مسئوليات العيد بازاء أطفاله ، الذين لا يستطيع تجريدهم عن الهوية الدينية في مثل هذه المناسبات .. إنهم يتطلعون إلى مشاركة أشباههم في هذه الفرصة ، فهو مضطر لمسايرة مشاعرهم بتوفير الحلويات ، وتأمين الألبسة الجديدة لمواجهته .. وها هو ذا يسمع خطوات العيد قادما نحوه ، فلا مندوحة له عن الاستعداد اللازم لاستقباله ..

وتتراءى لعينيه الزائغتين طيوف الواقع المزعج .. لقد خسر آخر عشرة ماركات كان يأمل أن تشد إليه أمثالها ، فاذا جيوبه خاوية ليس فيها حتى ثمن علبة السجائر .. وقبلها ذهب مرض « حقي » ـ أكبر أولاده ـ بالمبلغ الذي توافر لأمه خلال الشهر الماضي ، فلم تبق ثمة فرجة للفرج إلا عن طريق الاقتراض .

وتتابع في خياله الصور القاتمة ، فاذا هو تلقاء ذلك اليوم القريب الذي عجز فيه عن الوفاء بما استدانه من رفيقه « حكمت » لسداد ما تبقى عليه

من دين لصاحب الحانوت ، ولتأمين بقية القسط الذي اعتاد إرساله إلى أبويه بنهاية كل شهر ..

ويكاد يساوره شعور الندم على تصرفه .. الذي يستهلك نسبة غير يسيرة من دخله لانفاقها على الميسر والتدخين والخمر .. إلا أنه سرعان ما طرد من رأسه ذلك العارض الذي لا سبيل إلى قبوله .. إذ لا يستطيع تصوره إلا مقرونا بنصائح أولئك الزملاء الذين استعبدهم الهوس الديني ، فلزموا مناهج آبائهم الأولين ، ولم يكتفوا بذلك لأنفسهم ، فراحوا يستهوونه وأمثاله لمواكبتهم في ذلك المسلك ، الذي لا يفتأ يسمع رفاقه في كل مناسبة يرمون أهله بالرجعية والفاشستية والعمالة .. ويحذر كل منهم الآخر من الاصغاء إلى دعوتهم ، التي لا يريدون بها سوى تخدير الكادحين ..

والظاهر أن تأملاته قد طالت ، فلم يع ما حوله من أحاديث بعض الزوار الذين تحلقوا حول مريضهم ، حتى أقبلت نحوه عربة الطعام بوجبة الغداء ..

وقبل أن يمد يده إلى مائدته ، جمد بصره قليلا على محتوياتها من الأرز ، والفاصوليا وأفخاذ الدجاج المحمر ، ونظر في غصة إلى قرن الموز الذهبي وهو يعانق التفاحة الحمراء ، وهمس لنفسه : أين أنتم ياأحباء من هذه الألوان الشهية ..

وطرق سمعه ذكر العيد يتحدث به أحد الزوار ، وعلم أن موعده هو الغد أو الذي بعده .. فتضاءلت رغبته في الأكل ، وجعل تفكيره يتركز على الصغار والعيد .. والانكسار الذي سيغشاهم خلال أيامه ..

واستشعر لفحة لاذعة من النقمة ، تصور له الآخرين من ذوي اليسار ، وكأنهم عصائب لصوص ، انتزعوا نعيمهم من بؤسه وأمثاله ..

ويرجع برأسه إلى الخلف قليلا ، وجعل يتمتم ، كأنه يرد على خواطره : ولكن .. ما بال هؤلاء الرفاق الكادحين المسلوبين لا يتعاونون لتخفيف مآسي إخوانهم ؟.. ويرتفع همسه بعض الشيء : لماذا لا يتفقدون رفاقهم في مثل هذه المناسبات ، ليمسحوا عن وجوه صغارهم بعض خطوط البؤس ؟ ..

وفي لهجة آسية يستأنف : والآن .. ما العمل ؟.. غدا أو بعد غد سيأتي الأولاد الأربعة ومعهم أمهم ، وليس على أحدهم كسوة جديدة ، وليس في قدم أحد حذاء يسره ..

وتعبر في خياله صورة (الفولكس) وهي تهجم به على شجرة الرصيف ليحمل من هناك فاقد الوعي إلى هذا المستشفى .. ويسأل نفسه في حيرة بالغة : ألم يكن خيرا لي ألا أفيق أبدا من تلك الصدمة ؟..

لم يكد « أوسمان » يصدق عينيه ، وهو ينظر إلى زوجته وأبنائه يدخلون عليه في غير الوضع الذي يتصوره .

كان الفرح يطفح على وجوههم وأجسامهم جميعا .. فعلى كل منهم الكسوة التي لم يحلم بمثلها من قبل ، وفي رجلي كل حذاؤه الزاهي .. وما أشد سرور صغيره الثالث « جاويد » بالسيارة الأنيقة التي شغل بها حتى عن أبيه ، فهو يوجهها هنا وهناك ، ويدير لولبها كلما فترت حركتها ، لتندفع من جديد ، بالاتجاه الذي يريد .

وارتسمت في خيال اوسمان صور كثيرة ، وهو يقبل أولاده ، ويرد تحية قرينته بخير منها ، ولم يطق الصبر طويلا على كتمان ما في نفسه فاتجه الى زوجته يستوضحها باشارة من يده ، وعضلات وجهه ، عن هذا الذي يشاهده ..

وأدنت المرأة مقعدها من صدر السرير ، وجعلت تحدثه بمثل الهمس : إنها هدية الجمعية الاسلامية ، حملها إليها مندوبها ، ومعه موفد التوعية الاسلامية من قبل مفتي « استانبول » ، ولقد قاموا بتفقدك هنا أكثر من مرة أثناء غيبوبتك ..

وبكثير من الوجوم استقبل « أوسمان » هذه الكلمات .. وقبل أن يعقب عليها بشيء تابعت المرأة تقول : وقد حملا إلينا مقادير وافرة من المئونة ، وأضافا إليها مئتي مارك ، قالا : إنها عيدية الأولاد ..

وكان الزوجة خشيت من زوجها عدم الرضى ، فأردفت : أؤكد لك أنني بذلت جهدي لرد هذه الأشياء ، واعتذرت باصرار عن قبولها ، غير أنهما أقنعاني بأنها نوع من التعاون الذي تشارك فيه أنت وكل تركي في « دوسلدروف » .

وكان استدراكا لطيفا أعاد إلى نظراته صفاءها ، وأضفى على وجهه ـ الذي فارقه الضماد ـ بوادر الارتياح شيئا بعد شيء ، وقال ، وكأنه يخاطب نفسه : حقا .. لقد شاركت في هذه التعاونية .. ذات يوم ..

وانتظرت الأسرة حتى قدم المشرف على ذلك القسم من المستشفى ، فناول أوسمان إذن المغادرة ، ومشى معهم حتى شيعهم إلى السيارة التي لم تلبث أن انطلقت بهم .. ولكن اوسمان ما لبث إلا دقائق حتى استوقف السائق ، ليهبط إلى الرصيف ، وهو يقول لأهله : اسبقوني إلى المنزل .. وسأكون عندكم بعد قليل ..

وسألته المرأة في استغراب : وأنت .. إلى أين ؟..

ورد في تصميم : إلى نادي الجمعية ..

وشد ما شغل بالها هذا الرد المثير .. وتوقعت أن يكون وراءه رغبة في خلاف جديد ، مع أولئك الاسلاميين ، فاشارت إلى السائق بالتريث قليلا ، وقالت لزوجها في نغمة أشبه بالرجاء : ولم هذه الزيارة غير المعتادة ؟..

فأجاب وهو يحرك قدميه باتجاه المبنى المتواضع القريب : لأسجل الأولاد في قسم تعليم القرآن ، ولأشهد صلاة الظهر مع الجماعة ..



الوزارة في الفكر الاسلامي

جاءنا من الدكتور فؤاد عبد المنعم كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها

أهمية منصب الوزارة وتاريخه :

- يعتبر منصب الوزارة من أهم الولايات العامة في الدولة ، فالوزير يسهم في رسم سياسة الدولة في الداخل والخارج . وقد ظهرت أهمية هذا المنصب منذ فجر تاريخ الانسانية عندما وجدت جماعة من البشر على أرض معينة ، ولزم لتدبير أمرها حاكم يسوس أمورها واحتاج الحاكم لمن يعاونه عليها ، يقول ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع في مقدمته : « ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا فلابد من الاستعانة بأبناء جنسه .. » فمنذ الزمن البعيد وآثار قدماء المصريين شاهدة على وجود منصب الوزير ففي حفرية حية نقش لوزير يخرج من بيته في الصباح الباكر ليستمع الى مظالم الفقراء ويصغي ولايميز فيها بين الحقير والعظيم . ويقول « ول ديورانت » ان الحكومة المصرية القديمة من أحسن الحكومات نظاما وكان الوزير على رأس الادارة كلها يشغل منصب الوزراء ، وقاضي القضاة ، ورئيس بيت المال ، وكان الملجأ للمتقاضين لايعلوه في هذا الا الملك وان كان كثير من الكتاب يرجعون الوزارة خطأ الى اليونان والفرس .

وكلمة الوزير من الكلمات المعروفة عند العرب قبل الفتوحات الاسلامية فموسى عليه السلام كان أخوه هرون وزيرا له ففي قوله تعالي على لسان موسى « **واجعل لي وزيرا من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري** » (طه : ٢٩ - ٣٢) وعندما التقى المسلمون في السقيفة لاختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال المهاجرون « نحن الأمراء وأنتم الوزراء » وفي طبقات ابن سعد ان أبا بكر كان وزيرا للنبي صلى الله عليه وسلم ويقول الطبري « ان زيادا كان يسمى وزير معاوية »

الشروط التي ينبغي ان تتوافر في الوزير :

قد استقرأ الفقهاء المسلمون القدامى آيات الكتاب الكريم والسنة الشريفة وانتهوا الى شروط اشترطوها في الوزير ومن هذه الآيات الآية الجامعة للسياسة العامة العادلة والولاية الصالحة : (**ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها**

واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا . يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (النساء : ٥٨ ، ٥٩) واعتبر الفقهاء هاتين الآيتين قاطعتين في الدلالة على ما تضمنتهما ومن هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات أمكن الوصول الى الشروط الآتية : ـ

١ ـ **العدل** : ليكون الوزير منصفا في حكمه ، فيسلم الشعب من ظلم غيره وظلمه وتبدو أهمية هذا الشرط في ان القائم بالحق والعدل يملك سرائر من تقلد عليهم ويحقق طمأنينتهم ، أما اذا كان جائراً قاهرا فلا يملك من الرعية الا التصنع .
٢ ـ **الأمانة** : ليفي بما عليه ويستوفي ماله ، ولايختزن لنفسه ، فلا يقبل الهدايا التي تعطى له بحكم منصبه والتي في حقيقتها رشوة مقنعة ، حتى يكون القدوة الصالحة في سلوك العاملين تحت رئاسته .
٣ ـ **الكفاءة** : وهي ان يرتب الأعمال على قواعدها السليمة ، ويضع الأمور في نصابها ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الولاية العامة « أنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »رواه مسلم وأبو داود .
٤ ـ **الاسلام الحق** : ان الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر واشترط القرآن في ولي الأمر ان يكون مسلما لقوله تعالى وأولي الأمر (منكم) كما ان مقتضى هذه الآية ان يعمل بأحكام الشريعة الاسلامية في المسائل التي وردت بها نصوص صريحة ويرد المسائل المتنازع فيها الى الكتاب والسنة ، ويتطلب ذلك العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والأحكام والرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح .
٥ ـ **الرجولة الراشدة** : دليل ذلك قول الله تعالى (**الرجال قوامون على النساء**) النساء/ ٣٤ . وبين الرسول ان هذه القوامة ليست قاصرة على البيت فحسب بل شاملة للولايات العامة في الدولة لقوله صلى الله عليه وسلم « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخاري وأحمد بن حنبل والنسائي والترمذي وقوله أيضا : « اذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير من ظهرها » رواه الترمذي .
وقد تتطلب الاسلام الرشد فيقول الله سبحانه وتعالى (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**) النساء/ ٥ ، كما أشار الى سن الأربعين بقوله جل شأنه :(**حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ...**) (الاحقاف : ١٥) ففي هذه السن يتم النضوج العقلي والاستقرار العاطفي وهي السن التي يوحي فيها الله

لأنبيائه ورسله يقول الأصفهاني « ان الانسان اذا بلغ هذا السن يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله بعد ذلك » .
٦ ـ **سكنى دار الاسلام** : فقد ورد في القرآن الكريم (**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**) (الأنفال : ٧٢) .
٧ ـ **عدم الاشتغال بالتجارة** : يحظر على الوزير الاشتغال بالتجارة وينبغي التفرغ لمنصبه ، ويؤيد الماوردي قوله هذا بحديث يسنده الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال « اذا اتجر الراعي أهملت الرعية » وتكاد أن تتفق على هذه الشروط الدول العربية وان لم تنص عليها كلها صراحة في دساتيرها . كما أن هناك بعض أوجه الخلاف بين تلك الدساتير والنزعة الاسلامية الواضحة ، فقد اشترط الاسلام في الوزير ان يكون رجلا مسلما فليست في الاسلام جنسية أو قومية . ومن جماع الكلم كتاب المأمون فيما يشترط من أوصاف في وزيره .

اني التمست لأموري رجلا جامعا لخصال الخير ذاعفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلد مهمات الأمور نهض فيها يسكته الحلم ، وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ، ان أحسن اليه شكر وان ابتلى بالاساءة صبر ، لايبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه .

أنواع الوزارة :

قسم بعض فقهاء المسلمين الوزارة الى قسمين :
احدهما : وزارة التفويض ، ويطلق عليها أيضا الوزارة المطلقة يكون فيها اختصاص الوزير شاملا فكل أمور الدولة فوضه رئيس الدولة بالتصرف فيها وفق مايراه من مصلحة ، وأخرجوا من اختصاص وزير التفويض أمرين .
أ ـ ولاية العهد : وهي مقصورة على رئيس الدولة يولي عهده من يشاء .
ب ـ عزل من ولاه رئيس الدولة .

واشترط بعض الفقهاء ـ فوق ماقدمنا من شروط ـ فيمن يباشر وزارة التفويض سلامة الحواس والأعضاء ، والشجاعة والنجدة المؤديان الى الحفاظ على الدولة .

وأما الثاني : فوزارة التنفيذ ويطلق عليها أيضا الوزارة المقيدة ، وينفذ الوزير فيها مايأمره الحاكم فقط ، ويرجع لرئيس الدولة في كل صغيرة وكبيرة فهو منفذ وليس مفوضا ، ومن هنا تخفف بعض الفقهاء من شروطهم فيه فلا يشترط فيه الاسلام ولا الاجتهاد .

وكانت الوزارة في العهد العباسي تقوم على وزير تفويض واحد ومعه عدة وزراء تنفيذيون . وفي الأندلس تعدد وزراء التفويض بتعدد اختصاصاتهم فقد قسموا الوزارة أصنافا بتعدد اختصاصاتهم وأفردوا لكل قسم وزيرا فجعلوا وزيرا للمالية ، ووزيرا للمواصلات ووزيرا للحربية . ويقول الماوردي ان الغالب على سمة الحكم

الاسلامي هي وزراء التفويض وعلى العكس من ذلك كان سمة الحكم الفارسي هم وزراء التنفيذ وهذا مايجعلنا نقول ان النزعة الاسلامية ليست نزعة دكتاتورية واستبدادية وانما هي نزعة تتسم بالشورى والحرية والمشاركة في مسئوليات الحكم ويشابه وزير التنفيذ مركز الوزير في النظام الأمريكي الرياسي حيث يعد بمثابة سكرتير لرئيس الدولة مهمته تنفيذ ارادة الرئيس وسياسته بخلاف وزارة التفويض التي يشابه مركز الوزير فيها مركز زميله في النظام البرلماني حيث يشترك الوزير مع رئيس الدولة في الحكم وحيث نجد ان الوزارة هي التي ترسم في الواقع الحكم .

مرسوم الوزارة :

اشترط الفقهاء المسلمون ان يكون تعيين وزير التفويض بنص صريح واضح يقول فيه رئيس الدولة لوزير التفويض : « قلدتك وزارتي والنيابة عني في جميع مالي من ولاية الرعية » ويرد الوزير قائلا : « قبلت »

أما وزير التنفيذ فيكفي ان يعهد رئيس الدولة اليه تنفيذ أمر معين .

وفي العصر الحديث تنص معظم الدساتير على تأدية الوزراء لقسم معين أمام رئيس الدولة .

عزل الوزراء :

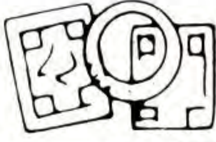
يعزل الوزير اذا تحققت خيانته أو عجزه أو قصوره أو قلت هيبته أو وجود من هو أكفأ منه ، ويكاد ان يجمع الفقهاء على ان العزل بغير سبب موهن للسياسة ، وفي هذه الحالة يقدم الوزير ماله وماعليه حتى يبرىء نفسه ، ويكشف أمره للناس جميعا ويحدد مسؤوليته .

وليس أضر على رئيس الدولة من أن يكون وزراؤه ونوابه يجيدون القول ولايجيدون العمل فيركن الى أقوالهم فتختل الدولة باهمالهم وفساد أعمالهم فينبغي ان يكون رئيس الدولة كيسا فطنا يستبقي العناصر الصالحة ويستبعد العناصر السيئة .

بماذا ينهض الاسلام

الأخ أحمد بدر الدين نجيب سالم ـ سوريا ـ حلب بعث الينا مقالا عنوانه (بماذا ينهض الاسلام) يقول الأخ الكريم :

ما أكثر المسلمين اليوم ولكنهم في موازين القوة أضعف الخلق لأنهم لا يحملون من الاسلام الا اسمه يظنون أن الاسلام شهادة يرددها اللسان وعبادات تؤديها الأبدان بينما ينطلقون في الحياة الى حيث تقودهم أهواؤهم وشهواتهم وغدا الاسلام محجوبا بأهله غريبا في دياره وفي ختام الكلمة يقول : ان الاسلام اليوم لا ينهض الا بالتمسك بالعقيدة والثبات على اليقين والتضحية والفداء ...



بريد الوعي الاسلامي

الاخ مسلم صادق من قفصة تونس يسأل :

○ ما هي المعجزات الحسية لرسولنا الاعظم عليه الصلاة والسلام وهل هناك ما يثبت صحة هذه المعجزات في القرآن او يدل عليها ؟

● المعجزة هي كل حادثة خارقة للعادة والقوانين التي اجراها الله في هذا الكون وقد ايد الله الانبياء والرسل بهذه المعجزات تأييدا لهم في دعوتهم وايد نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام بمعجزات حسية ابصرها ونقلها الكثير من الصحابة وقد اشار القرآن الكريم الى بعضها قال تعالى : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**) وقد اتفق العلماء في تفسير هذه الآيات وسبب نزولها ان اهل مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر .

هذه معجزة من معجزات كثيرة يمكنك الاطلاع عليها في كتب السيرة النبوية العطرة .

الاخ كيوس حميد من المغرب مراكش يسأل :

○ ما اسم الشيطان قبل ان يطرده الله من رحمته ؟

- جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة آية ٣٤ قوله تعالى :

« **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين** » .

وجاء في القرآن الكريم في سورة الكهف آية ٥٠ قوله تعالى : « **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ..** » وفي هذين الدليلين كفاية لسؤالك يا اخ حميد

الاخ الطيب عمر سليمان من السودان يسأل :

○ ما الفرق بين الحديث المتفق عليه والحديث الضعيف ؟

- الحديث الضعيف هو (ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن) والحديث المتفق عليه هو ما رواه الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحيهما فيقال (رواه الشيخان) او متفق عليه .

الاخ احمد الدجاني مصطفى من فاس ـ المغرب :
○ يسأل عن"ذا الكفل"هل هو من الانبياء ام لا ؟ حيث ان احدى المجلات الاسلامية نشرت مؤخرا مقالا ذكرت بأنه ليس من الانبياء وانا بحثت عنه فوجدت ان القرآن الكريم اورد اسمه مع اسماعيل وادريس كما ان الحافظ ابن كثير يقول نفس الشيء في تفسير القرآن العظيم ارجو الافادة .
ـ ذو الكفل مجهول لا نملك تحديد زمانه ومكانه والارجح انه من انبياء بني اسرائيل وقيل انه من صالحيهم وانه تكفل لأحد انبيائهم قبل موت هذا النبي بأن يخلفه في بني اسرائيل على ان يتكفل بثلاث :ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب في القضاء فوفى ما تكفل به وسمى ذا الكفل لذاك ، ولكن هذه ليست سوى اقوال لا دليل عليها والنص القرآني يكفي في هذا الموضوع لتسجيل صفة الصبر والصلاح لذي الكفل ، قال تعالى في سورة الانبياء الآيتين ٨٥ ـ ٨٦ : « **واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين** » .

ردود سريعة

الاخ المهندس محمد ابراهيم الخزرجي مصر البحيرة يأمل ان نرسل له صورة غلاف العدد (١٩٢) مكبرة .
لا يوجد لدينا يا اخ محمد ما تريده وشكرا على رسالتك .

○ **الاخ مولاي مصطفى من مراكش** بعث الينا برسالة تهنئة بمناسبة مطلع السنة الهجرية مبديا كل حب وتقدير واخوة تجاه المجلة .
وادارة تحرير المجلة من جانبها تبارك للاخ الكريم بالسنة الهجرية وتشكره على رسالته

○ **الاخ نصر الدين عوض السودان** بورسودان بعث الينا برسالة يشكر فيها الاستاذ سيد عطاء محمد علي ، على ما كتبه في العدد (١٩٠) تحت عنوان (اين الاسلام يا امة الاسلام) نشكر الاخ نصر على اهتمامه وحرصه واطلاعه .

○ **الاخ محمد شعبان احمد مصر اسيوط** ارسل الينا رسالة يشكر فيها الاستاذ (محمود محمد بكر هلال) على قصيدته المنشورة في العدد ١٩٣ تحت عنوان (ماذا لنا) .
شكرا ايها الاخ الكريم على شعورك المنبثق من قاعدة الايمان والذي يحمل في طياته العاطفة الصادقة .



(النذير العريان) عنوان مقالة كتبتها (الدعوة) السعودية في عددها ٧٨٥/١٦/فبراير ١٩٨١ تقول المقالة :

كان ممثل المجاهدين الأفغان بمثابة النذير العريان للأمة الاسلامية حين ردد في خطابه البليغ أمام مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بأن الاتحاد السوفيتي الشيوعي يستهدف كل بلاد الاسلام بعد أن يتم اجهازه على البلد المسلم المكافح (أفغانستان) .

كان الشيخ (عبد رب الرسول مجددي) في خطابه ذاك أمام المؤتمر الذي تعلقت به أنظار أكثر من مليار مسلم في مشارق الأرض ومغاربها . كان الشيخ واعيا ، قويا وكان يردد لقادة المسلمين وللمسلمين : دافعوا عن أنفسكم بدفاعكم عن أفغانستان حيث يؤكد الشيخ أن أفغانستان ليست سوى مرحلة أولى من الأطماع السوفييتية الشيوعية ومع ثقتنا بديننا وأمتنا فاننا نعتبر انذار الشيخ المجاهد هو الحقيقة التي لا مبالغة فيها بالنسبة للدول الاسلامية التي تنضوي قياداتها تحت الولاء للسوفييت بشكل أو بآخر من صيغ وأشكال الصداقة والمعاهدات ، هذه الدول التي تعرف نفسها ويعرفها العالم الاسلامي والتي ندرك بمرارة أنها لم تلجأ لذلك الولاء الا مكرهة للحصول على الأسلحة في سبيل تحرير أراضيها بعد أن ظنت أن الاتحاد السوفييتي هو الطريق الوحيد وبعد أن رأت ألا بديل أفلا يوجد بديل لهذه الدول التي تقامر بمستقبل شعوبها المسلمة وأراضيها الحرة بالارتباط بهذه الدولة الشيوعية التي عرف عنها سرعة الاستيلاء المسلح على الدول الصديقة لها متى رأت الفرصة سانحة ... ! !

بلى يوجد البديل ...

انه التضامن الاسلامي ...

فأمة الاسلام اذا تضامنت كما أمرها الله لم تعد بحاجة الى معسكر شرقي أو غربي وسيخضع العالم بأسره لمطالبها المشروعة فالعالم الاسلامي بقوة العقيدة في أبنائه واستعدادهم للجهاد وبكثافته السكانية وانتشار أراضيه وسيطرته على مواقع حساسة وثروته الهائلة يعد القوة الأولى في العالم اذا تحقق له التضامن الذي يضع الحق نصب عينيه .

نشرت الرأي العام الكويتية في ١٩٨١/٢/١٩ مقالا تحت عنوان (دعوة للعودة الى القرآن) نقتطف منه الآتي :

« تمر الدول العربية في الوقت الحالي بعواصف شديدة وامواج متلاطمة فالوضع العربي اوصلنا الى مرحلة اليأس نتيجة الخلافات القائمة بين الاقطار العربية ، ففي ايام كثيرة مرت ، سمعنا عن قيام وحدة او اتحادات وتفاءلنا بأنها ستعيد لهذه الامة رفعتها وعزتها ليكون لنا رأي ومكانة بين الامم لكننا نصحو على الواقع الاليم اذ ما يكاد يتلاقى الاشقاء حتى يتفرقوا ، الكل يريد رفعة هذه الامة بالكلام ... اما الافعال ؟ الله اعلم !!

ويستطرد كاتب المقال :

امام هذه المتناقضات الغريبة هناك بصيص امل انه اتباع النظام الالهي الذي جاءنا به القرآن وليست النظم التي وصفها مكيافيلي والتي تتبعها الدول وسائل لتحقيق غايات .. ان الوقت قد حان لنعود الى اسلامنا الذي اعزنا قرونا » .

نشرت جريدة اللواء الاردنية في عددها رقم (٤١٨) الصادر في ١٩٨١/٢/١٨ تحت عنوان

التململ الاسلامي في روسيا والصين

كيرغيزيا قد لا يكون اسما مألوفا في الغرب ولكن الاحداث في هذه الجمهورية الجبلية في وسط آسيا السوفيتية تسبب الآن قلقا في موسكو ففي يوم ١٩٨٠/١٢/٤ قتل سلطان ابراهيموف رئيس وزراء كيرغيزيا ووصف الرسميون المحليون مقتله بانه تحرش سياسي قبل انعقاد المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي . وهناك تفسير اكثر معقولية الا وهو بان ابراهيوق ربما يكون قد قتل على يد الوطنيين المسلمين . فكيرغيزيا هي احدى الجمهوريات الست في جنوب الاتحاد السوفييتي حيث يشكل المسلمون اغلبية السكان ويبدي السوفييت قلقا متزايدا من انتشار التوترات الاسلامية في الجنوب ففي آذار ١٩٨٠ م تم طرد وزيرة خارجية كيرغيزيا من الوظيفة بتهمة انها اشارت في مقابلة مع مجلة (تايم) الى ان التدخل الروسي في افغانستان كان يرمي على الاقل الى منع الاصابة بعدوى المتاعب الاسلامية وقد اعفى الكثير من

مناصبهم في هذه الجمهورية بعد مقتل ابراهيموف مما يوحي بان المجلس السوفييتي الاعلى يحاول تشديد قبضته على كيرغيزيا . والمشاكل هذه ليست مقتصرة على الجانب الروسي بل مقدمة للجانب الصيني ففي اكتوبر ١٩٨٠ م قام احد اعضاء المكتب السياسي الصيني في جولة لاقليم تسينج ينج الصيني المقابل لكيغيزيا السوفييتي ودعا هذا المسؤول الصيني الى الحذر من القياصرة الجدد عبر الحدود السوفيتيية الذين يمدون بمخالبهم في الصين لبذر الشقاق واثارة الاضطرابات ومن السهل تحميل الروس المسؤولية الا

انه من الواضح ان المواطنين متململون على جانبي الحدود

كليهما .. هل الاسلام مثل الاشتراكية لا يعرف حدودا .!!

في زاوية المنبر الحر نشرت جريدة القبس الكويتية في عددها رقم ٣١٤٩ بتاريخ ١٩٨١/٢/١٧ تحت عنوان (العالم لا يعاني ازمة موارد ولكن من نضوب الايمان) تقول الصحيفة :

تطالعنا بين الحين والآخر اخبار لا يتقبلها عقل ولا يعيها ضمير على سبيل المثال لا الحصر خبر يقول : بيعت لوحة الفنان فلان بمبلغ ستة ملايين جنيه استرليني وبيع طابع بريد قديم بملبغ ستين الف دولار ... الى آخر القائمة من تقليعات العالم المجنون الذي نعيش فيه !!...

ومع ذلك نسمع كل يوم ونرى من يتندر بهذا الفنان وامثاله ولكننا قلما نسمع من يتندر او يتفكر في تلك اللوحة التي تتحرك وتتنفس في اطارها البديع الخلاب هذه اللوحة يراها البشر جميعا ولكنهم لا يحسون بها لانهم اصيبوا بعمى الالوان وفيما يلي وصف الصورة البديعة كما ورد في نص صانعها الاعظم ومصورها الكبير الخلاق :

« فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس »

« والذي اخرج المرعى . فجعله غثاء احوى »

والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها . والنهار اذا جلاها . والليل اذا يغشاها . والسماء وما بناها . والارض وما طحاها »

فهل يستطيع اصحاب الفرش ان يرسموا سنتمترا واحدا يتحرك ويتنفس ويأكل ويشرب ويسبح بحمد صانعه ليل نهار ؟ وهل يستطيع السادة النقاد ان يكتبوا حرفا واحدا مما ورد او بالاحرى بمثل ما ورد في وصف المصور الاكبر رب العالمين .

طابع بريد بستين الف دولار !!
ولوحة بيكاسو بستة ملايين جنيه !!
شيء له قيمة ويجب ان يقتنى !!

ومع هذا ينبري حضرات الخبراء الاقتصاديين ليقولوا بان العالم مقبل على تفجر سكاني وازمة غذائية وقلة مياه ..

وفي رأيي انهم بعيدون كل البعد عن الواقع فالبحر يتسع لالاف الملايين من الاسماك والبر يتسع لالاف الملايين من الكائنات الحية والطاقة متوفرة والمياه كثيرة ولكن الشيء الاخذ بالنضوب فعلا هو الايمان بالله هذا النضوب الايماني هو الذي اعمى البشر عن ادراك الحقيقة فجعلهم يهملون واجبهم للخلافة في الارض ويقدسون طابع بريد ؟

اليس هذا العالم اجهل من عقرب واضل من ضب !!

نشرت جريدة الشرق الاوسط كلمة تحت عنوان :
صحوة اسلامية بين عرب فلسطين المحتلة

بدأت الصحوة الاسلامية التي انتشرت بين سكان الاراضي المحتلة تثير قلق سلطات الاحتلال الاسرائيلي وتشير المصادر الاسلامية الى صحوة اسلامية كبيرة بين عرب فلسطين المحتلة وقد ازداد عدد المترددين على المساجد كما زاد عدد المسلمين في المدارس الدينية واخذ الشباب ينادون

بصورة علنية الى العودة الى اصول الدين الحنيف والقيم الاسلامية الحقيقية وتقول سلطات الاحتلال ان

الصحوة الدينية ادت الى انشاء منظمات سياسية اسلامية شبه سرية

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

○ كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافاة .
○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .
○ الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .
○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزاة .

اقرأ في هذا العدد

العالم الاسلامي

افغانستان

○ دولة اسلامية تقع في وسط آسيا بين ايران والباكستان مساحتها ٦٤٧,٥٠٠ كم٢ ولم تحمل هذه الدولة اسمها الحالي الا في اواسط القرن الثامن عشر عندما تدعم الجنس الافغاني فيها وكانت المقاطعات قبل ذلك تحمل اسماء مختلفة .

○ اللغة التي يتكلم بها السكان مشتقة من الفارسية .

○ يتألف سكان افغانستان البالغ عددهم ١٨ مليون نسمة من عدة عناصر اهمها الافغان - الفرس - الترك والمغول - الهندوكشن الآريون .

○ بدأ الاسلام ينتشر في افغانستان منذ ايام الخليفة عثمان بن عفان حينما ارسل عامل البصرة (عبد الرحمن بن سمرة) لغزو سجستان فحاصر مدينة (زرنج) واستولى عليها وهي اليوم تسمى (زاهدان) .

○ خضعت اقاليم افغانستان في القرن الرابع الهجري للغزنويين وفي بلاط الدولة الفزنوية التي اتخذت من (غزنة) عاصمة لها ظهر العديد من العلماء منهم الفارابي والفردوسي والبيروني .

○ تدين اليوم كل قبائل افغانستان بالاسلام والغالبية على مذهب اهل السنة عدا قبيلة او قبيلتين فتعتنق المذهب الشيعي .

○ تسلم الحكم في افغانستان عام ١٩٣٣ الملك محمد ظاهر شاه وفي عهده نشطت الحركة الشيوعية وتغلغلت في الجيش مما دفع محمد داوود صهر الملك للقيام بانقلاب عسكري الغى الملكية واعلن الجمهورية ١٩٧٣ م واستمر في عهده ايضا النشاط الشيوعي .

○ تمكن الشيوعيون من الانقضاض على محمد داوود وقتلوه في انقلاب دموي عام ١٩٧٨ م واستلم الحكم (نور محمد تراقي) وبدأت تظهر بوادر حركة المقاومة الاسلامية المنظمة .

○ لما فشل الشيوعيون في القضاء على الحركة الجهادية عزلوا (نور) وعينوا حفيظ الله امين في محاولة لانقاذ الحكم .

○ وجد الروس ان لا مفر من التدخل العسكري المباشر لانقاذ الحكم فقتلوا حفيظ الله ونصبوا عميلا اخر هو بابراك كارميل في محاولة يائسة لتطويق الثورة .الاسلامية .

○ ان شعب افغانستان الذي اذاق الانكليز في الماضي طعم الهزيمة يقف اليوم بكل فئاته سداً منيعاً امام قوات الاحتلال الشيوعي واضعاً نصب عينيه النصر او الشهادة .

افغانستان.. مَقبَرة الغزَاة



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

١٩٩

- النبيّ عند سدرة المنتهى
- أبعاد الإسراء والمعراج
- منهج الجهاد في الإسلام

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٩ ● رجب ١٤٠١ هـ ● مايو ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

تسامح فريد وتعصب ممقوت

انزل الله الاسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة تسمو بالنفس الى معرفة الله وتوحيده ،

وشريعة تبين الأحكام والآداب والقواعد والأخلاق والمعاملات التي يسير عليها الناس في دنياهم .

وقد أمر الله تعالى أن تكون الدعوة لهذا الدين بالبيان والحجة في رفق ولين فقال تعالى : (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

ومنح الانسان الحرية والاختيار فيما يعتقد وفيما يفعل ويترك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ..(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .
وبذلك اقتضت مشيئة الله وحكمته ان يكون بين الناس مؤمنون وكافرون : (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) .

ومن ثم كانت شريعة الله الى خلقه شاملة لما يكون عليه التعامل السديد بين المسلمين وغيرهم .

فالأقليات غير المسلمة في الوطن الاسلامي (من اي نحلة كانت) يوجب الاسلام على الدولة المسلمة ان تدع لهم الحرية في الاعتقاد والتعبد حسب ما يدينون به ، وان تعاملهم بالتسامح والعدل والاحسان وان تصون نفوسهم وأعراضهم وأموالهم وأن تكفل لهم المعيشة الملائمة في المطعم والملبس والمسكن كما تكفل ذلك للمسلمين سواء بسواء .

والاسلام يقرهم على ما يعتقدون حله ـ وان كان قد حرم في الاسلام ـ كما في الزواج والطلاق وأكل لحم الخنزير ، فاذا رضوا بالاحتكام الى الاسلام في أحوالهم الشخصية ، فالمسلمون بالاختيار بين ان يحكموا بينهم بشريعة الاسلام ، أو يمتنعوا عن الحكم لقوله تعالى : **(فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) .**
والاسلام يحرم على المسلمين ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا او انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة »
وقال « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما) » .
والمسلم يرى في تنفيذ هذه الحقوق طاعة الله ومرضاة لرسوله ، ومن ثم يؤديها ما دامت تلك الاقليات تلتزم بأحكام القانون الاسلامي في المعاملات المدنية ونحوها ، وتحترم شعائر المسلمين ومشاعرهم ، ولا تقاتل المسلمين في دينهم ولا تظاهر اعداءهم .
وقد بين الله دستور هذه المعاملة في قوله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين.انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .**

هذا تسامح الاسلام وتلك معاملته للأقليات غير المسلمة فاين ما تفعله الدول غير الاسلامية مع الأقليات المسلمة من هذا التسامح الفريد الذي يصنعه الاسلام مع غير

المسلمين .
ان كثيرا من الدول غير الاسلامية تجتاح الأقليات المسلمة وتبيدها وتغتصب حقوقها تحت سمع العالم وبصره .. فما يحدث للمسلمين في جنوب الفلبين .. وما يحدث للمسلمين في ارتيريا وفي الحبشة نموذج كريه بالغ السوء .. يعطي الدليل كل الدليل على التعصب المقوت ، وعلى ضياع حقوق الانسان تحت سمع وبصر من يتشدقون بأنهم رعاة هذه الحقوق .

اما غير المسلمين خارج الأوطان الاسلامية فالاسلام يأمر المسلمين بالتسامح معهم ما داموا لا يعتدون على المسلمين ولا ينتقصون حقوقهم ولا يطعنون في دينهم قال تعالى : **(فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين)** .. فاذا حدث منهم شيء من هذا فالاسلام يأمر بجهادهم ، فان جنحوا للسلم وعدلوا عن الظلم في صدق ووفاء فالاسلام يرحب بالوسائل السلمية متى أدت الى الوصول الى الحق كاملا **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)** اما اذا أرادوا المخادعة والماطلة فعلى المسلمين ان ينبذوا اليهم على سواء وأن يعلنوا الخصومة وأن يأخذوا فورا بكل وسائل الجهاد **(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** .

وعلى المسلمين – حينئذ ان يهيئوا نفوس الشعوب الاسلامية وأن يأخذوا بأسباب النصر اقتصاديا بالاكتفاء الذاتي ، واجتماعيا باحياء روح العزة والكرامة ، وعمليا بتدريب أبناء الأمة تدريبا عسكريا دقيقا .

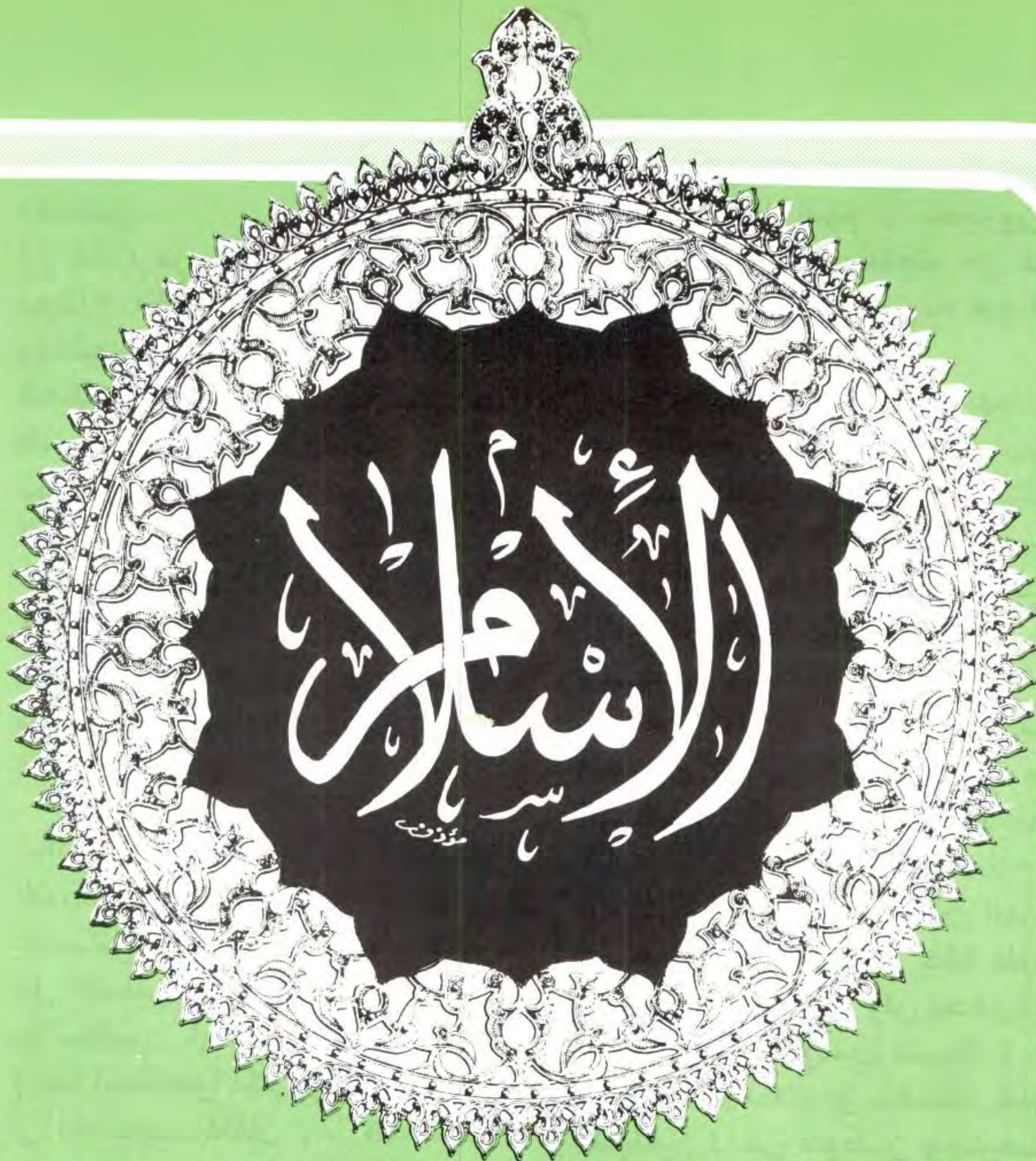
وعليهم – حين يتم لهم الأخذ بالأسباب المادية – ألا يعبأوا بقوة العدو مهما بلغت ، وأن يعتمدوا على الله وحده ، وأن يعلموا ان الايمان الذي يستتبع العمل هو أقوى سلاح ، وبه يكون النصر من الله القوي العزيز الغالب على امره **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** .. **(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)** .

هذا هو الاسلام في معاملة غير المسلمين داخل الوطن وخارجه سماحة وعدل واباء للضيم وبذل في سبيل الحرية ، فعلى غير المسلمين ان يدركوا هذه المعاني الاسلامية حتى لا يشتطوا في العدوان والظلم .. وعلى المسلمين أن يستمسكوا باسلامهم فهو أساس مجدهم ، وليذكروا دائما قول الله تعالى : (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) .

والله يوفق من اتبع هداه

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للأستاذ عبد الكريم الخطيب

ـ نحن المسلمين ـ اليوم على مشارف القرن الخامس عشر من تاريخ الهجرة النبوية المباركة ، من موطنه ، مكة ، البلد الحرام ، الى المدينة المنورة ، حيث اتخذها أفقا جديدا لمطلع الدعوة الاسلامية ، بعد أن تنكر لها مشركو قومه ، وأصموا أبصارهم عنها ، وأغلقوا عيونهم دون النظر في أنوارها ..

وقد كان المسلمون من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وعنهم ـ كانوا موفقين أعظم التوفيق ، حين هداهم الله تعالى الى أن يجعلوا مبدأ التاريخ الاسلامي ، ويوم مولده ، هو مطلع الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ، اذ لم تكن سنوات الاسلام الأولى ، من مبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، الى يوم هجرته ،

ماضيه وحاضره ومستقبله

الا ارهاصا لمولد الاسلام ، والا الشفق الذي يؤذن بميلاد فجر جديد ، واشراق صبح يفيض بأنواره على العالمين ، ويخرج الناس من ظلمات الشرك والبغي والضلال ، الى نور الهدى ، والعدل ، والاحسان .

هنالك ملأت الأسماع كلمة : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » فنفذت الى القلوب ، وخالطت المشاعر ، وسرت في النفوس مسري الأرواح في الأجسام ، فبعثت الحياة في الأموات الأحياء ، كما يقول الله تعالى : (**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون**) الأنعام/١٢٢ .

وبهذه الهجرة المباركة ، ارتفعت راية الاسلام ، ودالت دولة الشرك

وأهله ، وجاء نصر الله والفتـــح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا !!

وبهذا الفتح والنصر ، رد للانسان اعتباره ، وأعيد اليه منصب الخلافة على هذه الأرض ، من بعد أن تحول بشركه وضلاله الى عالم الحيوان ، ورد الى أسفل سافلين .. وكان من هذا أن قامت دولة الاسلام ، وأخرج الله تعالى منها خير أمة أخرجــت للناس ، أقامــت تلك الحضـــارات المزدهـــرة بالعلـــوم والفنـــون ، على أساس من الحق والعدل ، مما يعيش الناس في آثاره الى اليوم والى ما بعد اليوم ، وذلك ما شهـــد به أعـــداء الاسلام ، قبل أوليائه ، حيث لا تزال آثار الاسلام باقية ، هي اليوم جامعة العلوم والمعارف ، يتلقى عنها علماء الغرب ركائز العلوم وذخائر المعارف ، وروائع الفنون ، وان كنـــا نحـــن المسلمين في غفلة عنها ، وفي شبه عزلة بيننا وبينها ، فنتجه الى الغـــرب ، ونتتلمذ على علمائه ، وأصل العلـــم عندنا ، قد حوته الخزائن ، وعلاه التراب ، ، حتى لقد صدق علينا قول شاعرنا :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

واذا كان للزمن دورة يوميـــة ، يتقلب فيها بين نهار وليل ، وليـــل ونهار ، واذا كان للحياة سننها في الناس ، أفرادا وجماعات وأممـــا ، بين عز وذل ، وقوة وضعف ، وصعود وهبوط ، كما يقول الحق سبحانه : **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)** آل عمران/ ١٤٠ ..

نقول : اذا كان الأمـــر كذلك ، جاريا في دورة الزمن ، وسنة الحياة ، فليس يعنـــي هذا أن يستسلـــم الانسان ـ وبخاصة المؤمن ـ للواقع الذي هو فيه ، اذا كان هذا الواقع فيه جور على انسانيتـــه ، أو حط من شأنه ، أو امتهان لكرامته ، مما لا يرضاه له دينه ، ولا تقبله شريعة هذا الدين .

ان المؤمن عزيز بعزة الله ، قوي بقوة الله ، فلا يقبل الهوان أبدا ، ولا يبيت على ضيم بحال أبدا ، والله تعال يقول : **(ولله العـــزة ولرسولـــه وللمؤمنين)** المنافقون/ ٨ . ويقـــول سبحانه : **(من كان يريد العـــزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعـــه)** فاطر/ ١٠ .

فمن عزة الله يبتغي المؤمنـــون عزتهم ، وذلك بالايمان الخالص لله ، والعزيمة الصادقة للعمل بمرضـــاة الله ، وطلب معونته ، وبذلك يخلع المؤمـــن برقعـــات الضعـــف والاستخذاء ، ويلبس أثواب العـــزة والقوة ، والله تعالى يقـــول : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)** آل عمران/ ١٣٩ .

وفي هذا المعني يقول الشاعر :

ولا يبيت على ضيم يراد به
الا الأذلان : عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

ونحن المسلمين اليوم ـ ونقولها في صدق واخلاص ـ في حال لا يرضى عنها الاسلام منا ، ولا يرتضيها أهل الحق والتقوى من المسلمين .

فالمسلمون اليوم ـ كما نرى ـ عالة على أمم الغرب ، يلتقطون ما يتساقط من فتات موائدهم المزدحمة بالرذائل ، التي تعافها النفوس السليمة ، وتأباها الفطر النقية الخالصة من مفاسد الموروثات المنحرفة الضالة .

وما هذا التهافت منا نحن المسلمين ـ على موائد الغرب ، وانقيادنا الأعمى لعادات أهله وتقاليدهم ، التي تأخذ طريقا غير طريق الاسلام ـ الا أننا قد صغر في أنفسنا قدرنا وهانت علينا كرامتنا ، وخف عندنا ميزان ديننا ، وكنا كما قال الله تعالى : **(نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)** الحشر/١٩ ، فغزاهم المستعمرون الملحدون بعاداتهم وتقاليدهم ، وأشاعوا فيهم الفاحشة ، وصبغوهم بصبغتهم المادية التي تستخف بكل خلق ودين ، وذلك بعد أن احتلوا أوطانهم أزمانا ، امتصوا فيها ثرواتهم ، وسخروا الناس لمآربهم ، وأقاموا منهم الحجة على دينهم ، وأنه لو كان الدين الحق لظهرت ثمراته فيهم ، ولما صار بهم الحال الى ما هم فيه من فرقة ، وتخلف ، وضعف في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ..

ان الذين يشنعون على الاسلام ، ويلقون في حرمه الطهور بالتهم الظالمة ، والسفاهات المضللة ، و يتقولون عليه بأنه السبب فيما عليه حال المسلمين اليوم من ضعف وتخلف عن ركب الحياة ، المنطلق في كل ميدان ، والمحلق في كل أفق ـ انهم ليقيمون على هذا شاهدا من حال المسلمين ، ومن مكانهم القلق المضطرب بين شعوب العالم المتمدن المتحضر .

واذا كنا نلتمس لهؤلاء الطاعنين على الاسلام ، من أعدائه ، وأعداء أهله ـ اذا كنا نلتمس لهؤلاء العذر لما يقولون في الاسلام ، وأهله ، فانه لا عذر لنا نحن أبناء الاسلام ، اذا كنا نحن الذين أقمنا من حياتنا الهابطة ، الحجة على أن يقول أعداء الاسلام ، ما يقولون عن الاسلام من مفتريات وأباطيل !!

ان الدين بأهله !! وعلى أهل الدين ـ أي دين ـ تظهر آثاره ومعطياته فيهم ، محمودة كانت أو مذمومة ، فيقبل الناس على الدين ، أو يعرضون عنه ، بقدر ما يرون من آثاره ومعطياته عند من يدينون به !

ولقد صغرت نفوسنا عن حمل تبعات ديننا ، والوفاء لأحكامه وتعاليمه ، في حين أننا نمثل الاسلام في نظرنا ، ونظر الناظرين الينا من أعداء وأصدقاء ، على السواء ..

ان النفوس المريضة تنقلب فيها حقائق الأشياء ، وتتغاير فيها صور المعاني الكريمة ، كما تنقلب صور المرئيات ، وتتغاير حقائقها في الأعين

المريضة ، وكما تنحرف طعوم المذاقات في الفم السقيم .

والواقع أننا أصبنا في القرون الأخيرة ، بكثير من العلل والآفات النفسية والعقلية ، التي أفسدت حياتنا ، وأوشكت أن تغتال وجودنا ، حتى نزلنا منزل الهوان في دنيا الناس . فتقدم اناس وتأخرنا ، ونهضت شعوب وقعدنا .. وكنا كما يقول الشاعر :

وتقدمتنا اناس كان خطوهم
وراء خطونا اذ نمشي على مهل

لقد كان من خداع أعداء الاسلام لنا ، وكيدهم لديننا ، أن صوروا لنا الاسلام في صورة الآفة التي رمتنا بما نحن فيه من ضعف وجهل ، وتخلف ، واننا لو لم نكن ندين بهذا الدين ، وأخذنا طريقنا مع ما تدين به دول الغرب ، وما تتمذهب به من مذاهب المادية والالحاد ، لكنا في مصاف هذه الدول ، ولكانت لنا المراكب الفضائية التي ترتاد الأقمار والنجوم ، وتعمل على أن تتخذ لها مواطن فيها .

وهكذا عمل هذا الكيد فينا عمله الذي قدره أعداؤنا ، وأعداء دين الله ، حتى لقد وقع كثير من ضعاف العقول والنفوس من أبنائنا فريسة لهذا الكيد ، إذ لم يعرفوا حقيقة دينهم ، ولم يستقيموا عليها ، ولم يغرسوها في ميادين الحياة ، ولم يجنوا ثمرا من ثمارها الطيبة المباركة !!

ومن هنا كان هؤلاء المسلمون ـ ولا اسلام ـ طليعة للانهزامية في مجتمعنا ، ووجها ممسوخا للانسان السوي ، المستظل بظل الله ، المصطبغ بصبغة الدين الحنيف ، فكان منا هذا التهافت على النار ، التي يجذبنا الغرب اليها ، كما يتهافت البعوض على الوقود !!

ونحن اليوم في مطلع ميلاد جديد ، وفي لقاء مجدد مع ديننا ، الذي أشرف به علينا القرن الخامس عشر ، من تاريخ الهجرة النبوية المباركة ، والذي يحمل الينا من نفحات هذه الهجرة ، ما من شأنه أن يردنا من غربتنا التي باعدت بيننا وبين ديننا ، وأخلت أيدينا من آيات العزة والمجادة التي أورثنا اياها آباؤنا الأولون الأكرمون .

يقول الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه : « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم والبيهقي . ومعنى هذا أن الله تعالى قد أقام على دينه الخاتم للأديان ، من يدفع عنه عوادي الجهالات والضلالات ، التي تدخل عليه من أهله ومن غير أهله ، وذلك بدعاة الحق من العلماء والفقهاء ، الذين يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وبهذا تظل شعاعات الاسلام وأنواره ، نورا للبصائر ، وهدي للحائرين ، كلما أطبق ليل ، وهجم ظلام .

ومعنى هذا أيضا أن علماء المسلمين وفقهاءهم الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان ـ هم أشبه

بالشفق الذي يسبق انبلاج الصبح ، ومطلع الشمس ، الذي يطلع على المسلمين على رأس كل مائة عام ، في شخص مصلح ذي علم غزير ، وايمان وثيق ، ونية خالصة . وعزيمة صادقة ، فيهز أقطار الاسلام ، ويجمع فرقة المسلمين ، ويعيد اليهم الصحة والعافية من دينهم .

وهكذا يعود المسلمون الى دينهم ، ويعود اليهم من هذا الدين ما أفلت من أيديهم من العزة والمنعة ، والسلطان ..

ثم يدور الزمن دورته ، ويفعل في الناس فعله ، وبعد مائة عام يطلع من يجدد لهذه الأمة دينها ، ويوثق صلتها بالله ، وبدين الله .. وهكذا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

لقد تكشف لنا من هذا البريق الخادع من مدنية الغرب وحضارته ، كما تكشف لأصحاب هذه المدنية وتلك الحضارة ، ما تنطوي عليه ، من سموم قاتلة ، وأدواء مهلكة فتاكة ، يعاني منها أهل الغرب اليوم ما يعانون ، من جفاف العواطف ، وغياب المشاعر ، ومن انحلال الأخلاق ، وتفكك الأسر والمجتمعات ، ومن عرى نفسي وجسدي ، يكشف عن سوءات الانسان وبهيميته .. فلا تعاطف ولا تراحم ، حتى بين الآباء والأبناء ، اذ أتى سعار المادية على كل عاطفة انسانية في تلك المجتمعات التي تتزيى بزي الحضارة والمدنية .. حتى لكأن الشاعر العربي القديم ، نظر الى تلك المجتمعات ، فقال فيها :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

وهذا عالم من علماء الغرب ، وفيلسوف من أكبر فلاسفته ، هو الفيلسوف « نيتشه » الذي يدين معظم الغرب اليوم بمذهبه المادي .

انه ينظر الى المجتمعات من حوله ، فلا يملك الا أن يقرر هذا القرار الخطير المدمر .. اذ يقول : « ان الرحمة ، والتعاون ، والحب ، وكافة الفضائل المسيحية ، هي مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء والدهماء والقطعان من الناس .. وهؤلاء جميعا فقراء ، ومرضى ، وضعفاء ، يعوقون التطور الانساني ، في حين أنه يجب أن نخلص نبوغنا البشري ، بأن نبقى على الأقوياء في الذهن ، والجسم والروح ، ونعمل على افناء الآخرين » !! (من كتاب الديانات والحضارات ـ لطه المدور) .

ونقول : أي مجتمع هذا الذي يتحدث عنه الفيلسوف الألماني (نيتشه) ؟ ان عالم الحيوان أحسن منه حالا ، وأسلم طبيعة !! ثم أي انسان ذلك الذي يتحدث عنه هذا الفيلسوف ، وقد سلب النماذج المتخيرة منه ، المشاعر ، والعواطف ، والحب والرحمة والتعاون ؟ ثم أي عالم الذي يغري فيه الأقوياء والأصحاء بافناء الضعفاء ، والعجزة والمرضى ؟

ومع هذا ، فقد وجد نيتشه لفلسفته هذه من يدين بها ، ويطبقها

في مجتمعه ، كما فعل « هتلر » في الشعب الألماني ، الذي صوره على صورة غير صورة الناس ، وجعله من طينة غير طينة أبناء آدم ، حتى لقد أغراه ذلك الجنون أن يفني شعوبا بأكملها ، ولو استطاع لأفنى العالم كله حتى لا يبقى الا الشعب الألماني ، الذي هو وحده الذي يستحق الحياة !!

وماذا في الاسلام ، وفي شريعة الاسلام ، وحقائق الاسلام ، من معطيات القوى التي يبني عليها الانسان السوي ، ويقام عليها صرحه ، ليكون ذلك الانسان الذي جعله الله خليفة في الأرض ، وخلقه في أحسن تقويم ، وليظل محتفظا بهذا الخلق الكريم ، ولا يرد الى أسفل سافلين ؟

ماذا في الاسلام من قوى الحق والخير ، التي اذا تعامل معها الانسان ، وأخذ حظه منها ، كان في أحسن تقويم ، وحلق بها الى أعلى عليين ، في سماوات العزة والقوة والكرامة ؟

وماذا عليه المسلمون اليوم ، من هزال ، وضعف ، وتخلف في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ؟ انه لا بد من البحث عن هذا التناقض الواضح ، وعن أسبابه ، بين معطيات الاسلام ، وبين الحال التي عليها الذين ينتسبون الى الاسلام ، في يومنا هذا ، حتى ينكشف الغطاء عن هذا الاختلاف بين المقدمات والنتائج ، وبين الأسباب والمسببات !!

والدين الاسلامي ، لا يمكن أن يكون موضع لبس أو اتهام ، من حيث مادة تعاليمه وأحكامه ، ومن حيث المنهج الذي رسمه ، والدستور الذي أقامه للتربية بهذه التعاليم ، وتلك الأحكام .

فهذه مسألة قد فرغ البحث فيها ، وقال التاريخ كلمته فيها ، وحكمه عليها .. فلقد سجل التاريخ نتائج واقعة خالدة لتلك الآثار ، التي تركها الاسلام ، في المواطن التي حل بها ، وفي الأمم والشعوب التي قدر لها أن تتصل بالاسلام ، وتأخذ أنفسها بهديه ، وتستقيم على تعاليمه ..

ولا نستشهد لهذا بتلك الآثار العظيمة الباقية على الزمن ، بل نأخذ هذه الشهادة من فم الذين لا يدينون بالاسلام ، من علماء الغرب المعاصرين ، الذين غلبهم البحث العلمي ، فقالوا كلمة الحق في الاسلام ، بعد أن رأوا أقوامهم فريسة للمذاهب والمعتقدات التي اغتالت معالم الانسانية فيهم ..

فهذا المستر (داود أوركوهرت) يقول في كتابه (روح الشرق) وفي المجلد الأول منه ، المطبوع سنة ١٨٢٩م .. ما نصه :

« ان الاسلام لم يكن دينا مبتدعا ، ولا وحيا مخترعا .. ليس به قومية ، ولا حكومة كنائسية ، بل سن شريعة للناس كافة ، ونظاما مدنيا محكما ، يجب على كل فرد الانقياد له » (من كتاب : الايمان والعلم الحديث ، لمحمد الحسين الأديب ..ص : ٦٨) ..

ويقول المسيو « جون هرمن » العالم الفرنسي المعروف :

« قد يكون الأوروبيون مستعمرين ماهرين ، ولكن الأمة التي استطاعت بعد الرومان أن تمدن الشعوب الأخرى ، هي الأمة العربية .. فالعرب وحدهم ، هم الذين استطاعوا في الحقيقة أن يجعلوا شعوبا أخرى تعتنق حضارتهم ، وتقبل دينهم ، وأنظمتهم وفنونهم .. فيا ليت فرنسا تعرف هذه الحقائق ، وتعلم أن العربي لا يبدل دينه ، ولا يبدل أنظمته ومعتقداته ، فتكفي نفسها مؤونة ابتكار المبادىء الغربية » !!

ويقول « جون ديورانت » المؤرخ الانجليزي ، صاحب موسوعة « قصة الحضارة » :

« لولم تقم في جنوب أوروبا – أي أسبانيا – الحضارة الاندلسية العربية لظلت أوروبا تسبح الى اليوم مع شعوبها المختلفي النحل والنزعات في حلك من ظلمة الجهل والبداوة ولما ظهر للمدنية الأوروبية الحالية من أثر في الوجود » !!

ويقول « برنارد شو » :

« ان انجلترا بل أوروبا ، لو احتاجت الى دين تتبعه ، لينقذها مما هي سائرة اليه ، من دمار محقق ، ودمار لا مناص لها منه – فليس أمامها الا الاسلام » ويقول « برنارد شو » أيضا :

« إني أعتقد أن رجلا كمحمد ، لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجاح في حكمه ، ولقاده الى الخير ، ولحل مشاكله على الوجه الذي يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » (من كتاب : الايمان والعلم الحديث – تأليف محمد الحسين الأديب – ص : ١٣٣) ..

هذه بعض مقولات العلماء الأوربيين عن الاسلام ، ونبي الاسلام ، يقولونها خالصة لوجه العلم ، دون عاطفة دينية ، أو قومية ..

وبعد ، فما حظنا نحن المسلمين ، أتباع محمد ، من هذا الدين العظيم ، وما حمله الينا كتاب الله ، وسنة رسول الله ؟ ان لسان الحال ، أبلغ في هذا المجال من كل لسان .

فيا أمة الاسلام ، عودي الى دين الله ، وتمسكي به ، وسيري على هديه .

ويا علماء المسلمين وفقهاءهم ، هذه رأس المائة الخامسة عشرة ، من تاريخ الهجرة قد آذن صبحها أن يطلع بالمجدد الذي يجدد لهذه الأمة دينها ، مصداقا لقول رسول الله صلوات وسلامه عليه .. وهو لا بد أن يكون واحدا منكم ، ممن امتلأ قلبه بالايمان ، ووهب نفسه للجهاد ، بل والاستشهاد في سبيل الله ونصرة دينه :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة/١٠٥ صدق الله العظيم .

التفسير النبوي

تمهيد :

أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن الكريم على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفيه أحكام مجملة تفتقر الى تفصيل وبيان ، ومعاني مغلقة تحتاج الى تبيين وتوضيح .

ورغم أن القرآن بلغة العرب ، ورغم فصاحتهم الا أنهم كانوا يقفون عاجزين عن فهم معنى من المعاني ، أو حكم من الأحكام . ففي هذه الحال ليس لهم الا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشرح لهم ما غمض عليهم فهمه ، أو يفصل لهم ما أجمله القرآن الكريم .

وقد نص القرآن الكريم على مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيان وشرح القرآن للناس ، فقال تعالى :

(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) النساء/١٠٥ .

وقال تعالى : **(وأنزلنا اليك**

للقرآن الكريم

للأستاذ جاسر أبو صفية

الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل/ ٤٤ .

وقال تعالى : **(وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)** النحل/ ٦٤ .

الى غير ذلك من الآيات التي نصت صراحة أو أشارت ضمنا الى مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – تجاه القرآن الكريم .

ولهذا حذر الرسول – صلى الله عليه وسلم – من اهمال الحديث ، والاعتماد فقط على ما جاء في القرآن الكريم ، وذلك في قوله – صلى الله عليه وسلم – :

« ألا واني قد أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . الا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » القرطبي ١/ ٣٧ .

قال الامام القرطبي حول هذا الحديث : قال الخطابي : قوله : « أوتيت الكتاب ومثله معه » يحتمل وجهين من التأويل ، أحدهما : أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطي من الظاهر المتلو . والثاني : أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح ما في الكتاب » .

وقال الامام ابن كثير في تفسيره (٣/١) : « والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن الا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن » .

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : « كان الوحي ينزل على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك » .

وقال مكحول : « القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن » .

وقال الامام أحمد : « ان السنة تفسر الكتاب وتبينه » .

وفي الحديث النبوي السابق دليل على أن السنة تفسر الكتاب وتبينه ، وفيه أيضا بعض الأحكام التي سنها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وليس لها ذكر في القرآن الكريم ، وفي هذا يقول الله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/٧ .

ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ذلك :

« ان هذا القرآن صعب مستصعب ، عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه . وحديثي صعب مستصعب ، وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثي نجا مع القرآن . ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة . وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمري وتتبعوا سنتي ، فمن رضى بقولي فقد رضى بالقرآن ، ومن استهزأ بقولي ، فقد استهزأ بالقرآن ، قال الله تعالى : **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** (القرطبي ١٧/١٨) .

أنواع التفسير النبوي

أ) بيان لمجمل ما في القرآن :

ويندرج تحته بيان الصلوات الخمس وأوقاتها ، وعددها ، وأحكامها وبيان الزكاة وأنواعها ومقاديرها . وبيان مناسك الحج ، والصوم وغير ذلك مما يقع في باب العبادات والمعاملات .

وقوله تعالى : **(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** النحل/ ٤٤ .

« ينبه المؤمنين الى مكانة السنة في التشريع ، فان أقوال الرسول وأعماله تبين المراد من القرآن ، اذ تفصل ما أجمله ، وتقيد ما أطلقه ، وتخصص فيه ألفاظ العموم ، وتعين ما لم يعينه من المقادير والحدود والجزئيات . فللسنة أن تنفرد في التشريع حين يسكت القرآن عن التصريح ، ولها أن تقوم بوظيفة التبيان حين يترك لها

التفصيل والتوضيح .

وذلك ما استنتجه عمران بن حصين لما رمى رجلا بالغفلة الشديدة والفهم السقيم ، وقال له مؤنبا مقرعا : انك امرؤ أحمق ، أتجد في كتاب الله ركعات الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم سرد له بعض أحكام الصلاة ومقادير الزكاة ، وما أشبه ذلك من أركان الاسلام وفرائضه ، ثم قال للرجل : أتجد هذا كله مفسرا في كتاب الله ؟ ان كتاب الله أبهم هذا وأجمله ، وانما فسرته السنة توضيحا وتبيانا .

ب) **بيان زيادة على حكم القرآن :**

وهو ما لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، ومن أمثلته ما ورد تحريمه في الحديث السابق الذي حذر فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ترك الحديث كتحريم أكل الحمار الأهلي وكل ذي ناب من السباع . ومنه أيضا تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، والقضاء باليمين مع الشاهد . وغيره كثير في كتب الفقه .

ونحن في هذه المقالة وما يليها لن نعني بهذين النوعين من التفسير النبوي ؛ لأن محلهما كتب الفقه والأحكام ، وانما يعنينا هنا النوع الثالث من التفسير النبوي وهو التفسير المعنوي اللغوي .

ج) **التفسير اللغوي (المعنوي) :**

وهذا النوع من التفسير قليل ، ولم أر فيه كتابا مصنفا ، وأرجو الله أن أوفق لاستخلاص بعض الآيات القرآنية التي فسرها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرضها في هذه المقالة ، مبتدئا بفاتحة الكتاب في قوله تعالى :

١) **(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)** الفاتحة/٧ .

فقد بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن **(المغضوب عليهم)** هم اليهود ، و« **الضالين** » هم النصارى . (القرطبي ١/١٤٩) .

وذكر ابن كثير عدة أحاديث مرفوعة الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تبين كلها أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى منها ما رواه عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله ـ ص ـ عن قوله تعالى : **(غير المغضوب عليهم)** قال : « هم اليهود » ، **(ولا الضالين)** قال : « النصارى هم الضالون » (ابن كثير ١/٢٩) .

٢) قال تعالى : **(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون)** البقرة/٩ .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تخادع الله فانه من يخادع الله يخدعه الله ، ونفسه يخدع لو يشعر » . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يخادع الله ؟ قال : « تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره » (القرطبي ١/١٩٦) .

فقد فسر الرسول ـ صلى الله عليه

وسلم ـ الخداع في الآية بأن يعمل المرء عملا من أعمال الاسلام ، لا يقصد به وجه الله ، بل لتحقيق غرض دنيوي أو تقربا لغير الله سبحانه أو ليقال عنه بأنه ذو دين .

٣) قال تعالى : **(ونحن نسبح بحمدك)** البقرة/٣٠ .

روى طلحة بن عبيد الله قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تفسير سبحان الله ، فقال : « هو تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن كل سوء » .

٤) قال تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها)** البقرة/٣١ .

اختلف في معنى الأسماء التي علمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لآدم . وقد ذكر البخاري في حديث عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشار الى هذه الأسماء فقال :

« ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » .

وفي حديث آخر يبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله علم آدم أسماء الأشياء كلها التي يحتاجها الانسان في حياته على الأرض حتى وعاء الطعام فقال : « وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة » (القرطبي ١/٢٨٤) .

٥) قال تعالى : **(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)** البقرة/١٨٦ .

فسر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعاء في هذه الآية بالعبادة ، فقال : الدعاء هو العبادة ، قال ربكم : **(ادعوني أستجب لكم)** ، أي اعبدوني . (القرطبي ٢/٣٠٩)

٦) قال تعالى : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** البقرة/١٨٧ .

وقع خلاف بين الصحابة في فهم هذا الخيط الأبيض والأسود ، فظن بعضهم أنه الخيط الحقيقي ، حتى سأل عدي بن حاتم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقال : يا رسول الله ، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان ؟ . قال : « انك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين » . ثم قال : « لا بل هو سواد الليل وبياض النهار » رواه البخاري .

٧) قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)** المائدة/١٠٥ .

في هذه الآية يقول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مشيرا الى تفسير الرسول لها : انكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ، واني سمعت رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

وفي رواية « بعذاب من عنده » .

أي لا يكفي من المسلم أن ينطق بالشهادتين ، ويقول ما لي وللناس ، بل عليه أن يدعو الى الاسلام ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، والا سلط الله العذاب والعقاب على الأمة كلها .

٨) قال تعالى : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** الأنعام/٨٢ .

لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :« ليس هو كما تظنون ، انما هو كما قال لقمان لابنه : **(يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)** لقمان/١٣ رواه البخاري .

فالظلم في هذه الآية ـ كما فسره الرسول ـ هو الشرك .

٩) قال تعالى : **(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة)** الأنعام/٩٤ .

أي يحشرون عراة كما ولدوا من بطون أمهاتهم ، وقد دهشت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ واستغربت وسألت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول الله ، واسوأتاه ، ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ، ينظر بعضهم الى سوأة بعض ؟! فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » ، لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال ، شغل بعضهم عن بعض » (القرطبي ٧/٤٣ ـ ٤٤) .

وفي حديث آخر عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا (أي غير مختونين) . قالت عائشة : فقلت يارسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال : « الأمر أشد من يهمهم ذاك » رواه البخاري ومسلم .

١٠) قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/٦٠ .

وقد فسر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ القوة هنا بمقاتلة الأعداء ورميهم بالنبال لأنها أفتك في العدو وأنفع في الحروب ، وروى لنا ذلك عقبة ابن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، الا أن القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا أن القوة الرمي » (رياض الصالحين ص٧٣٤ ـ القرطبي ٨/٣٥) .

١١) قال تعالى : **(ونفخ في الصور)** الكهف/٩٩ .

الصور هنا تعني القرن الذي ينفخ فيه كما فسره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك في حديث له يقول فيه عن قرب الساعة وهولها : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، واستمع الاذن ! متى يؤمر بالنفخ فينفخ ؟ » فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهم : « قولوا : حسبنا

الله ونعم الوكيل » (رياض الصالحين ٢٩٨) .

١٢) قال تعالى : **(فأما من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا)** الانشقاق/٧ ـ٨ .

قال القرطبي : « حسابا يسيرا » لا نقاش فيه . وقد استدل على ذلك بحديث عائشة ـ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من حوسب يوم القيامة عذب » . فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله : « فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا » ؟ فقال : « ليس ذاك الحساب ، انما ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » . (القرطبي ١٩/٢٧٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٨) .

فالحساب اليسير في هذه الآية هو عرض أعمال المسلم عليه من قبل الله ـ سبحانه ـ دون مناقشته في أعماله ، أي لا يقال له لماذا فعلت ذلك ، ولم ؟ وأين ؟

١٣) قال تعالى : **(يومئذ تحدث أخبارها)** الزلزلة/٤ .

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **(يومئذ تحدث أخبارها)** ، ثم قال اتدرون ما اخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهذه آخبارها » . (رياض الصالحين ١/٢٩٨ ـ القرطبي ٢٠/١٤٨) .

١٤) قال تعالى : **(ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر)** التكاثر ١ ـ٢ .

روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدة آثار تشير الى أن التكاثر في هذه السورة انما هو تكاثر المال ، من هذه الآثار عن عبد الله بن الشخير قال : أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقرأ : « ألهاكم التكاثر » قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » (رياض الصالحين ١/٣٤١) .

ومنها نص صريح في تكاثر الأموال ، عن ابن عباس قال : قرأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ألهاكم التكاثر » قال : « تكاثر الأموال : جمعها من غير حقها ، ومنعها من حقها ، وشدها في الأوعية » . (القرطبي ٢٠/١٦٩) .

هذا بعض ما وفقنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ لاستخلاصه من كتب التفسير وغيرها مما وقع فيها من تفسير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبعض آيات من القرآن الكريم . وردت بنصوص صريحة . ولعل الله سبحانه يوفقنا لاستخلاص غيرها ، راجين منه العفو والمغفرة ، « **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا** » .

حول الإسراء والمعراج

النبي عند سدرة المنتهى



للاستاذ : محمد لبيب البوهي

الانسانية شجرة فرعها في السماء

عندما يتأمل الانسان في ضوء اليقين حقيقة ذاته ، يتبين له من خلال الصفاء الوجداني سمو جوهره ، إذ خلقه الله بداية روحا اشهدها انواره وكشف لها عن حقيقة فطرتها كما ندرك بعض ذلك من خلال قوله سبحانه : **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم)** الاعراف / ١٧٢ فالانسان في حقيقته روح ، وهذه الروح بلغت من كرامة التقدير عند خالقها ما نتبينه من هذه الآية الكريمة ، ثم هبطت الروح طاهرة نقية صافية تحوي فطرتها لتقوم

بمهمة ارضية موقوتة ثم تعود بعد ذلك الى عالمها الاصلي الذي جاءت منه .

فنحن البشر لسنا من اهل هذه الارض ، انما مكاننا الأساسي هناك حيث خلق ابو الأسرة الأنسانية آدم عليه السلام ، ثم كلفنا بالانتداب في الارض فترة تتحدد خلالها تجاربنا في اسلوب ممارستنا للاستخلاف فيها ، ثم يعود كل منا عندما تصدر له اشارة العودة بأمر ربه .

ولكي نؤدي هذه التجربة الأرضية على خير وجه لم نترك عبثا ، بل اشهد الله تعالى الارواح حقيقة مهمتها ، واستودعها الفطرة المناسبة ، ونفخ فيها من حكمته ، وزودها بكل مقومات النجاح والسمو والارتقاء ، لتظل خلال الممارسة الأرضية نقية مشرقة وضاءة من خلال صورة ترابية ، هي الجسد الذي نسكنه ضيوفا الى حين .

والانسان حين اهبط الى الارض روحا نقيا مجردا ، لا يمكن ان يؤدي المهمة الأرضية الا اذا لبس لباسا مناسبا لها ، ولنضرب لذلك مثلا ، فاننا حينما نريد ان نبعث بغواص ليغوص في اعماق البحر لاستخراج شئ ما ، لا يتم ذلك الا بأن نعد لهذا الغواص الاجهزة والملابس المناسبة لعالم البحار العميقة ، وذلك بعد ان نزوده بتعاليم مهمته واسلوب ادائها .

وهذه هي سنة وجودنا على الارض تماما ، فنحن قبل ان نهبط الى عالم الارض غرست فينا الفطرة المؤهلة لحسن اداء الروح لمهمتها بعد الهبوط ، ثم البست الروح الصورة الارضية المناسبة ، أعني الجسد الترابي المناسب لطبيعة التكليف الزمني على الارض .

الروحانية والبشرية :

فالانسان اذن هو روح حلت في جسد من تراب ، وهذه الروح جاءت من عالم الخلد وثوبها الارضي عارية معار لها الى حين الانتهاء من مهمتها الأرضية ، ثم تتركه وتعود الى موطنها الأصلي – وقد اودع الله سبحانه فينا خصائص مركوزة في الأعماق ، بها نستطيع اداء مهمتنا خير اداء ، ما لم نغفل عن الافادة من هذه الخصائص ، او نهمل او ننحرف ، فان ذلك متروك لنا لتتفاوت درجاتنا في اداء الامانة والامتحان الارضي ، ومع ذلك لم نترك لأنفسنا ، بل كان الاعلام القوي لنا بحقيقة ما كلفنا به ، وان هذه الخصائص امانة لنحافظ على المسئولية عنها ، فان معنى الامانة انها شئ نؤتمن عليه ، وعلينا ان نذكر بان هذه الأمانة التي هي انفسنا ، علينا ان نجاهد في سبيل اعادتها الى موطنها الاصلي بعد اداء مهمتها طاهرة صافية نقية كما جاءت من قبل .

غير انه في خلال زمن التكليف الارضي حين تضعف النفس او تستمرئ ملذات عابرة ، فان الروح التي هي نور ، قد يقيم الانحراف او الضعف حجابا يستر عنها حقيقتها ، وحقيقة فطرتها وخصائصها فتطغى

البشرية في الانسان على روحانيته ، والناس في اسلوب الحياة الارضية يختلفون ، فمنهم من تطغى بشريته الترابية فتحجب طبيعته الاصلية النورانية الروحانية ، ومنهم من يسير على خط متوازن بين البشرية والروحانية والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الروحانية المتكاملة .

اسباب طغيان البشرية على الروحانية

وطغيان البشرية على الروحانية ، انما يكون حين تقع الروح من عالمها المتسامي تحت الجاذبية الشهوانية بدرجات متفاوتة ، فتستهويها اوهام تزين لها الوانا كثيرة من الملذات المنحرفة .

ولكن فضل الله على بني البشر ، وقد فضلهم على كثير ممن خلق ، انه تعالى لم يدع الانسان يقع فريسة اهوائه في مهمته الأرضية ، انه سبحانه يناديه اذا تباعد ، ويمد اليه يد الانقاذ اذا كبا ، ويعيده الى طريق النور اذا اكتنفه الظلام ، على شريطة ان يطلب الانسان معونة ربه ، وان يشد بقوة على هذه اليد الحانية ، فهو ليس متروكا لنفسه ابدا ، الا اذا اختار هو ذلك ، ومع هذا فان عوامل الانقاذ ميسرة له من جديد في كل وقت وكل حين ، مهما اوغل في الضلال الارضي ، فله ان يبدأ مرة ومرارا ، وان تطوى الصفحات السود ، وان يعود ليعلو بالروح فوق عواصف لذائذ العالم الارضي ، اننا نعيد ونؤكد هذا المعنى لانه السر والمدخل الى قضية الاسراء فهي ليست مجرد رحلة طوى فيها الزمان والمكان تشريفا لأكرم الرسل فحسب ، بل هي اشارة الى السمو الذي لا ينتهي مداه في تكريم البشرية ، ممثلا ذلك التكريم في شخص الانسان الكامل .. انه على الانسان ان يذكر انه اذا كان قد خلق ضعيفا فان ذلك في قدرته البشرية اما روحانيته فانه يسمويها الى اعلى عليين حتى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ، وقد اقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكيان الارضي ضعيفا حتى يظل الانسان على علم بانه لا سبيل الى منافذ القوة السامية الا بأن يلزم الجانب الروحاني ليجعله مسيطرا على الكيان الترابي وليس العكس .

ومن فضل الله على الانسان تكريمه بارسال الرسل للأخذ بيده الى اقوم السبل ، على هدى من دستور السماء المنير الى اخر الزمان ، وجعل الملائكة في عون هذا المخلوق المفضل عند خالقه ولما بلغت الانسانية رشدها اكرمها بالرسول الخاتم ..

النبي محمد والشجرة الانسانية :

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل ، وهو المبلغ عن ربه لدستور الحياة الى يوم القيامة ، لذلك اقتضت الحكمة الالهية ان يكون المثل الاعلى ، وتكون اخلاقه صورة كاملة لما جاء به ، فتصبح هذه الصورة مرآة صافية ، ترى فيها الانسانية نفسها عبر الدهور والعصور ، على اعلى درجات النقاء ، فتقيس البشرية مقدار روحانيتها بالمقياس القرآني

والاخلاق المحمدية .

من اجل هذا ستظل الصفات والاخلاق القرآنية المصورة في محمد صلى الله عليه وسلم ، هي الصورة الكاملة ، تقترب البشرية منها فيطيب وجودها وحياتها بقدر هذا الاقتراب أو تتباعد فتجني ثمار التخلف والضلال والضياع على قدر نسبة الابتعاد .

فاذا افترضنا للكمال الانساني المطلق نسبة المائة في التقدير الرياضي ، فقد اقام الله محمدا على هذه النسبة في الايمان .. واليقين .. والصدق والامانة والحب . والوفاء . والتعاون .و ..و .. الى آخر الزمان فيظل هذا هو المقياس القرآني الذي تقيس به البشرية مدى تقدمها الانساني او تخلفها عنه .

الاسراء والمعراج :

والاسراء والمعراج باعتبارهما خروجا عن قيود وسلطان الزمان والمكان بحيث تفقد هذه القيود سيطرتها على المدد الروحاني ، فقد كان ذلك تأييدا للروحانية المطلقة ، حين لا تقف امامها القيود او السدود المكانية او الزمانية عن ان تحلق في سماء السمو فتصبح في حضرة ربها ، وهذا التكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم انما نراه رمزا مطلقا لذلك ، وهو تكريم يحمل معنى التذكار الدائم للانسان بتكريم انسانيته حين تتخلص من قيود الزمان والمكان .

واذا كان هناك سؤال يديره الذين يديرون الأمور بزعمهم عقلانيا أو علمانيا وهو ما اذا كان الاسراء قد تم بشخص النبي صلى الله عليه وسلم أو بمجرد الروح .

وقد حسمت الآيات هذا الخلاف بقوله تعالى : (**سبحان الذي اسرى بعبده**) الاسراء /١ والتعبير بكلمة عبده هو تعبير شريف شامل لشخصية النبي وذاته ، ولو كان الاسراء أو المعراج بمجرد الروح لما كانت هناك معجزة ، وما نالت هذا التبيان المطلق من آيات الله . فان اي انسان حين ينام وتسكن اعضاؤه ، ويصبح في حالة موات وقتي تنطلق روحه بطبيعتها المجردة فتسافر في المنام ، وتلقى اناسا في اماكن بعيدة ، وتتحدث معهم ، وهذا امر بدهي يحدث حتى للكافر كما ندرك ذلك في الرؤى التي رآها فرعون مصر في زمن يوسف عليه السلام وقام يوسف بتأويلها لفرعون يومذاك .

وليس في الآيات شئ مسبوق بكلمة سبحان الا كان ذلك دليلا على القدرة التي لا تجد فيما ستذكره الآيات بعد هذه الاشارة الربانية ، وقوانين المكان والزمان هي من صنع الله ، وصانع الشئ قادر على اعادة صياغته ـ او تحويره .. او تبديله او تعطيله متى شاء وكيف شاء .

ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما كان من تعطيل الله سبحانه لخصائص النار الحارقة لابراهيم عليه السلام .. وما كان من اعطاء الجماد قدرة الحركة والفعل المخالف لطبيعته كما حدث لعصا موسى عليه السلام .

واما المعجزة العظمى فهي معجزات خاتم الرسل فلا تكون بعدها معجزة ، وتظل قادرة على العطاء الروحاني والسمو بالفكر الوجداني عند التأمل على اية صورة الى آخر الدهر .

النبي محمد عند سدرة المنتهى :

وفي هذه المعجزة صور خالدة لتكريم الله للانسان في شخص الانسان الكامل الأمثل وللاشعار الدائم بارتفاع روحانية الانسان الى غير مدى محدود فوق بشريته ، ليكون الاتجاه دائما الى التسامي الذي يتخذ معناه في اروع صورة عندما تتحقق الصلاة في اكمل صورها وخشوعها ، فما الصلاة في حقيقتها غير تجسيد لهذا المعنى ، فالانسان ينطلق بروحه خمس مرات كل يوم في رحلة عبر عالم النور فوق عالمه الترابي فكأن روحه في هذه الرحلة المضيئة تحقق اسراء ومعراجا على قدر ذاتها ولعل ذلك من حكمة فرض الصلاة في السماء من اجل بيان قدرها وقدر الانسان حين يرتفع عن دنيا المادة ، ان الاسراء والمعراج كانا للنبي بالروح والجسد ، واما سائر البشر فيستطيعون السمو بأرواحهم فحسب في الصلاة ، انه تكريم ليس بعده تكريم .

وتقول آيات الله : (**ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى .لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم** ١٣ ــ ١٨ .

فاذا كانت الجنة درجات بقدر احرف القرآن كما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهو امر مفهوم لان المرء تتحدد مكانته عند ربه بقرآنيته قولا وعملا وسلوكا ، فمن كانت حصيلته من ذلك فوق غيره بآية واحدة فقد ارتفع بها درجة .. ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآني الكامل تماما ، فان مكانته هي في أعلى درجات الجنة التي تأوى اليها ارواح الأنبياء والشهداء .

ولنا ان نتصور وقد لا يكون علينا في ذلك التصور من حرج ان النبي صلى الله عليه وسلم في مروره عبر جنات الفردوس قد اطلع على مكانه الاعلى الذي يأوي اليه بعد انتقاله .. ولذلك قد تزينت السدرة التي عندها هذه الجنة ..

فلو ان عظيما من عظماء الارض زار بلدا صديقا ، فان هذا البلد يتزين لاستقبال ذلك الصديق ، فتكون حجم الزينات بقدر مكانته عند مستقبليه في البلد المضياف .

واعظم عظماء الوجود الكوني ، هو النبي العظيم عليه صلوات الله وسلامه فلما انتهى الى سدرة المنتهى ، تزينت السدرة لاستقباله : **(إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .**

تلك صور مما توحي به قصة الاسراء والمعراج الى بعض الاذهان وهي تشعر الانسان بتكريم ربه تعالى له متى احسن الصلة به فكل تعظيم للقائد هو تكريم لتابعيه .





لا شك ان تطبيق الشريعة الاسلامية أمانة في أعناقنا جميعا ، ومسئولية أمام الله عز وجل ، وشرف لنا (**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) المائدة / ٥٠ .

ومن وسائل تطبيق الشريعة الاسلامية تقنين أحكامها ، أي صياغة قواعدها في صورة مواد قانونية تنظم سلوك الأشخاص في المجتمع مع إلزامهم بالعمل بها ككل قانون ، وذلك بعد أن أصبح القانون اليوم هو الوسيلة التي تلجأ إليها كل دولة لتنظيم المجتمع . وإذا كانت بعض الدول تستعمل لفظ النظام أو المجلة بدلا من لفظ القانون ، فالعبرة ليست بالمسمى وإنما بمضمون ما يشتمل عليه ، فاذا كان القانون أو النظام معبرا عن حكم الشريعة الاسلامية فلا بأس به ، وإلا فلا حاجة لنا به .

ولقد كان للفقهاء السابقين مصنفات تتضمن قواعد أشبه بالقواعد القانونية منها المتون والمختصرات ، ومنها كتاب قوانين الأحكام الشرعية

تقنين أحكام الشريعة الاسلامية

محمد مؤذن

للدكتور عبدالناصر توفيق العطار

لابن جزى المالكي ، وفي عصرنا الحاضر نجد نماذج ومحاولات لتقنين أحكام الشريعة الاسلامية منها مجلة الأحكام العدلية وهي تقنين للمذهب الحنفي في المعاملات ، وكتاب مرشد الحيران لمحمد قدري باشا على غرار مجلة الأحكام العدلية ، وبعض مشروعات لتقنين أحكام البيع أصدرها مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

على ان من بين علمائنا من يتخوف من تقنين أحكام الشريعة الاسلامية ، ويسوقون لذلك حججا أهمها أن هذا التقنين أمر لم يسلكه السابقون ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، كما أن الامام مالك رضى الله عنه لم يستحسن ما رغب فيه أبو جعفر المنصور من حمل الناس على العمل بكتابه الموطأ .

يضاف الى ذلك أن للحكام سيطرة على السلطة التي تضع القوانين ، وهو ما قد يؤدي إلى تشويه بعض الأحكام الشرعية عن طريق التظاهر بأن القانون مستمد من الشريعة الاسلامية بينما يكون مخالفا

لأحكامها ، كما يمكن للحاكم العبث بأحكام الشريعة الاسلامية عن طريق تعديل القوانين ، ولهذا يرى هؤلاء أنه ينبغي أن نترك الناس على ما هم عليه منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، خصوصا وأن هذا التقنين يسد باب الاجتهاد المطلوب توافره في القاضي ، والأجدى عند أصحاب هذا الرأي العناية بتخريج قضاة مؤهلين للاجتهاد في الشريعة الاسلامية .

وإذا تأملنا الحجج السابقة نجد أنها لا تنهض دليلا كافيا لمحاربة تقنين أحكام الشريعة الاسلامية ، واتخاذه وسيلة لتطبيق هذه الأحكام .

فاذا كان التقنين أمرا لم يسلكه السابقون ، فقد سلك الصحابة والتابعون مسالك جديدة لما وجدوه فيها من خير للاسلام والمسلمين . من ذلك إجماع الصحابة على جمع القرآن في مصحف وإجماعهم على قراءة القرآن على حرف واحد من الحروف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها ، ومن ذلك أيضا اتجاه التابعين الى تدوين السنة ، وتدوينها أمكن الوقوف على صحيحها والمحافظة عليها والعمل على تطبيقها .

وإذا كان الامام مالك رضي الله عنه لم يستحسن ما رآه أبو جعفر المنصور من حمل الناس على العمل بكتابه الموطأ ، فقد كان ذلك قبل جمع السنة وخوفه من أن يكون منها في الأمصار ما لم يصل إليه فيترك العمل به ، كما تدل على ذلك عبارته « إن أصحاب رسول الله قد تفرقوا في البلاد فأفتى كل مصره بما رأى » بخلاف الحال الآن ، فقد أجاز الفقهاء إلزام القضاة بالحكم على مذهب معين .

وإذا كان للحكام سيطرة على السلطة التي تضع القوانين ، فنحن نلاحظ أن تقنين أحكام الشريعة الاسلامية يخضع لمبدأ الشرعية بمعنى أن القاضي عند التطبيق إذا وجد الحكم المطلوب تطبيقه مخالفا لأحكام الشريعة الاسلامية فيمكنه أن يوقف الفصل في الدعوى لتقضي محكمة عليا (كالمحكمة الدستورية مثلا) في مدى اتفاق أو اختلاف هذا الحكم مع أحكام الشريعة الاسلامية وللمتقاضين الدفع بعدم شرعية النص المخالف لأحكام الشريعة الاسلامية ، وللفقهاء نقد أحكام التقنين عند شرحها وبيان مدى اتفاقها أو اختلافها مع أحكام الشريعة الاسلامية فاذا ثبت أن النص مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية امتنع القضاء عن تطبيقه ، وذلك يحد من العبث بأحكام الشريعة الاسلامية .

والصحيح - في رأينا - أن تقنين أحكام الشريعة الاسلامية وسيلة ناجعة إلى تطبيقها بعد ان أصبح القانون اليوم هو الوسيلة التي تلجأ إليها كل دولة لتنظيم المجتمع ، كما أنها وسيلة جائزة شرعا - فيما يبدو لنا - ويشهد لجوازها القياس والمصلحة المرسلة .

فتقنين أحكام الشريعة الاسلامية يقاس على تدوين الفقه ، وليس التقنين إلا صورة من صور تدوين الفقه ، فتدوين الفقه كما يكون في

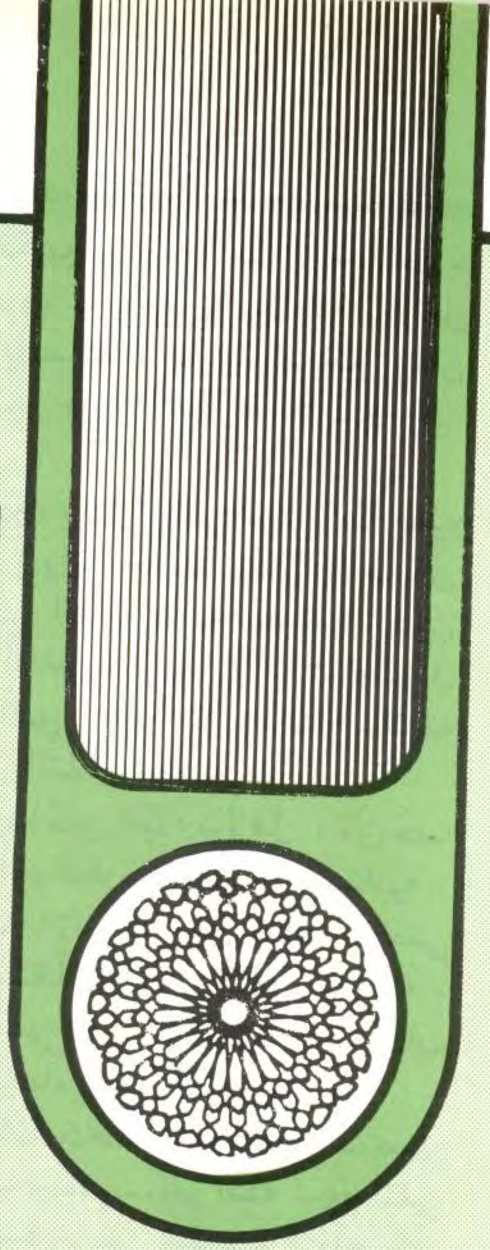
صورة مختصرات أو شروح أو شعر يمكن أن يتخذ شكل مواد وهي قواعد مرقمة ، والعبرة بالمضمون لا بالشكل . فالتقنين صياغة حديثة لمتون الفقه الاسلامي ، وهي صياغة تستوعب أحكام المشكلات المستحدثة . والبديل لتقنين أحكام الشريعة الاسلامية هو ايجاد كثرة من القضاة المجتهدين أو الفقهاء المجتهدين ، وهو أمر قد يكون الآن أصعب من تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .

أما وجه المصلحة في هذا التقنين ، فهو ما يبدو من مزاياه ، ومن مزايا هذا التقنين أنه بمثابة خلاصة ما يمكن العمل به من الروايات المتعددة في المذهب الواحد وفي المذاهب كلها ، ولا يخفى أن الشريعة الاسلامية متعددة مصادرها ، كثيرة مراجعها ، وتختلف آراء الفقهاء في كثير من مسائلها ، الأمر الذي يتطلب بيان ما ينبغي العمل به ، وهو ما يتم بواسطة التقنين ، خصوصا وأن هذا التقنين عبارة عن اختيار وترجيح يتأتى من مجموعة من العلماء ، وليس عن طريق فرد أو غيره ، ثم ان هذا التقنين وسيلة لالزام الناس بالعمل بالشريعة الاسلامية ، ذلك أننا في عصر ألف الناس فيه السير على مقتضى قانون ، فاذا كان هذا القانون مستمدا من الشريعة الاسلامية ، فاننا نصل الى مرحلة تطبيقها ، يضاف الى ذلك أن هذا التقنين وسيلة لتوحيد سلوك الأمة على حكم مختار من بين الآراء الراجحة في الفقه الاسلامي كما أنه وسيلة لتوحيد أحكام القضاء ، حتى لا يحكم كل قاض بمذهب يختلف عن المذهب الذي حكم به قاض آخر ، فتتضارب الأحكام وتتشوه صورة الشريعة الاسلامية وعدالتها في أذهان العامة . ومن الواضح أن هذا التقنين يسهل العثور على حكم الشريعة الاسلامية بدلا من الرجوع الى المراجع العديدة فيها ، كما أنه يسهل على المتقاضين معرفة الحكم المعمول به من بين الآراء المختلفة في الفقه الاسلامي ، كما أنه يسهل على الفقهاء شرح هذه الأحكام ، وهكذا يشتغل آلاف القضاة والمحامين والفقهاء والطلبة بدراسة هذا التقنين والعمل به ، وفي هذا تيسير لدراسة وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

على أن للتقنين مساوىء لأنه يجمد الحكم ، وبالتالي لا ينبغي تقنين الأحكام المبنية على العرف لأنه يتغير ، وسنجد عند تطبيق التقنين من الفقهاء ومن القضاة من سيذكر أن العمل برأي آخر في الفقه الاسلامي أولى من العمل بالرأي الذي أخذ به واضع التقنين ، وينبغي ان تجمع ملاحظات وتعليقات القضاة والفقهاء للنظر في العمل بها وتعديل التقنين بما لا يخرجه عن أحكام الشريعة الاسلامية .

ومن الواضح أن مساوىء التقنين يمكن علاجها ، ومزاياه تفوق مساوئه ، او عدم تقنين أحكام الشريعة الاسلامية سيدفع حكام المسلمين إلى اقتباس القوانين الأجنبية لتنظيم شئون الدولة ، وهذه

مفسدة لا يدرأها الا تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .
والواقع أن التقنين ليس إلا نوعا من تخصيص القضاء بالحكم برأي معين ، وفي عصور التاريخ الاسلامي نجد أن القضاة الزموا بالقضاء وفق الراجح من مذهب معين ، ويمكن ان يكون التقنين صياغة لأحكام الراجح في أحد المذاهب الاسلامية ، كما يمكن أن يكون في نطاق عدة مذاهب ، والأفضل ان يكون في نطاق كل مذاهب الفقه الاسلامي طالما ان كل حكم فيه لا يتعارض مع أحكام القرآن والسنة .
ومهمة تقنين أحكام الشريعة الاسلامية يمكن أن يتولاها المجتهدون في الشريعة الاسلامية ، أو الفقهاء المحدثون الآن ، ويمكن أن يتعاون في صياغتها الباحثون في القانون مع فقهاء الشريعة الاسلامية ، ويتم ذلك سواء بجهود جماعية في شكل لجان تشكل لهذا الغرض ، او حتى في صورة فردية حيث يذكر كل من يكتب كتابا أو بحثا في الشريعة الاسلامية ما يرى العمل به من أحكام هذه الشريعة ويحاول تقعيد هذه الأحكام وصياغتها في صورة مواد قانونية حتى يستفاد منها في التقنين .
وينبغي أن يقتصر التقنين على القواعد العامة ، فلا محل لأن يتعرض لكافة التفصيلات ، فذلك أمر يترك لاجتهاد القضاء ولشروح الفقه . فاذا كشف التطبيق عن اتجاه يخالف أحكام الشريعة الاسلامية ويستند الى نصوص التقنين ، وجب تعديل هذا التقنين بما يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية .
ولا محل للتسويف في اصدار هذا التقنين بحجة الانتظار حتى يتم تقنين كل أحكام الشريعة الاسلامية ، ذلك أنه يمكن التدرج في تقنين بعض أحكام الشريعة الاسلامية وتطبيقها كتقنين أحكام العقود ، ثم تقنين أحكام الحدود ، ثم تقنين أحكام التقاضي .. الخ .
إن معظم بلاد العالم الاسلامي تضع في دساتيرها نصوصا تؤكد ان الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي لتشريعاتها ، ويؤكد رؤساء هذه الدول حرصهم على الاسلام فهل يصح بعد ذلك أن ينشأ القانون في هذه الدول بعيدا عن الشريعة الاسلامية ؟!
ان كثيرا من العظماء عرفوا بما سنوه من نظم للجماعة ، فها هو حمورابي في بابل وصولون في اليونان وجستنيان عند الرومان ونابليون في العصر الحديث فاقت شهرتهم بقوانينهم ما كان لهم من مجد سياسي او عسكري ، فهل نجد من حكام المسلمين من يضع تقنينات كاملة مستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية فيشتهر بها ، ويكون بذلك قريبا من نفوس الجماهير حبيبا الى قلوبها ، فائزا برضا الله عز وجل ؟! .. اننا لنضرع الى الله عز وجل أن يكتب لهذا الجيل وحكامه شرف العمل بشريعة الله **(ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** المائدة / ٥٠ .



النبي في أهله

للدكتور / اسماعيل احمد الطحان

ان الحديث عن الرسول في اهله ، انما هو حديث عن البيت النبوي ، ذلكم البيت الذي استكمل عناصر الخلق النبيل ، ومعالم السلوك

الطيب ، والتربية الحسنة ، لأن ربه ومعلمه ، ومربيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة الكمال البشري ، فصار هذا البيت معقد القدوة ، ومناط الأسوة ، لان الفضائل المجردة لا تعيش في أذهان الناس وإنما يضمن لها الخلود والبقاء ان تتحول الى ممارسة وسلوك ، وقد وجدت هذه الفضائل مجالها الحي في بيت النبوة .

ويأتى الاهتمام بالبيت النبوى ، والبيت بعامة ـ من انه هو اللبنة الاولى في بناء المجتمع ، والوحدة الاجتماعية الصغيرة التي تنمو فيها الشخصية ، وتزكـو فيها العواطف والغرائز ، ويتمرس فيها الفرد على علاقاته العامة بمجتمعه الكبير .

ومن ثم اتجهت عناية الرسول صلى الله عليه وسلم الى البيت باعتباره المجاز الى المجتمع ، وقد ربط بينهما برباط وثيق في لفتة ذكية ، ولمحة وضاءة حين قال :

(خيركـم خيركـم لاهله ، وانا خيركم لاهلي) رواه الترمذي ، ففي هذا القول الموجز معنى سام ودستور عظيم من دساتير التربية ، اذ جعل الخير من الناس هو من قامت علاقته بأهله على الخير ، والبر ، والبذل ، والعطاء ، وحسن المعاملة في القول والفعل ، وما ذاك الا ليتعلم من بر اهله بر الناس اجمعين ، ولتنداح دائرة خيره وفضائله لتسع المجتمع كله ، ويتحول بره العائلى الى بر انساني يشمل الانسانية جمعاء .. هذا ، ولنا ان نتصور بالمقابل سوء العلاقة بين المرء واهله ، وما تجره من سوء بينه وبين مجتمعه ، ولعل هذا يفسر لنا القول الشائع « من لا خير فيه لاهله ، لا خير فيه للناس » .

وحين يقول النبى صلى الله عليه وسلم (وانا خيركم لاهلي) لم يكن بالمبتغي الخير لاهله فحسب ، دون سائر الناس ، وانما : انا امامكم في البر بأهلي ، البر الذي تنداح دائرته لتشمل الناس اجمعين .

وربما كان البدء بالاهل ، لان حب الخير لهم فطرة ، وطبيعة انسانية ، يمارسه الانسان بغير تكلف ، حتى اذا استقامت على الخير طبيعته ، وزكت على الفضائل فطرته ، لم يتأب عليه إزجاء الخير للآخرين .

وهكذا كانت سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبر أهله ـ ويحتفي بهم ، ويقوم على شئونهم ، ولم يكن حظ الغرباء الأبعدين من بره وحفاوته واهتمامه اقل من حظ اهله الاقربين .

فاذا تمثلناه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ (ابنا) ـ وان كان لم يدرك احدا من ابويه في سن التكليف ـ وجدناه ابر الابناء ، فقد كان وهو شيخ قارب الستين يبكي على قبر امه بكاء من لا ينسى ، وفي سجل بنوته من المودة والحنان والاحتفاء بمرضعته حليمة ما لا يعرف في سجل المودة الانسانية اجمل ولا اكرم منه ، فكـــان يلقاها وهو كهل ـ جاوز الاربعين ـ هاتفا بها : امى امى ، ويفرش لها رداءه ويعطيها من الابل والشاة ما يغنيها في السنة الجدباء .

ولم يقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ بهذه المودة ، وتلك الحفاوة عند حدود امومته من النسب او الرضاع فحسب ، بل تجاوزها الى الامومة بعامة فأوصى ببر الوالدين ، وخص الأم بمزيد من وصايته فقد روى أن جاءه رجل فقال : يارسول الله إني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه ، فيقول له الرسول : « هل بقى من والديك أحد حي ؟ ، قال : نعم ـ أمي ـ فيقول الرسول له : قابل الله في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ، ومعتمر ، ومجاهد » . رواه احمد والترمذي .

وكـذلك جعل حق الابوة فريضة مقدسة فحين سأله سائل : يا رسول الله ان لى مالا ، وولدا ، وان ابى يحتاج مالي ، فأجاب سائله : « انت ومالك لأبيك » ، رواه احمد وابن ماجة ، فأكد بهذا واجب الوفاء للآباء ، واتخذ من هذا االالتزام تدريبا للمسلم على تحمل التبعات المالية التى تفرض عليه وفاء لحق مجتمعه ووطنه ، وتنمية لروح التعاون والتكافل تجاه غير القادرين . وبذلك يكون البر المتبادل بين الابناء والآباء لبنة في صرح البناءالاجتماعي ، ومهارة تشكل قدرة الفرد على رعاية المصالح الانسانية في مختلف النواحي والاوضاع .

واذا تمثلناه صلوات الله وسلامه عليه (زوجا) وجدناه احنى الازواج قلبا ، واشفقهم فؤادا ، فكـان مع زوجاته ألين الناس ، ضحاكـا بساما ، كما قالت عائشة رضى الله عنها ، مؤكـدا في علاقته بهن ما استوجبه الاسلام بين الزوجين من المودة والرحمة .

واي مودة ، وايناس اجمل من مودته وايناسه بهن فيما ترويه ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : « خرجت مع النبي في بعض اسفاره وانا جارية لم احمل اللحم ، فقال رسول الله للناس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك فسابقته ، فسبقته فسكت ، حتى اذا حملت اللحم وكنا في سفرة اخرى ، فقال الرسول للناس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال تعالى أسابقك ، فسابقته ، فسبقني فجعل الرسول يضحك ويقول : هذه بتلك » . رواه احمد وابو داود .

فأي مرح ، واية دعابة تلك التى يمارسها الرسول مع زوجاته ، ليضفي على بيته من السرور والبهجة ، ما ينسي ازواجه انه رسول تتسم العلاقة به بالرهبة ، فيجور على حقهن من الايناس ، او ينقص من حظهن من المودة والرحمة ، ولم يكن يغضبه ان تجتريء احداهن عليه امام ابيها فتقول له (تكلم ولا تقل الا حقا) فيبتسم ، ويقول « وهل اقول الا حقا » ، لان ذلك امر مقبول عنده في منطق الزوجية ، فمن حق زوجاته ان يناقشنه ، ويطالبن بما يرينه حقا لهن ، بل يذهب ابعد من ذلك في كف عمر رضي الله عن الغضب ، واخذ ابنته حفصه ـ ام المؤمنين ـ رضي الله عنها بالشدة حين اجترأت على الرسول في المناقشة وهى تخاصمه

امام ابيها ويقول له (ما لهذا دعوناك) .

وكان حريصا على ان ينلن حظهن من السرور في غير مأثم تقول عائشة رضي الله عنها « كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فاما سألت النبي ، واما قال : تشتهين تنظرين ، فقلت : نعم . فأقامنى وراءه ، خدى على خده وهو يقول : دونكم يابني ارفده ، حتى اذا مللت ، قال حسبك ، قلت : نعم ، قال فاذهبى » رواه البخاري ومسلم .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم رفيقا بهن في حال الرضي فحسب ، بل كان يرفق بهن ، ويتلطف في معاملتهن حتى في حال الغضب ، وتأزم الحياة الزوجية ، وتعرضها لخطر الطعن في الشرف والعرض عندما اتهمت الصديقة بنت الصديق عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بالافك ــ فلم يزد الرسول عن ان يحجب بعض لطفه عنها ، فتقول « وكـــان يريبنى في وجعى انى لا اعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل فيسلم ، ثم يقول كيف تيكم ؟ » . ولم ينزل الرسول عن افق النبوة السامق في معالجة هذا الحدث الخطير ، فاخذ بما يوجبه عليه الحق في التحري فهو لن يقبله بغير بينة ، ولن يرفضه بغير بينة ، ولم يعجله لغط الناس أن يحكم فيه بغير دليل ، ولعله كان بذلك قد استن للناس القاعدة القضائية المعروفة الآن (المتهم بريء حتى تثبت إدانته) . ولم يطل به الامر حتى انزل الله براءتها .

ولم يكن حبه وقفا على الاحياء منهن ، بل اتصل بالاموات بعد موتهن وفاء كاجمل ما يكون الوفاء ، فكثيرا ما كان يذكر خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها ، ويكرم صديقاتها ، ومن كن يزرنه أيام حياتها .. يقول أنس : كان رسول الله اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة ، فانها كانت صديقة لخديجة ، انها كانت تحب خديجة . ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : انها كانت تأتينا ايام خديجة ، وان حسن العهد من الايمان . راجع مسلم .

وكان ينصف خديجة ــ رضي الله عنها ــ ويدفع ما رمتها به عائشة ــ غيرة من كثرة ذكــرها وثناء النبي عليها ــ قالت : هل كانت الا عجوزا بدلك الله خيرا منها فقال النبي ــ مغضبا ــ « لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » رواه احمد

وربما كانت نفقات البيت من الامور التى تعرض صفوة الحياة الاسرية للكــدر ، وتعنت الرجل اذا طولب بما لم يقدر عليه ، ومثل هذا امر غير مستغرب الوقوع في بيت النبوة ، فان النبي اخذ اهله في النفقة والمعيشة بما اخذه الله به من قديم حيث قال له : **(ولا تمدن عينيك الى**

ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) طه/ ١٣١ ولم يكن ضيق النفقة ، وخشونة العيش في بيت النبي فعل من لا يجد بل كان يسيرا عليه أن يحتجز من الانفال والغنائم التى يقسمها بين المسلمين ـ وله فيها حق ـ ما يرفه به عن زوجاته ويضمن لهن رغد الحياة ـ لو اراد ، ولكنه اراد للبيت النبوي ان يكون صورة من بيوت الكثيرين المقلين حوله ، فلم يكن التنعم بالحياة بهدف له اولهم ، وانما هدفهم ان يبلغوا بهذا الدين مأمنه ، وأن يقيموا له دولته . ولما ضاقت أزواجه ذرعا بحياة لم يألفنها في بيوت آبائهن ، أو ازواجهن من قبل ، وطالبنه بمزيد من النفقة وتظاهرن عليه ، انكــــر الرسول عليهن هذا التطلع ـ وان كان لم يجاوز حدود المباحات المشتهاة ـ ورفض الاستجابة لرغباتهن ، وخيرهن بين الصبر على حياة الكفاف معه ، أو اللحوق بأهلهن . حيث يجدن ما يشتهين ـ نزولا على قضاء الله فيهن حين أوحى اليه بقوله تعالى : **(يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما)** الاحزاب/٢٨ و ٢٩ . ولكنهن آثرن الله ورسوله والدار الاخرة ، وعشن معه راغبات في ثواب الله عز وجل .

وهذا الدرس الالهي ـ وان كان خاصا بزوجات النبي ـ فيه مزدجر لغيرهن من الزوجات اللائي يطالبن ازواجهن بما لا يقدرون عليه من النفقة ـ ان يعنتن ازواجهن ، او يحملنهم على الكسب الحرام ، وقد ضمن لهن الاسلام حقوقا قبل ازواجهن في حدود قدرتهم وطاقتهم ، وجعل النفقة التى تسعدهن من الزكــــوات الباقيات يقول الرسول « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على أهلك ـ اعظمها اجرا الذي أنفقت على اهلك » رواه مسلم . وفي تحديد جلي يقول الرسول لسائله (معاوية بن حيدة) حين سأله : ما حق زوجة احدانا عليه ؟ قال « ان تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا في البيت » رواه ابو داود .

هذا ، واذا تمثلنا الرسول في اهله (ابا) وجدناه ابا بارا ، صالحا ، حانيا ، ودودا عطوفا ، واجلى ما تتمثل فيه هذه الابوة العاطفة الحانية يوم ان رزقه الله على الكبر (ابراهيم) فغدا من فرحه متهلل الوجه ، ريان الفؤاد ، مبتهج النفس ، يجود بأقصى ما يملك من الصدقة ، فيحلق شعر الوليد ويتصدق بزنته فضة على المساكين ، ولو استطاع اكثر من ذلك لفعل شكرا لله ... وبقدر هذا الفرح يوم الميلاد ، كان الحزن يوم الفقد فقد حمل ابنه ميتا بين يديه قبل ان يوسده التراب ، وكــــان يستقبل الجبل بوجهه وقال « يا جبل لو كان بك مثل ما بي

لهدك ، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون » .

هذه ابوة محمد صلي الله عليه وسلم يوم استقبال وليده ، ويوم وداعه ، وشاء الله ان تجد هذه الابوة عزاءها في حفيديه الحسن والحسين فقد آنسهما بعطفه ، وغمرهما بحبه ، فقر بهما عينا ، وطاب نفسا ، ويبلغ به الحدب مبلغه حين يدخل عليه الحسن وهو ساجد فيركب على ظهره ، فيطيل السجود حتى ينزل الصبى غير معجل ، ويسأله بعض أصحابه : لقد أطلت السجود ... فيقول « ان ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله » رواه الحاكم واحمد .

وكان يرى صلوات الله وسلامه عليه ـ ان عطف الابوة سمة النفس السوية ، والفطرة المستقيمة ، يقول ابو هريرة رضي الله عنه :« قبل رسول الله الحسن او الحسين بن علي ، وعنده الاقرع بن حابس التميمي ، فقال الاقرع ان لى عشرة من الولد ما قبلت احدا منهم قط فنظر اليه الرسول وقال : من لا يرحم ، لايرحم ، وفي رواية : أو أملك لك ـ أن نزع الله الرحمة من قلبك » متفق عليه .

وقد تدفعه ابوته الحانية ان يغنم أبناءه كل خير متاح ، تقول ابنته فاطمة رضي الله عنها ـ فيما يرويه البيهقي : مر بى رسول الله ، وانا مضطجعة متصبحة فحركني برجله ، ثم قال : « يا بنية قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين فان الله يقسم ارزاق الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » .

وقد تمتد ابوته النوعية الى ابوة روحية تجعل من كل صغير ولدا له ، يرعى حقوقه لدى والديه ، ويوصيهما به خيرا فيقول « رحم الله والدا اعان ولده على بره » اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وسيىء معاملته .

ويصل ما بينه وبين كل صبى برباط من الرحمة فيحس بحنان الابوة نحوه فيقول « اني لاقوم الى الصلاة ، وانا اريد ان اطول فيها فأسمع بكـاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي كراهية ان اشق على امه » رواه البخاري .

واذا تمثلنا الرسول صلي الله عليه وسلم (سيدا) وجدنا العلاقة بينه ، وبين خدمه ومواليه تجاوزت في سماحتها حدا لم يفرضه الدين ، ولم يألفه العرف ، ولم يطلبه المـولى لنفسه ، ولم يطمع في مثلها كثير من الابناء لدى آبائهم ، فقد ظفر خدم رسول الله ومواليه من حسن المعاملة والرفق بهم ما مسح عن نفوسهم ذل المهنة ، وشعور المهانة ، وارتفع بهم الى مصاف الاخوة الكـريمة فقال يوصي بهم سادتهم « هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فاطعموهم مما تأكلون ، والبسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأ عينوهم » متفق عليه واللفظ لمسلم .

ويأتلق سناء رحمته بهم ، واعزازه لهم فيما يرويه خادمه انس رضي الله عنه فيقول : « والله لقد خدمته ـ اي النبي ـ تسع سنين ما علمته قال

لشيء صنعته « لم فعلت كذا وكذا » أو لشيء تركته : « هلا فعلت كذا وكذا » . رواه مسلم .

وارسل يوما غلاما له في طلب شيء فأبطأ عليه ، فأغاظه ، فلما عاد الغلام لم يزد على ان قال له « لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك » .

ويروى أنس : « ان النبي ارسلني في حاجة فانحرفت الى صبيان يلعبون في السوق واذا رسول الله قد قبض ثيابي من ورائي ، فنظرت اليه صلى الله عليه وسلم ـ وهو يضحك فقال : يا أنيس اذهب حيث امرتك » رواه مسلم .

ويهمه من امر اسرة خادمه ما يهمه من خاصة اهله فقد زار انسا رضي الله عنه ـ في داره فرأى اخاه ابا عمير حزينا ، فقال لأمه : ما بال ابي عمير حزينا ؟ فقالت يا رسول الله مات نفيره ـ طير كان يلعب به ـ فقال له الرسول : مواسيا ومسليا ـ « ابا عمير ما فعل النفير » وكان كلما رآه قال له ذلك . رواه مسلم .

ولعل فيما دأب عليه النبي من خدمة نفسه ، ومشاركة اهله وخدمه في مهنتهم ما يمحو آثار الضعة فيما يمتهنون حيث يشركهم سيدهم ، ولم يقبل منهم خدمة يأنف الاحرار ان يقضوها له ، فكان يحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويعلف ناضحه ، ويرقع ثوبه . وكان نصيبه من خدمة نفسه أوفر من نصيبهم في خدمته ، ولم تخرج الخدمة في بيته عن ضرب من توزيع الاعمال يأخذ كل فرد من أهله بنصيب فيما يستطيعه من تدبير البيت وقضاء شئونه .

ولم يشأ الا ان يجعل حق الخدم والموالى في حسن المعاملة قضاء دين ـ لا تفضل سادة ـ يسأل السادة عنه ، يقول ابو مسعود البدري « كنت اضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا خلفى : اعلم ابا مسعود ـ فلم افهم الصوت من الغضب ـ فلما دنا منى ، اذا هو رسول الله ، فاذا هو يقول : اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت يا رسول الله : هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : اما لو لم تفعل للفحتك النار » . رواه مسلم .

وجاء رجل يسأله : كم اعفو عن الخادم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كل يوم سبعين مرة » .

ثم يحذر من ظلمهم والاعتداء عليهم بغير حق فيقول « من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة » . رواه البزار .

هذا هو رسول الله في اهله ابر الابناء ، واحني الازواج ، وارأف الآباء ، وأنبل السادة ، احبه من عاشره من اهله ، واكبره من خالطه من اصحابه ..

الا فليقتد بسيرته المقتدون في أهليهم ، وليجددوا العهد معه في ذكري ميلاده : أبناء ، وآباء ، وأزواجا ، وسادة ، فتسعد بهم الحياة ، ويهنأ بهم العيش ، وتتصل بهم شمائل النبوة ، وتحيا فيهم وبهم أمجاد هذا النبي العظيم .. وسلام عليه في الأولين والآخرين .

أبعاد معجزة

الاسراء والمعراج

للدكتور /
محمد رواس قلعه جي

عندما نذكر كلمة « الاسراء والمعراج » نعود بالذكرى إلى تلك الحادثة التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل عليه السلام ليلا فانطلق به ـ أسرى به ـ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ثم عرج به من هناك إلى السموات العلا ، فرأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد به إلى بيت المقدس ، ومنه إلى مكة المكرمة في الليلة نفسها ، وما كاد فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرد .

الاسراء والمعراج معجزة :

ان الذي ننطلق منه في الحديث عن أبعاد حادثة الاسراء والمعراج هو أن حادثة الاسراء والمعراج « معجزة » وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما نقول « معجزة » فانما نعني بذلك تعطل القوانين الكونية ، ولذلك لا نقبل السؤال كيف استطاع رسول الله أن يقطع تلك المسافة الشاسعة بين مكة وبيت المقدس في دقائق ؟ وكيف احتمل جسمه الشريف عندما انطلق بهذه السرعة المذهلة الحرارة المتولدة من احتكاك جسمه الشريف بالهواء ؟ وكيف استطاع النفاذ من الجاذبية الأرضية والعروج الى السماء ؟

وكيف عاش بلاهواء بعد تجـاوزه غلاف الهواء المحيط بالأرض ؟ كيف تم ذلك كله ورسول الله قطع هذه الرحلة بلا أجهزة واقية ، ولا معدات مساعدة لأن هذه الاسئلة كلها ترد لو أن الأمر قد تم على سنن القوانين الكونية ، اما وأنه قد تم خارج أطر هذه القوانين ، بقدرة القادر على كل شيء ، فان هذه الاسئلة كلها لا تلبث أن تذوب في غمرة الايمان بالله القادر على كل شيء .

وطالما أن المعجزة خروج على القانون الكوني وتعطيل له ، فان هذا لا يتأتى لنبي ولا لغيره من المخلوقات ، وانما هو لمن وضع تلك القوانين جل شأنه ، فالنبي لا يصنع المعجزات ، ولكن الله هو الذي يجريها على يديه ، وشتان ما بينهما .

وقد بين الله جل جلاله هذه الحقيقة في كتابه الكريم في الحوار الذي سجله القرآن الكريم بين المشركين من جهة ورسل الله تعالى من جهة أخرى .

قال المشركون للرسل (**إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين**) ابراهيم / ١٠ ـ أي معجزة ظاهرة ـ

فأجابهم رسل الله تعالى : (**إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله**) ابراهيم / ١١ .

وبذلك تقرر نهائيا ان المعجزة ليست من صنع الرسل ، ولكنها من صنع الله عز وجل .

أنواع المعجزات :

ونحن لو استقرأنا المعجزات التي اجراها الله تعالى على أيدي رسله الكرام لأمكننا تصنيفها إلى صنفين .

الأول : المعجزات المادية وهي المعجزات المرئية أو الملموسة كانشقاق القمر ، ونبع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورده العين المقلوعة سليمة ونحو ذلك ، وهذا النوع من المعجزات يحدث وينقضي ، فلا تتجاوز آثاره الزمن الذي حدثت فيه ، ولا تبقى بقاء الأيام .

الثاني : المعجزات المعنوية : وهي المعجزات التي لا تقع تحت بصر الانسان أو لمسه ، ولكن يتم إخبار الرسول بها .

ويأتي القرآن الكريم في قمة المعجزات المعنوية فهو أعظمها اثرا ، وهو المعجزة الباقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يتلوها معجزة الاسراء والمعراج التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدوثها ، وقد كان لها أثر كبير في رسم البرنامج الجديد للحياة الانسانية المستقبلة .

هدف المعجزة

كل معجزة تحدث لنبي لا بد وأن يكون لها هدفان : **هدف عام · وهدف خاص .**

اما الهدف العام : فهو اقامة الدليل على ان الرسول الذي ظهرت على يديه المعجزة صادق فيما يدعيه ، ويدعو إليه ، وبذلك تكون المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني .

وأما الهدف الخاص : فيتمثل في الأثر الذي تتركه هذه المعجزة ، وبقدر ما يعظم الأثر بقدر ما تعظم تلك المعجزة .

وقد سبق أن ذكرنا اننا لو رجعنا إلى المعجزات التي أمد الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم لوجدنا ان أعظمها اثرا « القرآن الكريم » ثم يتلوه « الاسراء والمعراج » فمعجزة الاسراء والمعراج تأتي في ترتيب المعجزات ـ في نظري ـ بعد القرآن الكريم . فما هي أبعاد معجزة الاسراء والمعراج ؟

نستطيع أن نقول ـ وباصرار ـ ان حادثة الاسراء والمعراج حادثة مبرمجة ، اعنى انها داخلة ضمن برنامج خاص احكمه رب العزة جل وعلا ، يكشف هذا البرنامج من درس بامعان سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ونحن سنكشف لك ـ ايها القارىء الكريم ـ جانبا من هذا البرنامج بما يتناسب والمقام .

الابعاد السياسية لمعجزة الاسراء والمعراج

اجمع كتاب السيرة من محدثين ومؤرخين على أنه قد أسرى برسول الله من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، ومنه عرج به الى السماوات العلا . كما أجمعوا على انه عليه الصلاة والسلام قد تقدم فصلى بالأنبياء إماما في بيت المقدس ، والانبياء مؤتمون خلفه ، يصلون بصلاته ، عليه أفضل صلاة وسلام .

وان الكثير من المسلمين من يمر بهاتين الحادثتين مر الكرام ، لا يلقي اليهما بالا ، مع انهما تحملان ابعادا سياسية معينة هي على غاية من الأهمية :

١ ـ ان قيادة العالم حتى حادثة الاسراء والمعراج كانت بيد بني إسرائيل ، لأن البقية الباقية من الأديان السماوية ـ وهي اليهودية والنصرانية ـ هي ديانات اسرائيلية ، ولكن الناس الذين حملوا هذه الديانات لم يعودوا أهلا للقيادة ، لعبثهم بالمبادىء وبيعهم إياها بثمن بخس وعرض زائل ، حيث حرفوا الأديان وشوهوا معالمها ، فلا المبادىء بقيت صالحة لقيادة العالم ، ولا حاملو المبادىء بأهل لهذه القيادة لذلك كان لا بد من انتزاع عصا القيادة من أيديهم وتسليمها لقوم آخرين يختارهم الله تعالى لحمل الأمانة .

وكانت هذه النقطة ـ نقطة الاتفاق على المبادىء الحاكمة ، ونوعية الرجال الحاكمين ـ نقطة اساسية لا بد من الاتفاق عليها قبل البدء بتأسيس الدولة الاسلامية التي وضع رسول الله حجر الاساس في إقامة أركانها بعد الهجرة الى المدينة المنورة ومن هنا كان توقيت معجزة الاسراء والمعراج توقيتا مختارا ضمن برنامج إقامة الدولة الاسلامية ، فكان الاسراء والمعراج قبل الهجرة بقرابة عام .

٢ ـ وتقدم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وصلاته بالأنبياء إماما هو تحول سياسي جذري ،

نزعت به القيادة من أيدي بني اسرائيل ، وأسلمت الى الأمة الاسلامية وابطل به العمل بقيم محرفة مهترئة لتحل محلها قيم اخرى جديدة عادلة متطورة ، تلك هي « القيم الاسلامية »

وهذا التحول هو تحول شرعي باركه ممثلو الأمم وعقلاؤهم المعصومون ـ الانبياء ـ ولهذا فان كل اعتراض عليه يعتبر اعتراضا غير مشروع ، وكل مقاومة له تعتبر مقاومة مرذولة تريد أن تنصر الباطل وتطفىء نور الحق ، ومقاومة هذا شأنها لا بد وأن تنال ما تستحق ،

كانت هذه الأرضية الفلسفية السياسية لا بد منها ، لأنها المبرر الأقوى لتصفية رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع حركات المقاومة التي ظهرت في وجه الدولة الاسلامية . وانتشار مبادئها التي قامت من أجلها . واخص منها بالذكر المقاومة اليهودية في المدينة المنورة وما يحيط بها ، فقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم برنامجا دقيقا لتصفيتها ! فكان عليه الصلاة والسلام بدءا من العام الثالث للهجرة يصفي في كل عام حيا من أحياء اليهود حتى تخلص من مقاومتهم تخلصا نهائيا .

٣ ـ ان صلاة رسول الله بالأنبياء إماما لتكشف لنا عن مدى اصالة وحدة القيادة في الشريعة الاسلامية ، وللدولة الاسلامية بشكل خاص ، وانه لا يجوز التخلي عنها لأنها تشكل جزءا من العقيدة الاسلامية وقد افصح عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » رواه مسلم .

٤ ـ وان اسراء رسول الله إلى بيت المقدس ، وعروجه منه إلى السماوات ، وصلاته في بيت المقدس اماما بالأنبياء » يعني « ان الله تعالى قد جعل بيت المقدس جزءا من أراضي الدولة الاسلامية ، وقد سلم الانبياء بهذا وباركوه بائتمامهم برسول الله ، ولو لم يكن الأمر على هذا النحو لما صلى رسول الله في تلك البقعة ولما صار إماما للانبياء لأنه ـ طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ـ صاحب الملك أحق بالأمامة من غيره ، فتقدم رسول الله اماما للانبياء في بيت المقدس دليل على انه صاحب الحق في بيت المقدس دون غيره ، وان أمته صاحبة الحق ، دون غيرها من الأمم الاخرى .

ومن أحكام شريعة الاسلام أيضا النهي عن الصلاة في أرض الغير إلا باذنه ، ولم يثبت ان رسول الله استأذن احدا للصلاة في بيت المقدس ، فصلاة رسول الله في بيت المقدس دون استئذان ليدل على انه يصلي في داره ، اعني ان بيت المقدس من ممتلكات الدولة الاسلامية .

٥ ـ لقد حدث بعد تحديث رسول الله بمعجزة الاسراء والمعراج ، ان ازداد بها بعض المؤمنين ايمانا ، ثقة منهم بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزعزعت قلوب البعض الآخر ، بينما لوى المنافقون ألسنتهم

بالحادثة ، وأخذوا ينالون من رسول الله ويهزأون به .
وكان هذا ضروريا ـ من الناحية السياسية ـ قبل الدخول في المرحلة الجديدة ، الخطيرة في تحديد مصير الدعوة الاسلامية ، وهي مرحلة تأسيس الدولة الاسلامية ، ان كشف العناصر على حقيقتها قبل الاقدام على تأسيس الدولة الاسلامية بعام على الأقل كان لا بد وان يحصل ، ليعلم رسول الله ، وليعلم المؤمنون مدى اهلية كل فرد في دولة الاسلام على تحمل الاعباء في هذه الدولة التي هي بحاجة الى الكثير من الاخلاص ، وإلى الكثير من العمل ، فلا توكل مهمة من الدرجة الأولى الى انسان من الدرجة الثالثة ، ولا توكل مهمة لانسان لا يحمل الاخلاص للدعوة ولا للداعي ، وبالتالي لا يحمل الاخلاص للدولة ولا لمبادئها . وهذه سياسة يتبعها القادة السياسيون اليوم . اذ انهم قبل اقدامهم على اي تحول سياسي يمنحون الحريات للناس ، ويطلقون الألسنة من عقالها ، لكشف العناصر . وتحديد الموالي لهم والمناوىء ، ثم يشرعون في التحويل الذي عزموا عليه ، معتمدين على الموالين ، ومكبلين المناوئين ، وان المراقب للتاريخ السياسي المعاصر يستجلي ذلك بوضوح .

الأبعاد الاجتماعية لمعجزة الاسراء والمعراج :

ان صلاة رسول الله بالأنبياء على اختلاف قومياتهم وألوانهم يعني ان الدولة الاسلامية تظل بمبادئها جميع المؤمنين فلا تفرق بين أسود وأبيض ، ولا بين عربي وعجمي تذوب القوميات وتنصهر في بوتقة الايمان ثم تسكب في قوالب الامتثال لشريعة الله عز وجل .
وان فرصة التفوق والتسامي متاحة في هذه الدولة للجميع على قدر متساو وان ابواب الدولة مفتحة للارتقاء بمن يظهرون التفوق ، كما ان الفرصة متاحة لجميع المصلين على قدر متساو للتسامي ، وان ابواب السماء مفتحة لاستقبال اعمال المتسامين ، يتقربون بها إلى الله تعالى .

وبذلك تكون معجزة الاسراء قد وضعت أساسا جديدا لبنية المجتمع المزمع انشاؤه في ظل مبادىء الاسلام .

الأبعاد الروحية لمعجزة الاسراء والمعراج :

لا بد لنا من ان نذكر ان معجزة الاسراء والمعراج قد حدثت على اعقاب سلسلة من المآسي حلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها موت زوجه خديجة التي كانت تقوي فيه روح التصميم للمضي في طريق الله ، وموت عمه ابي طالب الذي كان يذب عنه اذى قريش واشتداد اذى المشركين عليه بعد ذلك ، حتى سمى ذلك العام بعام الحزن .
وكأن الله تعالى أراد أن يسلي رسوله وحبيبه محمدا . فكانت هذه الرحلة

المباركة ، التي استقبله فيها رسل الله في السماوات ، ثم دنا فتدلي فكان قاب قوسين او أدنى .
وكأن الله تعالى يقول لحبيبه محمد يا محمد إن كان أهل الأرض قد جهلوا قدرك ، فان قدرك عند الله عظيم ، وإن كان أهل الأرض قد ناصبوك العداء فان اهل السماء يرحبون بك ، وان كان اهل الأرض لم يرضوا بك قائدا رائدا فان أهل السماء رضوا بك اماما مباركا ، وان الأرض ان ضاقت بك ، فان السماء تفتح صدرها لاستقبالك .
روح جديدة سرت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ان عاد من هذه الرحلة حتى أخذ يحدث الناس بما رأى وما سمع ، وينشط لما اناطه الله به من مهمات ، لا تزيده الأيام الا قوة ومضاء ، وكان في افتراض الصلاة في السماء من المعاني الروحية ما يجعل الانسان متساميا عن المادة ، ساعيا ما استطاع الى القرب من الله ، لأن الصلاة فرضت في الأعالي .

الأبعاد الدعوية لمعجزة الاسراء والمعراج

١ ــ لقد ذكرنا ان معجزة الاسراء والمعراج قد كشفت المنافقين وضعاف الايمان ، وقلنا ان ذلك كان ضروريا قبل الشروع في المرحلة الجديدة ، مرحلة تأسس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة .
ونقول هنا : ان ذلك كان ضروريا ايضا لتعهد ضعاف الايمان بالرعاية حتى يقوى ايمانهم ، ويصبحوا على مستوى مسؤولياتهم ، لان المرحلة الجديدة تحتاج الى جميع العناصر المؤمنة بغير استثناء ولذلك لم يكن يقبل من المؤمن ايمانه حتى يهاجر الى المدينة المنورة ــ الا المستضعفين ــ للمشاركة في بناء صرح المرحلة الجديدة ــ وهي اقامة الدولة الاسلامية .
وللاعراض عن ارجاف المرجفين من المنافقين الذين يحاولون التشويه او النيل من المرحلة الجديدة .
٢ ــ ثم ان حادثة الاسراء والمعراج اوجدت في مكة المكرمة هزة ، اوجدت نشاطا مفاجئا غير عادي ، ما بين متحدث بها ومنكر لها ، ومؤيد ، وشاك .. الكل يتحدث عن محمد وما جرى لمحمد ، والحديث يجر بعضه بعضا ، ولا بد من ان يستتبع الكلام عن القيم التي اتى بها محمد صلى الله عليه وسلم ومثل هذه النشاطات ضرورية جدا في حركية الدعوات ، لانها تجدد النشاط لدى الدعاة ، وتكشف الفكر المعادي ، وتكون نافذة لاسماع الدعاة أصواتهم لمن لا يسمعها لأنها تفتح مجالا للنقاش مع أناس كانوا يرفضون النقاش .

خاتمة

واليوم تمر بنا ذكرى الاسراء والمعراج ، ويحتفل بها المسلمون في أقطارهم وكل نقطة دم في عروقهم تنادي بهم عودوا الى معجزة الاسراء والمعراج واستلهموا منها الدرس ، وصححوا على نهجها المسيرة ، فانها من تدبير العليم الحكيم .





العبادة في

للاستاذ : احمد عبدالرحيم السايح

إن الله سبحانه وتعالى على عباده نعماً كثيرة ، لا يحصيها عد . تطالع الناس في الصباح وفي المساء وتحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، منها المنظور والمستور والمعلوم والمجهول .

ومن هذه النعم التي لا تحصى ، نعمة تفضل الله على عباده ، ببعث رسول منهم في العالمين ، يتلو عليهم آيات الله ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة . ونعمة تكريمهم بدين الاسلام الذي ارتضاه لهم ، ونعمة القرآن الكريم الذي جعله هادياً وموجهاً .

ومما لا ريب فيه أن هذا النبراس الهادي جاء به رب العزة ليقوم اعوجاج المجتمعات الانسانية ، وينظم علاقات الامم والخلائق ، ويربط بين الافراد والجماعات برباط الصلاح والتقوى .

ومن هذه النعم التي افاضها الحق على عباده ، نعمة الحياة والايجاد ، ونعمة الخلق والامداد والاعداد ، مما غدا به الانسان أعظم آية من آيات الله في خلقه واصبح يشكل أروع آية للدلالة على وجود الخالق ، وضرورة الايمان به .

ومن هذا المنطلق كانت العبادة لله عز وجل اعترافا بفضله ، وحتمية لاستشعار عظمته ، وتعميقا للخضوع له ، والخشية منه ، وتأكيداً لباب الحب فيه ، والولاء له ..

الدين الإسلامي

تلك هي العبادة الواجبة لله ، والتي لا يجد الانسان العاقل كيانه الا فيها ، ولا امتداده الا بها وفي ظلها ، ولا وجوده الا في الالتزام بها قولا وعملا ، وأمراً ونهياً ، وخلقاً وسلوكاً وواقعاً وتطبيقاً ، وحركة وسكوناً بحيث تصبح العبادة في حياته أسلوب عمل ، ومنهاج حياة .

ويقيني أن الفرائض التي فرضها الله على عباده جاءت من الاسلام اهتماما بالانسان حتى يتمكن من أداء رسالته في الحياة ، فيغدو لوجه الله تابعاً ، ولمنهجه ملتزماً . والا كان أمر الانسان فرطا ، يصبح ويمسي فاذا هو أحد هوام الخلق ودوابه أو أقل شأناً . فما أسقط المخلوق صلته بالخالق الا وأسقط الخالق صلته به في الأولى والآخرة . قال تعالى : (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) ١٧٩ الاعراف

وحسب المسلم ان يعلم أن الله سبحانه وتعالى أمره بالعبادة لمصلحة المسلم نفسه ، ولما يعالج حاله ، ويعود عليه بالنفع العميم الشامل لكل حياته المادية والروحية ، الفردية والاجتماعية ، ليظل الانسان إنساناً ، آخذاً في سبيل الترقي والكمال .

والعبادة حق لله على عباده ما خلقهم إلا لها ، ولا يرضى عنهم إلا

بها ، وبهذا كانت العبادة تربية عملية للضمير والوجدان .

والعبــادات في الاســلام تتميــز بالشمول والاستغراق . بحيث تشمل حياة المسلم وتستغرق نشاطه كله ، فيصبح المسلم ويمسي وللعبادة أثرها في حياته وتكوينه وفي ذاته وأخلاقه وسلوكه .

قال تعالى : **(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)** الذاريات/ ٥٦ ـ ٥٨

فهذه الأية الكريمة .. تحدد غاية الخلق .. كما تبين الحكمة الشرعية الدينية من خلق الجن والانس . والتي هي وجوب عبادة الله وحده لا شريك له وافراده بتلك العبادة .

والعبادة : اسم جامــع لكل ما يحبــه الله ويرضــاه من الأقــوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

وأصــــل العبــــادة : التــــذلل والخضوع .. وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى والعبادة في اللغة . من الذلة .. يقال طريق معبد . أي مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمــع كمــال المحبــة والخضوع والخوف .

وقوله عز وجل :**(اعبدوا ربكم)** البقرة/ ٢١ أي اطيعوا ربكم ..

والمتعبــد : المنفــرد بالعبـــادة .. والمعبد : المكرم المعظم كأنه يعبد وتدل الأساليب الصحيحة ، والاستعمــال العربي الصريح ، على أن العبــادة ضرب من الخضــوع ، بالـــغ حد النهاية .. ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأهــا ، واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتهــا ! وقصــارى ما يعرفــه منها : إنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه ..

وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان .. شرعت لتذكير الانســان بذلك الشعور ، بالسلطان الالهــي الأعلى الــــذي هو روح العبـــادة وسرها .. ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ..

والأثر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التعظيــم والخضوع . وأصل العبادة : غاية التــذلل .. وهـــو أقصى غايـــات الخضوع ..

والعبودية أدنــى منها ..وسمــى العبد عبدأ لذلتــه وانقيــاده . ولا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ..

والعبادة بهذا المفهوم .. لا تكون إلا لله وحده ، وليس لأحد سواه قال تعالى : **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** الانبياء/ ٩٢

والمقصود .. هو عبادة الله وحده لا شريك له ..

فالدين كلــه داخــل في معنــى العبادة .. إذ هو يتضمن معناهــا .. فديــن الله . عبادتــه ، وطاعتــه ، والخضوع له ..

وكلام المفسرين يفيد صراحة أن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب أيضا .. إذ هي

تتضمن غاية الذل بغاية المحبة لله سبحانه وتعالى . فالخضوع مع البغض ليس عبادة ، والحب بدون الخضوع ليس عبادة .. وبهذا تكون العبادة كمال التعظيم والخضوع لله عز وجل مع كمال المحبة له .. وبدون الأمرين لا يتحقق للعبادة معنى .

وبالعبادة يقف الانسان من ربه على مكانته ، وفي الكون على مركزه ، وفي المجتمع على موقعه ، متفاعلا مع هذه المجالات بالتنمية والاثراء والأخذ والعطاء .

ولذا نجد أن الله تبارك وتعالى ، يصف العلاقة بينه وبين المؤمنين وصفاً صريحاً جلياً .. فيقول جل شأنه : **(والذين آمنوا أشد حباً لله)** البقرة/١٦٥

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إلهها ومعبودها .. ووليها ومولاها .. وربها ومدبرها .. ورازقها ومميتها ومحييها ..

فمحبته نعيم النفوس ، وحياة الأرواح ، وسرور النفوس ، وقوت القلوب ، ونور العقول ، وقرة العيون ، وعمارة الباطن ، فليس عند القلوب السليمة ، والأرواح الطيبة والعقول الزاكية ، أحلى ، ولا ألذ ، ولا أطيب ، ولا أسر ، ولا أنعم من محبته والانس به ، والشوق اليه ..

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم .. تذكر الناس بالعبادة لله ، موضحة لهم نعم الله عليهم .

قال تعالى : **(يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)** البقرة/ ٢١ ، ٢٢

وقال تعالى : **(ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)** يس/ ٦٠ ، ٦١

ومن هنا كان النداء في كل رسالة .. هو العبادة ، وتذكير الناس بهذه الحقيقة ، وازالة ما تراكم على معدن الفطرة السليمة من ضلال الوثنية وغبار الغفلة ، وترهات الملاحدة ..

قال تعالى : **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** النحل/ ٣٦

فالله سبحانه وتعالى .. لم يخلق الناس عبثاً ، ولا لعباً .. وانما خلقهم لهذه الغاية .. ولو أدرك الناس حقيقة هذه الغاية ، لحققوا الخلافة في الارض ..

فالله تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له .. فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء .. والله غير محتاج إلى العباد .. بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم .

والعبادة في الاسلام .. هي المظهر الايجابـــي ، والتجسيـــد العملي والبرهان الصادق .. للعقيدة التـــي جاء بها الاسلام .

ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة .. لكانت عقيدة عقيما ، لا دليل عليها ولا أثر لها .. كحبة مستقرة في باطن التربة .. لا تنبت .. ولا تزهر .. ولا تثمر .. ما قيمتها ؟ وما أثرها ؟

كذلك العقيدة من غير عبادة .. تظل مجرد نظرية .. حتى تترجمها العبادة وتحولها الى عمـــل نابض ، وجهاد صادق في الحياة .. ثم تستمد منها غذاءها وضياءها ..فلا تذبل .. أو تذوي .. أو تضمحل ..

وانما تظل بفضل العقيدة متقدة الشعلة ، متألقة الضياء ... وهكذا نرى العقيدة .. تمد العبادة بالقوة والفاعليـــة .. كأنمـــا هي الزيـــت المقدس .. الذي لا يجف ولا ينفد ..

وهكذا تعكس العقيدة وجودها على العبادة قوة أو ضعفاً ، وتكون لها حافـــزا إيجابيـــاً .. يضمـــن استمرارها ، ويحرسها من كل غش وخداع .. حتى تؤدي خالصة لوجه الله ..

ومن هنا كانت العقيـــدة .. هي المنبع الذي يسري في كيان المؤمن ويجوس خلال نفسه ، ويتحـــكم في وساوسه وحسه ، ويفيض على روحه الرضا والأمن ، وعلى نفسه السكينة والأمل .

وللعبادة في الاسلام شأن كبير يبدو جليا واضحا فيما ينعكس من آثار العبادة على حنايا النفس والقلـــب والعقل والفكر عمقاً وبعداً ، آخـــذاً امتداده على صفحة الزمن ماضيـــه وحاضره ومستقبله . ومـــا أخـــذت العبادة امتدادهـــا على هذا النحـــو المشرق إلا كان صاحبهـــا مشعـــل إشعاع ، ومركز خير ، وموئل عز ، وما نشأ مجتمع على هذا النحو الا استوى أمره ، واستقام حاله .

والعبادة في الاسلام .. تؤكد إقرار المرء إقرارا كاملا بقلبه وجوارحه ، وخضوعه خضوعا مطلقاً ، يطغى ، على كل خضوع ، لله الخالق الباقي من وراء كل وجود زائل .

ويقوم التصور الاسلامي ، على أن هناك ألوهية وعبودية .. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه .. وعبودية يشترك فيها كل من عداه ، وكل ما عداه ..

وكمـــا يتفـــرد الله سبحانـــه بالألوهية ..

كذلك يتفـــرد تبعـــا لذلك بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حي وكل شيء بعـــد ذلك في العبودية ، كذلك يتجرد كل حي وكل شيء ، من خصائص الألوهية ..

فهناك اذن وجودان متميـــزان : وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين . هي علاقة الخالق بالخلق والاله بالعبيد .

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان في هذا الكون .. ليعبث ، أو يلهو أو يلعب ، أو ليتمرد على الانسانية .. ولم يخلق الله الانسان ليطغي ويتمرغ في وحل الالحاد .. ولم يخلـــق الله الانسان ليعيش في أحضـــان الجهـــل والتبعية العمياء .

قال تعالى : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون**) المؤمنون/١١٥

وقال تعالى : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) الملك/١ ، ٢

فالانسان خلقه الله وركب فيه ما ركب من قوى الادراك والعلم والفهم والتفكير والعمل .. ليكون خليفة في الأرض .. والخلافة في الأرض .. ليست مجرد الملك والرياسة والقهر والغلبة .. وليست البطش بالأبرياء والزج بهم في المعتقلات وسجون التعذيب .. وليست سفكا للدماء ، وقطعا لرؤس المؤمنين .. ولا هي كذلك دعوة الى الالحاد وعبادة الطواغيت .

ولا هي التسلط على الناس والتحكم فيهم بغير ما انزل الله .

اذن هي القيام بمسئولية التكليف . والتكليف حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء .. وهي أداء رسالة الاسلام ، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للانسانية .

قال تعالى :(**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) الانعام/١٥٣

والخلافة في الاسلام حقيقة ضخمة ، تستغرق النشاط الانساني كله .. وتوجه النشاط الانساني كله ..

فهي قدرة على التفوق العلمي .. وقدرة على مواجهة التحديات الشركية .

وقدرة على الصمود أمام الأحداث ..

وقدرة على محاربة الميوعة والانحلال .. وقدرة على تحقيق الطمأنينة والأمن ، والعدل ، والخير ، والسلام ..

وإن النظرة القرآنية تجعل هذا الانسان بخلافتة في الارض عاملا مهما في نظام الكون ، ملحوظا في هذا النظام . فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ، ومع الرياح ، ومع الأمطار ، ومع الشموس والكواكب وكلها ملحوظ في تصميمها امكان قيام الحياة على الأرض ، وامكان قيام هذا الانسان بالخلافة . فاين هذا المكان الملحوظ ، من ذلك الدور الذليل الذي تخصصه له المذاهب المادية ولا تسمح له أن يتعداه .

والانسان اعز واكرم واغلى من كل شيء مادي ، ومن كل قيمة مادية في هذه الارض جميعا . ولا يجوز اذن ان يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية ، أو شيء مادي . ولا يجوز أن يعتدي على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة . ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق اي كسب مادي ، أو إنتاج أي شيء مادي ، أو تكثير أي عنصر مادي ..

فهذه الماديات كلها مصنوعة من اجله . من أجل تحقيق انسانيته من أجل تقرير وجوده الانساني .. فلا يجوز أن يكون ثمنها هو سلب قيمة

من قيمه الانسانية ، او نقص مقوم من مقومات كرامته ..

والانسان أكرمه الله بالعبادة ، وأمره بها ، ليكون صالحا ، مصلحا ، قال تعالى : (**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**) الانعام/١٦٢ ، ١٦٣

واذا كانت العبادة غاية الوجود الانساني . كما هي غاية كل وجود . فان مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذي يرد إلى الذهن ، والذي يضيق نطاقها حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة التي يؤديها المؤمن ، إن حقيقة العبادة تبدو في معنيين .. أولهما عام . والاخر خاص ..

أما العبادة بالمعنى العام .. فانها تعني السير في الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله . فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى ، والقيام بأداء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى باصلاح الأرض ومنع الفساد فيها ، يعد عبادة وهكذا تتحول أعمال الانسان مهما حققت له من نفع دنيوي إلى عبادة إذا قصد بها رضاء الله .

فالعبادة .. ما تكاد تستقر حقيقتها في قلب المسلم ، حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ، ونشاط ، وحركة ، وبناء .

عبادة تستغرق نشاط المسلم .. بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع الناس ..

وبهذا الاستغراق ، وهذا الشمول يتحقق معنى الخلافة في الأرض ، في قوله تعالى : (**واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ..**) البقرة/٣٠

لأن الخلافة في الأرض هي عمل هذا الكائن الانساني .. وهي تقضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض والتعرف إلى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميتها ، وترقية الحياة فيها .. كما تقضي الخلافة القيام على شريعة الله في الارض ، لتحقيق المنهج الالهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام ..

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الانساني ، أو التي هي وظيفة الانسان الأولى .. أوسع وأشمل من مجرد الشعائر . وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً ..

وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين :

الاول : هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً .. عبداً يعبد .. وربا يعبد .. وأن ليس وراء ذلك شيء وأن ليس هناك الا هذا الوضع ، وهذا الاعتبار . ليس في هذا الوجود الا عابد ومعبود . والا رب واحد ، والكل له عبيد ..

الثاني : هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في

الجوارح ، وكل حركة في الحياة .. التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله ..

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ..

قال تعالى :(**إياك نعبد وإياك نستعين**) الفاتحة/٥ والعبادة هي العبودية المطلقة ، معنى وحقيقة .. وكلما يأتي به المسلم في طاعة الله فهو عبادة لذا كانت جملة (**اياك نعبد ..**) كلية اعتقادية .. فلا عبادة إلا لله . ولا استعانة إلا بالله .

وفي هذا مفرق طريق .. « مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد .

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل .. التحرر من عبودية الأوهام ، والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع .. واذا كان الله وحده هو الذي يعبد ، والله وحده هو الذي يستعان ، فقد تخلص العبد من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص . كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات .

أما العبادة بالمعنى الخاص : فهي إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .. وهي نوع من التربية على العبادة الكاملة الحقة .

ففرائض الاسلام تخاطب كل الجوانب في الانسانية ، وتفي بكل الحاجات وتصحح كل الاتجاهات .

ومن وراء كل ذلك .. نجد أن العبادات في الاسلام تدعو إلى الوحدة والجماعة ، وهي أساس لوحدة التفكير ، ووحدة المفاهيم الأساسية في الحياة . بل ووحدة القيم ، والمقاييس الخلقية ، والنظر إلى الخير والشر ، والفضائل والرذائل .. وقواعد السلوك .

والعبادات في الاسلام تنتهي إلى نتيجتين .

اولاهما : الاتجاه الى تربية الوجدان الديني الذي يجعل المؤمن بالاسلام مؤتلفا مع غيره ، ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع انساني متواد متحاب .

والثانية : ان غاية العبادات في الاسلام ليست مجرد التقوى السلبية ، لانها تتجه الى النفع الانساني العام ، والى إيجاد مجتمع متحاب ، غير متباغض ولا متنازع .. فعلاقة الاخلاص لله فيها أن تكون مطهرة للقلب . قاضية على الشر فيه مؤلفة بينه وبين الناس من غير مراءاة ولا مغالاة .

ويوم أن يدرك المسلمون حقيقة العبادة في الاسلام .. ويوم أن يقتنع المسلمون بأن الاسلام هو المنهج الامثل .. ويوم ان تكون الفرائض الاسلامية عملا بناء .. لا حركات تؤدي .. ويوم أن تكون « **لا اله الا الله** » المنطلق الوحيد للمسلمين .. يومها وبكل تأكيد سوف يتحقق للمسلمين باذن الله تعالى نجاح رائع في كل نواحي الحياة ..

والله ولي التوفيق ..



بين الوهم والحقيقة

- ١ -

حين يهل علينا شهر رجب من كل عام ، ويحتفل المسلمون فيه بحادثتي الاسراء والمعراج ، ويتبارى الخطباء والكتاب في بيان حقيقتهما ، وما تشيران اليه من عبر وعظات فاننا نصدم ـ حقيقة ـ ونحن نستمع من بعض هؤلاء وهؤلاء ، حين يعرضون لبعض التفصيلات المتعلقة بهاتين المعجزتين الكبيرتين حيث تختلط في خطبهم وأحاديثهم الحقيقة بالخيال ، ويلتبس الوهم بالواقع ، وحيث تتصادم بعض تلك التفصيلات مع مسبقات معلومة لدينا في الدين ، لا يكاد يختلف عليها اثنان ، فما مرجع ذلك ؟ وكيف يمكن التصدي لكل الافكار المشوشة التي يطغى الخيال فيها على الحقيقة ، والوهم على الواقع ؟

لا أكون مبالغا اذا قلت ان شركة الشمرلي بالقاهرة مسئولة مسئولية كبرى أمام الله لترويجها لحديث الاسراء والمعراج ، تلك الرواية الشهيرة التي تنسب في غير حياء أو خجل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والتي يبرأ الله ورسوله منها ، ويبرأ منها ابن عباس ولا يقبلها كذلك كل مؤمن صادق الايمان والعقيدة ، ولا أدري كيف يغض مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الطرف عن تلك الرواية ؟ وكيف يسمح للقائمين على أمر تلك الشركة أن يعيدوا طبع هذا الحديث المكذوب عشرات المرات ، بهدف الكسب المادي ، في الوقت الذي تهدر فيه قيمة هاتين

للدكتور محمد سعد حسن فشوان

المعجزتين الهائلتين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ولا أدري كيف يسوغ بعض الخطباء والكتاب لانفسهم أن يعتمدوا الكثير من نصوص تلك الرواية المكذوبة مع عدها الاصل الذي تتفرع عنه كل الروايات ، وكثير من هؤلاء المتحدثين يثق الناس بأمانتهم وورعهم ، ومن أجل هذا يصبح كل قول يصدر عنهم موضع ثقة واحترام الكثيرين ، كيف نستعين بنصوص تلك الرواية المكذوبة حين نخاطب بها المسلمين في ذكرى الاسراء والمعراج ، في الوقت الذي ينكر فيه الكثيرون تلك التفصيلات التي نعني أنفسنا مشقة البحث عنها ، ولا نعنيها بشيء مما يتصل بالاهداف والغايات التي كان من أجلها وقوع الاسراء والمعراج لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !!

لعله يغيب عن أذهان بعض المتحدثين والكاتبين ــ والكثيرون منهم ممن نجلهم ونحترمهم ــ أن قصة الاسراء والمعراج قد صيغت صياغة خيالية وأسطورية أيضا في بعض حقب التاريخ الاسلامي ، ولا يعنينا أن نبحث عن غاية تلك الصياغة وأهدافها ، وانما الذي يعنينا فقط هو التنبيه لخطرها حين يتلقى المسلمون أحداثها على أنها حقائق لا يملك أحد أن يمارى فيها ، أو يعترض عليها ، وأن وقوعها لرسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر لا سبيل الى الشك فيه .

ــ ٢ ــ

هناك مستشرق أسباني كبير يدعى آسين بالاثيوس (١٨٧١ ــ ١٩٤٤ م) وكان عضوا بمجمع اللغة الاسباني كانت له منذ ستين عاما محاولات أراد بها الكشف عن الاصول الاسلامية لـ « الكوميديا الالهية » لدانتي الايطالي ، ثم كشف الدكتور صلاح فضل أخيرا عن بعض أوجه القصور في محاولات هذا المستشرق ، وذلك في دراسة له بعنوان : « تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية لدانتي » .

وهذا الاصل الذي تأثر به دانتي في كوميديته ينهض على عمل أدبي أعاد به صاحبه قصة الاسراء والمعراج في صياغة أدبية جديدة تنهض على الخيال بصفة عامة ، وبخاصة فيما يتصل بالمعراج ، ولهذا لا نستبعد أبدا أن تكون تلك الصياغة التي ظهرت في الاندلس أولا قد وصلت الى الشرق الاسلامي واختلطت بالاصل الحقيقي لهذه القصة ، كما لا أستبعد أن تكون قصة الاسراء والمعراج التي تقوم على طبعها شركة الشمرلي في القاهرة قد اختلط فيها الخيال بالحقيقة ، والوهم بالواقع ، ولعبت الاسطورة فيها دورا كبيرا ، ولذا أود أن أطرح على

القارىء بعضا من تلك الافتراءات على رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي نبرىء الرسول من الاخبار بها وابن عباس من روايتها .

وستكون مهمتنا ضرب بعض الامثلة التي تهدم هذا الحديث من أساسه ، وليس لي من هدف الا أن يقف زملاؤنا الافاضل على ما في هذا الحديث من ضعف ، في الوقت الذي لا يغيب عن أذهان الكثيرين منهم ما فيه من كذب ، وما فيه من تدليس على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلينا اذا نحن طلبنا الصواب والصدق أن نعود الى تلك القصة في مصادرها الاسلامية الصحيحة ، كي يتبين لنا الرشد من الغي ، والحق من الباطل ، وسنعمل على أن يكون القرآن الكريم رائدنا وأنيسنا في هذه الجولة التي نبتغي من ورائها الوصول الى الحق مجردا عن كل ما عداه .

ـ ٣ ـ

ولعل أبرز النقاط التي تضعف هذا الحديث ان لم تنقضه من أساسه ما نقرؤه في صفحتي ١٦ ، ٣٣ ـ في النسخة التي تحت يدي الآن ـ حيث نقرأ هذه العبارة : « قال المؤلف رحمه الله تعالى : « اذ لا يعقل أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مؤلفا ، مما يدل على أن القصة مؤلفة ، وأن نسبتها لابن عباس ليست صحيحة .

ومن الامور التي تجعلنا نتحفظ كثيرا في قبول ما ورد بهذا الحديث المزعوم من أخبار نشير الى ما يلي :

(تفيد الرواية ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كنت في بيت أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها ، واسمها فاختة ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ثمان من البعثة ، وكان عندها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وعمرها تسع سنين ، ولم تكن قد تزوجت بعلي رضي الله عنه لأنه تزوجها بالمدينة المنورة) ونحن نقول : هل يتصور عاقل أن يصدر مثل هذا الكلام أو الاسلوب التأليفي عن رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي قال عنه رب العزة : **(وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى)** « النجم / ٣ و ٤ » ، واذا كان من الثابت أن الرسول أخبر بما حدث له ليلة الاسراء والمعراج صبيحة وقوع هذين الحدثين الكبيرين فكيف يخبر الرسول عن فاطمة بأنها لم تكن تزوجت بعلي ، لأنه تزوجها بالمدينة ، والهجرة لم تتم ، وعلي لم يصرح أو يلمح بخطبة فاطمة ؟

وتخبرنا الرواية أن جبريل حين طرق الباب خرجت فاطمة لترى من بالباب فاذا الطارق شخص عليه من الحلي والحلل ، وله جناحان أخضران قد سد بهما المشرق والمغرب .. الخ » وتروي فاطمة أن هذا الشخص قد هالها وأفزعها ، وحين أخبرت أباها بخبره خرج فاذا به يرى جبريل .

وهذا خطأ لأن رسولنا صلى الله عليه وسلم وحده من بين سائر الانبياء والبشر الذي

اختصه الله برؤية أمين الوحي جبريل على الهيئة التي خلقه الله عليها ، وأنه لم يشاهده على تلك الهيئة سوى مرتين في حياته ، أما الاولى فدليلها قوله تعالى **(ولقد رآه بالافق المبين)** « التكوير ٢٣ » وأما الثانية فكانت ليلة الاسراء والمعراج ، ودليلها قوله تعالى : **(ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى)** « النجم ١٣ و ١٤ » ، فالقول بأن فاطمة قد رأت جبريل على هيئته الحقيقية قول مرفوض ، يحمل آية من آيات الوضع في تلك الرواية .

والرواية تركز على ابراز الوسائل المادية التي نتقل بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى بيت المقدس أولا ، ثم الى السموات العلا ثانيا ، وعجيب ما ذكرته الرواية عن المعراج حيث تقرأ فيها ما نصه : « واذا بالمعراج قد نصب الى الصخرة من عنان السماء فلم أر شيئا أحسن من المعراج ، وهو مرقاة من الذهب ، ومرقاة من الفضة ، ومرقاة من الزبرجد ، ومرقاة من الياقوت الاحمر ، فضمني جبريل الى صدره ، ولفني بجناحيه ، وقبل ما بين عيني ، وقال : أرق يا محمد فصعدت أنا وجبريل » فهل يصدق عاقل أن يصدر مثل هذا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟

ان القرآن الكريم يثبت في سورة النمل ان سيدنا سليمان حين جمع اتباعه من الجن والانس ليستشيرهم في كيفية احضار عرش ملكة سبأ (بلقيس) ان عفريتا من الجن قال : **(انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وإني عليه لقوي امين)** « النمل / ٣٩ » وان الذي عنده علم من الكتاب قال : **(انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك)** « النمل / ٤٠ » وقد كان ، فلما رأى سليمان عليه السلام العرش مستقرا عنده قال : **(هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر)** « النمل / ٤٠ » .

فالعرش وهو شيء مادي قد تمكن مخلوق اتاه الله بعضا من علم الكتاب من احضاره من اليمن في اقصى الجنوب الى الشام في الشمال في وقت قياسي في اقل من طرفة عين فهل نأتي نحن لنصطنع الوسائل المادية مع الله سبحانه الذي لايعجزه شيء في الارض ولا في السماء والذي يقول للشيء كن فيكون ؟

وقد حكى القرآن ايضا في سورة الاسراء ان مشركي مكة حين تحدوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : « كما حكي عنهم رب العالمين » **(لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه)** « الاسراء / ٩٠ ـ ٩٣ » حين طلبوا منه ذلك قال الله له قل لهم يا محمد : **(سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)** « الاسراء / ٩٣ » . علما بانه يستحيل ان يزعم مؤمن بان الله تعالى يعجزه شيء مما طلبوا كما انه ليس في طوق بشر ان يصعد على درج يصل به الى السموات العلا ولذلك يبقى امر هام يجب التنبه اليه هو ان اصطناع الوسائل المادية في تلك الرحلة

ليس من شأننا نحن البشر بل الواجب يحتم علينا ان نؤمن بالاسراء والمعراج لورود الدليل في القرآن صريحا في الاسراء وتلميحا في المعراج ولا شأن لنا باصطناع تلك الوسائل المادية فيهما من اجل ارضاء عقولنا القاصرة التي لا تدرك من كنه صنع الله سبحانه مع نبيه في تلك الليلة المباركة الا القليل .

والرواية تحمل كثيرا من ايات الاضطراب حيث تقول حاكية عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ثم صعد بي الى سماء الدنيا في اسرع من طرفة عين فمن الذي صعد به ؟ اذا كان جبريل فلم كان المعراج ، هذا المرقى الذي وصفه النبي لنا ، واخبرنا عن امر جبريل له بالصعود عليه ، واذا كان الذي صعد به مجهولا وذلك في حالة بناء الفعل (صعد) للمجهول فالاعتراض وارد ايضا .

ثم هل يصدق احد ان يكون النيل والفرات ، وهما من انهار الارض ، ونعلم منابعهما ومصابهما ينبعان من سماء الدنيا وان عنصرهما من الجنة حيث تحكي الرواية قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخلناها (السماء الدنيا) فاذا هي سماء من دخان يقال لها الرفيعة وليس فيها موضع قدم الا وعليه ملك راكع او ساجد ونظرت فاذا فيها نهران عظيمان مطردان فقلت : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذا النيل وهذا الفرات ، عنصرهما اي اصلهما من الجنة ولماذا النيل والفرات وهناك على الارض عشرات الانهار التي تتدفق بالخير والنماء وكلها تظهر نعمة الله على بني الانسان والحيوان ؟؟

وهذه الرواية لا تشير الى صلاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اماما بالانبياء في بيت المقدس وهو ما اشارت اليه بعض الروايات الاخرى ولكنها تثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى بالملائكة في سماء الدنيا ركعتين وان صلاته كانت على ملة ابراهيم الخليل وكذلك صنع في السماء الثانية .

وكيف تقول الرواية حين اشارت الى خطاب الله لنبيه وكان عليه الصلاة والسلام على بساط الانس ـ حاكية ان الله قال : « واعطيتك الحوض المورود ، والشفاعة الكبرى ، والدرجة الرفيعة ، وصيام رمضان ، وفيه انزل القرآن عليك » كيف تقول الرواية ذلك وصيام رمضان لم يفرض تلك الليلة وانما كانت فرضيته بعد الهجرة كما هو ثابت بالاخبار الصحاح ثم هل يجوز او يعقل ان يقول الله تعالى : « وفيه انزل القرآن عليك » وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهل الشهر الذي نزل فيه القرآن عليه او ما نزل ؟

اما الاستعانة بالاسطورة في تلك الرواية فتكمن في خبر عزرائيل حيث تزعم الرواية ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ثم رأيت ملكا عظيم الخلقة والمنظر قد بلغت قدماه تخوم الارض السابعة ورأسه تحت العرش وهو جالس على كرسي من نور» الى ان قال : فقلت يا اخي يا جبريل . من هذا : قال جبريل : هذا هازم اللذات ومفرق الجماعات ومرمل النساء ومفجع الاحباب ومغلق الابواب ومسود الاعتاب وخاطف الشباب هذا ملك الموت عزرائيل ».

وكذلك اخبار ملك الموت رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين سأله : وكيف تعرف

حضر اجل العبد ام لم يحضر ؟ قال : ما من عبد الا وله في السماء بابان : باب ينزل منه رزقه وباب يصعد اليه عمله وهذه الشجرة التي عن يساري ما عليها ورقة الا وعليها اسم واحد من بني ادم ذكورا واناثا فاذا قرب اجل الشخص اصفرت الورقة التي كتب عليها اسمه وتسقط على الباب الذي ينزل منه رزقه ويسود اسمه في اللوح فاعلم انه مقبوض .. الخ ».

وهذه الرواية ليس هناك دليل على صحتها من قرآن او سنة ولكنها خرافة او اسطورة شائعة ربما قبل ان تؤلف تلك الرواية موضوع هذا الحديث ولم اكن ادرك قول الريفيين حين يسقط من يد واحد منهم شيء فينكسر او يتلف : « سقطت ورقته » من باب الدعاء عليه نظرا لتقصيره واهماله ، لم اكن ادرك مغزى تلك المقالة حتى قرأت تلك الخرافة .

وهل يصدق انسان اليوم قول ميكائيل ـ الموكل بالقطر والنبات من الملائكة ـ حين سأله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن حقيقة الرعد والبرق : اذا حملت السحاب الماء ارسل الله اليه ملكا يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضرب بسوط فيخرج منه النور وهو البرق ؟؟ هل يصدق احد ذلك وقد كشف العلم الحديث كثيرا من النظريات التي تفسر لنا بعضا من تلك المشاهد الكونية والطبيعية من حولنا ومنها ظاهرة الرعد والبرق ؟

او هل يعقل ان جبريل عليه السلام اقتلع بوحي من الله بيت المقدس بارضه وجباله وتلاله واوديته وازقته وشوارعه ومساجده وبسطه بين يدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك حين طلب منه المشركون ان يصف لهم بيت المقدس كما رآه تحديا له وحتى ينفضوا من حوله راضين بعد ان يستبين امامهم عجزه عن وصفه . لا . فما كان الله ليعجزه ابدا ان يوفق حبيبه محمدا الى ان يصف بيت المقدس دون ان يقتلعه جبريل ويحضره له .

اننا نرى الانسان اليوم قد تمكن بواسطة جهاز (التلفاز) من ان ينقل صورا عديدة من مناطق مختلفة في الارض الى المشاهدين في كل مكان حتى ان الرائي ليشاهد تلك الصور والمرائي كما هي دون مسخ او تشويه وحتى ليستطيع المشاهد ان يتحدث عما رأى ويصف ما شاهد دون جهد او عناء افيعجز الله سبحانه ان يمكن نبيه من وصف بيت المقدس دون عملية الاقتلاع الرهيبة هذه ؟!

واخيرا تثبت الرواية انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وصف البيت كما ارادوا اسلم في ذلك اليوم اربعة الاف رجل وأؤكد ان هذا لم يحدث ولو كان قد حدث لما هاجر الرسول الى المدينة ولم يهاجر وقد اصبح باسلام هؤلاء في عز ومنعة ؟ ثم ان من حضر بدرا من المسلمين مهاجرين وانصارا في العام الثاني من الهجرة لم يكن عددهم يتجاوز ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فاين اذن كان هذا العدد الضخم ؟؟

فلنعد الى الصواب والرشد ولنتمسك بكتاب الله وبما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولننبذ كل تلك الخرافات والترهات ... والله تعالى اعلم بالصواب .

أدعياء النبوّة

للأستاذ

احسان صدقي العمد

منذ أن بعث الله تعالى رسوله الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة الاسلام ، جعل رسالته السماوية آخر الرسالات ، وختم برسوله المصطفى الأنبياء

والمرسلين . قال تعالى « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** » الأحزاب/٤٠ وقد

جهد الرسول في حياته لتأكيد هذه الحقيقة ، وجاهد المؤمنون من بعده لنصرة رسالة الاسلام السمحة والمحافظة عليها من الادعياء والمتحلين الكذابين الذين « **يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله**

الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون »

التوبة/٣٢ . وتحدثنا كتب السيرة عن الموقف الحق الذي وقفه النبي صلى الله عليه وسلم من أطماع بني حنيفة وأدعيائها إذ رفض بحزم طلب هوذة بن علي الحنفي ان يجعل الأمر له من بعده ، كما رفض طلبا مماثلا من ثمامة بن كبير بن حبيب المعروف بمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في أواخر حياة الرسول وسمي نفسه رحمان اليمامة ، .

وفي اواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ أيضا الاسود بن كعب ابن عوف العنسي في اليمن واتبعه بعض قبائلها ، وسمي نفسه رحمان

اليمن كما فعل مسيلمة وقد وجه الرسول قيس بن هبيرة المرادي لقتاله وتمكن من القضاء عليه بالتعاون مع الذين كان الاسود العنسي قد اضطهدهم .

ويبدو أن بعض قبائل الجزيرة العربية لم تستوعب آنذاك فحوى الرسالة الاسلامية ، كما ان هذه القبائل حسدت قريشا على المكانة المرموقة التي تأكدت لها من جديد بعد ظهور الاسلام ، فقام بعض الزعماء فيها بمحاولات لمشاركة قريش في هذه المكانة . حتى اذا لم تجب مطالبهم لجأوا الى ادعاء النبوة وجمع المؤيدين لهم علهم بذلك يحققون مآربهم .

ابو بكر يستاصل شأفة الأدعياء :

وعندما انتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى كان اول عمل حاسم قام به ابو بكر الصديق هو استئصال شافة ادعياء النبوة والمرتدين من ابناء القبائل . وخاضت صفوة من المؤمنين من المهاجرين والانصار بقيادة خالد ابن الوليد عدة معارك ضارية في اليمامة ضد مسيلمة الكذاب والقبائل الموالية له وانتهت كما هو معروف بالقضاء على مسيلمة واستسلام اعوانه . وقد تحقق هذا الانتصار للاسلام والمسلمين بعد جهاد صادق استشهد فيه المئات من المؤمنين الذين

« **صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم**

من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلــوا تبديــلا » الاحــزاب/٢٣ .

ويتراوح عدد شهداء اليمامــة بــين سبعمائة الى الف وسبعمائة شهيد من خيرة المؤمنين ، بينهم سالم مولي ابي حذيفة ، وخالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية ، والسائب بن العوام اخو الزبير بن العوام ، وزيــد بن الخطاب بن فضيل اخو عمــر بن الخطاب وسراقة بن كعب ، وابــو دجانه سماك بن اوس ، وعبد الله بن عبد الله بن ابي بن مالك . وبالرغم من الضربة القاضية التي وجهــت الى مسيلمة واتباعه زمن ابي بكر الا ان البلاذري يذكر في فتوح البلدان ان عبد الله بن مسعود قتل في الكوفة عبادة بن الحارث المعروف بابن النواحة وهو احد بني عامر بن حنيفة ، وذلك عندما بلغه ان عبادة بن الحارث وجماعة معه يؤمنون بما ادعاه مسيلمة وهذه الرواية تدلنا على وجود بقايا من اتباع مسيلمة الكذاب حتى خلافة عثمان بن عفان .

اما المتنبئة سجاح بنت اوس التي اتبعها قوم من بني تميم واخرون من اخوالها بني تغلب ، فقد تزوجــت مسيلمة وجعلت دينها ودينه واحدا . فلما قتل مسيلمة تحولت الى اخوالها فماتت عندهم ، إلا ان ابن الكلبي يذكر ان سجــاح عادت فأسلمــت وهاجـــرت الى البصرة وحســـن اسلامها .

وكان خالد بن الوليد قد تصدى قبل ذلك لمدع اخر للنبوة من بني اسد هو طليحة بن خويلد الاسدي الذي هزم واتباعه ثم اسلم من جديد وابلى بعد ذلك بلاء حسنا في فتوح العراق .

الادعياء في العصر الاموي :

ويحدثنا ياقوت الحموي الرومي في معجم البلدان عن ظهور متنبئ في بلاد الشام في عهد عبد الملك بن مروان . وقد عرف هذا المتنبــئ بالحــارث الكذاب مولي ابن الجلاس . وكان يتظاهر بالتعبد والزهــد ، ويتصــل بالمصلين في مسجد دمشق كلا على حدة « فيبلغهم امره ويأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق ان هو رأى ما يرضي قبل والا كتم عليه » ويبدو انه كان يتقن بعض اعمال الشعوذة والتأثير النفسي ، اذ كان يقول لاتباعه اخرجوا حتى اريكم الليلة فيخرجهم الى دير مران فيريهم رجالا على خيل فتبعه بشر كثير وفشا الامر في المسجد وكثر اصحابه . واستمر الحال على ذلك حتى اتصل الحارث الــكذاب برجل مسلم قوي الايمــان يدعــي القاسم بن مخيمرة ، فلما دعاه الى التصديق بنبوتــه الكاذبــة قال له « كذبت يا عدو الله ما انت بنبي ولا لك عهد ولا ميثاق» . وتوجه على الفور الى عبد الملك بن مروان واعلمه بأمر هذا المدعي . فأمر عبد الملك بطلبه الا انه لم يتمكن من ذلك لأن الحارث كان قد غادر دمشق متخفيا وتوجه الى القدس حيث اختبأ في احد منازلها حيث أخذ يمارس دعوته السرية . وحــدث ان اتصل به رجل مؤمــن من البصرة فتظاهر بتصديقه حتى وثق الحارث به . واخذ البصري يتردد على مكانه

السري ويعرف مداخله ومخارجه وموضع اختفائه حتى صار من اخص الناس به . وبعد ذلك استأذن البصري من الحارث بالسفر مسرعا الى البصرة ليكون اول داعية له هناك فأذن له . وتوجه البصري مسرعا الى عبد الملك بن مروان واخبره بقصة الحارث معه ومكانه ، فأمره عبد الملك ان يقوم بالقضاء على هذا المدعي . فطلب البصري من الخليفة ان يوجه معه قوما لا يفقهون الا القليل من الكلام ، فجعل عبد الملك تحت تصرفه اربعين رجلا من اهل فرغانة وامرهم بطاعته كما طلب من عامله على بيت القدس مثل ذلك . وعندما وصل البصري واعوانه الى القدس رتب اصحابه في ازقة المدينة وزواياها ليلا ، وحمل كلا منهم شمعة وأمرهم الا يسرجوها الا اذا اوعز اليهم ذلك . ثم اقبل البصري وحده الى منزل الحارث الكذاب واستأذن بالدخول ، فرفض الحاجب في أول الأمر أن يفتح له الباب حتى يحين الصباح ، إلا أن الحارث أذن للبصري بعد أن علم بعودته ، فلما فتح الباب صاح البصري بأعوانه ان يسرجوا شموعهم ويضبطوا كل من يجدونه . وقد حاول اتباع الحارث أن يوهموا البصري واعوانه بعدم امكانية الوصول الى الحارث لأن الله رفعه الى السماء ، الا ان هذه الحيلة لم تنطل على البصري واستخرج الحارث من مخبئه السري وأوثقه وحمله على البريد الى عبد الملك فقتله وصلبه وقضى على فتنته .

وفي اواخر الحكم الاموي عام ١٢٩ هـ ظهر في نيسابور مدع آخر للنبوة هو « بها فريد » مستغلا الاضطراب السياسي الذي ساد الجناح الشرقي من الدولة الاموية ذلك الوقت .

الادعياء في العصر العباسي :

وبالرغم من القضاء على حركة « بها فريد » الا اننا نسمع عن تحرك بعض عناصر تنتمي اليها في زمن المنصور العباسي عام ١٥٠ هـ بقيادة شخص يدعي اشناس . كما تتحدث بعض المصادر عن وجود اتباع لها في القرن الرابع الهجري . وتنسب المصادر العباسية الى استاذ سيز الذي ظهر في منتصف القرن الثاني للهجرة ادعاءه النبوة . ويلاحظ كثرة الادعياء في هذه الفترة اذ تراوح ادعاؤهم بين النبوة والالوهية ، فعبد الله الراوندي مثلا نادى بالوهية ابي جعفر المنصور وبنبوة ابي مسلم الخرساني ، واسحق الترك احد دعاة ابي مسلم الذي هرب الى ما وراء النهر بعد مقتله ، ادعى انه نبي انفذه زرادشت ليقيم هذا الدين . كذلك ادعى المقنع هاشم بن حكيم الالوهية ايام المنصور ، ومثله فعل بابك الخرمي الذي امتدت حركته الخطيرة اكثر من عشرين عاما . ويرجع الفضل في القضاء عليها الى جهود المأمون والمعتصم بالاضافة الى المجاهدين المتطوعين الذين كانوا يتقدمون الجيوش العباسية النظامية في القتال .

وحوالي منتصف القرن الخامس

الهجري ظهر في الصيرة على مقربة من البصرة رجل يقول له ابن الشباس وقد استخف هذا المدعي بعقول بعض الناس بترهات كما يقول ياقوت الحموي « فانقادوا له وعبدوه وادعى عندهم انه اله . » .

المدعون في العصر الحديث :

وظهرت في القرن الماضي حركتان من هذا القبيل في المشرق الاسلامي اولاهما البابية التي تطورت الى البهائية . وتنسب البابية الى علي محمد الشيرازي الملقب « بالباب » الذي ادعى انه الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل الى حضرة الخالق عز وجل . وقد جهر الباب بآرائه عام ١٨٤٤ م ، الا ان الحكومة الايرانية آنذاك تعقبت انصاره بالقتل والتشريد واعدمت « الباب » نفسه عام ١٨٥٠ . وقد خلفه في تطوير البابية ميرزا حسين على الملقب ببهاء الله والذي تنسب اليه البهائية .

اما الحركة الثانية فهي القاديانية التي تنسب الى الميرزا غلام احمد من قرية قاديان بمقاطعة البنجاب . وقد ادعى عام ١٨٨٤ انه ملهم من الله ثم عاد عام ١٩٠١ وادعى النبوة بتشجيع من السلطات الاستعمارية في الهند في ذلك الوقت . ورمت تلك السلطات من وراء ذلك الى خلق فرق دينية جديدة واحداث ثغرات في صفوف المسلمين في القارة الهندية واضعاف نزعة الجهاد عندهم ، بقصد حماية مصالحها واطالة بقائها في تلك القارة .

وقد كشف عضو اللجنة الوطنية الباكستانية واحد الاعضاء المؤسسين لرابطة العالم الاسلامي السيد ظفار احمد الانصاري مؤخرا عن خطورة الحركة القاديانية وعلاقتها بالصهيونية .

وصرح في الرابع من يناير ١٩٧٦ بانه سيطرح موضوع الوجود القادياني الصهيوني للمناقشة في الجمعية الوطنية الباكستانية . واعرب عن اهتمامه وقلقه ازاء هذا الوجود ، وقال انه يهدد باكستان بقدر ما يهدد العالم الاسلامي والعربي . واشار الى ان القاديانيين الذين يعيشون في فلسطين المحتلة يتمتعون بامتيازات خاصة ، في الوقت الذي يحتفظون فيه بروابطهم المنظمة مع رئاسة القاديانية في منطقة « رابو » الواقعة في اواسط باكستان .

واضاف السيد ظفار الانصاري يقول ان القاديانيين الذين يعيشون في فلسطين المحتلة مؤهلون للخدمة العسكرية في القوات الصهيونية .

ولئن دلت هذه الحركة وغيرها من الحركات المشبوهة على شيء فانما تدل على حقد اعداء الاسلام وتآمرهم على رسالته وأمته ودياره .

وهو خطر حري بالمسلمين المؤمنين في كل مكان التصدي لمقاومته والقضاء عليه ليحتفظوا برسالة الاسلام ووحدة امته واتباع كتابه الذي « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » فصلت/٤٢

الأمة ومنهج الجهاد في الإسلام

للأستاذ حسيني عرابي عطوة

لقد كانت الأمة على مستوى دينها ، سائرة على هديه ، مترسمة مبادئه ، متمسكة بوصاياه ومنفذة لأحكامه وقضاياه ، حينما بسطت يدها للسلام ، وسعت جاهدة للدفاع عن حقها أمام الهيئات الدولية التي لها حق الفصل في قضايا المصير بين الأمم والشعوب وماتركت بارقة من أمل الا واستتبعت ضوءها ومع كل أسف كانت تنتهي بها الى طريق مسدود بسبب صلف العدو وعجرفته ، وعقده العزم على سياسة التوسع التي ملأت صدره الحقود نتيجة أوهامه وأساطيره التي حرف بها الكلم عن مواضعه ، والدين عن مقاصده ، وأعانه على ذلك قوم آخرون كشفهم الله للعالم الحر كله ، وهم أمريكا ومن يدور في فلكها ، وماضرنا هذا الصبر الطويل في شيء ، ولكننا استفدنا منه مكاسب جمة منها تأييد الغالبية العظمى من دول العالم لموقفنا السليم في الدفاع عن الوجود

والكيان ، ودمغ اسرائيل بسمات العدوان والغرور والتبجح والتي ستجر بها العالم كله الى حافة الخطر والدمار ، والاشهاد أمام الله سبحانه والعالم ، بأننا أدينا الواجب ، وكنا على مستوى الالتزام الرشيد ، الذي يفرضه علينا ديننا « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم** » **البقرة**/ ١٩٠ ـ ١٩٢

والآن وبعد أن طرقنا أبواب السلام حتى كلت المتون وعيل الصبر ، وقام على القرع من به صمم ، وثبت بالأدلة المتكاثرة المتعددة ، أننا بريئون من أوزار حرب قادمة ، فرضها علينا العدو الغاشم ومن يساعده على غشمه وجوره ، موقفنا فيها هو الدفاع المقدس عن الحياة والوجود والاستنقاذ للشرف والعرض ، ممن لاشبيه لهم سوى التتار وبرابرة التاريخ الذين لازال اسمهم يحمل معه أقبح مافي التوحش والغدر من فاحش السيرة ومزعج الذكرى الأمر الذي لو أدرك العالم المتحضر مدى خطورته لوقف ضده واستأصله كما يستأصل الداء الخبيث .

والآن لانرى لنا عذرا أمام الله سبحانه ، والوطن والتاريخ والأجيال القادمة ان تركنا للعدو فرصة البقاء على الأرض الحبيبة وفينا عين تطرف ، وقلب ينبض ، وجسد يتحرك ، فان الجهاد في سبيل الله الآن بالنفس والمال واللسان وبكل وسيلة أصبح فرضا لازما على الشعب كله ، من تخلف عنه مع القدرة عليه ، فقد خان الله ورسوله وعامة المؤمنين ووقع في محظور تلك الآية الكريمة « **ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** » **الأنفال**/ ٢٧

الآن أصبح الذود عن الوطن ، والدفاع عن الأرض والعرض فرضا لايتقاعس عنه الا كل خوان أثيم ، انطلاقا مع نفير تلك الآية الكريمة وتلبية لندائها المقدس « **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » الآية /٤١ من سورة التوبة ، والجهاد في الاسلام له تاريخ يجب أن يدرس ومنهج ينبغي ان يسار عليه .

وسبيل الأمة الى الجهاد الانطلاق به من القواعد التي انطلق به منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلق من ربه ، وعون من ايمانه بحقه ، وعمق في الفكرة ، وارتفاع به عن متاع الدنيا ، وتحقيق به لمباديء الخير ورسالة الاصلاح ، ودفاع به عن الوطن الذي أحبه ، والمستضعفين والمعذبين ، الذين سدت في وجوههم أبواب الحيلة للتخلص من العذاب والاضطهاد « **ومالكم لاتقاتلون في**

سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » النساء/ ٧٥

وفي مقدمة القواعد التي يستنزل بها النصر ويرجى الفوز والعون ، الايمان بالله ورسوله وحق الوطن والأجيال القادمة ، فانه مامن آية في أغلب الأحيان حثت على الجهاد الا وقدمت لذلك بالوصية بالايمان « **ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين »** الصف/ ١٠ - ١٣

والاقدام على الجهاد على أنه أشرف عمل في الاسلام بعد الايمان بالله فقد ثبت في الصحيح من الحديث « أن رجلا قال يارسول الله ، دلني على عمل يعدل الجهاد قال : لاأجده ثم قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولاتفتر ، وتصوم ولا تفطر ، فقال الرجل ومن يستطيع ذلك » البخاري

وحب الجهاد والهيام به على أنه سياحة المسلم ورسالة استخلاص الشرف الرفيع ، والمجد السليب ، والكرامة الغالية ، حبا تهون به الدنيا ، ولايصعب معه البذل والعطاء « **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين** » الآية ٢٤ من سورة التوبة ، ولنا في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ومصدر العطاء الذي لاينقطع مدده ، ولاتجف موارده ، والأسوة الفذة التي ترتفع اليها أعناق الرجال من أهل الصدق والايمان ، وان قوة هذا الحب لتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لاأجد سعة فأحملهم ، ولايجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت ان أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » مسلم

وخوض معارك الجهاد مع الحرص على الموت أكثر من الحياة ، والرضا بمغارم الجهاد وتبعاته مع الارتباط بالله وعدم الغفلة عنه ، والسمو بالجهاد عن أغراض الدنيا « وتلك خلال طالما هبت معها رياح النصر على معسكرات المسلمين ، وكثيرا ماأذهلت أعداءهم ، وحملتهم على الشهادة لهم بعدم القهر والغلبة »

فهذا المقوقس يرد على من نعت له جنود الاسلام بتلك الصفات « وجدنا أقواما يحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة ، ويحبون التواضع أكثر من حبهم للرفعة ، ليست لهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب ، وأكلهم على الركب ، وأميرهم كواحد منهم لايعرف صغيرهم من كبيرهم ولا السيد فيهم من العبد ، فاذا حضرت الصلاة قاموا اليها جميعهم لم يتخلف منهم أحد وغسلوا أطرافهم ووقفوا في صلاتهم خاشعين بين يدي ربهم » فقال المقوقس « والذي لايحلف الا به ، لو أن الجبال اعترضت طريق هؤلاء لأزالوها وان هؤلاء لايقوى على قتالهم أحد »

والوقوف بالمرصاد لأساليب الحرب النفسية التي يشنها العدو وأعوانه تارة عن طريق السخرية وأخرى عن طريق التهديد بالأسلحة الجديدة وغير ذلك وذلك كثير تعرض رسول الله لمثله على طول جهاده ، فقد جربوا معه في غزوة الأحزاب سلاح التهكم وقالوا ان رسول الله يعدنا بقصور الروم بالشام ومدائن كسرى وصنعاء اليمن ، والواحد منا محاصر لايستطيع قضاء حاجته والى هذا المعنى الخبيث أشار الله سبحانه « **واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا** » واستعملوا معه سلاح التشكيك في القدرة وهز الثقة بالنفس « **واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فرارا** » وقد استعملوا معه سلاح التهديد بالقوة عقب غزوة أحد وقد أشار القرآن اليه والى المواجهة التي أذهلت العدو وحملته على ان يقبع وراء جباله بمكة راضيا من الغنيمة بالأياب فقال « الذين قال لهم الناس » والمراد بالناس هنا مروجو الاشاعات « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » والمراد بالناس في هذا المقام كفار قريش « **فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** » ثم يحذر القرآن الكريم من عدوى الخوف والذهول عن مكائد العدو ، ويصف ذلك بأنه خفة في ميزان المؤمن ومؤاخاة للشيطان « **انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** » الآيات ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، من آل عمران ، وقد رد منهج الاسلام على هذا اللون من الحروب ، بضبط النفس ، والثقة بنصر الله مع الضرب بشدة على يد المروجين ودعاة الهزيمة قد تصل الصرامة فيها الى القتل والابادة « **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » الأحزاب/ ٦٠ ـ ٦٢

وجماعية الجهاد على كافة أفراد الأمة فعلى عهد رسول الله وقفت المرأة في الجهاد بجوار الرجل وسابق الشباب الشيوخ ، واقترع الولد مع أبيه حرصا على شرف المشاهد السامية وكان يقول لأبيه لولا شرف الجهاد لقدمتك على نفسي ، وتقدم أصحاب العاهات للفوز بواسع الجنات وانخلع حنظلة بن أبي عامر ، من أحضان عرسه في ليلة زفافه قبل أن يغتسل فينال الشهادة وتغسله ملائكة الله في طست من ذهب بماء المزن الطاهر من فوق سبعة أرفعة ، ولقد ظلت الأوس تباهي الخزرج بهذا الموقف العظيم لحنظلة فمن رواية الطبري عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة « افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت ، فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم »

ومما يجب الحرص عليه تقدير رجالنا الأبطال الواقفين على الجبهة ورعاية أسرهم ، وقد لفت رسول الله النظر الى ذلك فقال « من لم يغز ، أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » رواه أبو داود عن أبي أمامة باسناد صحيح ، ولقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أروع الأمثلة في تقديره للمجاهدين رجالا ونساء ؛ فلقد قسم مروطا « أثوابا » بين نساء من نساء المدينة ؛ فبقى ثوب جيد ، فقال له بعض من عنده أعطه لزوجك بنت رسول الله يريدون أم كلثوم زوجته فهي بنت الامام علي وأمها فاطمة بنت رسول الله فقال عمر رضي الله عنه أم سليط أحق فانها كانت تزفر (تخيط) لنا القرب يوم أحد رواه البخاري .

ولابد في النهاية من ظهور الأمة بمظهر الطاعة واللجوء الى الله لأن ماعند الله من خير يلتمس بطاعته لا بمعصيته فقد أصبح من المحتم الآن القضاء على عبث الشباب واستهتار الفتيات وانحراف الكلمة المسموعة والصورة المشاهدة وأفلام الانحلال وأخلاق الفوضى ، التي لازال يغض الطرف عنها بعض المشرفين على أجهزة التوجيه حتى الآن فالله سبحانه يقول « **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** » .

وانا لنأمل وقد وقفنا على الطريق في انجاز عدة الله سبحانه لعباده المؤمنين والشعوب الجادة الصالحة « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** »

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الاسراء

بين السلف

يحتفل المسلمون ، منذ عهود بعيدة ـ بليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، لاعتقاد شاع بينهم انها الليلة التي اسرى فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، من المسجد الحرام بمكة ، الى المسجد الاقصى بالشام ،

ثم عرج به الى السموات السبع .. ثم الى الملأ الأعلى .. ثم إلى سدرة المنتهى ، حيث سمع صريف الأقلام ، وشاهد سدرة المنتهى ، والبيت المعمور ومن عليه ربه بفريضة الصلاة ، حيث فرضت اولا : خمسين صلاة ، ثم خففت الى خمس صلوات في اليوم والليلة ، بعد ان تردد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين ربه وبين موسى .

اعتقاد الناس في ليلة السابع والعشرين :

ومن هنا بني العامة واشباههم ،

والمعراج

والخلف

للاستاذ / سعد صادق محمد

اعتقادهم أن لليلة السابع والعشرين فضلا كبيرا ، فاتخذوها موسما لهم ، يقيمون فيها حفلات دينية ، يحيونها بما ألفوه من الذكر والأدعية ، وتأدية صلاة تعرف باسم « صلاة الرغائب » ، وبما اعتادوه من صنع الأطعمة ذات الطابع الخاص ، والتي تعودوا ان يصنعوا مثلها في المواسم كليلة النصف من شعبان والمولد النبوي وذكرى الهجرة وغير ذلك .

يجتمعون في المساجد في اول خميس من رجب ، ويخصصون لهذه الليالي « صلاة الرغائب » يؤدونها اثنتي عشرة ركعة ، بين العشاءين ، تتخللها قراءات وتسبيحات .

أدلتهم في الاحتفالات :

ويستند المحتفلون بهذه الليالي ،

الى ماورد من غرائب الاحاديث المنسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منه حديث « إن في الجنة نهرا يقال له رجب ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، واحلى من العسل ، من صام يوما من رجب ، سقاه الله من ذلك النهر » وهو حديث باطل كما قال عنه الذهبي

ومنه حديث « من صام ثلاثة ايام من شهر حرام ، الخميس والجمعة والسبت ، كتب الله له عبادة تسعمائة سنة » وهذا الحديث قال عنه السخاوي انه باطل متنا وتسلسلا فاحذروه .

ومنه حديث « صوم اول يوم من رجب ، كفارة ثلاث سنين ، والثاني كفارة سنتين ، والثالث كفارة سنة ، ثم كل يوم شهر » حديث ساقط الاسناد ومنه حديث « رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي » حديث مرسل وضعيف وغير ذلك من الرغائب التي وضعت في كتب الاحاديث وضعا ، وتناقلها الناس جيلا عن جيل ، وآمنوا بها ، وعملوا بمقتضاها ، اعتقادا منهم بأنها أحاديث نبوية تتسم بالضبط والصحة ، وأنها رويت فعلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

هل عرف السلف هذه الأعمال :

اذا رجعنا الى سيرة سيد العابدين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، نجد انها خلت من الأعمال التي عرفها المسلمون الأولون من الاحتفال بأول يوم من رجب ، وليلة السابع والعشرين ، بالصلاة ، وقراءة قصة المعراج .

وكذلك لم تحفظ لنا كتب سيرة الصحابة – وهم الذين امرنا باتباعهم – انهم فعلوا شيئا مما يفعله اليوم جمهور المحتفلين برجب ، فلم يؤثر عنهم – رضى الله عنهم – انهم صلوا « صلاة الرغائب » في اول خميس من رجب ، او فعلوا شيئا من هذه الأمور التي ابتدعت في العصور المتأخرة ، لأنهم كانوا يلتزمون بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدون به في كل شئ ، والرسول لم يكن يفضل من الأيام ، الا ما حدده له الشرع ، والشرع لم يخص من الأيام بالتفضيل والاحياء والاحتفال سوى يوم الجمعة ، ويوم العيدين ، ويوم عرفة .

فالاسلام – اذن – لا يعرف لشهر رجب غير انه احد الأشهر الحرم التي شرع حرمتها قبل الاسلام وبعده ، وفي هذا نقرأ قول الله عز وجل (**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم**) التوبة / ٣٦ .

آراء الفقهاء حول الاسراء والمعراج :

وهذه اقوال العلماء والفقهاء ، فيما يفعله الناس اليوم في رجب من صيام واحتفالات .

يقول الحافظ بن حجر في كتابه « تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب »

« لم يرد في فضل رجب ، ولا في صيامه ، ولا في صيام شيء منه ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة »

ويقول الامام الجليل ابن تيمية ، ردا على سؤال لرجلين ، يفضل احدهما ليلة القدر ، والآخر ليلة الاسراء ، يقول الامام ـ رضى الله عنه ـ « فان اراد به : ان تكون الليلة التي اسرى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظائرها من كل عام ، افضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من ليلة القدر ، بحيث يكون قيامها ، والدعاء فيها ، افضل منه في ليلة القدر ، فهذا باطل ، لم يقله احد من المسلمين وهو معلوم الفساد والاضطراب من دين الاسلام ... »

ويقول في موضع اخر « ... ولا يعرف عن احد من المسلمين ، انه جعل لليلة الاسراء فضيلة على غيرها ، ولا كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ، يقصدون تخصيص ليلة الاسراء بأمر من الامور ، ولا يذكرونها ، وان كان الاسراء من اعظم فضائله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا ، فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ، ولا ذلك المكان بعبادة شرعية .. »

ويقول الامام ايضا عن « صلاة الرغائب » التي يصليها المحتفلون برجب « صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين ، لم يسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا احد من خلفائه ، ولا استحبها احد من أئمة الدين ، كمالك ، والشافعي ، واحمد ، وابي حنيفة ، والثوري وغيرهم ، والحديث المروي فيها ـ اي في صلاة الرغائب ـ كذب باجماع اهل المعرفة بالحديث ، وكذلك الصلاة التي تذكر اول ليلة جمعة من رجب ، وفي ليلة المعراج .. وغير هذا من ايام الاسبوع .. لا نزاع بين اهل المعرفة بالحديث ان احاديثه كلها موضوعة ، ولم يستحبها احد من أئمة الدين ، وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام ، ولا يوم الجمعة بصيام »

اختلاف الآراء حول الاسراء والمعراج :

بالرجوع الى الكتب التي تحدثت عن الاسراء وليلته ، نجد انها قد ازدحمت بآراء متعددة مختلفة ، فلم تتفق على كلمة واحدة في الانباء المروية عن هذا الحادث ، من حيث انتقاله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاسراء من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى بالشام ، فقد اختلفت هذه الاراء في كل ما يتعلق به ، في سنته .. وشهره .. وليلته .. وفي وصف البراق « راحلة الاسراء » .. وفي مكان اجتماع الرسول بالانبياء .. وهل

كانت امامته لهم بالروح ، ام بالجسد ، ام بهما معاً ؟ ..

وامتد الخلاف كذلك الى المعراج ، فاختلفوا في المرقاة « مصعد العروج الى السماء » ، وهل كان المعراج بالروح ، ام بالجسد ، ام بهما معا ؟

اختلفت الآراء حول كل ما يتعلق بحادث الاسراء والمعراج ، واورد كل فريق الادلة التي تؤيد رأيه ، وكان من كثرة ما قيل في هذا ، ان وقف المرء حائرا وسط كل هذه الآراء المتعددة المختلفة ، ماذا يأخذ .. وماذا يدع ؟!

ثبوت الاسراء والمعراج :

اما اصل الاسراء والمعراج : فلم يختلف فيه احد ، اذ انه بدليل القرآن الكريم ، فعن الاسراء ورد قول الله عز وجل (**سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**) الاسراء / ١

وعن المعراج ورد قول الله تعالى (**ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**) النجم /١٣ ـ ١٨

لماذا لم يهتم السلف بالتواريخ ؟:

والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم اجمعين ، لم يهتموا بتسجيل تواريخ الاحداث ، ولم يعنوا بزمانها او مكانها ، لانهم كانوا يؤمنون بان الازمنة والامكنة ، هي اوعية فقط للاحداث ، وانه لا داعي للتعلق بالأزمنة أو الأمكنة ، والعمل على احيائها ، وتفضيل احداث على غيرها ، وإحياء ليال من الاشهر الحرم دون اخرى منها ، وإنما كانوا ينظرون الى العبرة المستوحاة من الأحداث ، ويستفيدون منها بالنتائج فقط .

هكذا كانت نظرتهم الى الاسراء والمعراج .. نظرة نابعة من اتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانوا ينظرون الى باقي الأحداث الاسلامية ، فلم ينهجوا نهجنا فيها ، بالعبادة والاحياء ، نحييها مرة في العام باحتفالات مادية ، وننساها طوال العام .

ولو كان للازمنة أو الأمكنة تقدير في نظر السلف الصالح ، لكان غار حراء ، الذي نزل الوحي فيه ، قد اخذ من اهتمامهم الشيء الكثير ، ولقصدوه بالذكر والاحياء ، ولاهتموا ايضا بحرارة بأحداث اخرى وقعت في عصورهم ، وكان فيها انتصار للاسلام ، وكانت علامات بارزة في تاريخه ، كغزوة بدر وشجرة الرضوان وفي شأن غار حراء يقول الامام الجليل ابن تيمية رضى الله عنه « ... بل غار حراء الذي ابتدئ فيه نزول الوحي ، واليوم الذي انزل فيه الوحي ، لم يخص واحد منها بعبادة ، ولا بغيرها ، ولم يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا احد

من اصحابه بعد النبوة ، مدة مقامه بمكة .. »

ايحاءات الاسراء والمعراج :

إن حادث الاسراء والمعراج يوحي بمعان جميلة طيبة فهو يوحي بأنه تكريم من الله عز وجل لنبيه الكريم ، ورفع لدرجته ، وإعلاء لمقامه ، بعد ان خذله اهل الطائف ، وطاردوه حتى خارج بلدتهم ، حين ذهب اليهم طالبا نصرتهم .

وهو تثبيت لقلبه ، وتطمين لنفسه ، وتقوية لروحه ، بأنه فوق أعدائه ، ومنصور عليهم في نهاية الأمر .

وهو اعداد للرسول لرحلة الهجرة الشاقة من مكة الى المدينة ورحلته الطويلة في سبيل الله ، ومن اجل اعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، وكسر شوكة الباطل والوثنية .

وهو تذكير للمسلمين بمنة الصلاة الكبرى ، التي خلعها الله تعالى على نبيه وامته .. هذه الصلاة التي خص الله بها امة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكرمها بها ، ليتشرفوا بالصحبة الالهية خمس مرات في اليوم والليلة .

وهو تذكير للمسلمين ، بربط مهابط الوحي ، الاول : الذي تلقاه ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل ، والثاني : الذي تلقاه موسى وعيسى بالقدس ، ذلك لأن هذه المهابط ، هي مهابط لرسالات واحدة ـ وان اختلفت في فروعها ، وازمنتها ، وان تعددت رسلها ـ هي مهابط لرسالات واحدة في غايتها .. واصولها .. ودعوتها ، فهي دعوة للناس جميعا الى توحيد الله عز وجل ، واتباع كلمته ، والسير على نهج شريعته « شريعة الحق والعدل والفضيلة ، والى نبذ عبادة غير الله ، ومحاربة الفساد والظلم والشرور .

فالاسراء والمعراج ـ اذن ـ يذكرنا بكل هذه المعاني الجميلة ، ويوحي لنا بكل هذه الصور المشرقة .

لقد تمثل الصحابة والتابعون ، رضوان الله عليهم ، كل هذه المعاني الطيبة امامهم ، وعاشوا في كل هذه الايحاءات ، فكانوا خير امة اخرجت للناس ، كما شهد لهم ربهم ، ووصفهم في القرآن بقوله : **(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)** آل عمران / ١١٠

الجانب الحقيقي للاسراء والمعراج :

اذا كنا نريد ان ننتفع بهذه المعاني الجميلة ، ونحيا في ظل هذه الايحاءات الطيبة ، كما فعل سلفنا الصالح ، فجدير بنا ان ندرك الجانب الحقيقي للاسراء والمعراج ، لننتفع به ... يجب ان نعيش مع هذا الحادث بقلوبنا .. في كل اوقاتنا ، وان نسترشد في ذلك بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بما ألفناه من عادات وتقاليد مادية موروثة .. نحتفل بالذكرى يوما أو يومين .. ثم تجف الذكرى وتنقضي بانقضاء أيامها ..



الوسط في الإسلام

محمد مؤذن

للاستاذ / عمر الراكشي

في هذا العصر المادي اجترفت الانسان ماديات عديدة ، فانحرفت به الى الوان من المتاع متفرقة ، فرضتها ادوات العصر وعلومه ، وسخر اهل الشر كثيرا من اختراعات العلم لفتنة الناس وصرفهم عن مجالات الخير والبر .

وقد تعجب يا اخي المسلم اذا عرفت ان الاسلام حسم الاجابة عن تساؤل قد يطرحه المسلم على نفسه : ماذا آخذ وماذا أدع من متاع هذه الحياة ، والى أي مدى أشغل نفسي بهذه الأطايب والملذات .

سؤال قد يطرحه المسلم على نفسه وهو مبهور فاغر فاه أمام مظاهر الترف والنعمة والتسلية التي لا يساء استخدامها .

ولتعلم يا اخي المسلم الانسان ، أن اجابة الاسلام على هذا السؤال هي اجابة تصلح لكل زمان ولكل مكان ، مهما كان شكل النعمة وحجم المتاع وأداة التسلية ، وهي اجابة لن تجدها بهذا التفصيل وبهذا الاطراد والتواتر في سائر الأديان .

مزج بين الجسد والروح

كلنا يعلم أن الانسان خلق من مزج رائع ورقيق بين الجسد والروح ، وتوازن ناصع ودقيق بين الماديات والمعنويات ، فلم يدع الاسلام بابا تطغى منه مطالب الجسد على مطالب الروح ، كما لم يأذن أن تجور الروحانية في رهبانية عرفتها غيره من الأديان . ومن هنا يقول عز من قائل : (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**) التين / ٤ .

وقد وردت الاشارة الى خلق الانسان من طين وروح أو من جسد وروح في آيات عديدة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون / ١٢ ــ ١٤ .

وفي سورة السجدة : (**ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**)السجدة ٦ ــ ٩

واذا كان التوازن قائما في خلق الانسان ، أي في الموازنة بين جسده وروحه ، فان التوازن ايضا قائم ومطلوب كترجمة عملية في التطبيق لدى تلبية حاجاتهما ، وهو المبدأ الذي نستخلصه من كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

غاية خلق الانسان :

وغير خاف أن غاية خلق الانسان

والجان ، هو عبادة الرحمن ، وتعمير الأرض بالخير والسلام : **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** الذاريات / ٥٦ .

فعبادة الله هي المبتغى الاول من وراء خلق الانسان والجان ، ثم السعي في سبيل الرزق بالحلال وتعمير الوجود بالخير والسلام : **(وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص / ٧٧ .

فما هو مقدار هذا النصيب من الدنيا ؟ سؤال نجيب عليه في الفقرة بعد التالية .

متاع الدنيا :

بادىء ذي بدء يتعين علينا أن نسلم بأن متاع الدنيا وإن كثر قليل ، وهو وإن تعدد وتنوع ضئيل ، سريع زائل بعد حين ، تقول الآيات البينات : **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد)** آل عمران / ١٤ ، ١٥ .

: **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا)** الكهف / ٤٦ .

: **(واعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)** الحديد / ٢٠ .

من هذه الآيات الكريمات يتضح ان متاع الدنيا قليل وان نعيم الآخرة افضل واخلد .

ويبقى التساؤل قائما : فاذا كان القرآن الكريم أمر المسلم بألا ينسى نصيبه من الدنيا ، واذا كانت السنة النبوية الشريفة تقول من بعده : « ما الدنيا في الآخرة الا مثلما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع » (رواه مسلم) ، فما هو مقدار ذلك النصيب من الدنيا الذي للمسلم أن يشغل به نفسه .

مقدار النصيب من متاع الدنيا :

اولا - في القرآن :

ويجيب القرآن الكريم بأن للمسلم ان يترخص في هذا النصيب من الدنيا بقسط معتدل ، وقدر متوازن مع مطالب الجسد ومطالب الروح ، أي بنصيب متوسط بين التبذير والتقتير ، وبين الافراط والتفريط ، وبين اقصى اليمين واقصى الشمال ، فان صراط الله دائما مستقيم ، ومصداق ذلك

تجده يا أخي المسلم في عديد من آيات الله البينات : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)** الاعراف / ٣١ : **(ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين)** ٢٦ ، ٢٧ / الاسراء : **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)** الاسراء / ٢٩ .

: **(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** الفرقان / ٦٧ ، أي كان انفاقهم بين الاسراف والتقتير معتدلا مقسطا .

ومصداق ذلك المعيار نجده ايضا في غير مجال التمتع بنعم الله الدنيوية حيث يقول تبارك وتعالى : **(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)** الاسراء / ١١٠ .

وحكمة ذلك الاختيار الالهي لهذا القدر المعتدل المتوسط من التنعم بالدنيا ، هي الا يغرق المرء نفسه في ملاذها وشهواتها فيطغى جانب الجسد على جانب الروح ويختل التوازن المنشود بينهما والمفصل بيانه في صدر هذا المقال ، فالله سبحانه وتعالى لم يحرم زينته في الأرض على بني آدم ولكن دعاهم الى ان ينالوا منها بقدر واعتدال .

ثانيا ـ في السنة :

واذا كان دأب السنة النبوية الشريفة ان تشرح نصوص الدين الحنيف وآياته بالقول وبالفعل ، فلنطوف معا على رياض هذه السنة نقتطف من ازاهيرها ما يلقي مزيدا من الضوء على ما نقلناه من كتاب الله من آيات تقنن ذلك المعيار الدنيوي المتوسط وتشرعه ، فنرى الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ينكر على رجل يعتزل النساء ، وعلى آخر يصوم الدهر كله ، وعلى ثالث يقوم الليل كله ، ينكر على هؤلاء جميعا فعل كل منهم ويوضح لهم انه بشر رسول ، يتزوج النساء ، ويصوم ويفطر ، ويصلي ويهجع .

وفي مجال الرزق : وتقسيم الأموال بين العباد وسعيهم وراءها ، يقول تبارك وتعالى : **(قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** سبأ / ٣٦ .

ويبين الرسول عليه افضل الصلاة والسلام حدود ومنهاج سعي المسلم طلبا للرزق ، والضوابط الاسلامية الرائعة له في جوامع من الكلم خالدة بقوله :

(لا شيء يقربكم من الجنة الا وقد دللتكم عليه ، ولا شيء يباعدكم عن النار الا وقد نهيتكم عنه ، ان روح القدس قد نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته ، فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته ، وإن لكل

امرىء رزقا هو آتيه لا محالة ، فمن رضى به بورك له فيه فوسعه ، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه ، إن الرزق يطلب الرجل كما يطلبه أجله » رواه ابن ماجة والحاكم عن جابر .

هكذا يعلمنا الأدب النبوي الشريف كيف يكون سعي المسلم وراء المال في دنياه ، يكون بالعفة وبالوسائل المشروعة فان رزقه سوف يأتيه كما قدره الله وحدده ، كثيرا كان ام قليلا ، وعلى المرء ان يسعى ويأخذ بالأسباب ثم يرضى بما يرزقه به الله من مال حتى يبارك له فيه فيكفيه : « فخير الكسب كسب يد العامل اذا نصح » . اي اذا اخلص في عمله – عن ابي هريرة . رواه احمد .

فمن آمن وعبد وعمل صالحا وعمر دنياه بالخير ، ثم سعى في سبيل رزقه بالحلال ، ثم رضي بما آتاه الله من فضله ، فقد سعد جسدا ونفسا وروحا ، اما من انكب على وجهه يعب من ملاذ الدنيا ومغرياتها كأن لم يخلق الله غيرها حياة ابقى واخلد ، فقد خسر دنياه وآخرته ، فمن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي طائعة ، ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، فلا يصبح الا فقيرا ولا يمسي الا فقيرا .

ويحذرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا فيقول : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخفلكم فيها فينظر كيف تعملون .. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » . رواه مسلم والنسائي عن ابي سعيد الخدري .

وفي مجال الطعام والأكل والشرب : تتضح « الوسطية » من الحديثين التاليين :

: « **ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، وإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » . عن المقدام ابن معد يكرب رواه الترمذي .

: « **كلوا وتصدقوا والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة** » . عن ابن عمرو رواه النسائي .

واعلم يا أخي المسلم ان القصد لا يعني القذارة واهمال المظهر الحسن الطيب وان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة » . عن سهل بن الحنظلية رواه احمد .

وفي مجال احتفالات العرس :

: « طعام يوم في العرس سنة ، وطعام يومين فضل ، وطعام ثلاثة ايام رياء وسمعة » عن ابن عباس رواه الطبراني .

وفي مجال التعبد :

تظهر « الوسطية » والاقساط في الحديثين التاليين :

: « اياكم والغلو في الدين ، فانما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين » . عن ابن عباس رواه النسائي .

: « ايها الناس عليكم بالقصد ، عليكم بالقصد ، فان الله لا يمل حتى تملوا » . عن جابر رواه ابن ماجه .

وفي مجال المهور : تقول السنة المطهرة :

: « خيرهن أيسرهن صداقا » . اي اقلهن مهرا . عن ابن عباس رواه الطبراني .

وفي مجال التخاصم :

: « لا يحل لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . عن ابي ايوب الانصاري رواه ابو داود .

وفي هذا الحديث نهى عن الا يغالي في الخصومة والهجر بين الاخلاء المسلمين ونهى عن اللدد في الخصام .

وفي مجال الحداد :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا » عن ام حبيبة بنت ابي سفيان . رواه البخاري .

ويجمع معاني الاحاديث المتقدمة الحديث الشريف الآتي :

« الاقتصاد في النفقة نصف العيش ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم » عن عمر رواه احمد .

ولا يتسع المجال لمزيد من الاستطراد في ضرب أمثلة « الوسط » او « الوسطية » من السنة المشرفة .

جزاء الغارق في ملذات دنياه :

ومن أغرق نفسه في ملذات الدنيا وشهواتها ، مخالفا مبدأ « الوسط » الذي أقره الاسلام في القرآن والسنة ، ناسيا متناسيا غاية خلقه ووجوده على هذه الارض ، فليقرأ قوله تعالى في سورة الاسراء ليعلم عقاب المخالفة والجزاء :

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) الاسراء / ١٨ ــ ٢١ .

تأمل معي يا اخي المسلم وصف الحق جل وعلا للدنيا بأنها عاجلة ، للدلالة على قصر زمن وزوال اطايبها ، ثم انظر مصير من اختار العاجلة ، ومصير من اختار الآخرة وهو مؤمن وسعى لها حق السعي ، فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .

حقا : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا)** الاسراء / ٩ .

جعلنا الله واياكم ممن لهم تلك الأجر .



أطياف



وقف الكهول يرقبون الأفق بعين الأسى والضراعة ، وألقى الرعاة بهراواتهم يأسا من السعي ، وبحثا عن الكلأ المباح ، وتناثرت بعض السائمة تدرج في بطء وإعياء ، علها تجد ما يعوضها من فضلات الطعام ، وانبطح بعض آخر على الأرض يجتر ما عساه يكون قد بقي في الأمعاء ، وزحف اليأس إلى قلوب الأمهات خوفا

على رواضعهم من نضوب اللبن ، وقلة الزاد ، وراح الشيوخ يستسقون الآلهة ويسترلون الكهنة ، وأخذ الشبان يروحون ويغدون كالسجاني يروحون عن أنفسهم بزرع السجن ذهبة وجيأة والكل لا تحيد وجوههم عن محراب السماء ، ينشدون

ويرقبون أقصى الأفق .

ثم أفزعهم طول الانتظار فذهب بعضهم إلى كاهنة ، وبعضهم إلى ساحرة ، وثالث إلى ضحية يسفك دمها تحت قدم (مناة) ورابع يركع في ظل (هبل) ضارعا متوسلا .

مر كعب بن لؤى بهذا الشتات من البشر لا تجمعهم عقيدة سليمة ولا شرعة صحيحة ، وأن الفت بينهم جميعا قسوة الطبيعة عليهم ، وربطت شدتها بين قلوبهم .. فصعد فوق الصفا ونادى يا معشر قريش :

فاستفاق الكل على صوت قوي مؤمن يبعث الرجاء ويحيي دارس الأمل ، ثم شخصوا صوبه في ضيق وقنوط ، فأخذ يدعوهم إلى الله كعادته في كل يوم جمعة ، ويستسقي بهم ،



الميلاد



للاستاذ عبد الحميد محمد المشهدي

ويسري عنهم ويبشرهم ، ويقول :
اما بعد : فاسمعوا وتعلموا .. وافهموا وعلموا ... ليل ساج .. ونهار ضاح .. والأرض مهاد .. والسماء بناء ... والجبال أوتاد ... والنجوم أعلام ، الدار أمامكم .. والظن غير ما تقولون .. حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم .

بعثت خطبة كعب بن لؤي أملا جديدا في هذه الجحافل اليائسة ، وأنستهم إرهاصات النبي العربي ما هم فيه من هم وكمد ، ثم ما لبثوا بعد ذلك أن سحت السماء عليهم مدرارا ، فشهقت الصدور بالفرح واستبدلوا الهم بالدعابة والمرح ، وذهبت هذه الخطبة انشودة تنتقل على الشفاه ، وفألا غامرا بالحيا والحياة .

سحابة ضخمة من تراب ، تمشي في غياهبها مئات المشاة والركبان ، يملأ ضوضاؤهم الوديان ، وتدق جلبتهم الاذان ، فترى بعضهم – من هزيمة شيعته – في هياج وغضب ، وترى آخرين – بانتصار جماعته – في سرور ولجب ، ثم اشتد الشجار ، وامتدت الأيدي إلى الرماح والسيوف ، فتداخل بينهم بعض الكماة فحقنوا مسيل الدماء ، ومنعوا وقوع البلاء ، وحاولوا إقناع المتشاجرين بأن الفوز في السباق وليد الاستعداد ، وثمرة التدريب وكثرة الارتياد ، وإن الخضوع للحق فضيلة ، والتمادي بالعناد مذمة

ورذيلة ، ثم تفاهم الكل على عرض الموقـف في ساحـة الكاهنـة (جراشع) ، فهي جديـرة بحـل المشكلات دون منازع ، فوافوها وهي مغمضة ساهمة ، أو متمتمة هائمة ، ثم انفرجـت شفتاهـا بعـد لأى وقالت :ـ

العزيز من والاه .. والذليل من عاداه ..

سفيان ـ لله أبوك .. من تذكرين ؟

جراشع ـ صاحـب هدى وعلـم . وبطش وحلم . وحرب وسلم .

سفيان ـ لله أبـوك .. من هو يا ترى ؟

جراشع ـ نبي مؤيد . قد أتي حين يوجد . ودنا أوان يولد . يبعث إلى الأحمر والأسود . بكتاب لا يفند . اسمه محمد .

سفيان ـ ليت شعري ـ أعربي هو أم عجمي ؟

جراشع ـ والسماء ذات العنـان . والشجر ذات الأفنان . إنه لمن معد بن عدنان .

***

وطال المقام بسـكان يثـرب في ظلمتين من فقر ويأس ، إزاء ما وصل إليه يهود المدينة من ثراء وسلطان نتيجة تحكمهم في زمـام الزراعـة والصناعة والتجارة ، حتى لم يبق في نفوس العرب مجال لصبر أو محل لأمل في مستقبل يغير وضع اليهود ، في سوء معاملتهم للعـرب ، فانتهـزوا فرصة زيارة (أبي كريب) تبع ملك اليمن ـ لمدينتهم ، وأنهوا إليـه ـ كملك عربي أبى ما يعانونه من جشع اليهود واستبدادهـم فأرسـل الملك يستدعي أحبارهم ورؤساءهـم إلى خيمته ، وقد امتلأت نفسه بكل ما يحفظه عليهم .

وما طلعت شمس الصباح ، حتى كان وفـد من اليهـود في ثيابهـم المخططـة ، ولحاهـم المستطيلـة ، وشعورهم المرسلة ـ في طريقهم إلى معسكر ملك اليمن ، وقد أخذوا بزمام قطـار من الأبـل يحمـل الطـرف والهدايا .. وهناك أمام خيمة العاهل الكبير وقفوا يسوون من ثيابهـم ، ويربطون على قلوبهم في انتظار الأذن لهم ، فألفوا الملك مضطجعـا على أريكته يطـل من فوديـه بصـيص المسك ، وقد نام على فخذه سيـف يلتوي كالأفعوان وبين كتفيه حراس سمر الوجوه كالرماح قدا ، والأسود مظهرا ، وجلست حاشيته وخاصته عن يمين وشمال ، وما كاد نظر الملك يقع على هذا الوفد ، حتى اعتـدل وصاح فيهم :ـ هذا أنتم ؟ .. والله لأسوين الأرض بكم ، ولأخضبنهـا بدمائكم ، ولأجعلن عالي منازلـكم سافلها ولأتركنكم مثلا للغابرين .

فزع الوفد من صوته ، وارتعشت أيديهم لحدته ، فطأطأوا رؤوسهـم لغضبه حتى كأنهم ينتظرون سيف الجلاد في صبر واستسلام .

ثم جمع الحبر (شريح) شجاعته وتقدم نحو العاهل خطوة وأخـرى وقال :ـ

حفظ الله الملك ، فانه أجل من أن يستخفه غضبه ، أو تنسيه الوشاية أناته ، أو يضيق بنا حلمه ، أو يخرم

صفحه ، وهذه البلد التي بيت لها من بيتوا مهجر نبي عربي .

حاشية الملك في فرح ـ نبي عربي ؟ .

شريح ـ نعم نبي عربي منكم يبعث بدين ابراهيم عليه السلام .

رئيس الحاشية زه (زدنا)

فانشد شريح يقول :ـ

شهدت على احمد انه
نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه
وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور
وأمته هي خير الأمم

ثم طأطأ شريح رأسه ، وراح يغالب عبرة تجول في محاجره وكادت تغلبه . لولا أن بادره تبع اليمن بقوله وهل نشيجك هذا حنين الى هذا النبي المنتظر ، أو رعب من سوء المصير ينتظرك ومن ورائك من بني جنسك لسوء ما تقومون به نحو أبناء عمومتنا من شره وطمع وظلم وجشع .

● شريح ـ لا وحق الملك ، ما نشيجي رعبا ولا فزعا ، ولكن لأن في إبادتنا وتخريب منازلنا ـ هدم لما جاءت به التوراة وما نعتقده من ظهور النبي العربي الذي يبعث رحمة للعالمين ، ولقد انشدت فيه ملحمة طويلة ضمنتها ما جاء في التوراة في صفاته ، اذكر منها ما يحضرني الآن ، اذا سمح مولاي الملك ـ

● الملك ـ هات ما يحضرك ايها الحبر ما دامت في نبي عربي .

شريح ـ

ويأتي بعدهم رجل عظيم
نبي لا يرخص في الحرام
يسمى احمد ياليت أنى
اعمر بعد مبعثه بعام

ثم نشج باكيا وبكى معه بعض الاحبار والرهبان ولفيف من بطانة الملك ثم تقدم الحبر شاؤول ، وتبوأ مكان شريح وقال : ـ

مولاي الملك ، إن هذا البلد مهجر نبي من بني اسماعيل ، مولده بمكة ، واسمه أحمد وهذه دار هجرته ومثواه ، وإن منزلك هذا الذي أنت فيه ، سيكون فيه من قتلى أصحابه ـ امر عظيم .

تبع ـ ومن يقاتله وهو نبي ؟

شاؤول ـ قومه .. ينفسون عليه ويحقدون .

تبع ـ وأين قبره ؟

شاؤول ـ بهذا البلد .

تبع ـ واذا قوتل فلمن تكون النصرة ؟

شاؤول ـ تكون له مرة وعليه أخرى ، ثم تكون له العاقبة ، وسيظهر حتى لا ينازعه أحد .

تبع ـ وما صفته ؟

ـ إنه صاحب العمامة والهراوة .. جعد الشعر .. مفلج الأسنان .. صلت الجبين .. بين كتفيه خاتم النبوة على شكل بيضة الحمام ، ينبت فيه شعيرات وخيلان .

رئيس الحاشية ـ أرجو أن يسمح

الملك لبعض خدامه من الحاشية ـ في البقاء بهذه البلدة ، حتى ندرك هذا النبي أو يدركه أبناؤنا .

طأطأ الملك رأسه .. وساد المجلس صمت طويل عميق ثم اعتدل الملك وقال :ـ

إن فراقكم علي لعزيز ، ولكني احب لكم ما تحبون لانفسكم ، راجيا لكم طيب الاقامة ، ولكل منكم ألف دينار وجارية ، وإذا ظهر هذا النبي بينكم ـ فاذكروني عنده ، وابعثوا إلي بشأنه حتى أوافيه وأغسل عند قدميه .

***

هرعت قريش من أنديتها على نشيج حزين وبكاء مفزع ، فالفواعن بعد رجلا طويل القامة . عريض المنكبين كبير الهامة ، وقف بين (اساف ونائلة) حيث تنحر الضحايا . وتقدم القرابين ، في إحدى يديه مدية مرهفة ، وفي اليد الأخرى معصم شاب جميل الطلعة ، مشرق المحيا ، هادىء النفس .. فنفروا نحوه مثنى وجماعات ، وما اقتربوا منه حتى عرفوا فيه سمة عبد المطلب ابن هاشم ولمحوا في وجه الضحية المنتظرة إشراقة ولده عبد الله .. انضر اولاده جمالا ، واصغرهم سنا ، واسمقهم عودا ، واحفلهم صحة وشبابا فابتدره المغيرة بن مخزوم .

ـ ما الذي تصنع يا ابن هاشم ؟

عبد المطلب ـ أزمع التضحية بولدي هذا قربانا للآلهة .

المغيرة ـ ولم ذلك ؟

عبد المطلب ـ لقد وقفت يوم زمزم بين عناد قريش ومساومتها فيما امرت به من حفرها ، ورأيت منهم روح الاستخفاف بقوتي ، والاستهانة بقلة انصاري ، فتمنيت على الآلهة الأماني ونذرت لهم نذرا : اذا بلغ عدد اولادي عشرة من الذكور ، وشارفوا سنا يمنعونني عندها من الناس ـ ان اضحي بأحدهم .. وهأنذا ابلغ منيتي . ويستجاب رجائي ، ولم يبق الا الوفاء بنذري ، وقد وقعت القرعة على اعز ابنائي علي وهو عبد الله .

المغيرة ـ وحق الآلهة لا تذبحه حتى تعذر فيه ، والا كانت سنة بين العرب ، فاذا أمكن فداؤه بالأموال افتديناه .

عبد المطلب ـ ولكن وقوع القرعة عليه دون إخوته ـ دليل على رضاء الآلهة به ضحية ووفاء .

المغيرة ـ وكذلك قبول البدل سيكون محل رضاء الآلهة ، فها نحتكم إلى كاهنة (خيبر) لترى رأيها في ذلك .

عادوا من لدن الكاهنة ثم عرضوا رأيها على كاهن هبل فراح يبدي ويعيد ويهمهم ويتمتم ، ثم وقف بين الناس وأعلن رضاء (هبل) عن فداء عبد الله بمائة ناقة تذبح وتترك لا يصد عنها إنس ولا وحش ولا طير فكانت الفرحة الغامرة والرضاء المسعد بين الجميع . والهتاف المدوى .. اعل هبل .. اعل هبل .

وشاء عبد المطلب ان يزيد من افراح بني عبد مناف ، فصحب عبد الله إلى دار وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة ، يطلب له يد آمنة بنت وهب .. وكانت عملية الاستعداد

لذبح عبد الله قد طافت أنباؤها بمكة والطائف وما بينهما ، وشدت انتباه الجميع إليه غدوا ورواحا ، وكان له من سمهرية العود . ونهاد الصدر . وجمال الوجه وجلال الطلعة . ومجافاة المجانة ـ ما زاد من شهرته ، واشعل في صدور الغواني نار حبه والترامي عليه ، فرحن يرمقنه بجفون ناعسة . وعيون مريضة . ويخلقن الأسباب للتحدث إليه ، كلما مر بحي بني زهرة بعد أن عرفن مواعيد غدوه ورواحه ، فقالت له إحداهن يوما .

يا مسرعا والناس من حوله
لم يأن لغاد رواح

فالتفت نحو الصوت الحاني ، فقالت الأخرى على البديهة .

يا مطرقا والأرض من حوله
يزينها حسن الوجوه الصباح

وما كاد يلتفت نحوها حتى بادرته الثالثة .

عرج علينا ساعة فعنـ
ـدنا ان شئت روح وراح

وقف عبد الله محاصرا بين الحسان الثلاث يشرقن بوجههن ، ويصدن بأهدابهن ، دون ان يدري من امرهن شيئا ، إلا ان تكون مؤامرة دبرت بليل ، ويأبى إلا أن يعرف سرها ونجواها ، فتحدث إليهن قائلا ما خطبكن ؟

فنظرت اليه عاتكة نظرة تدلل واغراء وقالت .. حيهل فستعرف خطبنا عند اللقاء .. ثم قفت عليها ام قتال وقالت : ومتى رخصت الاسرار حتى تنتشر في الطرقات على كل راغب ؟ .. الينا .. الينا .. ننبئك بنبأ عظيم .

فوقف عبد الله حائرا بين المضي إلى أهله ومطاوعة غريزة التطلع إلى ما وراء هذه الأنباء . فأدركن منه ترددا .. فأخذت فاطمة تكرر على مسمعه في صمت مسه الحب ونبرة شواها الحنان .

عرج علينا ساعة فعنـ
ـدنا إن شئت روح وراح

ثم اختلت فاطمة وصاحبتاها، ولم تكن الخلوة إلا رجاء دامعا .وتوسلا ضارعا ، في أن يدعنها وحدها مع عبد الله إرواء لظمئها . وإطفاء لشوقها ولهما بعد ذلك ما شئن منه .. ولم يلبث عبد الله ان رأى أمامه فاطمة وحدها في أجمل حلة وأبهر زينة علها تستطيع أن تثير فيه غريزته ولكنها لم تصب منه الا الجد المتجهم . والحزم الصارم . ولما لم ينفع معه هذا الاغراء جلست تحدثه .

ـ من أين وإلى أين ؟

ـ من الحرم إلى منزل الأصهار

ـ أصهار !!؟ وهل صاهرت ؟ ومن هؤلاء الأصهار ؟ وبمن بنيت ؟

ـ صاهرت وهب بن زهرة وبنيت بآمنة بنته .

آمنة ؟ يالها من مجدودة سعيدة .

ـ ولكن أما وقد دخلت يافتى دارنا .. فلا بد أن نصيب منك وتصيب منا شيئا .

عبد الله غاضبا .. شيئا ؟ وما هذا الشيء ؟

فاطمة تتراجع شيئا من قرى
عبد الله ـ لست ضيفا على هذا الحي .
فاطمة ـ ثم ماذا أنت صانع بعد الأعراس بآمنة ؟
عبد الله ـ لعلي راحل إلى الشام على رأس قافلة بني عبد المطلب .
فاطمة ـ لست يا فتى أهلا لمرارة الأسفار وضنك الاغتراب .. اقم عندنا ولك من المال ما تهوى وتحب .
عبد الله ـ في مقابل ماذا استولي على هذا المال ؟
فاطمة ـ للتمتع بوجهك الوضيء . وشعرك الفاحم . وقوامك السمهري . ثم زرفت دموعها . وقالت : نادمني يا فتى وتحدث إلي .. ففي وضاءتك ما يشعل صدري بنار الهوى وفي سواد جفونك ما يحز في نفسي حز المدى . وفي محياك ما اطاح بالكرى . وقرح مني الجفون .
عبد الله ـ لقد أعرست وكفى ..
فاطمة ـ وما ضرك لو اعرست مرة أخرى ؟
عبد الله ـ

فاطمة ـ وما ضرك لو اعرست مرة أخرى ؟
عبد الله ـ

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه
يحمى الكريم عرضه ودينه

*** * ***

جلست آمنة بنت وهب ـ في بيتها وحولها الكثيرات يتحدثن فيما سوف يعود به عبد الله من أزياء الشام وعطورها وحلواها وما يحمله من وصف انهارها وحدائقها وقصورها وجناها ، وهن فرحات مرحات ، الا ما كان من امر سيدة لاذت بالصمت وتظاهرت بالاحتشام ولم تكن هذه السيدة الا (سمراء) زوجة عبد المطلب وأم الحارث الذي توفى منذ زمن بعيد ، وانها بذلك ثكلى قد خف حزنها عليه على مر السنين وبقى منه صمت واطراق غير ان مرح الحاضرات بقرب وصول قافلة عبد الله أثار حزنها القديم على ولدها الذي كانت ترجو حياته ليكون بين القادمين يحمل خير الشام وأرباح التجارة .

جلست سمراء الى جانب آمنة تلح عليها ألا تكثر من الحركة لأن في بطنها جنينا فتقول لها آمنة : واعجبي من امر هذا الجنين ، فالنساء يحملن فيصبن في الاشهر الاولى بالغثيان ثم بالبهر والثقل والألم ، بينما لم تمر بي هذه الأعراض ، فهل انا واهمة ؟ غير اني رأيت في منامي نورا يخرج مني فأضاء لي قصور بصرى والشام ، ثم رأيت مرة أخرى هاتفا في منامي يقول : يا آمنة .. لقد حملت بسيد ـ هذه الامة ، فاذا وقع على الارض فقولي : **أعيذك بالواحد من كل شيطان مارد ، وعين كل انسان حاسد ثم سميه محمدا .. فاخذت سمراء بمعصم آمنة وضغطت عليه بشدة ، وقالت : لا تحدثي أحدا بذلك حتى لا ينفس عليك ما حباك الله به** .

وبينما كانت آمنة وسمراء تتجاذبان أطراف الحديث ـ كان خيال (هالة) أم عبد الله يستعرض ما مر بولدها خلال اسفاره المضنية من رعاية القافلة وتوفير الميرة والماء لها ، وتسويق ما معه وما هو بحاجة اليه استثمارا للمال وتكثيرا للربح ، كما كانت تستعرض ما ستكون عليه آمنة من مشاعر الفرح والسرور ، ثم ما تكون عليه مشاعر عبد الله حين يرى زوجه الحبيبة لاول مرة بعد سفره الطويل ، وحين يعلم انه اصبح والدا لاول مرة في حياته ، ثم قطعت عليها ـ حبل تصوراتها ـ همسات من الحاضرات ، وشهقات دون وعي وانسحاب مكتئب ، ثم علمت ان القافلة وافت مشارف مكة وان عبد الله تخلف عنها لمرضه ، وحاولت (هالة) أن تتكتم ما علمته حفاظا على مشاعر آمنة ، ولكن هيهات للألسن أن تستطيع التحفظ على مثل هذه الانباء فانفجرت باكية ، وضاقت الدنيا امامها واسلمت رأسها لصدر (سمراء) التي طوقتها بحنانها وراحت تقول : لها : لا عليك يا بنية .. لا عليك .. فعبد الله سليم معاف وسيعود في القريب .

ثم اطلت (سمراء) من النافذة فوقع نظرها على (مربد بن خزيمة) فنادته وخلت به وكان محرما لها وسألته عن انباء عبد الله فقال لها في صوت خافت .

يا عمة ان عبد الله مريض ولكنه لن يعيش طويلا لقد تركناه في يثرب عند اخواله من بني النجار ، وكان جسده كجمرة متقدة بنار الحمى وكأني ارى قبره الان على بعد الشقة بيننا .

سمراء ـ قبره أهو مات ؟

مربد : لم يمت ولكن حاله لا يبشر بخير .

* * *

استيقظ عبد المطلب بن هاشم على قرع بابه الكبير يدوي صداه في هجعة الليل وسكونه ، فظنه طنين رؤيا ثم عاد الطارق يدق الباب مرة اخرى ، حتى بلغ آذان النائمين فنهض عبد المطلب من فراشه ، وأطل من نافذته وعرف أن الطارق هو (فاره) خادم بني وهب وأنه لا بد وأن يكون هناك من الأحداث ما يدعو إلى إيقاظه في مثل هذه الساعة ، وماذا عساه يحدث بعد أن مات ولدي عبد الله ، إلا أن تكون آمنة قد وضعت وهذا شهرها .. لعل هذا أو بعضه ـ ما كان يدور في خلد عبد المطلب وهو في طريقه الى حي بني وهب ، وما هي الا لحظات حتى كان في منزل أصهاره . تستقبله أعراف فوق المسك طيبا ، والعنبر شذى وسهام انوار لم تقو عينه على إشعاعها لا يدري مبعثها ولا أين منتهاها ، فأيقن أنه رجاء موعود ، وآيات مولود غير أنه وجد آمنة كعادتها هدوءا ورضاء وبسمة وضياء ، فلا شحوب ولا دماء . ولا بهر ولا إعياء فكاد ينكر ظنه ويتجاهل حدسه ، لولا أن رأى في زاوية المكان نورا ينبعث من خلف غلالة رقيقة ، كما ينبعث نور القمر من خلال سحاب

شفاف ، فأقبل عليه وحمله وقبله ثم لفه في غلالاته ، وحمله وخرج به إلى الكعبة يطوف به تبركا وهو يرتجز :

الحمد لله الذي اعطاني
هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان
اعيذه بالبيت ذي الاركان
حتى أراه بالغ البنيان
اعيذه من شر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان

تكشف وجه الصباح عن وافدات البوادي يحملهن رواحل هزيلة عجفاء يسرن صوب مكة في بطء السلحفاة وبينهن امرأة يحملها اتان ويقود زوجها شارفا وكلهم ضامر ونحيل ، فتوافدت عليهن الأمهات تقدم كل واحدة رضيعا الى مرضعات البادية ، ومعهن الطرف والهدايا واجور الأرضاع ، فأقبلت الوافدات عليهن يتعارفن ويتجاملن ويستقبلن الرواضع في جذل وسرور ، ويتناولن من الطعام والهدايا ما يسد الرمق ، ويخفف آلام الجوع .. اللهم الا ما كان من أمر امرأتين : احداهما لم تصب رضيعا ، والثانية تتهيب التقدم نحو المرضعة لقلة ما تحمل من الهدايا واجر الارضاع ، ثم سعت المرضعة تقول لزوجها .

– اني اكره ان اعود دون صويحباتي بلا رضيع وسأذهب الى هذه الأم اسألها شأنها وتحذرها فقيل لها : إنه يتيم وفقير .

حليمه – في حزن – أفقير ويتيم ؟ هاته لعل الله يجعل لنا منه بركة ، ثم كشفت عن غلالة وجهه – فشهقت وصاحت بالعناية السماء .. انه لملك كريم ، ما رأيت مثل هذا الوجه على جسد مولود ، واقبلت عليه بثديها فشرب .. ثم اعطته الثاني فسمع بكاء اخيه من الرضاع ، فعف عن اللبن حتى يرضع اخوه ثم تلفتت عن يمين وشمال وقالت لزوجها .

– واين صويحباتي من نساء بني سعد ؟

الحارث – لقد رحلن برواضعهن فرحات موفورات .

حليمة – هيا لنلحق بهن .

الحارث – وانى لنا بذلك وهذا أتاننا وشارفنا هزيلان نحيلان من وطأة الجوع .

حليمة – مسرورة – انظر .. هذه ناقتنا قد انتفخ درها باللبن ، وهذا ثديي يتفصد بما فيه من خير بعد ان شرب منه الرضيع المبارك ، فلعل الذي فجر اللبن – يخلق من البطء سرعة ، ومن الضعف قوة .

الحارث – صدقت اني لأشعر يا حليمة اننا قد حملنا نسمة مباركة واننا سنرزق به .

وما هي الا سويعات حتى كانت حليمة ومن معها في مقدمة ركب بني سعد ، وانها تحاول اثناء أتانها حتى لا يتخلف الركب عنها ، والكل في دهشة لما يرون من سرعة الأتان والشارف ، وما ان حطوا رحالهم حول الخيام ، حتى هطلت الأمطار وازداد الأدرار ، ثم نبت الكلأ ، وفاض الخير لعدة سنين فوق الأرض

التي وطئتها أقدام الغلام المبارك الكريم .

هاهم بنو سعد يتزاحفون ، في خيلهم ، رجالهم ونساؤهم ، وامامهم عبد الله بن الحرث طفلا صغيرا ممتقع اللون ، لاهث الأنفاس ، وامه حليمة خلفه تولول وتقول .
يا يتيماه يا حبيباه ، حتى وقفوا فجأة امام محمد الصغير شاحب الوجه مرتجف الجسم ، فهوت عليه تضمه الى صدرها في حنو وقوة ، ولا ترفعه عن صدرها الا لتقبله ثم تبكي بدموع الحنان والفرح بنجاته ، وتقول : لا زلت حيا بعد كل هذا يا حبيباه بأبي انت وأمي وأبنائي ، حدثني ما دهاك من هذا الرهط الذي اختطفك .

الغلام المبارك ــ بينما كنت مع اصحابي ، اذ أتاني ثلاثة رهط فأضجعوني على الارض ضجعا لطيفا ثم شق احدهم ما بين مفرق صدري الى ما بعد سرتي ، بينما انظر اليهم لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشائي فغسلها بالثلج فاحسن غسلها ثم اخرج قلبي فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها يمنة كأنه يتناول شيئا ، فاذا بخاتم في يده من نور فختم قلبي ، ثم اعاده مكانه ثم قال احدهم لصاحبه تنح عني فمر بيده على موضع الشق فالتأم ، ثم اخذ بيدي فأنهضني انهاضا لطيفا .

الحارث ــ اخشى ان يكون غلامنا قد اصيب .

حليمة ــ وماذا ترى ؟

الحارث ــ ان نلحقه بأهله ، لقد رأيت الغمامة وهي تظله ذهبة وجيأة ، ورأيت احبار اليهود يتنطسون أخباره ، وسمعت ما فعله الرهط به ، واني لأخوف ما اكون عليه .

ــ اردفت حليمة الغلام المبارك فوق أتانها في الطريق به الى مكة ، وكلما دنت منها اشتد الزحام ــ وهي بين كل هذا ساهمة حزينة لقرب فراقها لمحمد الغلام المبارك ، ثم تفقدته فجأة فلم تجده فنزلت عن اتانها تجري هنا وهناك تولول وتقول :ــ

اللهم ادراكبي محمدا
اده الى واصطنع عندي يدا
انت الذي جعلته لي عضدا
لا يبعد الدهر به فيبعدا
انت الذي سميته محمدا



دخل عليه حارسه يستأذن لوفد قريش ، فاعتدل من ضجعته واذن ، فوقف عبد المطلب خطيبا مهنئا بانتصار الملك العربي سيف بن ذي يزن على جيش الأحباش ، فشكره الملك واستبقاه شهرا في ضيافته ثم اغلق الأبواب واستدعاه الملك اليه واجلسه على عرشه ، وقال له :ــ

يا عبد المطلب اني مفض اليك بأمر

لو يكون غيرك لم ابح به ، ولكني رأيتك موضعه واطلعتك مطلعه ، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ امره .. اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون خبرا عظيما وخطرا جسيما .

عبد المطلب ـ مثلك ايها الملك من سروبر ، فما هو فداك اهل الوبر والحضر زمرا بعد زمر .
سيف ـ اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الأمامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة .
عبد المطلب ـ لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك واكرامه ، ومحبته واعظامه ، لسألته مزيدا من هذه البشارة .
سيف ـ هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد .. يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه .. قد وجدناه مرارا والله باعثه جهارا .. وجاعل له منا انصارا ، يعز بهم اولياءه ، ويذل بهم اعداءه .
عبد المطلب ـ ايها الملك عزّ جدك ، وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل تخبرني بافصاح بعد هذا الايضاح .
سيف ـ والبيت ذي الحجب ، والعلامات والنصب ، انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب .
عبد المطلب ـ يخر ساجدا .
سيف ـ ارفع رأسك ثلج صدرك . وعلا امرك . فهل احسست شيئا مما ذكرته لك .
عبد المطلب ـ ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه مشفقا حدبا . زوجته كريمة من كرائم قومه اسمها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة وفيه كل ما ذكرت من علامة . وسميته محمدا . مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه .
سيف ـ الأمر ما قلت فاحتفظ بابنك . واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء . ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . فاطو ما ذكرت عن هذا الرهط الذي معك . فاني لا آمن من ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لهم الرياسة . فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل . ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار مهاجره . ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه العاهات . لأعلنت امره على حداثة سنه . وأوطأت أقدام العرب عقبه .

ثم امر الملك لكل واحد ممن معه بعشرة اعبد وعشر اماء سود وخمسة ارطال فضة ، وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوء عنبرا . وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك .

ثم عاد وفد قريش الى مكة وقال عبد المطلب لأصحابه قبل ان يغادرهم لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فانه الى النفاد ولكن ليغبطني بمن سيبقى لي ذكره ، ويسود بين الناس امره .
امية ـ وما هذا يا عبد المطلب
عبد المطلب ـ سيظهر وستعرفونه بعد حين .

في ذكرى الإسراء والمعراج

للاستاذ : عبد الغني احمد ناجي

سبحان من اسرى بخير المرسلين
من بعد ما لقيت خديجة ربها
واشتد ناب الكفر في بث الأذى
لم يرض رب العرش ترك حبيبه
نادى الاله حبيبه في ليلة
نادى الاله حبيبه ، وصفه
سمع الاله أنينه ودعاءه
جازاه بالاسراء أسمى منحة
الأنبياء جميعهم صلى بهم
صعد السموات العلا معراجه
هو خاتم ، هو رحمة ، هو نعمة
لم يدع مثل الأنبياء من الأذى
من رحلة الأنوار عاد محمد
طلع النبي على الورى بنبوءة
نجح الألى قد صدقوا خبر السما
ملأ اليقين نفوسهم وقلوبهم
أما الذين قلوبهم قد أغلقت
ضربوا الأكف تحيرا ، ولجاجة
حسبوا الذي أسرى به هو مثلهم
إن الذي أسرى به هو ربهم
هو موجد الأحياء تسعى في الدنا
في الصخرة الصماء تحيا دودة
من ذا الذي اعطى العقول بعصرنا
سفن الفضاء بعصرنا قد طوفت
أفيعجز المولى عن الاسراء ، قد
فلنعتقد أن الذي أسرى به
ولندع رب الخلق أن يهب العرو

اسرى به في صحبة الروح الأمين
ومضى الحمام بعمه في الراحلين
لمحمد والمسلمين الأولين
من غير تسرية تصد المشركين
فاقت بهذا الدهر آلاف السنين
ليرى من الآيات ما يمحو الأنين
رب اهد قومي ، إنهم لا يعلمون
لم يعطها من قبله للمرسلين
رمزاً لختم الأنبياء السابقين
فدنا من الأنوار ، والعرش المكين
وهداية للحائرين المدلجين
لم يطلب الاهلاك للمتجبرين
معه الصلاة طهارة للمسلمين
الاسراء والمعراج يمتحن اليقين
ء وأذعنوا لله ، والحق المبين
تركوا المراء ، وفرية المتكبرين
دون الهدى فلهم عناد المفترين
قد أذهل الاسراء عقلا لا يلين
فتعجبوا من معجزات المرسلين
هو خالق الأكوان رب العالمين
هو خالق الانسان من ماء وطين
من ذا الذي منح الحياة لذا الدفين ؟
هذا الذكاء لكشف مخبوء السنين ؟
وغزت عنان الكون بالعقل الفطين
خسر الذي مارى بعقل المنكرين
هو خالق الأكوان ، رب العالمين
بة وحدة الأهداف والصف المتين

معاول علميّة في جدار المادّيّة

للدكتور : عماد الدين خليل

المنعطف الخطير

لقد جاءت محاولات تفسير الكهرباء والضوء منعطفاً خطيراً في تاريخ الحركة العلمية .. لقد استعصت طبيعة الكهرباء على الفهم ، رغم المحاولات المضنية التي قادت جميعها الى حقيقة « أن كل ما نعرفه عن الكهرباء هي الطريقة التي تؤثر بها في أدواتنا القياسية . والوصف المضبوط لسلوك الكهرباء على هذه الشاكلة يعطينا مواصفاتها الرياضية cations mahematical specifi وهذا بحق كل ما نعرفه عنها » .

الأوصاف وليس الماهيات .. هذا كل ما هنالك .. بمعنى اخر ، أن العلماء الكبار لا يزالون يقفون على الأعتاب ، ولم يفتحوا بعد الباب .. تمكنوا من الالمام بجوانب من تاثيرات الكهرباء ومؤشرات عملها .. أما هي .. كنهها .. تركيبها .. ماهيتها .. فلا يدري احد شيئا .. ومن عجب انهم ، وهم يقفون على الباب ، استخرجوا من الكهرباء هذه المنجزات التقنية العظيمة .. فكيف لو عرفوا الماهية نفسها ، ماذا هم صانعون حقا ؟

إن في الكون لطاقات مذخورة

هائلة ليست الكهرباء والذرة سوى مؤشرين عليها فحسب ، وإن على الانسان ان يحث خطاه الى مزيد من التنقيب والكشف .. وإن من يقرأ المقطع الخاص بتسخير الطاقات الطبيعية لسليمان ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم ، (سورة سبأ ، الآيات من ١٠ ـ١٤) سيعرف كيف أن هذا التسخير كان بمثابة عطاء كبير جداً ، وسيعرف ـ ايضا ـ أن كتاب الله جاء لكي يفتح أعين الناس وعقولهم على ما ينطوي عليه الكون من طاقات وقدرات .

«لقد قبلت الكهرباء ضمن الأصول والأجسام التي لا تقبل الارجاع الى اصل سابق عليها ، لأنها تستعصي على التحليل والاحالة .. لقد قبل جسم جديد في الفيزياء لا نعرف عنه شيئا سوى بنيته الرياضية structure matematical وقد بدأت منذ ذلك الوقت تدخل في الفيزياء أجسام أخرى بنفس الشروط ، ووجد ان هذه الأجسام تلعب دوراً يماثل بالضبط ذاك الذي تلعبه الأجسام القديمة فيما يتعلق بتشكيل النظريات العلمية ، لقد أصبح الآن واضحاً ان معرفة طبيعة الاجسام التي نتحدث عنها لم تعد مطلباً لازماً بالنسبة للفيزياء ، بل تكفي بنيتها الرياضية ، وهذا بحق هو كل معرفتنا حولها ، وقد جرى التحقق الآن من أن معرفة البنى الرياضية هي كل المعرفة العلمية المتوفرة لدينا حتى فيما يتعلق بأجسام نيوتن المألوفة ، وأن قناعتنا بأننا نعرف هذه الأجسام بصورة قريبة ما هو إلا مجرد وهم » .

العالم أم الفيلسوف ؟

لقد طأطأ العلم الرصين رأسه ، وسلم بالواقع بعد أن تجاوز مرحلة مراهقته العنيفة .. سلم بأن معرفة الاجسام الفيزيائية ما هي إلا مجرد وهم ، وأن ما تمت معرفته لحد الآن يتعلق ببنيتها الرياضية فحسب ، وتلك هي حصيلة قرون من النشاط العلمي !! ونحن نحاول أن نتفحص الجان والشياطين والروح البشري .. أن نخضعها للحصر المختبري .. حتى إذا أعيتنا الحيل اجتهدنا فقلنا : إنها ربما تكون غير موجودة .. وهنالك في أوربا نفسها فلاسفة وأدباء حاولوا أن يتكئوا على معطيات العلم كحقائق مسلمة منزلة من السماء ، وأن يبنوا عليها فلسفاتهم ورؤاهم ، لكي يضفوا عليها ـ هي الأخرى ـ صفة العلمية ..

ويتغير العلم .. ويتغير الاساس .. فاذا بنظرياتهم تتهاوى الواحدة تلو الاخرى .. هذا ما حدث بالنسبة لكثير منها في حقول الاجتماع والاقتصاد والنفس . إن المادية الديالكتيكية التي أقامت صرح نظريتها على معطيات العلم في القرن التاسع عشر ، والتي سميت بالعلمية ، ما لبثت أن تعرضت في القرن التالي ، وبخاصة في العقود الاخيرة ، لكثير من الهزات العنيفة ، لأن الأساس الذي بنيت عليه أخذ يتأرجح ويتمايل وتتهاوى بعض جوانبه .. وإذا كان العلماء أنفسهم ، أبناء المختبر والتعامل

التجريبـــي مع المواد والظواهـــر والأجسام ، يعترفون بأن أحكامهم ليست نهائية ، وأن ما تمكنوا من قطعه لم يتجاوز بدء الطريــق إلى الحقيقة .. فمـا لهؤلاء القــوم من الأدباء والفلاسفة الذين لم يدخلوا مختبراً ، ولم يجربوا ظاهرة ، يدعون بنهائية أحكامهم وثباتها وديمومتها ؟

إننا نقرأ على سبيل المثال عبارات كهذه لمؤلفي كتاب (عرض موجـز للمادية الديالكتيكيـة) : « تثبـت المادية الديالكتيكية إمكانية معرفـة جوهر الاشياء ، معرفة قوانين تطور العالم » « من ذا الذي سيصـدق اللاادريين الآن بأن هناك ما يسمونه (حدود المعرفة) ، في حين اقتحم الانسان الفضاء ، ووسع بصـورة كبـيرة جدا حدود معارفــه عن الكون ؟.. إننا إذ نعرف العلم ، نعلم الحقيقـة عنـه ، ونمتلك المعـارف الحقيقية » .

وإنها حقا لنرجسية فلسفيـة مالها من مبرر .. وإذا قال فيلسوف ما بصدد احدى المسائل شيئا وقال عالم ما شيئا ، فأحرى بنا أن نأخذ بمقولة العالم لأن أساليبه في البحث أكثر جدية وأتقن عملا .. وإننا هنا لنتذكر ذلك التساؤل ذا المغزى العميق الذي يطرحه « سوليفــان » « لماذا يترتب على الانسان ان يفترض بأن الطبيعة يجب أن تكون شيئا يستطيع مهندس القــرن التاســع عشر أن يستحضره في ورشته ؟ »

لم يكشف النقاب عن العالم

بعد تكشف هذه النتيجة بصدد المعرفة العلمية « لم تعد المسافة طويلة بيننا وبـين موقـف « ادينغتــون » eddington القائـل : بأن معرفـة البنية الرياضية هي وحدها المعرفة التي يستطيع علم الفيزياء أن يقدمها لنا . إن هذا التحليل يبدو لنا اكثر التحليلات الفلسفية التـي ظهـرت للفيزياء الحديثة استنارة ومتانــة . وإنه ليبدو صحيحاً أن العلم المضبوط exect هو معرفة ما يسميه ادينغتون بقراءة المؤشر Pointer Reading أي القراءة التي تشير إليهـا أداة من أدوات القياس » .

أكثـر من هذا .. أن العلمـاء التجريبيـين عادوا الى القوانـين الطبيعية التي تحكم الحرارة والحركة والضوء ، وكل ما في عالم المادة من كهارب وذرات ، فوجدوا أن لها قانوناً واحداً هو الخطأ والاحتمال . امـا القائمون بهذه التجربة ، كما يحدثنا العقاد في كتابه (عقائد المفكرين في القرن العشرين) ، فقد كانوا ثلاثة من أقطاب العلوم في مطلع القــرن العشرين : « ماكس بلانك » plank max « البولوني ورنر هايزنبــرغ » werner heisenberg الألماني و « اروين شرودنجــر » erwin schrodinger النمسوي ، والأولان منهم صاحبـا جائزة نوبل في العلوم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ و١٩٣٢ والثالث مكمل النظريات التي اشتهر بها الأولان ، وحجة لا تعلو عليه حجة في مسائل الطبيعيات على العموم .

فبلانك هو صاحب نظرية المقدار او

(الكوانتم) وخلاصتها ان الاشعاع قفزات لا تعرف القفزة التالية من القفزة الاولى إلا بالتقدير والترجيح ، وان صحة التقدير لا تتفق إلا يسيرا ، لأن أجزاء الكهارب تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها إلا بمقدار يسير .

وهايزنبرغ هو صاحب نظرية (الخطأ والاحتمال) في قوانين الطبيعة ، وخلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب أن الموضع والسرعة لكهرب معين لا يمكن تحقيقهما في لحظة معينة على وجه اليقين ، وأن موقع الكهرب بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتيمترات ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التي تليها ، وأن التجربتين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتيان بنتيجة واحدة ، بالغاً ما بلغ المجرب من الدقة والاتقان .

وأما « شرودنجر » فهو المجرب المحقق الذي اسفرت تجاربه كلها عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية « اكسنر » exner وهي أن تقدير ما سيحدث تطبيقاً للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم . واذا دققنا في التمييز فليس هو بالاحتمال الذي يوصف بأنه جد قريب . ومن مقررات « شرودنجر » في محاضراته العديدة أن القوانين التي تنطبق على الذرات في البنية الحية ، وان الصورة form هي قوام المادة ، فلا يصح أن يقال : إن هذه الذرة الصغيرة في المادة ، هي نفسها التي وجدناها قبل لحظة ، ونرصدها بعد لحظة تالية ، إذ ليس لهذه الذرات ذاتية ثابتة ، تبقى في جميع هذه الأرصاد Sameness .

هل نتيجة ذلك ـ يتساءل العقاد ـ أن نسقط حساب الأسباب والعلل ونلغي القوانين الطبيعية ؟ إن بلانك نفسه لا يقول بذلك ، ويقول في كتابه (الى اين يذهب العلم ؟) (where is science going ?) « إن الاسباب الطبيعية عاملة في كل حال وإنا لو حققنا موضع كل كهرب ، وسرعته ، ووزنه ، أمكننا أن نعرف حركته التالية بغير خلل في الحساب ، فاذا كانت مراقبة الملايين من الكهارب تعطينا نتيجة تقريبية فالنقص ناشئ من جهلنا بحالة كل كهرب على صدق ، لا من خلل القوانين الطبيعية » .

وذلك هو مصداق الأطروحة القرآنية في هذا الصدد : إن العالم محكم التركيب لأنه من صنع الله سبحانه : (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر /٤٩ (**الذي احسن كل شيء خلقه**) السجدة /٧ (**إن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء**) آل عمران /٥ ، وأن المشكلة تكمن في القدرة البشرية نفسها على فهم العالم ، وذلك هو التحدي الذي يدفع الانسان إلى مزيد من الجهد للكشف عن سنن العالم ونواميسه .. باختصار .. إن العالم لم يكشف النقاب عنه بعد ، وسوف لن يكشف بشكل نهائي ، وهذا ما توحي به اكتشافات العلماء آنفي الذكر في حقل الفيزياء الذرية ، لأنه يوم يتكشف العالم أمام وعي

الانسان وإدراكه ، فلن يكون هناك جهد أو إبداع .

تناقض مع معطيات العلم

المادية الديالكتيكية تذهب في مقولاتها إلى عكس هذا ، ناقضة بذلك معطيات العلم التجريبي نفسه .. إن العالم يمكن فهمه ، بل إنه قد فهم فعلا ، وأن الذين يرون خلاف هذا هم بعض فلاسفة من المثاليين اللاأدريين ، يشجعهم البورجوازيون ويعملون على نشر ضلالهم !! « يزعم بعض الفلاسفة المثاليين ـ تذكر المقولة ـ بأنه لا يمكن معرفة العالم . وقد أطلق على هؤلاء اسم اللاأدريين . إن اللاأدرية (agnosti cisme) تنكر إمكانية معرفة العالم ، والفلسفة البورجوازية المعاصرة تنشر هذا الاتجاه بصورة واسعة .

« ما هي الحجج التي يسردها اللاادريون لاثبات وجهات نظرهم ، وهل لها اساس ؟ معلوم أنه لا يمكن إدراك العالم إلا بواسطة أعضاء الحواس ، النظر ، السمع ، اللمس ... الخ .. ولكن هذه ـ كما يقول اللاادريون شهود غير ثقات أبدا . كم من مرة خدعتنا أعضاء الحواس ؟ إن ملعقة الشاي في الكأس المملوء بالماء تبدو لنا مكسورة معوجة ويبدو البيت من بعيد أصغر مما هو عن كثب . ونظراً لهذا لا يجوز تصديق أعضاء الحواس . هذا هو استنتاج اللاادريين ، فهل الامر كذلك في الواقع ؟ لو سلمنا بما يقول اللاادريون لفكرنا أن الانسان لا يقوم بشيء سوى أنه يسير وينظر بعجز إلى الاشياء المحيطة به .. ففي العمل . في التطبيق ، يحوز الانسان على كل ما هو ممكن وضروري لتدقيق ما تشير اليه أعضاء الحواس ، وبلوغ جوهر الأمر ، والنفاذ إلى أعماق الظاهرات المدروسة . وفي المثل الذي أوردناه يكفي سحب الملعقة من الماء بغية البرهنة على أنها سليمة » .

فها نحن نرى في العقود الأخيرة من عصر العلم أن الذين يقولون بعدم القدرة على معرفة العالم ليس بعض الفلاسفة المثاليين ، أولئك الذين أطلق عليهم اسم (اللاادريين) (وتعبير مثالي ولا أدري ، وغيرهما من المصطلحات التي يعرف الديالكتيكيون كيف يستخدمونها بغزارة ضد خصومهم ، هذان التعبيران مقصودان وقد اريد بهما تعزيز وجهة نظر فريق المادية القائل بالقدرة على فهم العالم ، لأن الطرف الآخر هو ـ بالضرورة ـ غير علمي ولا عقلاني ، وإنما هو مثالي .. لا ادري .. هكذا) ، ومهما يكن من أمر فان القائلين بهذا اليوم ، هم العلماء بالدرجة الاولى ، العلماء الكبار ، تلامذة المختبر والتجريب والتعامل العلمي مع المادة ، بينما يبدو زعماء المدرسة المادية الديالكتيكية : ماركس وانغلز وتلامذتهما ، أقرب الى خط الفلسفة ، وهم يطلقون أحكامهم ومقولاتهم (الفلسفية) بعيداً عن التعامل المباشر مع المادة . فمن من الطرفين يا ترى أحق بالتصديق واكثر إقناعا ؟ العلم الذي يقول لا اعرف كنه

العالم ، أم الفلسفة التي تدعي اطلاعها عليه ؟

صيغ جاهزة !!

وثمة معايير وصيغ أخرى في المقولة الديالكتيكية السالفة تتضمن هي الأخرى قدراً من سوء الفهم المقصود ، وأبرزها تلك التي تقول : « بأنه لو سلمنا بما يقوله اللاادريون لفكرنا ان الانسان لا يقوم بشيء سوى انه يسير وينظر بعجز إلى الاشياء المحيطة به » .. ولكن الذي يحدث هو أن النشاط العلمي الأكثر فاعلية وذكاء ، هو الذي يعلن – بتواضع الواثقين – أنه لم يئن الأوان بعد للكشف عن سر العالم .. ومع ذلك فانه من موقفه هذا لا يسير ، وينظر بعجز إلى الأشياء المحيطة به ، ولكنه ينظر إليها بصيغ أكثر عقلانية ، ونشاط مختبري لا يعرف الجلوس وراء المكاتب لتدبيج عبارات فلسفية تريد أن تنتزع من العلماء أخص ما يمتازون به ثم تدعيه لنفسها !!

مرة اخرى نلمس في المقولة السابقة تعابير ومواقف تند عن التحليل العلمي المقنع ،وتنبثق عن رغبة المادية وإصرارها إلى حد التشنج على ربط كل مسألة فلسفية عامة بمعضلة الصراع التاريخي الطبقي الذي يجري على ساحة الواقع . وهكذا نجد الديالكتيكية ، هاهنا ، تتهم الفلسفة البورجوازية المعاصرة بنشر اتجاه اللاادريين بصورة واسعة .

حيادية المعطيات العلمية

فاذا ما تجاوزنا التشنج المذهبي ، وجدنا أن الذين يقولون بعدم القدرة على فهم العالم هم علماء المختبر أنفسهم ، وأن معطياتهم لتتخلق في ظروف حيادية وتخرج إلى حيز الوجود ، وهي لم تزل تحمل طابعها الحيادي ، فاذا ما حدث وأن استغلتها فلسفة من الفلسفات او اتكأت عليها لتحقيق أهداف قد تكون غير موضوعية ، أو غير انسانية ، فان هذا لا ينفي السمة العلمية لتلك المعطيات ويدمغها هي الاخرى بالخطأ والقصور والانحياز !!

أما لماذا تقوم الفلسفة البورجوازية بنشر اتجاه اللاادرية بصورة واسعة ، فلأن الأمر – كما تدعي الديالكتيكية – يقوم على إخفاء حقائق القوانين النهائية التي تتحكم بحركة العالم ، وتاريخه والتي كشفت المادية الديالكتيكية عنها النقاب ، وأبرزها لاريب صراع الطبقات ..

ولكن ألا يجوز أن يثور المظلومون على جلاديهم ، ويربحوا المعركة قبل أن يكشف السر عن قوانين التاريخ الحتمية ؟ إذن كيف نفسر تاريخ البشرية المليء بالثورات والانتفاضات ؟ كيف نفسر العشرات بل المئات من الانتصارات التي حققها المستضعفون ضد جلاديهم ومضطهديهم ؟

غريبان عن العالم الجديد

إن الفلسفة ، بما فيها الديالكتيك العلمي تميل دائما للتعميم ، لأن تطلق أحكاماً نهائية ، فتقع شاءت أم أبت ، في مستنقع المثالية ، وتقسر

الحقائق على أن تتكيف لكي تجد لها مكانـاً في قالبهـا الصـارم .. إن « ماركس » و « انغلز » اتهما هيغل بأن فلسفته تمشي على رأسهـا .. ولكنهما عادا فصمما فلسفة تمشي على بطنها .. على معدتها .. إن أموراً كهذه قد تجد لها مكانا في ميدان الفلسفة ، ولكن الأمر يختلـف في ساحـة العلـم ، ميـدان التجربـة والاختبار والأناة .. حيث لا يستطيع احد أن يدعي معرفة العالم كله ، واكتشاف سره المكنون بعيـداً عن انتماءاته الطبقية ، فالمختبـر ليس نظاما سياسيا أو تشريعا دستورياً ، لكي يحمي مصالح هذه الطبقة أو تلك !!

ومن حسـن الحـظ أن الماديـة الديالكتيكية تعتـرف بأنهـا تبنـي هيكلها على المقولات الفلسفية ، وأن الفلسفة ، لا العلم ، هي التي تصوغ المفاهيم العامة « .. إن أعم خواص الأشيـاء تنعـكس في المقـولات الفلسفية ، في مقولات معروفة لدينا الآن مثل (المادة) و (الحركة) و (الزمـان) و (المكان) و(الكيفيـة) و (الكميـة) و(التناقض) .. الخ إن المقـولات الفلسفية هي أعم المفاهيم ، وبالتالي يستحيل الاكتفاء بالمقـولات التـي تصنعها الفيزياء والكيمياء وغيرهما من العلوم الخاصة . ففي عمليـة المعرفة تتكون مقولات فلسفية عن أعم خواص ظاهرات العالم القائم » .

وفي هذا وحده ما يكفي .. إذ تغدو المادية الديالكتيكية ، كغيرهـا من الفلسفـات ، تقـوم على المقـولات الفلسفية العامة ، وهي مقولات تنشأ وتتخلق لدى كل فيلسوف بصيغة قد تختلف عن الفيلسوف الآخر ، وقد تكون نقيضة لها تماما ، ومن ثم فان ادعاء احتكار المعرفة الفلسفية لواحد من هؤلاء الفلاسفـة ، ووصفهـا بالعلمية ، وإنكار هذا الحـق على الآخرين ، واتهامهـم بالمثاليـة او السفسطائية أو البورجوازية أو ما إلى ذلك من مفردات قاموس الديالكتيك الغني بالتصميمات ، هذا الموقف هو غير علمي على الاطلاق !!

ولا ننسى أن « مـاركس » و « انغلز » طرحا مقولاتهما الفلسفية قبـل عصر الفيزيـاء الذريـة عصر « بلانـك » و « شرودنجـر » و « هايزنبـرغ » و « اينشتـين » .. حيث تهاوت جدران المادية ، واختلط الصواب بالخطأ والاحتمال .. إنهما طرحاها قبل هذا العصر بما يقرب من القـرن من الزمـان ، ومـن يدري فلعلهما لو أتيح لهما أن يرجعا للحياة ثانية فانهما قد يكونان ، إزاء ضغوط حتميات المناهج الفلسفية العامة على ضوء هزات العلم العملاقة ، أكثر تحرراً من تلاميذهـم ومريديهـم ، لأنهما قد يجدا نفسيهما غريبين عن العالم الجديد العجيب الذي اخذت الفيزياء الذرية تطرق ابوابه ، والذي لم يقدر لأحد ـ بعد ـ الكشف عن سره الدفين ..

العلمـاء هم أصحـاب الثـورات العلمية

فكم ياتـرى سيظـل التلامـذة

والمريدون يمطون مفاهيم المادية القادمة من القرن التاسع عشر لكي يقسروا القرن العشرين ، وربما الواحد والعشرين ، على ارتداء أثوابها ؟

فاذا ما أضفنا إلى هذا كله الصيغة الانتقائية التي تعترف الديالكتيكية باعتمادها إزاء منجزات العقل البشري لكي تتلاءم ومصالح طبقة محدودة من الناس ، أدركنا القيمة الحقيقية للسمة العلمية التي تدعيها هذه النظرية .. ولنقرأ « لقد استوعب ماركس وانغلز كل ما هو تقدمي وثمين كان العلم قد توصل اليه قبلهما ، ولكنهما لم يقوما بمجرد استيعاب منجزات العقل البشري ، بل صاغا بصورة انتقادية مكتسبات الفكر البشري الطليعي طبقاً لمصالح واهداف البروليتاريا وسائر الشغيلة ، وبما أنهما كانا ثوريين عظيمين فقد أحرزا مأثرة علمية لا نظير لها ، فقاما بانقلاب ثوري في العلم في الفلسفة والاقتصاد السياسي والمذهب الاشتراكي وغيرها من مجالات المعرفة البشرية ، وانشآ علماً ثورياً جديداً هو الماركسية » .

ومعروف ان العلماء لا الفلاسفة هم الموكلون بتحقيق الثورات في ميدان العلم ، ومعروف ايضا أن الفلسفة والاقتصاد وغيرهما مما يسمى بالعلوم الفلسفية لا يمكن اعتبارها علماً بالمعنى الدقيق للكلمة ، وهذا يذكرنا بعبارة « سوليفان » التي ترد في آخر الفصل الخامس من كتابه حدود العلم حيث يقول : « .. إن علم النفس لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن . وللمعارف الأخرى مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك ، بعض النواحي التي لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمية . والعلم هو أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادي ، أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعتبر نسبيا ضعيفة ومتلجلجة » .

إن يتبعون الا الظن !!

إن ماركس في مقولاته الاقتصادية فيما يسمى علم الاقتصاد الماركسي ، لم يكن على تمام الالمام بتاريخ الاقتصاد البشري ، واعتمد في مساحات واسعة منه على معطيات تخمينية وظنية ، وها هو الاستاذ البولندي (اوسكار لانكه) ، أحد أكبر أخصائيي الدول النامية في ميدان الاقتصاد ، وهو يستعرض جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، منذ عصر ماركس وحتى عصر بورشييف ، يقرر أن « هذه الدراسات جميعها مفككة ، لذلك فان الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لما يخرج بعد إلى حيز الوجود باعتباره فرعاً منظماً من فروع الاقتصاد السياسي » .

فاذا كان الأمر كذلك في أهم ما يخص الماركسية ، وهو التاريخ الاقتصادي ، فكيف الحال بالنسبة لمعطياتها في المسائل الفلسفية الأكثر شمولية وامتدادا ؟

مائدة القارئ

طريق الجنة

قال صلى الله عليه وسلم :
(تقبلوا الي بست ، أتقبل لكم بالجنة ، قالوا ما هي ؟ . قال : اذا حدث احدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن ، غضوا البصر واحفظوا فروجكم ، وكفوا ايديكم) .

(رواه الحاكم)

الظريف والرشيد

خرج الرشيد يوما في ثياب العامة ومعه بعض حاشيته في مثل زيه فنزل بهم رجل فثقل على الرشيد وهم بطرده فقال ابو نواس : ساخرجه من غير اساءة اليه . وتوجه الى الجماعة قائلا : على طعامكم . فقال الرشيد : وعلى شرابكم . وقال يحيى بن خالد : وعلى عطركم ، ثم نظر ابو نواس الى الرجل وقال له : وما عليك ؟ فقال : على الا افارقكم من اليوم الى يوم اخر مثله . فقال الرشيد : هذا ظريف لا يحسن اخراجه .

الخير والشر

اذا اراد الله بعبد خيراً :
١) ألهمه الطاعة .
٢) وألزمه القناعة .
٣)وفقهه في الدين .
٤) وعضده باليقين .

أما اذا اراد به شراً :
١) حبب اليه المال .
٢) وبسط منه الآمال .
٣) وشغله بدنياه .
٤) ووكله الى هواه .



صناعة التاريخ

الشباب يصنعون التاريخ بقلوبهم والعلماء يصنعونه بعقولهم والحكماء يصنعونه بارواحهم .

فاذا تعاون القلب والعقل والروح على صنع التاريخ كان تاريخا لا ينطفىء نوره ، ولا تخبو ناره وكذلك صنعنا التاريخ اول مرة .

الدكتور / مصطفى السباعي

المؤمن والمنافق :

قال حاتم الاصم :

المنافق من اذا اخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء .

والمؤمن يأخذ بالخوف ويتمسك بالسنة وينفق خالصا في الطاعة .

فاطلب نفسك في اربعة اشياء .
العمل الصالح بغير رياء .
والاخذ بغير طمع .

موعظة المسؤول

قال هارون الرشيد لاحد الصالحين : عظني ايها الشيخ .
قال الشيخ الصالح : يا هارون ، لودامت لغيرك ما وصلتك .. اي الخلافة .

قال هارون : زدني ايها الشيخ قال : يا هارون تلك قصورهم ، وهذه قبورهم .
قال هارون : زدني ايها الشيخ . قال : كفي بالموت واعظا يا هارون .

فبكي هارون حتى اخضلت لحيته ثم قال : ايها الشيخ ، أعليك دين فنقضيه عنك .
قال الشيخ الصالح : يقضيه عني من هو اقدر على قضائه منك .
قال هارون : فخذ من مالي ما يكفيك رزقا لك ولعيالك .
فتبسم الشيخ الصالح وقال :
ويحك يا هارون ، اتظن ان الله يرزقك وينساني ؟

« ومَا من دَابة في الأرضْ »

« وفي الأرض آيات للموقنين »

للدكتور : عبد المحسن صالح

ما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد .. اذ لو تجلت لنا خبايا الخلق ، وتكشفت لعيوننا أسرار الكائنات ، لأدركنا ــ عن علم ــ أن الله سبحانه وتعالى قد يسر لكل مخلوق سبل حياته ، وأرسى في تكوينه الحي الخطة أو الخطط المقدرة التي يشق بها في الأرض طريقه ، ساعيا على رزقه ، مطيعا لنواميس ربه ، وكأنما كل كائن قد حمل معه « البروجرام » الذي يجب عليه أن ينفذه بحذافيره ، فاذا أخل بمواثيقه ، كان حتما مقضيا أن يكون الانقراض من نصيبه ، وهذه سنة الله في خلقه : **(ولن تجد لسنة الله تبديلا)** « الأحزاب/٦٢ » .

لكن الكلام شيء ، والبحث عن الحقيقة شيء آخر له عمقه ومغزاه ... ذلك أن البحث يضع أمامنا ثروة هائلة من المعلومات ، التي توضح لنا سلوك الكائنات .، وعندئذ يتبين لنا أنها ــ أي الكائنات ــ مجتمعات لها حياتها ونظامها وشرائعها ، وكأنما هي أمم أمثالنا ، أو هي ــ كما عبر عنها القرآن الكريم أوجز تعبير : **(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون)** « الأنعام/٣٨ » .

والواقع أن الخالق سبحانه وتعالى لم يخلق خلقا ــ صغر شأنه أو كبر ــ الا ومنحه لقمة العيش التي تناسب حياته ، ولقد كشف لنا العلماء البيولوجيون عن صور من حياة الكائنات توضح أننا لسنا وحدنا على هذا الكوكب ، أو أن الانسان هو وحده صاحب الأفكار المبتكرة ، بل ان الحياة ذاتها غنية بما وضع الله فيها من نظم بديعة تدعونا حقا الى وقفة من وقفات التأمل والخشوع ومراجعة

النفس ، حتى لا يتملكنا الغرور ، فالغرور قتال « لو كنتم تعلمون » .

ولا شك أن من يقرأ آيات القرآن الكريم عن علم ببواطن أسرار المخلوقات ، تتجلى له في ثنايا هذه الآيات معان جميلة لا تظهر لمن ليس له بها علم أو دراية ، وهنا قد يحق القول الكريم : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩

فقد يمر معظم الناس على الآية الكريمة : **(وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين)** هود/ ٦ قد يمرون عليها مرا سريعا ، دون أن يفطنوا لما تحتويه من أسرار أرزاق المخلوقات أو الدواب .

والدابة هنا تعني كل خلــق حي ... فالحشرات دواب ، والأرضة من الحشرات ، ولقد جاء ذكرها في القرآن الكريم على أنها دابة : **(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته)** سبأ/ ١٤ . وقيل عن دابة الأرض هنا انها الأرضة أو النمل الأبيض أو السوس أو أية حشرة تعيش على الخشب الذي صنعت منه عصا سليمان ــ أو أي خشب آخر ، هذا ومن المعروف أن أنواع الحشرات التي تعيش حتى الآن على كوكبنا يربو عددها على مليون نوع مختلف ، ولكل نوع رزقه أو مائدته أو طعامه المفضل ، ولنتصور ماذا تعني قائمة من الأطعمة تحتوي على مليون نوع من المادة الغذائية التي تناسب حياة النوع الواحد من أنواع المخلوقات ، ودعك اذن من القائمة الطويلة والعريضة التي قدمت لمئات الألوف من أنواع الحيوانات الأقل أو الأعظم شأنا من الحشرات ، اذ لو أردنا أن ندون الطعام المفضل لكل نوع من الأنواع ، وما يحتويه من عناصر غذائية ، فان ذلك يحتاج الى مجلدات من فوق مجلدات ، وهذا ينبئك بالخبر اليقين ــ خبر أن الله يخلق ما يشاء بغير حساب ، ثم يرزق كل خلق بما يناسب حياته ... ميكروبا كان ذلك أو دودة أو ثعبانا أو فأرا أو غزالا .... الى آخر هذه القائمة التي لا نستطيع لها حصرا ولا تدوينا .

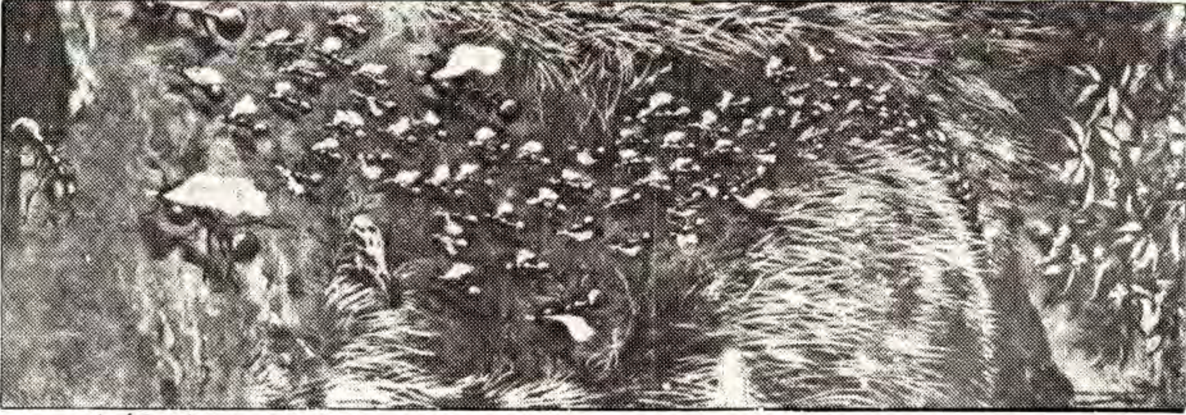
لكن معنى ذلك لن يتضح على حقيقته ، الا اذا قدمنا صورا حية مما كشف عنه العلماء الحجاب ، فهذا من شأنه أن يبين لنا بديع صنع الله في خلقه ، علنا نقدره حق قدره ، اذ لا يكفي أن نتلو آيات كتاب الله تلاوة لا تقوم على تدبر حقيقي للمعاني الكامنة في هذه الآيات ، بل هناك آيات حية هي في الخلق علامات دالات على : **(الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)** الأعلى/ ٢ ، ٣ .

ولنأخذ لذلك نملة ... لكن للنمل أنواعا كثيرة جدا ، اذ يبلغ عدد تلك الأنواع حوالي عشرين ألف نوع ، وطبيعي أن كل نوع يختلف عن الآخر في عاداته ولغته وشكله ، والا لما وصفها العلماء ، وصنفوها وأطلقوا عليها الأسماء .... ولنملتنا التي سنقدمها هنا اسم محدد ، واسمها الدارج هو النملة الزارعة ، لأنها تزرع ، وتحصد ما تزرع ، وكأنما تعيش في بساتين قطوفها دانية .



● صورة طبيعية لنملة على غصن نبات ، وهي هنا تنشر قاعدة الورقة ، فتسقط بعد قطعها الى الارض ، حيث تستقبلها فرق تقوم بتقطيعها الى اجزاء اصغر ، ثم تنقلها الى مستعمراتها

لكن العلماء الذين درسوا مجتمعات هذه الكائنات الصغيرة ـ التي عرفت الزراعة قبل أن يعرفها الانسان بمئات الملايين من الأعوام ـ بهرتهم الطرق المختلفة التي بها يزرعون ... صحيح أن الطرق تبدو ـ في الظاهر ـ متشابهة ، لكن النمل الذي يزرع له أنواع وصلت أعدادها حتى الآن الى ما يزيد على المائة نوع ، ولنتصور أن هناك مائة طريقة للزراعة ، ومائة محصول يختلف باختلاف النوع ، وهذا يوضح أن الله سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق ـ لا على مستوى البشر فحسب ، بل على مستوى النمل الزارع ، وغير الزارع ، وفي ذلك حكمة لقوم



● فرقة من النمل الزارع ، وقد عادت كل نملة من مهمتها بقطعة من ورق الشجر ، تحملها فوق راسها ، وكأنما هي تحمل مظلات صغيرة .

يتدبرون ، والحكمة تكمن في عدم تكالب الأنواع (على مستوى النمل أو ما فوق ذلك ، أو دون ذلك من سائر المخلوقات) على رزق واحد ، بل كل مخلوق قد جاء لما هو له ميسر .

يقدم لنا البروفيسور « كلايد كريستنسين » أستاذ أمراض النبات بجامعة « مينيسوتا » هذا التنظيم المذهل بقوله : « ان أي انسان لديه الاحساس الجمالي بما في الطبيعة البكر من نظام وتوافق وحب راق ، فعليه أن يعتبر بسلوك النمل أو تصرفاته ... فمعظم أنواع النمل تعيش في مجتمعات لو أننا قارناها بمجتمعاتنا ، خاصة فيما يتعلق بالمعاملة والألفة والتعاون ، لوجدنا أن أكثر مجتمعاتنا تقدما تبدو في خبراتها الحياتية ساذجة ... لقد اكتسبت مجتمعات النمل صمودا عظيما ، لأنها طوال مئات الملايين من السنين مارست طرق الحياة المختلفة ، وكأنما هي قد اختارت السبل الكفيلة بحصولها على طعامها ومأواها ومسراتها ، وبحيث تبدو مجتمعاتنا بجوارها وكأنما هي لا زالت مجتمعات بدائية » .

لكن ... ما الذي دعا هذا العالم الى قول نراه مجحفا بالحقوق البشرية ، ومنصفا « للحقوق » الحشرية ؟

لا بد أن هناك سرا أو أسرارا غريبة في حياة النمل .... وهو بالفعل كذلك ، ولكي ندلل على ذلك ، دعنا نتعرض لسر من هذه الأسرار التي تعلمنا درسا فيه حكمة وابتكار وأصالة ، ولنعلم أن الله قد أوحى في النمل أمره ، ويسر له سبله ، كما أوحى للنحل الشيء ذاته ، بدليل قوله تعالى : **(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون)** « النحل / ٦٨ ، ٦٩ » .

وللنحل سبل في الحياة يتشعب فيها الحديث ويطول ، وللنمل سبل أخرى هي آية أو آيات لقوم يتفكرون ، وليعلموا أن الله لم يخلق خلقا ، الا وقدر له كل شاردة وواردة تقديرا حسنا .

العلماء الذين درسوا أحد أنواع النمل الزارع فكروا وتساءلوا بدهشة تحمل في

طياتها حيرة وعجبا : كيف تأتي له أن يزرع أحد أنواع الفطريات ، ثم يعتمد على هذا النوع كغذاء وحيد ليمده بكل العناصر الحيوية اللازمة للكائن الحي ؟... ثم كيف اختار هذا النوع الوحيد من الفطر من بين مائة الف نوع من الفطريات التي عرفها العلماء حتى الآن ؟

والغريب أن العلماء لم يتفقوا على رأي واحد ، وكانت اجاباتهم مؤسسة على التكهنات والظنون ، وكأنما السر الحقيقي يحتفظ به النمل لنفسه دون أن يصل الانسان الى جوهره ، لكن أكثر التكهنات تقبلا لعقولنا تشير الى أن هذه الأنواع من النمل الزارع (أو غيرها) قد اكتشفت أصول الزراعة ، وانتقت ما يناسبها من هذه الكائنات النباتية الدقيقة (أي الفطريات) ، ثم عرفت كيف ترعاها وتمدها بكل ما تحتاج اليه من أسمدة عضوية ، وتهيىء لها المناخ المناسب ، وتحافظ عليها من « الحشائش » الضارة التي قد تنمو بين مزارعها ، ودون أن تستخدم لذلك المبيدات أو أية وسائل أخرى عرفها الانسان .

صحيح أن الانسان في بداية ظهوره على هذا الكوكب منذ عدة عشرات الألوف من السنين ، كان يعيش على القنص والصيد ، أو ما تجود به الغابات البكر من فواكه وثمر ... وطبيعي أنه أخذ يجرب ويتذوق ويختار ، وعرف كيف يزرع ما وقع عليه اختياره ، وبالتجربة التي استمرت آلاف السنين ، وفيها عرف الانسان الخطأ من الصواب ، وتطورت طرق الزراعة ، واستقر في مجتمعات ، لكن الانسان فعل ذلك بعقله الذي وضع الله نظامه الأمثل في مخه ، وبه شق في الحياة طريقه ... لكن النمل ليس له عقل ولا حكمة كحكمة البشر ، ومع ذلك ــ وكما سيتضح لنا فيما بعد ــ فقد توصل الى انجازات تتسم بالحكمة ... البعض يقول : انها غريزة ، أو هو وحي نظام متقن لا يزال يحيرنا أعظم حيرة ، فعندما نعجز عن تفسير ما تقوم به الكائنات الحية غير العاقلة من أفعال ، نعيد ذلك الى لفظ مبهم المعاني هو « الغريزة » ... والغريزة تعني جهلنا النسبي بما كان ويكون .

لقد لاحظ الانسان بعض أنواع النمل التي تعيش في مناطق مختلفة من العالم ، وهو يتوجه بفرقه الى الحشائش والأعشاب والأشجار ، ثم يعود الى مستعمراته ، وقد حملت كل نملة فوق رأسها قطعة من أوراق بعض نباتات مختارة ، وبها تسير ، وكأنما هي تحمل فوق رأسها مظلة واقية ، ولهذا أطلقنا عليها اسم نمل المظلات ، ظنا منا أن النمل يحتمي بها من أشعة الشمس ، هذا وقد تكون المظلة أكبر من حجم النملة بعدة مرات ، ولقد وصفها لنا العالم « هنري ماك كوك » ــ وكان من أول الدارسين القدامى لهذه الظاهرة ــ بقوله : ان منظر فرق النمل يشبه منظر أطفال المدارس وهم يحملون الأعلام ، ولقد ثبت فيما بعد أن تفكير الناس كان خاطئا من أساسه ، إذ عندما درس العلماء هذه الظاهرة العجيبة ، أدركوا أن الأمر ينطوي على سر كبير ، لأن هذه القطع من الأوراق النباتية



● صورة من داخل « حجرة » زراعية في مستعمرة النمل الزارع ، ومن سقفها يتدلى النمو الفطري ليصبح رزقا حسنا لسكان المستعمرة ، فيعيشون عليه العمر كله

ستصبح الخامة المناسبة التي سيزرع عليها النمل محاصيله .

لكن الفكرة ليست بسيطة كبساطة هذا الكلام ، فلقد استنبط النمل لذلك « تكنولوجيا » تتسم بالتخطيط السليم ، والتنظيم العظيم الذي يجذب كل فكر قويم ، فلكل نوع من النمل خامته النباتية التي يحصل عليها من نوع من النباتات ، أو نوعين ، أو أكثر ، وهو يعرف الطريق الى ذلك ، وقد يهتدي الى النبات المطلوب بما يطلقه من جزيئات قد لا تحسها أنوفنا ، ولكن النمل قد أوتى ما يشبه « الرادارات » الحية الدقيقة التي توجهه الى الهدف حتى ولو كان الظلام يخيم على الميدان .

وعندما يأتي النمل بالخامة الى مشارف المستعمرة ، يلقي ما حمل ، وبدون تواكل أو كسل ، يكر عائدا الى منطقة العمل ، ليأتي بالمزيد ، والى هذا الحد يظهر لنا التخصص الدقيق في الفئات التي تكون المستعمرة ، اذ أحيانا ما تعرف بعض أنواع النمل أسس الاقتصاد في الطاقة والزمن ، خاصة اذا كانت خامة الأوراق في أشجار عالية ، عندئذ تصعد فرقة لتقطع الأوراق ثم تلقيها الى الأرض ، حيث تنتظرها فرق أخرى ، لتحمل ما تساقط ، ويقال : ان مستعمرة كبيرة قد تعرى الشجرة من أوراقها في يوم وبعض يوم ، ثم ان الذي يقطع غير الذي يحمل ، غير

الذي يطحن .... اذ تأتي فرقة ثالثة لتتخصص في طحن الأوراق ، بمعنى أن هذه الطواحين الحية الصغيرة تبدأ في مضغ قطع صغيرة من القطع الكبيرة المكومة أمام المستعمرة ، وفي عملية المضغ يختلط لعابها بما تمضغ ، وهي هنا لا تستفيد به كطعام ، لأنها لا تستطيع له بلعا ولا هضما ، بل انها « تبصق » ما مضغت ، وترصه داخل المستعمرة ككتل صغيرة ... كتلة بجوار كتلة ، بجوار كتلة ، وهكذا ، ومن هذه الكتل الاسفنجية أو الرخوة تكون مسطحات أشبه ما تكون بالوسادات الرقيقة ، وعلى هذه الوسادات تتم زراعة المحصول الذي يناسب النوع ، ولكي يزرع النمل ، كان لا بد أن يبذر ، والبذور هنا ليست كبذور النباتات التقليدية التي نعرفهـــا ، بل هي جراثيم فطرية لا ترى الا بالميكروسكوب ، وعندما تنبت الجراثيم وتترعرع ، تبدأ في تكوين نسيج فطري (وهو المعروف بين العامة باسم العفن ، وهو الذي نراه يظهر أحيانا على الخبز اذا تركناه في جو رطب ليومين أو أكثر) ، وعلى هذه « البساتين » الفطرية يعيش النمل ، ومنه يحصل على كل العناصر الغذائية اللازمة لحياته .



ونحن نعرف أن زراعاتنا أو بساتيننا لا تجود بالخيرات الا اذا أضفنا اليها أسمدة عضوية وغير عضوية ، لكن هذه الفكرة ليست بشرية ، بل هي قبل ذلك كانت حشرية ، لأن النمل قد عرف ذلك قبل أن يظهر الانسان على الأرض بعشرات الملايين من السنين .... ولكي يسمد النمل بساتينه ، كان لزاما عليه أن يخصص فرقة ثالثة لاحضار فضلات الديدان والحشرات التي تتغذى على النبات ، ثم يضع هذه الفضلات العضوية بين نسيج الأوراق المطحونة ، ليس هذا فحسب ، بل نراه أيضا يضيف فضلاته الى مزارعه ، ثم ان النمل يحب النظافة ، ويقضي وقت فراغه في تمشيط نفسه ، أو هو يمشط بعضه بعضا مما علق بجسمه من ادران ، فيكنس ذلك من مستعمراته ، ويضيفه الى مزارعه ، ليستفيد من عناصره في ازدهار بساتينه .... أضف الى ذلك أن أموات النمل ذاته ، تدفن في الوسادات العضوية التي تنمو عليها الأنسجة الفطرية ، فيزيد بذلك من خصوبتها ... وهو ــ أي النمل ــ في سلوكه هذا يشبه ما يقوم به المزارعون من البشر عندما يصنعون من مخلفاتهـم البشرية والحيوانية والنباتية أكـواما من السماد العضوي ، ويتركونها حتى تتخمر أو تنضج ، ثم تنقل لتوزع بين النباتات .

ونحن لا ندري كيف توصل النمل الى هذه الفكرة الكبيرة التي تعتبر نقطة تحول هامة في زيادة المحاصيل عند الانسان ، لأن التسميد يفيد النباتات بعنصر هام هو النيتروجين او مركباته ، اذ بدونه لن يكون هناك بروتين ، والبروتينات أحد الأعمدة الهامة جدا التي تقوم عليها الحياة ... لا يختلف في ذلك الشجر ، عن النمل والبشر .

وطبيعي أن النمل لا يزرع بساتينه الفطرية فوق سطح الأرض ، ولو فعل ، لما حصل على أسود ولا أبيض ، اذ أن محاصيله لا تتحمل تقلب المناخ ، ولا أشعة الشمس الحارقة ، خاصة اذا كانت مستعمراته مشيدة بين أحراش أو غابات المناطق الحارة ... وعليه اذن أن « يدرس » هذا الأمر ، ويتوصل فيه الى الحل ، ثم عليه أن يختار موقع العمل المناسب ، والأرض المناسبة ، وطبيعة الطبقات التي تتكون منها تلك الأرض ، ونسبة الرطوبة فيها ... الخ .... الخ ، فاذا أجرى النمل « حساباته » ، وتوصل الى مراده ، بدأ في تكوين مستعمرة صغيرة ذات ملكة شابة ، وما أن تمر عدة شهور ، أو ربما سنتان أو ثلاثة ، الا وتصبح المستعمرة الصغيرة بمثابة مدينة عظيمة مدفونة يسكنهـا عدة ملايين من السكان ... ولقد قدر أحد العلماء مساحة واحدة من هذه المستعمرات ، فوجدها حوالي مائة متر مربع ، أي أن هذه المساحة تكفي لانشاء منزل من منازلنا به عدة غرف ، ويبدأ النمل في الدخول الى المستعمرة الكبيرة ليس من باب واحد ، ولا عشرة ولا حتى مائة ، بل من ألف باب وباب ، فاذا دلفت النملة من أحد المداخل ، فانها تمر في ممرات أو سراديب أرضية متفرعة ، ومن ممر الى غرفة الى ممر .... الخ ، حتى تنتهي الرحلة الى عمق يصل تحت سطح الأرض الى حوالي أربعة أو خمسة أمتار ... أي كأنما المستعمرة هنا عبارة عن مدينة متكاملة تشبه ناطحات السحاب ... ولكن « ناطحات » النمل « تنطح » طبقات الأرض ، ولا شك أن « التكنيك » عند النمل أصعب ، اذ ليس البناء على السطح عسيرا كالبناء في الباطن ، ومع أن الانسان يستخدم أسياخ الحديد والأسمنت في تقوية مبانيه ، الا أن النمل يعتمد على طبيعة الأرض ، ذاتها ، لأن بناءه الضخم ـ والوصف هنا نسبي ـ قد ينهار ، كما تنهار المناجم مثلا على رؤوس أصحابها ، وأحيانا العمارات ، وكل هذا يؤدي الى كوارث في حياة البشر ... والنمل ايضا .

لكن لا تحمل للنمل هما ، فلقد أثبت وجوده على الأرض من قديم الزمن ، ولا يزال وسيستمر على هذا الكوكب الى أن يرث الله الأرض بما ومن عليها ، لأن النمل قد أعد لكل أمر عدته ـ وكأنما هو يقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

ولقد كانت حدائق بابل المعلقة واحدة من عجائب الدنيا السبعة ، وكذلك تكون حدائق النمل المعلقة ، اذ لو قارنا حجم النملة أو وزنها ، بحجم الانسان ووزنه ، ثم أرجعنا ذلك الى منشئات النمل والانسان ، لتوارت ناطحات السحاب أو حدائق بابل المعلقة خجلا ، ولعرف الانسان مقدار نفسه ، وربما يتخلى عن غروره ، اذ يذكر لنا دكتور « بيتر فابر » المتخصص في دراسة الحشرات ـ وزميل الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، وجمعية العلوم والبيولوجية ـ يذكر في أحد كتبه أن الملك سليمان الحكيم قال ينصح من حوله : « تأملوا النمل واذهبوا اليه أيها الكسالى ، ثم اعتبروا بطرقه في الحياة ، وتعلموا الحكمة ... فليس له من مراقب أو حسيب أو مرشد ، ومع ذلك يمون نفسه باللحم صيفا ، ويحصد طعامه من محاصيله شتاء » ... ولقد تشكك العلماء في قول سليمان ، اذ لم يكونوا يعرفون

أن النمل يزرع ويحصد ، لكن أحد العلماء الطبيعيين قد عرف في عام ١٨٧١ أن سليمان كان على حق ، وأنه لا بد قد اكتشف حقيقة النمل الزارع الذي نحن بصدده هنا ... ولقد وصف سليمان من حوله بأنهم كسالى ، عندما قارن سلوكهم بسلوك النمل ، لأن النملة « شعلة » نشاط ، ثم انها تؤدي عملها « بضمير حي » .... ان كان للنمل ضمير على أية حال ، والى هنا يتجلى لنا معنى الآية الكريمة : **(ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم)** « هود / ٥٦ » .



إذن ... لقد شيد النمل البساتين ، لتصبح رزقا حسنا للملايين ، وهو رزق قطوفه دانية ، لأن المزارع الفطرية تنتشر داخل المستعمرة في حجرات متجاورة ، وهذه يعلو بعضها البعض في طوابق أو أدوار متتابعة ، وترتبط فيما بينها بدهاليز أو ممرات صاعدة هابطة ... وعلى أسقف أو أرضية الحجرات أو الصوبات النملية (والصوبة تعني البيوت الزجاجية التي تحفظ فيها أنواع خاصة من النبات ، يخشى عليها الأنسان من تقلب الأجواء) ، تنمو الفطريات وتزدهر بفضل الرعاية المستمرة التي يقوم بها « فلاحو » النمل ، وطبيعي أنهم يأكلون مما زرعوا ، فما أن تقضم النملة خيطا فطريا ، الا ويظهر في قمته بعد ساعات « ثمرة » جديدة تشبه القرنبيط شكلا لا حجما ، لأن حجمها دقيق ليناسب أفواه وأمعاء مخلوقاتنا الصغيرة ، ثم انهم كلما قطفوا وأكلوا ، أينعت البساتين من جديد ، أي كأنما هذه الكائنات تعيش في جنات أرضية قطوفها دانية ، وخيراتها دائمة ، لأن المزارع الفطرية ليست كمزارعنا ، اذ كلما أعطاها النمل وسائد عضوية مزودة بأسمدة نيتروجينية ، كلما جادت على الملايين وذرياتهم ، وذرية ذرياتهم بطعام غير مقطوع ولا ممنوع .

لكن الذي يحير العلماء بحق هو الكيفية التي يحافظ بها النمل على بساتينه من أية « حشائش » دخيلة ، أو ميكروبات غريبة ، أو أية كائنات أخرى قد تندس بين « الأحواض » (أي حجرات الزرع) فتقلب الموائد على الفطر وعلى النمل ، وعندئذ تزول دولته ، ولكنها لا تزول ، بدليل أن هذه الأنواع لا زالت تواصل حياتها ، وتنتشر على سطح الأرض شرقا وغربا ، وطولا وعرضا .

وطبيعي أن ما أطلقنا عليه اسم الحشائش الغريبة ليست مثل حشائشنا التي نعرفها في زراعتنا ، بل هي أنواع أخرى من الفطريات الكثيرة والغريبة التي يحمل النمل جراثيمها في خاماته الى مستعمراته ، ولقد أحصى العلماء من هذه الجراثيم الغريبة عدة آلاف من الأنواع ، ولا بد أنه قد لوث بها مزارعه ، هذا بالاضافة الى الكائنات البكتيرية المدمرة ، وكأنما بعضها لبعض عدو مبين ...

ومع ذلك تظل المزارع سليمة دون ظهور أي كائن غريب .

وفكرة النمل في المحافظة على مزارعه أتقن وأكفأ وأحسن من فكرة الانسان في هذا المجال ، لأن البشر هنا يزرعون بعض أنواع خاصة من فطر عيش الغراب الذي يقدم على الموائد كطعام ، وهو غالي الثمن ، لأن انتاجه مكلف ، ويرجع ذلك الى بوار المحصول الفطري ـ أي عيش الغراب ـ بفطريات وبكتيريا تغزوه ، فلا تبقى فيه ولا تذر ، لكن النمل يحافظ على محاصيله شهرا من وراء شهر ، وعاما في اثر عام ، دون أن تظهر فيها كائنات غريبة يمكن أن تدمرها تدميرا .

لكن كيف يتأتى للنمل ذلك ، وهو لم يدرس الأمر في معاهد أو مراكز بحوث أو جامعات ، في حين أن الذين درسوا وعرفوا ، لم يستطيعوا أن يتوصلوا الى السر الذي توصل اليه النمل من قديم الزمن ، وكأنما الانسان هنا يردد : هنيئا للنمل بما زرع فرعى فجنى ، وليبق الانسان حائرا بفكره ، متصارعا مع قوى الطبيعة من حوله ، محاولا أن يجنب محاصيله الكثير من الآفات التي تحوم حولها ليل نهار ، رغم أنه استنبط لذلك سلالات جديدة ، أو مبيدات لا نستطيع لها عدا ، ففشل هو ، حيث نجح النمل .... انه درس عظيم لقوم يتفكرون ويتدبرون في نظم من لدن عزيز مقتدر .

الغريب هنا أيضا أن النمل اذا هجر مستعمراته ، أو ترك بساتينه ، فسرعان ما تدمر وتبور ، والذي يدمرها فطريات وبكتيريا غريبة ، اذ يخلو لهذه الميدان في غياب السكان ، ليزدهر نموها على المادة العضوية ، ثم تكتسح امامها البساتين الفطرية التي ظلت سنوات نقية من أي دخيل يمكن أن يشاركها أرضها ... فهل يعني ذلك أن النمل يخلص مزارعه من أية نباتات دنيئة غريبة ، فيزيلها كما نزيل نحن مثلا الحشائش الضارة من حقولنا ؟

الواقع أن النمل لا يفعل ذلك ، ومرة أخرى تظهر حيرة العلماء وتكهناتهم على مسرح الاحداث ، ومن أكثر هذه التكهنات تقبلا للعقل ، أن النمل الذي يمضغ أوراق النبات ويحولها الى عجينة ، ثم يضيفها الى زراعاته أولا بأول ، انما يضرب عصفورين بحجر واحد ـ أولهما : أن المضغ ذاته مفيد في تحرير مادة الأوراق (أو الخامة) الغذائية ، لتصبح ملائمة في تجهيز أرضية البساتين ، وثانيهما : أن لعاب النمل يحتوي على مادة أو عدة مواد مبيدة لأي كائن غريب ، لكنهما ليست كذلك بالنسبة للنوع الفطري الوحيد الذي اختاره النمل كي يزدهر في مستعمراته ... فهل يستطيع الأنسان أن يتوصل يوما الى أصالة هذه الفكرة الحشرية ؟!

نرجو ذلك ، لأن المعرفة في حد ذاتها ـ حتى ولو كانت من نملة ـ تفتح عيوننا على ما في الحياة من أسرار مذهلة ، أو قد نطبقها في محاصيلنا المقبلة ، وفوق ذلك نعبد الله عبادة خاشعة ، ونعرف عن حق معنى قوله تعالى : **(ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) .**

أحكام

للدكتور : محمد ناظم النسيمي

ان لبعض المحرمات فوائد علاجية ثابتة بالتجارب الطبية ، ولذلك التبس الأمر على بعض المسلمين فظنوا ان المحرم يباح تناوله بمجرد وصفه كدواء دون التحقق من وجود الاضطرار اليه ، فمنهم من يشرب النبيذ المسكر بحجة التقوي ، او يتجرع البيرا بحجة انه مصاب برمال بولية . فرأيت من الواجب ان ابين حكم الاسلام في التداوي بالمحرمات مع عرض وجيز لفهم الفقهاء لنصوص المسألة .

النهي عن التداوي بالمحرمات :

لم يحرم الله تعالى شيئا على هذه الامة الا وفيه خبث مادي او معنوي ، خفيا كان ام واضحا جليا ، اشتمل في منافعه على فوائد علاجية ام لم يشتمل . فالمحرم الذي يملك خاصة دوائية انما يملكها الى جانب آثار ضارة على صحة الانسان الجسمية او النفسية . ومن البديهي ان يحيد الطبيب والمريض عن الادوية ذات الاثار الجانبية غير المرغوبة مع تيسر العلاج الامثل الخالي من الآثار الضارة . ولذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التداوي بالمحرمات فقال : « ان الله خلق الداء والدواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام » رواه الطبراني باسناد رجال

التداوي بالمحرمات

ثقات كما في مجمع الزوائد . وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » ، رواه ابو داود وابو يعلي والبزار ، وصححه ابن حبان . ومن معاني جعل ، حكم ، اي شرع كما بين ذلك الامام محمد فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير عند تفسير قوله تعالى : **(ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)** ، (المائدة ١٠٣) فمعنى لم يجعل شفاء امتي : لم يشرع استشفاء امتي فيما حرم عليها .

وعلى تحريم التداوي بالمحرمات في غير حالات الاضطرار اجمع الائمة المجتهدون والعلماء المحققون .

التداوي بالمحرمات غير المسكرة عند الضرورة :

الضرورة هي الحالة المحدقة بالانسان في ظرف سيء والتى تحمله على ارتكاب المحرم الممنوع شرعا للمحافظة على نفسه من الهلاك اوماله من الضياع ، اولدفع اذي لايتحمله اما يقينا او ظنا .

والاصل في استعمال المحرمات في حال الاضطرار قول الله عز وجل : **(ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم الا ما اضطررتم اليه)** الانعام/ ١١٩ فعمم الله استثناء حالة

الضرورة من التحريم واطلقها من غير قيد ولا شرط ولا صفة فاقتضى وجود الاباحة بوجود الضرورة في كل حال وجدت الضرورة فيها ، سواء كان الاضطرار لضرورة التغذي ام لضرورة التداوي ام لغير ذلك .

فاذا خاف المريض على نفسه الهلاك او تعطيل عضو من اعضائه ، او خاف الطبيب عليه من حدوث ذلك ، او بلغ الالم بالمريض مبلغا شديدا لايحتمل ، او تأذى من مرضه او خاف سرايته الى غيره ، ولم يجد دواء مباحا يفيد في علته جاز له ان يستعمل الدواء المحرم اذا غلب على ظنه او ظن طبيبه انه مفيد .

لقد اجاز الله تعالى للمحرم بالحج ان يحلق رأسه اذا اضطر الى ذلك لاصابته بقمل الرأس مثلا ، مع ان الحلق من محرمات الاحرام ، قال تعالى : **(... او به اذى من رأسه ففدية ...)** البقرة/١٩٦ ولقد « امر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة وهو محرم زمن الحديبية ان يحلق بسبب القمل وان يصوم ثلاثة ايام او يطعم ستة او ينسك نسيكة » . البخارى ـ كتاب الطب .

وللضرورة « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهما في لبس الحرير لحكة كانت بهما » رواه البخارى ومسلم .

وللضرورة ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعمال الذهب في التداوي ولو لستر نقص وازالة تشويه ، حتى لاتتأزم نفسية حامل التشويه فعن عرفجة بن اسعد قال :

اصيب انفي يوم الكلاب في الجاهلية فاتخذت انفا من ورق فأنتن علي ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ انفا من ذهب » رواه الترمذي وقال : حسن ، فاذا جاز اتخاذ انف من ذهب لازالة التشويه من الوجه فمن باب اولى جوازه في تطبيب الاسنان المصابة . وفي مجمع الزوائد روايات تدل على ان عثمان بن عفان وانس بن مالك رضي الله عنهما طببا اسنانهما بالذهب .

تلكم ادلة الحنفية والشافعية في اباحة التداوي بالمحرمات عند الضرورة . واستدلوا ايضا بوصف الرسول عليه الصلاة والسلام لرهط قدموا عليه من عرينة وعكل بالتداوي بألبان الابل وابوالها .

وذهب المالكية والحنابلة الى منع التداوي بالمحرمات لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » بمعنى ان الله تعالى لم يخلق شفاء في محرم وبقطع النظر عن خصوص السبب لورود الحديث والذي هو حادثة التداوي بالمسكر كما تذكر الروايات الاخرى .

وقالت جماعة من الفقهاء بهذا المعنى ولكن خصصت الحديث السابق بالمسكرات منهم الخطيب الشربيني في شرحه على منهاج النووي رحمهما الله تعالى ، فقال عند ذكر

الحديث : وهو محمول على الخمر .
واضافة الى ذلك فان المعنى الذي اخذت به الحنابلة والمالكية لـ (جعل) ليس مقصورا على (خلق) ليكون النص قطعي الدلالة ، بل ان من معانيها (حكم ، وصير) كما وضح ذلك الامام الفخر الرازي .

تحريم التداوي بتجرع المسكرات مطلقا :

من المعلوم ان الاسلام تدرج في تحريم الخمر والمسكرات على اتباعه لشدة اعتيادهم قبل الاسلام ، وشغفهم بها وادمان الكثيرين عليها ، ولان فطام المدمن عليها لايكون الا بالتدريج . ثم بعد ان حرمها تحريما تاما قطعيا ، ظن بعض المسلمين ان صنعها وتناولها بقصد التداوي لايدخل في نطاق التحريم . فعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بين حكم الله تعالى في ان التحريم يشمل المسكر سواء اكان تناوله طلبا للنشوة والسكر ام كان استشفاء وتداويا . ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن التداوي بالمسكرات ، بل نفى عنها صفة الدواء ووسمها بأنها داء . قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : عندنا انبذة انتداوي بها ؟ قال : « اهي مسكرة » قال : نعم ، قال : « انها داء وليست بدواء » . رواه مسلم والبيهقي .

وعلى تحريم التداوي بالمسكرات اتفقت ائمة المذاهب ، غير ان الحنفية استثنوا حالة الضرورة وتعين الشفاء بالمسكر استنادا الى استثناء حالة الاضطرار في الاية الكريمة .

ولقد اشار الامام النووي (في شرحه صحيح مسلم) الى ان المعتمد عند الشافعية هو حرمة التداوي بالخمر ، اي تجرعه وشربه للتداوي ، اما تطبيقه على ظاهر الجسم بقصد المداواة عند الضرورة كالتضميد بالترياق الفاروق فان الشافعية متفقون على جوازه مع ان فيه خمرا ولحم حيات وقد اجازه الامام النووي في فتاويه المسماه بالمسائل المنثورة .

وقيد بعض الشافعية حرمة التداوي بالخمر اذا كانت صرفة غير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه ، فاذا استهلكت فيه جاز التداوي بذلك لتعجيل شفاء بشرط اخبار طبيب مسلم عدل ، او معرفته للتداوي وبشرط ان يكون القدر المستعمل قليلا لا يسكر . (كما في مغني المحتاج والفقة على المذاهب الاربعة) وفي اعانة الطالبين : بحيث لم يبق فيه طعم ولا لون ولا ريح .

هذا وان المسكرات وان كانت نجسة عند الشافعية ايضا والنجاسة من اسباب التحريم ، الا انهم اعتبروا بعض النجاسات من المعفو عنها . ففي مشروع الموسوعة الفقهية الكويتية موضوع الاطعمة) الفقرة ١٧٢ في الكلام عن الغازوزة : والزيوت العطرية الداخلة في صناعتها لاتمتزج بباقي موادها الا اذا حلت باضافة جزء من الغول اليها ، والغول (الكحول) هو روح المسكرات كلها فهو نجس عند

الجمهور وبه يتنجس الزيت والغازوزة فيحرم شربها . هذا ما يبدو لاول وهلة ، لكن اذا امعنا النظر امكننا ان نقول : ان اضافة الغول انما هي للاصلاح فشأنها شأن اضافة الانفحة النجسة الى اللبن ليصير جبنا وقد قالوا إ الانفحة لا تنجس اللبن بل يعفى عنها ، هذا كله اذا قلنا إن الغول نجس فان قلنا : انه طاهر كما قال الشوكاني وكما اختارته لجنة الفتوى في الازهر فلا اشكال والله اعلم ا ه ، والانفحة تنجس عند الشافعية اذا كان الحيوان قد رعى العشب ، اما اذا لم يكن رعاه فانها طاهرة مأكولة عند المذاهب كلها اذا اخذت من مذكى ذكاة شرعية . وقبل الشوكاني قال الامام « ربيعة الرأي » شيخ الامام مالك بطهارة الخمر والمسكرات وان نجاستها معنوية لا حسية لان وصف الرجس كان لها ولما قرن بها في الآية الكريمة من الميسر والانصاب والأزلام . فالآية ليست قطعية الدلالة على نجاسة الخمر . ويرى بعض العلماء الحكم بنجاستها لورود حديث يأمر بغسل الاوعية المستعارة من الذميين ، لكنهم يفرقون بين الغول الصرف او المدد لغرض صناعي ويعتبرونهما طاهرين او من المعفو عن نجاستهما ، وبين الغول المدد لاعداده كمشروب مسكر حيث يتنجس او يبقى على نجاسته الاصلية .

والخلاصة : ان الادوية المهيأة بالغول او الخمر بقصد صناعي صيدلاني ، لا بقصد التداوي بذات الخمر او النشوة بها ، يجيزها بعض الشافعية عند الضرورة اذا كان الغول او الخمر مستهلكة في ذلك الدواء .

اقول والله اعلم : ان استهلاك المسكر في الدواء ـ المشار اليه في المذهب الشافعي ـ يتم اما بتغير تركيبه بتفاعله بالعقار او العقارات الاخرى المشاركة في تركيب الدواء ، او باستهلاك التأثير المسكر بغلبة تأثير العقارات الاخرى بحيث لا يمكن السكر بذلك الدواء . وعليه يشترط لشرب الادوية المهيأة بالغول او الخمر ثلاثة شروط :

١ ـ ان يضطر الى ذلك الدواء لفقدان دواء آخر مباح خال من الغول ومفيد في ذات العلة كفائدة الدواء المهيأ بالغول في القوة وسرعة التأثير .

ومن العلماء من يجعل في حكم شرط الضرورة عموم البلوى ودفع الحرج في صناعة الادوية ، وذلك اذا تحقق الشرطان الآخران ايضا وذلك لاجازة الشافعية استعمال الانفحة النجسة في صناعة الجبن .

٢ ـ ان تكون الجرعة الدوائية غير مؤدية لعوارض السكر الاولى من نشوة وخفة وجرأة وتقليل حياء .

٣ ـ ان يكون السكر بالمقدار الكبير من الدواء غير ممكن ايضا ، لان زيادة مقدار الجرعة الدوائية الى حد فائض تؤدى الى حصول التضرر او التسمم بالعقارات المشاركة في ذلك الدواء قبل حصول السكر به ، اي ان تأثير الادوية المشاركة يغلب تأثير الخمر او الغول فأضحت الخمر مستهلكة التأثير في ذلك الدواء .

واضرب لذلك مثلا صبغة اللفاح (بللادون) وصبغة الستركنين فان العقار المؤثر محلول في الغول لحفظه وامكان معايرته وضبط الجرعة الدوائية فيه .

وعلى هذا فانه لا يجوز عند الشافعية مطلقا التداوي بالخمور الصرفة ولا بالادوية المسماة بالخمور الدوائية المهيأة ، لينتشي بها الشارب مع استعمال العلاج اللازم الممزوج بها او المستخلص بواسطتها ، اما ماعداهما من الادوية المعدة للشرب والتى يدخل الغول في اجزائها لاصلاح الدواء ومنعه من الفساد ، او لتسهيل ذوبانه ، او كان وسيلة لاخذ الخلاصة الدوائية من النبات وامكان المعايرة ، فان جواز استعمالها خاضع للشروط الثلاثة السابقة . وان التثبت من تحقق تلك الشروط تابع للطبيب المسلم العدل .

هذا واذكر بأن الطب الحديث في فروعه المختلفة اخذ في اواخر الاربعينات من القرن العشرين بابطال التداوي بتجرع المسكرات بعلة ان فيها فوائد علاجية حتى بطل نهائيا في هذه السنين الاخيرة .

امثلة عملية عن الاضطرار الى التداوي بالمحرمات :

١ ـ استعمال المخدرات في العمل الجراحي يعتبر مما نضطر اليه .

٢ ـ استعمال المخدرات كالمورفين (او مشتقاته) لتسكين الالم الشديد (كالقولنجات البولية الحصوية مثلا) حينما تفقد المسكنات ومضادات التشنج او حينما لا تفلح هذه في تسكين الالم غير المحتمل .

٣ ـ استعمال الذهب في تطبيب الاسنان ، فذلك جائز ، وهو غير استعماله لستر الاسنان لغاية تجميلية فقط .

٤ ـ هناك ادوية تستخرجها بعض المعامل من اعضاء الخنزير « فالانسولين » مثلا من معثكلته وتستخرجها معامل اخرى من حيوانات مباحة كالبقر ، فاذا كان الطبيب في حالة اسعاف لمريض مصاب بالداء السكرى متأذ من شدة ارتفاع السكر في دمه وكان من الضرورى اللجوء الى « الانسولين » ، ولم يجد الا « انوسلين » مستخرجا من اعضاء الخنزير ، ابيح له استعماله بمقدار الاسعاف وضمن زمن فقدان الدواء المباح .

٥ ـ اسعاف النازفين بغزارة ، ومعالجة بعض المرضى بنقل الدم اليهم ، مع ان الدم في الاصل محرم .

٦ ـ المعالجة بالمصول كالمصل المضاد للخناق الدفتريائي ، والمصل المضاد للكزاز ، والمصل المضاد لسم الافعى ، ومصل الناقه من بعض الامراض ، فان الاضطرار اليها يبيحها ، مع انها مستحصلة من دم الانسان الناقه من مرض معين ، او من مصل دم الحيوان كالحصان مثلا .

٧ ـ الاستفادة من اعضاء الموتى في عمليات الزرع ، ولي بحث خاص في بيان جواز هذه الاستفادة عند الضرورة .

جهاد الامام

لعلنا في ظروفنا الحالية في حاجة ماسة لأن نستذكر تاريخ أبطال أمتنا الأعلام الأفذاذ ، فانهم المنارات الهادية في ليلنا الدامس ، فما أحرانا أن نستلهم من تاريخهم العبر لنستعين بذلك في الثبات على الحق ،

ودفع غوائل الدهر ، ولنكون في يقظة دائمة من أعداء الأمة الاسلامية والعربية ومؤامراتهم ودسائسهم .

فمن هؤلاء الأبطال العمالقة المتفانين في خدمة أمتهم ودينهم الامام شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المولود ٦٦١هـ /١٢٦٣م)

وكان من جهاده أنه في سنة ٦٩٩ هـ كما جاء في تاريخ ابن كثير ، عندما زحف التتار على دمشق ، وهزموا عساكر الدولة في الشام وشتتوهم ، وفر الجنود من المصريين والشاميين

ابن تيمية

للأستاذ عبد القادر محمد العماري

واجتازوا حدود الشام الى مصر ، وفر مع الجنود كثير من أكابر العلماء بمن فيهم قاضي الشافعية امام الديـن وقاضي المالكية الزواوي ، ـ وأصبح جنود التتار على أبواب دمشق وأهلها في ذعر وهلع ، واضطرب حبل الأمن في البـلاد حتـى خرج المجرمـون والشطـار من السجـون ينهبـون ويسرقون ، ولكن عالما واحدا بقى مع العامة ، فلم يفر ولـم يخـرج من دمشق ، لأن له قلبا يحول بينه وبين الفرار ، وشعورا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، فتولى هو القيادة وجمع من بقى من أعيان البلد ، واتفق معهم على ضبط الأمور وطلب من الحامية التي بقيت في قلعة دمشق أن تثبت ولا تستسلم ، وتكون وفد هو على رأسه لملاقاة سلطان التتار وقائدهم خارج دمشق لمحاولة منع الجيش التتري من

دخول المدينة ، وذهب الى سلطان التتار وقائدهم قازان وقابله في خيمته خارج دمشق ، فحاوره وناقشه بكل حجة ومنطق وأخذ السلطان يصغي اليه ، ومن شدة ما وقع في نفسه من المهابة للشيخ ، سأل : من هذا الشيخ ؟ إني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ، وأخبر بحاله وما عليه من العلم والعمل ، وكان من جملة القول الذي وجهه عن طريق الترجمان (قل للقازان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، وجدك وأبوك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، أنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت) وقد أدت هذه المقابلة الى بعض النجاح حيث تأجل دخول التتار دمشق الى حين ، فأمن الناس وزال عنهم الفزع ، فقد وعده قازان خيرا ، وطيف بمنشور في البلاد يتضمن الأمان ولكن طلب من الأهالي تسليم السلاح والخيل والأموال المخبوءة ، بينما انصرف الامام للعمل ليل نهار في تقوية الجبهة الداخلية ، ويحث الأهالي على الثبات والصمود وعدم تمكين القلق والفزع أن يتسرب الى نفوسهم ، فما كان من جنود التتار خارج دمشق بعد ثمانية أيام الا أن عبثوا فأتلفوا الزرع والماشية ، وشحت الأقوات في البلاد ، فتأزمت الأمور فحاول الامام أن يقابل السلطان مرة أخرى ، ولكن وزراءه وجنوده منعوه ولم يمكنوه من المقابلة ، وهنا تحرك الطابور الخامس المتمثل في فرق الباطنية كالنصيرية ، والاسماعيلية ، والحشاشين وساعدوا التتار واندفعوا معهم في الصالحية يعيثون فيها فسادا ، وهدموا بعض مساجدها ، وقتلوا وسبوا نساء المسلمين ولكن ذلك لم يفت في عضد الامام ومن وقف معه من أعيان البلد والعامة ، حتى تمكن من التغلب على الأمور ، وتمكن من مقابلة السلطان مرة أخرى ، وأقنعه أن يفك الأسرى ومما يجب أن يسجل هنا بكل فخر واعتزاز ، أن السلطان أراد أن يبقي عنده بعض الأسرى من غير المسلمين ممن يطلق عليهم أهل الذمة ، فأصر الامام على اطلاق جميع الأسرى بمن فيهم غير المسلمين من أهل الذمة ، لأن أهل الذمة مواطنون مثلهم . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، حتى أقنع السلطان فأطلق سراح الأسرى ، وهكذا استطاع ابن تيمية وهو يرى انهيار الجيش وهروب الأمراء والوزراء ، أن يعالج الأمر بشجاعته وحكمته وقوة شخصيته ، فتمكن من المحافظة على تماسك الجبهة الداخلية ، ومنع الانهيار الشامل ، ولكن بعد أن عادت الأمور الى نصابها ، وعاد الهاربون الى ديارهم ، فما أن مرت سنة واحدة حتى عاد الخطر مرة أخرى ، فتسامع الناس في سنة ٧٠٠ هجرية أن التتار سيعيدون الكرة ويقصدون الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر بعد ذلك ، فأخذ الأهالي يفرون كالمرة الأولى ، وهم في هذه المرة يفرون على السماع ، وكانوا في المرة الأولى يفرون عند العيان ، ولكن ابن تيمية

الذي استطاع أن يعالج التتار بالسلم في الماضي بعد أن خارت العزائم وتفككت الجيوش ، ولم يكن في الامكان أن يشن عليهم حربا في تلك الظروف لأنهم كانوا أصحاب العتاد والعدة ، وغزوا الديار في عقر دارها ، أما الآن وفي الأمر فرصة لصد الغزو ودحر الأعداء ، فقد أراد أن يتقدم الى الميدان بالسيف لا بالقول ، فبدأ يخطب في الجموع الحاشدة وهي تسمع اليه ، ويحثهم على الجهاد والتصدي للعدو ، ويحذرهم من الاسراع في الفرار ، وطلب منهم بذل النفس والنفيس في الدفاع عن وطنهم وأعراضهم والدفاع عن الاسلام وبين لهم أن ما ينفقونه في الهرب وما يضيع بسببه لو أنفقوه في سبيل الله كان خيرا لهم ، ونودي أن لا يسافر أحد الا بأمر وعند الضرورة ، وأخذ يكتب النشرات المتتالية في الحث على الجهاد في سبيل الله ، ويعقد الندوات والاجتماعات وطمن الأهالي بأن السلطان الناصر بمصر ، قد عزم على الخروج وأن عساكره القوية في طريقها اليهم ، لتحمي الذمار وتدافع عن الديار . وفي هذه الأثناء تناقلت الأنباء أن القوات القادمة من مصر ، قد رجعت من الطريق وعادت الى القاهرة ، وأن السلطان قرر عدم الخروج الى الشام فعاد الرعب والاضطراب بين الناس مرة أخرى وأثار المرجفون أن التتار قد وصلوا الى حلب ، فتلفت الناس كبيرهم وصغيرهم الى البطل الامام ابن تيمية ، فخرج الى جند الشام المعسكرين خارج دمشق يحثهم على القتال ، ويقوي من عزيمتهم ، ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الجهاد في سبيل الله والثبات في المعارك ، وتحذر من التولي والادبار عند حماية الوطيس ، ولم ينفك دعاة الهزيمة والمتخاذلون أن يتذرعوا بالحجج الواهية في القعود عن القتال ، ويتسترون أحيانا بالدين ، ويقولون كيف نقاتل المسلمين ، فالتتار مسلمون ، فرد ابن تيمية وهو يستشيط غضبا على أولئك الذين لا يعرفون الدين الا في المناسبات ، ومتى كان يوافق أهواءهم وأغراضهم ، فيرد عليهم بأن الامام علي ومعاوية والصحابة رضوان الله عليهم قاتلوا الخوارج ، مع أنهم كانوا أفضل اسلاما من هؤلاء التتار ثم طلب منه بعض الأمراء ونواب السلطة أن يذهب بنفسه الى مصر ليستحث السلطان على المجيء الى الشام بجيشه وقوته ، فان جحافل التتار لا يمكن أن يقف في وجهها جيش الشام بمفرده . فركب خيله وتوجه الى مصر ، وما أن وصل حتى وجد السلطان قد عاد بعسكره الى القاهرة وخلد الى الراحة ، وتفرقت جموع الجند ، فدخل الامام البطل على السلطان الناصر ، وهو بين أمرائه ، ووزرائه وقال له : « ان كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ، ثم قال : لو قدر أنكم لستم حكامه ، واستنصركم

أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطنه ، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم » . ثم التفت الى الأمراء والوزراء ، وحثهم على النجدة ، وقوى جأشهم وعزيمتهم ، ومـا زال بالسلطان وقواده ، حتى تجمعت الجنود وخرجت من مصر متجهة الى الشام ، وقد سبقها ابن تيمية الى دمشق ليقوي عزيمة أهل الشام ويبشرهم بتحرك القوات المصرية ، وأنها في الطريق اليهم ، لأنه قد ترك دمشق وقد استولى عليها الذعر واشتدت فيها الأراجيف ، حتى نادى دعاة الهزيمة بالفرار وأنذرهم والي المدينة بأنه من قدر على شيء فليخرج به ، وقد وصل ابن تيمية قبل أن يفر الناس وأن يستجيبوا لهذا الوالي الجبان فطمأنهم وأمنهم ، وتأكدوا أن جنود السلطان آتية قبل أن يأتيهم التتار ، فاستقرت البلاد واطمأنت الى قوتها ووحدتها ، فسمع التتار أن خصومهم قد أعدوا العدة وأخذوا الأهبة ، فلاحظوا في أنفسهم الضعف ، فلم يتقدموا لغزو الشام ، وتراجعوا الى معاقلهم .

وبعد أن انقشعت سحب الحرب ، عاد الامام الى دروسه وعلمه ، ولم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد أقام الفضيلة والأخلاق عندما صارت له الكلمة الأولى في الشام ، فحطم حانات الخمور ومواخير الفواحش ، وعزر أصحابها ، فلقى ذلك ترحيبا من العامة ، اذ رأوا أن أحكام القرآن تنفذ وعهد الرسول والصحابة يعود .

وما أن مضت سنتان حتى جاء التتار وزحفوا مرة أخرى على الشام سنة ٧٠٢هـ . ولكن كانت الجيوش الشامية والمصرية على أهبة الاستعداد بفضل ذلك الامام البطل ، ومرة أخرى عاد دعاة الهزيمة والتخاذل ينشرون الفزع في قلوب الناس ، ولكن في هذه المرة قد تحالف العلماء والقضاة والأمراء على أن يلاقوا العدو ولا يفرون من دمشق . ووقف الامام ابن تيمية على رأس الجموع يثبت القلوب ويعدهم بالنصر ، وكان عندما يتلو عليهم قول الله تعالى : **(ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله)** الحج / ٦٠ . كان يحلف ويقول : والله انكم لمنصورون فيقول له بعض الامراء : قل ان شاء الله فيقول : أقولها تحقيقا لا تعليقا ، ومرة أخرى يستشيط غضبا على دعاة الهزيمة عندما يقولون له : ان التتار مسلمون ، كيف نقاتلهم ؟ فيرد عليهم بأن هؤلاء يزعمون أنهم أحق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، ويقول لهم في غيظ : اذا رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني .

وبعد أن حرك الامام فيهم العزيمة وأثار النخوة ، امتطى صهوة جواده حاملا سيفه ، وخرج الى مرج الصفر قريبا من دمشق وقبل أن تبدأ المعركة

التقى بالسلطان الناصر ، يحثه وجنده على الجهاد واحقاق الحق ورد المعتدين ، بعد أن بلغه أن السلطان كاد أن يرجع وقد طلب منه السلطان أن يقف معه في المعركة فقال له : « السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف الا معهم » وقد حث الجنود والأمراء على الفطر ، فقد كان ذلك الشهر شهر رمضان المعظم ليقووا على القتال ، وكان يروي لهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح « انكم ملاقو العدو والفطر أقوى لكم » وكان يدور على الجنود وهو يأكل أمامهم ليبين لهم إن افطارهم أفضل في هذه الحال وقد بدأت المعركة ، التي تسمى في التاريخ وقعة شقحب في الرابع من رمضان سنة ٧٠٢هـ . الموافق ١٣٠٣م . وقف البطل الفارس ومعه اخوة في المعركة موقف الموت مع الجنود الشاميين والمصريين ، واشتد القتال وأبلى الامام بلاء حسنا . حتى انتصر جنود مصر والشام وولى التتار الأدبار ، يقتحمون الجبال والتلال وجنود الاسلام تتعقبهم وتطاردهم وتأسر منهم ، حتى قضى على هذا الخطر المستطير ، فقد وصف بعض الأوروبيين الغارات التي يشنها التتار على المدن والشعوب ، فشبهها بهزات الطبيعة التي تقتلع الحياة وتغير وجه الأرض ، ومما يجدر أن نقف عنده هنا موقف الطوائف الباطنية ، فقد مالأت التتار وساعدتهم في هذه الحرب وفي الحروب السابقة ، وموقفهم دائما في مساعدة كل غاز لبلاد الاسلام ، واشتراكهم في السلب والنهب ضد المسلمين ، لذلك اتجه بصر ابن تيمية الى هؤلاء ، لأنهم بفعلهم هذا قد برهنوا أنهم منافقون غير مسلمين ، انهم شوكة في جنب دولة الاسلام الشامية المصرية ، يتربصون بها الدوائر ويمالئون عليها الأعداء ، ومنهم العيون والجواسيس وقد وجه الامام ابن تيمية رسالة الى السلطان الناصر يحذره فيها من شرهم ، ويطالبه بالزامهم بشرع الاسلام واخراجهم من الجبال والعمل على دمجهم في المجتمع ، حتى لا يصبحوا قوة منفصلة تهدد كيان الدولة الاسلامية باستمرار . ومما جاء في تلك الرسالة « لما قدم التتار الى البلاد وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد وأرسلوا الى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصليب وحملوا الى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصى عدده الا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما ، يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص (أي الصليبيين المحاربين للمسلمين) وفرحوا بمجىء التتار ولما خرجت العساكر الاسلامية من الديار المصرية ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس فيهم ولما نصر الله الاسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء ، كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة ، كان من أسباب خروج جنكيزخان الى بلاد الاسلام ، وفي استيلاء هولاكو على بغداد ، وفي

قدومه الى حلب وفي نهب الصالحية ، وغير ذلك من أنواع العداوة للاسلام وأهله ، ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرهم منهم في أمر لا يضبط شره ، كل ليلة تنزل منهم طائفة ويفعلون الفساد ما لا يحصيه الا رب العباد ، كانوا في قطع الطرقات واخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد اليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين ، فاما أن يقتلوه وأما أن يسلبوه ، وقليل منهم من يفلت بالحيلة » . هذا جزء من الرسالة أو التقرير الذي رفعه الامام الى السلطان بشأن تلك الطائفة التي أصبحت كالشوكة في جنب دولة الاسلام ، ولم يكتف الامام بتوجيه الرسائل بل قاد هو كتيبة مع بعض أصحابه ، وذهب الى هؤلاء في معاقلهم يؤدبهم على ما اقترفوا من جرائم في حق الاسلام والمسلمين ، فقد بلغت بهم العداوة الى أن يبيعوا المسلمين الى النصارى الصليبيين عندما حانت لهم الفرصة وهنا يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : « « ولعل أشد ما أصاب ابن تيمية من مرارة بيع المسلمين للصليبيين ، ولم يكن ذلك عن تعصب ديني ، بل لأن بيع المسلم حرام وبيعه لغير المسلم كفر ، ولأن الصليبيين كانوا في حرب مع المسلمين فبيع أولياء الاسلام لأعدائه مروق لا يبرره أي اختلاف طائفي أو مذهبي ، وأن ابن تيمية الذي لم يسوغ أسر الذمي بل يعمل على استنقاذه كما يستنقذ المسلم ، لا يتسع ضميره الديني قط لأن يغضي عن طائفة تنتسب الى الاسلام تبيع المسلم الحر لعدوه الذي يقاتله في الميدان ، من أجل ذلك لم يتركها في عبثها واعتدائها ودسها ، ولكن هل قضى عليها ؟ انه خضد شوكتها وأزال مجتمعها في الجبل ولكنه لم يزلها ، فان لم تجتمع في الجبال اجتمعت في الوهاد والرياض ، وهو على أي حال انتصر للحق منها وقلم أظفارها ، كما كشف عن مستور أهل التصوف الذين اتخذوا الشعوذة سبيلا للتأثير على العادة واقامها عليهم حربا شعواء ، وخصوصا أن بعضهم مالأ التتار أثناء حملتهم على الشام وعيثهم فيها فسادا ، كما اتجه الى ازالة البدع والمنكرات ، وقد علم أن صخرة تزار وتنذر لها النذور فذهب مع أصحابه ومعه حجارون يقطعون الصخور فقطعها وهدمها وأراح المسلمين من وزرها » .

واننا إن كنا قد ذكرنا جهاده في ميدان الحرب ، فان له في ميدان الفكر صولات وجولات مع مختلف الطوائف والمذاهب والأفكار ، كانت السبب في كثرة أعدائه وحساده ومناوئيه ، وقد جرت بينه وبين معارضيه ومنتقديه مناقشات وردود أفحمهم فيها بالحجة والمنطق والأدلة الدامغة فجردهم من أسلحتهم وتفوق عليهم ، سلكوا سبيل الوشاية به الى الحكام والسلاطين وتحريض العامة والخاصة عليه فعاقبوه بالنفي

والسجن ، فكان في السجن يعلم المساجين والحراس أصول الدين ، ويكتب الرسائل والمؤلفات في مختلف علوم الشريعة وفي الرد على خصومه فضاقوا من كتاباته وهو في السجن ، فجردوه عن القلم والمحبرة والأوراق ، وعزلوه في سجن انفرادي فانشغل بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن ومع ذلك فلم يمنعه أن يكتب بعض خواطره بالفحم على أي شيء يتمكن من الكتابة عليه ، ومما كتبه بالفحم قوله « قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب ، فاستعلمهم الله من حيث لا يشعرون حتى أظهروا ما لا يريدون اظهاره ولم يمكنهم أن يظهروا علينا عيبا في الشرع والدين ، بل غاية ما عندهم أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين ، والمخلوق كائنا من كان اذا خالف أمر الله ورسوله لم يجب ، بل لا تجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين » ، وكان من كلامه كلمته الخالدة التي ذهبت مثلا يرددها كل مفكر مصلح يقول كلمة الحق : « **سجني خلوة ونفيي سياحة وقتلي شهادة** » . وقد كان رحمه الله عظيما في أخلاقه ، لا يحمل حقدا ولا ضغينة على أحد حتى أنه ليصفح راضيا طيب النفس عن كل مسلم ناله منه أذى ، وقد زاره أمير دمشق لما مرض في السجن ، فلما جلس أخذ يعتذر ويلتمس منه أن يحلله مما عسى أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير ، فأجاب الامام « اني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق وأحللت السلطان الملك الناصر من حبسه اياي ، لكونه فعل ذلك مقلدا معذورا ولم يفعله لحظ نفسه وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه الا من كان عدو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » .

وقد توفي في هذا المرض رحمه الله بالسجن في تاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ . الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٢٨م . وما أن علمت الجماهير بوفاته حتى عمها الحزن والأسى ، وعندما خرجت جنازته أحاطت بها الجماهير وخرجت دمشق كلها عن بكرة أبيها ، تشيع جنازته مودعة امامها وقائدها الى مثواه الأخير . رحم الله الامام ابن تيمية وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . وقد حرم من كثير من حرم نفسه من قراءة تاريخ هذا الامام العظيم ومؤلفاته في شتى العلوم الاسلامية ومؤلفات تلاميذه ، وخاصة تلميذه الامام ابن القيم الجوزية فرحم الله الجميع ونفعنا بعلومهم وعصمنا من معاداة أوليائه الصالحين .

(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون) البقرة/ ١٤٠و١٤١ .

(ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) الحشر/ ١٠ .

الوصيّة الواجبة

للدكتور

كثيراً ما تضيع الاموال ، وتموت الحقوق ، اما بطريق العمد ، واما بطريق التقصير أو الاهمال أو اللامبالاة ، وهذا ما ينهي عنه الاسلام الذي طالب بحفظ الحقوق ، واداء الديون وتبرئة الذمة ، وشرع ما يكفل ذلك ، ويمنع الضياع سواء كان عن عمد أم تقصير ، وذلك عن طريق الوصية الواجبة .

وهذا يدعونا لبحث هذا الموضوع الهام ، والتنبيه عن خطورته ، فنقدم تعريف الوصية وانواعها ، وصلة الوصية الواجبة بالمعاملات ، ثم نبين حكمة مشروعية الوصية الواجبة ، ومسؤولية الدين شرعاً ، ووجوب الاسراع به ، واثر العقيدة في الوصية الواجبة .

تعريف الوصية :

« هي تصرف في التركة مضاف الى ما بعد الموت » ، وذلك : ان يعلن شخص عن رغبته في التبرع والاداء من جزء من ماله بعد وفاته ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وطمعا في ثوابه ، وتكفيراً عن ذنوبه واخطائه التي ارتكبها في حياته ، ووفاء للديون والالتزامات التي وجبت عليه .

انواع الوصية :

والوصية عدة انواع نعدد اهمها وهي :

اولا :الوصية المحرمة :

وهي ان يوصي الانسان بمال ، ويتبرع به ، بقصد اضرار الورثة ومنعهم من استحقاق التركة ، أو تخفيض حصتهم منها ، وهذا

في الحقوق والواجبات

محمد مصطفى الزحيلي

التصرف ممنوع بنص القرآن الكريم ، ويرتكب فاعله الاثم والمعصية ويحرم من الاجر والثواب ، ويختم حياته بالشر والضرر ، قال تعالى : **(من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار)** النساء/١٢ . وطلب القرآن الكريم من المؤمنين الذين يحضرون مجلس الوصية ان يمنعوا الموصي من الاذى والضرر بوصيته فقال تعالى : **(فمن خاف من موص جنفاً أو أثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم)** البقرة/١٨٢ .

ويدخل تحت هذا النوع الوصية لاحد الورثة لتخصيصه بقسم من المال ، وزيادة حصته التي يأخذها من الميراث ، إيثاراً له على باقي الورثة ، واضراراً بهم ، كما يدخل في الوصية المحرمة التبرع بالمحرمات ، والوصية الى جهات الفسق والفجور ، والى الاعداء والكفار ... وغير ذلك .

ثانيا : الوصية المندوبة : وهي التبرع المضاف الى ما بعد الموت للفقراء والمساكين من غير الاقارب أو من ذوي القربى غير الوارثين ، وتشمل التبرع في سبيل البر والخير والاصلاح ، وهذا اهم نوع من انواع الوصية ، وهي التي يريدها الفقهاء والمحدثون والمفسرون عند الاطلاق ، وندب اليها القرآن الكريم ، وحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : **(كتب عليكم اذا حضر**

احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين) البقرة/ ١٨٠ .

وروى البخاري ومسلم واصحاب السنن وابو يعلي ومالك واحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما حق امريء مسلم يبيت ليلتين - وله شيء يريد ان يوصي به - الا ووصيته مكتوبة عند رأسه) وذلك حثاً له على التبرع والصدقة ، قبل ان يحزمه الموت فيقول - حيث لا ينفعه القول - : لو تأخرت لانفقت وتبرعت ، ويصور لنا ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : **(وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون)** المنافقون/ ١٠ - ١١ .

ثالثا : الوصية الواجبة : وهي قسمان .

القسم الاول : الوصية التي جاء بها قانون الاحوال الشخصية السوري والمصري لمعالجة قضية ابن المحروم ، وهو الذي مات أبوه في حياة جده ، ثم مات الجد وله ابنان غير ابنه المتوفي ، فالاصل ان الابن الميت سابقاً لا يرث ، وان ابناء الابن لا يرثون مع وجود الابناء - وهم اعمامهم - فاجتهد المشرع وأوجب على الجد ان يوصي لابناء ابنه المتوفي وصية من ماله في حدود الثلث من جهة ، وفي حدود حصة المتوفي لو كان حيا من جهة أخرى ، فان مات الجد ولم يوص : أخرجت الوصية من تركته ، ويكون كأنه أوصى حكماً ، لانها واجبة عليه ، فان قصر بها أخرجت من ماله جبراً عنه .

وهذه الوصية اصبحت شائعة في سورية ومصر ، واذا أطلقت الوصية الواجبة انصرف الذهن اليها دون غيرها وغفل الناس عن الوصية الواجبة شرعاً التي تهم سائر الناس وتعالج قضايا المجتمع ، وليس ابن المحروم فقط .

القسم الثاني : الوصية الواجبة في بيان الديون والحقوق التي تثبت في ذمته سواء كانت لحق الله تعالى أم لحق العباد ، وسواء أكانت ديوناً في الذمة ، أم أعياناً يحفظها لغيره كالوديعة .

هذا القسم الاخير من الوصية الواجبة هو موضوع البحث الذي نتناوله الآن ، لما له من آثار اجتماعية كبيرة ، وما يترتب عليه من مخاطر دينية جسيمة على المسلم ، ولن أتعرض للحديث عن أنواع الوصية الاخرى التي اسهب الفقهاء ببحثها وبينوا حدودها واحكامها . ويدخل في الوصية الواجبة ما أمر الله تعالى به في ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين في الآية السابقة ثم نسخت هذه الوصية بآيات الفرائض وحديث (لا وصية لوارث) وهو حديث متواتر كما قال الشافعي رضي الله عنه .

صلة الوصية الواجبة بالمعاملات :

الوصية الواجبة فرع من المباديء

الكبرى التي أقرها الاسلام في وجوب التعاون والتآزر بين افراد المجتمع ، وهي ضمان ومؤيد ديني لمشروعية المعاملات في الاسلام ، وذلك أنه ينشأ عن التعامل ثبوت الديون واستقرارها في الذمة ، فقد ندب الشارع الحكيم الى القرض الحسن في الاموال المثلية التي تستهلك بالاستعمال ، ويجب رد مثلها الى صاحبها ، وحبب بالاعارة بالاموال الاستعمالية التي يستفيد منها المستعير من منفعتها ، ويجب عليه رد العين الى المالك ، ودعا الاسلام الى قبول الودائع وحفظها عند أمين يردها الى صاحبها عند الطلب ، وينتج عن هذا ثبوت الديون في الذمة وترتب الالتزامات في الودائع والاموال عند المستعير والمقترض والوديع وغير ذلك . والاسلام اقر المعاملات بين الناس وبين احكامها وشرع القواعد المنظمة لها ، ونص على المؤيدات لضمان سيرها وحسن الانتفاع منها .

وهذه الديون والحقوق والاملاك حق لصاحبها الذي يتعلق ملكه فيها ، وتثبت في ذمة المسلم الذي يطالب شرعاً برد الحقوق الى اصحابها ، والمحافظة عليها .

حكمة الوصية الواجبة :

بما ان الحياة ليست بيد الانسان ، وانما هي بيد الله تعالى ، وان المرء لا يستطيع قطعا ان يعرف اجله ووقت وفاته لأداء الحقوق والواجبات قبلها ، بل هي من المغيبات التي استأثر الله تعالى بها ، قال تعالى **(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير)** لقمان / ٣٤ . ومن الامور المسلم بها أيضا أن أنتهاء الحياة لا يتوقف على سبب معين كمرض أو كبر سن ، وإنما يطرأ الموت بسبب وبدون سبب فلا ضمان لاستمرار الحياة لوفاء الديون والحقوق ورد الودائع والاعيان ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فقد أوجب الله تعالى على المسلم أحكاما كثيرة كالصدقات والحج والزكاة ، وقد يتعذر على المرء أن ينفذ هذه الواجبات ، وقد يقصر فيها ، ويريد ان يبرىء ذمته أمام الله تعالى ، قبل أن يقف على الصراط ، ويعرض للحساب ، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، يوم لا يغني عنه مال ولا بنون ، فيرغب ان يستدرك ما فاته من اداء الواجبات والحقوق ، ولا يمهله الموت فتكون وصيته جاهزة عنده .

ومن جهة ثالثة فقد اقرت الشريعة الغراء مبدأ انتقال المال الى ورثة المتوفي ، لأن الورثة امتداد لحياته ولكنهم يضعون ايديهم على تركته وأملاكه التي خلفها وراءه ، ويستحقون ميراثه ، دون أن يعترفوا ويلتزموا بما عليه من ديون اذا كانت مستغرقة للتركة ، أو كانت الديون غير ثابتة عندهم ، فان مات الشخص وعليه دين لآخر ، او عنده أمانة

لغيره ، ولم يبين الدين ، ولم يشهد على الامانة ولم يوص بهما فقد خان الله ورسوله ، وخان الامانة ، وضيع الحق على صاحبه ، وأمات الدين ، وأخذها ورثته مالا حلالا عند جهلهم بأصلها .

وهذه الحالة ندد الشارع الحكيم فيها ، واعتبرها كبيرة من الكبائر التي لا يقرها ـ مهما كانت الاسباب والمبررات ـ وشرع للمسلم الوصية الواجبة ، وفتح الطريق أمامه في الحياة ، وأوجب أن يعين كل ذلك بأسرع وقت ممكن قبل أن يفوته الأوان ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث السابق : (ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين ـ وله شيء يريد أن يوصي به ـ الا ووصيته مكتوبة عند رأسه) ، قال عبد الله بن عمر ـ راوي الحديث ـ (ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي ـ رواه مسلم في صحيحه .

قال القسطلاني في إرشاد الساري : نعم تجب الوصية على من عليه حق لله كزكاة وحج أو حق لآدمي بلا شهود ، وقال أيضا : ان التعبير « بالمسلم » قد يكون من الخطاب المسمى ـ عند البيانيين ـ بالتهييج أي الذي يمتثل امر الله ويتجنب نواهيه انما هو « المسلم » ، ففيه إشعار بنفي الاسلام عن تارك ذلك .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم : ان كان على الانسان دين او حق او عنده وديعة ونحوه لزمه الايصاء بذلك .

وهذا يقودنا للكلام عن موقف الاسلام من الدين ، وأثره في الحياة .

مسؤولية الدين شرعاً :

ان الحديث السابق يؤكد المسؤولية العظيمة التي تقع على عاتق المدين ، وان الدين ملازم له في الحياة ومطالب به بعد وفاته ، ومحاسب عنه أمام الله تعالى ، فاذا مات الانسان معجلا فانه يضمن الامانات المودوعة عنده في الدنيا ، وتعلق روحه ، او ترهن نفسه ، ويحال بينه وبين الجنة في الآخرة بسبب دينه ، روى ابن ماجه والامام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد بن الاطول : (ان اخاك محبوس بدينه فاقضه عنه) وروى احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه) .

إضاعة الديون والحقوق من الكبائر :

ومما يؤكد وجوب الوصية لوفاء الحقوق والديون ما ورد في شأن الدين من الأحاديث التي تظهر آثاره الدينية وهي :

اولا : ثبت في كتب السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي على رجل مات وعليه دين ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أتي بجنازة يسأل عن صاحبها فان كان مديناً ، وليس له تركة ، قال : صلوا على صاحبكم ، والصلاة على الميت إنما هي دعاء واستغفار وشفاعة ، ولذا

كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على مشاركة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على موتاهم ، لأن دعاءه مستجاب ، وشفاعته لا ترد ، روى البخاري والنسائي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل من الانصار ليصلي عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صلوا على صاحبكم فان عليه دينا ، قال أبو قتادة : هو علي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالوفاء ؟ قال : بالوفاء ، فصلى عليه . وفي رواية عن سلمة بن الأكوع قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فقالوا : يا نبي الله صل عليها قال : هل ترك عليه دينا ، فقالوا : نعم ، قال هل ترك من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : صلوا على صاحبكم ، قال رجل من الانصار يقال له أبو قتاده : صل عليه وعلي دينه ، فصلى عليه . (روى القصة البخاري وغيره)

قال البيضاوي : لعله صلى الله عليه وسلم امتنع عن الصلاة على المدين الذي لم يترك وفاء تحذيراً من الدين ، وزجرا عن المماطلة ، أو كراهة أن يوقف دعاؤه عن الاجابة بسبب ما عليه من مظلمة الخالق .

ثانيا : وبعد أن قويت الدولة الاسلامية في المدينة ، وفتح الله على رسوله ، وغني بيت المال من الموارد ، غير رسول الله صلى الله عليه وسلم الدفة ، وصار يقضي الديون عن أصحابها من بيت المال ، فان مات شخص وعليه دين ولم يترك شيئاً وفاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة بالميت من العذاب ، وتبرئة لذمته ، وحفاظا على سمعته وكرامته وعرضه وذكره بعد وفاته .

روى النسائي عن جابر في حديث الدين : فلما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك دينا فعلي ، ومن ترك مالا فلورثته ، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه : فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : « انا اولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه . ومن ترك مالا فلورثته ».

ثالثا : إن الشهادة في سبيل الله أسمى أماني المسلم ، وهي أعظم تضحية من المسلم الذي يبذل فيها نفسه وروحه ابتغاء مرضاة الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ولذلك فان الشهيد يتبوأ أعلى مرتبة في الفردوس مع الانبياء والاولياء والصالحين ، وان الشهادة تكفر عنه جميع الذنوب والاثام التي اقترفها في حياته الا الدين ، فانه لا يسقط ، ويطالب به يوم القيامة ويحاسب عليه ، روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين) رواه مسلم واحمد ، وروى ابو قتادة ان رجلا قال : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال (نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل عليه السلام قال لي ذلك). رواه مسلم .

وهذا يبين عظمة الدين وأثره في

الشريعة ، وأن إضاعة ديون الناس كبيرة من الكبائر التي لا يكفرها الله تعالى ، ولا تغطيها الشهادة في سبيل الله .

قال النووي في شرح مسلم : ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين ، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين ، وانما يكفر حقوق الله تعالى .

ولا غرابة في ذلك فقد نص علماؤنا أن حقوق الناس مبنية على المشاحة والمطالبة ، وأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة .

الاسراع في وفاء الدين والعقاب على تأخيره :

ولا يفهم من كلامنا أنه يجوز للمسلم أن يتكاسل عن وفاء الديون ، ثم يوصي بها بعد وفاته ، وإنما يجب عليه الاسراع بالوفاء ، فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن على ذلك ، لرد الدين الى صاحبه الذي أحسن اليه ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ قال صلوات الله وسلامه عليه : (من اخذ اموال الناس يريد أداءها : ادى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها اتلفه الله) رواه البخاري وغيره . وجعل الاسلام المطل بالدين وتأخير الوفاء به بدون عذر مع القدرة عليه مما يبيح العرض والسب والشتم والعقوبة فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته) رواه أحمد وغيره وقال ايضا : (مطل الغني ظلم) رواه الشيخان .

ومع ذلك فان تأخر عن قضاء الدين عمداً ، مع القدرة عليه ، فهو آثم أمام الله تعالى ، واعتبر مقصراً ، ولكن الشارع الحكيم أراد ان يفتح امام عباده آخر فرصة في هذه الحياة الدنيا التي خلقها للاختبار والامتحان اراد ان يفتح لهم ـ كرما منه وفضلا باب التوبة ورد الحقوق وابراء الذمم ، ولو كان ذلك تصرفا في تركته مضافا الى ما بعد الموت حتى يلقي الله تعالى ، وهو عنه راض ، فشرعت الوصية كآخر سهم في حوزة الانسان .

الوصية الواجبة إقرار بالحق لصاحبه :

إن الحقوق والديون والالتزامات التي لم يحل أجلها ، أو لم يستطع صاحبها أن يقضيها شرعت لها الوصية الواجبة بالاقرار بالدين والاشهاد على الودائع والاملاك ، والاقرار سيد الأدلة في اثبات الحقوق وقد بنى الشارع عليه الاحكام ، وذلك ان كثيرا من الحقوق قد تنعدم فيها الشهادة وتتعذر فيها الكتابة ولا يعرفها الا اصحابها فلا سبيل الى إحقاق الحق ورده إلى أصحابه إلا ذمة المدين وضميره ، فاما أن يقر بها لتصل إلى ذويها ، أو يوصي بها ، وإما أن ينكرها ويهضمها ويختلس حقوق الآخرين فتضيع عليهم ، دون أن يملكوا وسيلة لاثباتها أو يأملوا في الوصول إلى الحق والعدل ، ومن هنا تبرز حكمة الاقرار ومحاسنه في اداء الدين حال حياته والا يجب عليه الايصاء بالكتابة أو المشافهة .

أثر العقيدة في الوصية الواجبة :

نرى من النصوص السابقة أن

القرآن الكريم أوجب اظهار حقوق الناس والاعتراف بها لكفالة الانصاف في التعامل وكلما كانت تربية الفرد عالية ، وعقيدته صافية قوية ، وأخلاقه رفيعة ، وإيمانه حقيقيا ، ومراقبته لله مستمرة في السر والعلن كان الدافع الى الاقرار والايصاء صحيحا سليما ، وهنا نلمس الاثر العظيم للوازع الديني في الحفاظ على الحقوق ، وذلك بمراقبة الله تعالى والخوف من عقابه والطمع في مرضاته ، وفي تنفيذ أوامره بدافع داخلي وباعث ذاتي .

وان المسلم الذي اعتقد بالله تعالى ربا وخالط قلبه الايمان بالله وبالرسول وايقن انه مفارق هذه الحياة وانه يبعث يوم القيامة ليحاسب على اعماله صغيرها وكبيرها ، في يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس ـ من هول الموقف ـ سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد في ذلك اليوم يأتي الانسان ليحاسب عن أعماله ، وما فرطت يداه في حقوق الله تعالى ، وما عبثت في حقوق العباد ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

واذا كان الله غفورا رحيما في حقوقه ، واذا طمع المؤمنون في رحمة ربهم وعفوه ، فمن اين للعبد المؤمن ان يحلم بمثقال ذرة من حقوق العباد ، واهمها الدين ، روى ابن ماجه والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : » ان الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة ، إلا من تدين في ثلاث خلال : الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين فيتقوى به لعدو الله وعدوه ، ورجل يموت عنده مسلم لا يجد ما يكفنه ويواريه الا بدين فيموت ولم يقضه . ورجل خاف على نفسه العزب فينكح ليعف نفسه بذلك خشية على دينه ، فان الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة » .

ولا غرابة بعد ذلك اذا رأينا في مصارف الزكاة « الغارمين » الذين استدانوا في سبيل الاصلاح بين الناس والحفاظ على دمائهم ، وبذل المال لارضاء الخصوم .

خاتمة :

ونلخص من هذا الى وجوب الاعتراف بالحقوق ، والايصاء بوفائها وردها الى اصحابها ، وان يكتب الانسان ما عليه من ديون وواجبات ، سواء كانت حقا لآدمي او حقا لله تعالى ، لان قضاء الدين واجب لتفريغ الذمة ، ورفع الحائل بينها وبين الجنة ، والا ارتكب معصية كبيرة في التسبب بضياع حق الناس وترك الاقرار بها ، وضياع حق الاخرين من الكبائر ، فكذا التسبيب فيه ، لان للوسائل حكم المقاصد ، وقد اجمع العلماء من السلف والخلف على ان الدين مقدم على الوصية ، وان الورثة لا يأخذون شيئا قبل قضاء الديون .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وارزقنا العمل به ، والحمد لله رب العالمين .

حكمة

الاسراء والمعراج

للاستاذ/سيد خليل الابوتيجي

كلما دار الفلك دورته ، وأقبل شهر رجب احتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بحادث جليل لم تنقض عجائبه .. حادث حير الألباب وأدهش العقول حتى صار تسبيحة العقل وأنشودة الزمن .. إنه الاسراء والمعراج ذلك الحدث العجب الذي سطره التاريخ في سجلات الخلود ذخيرة للأجيال المتعاقبة ، ليأخذوا العظة والدرس والعبرة ، وفي كل عام يكتب الكاتبون ويتحدث المتحدثون ولكن المداد لم يجف والكلام لم ينته ويقف الكون أمام الاسراء والمعراج في خشوع ووقار ..

وإذا أردنا أن نتحدث عن الحكمة من هذا الحادث الأجل ، فلا بد أن نذكر الفترة العصيبة التي مرت بها الدعوة الاسلامية في أيامها الأولى مرحلة « التأسيس والبناء » ، وهي ولا ريب أصعب مرحلة في حياة كل دعوة جديدة تشق طريقها للأمام ..

لقد أظلمت الدنيا في مكة يوم حاول المشركون إطفاء شعلة الاسلام التي بدأت تنير القلوب وتهدي النفوس وتبدد غياهب الظلام ، وضلت الحقيقة طريقها ، يوم اعتزم دعاة الباطل القضاء على دعوة النور التي انبثقت لتهدي الناس إلى الخير ، وتقودهم إلى الأمان والسلام ، وكاد صوت الحق يختنق في هجير العواصف العاتية من البغضاء والكيد والافتراء ، وفي وسط صيحات الاستهزاء بالدين الجديد ، وهكذا تفاقم العناد وتصاعدت التحديات من مجرد القول إلى الايذاء والتعدي ،

وأخذ المشركون يعتدون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين شرح الله صدورهم للايمان بمختلف ألوان التعذيب وصنوف البلاء ، وازدادت قلوب أهل مكة قسوة وصلابة ، فراح الرسول يتلمس لدعوته أعوانا مؤمنين ، وغير مكان الدعوة أملا أن يجد الخير الذي حرم منه في مكة فذهب إلى الطائف آملا أن يجد تربة خصبة طيبة تنبت فيها بذور الايمان ، ولكن أهل الطائف ردوه ردا مؤلما وقابلوه أسوأ مقابلة وكانوا من الحقارة والدناءة أن سلطوا عليه غلمانهم ، وصبيانهم يرمونه بالأحجار والسخرية والسباب ، فلم يجد منفذا ولا طريقا للنجاة إلا أن يرفع يديه وناظريه إلى السماء يناجي ربه ويقول : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك أوسع لي : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »

ويستمر رسول الله في دعوته صابرا محتسبا رغم الصعاب **والأعاصير وبينما الدعوة تشق طريقها بطيئة وسط أشواك متشابكة ، إذ مات عمه أبو طالب** الذي كان له درعا واقيا من بأس البغاة الآثمين ، وما كادت لوعة الأسى تفارقه ويخف عنه الألم والحزن حتى اختطفت يد القدر زوجته البارة خديجة التي ناصرته بنفسها وواسته بمالها ومسحت بيدها آلامه وأحزانه فحزن الرسول لموتهما حزنا شديدا ، وتراكمت عليه منغصات الحياة وسمى هذا العام عام الحزن ..

في هذا الجو القاتم الملىء بالهموم والحواجز والسدود والذي تنكب فيه القوم للاسلام وظلوا قلوبا قاسية وأفئدة رانت عليها غشاوة الباطل ، في هذه الفترة التي ضاقت فيها أرض مكة رحبت السماء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاءت حكمة القادر العظيم أن تخفف عن النبي أعباءه وآلامه برحلة تكريم وتشريف ، قال تعالى :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الاسراء/١ .

وفي هذه الرحلة المباركة وبصحبة جبريل الأمين تم انتقاله صلى الله عليه وسلم بجسده وروحه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ولا خلاف في ذلك فالله القوي القادر أسند عناصر هذه الرحلة إلى ذاته المقدسة وهو وحده الخالق لنواميس الحياة لا يعجزه شيء ، ثم أعقب رحلته الأرضية « الاسراء » **ارتفاعه بجسده وروحه الملأ الأعلى طباق السموات ، ثم إلى سدرة المنتهى**

وقد توقف جبريل عند مقامه واعتلى رسول الله محمد حتى وصل إلى مستوى تنقطع عنه علوم الخلائق ، وزج به في الأنوار القدسية قال تعالى : **(ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)** النجم/٨ ـ ١٨ .

لقد كان هذا التشريف الالهي للحبيب محمد إعدادا له ليحمل لواء أشرف رسالة ، وأسمى مكانة ، فقد التقى في المسجد الأقصى بالأنبياء جميعا وصدقوا برسالته وآمنوا بدعوته وصلى بهم إماما ، قال البوصيري :

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

التمحيص والتصفية : وعاد رسول الله من رحلته المباركة التي رأى فيها مرائي غريبة وشاهد مشاهد عجيبة ، وما يسترعى التأمل والانتباه واستلهام العبرة مرحلة التصفية للمؤمنين وغير المؤمنين ، فأما من دخل الايمان في قلوبهم واستقرت العقيدة بين جوانحهم ، فلم يرتابوا ولم يخامر عقولهم أدنى شك في صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، وأما المنافقون ومن هم على شاكلتهم من ضعاف الايمان ، فقد انطمست بصائرهم وعميت قلوبهم ، فارتابوا وكذبوا ، بل تحدوا وعاندوا ، فاذا النبي بالدلائل المفحمة ، يصف لهم الطريق والمسجد الأقصى فاصبحوا في حيرة ودهشة وذهول ، لانهم لم يدر بخلدهم أن قدرة الله فوق إدراكهم وتصورهم ، وينكشف الأمر عن قلة مؤمنين صادقين مخلصين ، وارتداد ضعاف الايمان وسط جحافل المكذبين والجاحدين ، وهكذا محصت الرحلة القلوب ، ثم انطلقت تلك الفئة القليلة المؤمنة من اليأس إلى الرجاء ، ومن الضيق إلى السعة ومن الركود والخمول إلى الكفاح والجهاد ، وبذل الأرواح في سبيل الدعوة التي آمنوا بها حتى اشتد ساعدها ، وتألق نورها فأقامت على الأرض المجتمع الاسلامي المراد .

معالم واضحة :

الاسراء والمعراج آيتان عظيمتان من آيات الله ، ورحلة تكريم رأى فيها عجائب الكون وأسرار الوجود ، وألقى إليه زملاء الرسالة وإخوة الكفاح زمام الامامة إعلانا بأنه الرسول الصادق والنبي الخاتم .

إي والله إن القلم ليتصبب عرقا ويتعثر حياء وخجلا ، كلما حاول الدنو من عظمة صاحب الرسالة العظمى ، وفي الحقيقة لم تكن دعوة

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الاسراء والمعراج احتفاء بشخصه فحسب ، بل لتعلن مع ذلك حكمة العلي القدير كما أشار القرآن الكريم : (لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) . فلقد كان الاسراء والمعراج إذا وسيلة لغاية هي اسمى واغلى من اختراق الحجب ، ألم تر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن رقى أعلى المنازل وسما فوق كل الدرجات قد انطوى العالم بين يديه ، فرأى ماضيه وحاضره ومستقبله وأزله وأبده ، وتمثلت أمام عينيه وحدة الكون بالغة غاية كمالها وروعتها وجلالها ، وهنالك في هذا الموقف الرهيب في ذلك المستوى العلوي الذي سمع فيه صرير الأقلام في تصاريف الأقدار ، قد انحسرت كل العوالم من ملك وإنس وجان ، وثبتت قوة محمد الروحية وكسى ثياب الجلال ، فما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، وأفيض عليه من أسرار الكون ولطائف الحكم الالهية والمنح الربانية ، ودقائق العلوم اللدنية ما جعله قادرا على احتمال مهمته ناهضا بأعباء رسالته .. رسالته السامية التي لم يقم بها أحد ممن سبقوه ، حيث كان الأنبياء من قبله إنما يبعثون في قومهم خاصة ، أما صاحب الرسالة الخالدة فقد بعث إلى البشرية جمعاء .

قال تعالى : **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** سبأ/ ٢٨ . فنبي الاسلام هو الرسول العالمي الوحيد الذي لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل نبيا قبله اضطلع بأعباء رسالة عامة إلى الخلق كافة .

تعقيب :

الحق أقول لقد ادخر محمد صلى الله عليه وسلم لتلك الرسالة العالمية والله يعلم حيث يجعل رسالته ، فقد اعده الحق اعدادا خاصا ليكون مهيأ لمهمته ، فألقى على كاهله الشريف قيادة الأمم وهداية الشعوب وتحطيم الاغلال والقيود التي كانت الانسانية بأسرها ترزح تحت أعبائها ، وتئن من آلامها ، كما كان من مهام رسالته تحرير الانسان من عبوديته لكل شيء إلا لله وحده وتحرير العقول والأفكار والقضاء على الظلم وسطوة الباطل وإزالة الفوارق وإعلان المساواة بين الناس جميعا فكلهم لآدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وجلائل الاعمال ..

بل لقد بعث رسول الله بالخير كله وبالفضائل كلها فكان حلم الانسانية الذي تطلعت إليه في القرون السابقة .. بل كان النور الذي انبثق فبدد غياهب الظلام ، ومحا ظلام العقول وأرشد الانسانية الحائرة إلى شواطىء الأمان والسلام يوم دوى بهذا النداء « الاسلام » في أجواز الفضاء فعرفت الانسانية الضالة طريقها إلى النور ..

فما أحرى المسلمين اليوم أن يعودوا إلى منهاج الله ليهتدوا الى الحق .

الإسلام



هذا كتاب من سلسلة الدراسات الاسلامية التي تصدرها دار الشعب بالقاهرة إسهاما منها في تقديم المفاهيم الاسلامية في أساليب عصرية، يتفهمها شباب هذا الجيل الذي عميت عليه هذه المفاهيم.

ويرى الدكتور حسين فوزي النجار ان ما أورده في كتابه من آراء نوع من الاجتهاد الذي ينادي « بفتح بابه من جديد، حتى نجلي محاسن ديننا، دين الفطرة السوية، الذي يتجاوب مع كل زمان ومكان، فلا نرى فيه ما يجور على العقل أو يناقضه، وما على الباحثين كل في ميدانه، الا ان يربط بين الدين والحياة، رباطا يقوم على الاقناع والعقل لا ينفصم فيه الدين عن الحياة ».

وينعى الدكتور حسين في مقدمة كتابه على الشرق الاسلامي إغراقه في أحلام الخلافة التي قضت وسعيه الى الغرب مستجديا نظمه السياسية.

« ولم يكن الخليفة أكثر من رجل حمل مسئولية المسلمين عن قبول ورضى، ليس له من ميزة الا الطاعة له فيما

والسّياسَة

عرض وتعليق
الاستاذ عبدالسميع المصري

تجب عليهم طاعته فيه ، وعبر عنها ابو بكر رضى الله عنه حين تمت له البيعة بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله ورسولـــه فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم » .. فالطاعـــة تقابلهـــا المسئولية ، والمسئولية تحددها الشريعة بما حددته من قواعد النظام الاجتماعي ، وبما جاءت به من أوامر ونواه تحدد السلوك العام للفرد والمجتمع ، وهي مسئولية مشتركـــة بين الراعـــي والرعية ، يعبر عنها ابو بكر في خطبته بقوله : « فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني » .

ويحاول الدكتور حسين أن يثبت في طول الكتاب وعرضه ، أن الاسلام ليس دينا ودولة كما رسخ في أذهان الناس بل « الاسلام شريعة للـدنيا وللحياة ، ولم تكن الدولة أو النظام السياسي للحكم مما جاء في كتاب أو سنة » .

وهو يرى في نفس الوقت « أننا لو التمسنا فيما جاء به الاسلام ، من قواعد للسلوك والمعاملات والعلاقات

الاجتماعية لظفرنا بنظرية سياسية متكاملة يمكن ان تتطور وتنمو لتتواءم مع كل زمان ومكان ، فالاسلام دين الفطرة يتوافق مع الحياة ومشاكلها ولا يشذ عنها « وهو قد أقام وحدة دينية ، بنيت عليها وحدة اجتماعية ، على أساس من الحرية والمساواة والعدل وكرامة الانسان .

« وحين نستقرىء أسباب انهيار الدولة الاسلامية : وتخلف المسلمين اليوم لا نراه إلا في انحراف الحكم عن مبادىء الاسلام وغلبة الاستبداد على الشورى ، والأثرة على الايثار وما كان للاستبداد من عواقب وخيمة أدت الى فساد الحكم وفساد المجتمع معا وانقسام المسلمين إلى فرق وطوائف انقساما نال من وحدتهم ، وجار على شعيرة الاخاء الاسلامي ، وهي أول ما أخذ به النبي الكريم في تنظيم الجماعة الاسلامية الناشئة ، وغدت من مبادىء الاسلام الكبرى ولم يكن ذلك الا بسبب التنافس على متاع الدنيا ، وشهوة السلطان كما قلنا من قبل : « وكانت روح الاسلام الحقة – على مدى التاريخ – حين تسري في النفوس ترتفع معها أعلام الحرية الفكرية والعقلية والسياسية ، ويبقى بناء الحضارة شامخا مشدود الأركان ولو « أن المسلمين ساروا على سنة نبيهم ، وتخلقوا بأخلاق الخلفاء ، لأصبحت امبراطوريتهم أوسع رقعة ، وأبقى على الزمن من الامبراطورية الرومانية » .

إلا أن الاسلام بقي حيا في نفوس أصحابه على الرغم من انقضاء عهد الخلفاء الأول .. إذ أنه يمثل أرقى ما وصل إليه التطور الديني للبشرية ، ولم يكن بقاؤه مرتبطا بحياة دولة ، بل كان ذيوعه وانتشاره يفيء خيرا وبركة على كل من يلوذ به من الشعوب في كل عصر ، وفقا لحاجاتها الروحية ، ومداركها العقلية ، كما يقول سيد أمير علي .

ويحدثنا الدكتور حسين عن نشأة التنظيم السياسي الاسلامي في مقدمة الكتاب فيقول : إن هذا التنظيم « نشأ بنشأة الدولة الاسلامية وجاءت نشأة الدولة نتيجة حتمية لقيام هذا المجتمع الاسلامي وامتداده : متأثرة في البداية بجوهر الاسلام ، والحقيقة الكبرى التي قام عليها وهي (التوحيد) وهي التي تؤدي الى تقرير قواعد المساواة والاخاء والحرية ، فالمؤمنون جميعا سواسية أمام الله ، تجري عليهم جميعا سنته بالقسط ولافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهم مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والناس اخوان يجب أن تقوم المحبة بينهم مقام البأس بل مقام القانون ، فلا يكمل إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا اكراه في شيء ، ولا إيمان إلا بعد اقتناع بالحجة والموعظة الحسنة .

وكانت فكرة الحكم الاسلامي بسيطة غاية البساطة ، استمدت بساطتها من جوهر الدين ، وقد بقي للمسلمين كتاب الله وسنة نبيه دستورا للحكم .. فلم يعترف الاسلام بوجود

طبقة من الكهنة أو بأية وساطة بين العبد والخالق ، ولا يعرف الاسلام حكم الخاصة فلا تمايز أو استعلاء فالناس سواسية كأسنان المشط .. لذلك أقام الاسلام مجتمعا حرا تحكمه عقيدة تمثل أسمى ما وصل اليه البناء الاجتماعي في الوجود الانساني ، ومن هذا المجتمع انبثقت الدولة التي اتخذت من مبادىء الاسلام هديها ونبراسها في تحديد العلاقة بين الفرد وربه ، وبين الفرد وغيره من الناس .

وكان الحكم الاسلامي كما صوره عمير بن سعد ـ عامل عمر على حمص ـ لا يزال الاسلام بخير ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، أو ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل .

ولقد بدأ الانحراف عن مبادىء الاسلام والخروج على تعاليمه ، منذ تحول الحكم من الشورى إلى الاستبداد ، ومن الديمقراطية الخالصة في عهد ابي بكر وعمر إلى الأوتوقراطية في عهد معاوية .

وكان من بعض مظاهر هذا الانحراف في العهد الأموي اقتناء الرقيق الذين جاء الاسلام ليحررهم والخصيان لحراسة الحريم (والخصى) جريمة يحرمها الاسلام الذي جاء ليرفع من كرامة الانسان .

« وقد امتد الانحراف الى كافة جوانب الحياة ، وكان الناس يتأسون بأصحاب السلطان ، حتى ادى الانحلال في الدولة الى انحلال في المجتمع وانهيار الحضارة لا سيما بعد ان أصبح النظر في الشريعة من خلال السلطة ، فكل ما يبقى على السلطة هو السائر على ألسنة الناس ، وتفسر الآيات وتختلق الأحاديث والروايات تأييدا له أو لاتجاه سياسي مخالف » .

ويربط الدكتور حسين بين الماضي في عهد الأمويين والعباسيين وما بعدهما ، وما عليه المسلمون اليوم ، فيقول : « فاذا أردنا أن نفسر نكسة المسلمين في حاضرهم فان علينا أن نعود إلى الوراء لنرى الظلام الذي خيم على عالم الاسلام بسبب فساد الدولة وتحيفها ، وتبذل حكامها ، وغلبة السلطان وشهوة الحكم ، ونزعة الاستبداد .

وفي الفصل الأول من الكتاب « الدين والدولة » يحدثنا المؤلف عن نشأة الفكر السياسي الذي لا يكون إلا حيث تكون الدولة ، وحيث يقوم المجتمع الدولي ، فيقول : « السياسة الاسلامية تقوم في الأصل على المبادىء الخلقية والأسس الاجتماعية التي جاء بها الاسلام ، والتي تتمثل في إطارها العام قواعد الدين الحنيف او تستهدي في سلوكها مبادىء الاسلام ، إن لم تستهد فضائله المقررة من الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، مما ندعوه في عالمنا الحديث بالديمقراطية او الاشتراكية ، وبما جمع الاسلام في شريعته السمحة الغراء من مبادىء الديمقراطية والاشتراكية معا او الشورى والعدالة والتكافل

الاجتماعي كما نحب ان نسميها ، فحين انحرفت الحكومة في الدولة الاسلامية عن الأخذ بمبدأ الشورى وجنحت إلى الاستبداد والحكم المطلق لم تستطع أن تتنكر لمبادىء الاسلام بل كان التستر وراء الدين معوانا لها في أحيان كثيرة على الاستبداد والحكم المطلق ، حيث التبست الخلافة الاسلامية بما يشبه الحق المقدس للملوك ولم تعد البيعة إلا بعض مراسم تولية الخليفة بعد أن كانت هي الانتخاب بمعناه الحديث او صورة من صور الانتخاب ..

ونشأت السياسة الاسلامية بنشأة الدولة الاسلامية ونمت بنموها من رعاية شئون تلك الجماعة الاسلامية الصغيرة التي اعتنقت الاسلام في مكة إلى قيام ما يشبه دولة المدينة حتى قيام الدولة التي وسعت شبه الجزيرة العربية ، وامتدت إلى اطراف اخرى تكونت منها إمبراطورية الاسلام ..

ولقد رأى المسلمون في فضائل الشريعة ما يغنيهم عن النظر في علوم السياسة ـ حينئذ ـ لأنهم أشربوا من الشريعة فكرة الحرية والاخاء والمساواة .. فالناس سوا سية كأسنان المشط ، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وقد تركهم النبي بعد أن طبع قلوبهم وعقولهم بطابع الاسلام ، فكانت لهم نظريتهم السياسية القائمة على عناصر المساواة والاخاء الاسلامي ، والمسؤولية والواجب ، والتي انشأت مجتمعا لا تفاضل فيه إلا في العلم والعمل الصالح .

وإذا كان الاخاء الاسلامي يمثل الجانب النظري فيما يمكن أن نعده أساسا لنظرية سياسية في الاسلام ، فان المساواة تمثل الجانب العملي .. ومسئولية الانسان في الاسلام هي مسئولية أمام الله مباشرة ، وتمتد الى الظاهر من قول وفعل وإلى ما تخفي الصدور من النوايا ومنها يبرز الواجب كمبدأ أساسي في النظام الاسلامي .

والواجب هو الاساس القويم للديمقراطية في النظرية السياسية الحديثة ، وهو ما يوجب تحقيق تكافؤ الالتزامات في المجتمع .. واقرب مثل على هذا التكافؤ في الالتزام قول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وفي الفصل التالي « جوهر السياسة في الاسلام » يؤكد المؤلف هذه المعاني وينتهي الى قوله : « إن المذهب الذي ينشده الفكر السياسي في الشريعة الاسلامية يكتمل في واقعها المثالي ولأنه واقع ملتزم ومكتمل كان التطابق بين النظرية والمذهب كلا لا ينفصل وكانت الشريعة هي التي تقيم المذهب السياسي للدولة وكانت النظرية السياسية للدولة الاسلامية هي التفسير الموضوعي للعلاقات المتجانسة التي تحكمها الشريعة .

وهذا الواقع المثالي للسياسة الاسلامية يستهدف وحدة الوجود منذ الأزل ووحدة البشرية المتمثلة في قوله

تعالى : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣ ، وقوله جل شأنه : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات / ١٣ .

وقد استطاعت هذه النظرية أن تقيم أول مجتمع مثالي على هذه الأرض يوم قامت الدولة في المدينة ثم في جزيرة العرب على أساس من قول الله تعالى : (**وشاورهم في الأمر**) آل عمران / ١٥٩ . وقوله : (**وأمرهم شورى بينهم**) الشورى / ٣٨ ، وهو ما يترجم في النظرية الحديثة بكلمة « **الأمة مصدر السلطات** » .

والاسلام يتنزه عن دعوى القومية لأنه للناس كافة .. يقول تعالى : (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) الأنبياء / ١٠٧ (**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**) الفرقان / ١ . (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ / ٢٨ .

فمحمد صلى الله عليه وسلم بعث ليوحد البشرية جمعاء .

ولقد تضمنت شريعة الاسلام من المبادىء والتعاليم ما يكون جوهر الحكم ، وكان لهذا قمينا بأن يتطور مع الزمان والمكان إلى ما تنشده روح الاسلام من تحقيق الخير العام ، وإقامة حضارة إنسانية تمتد وتتسع إلى المدى الذي تؤكده العقيدة الاسلامية لذيوعها وانتشارها كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان ، ليس فيه ما يعوق حرية العقل عن التفكير ، او يقف دون حرية النظر والحكم أو يحول بين الأرادة الانسانية وبين التعبير الحر ولكنه جعل لكل هذا اساسا من التزاوج بين العقل والروح ، وبين العلم والدين ، وجعل من هذا التزاوج اساسا للخير العام ولسعادة العالم » .

وفي فصل من التشريع والقضاء يحدثنا الدكتور حسين عن مبدأ الفصل بين السلطات الذي ظهر في المجتمع الاسلامي ومدى تسامي القضاة .

وما وضعه فقهاء المسلمين من قواعد الاجتهاد واستنباط الأحكام وما كان للقضاء من قدسية وتقدير ، حتى ليمثل في ساحته الخلفاء الى جوار الدهماء وما كان الخلفاء الأوائل ينتحلون لأنفسهم سلطة العفو عن المجرمين الذين يدينهم القضاء .

كما أفرد الدكتور حسين فصلا عن الحرب والعلاقات الدولية في الاسلام ، ومدى تقديس العهود والمواثيق في الاسلام ، وبرهن أن الاسلام دين السلام وانه ما شرع القتال في الاسلام إلا دفاعا عن حرية العقيدة قال تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

لكن الكتاب به بعض الهنات نود أن نضعها أمام المؤلف لعله يتداركها في

طبعاته التالية .
وأول هذه الأخطاء أدب الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نرى المؤلف قد استباح لنفسه الحديث بضمير جماعة المتكلمين ، نجده يذكر النبي باسمه مجردا من صفات التكريم ، ومن واجب الصلاة عليه ، فتراه على سبيل المثال يقول : « ولا نعتقد أن محمدا جاء ليقيم ملكا ، وينشىء دولة ، فما كان إلا نبيا ورسولا الى الناس » ص ٦٤ .
والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي » رواه الترمذي وبينما المؤلف يتحدث عن نشأة الدولة الاسلامية (ص ٦٢) نراه في صفحة ٦٤ ينكر أن الاسلام جاء ليقيم دولة وليكون للناس عقيدة وشريعة .
ثم يمضي في هذا التخبط حتى ليقول (ص ٦٥) :
« فمحمد صاحب الرسالة غير محمد امام الجماعة وقائدها وزعيمها . فهو في الأولى صاحب دعوة إلى الناس كافة لا يشترط لقيامها أن تقوم في حمى الدولة ، ولا يشترط لأصحابها ان يدينوا بالولاء لحكومة واحدة ، وان كانوا يدينون بأخوة الاسلام والولاء للعقيدة وهو في الثانية مسئول عن جماعة عليه أن يسوسها الى الخير من أمورها ، وإلى ما يكفل لها الأمن والحرية ، فان حملت الدعوة المسلمين على اقامة دولة ، فلأنها قامت في مجتمع لا تحكمه دولة على غير ما كان قيام الدعوة المسيحية ، ولأن الجماعة الاسلامية منذ تكونت كانت في حاجة الى من يدير أمورها ولا يعني هذا اقتران الدين بالدولة ، أو أن الاسلام دين ودولة ، فليس في الشريعة الاسلامية ما يؤيد اقتران الدين بالدولة ، ولم تعرض الشريعة لنظام الحكم ونوعه ، وإن عرضت للحدود والمعاملات بله المبادىء الأخلاقية التي تربط الجماعة الانسانية الى بعضها لتغدو نبراسا للحكم وهديا للحاكم ، فالاسلام دين ودنيا وليس دينا ودولة بالمفهوم الطبيعي للدولة وإن كانت ادارة شئون الدنيا والحياة مرقاة لقيام الدولة » .
وإذا لم يكن تنظيم المجتمع وضبط العلاقات بين أفراده ، وحدود القصاص ، وسياسة الحرب والسلم ، والمعاهدات وغير ذلك مما حفل به القرآن الكريم والسنة النبوية .. هي أسس الدولة فماذا تكون الدولة إذن !؟
إن المؤلف نفسه ليعترف بذلك ويقرره في الصفحة التالية (٦٧) فيقول :
« ويضع محمد مبادىء للحكم والسياسة ولكنه لا يضع نظاما للحكم ولا يتخذ في السياسة قاعدة أو اسلوبا الا ما يتفق مع مبادىء الأخلاق وهدى الرسالة وخير المسلمين والجماعة الانسانية » .
بل إنه ليستشهد بطائفة من المستشرقين فيذكر قول نللينو : « لقد أسس محمد في وقت واحد دنيا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته » .
ويقول دكتور شاخت : » إن الاسلام يعني أكثر من دين ، إنه يمثل نظريات

قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول أرنولد : « كان النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا للدين ورئيسا للدولة » وغير هؤلاء كثير ممن ذكر ..

ثم يمضي في هذه البلبلة لينتهي إلى القول بأن الاسلام دين ودنيا وليس دينا ودولة !؟ وإني لأتساءل : ما هي الدولة إن لم تكن هي هذا « الدين الذي ينتظم الوجود الأنساني كله ويضع الأسس الأخلاقية والاجتماعية لأرقى حضارة في الوجود ، حضارة تتسق فيها الروح والمادة وتتوازن فيها النزعات الفردية والجماعية وتحقق للانسان متعة الحياة ونعيم الآخرة ويقوم عليه مجتمع كامل يستهدي قانونه من شريعته ، ويسوس دنياه على قواعد دينه » ..!؟ كما يقول المؤلف .

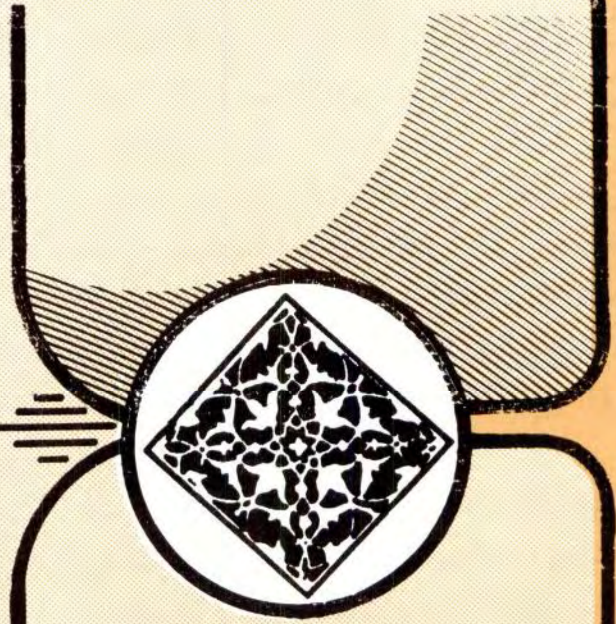
وقد ظل المؤلف يلح على هذه الفكرة .. فكرة أن الاسلام دين ودنيا ، وليس دينا ودولة ، ويناقض نفسه كلما أراد أن يسوق دليلا ليبرهن به على فكرته ، مما يجعلنا نجزم بأن الفكرة لم تكن قد نضجت في ذهنه ، أو أنه متردد في الايمان بها حتى انه لينادي بها ثم يقدم البراهين التي توهنها ولا تؤيدها .. كما جاء في ص ١٣١ « كان أكبر همه ــ الرسول عليه السلام ــ ان يصل بيثرب موطنه الجديد إلى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل في سائر أنحاء الحجاز » .

ومما يؤخذ على الكتاب أيضا التكرار والاطالة إلى حد الاملال لتأييد رأي ــ كما ذكرنا ــ المؤلف نفسه في شك من صحته .

وكذلك ، ذلك الحشد من القصص الذي يسوقه لضرب المثل على أجهزة الحكومة الاسلامية في أبواب نظام الحكم والولاية والولاة والوزارة والوزراء مما لا يضيف كثيرا الى موضوع الكتاب .

لكن الكتاب ــ بخلاف ذلك ــ قد ضم ومضات ناصعة وصفحات بيضاء يعرضها المؤلف للذكرى وللاقتداء مثل قوله : « ومن اليسير أن ينشد الحاكم ما كان ينشده صلاح الدين منذ ثمانية قرون من تحقيق الوحدة العربية لمواجهة الغزو الصهيوني ، ولكن عليه ان يكون على ما كان عليه صلاح الدين لا من حيث رجاحة العقل وبعد النظر فحسب ولكن من حيث تمثله لروح الاسلام وسمو تعاليمه ، فما كان صلاح الدين كما يشهد له مؤرخوه من الفرنجة قبل العرب إلا مثالا عاليا للخلق الاسلامي ، مروءة ونجدة ووفاء وحلما وتواضعا وطهارة وصلاحا وتقوى » .

وما أرانا اليوم إلا أشد حاجة من أي يوم مضى إلى النظر في تاريخنا وفي روح ديننا القويم ، وتعاليمه العظيمة ، حتى نستهدي طريقنا الى الحضارة الجديدة التي نتلمسها في نور الاسلام ، كما استهداها آباؤنا في صدر الاسلام ، فأهدوا للعالم خير حضارة وزودوه بأكرم قدوة يوم أقاموا دولتهم على العدل والاخاء والمساواة والايثار والتسامح والمودة .



من القصص الإسلامي

طائر يردّ الجميل

للاستاذ : حسين الطوخي

○ فرغ الشيخ من أداء صلاة العشاء ، ثم عاد الى جلسته الأولى ، وأسند ظهره الى جدار الغرفة ، وأخذ يتمتم بأدعيته مثلما يتمتم بعد كل صلاة ، وكـــانت الغرفة قد اظلمت تماما الا من بصيص ضئيل يتسلل من خصاص النافذة التي تطل على السوق الكبيرة في مدينة الكوفة ..

ولم يحس الشيخ بدخول خادمه « مسعود » يحمل القنديل بعد أن أشعل فتيلته ، ثم يضعه داخل كوته في الركن القريب حيث يرسل مع ضوئه الاصفر الباهت ظلال الاشياء المبعثرة على الأرض هنا وهناك ، بينما ظل مسعود يجيء ويروح وراءه وهو يعيد ترتيب أثاث الغرفة ليهيىء لسيده فراش نومه بعد أن يحضر له طعام العشاء ..

ولما أن فرغ مسعود من مهمته ، وقف بين يدي الشيخ يعرض عليه ما لديه من بقية طعام يمكن أن يقدمه اليه في هذه الليلة . لكن الشيخ لم يرد على خادمه ، بل نظر في وجهه ، واخذ يحدق فيه طويلا

حتى استراب مسعود في نظرات سيده الذي لم يلبث أن قال : أحب يا مسعود أن نتناول معا ـ على غير المألوف ـ طعام العشاء فلدي حديث أحب أن أنهيه اليك ..

قال مسعود بعد أن سكن خاطره : بأبي أنت وأمي يا سيدي ، قد فرغت منذ لحظة من عشائي وما أقدر أن أزيد شيئا ، أما ما تحب ان تقوله لي ، فكلي آذان صاغية ، وستجدني كما عهدت أطوع لك من بنانك .

عاد الشيخ الى صمته لحظة ، وأخذ يدير عينيه في أرجاء الغرفة الواسعة ، وفي النهاية أراح نظراته على وجه غلامه ثم قال : إذن تجلس قريبا مني يا مسعود حتى توفر على رفع صوتي بما لا أحب ان يسمعه غيري وغيرك ..

وجلس مسعود على الأرض بين يدي الشيخ الذي مد يده النحيلة فوضعها على كتف مسعود ثم قال :

ـ أحب يا مسعود أن ألقى وجه ربي يوم الحساب بكفة راجحة من صالح الأعمال تقربا الى رضائه . ولست تجهل يا بني أو يخفى عليك ما صارت اليه حالي من ذل بعد عز ، وعسر بعد يسر ، وتفرق الأهل والصحب ما بين شرق وغرب . ولقد أضحى بقاؤك معي ظلما لنفسي ولك بعد أن نفد مالي ، ولم أعد أملك ما أنفقه حتى على نفسي ، فما بالك وأنت معي وأنا مكلف بك أمام الله والناس ..

ساعتئذ ، اغرورقت عينا مسعود بدموع غزيرة أخذ يكفكفها بكفيه ثم قال في ألم : وماذا تحب يا سيدي أن أفعله ؟

قال الشيخ : لست احب أن تفعل شيئا الا أن تضرب في فجاج الأرض معتقا حرا تملك أمر نفسك وحياتك ، باحثا عن رزقك في غير صحبتي . وها هي ذي وثيقة عتقك ، قدمها غدا الى قاضي الكوفة مع شهود لك لتصير حرا منذ الغد . وهذان ديناران هما كل ما أملك بعد أن احتجزت لنفسي مثلهما ، ولا تراجعني فيما أبرمت عليه أمري ، فتلك وسيلتي الى قربي ممن يملك كل شيء .

خرج « مسعود » من دار القضاء في الكوفة يحمل بين يديه وثيقة عتقه ، وأخذ يطويها بعناية بالغة ، ثم اودعها مع حوائجه القليلة ، واتخذ طريقه الى مكان القافلة المسافرة بعد صلاة الظهر الى بغداد ..

لم يكن قد شاهد بغداد من قبل ، انما ذكرها العذب كان يسري في أوصاله كلما ذهب الى سوق الكوفة ليشتري حاجات سيده . كان يسمع الناس يتحدثون عن بغداد مثلما يتحدثون عن المدن المسحورة التي شيدت فيها قصور أحجارها من ذهب وفضة ، وقباب أبنيتها تناطح السحاب وتلتف بها الشمس في دورانها فاذا بها متوهجة أبدا يخطف بريقها القلوب والأبصار . كما كان يسمع أهل الكوفة يتحدثون عن بضاعة بغداد

وتجارتها التي تأتيها في قوافل البحر تحمل من الطيبات والخيرات ما تزخر به بلاد الشرق والغرب من الحرير والصوف والديباج ، والبسط والطنافس وألوان الاطعمة وصنوف الفاكهة والأشربة ، وكل ما ينبت في أرض الله الطيبة .

كان حديثا عجبا عن بغداد وما يظلل حياتها من أسباب النعيم وآيات الرغد والهناء ، وما يتهيأ لكل من يعيش تحت سمائها من فرص العمل والكسب والحياة الرخية ..

كانوا يتحدثون عن بر الناس بعضهم لبعض ، وكيف يعين القوي ضعيفهم والثري فقيرهم ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه في الدنيا والآخرة . لم يكن هناك ثراء مجنون ولا فقر همجي يطحن الناس بلا رحمة ، انما كان هناك عدل تقيمه الناس من أنفسهم دون أحكام من القضاة والمشرعين ، ولم يكن أحد يطمع فيما بين يدي أحد آخر ، أو انسان يقطع الطريق على انسان آخر ليسلبه لقمة عيشه أو يقصيه عن عمله ليأخذ مكانه ، انما كان هناك من يعلي صوته ويجهر به حتى يصل الى صاحبه ..

ولم تكـن في بغداد حاضرة العباسيين ازمات في السكـن والمأوى ، ولا ضائقات في الطعام ولوازم الحياة ، انما كانت هناك قواعد وأنظمة يحترمها الكبير قبل الصغير والثري قبل الفقير ، ولم تكن في بغداد أسواق سوداء لأقوات الناس ومساكنهم ، إنما كان كل شيء ميسرا للجميع بالحق ، وبما أمر به الاسلام ، خير دين أنزل للناس .

نعم .. كان عصر « المأمون » آنئذ ، عصرا ساد فيه الرخاء والعدل وحرية الانسان . كان عصرا عباسيا في أوج حضارته بعد ان فرغ جده « المنصور » من بناء بغداد عام ١٤٠ هجرية ، لتغدو في زمن الرشيد ولمن سيجيء بعده ، عروس الشرق وكعبة القصاد من أطراف الارض يبتغون التجارة والرزق والعلم والتثقيف وكـل شئون الحياة ، بعد ان جمعت فأوعت ، وشملت فسادت .

كـان عصر رخاء تنصب فيه الأموال مدرارا على بغداد ، ولم يكن البذخ والتأنق في أسباب الحياة مقصورين على الخلفاء والأمراء والخاصة ، بل كانا يتسللان الى أوساط الناس وعامتهم .

لكم كان « مسعود » يحلم في نومه ويقظته بالذهاب الى بغداد ليقضي في مغانيها أياماً قصارا يئوب بعدها الى دار سادته سعيدا بما شهد وسمع ، ثم لا يلبث أن يصحو من نومه مفزعا على مطارق الحقيقة المرة ، التي يعيش فيها مع الشيخ الفاني رب الأسرة الكبيرة ، التي كانت الى وقت قريب ، أكثر بيوتات الكوفة ثراء ونعمة وخافض عيش ..

لقد أفلس سيده وتعسرت حاله

بعد يسار عريض ورثه عن أبيه وزاد من كده حتى بات مثار تندر الناس في كل بقعة بمدينة الكوفة ، ثم نزلت الحادثات بالمحن ، وتفرق أبناء الشيخ في فجاج الارض بعد أن غرقت للشيخ قافلة له في بحر الظلمات ، ابتلعت معها أغلب ما كان يتجر فيه ، ولم يعد يملك في النهاية غير داره الكبيرة التي انزوى في غرفة منها ينفق من القليل الذي تبقى لديه ريثما يوافيه أجله المحتوم .

على أن مسعود رغم ما نزل بسيده ، لم ينس تلك السنوات الهانئة التي عاشها بين أرجاء هذه الدار العريقة منذ جلبه صبيا صغيرا من أحد النخاسين ذات يوم ، ويافعا درج مع أبناء سيده يلاعبهم ويداعبونه ، ويطعم ويرتدي مثلما يطعمون ويرتدون ، حتى تغيرت بسادته الحال ، ومال بهم الزمان ، فغدوا في عسر بعد يسر ، وألمت بهم عثرات الحياة ، والحياة من قبل ومن بعد ، تأخذ وتعطي حينا ، وتأخذ ولا تعطي حينا آخر ..

ويحدث مسعود نفسه والقافلة تغذ السير لتبلغ مشارف بغداد قبل ان تجثم الظلمة : ترى ماذا يخبؤه لي القدر في هذه المدينة الكبيرة التي لا اعرف فيها أهلا أو صديقا ؟ انني لا أحسن عملا ولا حرفة غير خدمة سراة الناس وأثرياء القوم ، وأنا اليوم حر مثلهم ولا يسيغ لي أن أعود القهقري مثلما كنت ..

وهذان الديناران اللذان لا املك سواهما ، ترى هل سيدفعان عني غوائل الايام وصروف العيش في هذه المدينة التي أسموها عروس الشرق وكعبة القصاد من كل البلاد ؟

ثم لاحت للعين قباب الدور والقصور ومآذن المساجد كأنها أكف مبسوطة وأذرع ممدودة الى رب السماء والأرض داعية اليه ان يديم للاسلام عزته ، وأن يعلي في العالمين كلمته ..

ولم تلبث القافلة أن حطت بركابها ووضعت أثقالها عند أول أبواب بغداد ، فأخذ كل مسافر يجمع حوائجه ثم يأخذ سبيله الى حيث يقصد .

ولم يبق في النهاية غير مسعود الذي وقف حائرا لا يدري أين يذهب بعد أن زحفت ظلمة الليل على المدينة ، ثم مضت لحظات أضيئت بعدها مصابيح الشوارع والحوانيت وقناديل البيوت ، فانبعثت منها أنوار باهرة جعلت من ليل بغداد ما صيرها تبدو كالعروس المجلوة في ليلة الزفاف ..

اقترب مسعود من دليل القافلة يسأله عن مكان خان قريب يبيت فيه ليلته ريثما يطلع الصباح الجديد ، فابتسم الرجل في وجهه قبل ان يجيبه :

ـ اينما سرت يا فتى وجدت الخانات في كل شارع وسوق ودرب ، وأنصح لك بالنزول في خان

الزياتين الذي يديره ابن عم لي ، وسوف لا يأخذ منك « ابو جعفر » كثيرا فهو رجل طيب ويساعد الغرباء ، وأنت فيما يبدو تزور بغداد لأول مرة .

سأل ابو جعفر نزيله الجديد عن هويته وأوراقه ، ثم أثبت اسمه في دفتر بين يديه ، وذكر سنه التي تجاوزت الخمسة والعشرين عاما وأنه قدم من الكوفة سعيا الى العمل والرزق . ونقد مسعود صاحب الخان نصف دينار أجر إقامته بالخان طيلة شهر كامل ، فأرشده الرجل الى مكان مبيته ولم يلبث مسعود ان القى بجسده المنهوك على الفراش ، ثم غاب في نوم ثقيل .

غادر مسعود خان ابي جعفر في صباح اول يوم له في بغداد وفي ذهنه ان يتجول في شوارع المدينة الواسعة ، ويستجلي مغانيها ويجوس في أسواقها لعل الله يفتح له بابا للرزق يعيش من ورائه مثلما يعيش الناس ..

رأى مسعود في تجواله ، الدور العامرة والقصور الباهرة تنطق بأبلغ ما وصل اليه فن البناء الاسلامي من جمال يأخذ بالأبصار والألباب .

شاهد البساتين الخضراء اليانعة تلتف بالعمائر والأبنية لتحمي قطانها من لظى الشمس والهجير في النهار ، وتبعث مع حلول الليل وشوشة انسامها الرخية لأفنان الشجر ..

ورأى مسعود الناس في بغداد يلتقون في مودة بيضاء يسأل بعضهم عن بعض ، ويتبادلون أعذب الحديث عن أحوال التجارة وشئون الدين والدنيا ، وتتخلل الأحاديث دعوات صادقة الى رب العباد ان ييسر الارزاق ، وان يرفع عن المسلمين ما يغضبه ، وان يهدي الناس الى صراط مستقيم .

ثم قادته قدماه الى سوق كبيرة لم يعرف سبيل اولها والى اين آخرها ، ورأى نفسه شيئا ضئيلا في خضم من البشر يروحون ويغدون حاملين السلال والحقائب يبيعون ويشترون من خيرات الله الوافرة التي ازدحمت بها الحوانيت والمتاجر وارصفة الطريق . وانتصف النهار فاشتدت الحركـــة في السوق ، وتعالت اصوات المنادين والدلالين تدعو الناس الى التفرج ومشاهدة البضائع ولو أنهم لا يرغبون في الشراء ..

وأحس مسعود بالجوع ، وتلفت حواليه ، فأبصر بائعا جائلا يبيع فطائر محشوة بالزبد والزبيب ، فاشترى منه واحدة أخذ يقضمها ويجيل ناظريه فيما يجري من حوله ..

وأقبل بائع من بعيد يحمل فوق رأسه قفصا بداخله طائر ملون الريش وأخذ ينادي على طائره : من يشتري البلبل الصداح .. من يشتري سيد المـــلاح ؟ البلبل الصداح .. سيد الملاح .

واقترب صاحب البلبل من

مسعود وهو يقول : خير هدية الى أطفالك وأهل بيتك يا سيدي ..

ولم يبرح البائع مكانه ، فالتفت اليه مسعود ثم قال : ليست لي حاجة اليه . اعاد البائع : اتدري انه بلبل طائر وانه جاء من الجزائر ؟ قال مسعود وهو يقضم فطيرته : لا شأن لي بالطيور يا عم .

غير ان صاحب البلبل لم ييأس فأخذ يقول : طاوعني يا سيدي انه بلبل نادر وستندم كثيرا اذا لم تحمله الى بيتك . عما قليل سيغني ويصدح وستدعو لي بالخير . انه رخيص الثمن .. ديناران فقط . قال مسعود : لا حاجة لي الى بلبلك يا عم . قال البائع : انظر الى ريشه الزاهي الجميل .. اتسمع يا سيدي صوته العذب ؟ قال مسعود بعد ان راق له حديث البائع : لا اسمع بلبلك يغني يا رجل ، ويبدو انك سمعت بكاءه وما أحسبه الا جائعا أو صاديا . قال البائع : سترى يا سيدي بعد ان تحمله الى بيتك ثم تطعمه وتسقيه بيديك .. سترى كيف يهز منقاره وذيله ثم يندفع شاديا بأعذب الألحان .. ديناران فقط ثم تملك بلبلا نادرا ، مكـــانه قصور الخلفاء والندمان والأمراء . قال مسعود ساخرا : يكفيني ان سمعت صوتك .. .. انك تبيع كلاما يا رجل اكثر مما تبيع من الطيور .. اليك عني اصلحك الله .

لكن صاحب البلبل لم ينصرف ، وأنزل قفص الطائر من فوق رأسه واختار مكانا الى جوار مسعود ثم قال : يحدثني قلبي يا سيدي ان هذا الطائر من نصيبك ، ولو سمعت نصيحتي ، ذهبت به في صبيحة الغد الى قصر « ابراهيم بن المهدي » عم امير المؤمنين « المأمون » وسيدفع لك فيه عشرة دنانير . قال مسعود : وماذا يمنعك أن تذهب به اليه فذلك اربح لك من بيعه لي . قال الرجل : لولا ان تجهزت الليلة للسفر الى البصرة ، لبقيت الليلة من اجل هذا البلبل النادر .. هات دينارين لتربح ثمانية .

مد مسعود يده الى قفص الطائر الحبيس واخذ يتأمل ريشه وهيئته ، وقد أوشك ان يصدق كلام البائع ، ثم قال في النهاية : لست املك الا ربع دينار يا عم ، اما ان تأخذه ثمنا لطائرك او تنصرف عني لشأنك .

حدق البائع في وجه مسعود وهو يتصنع الألم ويبدي المرارة ثم قال : ليت الناس يصدق بعضهم بعضا . هات نقودك وخذ بلبلك الغريد مبارك لك فيه .

وسار مسعود يحمل طائره حتى بارح ساحة السوق ، فرأى نفسه في فضاء من الأرض ليس فيها بيت ولا قصر ولا دار . رأى حوله أرضا جرداء الا من بعض بقع خضراء واشجار سامقة عالية مبعثرة عن يمين وعن شمال ، ومن خلفها بدت لعينيه الذاهلتين مياه نهر دجلة تروح وتغدو على صفحته القوارب

والسفن والحرامات تحمل الناس والبضائع الى البصرة وغيرها من الثغور التي ينتظمها النهر الكبير .

وانتبه مسعود الى ما يحمله بين يديه لما ان تحرك الطائر في القفص وأخذ يزقزق في اعياء كأنما يطلب طعاما أو شربة ماء . ساعتئذ ادرك مسعود ما اقدم عليه من حماقة حين انفق آخر ربع دينار يملكه ، ليشتري طائرا حبيسا في قفص لن يجديه اقتناؤه شيئا ! ماذا يفعل بهذا الطائر وهو لا يملك دارا ولا مالا ؟

وقبل ان يستبد به لوم نفسه ويهيم في أفكـــاره السوداء من جديد ، فتح باب القفص فخرج منه الطائر ثم أطلق جناحيه للريح . وأخذ مسعود يتابع الطائر بنظراته الذاهلة ، فرآه قد حط فوق أعلى شجرة وأخذ ينشر جناحيه تارة ويضمهما تارة اخرى كأنما ابتهج باطلاقه من القيد والجوع والظمأ ..

وجلس مسعود فوق نتوء من الأرض يندب حظه العاثر في تلك المدينة التي لم يعرف لها اولا من آخر ، ولا يدري كيف يستقبل غده وهو خالي الوفاض ..

ثم حانت منه نظرة الى حيث حط الطائر ، فأبصره يزايل موضعه من فوق الشجرة الباسقة ويهبط الى الأرض ، ويدور حول جذع الشجرة الغليظ حتى اذا ما دار حوله دورة او دورتين ، اخذ ينبش الأرض بمنقاره الدقيق ، ثم يلف ويدور هنا وهناك ويقترب من مسعود ، ويعود ليعمل منقاره في الأرض الرخوة من حول الجذع الغليظ ..

لم يدر مسعود ماذا دفعه لأن يرقب طائره الذي أبى أن يترك تلك البقعة القاحلة ليلتقط طعامه من مكان آخر مأهول ..

وقام مسعود وبارح جلسته بعد ان ضاقت نفسه بما شهده وما جرى له في يومه الحافل ، واتجه الى حيث كان الطائر ينبش بمنقاره ، ولشد ما عجب حين ابصر أذن جرة من الفخار دفنت في باطن الأرض ولم يبد منها سوى تلك الاذن ..

كـــان الوقت قد جاوز صلاة العصر وبدأ قرص الأرجوان رحلته الدائبة نحو الغروب ، وثمة سحب دكناء تروح وتغدو في صفحة السماء . وتلفت مسعود حواليه فرأى ذلك الفضاء الواسع لا يحتوي انسانا غيره في هذه الساعة . جلس الى جذع الشجرة الغليظ ، واخذ يحفر بيديه حول الأذن الظاهرة من الجرة حتى ظهر عنقها الكبير . التهب حماسه في الحفر من حولها وتبخرت من ذهنه مشقات ذلك اليوم ، وأخذت دقات قلبه تتزايد مع حركـــات يديه النشطتين حتى خلصت الجرة ، فاستوى واقفا ثم جذبها بكلتا يديه من حفرتها الرطبة وأسندها الى جذع الشجرة ريثما يسكن جأشه وتنتظم دقات قلبه المضطرب .

وحين اذن لصلاة المغرب ، كان

مسعود يجوس خلال الشوارع المزدحمة حاملا جرته الثقيلة فوق كتفه ويسأل كل من يقابله : اين سوق الزياتين .. اين خان ابي جعفر ..

واغلق مسعود باب حجرته ، وقضى اغلب ليلته يحصي الدنانير الذهبية التي امتلأت بها الجرة ، ولم يدر في النهاية إن كان قد عد عشرة آلاف قطعة او عشرين الفا من الدنانير ..

وفي الصباح ، اخذ عشرة دنانير ، ثم أعاد غطاء الجرة كما كان ، واودعها مخبأة ضمن حاجياته القليلة ، ومضى الى خارج الخان بعد ان ابلغ صاحبه انه سيرحل الليلة الى الكوفة ويعود منها في مساء الغد .

وصل مسعود الى الكـــوفة ، وذهب من فوره الى دار سيده الشيخ ، فوجده على حاله التي تركـه عليها منذ رحيله يشكـو الوحدة والسقام ، ويغيب في ذكريات ايامه اليانعة التي ذهبت ولن تعود ..

وقضى مسعود ليلته في دار سيده ، وحين طلع الصباح ، امضى وسيده ساعة وبعض ساعة ، ثم خرجا معا الى مكان القافلة المسافرة الى بغداد .

وبدأت القافلة سيرها الحثيث وقد تميزت فيها راحلتان فارهتان استوى الشيخ الطيب فوق احداهما ، والى جواره مسعود يمتطي الأخرى والحديث الضاحك يتداول بينهما حتى لاحت مشارف بغداد من بعيد .

ومضت ايام استقبلت بعدها سوق الزياتين في بغداد ، شيخا وقور الهيئة يشحذ همة عماله ليفرغوا من وضع البضائع فوق الأرفف الكثيرة وفي واجهة المتجر الكبير ، فلم يبق على حلول شهر رمضان الا يوم وليلة .

* * *

ابتسم « المأمون » بعد ان استمع الى مسعود وهو يقص عليه حكايته مع الطير الحبيس الذي رد الجميل .. جميل اطلاقه من حبسه ، ثم بدا له أن يسأله :

ـ ولكن خبرني .. لمـاذا يطلقون عليك هنا في بغداد « صديق الطيور » وذاع بذلك خبرك حتى بلغني ؟

اجاب مسعود وهو لم يزل بين يدي الخليفة :

ـ اعز الله امير المؤمنين وعطر بالرخاء ايامه الزاهرة . قد عاهدت الله منذ ظفرت بحريتي الا افعل شرا وأن يوفقني لأفعل خيرا ، ثم عثرت بالجرة المباركـة ، فعاهدته مرة اخرى الا ارى طيرا حبيسا الا أطلقته ولو كلفني شراؤه أضعاف ثمنه ، فليس هناك من شيء أثمن لدى المخلوق من حريته ، ولست انفق يا امير المؤمنين في سبيل ذلك ، الا مما يسره لي صاحب الجود والعطاء ، وواهب الرزق لمـن يشاء .



دعوات هدامة فاحذروها

- وردتنا من الأخ الأستاذ (محمد السيد علي بلاسي) المعيد بجامعة الأزهر الشريف . كلية اللغة العربية مقالة تحت عنوان (دعوات هدامة الماسونية . الرووتاري) كما وردتنا من الأخ الأستاذ (أحمد عبد المقصود عميلة) جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون بطنطا مقالة ثانية تحت عنوان (أضواء كاشفة) تدور حول نفس الموضوع .

أشار الأخوان الكريمان في مقالتيهما بألم شديد لانتشار الجمعيات والأندية التي تقوم الماسونية العالمية بتأسيسها في العالمين العربي والاسلامي تحت ستار مبادىء الانسانية والأخوة العالمية ومن هذه الأندية الماسونية (أندية الروتاري ، أندية اللونيز ، أندية الاكستشانج ، أندية الكيواني) وأوضحا الغرض الأساسي من تأسيس هذه الأندية وهو هدم أركان الاسلام وافساد عقيدة الشباب المسلم عن طريق بث روح الالحاد والاباحية الجنسية بين الشعوب وطالبا بالحذر الشديد من هذه الأندية الهدامة والتصدي لها لحماية تراثنا وعقيدتنا وشبابنا » .

نشكر الأخوين الكريمين لاهتمامهما المخلص في فضح وتعرية هذه الأندية على حقيقتها ونعتذر لهما عن نشر المقالتين بشكل كامل لضيق المجال .

المثالية الانسانية في حديث شريف

تحت عنوان (دعائم المثالية الانسانية في حديث شريف) بعث الينا الأخ (عبد الغني ناجي) - مصر . مقالا طيبا نقتطف منه :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها . أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني وأصل من قطعني وأن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا) فالنظرة الفاحصة في هذا الحديث توضح لنا أن الرسول الكريم تناول المسلم بالاصلاح والتهذيب من الداخل والخارج وبدأ أولا بالداخل لأهميته فقال (أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية) فمن هذا المنطلق المشع « الاخلاص » تتفجر ينابيع الخير وجميع المعاني النبيلة التي تنتظم حياة الفرد والمجتمع ثم جاءت بعدها التنبيهات تترى باصلاح الخارج بعد أن تجلى اصلاح الداخل بالاخلاص .. والمسلم الذي يتخرج من هذه المدرسة النبوية يحمل

أرقى مؤهلات المثالية في الوجود وأن شخصا يجمع هذه الخصال التى أرشد اليها الحديث الشريف الهادف لهو المثالي دون منازع .

نعتذر للأخ الكريم عن نشر المقال بشكل كامل لضيق المجال .

دعاة الحق وأدعياء التدين

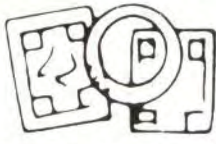
الأخ الطالب ثنين محمد . اتركان ـ أغادير ـ المغرب ، أرسل الينا بمقال عنوانه (دعاة الحق وأدعياء التدين) نقتطف منه :

طغت المادة على الروح في هذا العصر الذي يتعامل فيه الناس بها ويعبدونها ونسوا الجانب الروحي وتفشت الرذائل في المجتمع الاسلامي وكثر أدعياء التدين وقل دعاة الحق ، والاسلام دعوة قبل كل شيء وهذه الدعوة لم تحدث عبثا دون أن يكون هناك داع دعا اليها وتحمل من أجلها وبذل في سبيلها وهكذا كان محمد الداعية الأول في الاسلام كما كان الأنبياء والمرسلون قبلة الدعاة الأول والدعاة المسلمون في تاريخ دعوة الاسلام كانوا هداة يحملون في صدورهم نورا وعقيدة وايمانا يعرضون عقيدة الاسلام بكل بساطة ووضوح لا تعقيد فيها فحققوا ما كانوا يهدفون وظل الأمر كذلك حتى شهد الاسلام ألوانا من الانحلال والترف وكان لا بد أن يقابل هذا الاتجاه اتجاه الى الزهد والتقشف وحمل لواء هذا الزهد جماعة من المسلمين كانوا النواة الأولى للتصوف وبعد الفتوحات الاسلامية دخل الاسلام عناصر كثيرة لم يكن اسلام بعضها خالصا لوجه الله فوجدوا التصوف ضالتهم المنشودة لنشر سمومهم .. والتصوف في حد ذاته كتربية للنفس والضمير لا نكران عليه ولا خلاف فيه وأما الذي ينكره الاسلام دون هوادة هو التصوف الدخيل الذي يحاول عزل الاسلام عن الحياة ويدعو للرهبانية .. واليوم أصبح للتصوف زعامات لا يهمها سوى جمع الأتباع من السذج والبسطاء تنشر بينهم البدع والخرافات ويزعمون أنهم دعاة الى الله ... وما أحوجنا في هذا العصر الى دعاة هداة يهدوننا الى سواء السبيل وينقذون السذج من بحر الخرافات التي طغت على الاسلام فأصبح معظم شبابنا لا يميز بين البدع وبين تعاليم دينه .

المولد النبوي الشريف

الأخ أحمد حسانين جريفل ، بعث الينا بقصيدة تحت عنوان (المولد النبوي الشريف) نقتطف منها :

رسول الله جئت بخير هدى ... وبالنور المبين وبالضياء
وبالقرآن دستورا قويما ... وبالأحكام جئت وبالشفاء
ويوم ولدت يا خير البرايا ... جثا كسرى على الأرض الخلاء
ولولا مولد الهادي محمد ... لظل الشرك يسرى كالبلاء



بريد الوعي الاسلامي

نقد وتعليق

الأخ السيد حامد الماحي - السودان - تعليم الخرطوم .
بعث الينا بكلمة شكر ونقد لمقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب المنشور في العدد ١٩٥ ربيع الأول ١٤٠١هـ تحت عنوان (التقليد والمقلدون) .
يثني الأخ حامد على كاتب المقال بتقسيمه هذا البحث الطويل الى فقرات ثم يعلق الأستاذ الماحي على المقال فيقول :
« يعز علينا أن يذهب هذا المجهود الجبار لأستاذنا الجليل هدرا وكنا نأمل أن يركز أستاذنا العلامة في هذا البحث القيم ويراجع ما سجله في تؤدة ومهل فيسقط المكرر ويحذف اللغو قبل أن يقذف بهذا الخلط للطباعة فيهدر كذلك مجهود العاملين ويشغل هذه المساحات الهائلة وهو يبدي ويعيد من غير جدوى ومثال ذلك : ما ورد في الفقرة الرابعة هو نفس ما ورد من ألفاظ ومعاني في الفقرة الثالثة عشرة .

ردود سريعة

الأخ الدجاني مصطفى من فاس - المغرب :
أرسل رسالة تنم عن الألم العميق من جراء نشر المجلة في عددها ١٩١ مقالا أو تحقيقا حول كتاب (الشيخان) وجاء العرض بقلم الأستاذ (حمدي متولي مصطفى) ويتساءل لماذا تنشر المجلة عرضا لكتاب (طه حسين) المعروف بمواقفه من الاسلام وننسى كتابا اسلاميين أمثال (هيكل والعقاد والمودودي والبنا وسيد قطب) .
نشكر الأخ على رسالته ونفيده علما بأننا مستعدون لنشر كافة التحقيقات التي تردنا ولا ننسى أحدا من الكتاب الاسلاميين .

○ الأخ موهوب محمد بن رحال - الدار البيضاء - المغرب

يطلب منا تأمين عمل له في المجلة ..
نعتذر ياأخ موهوب عن طلبك لأن هذا لا يدخل في دائرة اختصاصنا .

○ **الأخ الجزائري محمد علي الجزائري يرجو إعادة صفحة مواعيد اوقات الصلوات ،**
سنعمل على تحقيق ذلك في المستقبل ان شاء الله .

○ **الأخ شحاته حامد احمد علي .كلية الزراعة جامعة القاهرة**

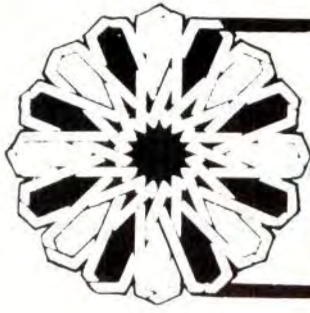
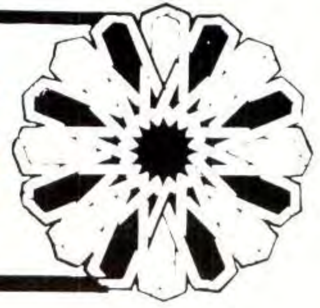
وصلتنا يا أخ حامد مقالتك الكريمة التي عنوانها (لغة القبر) وسنعمل بأذن الله على نشرها في الأعداد المقبلة .

○ **الاخ عمران البشلانة مصر** بعث الينا بشكره على ما نشرناه في المجلة تحت عنوان (الاسلام وتحديد النسل) للاستاذ ابراهيم النعمة ويقول اذا كنتم تريدون ان تروا ما حل بالبلدان التي تروج لهذه الفكرة المسمومة فشاهدوا التدهور المستمر في احوالها الاقتصادية .
تحياتنا يا اخ عمران ونسأل الله تعالى الهداية لجميع المسلمين حتى لا ينزلقوا وراء هذه الدعايات المسمومة .

○ **الاخ عبد الرحمن عزيز رئيس مجلة معارف ابن تيمية في سابيو ال باكستان** بعث الينا بشكره لادارة التحرير ويعلمنا بانه قام بترجمة بعض المقالات القيمة المنشورة في المجلة الى اللغة الاوردية .
ـ شكرا للاخ عبد الرحمن على جهوده لخدمة الاسلام والمسلمين .

○ **الاخ السيد حامد الموحي وقيع الله السودان تعليم الخرطوم** اشار الى خطأ ورد في العدد ١٩٥ صفحة ١٤٤ حيث وردت فيها الآية ١١٥ من سورة البقرة (فأينما تكونوا فثم وجه الله) والصواب كما ورد في كتاب الله (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) .
شكرا يا اخ حامد على ملاحظتك ونحن حريصون على تلافي الأخطاء ولكن لا يسلم العمل من وقوع بعض الأخطاء المطبعية والخارجة عن إرادتنا ، مما نأسف له .

○ **الاخ الطيب عمر سليمان السودان يسأل** :
لماذا أوقفتم باب (هذا من الحديث) وباب (ليس من الحديث) ويأمل باعادة هذا الباب .
ـ يا اخ عمر كافة الاحاديث التي ترد في المجلة يشار الى درجتها والمكتبات مليئة بكتب الحديث التي يمكنك الرجوع اليها لمعرفة درجة الحديث هل هو صحيح او حسن او ضعيف .

مع صحافة العالم

لماذا هم تائهون ؟

عنوان مقالة افتتاحية نشرتها مجلة التضامن الاسلامي في عددها الصادر في صفر ١٤٠١ هـ قالت فيها :

كلمة نشرتها مجلة المختار في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٨٠ عنوانها (نحن تائهون في الكون) وكاتبها ممثل امريكي شهير يدعى (وودي الن) جديرة بالتأمل .. اذ هي شهادة من الذين اتعبهم الجري وراء حضارة العصر والهتهم الفتنة بالشهوات عن حقيقة انفسهم فلما

احسوا بظلام قلوبهم وانطفاء جذوة ارواحهم ورأوا قبض الريح في ايديهم اخذوا يجأرون بالشكوى من الحيرة والقلق الذي يقصف بهم ويأسون على ايامهم الضائعة سدى وخوفهم من المستقبل وجهلهم بالمصير يقول الكاتب في كلمته « اكثر من اي وقت مضى يقف الانسان اليوم امام مفترق طريقين يؤدي الاول الى القنوط وانعدام الامل ويقضي الثاني الى الابادة الشاملة » .

ويبلغ به اليأس مداه فيقول « اني لا اتكلم كمن فقد احساسه بجدوى الحياة ولكن كمن اقتنع تماما بانعدام اي معنى للوجود » .

ويشير الى خيبة الامل في العلم المادي الذي ظن المفتونون انه يغني عن الدين ويحل مشكلات الحياة فيقول في حيرة : « اين العلم منا حين نتأمل في الغاز الابدية ؟ أيعقل ان يرى الانسان روحه تحت المجهر ؟ وكيف نشأ الكون ؟ وما المقصود بقولنا ان الانسان فان ! »

اليست هذه شهادة من اهل الحضارة المادية بعجزها عن اشباع الروح وبث الطمأنينة في القلوب ؟ فليسمع المفتونون بحضارة الغرب شهادة هذا الشاهد الذي فقد الاحساس بقيمة الحياة ولم يعد يرى للوجود الانساني معنى !!

ويمضي الممثل الامريكي في صراحته ويعلن عجز الدين المسيحي عن تقديم الاجابة عن هذه الاسئلة ... بل ويتمنى ان لو كان له عقيدة دينية بسيطة لا تعقيد فيها ولا

غموض فيقول :

« مما يؤسف له ان الدين هو الآخر خذل بعض الناس في مجتمعنا

وكثيرا ما افكر في سعادة الإنسان البدائي لانه امن بوجود خالق قادر محب لخلقه ويعني بكل شيء »

يا سبحان الله .. هذا هو الحق نطق به هذا الشاهد عن حضارة العصر ! التي يبشر بها المفتونون التائهون المهزومون امام « التكنولوجيا » وقدراتها العجيبة ..

يقول « وودين إلن » ان ما فعله اولئك الذين فقدوا الايمان بوجود اله خالق هو انهم جعلوا من التكنولوجيا الها ولكن هل لدى التكنولوجيا جواب شاف ؟؟؟

ومن الواضح ان الرجل يبحث عن طمأنينة الروح .. وصفاء النفس بل ويبحث عن حقيقة الانسان التي ضاعت امام الخوف من تحديات العصر ومشكلاته !

ولكن مجتمع الحضارة الغربية له شأن آخر يحدثنا عن ذلك الممثل اذ يقول : وبدلا من ان نواجه التحديات ترانا نتلهى عنها بالجنس والمخدرات .. ونحن نعيش اليوم في مجتمع اكثر اباحية مما ينبغي وليس لنا محور روحي بل نحن تائهون وحدنا في خضم الكون ! فيما ينزل بعضنا ببعض الوان العنف الوحشي والقسوة بسبب يأسنا وألمنا !

تلك شهادة لها مغزاها .. اذ لا بد ان يعرف هؤلاء لماذا هم تائهون ؟!

نشرت مجلة دعوة الحق المغربية في عددها الثامن كلمة بعنوان :

التجربة الأخيرة

قالت فيها :

●● جرب المسلمون مع مطالع القرن الرابع عشر الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول إلى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي ، والتجأوا إلى الاشتراكية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ للفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات ، وعمد بعضهم إلى تبني الأنظمة الديكتاتورية ، سواء منها ذات الطابع العسكري والبوليسي أم ذات النزعة العنصرية والقومية الضيقة ، فلم يزدهم ذلك إلا تخلفا واندحارا وامعانا في التخبط والفوضى والتيه . وقامت في البلاد الاسلامية تجارب شتى ، شرقية وغربية ، مدنية وعسكرية ، متطرفة ومعتدلة ، يسارية ويمينية . فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق ، ولم يزدادوا إلا انحرافا وزيغا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد . ومضى القرن الرابع عشر بكل الانتكاسات والهزائم

والتجارب الدامية والفاشلة التي عرف بها . فمن الانقلابات إلى الثورات ، إلى الاضطرابات ، إلى الديكتاتوريات المتعددة الأشكال والأنماط ، ومن القهر إلى الارهاب ، إلى القمع ، إلى امتهان الكرامات وإذلال العباد وإفقار البلاد وتمزيق الصف ، ومن العمالة والخيانة والتواطؤ مع العدو ، إلى التآمر ضد الأمة باسم الثورة والتقدمية ، وإلى التطاول على عقيدة الشعوب المسلمة بدعوى تحريرها وتحديثها وعصرنتها ، وإلى النيل من القيم والمقومات والمقدسات ، ومن تشويه التاريخ وتزييف حقائقه . الى تضليل الأفكار وتخدير العقول تارة بدعوى العلم والعلمانية ، وتارة أخرى باسم التنوير والمدنية ، وفي غالب الأحيان بالضغط والاكراه والتهديد والأساليب الوحشية في التبليغ والدعاية والاعلام والتعليم والتلقين دون مراعاة لحقوق الانسان في التلقي والتعلم والأخذ والاقتباس والحرص على ذاتيته وقيمته الآدمية . وكان من نتائج هذه الغارة على الانسان المسلم على مدى قرن كامل أن تفشت في البلاد العربية أنماط من السلوك الذي يستمرىء الذل الفكري ويستسيغ المسكنة وانحطاط الشأن ويرضي بالخنوع ووضاعة المكانة ، اللهم إلا ما كان من نماذج أبت على الذوبان وانفلتت من الاحتواء والاستيلاء والاجهاض . ورضيت أن تكون حرة وسط غابة كثيفة يفترس فيها وحوش الأنس ذوي الارادات الضعيفة والاستعداد للسقوط في حمأة الضياع الحضاري والارتباط بالقوى الشرسة المتآمرة ضد أصحاب الفكر النير وعزة النفس وقوة الارادة وصلاحية الاختيار . وانتشرت في البلاد العربية والاسلامية أنظمة الجبروت تفتك بالانسان وتقتل فيه النخوة والرجولة والشعور بالذات ، فكان أن نشأت أجيال متعاقبة لا تفقه من أمر دينها مثقال ذرة . ولا تدرك حدود حضارتها ومعالم تاريخها . ولا تكاد تعي وجودها المادي والمعنوي . مما مهد الطريق أمام أعداء الانسان ليعيثوا في الأرض فساداً ويدمروا الشخصية الانسانية من الداخل ويقيموا لأنفسهم هياكل من الوهم والخرافة والاسطورة . وبذلك انقادت الشعوب الاسلامية وراء جلاديها ، وسارت دون وعي في طريق الغواية والضلالة والبهتان . فضاعت فلسطين . وضاعت الكرامة الاسلامية بضياعها . وانزوى المسلمون في جانب ، وخلا الميدان من وجودهم .

● في هذه الاجواء القاتمة الملبدة بسحب الردة والتراجع والانهزام الحضاري مضت القوى الدولية الرهيبة تضرب معاقل الاسلام وحصونه معقلا بعد معقل وحصنا أثر حصن . فتساقط منها ما تساقط . وتضعضع ما تضعضع . وانهار ما انهار . وزلزلت الأرض من تحت أقدام المسلمين فاذا هم في وضع لا يحسدون عليه ، تتناوشهم السهام من كل جانب ، وتتواطأ ضدهم أمم الأرض ، وصدق فيهم حديث رسولهم عليه السلام ، فاذا هم كثرة ، ولكنها كثرة كغثاء السيل ، وتلك من دلائل النبوة في هذا العصر .

● يمكن لنا أن نجزم دون مبالغة أو مغالاة أن الوضعية الراهنة للمسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تبشر وتطمئن القلب ، ذلك أن الازمات الخانقة التي تعيشها الأمة الاسلامية لا يمكن أن تكون إلا إيذانا بزوال أسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق . وما هذه الفتن والقلاقل والفواجع والحرائق التي تملأ الساحة الاسلامية إلا آلام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله أن يعقبه يسر طال الوقت أم قصر ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

●● ليس من شك أن المسلمين يمرون اليوم بظروف بالغة السوء والشدة والافلاس .

● وليس من شك ـ أيضا ـ أن المسلمين يقفون على مفترق طرق ، وتحاصرهم معارك من شرق وغرب على السواء ، ولكن هذا الواقع الشديد الحلكة والقتامة والسواد لا يمكن ان يمنعنا من التفاؤل طالما ان الاسلام لا يزال هو القوة المحركة والحافز والدافع المباشر في كل ساحة يضطرب فيها الوضع وفي كل ميدان تشتد فيه الوطأة على المسلمين . وذلك بالرغم من غلبة القوى المناهضة لهذا الدين وتفوقها وبطشها . بل ان هذه الصفات جميعها ما هي الا ارهاصات النصر وعلامات الفوز وامارات الغلبة التي كتب الله في اللوح المحفوظ منذ الازل أن تكون للمؤمنين .

● الأمر ، في هذا المستوى يخرج عن نطاق التفاؤل والتشاؤم . أو التخمين والرجم بالغيب أو التنبؤ ، لأنه يتعلق بقضية إيمانية هي جزء من إيمان المسلم في كل عصر ، ذلك أن الاسلام قاهر كل عقيدة . وتبقى مسألة التوقيت . وهذه خارجة عن علمنا وارادتنا وتقديرنا .

من هذه الزاوية نتطلع إلى آفاق المستقبل . وبهذا المقياس نحكم على الماضي والحاضر ونستقرىء ما تموج به حياتنا المعاصرة من صخب وصراع وفتنة واضطراب .

والحق أن التجارب المريرة التي مر بها المسلمون طوال القرن الرابع عشر الهجري ليست إلا دروسا وعبرا وعظات ومن حقنا أن نعمل عقولنا ـ في وعي كامل ـ في تدبر النتائج المستخلصة واستيعابها حتى تكون لنا مصابيح على طريق المستقبل .

●● ان العالم الاسلامي . وهو يعيش السنة الأولى من القرن الخامس عشر يتلمس طريقه في وعي وبصيرة نحو استعادة دوره الحضاري . ولن تفلح كل القوى المعادية في إيقاف زحفه المبارك .

وهو زحف . ما في ذلك شك ، ومبارك لان الله يرعاه ويزكيه ويباركه .

وتلك هي عقيدتنا ....

وذلك هو يقيننا ...

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

قبة الصخرة المشرفة

العالم الاسلامي

الجمهورية التركية

○ قامت على انقاض الدولة العثمانية وسقوط الخلافة بعد الحرب العالمية الاولى ورسمت الحدود لجمهورية تركيا الحديثة بموجب معاهدة لوزان وقد تم كل ذلك على يد مصطفى كمال اتاتورك وقد قام اتاتورك بالغاء الشعار الاسلامي للدولة وجرد الرياسات الدينية من اختصاصاتها الحكومية والقضائية واقتبس قوانين الدولة العلمانية من القوانين السويسرية والالمانية والايطالية وقد توفي اتاتورك ١٩٣٨م .

○ تبلغ مساحة تركيا ٧٦٢٧٣٦ كم٢ (بدون المستنقعات والبحيرات) ضمن قارتي آسيا واوربا وتبلغ مساحة القسم التركي الاوربي ٩٢٥٧ كم٢ .

○ السكان ٣٩,٢٧٠٠٠٠ نسمة غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة وفي البلاد اقليات عرقية من اليونان والارمن والعرب والاكراد والناطرة .

○ اللغة : اللغة التركية هي فرع من اللغات الجنوبية الغربية اي فرع من المجموع التركماني والتي كان يتكلم بها بالأصل / الاوغوز / وكانت تكتب بالابجدية العربية حتى جاء اتاتورك فأبطل ذلك واستعاض عنها بالأبجدية اللاتينية .

○ لم تفلح حملات التغريب من اجل ابعاد الشعب التركي الطيب المسلم عن تراثه وعقيدته والتي قام بها اتاتورك ومن حكموا تركيا الحديثة من بعده وظلت العقيدة راسخة في النفوس تنتظر الفرصة للتوثب والانقضاض على العلمانية الكمالية وفي كل مرة تحاول العقيدة الاسلامية الظهور على مسرح الحياة التركية يلجأ حكام تركيا المرتبطون بالغرب للقضاء عليها وتطويقها بمسرحية الانقلابات العسكرية وقد حققت الحركة الاسلامية التركية نجاحات كبيرة في الآونة الاخيرة مما دفع العسكر التركي المشبع بالثقافة الغربية الى الانقضاض عليها وزج قادة هذه الحركة في السجون بحجة مقاومتهم للقومية التركية ظنا منهم بأنهم سيخمدون البركان المتفجر في نفوس الشعب لسنين طويلة مضت وصدق الله العظيم :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .



الجمهورية التركية

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٠ ● شعبان ١٤٠١ هـ ● يونيو ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

ضمان الله لحفظ القرآن على مدى الأزمان

جاء في آيات القرآن الكريم بيان أن الله قد كتب للاسلام البقاء والخلود . ولكتابه الحفظ والصيانة فقال تعالى :

(كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .. (ألم تر

كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) .. (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وهذه الآيات ذات الحكم القاطع ببقاء الاسلام وخلوده ، وحفظ القرآن وصيانته آيات نزلت بمكة ، ورسول الله يعاني من اعراض قومه عن الاستماع للقرآن ، وصدهم لغيرهم من الاصغاء اليه ، واضطهادهم وتعذيبهم لمن آمن به ومقاطعتهم له ولعشيرته . وحصرهم في شعب من شعاب مكة مدة غير قصيرة لا يبيعون ولا يبتاع لهم حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع ، ثم مؤامرتهم على احباط دعوته .. وقد مكث هذا الليل الحالك يحيط بالدعوة المحمدية في مكة عشر سنوات دون أن تلمح بارقة من الأمل في ظهور الدعوة ونصرها ، واذا استمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم ـ من طبيعة دعوته بارقة من الأمل في جوانب نفسه فهل يتفق له مع هذه الظروف القاتمة أن يزيد في نفسه الأمل حتى يصير حكما قاطعا ؟ واذا امتلأ رسول الله رجاء بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدها بنفسه ، فمن يضمن له بعد موته بقاءها وحمايتها وسط أحداث المستقبل ؟ وكيف يوقن رسول الله بذلك وهو يعلم من عبر الأيام ما يفت في عضد هذا اليقين ؟ فكم من مصلح صاح بالاصلاح فما لبثت صيحاته ان ذهبت أدراج الرياح ، وكم من مدينة قامت في التاريخ وازدهرت ثم عفت ودرست آثارها ، وكم من نبي قتل ، وكم من كتاب فقد او انتقص او غير وبدل .. وهل كان رسول الله ممن تستخفه الآمال فينساق مع الخيال ؟ انه ما كان قبل نبوته يطمع في ان يكون نبيا يوحى اليه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) ولا كان بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقى هذا الوحي محفوظا لديه (ولئن شئنا لنذهبن

بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) ..

اذن .. كيف جاء هذا الحكم القاطع بخلود الاسلام وحفظ القرآن ؟ انه جاء من الله الذي بيده وحده الأمور ، والذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت فلولا فضل الله ورحمته لما استطاع القرآن أن يصمد لتلك الحروب العنيفة التي اقيمت ولا تزال تقام عليه بين حين وحين .. تأمل التاريخ يحدثك كم تنكر الدهر لدول الاسلام وكم تسلط الفجار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل ، وأحرقوا الكتب وهدموا المساجد واحدثوا من الفساد ما كان يكفي بعضه لضياع هذا القرآن كما ضاعت كتب قبله ولكن عناية الله ابقته في وسط هذه الأحداث العاتية رافعا راياته واعلامه حافظا آياته واحكامه .. وسل صحف الاخبار اليومية كم من النشرات المعادية للاسلام والكتب الحاقدة على القرآن وكم من الأموال تنفق في كل عام لمحو القرآن وصد الناس عن الاسلام بالتضليل والبهتان والخداع والاغراء ثم لا يصل اهلها الا الى حسرة تغمرهم وفشل ذريع يحيط بهم (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) .

ذلك بأن الذي يمسك القرآن ان يزول هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا وقد قضى باظهار دينه على كل باطل : (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) والله بالغ امره ومتم نوره ، فظهر وسيبقى ظاهرا لا يضره من خالفه حتى يأتي أمر الله . وستظل عناية الله تمد الاسلام وكتابه برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



نظرات في سورة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ـ وبعد ـ فقد قال الله تعالى :

« ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » .

(**معنى مفردات الآية**) :« **يغضون اصواتهم** » ـ اي يخفضون اصواتهم بين يدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « **امتحن الله قلوبهم للتقوى** » اي اختبر الله قلوبهم ليظهر صلاحيتها لحلول التقوى بها التقوى ـ مأخوذة من الوقاية ـ يعني تقي المتصف بها من بأس الله ومن عوادي الزمن ـ وسيأتي لها مزيد ايضاح ان شاء الله ، **لهم مغفرة وأجر عظيم** ـ مغفرة مصدر غفر بمعنى ستر يقال غفر الله الذنب اي ستره ولا يعاقب عليه ، الأجر ـ الثواب ـ والثواب هو الجزاء على العمل خيرا كان او

الحجرات

للشيخ عبد الحميد بلبع

شرا . واكثر استعماله في الخير - ولا يعلم حقيقته ولا كميته الا الله جل شأنه ، **ينادونك من وراء الحجرات** - اي يستدعونك من وراء الحجرات يريدون لقاءك ، الحجرات : جمع حجرة وهي قطعة من الارض محجوزة بحاجز - حائط - او غيره للمنع من الدخول والمراد بها هنا مساكن امهات المؤمنين - رضي الله عنهن زوجات رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. (**المعنى العام للآية**) : ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ، اي يخفضونها في مخاطبته ، او بين يديه في امر ما رعاية للأدب الواجب نحوه - تكريما لشخصه وتعظيما لقدره - او يخفضونها بين يديه خشية عدم الانتهاء بالنهي عن استعمال ما لا يليق بمنزلته الوارد في قوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون** » وقد قلت عن هذه الآية في مقال سبق نشره بالعدد (١٨٠) من مجلة الوعي الاسلامي انها نزلت في مناسبة ما جرى بين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر بن الخطاب من الخلاف في امر علت فيه اصواتهما بين يديه صلوات الله

وسلامه عليه فنزلت الآية المذكورة وفيها نهي وتحذير من سوء العاقبة - لذا التزم كل منهما بالانتهاء عما نهى الله عنه ثم جاءت الآية السابقة اول المقال « **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله** - الخ الآية تشيد بالتزامهم بالانتهاء عما نهى الله ، وتنوه بتقواهم لله وبغضهم اصواتهم عند رسول الله ، وتعلن ما اعده الله لهم من المغفرة والأجر العظيم اذ تقول « **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** » تعبير عجيب في اسلوب دقيق ينبه المشاعر ويوجه المدارك الى ما اضفاه الله على صفة التقوى من الدرجة العليا واحلالها بالمنزلة السامقة العظمى ، واصطفائه لها قلوبا تعمرها بعد امتحان واختبار هذه القلوب بضروب المحن ، ومشاق التكاليف واصطبارها على هذه المشاق والمحن وقد قال العلماء ان التقوى كامنة في النفس ولا يظهرها الا الاصطبار على انواع المحن ومشاق التكاليف فالاختبار هنا سبب لظهور التقوى لا للتقوى نفسها فانها فطرية في النفس « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » الروم / ٣٠

قلنا فيما سبق ان التقوى مأخوذة من الوقاية يعني تقي المتصف بها مما يخافه ويحذره - وهنا - قد يقول قائل : نحن نعلم ان الله على كل شيء قدير لا يقف امام قدرته شيء ولا يعجزه شيء وكل شيء خاضع لقدرته ، فكيف تكون التقوى وقاية اذن : ومن اي شيء تكون هذه الوقاية - ونقول نعم هناك ما هو فوق ذلك ، وبه ومنه فكون هذه الوقاية ، لا تعجب يا هذا ، فهو حب الله للعبد ورضاه عنه فان الله اذا احب عبدا وقاه ودافع عنه - يعود السائل قائلا - وما الدليل على ذلك اولا ثم ما هي الوسيلة للحصول على هذا الحب وهذا الرضا ثانيا - ثم من اين نعلم ان الله احب ورضي وهو غيب ولا يعلم الغيب الا الله ثالثا - ونقول :

اولا : الدليل على ذلك قول الله تعالى « **ان الله يدافع عن الذين آمنوا** » الحج / ٣٨

ثانيا : الوسيلة للحصول على حب الله ورضاه هي اتباع رسول الله في كل ما جاء به من عند ربه امرا ونهيا والدليل على ذلك قول الله عز وجل « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** » آل عمران / ٣١

ثالثا : حقيقة ان حب الله ورضاه من العبد غيب ولا يعلم الغيب غيره فمن اين نعلم ونقول/نعم اعلن الله تعالى عن غيبه هذا في حديث قدسي قال فيه « وما تقرب الى عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » رواه البخاري .

فتقوى العبد لله هي ان يجعل العبد بينه وبين ما يحذره ويخشاه من بأس الله ومن عوادي الزمن وقاية تقيه منه ـ وخير وقاية هي اداء ما فرض الله ، واجتناب ما نهى الله ـ ومن هنا عرف العلماء التقوى بانها « امتثال الأوامر واجتناب النواهي ـ بهذا ايها السائل ثبت ان التقوى حقيقة وقاية للعبد مما يحذره ويخشاه .

والتقوى كلمة جامعة فهي وان قل لفظها لكنها جامعة الكثير من عوامل الخير والبر ، داعية لجلب المصالح ودرء المفاسد عن المتصف بها في مجالات حياته كلها ـ فبالتقوى ينفث الله عن المتصف بها الكرب ويفك الضوائق ويفتح له باب رزق واسع طيب من حيث لا يحتسب ـ مصداق ذلك قول الله تعالى « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** » الطلاق / ٢

وبالتقوى ييسر الله للمتصف بها امره ، ويذلل صعبه ، في هذا يقول الله تعالى « **ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم** » الطلاق / ٤

وبالتقوى يمن الله على المتصف بها باصلاح عمله وغفران ذنبه ـ قال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** » الأحزاب / ٧٠

وبالتقوى يحفظ الله للمتصف بها ذريته بعد وفاته ، قال تعالى « **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** » النساء / ٩ وقص الله في القرآن ما جرى بين سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح اذ اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان **ينقض** فأقامه العبد الصالح فقال له موسى ـ لو شئت لاتخذت عليه اجرا فقال له العبد الصالح هذا فراق بيني وبينك ـ ثم بين له قصة هذا الجدار بقوله « **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري** » الكهف / ٨٢

نعم رحمة من ربك بالغلامين اذ امتدت يد القدر لحفظ الكنز من الانقضاض صيانة لما كمن تحته من المال حتى يبلغ الغلامان اشدهما ويستخرجا كنزهما وفاء لصلاح ابيهما وجنيا لثمرة تقواه ولا غرو فان التقوى ذات اثر ضخم في حياة المتصف بها ، وذات غايات نبيلة له يستمتع بها كمحبة الله له وانتفاء الخوف والحزن عنه ، وبشائر بالسعادة في الدنيا تترى عليه ، وبشائر بالنعيم المقيم له في الاخرة تسعى اليه وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة ال

عمران « **بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** » آية / ٧٦
ويقول « **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين امنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** يونس / ٦٢

علمنا مما سبق ان التقوى هي امتثال الاوامر واجتناب النواهي - ومن هو المتصف بها ؟ ، هو من لازم الطاعة وجانب المعصية - وهذا بطريق الجد والاجتهاد منه لا بطريق العصمة واذا جمحت نفسه يوما وارتكب ذنبا هل تسلب منه صفة التقوى - الجواب لا - بل هو من المتقين ، ان تاب من ذنبه هذا توبة صادقة مخلصة غير مصر على الذنب - لان المذنب اذا تاب كان كمن لم يذنب في استحقاق المنزلة عند الله - ودليلنا على ذلك ان الله تعالى ذكر صفات المتقين في مواضع من القرآن وعد منها من فعل فاحشة وتاب غير مصر على الفاحشة اذ يقول « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** » آل عمران / ١٣٣ - ١٣٦

وختم الحديث عن التقوى وعن المتصف بها في الاية التي معنا بما اعد لهم فقال « **لهم مغفرة واجر عظيم** » - مغفرة - قلت عنها فيما سبق انها مصدر غفر بمعنى ستر يقال غفر الله الذنب - اي ستره ولا يعاقب عليه - واقول هنا - للعلماء في هذا الستر رأيان :
اولهما : ستر بمعنى محا - اي المحو من الصحيفة بحيث لا يكون له اثر فيها وكأن لم يكن واذن لا عقاب اذ لا عقاب على شي غير موجود في الصحيفة .
وثانيهما :ستر بمعنى عدم العقوبة مع بقاء الذنب في الصحيفة ليذكر صاحبه بفضل الله عليه بعدم مؤاخذته على هذا الذنب وبالعفو عنه - والنتيجة في الرأيين واحدة وهي عدم العقوبة - وذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم .
وبعد ان انتهي الله من توجيه المؤمنين الى الاداب التي تجب مراعاتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته ، في مجالسته في جميع شئونه وظروفه من الحرص كل الحرص على احترام شخصيته فلا ينادونه باسمه المجرد من ايات التكريم وتقديم جلائل التبجيل والتعظيم لمقامه الرفيع امتثالا لقول الله عز وجل « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم**

بعضا »النور/٦٣ ثم اخذ الله عز وجل يبين ما كانت عليه البيئة العامة في الجزيرة العربية وقت ظهور الدعوة الاسلامية ـ من الجفوة في الطبع، والغلظة في القول، والقسوة في التعامل والثورة العارمة لاتفه الاسباب واحقر الشئون، ومن الجهالة في التخاطب، لا رعاية فيها لادب ولا اداء الحق ولا امتثال لواجب، وغير ذلك مما لا تستقر به الحياة، ولا تنجح معه الدعوة وضرب لذلك مثلا بحادث وقع من وفد بني تميم، قدم على رسول الله لحاجة لهم عنده وكان الوقت وقت ظهيرة، فوقفوا خارج الحجرات، مساكن امهات المؤمنين زوجات الرسول، واخذوا ينادونه باسمه مجردا من التكريم والتعظيم : يا محمد اخرج الينا ان مدحنا زين وان ذمنا شين باصوات مزعجة وفوضى صاخبة من غير رعاية لحرمة الرسول ولا لحرمة المكان ولا لصفة الوقت فانه وقت قائلة واعتاد الناس ان يأووا الى مضاجعهم فيه طلبا للراحة والرسول صلوات الله عليه كان في خلوته الخاصة في هذا الوقت ولا يليق ان يطلبه احد في هذا الوقت غير المناسب لذا كره منهم هذه الجفوة وهذا الازعاج ونزل عليه قوله تعالى « **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** »

ينادونك من وراء الحجرات ـ قلت فيما سبق ينادونك اي يستدعونك يريدون لقاءك، من وراء الحجرات ـ قال المفسرون ـ اي من خارجها ولم يحدد مكان المناداة ـ ولفظ وراء قال فيه العلماء انه من الاضداد فيكون من وراء بمعنى خلف وبمعنى قدام وعلى ذلك يحتمل ان تكون المناداة من خلف الحجرات او من قدامها ولكن لفظ من في قوله من وراء الحجرات للابتداء تدل على ان المناداة نشأت من جهة الوراء ـ اشارت هذه الآية الى كثير من النقائض الاخلاقية والاجتماعية الشائعة انذاك ـ منها انهم جاءوا اليه وقت الظهيرة وهو غير مناسب للمقابلة ، بل هو للراحة ومنها انهم وقفوا خلف الحجرات ولم يأتوا البيوت من ابوابها ومنها انهم ينادون باسمه صلوات الله عليه وسلامه مجردا من التكريم والتعظيم وينادون بالفاظ فيها جفوة وغلظة وغير ذلك مما لا يرضى الله عنه ويريد علاجه لتستقر الحياة وتنجح الدعوة وليخلوا المجتمع الاسلامي من هذه النقائض لذا سرد في هذه السورة بعضا منها واردفها بعلاجها فقال

« **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون .**

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم »

معنى مفردات الاية :

إن جاءكم فاسق ـ فاسق اسم فاعل من فسق بمعنى خرج عن طريق الحق والصواب ، **بنبأ** ـ النبأ الخبر ـ والخبر ـ ما ينقل ويتحدث به ، **فتبينوا** ـ تبين الشي فحص الشي ليستوضحه ، **لعنتم** ـ من عنت عنتا اي لقى الشدة وهلك .

(سبب نزول الآية)

ذكر بعض المفسرين ان سبب نزول الآية هو الحادث الذي تضمنته الآية والذي يتلخص في ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان بن عفان لامه رضى الله عنهما بعثه الى بني المصطلق يجبي الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمعوا به تلقوه فظن انهم يريدون قتله فقفل راجعا من الطريق وقال لرسول الله : انهم ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب الرسول وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم الرسول وبعث اليهم خالد بن الوليد في عسكره خفية ليتبين حالهم فأن رأى منهم ما يدل على ايمانهم اخذ منهم زكاة اموالهم ـ وان لم ير ذلك فعل بهم ما يفعل مع الكفار فذهب خالد ووجدهم منادين للصلاة جادين في امتثال ما امر به الله ولم يرمنهم الا الطاعة والخير فاخذ منهم صدقات اموالهم ، وعاد الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ واخبره بحالهم وسلم الصدقات ونزلت الاية ـ واستشكل هذا، بأن الوليد صحابي جليل ولا يليق اطلاق لفظ فاسق عليه واجيب : بان الذي وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ ـ وسماه الله فسقا ـ وانما سمى الله الخطأ فسقا تنفيرا من هذا الفعل وزجرا عليه ـ ولكن لم يرق هذا الجواب عند بعض المفسرين ويقول « ان المخطيء لا يسمى فاسقا ـ وكيف والفاسق يراد به في اكثر المواضع من خرج عن ربقة الايمان ـ لقوله تعالى « **الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه** » الكهف / ٥٠

وقوله « **واما الذين فسقوا فمأواهم النار** »السجدة / ٢٠ ويرى المفسر ان هذا الحادث ليس سبب نزول هذه الاية كما يرى ان مضمون الاية علاج عام لمرض اجتماعي ان ترك دون علاج استشرى في الامة خطره . وأودى

بالمجتمع ضرره - وهو رأي واضح ولا معقب له اذ ليس في الاية ما يشير الى هذا الحادث لامن قريب ولا من بعيد - والضمير الواعي اليقظ يستريح لهذا الرأي - حفظا لمقام الوليد بن عقبة من هذا التجريح الاليم باطلاق اسم فاسق عليه، وصيانة لشرف المجتمع الاسلامي وكرامته من اشاعة مثل هذه النقائص عنه وهذا المرض : هو حل الروابط بين الافراد بعضهم مع بعض - وبين الجماعات بعضهم مع بعض - وقطع الصلات بين الاسر والهيئات بعضهم مع بعض .. وذلك بغرس بذور الفتن، ووضع اسس الاثارات والاحن يقوم اعداء الانسانية بغرسها في نفوس بريئة، وشخصيات كريمة، بالفاظ معسولة واساليب خادعة سرعان ما تندلع بها نار العداوة، ويمتد لهب الخصومة، وتمتلئ الصدور بالاحقاد، وتدب الفوضى في كل ناد، وكلها امراض نهايتها الهلاك، ومصيرها الخراب والدمار - هذا المرض هو المعروف في مفاهيم الشريعة الاسلامية باسم النميمة الذي بين الرسول مصير القائم به اذ يقول « لا يدخل الجنة نمام - وفي رواية - لا يدخل الجنة قتات » رواه البخاري ومسلم - والنمام والقتات بمعنى واحد - وقيل النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم - والقتات هو الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم عليهم - وتلافيا لاضرار هذا المرض جاءت هذه الاية بعلاجه فتقول « **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » خصصت الاية نبأ الفاسق بتبينه، والتثبت من صدقه وكذبه لانه مظنة الكذب وليس موضع ثقة كغيره من بقية افراد المجتمع الاسلامي فانهم موضع ثقة، وانباؤهم مصدقة ومأخوذ بها - هذا هو الاصل المفروض ان يكون في جماعة المسلمين تحقيقا لمقتضيات الايمان فيهم من الصدق في القول، والامانة في النقل والاشاع فيها الشك وعدم الثقة فيختل توازنها وتتعثر مصالحها وتسوء سمعتها وتتفرق وحدتها وتصبح اثرا بعد عين - وما لهذا يدعو الاسلام الذي هو سلم وسلامة وامن وطمأنينة والذي رضيه الله دينا لعباده وهو الهادي الى سواء السبيل - والعلاج الالهي الذي جاءت به الاية مكون من امور ثلاثة .

(١) الحكم : وهو عدم التسرع بما تدعو اليه النفس نحو الموضوع والتريث به لاستجلاء حقيقة النبأ والتثبت منها والتصرف على ضوء ما يظهر وفي هذا تقول الآية « **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** » .

(٢) علة هذا الحكم : هي خشية الحاق ضرر بقوم حالتهم مجهولة ثم تظهر براءتهم مما نسب اليهم فتندمون على ما فعلتم بهم ولا ينفع الندم حينئذ .

(٣) التوعية والتحذير من التحايل على الحصول على ما ترغبونه نحو الموضوع لانه قد يكون ضارا بكم وانتم لا تعلمون وفي هذا تقول الاية « **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم** » من العنت وهو الشدة كما قلنا سابقا

« **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** »

معنى مفردات الاية : طائفتان مثنى طائفة ومؤنث طائف ، والطائفة جمع من الناس يجمعهم مذهب او رأي واحد يمتازون به عن سواهم - جمع طائفات او طوائف . اقتتلوا قتل يعني امات - يقال قتل الرجل يعني اماته ، وليس هذا مراداً هنا - واقتتل وقاتل يعني حارب - يقال اقتتل القوم وقاتلوا اي تحاربوا وقتل بعضهم بعضا ، واقتتل هنا في معنى تشاجر يعني تنازع - يقال تشاجر القوم يعني تنازعوا (ناطحوا بالرماح . فاصلحوا بينهما - الصلح ازالة ما يثير النزاع والخلف بين الفريقين ، واعادة الوفاق بينهما ، بغت احداهما على الاخرى يقال بغى بغيا وبغاء بضم الباء اي عدل عن الحق وانحرف عن الصواب - وبغى عليه اي تعدى واعتدى عليه . **تفيء الى امر الله** ، فاء فيئا اي رجع عن رأيه الى الصواب - اي ان رجعت الطائفة الباغية الى امر الله **فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا** - العدل اعطاء كل ذي حق حقه - اصلحوا واقسطوا اي اعدلوا - واما قسط بدون همزة فمعناها جار وظلم وحاد عن الحق فهو قاسط جمعه قساط وقاسطون قال تعالى « **واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** » . انما المؤمنون اخوة - اخوة جمع اخ . والاخ من يجمعك واياه صلب او بطن او دين او غير ذلك ، فيقال اخ النسب او اخ الدين او طالب العلم مثلا ، وقد اثبت الله اخوة الدين بقوله « **انما المؤمنون اخوة** » اذ جمع بينهم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره ، واثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره - بحسب امرى من الشر ان يحقر اخاه كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »

سبب نزول الآية : للعلماء فيه اراء :

اولا : يرى بعضهم ان الاية نزلت تعقيبا على الامر بالتثبت من خبر الفاسق الوارد في الاية السابقة وهي « **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » كأن هذه الاية تقول : انكم اذا اخذتم تتبينون صحة نبأ الفاسق او كذبه وفي هذه الاثناء اتفق ان علت الاصوات واضطربت الاقوال تحت ضغط النزوات والاندفاعات التي تكون عادة في مثل هذه المواقف ينتصر بها كل لرأيه غاضا النظر عن الحق والواقع وقد يؤول الامر الى اقتتال الطائفتين المؤمنتين خروجا

بذلك عن تعاليم الاسلام وادابه وارشاداته وعن النظام القائم في المجتمع الاسلامي من الوحدة والالفة فعلى المؤمنين الاخرين ان يزيلوا ما اثاره نبأ ذلك الفاسق الذي احدث الخلاف والفرقة ويصلحوا بينهم بما يعيد الوحدة والالفة .

ثانيا : ويرى بعض اخر ان الاية نزلت في تشاجر حدث بين الاوس والخزرج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان ـ ويتلخص في ان النبي صلى الله عليه وسلم يوما ركب حمارا ومر على مجلس اخلاط من المسلمين واليهود والمشركين ـ فيهم من المسلمين ـ عبد الله بن رواحة ـ ومن المشركين عبد الله بن ابي بن سلول قبل ان يسلم ـ وتصادف ان بال الحمار وقت مروره بالمجلس المذكور ، ولما ـ غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ـ اي ستره به ـ وقال : لا تغيروا علينا ـ اي لا تهجموا علينا ـ من اغار اغارة عليهم هجم عليهم واوقع بهم ـ وفي رواية انه قال بعد ان ستر انفه « اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك » فقال عبد الله

ابن رواحة : والله لبول حماره اطيب ريحا من مسكك ـ وهنا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن ابي ابن سلول « ايها المرء انه لا احسن مما تقول » يعني لا شيء احسن منه ـ ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك ـ فمن جاءك فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فاننا نحب ذلك . وثار المجلس الخليط ـ سواء اكان سبب هذه الاثارة هذا الكلام الاخير او ماكان في الرواية الاولى ، فالمجلس الخليط ثار ثورة صاخبة حتى كادوا يتحاربون فلم يزل رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه يخفضهم حتى سكتوا ونزلت الاية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » الآية . ويبدو انه غير مناسب ليكون سببا لنزول الآية ـ فان الآية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ـ والمجلس المذكور خليط من المسلمين واليهود والمشركين ـ وليس معقولا ان يقتتل فيه طائفتان من المؤمنين .

ثالثا : ويرى بعض ثالث في سبب نزول الاية المذكورة ما ياتي : ـ

ان الاية تشريع خاص قائم بذاته لعلاج ما قد تأتي به الايام من الاحداث التي لم تسبق والسماء كذلك لم تأت بتشريع يتناول مثل هذه الاحداث بعلاج اوبيان احكام تتعلق بالاحداث المذكورة ـ لذا يمكن ان نقول ان الاية افترضت امكان حدوث خلاف يقع بين طائفتين مؤمنتين يؤدي الى اقتتال بينهما وضربت ذلك مثلا كانموذج يطبق عليه ما اشتملت عليه الاية من احكام وتوجيهات . ففي الاية امر بصلح الطائفتين المتقاتلتين وامر بقتال من تبغي منهما حتى تفي الى امر الله وفيها توجيه الى ما يجب اتخاذه معهما

لازالة ما بينهما من خلاف ونزاع وختمت ذلك بجملة دينية عاطفية تغسل اثار البغض والغضب وترفع لواء المودة والالفة بين الطائفتين فقالت « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

المعنى العام للآية :

وايا كان نزول الاية بسبب حادث معين او بغير سبب فالاية قاعدة تشريعية عامة اشتملت على ما يضمن صيانة المجتمع الاسلامي من التفرق والتخاذل ، وعلى ما يدعو الى اتفاق الكلمة والى وحدة الصف ووحدة الهدف كما تدعو الى استصحاب الحق والعدل في كل ما ياتي وما يذر والى استعمال العزم والحزم والقوة لتحقيق ما يحفظ على المجتمع وحدته والفته ورسمت الطريق المؤدي الى ذلك كله فقالت : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين** » . من هذا القول الحكيم نعلم ان الله عز وجل كلف المؤمنين من غير الطائفتين المتقاتلتين بان يصلحوا بين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين بالنصح والدعاء الى حكم الله ـ فان نفرت احداهما وتغاضت عن النصيحة الموجهة اليها وابت النزول على حكم الله واعتدت بغيا على الاخرى ، فعلى المؤمنين الاخرين اذن ان يقاتلوا التي تبغي حتى تفيء وترجع الى حكم الله ـ وحكم الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين وقبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها ، فان فاءت الباغية وقبلت حكم الله فيما ـ اختلفوا فيه وادى الى القتال بينهما ـ اذن يقوم المؤمنون بالصلح بينهما صلحا سراه العدل ولحمته الانصاف امتثالا لامر الله وابتغاء مرضاته وطمعا في واسع رحمته وفسيح جناته ، فانه تعالى يحب المقسطين . هذا ـ وفي الاية امور تحتاج الى كشف وايضاح تتميما للفائدة :

اولا : قال الله تعالى في اول الاية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** ـ وفي اثناء الاية قال « **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** ، فذكر العدل هنا ولم يذكره اول الاية فلم هذا ؟ . واجيب بان الاصلاح المطلوب اول الاية يكون بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة والدعوة لقبول حكم الله ، او يكون بالتهديد والتعذيب ـ اما الاصلاح في اثناء الاية فيكون بازالة اثار القتل بعد اندفاعه ـ واثار القتل هي ضمان المتلفات وهو حكم والحكم يحتاج الى العدل ـ لذا قال تعالى « **فاصلحوا بينهما بالعدل** » وكأنه يقول واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا ما يكون بينهما بالعدل ، لئلا يؤدي الى اثارة الفتنة مرة اخرى .

ثانيا : في الاية نفسها قوله تعالى « **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** ، واردف قوله **واقسطوا** بعد بالعدل ومعلوم ان اقسطوا معناها لغة اعدلوا فكأن الاية تقول « فاصلحوا بينهما بالعدل واعدلوا ، وهو تكرار ليس له ثمرة

تدعو اليه وتجنى من ورائه . واجيب عن ذلك بأنه ليس تكرارا ، فان لكل منهما معنى مستقلا لا يشترك مع الاخر - ذلك ان قوله فاصلحوا بينهما بالعدل خاص بحالة معينة دون غيرها ، وهي الحالة المدلول عليها بقوله « **فان فاءت** » اي رجعت لحكم الله ورضيت بالصلح فاصلحوا بينهما بالعدل في هذه الحالة فالعدل خاص هنا بهذه الحالة - والمطلوب تعميم العدل في كل القضايا وفي كل الازمنة والامكنة ولهذا اردف قوله واقسطوا على بالعدل - اي عمموا العدل حيثما كنتم وفي اي قول او عمل قضيتم فان الله يحب المقسطين .

ثالثا : قد يتوهم قارى او سامع قوله تعالى « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » يتوهم ان الامر بالاصلاح هنا يطبق في حالتين اثنتين فقط :

الحالة الاولى : اذا كان الاختلاف والنزاع بين جماعتين مؤمنتين كنص الاية ، لا بين فردين اثنين رجلين او امرأتين او رجل وامرأة مثلا ، فلا تعم المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح .

الحالة الثانية : ان يؤدي هذا الاختلاف الى الاقتتال ، اما اذا ادى الى اقل من الاقتتال فلا يجب الاصلاح . وملخص رأيه هذا ان الامر بالاصلاح تبع للمفسدة وجودا وعدما فان وجدت وجب الاصلاح ، والا فلا - وهذا وهم ليس له ما يؤيده لذا نفاه الله وارشد الى ما يجب اتباعه بقوله « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم** » اي بين فردين اثنين ولو ادى الخلاف بينهما لاقل من الاقتتال كالشتائم مثلا ، فلابد من الاصلاح وازالة هذا الاختلاف حفاظا على وحدة المجتمع الاسلامي وصيانة كيانه - لذا عتب الله على هذا الارشاد الحكيم بالامر بالتقوى والتلويح لهم برحمته التي لا تنال الا بتقواه حفزا لهم على الامتثال والتنفيذ فيقول « **واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

رابعا : في الاية دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان - يؤيد هذا استيفاء الله وصفه الايمان للطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين مع اقتتالهما واحتمال بغي احداهما . ومما تجدر الاشارة اليه ان الامة الاسلامية تعرف في المجتمع العالمي العام - بالوحدة - والالفة ، والاخاء والمودة والسلام والتعاون والمحبة - هذا هو الاصل في اسمها اللامع وصيتها الذائع وذكرها الخالد المرتفع - ولكن الايام قد لا تخلو من خروجها عن هذا الاصل بخلاف ينبت او نزاع يثار او اقتتال تدور رحاه ويجب رد هذا الخلاف الى الاصل قبل تشعبه وذيوعه وايقاف البغاة العادين به ، المؤججين نار فتنته وشيوعه ويباح في سبيل الرجوع الى هذا الاصل ان يقاتل المؤمنون الاخرون المؤمنين الباغين ليردوهم الى الصف وليزيلوا الخروج على الاصل تنفيذا لتوجيه الله تعالى في الاية المذكورة القائل « **فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل**

واقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

ومن مقتضيات هذا الاجراء في معارك هذا القتال الا يجهز فيه على حريح والا يقتل اسير والا يتعقب مدبر ترك المعركة واالقى السلاح والا يؤخذ اموال البغاة غنيمة شأن القتال بين المسلمين والكفار لان الغرض من هذا القتال هو القضاء على الكفار ، اما غرض القتال هنا فهو رد البغاة الى حظيرة الاسلام والعودة بهم الى صفوف المؤمنين المعتدلين .

« **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » .

معنى مفردات الاية :

لا يسخر قوم من قوم ـ سخر به ومنه اي هزيءبه وحقره وصغره ولذلك طرائق واساليب قولية وعملية متعددة ـ **قوم من قوم** ـ القوم اسم جمع لانه لا واحد له من لفظه وقيل انه جمع مثل صوم من صائم وزور من زائر وايا كان جمعا او اسم جمع فهو الجماعة من الناس ذكورا واناثا والمراد به هنا جماعة الرجال فقط بدليل مقابلته في الاية بقوله « **ولا نساء من نساء** » قال العلماء وهو الموافق لاصل اللغة :

وسمى الرجال قوما لانهم القوامون على النساء .ـ **ولا تلمزوا انفسكم** » لمز ـ اي عاب غيره بالقول او اشار اليه بعينه او نحوها مع كلام خفي ـ اللماز واللمزه ـ العياب للناس ـ او الذي يعيب الانسان في وجهه ـ « **ولا تنابزوا بالالقاب** » النبز ـ اللقب ـ نبزه نبزا ـ ونبزه بكذا ـ لقبه به ـ وهو شائع الالقاب القبيحة ، تنابزوا ـ تعايروا ، ولقب بعضهم بعضا ـ بهذا يظهر ان السخرية واللمز والتنابز بالالقاب خروج عن آداب القرآن واخلاقه وانحراف عن تقاليد كلمة المؤمنين ونهجهم ـ وهو فسق ويسمى فاعله فاسقا . « **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** » اي بئس ان يذكر الشخص بالفسق بعد ان كان مذكورا بالايمان « **ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » اي من لم يرجع الى ربه نادما على ما فرط منه من مخالفة الله وما مارس من معصية وعدم طاعة ، فاولئك هم الظالمون لانفسهم بوضع العصيان موضع الطاعة وبتعريض النفس للعذاب والمهانة ـ ولا ينقذه من هذا وذاك الا الرجوع الى الله بالتوبة .

المعنى العام للاية :

لا تزال السورة توالي البشرية بتوجيهاتها البناءة ، وتمدها بنصائحها

الفذة وارشاداتها الخلاقة بهذا وبذاك تهديها الى معالم الحق ، وتسلك بها الصراط السوي ، وتعالج ما ترميها به الايام من انحراف في السلوك وسوء في التعامل ، وتنافر في العلاقات الخاصة والعامة ـ وها هي في الاية التي معنا تنهى عن امور ثلاثة ـ هي : السخرية واللمز والنبز ـ فتقول « **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم** .. الخ . وقد سبق التعريف بكل منها وتبين انها خروج عن آداب القرآن وان هذا الخروج فسق .. الى اخر ما قلنا هناك وتبين كذلك ان ثلاثتها امراض نفسية واجتماعية لها خطرها وضررها في النفس وفي المجتمع مما يترتب عليها من خلخلة اسس الاخاء وفك روابط الولاء في صفوف المؤمنين ومع هذا فان التعبير القرآني يوحي بالتنفير من ثلاثتها وينهى عن ان يصف المؤمن اخاه المؤمن بها او بأيها ، فان المؤمنين جميعا كنفس واحدة قال تعالى « **ولا تلمزوا انفسكم** » اي عيب الاخ عائد الى الاخ العائب ـ فاذا عاب عائب نفسا فكأنه عاب نفسه . وقد ذكر الله علة هذا النهي بقوله « **لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم** » الاية اي عسى ان يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر

وفي هذا التعليل دحض لما درج عليه الناس من جعل القيم الظاهرة مقياسا لقيم الناس ـ وبيان ان هناك قيما اخرى قد تكون خافية على الناس ولكن يعلمها الله ويزن بها قيم العباد ، والمراد بالقيم الظاهرة التفاوت في مظاهر الحياة الدنيا من الغنى والفقر والجاه والانكماش والقوة والضعف ، وليست هذه هي المقياس الذي يوزن به قيمة احد لجواز ان تكون له الخيرية عند الله ، وميزان الله يرفع ويخفض بغير المقياس بالقيم الظاهرة ، الذي لا يرى بأسا من استعمال السخرية وغيرها مما نهى الله عنه لما يترتب عليها من اشاعة الفسوق بدل الايمان في النداء على مؤمن او التعرف عليه اذ يقال له يا فاسق بعد ان كان يقال له يا مؤمن ـ وهذا ظلم حذر الله المؤمنين منه وطلب التوبة منه بقوله « وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون »

« **يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم** » .

« معنى مفردات الآية »

يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، هذا نداء من المولى جل شأنه لاتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، يناديهم بأرقى الالقاب منزلة ، واجل الصفات مكانة ، وارفع الاعمال ذكرا ـ اذ وصفهم بالايمان الذي

يحمل صاحبه على استجابة النداء ، وعلى امتثال ما في اطار النداء من امر الله القائل « اجتنبوا كثيرا من الظن - اي كونوا على جانب بعيد عن الظن - ذلك لما يترتب عليه من بلبلة الأفكار وسوء العلائق وحل الروابط بين المسلم والمسلم لذا قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه « ايآكم والظن فان الظن اكذب الحديث » - وقال : « ثلاث لازمات لامتي - الطيرة - الحسد - وسوء الظن - فقال رجل : وما يذهبهن يا رسول الله : ممن هن فيه قال صلى الله عليه وسلم : اذا حسدت فاستغفر الله ، واذا ظننت فلاتحقق ، واذا تطيرت فامض » ثم ما هو الظن المأمور باجتناب الكثير منه - قال العلماء - الظن هو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس في غير محله ولغير سبب ظاهر لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا » .

وفيما ارى ان الذي يبعث الظن عند الشخص احد امرين او هما معا :احدهما : ان يسمع الشخص من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا ، فيظن فيه السوء - ثانيهما : ان يرى اخاه المسلم يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيظن فيه السوء ذلك لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا ولكنه في نفس الامر لا يكون كذلك ، لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطئا يتجلى هذا المعنى فيما روي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعود ان يدخل بيتا في جوف الليل وحده ، وتكرر ذلك منه - ورآه بعض الصحابة على ذلك فارتاب واراد ان يتحقق من سبب دخول عمر هذا البيت في جوف الليل وحده - فدخل البيت بعد ان خرج منه عمر فوجد به امرأة طاعنة في السن لا تستطيع القيام وهي وحدها في البيت فقال لها لماذا يجيء هذا الرجل هنا - قالت اني كما ترى وليس لي من يقوم بشأني ولا بشأن بيتي - وهذا يهي لي الطعام والشراب ويطعمني ويسقيني ، ويقيم البيت ويهيء للبيت شأنه ، فرجع الصحابي على نفسه باللائمة - وقال كلمة الندم - ثكلتك امك - وهل تتبع عورات عمر » وقوله « **ان بعض الظن اثم** » تعليل للامر باجتناب الكثير من الظن ، اي انما امر الله باجتناب الكثير لان بعض الظن يكون اثما محضا اي ذنبا محرما - يعني ومثله منهي عنه صراحة كتابا وسنة فلا يدخل في الكثير من الظن المأمور باجتنابه - لذا ابهم الكثير للاحتياط والتأمل في كل ظن خوف ان يقع في ظن منهي عنه - فأنه لا يدري اي ظنونه تكون اثما - وقوله **ولا تجسسوا -** التجسس البحث والتقصي عن الأخبار والامور من جس بمعنى بحث - والمعنى لا تبحثوا عن عورات المسلمين وخفاياهم ففي الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فأن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته » .

وقوله « **ولا يغتب بعضكم بعضا** » يقال اغتاب الشخص اي عابه وذكره

بما يكره وان كان فيه ومتصفا به ـ وسواء أكان غائبا عن مجلس القول او حاضرا فيه ـ وسيأتي لهذا مزيد ايضاح ان شاء الله قريبا .

« **المعنى الاجمالي للآية** :

ورد انها نزلت في رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما ـ وقصتهما معه تتلخص في ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان سفر او غزو ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين ليخدمهما ويهي الطعام والشراب لهما فضم مرة سلمان الى رجلين ـ فتقدم سلمان الى المنزل يوما فغلبته عيناه فنام ولم يهيء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما ولا إداما ، فقالا له انطلق فاطلب لنا من النبي صلى الله عليه وسلم طعاما واداما ـ فذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذهب الى اسامة بن زيد ، فقل له ان عندك فضل طعام فليعطك وكان اسامة خازن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فذهب اليه ـ فقال اسامة ما عندي شي فرجع سلمان اليهما واخبرهما بما كان ـ فقالا ، كان عند اسامة ولكنه بخل ـ ثم بعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا ـ فقالا : لو بعثنا سلمان الى بئر سمحة ـ يعني غزيرة الماء ـ لغاض ماؤها ـ ثم انطلقا يبحثان هل عند اسامة شيء فرآهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما ـ فقالا والله يا نبي الله ـ ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره ـ فقال : ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان واسامة فنزلت الآية « **يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** » ـ ومعناه لاتظنوا بأهل الخير سوءا ان كنتم تعلمون من ظاهر امرهم الخير هذا وبالتأمل في احوال البشرية عبر الزمن الطويل ، وبالتدبر في تقلباتها متأثرة بكل تطور جديد نرى انها عرضة لاحداث الزمن ، وهدف لامراض المجتمع ـ ونرى كذلك ان هذه السورة تواليها في كلتا الحالين بما يعود عليها بالخير والبر ، وما يدفع عنها غوائل الضر والشر ـ حيث تواليها في الحال الاولى بالتوجيهات الحكيمة والنصائح الغالية الرشيدة تربية لضمير الفرد وتهذيبا لنفسه وخلقه ـ وبالتالي بناء المجتمع اسلامي مثالي به تكون البشرية مطمح الانظار ومضرب الامثال في نباهة الشأن وقوة البأس ، ووحدة الهدف والصف وتواليها في الحال الثانية بعلاج ما تعاني منه البشرية من عادات سيئة ـ في المجتمع متفشية ومن امراض اجتماعية ونفسية في مستويات الامة شائعة ـ وذلك كسخرية فرد بفرد وحقارة طائفة لطائفة وظن السوء في الغير مما يؤدي لاشاعة الفوضى في الامة ، وتقويض مراسم النظام في المجتمع ـ ودفعا لهذه الاضرار اخذت السورة تعالجها بوسائلها الناجعة ـ وذلك بالنهي عن ممارسة هذه الامراض اذ تقول في اية تقدمت قريبا « **يأيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن** » الآية وقد تكلمت عنها في موضعها ، ثم تقول السورة تعقيبا على هذه الاية بما يفيد وسائل

اخرى لعلاج هذه الامور غير النهي عن ممارستها الذي في الاية السابقة ـ هو الامر باجتناب بواعث هذه الامراض اذ تقول « **يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** »

وباعث هذه الامراض هو الظن اذهو كما تقدم التهمة للغير والتخون للاهل والاقارب والناس وكلها امراض اجتماعية وعلاجها اجتناب الكثير من الظن كنص الآية ـ وقوله « **ولا تجسسوا** ـ نهى عن التجسس على الغير من جس بمعنى بحث ، وتجسس الاخبار والامور بحث عنها ـ والمعنى لا تبحثوا عن ما غاب من شئون المسلمين ، وعليكم بما علم لكم من ظاهر امرهم وسبق ان الرسول ايد هذا المعنى بالحديث المتقدم « يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه الخ الحديث ـ والتجسس تفعل من الجس لما فيه من معنى التطلب وقرى بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ـ وايا كان هذا او ذاك فهو نهى عن ما يوجب التمادي في الظن ، ومد خيوطه لاعمال اقبح ، وصفات اردأ واشنع من كل ما هو خطر على الفرد والمجتمع ـ وقوله « ولا يغتب بعضكم بعضا ـ نهى عن الغيبة وقد فسرها الرسول ـ الامين صلوات الله عليه في حديث رواه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال « قيل يا رسول الله ما الغيبة ـ قال صلى الله عليه وسلم : ذكرك اخاك بما يكره ـ قيل افرأيت ان كان في أخي ما أقول ، قال صلى الله عليه وسلم إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ـ اي افتريت عليه الكذب والغيبة محرمة بالاجماع ـ وقد ورد فيها الزجر الكبير من الكتاب والسنة ـ اما الكتاب فقد شبهها تشبيها مفزعا تشمئز منه النفس حتى الخبيث منها اذ يقول ايجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » فهو تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على اقبح وجه ، وانما مثله بهذا لان لحم الميت حرام في الدين ، وقبيح تناوله تعافه النفس في الواقع ، وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه ومعلوم ان الانسان يتألم قلبه من انتهاك عرضه ، كما يتألم جسمه من قطع لحمه ـ واما السنة ، فقد روى مسدد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا ـ صفية هي بنت حيى بن اخطب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقال مسدد راوي الحديث ـ تعني عائشة بقولها كذا وكذا ـ تعني انها قصيرة ـ فقال صلى الله عليه وسلم ـ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ـ ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية وطلبا الى رسول الله في الحاح ان يطهرهما باقامة الحد عليهما ، ونفذ ذلك رسول الله عليهما سمع رجلين يقول احدهما لصاحبه الم تر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مربجيفة حمار فقال اين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار ، قالا : غفر الله لك يا رسول

الله - وهل يؤكل هذا - قال صلى الله عليه وسلم ، فمانلتما من اخيكما انفا اشد اكلا منه والذي نفسي بيده انه الان لفي انهار الجنة ينغمس فيها .

ثم عقب الله على الاية بالتقوى وختمها بالتوبة مما يفيد الاهتمام بما تضمنته من النهي عن الظن والتجسس والغيبة - والدلالة على انها من كبائر الذنوب يجب تحاشيها والانصراف عنها والتذرع بالتقوى والتوبة الى الله منها حماية للفرد من الانحراف وصيانة للمجتمع من التفكك والانخذال وهل تحتاج هذه الامور الثلاثة لاستحلال المغتاب ونحوه منها - خلاف بين العلماء في ذلك قال فريق عليه استحلال منها ويكفيه التوبة بينه وبين الله منها - وقال فريق اخر عليه ان يستغفر لصاحبها لما ورد في الحديث عن الحسن كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته - وقال اخرون عليه الاستحلال ولو اجمالا - ومعنى الاستحلال ان يطلب المغتاب العفو والسماح فيما كان منه نحو الاخر - اما التوبة فهي الانابة الى الله والرجوع اليه في العفو عنه فيما فعل من المنهي عنه ولا يتحقق هذا المعنى الا يتحقق امور ثلاثة - هي :

اولا : الندم على ما كان منه فيما مضى .

ثانيا : الاقلاع عنه فورا .

ثالثا : العزم الاكيد المصمم على ان لايعود اليه مستقبلا - وبذلك يطهر من ذنوبه ويصبح كمن ولدته امه من جديد ولم يقترف شيئا والنصوص على ذلك كثيرة :

« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » .

« **معنى مفردات الاية** »

يا أيها الناس نداء من العليم الخبير لجميع الكائنات البشرية من ادم عليه السلام الى يوم يبعثون - يناديهم ربهم ليحيطهم علما بانه هو الذي خلقهم واوجدهم من العدم من اصل واحد وهو ذكر وانثى - وهما ادم وحواء ولم يتركهم هكذا فوضى كالحيوانات السائمة لا يعرف بعضها بعضا بل جعلهم طوائف متعددة وفرقا متقاربة وجعل لكل منها أسما يميزها عمن سواها بحسب هذه الأسماء لتنظم المصالح وتستقيم شئون الحياة وخلافة الله في الارض عمل كل هذا ليتعارفوا اي ليعرف بعضهم بعضا فيصلوا ارحامهم وينتسبوا الى ابائهم - لا ليتفاضلوا او يتفاخروا بعلو النسب بهذه الاسماء كما هو متبع بينهم فان نسبهم جميعا واحد وهو الذكر والانثى الذي خلقهم الله منه فلا يمكن التفاخر به لأن الجميع فيه سواء - على ان التفاخر بالتسابق في كل ما هو زينة الدنيا وزخرفها يورث صاحبه اعتزازا بنفسه واحتقارا لغيره ويملؤه اغترارا بما ملكت يمينه منها وصغارا وسخرية لكل من خليت يده من شي منها وليس هذا خلق الاسلام ولا شأن المسلمين وليس كذلك التفاخر بما هو طاعة لله ابتغاء مرضاته فانه يضفي على صاحبه عزة

النفس ويدفعه للنظر لاخوانه نظرة اخاء مخلص صادق وولاء وروح طيبة يدفعها الحب والود والوفاء وهذا جدير ان يفتخر به فانه آية الايمان العظيم » .

المعنى الاجمالي للآية

« **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** » الخ الاية اختلف في سبب نزول هذه الاية الكريمة على اقوال ـ منها واوضحها ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن ـ فقال عتاب بن اسيد بن ابي الفيض : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم ـ وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ـ وقال ابو سفيان : انا لا اقول شيئا اخاف ان يخبره به رب السموات والارض ـ فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فانزل الله الاية لبيان ان هذه الاسماء انما هي للتعارف لا للتفاخر والتفاضل اذ يقول « **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ـ ولبيان ان التفاضل انما يكون في التسابق فيما هو طاعة لله ابتغاء مرضاته إذ يقول في الآية : « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » اي ان اعزكم عند الله اكثركم تقوى له فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والاخرة ، لذا قال اتقاكم ولم يقل اكثركم مالا ولا جاها ولا احسنكم صورة ولا غير ذلك من الامور التي تفنى .

ذكر الله في ندائه هذا من الاسماء اثنين فقط هما قوله ـ شعوبا وقبائل ـ الشعوب جمع شعب بفتح الشين ـ وهو الجمع العظيم من الناس المنتسبون لاصل واحد وسمي شعبا لتشعب القبائل منه فهو رأس القبائل والقبائل دون الشعوب .

وقد عد العلماء هذه الاسماء ستة ـ هي الشعب ـ القبيلة ـ العمارة ـ البطن ـ الفخذ ـ الفصيلة وزاد بعضهم العشيرة واطلقوا عليها الانساب بدل الاسماء ـ وكل واحدة منها تدخل فيما قبلها هكذا القبائل تحت الشعوب ـ والعمائر تحت القبائل ـ والبطون تحت العمائر ـ والافخاذ تحت البطون ـ والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل ـ نعم كلها فوارق ولكنها للتعارف بينهم وبيان منازله ودرجاته قربا وبعدا ـ كما اخبر العليم الخبير بذلك في ندائه اذ يقول وجعلتكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وكذا الفوارق باللون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني وما يماثلها من شئون الدنيا ليس لها حساب في ميزان التفاضل والتفاخر ولكن لهذا ميزان اخر خاص تتحد به القيم ، وتبين به الفضائل والمكارم والمنن اعلن العليم الخبير في ندائه اذ يقول « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » وقوله « **ان الله عليم**

خبير » يعني عليم بظواهركم خبير ببواطنكم فلا يخفى عليه شي ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء « **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم** » .

معنى مفردات الآية :

تطالعنا الاية بكلمتي امنا واسلمنا ومعنى الايمان هنا هو التصديق القلبي لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة الاسلام ان تتحول النظرية المستقرة في القلب الى تطبيق عملي ظاهري يلمسه ابناء المجتمع الواحد في السلوك العملي ، ومساق الاية ونزولها قد جاء بعد وفود بني اسد الى النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون انهم مؤمنون بيد ان حقيقة الايمان لم تستقر في نفوسهم بعد ، وكانوا قد دخلوا في الاسلام حماية لانفسهم من القتل فابان الله ان هذا الذي فعلوه انما هو امتثال ظاهري لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا الى حقيقة الايمان بعد ، فيجب ان يكونوا ادق في تحرير مفاهيم الالفاظ وهم يعلنون الانتماء والصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ويستفاد من هذه الاية ان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب اهل السنة ، ويدل عليه حديث جبريل الوارد في صحاح السنة حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم الى الاخص ثم الى الاخص منه واذا كان هؤلاء الاعراب في بداية امرهم قد اعلنوا الاستسلام الي النبي صلى الله عليه وسلم ولم تسبر الحقيقة الايمانية الى نفوسهم بعد فان هذا نوع من العمل لم يذهب عند الله سدى فمن رحمة الله بعباده ان لا يضيع اعمالهم وإن لم يتكامل هذا العمل بعد ، وذلك ما يفيد قوله تعالى « **وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا** » اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا ، ذلك لان الله عز وجل اقرب الى المغفرة والرحمة فيقبل من العبد الخطوات الاولية التي يسير بها الى الحقيقة الايمانية الكاملة ، ويرضى منه بالطاعة والتسليم الى أن تتحول تلك الخطوات الى حقيقة كاملة تخالط بشاشة القلب وتتفاعل مع المجتمع نظرية وتطبيقا .

« **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون . قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم . يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين . ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** » .

وإذا فقد صحح الله عز وجل لهم تلك المفاهيم في نفوسهم وابان لهم ان الايمان هو تصديق القلب بالله ورسوله ، تصديق لا يعتريه الشك ولا تطرأ عليه الريبة وذلك التصديق الثابت المطمئن الذي لا تزعزعه اعاصير الرياح الهوج مهما اشتدت واستبدت ، والذي يترتب عليه الجهاد بالنفس والمال وكل ما يدخل تحت الملكية في سبيل الله ، ولا يتم ذلك الا اذا وصلت تلك الحقيقة الى القلب وقشرتها واختلطت به وعندئذ تدفع تلك الحقيقة المستقرة في القلب والمستكنة في اعماق الشعور تدفع اصحابها الى تحقيق حقيقة هذا الايمان في دنيا الناس بحيث تستحيل النظرية الكامنة في اعماق الفرد الى واقع عملي في المجتمع لتوحيد الشعور الباطني وتحويله الى سلوك عملي ومن هنا كان الانطلاق الى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال منهجا حركيا ليحقق ما يستشعره الفرد في باطنه ويراه سلوكا نظيفا ، نظيفا في المشاعر ، ونظيفا في سائر مناحي الحياة الاجتماعية .

ومما يلفت النظر في هذه الاية هو قوله عز وجل « **ثم لم يرتابوا** » ووضعها بين كلمتي آمنوا وجاهدوا ، ان هذه لاشارة واضحة وصريحة على ان هذه الرحلة ليست رحلة على طريق ممهد ميسور وانما هي رحلة تكتنفها الصعوبات والمشقة فلابد للنفس اثناء سيرها في تلك الرحلة ان تصطدم في الحياة بشدائد ونوازل وخطوب تلم بها اثناء سيرها « **أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** » العنكبوت اية ١٢ .

والنفس التي تثبت ولا تتزلزل وتقف كالطود الاشم في مواجهة الذين يريدون ان يعبدوا البشر للبشر هي التي تستحق ان توصف بذلك الوصف الذي جعله الله تتميما للاية وختاما لها وهو قوله « اولئك هم الصادقون » . الصادقون في ايمانهم بربهم الصادقون في مشاعرهم وضمائرهم واحساساتهم ووجداناتهم وهم دائبو العمل على ترجمة هذا الشعور وتحويله الى واقع عملي .

فاذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب ولم تتحقق واقعيا على صعيد التعامل الاجتماعي لم يكن هناك ايمان بالمرة . وبعد ان يكشف عن حقيقة الايمان ويحرر مفهومه تماما حتى لا يبقى معه لبس يعود الى اعراب بني اسد الذين جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين :

(أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان) يمنون عليه بذلك . فيبين لهم ان الله يعلم ما تنطوي عليه الصدور والقلوب ويعلم كذلك كل شاردة وواردة بهذا الكون اذ هو خالقها ومالكها وتدين كلها بالخضوع والانقياد له ، لانها صنعته وخالق الشيء ادرى بتفاصيل جزئياته وكلياته . قال عز شأنه « **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء**

وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير » الحديد ٤ .

ولذا لا يجب ان تخبروه بحقيقة الدين الذي انتم عليه فانما هو يعلمه ايمانا كان ام اسلاما واذا فلا مجال للمن بالاسلام او الايمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نفع ذلك عائد عليكم فلا تمنوا عليه بذلك ولله المنة على الناس فيه « **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » الحجرات /١٧ . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم حنين اذ قال لهم (يا معشر الانصار ألم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فالفكم الله بي ، وعالة فاغناكم الله بي ، فكلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله امن) .

وعاد النص القرآني من جديد يؤكد هذه الحقيقة ويعمقها في النفس البشرية مبينا ان الذي يستأثر بعلم غيب السموات والارض يعلم غيب النفوس ، وما يستكن فيها ، وما تنطوي عليه ، وما تخفيه في ضمائرها ومشاعرها ، فلا يستمد ذلك العلم من المنطق الظاهري للالفاظ لانه هو الصانع والصانع ادري بتفاصيل صنعته « **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » الملك /١٤ « **ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** » الحجرات /١٨ .

اما بعد ـ فهذه سورة الحجرات التي تضمنت ثماني عشرة اية والتي تكون عالما كبيرا يتجاوز حجم نصوصها بكثير . فلقد تضمنت حقيقة العقيدة والشريعة ، ووظيفة الانسان في الحياة وهي حقائق تثير اللب وتحرك الوجدان وتجعل القلب والعقل البشري غير محجوب ولا مسترق الفكر انما هو حر في البحث والتحري عن الحقيقة الكبرى ـ حقيقة الالوهية والربوبية ليصل من ذلك الى تمحيص العبودية لله عز وجل وفي ذات الوقت تفتح المجال امام الخواطر العميقة والتأملات الهادئة الهادفة في ثنايا هذا الكون المخلوق لله والمربوب له ، وتشتمل كذلك على قواعد التربية والتهذيب ، وبين ثناياها نجد المنهج الكامل لبناء المجتمع الصالح وقد تضمنت السورة الوسائل التي تضمن قيام هذا المجتمع الصالح ، ووضعت الضمانات لكي يسير في طريق مستقيم لا تزيغ ولا تعوج ولا تضطرب .

وخلاصة القول : ان السورة تهدف الى تكوين العالم المسلم الذي يتميز بأدبه مع الله وأدبه مع رسوله وأدبه مع نفسه وادبه مع غيره وأدبه في اعماق ضميره وجوارحه ، وله ايضا شرائعه الخاصة به المنظمة لسلوكه القائمة على تحقيق منهج الله في الارض وربطها بالسماء ربطا محكما ليسير الكون الى غاية محدودة وهي كلمة التوحيد ـ لا إله الا الله محمد رسول الله .

والله ولي التوفيق

نفثة صدر إلى الشباب المسلمين في الغربة



حاذر يا ولدي

للاستاذ : احمد العناني

حتى لا يقهروك يا بني
حتى لا يجعلوا منك عدوا لذاتك لدودا
حتى لا يوقعوك في شباك التناقض وعذاب الحيرة
حتى تظل عارفا عما تدافع ، ومن تدفع عن نفسك
حتى لا تفقد هويتك ، ولكي لا تنشطر ذاتك ، ولكي لا يتنكر يومك لأمسك ، ولكي لا تصبح جبارا على اهلك وذوي رحمك ، وأبناء دينك ...
ولكي لا تصبح حجزا آخر يلقي به أعداء هذا الدين في دروب المسلمين ..
ولكي يبقى فيك سر قوتك ، فلا ينزعوه منك فتصبح ذليلا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ..
احذر يا بني ان يفتنوك عن بعض دينك ...

ان الله تعالى جعل من المحارم سياجا لحماية الذات المسلمة ، ولحفظ نقاء القلب المؤمن ، وللدفع عن حمى الشخصية الموحدة ..

ان الهام الأهم في ترك الخمر مثلا ليس حفظ العقل من غشاوة الجهل ، ولا حفظ المال من سفه الضياع ولا سقوط الحياء من مباشرة المنكر .

ولكن ترك الخمر سياج يحمي حديقة المؤمن

انه سور يحيط بيقظة المسلم على ذاته ، واتصال همس قلبه وروحه بذكر ربه ، واستمرار الرائع البديع من احساسه بمسئوليته

وصيانة لتجاذبه الدائم مع رب الوجود ، عالم الغيوب مقرر المصائر ، واهب النصر ودافع الخطوب .

صدقني ان حقيقة المسلم ان يكون دائمامع ربه

انه يخرج من صلاة الى ذكر يهيىء لصلاة بعدها ..

ان في اعماقه حارسا لا يغفل ، ولا يصح أن يغفل

انه يحس فورا حين يخرج من هذه الصحبة الربانية بأنه اصبح يتعرض فورا لوساوس المنكر ..

فكيف به حين يشرب الخمر ، وينيم العقل ، ويوقظ كل شهوات الفجور ونوازع الضلالة والضياع ..

ان وجود المسلم ضمن الاسلام على الارض

هو وجود عمل وأمل ، وكفاح ومسئولية ..

هو وجود لصلاح الوجود عبر صلاح الذات ..

وكيف يحس بالفراغ من عليه ولو أبسط قدر من المسئولية عن جوع كل مسلم جائع ، وعن دموع كل أرملة باكية وعن أسى كل يتيم دامع ، وعن فقر كل فقير متجمل وعن كل هزيمة يصاب بها المسلمون ، وكل تأخر يذل حالهم بين العالمين .. وعن كل وطن يهان وأرض تسلب ..

فأين المخمور من هذه المسئوليات يا بني ؟

اين المخدر من هذه الواجبات .. اين ؟

حذار يا بني حذار

تقبل ان تقطع يدك ولا تمدها الى كاس خمر

تصور أن تقع في حفرة او ان تدوسك سيارة او يخترق جسدك عيار نار طائش
ولكن لا تتصور مجلسا تجلس فيه مع مخمورين
ولا يغرنك غمز الغامزين ولا منطق الساقطين ..
ان كل ما يغمزونك به هو المحاولات الكلمى المثلومة .. للتفريج عن احساسهم بالهزيمة والسقوط ..
ومن شرب الخمر نسي الامر واضاع الصلاة ، وهان عليه المحرم وانزلق داريا او غير دار الى اخلاق كل مجرم ..
ايها الولد الميمم شطر الغرب او الشرق ليتعلم !
آه ما اكبر المسئولية التي تتحمل
آه ما اضخم التحدي الذي تواجه ..
ان وراءك امة تنقصها الالوف المؤلفة من الفنيين والاخصائيين والصناعيين والحاسبين الاداريين ، وليس بنافعها منهم احد الا المخلصين المحبين ..
فهل تعود لهم وقد تعلمت الخمر فكرهت الصلاة ، وثقل على لسانك ذكر الله ،
وامحي من وجدانك كتاب الله !
ام تعود لها نفس شطرها الخمر فهانت عليها المحارم وقادها فجور الحانات للاستهانة بمحارم الله ونواهي الله
هل تعود لها زائغ الايمان غريب الشكل والقلب واللسان ؟
عيب والله يا بني وارضنا منهوبة وكرامتنا جريح وخيراتنا سليبة وحالنا متفرقة وبيتنا مضطرب
ايها الولد ، ابحث في خفايا نفسك وفتش في طياتها قبل ان تنقل قدما الى بلاد الله اعرف نفسك وما تريد ..
فان لطلب العلم سبيلا من الوحدة المؤتنسة بالله والغربة التي ينهنه شوقها الهدف السامي ويهدهد سهادها الانجاز والسعي
اما ان كنت تختان نفسك وتهفو الى حرية التبذل واثم الترخص من الواجب ، وعذر الهارب من الحق فبئس الرجل انت ، اضعت نفسك واضعت اباك ومال ابيك ولوثت شرف بلادك ، وعدت لها اذا ما عدت حربا عليها وعلى كل معنى كريم في وجودها وحضارتها ..
ايها الولد هداك الله ورعاك

نحن لا نحتاج من يبيع لنا بضاعة مزجاة عن الخير والحق ، ولا عن الاخوة والعدالة والمساواة
نحن بأيدينا مفاتيح الحجرة التي تحوي اسرار كل المعاني الحسان ..
حيث الحرية التي لا تنتهي الى الظلم ، والدولة التي تنهض بكل قوى الفرد ، والأمة الواحدة التي يلملمها الحب ، وتنسقها حقيقة الاخوة ، والمال الموظف لصالح الخلق ، والمشاركة التي تزكي السعي ، وتغسل الارواح من كدر الكبرياء وغسل الحقد
نحن اهل القرآن يا بني !
نحن اهل البر والتسامح والمرحمة والبذل .. نحن كنا شموع الحق على الدرب .. لولا كتابنا ما انار درب
نحن الذين يجب ان نشرح للناس فيستمعوا
ونقرأ لهم فيصغوا ، وندلهم على جنة القرآن فاذا الدنيا أمان وحق واحسان ، واذا الحياة مرحمة وكرامة وايمان ، واذا الاجواء نقية مطهرة ، والعيش كله روض وروح وريحان .
ايها الولد ..
نحن عندنا الارض والماء والمناخ ، وما حاجتنا الا للوسائل والأدوات ..
نحن نحتاجك لمختبر للدراسة ، ومصنع للانتاج ، وطريقة في التنظيم والتشغيل
نريدها لنعيد للعالم كله يقينا زلزله الكفر
وازاغه الفسق ، واعماه الظلم ، والتمييز والكراهية ،
نريده ليهتدي الناس .. لتكون القوة في خدمة الحق ، والمال في خدمة الرحمة
والعدل ، والعلم في خدمة الناس جميعا ...
ايها الولد هداك الله ورعاك
رسالة القرآن تنتظر عقولا فاهمة ، وقوة مقتدرة
فعد لنا بوسيلة من القوة والقدرة ..
لذلك نتحمل الشوق في غيابك ، والصبر على غربتك
فعد لنا ولا تعد علينا ، والا فانها الخيانة الكبرى
ولقد أذلتنا الخيانة الكبرى



العلم في القرآن

إن كنتم في ريب من البعث

يقول المولى تبارك وتعالى :
(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شيء قدير . وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) الحج ٥ ــ ٧ .
صدق الله العظيم

للدكتور : احمد حسنين القفل

البعث : هو رد الميت إلى الحياة ، او هو تزويج الروح مع ذراتها المادية ليتكون الكائن الحي جسما وروحا من بعد الموت كما كان ، مصداقا لقوله تعالى : (**وإذا النفوس زوجت**) التكوير / ٧ ويشتمل هذا التعريف على تحويل الجماد الذي لا حياة فيه ، إلى كائن حي له كل مميزات الحياة .

واذا نحن رجعنا إلى كتب التفسير ــ وهي كثيرة ــ فاننا نجد أنها تفسر الآيات الكريمة السابقة بعبارات مبهمة وغامضة بحيث لا يستطيع القارىء لها ان يستشف ظاهرة البعث ولا ان يكون صورة حقيقية لها في المثلين السابقين اللذين ضربهما الله للتدليل على البعث ، وهما تطور الانسان أثناء دورة حياته الجنينية وما بعدها وكذلك حياة الأرض بالماء وإنبات الزرع ، وللمفسرين القدامى عذرهم في هذا الصدد ، ذلك ان علوم الحياة المتصلة بالحيوان والنبات لم يطرأ عليها هذا التقدم المذهل في كثير من مجالاتها إلا في السنين الأخيرة ، وخاصة في القرن العشرين .

والدارسون لعلوم الحياة ــ أعنى علماء الحيوان وعلماء النبات ــ يمكنهم بسهولة إدراك ما تعنيه ظاهرة « البعث » في المثلين السابقين ، وبالتالي توضيح كل جوانبها وإلقاء الضوء على معانيها حتى يزول الشك والريب وحتى يزول الغموض والابهام .

والمعروف لنا ، والمشاهد لدينا ، يدل على ان كل كائن حي ــ من نبات وحيوان ويدخل في ذلك الانسان ــ عندما ينقضي أجله المسمى له ، فلا بد أن يدركه الموت فالموت هو نهاية كل حي ، طال العمر أو قصر ، وبعد الموت يتحول الكائن الحي الى تراب ، يضاف الى الأرض التي نشأ منها ، وإلى غازات ــ اهمها ثاني اكسيد الكربون ــ والى بخار الماء يضافان الى الأجواء المحيطة به . والتراب والغازات وبخار الماء ، كلها تراكيب جمادية لا حياة فيها . وإذا كان التحويل الى التراكيب السابقة يتم سريعا بالحرق ــ في حالة النبات او الحيوانات التي تحرق ، وحتى في حالة الانسان حين يموت وتحرق جثته ــ فان جسم الانسان (ومثله الحيوانات الأخرى او النباتات) الذي يقبر بعد الموت يتحول الى نفس هذه التراكيب بفعل الميكروبات (البكتريا) ونحوها فهذه تقوم بتحليل الأنسجة رويدا رويدا اي ببطء

قد تطول مدته او تقصر ، فهي تطول مثلا بالنسبة للعظام حتى لتصل الى السنين والقرون ، قصيرة بالنسبة للانسجة الاخرى .
والسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو : هل يمكن ان ترد هذه التراكيب الجمادية من تراب وغازات لتكون مواد حية من جديد ؟ او بمعنى آخر هل يمكن أن تنشأ حياة من مثل هذه المكونات ؟ وكيف ان الله سبحانه وتعالى يريد أن يقنع المتشككين في البعث والمرتابين في حدوثه بضرب الامثلة السابقة في الآيات القرآنية التي سجلناها في بداية هذا المقال ؟ .
المتأمل في الآيات الكريمة السابقة يرى أن الله يخاطب الناس كل الناس فيقول سبحانه لهم : **(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث)** أي ان كنتم تستبعدون او تشكون في قدرتنا على احياء الموتى ، اي بعثهم فاني أثبت لكم قدرتي على ذلك ، بضرب امثلة لكم ، تحسونها بأنفسكم أو تشاهدونها بعيونكم او تثبتونها بأبحاثكم ودراساتكم ، ثم يسوق سبحانه الأدلة على البعث - اي تحويل الجماد الى حي - فيسجل سبحانه هذه الأدلة كما وردت في الآيات السابقة على النحو التالي :
١ - الخلق من التراب .
٢ - مراحل التطور في خلق الانسان منذ بدايته كجنين ، وحتى موته بعد استيفاء أجله المضروب له .
٣ - حياة الأرض بالماء ، وقدرتها بعد ذلك على انبات الزرع على اختلاف انواعه وصنوفه .
٤ - يعقب الله تبارك وتعالى على هذه الأدلة فيقول سبحانه :
أ - ذلك بأن الله هو الحق .
ب - وأنه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير .
جـ - وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .
وسوف نتناول بشيء من التبسيط مناقشة موضوعية علمية لكل هذه المجالات التي اشارت اليها الآيات الكريمة ، لنتيقن من قدرة الله على البعث ، دون ريبة او شك .
اولا : **الخلق من التراب**
من الحقائق التي يتفق عليها كل علماء الأحياء Biologists ان الحياة على وجه الأرض بدأت اول ما بدأت من التراب المختلط بالماء (الطين) فهم جميعا يتفقون على هذا المنشأ لكنهم يختلفون في تفسير الطريقة أو الكيفية التي نشأت بها هذه الحياة ، كما انهم يختلفون أيضا من حيث زمان حدوثها ومكانه والثابت أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون الجمادي - السماوات والأرض - أولا ليكون مسخرا للانسان وفي خدمته ، اذ لا يمكن للأحياء ان تعيش دون ان تستمد مقومات حياتها من هذا الكون ، شمسه وأرضه ، وما أودع فيهما من طاقات وأقوات وارزاق ، هي عمود الحياة في كل الأحياء يقول سبحانه :
(قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب

العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت : ٩-١٢ .

وبعد أن خلق الله هذا الكون الجمادي ، وسخره بما فيه لمنفعة الانسان خلق الأحياء بداية من الطين ودليل ذلك ان جميع الأحياء - النبات والحيوان بما في ذلك الانسان - بلا استثناء يوجد بأجسامها قدر من هذا التراب يدخل في تكوين انسجته الحية ، فكل كائن حي ، يتخلف عن جسمه التراب لو أحرق احراقا تاما .

ويوجد هذا التراب في جسم الكائن الحي بميزان دقيق ، بحيث لو اختلت نسبته - وهي تختلف كما ونوعا من حيوان الى آخر ، بل من نسيج الى آخر في الكائن الحي الواحد - كثيرا لتأثرت حياته ، واختلت صحته ، بل قد يتعرض للموت اذا لم يسعف علاجيا بالقدر الناقص منه ، واللازم له والقارىء الكريم لا بد قد سمع عن الأمراض التي تعتري الانسان نتيجة لنقص في الكالسيوم او الحديد أو .. الخ .. وهذا المقدار من التراب هو ما يتبقى عند احتراق الكائن الحي كما اسلفنا أو هو حظ الأرض من جسمه بعد موته ، وتحلل انسجته .. يقول المولى تبارك وتعالى عن الانسان بعد موته ، وتحليل جسمه :

(بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) سورة ق / ٢-٤ .

واذا كان العلماء يختلفون كثيرا عند تفسيرهم « للطريقة او الكيفية » التي بدأت بها الحياة من الطين كما أسلفنا فان مناقشة هذا الموضوع تحتاج الى عرض مفصل ليس هنا مقامه ، ولا يجمل بنا الخوض فيه هنا .. الا ان الخلق من الطين بالنسبة للانسان يسجله القرآن الكريم في كثير من آياته يقول سبحانه :

(ومن أياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) الروم / ٢٠ .

(الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) السجدة / ٧ .

(انا خلقناهم من طين لازب) الصافات / ١١ .

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الحجر / ٢٦ .

واذا كان القرآن الكريم قد قرر ما سبق بالنسبة لخلق الانسان من الطين ونحوه فانه قد قرر في نفس الوقت أيضا أن الانسان قد خلق من سلالة من طين ، يقول سبحانه :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) المؤمنون / ١٢ .

والسلالة هنا لا تكون الا بمعنى « الذرية » مقياسا على قوله تعالى عن الانسان أيضا :

(ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) السجدة / ٨ .
ويتضح من الآيات السابقة جميعها ان موضوع « خلق الانسان » من الطين او من سلالة من طين ، يحتاج إلى مناقشة مفصلة ليس هنا مقام الاسهاب فيها .
لكن ما نريد ان نلفت النظر اليه هنا هو ان التراب ـ وهو جماد ـ يدخل في تكوين جسم أي كائن حي بما فيه الانسان ـ ومما تجدر الاشارة اليه ايضا أن الكائن الحي ـ النبات والحيوان ـ يحتاج ضمن غذائه الى مواد معدنية ـ هي التراب ـ لا بد له من الحصول عليها ولو منع منها لتعرضت حياته للخطر ثم الموت . فالنبات يحصل على هذه المواد المعدنية بواسطة جذوره من التربة التي يعيش فيها ، والحيوان بدوره يحصل على هذه المواد المعدنية ـ كالسيوم ، حديد ، بوتاسيوم ، صوديوم ... الخ ـ من الغذاء النباتي الذي هو في الأصل قوام طعامه ، بل حتى الحيوان المفترس يحصل على هذا القدر من المواد المعدنية من لحم فريسته التي غذيت بدورها على النبات . وتتحول المواد المعدنية في غذاء النبات والحيوان مع مواد الغذاء الاخرى الى انسجة حية في جسم النبات والحيوان كما سنوضحه تفصيليا فيما بعد .
ويتضح مما سبق ان الله سبحانه وتعالى الذي خلق الحياة ابتداء من التراب (الطين) . والذي قدر ان يكون التراب مكونا اساسيا للانسجة الحية في الأحياء ، الله الذي خلق الحياة هكذا ابتداء ، قادر على ان يبعث الحياة في التراب انتهاء عند قيام الساعة ، وحين يحين البعث ، يقول سبحانه :
(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم /٢٧ .
(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة) العنكبوت / ٢٠ .
واستأذن القاريء الكريم في ان ابدأ في مناقشة موضوع احياء الارض بالماء لانتاج الزرع كدليل على البعث ، قبل مناقشة الاطوار الجنينية وما بعدها لسهولة العرض ، وتيسير الفهم ، ذلك لان الله سخر النبات للحيوان بما فيه الانسان ، فلزم ان يكون النبات اقل تعقيدا في أنسجته وحياته عن الحيوان .

ثانيا : والأرض والماء والزرع
لما كنا بصدد الكلام عن البعث اي احياء الميت ، ولما كان الله سبحانه وتعالى قد ساق الدليل على البعث في صورة الماء ينزل على الأرض الهامدة ، فاذا بها تهتز وتربو وتنبت ، فليس المجال اذن هو ان نتكلم مثلا عن مقارنة بين الصحاري وقحولتها ومظاهر الموت والسكون فيها لخلوها من الحياة تقريبا ، وافتقارها الى مقوماتها والأرض المزروعة وما تحمل من نبات وحيوان على سطحها ، ومن حياة كامنة بين حبيباتها ، فليس في هذا كله ما يعطي صورة على البعث لكن المقصود هو ابراز صورة جلية واضحة عن الشيء الميت ينقلب حيا ، لينهض ذلك دليلا على

البعث ، وليكون في حد ذاته حجة ، بل حجة داحضة لمن ينكرون البعث ويتشككون فيه . ولكني اريد ان اوضح في البداية ان الله تبارك وتعالى حين قال : **(وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت)** انه سبحانه قد اشترط للحياة في مثل هذه البيئة ثلاثة أشياء هي : الأرض والماء ، والزرع ، وهي ثلاثة اشياء مهمة جدا للحياة ، فلو لم تكن هناك أرض لما صلح الماء والزرع لاستمرار الحياة ، وبالمثل لو فقد أي من الماء أو الزرع لما كانت هناك حياة وقد يقال : إنه يمكن إنبات البذور في ماء نقي ، وأقول : ان ذلك قد يحدث ولكن الى حين ، او امد قصير ، بعده يقف النمو ، ويتحقق الموت ، لعدم وجود غذاء مستمر للنبات ، اذ ان هذا النمو الاول يكون على حساب ما تختزنه البذرة من غذاء ثم بعدها يفنى ليقف النمو وينتهي النبت بالموت ، لان الماء الصراح ليس به عناصر تغذية للنبات . واذن فالارض كمهاد ، والماء كمذيب للعناصر اللازمة للتغذية ، ثم كمكون اساسي للانسجة (مادة الحياة أو البروتوبلازم) لا بدمن وجودها لانبات الزرع ونضوجه ، وعلى هذا الاساس فالثلاثة معا ــ ومع غيرها ــ سوف تدخل حتما في تكوين الحياة ، وتدلل على البعث وسوف نناقش هذه المسألة ونوضحها في الوجه التالي :

١ ــ هب انك غرست بذرة نبات ــ اي بذرة لاي نبات ــ ولنفترض انها بذرة لثمرة توت مثلا في ارض مناسبة ، والمعروف ان بذرة شجرة التوت هي من الضآلة بحيث لا يتعدى وزنها ان يكون بضعة اجزاء من الجرام الواحد ــ

٢- لوغرست هذه البذرة في ارض شديدة الجفاف ــ صحراوية ــ وتركتها دون ماء او رعاية فانها لا تلبث ان تموت دون شك ، واذا ماتت على هذا النحو فان الحياة لن تعاودها مهما حاولت او اجتهدت ، لكنك اذا تعهدت هذه البذرة فغرستها في ارض مناسبة وتعهدتها بالري ــ الماء ــ عند اللزوم وبالتسميد اذا اقتضى الامر ذلك ، فان هذه البذرة لا تلبث ان تنمو ، فتبدأ الحياة صغيرة في صورة بادرة ضعيفة ، ثم لا تلبث بمضي الوقت ان تزيد نموا وقوة حتى تصبح في النهاية شجرة كبيرة ، وارفة الظلال كثيرة الاعضاء جمة الأوراق غزيرة الثمار (ان اثمرت) وفي النهاية يكون حجم هذه الشجرة قدر البذرة التي انتجتها بلايين البلايين من المرات ، كل ذلك في سنين معدودات .

٣ ــ ولو تأملت وتدبرت وسألت نفسك من اين طرأت كل هذه الزيادة الهائلة الضخمة في شجرة التوت الكبيرة تلك التي بدأت حياتها ببذرة قليلة الجرم ضئيلة الوزن . فلا شك انك بعد تفكير ستصل الى الجواب وتفسيره كالآتي :

٤ ــ العلم يقول : ان البذرة ! اي بذرة ــ بها جنين اصغر منها ــ وهو الجزء الحي الذي انبت كل هذه الشجرة الكبيرة واغلب انسجتها حية .

٥ ــ ان الزيادة الكبيرة التي طرأت تباعا على البذرة بعد انباتها وهي ظاهرة تعرف علميا « بالنمو » لها مصدران :

أ ــ مواد ترابية اي معدنية (من التربة اي من الأرض) اذابها الماء ــ ولا بد من

وجود الماء لاذابتها ـ فصارت بذلك محلولا مغذيا حول جذور الشجرة المتشعبة بين حبيبات التربة . يحتوي المحلول على المواد المعدنية (الترابية) المذابة ـ وهي جماد ميت ـ وللجذور القدرة على امتصاصها حسب متطلباتها من المواد المذابة ، وقد ثبت علميا ان جذور النبات لها القدرة على الاختيار بحيث تفضل عنصرا على آخر او تمتص عنصرا اكثر من غيره ، والمواد الترابية التي امتصتها الجذور تصل الى خلايا النبات المختلفة في الافرع والاوراق والثمار .. الخ وهناك تمتزج بغيرها فيتحول الجميع الى مواد حية ضمن مادة « البروتوبلازم » التي تكون هذه الخلايا والتي عن طريقها تبني الخلايا نفسها وتنقسم تباعا ليتأتى بذلك نموها .

ومما سبق يتضح جليا ان التراب ـ المواد المعدنية وغير المعدنية ـ المذاب في الماء قد امتصته الجذور حتى اذا ما وصل الى الخلايا حولته هذه من جماد الى مادة حية (مع مواد اخرى ضمن بروتوبلازم الخلية) تبني بها الشجرة انسجتها وتنمو تباعا .

لكن هذه المواد الترابية لا تكون في حقيقة امرها الا جزءا ضئيلا جدا ـ لا يتعدى في الشجرة الكبيرة بضعة جرامات وهي ما تتخلف عند الاحتراق ـ من هذه المادة الحية ، لكنه مع ضآلته يعتبر في نفس الوقت مكونا هاما لا يمكن الاستغناء عنه ، فلو ان احد عناصر التراب هذا غاب وهو لازم للنمو فقد يترتب على غيابه مرض الشجرة ، وذبولها ، وموتها في نهاية الامر او عدم نجاحها في بلوغ حجمها الاصيل او كفها عن الاثمار . ومن هنا كانت اهمية تسميد النباتات ـ بالاسمدة البلدية او الكيماوية ـ اذ الغرض من هذا التسميد هو امداد النبات بالعناصر اللازمة له والتي لا تتواجد في التربة او توجد شحيحة فيها فلا تكون كافية .

ب ـ لكن معظم ما يبنى الشجرة مكونا ساقها وفروعها واوراقها وثمارها ، معظم ما يبنى هذه الانسجة جميعها يأتي نتيجة لعملية حيوية يقوم بها النبات ، وتعرف علميا بالتمثيل الضوئي » او« بالتمثيل اليخضوري » نسبة الى اليخضور « الكلوروفيل » وهو المادة الخضراء ـ ونحوها من المواد الاخرى الملونة لاوراق النباتات ـ وخلاصة هذه العملية ان النبات حين يتنفس نهارا في ضوء الشمس فانه يحتاج إلى ثاني اكسيد الكربون ـ وهو غاز متوفر حوله في الجو ـ ويلفظ الاكسجين اي ان النبات نهارا يتنفس بعكس الحيوان وهذه حكمة الله سبحانه في ان يكون تنفس الحيوان والنبات يكمل احدهما الاخر فزفير الحيوان هو اساس لحياة النبات « كشهيق » « وزفير » النبات هو اساس « لشهيق » الحيوان . وسبحان مدبر الاكوان . وعندما يتنفس النبات نهارا فان ثاني اكسيد الكربون الذي يحصل عليه النبات يتفاعل مع الماء واليخضور الموجودين بالنبات لكن ينجح هذا التفاعل فانه لا يتم الا في وجود ضوء الشمس ، ومن ثم سمى بالتمثيل الضوئي ـ وحصيلة هذه العملية كلها هي بناء الجزء الاكبر والاهم من انسجة النبات الحية ومواصلة النبات حياته ليؤتى ثماره .

وانت ـ ايها القارىء الكريم ـ ترى معي ان كل ما يلزم لعملية التمثيل الضوئي هي تراكيب ميتة (جماد) تحولت في النهاية الى مادة حية ـ هي بروتوبلازم النبات ـ بها يبني النبات كل انسجته الحية اللازمة له أفلا يكون ذلك « بعثا » ؟ أو لسنا نرى « دليل البعث » قائما امامنا في كل لحظة متمثلا في تحويل تراب الأرض وثاني اكسيد الكربون والماء في وجود اليخضور وضوء الشمس في تحويل كل ذلك الى انسجة حية ؟ ان كل نبات حي كبير كالاشجار الباسقة ، او صغير كالحشائش ونحوها يبدأ ـ في العادة ـ ببذور صغيرة تحتوي الاجنة ، لكن معظم حجمه الذي يبلغ اضعاف اضعاف بذرته بل وتكون ثماره بذورا كالاصل ، وكل هذه الاضافات الحية تكون اصلا من تراكيب ميتة ، هي ما اشرنا اليها آنفا .

وثمة شيء آخر وهي ان الآية الكريمة تسجل ان الارض الهامدة تهتز وتربو عندما ينزل الماء عليها ، فماذا عساه يعني ذلك :

١ ـ حبيبات التربة ذاتها مادة ميتة (جماد) وستظل كذلك ما لم تذب اجزاء منها في الماء لتكوين محلول يتغذي عليه النبات كما اشرنا الى ذلك فيما سبق .

٢ ـ اما « الاهتزاز » فمعناه الحركة الموضعية الضئيلة ، وهذا قد يتأتى للحبيبات نتيجة لانزال الماء عليها ، وحركاته بينها ، وذوبان بعض مكوناتها ولو جزئيا .

٣ ـ اما لفظ « ربت » فمعناه زيادة الحجم بعد انزال الماء على الحبيبات عما كان عليه قبل انزال الماء ، اي والأرض هامدة ـ والاهتزاز والزيادة في الحجم يمكن ان يحدثا لاسباب منها ؟

أ ـ حركة الماء في المسافات البينية الكائنة بين حبيبات التربة ثم فوق سطحها ، وتشرب الحبيبات له يجعلها تهتز وتربو ،

ب ـ وجود الماء يخمر المواد العضوية ـ المخلفات النباتية والحيوانية ـ بين حبيبات التربة ، وهذا من شأنه ان يزيد من حجم المادة العضوية حجما ، وهذه الزيادة بالتالي تضغط بدورها على حبيبات التربة فتجعلها تهتز وتربو .

جـ ـ بعد انزال الماء على الأرض فان البذور فيها ـ ان وجدت ـ تبدأ في الانبات ومن ثم تبدأ جذورها صغيرة وسطحية ثم لا تلبث بالنمو ان تزداد تشابكا وتعمقا وحجما ، ويؤدي كل هذا بدوره الى ان تهتز الأرض وتربو .

د ـ قد يوجد بالارض الهامدة كائنات حية دقيقة ـ نبات وحيوان ـ لكنها لا تكون نشيطة بل تكون في حالة سكون او سبات ـ شبه ميتة ـ وهذه الصورة من السكون او السبات هي ظاهرة يطلق عليها العلماء « التكيس او التحوصل » وعند انزال الماء وذوبان المواد العضوية والمعدنية فيه ، فان ذلك يحدث بيئة اي وسطا مناسبا تجعل هذه الكائنات تبدأ حياتها وانشطتها من جديد بين حبيبات التربة ، وهذا ايضا في حد ذاته « بعث » يؤدي الى اهتزاز التربة وزيادة حجمها ، ومن الغريب او مما يلفت النظر ان القرآن الكريم يشير الى ان الأرض تهتز وتربو كدليل على حيويتها ـ كما سبق أن أوضحنا ـ حتى دون وجود نبات فيها ـ يقول

سبحانه :
(ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير) فصلت / ٣٩ .
ولأمر يراد اورد الله في القرآن الكريم آيات قرن فيها حيوية الأرض بتوفر الرطوبة فيها . ودلل بذلك على البعث . يقول سبحانه :
(والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون) الزخرف / ١١ .
(فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى) الروم / ٥٠ .
(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) فاطر / ٩ .
(وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) البقرة / ١٦٤ .
(والله انزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) النحل /٦٥ .
(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) العنكبوت / ٦٣ .
ومن رحمة الله وعجيب صنعه ان الارض بموادها المعدنية وغير المعدنية ، وكذلك الماء وثاني اكسيد الكربون في الجو ، هي كلها مواد ثابتة بالنسبة لكل نبات ، ومع ذلك نجد ان النباتات تختلف اختلافا شاسعا حسب انواعها وتركيبها الوراثي ، ومن ثم فان اشكالها وأحجامها وألوانها وثمارها .. الخ تختلف ، مع أنها تسقى بماءواحد ويسجل الله على الانسان هذه النعمة ويذكره بها فيقول سبحانه :
(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحا باثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الأعراف / ٥٧ .
(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد / ٤ .
(وآية لهم الأرض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمرة وماعملته ايديهم افلا يشكرون . سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) يس / ٣٣ـ ٣٦ .
(فلينظر الانسان الى طعامه . اناصببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وابا . متاعا لكم ولانعامكم) عبس / ٢٤ ـ ٣٢ .

ثالثا : **مراحل خلق الانسان** :

فيما سبق ، أحطنا القارىء الكريم علما ، بما يقوم به النبات من تسخير جذوره لامتصاص عناصر التربة المذابة في الماء ، وبما يقوم به النبات الأخضر من تمثيل ضوئي (يخضوري) بواسطة أجزائه الخضراء ، وخاصة الأوراق . ومن تحويل هذه التراكيب الميتة (جماد) من التربة ، وثاني أكسيد الكربون ، إلى مادة حية (بروتوبلازم) يبني بها النبات أنسجته الحية - إذا كان القارىء قد ألم بكل هذا ، واتضح له من تحويل التراكيب الميتة إلى أنسجة حية ، أن ذلك ينهض دليلا مقنعا على البعث ، فان ما يحدث من تغذية لجنين الانسان - وأي حيوان آخر - في رحم الأم ، ثم ما يحدث بعد ذلك من تغذية للوليد منذ مهده وحتى لحده ، ما هو إلا شبيه بتغذية النبات مع اختلاف في طريقة التغذية وتراكيب مواد الطعام ، وفيما يلي مناقشة مفصلة لايضاح ذلك ، ولتوضيح الدليل على البعث في هذا الصدد .

أولا - الأطوار الجنينية :

بالنسبة لجنين الانسان - وكذلك أجنة الحيوانات الأخرى من الثدييات - في رحم الأم ، يمكن مناقشة الموضوع على الوجه التالي :

أ - يقول المولى تبارك وتعالى :

(**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم**) البقرة - ٢٢٣ .

والحقيقة أن استخدام لفظ « حرث » في الآية الكريمة إن كان مجازيا فيما يبدو ، إلا أنه لا يعدو أن يكون حقيقة ، ذلك لأن رحم الأم هو حقيقة بمثابة الأرض الطيبة ، المهيأة لانبات الزرع ، والفرق هو أن الزرع النابت في الأرض الثابت بجذوره فيها ، يكون معرضا للعوادي المختلفة التي تتصل بالتقلبات المناخية (عواصف - حرارة - رطوبة .. الخ) أو الحيوانات التي تعبث به ، أو تعتدي عليه (آفات حشرية - آكلات العشب من الحيوانات .. الخ) . لكن شاءت حكمة الله أن يتواجد الجنين في الانسان - وفي غيره من الثدييات - في قرار مكين ، إلى أجل معلوم . يقول الحق تبارك وتعالى :

○ (**ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى**) الحج/ ٥

○ (**ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون**) المرسلات/ ٢٠ - ٢٣ .

والمعروف علميا أن النطفة (الحيوان المنوي) لا يمكنها وحدها أن تبدأ خلق الانسان ، بل لابد لها من أن تلتقي فتندمج مع خلية أخرى هي البويضة ومصدرها مبيض المرأة . ومن المستحيل أن تكون النطفة وحدها خلقا تبدأ به حياة الفرد ، حتى أن الله - وهو الله - يسخر من الذين ينسبون إليه الولد (الابن) مسجلا سبحانه أن هذا لا يمكن أن يتم إلا بوجود زوجة (صاحبة) . يقول

سبحانه :

○ (**أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم**) الأنعام ـ ١٠١

○ (**وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**) الجن/٣

ومع أن ما سبق حقيقة لا مراء فيها ، إلا أن القرآن الكريم يشير دائما إلى بداية خلق الانسان من النطفة ـ حين ذكرها خاصة ـ دون أي إشارة إلى شريكتها : بيضة الأنثى مع أن كلا منهما شريك في تكوين الخلية الأولى (اللاقحة ـ أو البيضة المخصبة) التي يبدأ بها الجنين حياته . يقول سبحانه :

○ (**خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين**) النحل/٤

○ (**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا**) الكهف/٣٧

○ (**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**) المؤمنون/١٣

○ (**أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين**) يس/٧٧

○ (**وأنــه خلق الزوجــين الذكــر والأنثى . من نطفة إذا تمنى**) النجم/٤٥ ، ٤٦

○ (**ألم يك نطفة من منى يمنى**) القيامة/٣٧

○ (**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه**) الانسان/٢

○ (**من نطفة خلقه فقدره**) عبس/١٩

والتركيز على النطفة كما يتضح من الآيات الكريمة السابقة له سبب وجيه ، قد لا يفطن إليه البعض ، وهو أن البيضة ـ ولو أنها شريك أساسي وجوهري في تكوين الجنين كما أسلفنا ـ إلا أنها تحتاج دائما ـ في الانسان خاصة وفي كثير من حيوانات أخرى عامة ـ إلى أن تندمج فيها النطفة إلى الحد الذي لو فشلت البيضة في أن تندمج النطفة بها لتلاشت ، وأصبحت كأن لم تكن ، فكأن النطفة إذن هي الأساس الذي لولاه ما انقسمت البيضة ـ بعد الاندماج ـ ولما تكون الجنين (ويلاحظ أن ولادة سيدنا عيسى بدون أب هي معجزة لا يقاس عليها ، كما أن التوالد العذري (البكري) في حيوانات أخرى يتم على نطاق ضيق ولكن في غير الانسان) .

والنطفة خلية (أو هي نصف خلية من الوجهة الوراثية) حية وليست ميتة ، كما يشير إلى ذلك كثير من المفسرين ، معتمدين على أن النطفة تترك « ذيلها » خارج البيضة حين تخصبها ، فلا يدخل في البيضة ولا يندمج معها سوى رأس النطفة ، ولو كانت النطفة ـ أو رأسها ـ ميتة لما تم الخلق ، ولما تكون الجنين في الانسان . ولنبدأ بعد هذه المقدمة قصة الجنين أي تطوراته في الرحم ، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة التي بدىء بها المقال الأول :

١ ـ تبدأ القصة بعملية يطلق عليها العلماء « الاخصاب » ومعناها وصول النطفة (الحيوان المنوي) إلى البيضة ودخولها واندماجها فيها ـ الرأس دون الذنب ـ وحين تندمج نواة النطفة ـ رأسها تقريبا ـ مع نواة البيضة فان أول خلية كاملة في

الجنين تكون قد تكونت ، وهي التي تعرف علميا باللاقحة (البيضة المخصبة أو الزيجوت) وتشرع هذه الخلية الأولى في تكوين جسم الجنين بالانقسام .

للمرأة مبيضان ، يحتوي كل منهما على بضع مئات من البيضات ، لكن في العادة تنضج بيضة واحدة فقط في كل شهر تقريبا ـ كل دورة شهرية ـ من أي من المبيضين بالتبادل ـ إلا في حالة التوائم غير النموذجية فقد تنضج بيضتان أو أكثر من المبيض الواحد ، أو من المبيضين معا ، في وقت واحد ، أو أوقات متقاربة ، ويتم إخصابها ـ وتنتقل البيضة من المبيض إلى بداية قناة المبيض ـ قناة فالوب ـ بترتيبات وكيفية خاصة شاءها العليم الحكيم . وهناك في قناة فالوب تستطيع البيضة أن تبقى حية لنحو يومين فقط ، تنتظر في أثنائهما وصول حيوان منوي (أي نطفة) ليتم به الاخصاب . والملاحظ بالأبحاث أن عملية التبويض ـ أي نزول البيضة إلى قناة فالوب ، ومغادرتها للمبيض ـ تتم قبل نحو أسبوعين من بداية الدورة الشهرية التالية (وإن كانت المدة السابقة تختلف كثيرا من سيدة لأخرى ، وحسب السن ، والحالة الصحية ، وعوامل أخرى كثيرة) .

وللرجل خصيتان يكونان السائل المنوي الذي يشتمل على النطف (الحيوانات المنوية) . وعند المباشرة (اجتماع الرجل بزوجته) فان الرجل يقذف بكمية من السائل المنوي تحتوي ـ في الظروف الطبيعية ـ على البلايين من الحيوانات المنوية الطبيعية (في الرجل السليم) وهذه تستقر ابتداء في مهبل الأنثى . وعلى الحيوانات المنوية بعد قذفها أن تسارع لكي تصل إلى حيث توجد البيضة في مقدمة قناة المبيض ، أي قناة فالوب . ومعنى ذلك أن الحيوانات المنوية يتحتم عليها أن تقطع مسافة تعد بالنسبة لها طويلة جدا ـ تبدأ من نهاية المهبل الداخلي ثم خلال الرحم ثم خلال معظم طول قناة المبيض حتى بدايتها ـ ويقدرها البعض بنحو سبعة آلاف ضعف طول النطفة أو أكثر . ولهذا ، وللعوائق التي تعتري الحيوانات المنوية أثناء هذه الرحلة الطويلة ، فان البلايين المقذوفة في المهبل لا يصل منها إلى قناة فالوب أي إلى البيضة ـ حين توجد ـ إلا نحو مائة نطفة فقط يلزم منها ـ في العادة ـ واحد فقط للاخصاب ، فيجتاز جدار البيضة مخلفا ذيله وراءه . ويساعد النطفة على اختراق البيضة قوة اندفاعه فوق ما جهزه به الله من مواد كيماوية (إنزيمات) تساعده كثيرا في الولوج إلى داخل البيضة ـ ثم تتلاشى الحيوانات المنوية الأخرى ـ وعندئذ يتم الاخصاب فتتكون اللاقحة . وإذا لم توجد البيضة في قناة فالوب ، فليس في قدرة الحيوان المنوي أن يظل حيا في الجهاز التناسلي للانثى أكثر من يومين ، فاذا لم تتواجد البيضة في غضونهما ، فانه يتلاشى ، ولا يتأتى الحمل إذن .

بيضة المرأة صغيرة الحجم فلا يزيد قطرها على بضع ميكرونات ، فقطرها أصغر بكثير من أي نقطة تسجلها بقلمك على ورقة بيضاء ، أما النطفة فهي أصغر بكثير جدا جدا من البيضة ، إذ هي أقل من جزء واحد من ألف جزء من البيضة . ويتضح من هذه الحقيقة أن تكوين الحيوانات المنوية بالبلايين في القذفة الواحدة

في مني الرجل السليم لا تكون مجهدة له ، كما أن تكوين البيضات باعداد قليلة تعد ببضع مئات لا ينضج منها سوى العشرات لا يجهد الانثى أيضا .

ومع الضآلة المشار إليها آنفا لكل من البيضة والنطفة ، فان النواة في اللاقحة ـ والتي نشأت عند اندماج نواتيهما ـ تكون أكثر ضآلة إذ لا يتعدى وزنها بضعة أجزاء من ملايين ملايين ملايين الأجزاء من الجرام الواحد (تقريبا ٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٦ جم) ومع هذا فانها تعتبر دوسيها كاملا لكل صفات الانسان الخلقية طوال حياته المستقبلة وحتى الموت ، ولو ترجمت شفراتها الوراثية إلى كلمات لامتلأت بها عشرات المجلدات الضخمة .

٢ ـ ما أن يتم الاخصاب وتتكون اللاقحة حتى تبدأ هذه في الانقسام متحركة في نفس الوقت خلال قناة المبيض وتجاه الرحم الذي تصله في اليوم الرابع تقريبا من بداية الاخصاب . وحين تصل اللاقحة المنقسمة (تعرف علميا بالمرولا او الجسم التوتي) إلى الرحم فانها توالي انزلاقها على جداره الداخلي لنحو يومين آخرين ، وكأنها تبحث عن أنسب الأماكن لاستقرارها ، ثم لا تلبث بعد ذلك أن تنغرس في هذا الجدار وتتشبث به بقوة ، بحيث يصعب انتزاعها ـ ومن هنا يسمى الجنين بالعلقة لعلوقه بجدار الرحم بقوة ، وكتب التفاسير تطلق على العلقة « الدم المتجمد » خطأ ،٠لأن الجنين لا يمكن أن يكون دما متجمدا بأي حال ـ وما أشبه العلقة في هذا الوضع من جدار الرحم بالبذرة تنغرس في الأرض الطيبة فتنمو ، تتغذى العلقة في هذه الفترة على السوائل المحيطة بها في جدار الرحم أو في حيزه .

تأخذ العلقة بعد ذلك في النمو والتطور ، ويكتمل نمو الجنين تباعا حتى ليبلغ طوله في نهاية الشهر الأول من الحمل نحو سنتيمتر واحد ، ويبلغ حجمه نحو نصف حجم البندقة (المضغة) . لكن العلقة في أثناء تطورها شهرا بعد شهر تعد نفسها لتكون مخلوقا مستقلا عن الأم ، رغم كونها تعتمد عليها اساسيا في الحماية والامداد بالغذاء . ولكن كيف يكون ذلك ؟

ألمحنا فيما سبق الى أن العلقة تستمد غذاءها من السوائل المحيطة بها ، والتي يهيئها الرحم لهذه الغاية . وكلما تقدم العمر بالجنين فانه يعمل على احاطة نفسه بأغلفة ثلاث تقيه وتحميه وتمنع عنه آثار الصدمات التي يتعرض لها نتيجة لحجزها سوائل ينتفع بها ، كما أن هذه الأغشية تتيح له درجة الحرارة المناسبة ، وتسهل له حرية الحركة ـ يقول المولى تبارك وتعالى :

○ (**يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث**) الزمر/٦

والأغشية الجنينية الثلاث هي : الرهل والسلي الثاني والغشاء المنباري . ويتحد الغشاء المنباري مع السلي الثاني كما يتصل الأخير اتصالا وثيقا بالغشاء المخاطي المبطن للرحم مكونا خملات إصبعية الشكل تدخل في ثنيات الرحم ، وتعرف مجموعة هذه الأغشية بالمشيمة وهذه تتكون من جزأين :

(١) مشيمة جنينية ، تتصل بالحبل السري في الجنين .
(٢) مشيمة الأم ، في جدار الرحم من أحد جوانبه .

ولغنى الجزأين معا بالأوعية الدموية يسهل تبادل المواد الغذائية ـ من الأم إلى الجنين ـ وكذلك المواد الاخراجية ـ من الجنين إلى الأم ـ ويتم هذا التبادل دون اختلاط دم الأم بدم الجنين .

وخلاصة ما سبق أن الجنين يتكون له ما يعرف بالحبل السري ، وهو بمثابة الساق في النبات ، ذلك لأن هذا الحبل يصل ما بين جسم الجنين ذاته ـ الذي أصبح مستقرا في حيز داخل الأغشية الثلاث المشار إليها آنفا ، وليس في جدار الرحم والذي يزداد حجمه شهرا بعد شهر داخل هذا الحيز ـ وما بين المشيمة ، وهي عبارة عن قرص في نهاية الحبل السري ـ ويخرج من هذه المشيمة أو بالأحرى من جزئها المعروف بالمشيمة الجنينية ـ في نهاية الحبل السري من جهة جدار الرحم ـ بروزات كثيرة ـ أشبه بجذور النبات ـ تنغمس في جدار الرحم المقابل ـ في الجزء الآخر المعروف بمشيمة الأم ـ والتي يصبح بمثابة الأرض الطيبة . وبهذا التركيب المحبوك الدقيق يستطيع الجنين عن طريق بروزات مشيمته ـ أو « جذوره » ـ أن يحصل على كل متطلباته من الغذاء الذي يكون ذائبا في بلازما دم الأم ـ نتيجة لهضمها لمواد غذائها وامتصاصه ، وسريانه في دمها على نحو ما سنوضحه فيما بعد ـ والذي ينقل عن طريق الحبل السري إلى جسم الجنين فيبني بذلك أنسجته ، ويتأتى عن ذلك نموه . وهنا أيضا تتحول المواد الميتة ـ وهي مكونات الطعام التي تغذت عليها الأم ثم هضمت ثم امتصت ثم دارت في دمها ـ الموجودة في دم الأم والتي انتقلت إلى جسم الجنين ـ في دورته الدموية ـ إلى مواد حية تبني جسم الجنين وتسبب نموه رويدا رويدا ، وينهض ذلك دليلا على البعث . أما المواد الاخراجية في جسم الجنين فتمشي أو تسري بطريقة عكسية من جسم الجنين إلى الحبل السري إلى المشيمة لتنساب في دم الأم التي تتخلص منها بدورها عن طريق أجهزتها الاخراجية .

وما يجب أن نلفت إليه نظر القارىء الكريم ، هو أن تغذية الجنين وطرد نفاياته يتمان كما لو كان الجنين كيانا مستقلا عن الأم . رغم ارتباطه الشديد بها ، وإذا كنا قد ألمحنا الى الدورين اللذين تلعبهما المشيمة والحبل السري في هذا الصدد ، فان التغذية من طريق الرحم ، أو دور الرحم في توفير الغذاء يستدعي بعض الايضاح . تأمل قول الله تعالى :

○ (**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار**) الرعد/٨ .

والمعنى والمعروف علميا وطبيا تشريحيا ، ان جدار الرحم في الأنثى البالغة وبعد انقضاء فترة الطمث (الحيض) مباشرة ، يأخذ في الازدياد ، فيسمك جداره تباعا اذ تتكاثر الخلايا المبطنة له (النسيج الطلائي الداخلي) ويتوارد إليه الدم إلى الحد الذي يقوم بتخزين الكثير منه في فجوات تجعله بذلك نسيجا

اسفنجيا ، وما يتم كل ذلك إلا استعدادا لحمل منتظر ، فاذا لم يتم الحمل ـ لأسباب أهمها فشل عملية الاخصاب ـ انهار كل هذا النسيج المكتظ بالدم (غاض جدار الرحم) ونزل الدم غزيرا مع الخلايا المبطنة لجدار الرحم في صورة الطمث المعروف . وتتكرر هذه العملية هكذا شهرا بعد شهر في صورة ما يعرف عند النساء بالعادة الشهرية (طولها ٢٨ - ٣ يوما) وذلك إذا لم يتم الحمل . أما حين يتم الحمل عقب نجاح عملية الاخصاب فان الطمث يمتنع ذلك لان جدار الرحم المهيأ على هذا النحو بدم غزير والذي انغرست فيه العلقة أولا ثم بعد ذلك بروزات المشيمة (جذوره) المتصلة بالجنين ، أصبح في إمكانه عن طريق الدم المتوارد إليه أن يهيئ الفرصة المناسبة لأن تمتص بروزات المشيمة ما يحتاج اليه الجنين الذي لا تختلط دورته الدموية ابدا مع دورة امه نتيجة لهذا التنسيق الالهي الذي يبلغ الغاية في الابداع والاتقان .

بعد حدوث الحمل يزداد حيز الرحم شهرا بعد شهر نتيجة لنمو الجنين وتحويل المواد الغذائية الميتة ـ من دم الأم ـ في جسمه الى أنسجة حية . ويلاحظ :

● في نهاية الشهر الأول يكتمل نمو الجنين ، ويبلغ طوله نحو سنتيمتر ، وحجمه نحو حجم نصف البندقة ، ويتكون حبله السري البدائي ويبدأ نبض القلب في خلال الاسبوع الاخير من الشهر الأول ، ويدور الدم في جسمه دورة مستقلة تماما عن دورة الأم .

● يأخذ الجنين ملامحه الاساسية في خلال الشهر الثاني من الحمل ، ويزيد طوله إلى أربعة سنتيمترات ، ووزنه إلى ثلث الأوقية .

● يستطيع الجنين أن يتحرك في الشهر الثالث ، وهو دون الأوقية وزنا ، لكن الأم لا تحس بحركته إلا في نهاية الشهر الرابع ، حين يصل طوله إلى نصف طوله عند الولادة .

● يصل طول الجنين في الشهر الخامس إلى نحو قدم ، ووزنه الى نحو رطل ، وتزداد كل مكوناته وضوحا . واذا كانت حركة الجنين تشعر بها الأم في نهاية الشهر الرابع ، فانها تزداد شعورا بها في الشهور التالية ، ويقال : إن هذه الحركة تكون نشاطا بعد نوم .

● قد يولد الجنين في الشهر السادس أو السابع لكنه في العادة يكمل حياته الجنينية حتى الشهر التاسع حين يصل إلى الحجم والوزن الطبيعيين (ويلاحظ أنه قد تحولت اللاقحة وهي الخلية الوحيدة الأولى التي بدأ بها الجنين حياته إلى نحو مائتي مليون خلية ، وتضاعف وزنها إلى أكثر من ستة بلايين مرة) . ومن ثم ، يخرج الجنين إلى حياته الدنيا بانقباضات الرحم ، وتفتق الأغشية الجنينية .

● تلعب المشيمة دورا كبيرا وهاما في حياة الجنين ، فهي الواسطة التي بها يحمل الغذاء إلى الجنين ، وعن طريقها يتخلص الجنين من كل مواده الاخراجية ـ وقد اشرنا إلى ذلك آنفا ـ كما أنها المصدر الأساسي للهرمونات اللازمة للحامل خلال فترة الحمل ، وتلعب هذه الهرمونات دورها الكبير في إعداد الاجهزة اللازمة لانتاج

لبن الرضاعة مستقبلا . كما تلعب المشيمة دورا أساسيا في تحديد التغيرات الهرمونية التي تنهي الحمل ، وتبدأ بها عملية الولادة ـ كما تنتج المشيمة أجساما مضادة لحماية الجنين من العدوى .

وبعد أن يولد الجنين ـ بعد الشهر السادس أو السابع أو بعد الشهر التاسع ـ يتغذى على اللبن فترة ثم يتغذى بعد ذلك ـ أي بعد الفطام ـ على مواد أخرى هي تلك التي يتغذى عليها الانسان طبيعيا . وبالنسبة لفترة الحمل وفترة الرضاع حتى الفصام يقول سبحانه وتعالى :

○ (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**) البقرة/ ٢٣٣ .

○ (**ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين**) لقمان/ ١٤

○ (**ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) الأحقاف/ ١٥

ويتضح من الآيات الكريمة السابقة أن أقل فترة للحمل يولد بعدها الجنين حيا هي ستة شهور ، على إعتبار أن مدة الرضاعة حولين كاملين (٣٠ ـ ٢٤ = ٦ شهور) .

ومن حيث غذاء الكائن الحي ، فقد أوضحنا أن النبات يبني جسمه الحي من مواد أساسية ميتة ، هي من مواد التربة ، ومن ثاني أكسيد الكربون ، ومن الماء ، كما فصلناه سابقا ، فماذا عن الانسان (وكل الحيوانات الأخرى) ؟

يحصل الانسان على غذائه ـ بعكس النبات ـ من مواد عضوية أساسا هي المواد البروتينية ، والمواد النشوية ، والمواد الدهنية (مصدرهـا نباتي أو حيواني) مع أملاح وماء ، وكل هذه مواد ميتة ـ وإذا تغذى على أنسجة حيوانية كاللحم فهي ميتة أيضا ـ وعلى هذه المواد تتم عملية الهضم التي تحولها إلى مواد صالحة لأن يستفيد منها الجسم ، ويتم الهضم في الجهاز الهضمي ، ثم يلي ذلك عملية الامتصاص ، وبها يتم نقل المواد الصالحة من الجهاز الهضمي إلى الجهاز الدوري ، حيث تدور فيه لتصل إلى مشارف الخلايا المختلفة . وحتى هذا الدوران في الدم لازالت مكونات الطعام الصالحة التي وصلت إلى الدم ، لا تزال ميتة ، ولكنها حين تصل إلى الخلايا فان كل خلية تنتقي ما يناسبها وما تحتاجه ، وفي الخلايا تتحول المواد الميتة إلى مواد حية تبني بها الخلايا نفسها لتكون جزءا لا يتجزأ من مادتها البروتوبلازمية بعملية تعرف علميا بعملية « التمثيل أو البناء » وبهذا تزداد الخلايا نموا كما تتمكن من الانقسام ، وتأدية وظائفها ، وحصيلة كل ذلك نمو الانسان ، وقيامه بكل الأنشطة الحيوية اللازمة لحياته . ويلازم عملية البناء السابقة عملية اخرى هي عملية « الهدم » وهي عملية أساسية وجوهرية لحياة الانسان ، شأنها في لزومها شأن عملية البناء تماما ، ذلك لأن عملية الهدم تجعل الانسان قادرا على أن يحصل على الطاقة اللازمة لكل حركاته اللازمة

لحياته ـ داخليا في جسمه أو خارجيا في التعامل مع الوسط الخارجي الذي يوجد فيه ـ كما تمكن عملية الهدم كل غدد الجسم من أن تؤدي وظائفها البالغة الأهمية ـ الافرازات كالهرمونات واللعاب والعصارات الهضمية .. الخ ـ ويصحب ذلك كله مواد إخراجية ـ كاليوريا وثاني اكسيد الكربون ـ يتخلص الجسم منها . ولنضرب مثلا بالغدد اللبنية في المرأة ـ أو كل أنثى من الثدييات ـ فنجد أن خلايا هذه الغدة تبنى نفسها من المواد الميتة التي تجرى في الدم ـ ويكتمل نموها وتؤدي وظيفتها عند البلوغ وما بعده ـ لتكون بعد ذلك قادرة على افراز اللبن (الميت) الذي يكون الاساس في غذاء الرضيع بعد ولادته . هذا ، ويلاحظ أن المواد الميتة من الغذاء التي تدور في الدم ، هي أيضا تلك التي تجمعت في جدار الرحم حول بروزات المشيمة الجنينية لتمد الجنين بمتطلباته من الغذاء ..

وهكذا نجد أن النبات قادر بخلاياه على تحويل المواد الميتة في غذائه إلى مواد حية في أنسجته ، وهكذا ، وعلى نفس النمط يفعل الحيوان ومثله الانسان ، مع ملاحظة ان النبات والحيوان يختلفان من حيث مواد غذائهما ، ونواتج الهدم فيهما ، والحقيقة انهما يكملان بعضهما ، فقد شاءت حكمة الله أن يجعل النبات قوام غذاء الحيوان بما فيه الانسان ، وأن يكون هذا التكامل بينهما لتسير دورة الحياة في هذا الكون فنفايات الحيوانات قد يستخدمها النبات غذاء ، وما يبنيه النبات يتخذه الحيوان طعاما . ودورة الحياة هذه تحتاج لتوضيح آخر مفصل ليس هنا مقامه .

والأمل كبير أن يكون قد اتضح للقارىء الكريم الدليل الناهض على « البعث » في كل من الانسان ـ كممثل لكل الحيوانات ـ وفي النبات في صورة تحويل المواد الميتة من التربة والجو الى انسجة نباتية حية ، ثم من مواد الغذاء الميتة التي يحصل عليها الانسان في مراحله الجنينية وما بعدها لبناء أنسجته الحية ـ ويتضح من ذلك ان كل نمو في جسم كائن حي ما هو إلا حصيلة تحويل لمواد ميتة في غذاء إلى مواد حية في خلايا حية ـ وإذا كنا في كل دقيقة من حياتنا نرى من حولنا نباتات وحيوانات تنمو وتنمو بدرجات متفاوتة ، فمعنى ذلك أن الدليل على البعث ينهض أمامنا قائما في كل لحظة ، لكنا نلهو عنه ، أو لا ندركه ، لأننا لا نتدبره .

اتضح فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب مثلين للتدليل على البعث ، واحد منهما يتصل بالانسان وتطوره ، والآخر يتصل بحياة الأرض والنبات ، واتضح من الشرح السابق بهذا الخصوص أن أي كائن حي من حيوان أو نبات لا بد لكي ينمو أن تتحول فيه مواد الغذاء الميتة إلى مادة جسمه الحية ، وأن ذلك ينهض دليلا على البعث ، وكأن الله تبارك وتعالى يقول لنا : إن من ينكر حقيقة البعث فلينظر إلى نفسه أو إلى الأحياء كلها من حوله ، فسوف يدرك أن كلا منها وفي كل لحظة من لحظات حياتها ، يمكنها أن تحول الجماد إلى حي في أجسامها ، فاذا كان المولى جلت قدرته قد أهل خلايا الكائنات الحية للقيام بهذه المهمة التي تعرفونها حق المعرفة ، أفلا يكون جل شأنه قادرا على أن يحيي الموتى ؟

١ ـ أما قوله تعالى : (**ذلك بأن الله هو الحق**) فيمكن تفسيره بالآتي :

تشير كلمة الاشارة في لفظ (**ذلك**) إلى حقيقة « الاحياء » في الحيوان ـ ومنه الانسان ـ وفي النبات كدليل على البعث ، وقد تم شرح ذلك فيما سبق ، لكن عبارة (**أن الله هو الحق**) تشير إلى معنى عظيم يجب الالتفات إليه ، والاعتبار به ، ذلك بأن الله وقد خلق الكائن الحي ـ أي كائن حي ـ قد نفخ فيه من روحه فوهبته هذه النفخة الحياة ، وأصبح بها قادرا على مزاولة كل أنشطته الحيوية ، ومنها تحويل المادة الميتة ـ في صورة ما يتعاطاه من غذاء ـ إلى مادته الحية ـ في صورة بناء أنسجته ونماء جسمه ـ ولكن كيف يتم ذلك ؟

كل كائن حي يتكون من خلايا حية (بعضها يتكون من خلية واحدة) ، وما الخلية ـ أي خليته ـ في حقيقتها إلا مصنع إلهي رهيب ، وهبه الله القدرة على تحويل المادة الميتة إلى مادة حية ضمن المادة التي توجد فيه والتي تعرف علميا باسم « البروتوبلازم أو مادة الحياة » . والأنشطة الحيوية التي تجري في داخل ذلك المصنع الالهي ـ الخلية ـ أو تلك التي تجري بين كل مصنع وآخر في جسم الكائن الحي نفسه ، وما يترتب عليه من حياة الكائن الحي برمته ، كلها عمليات تتم في غاية من الدقة والانضباط والتنسيق تجل كلها عن الوصف ، وتجري في إبداع ، إن كان بعضه قد اكتشفه العلماء ، فان كثيرا من أسراره لا تزال في طي الخفاء ، ولا يعلمها إلا العلي القدير ، الذي أحاط بكل شي علما .

والخلية كمصنع إلهي ، لا يمكن للبشر تقليده ، فهو من صنع الله وحده ، والله وحده هو الذي جعله قادرا على أن تتم فيه العمليات الحيوية في سهولة ويسر ، ومن المستحيل أن يتوصل الانسان إلى مصنع مماثل ، أي خلق حياة ، وقد تحدى الله الذين يتخذون له أندادا ، أن يخلقوا ذبابا ، أي أي حياة مهما ضعفت ، فقال سبحانه :

(**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) الحج/ ٧٣ .

وإذا كان اليخضور« الكلوروفيل » في النبات هو المادة التي أودعها الله في خلايا النبات ، وجعلها واسطة في إمكان تحويل المواد الميتة في وسطها ـ الماء وثاني اكسيد الكربون والطاقة الشمسية ـ إلى أنسجة حية نباتية وبالتالي تحضير الغذاء الذي هو قوام حياة الحيوان ، على نحو ما وضحناه سابقا ، فقد حاول العلماء ، ولا زالوا يحاولون إمكان تحضير اليخضور صناعيا ، ليكون واسطة في تحضير مواد غذائية ، في مصانع بشرية ـ بعيدا عن الخلايا الحية ـ ولكن جميع المحاولات في هذا المجال قد باءت كلها بالفشل . ومن السهولة الحصول على اليخضور من النباتات الخضراء بعمليات كيماوية ، ولكنه حين ينفصل عن خليته ـ مكان نشاطه الأصيل والوحيد ـ فانه يفقد قدرته على العمل ، ومن هنا كان فشل العلماء في استخدام مادة اليخضور ـ البلاستيدات الخضراء ـ في تركيب مواد عضوية . ولو

قد نجحوا ـ وهذا موضع شك كبير ـ لحلت مشكلة الغذاء في العالم ، ولأمكن إقامة مصانع بشرية لتصنيع الغذاء من الهواء ـ ثاني أكسيد الكربون ـ وهذا ما أظنه ضربا من المستحيل .

ومما سبق نستطيع أن ندرك تماما قول الحق تبارك وتعالى : (**ذلك بأن الله هو الحق**) أي أن الله سبحانه وتعالى ـ ولا أحد غيره ـ هو الذي يسخر جنوده في مصانعه الالهية ـ خلايا الحيوان والنبات ـ ليمكنها من تحويل المواد الميتة إلى مواد حية . فهي قدرة فائقة يختص بها العلي القادر وحده دون غيره ، وهذا هو الحق الذي يجب أن ندركه ، وهذا هو الحق الذي يجب أن نعترف به صاغرين ، ونخرله سجدا مخبتين .

ومن عجب أن الذي يقرأ بتدبر الآية الخامسة من سورة الحج ـ وهي التي صدرت بها هذه المقالات ـ يلاحظ أن الله تبارك وتعالى بعد أن ذكر أطوار خلق الانسان ، أنتقل فجأة وفي نفس الآية ، الى الماء والأرض والزرع ، وذلك في معرض التدليل على البعث ، وبذلك يكون المولى ـ جلت حكمته ـ قد جمع في آية واحدة الكائنات من نبات وحيوان ليبين لنا معشر الناس أن النبات إن كان يتغذى على ميت فيبعث في جسمه حيا ، إلا أننا يجب أن نلاحظ شيئا آخر من آلاء الله ، وهو أن ما يبنيه النبات في جسمه هو قوام غذاء الحيوان (ومنه الانسان) بل إن نفاية النبات (الأكسجين) في عملية بناء جسمه (التنفس الضوئي) هي إكسير الحياة بالنسبة للحيوان ـ في تنفسه للهواء ـ كما أن نفايات الحيوان ـ من ثاني اكسيد الكربون وغيره ـ يستخدمها النبات غذاء ، وهكذا تسير عجلة الحياة بين نبات وحيوان يكمل أحدهما الآخر ـ وحكمة الله هي التي اقتضت هذا التكامل ، ذلك بأن الله هو الحق ، وتلك هي الحقيقة التي لا تستقيم الحياة بدونها ، فالله وحده هو القادر على اخراج الحي من الميت ـ في غذاء الكائنات الحية ـ واخراج الميت من الحي ـ نفايات الكائنات الحية ـ ولا أحد غيره يستطيع ذلك . يقول سبحانه :

○ (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون**) الروم/ ١٩

٢ ـ أما قوله تعالى : (**وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير**) فيمكن تفسيره على الوجه التالي :

الله الذي أوجد مصانعه في أجسام الكائنات الحية وجعلها ـ دون غيرها ـ قادرة على بعث الحياة في الجماد الميت ، كما برهنا على ذلك سابقا ، قادر بالأولى على إحياء من ماتوا بعد حياة ، وردهم إلى أصلهم . ولقد طلب خليل الله ابراهيم من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فأجابه إلى طلبه ، كما يحكي القرآن الكريم فيقول :

○ (**وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم**)

البقرة/ ٢٦٠ .

والملاحظ من الآية الكريمة السابقة ، ان سيدنا ابراهيم الخليل ، لم ينكر قدرة الله على إحياء الموتى ، ولكنه طلب منه أن يعلمه الكيفية وأن يريها إياه . ويروى القرآن أيضا قصة « صاحب الحمار » الذي مر على قرية خاوية على عروشها ، ليس فيها من سمات الحياة شيء ، فاستبعد إحياءها بعد موتها ، وقص القرآن قصته على النحو التالي :

○ (**أوكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**) البقرة/ ٢٥٩ .

هذا وقد أنكر المشركون البعث ، واستبعدوا أن يردوا إلى الحياة بعد الموت وسموا الكلام عن البعث من قبل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سحرا مبينا ، أو أكذوبة عظيمة ، أو وعدا لم يقم عليه برهان يرونه بأعينهم ، بل أمعنوا في ذلك فطالبوا باحياء آبائهم وأجدادهم كبرهان على صدق البعث وإحياء الموتى ، إلى غير ذلك مما سجله القرآن الكريم عليهم في مواضع كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

○ (.. **ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**) هود/٧

○ (**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت** ..) النحل/٣٨

○ (**وقالوائذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا**) الاسراء/٩٨

○ (**ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا. أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا**) مريم/٦٦ ـ ٦٧

بل ان القرآن الكريم ، ليسجل حوارا طريفا بين من يكذبون بالبعث ، ومن يوقنون به ، اظهارا لباطل الكافر ، وايضاحا ليقين المؤمن . تأمل قول الله تعالى :

○ (**والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين**) الأحقاف/١٧ .

والحقيقة أن الله القادر على أن يبدأ الخلق ـ أي خلق ـ قادر على أن يعيده الى الحياة بعد الموت ، بل ان ذلك أهون عليه سبحانه ، فالذي أوجد من عدم ، قادر على أن يعيد ما كان موجودا يقول سبحانه :

○ (**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم**) الروم/٢٧

○ (**أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير**) الأحقاف/٣٣

○ (**أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد**) ق/ ١٥
○ (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه**) القيامة/ ٣ ، ٤
○ (**أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**) القيامة/ ٣٦ ـ ٤٠

٣ ـ أما قوله تعالى : (**وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**) فيمكن التعليق عليه في المناقشة التالية :

من أوصاف المتقين أنهم يؤمنون بالغيب وبالآخرة وقيام الساعة أي القيامة من الغيبيات التي استأثر بعلمها الله دون غيره . يقول سبحانه عن علمه وحده بها وعن حدوثها فجأة

○ (**يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) الأعراف/ ١٨٧
○ (**يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**) الأحزاب/ ٦٣

● واذا كان الكافرون ينكرون قيام الساعة كما ينكرون البعث ، فان الحقائق التي تتوالى أمام أعيننا تؤكد من وقوع يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت . فالذي نشاهده أن الموت قد كتب على كل كائن حي وليس بمعقول أن يعيش انسان يلتزم بمنهج الله بجانب آخر مضيع له ، ثم يدركهما الموت ولا يكون بعد ذلك حساب ولا جزاء . والا فلماذا كانت الرسالات السماوية ، ولماذا أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين ؟ والله سبحانه وتعالى يؤكد وقوعها في آيات كثيرة من قرآنه . يقول سبحانه :

○ (**وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم**) سبأ/ ٣
○ (**وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**) الحجر/ ٨٥
○ (**وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها**) الكهف/ ٢١
○ (**ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم**) الحج/ ٥٥
○ (**ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**) غافر/ ٥٩
○ (**هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون**) الزخرف/ ٦٦

والمنكرون للساعة حين تأتيهم بغتة فتبهتهم ، يندمون ولات ساعة مندم ، ويتحسرون ولا تنفعهم حسراتهم ، ويظنون أنهم ما لبثوا في دنياهم أو في قبورهم ـ

الحياة البرزخية ـ الا ساعة وذلك من شدة هول الساعة ، الهول الذي يجعلهم يتضرعون الى الله أن يصفح عنهم أو يردهم مرة أخرى ليعملوا صالحا ، وكل ذلك لا يقبل منهم . يقول سبحانه :

○ (**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون**) الأنعام / ٣١

○ (**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون**) الروم / ٥٥

أما المتقون والمصلون فهم يؤمنون بالآخرة ، ويعلمون أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولذا فانهم يكونون منها على وجل دائم . يقول سبحانه :

○ (**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون**) الأنبياء /٤٨ ، ٤٩ .

○ (**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون.والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم.والذين يصدقون بيوم الدين.والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون.**) المعارج /٢٢ ـ ٢٨

وإذا كان العلم لا يناقش إلا المحسوسات ، التي تكون مجالا للبحث والتجربة ، فان الغيبيات لا تدخل في هذا النطاق ، لكن الله الذي خلق البشر ووهبهم العقل ليعرفوه ، وليميزوا بين الخبيث والطيب ، وبين الخير والشر ، لا بد لهم من يوم للجزاء يحاسبون فيه على أعمالهم ، ويجازون على ما اجترحوا من حسنات أو سيئات في حياتهم الدنيا . والله الذي خلق الانسان متميزا على غيره من سائر الكائنات بالعقل ، أرسل له فوق ذلك رسله وأنبياءه مبشرين ومنذرين ، وجعله صالحا لأن يسلك طريق الخير فيعينه عليه ، أو أن يسلك طريق الشر ضاربا بالخير عرض الحائط ، والانسان في كلتا الحالتين محاسب على ما يفعل ، رهين بما يكتسب ، والله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . والآيات القرآنية التي تشير إلى المعاني السابقة كثيرة جدا ، وحسبنا أن نورد بعضا منها . يقول سبحانه :

○ (**إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا.فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا.وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ...**) الانسان : ١٠ ـ ١٢

○ (**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين**) آل عمران : ١٤٥

○ (**إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين.لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين.والذين آمنوا وعملوا**

الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) الأعراف : ٤٠ ـ ٤٢

وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى قد شاءت حكمته أن يخلق الانسان للابتلاء في هذه الحياة الدنيا وأن يخلق الساعة للجزاء على ما قدمت يداه . يقول سبحانه :

○ (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) الملك : ١ ـ ٢ .

○ (**يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد**) المجادلة : ٦

أما قوله تعالى : (**وأن الله يبعث من في القبور**) فيمكن أن نعلق عليه كالآتي :
الانسان جسد وروح ولا تتضح معالم الحياة ومظاهر أنشطتها المختلفة إلا باجتماع الاثنين معا ، وعند الموت تفارق الروح الجسد ، ويتضح ذلك من قوله تعالى :

○ (**ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون**) الانعام : ٩٣ .

○ (**فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون. فلولا إن كنتم غير مدينين. ترجعونها إن كنتم صادقين.**) الواقعة : ٨٣ ـ ٨٧

والروح من أمر الله لا يعرف العلم عنها شيئا ، أما الجسد فيقبر إن أمكن ، وقد تتفرق أشتاته كأن يموت إنسان ضالا في فلاة فتأكله سباع الوحوش أو الطير ، وقد يغرق فيكون طعاما للاسماك ونحوها ، وقد تحرق جثته . والجسد سواء كان مقبورا أو ممزقا إلى أشتات في بطون حيوانات أخرى أو أحرق فالحال في كل هذه الحالات واحد فالمقبور شأنه شأن المحروق يتحلل جسمه ـ الأول بطيئا والثاني سريعا ـ إلى بخار ماء وثاني اكسيد الكربون ـ وهذا هو مآل أغلب الجسد ـ وغازات أخرى وتبقى في الأرض مواد الجسم المعدنية ـ التراب ـ وهذه جزء قليل لا يتعدى بضع جرامات ـ أما الذي أكلته حيوانات أخرى فهو يخرج في نفاياتها أو يدخل في بناء جسمها ، والمصير كما سبق بعد موتها .

والكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان حين تموت أو حين تؤكل ، اما أن تتحلل بالموت الى غازات ـ أهمها ثاني اكسيد الكربون ـ وبخار ماء وتراب ، واما أن تؤكل فتتحلل بالهضم الى نفايات أو تدخل في بناء جسم الحيوان الآكل لها .
وخلاصة كل هذا أن الذرات التي تبني الأحياء هي في دوران مستمر في هذا الكون ، فالذرات التي تبني جسم نبات يمكن أن تنتقل الى حيوان أو الى نبات آخر ، والذرات التي تبني حيوانا يمكن أن تنتقل الى نبات أو حيوان آخر ، وهكذا تسير عجلة الحياة في هذا الكون ، ولتيسير الفهم نضرب مثلا بثاني اكسيد الكربون الذي يخرج من الانسان حين يتنفس في حياته أو بعد أن يتحلل جسمه

بعد مماته ، فان هذا الغاز يمكن أن يبني جسم نبات ـ التنفس الضوئي كما سبق القول ـ في صورة ثمار أو حبوب ... الخ يعود فيأكلها حيوان ليبني جسما من جديد .. وهكذا دواليك في كل المكونات الأخرى كبخار الماء والتراب . ومعنى ذلك أن كل مكونات جسمك ليست ملكا خالصا لك ، انما هي وديعة الله فيك ، تسلمتها من غيرك ، وستسلمها الى غيرك بعد أجل مسمى ، بل وحتى قبل هذا الأجل المسمى .

والسؤال المطروح الآن هو : كيف يبعث الانسان بعد هذا الضياع ؟ وهو السؤال الذي طرحه الكافرون وأولئك الذين لا يؤمنون بالبعث ، ولا أحد يعرف متى وكيف يتم البعث باليقين . لكننا كمؤمنين نؤمن بقدرة الله عليه ، ويمكن أن نقربه للذهن على الوجه التالي :

١ ـ كل انسان في هذا الكون منذ أن خلق آدم وحتى قيام الساعة له خصائصه ومميزاته التي تجعله متميزا على أي شخص آخر ، ولقد ثبت هذا علميا عن طريق علم الوراثة وغيرها . ومن المعقول والمقبول أيضا أن تكون روح كل فرد ـ مثل جسده ـ متميزة على أرواح الآخرين ، وكأنها بعد أن تغادر الجسد ، هي قالب للجسد طبق الأصل .

٢ ـ عند « النفخة » الأولى كما يقرر القرآن الكريم ـ سوف يتم البعث ، وباشارة ربانية سوف تتزاوج الأرواح مع الذرات ، وسوف تنتظم الذرات في كل روح ليتكون الفرد صاحبها كما كان في الدنيا تماما ، فقد بدأ الله خلقه وهو قادر على اعادته كما كان . وهناك أحاديث نبوية مغزاها أن الانسان سيبعث على ما مات عليه ، واذن ففي المكان الذي استقر فيه جسده بعد الموت ، سيكون تزاوج الروح مع الذرات ، فاذا بصاحب الروح قائم ينظر ، ثم يسرع متجها الى مكان الحشر .

تأمل قول الله تعالى في هذه المعاني السابقة :

○ « **واذا النفوس زوجت** » التكوير : ٧ أي زوجت بذراتها عند البعث .

« (**فانما هي زجرة واحدة . فاذا هم بالساهرة**) النازعات : ١٣ ـ ١٤

○ (**ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ..**) الكهف : ٩٩

○ (**ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون**) يسن : ٥١

○ (**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون**) الزمر : ٦٨

○ (**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا**) النبأ : ١٨

○ (**فتول عنهم يوم يدعو الداعي الى شيء نكر. خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**) القمر : ٦ ـ ٧

ومن الغريب أن عبارة « **ينفخ في الصور** » لها قراءة أخرى هي « **ينفخ في الصُوَر** » ويمكن أن يشير ذلك الى صور الأرواح التي تختلف وتتباين فيما بينها .

والله تعالى أعلم

الأيدي

من قبل الاسلام لعبت الأيدي الخفية لعبتها القذرة التي تتكرر كثيرا .. مع اختلاف الأزمان وتغاير الأمكنة .. لكن الجوهر واحد ، والطبيعة الملتوية النكدة واحدة !

تآمروا على دعوة المسيح عليه السلام ..

وقد جاءهم بالانجيل « فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

تآمروا على المسيح نفسه ..

ـ حاولوا أن يرجموه « وهاج الناس كالليوث الكواسر ، وانقضوا عليه يقتلعونه من مكانه ، وأخذوه وخرجوا به من المجمع ، فمشت الرهبة في قلب مريم ، وهرعت تهبط الدرج واجفة ، وهب الحواريون ليخلصوه من أيدي أعدائه ، وراح يوحنا يتدفق بين الجموع .. ولكن هيهات أن يصل اليه ، فقد أطبق الناس عليه



الخفية

للدكتور : علي جريشة

كالأمواج .

انطلقوا في طرقات الناصرة ، والحواريون يجاهدون وما هم ببالغيه ، ومريم في أثرهم مبهورة الأنفاس ، وبلغوا قمة الجبل المنحدر .. وأمسكوا به ليدحرجوه حتى يتمزق على الصخور الناتئة ، فقد كان ذلك نوعا من الرجم الشرعي .

جاءوا ليدفعوا به ، فأحسوا كأنما يغشى عليهم ، وكأن أيديهم عاجزة عن أن تصل إليه ، وإذا به يجتاز بينهم وهم واجمون ، لاح على وجوههم دهش ، وعيسى يسير هادئا سالما ، وقد مالت الشمس للمغيب » .

ــ وفي عهد المسيح تآمروا على يحيى عليه السلام .

وجلس هيرودس إلى جوار هيروديا التي اغتصبها حراما من أخيه .. يفكر كيف يتخلص من يحيى الذي صرح أنها لا تحل له ..

وفي حفل راقص لعب الخمر برأس هيرودس ، ورأى « سالومي » ابنة هيروديا فطلب إليها أن ترقص ، فتمنعت حتى وعدها إن فعلت أن يعطيها ما تريد ،

وفعلت ، وتثنت كالأفعى ، وأثارت الثور الهائج المخمور ، فلما انتهت سألها ان تطلب .. فراحت تسأل أمها .. فدلتها ..

فقالت له : هدية في طست من فضة !

قال : وما هذه ؟

قالت : رأس يحيى !

فأفاق المخمور وارتعد ، لكنها ألحت ، وذكرته بوعده ..

وفعل الجنود .. وجئ برأس يحيى عليه السلام في طست من فضة .

و « ذبح يحيى » ، ذبح من قال عنه عيسى : لم تلد النساء مثله ، ذبح وما اقترف إثما ولا خطيئة ، ذبح طاهر الذيل عفيفا ، ولو كانت دعوى الفناء حقا . لكان ذلك الدم الطاهر ، الذي أهدر بلا جريرة ، أزكى دم يقدم للفناء .

ـ ومرة أخرى رأوا عيسى يحمل سريرا يوم السبت « وجاء رسل اليهود وأمسكوه ، وذهبوا به ليحاكموه لكره السبت المقدس ، واقتيد إلى الكهنة العظام ، فسألوه عن خرقه الناموس في السبت فقال لهم : إن الله يعمل كل يوم ، وأن الله رب الأيام هو رب السبت أيضا ، وراح ينقض لهم اعتقادهم الخاطئ بأن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في يوم السبت ، وقال لهم : إن الله خلق العالم في ستة أيام ولم يمسه تعب ولا لغوب » .

وراح يلقي عليهم المواعظ ..

« وانصرف عيسى والكهنة ينظرون ، يصرفون أسنانهم ، ولا شئ غير الحنق الشديد ، حتىٰ إذا اختفى عن عيونهم هبوا ليمسكوه ويقتلوه ، ولكن كان قد مضى » .

ـ وأخيرا .. تآمروا على قتل المسيح ..

لكن شبيها له يدعى « يهوذا » هو الذي وقع في أيديهم ، فماذا فعلوا فيه بمظنة أنه المسيح ! :

« وقام الجنود الرومانيوم الغلاظ حانقين ، ونظروا فلم يجدوا إلا « يهوذا » واقفا في الظلام وحده ، فهجموا عليه وأمسكوه يحسبونه عيسى ، وأراد يهوذا أن يقاومهم وأن يصرخ بهم أنهم أخطأوه ، ولكنهم انهالوا عليه بالسباب ، وأوسعوه ضربا ، ثم شدوا وثاقه .. »

« خرج الى الردهة بعد أن قرر المجتمعون استحقاقه للقتل ، فقام إليه الخدم والجنود يبصقون في وجهه ، ويلطمونه ويصفعونه ، ويركلونه ، ويسددون اللكمات إلى وجهه ، ويضحكون مستهزئين .. » .

« وبدأ جلد يهوذا ، فخف جميع جنود القصر ينظرون في سرور ... وخلعت عنه ثيابه ، وشد إلى عمود ، فأصبح ظهره العاري مكشوفا ، وجاء جلاد كان وجهه جامدا كأنما نحت من صخر ، وفي يده سوط ذو ثلاث شعب من الجلد ، في نهاياتها قطع من رصاص ، ورفع الجلاد يده ، وهوى بالسوط على ظهر يهوذا يمزقه » .

« وانهالت الضربات ، ويهوذا يئن كوحش جريح ، وفاضت التهليلات في

المكان ، وتبلدت الاحساسات ، وطغت وحشية البشر ، حتى فاقت ضراوة الحيوان » .

« ودارت رأس يهوذا ، وفاضت آلامه ، وزادت حتى غاب عن حسه » .

« وصرخ يهوذا صرخة أخرى ، أعقبها صمت مطبق ، فقد أسلم الروح » .

* وبعد المسيح .. انتقموا من المسيحية :

فحاولوا تشويهها .. ودخل أحدهم المسيحية عمدا ليؤدي هذا الدور ، ومضى شاؤول اليهودي يزعم أنه رأى المسيح ، وأنه آمن به ، وأنه قال له : « قم وكرز بالمسيحية وتسمى « بولس » ، وزعم أنه معلم المسيحية الوحيد ، وصار ينشر تعاليم جديدة يستمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين ، وفلسفة الاغريق وبعض تعاليم اليهود ، وادعى أن المسيح « ابن الله » ، وأنه نزل ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر ، وأدخل لأول مرة التثليث ليقول النصارى من بعده بالأقانيم الثلاثة ..

كان ذلك في الثامنة والثلاثين ومات في السادسة والستين أو السابعة والسبعين ، بعد أن تولى كبر الاشراك في المسيحية .

وبعد هذه الفتنة

كانت فتنة قسطنطين .. إمبراطور الرومان حين دخل النصرانية ، وأمر بعقد مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م فاجتمع له ٢٠٤٨ من الأساقفة مختلفي العقائد والآراء بين توحيد وتثنية ، وتثليث .

وصوت ٣١٨ إلى جانب ألوهية المسيح ، وخالفهم ١٧٣٠

فعقد قسطنطين للأولين مجلسا وصفه ابن البطريق :

« وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما وجلس في وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين . فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به .

ومن هذا التاريخ حرمت مخالفة هذا المذهب ، وحورب مخالفوه ، وألغيت رسميا جميع الأناجيل ، عدا الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

وعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم :

(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) البقرة/ ٨٩ .

وكان أول كيد ليهود أن قالوا : **(آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره)** آل عمران/ ٧٢ .

ومضى كيدهم بعد ذلك وتعددت ألوانه .. حتى بلغ حد التآمر على حياة النبي

صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة ..

مرة بالسم يدسونه ...

ومرة بمحاولة إلقاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسند ظهره إلى الحائط .. وباء كيدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وبقي كيدهم للاسلام ...

حتى بلغ في عهد عثمان رضي الله عنه ، حد التآمر على حياته .. ونجحوا .. حتى قتل عثمان رضي الله عنه في بيته ، بين أهله ، وهو صائم ، يتلو القرآن ، وزوجه تحاول أن تدفع عنه حتى يقطع السيف يدها وما يردها ذلك عن إفتداء شريك حياتها .

ويمضي الكيد .. حتى تندلع الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ويؤججون نارها .

وتزداد الفتن كما وكيفا .

فتنشأ فرق الشيعة ، أكثر تشيعا وادعاء لعلي من علي نفسه ، حتى يبلغ به الأمر حد تحريقهم لما ألهوه .

وتنشأ فرق الخوارج مدعية كلمة حق أريد بها باطل « إن الحكم الا لله » ، زاعمة أن عليا بقبوله التحكيم قد كفر ، وكفر معه كل من قبله .

وهكذا .. إن لم يكونوا قد أنشأوا هذه الفرق ـ جدلا ـ فقد شجعوها .. ثم امتد التشجيع إلى الفرق التي نشأت بعد ذلك أو أنشئت بعد ذلك من أمثال :

القاديانية .. في باكستان .

البهائية .. في إيران .

وبعض الفرق الصوفية في بعض البلاد .

ومركز القاديانية في حيفا دليل .

ومركز البهائية في شيكاجو دليل آخر .

وحديثهم في البروتوكولات عن الأحزاب والفرق دليل ثالث .

ومع ذلك يطمئن البعض لهم ، ويتعاهدون معهم ، وما وعوا قول الله :

(أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة/ ١٠٠ .

(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) الأنفال/ ٥٦ .

وأخيرا (**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**) البقرة/ ٧٥ .

* لكن اليهود وقد أدركوا ضعفهم ، وأدركوا معها تعاظم الدول المسيحية بعد عهد النهضة .. اتجهوا ـ في تخطيطهم ـ للاستفادة من الظروف ، ووازنوا بين حقدهم على النصرانية ، وحقدهم على الاسلام ...

وكان نصيب الاسلام من الحقد أكبر ..

فهو أولا نزع من بينهم شرف النبوة ، بعد أن لم يعودوا أهلا لها .
وهو ثانيا أخرجهم من ديارهم بعد أن خانوا العهد ونكثوا الوعد .
ابتداء من بني قينقاع ، إلى بني النضير ، إلى بني قريظة .
وهو ثالثا فضحهم .. وفضح وسائلهم ..!
ومن هنا افتدوا الحقد الأكبر بالحقد الأصغر .
وبدأ تحالف غير مقدس بين اليهود والنصارى .. ضد الاسلام كان من صوره :
ما حدث إبان الحروب الصليبية .
ما حدث من إصدار الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وقد كان بعض عقيدة النصارى أن اليهود قتلوا المسيح وصلبوه .
ما حدث لفلسطين ابتداء من مؤتمر بال ١٨٩٧ إلى وعد بلفور ١٩١٧ إلى كامب ديفيد ١٩٧٨ .
ما يحدث اليوم في بنجلاديش ، وفي افريقيا ، وفي الفلبين .
* وشاركت العقلية اليهودية الصليبية في وضع تخطيط احدث لحرب الاسلام :
استفادت فيه من فشل الحروب الصليبية ، التي استهدفت ـ من خلال كلمات زعمائهم ـ استئصال شأفة المسلمين .
واستفادت فيه من فشل التبشير .
ومن ثم سار التخطيط في خطين متوازيين : احدهما يتناول الجانب الاجتماعي ، والثاني يتناول الجانب السياسي .. وبين الاثنين ترابط وتعاون .. على الاثم والعدوان .
أما الخط السياسي فقد استهدف تعضيد التغيير الاجتماعي المطلوب بالقوة السياسية ، واستبدل بجنود الاحتلال الأجنبي ، جنود الجيش الوطني يصنعون الانقلابات العسكرية ، ثم يتربعون على كراسي الحكم لينفذوا المخطط المطلوب أو على الأقل ليقوموا على حماية تنفيذه .
وصرح منشئ اسرائيل (ابن جوريون) في الكنيسيت الاسرائيلي في أوائل الخمسينات بأن انقلابا عسكريا سيحدث في إحدى الدول العربية الكبرى ، وأن اليهود سوف يكونون أكثر فرحا به من أبناء الوطن نفسه .
وصدق اللعين ... ففي ظل حكم ذلك الانقلاب العسكري تم تحويل مجرى نهر الأردن بعد أن استعصى على اليهود دهرا طويلا .
وفي ظلم حكم ذلك الانقلاب استطاعت اسرائيل أن تضاعف مساحتها إلى سبعة أمثالها ...
كذلك حققت في نهايته اعتراف أصحاب الحق بها وباغتصابها لأرض فلسطين !
وقس على ذلك بقية انقلابات المنطقة .

صلاحية الشريعة في كل

قضية صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في كل زمان ومكان أمر لا يحتاج الى دليل وبرهان ، لأنها صادرة من رب العالمين الذي خلق الانسان ويعلم ما يصلحه ولأنها حين طبقت أثمرت ثمرات طيبة . لكن الصهيونية الظالمة والصليبية الحاقدة كانتا تضعان الشبهات التافهة أمام بعض أحكام الشريعة الاسلامية .. ثم جاء الاستعمار حين سيطر على بلاد المسلمين ، فأتم الدور في التشكيك بشريعة الاسلام ! وقد نجح نجاحا كبيرا حين سيطر على بلاد المسلمين ، فوضع لها منهاجا دقيقا ، ناوش فيه حصون العقيدة وقلاع الايمان حين وضع علامات استفهام كثيرة ، امام شباب لا يعرف شيئا عن صلاحية الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان ، بل لأنه لا يعرف عن دينه أي شيء كان يقول الماسونيون في مجلة « اكلسيا » الماسونية .

« ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » .

وعادت شبهات المستعمرين لترفع رأسها من جديد ولتعلي صوتها مرة اخرى ، ولكن بأسماء منتسبة الى

الاسلام للتطبيق زمان ومكان

للاستاذ ابراهيم النعمة

الاسلام ، متشبعة بالمنهاج الغربي الحاقد في الوقت نفسه .. هذا المنهاج الذي صادف في المسلمين قلبا خاليا فتمكن منه في وقت عمت الجهالة المسلمين وفقدت الأمة كيانها حين فقدت روح الاسلام - وما في الاسلام غير اللباب - وتمسكت بالقشور وعضت عليها - على القشور بالنواجذ -

إن في الشريعة الاسلامية من الأنظمة والقوانين والنظريات ما لم تعرفها البشرية من قبل جاء بها الاسلام ، فكانت شامة في جبين الانسانية ، ستظل باقية خالدة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها » ومن هذه النظريات نظرية تقييد سلطة الحاكم ، وهي تقوم على ثلاثة مبادىء ، أولها : وضع حدود لسلطة الحاكم ، وثانيها : مسؤوليته عن عدوانه وأخطائه ، وثالثها : تخويل الأمة حق عزله » . ولقد سبق الاسلام في فكرة النيابة كل أنظمة العالم ، بل استحدث - فوق ذلك - ما لم تعرفه القوانين الرومانية ولا الأنظمة التي اخذت عنها .

كما سبق الاسلام في نظرية تحمل التبعة التي يظنها بعض علماء القانون من مبتكرات هذا العصر كما لو انقلب انسان على مال فأتلفه فانه يضمن ما

أتلفه وكذلك نظرية حوالة الدين « وهي ان يتفق المدين مع شخص يتحمل عنه الدين » ونظرية الظروف الطارئة وهي ان يحصل التعاقد على عين مؤجرة - مثلا - لكن هذا التعاقد يلحق ضررا فادحا بشخص في ماله او في نفسه ، فقد أجازت الشريعة - في هذه الحالة فسخ العقد ونظرية التعسف في استعمال الحق .
كل هذه النظريات قد نص عليها الفقهاء المسلمون ، وليست من مبتكرات هذا العصر بل نستطيع ان نقول : ان الدستور الاسلامي وجد قبل اقدم دستور في العالم بأكثر من الف سنة ذلك ان الدساتير المعهودة ما عرفت الا في القرن الثامن عشر وهذه الدساتير الغربية كان يكتنفها كثير من النقص والقصور والغموض ذلك انها كانت مقصورة على الجانب السياسي فحسب ولم يجعل فيها شيء من المبادىء الاقتصادية والاجتماعية الا بعد فترة ليست بالقصيرة !

لقد اعترف أعضاء مؤتمر (لاهاي) الدولي للقانون المقارن في دورته الاولى سنة ١٩٣٢ من فقهاء الألمان والانكليز والفرنسيين والايطاليين بأن الشريعة الاسلامية مرنة قابلة للتطور .
وفي دورة المؤتمر الثانية عام ١٩٣٧ في مدينة (لاهاي) نفسها ، قرر المؤتمرون باجماع الاراء ما يأتي :
١ - اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .
٢ - اعتبارها حية قابلة للتطور
٣ - اعتبارها قائمة بذاتها ليست مأخوذة من غيرها .
وقد انعقد مؤتمر المحامين الدولي بمدينة (لاهاي) - ايضا سنة ١٩٤٨ وكان من قراراته :

اعترافا بما في التشريع الاسلامي من مرونة وماله من شأن هام ، يجب على جمعية المحامين الدولية ان تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع والتشجيع عليها .
وفي سنة ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً في كلية الحقوق من جامعة باريس ، تحت اسم (اسبوع الفقه الاسلامي) والقيت في المؤتمر خمسة موضوعات هي اثبات الملكية ، والاستملاك للمصلحة العامة ، والمسؤولية الجنائية ، وتأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض ، ونظرية الربا في الاسلام .
وفي ختام المؤتمر اتخذت - بالاجماع - القرارات الاتية :
١ - ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها
٢ - ان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية هي مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .
على أنه مما يبعث على الفخر ان نرى اهتماما كبيرا في عصرنا هذا بعلم من اعلام فقهنا من قبل رجال القانون

الدولي ، ذلكم هو الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ اذ « اسست في عونتجن بالمانيا جمعية الشيباني للحقوق الدولية ضمت كثيرا من علماء القانون الدولي لهدف التعريف بالشيباني واظهار آرائه في القانون الدولي الاسلامي ونشر مؤلفاته المتعلقة بذلك حتى قالوا عنه : انه خليق بان يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولي العالميين .

وفوق ذلك كله فان الشريعة الاسلامية ربت الانسان المسلم تربية عالية وجعلته يعرف ما له من حقوق فياخذها وما عليه من واجبات فيقوم بها بل كان اهتمامها بالواجبات اكثر من اهتمامها بالحقوق كما راعت تزكية النفس بالعبادة ودعت الى العمل للدنيا والآخرة :

(وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص / ٧٧ .

ولم يقف سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - تجاه الفقه الاسلامي موقفا جامدا ، بل كانوا يجتهدون فيما يطرأ على المجتمع من احداث مراعين علل تلك الاحكام فمن آراء سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ان أراضي الفيء تكون ملكا للدولة لينتفع المسلمون كلهم منها فابقى الاراضي بايدي اهلها بعد ان طرح عليها ضريبة الخراج ، لانه رأى ان ذلك اكثر نفعا للمسلمين وغيرهم !

وقد استنبط سلفنا الصالح احكاما لم تكن موجودة من قبل ، معللين ذلك بأنها توافق العلل التي تؤخذ من النصوص وذلك كحكم ميراث الجد والحكم بالدية بعد عفو احد اولياء الدم !

وقد ذهب سلفنا الصالح الى اكثر من ذلك حين غيروا بعض الاحكام التي ثبتت بنص قرآن او سنة ، وذلك لتغير عللها كتقدير الدية نقدا بدل الابل ، واجازة التقاط الابل الضالة !! وفوق ذلك فان بعضا من كبار التابعين تركوا العمل بالنصوص المطلقة او العامة لان العمل بها ينافي المصلحة كاجازتهم التسعير ولكن الذي يحرم على الدولة الاسلامية مثلا ان تتبع هواها وتعرض عما انزل الله ورسوله وتخرج عن القواعد الشرعية القطعية او تخالف النصوص الصحيحة في ثبوتها الصريحة في دلالتها .

وفوق ذلك ايضا فان الفقهاء المعاصرين يستطيعون ان يجتهدوا في فهم بعض النصوص اجتهادا جديدا ويأتوا بآراء لم يذكرها السابقون ما دام ذلك في دائرة الحدود والاصول المجمع عليها في فهم النصوص وتفسيرها !

ان الفقه الاسلامي اطلق يد القاضي ، ومنحه من الصلاحية ما لم يمنحه اي قانون كان من قوانين الدنيا ليقدر القاضي الظروف عند تطبيق القانون . وقاعدة (درء الحد بالشبهة) مبدأ عام مرن يعطي القاضي صلاحية كبيرة في دراسة نفسية المحدود واوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ولذلك اسقط سيدنا عمر بن الخطاب الحد عام المجاعة عملا بحديث ادرءوا الحدود بالشبهات ، و ذلك ان الاسلام لم

يحرم السرقة الا بعد ان تكفل بايجاد العمل للقادر عليه ومساعدة العاجز ولم يحرم الزنا الا بعد ان تكفل بستر العورات وتيسير الزواج الحلال ولم يحرم الربا الا بعد ان دعا الى التعاون ومساعدة المحتاج ونظم شؤون القرض . وقد عقب القرآن الحكيم على أيات تحريم الربا بقوله عز شأنه :

(وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون . واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) البقرة / ٢٨٠ و٢٨١ .

ان الفقه الاسلامي تبدو روعته في قرونه المتطاولة التي هي - الى الان - اربعة عشر قرنا . وفي كل قرن من هذه القرون نبغ مئات بل آلاف من الفقهاء استنبطوا احكاما كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - واستطاعوا ان يقننوا الشريعة الاسلامية تقنينا رائعا . اما القوانين الأوروبية والأمريكية فلم يمض عليها إلا قرن وبعض القرن ، وأين الروحية التي كتب بها المسلمون من الروحية التي كتب بها الغربيون ؟!

على أن الفقه الاسلامي لم ينحصر في منطقة أو منطقتين بل طوف في أرجاء الدنيا كلها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وطاف في جميع البيئات ، وعايش مختلف العادات والتقاليد وهذه الآراء الفقهية الكثيرة الجائزة الوجوه ، التي زخرت بها شريعتنا الغراء » قد أعطي فيها ولي الأمر الحق ان يختار منها ما يناسب العصر الذي يعيش فيه ، على ان يراعي في ذلك مصلحة المسلمين !

ان هذه المزايا الناصعة للفقه الاسلامي ، هي التي حملت القانوني الكبير الدكتور عبدالرزاق السنهوري ، أن يدلي بهذه الشهادة القيمة فيقول « اما جعل الشريعة الاسلامية هي الأساس الأول الذي يبنى عليه تشريعنا المدني ، فلا يزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج في الصدور وتنطوي عليها الجوانح » .

ويقول العلامة الاستاذ شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ .

« ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد - صلى الله عليه وسلم - اليها ، اذ انه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتي بتشريع سنكون - نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة » ويقول المؤرخ الانكليزي (ويلز) .

« ان اوربا مدينة للاسلام بالجانب الأكبر من قوانيننا الادارية والتجارية » ويقول الفيلسوف (برناردشو) :

« إنني دائما احترم الدين الاسلامي غاية الاحترام لما فيه من القوة والحيوية ، فهو - وحده - الدين الذي يظهر لي انه يملك (القوة المحولة) ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان » .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

الحكم بغير ما أنزل الله

للشيخ / عبد الحميد السائح

مما لا ريب فيه أنه يجب على المسلمين ـ أفرادا وجماعات ـ أن يعملوا بما أنزل الله في كتابه، أوبلغه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، وإن التخلف عما ذكر، مناف للاسلام، ومخالف لشريعة سيد الأنام، وذلك لأن القرآن انما أنزل

لهداية البشر وانقاذهم ، من الضلال الى الرشاد والسداد ، والشريعة لم تأت الا رحمة للعالمين ، تخطط لهم وسائل السعادة ليسلكوها ، وطرق الغواية ليتجنبوها ، ولذلك كان في القرآن والسنة حملات شديدة ، على أولئك الذين يقولون مالا يفعلون ، أو يفعلون ما عنه ينهون ، من ذلك قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)** الصف/ ٢ ، ٣ ، وقوله سبحانه : **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب افلا تعقلون)** البقرة/ ٤٤ .

ولم ينزل القرآن للتبرك به ، وحمل نسخة منه في الجيب ، أو تعليقها في الرقاب ، أو في البيوت ، دون أن يكون لآياته وأحكامه ، أثر في التطبيق والعمل ، ودون أن يكون لأهدافه تحقيق في المجتمع ، مع أن هذا وذاك هو السبيل الصحيح ، لتقويم المعوج ، وتصحيح المحتوى ، وتغيير الهزيمة بالنصر ، والتخلف بالتقدم ، وذلك هو المقصود بقوله سبحانه : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)** الرعد/ ١١ .

ولذلك يجب على المسلمين ان يمارسوا عمليا تنفيذ حكم ما أنزل الله ، في مجتمعاتهم ، الخاصة والعامة ، وفي شئونهم الشخصية ، وتصرفاتهم ، كما يجب على ولاة الامور ــ الدولة ــ آن يتقيدوا في قوانينهم وسائر تشاريعهم ، بأن تكون مطابقة ، لما نص عليه في أصول الاسلام الاولى المشار اليها ، واذا لم يكن نص فيها ، يصار الى سائر المصادر التشريعية ، وقواعد الاسلام الأخرى ، التى بينها أئمة الفقه والاجتهاد ، وهي الاجماع ، والقياس ، والاستحسان والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ونحوها ، مما كان مرجعا للتشريع ، من قبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتابعيهم ، وسائر أئمة الفقه والاجتهاد بعد ذلك .

موقف الاسلام ممن لم يحكم بما أنزل الله ؟

في سورة المائدة من القرآن الكريم ، آيات ثلاث ، كانت موضع الاهتمام والدراسة ، من قبل المعنيين بالشؤون الاسلامية ، من مفسرين وغيرهم ، ويستشهد بها كثير من العلماء في هذا الموضوع وهي :ــ

١ ــ قوله تعالى :ــ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** المائدة/ ٤٤ .

٢ ــ وقوله سبحانه : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/ ٤٥

٣ ــ وقوله عز شأنه : **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** المائدة/ ٤٧

وكان البحث يدور حول ما يقصد بهذه الآيات ، وهل تعني أن من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين يخرج من جماعة المسلمين ، ويكون

من الكافرين ، ومن الظالمين ، ومن الفاسقين ، ويخلد في نار جهنم ؟ أو أن هذه الآيات تتعلق بغير المسلمين ، من اليهود والنصارى ، واذن لا علاقة لحكمها بالمسلمين ؟ ، أو هي تتعلق بالمسلمين ، باعتبار أن حكمها عام ، والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كما هو مقرر ومعروف .

واننا نستعرض ما جاء في بعض التفاسير المشهورة في هذا البحث ، ثم نقضي على ذلك ، بما نراه متفقا مع عبارتها وسياقها ونراه أقرب الى الصواب .

١ ـ قال ابن كثير ـ اختلف العلماء في تفسير الآية الاولى منها ، فروى الشعبي أنها في المسلمين ، وروى عنه أيضا أنها في اليهود ، وروى طاووس أنها في المسلمين ، وأن المراد بالكفر بها كفر دون كفر ، وانه ليس الكفر المخرج عن الملة ، وروى ابن أبي حاتم ، والحاكم ، وقال ـ صحيح على شرط الشيخين ، أنه ليس الكفر الذي تذهبون اليه .

٢ ـ وقال القرطبي ـ إن الآيات الثلاث نزلت كلها في الكفار ، وثبت ذلك في صحيح مسلم ، من حديث البراء .

أما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة ، وقال ابن مسعود والحسن ، هي عامة ، في كل من لم يحكم بما أنزل الله ، من المسلمين والنصارى واليهود ، أي معتقدا ما أقدم عليه ، ومستحلا له ، وأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه مرتكب المحرم ، فهو من فساق المسلمين ، وأمره الى الله .

وقيل ـ من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ، وأما من حكم التوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع ، فلا يدخل في هذه الآيات .

ويروي أن حذيفة سئل عن هذه الآيات فقال ـ هي في بني اسرائيل .

٣ ـ وقال في أضواء البيان ـ الظاهر المتبادر أن الأولى في المسلمين ، والثانية في اليهود ، وأن الثالثة في النصارى الخ .

الرأي الذي أتجه اليه ، وأراه الصواب إن شاءالله

وأنت ترى أن المفسرين والعلماء اختلفوا في المقصود بتلك الآيات ، ولكنهم حين أبدوا آراءهم ، لم يتجهوا في التفسير اتجاها واحدا ، وربما يتلاقون في أكثر من نقطة واحدة ، فمنهم من نظر الى من يحكم بغير ما أنزل الله ، نظرته الى من ارتكب معصية ، ومرتكب المعصية ، ولو كبيرة ، لا يكفر ، عند جميع أهل السنة ، ومنهم من نظر اليه نظر من يستحل المحرمات ، ولا شك أن من يستحل المحرمات القطعية ، يعتبر مخالفا لجماعة المسلمين ، وسالكا طريقا غير طريقهم ، ومنهم من فصل بين من يحكم بما ينافي التوحيد وبين من يحكم بغير ما يتعلق بذلك الخ .

ونحن اذا تأملنا جميع الآيات المذكورة ، نجد أنها مسبوقة ، بآيات أخرى ، تبدأ بتسلية الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بقوله سبحانه : **(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين**

يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا) المائدة/٤١ ـ ثم اخذت الآيات تبين بعض صفات اليهود بأنهم **(سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك)** الخ .. المائدة/٤١ ـ وبانهم ـ **(سماعون للكذب اكالون للسحت)** المائدة/٤٢

ثم استمرت الآيات في فضح أساليب اليهود ، بأنهم يريدون أن يحكموك ، رجاء أن يتوصلوا منك الى حكم أخف ، مما يعلمون من حكم الله في التوراة ، وخيرت الآيات الرسول ، بين أن يعرض عنهم ، وبين أن يحكم بينهم بالقسط ، ثم استغربت الآيات أن يلجأ اليهود ، الى تحكيم الرسول ، وعندهم التوراة فيها حكم الله ، وبعدئذ بينت صفة التوراة ، وأن فيها الهدى والنور الخ .. **(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله)** المائدة /٤٣ **(انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور)** المائدة/٤٤ **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)** المائدة/٤٥

اذن فالحديث من أساسه موجه للرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتعرض للتوراة ، وما فيها من أحكام ، جاء في سياق فضح أساليب اليهود ومخاتلتهم ، مع أن التوراة الاصلية ، قبل تحريفها ـ كان فيها حكم الله ـ وحكم الله لا يجوز لاحد تجاوزه في أية حادثة ، اذ أورد الحكم في كتاب الله ، سواء كان قرآناً ام غيره .

نعم ان الآية الثالثة ٤٧ من السورة ، جاءت نصا في ان على اهل الانجيل ، ان يحكموا بما انزل الله فيه ، ولكنها لم تخرج عن سياق الآيات التى قبلها .

وعلى هذا فالذي يتجه أن الآيات وان نزلت في بيان حكم التوراة ، وحكم الانجيل ، المنزلين من قبل الله ، قبل تحريفهما ، الا أن ما ورد في الآيات من قواعد وأحكام يجب أن تبقى على عمومها .

فاذا كان اليهود لا يجوز لهم أن يحكموا بغير ما أنزل الله ، في التوراة ، قبل تحريفها ، واذا كان النصارى لا يجوز لهم أن يحكموا بغير ما أنزل الله في الانجيل ، قبل تبديله ، فكذلك ، لا يجوز للمسلمين أن يحكموا بغير ما أنزل الله في قرآنه ، وهو المصون المختص ، بحفظ الله له ، أو بلغه رسوله في سنته الصحيحة المعول عليها . ويؤيد ذلك ويزيده وضوحا ، ما جاء في الآيات القرآنية بعد ذلك ، وهو قوله تعالى : **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)** المائدة /٤٨

وقوله بعدئذ : **(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** المائدة/٥٠ وأن أهل

السنة متفقون على أن مرتكب المعصية ، مهما عظمت ، عدا الاشراك بالله ، لا يخرج به عن جماعة المسلمين ، ولا يكفر بذلك ، ولا يخلد في النار ، خلافا للمعتزلة والخوارج ، على خلاف في التعبير بينهما .

نعم ان مجرد ارتكاب الكبيرة ، والفاعل يعتقد الحرمة ، واستحقاقه العقاب ، مثل من يقدم على شرب الخمر ، أو أكل الربا ، فان ذلك لا يخرج صاحبه عن الاسلام ، وان كان يستحق العقوبة المقررة على ذلك ، في الدنيا أو الآخرة .

رأي شارح العقيدة الطحاوية

وفي شرح العقيدة الطحاوية ، أن الحكم بغير ما أنزل الله ، قد يكون كفرا وقد لا يكون ، وان هناك حالات ثلاثا :

١ ـ ان يعتقد الحاكم ، بأن الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وأنه مخير فيه ، أو أنه استهان به ، مع معرفته وتيقنه أنه حكم الله ، فهذا الاعتقاد ، يخرجه عن جماعة المسلمين .

٢ ـ أن يعتقد أن حكم الله واجب الانفاذ ، وعلمه في واقعة معينة ، وعدل عن ذلك ، مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة ، فهو عاص ، واذا سمى كافرا ، فانما يقصد به أنه الكفر الاصغر ، أو الكفر المجازي ، الذي يطلق عليه احيانا ، كفر النعمة .

٣ ـ اذا جهل الحاكم حكم الله ، في الحادثة وبذل جهده واستفرغ وسعه ، في معرفة حكم الله ، فلم يتوصل اليه ، وحكم بغير ما انزل الله ، خطأ ، فهذا له اجر على اجتهاده ، وخطؤه مغفور له .

ما المراد بما أنزل الله ؟

المراد بما أنزل الله ، ما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجب الاذعان لكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء ثبت هذا بطريق التواتر ، أو بطريق الآحاد ، غير أنه في مجال التكفير ، يحتاط فيه كل الاحتياط ، لان الايمان ثبت بيقين ، فلا يرتفع الا بما ينقضه بيقين ، فلا نحكم بكفر أحد ، وخروجه من جماعة المسلمين ، الا اذا استباح المحرمات القطعية ، أو حرم الحلال القطعي ، لانه في هذه الحالة يكون مكذبا لله ورسوله ، وذلك موجب للتكفير قطعا ، وقال صلى الله عليه وسلم : (اذا قال الرجل لاخيه ـ يا كافر ، فقد باء بها احدهما) ، رواه البخاري ، يعني انها قد ترتد على قائلها اذا لم يكن الآخر كذلك .

وان العلامة ابن نجيم ، من أئمة الحنفية ، وصاحب البحر الرائق ، أكثر من فتاوي التكفير ، في كتابه « الفتاوي » بناء على تخريجات الفقهاء ، ثم أدرك خطأه ، وعدل عن ذلك ، واتخذ لنفسه سبيل الحيطة ، فلا يحكم بكفر أحد ، يمكن أن يكون لعمله أو قوله ، وجه صحيح شرعي ، ولو كان ضعيفا ، وقال الفقهاء ـ لو

كان للعمل أو التصرف ، تسعة وتسعون وجها ، تقضي بالتكفير ، وكان يوجد وجه واحد يقتضي الاسلام ، رجح الواحد ، على التسعة والتسعين ، في مثل هذا المقام .

الادلة الشرعية

والأدلة الشرعية أربعة أنواع كما يتضح من الاستقراء ، ومما ذكره أئمة أصول الفقه في التحرير وشرحه ومسلم الثبوت وشرحه ، وباقي كتب الاصول

١ ـ قطعي الثبوت ـ قطعي الدلالة
٢ ـ قطعي الثبوت ـ ظني الدلالة
٣ ـ ظني الثبوت ـ قطعي الدلالة
٤ ـ ظني الثبوت ـ ظني الدلالة

فلا يكون التكفير الا في انكار القسم الاول ، وهو قسم من القرآن الكريم والسنة المتواترة ، وذلك مثل قوله تعالى :ـ **(وأقيموا الصلاة)** البقرة/٤٣ ، وقوله سبحانه : **(ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)** النساء/١٠٣ ـ مع ما ورد في السنة من بيان لذلك .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري ـ اما قطعي الثبوت ظني الدلالة مثل قوله تعالى **(وامسحوا برءوسكم)** المائدة/٦ ـ وهل المراد بها مسح جميع الرأس ، أو ربعه أو بعضه ، فاذا اعترف المسلم بالآية ، وضرورة المسح بالرأس ، وأنكر بعض تلك الوجوه ، فلا يدخل في بحثنا هذا .

ومثل ما ذكر القسمان الآخران ، ويشمل أنواع الأحاديث الاحادية ، وذلك لأن القرآن كله قطعي الثبوت وان كان بعضه ظني الدلالة .

ولا يعني هذا الدعوة أو التشجيع ، على اهمال الأحاديث الاحادية ، أو عدم العمل بها ، فان ذلك سبيل أهل البدع ، والضلال ، ومخالف لقوله سبحانه ـ **(وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/٧

غير أننا انما نذكر ذلك ، حتى لا يشمله حكم **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** ونحن نعلم أن الأئمة الاثبات ، يختلفون في كثير من الاحاديث ، اما لعدم صحة سندها عندهم ، أو لاطلاعهم على معنى لغوي يحتمله لفظها ، فيأخذ بحكم آخر ، غير الحكم الذي اختاره امام غيره ، كما يعرف من الاطلاع على اسباب اختلاف الائمة .

حتى ان الامام الذي يتجه له رأي يخالف الرأي الذي كان يعرفه ويعمل به ، سواء لقوة الدليل او لاي سبب شرعي آخر ، لا يدخل في اطار هذا البحث .

وان الالتزام بقول امام معين ، في مجال التشريع ، وعدم جواز العدول عنه الى قول امام آخر ، أوجد حرجا ، أدى الى حالة سيئة جعلت الكثير من المثقفين ، يعرضون عن دراسة الفقه الاسلامي ، واستجلاء ما فيه ، من كنز ثمين ، وثروة دفينة ، وحضارة يعتز بها ، وقد قدرها كثيرون من

الغربيين في مؤتمرات الفقه في باريس وغيرها .

وقد ذكر لنا بعض اساتذتنا ، في مدرسة القضاء الشرعي ، في مصر ، ان المرحوم الشيخ المهدي العباسي ، صاحب الفتاوي المهدية ، لو قبل اقتراح الخديوي ، حينئذ ، ان يضع قانونا اسلاميا عاما ، مختاراً من اقوال ائمة الفقه الاسلامي ، على اختلاف مذاهبهم ، لكانت سابقة ، يتعسر على اي احد تجاوزها ، ولكان القانون العام ، في مصر ، منذ ذلك الوقت اسلاميا .

ونحن نعتقد ، أن فكرة التزام مذهب معين من مذاهب أئمة الفقه ، لا يستند الى دليل شرعي يصح الاعتماد عليه ، خصوصا في مجال التشريع العام للامة في اية ناحية ، وأن صاحب جوهرة التوحيد ، الشيخ ابراهيم اللقائي في قوله

ومالك وسائر الأئمة
كذا أبو القاسم هداة الأمة
وواجب تقليد حبر منهم
كذا حكى القوم بلفظ يفهم

انتقد حتى من ابنه الشيخ عبد السلام ، في شرحه على الجوهرة ، ومثل هذه الأقوال ما ذكره المتأخرون من الأحناف والشافعية وغيرهم ، من ضرورة التقييد ، مع أن علماء الاصول ، حينما يتعرضون لهذه المسألة ، لا يمنعون من الاخذ بمذهب أو رأي آخر ، اذا لم يكن الباعث على ذلك هوى أو تشهيا ، ونحن حينما نسيغ العدول ، عن أقوال معينة لامام أو أئمة ، فانما نفترض ظهور الدليل الأقوى ، أو المصلحة الراجحة ، أو أي سبب شرعي آخر .

ومن واجب امام المسلمين أن يسوس الرعية ، بما فيه خيرهم ومصلحتهم ، وان يحول دون استغلال الأغنياء للفقراء ، أو تحكم الأقوياء بالضعفاء ، أو يمكن المخادعين والمحتالين ، من سلوك الطرق ، التى تخفي مقاصدهم ، أو توقع الآخرين في حبائلهم ، ويختار ، في التشريع من أقوال الائمة ، وقواعد الشريعة واصولها ، ما يحقق كل ذلك ، وحتى نقطع الطريق على أولئك الذين لا يرون الخير ، الا من طريق الاغيار ، وكأن البلاد الاسلامية وان زال عنها معظم مظاهر الاستعمار السياسي ، يجب ان تبقى في ظلال التشريع الأجنبي ومستعمرة له .

وبعد

فان الاسلام هو ما شرعه الله للناس ، واوحى ، الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو تلك النظم والاحكام التى شرع أصولها ، وثبت قواعدها وأسسها ، وكلف الناس اياها ، ليأخذوا انفسهم بها ، في علاقتهم بربهم ، وعلاقتهم ببعضهم ، أفرادا وجماعات ، وعلاقتهم بالكون وعلاقتهم بالحياة ، على وفق ما أفاد القرآن بصريح آياته ، او تضمنه بعموم قواعده وكلياته او اشار اليه من أهداف وحكم بضروب دلالاته ، أو جاء به

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغه للناس من بيان ، أو صدر عنه من قول ، أو باشره من عمل ، أو دل عليه باجتهاده وتطبيقه .

وذلك ما يرجع الى :ــ

١ ــ العقائد

٢ ــ الاحكام العملية التطبيقية

اما العقائد فتتناول الايمان بالله ، ووحدانيته ، والايمان برسالة الرسل والانبياء ، والملائكة ، والكتب السماوية واليوم الآخر ، بما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار الخ .

واما الأحكام فهي نوعان :ــ

فضائل وشرائع :

أما الفضائل فهي تلك الأخلاق والفضائل التى أمر الله بها في كتابه وحض عليها رسوله في حديثه ، وهي فضائل تنعم بها الحياة ، وتزول معها شقاوتها ، بل يعمهم الاخاء ، ويظلهم العدل والمساواة .

وأما الشرائع ، فهي نوعان :

١ ــ نوع يتمثل فيما كلف الناس به من أعمال يتقربون بها الى ربهم ، ويستحضرون بها عظمة الله وألوهيته ، لتكون وسيلة الى صلاح نفوسهم ، وعنوانا على صدق ايمانهم ، وهذا ما يسمى بالعبادات .

٢ ــ ونوع يتمثل في الأحكام التى شرعت لتكون وسيلة الى حفظ مصالح الناس ، ودفع المضار عنهم ، وتحديد الصلات بينهم ، على وجه تندفع به المظالم ، وتصان به الحقوق ، وينتشر العدل ، ويسود الأمن ، وهذا ما يعرف بشرائع المعاملة .

والاسلام باعتباره خاتم الاديان ، احكامه صالحة لكل زمان ومكان ، فقواعده الكلية كوجوب العدل ، والشورى ، ورفع الحرج ، ودفع الضرر ، صالحة للتطبيق ، في كل عصر ، بما يناسب أهله ، وأحكامه الجزئية ، الثابتة الدائمة ، فيها مصلحة للناس ، في جميع الازمان والامكنة ، كاحكام الميراث والزواج والطلاق ، واحكام المعاملات المنصوص عليها ، مثل تحريم الربا ، وتحريم القمار ، وتحريم العقود التى فيها غرر فاحش .

أما الاحكام التى روعيت فيها مصالح الناس ، وعرفهم وعاداتهم ، فهذه لا تعتبر قانونا دائما ، بل يختلف الحكم فيها ، تبعا لاختلاف الظروف والاحوال ، والحوادث التى تجد ، ولا نص فيها ، يجب وضع حكم لها ، في ضوء القواعد الكلية ، التى جاءت بها احكام الشريعة الاسلامية ، فاذا وضع كان حكما اسلاميا ، وهذا النوع من الاحكام ، هو الذي يخضع لقاعدة ــ لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان .

اما الاحكام المنصوص عليها صراحة في القرآن الكريم ، فلا يجوز تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها .

وعلى هذا فالقوانين التى تساس بها الامة في كل مناجى الحياة يجب أن يكون أساسها أصول الاسلام ، وقواعده الكلية ، للشريعة الاسلامية ، وبذلك يتحقق نفع الامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذه كانت رسالة النبي صلى الله

عليه وسلم ، وهي ما يجب ان يكون عليه اولياء امور المسلمين ، من بعده .

وعلى هذا لا يجوز ان يشرع في ديار الاسلام قانون يتعارض ، مع القرآن الكريم ، أو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو ما اجمع المسلمون عليه ، خلفا عن سلف ، في اية ناحية ، من نواحي الاسلام ، سواء في العقيدة ، أم في الاخلاق ، أم في الزواج ، أم في الطلاق ، أم في الوصية ، والميراث ، أم في النسب والتبني ، أم في المعاملات الاخرى .

لكن لو أن ولي أمر المسلمين ، اختار لجماعة المسلمين ، قانونا يسيرون عليه ، ليس فيه معارضة لنص قرآني قاطع ، أو لسنة متبعة صريحة ، وكان ما اختاره يدخل في اطار الاجتهاد المقبول ، كان هذا القانون قانونا اسلاميا ، ولا يصح ان يوصف بانه حكم بغير ما انزل الله ، وصدق الله العظيم بقوله سبحانه : (**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**) التوبة/٣٣ ، وقوله عز سلطانه : (**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة /٣

وأخيرا

هذا نداء أوجهه لكل المسئولين ، في البلاد الاسلامية والعربية ، ليتعرفوا الاخطار التى تحيق بهم من كل جانب ، وفي كل النواحي ، وليعلموا أن البعد عن الاسلام في التشريع ، ومجانبته في القوانين ، عامل أساسي ، في غربة الاسلام ، في ديار الاسلام ، وعامل مهم في تلك الحواجز الوهمية القائمة بين ناشئتنا وشبابنا ومثقفينا ، وبين الاسلام ، فلا يعلمون عنه الكثير الكثير ، وهم ان تجردوا ، عن اهوائهم وشهواتهم ، ومطامعهم ، فانهم سيتمسكون بالاسلام ، قاعدة صلبة متينة ، لتشريعهم وقوانينهم ، وسوف يجدون ويشعرون برابطة العزة والفخار ، بانتسابهم ، الى هذا الدين الحنيف ، وسيرون فيه ما رأى اسلافهم ، وما رأى المنصفون من علماء الغرب ، انه الوسيلة الوحيدة ، لانقاذ هذا العالم ، من شروره ، واضطرابه ، وان معظم ما في الغرب من نظريات قانونية سليمة ، مأخوذة عن الفقه الاسلامي ، أو مستنبطة منه ، واذا حدثت احداث مستجدة ، فليس ما يمنعنا ان نأخذ ما فيه مصلحتنا ، وفق القواعد العامة المشار اليها . وقبل ان اختم كلمتي – ارجو من اولياء امور المسلمين – بالمعنى الشامل – ان يتحملوا مسئولياتهم ، ويثبتوا وجودهم ، ويتعرفوا معنى وهدف قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم – » « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » .

والله ولي التوفيق وهو الهادي لأقوم طريق ،،،

أصول علوم الحيوان



يعتبر الحيوان وحدة من وحدات هذا الكون الذي تشير آياته الى وجود الله وتؤكد وحدانيته .. ولذلك فقد اهتم القرآن الكريم بعالم الحيوان لما فيه من آيات ولما تعرضه من شاهدات .. ومن شواهد هذا الاهتمام أنه أطلق اسماء بعض أصنافه على بعض سوره الشريفة وهي :

سورة البقرة .. وهي أولى سور المصحف الشريف بعد سورة الفاتحة وأطول سور القرآن الكريم .
سورة الأنعام .. والأنعام هي الابل والبقر والأغنام
سورة النحل .
سورة النمل .
سورة العنكبوت .
سورة العلق . والعلق حيوان سواء كان للبعوضة أو منى الذكر أو الدودة .
سورة العاديات . والعاديات هي جياد العدو أي الجري وخيول القتال .
سورة الفيل .

وايضا فقد تكرر ذكر الدابة والدواب ثماني عشرة مرة في القرآن الكريم ، وتكرر ذكر الأنعام اثنين وثلاثين مرة وبهيمة الانعام تكررت ثلاث مرات ، بل ذكرت الحيوانات بأسماء أصنافها ، فذكر العجل والبقر والناقة والحمير والخنزير والخيل والكلب والنعجة ، والقردة والذئب والغنم والابل والبغال والجمل والفيل والسبع والضأن والطير والغراب والهدهد ، ومن الحشرات النمل والذباب والجراد والثعبان والعنكبوت والقمل والضفادع والحية والنحل



في القرآن

للاستاذ/ عبد الرزاق نوفل

والسمك والحوت .

ولا يقتصر اهتمام القرآن الكريم بعالم الحيوان على مجرد ذكر اصنافه وانواعه .. بل انه قد أورد أصول علوم الحيوان سابقاً العلم بأربعة عشر قرناً من الزمان . ففي الوصف الظاهري للحيوان والاعتماد عليه للوقوف على مدى سلامته أو درجة اصابته فلقد أورد الوصف العلمي التفصيلي للمشاهدة البصرية للحيوان ممثلا في البقرة اذ تقول آياته الشريفة :

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) ٦٩ ـ ٧١ / البقرة .

وقد قررت علوم صحة الحيوان أن خير الابقار وأفضلها ما كان مطابقا لهذه الأوصاف التي حددتها الآيات الشريفة من اللون الشديد الصفرة في صفاء .. وأن قدر الصفاء يتمثل في قدر ما يثير اللون في نفس الانسان المتعة والسرور .. وكذلك من قوة جسمها وعضلاتها باثارة الغبار على الأرض من حوافرها عند سيرها .. واسباب هذه القوة أنها لم تجهد في الزراعة بالحرث أو بسقي الأرض .. وأن تكون مسلمة .. من كل العيوب الظاهرة ..

وايضا فلقد أورد القرآن الكريم الفحص العلمي للخيول سابقا العلم

بعشرات المئات من السنين اذ تقول آياته الشريفة :

(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) ٣٠ - ٣٣/ص .

وتقرر أصول علم الطب البيطري بالنسبة لاختيار صلاحية الخيل انه يجب أولا فحصها فحصا ظاهريا للوقوف على مدى سلامتها وصلاحيتها شكلا ومنظرا . ثم تجبر على العدو لشوط كبير على قدر الاستطاعة ومراقبتها أثناء العدو ، حتى يمكن للمراقب أن يتبين مدى سلامة أجزاء الحصان لا سيما سيقانه وأرجله . وتناسقها مع باقي أجزاء الجسم .. ثم يقاس نبض الخيل بعد شوط العدو ، وذلك عن طريق الشريان تحت الفكي والصدغي والكعبري الموجود بعنق الحصان مع فحص ساقه بعد هذا المجهود ، ليعرف ما وصل الحصان اليه بعد العدو .. وطاقة الساق عليه ، وهذا ما يقرره القرآن الكريم اذ قام سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بفحص خيوله التي أعدها للدفاع عن دين الله ، فاستعرضها أولا . استعراضا طويلا متأنيا لشدة حبه لها لما تحققه للدعوة من أهداف ، ثم أمر ان تجري الى ابعد شوط ممكن والى ان توارت بالحجاب ، أي نهاية ما يمكن للانسان أن يراه في الأفق . فلم تعد رؤيتها مستطاعة بعد ذلك . وبعدها طلب ردها مباشرة بعد هذا الشوط الطويل ، فكأنه ضاعف من قدر الشوط وبوصولها قام اليها يتحسس سيقانها ، ويفحص شرايينها للوقوف على نبضها بعد هذا المجهود .

ومن أصول علوم الحيوان في الوصف الظاهري له ، وما سبق القرآن الكريم العلم به ، ما قرره من أن الكلب دائما يلهث . إنما يتنفس بصوت عالي بفتح فمه واندلاع لسانه الى اقصى حد الى الخارج سواء زجرته أو تركته وذلك بالنص الشريف :**(ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)** ١٧٦ الاعراف .

ويصل العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان من قول القرآن الكريم وبعد أن استخدم الأجهزة القياسية والتحاليل الكيماوية الى أن الكلب لا توجد له غدد عرقية الا القليل في باطن اقدامه مما لا تكفيه حتى تخفض درجة حرارته ، اذ ان عمل الغدد العرقية بما تفرزه من عرق هو لتلطيف درجة حرارة سطح الكائن والجو المحيط به ، ولذلك فان الكلب يستعيض عن عدم وجود الغدد العرقية كغيره من الحيوانات ، فيحاول تخفيض حرارته عن طريق اللهث الذي يعرض فيه أكبر مساحة

من فراغ الفم واللسان للهواء ، ودائما ما يفعل الكلب ذلك . سواء أكان مجهدا أم مسترخيا ، وقد اورد القرآن الكريم هذه الملاحظة ، كعلامة مميزة لحياة الكلب .

وقد أجمل القرآن الكريم كل حقائق حياة النحل وما تتضمنه من أصول علمية أثبت العلم الحديث في ايامنا المعاصرة سبق القرآن الكريم له بها اذ تقول آياته الشريفة : (**وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**)٦٨، ٦٩ النحل .

فالعلم يقرر ان تاريخ حياة النحل على الأرض كما أثبتته الآثار التاريخية ، وكما يقرره الواقع المعاصر أن النحل أول ما اتخذ بيوته اتخذها في الجبل . ولا زالت هناك بعض انواع النحل تعيش في الجبال حتى الآن ، ثم نزل النحل الى الشجر ليسكن فيها .. وما زال بعضه يعيش في الاشجار حتى الآن ، ثم سكن فيما يتخذه الانسان من أعراش وضمنها الخلايا الصناعية التي يصنعها له الانسان .. ثم يقرر العلم ان النحل بما يسلكه بحثا عما يتغذى به من قيام رواد للنحل كل صباح لاستكشاف المنطقة . ثم تحديد الزهور المناسبة ذات الكميات الكافية ، ثم رحلات النحل الدورية المستمرة للحصول على رحيق الازهار وحبوب اللقاح ، كل ذلك قد يسره الله سبحانه وتعالى لها ، وبه يخرج من بطونها شراب مختلف الألوان فيه شفاء للناس ، وحرص القرآن الكريم الا يذكر العسل في الآية الشريفة حتى لا يتحدد الشراب بالعسل فقط وحتى لا يقتصر بحث الانسان ودراسته في هذا الشراب على العسل رغم ان العسل قد ورد بنصه في القرآن الكريم في النص الشريف : (**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم**)١٥/محمد

ثم يثبت علميا ان شراب العسل الذي يخرج من بطن النحل مختلف في الوانه من الشفاف الابيض الى الاصفر بدرجاته والاحمر وغيره ، وان شرابا اخر مختلفا في هيئته عن العسل وهو سم النحل يخرج أيضا من بطونه وفيه شفاء للناس ، وتقوم المصحات العالمية حاليا بالعلاج الطبيعي والمباشر بتعريض المريض للنحل ، ليقرصه ويفرز فيه سمه فيشفى ، كما ثبت أيضا انه يخرج من بطن النحل الغذاء الملكي الذي تتغذى به النحلة فتصبح ملكة ، ويطول عمرها بذلك أربعة أضعاف عمر النحلة العادية ، ويخرج أيضا من بطون النحل لبن النحل ، وهو أخر ما يبحث فيه العلم حاليا ، اذ يقول بان هذا اللبن له القدرة على إخفاء كل الميكروبات

والجراثيم الضارة بالانسان تماما . وهذه كلها أشربة مختلفة اللون وفيها شفاء للناس .

وقد أجمل القرآن الكريم كذلك كل علوم النمل في آية واحدة هي :

(**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**)١٨ النمل

ويعلن العلم الحديث أخيرا ان العالم « لورنتس النمسوي » قد تأكد من أن للنمل لغة مسموعة يتخاطب بها وأنه قام بتسجيلها على أشرطة يجري اعدادها لعرضها على معاهد وكليات علوم الحيوان ، كما يقرر علم الحيوان ان للنمل مستعمراته . وأن لكل مستعمرة .. قلاعها .. ومساكنها .. وأن النملة تعتبر من أسخى وأجود الكائنات الحية وأنها حسنة الظن حتى بأعدائها . اذ ان لها الكيس الاجتماعي وهو كيس على شكل معدة فوق معدتها تملؤه بالغذاء المهضوم ، لتمد به كل من تلقاه من نمل قد يكون جائعا ، بل إن النملة عندما تضطر للحرب ، فانها تتحسس أولا معدة عدوتها ، حتى لا تجرحها بالسؤال عن جوعها وشبعها ، فاذا وجدتها جائعة اخرجت لها كيسها الاجتماعي لتأكل منه حتى تشبع ثم تحاربها ، حتى تكون هي وعدوتها على قدر واحد من الشبع ، ولذلك فقد أحسنت النملة الظن بسليمان وجنوده ، اذ لو حطموا النمل ، فليس عن قصد بل وهم لا يشعرون .

ووجه القرآن الكريم نظر الانسان الى الاهـداف من خلق الحيـوان للانسان وذلك في النص الكريم :

(**والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**) ٥ ـ ٨ النحل

إذ يحقق الحيوان للانسان الدفء بأوبارها وشعرها وجلدها بل وشحمها وينتفع الانسان بعظامها وبكل اجزائها علاوة على اكله لحومها ، وكما يستعملها الانسان في ركوب وحمل متاعه والانتقال بها من مكانه الى حيث يريد الرحلة والارتحال . وكذلك توجه الآية نظر الانسان الى ما في مشاهدة الحيوان من متعة وجمال ، وهذه الدعوة سبقت العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان ، حيثما اتجه العلم الى اقامة حدائق الحيوان نشرا للمتعة والسعادة والجمال للانسان في مختلف أعماره .

ومن ضمن ما وصل العلم إليه أخيرا ما ورد من أن الحيوان كل حيوان وأي حيوان له حياة جماعية ومعيشة اجتماعية ، وأنه يعيش في جماعات وأمم كالانسان . وقبل ذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان يقول القرآن الكريم :

(**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون**) ٣٨ الانعام .

ليلة النصف من شعبان

للاستاذ محمود شاور ربيع

أهديك شعري وأنغامي وألحاني ... ياليلة النصف من أيام شعبان
أقبلت للأرض بالبشرى لصفوته ... من خيرة الخلق من أبناء عدنان
هو النبي وخير الخلق كلهمو ... أهداه رب الورى أيات فرقان
صلى الى القدس والأصحاب تتبعه ... صفوا الصفوف على حب وإيمان
قضى الشهور وعين الحق شاهدة ... ما في القلوب وما يسري بوجدان
قلبت وجهك نحو « البيت » في وله ... والطرف طوف في ستر وأركان
ترجو وتأمل أمالا محببة ... والروح سابحة تهفو بتحنان
جاء الأمين وقد صليت متجها ... نحو الشام ونحو المسجد الثاني
ناداك : حول إلى « أم القرى » جسدا ... يرنو لطلعتها من دون بلدان
فيها على الكون شمس الهدى قد طلعت ... تهدي الخلائق من إنس ومن جان
حولت وجهك في بشر وفي جذل ... والصحب قد حولت تشدو بألحان
ياليلة النصف قد حققت أمنية ... ونال « أحمد » مجدا عالي الشان
ردي على العرب أوطانا قد استلبت ... باللؤم والغدر من اعوان شيطان
ردي على القدس أياما به ازدهرت ... فوق الجليل وفي اعطاف كثبان
ردي الى الدار أهل الدار إنهمو ... تحت الخيام على هون وأحزان
اني دعوت وكل العرب قد جأروا ... مدوا الأكف إلى أعتاب رحمان
فاقبل الهي دعاء العرب وانصرهم ... في ليلة النصف من أيام شعبان



من قطوف القرن الهجري الخامس عشر

للاستاذ/ حسني عبد الباري عبدالهادي عصر

مما يلفت النظر في أمتنا الأسلامية أن كثرت فروع الحياة دون تأصيل لهذه الفروع ، وبدون تنقيب عن القدر المشترك بين الفروع وبعضها ، ولقد ترتب على ذلك أن تراكمت أتربة الغفلة فوارت جوهراً ، وأعلت من قدر عرض حكم الله عليه بأنه سوف يذهب جفاء لاغناء فيه ، ولن يبقى إلا ما يصلح به أمر الدنيا والناس : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

ولقد ترتب على ذلك أيضا أن افتعلت الخلافات اللفظية بين أصول الدين ومنهج العلم في الدرس الحديث ، مما أوجد قدرا من الضباب يحجب رؤية الناشئة ، ويضللهم عن لب الرؤية فيما خلف الضباب الذي افتعلوا وجوده ليشغلوا به عقولا خربة لا تريد أن تمتثل لأمر الله قرآنا : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة/ ١٦٤ فالله يدعو عباده للتدبر والتفكر فيما حولهم ، وهو يعلم أن عقولهم ستسلمهم إلى الأصول التي تحرك حياتهم ، والمنهج الكفيل بانعتاق أيديهم من أغلالها التي زينتها لهم المناهج الحديثة فاستسهلوها ، لأنهم لا يريدون أن يجهدوا أنفسهم في استخراج الكنوز من مصدرها الصحيح .

وليس من اللازم أن نجد اللفظ في منهجنا وتراثنا ، فقد يكون الحديث قائما واللفظ أو المصطلح لم يوجد بعد ، أو لم تستخدمه طائفة ، أو استقر في بيئة ولم يستقر في أخرى ، فان الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص سواء وجد تحت اسم آخر ، أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته .

والعبرة دائما ليست بأن نسمي

الأشياء بل العبرة بأن تغير أسلوب فهمها، لنجد أن الموقف الذي يتصارع الناس إلى التمسك به هو نفسه، الموقف الذي يريدون هدمه والتخلي عنه، وكل الفرق في استعمال المصطلحات، وتبقى وصمة الجهل وجريرة التقصير في حق الأصيل والثابت، نقول ما سبق لأن هناك افتعالا لمنهجية علمية ظنوها تفترق في شيء عن روح الأسلام ودقته في التخطيط لأمور الدنيا والدين، وللمواقف التي تقع على ظهر الأرض، وهذا الافتعال راجع إلى أمرين لا ثالث لهما:

أولهما: الرغبة من البعض الحاقد في أن يلفت الأنظار إلى شيء يظن به أنه سوف يحول الفطرة الانسانية عن صفائها وبراءتها، وهذا هو صلب العمل الذي يقوم به أعداء الدين عندما يتشدقون بالعلمية والمنهجية والتخطيط.

ثانيهما: إن السلوك الذي يسلكه المسلمون لا يعكس القيم الأصيلة والمبادىء التي أرساها الله لعباده مما جعل بعض الموتورين يسارعون في الحكم على روح الدين من سلوك المنتسبين اليها وهذه «شنشنة نعرفها من أخذم» وهو سلاح مردود عليهم إذ هناك فرق بين مفهوم «الرأسمالية» أو الأشتراكية» وبين سلوك المنتسبين إلى كليهما مع كل الفوارق بين مذاهب الوضع ومذهب الله سبحانه ومنهاجه ولكننا لا نملك إلا أن نتجه إلى الله أن يوفق السالكين إلى تجسيد المبدأ في السلوك حتى تتضح أمام الناس الرؤية ويهتدوا لعل الله يخرج من أصلابهم من يشهد أن لا اله إلا الله» ولعل «شوقيا» قد لحظ الغيب بعين الصقر اذ قال:

واذا فرق الرعاة اختلاف
علموا هارب الذئاب التجري!

نعم نحن - العالم الاسلامي - في واقع مليء بالثغرات التي أوجدتها الشكليةواللفظية وعلى الجانب الآخر فالرقعة الانسانية بها خروق شاسعة من تكدس الثروة في جانب وانعدامها في جانب آخر، الأمر الذي إن تحملته البشرية الآن أو لأعوام قادمة فلن تستطيع عليه صبرا بعد ذلك، لأن الخطى تعود بأوضاع الأرض ونفوس الناس إلى نفس الاوضاع والنفوس التي سبقت نزول الاسلام، ونفس الظروف هي التي جعلت كثيرا من الناس يسارعون إلى الأنضواء تحت راية الاسلام خلاصا وتحررا من التفاوتات، ورغبة في الانسجام مع إنسانيتهم، وغيرهم من آحاد الناس لا يفرقون بين أنفسهم إلا بالتقوى وليس بنظم الأقتصاد المستغلة والسياسة التي تبرجت وخلعت حجاب الأخلاق.

وهكذا تمضي القرون وتظهر الفوارق التي أتى الاسلام ليهدمها وليزيحها من طريق إبداع البشر، كي تظهر الطاقات الكامنة، ويعود الانسجام لحركة الأحياء مع حركة الكون.

تمر القرون وتتلبد النفوس بنفس موجات القلق التي خيمت على جزيرة العرب قبل الاسلام والتي أطبقت على

فارس وبيزنطة ، ويقوم في النفوس عين الترقب ، وذات اللهفة ، وتحتبس الأنفاس انتظارا لصحوة أخرى ولنظام ، تراه جديدا ، وليس بجديد ، يجب ما عداه ويعيد صياغة القوى بعد أن هيمنت على مقدرات البشر طواغيت الفقر ولذات الجسد وماديات العقول ، وهي أمور توجب كما في القديم ، أوجبت ضرورة إعادة المبادىء الى مجال الفعل والقوة ، كي تحمي الانسان في فرديته وفي جماعيته ولتضمن المستقبل الأكثر أمنا والحاضر الأكثر هدوءا .

في ظل تلك التحديات التي واجهت الأسلام شق جبريل أطوار السماء ونزل على قلب رجل من مكة ، ومن بين أهلها بل من أشرفهم نسبا وصهرا . نزل على الأخ الكريم وابن الأخ الكريم بشهادة المكيين أنفسهم : (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين**) الحجر/ ٩٤ .

ولا بد هنا أن نلتفت إلى وقع كلمة « اصدع » لأن فيها كل الجمال وكل الخطورة التي تناط بمباديء الدين في هذا السياق فهي أبلغ من « بلغ » لأن تاثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ وقد يذهب أدراج الرياح ، أما الصدع ـ كسر الزجاجة ـ فهو لا بد مؤثر .

وهكذا شاء الله أن يحدث الرسول هزة في الأرض ، وفي ضمائر الناس ببعثه ، وهزة بحلمه ، وهزة بهجرته ، وهزة بارساء الدين ، كي لا يستشري الأنفصام في كيان البشرية ، يمزق جوهرها ، ويبعدها عن حقيقة كينونتها .

كان على الرسول أن يجاهد بنفسه ، وبغيره أولئك الذين آمنوا به وعزروه وصدقوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ليوقف زحف الشر ، وليحد من طغيان الكفر .

ومن هذا المنطلق كان صبره على جهامتهم ، وحلمه على جهالتهم قبل هجرته ، فمشى بينهم يعرض عليهم أمره ، ويدعوهم لما يهديهم ويصلح بالهم . ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاس الصفقة بظاهرها لما صبر ، ولما تحمل ولما انفطر قلبه خوفا على أهل مكة ، ولكنه قاس الصفقة بنتائجها التي أقرها الله ، وأيدها بجنوده : (**وما يعلم جنود ربك إلا هو**) المدثر/ ٣١

لم تكن الفترة المكية الأولى عبثا ، ولكنها كانت نفشا في ارض القوم يعرضها لشمس الحقيقة يقتل أدرانها ، ويصطفي بارادة الله نفرا هم النواة للأيام التالية ، وللأحداث العظام وكان لابد من دخول ام المؤمنين خديجة في الأسلام لتظل نموذجا للوفاء والتضحية ، وكان لا بد من أن يتفرد الصديق بما هو أهل له .

كان حتما أن يعلن حمزة وعمر إسلامهما ، ليكونا صدعاً وفق ما أمر الله به في بنيان المشركين ، وكان لموقف أهل الطائف أن يحدث ، وللعنت أن يزداد ، ويكتمل جبروته ، في الارض إيذانا بانهياره ، مصداقا لقول الله سبحانه :(**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا**

فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) الاسراء/١٦ وهكذا تفرس الشاعر اذ قال :

اذا تم شيء بدا نقصه
توقع زوالا إذا قيل تم

لقد تحمل المسلمون الأوائل فوق ما يتحمل البشر ، ولكنهم عضوا على مبادئهم بالنواجز ، وضربوا أروع أمثلة الصبر والثقة في الهدف ، وبقدر ما صبروا كان عنت الكفار واشتداد جبروتهم . وما تزال كلمات الكفار لصهيب الرومي ترن في الآذان : « اتيتنا صعلوكا فكثر مالك وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك وبنفسك . والله لا يكون ذلك » .

ولكن صهيبا قيم الصفقة التي يعقدها مع ربه فيقول لهم : « أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ » وهم جماع مال وعرض فقالوا : نعم

ويتنازل الرجل عن كدحه وماله ابتغاء مرضاة الله : « فاني قد جعلت لكم مالي » ، ويبارك الرسول صلى الله عليه وسلم الصفقة ، ويضع في صكها شهادة تظل عنوانا على منة الله لعباده فقال عندما بلغه امر صهيب مع كفار مكة : « ربح صهيب ، ربح صهيب »

ولم تكن الهجرة للحبشة إلا تسكينا لروع المسلمين لكي لا يفتنوا في دينهم ، ولكي لا تنبتر الصلة بينهم وبين السماء إذا ما استقروا طيلة المدة في مكة ، كما كانت علاجا موقوتا للأوضاع النفسية التي ما برح الكفار يوقعونها في نفوس المجاهدين .

وليس لما يقوله « وليم مور » في كتابه « حياة محمد » منفذ للتكهن أو لوضع صورة لم تحدث ، ولسنا نقول معه : « لو لم يتوافر للاسلام مهاجر ، في المدينة لربما هاجر النبي الى الحبشة وهنا كان من المنتظر أن ينزوي الاسلام ويتحول إلى مذهب مسيحي قصير العمر مآله الانقراض » لأن ذلك خبط بليل وتكهنات لا تعكس إلا حسرة تجليها الكلمات والألفاظ ، ولكن لنا أن ننظر إلى هجرة المدينة نظرة اخرى نستخرج منها قيمة التوقيت ، ودقته ، وكيفية تعبئة القوى لابرام الأمر بشكل يستلفت نظر المخططين وأولي المنهجية الدقيقة ، التي لا تسمح بنسبة ضئيلة من معاملات الخطأ .

ننظر اليها في ضوء قول الرسول لصاحبه الصديق عندما سأله أن يهاجر : انتظر لعل الله يجعل لك صاحبا والانتظار في قاموس الدين يعني ما يقوله القرآن : **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** القمر/٤٩ وهو نفس المغزى الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لمن قالوا له : « يا رسول الله ، والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى ، من المشركين غدا بأسيافنا » . وهم الذين منعوه عندما قالوا : « نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك .. فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

وماذا يريد المظلوم إلا أن ينتصر ؟ وهل من أمل لمهضوم الحق إلا أن يعود حقه ؟ ولكن الرسول منفذ

لتخطيط ربه وتدبيره يقول لأولئك النفر : « لم نؤمر بذلك لكن ارجعوا إلى رحالكم » كل ذلك لكي لا تحدث الهجرة بغتة أو بدون سابق تمهيد ، ضاربة المثل بذلك ، إلى ضرورة أن تكون النظرة ثاقبة في فهمها للواقع وفي رصد الامكانيات المتاحة ، ومراعاة الهدف الأخير ، وحشد الطاقات ، على تفاوت بينها ، قال تعالى:(**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) البقرة/٢٨٦ . ننظر إلى الهجرة من زاوية بيعتي العقبة ومكان هاتين البيعتين وأثرهما في الهجرة الكبرى كما ننظر اليها من فلسفة ذهاب مصعب بن عمير إلى المدينة يمهد النفوس العطشى للنور وللرى .

لقد كان مقدرا لهجرة المدينة ، بكل مقاصد دلالتها ولواحقها أن تكون تخطيطا للمستقبل وبذرة للحضارة الاسلامية تحتوي في لفائفها حسبان أنواع المستقبل المختلفة الحالية والقريبة ومستقبل الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فقد كانت الهجرة انتشارا في الأرض يعمرها ويقيم منهارها ويقوم منآدها ، ويؤسس ابتغاء الأفضل والأجدر اعتماداً على أن القليل إلى القليل كثير واللبنة على اللبنة بناء وأن « يد الله فوق أيديهم » ، وأنه « غالب على أمره » وهو « عند ظن عبده به » . كانت الهجرة نقلة كبيرة في جميع الاتجاهات بدءا من اللفظ وانتهاء بدخول مكة واستقرار أمر الدين فقد شرع الرسول يغير كثيرا من الأسماء منها البلدان والأعلام فلقد غير من « يثرب » إلى « المدينة » ويأتيه رجل فيسأله الرسول : من أنت ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : بل أنت زيد الخير وقد تسمى أحد صحابته « بالمضطجع » فغيره الرسول الى « المنبعث » وأبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري كان اسمه « حزنا » فسماه الرسول « سهلا » !. وهكذا بات التغير متوقعا من الرسول حتى أن الصحابة ظنوا تغييرا عندما سألهم : أي يوم هذا ؟ فسكت الصحابة حتى ظنوا أنه سيسميه سوى اسمه قال : أليس يوم النحر قال الصحابة بلى قال فأي شهر هذا ؟ فسكتوا حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه فقال : أليس بذي الحجة . وهذا التغيير له دلالات واعتبارات :

١ – فهو يحدد الشيء وامتلاكه .

٢ – يخلع الصبغة اللغوية التي تترجم الدين الجديد في اصطلاح جديد .

٣ – يحمل تجدد الحياة ونماءها وينسخ ماضيا ولى بجديد ترسيه له بعض الدلالات التي تميز أمة ومنهجا وحضارة .

والهجرة النبوية لم تكن ابتعادا عن مجرى الأحداث في مكة ، ولكنها كانت بداية العودة اليها ، وهي البلد الحرام التي أراد الله أن يحفظ لها

حرمتها ، وللبيت العتيق سكينة حيث قدر الله أن يتطاول المكيون ، ويخرجون من مكة إلى حيث يلتقي الفريقان ، وتحدث الملحمة الأولى في تاريخ الاسلام وهي غزوة بدر .

وكان لا بد من مركز إشعاع يتجمع فيه المريدون حول الرائد الذي جاءهم بما يحييهم ، فكان المسجد اول ما بدأ به الرسول فبناه وهو يحمل نصيبه من العمل وهذا ما يصوره شاعر المدينة :

لئن قعدنا والرسول يعمل
فذاك منا العمل المضلل

وتنافس المهاجرون والأنصار في بناء المسجد بما تنال أيديهم من لبن وجريد وليف وبعض الحجارة والخشب ، يشاركهم المصطفى يقودهم ويحمسهم وينفض الغبار عن لحى البعض داعيا للمهاجرين والأنصار فيجيبوه رجزا :

« لا عيش إلا عيش الآخرة
اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة »

ويقوم بنيان المسجد رمزا للوحدة وللتنازل عن الأهواء الذاتية ، والتسليم بمشيئة الله ورسوله .

واعتمادا على بيعة العقبة ، وموادعة الاسلام لليهود والمنافقين في المدينة حيث أعطاهم الرسول أمانا على عقيدتهم وأنفسهم « وإن من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم » ، « ... وإنه لا يجير مشرك – من أهل المدينة وما حولها – مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن » ، « ... وانه لا تجار قريش ولا من نصرها » ، « ... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الامن ظلم فانه لا يوتغ – يهلك – الا نفسه واهل بيته » ، « ... وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها » .

هذا هو المنهج والتخطيط الدقيق الذي يعود القرن الهجري الجديد لنا به ، لنعلي من ذكره شعرا ، ونثرا ، ورجزا ، فلقد كفاه ، وانما لنعرض انفسنا عليه كمحك لسلوك العالم الاسلامي في ايامنا :

لمن القيادة ؟ وهل نفضنا عنا كل ما لا يمت للاسلام ؟

واين السبيل ؟ ومتى نعض على الدين بالنواجز ؟ والى متى تنتهك الاشهر الحرم بين بني الدين الواحد ؟

هل نصرنا الله ورسوله كما نصره الذين تركو ديارهم واموالهم وتحملوا اللطم والعنت والايذاء :

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة/ ٤٠

فهل يحق لنا ان نكتفي من المنهج بالقشور دون اللباب وان ندعو الله بعدها ونريد ان يستجاب لنا : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد/ ١١

مائدة القارئ

الرفق بالحيوان

من تقوى الله أن يرفق المؤمن بالحيوان المملوك له ، أو المستأنس به ، سواء باطعامه ، أو بتفقد ما فيه صلاح بدنه ، وابعاد الأذى عنه .

أقبل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد من الصحابة المجاهدين أيام الفتوح ، يستبقون اليه بخبر فتح عظيم يبشرونه به ، فترك عمر الكلام عن الفتح وبادرهم بقوله : أين نزلتم بركابكم ، .. فقالوا له .. فقام معهم حتى انتهوا الى مبرك الابل التي جاءوا عليها ، وقد أعياها كلال السفر ، وأجهدها طول السير ، وهي مقيدة في مبركها تتململ من الجهد والجوع ..

وأمام هذه الابل المجاهدة ، والمجهدة بغير رعاية ، قال لهم عمر يلومهم على اهمالها حقها المفروض بتقوى الله : « هلا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ .. أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ .. هلا أرحتموها فأكلت من نبات الأرض ؟ » .

وهكذا الى اليوم ، يبقى الرفق بالحيوان في طعامه ، وراحته ، ورعايته .. حقا على المؤمنين مفروضا له بتقوى الله .

العيد

سئل أحد الصالحين : متى عيدكم ؟ فقال :

١) يوم لا نعصي الله فذلك عيدنا .

٢) يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين فهذا عيدنا .

٣) يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا فهو عيدنا .

٤) وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، انما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

تعريفات ..

الشرف : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة .

اللؤم : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

الجبن : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

الغنى : رضا النفس بما قسم الله لها وان قل .

الذل : الفزع عند الصدمة .

الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك .

(الحسن بن علي)

مائدة القارئ

رحلة العمر للامام ابن القيم
- رحمه الله -

قال ابن القيم رحمه الله : العبد من حيث استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها الى ربه ومدة سفره هي عمره ، والأيام والليالي مراحل فلا يزال يطويها حتى ينتهي السفر ، فالكيس لا يزال مهتما بقطع المراحل فيما يقربه الى الله ليجد ما قدم محضرا ثم الناس منقسمون الى أقسام ، منهم من قطعها متزودا بما يقربه إلى دار الشقاء من الكفر وأنواع المعاصي ، ومنهم من قطعها سائرا فيها الى الله والى دار السلام ، وهم ثلاثة أقسام : سابقون أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها ، وترك المحارم ، والمكروهات وفضول المباحات ، ومقتصدون : أدوا الفرائض وتركوا المحارم ، ومنهم الظالم لنفسه الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم في ذلك درجات متفاوتون تفاوتا عظيما ..

دعاء

* اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسي وأهلي ، ومالي وولدي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
* اللهم متعني بسمعي وبصري ، وانصرني على من ظلمني ، وخذ منه بثأري .
* اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك .

التوكل على الله

عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » . رواه الترمذي وقال حديث حسن .. « تغدو خماصا » - أي تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع .. « وتروح بطانا » - أي ترجع آخر النهار ممتلئة البطون ..

إخاء العقيدة

كان العالم قبل مجيء الاسلام آحادا متفرقة دولا وقبائل وجماعات وأفرادا ، وكان العرب خاصة أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، فقلما كانت تجتمع أهواؤهم ، وتتحد وجهتهم فلما جاء الاسلام بما جاءهم به أذهب عنهم جهلهم وجاهليتهم واصبح الوازع لهم من انفسهم ، فسهل انقيادهم وائتلافهم طواعية منهم واختيارا ، فأصبحوا اسرع الناس قبولا للحق والهدى ، وتجلى الاخاء الاسلامي بناء شامخا لا تتطاول اليه الأعناق ، وتوارت العصبية العمياء وأصبح المسلمون كتلة متراصة كأنها جسد واحد في نظام اجتماعي متوازن لم يكن أكثر الناس تفاؤلا يتوقعه في وقت اختلفت فيه الموازين وسقطت فيه جميع القيم . ولم تترك الأوضاع التي كانت سائدة أي احتمال للتلاقي بين الأوضاع المتنافرة والمتنابذة .

لقد أدى الرسول مهمته في مكة

بين الأمس واليوم

للاستاذ/ عبدالعظيم ابراهيم منصور

داعيا إلى الله كأفضل ما يكون أداء المهمات في جو متوتر مشحون بالأهواء والأغراض المضادة للحق المنفرة من كل ما هو بر وخير ، ولكنه لم ييأس ولم يفتر حتى أذن الله له بالهجرة إلى حيث القلوب المستعدة لحمل أعباء الدين الجديد وتكاليفه . فكان أول ما قام به هو المؤاخاة بين المهاجرين معه من أهل مكة والانصار من أهل المـــدينة ـ نواة المجتمع الاسلامي الجديد .

ولم يعتمد الاسلام في تكوين الدولة الاسلامية وبناء المجتمع الاسلامي على عامل من العوامل الارضية التي رأتها البشرية وعهدتها الانظمة المختلفة التي تتابعت على البشرية . ومن أمثلة تلك الأنظمة النظام الفاشستي الذي قام في إيطاليا قبل الحرب العالمية الثانية واستند في إقامته إلى الفكرة النقابية وفكـــرة الجنس التي استهوت بها النازية الشعب الألمـــاني ، ووحدة المصالح

الاقتصادية والسياسية للطبقة العاملة الكـــادحة التي قامت على أساسها الثورة البلشفية في روسيا . وهناك الدول الغربية التي تدعى انها قامت باسم الديمقراطية تعتمد على عامل جديد نشأ عندهم وهو الميل الصريح لان يعتبروا أنفسهم أنهم أصحاب الفضل في كل تفوق أدركه البشر ، وهذا النوع من الخيلاء الفارغة تعتمد عليه تلك الدول في بناء أنظمتها ومجتمعاتها ، وتحديد علاقاتها بغيرها من دول الارض وشعوبها .

إنما اعتمد الاسلام في إقامة الدولة وبناء المجتمع الاسلامي على عقيدة في الله ثابتة تتسع لكل ما في الوجود ومن في الوجود يتخذ منها المسلمون مركزا لوحدتهم وتجمعهم ونقطة لانطلاقهم وانتشارهم ومثلا أعلى يتطلعون إليه حيث تختفي تحت لوائها المصالح الاقتصادية والسياسية فردية كانت أو جماعية وعندها تتلاشى نعرة الوطنية ونزعات الجنسية ، وتتضاءل أمامها جميع العوامل الأرضية التي تتخذ منها الدول أساسا لقيام أنظمتها وبناء مجتمعاتها .

ولقد كان لقيام الدولة الاسلامية على أساس العقيدة ، أن نشأت بين المسلمين صلة قوية عميقة بعيدة الأثر في حياتهم وفي مستقبل الدعوة الاسلامية ، وتلك الصلة هي صلة الاخاء المقام على عقيدة التوحيد المشدود بروح الاخلاص ، فألف الله به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة وسرعان ما حل الوفاء في النفوس محل الغدر والأمانة محل الخيانة ، والبر مكـــان الجحود ، والرأفة والرحمة مكـــان الغلظة والقسوة ، والايثار والتضحية محل الاثرة والأنانية وأصبحت الجماعة الاسلامية كتلة بشرية متزنة ، وجهتها واحدة ومقصدها واحد ، والمسلمون أسرة واحدة لا فضل فيها لعربي على أعجمي ، ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قد أذهب الله عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . أشداء على الكفار رحماء بينهم ، طالب الحق لديهم من المقربين ، ومؤثره على ما سواه عندهم من الصادقين ، زاهدين في التعصب لغير الاعمال ، يسيرون مع الحق أينما سارت ركائبه ، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه ، إذا بدا لهم الدليل طاروا اليه زرافات ووحدانا ، كتاب الله أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا على أحكـــامه قول أحد من الناس أو يعارضوه برأي أو قياس .

ونظرا لما للاخاء من أثر فعال في بناء الدولة وربط المجتمع برباط قوي ، فقد جاء الدين يركز عليه لا باعتباره فضيلة من الفضائل ، وخصلة من الخصال ، ولكن باعتباره مبدأ تأسيسيا يقتضيه الدين وتمليه البشرية الواحدة الكريمة على الله ، فقد ضم القرآن والسنة دستورا كاملا للاخاء فقال تعالى :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكـــم

فأصبحتم بنعمته إخوانا) .آل عمران/١٠٣

(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) . الانفال/٦٢ ، ٦٣

ولقد صور الاسلام الوحدة القوية التي جمعت المسلمين وسيطرت على سلوكهم وتصرفاتهم فاضطرت الجاهلية أمام قوتها أن تخلي لها الطريق وأن تذهب إلى غير رجعة بكل ما صحبها من علل وأمراض عانت منها البشرية الخسف والهوان فقال تعالى :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) . الفتح/٢٩

والأخوة الاسلامية ليست عصبية ولا هي بقية من جاهلية ، فالمرء المسلم ينصر أخاه المسلم ان كان مظلوما ، ويرده عن الظلم ويحجزه عنه إن كان ظالما ، ويلفت النبي صلى الله عليه وسلم نظر المسلمين إلى هذا المعنى ، وغرسه في نفوسهم ، ويدعوهم اليه فيقول النبي عليه الصلاة والسلام :

« انصر أخاك ظالما او مظلوما ، فقال رجل يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره . قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره » الدارمي وابن عساكر .

لذلك اعتبر الاسلام أي خروج عن هذا المسلك خروجا صريحا على تعاليم الاسلام وتوجيهاته فتنزل أمر الله بقتال الفئة المسلمة الباغية حتى يحفظ للمسلمين وحدتهم وللاخاء قوته فقال تعالى :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) .الحجرات/٩ ، ١٠

والتاريخ الاسلامي مشحون بمواقف الحب والايثار وجميع الفضائل التي ولدها الاخاء الاسلامي في نفوس المسلمين في أوقات سلمهم وفي أوقات حربهم فقد كانوا في حياتهم السلمية يتحرون الحق ويذعنون للانصاف والعدل .

فقد تحدثت عنهم أم سلمة رضي الله عنها ــ فيما رواه عنها الامام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه ــ قالت « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث قد درست ليس بينهما بينة ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ،

ولعل بعضكم ألحن - أقوى - بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار يأتي بها في عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما ، حقي لأخي - فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « أما إذا قلتما ذلك فاذهبا ، فاقتسما ثم توخيا الحق - ثم استهما « أي اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما » ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه » .

وهذا الخلق الذي ولده الاخاء قد شاع في الخاصة والعامة من أبناء الاسلام فطمس رسوم الاختلاف بينهم ومحا الأهواء والأغراض من نفوسهم ، حتى كان الواحد منهم إذا سمع صيحة من صيحات الحق انحاز إليه في جد وإخلاص ، فكان ذلك بلا ريب أروع منظر لسلطان الدين على النفوس ، رأى فيه المسلمون عزتهم ومنعتهم وسلطانهم وسيادتهم .

ويروي ابن كثير أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل ايليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة ، بذلك ، فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بألا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورءوس الامراء ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فهم أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة ، فكف أبو عبيدة فكف عمر .

وهكذا كان اللقاء بين الحاكم والمحكوم ، لم تفرق بينهما المناصب والولايات ، ولم تفصل بينهما حواجز الرياسة والامارة ، فالشريف والمشروف ، والحاكم والمحكوم بفضل الاخاء سواء .

وفي يوم اليرموك يروي ابن كثير أن المسلمين لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء ، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال ، ادفعها إليه فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوا كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها احد منهم .

ولما رأى أسقف دمشق أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي فدخل والاسقف معه ناشرا كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه ، فقال أبو عبيدة : أنه يجيز

على المسلمين أدناهم وأجاز صلحه وأمضاه .

فالمسلمون يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم .

وفي هذا يقول أبو عبيدة يسعى بذمتهم ادناهم : هو العهد الذي إذا اعطاه رجل من المسلمين احدا من اهل الشرك جاز على جميع المسلمين ، ليس لأحد منهم نقضه ولا رده ، حتى جاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في النساء .

فقد جاءت أم هانىء بنت أبي طالب يوم الفتح إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن رجل أجارته . فقال لها « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » . ابن هشام .

ويروي ابن هشام أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شهد أحدا مع الرسول قال « شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي ـ أو قال لي ـ : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جراحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

واذا كان الاخ يحمل اخاه حبا لله ولرسوله ، فان الابن قتل اباه يوم بدر وأتى برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله ولرسوله . حين بقى الاب على ضلاله وانهمك في طغيانه على المسلمين ، فلم يعطف الابن على أبيه رحمة ولا كف عنه شفقة وهو من أبر الابناء : تغليبا للدين على النسب ، ولطاعة الله على طاعة الأب ، وصاحب هذا الموقف هو أبو عبيدة صاحب المنزلة العالية والأثر المشهور في الاسلام ، وفيه أنزل الله تعالى :

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة/٢٢ .

ولما انتقلت إمرة الشام من خالد ابن الوليد إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد ان بويع عمر بن الخطاب بالخلافة تجلى الاخاء الاسلامي بروعته وجلاله في نفس القائدين العظيمين فأبو عبيدة يكتم الخبر خشية ان يؤثر ذلك في سير الحرب المستعرة ، حتى إذا فتحت دمشق وبعد عشرين يوما يخبر خالدا ، ويقول له « إني كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن أخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه » .

وإذا كان المسلمون في سلمهم على ما وصفتهم أم سلمة رضي الله عنها ، فانهم في حربهم مع بعضهم البعض التزموا مبادىء الفضائل الانسانية

العالية .

ومن أمثلة ذلك الحرب الانسانية الاولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربون معا على مبادىء الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعملوا بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين . وإن كثيرا من فقه الحرب في الاسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ولله في كل أمر حكمة ، ونعني بذلك ما وقع بين المسلمين في حرب صفين . فقد كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية فالتقوا في الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم ، قال الشعبي : هم أهل الجنة لقى بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد .

هذا هو الاخاء المؤزر بمنطق العقائد وبمثل أحد المواقف التي وقفها الاسلام من الانسان ، يشيع الرحمة والألفة والمودة والتساند والتكافل ويمحو الانانية والاثرة ، ويغرس في نفوس المسلمين الايثار والتضحية والرحمة .

لذلك كان الاخاء الاسلامي ركيزة قوية من الركائز التي عول عليها الاسلام شريعة من عند الله في بناء الدولة الاسلامية وفي ربط المجتمع برباط قوي على اختلاف طبقاته وأجناسه ، فشهدت البشرية أسعد مجتمع انساني رآه التاريخ ، تعامل فيه الولاة والرعية بالايثار . الحاكم فيه كولي اليتيم ان استغنى استعفف ، وإن جاع أكل بالمعروف والمحكومون مؤتلفون متفقون متحابون متوادون معتصمون بحبل الله جميعا ، يتحرون للحق ، ويذعنون للانصاف .

وكفى بالاخاء رفعة عند الله أن يكون هو المثل الأعلى لنعيم الأبرار في الآخرة **(ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)** الحجر/٤٧ كما هو المثل الاعلى للمجتمع الذي يريده الاسلام في الدنيا

(إنما المؤمنون أخوة)

.االحجرات/ ١٠

واذا كنت قد اشرت إلى واقع الاخاء في حياة المسلمين الأولى ، يوم أن كان الاسلام يسيطر على تصرفات المسلمين وينطبع به سلوكهم ، ويرفرف على اتجاهاتهم وميولهم ، فانه لا احد يستطيع ان يقول كلمة او حتى حرفا ، يحمد به الأخوة الاسلامية اليوم ، او يدعي ان لها بقية في واقع الحياة على الأرض الاسلامية ، أو أنها مرجع من المراجع التي تثير في النفوس الحمية كلما حزب المسلمين أمر ، أو نزلت بهم مصيبة ؛ أو حلت عليهم نقمة .

إنها لمأساة محزنة في كل جوانبها وظواهرها ان يبدو المسلمون اليوم وفي هذا الوقت بالذات ، وقد أصبحوا وليسوا حتى مجرد اصدقاء لبعض ، لقد كشفوا انفسهم بأكثر مما يستطيع الأخرون ان يكشفوهم به ،

وهزموا بعضهم بعضا بأكثر مما يستطيع الغير أن يهزمهم به ، والنتيجة معروفة ، إنها هزيمة لكل المسلمين في شتى أنحاء الأرض .

وقد ثبت ذلك على وجه القطع واليقين أمام الأزمات التي تواجه المسلمين اليوم بقسوة وعنف وفي مواجهتها ، فلم نشاهد حتى الآن من كثير من الدول الاسلامية أي تقدم لتكون الواحدة منها طرفا مباشرا فيما يدهم المسلمين من خطر ، أن تهدد بعضها ، فان البعض الآخر إن عاجلا أو آجلا سيصيبه نصيب موفور من هذا الخطر ، فقد اكتفت بعض الدول الاسلامية في مواجهتها لتلك الأزمات برنين الكلمات والدوران حول النفس ، كنوع من إبراء الذمة ، لا يحسب لها الأعداء أي حساب لأنها في الواقع كدخان في الهواء ، وكل دولة من تلك الدول المترددة المتخاذلة بتصرفاتها السلبية تتوهم انها تشتري امنها ، وهي في الواقع تبيع شرفها وكرامتها لأن العدو الخارج قد عاهد الشيطان على تمزيق شمل المسلمين وانتقاص أرض الاسلام ، إن لم يكن اليوم فان غدا لناظره قريب .

وإن كانت هناك صرخات من بعض الدول الاسلامية المخلصة تدعو إلى جمع الشمل وصرف القوى في مواجهة الأزمات ، فقد عودتنا الأيام انها صرخات في واد ، ليس لها من سامع ولا مجيب ، وتبقى بعد ذلك الدول المخلصة في مواجهة اعصار النيران ، محاصرة وسط الحريق ، وغيرها من الدول الاسلامية التي أوصدت أبوابها لا يسمع لها صوت ولا حس ولا نبض ولا همس ، إلا رنين الكلمات في بعض الأحيان ، وصمت القبور في اغلب الأحيان وهي تشهد وترى وتعاين قتل إرادة المسلمين على ايدي الاعداء الخارجين المخالفين .

إن موقف المسلمين اليوم كما هو ظاهر ملموس حقيقة يجب ان يتدبرها المخلصون من حكام المسلمين ، كما يجب ان يتدبرها باحتمالاتها المتوقعة في مجالها الواسع غدا كما يجب ان يتدبرها بعد رجعة إلى الوراء ليست بالبعيدة ، يرقبون تاريخهم وما حققه الاخاء الاسلامي في كل عصور التاريخ ولا زال الزمان يشير إليه بأصابع الأجيال ، وليعلم الجميع ان مسؤولية المسلمين اليوم هي امتداد لمسؤولية اسلافهم ، سيحاسبون عليها امام الله إن أفلتوا من حساب الدنيا .

إن الدول الاسلامية اليوم اصبحت لعبة يتسلى الطغاة بآلام تعذيبها ، ومن العار في الدنيا والأخرة ، ألا تمتد كل الأيدي المسلمة مجددة البيعة ، ومعاهدة الله ورسوله على مواجهة الطغيان العالمي ، وقتل النشوة الخسيسة في نفوس الطغاة ، والتصدي لتلك الجبلات الجاحدة الشريرة المجرمة اللئيمة ، ويقيني أن الأمم الاسلامية الجادة المخلصة لديها من قوة الروح وقوة المادة ما تستطيع به ان تواجه وتؤثر وتنتصر في مجال المعارك الطاحنة التي تدور الآن بين المسلمين وغير المسلمين ، بين

الخير والشر ، والحق والباطل والهدى والضلال ، والايمان والطغيان .

إن المعركـة الطاحنة التي تدور رحاها الآن في صميمها وجوهرها معركة بين المؤمنين وخصومهم ، إنها معركة عقيدة ، وليست شيئا آخر على الاطلاق ، إنها ليست معركة سياسية وليست معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئا من هذا لسهل وقفها ، ولتيسرت السيطرة عليها ، ومن هنا فان واجب المسلمين اليوم ألا يخدعهم أحد ، وألا يطمئنوا لأحد تحت ستار الصداقة ، او بدافع من المصلحة ، وما الحروب الصليبية واحداثها المروعة عنا ببعيدة ، إن الاستعمار الذي تلا الحروب الصليبية ، ونعيش مأساته اليوم ليس ولم يكـن إلا ستارا للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور .

وصدق الله العظيم :

(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) . البروج/٨

هل آن أن يدرك المسلمون طبيعة الصراع على مدى قرون بينهم وبين المخالفين ؟ انه صراع بين الايمان والطغيان ، بين الايمان الذي حمل امانته نبي الاسلام لا لشيء ، الا لتحرير الانسان عن طريق مخاطبة النفس البشرية والضمير الانساني في كل مكـان ، يهيب بهما رفض الخضوع لقيم الحياة المـادية والمعنوية ، ويحررهما من عبودية للعباد لتبقى العبودية لله وحده ، وهذا هو الخطر الداهم على الأنظمة البشرية ، وعلى العواهل والسادة المتحكمين في رقاب العباد .

وما أحرى المسلمين اليوم أن يمحصوا ويدبروا ويقرروا ويواجهوا ، ليفرضوا احترامهم إزاء أنفسهم أولا وإزاء المعاندين المكابرين ثانيا ، دون أن يحاولوا الهروب من تاريخهم وأمجادهم ، وإلا ضاع مستقبلهم ، مستقبلهم جميعا افرادا ودولا وجماعات ، لينتصروا على الخوف والألم كما انتصر اسلافهم عليهما ، فشرفوا الجنس البشري كله ، ولا زالت ذكراهم تتناقلها الأجيال .

اما من أصوات ترتفع اليوم ونحن على مفترق طريق وعرة شائكة ، تبصر المترددين بحقائق الأخوة الاسلامية وواجباتهم وحقوقها ؟ وتبين مدى عظم الجرم وفداحة الذنب امام الله الذي يمحق كل من يقصر أو يتهاون في الدعوة إليها وعدم القيام بمقتضياتها ؟

إن إدراك معنى الاخوة الاسلامية هو النبضة الأولى في عملية احياء القلوب المجدبة ، والنفوس المضطربة ، من أجل استمرار الحياة ، وعندئذ يكون من يساهم في عملية احياء الاخوة الاسلامية سواء كان حاكما أم محكـوما ، قد وفى بامانة الشكر والعرفان بالجميل لله ، ولن ينسى إذا عاش في ظل نظام اسلامي انه مدين لهذا الدين بوجوده الروحي ووجوده المادي ، وسيذكـر ذلك عندما يعرض على الله يوم الحساب ولعله يكون قريبا ، وينجو بسابق ما قدمه للاسلام والمسلمين .



المدن الإسلامية طابعها العسكري وهدفها الروحي

للاستاذ / محمد الحسيني عبد العزيز

سار العرب منذ صدر دولتهم الفتية أيام الخلفاء الراشدين على نهج تعمير المدن في الأمصار الاسلامية التي فتحت أبوابها للعرب المسلمين ليقيموا فيها ويؤسسوا ولاية ذات نظام سياسي وتشريع اقتصادي وعمراني

واجتماعي يتخذ من مبادئ الاسلام في الحكم والادارة نهجا ودستورا واشترط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ضرورة مطابقة مدن العرب مع طبيعة بيئتهم الأولى التي درجوا عليها وتعودوها .

تخطيط المدن

وكانت المعسكرات أو المدن التي انشئت كالبصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في تونس (المغرب الأوسط) وغيرها مسورة محصنة لتستطيع الدولة عن طريقها فرض سيطرتها واحكام قبضتها على الولايات ومواجهة أي تهديد خارجي قد يقوم به الأعداء ، ولتصبح مراكز متقدمة تنطلق منها الجيوش العربية في مراحل الفتح التالية بعد أن بعدت الشقة بين حاضرة الدولة الاسلامية في المدينة المنورة وبين حواضر الولايات الاسلامية كما يتضح ذلك من رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى واليه عتبة بن غزوان والي البصرة . « ارجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها . »

المدن والخطط الحربية

وقد اصبحت الكوفة قاعدة لانطلاق الجيش العربي الاسلامي لفتح بلاد الفرس وادخالها إلى حظيرة الاسلام ودولته الصاعدة .

ويلاحظ في تخطيط المدن وتصميمها أن تلائم متطلبات العرب فقد شيدت المدن العربية (الكوفة والبصرة بالعراق والفسطاط بمصر والقيروان بتونس) على مشارف الصحراء في بيئة تشبه إلى حد بعيد طبيعة المناطق المفتوحة في البادية التي يحبها ويولع بها العرب والتي اعتادوا عليها لجفاف هوائها وسطحها المستوي الذي يناسب الطبيعة العربية ويضمن لهم سهولة السير فيها وتتيح لهم فرصة التفوق في العمليات الحربية التي كانت تعتمد أساسا على الكر والفر وعلى استخدام الحصان في القتال كعنصر أساسي معاون للجند العرب فالجندي لا بد أن يعتمد على شجاعته وعلى ما لديه من عدة تطبيقا لقوله عز وجل « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ..** »

كما أوصى عمر بن الخطاب قائده المثنى بن حارثة الشيباني ألا يقاتل الفرس إذا استجمعوا أمرهم في عقر دارهم ، ولكن عليه أن يلقاهم على حدود أرضهم ، عل أدنى حجر من أرض العرب (على الحدود) وأدنى قدرة من ارض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم وراءهم وان تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

وانظر إلى وصية عمر لقائده قبيل قتاله مع الفرس « واذا انتهيت إلى

القادسية ، والقادسية باب فارس والجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغيب خصيب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدن على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحها فانهم اذا احسوك أنفصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وحيرهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى ادنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرا وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجمل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . »

ونجحت خطة الخليفة عمر وانتصر سعد على قائد الفرس رستم وقتله وكتب الى عمر يقول« أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد . .

ونجح عمرو بن العاص قائد العرب أن يستدرج الروم من حصن بابليون الى الخارج بعيدا عن الحصن ليقاتلهم وجها لوجه في الأرض الصحراوية وكان القائد العربي قد أعد كمينين في الصحراء وبدأ هو يقاتل على راس القوة الرئيسية التي تهاجم من الأمام بينما تختبئ قوات خارجة بن حذافة خلف تلال المقطم وتختبئ القوة الثالثة في قرية أم دنين ، واعتقد الروم أنها فرصة ليقضوا على القوة العربية التي يرأسها عمرو بن العاص وما لبث ابن حذافة ان خرج برجاله وهجم على مؤخرة الروم فلما تحولوا نحو الغرب فاجأهم الكمين الثالث المختبئ في قرية أم دنين ونجحت خطة عمرو الحربية التي اثبتت براعة ومهارة .

الهجرة العربية الى الأمصار

فتحت المدن التي أنشئت في الولايات أبوابها وصدرها لاستقبال العرب من أسر الجنود وهكذا توافدت بطون من القبائل بابنائها ونسائها الى البلاد المفتوحة (تقتصر مهمة الجند على القتال)

وقد ضمت أحياء مدينة الفسطاط خططا من قبائل متعددة ومن اهم خططها

أ ـ خطة اهل الراية من قبائل قريش وخزاعة والانصار

ب ـ خطة تجيب التي سكنت شرقي الفسطاط

جـ ـ خطة مهرة الاولى على جبل يشكر ، وخطة مهرة الثانية جنوب شرق اهل الراية .

ثم امتزج العرب بأهل البلاد في

مصر وكذلك في الكوفة والبصرة بالعراق وفي القيروان بتونس وبمرور الزمن لم تقتصر المدينة على الجنود بل اتسعت وزاد عمرانها وشارك الفاتحون واهل البلاد في سكنى البلاد واختلط الجميع بالمصاهرة والامتزاج وبعدها غدت المدن عامرة مزدهرة بالعرب وغيرهم مما كان له أثر كبير في التقدم الفكري والعلمي .

المسجد ومكانته الروحية في المدينة

شيد عمرو بن العاص في قلب الفسطاط مسجده ليكون مركز الجماعة الديني يقيم فيه المسلمون شعائرهم الدينية ويستمعون الى شرح الأئمة من الصحابة وكبار التابعين الذين ذهبوا الى الأمصار ليعلموا الناس أمور دينهم ويشرحوا لهم الآيات الكريمة ونصوصها ، وعلى نفس المثال قام المسلمون في البصرة ببناء مسجد لهم للجماعة وكذلك الحال في الكوفة وغيرها .

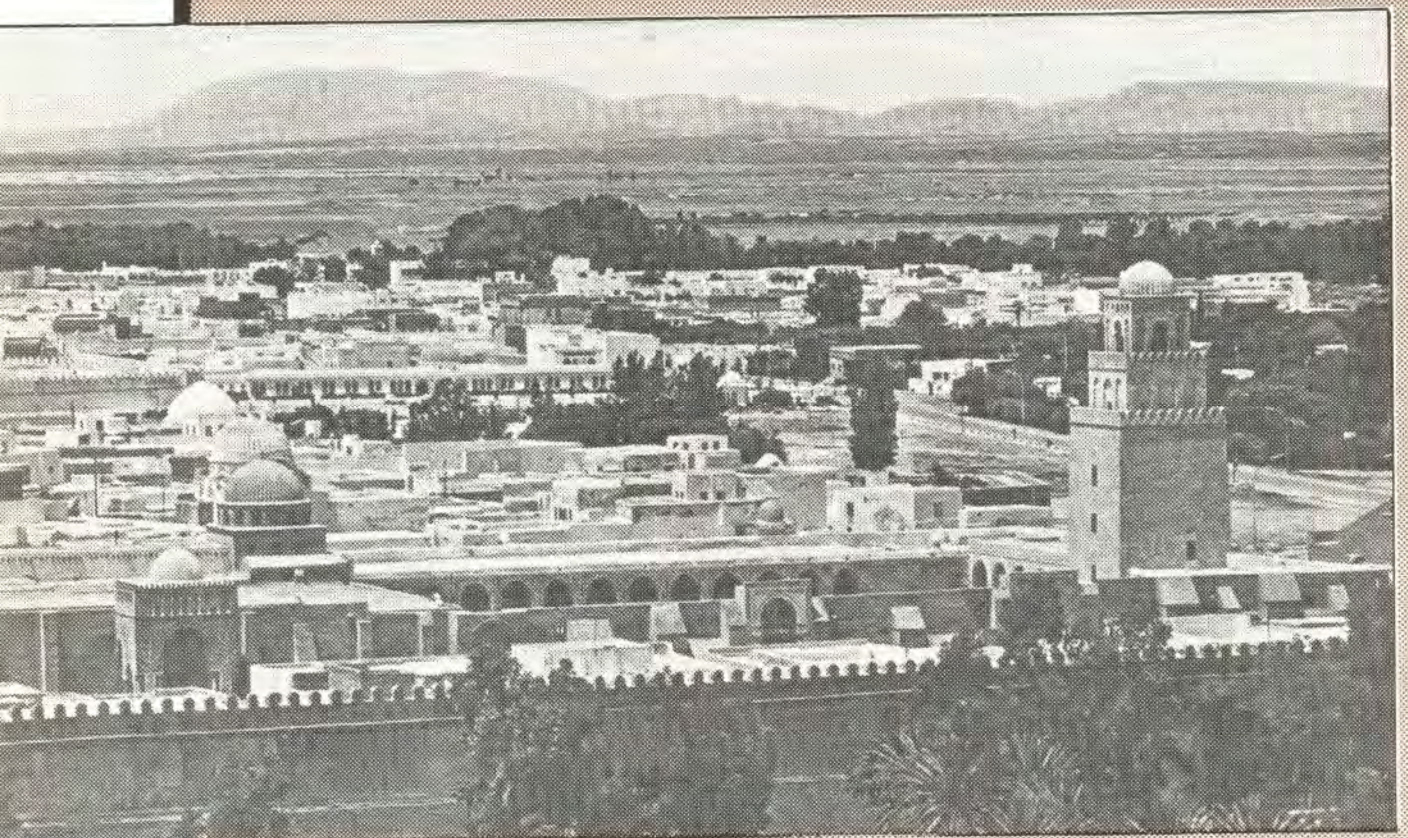
وفي المساجد كانت تتلى أوامر الخليفة ويعلن فيه للجهاد وتقام الندوات الدينية والسياسية وتعقد المناقشات العلمية والفكرية ويعقد القاضي مجلسه للحكم والفصل بين المتنازعين طبقا للنصوص الشرعية .

وهكذا كانت المساجد مراكز تهفو اليها قلوب المؤمنين وتصفو اليها النفوس حبا وقربا الى الله السميع المجيب ففيه تؤدى الفريضة احد اركان الاسلام وينادى فيه للجهاد الذي يدعو إليه كتاب الله ويقضي بالأحكام القرآنية التي لا يأتيها الباطل فهي آيات السماء لاصلاح أهل الارض .

أسوار المدن وتحصيناتها

وكانت مدن الاسلام الاولى ذات مواقع استراتيجية من حيث الموقع في الصحراء التي يتسنى للعرب فيها فرصة النصر عن طريق عملياتها الحربية من الكر والفر فلما تبدل الزمن اقتضى الأمر بناء تحصينات وأسوار للمدن الجديدة في العصر العباسي كما حدث في بغداد وكما حدث بالنسبة للمهدية في المغرب والقاهرة في مصر .

وأسوار بغداد صممت لتحمي المدينة من أي غزو خارجي فكان يحيطها سوران السور الأول خارجي منخفض عن السور الداخلي وارتفاع السور الاول ثلاثين ذراعا وليس له ابراج أما السور الداخلي فعرضه من اسفل خمسون ذراعا ويتناقص عند القمة الى عشرين ذراعا وسبب انخفاض السور الخارجي عن الداخلي هو خطة عسكرية تجعل المهاجمين تحت رحمة المدافعين ، هذا فضلا عن المداخل المنكسرة في الابواب التي تعرض العدو للقتل عندما يحاول اجتياز المدخل وينعطف يسارا فينكشف ذراعه الأيمن وتلاصق ذراعه اليسرى التي تحمل الدرع



مدينة القيروان

الجدار فيصاب بسهام المدافعين .

ولم يقتصر الأمر على الاسوار بل كان يحيط بالمدينة خارج الاسوار خندق يملأ بالمياه لحمايتها وفوق الخندق جسور اربع كل منها عند احد ابواب المدينة الاربعة (باب خراسان وباب البصرة وباب الكوفة وباب الشام) .

وبالنسبة للقاهرة المعزية اقيمت حولها أول الأمر أسوار بنيت من الطين ثم استبدلت بعد تجديدها بالحجارة في عهد بدر الجمالي الذي استدعي ايام الخليفة المستنصر وكان سور القاهرة مزودا بالابراج وبالداخل التي يصب منها الزيت المغلي على المهاجمين بالاضافة الى الفتحات التي تقذف منها السهام على المهاجمين .

هذه صورة موجزة عن المدن الاسلامية بتخطيطها وطريقة بنائها وموقعها الاستراتيجي الذي يتفق مع الطبيعة العربية ثم حصنت بالأسوار لحمايتها وشيد في مركزها المسجد المكان الروحي الذي يجتمع فيه المؤمنون لأداء الفريضة ودراسة أمور الدين والعلم الذي جعل المدينة الاسلامية تجمع بين الاستراتيجية العسكرية في التصميم وبين الهدف الديني والعلمي الذي يوفر لأهل المدينة الحياة الفكرية والدينية التي يريدها لها بناة المدينة من الخلفاء لتصبح مركزا للمعرفة ومنبعا للحضارة الاسلامية .

مرحلة المراهقة في التربية الإسلامية



اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

أتاحت لي ظروف خدمتي أن أتولى قيادة معهد عسكري يلحق به الطلاب وهم في سن الثالثة عشرة او الرابعة عشرة في المتوسط، ويقضون فيه ثلاثة أعوام مقيمين إقامة داخلية ولا يعودون الى بيوتهم الا في عطلة نهاية الاسبوع وفي نهاية كل عام دراسي .. فكانت تلك فرصة فريدة لكي اقترب بالملاحظة والدرس من مرحلة من أخطر مراحل عمر الانسان هي مرحلة المراهقة وقد خرجت من ذلك بحصيلة من المعرفة والتجربة لعل اهمها ان منهج الاسلام في التربية السلوكية هو على وجه التأكيد افضل مناهج التربية على الاطلاق. وتلك نتيجة لا اشك في انها تثلج صدر كل مسلم غيور على دينه في هذا العصر الذي تتعرض فيه أمتنا لمحاولات قطعها عن اصول دينها وفرض التبعية عليها في كل مجالات الحياة بدعوى المدنية والتطور.

وإني حين أعرض هذه الدراسة في إيجاز لأدعو كل المسؤولين عن تربية شباب هذه الأمة أن يلتمسوا من تعاليم الاسلام ما يضيء لهم الطريق الى اداء مهمتهم السامية على خير وجه، فيصنعون شبابا تعز بهم الامة وتسود، وينطبق عليهم وصف الفتية الذين ذكر الله شأنهم في سورة الكهف تقديرا لصلابتهم في الحق واستمساكهم بالعقيدة والمبدأ حيث قال تعالى :

(إنهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى) .الكهف/١٣

معنى المراهقة ولماذا هي اخطر مراحل العمر ؟

إن المعنى العلمي للفظ المراهقة هو « التدرج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي » ، والمراهقة بمعنى آخر هي المعبر بين « الطفولة »و« النضج » واذا كان الوضع هو « ولادة » الطفل ، فان المراهقة هي « ولادة » الرجل او المرأة .. واذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ، فان ولادة الرجل تستغرق سنين .

وهكذا فالمراهقة ميلاد جديد للرجولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وتتفق الدراسات النفسية في أن الفترة بين سن العاشرة وسن العشرين هي الوقت الذي تحدث فيه « اليقظة الدينية » في الاغلب ، فلقد اثبت العالم « كووجس » بعد دراسة ١٧٨٤ حالة ان العمر الذي تحدث فيه ظاهرة التحول الديني الحق هو سن السادسة عشرة ، وقام العالم « استانلي هول » بدراسة اكثر من اربعة آلاف حالة ، وانتهى الى ما انتهى اليه سابقه .. وفي مرحلة المراهقة بالذات ، يتعرض الشباب ـ اكثر من أية مرحلة اخرى من مراحل عمره ـ للانحراف ليس فقط في اتجاهاته الدينية بل في اتجاهاته الفكرية والسلوكية ايضا ، فنرى منهم من يقع بسهولة في براثن المفسدين والمضللين ودعاة الاستعمار الفكري الذين يسعون الى تحطيم عقائد الشباب ، وزعزعة ايمانهم ، وتقويض دعائم بنيانهم العقلي والنفسي والاجتماعي .

والواقع ان الدراسات النفسية والاجتماعية تفسر لنا تلك الظاهرة بكل وضوح ، ولعل اهم ما نلفت اليه النظر في هذا المجال هو ان أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية يبنون مخططاتهم بكل احكام على تلك الدراسات النفسية والاجتماعية :

● فهم اولا على علم تام بخصائص وسمات مراحل النمو والنضج في حياة الانسان ، ومنها يدركون ان مرحلة المراهقة هي أنسب تلك المراحل لتحقيق أغراضهم .

● وهم ثانيا على علم تام بالاتجاهات النفسية ويعرفون كيف تتكون ومتى ..

● وهم ثالثا على علم تام وخبرة واسعة بأساليب الدعاية والاعلام والحرب النفسية ومختلف وسائل التأثير على العقول والعواطف والاتجاهات .

ولذلك نراهم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي ، تلك المعاني التي تصادف هوى لدى المراهق على الاخص وتتفق تماما مع « حاجاته النفسية » لتأكيد ذاته ، فنراه ـ لأن نضجه العقلي والنفسي لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

إنما تنجح المقالة في المرء — اذا صادفت هوى في الفؤاد

السبيل الى التربية القويمة للمراهق

وتقتضي التربية القويمة للمراهق دراسة واعية لخصائص مرحلة المراهقة وسماتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، والتعرف على أسباب مشكلات المراهق الانفعالية لكي يصبح المربي على بينة من الطابع العام لميوله وغرائزه ودوافع سلوكه ، فهذا هو المدخل العلمي لاختيار اسلوب التربية المناسب الذي يعاون المراهق كما يعاون ابويه والقائمين على تربيته على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام ، ولقد اوصى عقبة بن ابي سفيان مؤدب ولده فقال : « كن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يعجل بالدواء ، حتى يعرف الداء » .

واذا عرفنا ان مرحلة المراهقة هي مرحلة التكوين الحقيقي للاتجاهات النفسية أدركنا ان المراهق لو ترك وشأنه في تلك المرحلة الحرجة والخطيرة ، فسوف يكون وحيدا في مهب الرياح والعواصف الهوجاء التي تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكري وديني فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والافكار الضالة التي لا يكاد عقله الناشيء يتلقاها حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

التحديات التي تواجه المربين والدعاة

واهم ما يتعين على المربين والدعاة ان يضعوه في اعتبارهم وهم يخططون لتلك المهمة العظمى هو ان يدركوا بكل الوعي والفهم انهم لا يواجهون فقط تحدي خصائص المراهقة بقوة غرائزها وعنادها والميل الى مقاومة توجيه الاباء والمربين والنزعة الاستقلالية والميل الى المناقشة والجدل وخاصة في مسائل الدين الى حد الشك ، بل عليهم ان يدركوا انهم يواجهون ايضا تحديا آخر هو جهد اعداء الدين والأمة لمحاولة جذب المراهق بعيدا عن الدين والقيم والاخلاق الفاضلة مستخدمين من أساليب التشويق ما يسحر ألباب تلك البراعم البشرية الغضة ، ويزين لها طريق الغواية والانحراف . وعملا بمبدأ « الوقاية خير من العلاج » فانه يتحتم على الآباء والمربين والدعاة ان يدركوا ان تلك المرحلة من العمر هي الاوان المناسب لجهدهم الواعي المكثف والعمل الموصول للتربية الدينية والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى شبابنا ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله .

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « الزموا اولادكم واحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه فان من شب على شيء شاب عليه ، ونفس المراهق تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر ، وتنطبع فيها الاخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الاخلاق السيئة ، فاذا وجد في هذه المرحلة الحرجة من يحكم

تربيته ، ويحسن تأديبه ، ويسلك به سبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال ، شب حسن الاخلاق طيب النفس متعلقا بآداب الفضيلة ، متمسكا بحبل الهدى والرشد ، مترفعا عن الرذائل والخطايا ويعتصم بالله (**ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم**) . آل عمران/١٠١

واذا كانت الدراسات النفسية والاجتماعية لا تخفي كما قدمنا على اعداء الدين والامة والحضارة الاسلامية ، فنراهم يتصيدون الشباب في هذه السن بالذات بتخطيط محكم مدروس لتحقيق اغراضهم ، فان على المربين والمصلحين الغيورين على دينهم وامتهم وعلى شبابها عدة المستقبل ـ من باب اولى ـ ان يكونوا مستعدين بالخطط الوقائية الرشيدة التي تحمي شبابنا وعقائدنا وتفوت على الاعداء غرضهم ، فذلك من الزم الواجبات التي لا يصح اصلا التهاون فيها لشدة خطرها وعظم مسؤوليتها قال تعالى :

(**يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) . التحريم/٦

منهج الاسلام

ولقد رسم الاسلام الطريق الصحيح لبناء الانسان صحيح النفس والعقل والجسم ، بحيث يصبح لبنة قوية متماسكة وعنصرا ايجابيا صالحا في مجتمعه الكبير ، كما رسم الطريق الصحيح لبناء المجتمع الانساني الفاضل الذي يشكل البيئة الصالحة لبناء الانسان بالتنشئة السليمة والتربية القويمة ، ويتيح له اظهار طاقاته المدخرة فيه .

لقد وضع هذا المنهج التربوي الشامل موضع التطبيق منذ اربعة عشر قرنا وأثبت نجاحه التام في المراحل التي كان تطبيقه فيها سليما ومحكما ، وظهرت آثار هذا النجاح في قوة بناء المجتمع الاسلامي من جهة ، وفي ازدهاره وتقدمه من جهة اخرى ، وأثبتت التجارب ان المسلمين لم يقصروا عن بلوغ هذا النجاح في مراحل من تاريخهم الا لاهمالهم بعض الجوانب الاساسية من هذا النظام في اساليب حياتهم وتربية شبابهم .

خصائص المراهقة

ومن المفيد ان نتناول خصائص مرحلة المراهقة بالتحليل باعتبارها التحدي الاول الذي يواجه المربين والدعاة ، وقد رأينا ان يكون تحليلنا موضحا لما بين بداية المراهقة ونهايتها من فوارق ، يلزم ان نكون جميعا على علم بها لاهميتها . وقد اتفق علماء النفس على ان المراهقة المبكرة تمتد من سن الثالثة عشرة الى السادسة

عشرة وان المراهقة المتأخرة تمتد من السابعة عشر الى الحادية والعشرين ، وسوف نتناول كلا منهما من حيث الخصائص الجسمية والعقلية والثقافية والنفسية والاجتماعية بايجاز .

اولا ـ المراهقة المبكرة (١٣ ـ ١٦ سنة)

١ ـ السمات الجسمية

● نمو جسمي سريع لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية .
● نمو عضلي وعظمي سريع لكن النمو العظمي يكون اسرع من العضلي . فتطول الذراعان مثلا دون ان تنمو عضلاتهما نموا مناسبا ، ويسبب ذلك ميلا نحو الخمول والكسل والتراخي وعدم دقة الحركات .
● في نهاية المرحلة تكتمل مرحلة البلوغ وغالبا ما يبدأ التغير في الصوت بين نغمات حادة دقيقة وبين نغمات ضخمة خشنة تؤدي غالبا الى الاحساس بالخجل .
● زيادة نشاط الغدد النخامية والتناسلية مما يحدث تغيرا في شكل الاعضاء التناسلية يصاحبه تيقظ الاهتمامات الجنسية ، ومزاولة العادة السرية في اغلب الحالات .
● يبدو الاهتمام الشديد بالجسم مع القلق للتغيرات المفاجئة في النمو الجسمي
● زيادة الشهية للطعام ، والرغبة في الراحة والنوم .
● تقترب حالة المراهق الصحية العا مة من حالة المرض مع تعرضه للاصابة بفقر الدم (الانيميا) وتقل مقاومته للامراض .

٢ ـ السمات العقلية والثقافية

● تبدأ الفروق الفردية في النواحي العقلية تتضح وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق في الظهور .
● يصبح المراهق قادرا على تركيز الانتباه في المحاضرات والاحاديث الطويلة ، وخاصة اذا اتفقت مع ميوله ورغباته .
● يبدأ شغفه بالعلوم وخاصة تلك المتصلة بالبحر والجو ، وكذا يبدأ ميله الى الرحلات والتجوال بهدف اكتساب المعارف الجديدة وزيادة خبراته .
● يبدأ في البحث في مسائل الدين والعقائد التي كان من قبل يتقبلها عن طريق الانطباع او التقليد .

٣ ـ السمات النفسية والاجتماعية

● يبدأ المراهق في التخلص من الانانية (التي تعد من خصائص مرحلة الطفولة)

وينمو لديه الاحساس بالرابطة والولاء للجماعة ، ويصل هذا الولاء احيانا كثيرة الى حد التعصب الاعمى .
● يتصف المراهق بالخجل نتيجة للتغيرات المفاجئة ، ويميل الى التردد لعدم ثقته في نفسه ، وعدم فهمه لطبيعة تلك التغيرات ومداها .
● ينزع الى التذمر والى الانسحاب من سلطة الابوين الى سلطة الجماعة ، وقد يصل به ذلك الى حد الثورة والتمرد .
● يميل الى اختيار اصدقائه بنفسه ، ويرفض ان تفرض الاسرة عليه الاصدقاء .
● تبدأ مرحلة من الاضطراب الانفعالي ، ومن الحساسية الشديدة للنقد ، ويزيد لديه الاعتزاز بالنفس .
● يهتم المراهق بمظهره ويميل الى لفت الانظار اليه (مثل لبس الملابس الملونة) .
● يتميز النمو الوجداني بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا .
● يميل الى مشاركة الكبار العابهم وتقليدهم ، ويتقلب في تصرفاته بين سلوك الكبار والصغار .
● تبدو انفعالاته عنيفة مع عجزه عن التحكم فيها ويثور لاتفه الاسباب .
● بعض المراهقين يتعرضون لليأس والحزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التي تحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم ، وقد يؤدي بهم ذلك الى التفكير في الانتحار .
● تتكون لدى المراهق بعض العواطف الشخصية نتيجة لنمو الذات .

ثانيا المراهقة المتأخرة (١٧ ـ ٢١)

١ ـ السمات الجسمية

● يحدث استقرار في النمو الجسمي من حيث الحجم والوزن ، يصاحبه بعض النمو في العضلات والصدر والكتفين ، ويصل المراهق الى النضج البدني تقريبا ويتحسن التوافق العضلي العصبي (كالسيطرة على الحركات والتحكم فيها) .
● يميل المراهق الى الحركة والنشاط بأكثر مما يملك من طاقة ، فهو مثلا يرهق نفسه بالتمرينات البدنية ، حتى يقوي عضلاته ، دون النظر الى حدود قدرته وطاقته .
● يسعى الى اكتساب الرشاقة بالتدرب على انواع الرياضة الفردية التي تؤدي اليها .
● تنضج لدى المراهق نزعات الرجولة ، ويصل الى النضج الجنسي .

٢ ـ السمات العقلية والثقافية

● يكتمل نضج القدرات العقلية المختلفة وتنضج الفروق الفردية .

● يتميز المراهق بالطابع الخيالي ، ويتجه الى الفنون الجميلة ، والقراءة التي تساعد على صقل خياله .
● تنطلق احلام اليقظة كوسيلة لارضاء النفس وكمتنفس لطموحه وآماله (سوف نتناولها فيما بعد) .
● يميل المراهق الى دراسة الاجهزة وفك اجزائها وتركيبها .
● يفضل المراهق التذكر المبني على الفهم ويكره اسلوب الحفظ .
● يبدأ اهتمامه بالتخصص العلمي او المهني ويزيد تفكيره في امر العمل والمستقبل .
● يهتم ببحث قضايا الدين والفلسفة ، وبالكشف عن الاسباب والمسببات مما قد يصل الى مستوى الشك .
● تزيد رغبته في المناقشة والجدل .
● قراءاته المفضلة قصص المغامرات والمخترعات والقصص الغرامية والقصص البوليسية والغامضة ، والصحف والمجلات مع الميل الى اخبار الرياضة والجريمة .

٣ - السمات النفسية والاجتماعية

● يتحول المراهق من الاعتماد على الغير الى الاعتماد على النفس .
● يميل الى النقد والى تغيير الاوضاع ويبدي مقترحات عملية للاصلاح .
● يميل الى مقاومة السلطة والاحتجاج والغضب والتمرد والثورة ضد الاسرة والمدرسة .

● تزيد رغبته في مشاركة افراد الجماعة من اصدقائه ، وتبادل الحديث معهم خاصة ما يتعلق بأخبار الرياضة والجنس والملبس ، ويزيد شعوره بالمسؤولية نحو الجماعة .
● يزيد ميله نحو اختيار الأصدقاء بنفسه ، ويتأثر بهم من الناحية الخلقية ، مع الرغبة في التحرر والانطلاق .
● يميل افراد كل جنس الى الجنس الآخر ، ويزيد الاهتمام بالسلوك في مواجهة الجنس الآخر .
● يزيد اهتمام المراهق بالمظهر والتأنق في الملبس وخاصة ما يلفت النظر منه .
● يزيد ميله الى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال والى الحفلات الجماعية والالعاب المشتركة (وخاصة تلك التي يشترك فيها الجنسان) .
● تتجه عواطفه نحو المعاني والاشياء الجميلة .
● يميل الى الزعامة والقيادة .

هذا عرض موجز لخصائص المراهقة الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية في بدايتها وعند نهايتها ومنه تستبين أبعاد اول التحديات التي تواجه المربين والدعاة ، ويبقى ان نتناول ثاني هذه التحديات وهو مشكلات المراهقين الانفعالية واسبابها ..

مشكلات المراهق الانفعالية

ومن الزم الامور للآباء والمربين والدعاة أن يتفهموا الاسباب الكامنة وراء مشكلات المراهق الانفعالية ، فان الجهل بهذه الاسباب او اهمال النظر اليها يؤدي الى عواقب وخيمة لعل من ابرزها حدوث « التصادم » بين المراهق وبين القائمين على تربيته او توجيهه ، وهو الامر الذي يجب تفاديه والحرص على منعه بكل اصرار .

١ ـ العجز عن التكيف مع البيئة

وأول اسباب حساسية المراهق الانفعالية واضطرابه الانفعالي هو عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها ، اذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا ان الطريقة التي يعامل بها لا تتناسب مع ما وصل اليه من نضج وما طرأ عليه من تغير .

● فالبيئة الخارجية التي تتمثل في الاسرة والمدرسة والمجتمع لا تعترف بما طرأ عليه من نضج او لا تقيم له وزنا ، ولا تقرر رجولته وحقوقه كفرد له ذات مستقلة .

● ويفسر المراهق كل مساعدة يقدمها له ابواه على انها تدخل في شؤونه فيعترض على ذلك ، ويظهر اعتراضه في صور عدة كالعناد والسلبية وعدم الاستقرار أو اللجوء الى بيئات اخرى يجد عندها متنفسا للتعبير عن حريته المكبوتة .

٢ ـ مطالبته بسلوك ينم عن النضج

ومما يتسبب في اضطراب المراهق الانفعالي انه في الوقت الذي لا يعترف فيه ابواه بما وصل اليه من نضج ، يراهم ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج ، الامر الذي يسبب له حيرة واضطرابا .. والسر في ذلك ان ما يطرأ عليه من نمو في الجسم « يخدع » ابويه فيجعلهما يتوقعان منه نضوجا في سلوكه الفعلي والاجتماعي . ولما كان النضج الجسمي في مرحلة المراهقة يتم بسرعة في عامين او ثلاثة ـ كما بينا ـ فان هذه الفترة تعد غير كافية لتحقيق نضج المراهقين من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على اجسامهم من نمو سريع ، ونتيجة لذلك قد يقوم المراهق ببعض التصرفات

الصبيانية وهذا أمر طبيعي ، لكن الكبار لا يرحمونه فيستنكرون تلك التصرفات مما يشعره بخيبة الامل وعدم الامن .

اضف الى ذلك ان الاسرة تطالبه بتحمل بعض المسؤوليات التي لا تتفق مع قدراته ومستوى نموه ، فهو لم يعد في نظرها طفلا تجاب كل مطالبه دون تحمل للمسؤوليات ، وهكذا يجد نفسه مطالبا أمامها بأن يعتمد على نفسه في وقت تعجز فيه قدراته عن تحقيق هذا المطلب .

٣ ـ شعوره بعدم الاستقلال والتحرر

ويلاحظ المراهق ان هناك قيودا تفرضها عليه الاسرة والمدرسة وتحول بينه وبين ما يتطلع اليه من استغلال وتحرر ، لذلك نراه يعتبر كل شيء في المنزل او المدرسة مصدر ضيق له ويثور على كل ما يوجه اليه من نصح ويعتبر هذا النصح اعتراضا على حريته واستقلاله ، فيميل دائما الى التمرد وتحدي الاراء والاوضاع القائمة .

٤ ـ العجز المالي

ومن بين الاسباب التي تعمل على اضطراب المراهق وعدم استقراره الانفعالي عجزه المالي الذي يقف دون تحقيق رغباته ، فقد يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة وهو في الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم او المشاركة في مسراتهم ، وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة .

٥ ـ الدافع الجنسي

وليست العقبات المالية قاصرة على مشاركة رفاقه في مسراتهم ، بل انه فوق ذلك يشعر انه قد اكتمل من الناحية الجنسية ، وانه يريد ان يعبر عن تلك الدوافع الجامحة في نفسه بالزواج ، غير انه يصطدم بالواقع ، فالقصور في الموارد المادية يقف هو وغيره من العوامل الاخرى بينه وبين ما ينشد من استقلال ومن التعبير عن دوافعه الطبيعية ، وهنا تزيد حدة التوتر الانفعالي ، اللهم الا اذا وجد بديلا يعبر به عن الدافع الجنسي القوي ، ويكون الاحتلام من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا الدافع ، وعلى الرغم من ان هذه عملية طبيعية ، الا انها تسبب ضيقا لدى الكثير من الفتيان المراهقين اذ يعتبرونها خطيئة ، ويزيد الطين بلة ان بعض الآباء لا يترفقون بأبنائهم نتيجة لسوء التقدير والفهم ، وهكذا يصبح الامر الطبيعي مصدرا للقلق والصراع العقلي ، قد يسبب في بعض الاحيان شقاء يستمر

مدى الحياة .

وما يقال عن الاحتلام يقال ايضا عن العادة السرية ، اذ يحدث الصراع العقلي بسبب ممارستها وخاصة اذا تمكنت من المراهق بدرجة زائدة عن الحد ، كما يزيد هذا الصراع اذا تعرض المراهق للوم او التقريع مما يضاعف شعوره بالخطيئة والخوف .

احلام اليقظة

اما احلام اليقظة فهي ظاهرة عقلية في حياة الانسان ، غير انها تكون واضحة في مرحلة المراهقة ، وهي وسيلة يعبر بها المراهقون عن ميولهم ورغباتهم عن طريق الخيال . وهي تنقسم الى طائفتين : الاولى احلام تدل على الشعور بالقوة والعظمة والسيادة ، كأن يتخيل المراهق نفسه بطلا قوي الجسم مفتول العضلات رأى فتاة تغرق في البحر ولا تجد فيمن حولها من يجسر على انقاذها فتأخذه الحمية ، فيقفز الى الماء معرضا نفسه للخطر وينقذها ، فهذا النوع من احلام اليقظة يجد فيه المراهق كثيرا من التعويض عما يشعر به من عجز في قدراته . اما الطائفة الثانية : من هذه الاحلام فتعبر عن الشعور بالنقص وهي ضرب من « حب التألم » (اوما يسمى بالماسوشية) ، وتلجأ الفتيات المراهقات الى هذا النوع من احلام اليقظة عادة في حالات القنوط واليأس الشديد فتتخيل الفتاة نفسها في مواقف تسبب لها الآلام والتعذيب ، وهي تجد في ذلك لونا من الراحة النفسية شأنها في ذلك شأن من يبكي عند مشاهدة مسرحية حزينة اذ يجد في البكاء راحة للنفس .

وما يعنينا في احلام اليقظة هو انها سلاح ذو حدين ، فكما انها تحفز همة المراهق وتدفعه الى العمل لتحقيق ما يفكر فيه في عالم الخيال ، وتكون وسيلة لتوجيه قدراته على الابتكار والابداع وتنميتها ، الا انها في الوقت نفسه تعتبر مضيعة لوقته الذي يمكن ان يستغله فيما ينمي ميوله من عمل ونشاط . ثم ان بعض المراهقين ـ وهنا موطن الخطر ـ يجدون اشباعا لحاجاتهم في خيالهم ، ومن ثم لا يبذلون الا جهدا قليلا لتحقيق النجاح الواقعي في حياتهم .

الاتجاهات النفسية

وقد ثبت علميا ان مرحلة المراهقة هي المرحلة التي تتكون فيها الاتجاهات النفسية بصورة حقيقية لها اثرها وفعاليتها .

ويعرفها علماء النفس بانها هي « ميل عام مكتسب وثابت نسبيا يؤثر في دوافع الفرد ويوجه سلوكه » ، كالميل الى اشياء او موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها او يرحب بها او يعرض عنها او يرفضها ، « واتجاه التدين » من امثلة الاتجاهات النفسية .

وبمعنى آخر فان الاتجاهات النفسية تمثل مجموعة المعتقدات والمشاعر والميول السلوكية التي يحملها الفرد تجاه موضوع معين ، وبذلك فان السلوك الاجتماعي للانسان في كافة مظاهره واشكاله يتأثر ويتحدد بمجموعة اتجاهاته .

ويرى علماء النفس ان الاتجاه النفسي يتكون من عناصر ثلاثة هي :

العنصر الفكري او العقيدة ـ العنصر العاطفي او المشاعر ـ الميل للتصرف والسلوك بشكل معين .

ومن اهم ما ينبغي ان يعرفه المربون والدعاة هو كيف تتكون الاتجاهات النفسية ، والواقع ان هناك طرقا كثيرة لتكوينها نذكر منها ما يلي :

١ ـ التقليد والمحاكاة او تقبل المعايير الاجتماعية وغيرها دون نقد او مناقشة ويكون ذلك عن طريق الايحاء ، وتتجلى هذه الطريقة في مرحلة الطفولة بدرجة كبيرة ، فالطفل يكتسب اغلب اتجاهاته (ومنها اتجاه التدين كما ذكرنا) عن طريق الاسرة التي نشأ فيها هكذا تتضح اهمية الدور الذي تؤديه الاسرة في تنشئة الانسان وتكوين شخصيته .

٢ ـ الانفعالات « الحادة » ولها اثر قوي في تكوين الاتجاهات ، فاسلوب التربية الخاطىء (الذي يقوم على العنف مثلا) قد يؤدي الى تعريض المراهقين لخبرات انفعالية حادة تحوله عن اتجاه التدين .

٣ ـ وتتكون الاتجاهات وتتشكل طبقا « للمعلومات » التي تتوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة (كالدين مثلا) .

٤ ـ وتتكون ايضا في اثناء محاولة الفرد اشباع حاجاته المختلفة .

٥ ـ وتتأثر اتجاهات الفرد بطبيعة الجماعات التي يتفاعل معها مثل الاسرة وجماعات الاصدقاء وجماعة العمل .

ومن ذلك يتضح ان الطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة كالتربية الدينية لا يتم اساسا من خلال النصح والارشاد وانما يجب ان يتغلغل في حياة المراهق من الناحية العملية اي من خلال الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعي في البيئة المنزلية والمدرسة وغيرها وفي اثناء الرحلات والانشطة المختلفة حيث يمارس المراهق ما يستهدف تحقيقه من اتجاهات .

ولما كانت الرغبة في الشيء من اهم الدوافع اليه ، فان « الترغيب » يعد من افضل اساليب خلق الاتجاهات ، كما ان القدوة الطيبة ذات اثر كبير في هذا المجال .

التربية الاسلامية

وبعد ان استعرضنا اهم خصائص المراهقة وسماتها ومشكلات المراهق

الانفعالية واسبابها ، ثم الاتجاهات النفسية وكيف تتكون ، نستطيع ان نتناول الآن بعض عناصر التربية الاسلامية لتربية المراهق التي استرشدنا بها وطبقناها عمليا في المعهد العسكري الذي توليت قيادته ـ كما سبق ان ذكرت ـ فأتت ثمارها المرجوة مع الطلاب (الذين هم في سن المراهقة) سواء من حيث بناء الشخصية السوية او التحصيل العلمي ، وحقق المعهد من النتائج ما كان مضرب الامثال والحمد لله .

١ ـ التكليف بالوسع

يوجه الاسلام الى ان تكون معاملة المراهق قائمة على سياسة واعية رشيدة تقدر طبيعة المرحلة وما يناسبها في المعاملة بحيث لا تكلف المراهق فوق ما يطيق . والواقع ان الاسلام عني بمبدأ « التكليف بالوسع » كما يفهم من قوله تعالى : (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) . البقرة/ ٢٨٦ .

من اجل ذلك لا يطلب الأب مثلا من ابنه المراهق ان تأتي تصرفاته متسمة بالنضج الذي يتوقع من الكبار فيعرضه للمشكلات الانفعالية كما بينا ، لأن الذي يطالبه به امر يتجاوز قدراته الحقيقية ، كذلك يوجه هذا المبدأ الى ان نعترف للمراهق بأن مشاعره طبيعية ، فلا نواجهها بالاستنكار او التقريع او اللوم ، بل نهيىء له الفرصة من جانبنا للتعبير عن هذه المشاعر مع قيامنا في الوقت نفسه بتوجيهه برفق واناة .

٢ ـ الرفق والحب

ويوجه الاسلام الى المعاملة بالرفق والحب ، والبعد عن العنف بكل اشكاله ، لأن العنف يزيد من مقاومة المراهق وعناده ، ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التي قد تؤدي الى تقويض بنيانه النفسي كلية . عن السيدة عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه » رواه مسلم وعنها ايضا انه قال : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه » . رواه مسلم . وعنها ايضا رضي الله عنها قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « او املك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » رواه الشيخان .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : « ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم .. وقد دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه احد عماله فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه ذلك ،

فقال عمر : كيف انت مع اهلك ؟ قال : اذا دخلت ، سكت الناطق ، فقال له عمر : اعتزل عملنا ، فانك لا ترفق باهلك وولدك ، فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .

٣ ـ تنمية الضمير الديني

لقد ثبت لنا ان الضمير الديني من اقوى العوامل التي تساعد المراهق على مواجهة نوازع المراهقة واضطراباتها الانفعالية ، فقد عرفنا ان المراهق ينزع في هذه المرحلة الى المناقشة والجدل وبخاصة في المسائل الدينية التي كان من قبل يقبلها عن طريق المحاكاة ، ويتفق ذلك زمنيا مع بلوغه سن التكليف الذي تصبح فيه التكاليف الشرعية واجبا يثاب على ادائها ويحاسب على تركها . فالطريق الصحيح الذي يتبعه المربي الحكيم هو « ان يتحاشى الصدام بين ما يطلبه المراهق بطبعه النفسي وبين ما يطلبه الدين » . وخير وسيلة لذلك تنمية الضمير الديني ، لانه هو الذي يحقق للمراهق احساسه بذاتيته واستقلاله وشخصيته ، فيندفع الى اداء واجباته على اكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية لا على قوة خارجية . ولا مراء في ان الايمان الصادق العميق يبني ضمير المسلم ويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه ايمانه لا يشغله عن ذلك شاغل ، ويصوره لنا الرسول الكريم في العبادة بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ثم بقوله صلوات الله وسلامه عليه : « اياك اياك ان يراك حيث نهاك » رواه احمد ومما يدل على عناية الاسلام بتربية الضمير الديني ، انه لم يجعل نتيجة الخوف امرا سلبيا وهو النجاة من العقوبة ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا هو الثواب الجزيل والاجر العظيم .. قال تعالى : (**واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى**) . النازعات/ ٤٠ ، ٤١ وقوله سبحانه : (**ولمن خاف مقام ربه جنتان**) .الرحمن/ ٤٦ .

فاذا عود الشباب نفسه من بداية مرحلة احساسه بذاته ان يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله ، موقنا ان الله تعالى مطلع على جميع اعماله ومعتقدا انه تعالى يجازي من اطاعه برضوانه واحسانه ، وانه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه ، اذا عود نفسه على ذلك ، سهل عليه ان يفعل ما امره الله به ويجتنب ما نهاه عنه ، فاذا سولت له نفسه ان يأتي معصية ردها وزجرها ، وذكرها بعزة الله وجلاله وانه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه لا تخفى عليه خافية : (**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم**) . المجادلة/ ٧ فالضمير الصافي او القلب السليم هو النور الذي يهدي الانسان في مسالك الحياة ويملأ النفس اطمئنانا ورضى ، فاذا ظفرنا بتربيته وايقاظه في الشباب فقد اقمنا اقوى دعائم التربية الناجحة والقويمة لهم . يقول الله

تعالى : (**يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من اتى الله بقلب سليم**) . الشعراء/٨٨ ، ٨٩ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب » . رواه البخاري . ومن انفع الاساليب التربوية التي اتبعناها لتنمية الضمير الديني تعويد المراهق وتدريبه على ممارسة « النقد الذاتي » ، فالطالب الذي كان يرتكب خطأ ما ، كنا نرده الى نفسه ، ونطلب منه ان ينقد نفسه بنفسه ، ثم نناقشه فيما يصل اليه .. وكنا نربي المراهق وهو يقوم بالنقد الذاتي ، ان يزن اعماله بميزان الاخلاق الاسلامية ، ثم يقرر ما ينوي عمله لاصلاح نفسه وتنمية شخصيته نحو الكمال المنشود ، وقد ثبت لنا بالتجربة العملية ان هذا الاسلوب (النقد الذاتي) يحقق مزايا عدة نذكر منها :

- تنمية الضمير السليم لدى المراهق .
- غرس الشجاعة الادبية في نفسه .
- حرص المراهق على السلوك السليم وتحاشي ارتكاب الاخطاء .
- تقبله للنصح والتوجيه بصدر ارحب (لأن نقده لنفسه قبل ان يلقى المربي يهيئه لقبول التوجيه ، ويمنع الى حد كبير ظهور المقاومة للنصح التي هي طبع نفسي للمراهق) .
- تقبله للعقاب المناسب اذا ما وقع عليه بصورة موضوعية وبأسلوب لا يؤدي الى مضاعفات نفسية .

ولقد خلصنا من تجربتنا الى انه اذا كان النقد الذاتي امرا حيويا ونافعا في حياة الانسان عامة ، فهو في مرحلة المراهقة امر اشد حيوية واكثر نفعا . ذلك لان شخصية المراهق تتسم بالرغبة في تأكيد الذات وفي مقاومة السلطة الى الحد الذي يجعل المراهق يتمرد على نصح الابوين اذ يرى فيه تدخلا في شؤونه ، واعتراضا على حريته واستقلاله .

من اجل ذلك كان اعتمادنا في تقويم سلوك المراهق على تعويده وتدريبه على النقد الذاتي بميزان الاخلاق الاسلامية ، محققا لرغبته في تأكيد ذاته ، واعترافا منا بشخصيته وبقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب بهدى تفكيره .

فنحن بذلك لا نصادر شخصية المراهق ، ولا نصادمها ، ولا نفرض عليها التوجيه فرضا ، ولا نولد لديه قوى المقاومة ، ولا نوقعه فريسة للاضطرابات او المشكلات الانفعالية .

٤ ـ العمل مع المراهق ومصاحبته

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » رواه

ابن ماجة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وهذا الحديث الشريف يوجه الاباء الى مصاحبة اولادهم ومراقبتهم وتأديبهم احسن الادب ، وقد وصل علماء النفس الى هذا المبدأ وهم يعدونه من افضل اساليب بناء شخصية المراهق وتربيته ، فيقول واحد منهم « ان الحياة مع ولدك المراهق ليس معناها ان تحيا من اجله ، فان الحياة من اجله وحدها معناها التضحية له ، ولكن اجعل حياتك مع ولدك (يريد ان يفرق بين معنى الحياة معه والحياة له) ومعنى ذلك ان يدرك كل منكما الآخر ، وان تقف الى جواره في لحظات الصراع ولا تتخلى عنه ، وان تمنحه المزيد من الحنان في لحظات الهلع والهياج غير العادية ، وان تمتعه بلحظات السعادة والهدوء والسلام » .

ولقد يضيق صدور بعض الآباء من سلوك ابنائهم المراهقين فينهالون عليهم باللوم والتسفيه والتجريح او العقاب البدني ، وهذا ما ينهى عنه الدين الذي يأمر الآباء بأن يتقوا الله في افلاذ اكبادهم ، وان يقوموا على تربيتهم بحسن الأدب والخلق الطيب وبالوقوف الى جانبهم في تلك الفترة الحرجة ليأخذوا بايديهم حتى يعبروها بسلام ، وقد قال بعض الحكماء : « لا عب ولدك سبعا ، وادبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه (كتفه) . » وفي ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه (والام لابنتها) مصاحبة الصديق الناصح الامين في اخطر مراحل عمره وهي المراهقة ، وهو تأكيد ايضا لمعنى « الزموا اولادكم » في الحديث الشريف .

فالهوة الضخمة بين اخلاقيات الكبار والصغار ـ كما يقول احد علماء النفس ـ تكشف عن انعدام التفاهم او الصداقة بين الآباء والأبناء ، وعن أن الآباء عاجزون عن مساعدة أبنائهم والأخذ بايديهم .. فالمراهق يعتبر نفسه قادرا على تصريف شؤونه ، وابواه لا يقرانه على ذلك ، ويعبران عن آرائهما بطريقة متزمتة منفرة فيفقد المراهق ثقته بهما ، ويتخذ طريقه في السر كما يشاء . وبعض الآباء ينشغلون في عملهم لدرجة تحجبهم عن ابنائهم ، وبذلك لا يساهمون في رعاية ابنائهم في مرحلة هم فيها احوج ما يكونون الى مصاحبتهم والحياة « معهم » .

٥ ـ الاقناع والحلم وسعة الصدر

ويدعو الاسلام الى الاقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة والتوبيخ لتوليد الدافع والرغبة لدى المراهق للسلوك الصحيح . فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتمل ذلك منه ، الا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذي نشأ في عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ؟ وما ذلك الا لندرة هذا النمط في الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه .

ومن اجل هذا كان الشباب في كل المجتمعات وفي كل العصور دائما موضع الملاحظة بالنظر الى ظروفه النفسية والعقلية في فورة النضج التي اشرنا اليها حتى قال الشاعر :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله اتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قربوه ، ادن . فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتحبه لامك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ، اتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك ، كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، اتحبه لاختك ؟ وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا ، جعلني الله فداءك .. فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شيء ابغض اليه منه « يعني الزنا » رواه احمد .

فهذه هي الحكمة في الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى : (**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**) . آل عمران / ٣١ .

وانا لا نكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته في اللطف وتحري الاقناع بالرفق واللين ، ومن اوتي حظه من الرفق فقد اوتي حظه من خير الدنيا والآخرة ، والقرآن الكريم يرشد الى التلطف في القول والرفق في المعاملة مع تحري الاقناع ، قال تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن**) . النحل / ١٢٥ .

ان حرية الانسان حق طبيعي وحيوي ، وحقيقة بديهية في الاسلام ، وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بان يكون للانسان الحرية في التفكير ، لان تعطيل حريته او مصادرتها يتناقض مع مصلحته في الحياة ومع معنى العبادة التي خلقه لاجلها ، ومع التكاليف التي امره بها ولا سيما في اتباع مكارم الاخلاق واجتناب مساوئها . قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) . البقرة ٢٥٦ .

وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : (**افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) يونس / ٩٩ وقال سبحانه : (**قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل**) . يونس / ١٠٨ .

والامر الجدير بالتأمل حقا والذي لا يصح ان يخفى علينا هو ان دعاة الالحاد والتحلل من القيم والتقاليد ، ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي ، وهي معان تصادف هوى لدى المراهقين على وجه

الخصوص ، وتتفق تماما مع حاجاتهم النفسية لتأكيد ذواتهم فنراهم ـ لان نضجهم العقلي والنفسي لم يكتمل بعد ـ يستجيبون لها بسرعة .
فيجدر بالأباء والمصلحين والدعاة ان يجعلوا اسلوبهم في التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الانسان التي قال الله تعالى فيها : (**وهديناه النجدين**) . البلد/ ١٠ وقال : (**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**) .الانسان/ ٣ .

وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحياة او الموت ، والجبر والاختيار والفناء والخلود ، والمادة والروح ، والبعث والجزاء ، وبالرسالات السماوية وشرائعها ، والتطور البشري ومقتضياته والنظم الاجتماعية والسياسية وفلسفتها الى غير ذلك .

ان كمال العلم في الحلم ، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع المربي ان يعالج امراض النفوس وهو هادىء النفس مطمئن القلب ، لا يستفزه الغضب ، ولا يستثيره الحمق ، وحسبنا في هذا قول الله تعالى لامام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك**) .آل عمران/ ١٥٩ فالداعي او المربي الذي يضيق صدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم « الساخنة » سوف يدفعهم الى الانصراف من حوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بانوار دينهم ، ويعرضهم للوقوع في براثن اعداء الدين والمثل والاخلاق .

وقد ثبت لدينا بالتجربة العملية أن التربية الصحيحة للمراهق هي التي تقوم على الاعتراف بشخصيته الجديدة النامية ، وعلى معاونته على تحقيق ما يتمناه لنفسه بأسلوب تربوي رفيق ورشيد ، اما اذا حيل بينه وبين رغبته في تحقيق ذاته ، فسوف يقع فريسة لليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية بسبب ما يلاقيه من احباط ، وقد تنشأ عن هذا الاحباط انفعالات متضاربة ، وعواطف جامحة تدفع بعض المراهقين الى التفكير في الانتحار . وثبت لنا ايضا ان التربية الصحيحة للمراهقين هي التي لا تقابل الثورة بالثورة ، بل تتطلب من الوالدين والمربين ان يهيئوا جوا من الثقة بينهم وبين ابنائهم وان يكون رائدهم الاقناع والا يوقعوهم في عقدة القنوط بالتقريع واللوم اذا ما اتفق لاحدهم ان اسرف على نفسه ، وعليهم ان يتبعوا نهج القرآن في الترغيب والترهيب فيفتحون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة . قال تعالى : (**قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا**) . الزمر/٥٣ وقال سبحانه : (**كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم**) .الانعام/ ٥٤

٦ ـ الترغيب والترهيب

ولو تأملنا اسلوب القرآن في الترغيب والترهيب ، لادركنا عظمة ما بين ايدينا من

منهج هو خير المناهج على الاطلاق في التربية ، قال تعالى : (**ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما**) . الاسراء ٩ ، ١٠ .

ففي هذه الآية الكريمة بيان لهداية القرآن الكريم بالترغيب والترهيب ، فالترغيب ، بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوى ، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله ، وانذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم ان الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما ، والوعيد كذلك يشمل نقمهما اوشقاءهما .. فبالوعد ، ساق الطائعين الى الجد في الطاعة ، وبالوعيد ، اوقف العاصين عند حدود الادب .

وقال تعالى ترغيبا في جنس الطاعات : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**) .النور/ ٥٥

وقال جل شأنه ترغيبا في صالح العمل : (**من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون**) .النحل/ ٩٧ وقال جل شأنه ترغيبا في التقوى : (**يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم**) .الانفال/ ٢٩ وقال ترغيبا في التمسك بالدين : (**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) . الاحقاف/ ١٣ (**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**) . مريم/ ٩٦ (أي يحبهم الله ويحببهم الى خلقه) وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : اني احب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء : ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ، ثم توضع له المحبة في الارض » تلك امثلة مما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة في الترغيب في جنس الطاعات او انواعها او الاخلاق الفاضلة ، سقناها لبيان الاسلوب وسحره الجذاب الذي يولد الدافع النفسي الى الطاعة ، ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيبا في الصدقة : (**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون**) .البقرة/ ٢٤٥ وقوله سبحانه : (**مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**) . البقرة/ ٢٦١ .

اما عن الترهيب الذي جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف فان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما اعلمهم به من نواميس ربوبيته ، واقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفاسدة والاخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه في

الآخرة والاولى ، وهو في كل حال حاكم عادل (**ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون**) . يونس/ ٤٤ قال تعالى : (**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**) . النساء/ ١٤ وقال عليه الصلاة والسلام عن عقوق الوالدين : « الا انبئكم بأكبر الكبائر ، الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » متفق عليه .

ومن اساليب الترهيب ان يقرر المربي في اذهان الشباب ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب ، وان كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التي صدرت منه . فالشباب - ونضجه العقلي لم يكتمل بعد - قد يتساهل في امر في الآخرة ويستخفه ، ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر ، وخاصة انه يخطو خطواته الاولى نحو بناء مستقبله ، فينبغي ان يخوف بعقوبة الله في الدنيا وبأن الذنوب يعجل شؤمها في الدنيا غالبا ، قال تعالى : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) . الروم/ ٤١ وقال جل شأنه : (**ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) . الاعراف/ ٩٦ .

وروى الحاكم باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

٧ - دور المسجد

ولست بحاجة الى التنويه بدور المسجد في التربية فان من الامور الحيوية في عصرنا ان يعود المسجد الى سابق عهده مركزا للاشعاع الديني ، ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحي ، وان تكون له جاذبيته في نفوس الشباب ، وان توجه دروسه وعظاته نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التي تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية ، وتثبيت قلوبهم بالايمان والعقيدة ، وان يجدوا الاجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم ، ويمكن ان يلحق بمبنى المساجد الرئيسية مؤسسات اجتماعية مختلفة كالمدرسة والمسرح والنادي وقاعة المحاضرات وبعض الانشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية .

٨ - رعاية اليتيم

اما اليتيم - وهو من فقد اباه ولم يبلغ مبلغ الرجال - فله شأن اكبر واظهر في الدلالة على عناية الاسلام بتربية النشء ، وتوفير المناخ الصالح لتلك التربية ،

فيقول الله عز وجل : (**ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم**) . البقرة/ ٢٢٠ فالآية الكريمة توجه الوصي على اليتامى الى الاصلاح لهم بالتربية والتهذيب والى حفظ اموالهم وتنميتها ، فهم اخوانه في الدين ، ومن حق الاخ ان يخالط اخاه على الوجه اللائق الذي فيه صلاحه .. كما يوضح القرآن واجب الوصي في المحافظة على مال اليتيم ويحذره من استغلاله ، فيقول تعالى : (**ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده**) .الانعام/١٥٢ .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية اليتيم فقال :

● « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » رواه البخاري ومسلم (واشار بأصبعيه السبابة والوسطى ليدل على انهما قرينان او صنوان) .

● « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » رواه ابن ماجه .

هذا الى قول الله لرسوله بعد ان ذكره بفضله عليه حالة يتمه (**فأما اليتيم فلا تقهر**) .الضحى/ ٩ وقد قال الامام محمد عبده رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : لو علم الناس ما في اهمال تربية الايتام من الفساد في الأمة ، لقدروا عناية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم في اصلاح حال الايتام كل ما استطاعوا ، ولو احس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وانه هدف ليناله ، لا يدري متى يأخذه عن ولده ، فيتركه اما غنيا يأكل ماله الاوصياء ، او فقيرا يستذله الادنياء ، لتسابقوا الى تقديم امر اليتيم .

٩ ـ المناخ الديني في البيت والمدرسة

ومن اهم عوامل النجاح في التربية القويمة توفر المناخ والروح الديني ممثلا في صلاح الوالدين والكبار من الاسرة والمربين وقيامهم بفرائض الدين وبعدهم عن المنكرات والآثام ، والتزامهم حدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار ، وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادىء الدين في القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والايمان في نفوسهم .

ومن الثابت عمليا ان الطفل الذي ينشأ في بيت متدين يبدأ حياته محصنا من كثير من الامراض السلوكية والفكرية ، ويتميز في مرحلة المراهقة بمجاهدة النفس ، وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة .

***

وبعد فسوف يسأل الآباء والمربون عما فعلوا لتربية الابناء ، وهو ما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ ام ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » . رواه ابن حبان

مجتمع الإسلام الأول

و

عندما نقلب صحائف التاريخ ، نجد المجتمعات الانسانية قد تعاقبت عليها عصور شتى من القوة والضعف والهزيمة والنصر والايمان والكفر والتقدم والانحطاط ، وذلك ناموس عام يحكم كل الأمم على مر العصور وكر الدهور . كما يقول الله جل شأنه : **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)** آل عمران/١٤٠

أو كما يقول القائل :

هي الحياة كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءته أزمان

بيد أننا لو أرسلنا نظرة حصيفة متعقلة متأنية ، لتكشفت لنا حقيقة طالما غابت عن الأذهان الشاردة والأفهام القاصرة وهي : أن الله تعالى يعامل الناس وفق قانون إلهي ملزم شامل بلا محاباة أو مجاملة . وهذا القانون هو ما أفصح عنه القرآن في بيان شاف :

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) الرعد/١١ .

إن تاريخ البشرية على مسرح الحياة مؤسف ، وصلتها بالله رب العالمين تحكي طابع الجحود والنكران لخالق السموات وفاطر الأرضين ،، فلقد ظلت آمادا متلاحقة متواصلة ، تصافح الشرك وتواكب مسيرته ، بل إنها دقت له في أرضها أطنابا ، شيد عليها قلاعه ، ومكن بها حصونه ، وأصبحت دساتيره الهمجية ـ وهي من صنع الشيطان وسبكه ـ مهيمنة مسيطرة ، لها الغلبة والنفاذ ، في دنيا اعتركت فيها الأهواء الرخيصة ، واصطرعت الرغائب الحمقاء ، حتى طفحت بكل ما هو خسيس محقور .

مقومات الزعامة



للدكتور/ عبد الفتاح محمد محمد سلامة

(قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) الاعراف/١٦ و١٧ .

إن الانسانية منذ أن عصى آدم ربه ـ بعد أن وسوس إليه الشيطان ـ وهي تجني ثماراً مرة ، وتعاني من الويلات والشرور ، ما جعل كاهلها ينوء ، وظهرها يكاد ينقصم ، في تطاحن مسعور ، وتنابذ بالعداء ، واهدار للقيم ، ومحو للفضائل . والأمر يزيد استفحالا وضراوة ، عندما تتبدى الدنيا لهؤلاء المخدوعين الأغرار ، في تزاويقها الخبيثة الماكرة ، وصورها الفاتنة الخالبة ، فاذا بهم يصبحون ضحايا اللذات ، وصرعى الشهوات . وإن ربك لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، فعندما تتمرد الأمة على ربها ، وتشيح بوجهها عن شرعه ، وتسلم قيادها للشيطان ، وتعيث في الأرض فسادا . عندما تتقطع الروابط بين السماء والأرض ، ويظلم قلب الانسان من حقيقة الايمان ، وتنهار المبادىء ، وتتحطم مقاييس الاخلاق ، وينطلق كل عابث الى غايته ، تسوقه رغبة دنيئة ، ويحفزه هوى ماجن . عندما يشمخ الباطل بأنفه ، وتنتفخ أوداجه ، ويرتدي غير ثيابه ، وينتفش ريشه ، ويتصور أن له قدرة على صرع الحق ،وتبديد نوره ، وسحق طلائعه . عندما يتلقى الدعاة والمصلحون ـ في كل عصر وجيل ـ الصفعات تكال لهم من أقوامهم ،

ويتجرعون كؤوس السخرية والنكال ، ويذوقون مرارة التعذيب والتشريد - بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . عندما يستعصي الداء ، ويعز الدواء ، وينقطع الرجاء ، ويتبدد كل أمل في الشفاء ، ويتسع الخرق على الراقع ، عند ذلك كله لن يكون . إلا الكي . وهو آخر الادواء (**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**) هود/١٠٢ و ١٠٣ .

حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) يوسف/ ١١٠ .

إن الرومان والفرس ، ظلوا يحكمون العالم فترات سحيقة ، وكانت لهم حضارات باذخة ، وقوة مؤثلة ، وأنشطة متدفقة . ثم بدأت الفتن الناعمة تتراقص لهم ، وعوامل الترف تمزق كيانهم ، فذابوا في فجور آثم عربيد ، وصفرت أيديهم من المثاليات الرفيعة ، وضحلت قلوبهم من العقائد السليمة ، وتصوروا - كذباً وغرورا - أن الدنيا قد دانت لهم ، وأصبحت طوع بنانهم ، ففرضوا على الشعوب سيطرة غاشمة ، وساموها الخسف والاضطهاد ، وما زالوا في ضلالهم سادرين ، وفي غيهم متخبطين ، حتى جاءهم أمر الله ، وكان للمقادير منهم موقف عنيد ، فدكت معاقلهم ، وأطاحت بكبريائهم ، ومرغتهم في أوحال الذلة والهوان والصغار ، وجعلتهم أثرا بعد عين ، فصاروا خبرا يتلى ، وقصة تحكى وتروى : (**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**) يونس / ٢٤ .

إن طلائع البعث المحمدي الزاحفة ، ومواكبه الظافرة ، قد تقدمت الى هذا الاسد الذي شاخ وترهلت قواه ، فأجلته عن مكانه ، وأقصته عن عرشه ،ووجهت الى صدره رماحا مسددة نافذة ، اردته صريعا مجدلا تحت سنابك الحق ، ثم طاردت فلوله المدحورة حتى تواروا في آفاق المجهول الغامض ، واكتنفتهم أستار النسيان البعيد . لقد برز إلى الوجود هذا المجتمع ، الذي شاءت إرادة الله أن يحمل إلى الناس شريعة السماء الأخيرة في قاموس الرسالات الالهية ، وأن يكون نبيه الجليل ، صلوات الله وسلامه عليه ربان السفينة الماهر ، وحاوى القافلة النجيب ، والرائد الذي لا يغش ولا يكذب .

ترى كم أعطى محمد للحياة ؟ وكيف ساس هذا المجتمع وصقله وربي فيه مشاعر وأحاسيس غدت أسطورة في دنيا الحقائق ، وحقيقة في عالم الأساطير ؟؟ إن الحياة عند محمد ميدان عمل ، ومعترك جهاد ، ومدرسة تغرس فيها بذور الايمان بالله ، والحب له ، والطاعة من

أجله . فهي ليست ألغازا مبهمة ، ولا أسرارا مستعصية ، يتهيبها الانسان ، ثم يروح عنها في شرود وخمول ، كما صنع ويصنع أولئك المتشائمون الانطوائيون .

... وهي كذلك لم تخلق عبثا ، ولم يجعلها ربك مسرحا للفوضى ، تمارس فيها اللذات ، وترتكب المحرمات ، ويصبح الانسان فيها كالحيوان لا هم له الا الأكل والشرب والسفاد .

تعالى ربنا أن يخلق دنيانا على صورة كهذه مهينة مقززة ، تغشاها الهمجية وتحكمها شريعة الغاب : **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)** المؤمنون/ ١١٥ و١١٦ لقد فتح محمد للحياة قلبه ، ونفخ فيها من روحه العالية المتوثبة ، فأحيا مواتها ، وأعطاها من وقته ما أصلح به فسادها ، وقوم معوجها ، ولكأني أنظرها وقد تحولت بين يدي محمد : إلى محراب للعبادة والعمل والنشاط والسعي الدءوب . وما بالك برجل يجعل كل خوالجه وأنفاسه وروحاته وغدواته وصلاته وعبادته ، بل حياته كلها لله ، يرصدها في سبيل طاعته ، ويحبسها على رضاه : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)** الانعام/ ١٦٢و١٦٣ . لقد رفع محمد راية التوحيد عالية خفاقة ، ووطىء بحقيقة الايمان أنوف الكبراء وغطرستهم ، وبدد أحلامهم الخاوية ، وكشف القناع عن أكاذيبهم ، فاذا هم يبدون أمام الناس بواقعهم الكليل : **(لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)** الفرقان/ ٣ . إن مجتمع الاسلام الاول في أزهى عصوره ، ما كان يعرف التواكل أو الضعف ، أو الخنوع والعجز ، وإنما كان ينشط للمكرمات ، ويمضي للأمجاد واثق الخطى ، مؤيدا بعزم لا يلين ، ومسددا بتوفيق الله القوي المتين ، ولقد كان أفراده النابهون يدركون أن زعامة العالم وريادته قد آلت إليهم ،وكانوا يدركون كذلك أن لواء المسيرة قد رشحتهم الاقدار – عن جدارة واستحقاق – ليحملوه ، ويقودوا البشرية جمعاء في ظلاله ، وقد تم لهم ذلك منذ أن قال الله يخاطبهم في إعزاز وتكريم : **(كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/ ١١٠ .

ومن ثم كانت هذه الانطلاقة الرائدة ، والقفزة المجيدة لاتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، وتحول مجتمعهم الى طاقات من العمل والسعي والنشاط والحركة والابداع في سبيل الله ورسوله لقد آمن القوم : أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، وأنه عز وجل يمكن منها من خافه واتقاه ، ويجعلها هبة لمن يسخرها في طاعته وإمضاء كلمته ، إنه يطوعها لمن يرسون قوانين العدالة ، ويشيدون صروح الاخلاق ،

ويحرسون القيم ويذودون عن ساحة الفضائل ، ويحمون بيضة المقدسات ، ويذبون عن الشرف وكرامة الانسان .

أما الطغاة الفجرة الذين لا خلاق لهم ، ومن يفقدون الحياة معناها الراقي الممتاز ، ويتطاولون على عباد الله ، وينصبون أنفسهم أربابا وآلهة ، أما المستهترون الهائمون على وجوههم وراء كل لذة ، واللاهثون ركضا لاقتناص كل شهوة ، والمفلسون في عالم المبادىء ، ومن لا رصيد لهم في موازين الخير ، أما من يتنكرون للعقائد ، ويتجهمون للشرائع ، ويصمون آذانهم عن صوت السماء ، ويعبدون هواهم من دون الله ، تمردا عليه وجحودا لرسالاته . أما هؤلاء جميعا : فان الله سيزوي الأرض عنهم ، ويجعلها تهتز تحت أقدامهم ، ومهما ساحوا فيها وانداحوا ، واغترفوا من نعيمها ، وعبوا من شهواتها ومغرياتها .. فان امر الله آت لا ريب فيه : **(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين)** الأنبياء/١٠٥ و ١٠٦ .

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) آل عمران/١٩٦ و ١٩٧ .

إن أبناء الاسلام في مجتمع التوحيد : قاموا بحق الخلافة عن الله في أرضه خير قيام وأبره ، فأصلحوها بعد ما عم الفساد وطم ، وشمل القاصي والداني ، ونفضوا عن الانسان أوضار قرون خلت ، وأعادوا إليه أعتباره الذاتي ، وردوا إليه كرامته المهدورة . فاذا به كائن حضاري له ميلاد جديد ومكان مرموق . إنهم ما كانوا يعرفون التحيز أو التسلط ، أو العنجهية الخرقاء ، وعندما كانوا ينساحون في الأرض ، ما كانوا يحملون معهم الخراب والدمار ، كما يفعل اليوم دعاة الحضارات الكاذبة والمدنيات المفلسة في كل بقعة يطأونها ، وإنما العلم يسير في ركابهم ، والنور ينبعث من صدورهم ، وتقوى الله عز وجل تفيض من حناياهم ، ومقاومة الظلم تتحرك بها جوارحهم ، فحيثما حلوا صدعوا بكلمة الحق ، لا يرهبون بطشا ، ولا يهابون سلطانا ، ولا يخشون سطوة أحد مهما كان . فانهم سمعوا من نبيهم الجليل : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه مسلم . إنهم قوم أيجابيون يتحركون بالحياة ، وينهضون بها ، ويصقلونها بقيمهم الحية ، ومبادئهم النظيفة ، ويجعلون لها معنى نبيلا تتقدم به وتزدهر ، وقد كانت قبلهم خلوا من هذا كله ، ضياعا وتمزقا وشرودا وسقوطا مهينا في حمأة الرذيلة . إن الله جلت قدرته ، عندما أراد بالانسانية خيرا ، أوفد اليها هذا الجمع الكريم من تلامذة ، محمد بن عبد الله ، وقد رباهم نبيهم على الطهر ، ونشأهم على الحب والود ، وأرضعهم من لبان المروءة والشجاعة ، وغذاهم بما يفتق

عقولهم ، ويجلو بصائرهم ويحفزهم الى السبق ، ويثير عندهم الشوق الى محامد الامور : **(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)** يونس/٥٧ و ٥٨ .

إن التمكين في الأرض لا يكون وليد مصادفة عمياء ، كما أنه لا يدرك بالتمني والاحلام الوردية المعسولة ، إنه نتيجة الصبر والجلد ومصارعة الاهواء ومكابدة الاهوال واقتحام الخطوب ثم مواجهة الظلم والقضاء عليه في أوكاره :

لا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

والله تعالى عندما أعطى التمكين لاصحاب محمد واتباعه ، وهيأ لهم أسبابه ، وسخر لهم نواميسه ، فقد كان يعلم أنهم أهل لهذا ، قضاء عزيمة ، وقوة إرادة ، وصفاء نفس ، وطهارة قلب ، فليس الأمر محاباة أو مجاملة . إنه مكنهم ، لأنه – جل وعلا – رآهم أولى الأمم بالتمكين والتفوق والسيادة . ومن العبث أن يدخل الانسان حلبة السباق وهو يوقن أنه سيخسر الرهان . إن هذا النوع ، من النزق الطائش ، والاندفاع المقوت :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه
لاتظلم القوس أعط القوس باريها

وعندما يلقي الله مقاليد الأمور على أمة ، ويجعلها في وضع القيادة والرئاسة ، ويهيىء لها منزلة محترمة بين العالمين . فلا بد من دفع ضريبة على هذه النعمة الكبرى ، لا بد من أخذ العهد والميثاق عليها ، أن تقوم بما عهد به اليها خير قيام ، وان تؤديه على الوجه الأكمل ، وان تنهض بحمل المسئولية في مثابرة وتفان ، وبر ومرحمة ، لتسود شريعة الله وتعلو كلمته ، ويعيش الناس على موائد فضله ، فيعرفوا النعمة ويقوموا بشكرها . إنها ان لم تفعل ذلك ، فقد خانت الأمانة ، وأصبحت غير أهل لتكريم الله ، وليس هناك من حرج في سلب السلطان عنها ، ونزع السيادة من بين يديها ، حيث أصبحت غير جديرة بها ولا مأمونة عليها . وعندما خاس بنو إسرائيل بعهد الله ، ونقضوا ذمته ، وقد كانت الأقدار منحتهم أسباب القوة وسطوة النفوذ وبواعث الغلبة ، بل إنهم فضلوا على العالمين . **(ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين)** الجاثية/١٦ . عندما قلبوا لشريعة السماء ظهر المجن ، وصعروا وجوههم ، وأبطرتهم النعمة ، فجحدوها وعبثوا بها ، وتسلطت عليهم النعرة النكراء ، وسرت في أوصالهم أكذوبة التفوق العنصري ، وتغلغلت في أعماقهم النزعة المادية الشرسة ، فأزهقوا الارواح ، وسفكوا الدماء ، بل امتدت أيدي الاجرام منهم إلى الانبياء قتلا وتعذيبا . حينئذ ، وبعد ان بلغ السيل

الزبى ، وجـاوز الظـالمون المدى ، وخان بنو أسرائيل الأمانة ، وناءوا بحملها . كان لا بد للأقدار أن تقف منهم موقفا حاسمـا ، فتستأصـل شأفتهم ، وتنكس أعلامهم ، وتدمدم عليهم بذنبهم ، وتذيقهم الذلة والهوان والصغار والتشريد ، على أيدي عباد لله أولى بأس شديد : (**وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا**) الاسراء/ ٤ و ٥ . هكذا يكون الجزاء العادل ، والعقاب الرادع ، لكل من انحـرف بالأمانـة عن صراطهـا السوي ، وسار بها في غير دروبها ، فأوردته المهالك ، وجشمته المزالق . على ان المسلمين عندما وقع عليهم الاختيار ليحملوا اللواء ، ويتزعموا البشرية ويسودوها ، كانوا فاقهـين لهـذا المعنـى الراشـد ، مدركين لمتطلباتـه ، فمضـوا في الطريـق الجريء ، ينفذون ما نيـط بهـم ، ويضطلعون بالدور المسند اليهـم ، ويضيئون للعالم الحائر المضطـرب المفزع مصابيح الهدايـة ومشاعـل المعرفة . بل إنهم هيأوا للانسانية جوا طهورا ، ازدهرت فيـه القيـم وانتعشت ، ومنحوها طاقات وثابة من الحركة والحياة ، في ظلال من العدالة الوارفة ، وتحت ألويـة من الاستقامة العابدة .

قال تعالى : (**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتـوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبـة الأمـور**) الحج/ ٤١ . إن صمام الأمـن في المجتمعات ، وبواعث القرار فيها ، تزيد وتربو عندما تكون الصلة بالله متينة ، والطاعة له عز وجل مبذولة ، والصلة بالله والطاعة له والرغبة فيه تحجز صاحبها عن السقوط ، وتباعد بينه وبين الغرور . وضل قوم حسبوا أن الدنيا تواتيهم وهم بعيدون عن ربهـم ، معرضـون عن شرعـه ، ينابذونه بالعداء ، ويظهرون له الصد والتكذيب . (**ولو أن أهل القـرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبـون . أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القـوم الخـاسرون**) الأعراف/ ٩٦ ـ ٩٩ . ما أجمل القيم التي توجه مسار المجتمع إذا تفجرت ينابيعها من هدايـة الله ، وكانـت موصولة الأسباب بوحي السمـاء . إنها تغدو الحارس الأمـين الـذي يحفظـه من العثـار ويصونـه من المزالق ، ويقيمه على الطريق آمنـا مطمئنا . وتلك بعينها القيم التـي حكمت مجتمع التوحيد في مدرسـة النبوة ، وصبغت اتجاهاته ، وجعلت منه مثالا فريدا ومعجزا بين أمـم الأرض قاطبة : (**والله يهدي من يشـاء الى صراط مستقيـم**) النور/ ٤٦ .

الإسلام

المستقبل الحضاري للانسان

للدكتور محمد أحمد العزب

– ١ –

اذا كانت الحركة الاسلامية تمثل دعوة هائلة الى الثورة والحضارة ، فانها في الوقت نفسه تمثل دعـ ر كابحة ضد الفوضى والانفـلا ـ وليست هذه الوضعية مصادرة تقضي

على عناصر الجدل بقدر ما هي فلسفة داعية الى ديمومة الحوار .. فان تدع حركة ما الى تثوير الحياة وتحضير الانسان في نفس اللحظة التى تضع لهذه الثورة وهذه الحضارة كوابح ضابطة تحدد للثورة وللحضارة معا منطلقاتهما النظيفة ، فان هذا يعني ليس تجميد النقيض بنقيضه ، وانما يعني اشعال قضية الجدل بين النقيض والنقيض ، فتبقى الثورة عاملة في مجالها الحيوي ، وتبقى الحضارة فاعلة في مناخها الأنساني ، وتبقى كوابح هذه وتلك مستنفرة دائما لوضع كل منهما في مناطه الصوابي المعقول الذي لا يجور !!

ـ٢ـ

واحياء مناطق الوعي الأيماني وفلسفة الاسلام في حربه الضارية ضد الفوضى والانفلات ناهضة على أساسين متكاملين : احياء مناطق الوعي الايماني داخل مملكة الذات .. وتعميق الالتزام السلوكي الضابط لحركة هذه الذات في وجودها المادي في الحياة .. وهما أساسان متكاملان لأنهما لا يرتطمان أبدا ، ولابد من توافق الايقاع بينهما حتى تظل الحياة الانسانية سائرة في طريق التعادل الوجودي الذي لا يطغي فيه جانب على جانب فيصيبه بالدمار أو حتى بمجرد الضمور .

داخل مملكة الذات يتم في اطار ما يسمى في عرف الفكر الأسلامي بالضمير أو الوجدان أو القلب .. لأنه من المتعارف عليه أن عالم النفس البشرية عالم رحيب تصطرع على جنباته قوى الخير والشر ، وقوى النور والظلام ، وقوى الفكر والبطش ، وقوى الحركة والجمود ..

فاذا انتصرت عناصر الخير والنور والفكر والحركة فقد أتيح للحياة الأنسانية أن تتحسس مواطىء أقدامها على طريق الحياة الرائعة السديدة .. واذا انتصرت عناصر الشر والظلام والبطش والجمود فقد تحدد اتجاه الحياة الأنسانية الى الزواء والجدب والأفول .. وليس الحكم على نوعية ما تجنح اليه النفس من عالم الخصب أو عالم الأفول بمحتاج الى مقاييس وافدة على النفس من خارج النفس ، ولكنه محتاج فحسب الى الأصاخة الفاهمة لصوت الطبيعة في نقائه ووضوحه ، فان استشعر الأنسان لفعل ما نوعا من التجاوب والأشراق والحب كان فعلا راشدا مسددا .. واذا استشعر لفعل آخر نوعا من التضاد والغيم والكراهية كان فعلا هابطا وبيلا .. وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحقيقة النفسية الغائرة ضوءا كاشفا في كلماته الملهمة : « اذا ساءتك سيئتك ، وسرتك حسنتك ، فأنت مؤمن » رواه احمد .. أي انك تصل الى حقيقة الشخصية المؤمنة حين يضيء داخلك بلمسة هذا الوعي الأيماني الشفاف الذي يهفو الى الخير

ويتنافر مع الشر .. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يستهدي حكمة القرآن في هذا الصدد : **(لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة)** القيامة/ ١ ، ٢ لأن النفس اللوامة هي النفس القابضة على ضميرها الحي ، العارجة الى المعنى من خلال لقائها به أو نفارها منه .

ـ ٣ ـ

والفوضى ليست مجرد الاباق والشرود والخبط وغير أولئك من معاني التمرد والجموح .. ولكنها قد تكون نوعا من التسيب الأخلاقي ، والانهيار النفسي ، والتميع السلوكي .. أي ان الفوضى قد تكون معنى من معاني الأيجاب القادر على التحطيم والتخريب ، وقد تكون معنى من معاني السلب غير القادر الا على التمزق والانحلال .. وقد ضوأ الأسلام هذين المعنيين بالترشيد مرة وبالتقبيح مرة اخرى : **(يأيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية . فأدخلي في عبادي وادخلي جنتي)** ، الفجر /٢٧ ـ ٣٠ **(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا)**النساء /٩ ، **(عليكم بالصدق ، فأن الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ،**

وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) رواه البخاري ومسلم والترمذي **(البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب)** رواه احمد **(انما أنا بشر ، وانه تختصمون الى ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)** رواه احمد .

والاسلام حين يضوىء معاني الخير النفسي ومعاني الشر النفسي انما يفعل ذلك لتكون حركة الضمير حيال كل منهما قائمة على وعي كامل بمقابح هذا ومفاتن ذاك .. ولتظل حركة الضمير هذه عاملة في مجال تقييم الخير والشر على ضوء من وعيها الأيماني بمطلق الخيرية في أحدهما ومطلق الشرية في أحدهما الآخر !!

ـ ٤ ـ

والانفلات كذلك ليس مجرد التحلل من قيد القيمة ، ولكنه قد يكون تحديا للآخرين أو تعديا على الآخرين ، ومنطق الأسلام في مجابهة هذا الانفلات ينبعث من مطلق التزام انسانه حيال الآخر بلا حدود ، فهو

مسئول عن ضلاله ورشده ، وهو مسئول عن بنائه وهدمه ، وهو مسئول عن تطوره وجموده ، وهو مسئول عن وفرته وجوعه ، أي انه مسئول عن تأمين الآخر ضد الضياع والأهدار ، فاذا كان ذلك كذلك ، فان قضية التحدي له أو التعدي عليه تكون تجاوزا ليس لمنطق الالتزام فحسب ، وانما لمنطق فهم القضية الأيمانية بكاملها ، والخروج من دوائر الطاعة الى دوائر العصيان .

ولا يطعن في صحة هذه المقولات أن الانسان المسلم مطالب بقتال الآخرين الذين يتصدون بالكفر للأيمان بكل ما يعنيه القتال من حصار ومخاشنة وازهاق ، فان الفعل المسلم في هذا الصدد ينطلق أساسا من الخيرية المقصودة للآخر بتطويعه لقيم الأيمان التى يصير بها ما هو وما ينبغي أن يكون ، لا أن يترك لضلاله فيحرف انسانيته عن طبيعتها ويصير بهذا التشويه غير ما هو وغير ما ينبغي أن يكون .. ومن هنا يكون السيف المرفوع في وجهه عاصما له من التدلي الى دونية فاجعة ينزل بها عن انسانيته الى مهابط التشويه !!

ـ ٥ ـ

واذا كان احياء مناطق الوعي الأيماني داخل ممالك الذات قضية أساسية في توجيه الفكر الديني في الأسلام ، فان هذا الأحياء لا يتوجه الى فراغ تجريدي ، ولكنه يتوجه الى الواقع المادي الذي يباشره الأنسان في سعيه الكادح على الأرض ، وفي علاقاته المتشابكة التى تنتظمها حركة الاجتماع الأنساني ، حتى يكون لقاء المسلم بالواقع المادي لقاء تصعيد وترشيد ، تعمل القيمة فيه عملها الدائب على ربط المادة بالروح ، والأرض بالسماء ، والأنسان بالله .. فاذا تحققت هذه الفرضية المقصودة للدين ، كانت الحياة نوعا من الحلول الفاضل على الأرض ، ونوعا آخر من النزوع الأفضل الى السماء .

يؤكد هذه الفرضية أن تقييم الأسلام للضمير يبدأ من تحديده كنوع من العلاقة الحميمة بين الأنسان والله ، ويستطرد ليصيره نوعا من العلاقة الحميمة بين الأنسان والاجتماع ، بكل ما يعنيه الاجتماع من جوانب سياسية ، واقتصادية ، وعلمية ، وأخلاقية ، وسلوكية .. وبهذا يصير الضمير من الوجهة الأسلامية ــ اذا جاز أن يقال ــ ضميرا دينيا ، وضميرا اجتماعيا ، وضميرا سياسيا ، وضميرا اقتصاديا ، وضميرا علميا ، وضميرا أخلاقيا ، وضميرا سلوكيا .. وان كان في النهاية ليس سوى ضمير واحد هو الضمير المسلم بكل ما يشعه هذا الضمير المسلم من زوايا ضوئية في منادح الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والسلوك .

ان الضمير الديني يتمثل في استشعار الحضور الألهى في الكون الذاتي للانسان والكون الموضوعي

للحياة وما بعد الحياة .. وفي استشعار معنى صدور الوجود الأنساني عن الله ووجوب فنائه في الله .. وفي استشعار حقيقة الخلافة لله في الأرض ، والمخلوقية على مثال الله وصورته ، وضرورة الارتفاع بالفعل الأنساني اللائق صدوره عن مخلوق هذه وضعيته الخلقية والوجودية !!

ويتمثل الضمير الاجتماعي في خيرية العلاقات الحياتية ونظافتها ، ونأيها نايا كاملا عن انحدارات الغش والكذب والافتيات والقبح والترخص والانحراف والقسوة والتشويه والأنانية والحقد وضمور المشاعر البيضاء !!

ويتمثل الضمير السياسي في عدالة الحكم ، ونزاهة القضاء ، وأمانة الشعار ، والوعي بهموم الأمة ، والطموح الى مزيد من انتصار الراية المسلمة ، والعمل البصير في مجال العلاقات الدولية من خلال رؤية اسلامية جسورة !!

ويتمثل الضمير الاقتصادي في سياسة المال ، واعلاء معنى التبادل ، واشاعة العدل في التوزيع ، وتوفير الحاجة الضرورية ، وتأمين العجز ، وتوظيف الطاقة في خدمة الجماهير !!

ويتمثل الضمير العلمي في أمانة الكلمة ، ونظافة القصد ، ومد جسور الحركة العلمية للأجيال ، وانماء روح البحث المجرد والملتزم ، ونشدان عالم جديد يشيع فيه الفكر وتختفي فيه الخرافة !!

ويتمثل الضمير الأخلاقي في اشعاع معاني الحب والطهارة والالتزام والرحمة والدماثة والموادعة والتكافل والود والترفع والجمال !!

ويتمثل الضمير السلوكي في استشفاف هذه المعاني جميعها واسقاطها على الواقع المادي المعاش ، وتحريكها من مجرد كونها قيما جمالية رائعة الى حقيقة كونها سلوكا انسانيا ممارسا بين الجموع !!

ـ ٦ ـ

وللاسلام في حفاظه على قيم الضمير ببعديها : (الأيماني والسلوكي) فلسفته الخاصة التى يقيمها على مستويات متعددة تفضي في النهاية الى تكامل شامل يشكل نظرية واضحة التخوم والقسمات ، ويجعل من العالم كله مجالا لفعل هذه القيم : فالمساحة الزمانية اطار هذا الفعل .. والمساحة المكانية مجال حركة هذا الفعل .. والمساحة النفسية احتمال تغاير هذا الفعل .. والمساحة السلوكية مناط تحقق هذا الفعل . وكل أولئك يفضي بعضه الى بعض في تناغم هادىء وايقاع وثير .

ولعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » رواه احمد والترمذي والحاكم .. يوجز أو يجسد هذه الفلسفة الأسلامية الشاملة في أروع أتساقها .. فالمسلم مطالب بيقظة الضمير (التقوى) حيثما كان

في الزمان : أي في الزمــن الماضي والحاضر والمستقبل .. وحيثما كان في المكان : أي حالا أو مقيما أو حاضرا أو باديا أو متخفيا أو سافرا وحيث ما كان الاحساس النفسي أي في حالة الغيم والأشراق والقناعــة والتمرد .. وحيثما كان في السلوك : أي قاصدا أو جانحا أو حائرا بين نوازع القصد والجنوح .. والمسلــم مطالب بمواجهة الطبيعة وقهرها على ارادة الخير وتعقب كل سيئة بحسنة تمحو ظلامهــا المادي والمعنــوي ، وليست مواجهة الطبيعة هنا محاولة لكسر أصولها في النفس ، فان هذا المنزع فوق كونه قسوة بلا تبرير يبدو مصادما لطبائع الأشياء ، ولكنهــا مواجهة رفيقة حانية تتسلل الى اطواء الطبيعة في حكمة ووعي باقرارها على نازع القصاص أول الأمر : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** .. ثم بمحاولــة قيادة هذه الطبيعة الى أفق أعلى من أفق القصاص وهو أفق الأحسان : **(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)** .. والمسلم مطالب بالسلوك المثالي الذي هو المعطي النهائي لكل قيم الحق والخير والجمال ، والسلــوك المثالي يعمل بالأيجاب والسلب معا ، هو يعمل بالأيجاب حين يدعــو الى احتذائه كنموذج ، وهو يعمل بالسلب حين يشع من ذاته على الآخرين ، وهكذا كان كل الأنبياء والرسل ، كانوا يقيمون من أنفسهم نماذج حية للسلوك المثالي ، وكانوا يشعون على من حولهم من طبيعة سلوكهم الفاضل ضوء الحركة وعبير الالتزام .

وإذن ففلسفة الأسلام في حفاظه على قيم الضمير ببعديها : الأيماني والسلوكي ، تعمل على مستوى الأطار الزماني والمجال المكاني والاحتمال النفسي والنمط السلوكي ، فتغطــى بكل هذا الشمــول كل الظاهـــرة الأنسانية في ترددها بــين كل هذه التضـــاريس الهائلـــة الأبعـــاد والأعماق !!

٧

وحين نتساءل : لماذا يبذل الأسلام كل هذه المعانــاة ضد الانفـــلات والفوضى ، تجبهنا على الفور حقيقة أن الحياة لا يمكن أن تطرد على قانون الصواب اذا هي تخلت عن منهج العدل والالتزام ، والعدل هو استواء العلاقة بــين الأشيــاء والاحيــاء ، والالتزام هو وضع أمواج الحــركة الماديــة والروحيــة للانســان بــين شواطيء الأرقى والأنفع .. أي ان (الوسطية) هي منطق الصواب في منهــج الأســلام ، وحيـــث تكون الوسطيــة يكون الزمــان الكونــي للانسان موجها الى العمل والجمام ، والى التأمل والكدح ، والى الفــرح والتفكر .. وحيث تكون الوسطيــة تكون الطاقة الأنسانية موجهة الى المادة والروح ، والى الذات والجمع ، والى القبض والانبساط .. وحيــث تكون الوسطية يكون الفهم الراشد موجهــا لاحتــواء قضايــا الديــن

والدنيا ، فالصلاة عبادة ونمط تربوي ، والصوم أمانة وتثقيف اجتماعي ، والزكاة تطهير وحركة اصلاحية ، والحج فريضة ووعي بواقع الشعوب .. ولكن الوسطية لا تعني التذبذب العائم المتردد على هوامش الأشياء ، بل هي تعني المحور الذي يحرك كل الأشياء في اتجاهها الصوابي غير فاقد قدرته على دفع هذه الحركة بلا ملال .. ان كون الاسلام وسطا لا يعني أنه متردد بين الاشتراكية والرأسمالية كما يقال دائما بغباء رهيب ، لأن الأسلام فلسفة عامة تصدر عن منطق الهى شامل يقف من الكون والحياة والطبيعة والأنسان موقف المحور المحرك ـ وهذا معنى الوسطية الأسلامية ـ لا موقف الحائر المتردد بين هذه وتلك من المقولات الوضعية القابلة دائما للسقوط .. والقرآن يحدد هذا المعنى بما لا يقبل الخلاف : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/ ١٤٣ ، ان الوسطية هنا مفهومة في ضوء وضعية المسلم من حيث كونه شاهدا على الناس ، والشهادة تعني أنه نموذج يقترب منه الآخرون ويبتعدون فيشهد أن هذا قريب من المستوى المطلوب وأن هذا بعيد منه ، لأنه الوسط المكين الشاهد على الناس !!

ـ ٨ ـ

نخلص من ذلك كله الى أن الحركة الأسلامية تمثل دعوة حضارية شاملة تتسم بقيادة التطور في كل البيئات والعصور .. وأنها تعمل في هذا المجال من خلال بعث مناطق الوعي الأيماني داخل ممالك الذات وخارج ممالك الذات .. وأنها من هذا المنطلق تشكل تحديا شاملا لمنطق الانفلات والفوضى .. وأن توجهها مسدد منذ البدء الى واقع الجدل الحياتي وليس الى فراغ التجريد .. وأن قيمة الضمير تبدأ من تحديده كنوع من العلاقة بين الأنسان والله وتستطرد لتصير نوعا من العلاقة بين الأنسان والاجتماع .. وأن فلسفة الأسلام في حفاظه على قيم الضمير تعمل في مستويات الزمان والمكان والنفس والسلوك .. وأن بذل الأسلام في هذا الصدد ينبع من قاعدة أن قانون الحياة مرتبط بمنهج الالتزام والعدل المسمى في الأسلام بقانون الوسطية الفاعلة .

وهكذا تبدو فلسفة الأسلام في هذا المجال فلسفة شمولية متكاملة ، تضيء جوانب الظاهرة الدينية والحياتية والأنسانية ، وترسل من شعاعها الهادي ـ على تعاقب الأجيال والأعصار ـ أروع قيم الحق والخير والجمال ، وستظل دائما قادرة على الأشعاع والتأصيل ووضع الأنسان المسلم في قيادة التطور الحضاري ، ان هو فهم عن اسلامه ، وحاول أن يجعل من مقولاته واقعا متحركا يمشي على الأرض ويعايش حركة الملايين !!



قرن جديد

يظلنا – نحن المسلمين – قرن جديد – ينبثق معه من ضمير الحر أمل وليد ، أمل يتجاوز الحدود والقيود والسدود ، مخلفا وراءه قرنا مضى بما حوى من دموع وشموع ، وأتراح وأفراح ، ونكسات ونهضات .

ومن المعلوم أن « القرن » وحدة زمنية ليست بالهينة – لا في حياة الأفراد ولا في حياة الأمم . وعظمة الأمة حقيقة تتجلى في حسن تقديرها واستغلالها لكل من الزمن والامكانات التي تملكها ، كما تتجلى في نجاحها في خلق المواءمة والانسجام بين هذين الطرفين : الزمن ، والامكانات .

لكننا بتتبعنا لتاريخ أمتنا الاسلامية ، ندرك أنها قد منيت بمعوقات رهيبة ، عملت في شراسة على عدم تلاقي هذين الطرفين في حياتها الطويلة – وبخاصة بعد عصور النهضة الاولى . مرت بها ظروف قاسية شديدة الفتك بوحدة هذه الأمة ، فكم فرقت من شمل ،

وكم بددت من طاقة ، حتى أسدلت على الماضي المشرق سدف الظلام وستائر النسيان .

للدكتور / محمد كمال ابراهيم جعفر

لأمل مجيد

ولولا رحمة ربك لطويت وبادت هذه الأمة كما باد غيرها من الأمم التي أنسيت ماضيها ، وفصلت عن جذورها فذوت ثم صارت حطاما تذروه الرياح .

اجل : ان رحمة الله قريب من المحسنين ، الذين كان يجود بهم الزمان بين الحين والحين ، ليذكروا الناس ، ويوقظوا الوسنان ، ويستردوا الآبق ، ويؤدبوا المتمرد ويبعثوا غافي الضمائر ، ويطهروا خبيث السرائر ، ويوقظوا الشعور بالذات العليا العزيزة المستمدة من عزة سيدها ـ عز سلطانه وجل شأنه .

إن هذه النفوس النبيلة هي التي حملت هموم أمتها ، وهي التي كانت دائما الضوء المنبثق في غياهب الظلمات التي خيمت على كثير من الأفراد والجماعات ، كما كانت المنبع المثر للحياة واليقظة والصحو والنهوض . وقد علمنا القرآن أن نتأمل الماضي لندرك العبرة التي تنفعنا في الحاضر والمستقبل ، سواء كان هذا الماضي يتصل بنا أم بغيرنا من بني الانسان . وهذه هي عالمية الاسلام في رحابة أفقه وسعة نظرته أليست هبة « الواسع العليم » ؟

ان الصيحات المنطلقة الآن من كل مكان منذرة بالدمار والبوار ، ما لم تقع معجزة تصد الغاشم ، وتضبط المنفلت ، لترينا مدى حاجة العالم - ونحن أولى فريق - الى رشد الاسلام ورحابة صدره ، وسمو أخلاقه ، حتى يرشد العلم ويسخر من أجل الانسان بما هو انسان لا الانسان بما هو وحش كاسر يبطش ويعربد .

إن رشد الاسلام خير من اسس الوفاق المطبق حاليا بين الكبار الذين يملكون وسائل الدمار ، تلك الأسس التي لم تنبع من نفس الطهر والنبل والسمو الذي يمكن ان تنبع من مراعاة أدب الله في خلق الله .

ولقد أظلنا الآن القرن الخامس عشر الهجري فهل نأمل أن ندع مسائل الخلاف ونبدأ صفحة جديدة ناصعة البياض ، ألم يأن لنا بعد أن ندخر طاقاتنا المبددة في هذه الخلافات والسلبيات ، لنتقدم ونستأنف حركتنا العلمية الأصيلة التي بدأها الأجداد ، وأخمدها الأحفاد بطول الرقاد .؟؟

على كل مسلم بصير أن يدرك أن عليه أن يؤدي دوره المنوط به فيما يحسن ويجيد الا فيما يثير جدلا عقيما او يلد فكرا سقيما .

على المفكرين ان يسلطوا الضوء على حقائق المنهج القرآني الواعي الى دراسة الكون واكتشاف اسراره ، واقتناص الحكمة والمنفعة اينما كانت . عليهم ان يؤكدوا للمسلم المعاصر ان النظرة العلمية المستقاة من القرآن الكريم تؤكدها وتشهد بصدقها ويقينها النظرة العلمية الحديثة الى العالم بعد طول مسار ومعاناة .

اذ لم يعد العلم يرى الطبيعة شيئا قارا ثابتا جامداً متماسكاً ، وانما أمكنه الآن ان يفسر كل شيء في ضوء الحركة والتنقل والصيرورة والتغير والتجديد ، وهي نفس الحقيقة التي أعلنها القرآن قبل ذلك بقرون طويلة .

لقد امرنا في القرآن بالحركة والسير والاستكشاف ، ووصفت لنا الظواهر الطبيعية في هذا الكتاب الكريم بالحركة الدؤوب ، التي لا تهدأ ولا تنقطع ، بل ان الحركة شملت سائر خلق الله من جن وانس وحيوان ونبات وجماد ، فالشمس والأنهار تجري ، والقمر منازل والكواكب والأفلاك تسري : **(وكل في فلك يسبحون)** يس / ٤٠ والملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، والأرض تهتز وتربو عند اصابة الماء ، بل إن **الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء** . وعلى رأس كل ذلك تقف هذه الحقيقة الكبرى المتعلقة بالخالق عز وجل . اذ هو : (**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) الحج / ٦١ و :**

(كل يوم هو في شأن) الرحمن / ٢٩ .

وفي ضوء ما سبق هل يجمل بنا ان نظل جامدين عاكفين على اصنام الظن والوهم والخلاف العقيم ؟ هلا سمحنا لنسائم الاعجاز الالهي في آثار ملكه وملكوته لتهب علينا فتجدد شبابنا وتحيي هممنا ؟؟!!

اننا اذا كنا نطالب بالحركة فانما نطلبها الى الامام ، ولا نطلبها مجرد حركة حتى وان تكن دائرية تبدأ من حيث تنتهي لتبدأ من جديد ، دون تقدم او تجدد او ازدهار .

اننا نريدها حركة مستضيئة بهدى الله المثل في قرآنه وسنة نبيه ، ومنتفعة بثمرات المواهب الانسانية التي ليست الا نفحات المحسن ، وتفضل الخالق الكريم .

فلتنطلق الطاقات الاسلامية ـ المادي منها والروحي ـ ولنعلم ان المادة سلم طبيعي الى ما وراءها ، وما وراءها هو القطب الجاذب الذي يرشد الفطر السليمة ، وتجعلها تصعد المعراج بالهام التطلع والتشوف والبحث .

ولسنا بهذا ماديين ، لأننا لا نعتقد ان المادة هي نهاية المطاف في حياة الانسان وفي نظام العالم ، ولسنا كذلك أعداء المادة ، ولا من المزرين بها ، وكيف نزري بها وهي من صنع الذي أتقن كل شيء ، فموقفنا معتدل ملتزم حكيم .

علينا في هذا القرن الوليد ان نتوخى اسس الاتفاق لسد الطريق امام المتآمرين والحاقدين ، فلا نشجع نشر المؤلفات الغاصة بالجدل والمناظرات الدينية التاريخية ، فان الاستعمار كان يفعل ذلك ، تنفيذا لخطة علمية تضمن له دوام الخلاف وتأجج الصراع بين المسلمين .

إن ديننا دين توحيد في كل شيء : توحيد الخالق سبحانه وتوحيد النفس الانسانية بتحقيق التوازن بين حقوقها وواجباتها ، وتوحيد النظرة الى الكون والانسان ، فكيف نرضى ان تظل الصراعات والخلافات تعكر هذا الجو الاسلامي الصحيح ؟؟ .

فلنبدأ لقاءاتنا خالصة لوجه الله ، ولتكن لقاءات على اسس مشتركة واقعية في كافة المجالات والقطاعات ، ولنسخر الطاقات التي نملكها في تحسين واقعنا بخطط مدروسة ونيات صافية وايجابية واعية ، ولتعكف كل مجموعة متخصصة في مجال معين على تقديم أحسن ما تتوصل اليه لتجعله متاحا لهذه الامة التي اضرع الى الله بشأنها ان يهيىء لها من امرها رشدا ، وان يجعل هذا القرن قرن احسان واجادة وتقدم وازدهار للامة الاسلامية وان يحقق فيه للعالم ما يذكره بفضل هذه الأمة التي ما أرسل نبيها الا رحمة للعالمين .

وامتثالا لهذا المبدأ الحكيم ، نلقي نظرة خاطفة على ماضينا القريب ، لندرك بوضوح أن أخطر سلاح قضى على وحدة أمتنا ونال من كيانها ، لم يكن في الواقع من خارجها ، أو من أعدائها . صحيح ان هناك أعداء كثيريــن حاكوا المؤامــرات ونفــذوا الخطط التي تدمر هذه الأمة ، ولكن هؤلاء الأعداء لم يتمكنوا حقيقة منها الا بعد ان أعملت فيها الأسلحــة الداخلية الناتجة من فقدان الوعي والتربية والبصر حتى تفرقت بددا .

ودون إسراف في الرمز والاشارة نقول ان افتك سلاح نال من وحدة هذه الأمة وتماسكها هو سلاح الفكر والنظر حيث صرف الى غير ما أريد له ، وما كان ينتظر منه .

فمما لا جدال فيه أن الفكر والنظر أثمن ما وهب الله الانسان ، ولكنهما سلاح ذو حدين ، قد يحمي صاحبه ، وقد يفتك به في نفس الوقت ، فهو وسيلة حياة وموت ورفــع وخفض وتدهور وتقدم وعقم وثــراء . وذلك يترتب على نوعية الفــكر وطريقــة استعماله والافادة منه ، كما يتأسس على المنهج المتبع في استخدام هذا الفكر ، وفي تطبيق ذلك النظر .

واذا كان الأمر كذلك ، فاننا نرى أن الامة الاسلامية قد كتب عليها أن تحبس داخــل اســوار من الفــكر العقيم ، والقوالب الجامدة التي كبلت العقول وحصرتها في دائرة ضيقة هي حصاد الفرق الاسلامية المختلفة .

ان هذه الفرق الاسلامية قد جندت كل طاقاتها ، ليعمل عقلها عمل الرحاة التي لا تجرش إلا نوعا واحدا ، وصنفا فريدا بعيد الصلة عن الحياة والأحياء . ان معظمها قد حرث في الماء وفي الخيال ، ولم يحرث في الغبراء حتــى نجنــي الثمار . لقد أوغلت في الخلافات والصراعات والمجــادلات حول ما نهينا عن الخوض فيه ، وتقاعست عن العمل فيما أمرنا أن نفكر فيه .

لقد اوصانا رائدنــا وقدوتنــا ـ صلوات الله وسلامه عليه ، بأن نفكر في خلق الله ولا نفكر في ذاته فنهلك . ومع ذلك فقد استبحنا حمى الذات والصفات ، واوسعناها بحثا وجدلا وتأويلا وتأملا يدفعنا حب الغلبــة وإفحام الخصم ، فتلون تفكيرنا بما لا ينبغي إزاء قدس الذات ، ولا غرو أن يعلق أحد علمائنا على من يزعم أنه ينزه الله بالدليل فيقــول : إماطــة العيب ـ حيث لا عيب ـ عيب .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى تبادل الاتهامات والوسم بالكفر والالحاد والزندقة بين أهــل القبلة الواحدة والاله الواحد ، مما عمــق الخــلاف وأحالــه الى حرب ضروس .

وفرح الأعداء للفرصة السانحــة

لتأريث الصراع ، لينصرف المسلمون عن الاشتغال بالكون والطبيعة ، وينحصروا في هذه الدائرة المغلقة من التفكير المجرد حول الغيبيات والمجردات والسمعيات .

هذا على الرغم مما توحي به العقلية القرآنية العلمية .

ان هذه العقلية قد ندت عنهم ، فلم يروا الا هذه الساحة التي غصت بالأوهام والظنون ـ ساحة ما وراء الطبيعة مع أنها الساحة التي أضاءها الدين وبدد شبهاتها بطريقة حاسمة ، رحمة بالانسان وتوفيرا لجهوده وطاقاته لينتفع بها في الساحة التي يأنس اليها ويقوى عليها ـ ساحة الطبيعة بما تضم من ظواهر ومرائي .

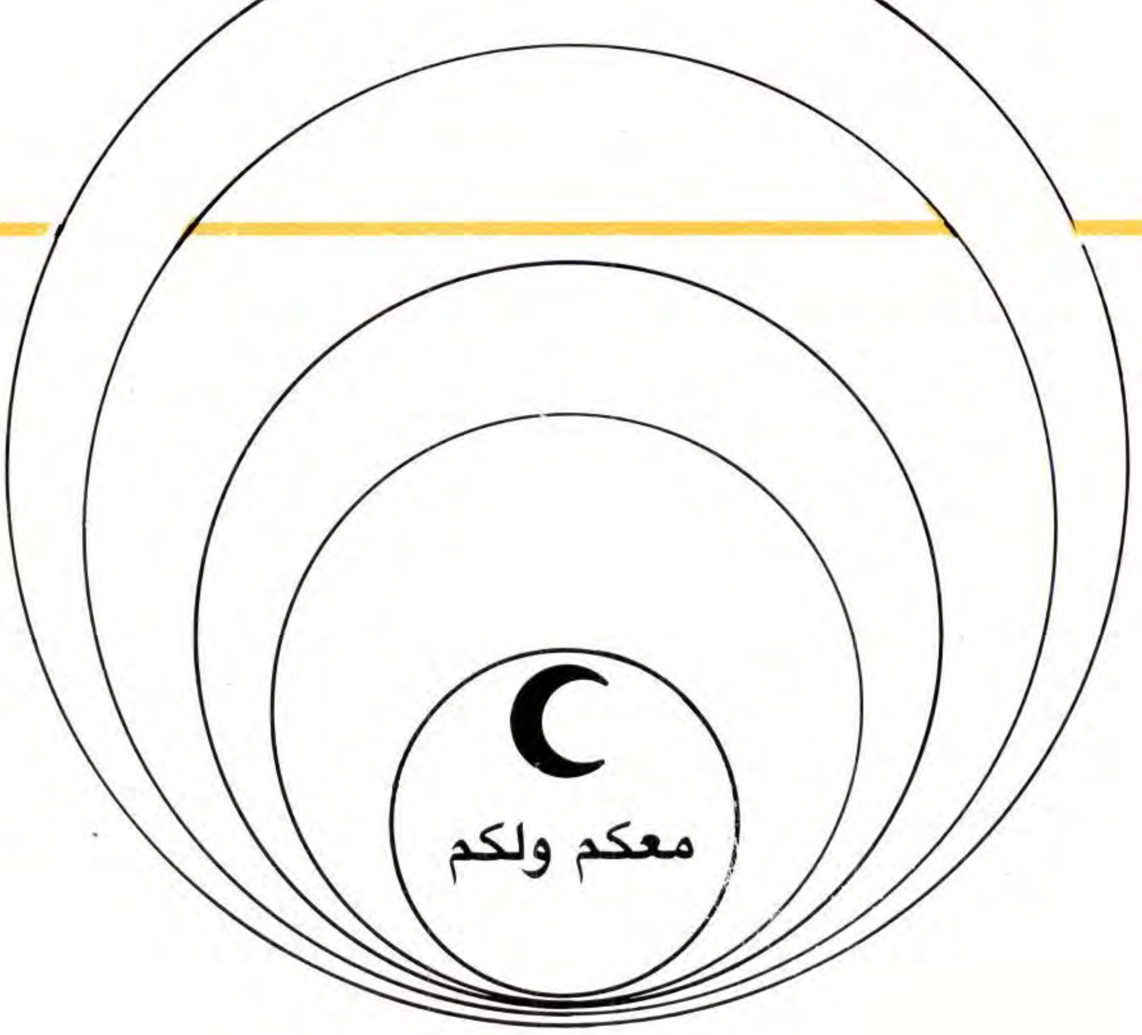
لقد نسينا أيها القارئ الكريم الدرس الذي تعلمه الأسلاف العظام من القرآن وجرينا خلف مناظرات ومجادلات وأوجه خلاف ، حول مشكلات ومسائل تجريدية لا تؤثر في دفع عجلة الحياة نحو التقدم وكشف الآيات والقوانين كما أراد الله .

إن أسلافنا تعلموا من القرآن أن هذا العالم مسخر للانسان ليحقق فيه ذاته عن طريق البحث والعمل ، كما أنه كذلك آية على الخالق ودليل على حقيقته الأبدية .

إن القرآن الكريم عني بالطبيعة عناية فائقة من حيث صلتها بالانسان الخليفة بالخالق المستخلف . فعلى الخليفة أن يدرك أن بحثه في الطبيعة ، وقراءته لأسرارها ومعرفته لنواميسها وكشفه لقوانينها إنما هو تنفيذ مخلص لمقتضيات الخلافة كما جعلها الله .

ومعنى ذلك ان ادراك اسرار الطبيعة والكشف عن قوانينها يمكن الانسان من السيطرة **عليها كتعبير عملي عن الخلافة . وهذه السيطرة لا تتم في الاسلام لمجرد التسلط وإحكام السيطرة والتحكم ، بل تتوجه لتحقيق غرض أنبل وأشرف . وهو تحرير حركة الحياة الروحية في رقيها وتساميها ، تحريرها من ذل العبودية والخضوع لغير الله . فهي سيطرة تتم مع الايمان بالخالق الاعلى الذي تعنو له الوجوه . وهذا الايمان الواعي هو الدرع الواقي من الاستعلاء والتجبر والبغي والفساد والطغيان .**

أرأيت ـ أخي ـ كم خسرنا وخسر العالم عندما غفونا واغضينا عن النظر في الكون فحرمنا الدنيا ثمار علم يضبطه الايمان والخلق ، وجعلناها الآن فريسة علم يعوزه الايمان والخلق أنه مارد لا تحرسه المبادئ والقيم الشريفة التي تؤكد إنسانية الانسان ، وتحرص على كرامته ، إنه الآن عربيد يتأهب بين الحين والآخر .



بمناسبة الاحتفال بيوم الهلال الأحمر الدولي الذي صادف يوم ٨/٥/١٩٨١ الماضي يسر مجلة الوعي الاسلامي أن تنشر هذه الكلمة التي وصلتنا من أمين عام جمعية الهلال الأحمر الكويتي .

تحتفل جمعية الهلال الأحمر الكويتي باليوم العالمي للهلال الأحمر الدولي والذي يصادف الثامن من مايو من كل عام والمتخذ له شعارا هذا العام « الهلال الاحمر معكم ولكم » تجديدا لنشاط هذه الحركة وتجسيدا لخدماتها الانسانية ، تلك الحركة التي اضاءت طريق الانسانية في وقت امتهنت فيه كرامة الانسان وتعرضت الانسانية لمحنة كبيرة .. فكانت هذه الحركة بمثابة النور الذي بدد الظلام في وقت ابتعد فيه الناس عن التمسك بدينهم ونسوا او تناسوا المباديء والقيم التي نادى بها الأنبياء والرسل .. لذلك لقيت هذه الحركة الانسانية كل التجاوب وانتشرت بين شعوب العالم وهي الأن متمثلة فيما يزيد على ١٢٥ جمعية وتضم ما يزيد على ٢٣٠ مليونا من المتطوعين .

ومما هو جدير بالذكر ان قيام جمعيات الأسعاف كان في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اوروبا في وقت سادت فيه الصراعات الدموية بين الشعوب ، وفي وقت تعرض فيه الانسان لشتى

الوان الالم والعـذاب وكان بأمس الحاجة الى من ينادي بتخفيف آلامه واحترام انسانيته وكرامته وحريتـه وحقه في الحياة الكريمة القائمة على العدل والمساواة .

ولمولد هذه الجمعيات قصة بطلها رجل يدعى هنري دونانت سويسري الجنسية هو مؤسس تلك الجمعيات ، وكانت حرفته التجارة وقد استقر به المقام في الجزائر حيث واجهته بعض الصعوبات في ممارسة تجارته ولذلك قرر التوجه ليشكو الى نابليون الثالث امبراطور فرنسا آنذاك ليجـد حلاً لمشاكله في الجزائر وكان ذلك في عام ١٨٥٩ ، وفي الطريق الى فرنسا ساقه القدر ليشهد بطريق الصدفة معركة من اشرس المعارك التي قامت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اوروبا وهي معركة (سولفرينو) في شمال ايطاليا والتي قامت بين الجيوش الايطالية وحلفائها الجيوش الفرنسيـة من جهـة والجيـوش النمساوية من جهة اخرى والتي راح ضحيتها ما يقارب الاثنين والاربعين الف قتيل وقد استرعى انتباه دونانت المشاهد الدامية التي خلفتهـا هذه المعركة .. الوف الجنود ينزفون وليس هناك من يحاول انقاذ حياتهـم ، والوف اخرون يموتون جوعا وعطشا وليس هناك من يحاول ان يقدم لهم الماء والغذاء .. وعندئذ قام هنري دونانت بدوره الانساني التاريخـي حيث قام بتوجيه نداء لأهالي القرى المجاورة ليقدمـوا كل عون ممـكن لضحايا المعركة وقام هو معهم بالعمل الجاد في ساحة المعركة من ضماد لجروح المصابين وعـلاج للمـرضى وتقديم الغذاء والماء والكساء .. الكل يعمل لخدمة الضحايا دون اية تفرقة أو تمييز بينهم سواء كانوا من بلدهم او من اعدائهم وهذه هي اهم القيم الانسانية التي تمكن دونانـت من غرسها في نفوس الناس التي هبت لمعاونة جرحى المعركة وانتهت المعركة ولكن دونانت لم يتوقف عن دعوته للمباديء الانسانية التي أوحتها له المآسي الدامية التي شاهدها وقـد شجعه على ذلك ما أحرزه من نجاح فيما قدمه من خدمات قيمة لضحايا الحرب ولذلك عكف على تأليف كتابه الشهير « ذكرى معركة سولفرينو » والذي صدر في جنيف عام ١٨٦٤م وقد نادى فيه بتحقيق امرين هامين يعتبران اساسا لهـذه الجمعيـات وهما :

١ ـ تأسيس جمعية اسعاف في كل دولـة لمساعـدة الجرحـى والمرضى والاسرى .

٢ ـ عقد اتفاق دولي تتعهد جميع الدول بموجبه بتوفير الحماية والعون لجرحى الحرب ولجمعيات الاسعاف والاغاثة .

ولقد لقيت دعوة دونانت استجابة دولية لما تضمنته من معان إنسانية نبيلة ، وقـد تحقـق إنشـاء هذه الجمعيات في مختلف دول العالـم للعنايـة بجرحـى وأسرى الحـرب بصورة خاصة بالاضافة الى تقديم الخدمات الانسانيـة والاجتماعيـة للانسان بصورة عامة .

وبالنسبة لعقد الاتفاقية الدولية فقد شكلت لجنة في سويسرا في عام ١٨٦٤م وقامت هذه اللجنة بوضع أول قانون لحماية الجرحى والمرضى من افراد القوات المسلحة وكان هذا القانون هو نواة اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والتي وقعتها دول العالم أجمع .

ولقد ذكرنا فيما سبق ان هنري دونانت هو مؤسس تلك الجمعيات الدولية عام ١٨٦٤م وهذا يدعونا الى التساؤل هل كان هذا الرجل هو أول من نادى بهذه المباديء الانسانية ؟ والجواب بكل تأكيد لا .. لأن الأديان السماوية قد سبقت الدعوة الى هذه المباديء والقيم وكان اخرها الدين الاسلامي الحنيف الذي سبق دعوة هنري دونانت بأكثر من الف عام وقد كرم الاسلام الانسان وميزه على سائر المخلوقات بقوله تعالى : (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**) التين/ ٤

والدين الاسلامي هو دين السلام وكانت نظرته للحرب هي لدفع العدوان وليس لمجرد الاقتتال ، قال تعالى :

(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) البقرة/ ١٩٠ ، ١٩١ .

ولقد كان الاسلام سباقا الى الحث على عون المسكين واليتيم والاسير ، قال تعالى : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا**) الانسان/ ٨ .

وكان عليه الصلاة والسلام يحث على الاحسان الى الاسرى ومد يد المساعدة اليهم ويروي انه عندما اسر الصحابة ثمامة بن أثال الحنفي امرهم الرسول عليه الصلاة والسلام ان يحسنوا اليه ثم ذهب الى اهل بيته فأمرهم ان يجمعوا ما عندهم من طعام ليرسله الى الاسير ثمامة ، ثم امر ان تحلب ناقته ويرسل حليبها الى ثمامة .

كما يروي البخاري ان العباس بن عبد المطلب عندما اسر في بدر امر له الرسول عليه الصلاة والسلام بثياب تستره وتدفع عنه تقلبات الجو المختلفة ليلا ونهارا .

وقد كان احتجاز الاسرى يتم في المسجد ، والمسجد مكان طاهر نظيف تتوفر فيه كافة الوسائل الصحية والرعاية الاجتماعية ، وهكذا كانت رعاية الاسلام للاسرى .. وقد فاقت كل رعاية على مر العصور ، ولم يحدث في تاريخ المسلمين ان لقي اسيرهم الجوع او التعذيب او البرد او العطش أو الذلة او القهر او الغدر كما نسمع في أيامنا هذه .. لقد كان الاسلام يحترم انسانية الاسرى فلا يلقي بهم في الاقبية المعتمة او المعتقلات المظلمة ليموتوا جوعا وعطشا ومرضا ولا يعذبون بأي نوع من انواع العذاب التي نسمع عنها هذه الايام بما يأباه الضمير الانساني .

ويجدر بنا في هذه المناسبة ان نذكر وصية سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه لجيوش المسلمين المتجهة الى الشام بعد وفاة الرسول صلى الله

عليه وسلم « لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا » .

كما حث سيدنا عمر بن الخطاب جنود المسلمين اثناء دخولهم القدس على حماية الارواح والممتلكات والكنائس ومنح حرية العبادة للقاطنين في هذه البلاد مصداقا لقوله تعالى : **(لا اكراه في الدين)** البقرة/٢٥٦ ، وقوله تعالى : **(لكم دينكم ولي دين)** الكافرون/٦ .

ومما تقدم يبين بجلاء ان الدين الاسلامي الحنيف هو دين الاخاء والمحبة والسلام وقد وضع للبشرية اسمى المباديء في علاقة الانسان بأخيه الانسان في السلم والحرب وهذه المباديء والقيم صالحة لكل زمان ومكان ولو ان شعوب العالم اتبعت تعاليم الاسلام لما تعرضت البشرية للدمار والخراب على مر الزمان .

وجمعية الهلال الاحمر الكويتي التي أسست عام ١٩٦٦ حملت من يوم تأسيسها لواء الخير والعمل الطيب والتعاون بين الانسان على ارض الكويت الطيبة واخيه الانسان في كل موقع ومكان ، فكانت هذه الجمعية انعكاسا لتطلع الكويت الى مشاركة الشعوب الاخرى في زرع الخير والمحبة والتعاون ، فهي جزء من سيرة انسانية عالمية تعمل جميع الجمعيات المنضمة اليها بتعاون وتكاتف لتمسح عن جبين الانسانية بعض متاعبها ، وتواسي بعض آلامها لتعم بسمة الحياة الكريمة كل الوجوه .

وفي هذه المناسبة تود جمعية الهلال الاحمر الكويتي ان تشير الى الخدمات العديدة التي قامت بها داخل البلاد وخارجها في مختلف المناسبات فقد لبت الجمعية نداء الواجب لمساعدة المتضررين في حوادث السيول والفيضانات والزلازل والبراكين في مختلف انحاء العالم وبصفة خاصة في الدول العربية والاسلامية الشقيقة مما جعلها في مقدمة الجمعيات في العالم .

ففي داخل البلاد قامت الجمعية بدور كبير في مجال الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية وركزت على الدورات التدريبية على الاسعافات الاولية والخدمات الاجتماعية والتي تخرج منها (٥٨٦) متطوعاً و (١٧٣) متطوعة بالاضافة الى الدورات التدريبية على اعمال الاسعافات الاولية لطلبة وطالبات جامعة الكويت وما قامت به الجمعية من خدمات في مراكز الاسعاف التي اقيمت على الشواطيء .

وفي موسم الحج والاندية الصيفية ، وطبع ونشر الكتيبات الخاصة بمباديء الهلال الاحمر والاسعافات الاولية ، وفي مجال الخدمات الاجتماعية أقامت الجمعية العديد من الدورات على اعمال التفصيل والخياطة ، كما قامت بواجبها نحو المرضى والاطفال والعجزة والمحتاجين بصفة عامة .

قصة إسلامية

الحمية

للاستاذ عبد اللطيف فايد

لم يشهد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم جمعا حافلا من الصحابة مثل ما شهد في هذا اليوم ، فبعد ان فرغ الجميع من صلاة العصر جلسوا امام النبي صفوفا يستمعون منه آخر ما نزل من آيات القرآن الكريم ، ويستعيدون مبادىء للاسلام يلتزمونها ، ويسيرون بها بين الناس هداة مرشدين ..

ومع هذا الاصيل توافد على المسجد عدد كبير من المسلمين ممن لم يدركوا صلاة العصر مع النبي ، أقبلوا يعوضون ما فاتهم من فضل الجماعة بحسن الاستماع الى اقواله ، وما سن الله من قواعد يسيرون عليها في دنياهم ، فتكون نورا على الطريق لهم ، ولمن يأتي بعدهم من الاجيال الى يوم الدين ؛ إن أخذوا بها لن يضلوا ، ولن يتخلف عنهم نصر مهما كان بعيد المنال .

وقبل ان تغرب شمس هذا اليوم كان المسجد قد ضاق بمن توافدوا عليه ، فافترشوا من حوله ، وأعطوا آذانهم لصوت النبي الذي ينساب كأنه الماء العذب يروي



الظامئين ..

وخلال وقفة في أحاديث النبي التي تناولت شئونا كثيرة مما يهم المسلمين ، أفسح الناس طريقا لقادم جديد ، وقد وضح من اهتمامهم به وهم يفسحون له ، أن له شأنا بينهم كبيراً ..

لقد كان هذا القادم هو « ابن اللتبية » رجل من الأزد استعمله النبي على جمع اموال الزكاة من

المسلمين لتودع في بيت المال ، ينفق منها على الفقراء والمساكين ، ويستعين منها على استكمال حاجة الجيوش المحاربة في سبيل الله ، ثم ليشق للناس طريقا ، او يزرع لهم نخلا ، او يبتاع ابلا يشربون لبنها ، ويأكلون لحمها .. إلى غير ذلك مما يحقق للمسلمين الكفاية والمنعة ، ويوفر على الفقراء منهم سؤال الأغنياء ..

* * *

وكان ما جمعه « ابن اللتبية » من أموال الزكاة شيئاً كثيراً ، فقد اشتهر هذا الرجل بمعرفة اسرار الثروات ونمائها وهو يعرف جيدا هذه الأرض وكم أثمرت من خير ، وهذه التجارة وكم حققت من ربح ، فالانباء تصل اليه من كل مكان عن المطر الغزير ، وأين نزل وحقق لمساحات من الأرض غلة اكثر من غيرها شحت عليها السماء ، ويتوافد الناس عليه من الاسواق يخبرونه عن التجارة كم كسبت وكم خسرت ..

ولقد استعمله النبي على جمع الزكاة بعد ان استيقن أنه يعرف حدود الله في أموال الناس .. فهو يعلم كم نصيب الزكاة في الزرع والثمر ، وكم نصيبها في الأبل والغنم والشاه ، وكم نصيبها في الذهب والفضة ، وفي مال التجارة ..

ومن طول الممارسة برع الرجل في تقسيم الأموال وفرزها ، واستخلاص العشور وأنصاف العشور وأرباعها ، حتى لا يضيع درهم واحد من حق بيت المال ، وحتى لا يغالطه شحيح بماله ، فينتقص درهما أو دينارا من هذا الحق الذي فرضه الله طهرة للمال ، وزكاة له ، ونماء فيه ..

وضع الرجل بين يدي النبي ما جمع من هذا المال : هذه أكياس الذهب ، وأكياس الفضة من أموال مضت عليها سنة وبلغت نصاب الزكاة .. وفي خارج المسجد تكدست أكوام الثمر والحنطة والشعير من زكاة ما أخرجت الأراضي المثمرة .. وعلى جانب آخر وضعت في القيود إبل وغنم وماعز جمعها الرجل من التجار والأثرياء بحنكته في معرفة ما يجمعون ، وما يكسبون ..

وفرز النبي كل هذا المال الذي صنفه جامع الزكاة ، لا يختلط فيها صنف بصنف ، ولا ينسى الرجل ان يقول للنبي لقد اخذت كذا دينارا من الذهب من آل فلان ، وكذا درهما من الفضة من بني فلان .. اما هذه الابل السمينة فقد استحقت في تجارة جاءت من الشام او اليمن لهذا الصحابي أو ذاك .. ولم ينس كذلك أن يذكر له أن بني فلان كانت زكاتهم مائة أوقية من الذهب فزادوا مثلها ، وأن بني فلان أعطوه زيادة على ما فرض الله في أموالهم ألف دينار ، وأن بني فلان

زادوا خمسمائة فقط ، وأن بني فلان أعطوا الحق بلا زيادة عليه .. أما بنو فلان فقد وضعوا أمامي كل أكياسهم وقالوا : خذ منها ما شئت ، فالمال مال الله ، وأولى به أن ينفق في مصالح المسلمين ..

ويذكر الرجل للنبي غير ذلك مما يدل على دقة معرفته بأسرار عمله واستيعابه لكل جوانب وظيفته ، وهو على استعداد لتحقيق أية مظلمة لأحد من المسلمين يشكو فيها اعتسافا وقع به ، أو تزيدا حدث حين احتساب زكاة ماله ..

* * *

كانت البسمة لا تفارق وجه النبي ، وهو يرى ويحصي مع « ابن اللتبية » ما جمع من حقوق بيت المال .. لقد كان ما جمعه هذا الرجل شيئا كثيرا ، يدل على رخاء أفاضه الله على أمة صدقت برسالة خاتم الأنبياء ..

ثم أشار الرجل إلى جانب آخر من المال ، وقال للنبي : أما هذا فقد تلقيته هدايا من الناس ، وأنا أجمع حقوق بيت المال .. فهو لي .. أما ما مضى فهو لكم ..

وفجأة احتقن وجه النبي ، وارتسمت على ملامحه سمات الغضب .

وأدرك المسلمون من حوله سر هذا التغير الذي أسرع به إلى منبر المسجد وهو ينادي في صحابته أن اجتمعوا أيها المسلمون ..

الأمر هام وخطير .. فهذا الجمع من الناس آمن بالنبي حين آمن ليس طلبا لثراء أو جاه ، أو طمعا في مال يستعملهم عليه صاحب الرسالة ، وإنما باعوا أنفسهم لله ولرسوله ولهذا الدين الجديد ، ينشرونه في الأرض بأموالهم وأرواحهم وعيالهم .. بل إن الذين هاجروا منهم من مكة إلى المدينة هاجروا بالدين وحده ، وتركوا أموالهم هناك نهبا للكافرين .. وأي استغلال لعمل أو انتفاع خاص بسببه هو على الحقيقة مناف لطبيعة هذه الرسالة ، ومبادئها ، وتعاليمها ..

وصعد النبي المنبر .. والمسلمون أمامه وقد احتشدوا ملتصقين حتى تجمعهم كلهم جدران المسجد فيتاح لهم السماع عن قرب لما سيقوله النبي ..

ومضت لحظة سكت فيها الجمع كأن على رءوسهم الطير ..

وتكلم النبي عن دستور الوظيفة في دولة المسلمين .. فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال : « اما بعد .. فاني أستعمل رجالا منكم في أمور مما ولاني الله ، فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم ، وهذه هدايا أهديت إلى ، فهلا جلس في بيت أبيه ، أو بيت أمه ، فينظر أيهدى إليه أم لا ، ! .. والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » .

ثم أمر بالهدايا جميعها .. فضمها إلى بيت المال .



جاءنا من الاخ خضر سليمان عبد السلام ـ من السودان مقال تحت عنوان

العين ـ ادلة وبراهين ورد على المنكرين

يقول فيه :

هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم قدر اتساعه الا الله عز وجل وحده ملء بالأسرار والعلوم والعجائب وكلما توغل البشر في معارفه وكشف اسراره يوما بعد يوم كلما وجدوا محيط العلوم واسعا عميقا الى ما لا نهاية مادية كانت ام غير مادية .. وهذه الاسرار التي تم اكتشافها ضئيلة جدا « **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » ونحن نؤمن بان كل المخترعات قديمها وجديدها كانت على نظام الأسباب والمسببات وجرت على سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير ، هناك مكتشفات مرئية محسوسة .. وهناك مكتشفات مؤثرة لا نراها رأى العين كالاشعة الكونية وغيرها ويحظى عالم المادة بايمان الناس اجمعين خلاف عالم الروح الذي آمن به البعض وكفر به البعض وتردد فيه الأكثرون في ريبهم كتأثيرات النفس الخبيثة « الاصابة بالعين » والسحر والتنويم المغناطيسي وعالم الملائكة والجن ولعل اكثر المجالات انتقادا وشكا ما نتناوله في مقالنا هذا وهو النفس الخبيثة « الاصابة بالعين » فمن المسلمين من يؤمن بها ومنهم من لا يؤمن بها ولعلنا بهذه السطور نبين الحقيقة والله الموفق :

ولقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه البخاري ـ ان قال : العين حق ونهى عن الوشم . وذكرت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تسترقي من العين . وعن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة « يعني صفرة » فقال : استرقوا لها فان بها النظرة . وفي سنن أبي داوود : ان عائشة رضي الله عنها قالت ، « كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين » .

وركب سعد بن ابي وقاص يوما فنظرت اليه امرأة فقالت : ان اميركم هذا ليعلم

انه اهضم الكشحين ، فرجع الى منزله فسقط فبلغه ما قالت المرأة ، فأرسل اليها فغسلت له . قال الاصمعي : رأيت رجلا عيوناً سمع بقرة تحلب فأعجبه شخبها فقال : ايتهن هذه ؟ فقالوا : الفلانية لبقرة اخرى يورونها عنها ، فهلكتا جميعا .. الموري بها والموري عنها .

يقول تعالى في سورة يوسف إخبارا عن يعقوب عليه السلام : « **وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلتوعليه فليتوكل المتوكلون** » .

قال القرطبي في « الجامع لاحكام القرآن » عند تفسير الآية الكريمة : لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين فأمرهم الا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها اربعة ابواب وانما خاف عليهم العين كونهم احد عشر رجلا لرجل واحد وكان اهل جمال وكمال وبسطة ، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم . واذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين والعين حق .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة ، وانكر الجبابي العين وهو مردود بما ذكرنا . أ هـ

وقد اكد قدرة بعض العيون على الايذاء الاستاذ المرحوم / محمد فريد وجدي في تفسيره للآية الكريمة فقال :

ان لعيون بعض الناس قدرة على الايذاء وهذا التأثير مظهر قوة نفسية عظيمة لا يجعلها مكروهة الا انصرافها الى الشر واما هي في ذاتها فقوة من اعجب القوى .

وقد اسهب الامام الشيخ ابن قيم الجوزية في كتابه الجامع « مدارج السالكين » في هذا الموضوع اسهاباً وافياً فيقول : ومنهم في نفسه على نفوس ذوات السموم والحمات كالحية والعقرب وغيرهما وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيدخل الرجل القبر والجمل القدر ! والعين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب وقابلت المعين على غرة منه وغفلة وهو اعزل من سلاحه فلدغته كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فتنهشه فاما عطب واما اذى ولهذا لا يتوقف اذى العائن على الرؤية والمشاهدة بل اذا وصف له الشيء الغائب عنه وصل اليه اذاه والذنب لجهل المعين وغفلته وغرته عن حمل سلاحه في كل وقت فالعائن لا يؤثر في شاكي السلاح كالحية اذا قابلت درعاً سابغاً على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف فحق على

من اراد حفظ نفسه وحمايتها ان لا يزال متدرعا متحصنا لابسا اداة الحرب مواظبا على اوراد التعويذات والتحصينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن .

والمؤسف ان الذين ينكرون هذا لا يدعمون انكارهم بالحجج والبراهين رغم جهلهم من الاسرار الكامنة في النفس البشرية وقد اثبت العلم الحديث بعض هذه الاسرار واجريت التجارب عليه وتيقن العلماء الماديون من بعضها كالتنويم المغناطيسي والاتصالات من بعد سحيق ولقد بدأ بعض الماديين يتراجعون ويجرون تجاربهم وينشرون ابحاثهم .

يقول ابن القيم الجوزيه رحمه الله في كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » « فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل امر العين وقالوا : انما ذلك اوهام لاحقيقة لها وهؤلاء من اجهل الناس بالسمع والعقل ومن اغلظهم حجابا واكثفهم طباعا وابعدهم معرفة عن الارواح والنفوس وصفاتها وافعالها وتأثيراتها وعقلاء الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع امر العين ولا تنكره وان اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين فقالت طائفة ان العائن اذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر قالوا : ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الافعى تتصل بالانسان فيهلك وهذا امر قد اشتهر عن نوع من الافاعي انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فكذلك العائن .

من هنا يتضح ان التحصن صباح مساء امر لازم للوقاية فمن التحصن : قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي والتعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، ونحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ومنها اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون ومنها رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم : باسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس او عين الله يشفيك باسم الله ارقيك .

ان تأثير العين ربما يكون اطيافا مجهولة وفي عالم المادة اثبت العلم الحديث انه بواسطة الموجات الصوتية يمكن تفجير القنابل من مكان بعيد وتوجيه السفن الفضائية وتمكن المنوم المغناطيسي ان يؤثر عن طريق المحادثة التلفونية وقد تبين مما سبق ان أمر « العين » ثابت في الكتاب والسنة وهما المصدران الاساسيان للاسلام ورغم ما سبق فقد اوصى الاسلام بالتوكل على الله سبحانه وتعالى ولا طيرة و هامة وامر بالذكر المتواصل . لقد اردت من هذه السطور اثبات ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا ينفي ذلك احد دون حجة ولا برهان .

موقف الاسلام من أعدائه

وردتنا كلمة بعنوان : موقف الاسلام من أعدائه للأستاذ: أحمد محمد دحلوب نقتطف منها ما يلي :

قال الله تعالى (**ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**) الاسراء/٩ .

كتاب الاسلام الخالد الذي لم يدخله تحريف ولا تبديل فهو نور ، يقول الله تعالى (**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا**) التغابن/٨ . (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**) المائدة/١٥ .

نزل الكتاب وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل اخراج الناس من الظلمات الى النور (**الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**) ابراهيم/١ .

بالقرآن ارتقت أمة الاسلام وأخذت مكانها فوق قبة الفلك .. واعتصمت بحبل الله وتوحدت وأصبحت كالجبال الرواسي لا تؤثر عليها الرياح وزال ما بها من شقاق كان المسلم ينتقل من مكان الى مكان ويرتحل من بلد الى أخرى ويهبط ويصعد من أدنى البلاد الاسلامية الى أقصاها شرقا وغربا وكأنها بلد واحد بلا حدود أو مواقع ذلك لأن هذه الأرض التي يسير عليها أشرق فيها نور التوحيد . وارتفعت عليها راية الله ، ويوم أن حكمت الأمة بالقوانين الوضعية ، وصعرت خدها لكتاب ربها ، انغمست في فلول الدجى .

وان القلب ليبكي دما في هذه الآونة حينما يرى الفرقة ضاربة أطنابها بين شعوب الأمة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

فهل آن الأوان للأمة الاسلامية أن تنفض عن نفسها عوامل الشقاق والفرقة وتنبه الى ما يحاك لها من الخطوب المدلهمة والمحن القاسية ، وهل آن الأوان لأن تستضيء الأمة الاسلامية بكتاب ربها .

والنتيجة الحتمية لتفرق المسلمين وقع العالم الاسلامي في براثن الاستعمار الذي عرف أن الاسلام هو سر قوة الشعوب الاسلامية .

وكم خسر المسلمون في أرتيريا وفي أفغانستان وفي بورما والفلبين التي سقط على أرضها آلاف المسلمين ضحايا الغدر والخيانة . هذه المحن التي نزلت بالمسلمين انما سببها البعد عن تعاليم الاسلام ومجاملة الأعداء والارتماء في أحضانهم . وقد نهانا الله عن طاعتهم والانقياد لباطلهم فقال تعالى :

(**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة**)

بريد الوعي الاسلامي



ماذا يريد الشباب من حكامهم

وصلتنا من الندوة العالمية للشباب الاسلامي الكلمة القيمة التي وجهها الأخ الدكتور (أحمد عبدالقادر باحفظ الله) الأمين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامي الى قادة العالم الاسلامي في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في مكة والطائف في ربيع الأول ١٤٠١هـ وكان بودنا نشرها كاملة لكن ضيق المجال دفعنا إلى أن نقتطف منها الآتي :

يا أخوة الاسلام ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن لقاءكم الميمون هذا في أقدس بقعة وأطهر مكان في رحاب بيت الله الحرام يفتح أوسع أبواب الأمل أمام شباب الاسلام ... إن شباب الاسلام يتطلعون إليكم وأنتم في منازل الوحي ومهاد الايمان تخططون وتقررون مستقبل الأمة يملؤهم الرجاء في أن يحظوا بالمزيد من كريم العناية بهم ليظلوا كالعهد بهم حراس العقيدة في مواجهة تيارات الكفر والالحاد والاباحية .. ويتطلع شباب الاسلام إلى أن تتمثل رعايته في أوطانه بالآتي :

- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى كل لغات العالم .
- ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة إلى كل لغات العالم الاسلامي وأمهات لغات العالم .
- افتتاح معاهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .
- جعل العربية لغة ثانية تدرس في جميع الدول الاسلامية غير العربية .
- رعاية النابغين من أبناء المسلمين .
- انشاء النوادي الاسلامية المتعددة الأنشطة .
- إقامة بيوت للشباب المسلم في جميع أنحاء العالم .
- العناية باقامة المخيمات الشبابية الاسلامية .

● الاهتمام بالكتاب الاسلامي الجيد وترجمته الى لغات العالم الاسلامي وأمهات اللغات العالمية .
● العناية الفائقة بالوسائل المرئية والمسموعة رعاية للشباب المسلم وفق عقائد الاسلام .
● دعم المنظمات الشبابية الاسلامية من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي وعبر المنظمات المتخصصة في شؤون الشباب المسلم .

وتناشد الكلمة قادة المسلمين :

يود شباب الاسلام في العالم أن يناشدكم إتاحة كل الفرص أمام شباب الاسلام للقيام بواجب الدعوة الاسلامية .. وأن تولوا الكثير من الرعاية لشباب الأقليات الاسلامية وأن تتخذوا قرارا بصبغ التعليم في جميع مراحله بالروح الاسلامية .. وأن تحشدوا كل الطاقات في سبيل عزة ورخاء الشعوب الاسلامية .

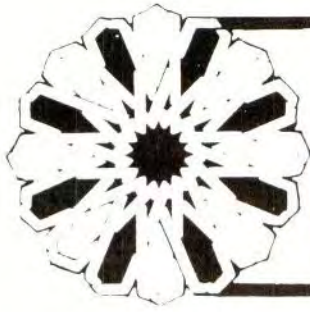
ردود سريعة

○ **الاخ المعتز بالله محمد البرنوجي المغرب** يأمل بتعريفه كيفية الاشتراك في المجلة وكيفية الحصول على الاعداد السابقة للمجلة ويرجو احالته على اهم المؤسسات والجامعات العلمية في الكويت لمتابعة الدراسة .

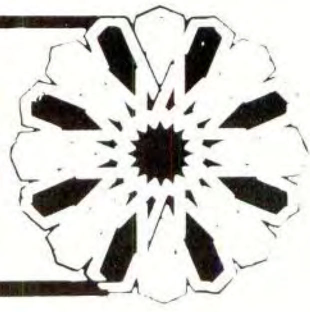
ـ لا توجد اشتراكات في المجلة ويمكنكم الحصول على اعداد المجلة بالاتصال بشركة الخليج لتوزيع الصحف (وعنوانها ص . ب ٤٢٠٥٧ الشويخ الكويت) اما بالنسبة لباقي السؤال فليس لدينا علم بامور الجامعات ويمكنك الاستفسار عن ذلك من القسم الثقافي في السفارة الكويتية في الرباط .

○ **الاخ شلهبوني جميل من المغرب** يأمل بان تتصدى المجلة باستمرار للمواضيع التي تعالج انحراف الشباب المسلم وانخراطه في الاحزاب غير الاسلامية الشرقية والغربية والتصدي لكل المحاولات التي تحاول النيل من الاسلام والمسلمين .
ـ لقد تصدت المجلة باستمرار في اعدادها السابقة لمثل هذه المواضيع وسنعمل دوما باذن الله على تحقيق ذلك .

○ **الاخ الاستاذ حامد ديدان محمد بريمة السودان** ، شكرا على موضوعك الذي ينم عن الم عميق بسبب الفساد المستشري في المجتمع وندعوك الى العمل مع اخوانك للوقوف سدا منيعا امام هذا الانحراف



مع صحافة العالم



جولة اسلامية واسعة قام بها مدير الشؤون الاسلامية بالوزارة في ١٤ مدينة وولاية اميركية

نشرت جريدة السياسة الكويتية في عددها الصادر بتاريخ ٤/٥/١٩٨١ هذا الحديث الصحفي للسيد عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية جاء فيه :

عاد مدير إدارة الشؤون الاسلامية عبدالله العقيل من الولايات المتحدة الاميركية بعد جولة استغرقت قرابة الشهر بتكليف من وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية احمد سعد الجاسر لحضور مؤتمر التربية الاسلامية بمدينة فيلادلفيا وقد شملت زيارة الشيخ العقيل ١٤ مدينة وولاية في اوسع جولة اسلامية يقوم بها مسؤول إسلامي في الولايات المتحدة حتى الان وذلك للاطمئنان على احوال واوضاع المسلمين هناك ، وقد شملت هذه الزيارة كلا من نيويورك ونيوجرسي وجرسي ونيوا وليانز وفلادلفيا وشيكاغو وملاواكي ، وديترويت ، وسياتل ، وسان فرنسيسكو وديفز وسكرمنتو وفرزنو ولوس انجلوس .

هذا وتحدث العقيل في ندوة صحفية قال فيها ان زيارته لنيويورك شملت المركز الثقافي الاسلامي والمركز الاسلامي الاميركي وجمعية الطلبة المسلمين حيث اجتمع بمسؤولي المراكز والجمعيات والقى عدة ندوات ومحاضرات كما اجتمع في نيوجرسي بمسؤولي جمعية الطلبة المسلمين ، وجمعية عباد الرحمن ، وجمعية المركز الاسلامي والقى عدة محاضرات تتعلق بالدعوة الاسلامية .

واضاف الشيخ العقيل بانه اجتمع في جرسي بالقائمين على جمعية الطلبة المسلمين ، والمركز الاسلامي ومسجد المؤمنين ، وتحدث في جموع المسلمين في كلمات القاها بمناسبة زيارته .

ثم انتقل بعد ذلك الى فيلادلفيا لحضور مؤتمر التربية الاسلامية حيث القى كلمة اشار فيها الى « اهتمام وزارة الاوقاف بمثل هذه المؤتمرات التي تريد من ورائها ترسيخ المفاهيم

الاسلامية ، والانطلاق في مناهج التربية وفق التصور الاسلامي الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم للتغلب على مشكلات الحياة وقضايا العصر والذي لا بد من خلال هذا التصور الاسلامي ان نقيم التوازن بين الروح والمادة لان الاسلام دين وسط يستهدف اسعاد البشرية واقامة بنيانها على المنهج القرآني الكريم بما يجعل الانسان يعيش في هذه الحياة شريفا كريما . وقال لقد بارك هذه التوجهات التي يضطلع بها المسلمون في الولايات المتحدة والتي تتواكب مع هذا المد الاسلامي والصحوة الاسلامية التي تنتظم العالم الاسلامي كله . مطالبة بعودة المسلمين الى دينهم والتزام شريعة الله في احكامهم ومعاملاتهم .

وكان قد حضر هذا المؤتمر وفد من الافتاء السعودي ومندوبون من جامعات المملكة العربية السعودية وجامعة الاسكندرية ومن الهند وباكستان ومن جامعة الشرق الاوسط في شيكاغو وعدد من الجامعات الاميركية .

وقال العقيل انه قام بمتابعة جولته بعد حضور المؤتمر فزار شيكاغو والتقى بالمسؤولين هناك عن مؤسسة المسجد في جنوب شيكاغو والتي يقطنها حوالي ٥٠ الف فلسطيني وبمسؤولي المركز الثقافي الاسلامي والمركز الاسلامي وسط شيكاغو وجماعة المسلمين البلاليين ، ومركز الجالية الاسلامية والجمعية الثقافية وجمعية الطلبة المسلمين حيث التقى بجموع المسلمين في خطب الجمعة ونداءات اخرى وكلمات اسلامية شرح فيها الوسائل التي يمكن بواسطتها تماسك المسلمين وتوجههم نحو دعوتهم الاسلامية .

وانتقل بعد ذلك الشيخ العقيل الى (مالاواكي) حيث زار المركز الاسلامي وجمعية الطلبة المسلمين ومسجد الجامعة هناك والقى عدة كلمات بالمسلمين .

اما في سياتل فقد قام بزيارة المدرسة الاسلامية وجمعية الطلبة المسلمين والقى كذلك عدة محاضرات اسلامية ، والتقى بمسؤولي المدرسة والجمعية ، كما التقى كذلك في سان فرانسيسكو برئيس المركز الاسلامي ومسؤولي جمعية الطلبة المسلمين والقى هناك كلمة دعا فيها الى الحفاظ على الخطوات التي حققتها الدعوة الاسلامية في الفترة الاخيرة .

وقام بعد ذلك بزيارة الى ديفز حيث زار هناك جمعية الطلبة المسلمين وحاضر هناك في سمو الدعوة الاسلامية .

وفي سكرمنتو قام بزيارة الى جمعية الطلبة المسلمين ومسجد الجامعة والقى خطبا متعددة حول الدعوة الاسلامية .

وانتقل الى فرزنو حيث زار المسجد وجمعية الطلبة المسلمين واختتم زيارته في لوس انجلس وقام هناك بزيارة المركز الاسلامي وجمعية الطلبة المسلمين .

ثم اجاب الشيخ العقيل على سؤال حول انطباعاته في هذه الزيارة

العريضة عن احوال المسلمين فقال :
● ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تولي عنايتها للجاليات الاسلامية في كل انحاء العالم ومنها الولايات المتحدة الاميركية والتي يبلغ تعداد المسلمين فيها اكثر من مليوني نسمة التقيت تقريبا بممثليهم في هذه الجولة بمن فيهم من المسلمين الاميركيين ، وقال ان في ديترويت لوحدها تجد جالية عربية ضخمة معظمها من اليمن ويصل تعدادها الى قرابة ٦٠ الف مسلم ، وكذلك في شيكاغو حيث يوجد ما يقرب من ٥٠ الف ومعظمهم من بلاد الشام ومن فلسطين ويوجد في نيوجرسي **٢٠** الف مسلم من مصر هذا فضلا عن الجاليات الاسلامية غير العربية والتي توطنت في مختلف الولايات المتحدة مضافا اليها ما يقرب من ١٥٠ الف طالب مسلم يتلقون العلم هناك منهم ١٥ الف من السعودية و٨ آلاف من ليبيا و٣٠٠٠ من الكويت بالاضافة الى دول الخليج الاخرى والعراق والهند وباكستان وماليزيا وافغانستان وتركيا ، كما يوجد ٣٠٠٠ طبيب مسلم ومثلهم من المهندسين . وقال الشيخ العقيل انه من الغريب ان هذه الكفاءات العلمية النادرة احرى ان يستفاد منها في بلدانها بدل ان توظف هذه العقول في هذه البلاد .

واضاف ان هذه الزيارة تركت انطباعات سارة وتبشر بالخير خاصة وان شعورا بالقلق كان يخامرنا في العامين الماضيين خوفا على ابنائنا من الضياع ، ولكن النشاط الاسلامي الذي لمسناه كان له دور كبير في الحفاظ على ابنائنا ووضعهم في البيئة الاسلامية والمحيط الاسلامي الذي يحفظ عليهم دينهم ، بل ويجعلهم في عداد العاملين في حقل الدعوة الاسلامية مع تفوقهم العلمي .

وقال ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قامت بدراسة مشكلات المسلمين والقضايا التي تهمهم مشاركة الدول الاسلامية لحلها فضلا عن ان الوزارة لديها معلومات مسبقة عن كثير من هذه المراكز ، كما سبق لها تقديم المعونات للجهات المعتمدة التي لها نشاط اسلامي من خلال المساعدات المادية والثقافية التي تساهم بها دولة الكويت وشقيقاتها الدول العربية والاسلامية .

رياح المد الاسلامي تصل الى الاتحاد السوفييتي

عن نيويورك تايمز نقلت جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/٢ الفقرة التالية :

الى أي مدى يمكن ان تؤثر الحركات الاسلامية على الاربعين مليون مسلم داخل الاتحاد السوفييتي ؟ هذا السؤال يشغل

اذهان المحللين الغربيين منذ الثورة الايرانية وغزو افغانستان ، وقد كان الموضوع الذي بحثه المؤتمر الذي عقدته مؤسسة كاريخي للسلام في نيويورك برئاسة ادوارد مورتيمر .

والخبراء الغربيون مختلفون فيما بينهم حول ما اذا كان سكان اوزبكستان واذربيجان وتاجكستان وكازاخستان وتركمانيا متأثرين فعلا بالنهضة الاسلامية او ان القوة المحركة في هذه المقاطعات هي القومية لا الدين .

ويحتج البعض بأنه لما كانت الغالبية العظمى من المسلمين السوفييت تمارس الشعائر الاسلامية في القضايا الاساسية كالميلاد والوفاة والزواج ، فان الهوية الاسلامية قد حلت محل الايديولوجية الماركسية البالية ، ويقول الاخرون ان هذه الشعوب تدرك هويتها العرقية اولا ثم تأتي الناحية الدينية ثانيا .

والشيء الذي لا جدال فيه هو ان السوفييت يدركون ان شيئا ما يحدث في الجنوب وهم متخوفون من النتائج . ويرى مرى فشباخ من مركز الاحصاء الاميركي ان نسبة الولادة بين المسلمين السوفييت تبلغ مرتين ونصفا مقدار نسبة الولادة في بقية الاتحاد السوفييتي ومن المحتمل ان يتفوق المسلمون عدديا على السوفييت في نهاية هذا القرن حين يكون ثلث عدد القوات المسلحة السوفيتية على الأقل من المسلمين ،

وكانت السلطات السوفيتية حتى الان تتساهل تجاه استمرار العادات والتقاليد الاسلامية في الجمهوريات الجنوبية ، كما أنها أقامت علاقات مع القادة الروحيين لما يسمى بالاسلام الرسمي . وقد سمحت موسكو للشخصيات الاسلامية الرسمية بالسفر إلى الشرق الأوسط ، لاظهار صورة الاتحاد السوفييتي بأنه صديق للعالم الاسلامي .

ومن ناحية أخرى ، فان الاسلام « غير الرسمي » قد تزايد ، وتجد السلطات السوفيتية صعوبة في التعامل معه . وهذا الاسلام غير الرسمي يتركز في المجالس الفردية التقليدية واتحادات المسلمين في أواسط آسيا ، وفي الجماعات الاسلامية السرية بما في ذلك أتباع الطائفة الصوفية .

والمسؤولون الشيوعيون في الجمهوريات الاسلامية يشجبون « جماعات الصوفية » و « الارهابيين » بشكل علني ، وهذا دليل واضح على مدى الخوف الذي يحس به المسؤولون تجاه قوة الجماعات الاسلامية المتزايدة .

والسوفييت يواجهون تحديا اسلاميا من جهة غير متوقعة وهي الصين ، فهناك نسبة كبرى من السكان المسلمين . وكانت بكين في الفترة الاخيرة قد اخذت تعمل بهدوء وفعالية لاظهار أنها صديقة للاسلام .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مآذن مسجد الرفاعي والسلطان حسن بالقاهرة

العالم الاسلامي

جمهورية السودان

○ تقع شرقي قارة أفريقيا وتشمل رقعة مترامية الأطراف ٩٦٧,٤٩١ ميل مربع يخترقها نهر النيل من الجنوب الى الشمال بفرعيه الأبيض والأزرق وروافده العديدة .

وكلمة سودان معناها الصحيح بلاد السود وأطلقت على البلاد التي في حوض النيل في القرن التاسع عشر عندما فتحها محمد علي باشا ١٨٢٠م وعرفت بالسودان المصري .

○ كانت الوثنية والمسيحية منتشرة بين سكان السودان وبعد أن أكمل المسلمون فتح شمال أفريقيا وبدأوا يؤمون أسواق السودان الكبرى التجارية بدأ الاسلام في الانتشار بين سكان السودان منذ القرن الرابع الهجري ، ولم يسد الاسلام في الشمال الا في القرن الثامن الهجري وكان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان هما اللذان شهدا أعظم ما أصاب الاسلام من تقدم في جنوب السودان وبفتح المصريين للسودان دخلت المؤثرات الأجنبية التي كانت سببا في ظهور الطرق الصوفية كالميرغنية والختمية التي أدخلها للسودان محمد عثمان الميرغني من أهل الطائف في أول القرن التاسع عشر وهناك الحركة المهدية التي انتشرت في السودان مع ظهور محمد أحمد في السودان والملقب بالمهدي ١٨٨١م .

○ يبلغ عدد سكان السودان ١٧,٣٢٤,٠٠٠ نسبة المسلمين منهم ٨٥٪ وهناك أقلية مسيحية في الجنوب وبعض القبائل الوثنية ، يعمل معظم السكان في الزراعة والرعي وبدأت البلاد في السير نحو التصنيع بعد الاستقلال ١٩٥٦م .

○ اللغة الرسمية السائدة هي العربية بين أهل الشمال المسلمين وهناك لهجات محلية غنية بالكلمات العربية وتنتمي لهجات قبائل السودان الى أرومة اللغات الأفريقية الزنجية ومن هذه اللهجات النوبية والتوربدوي وهي اللغة الحامية القديمة والتكري والغور والداجو

○ العاصمة الخرطوم ومن المدن الهامة أم درمان والأبيض ووادي مدني وكسلا وعطبره .

○ بعد خضوع مصر للاستعمار البريطاني ١٨٨١م فرض الانكليز سيطرتهم على السودان عن طريق المصريين وقد ثبت الحكم الثنائي المصري ـ الانكليزي في السودان ١٨٩٩م وظلت البلاد تحكم بموجبه حتى عام ١٩٥٦م حيث استقلت وقامت جمهورية السودان الحديثة .

جمهورية مصر العربية
الجمهورية العربية الليبية
السودان
صحراء النوبة
واحة سليمة
جبل عوينات
الشب
دنقلة
دلقو
نخيلة
أبو حمد
كريمة
الدبة
عطبره
الدامر
الخرطوم
أم درمان
كسلا
خشم القربة
رفاعة
ود مدني
القطينة
الدويم
كوستي
عدا أبو غروق
كردفان
الأبيض
النهود
الرهد
أبو زيد
الدلنج
بابنوسة
بارا
دارفور
الفاشر
نيالا
جبل مره
الجنينة
سنار
الرصيرص
كرمك
ملوت
ملكال
توبجه
بحيرة نو
بحر الغزال
بحر العرب
بحر الزراف
مستنقعات مشار
جمبيلا
أكوبو
أويل
واو
راجا
نيا دليل
ديم زبير
تونج
شامبي
رمبيك
جونقلي
بور
منقلة
جوبا
مريدي
يامبيو
كابويتا
طوكر
بورسودان
إريترية
أديس أبابا
جبال سيمين
جبال شوك
جوري
بحيرة أبابة
بحيرة رودلف
كينية
مارسابيت
أوغندة
زائير
بحيرة البرت
بحيرة كيوغا
بحيرة فكتورية
كمبالا
جبل الغون
ماساكة
إمبارا
رواندة
أفريقية
جمهورية السودان
طبع في مؤسسة دار السياسة

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

رمضان

شهر العزيمة والجهاد



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠١ ● رمضان ١٤٠١ هـ ● يوليو ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة
الوعي

مناقب شهر رمضان

الله تعالى الذي خلق الزمان والمكان جعل عدة شهور العام اثني عشر شهرا ، واختص من بين هذه الشهور شهرا ميزه بميزات جليلة ، وذكر اسمه صريحا في القرآن الكريم ، تنويها بشأنه ، ودعوة لاغتنام خيره ، وهو شهر رمضان ، فقد ابتدأ الله فيه نزول القرآن الكريم حيث حمل جبريل عليه السلام أول آيات القرآن نزولا ، الى قلب محمد عليه الصلاة والسلام وهو يتعبد في غار حراء (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) ..

وكان شهر رمضان بذلك أول ميقات لاشراق الكتاب المبارك الذي أنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط العزيز الحميد ، ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار شهر رمضان الاحتفال بمولد هذا الكتاب الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. وكان هذا الاحتفال يتجلى في مناجاة الله بكلامه ، وفي مدارسة كتابه ، فكان رسول الله المصطفى من

البشر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في شهر رمضان من كل عام .. وقد نوه بهذه الصلة الوثيقة بين شهر رمضان وبين القرآن ، وجعلها أولى المناقب والمزايا التي اختص الله بها هذا الشهر العظيم فقال جلت حكمته (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ..

ولما كانت رسالة الاسلام التي جاء القرآن تعبيرا صادقا عنها ، تحتاج في تطبيقها الى سمو الأرواح وصحة الأبدان ، وقوة الارادة ، وتقدير النعمة ، ومشاعر الحنان والشفقة ، وكمال التسليم لله في أمره ونهيه فرض الله على المسلمين في شهر رمضان من كل عام العبادة التي تكفل لهم وسائل التطبيق وهي (الصيام) فقال تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .. فبالصيام ينطلق الانسان من سلطان غرائزه ، ويتغلب على نزعات شهواته فترتقي روحه وتقترب من الملأ الأعلى ، فاذا دعا ربه استجاب له ، وقد بين رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام أن من بين الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم الصائم فقال : (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) ..

وللصيام أثره في صحة البدن ، فهو يقيه من كثير من الأمراض ، ويعالج فيه كثيرا من العلل .. أما تقوية الارادة : فالصائم يتحمل آلام الجوع والطعام في متناول يده ، ويصبر على حرارة العطش وبين يديه الماء العذب ، ويلجم شهوته الجنسية وبجانبه زوجته ، ولا سلطان عليه في ذلك كله سوى سلطان الضمير ، وبذلك تتربى في نفسه الارادة القوية التي لا تهزمها الشهوات ، ولا تعصف بها الميول والنزوات .. واذا كان العلماء النفسيون قد أثبتوا في بحوثهم أن أعظم وسيلة لتقوية الارادة هي الصوم ، فان الاسلام قد سبقهم في ذلك بأزمنة طويلة . ويكفينا أن نسمع نداء

النبي – صلى الله عليه وسلم – الى الشباب (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ..

والصيام يعلمنا بمقدار ما لدينا من نعم ، فبعناء الجوع وقسوة العطش نعرف قيمة الطعام والشراب ، فنشكر الله على نعمه ، وقد قال النبي العظيم : (عرض على ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب : ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فاذا جعت دعوتك وذكرتك ، واذا شبعت ذكرتك وحمدتك) .

وصوت المعدة في الصيام يذكر الانسان بجوع الجائعين وبؤس البائسين ، فتتربى فيه مشاعر الحنان فيجود ويعطف .. وقد ورد أن يوسف عليه السلام كان يكثر الصيام وهو على خزائن الأرض ، فسئل في ذلك فقال : (أخاف اذا شبعت أن أنسى جوع الفقير) .

ومن هنا يتبين أن شهر رمضان في كل عام تذكير للأمة الاسلامية أن تستمسك بكتاب ربها تطبيقا لأحكامه واهتداء بهدايته ، لأن في ذلك بقاءها وعزها ومجدها (فاستمسك بالذي أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) .

ويتبين كذلك أن واجب المسلمين أن يغتنموا الخير في شهر رمضان ، وأن يعدوا أنفسهم لنوال فضله وبركته ، وأن يحرصوا على صيامه وقيامه ذاكرين ما وصفه به الرسول الكريم بقوله : (أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) وبقوله : (أتاكم رمضان شهر بركة . يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر الى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقي من حرم رحمة الله عز وجل) نسأل الله التوفيق والهداية .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

الترسل

بين القرآن والسنة

١ ـ مقدمة تبين بعض معاني التراسل بين القرآن والسنة

السنة تطبق مقاصد القرآن ، على مواضعها من حياة البشر ، حيث تدعوهم إلى طاعة الله ورسوله ، وتدعوهم الى تذكر كل ما جاءهم من العلم ، وتدعوهم إلى أن لا يكذبوا بالحق الذى جاءهم به دين الله .

فلما كانت أهواء البشر كثيرة ، تؤدي إلى اختلاف أفكارهم ، وتداعي كلماتهم على ذاتها ، وتفرق أعمالهم وتضاربها ، إذا انقطعوا إلى ظنونهم البشرية .

فلذلك كانت السنة ، هي التي تصل بين أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا وبين آيات القرآن ، حتى تكون حياتنا ، تطبيقا عمليا حيا ومتجددا بمقدار ما ننهل من كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذا الجمع بين اليقين الثابت في الوحى من قرآن وسنة ، وبين أحوال

من حيث الشكل والمضمون



للاستاذ محمد العفيفي

التلقي لهذا الوحي في حياة البشر ، هو المقصود بالتراسل بين القرآن والسنة .

ومن التراسل بين القرآن والسنة ما هو خاص بالشكل والمضمون . وسنبدأ الآن به .

ثم يلي ذلك فصل من التراسل بين القرآن والسنة من حيث التجدد الذاتي .

وأخيرا نصل إلى التراسل بين القرآن والسنة وصلته بالنسخ وأسباب النزول .

٢ ـ ترتيب مقاصد السنة واتفاقه مع ترتيب مقاصد الآيات

ـ لو نظرنا في أى حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا ترتيب مقاصده ، موافقا تماما لترتيب هذه المقاصد ذاتها في الآيات الخاصة بها في القرآن الكريم .

ومن دلائل ذلك ، وهي كثيرة ، أن قوله

تعالى :
(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٣) البقرة .
مرتبة مقاصده بحيث نجد الايمان اولا ثم الصلاة بعده ، ثم الانفاق الذي يشمل كل أنواع الزكاة في نهاية الآية .
وننظر في قوله صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ! وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم .
وهكذا نجد هذا الحديث الصحيح مرتبة مقاصده الثلاثة الاولى على مقتضى الترتيب القرآني في الآية السابقة .
ثم نجد الحج هو الركن الرابع في سياق الحديث بينما الصوم هو الركن الخامس فذلك مرتبط أعظم الارتباط بترتيب آيات القرآن ، كما نجدها في المصحف .
وأكبر الأدلة على ذلك ، أن قوله تعالى : **(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)** قد جاء ترتيبه في أوائل الآيات بسورة البقرة ، حيث عرفنا أنها هي الآية الثالثة في سورة البقرة .
وهكذا تكون هي الآية الأولى في ترتيب المصحف التي تجمل لنا القول في الايمان ثم الصلاة ، ثم الزكاة .
أما الحج فقد جاء ذكره ضمنا بقوله تعالى **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)** وهذا في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة ، وهي أول آية في ترتيب الآيات بالمصحف ، تحدثنا عن الحج بوجه عام .
أما ذكر الحج بوجه خاص فقد كانت اول آية تحدثنا عنه ، هي الآية (١٥٨) من سورة ألبقرة ، وهي أول آية عن هذه الفريضة في ترتيب الآيات بسورها في القرآن كله . ومنها قوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما)** البقرة/١٥٨ .
وهكذا كان الحج هو الركن الرابع في ترتيب الفرائض بالحديث السابق الذي جاء بترتيبه ، هكذا في أمهات كتب الحديث كما سبقت الاشارة إلى ذلك .
أما الصوم فقد جاء ذكره أول ما جاء في ترتيب آيات المصحف كما هي في سور القرآن كله ، بالآية (١٨٣) ومنها قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)** البقرة/١٨٣ .
فلما كنا نجد هذه الآية قد جاءت ببيان فريضة الصوم ، بعد آيات كثرة ، تسبقها الآية التي جاء بها ذكر الحج ، فلذلك كان ترتيب الحج في الحديث السابق ، قبل الصيام .
وقد يكون بعض رواة هذا الحديث لم يهتموا بهذا الترتيب ، وانما أدوا معناه بوجه عام .
ولكن الحقيقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد ثبت عنه أنه كان

عظيم العناية بترتيب أقواله وأعماله ، بما يتفق تماما مع ترتيب مقاصد القرآن كما هي مرتبة في الآيـات والسور .

وهذا وجه عظيم من وجوه تفسـير السنة للقرآن وبيانـه ، من طريـق التطبيق العملي لآياته وسوره إجمالا وتفصيلا ، على الحياة كلها في جملتها وتفصيلها .

ـ وكذلك نجد السنة العملية ترتبط مقاصدها مع ترتيب المقاصد الخاصة بها في آيات القرآن وسوره .

فمن ذلك ما جاء في صفة الوضوء في الآية السادسة من سورة المائدة كما نجد ذلك بقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأمسحوا برؤوسـكم وأرجلكم إلى الكعبين) المائدة/ ٦ .

إن ترتيب أعمال الوضوء ، فرض من فرائضه ، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم ، للصحابة في شأن الوضوء :

(ابـدءوا بمـا بدأ الله به) رواه مسلم .

والأمر نفسه نجده في ما جاء عن ترتيب أعمال الحج .

فقد جاء في حديث جعفر بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من الصفا في حجه فقرأ قوله تعالى : **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)** ثم قال : (أبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه) رواه مسلم .

فهذا الجزء من الحديث يبين لنا أن ترتيب الرسول في عباداته وأحكامه التي هي تطبيق عملي للقرآن ، إنما هو ترتيب وثيق الصلة باحكام القرآن وتفصيله ، وترتيب آياته في سوره ، وكلماته في آياته .

٣ ـ السبق إلى الحقيقة ، أهـم نتائج الترتيب الصحيح :

والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا **أن كل نعمة من نعم الله علينا في معرفتنا ووجودنا وكل أعمالنا ، إنما هي مرتبة ترتيبا ، ينبغي على المؤمنين أن ينظروا في جملتـه وتفصيلـه ، وبذلك ، يسبق السابقون ، إلى كل فهم سديد ، وقول صادق ، وعمـل** صالح ، وعلم نافع .

ونجد هذه الحقيقة الكبرى من حقائق العلم والعمل ، في قوله صلى الله عليه وسلم :

(سبق المفـردون . قالـوا : ومـا المفـردون يا رسـول الله . قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) رواه مسلم .

ان في هذا الحديـث سر المعنـى الشامل ، للتجدد الذي يحرص عليه الناس ، في كل أفكارهم وأقوالهـم وأعمالهم ومنتجاتهم .

والتجدد في حقيقته التي جاء بها هذا الهدى الذي تمدنا به السنة ، هو فهم الارتباط بين أجزاء آيات الله القرآنية أو آياته الكونية ، فاذا هذا الارتباط يخص كل نوع بحقيقته الشاملة ، كما يبين لنا أن أجزاء الآيات في كلام الله أو خلق الله ، قد جعل الله كلا منها جديدا في ذاته ، كمـا هو متفـرد بموضعه بين سائر أفراد نوعه .

ولو نظرنا إلى آيات الخلق الالهـي اوجدناهـا خاضعـة في جملتهـا وتفصيلها لقوله تعالى :

(إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهـم آتيـه يوم القيامة فردا) مريم/ ٩٣ ـ ٩٥ .

فتقديم الاحصاء على العد فيه بيان الشمول في الارتبـاط بـين آجـزاء الخلق ، فاذا هم في جملتهم خلـق واحد ، تجمعهم صفتهم الجامعة ، وهي أنهم عباد الله وحده لا شريك له .

أما تأخير العد على الاحصاء ، ففيه بيان التفصيل الذي يخص كل نوع من أنـواع الخلـق ، بثباتـه على خصائصه ، وتجدده الذاتي بحـكم كونه متجدد المواضع التي تتكاثر فيها أفراده ، حتى يبحث الباحثون بآلات البحث العلمي ، فلا يخطئهـم أن يجدوا الخلايا أو الذرات في مظانها ، كما يتصل كل نوع منها بأفـراد نوعه .

ثم يقول الله تعالى : **(وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)** .

أي أن حركة الكون كله من الدنيا الى الآخـرة ، لا تنفصـل عن ثبـات خصائص كل أحد من مخلوقات الله تعالى ، وبذلك يظل كل منهم متفردا في صلاته بمجتمعه الذي وصله الله به .

فقوله تعالى : **(فردا)** يتسع للكون كله في جملته وتفصيله .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (سبق المفردون) الى نهاية الحديث يأتي تابعا لهذه الآيات وما هو في حكمها في كل سور القرآن ، ليطبقها تطبيقـا عمليا .

فالتراسل بين القرآن والسنة هنا ، هو هذا التنسيق الذي خص الله به آيات كتابه بالأحكام العامـة ، ثم خص السنة بعد ذلك بالجانب العملي من كل قضية بذاتها .

وهكذا ننظر في بناء كل آية قرآنية ، فنجد لها تنوعا في وحدة ، وحركة في ثبات ، وتقدما في عدل ، وتجددا في استغناء ، عن أى مدد خارجـي ، يأتي من أى مصدر آخر غير الوحي الالهي .

والرسول صلى الله عليه وسلم في كل أحاديثه يأتي بما هو شامل ثم يبين فروعه بعد ذلك ، فيختم بمـا هو خاص ، بعد أن بدأ بما هو عام .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « آمركم بخمس ، الله أمرني بهن ، السمع والطاعة والجهاد والهجـرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن يراجع . ومن دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم .

فقال رجل يا رسول الله : وان صلى وصام .

قال : وان صلى وصام .

فادعوا بدعوى الله الـذي سمـاكم المسلمين والمؤمنين عباد الله » رواه احمد والترمذي .

وفي هذا الحديث نجد ما هو عام أولا وهو الخمس التي أمره الله بها .

ثم اكد ذلك قوله :

فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن

يراجع .
ثم توالت بعد ذلك الفروع التي سبق بها الحديث .
وواضح هذا التراسل بين القرآن والسنة ، من حيث ترتيب المقاصد في قوله صلى الله عليه وسلم : الذي سماكم المسلمين والمؤمنين .
فقد قال الله تعالى :
(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ١٤ : الحجرات .
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : « إن رحمتي غلبت غضبي » رواه البخاري .
وواضح هنا ـ كذلك ـ أن تقديم ذكر الخلق ، إنما هو تقديم لما هو عام من حيث المعنى الذي يريده صلى الله عليه وسلم .
الخلق هم الذين يحتاجون دائما إلى رحمة الله تعالى .
فهذا هو العام هنا .
أما الخاص فهو ذكر الرحمة والغضب ، لأن أعمال العباد هي التي يستحقون بها هذا او ذاك .
ولكن الله تعالى يعافي عباده ويرحمهم ، وقد جعل رحمته مقدمة على غضبه .
لذلك جاء ذكر الرحمة في الحديث ، سابقا لذكر الغضب .
وهذا كله من تقديم العام على الخاص .
وبهذه اللمحة من أنوار النبوة التي تدلنا على كثير من الأحاديث التي هي صحيحة في ذاتها ، وان ضعفت بعض شروط اسنادها ، فلو أننا عرضنا أمثال هذه الأحاديث على كتاب الله تعالى لوجدنا أن القرآن كله يقدم العام على الخاص ، كقوله تعالى :
(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) هود / ١ .
فالأحكام هو ارتباط كل الآيات وأجزائها بمواضعها من السور ، هو العام الذي يشمل فروعه ، التي تأتي في قوله تعالى : **(ثم فصلت)** .
ذلك أن التفصيل هو فروع المعاني ، التي تكثر وتتنوع بمقدار ما يستطيع كل أحد ان يبذل الجهد في قراءة القرآن وفهمه ، ولن يحيط البشر بمعاني القرآن أبدا ، لأنها هي الحق الذي يريده الله تعالى ، وانما حسبنا أن نسدد ونقارب بقدر ما نستطيع .
ولقد فهم عامة الناس هذه المعاني في أحوال المادة ، التي خلقها الله تعالى وسخرها لهم ، فهم يقولون ان نور شمعة واحدة ، لا يغلبه ظلام العالم كله . فما بالنا بأنوار المعاني التي جاء بها كلام الله .
ومن هذه الأحاديث السابقة الذكر ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله : أى العمل أحب إلى الله ؟
قال : الحال المرتحل .
قال : وما الحال المرتحل .
قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل » رواه الترمذي .

فهذا الحديث لم يبلغ درجة الصحة من حيث إسناده حسن به على كلمة ضعيف فقال هو حديث حسن .
والحقيقة أن أنوار النبوة لا تخفى بحال من الأحوال .
ولكن هذه القاعدة المتقدمة فيها خير كثير إن شاء الله تعالى .
فكما نجد القرآن يبين لنا كل حكم في كل وجوهه العامة ، ثم يأتي بعد ذلك بفروع هذا الحكم فكذلك السنة الصحيحة تفعل ذلك .
وفي الحديث السابق جاءت كلمة (الحال المرتحل) تشمل التلاوة الصحيحة للصالحين من الناس جميعا .
وتقديم هذا الأمر يقوم على أن الناس هم المحتاجون إلى ذلك ، فهو من أعم أمورهم وأشملها في هذا المعنى الذي جاء من أجله الحديث ثم يفسر الرسول هذه الحقيقة ويكشف دقائقها فيقول :
(الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره) .
وفي هذا تقديم لما هو عام أيضا لأنه تطبيق عملي لما جاء حكمه العام في قوله (الحال المرتحل) .

أما الذي هو خاص هنا ، والذي يبين لنا الفروع التفصيلية لكل ما سبق من المعنى والتطبيق ، فهو قوله صلى الله عليه وسلم : (كلما حل ارتحل) أي كلما وقف عند حرف او كلمة أو جملة أو آية ، ارتحل معها إلى مواضعها الجديدة ، التي تفتح لها أبواب العلم ، على كثرتها التي لا يحيط بها إلا الله تعالى ، فكل من أخذ من هذه المعاني بطرف ، فهو موصول بنور على نور ، كما تكفي الانسان لمسة عطر ، ويكفي القارورة أن تمتلأ عطرا ، ويكفي الورود بكل أنواعها ، أن يسطر الشذى حروفه في أوراقها ، ولا يحيط بذلك كله في جملته وتفصيله إلا الله وحده .
وسنرى بعد ذلك بعض النماذج الهامة ، التي تبين لنا أن كل حقائق العلم جاءت في القرآن ابتداء ، ثم اكتشفها الناس بعد ذلك بوقت طويل ، فهذا من ترتيب الله تعالى لمراحل كشف هذه الحقائق .

١ ـ مع حقيقة الثبات والحركة :

جعل الله الثبات والحركة ، وجهين لحقيقة واحدة ، يقوم عليها بناء الحياة الانسانية كلها ، فتظل حياة دائبة التجدد ، مع أنها لم تخرج في جملتها وتفصيلها عن التقدير الالهي الشامل ، لكل ما يرتبط بها من فصول الزمان والمكان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
ولو ذهبنا نتقصى كل الأصول العلمية للثبات والحركة لطال بنا الكلام ، أكثر مما نستطيع .
فحسبنا هنا أن نقف ـ معا ـ عند أكثر من مثل بسيط ، وثيق الصلة بحياتنا العملية ، ونجد فيه بيانا لارتباط الثبات بالحركة .
أولا ــ لولا ثبات أسنان المفتاح الذي يفتح لصاحب السيارة باب سيارته ، وثبات صلته بأسنان القفل الذي يدور فيه .

ما تجددت وكثرت المرات التي يتم فيها فتح باب السيارة .

ثانيا ـ لولا ثبات الماء والتربة على خصائص كل منهما بكل مكان وزمان ، وثبات كل نوع من أنواع النبات على خصائصه كذلك ، ما وجدنا القمح قمحا بكل العصور ، وكل البلاد ، وما وجدنا الورد وردا ، والقثاء قثاء إلى ما لا نستطيع إحصاءه من جميع أنواع النبات .

فثبات الخصائص في كل شئ ، هو الذي يبين لنا حركته المتجددة ، التي يتم بها تكاثره ، أو تكاثر وظائفه بكل مكان وزمان .

هكذا شاء الله أن يبين لنا كل شئ ، بما يختلف معه شكلا ، وإن كانت الغاية من ذلك ، هي تحقيق الانسجام والتوافق في كل حقائق الحياة .

وهكذا تسقط كل أصول الفكر المادي الالحادي التي تقوم على أن المادة يحكمها الصراع أو التناقض ، والحقيقة أن المادة وكل مخلوقات الله ، مركبة تركيبا يقوم على رحمة الله بخلقه كما يقول سبحانه : **(ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما)** غافر/ ٧ .

فليس في الأمر أى صراع ، وإنما الصراع في عقول أصحاب الفكر المادي ، وقد أملته عليهم نفوسهم المريضة .

ولعلنا نذكر هنا ، ما سبق عن وحدة نظام التركيب في الوحي الالهي ، وفي مخلوقات الله جميعا .

وقد بين الله ذلك بأن وحد لنا الكلمات القرآنية التي تدل على التنزيل ، وجعل هذه الكلمات خاصة بالوحي ، كما هي خاصة بالخلق .

ونجد ذلك كله في أمثال قوله تعالى :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل / ٤٤ .

وقوله تعالى :

(والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) النحل/ ٦٥ .

فهذا من الدلائل الكبرى على أن الثبات والحركة والتجدد الذاتي ، أصل من أصول النظام الواحد الذي ربط الله به بين معرفتنا ووجودنا وبين كل نعم الله علينا ، ومنها الوحي الذي أتمه الله على لسان خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنها كل نعم الله الكونية .

وهكذا ندرك أن التجدد الذاتي ، يعني أن تركيب القرآن بشكله ومضمونه ، وكذلك تركيب السنة من حيث مقاصدها المرتبطة بمقاصد القرآن ، في إحاطة دائمة بأحوال الحياة الانسانية ، فهما تتقدم حياة البشر بكل مكان وزمان ، فالقرآن والسنة أساس كل نية صحيحة وقول صادق ، وعمل صالح ، وسعادة دائمة في الدنيا والآخرة .

٢ ـ من الحدود الفاصلة بين التجدد الذاتي في وحي الله وخلق الله

خلق الله الانسان ، وخصه بنوع من

الحرية ، يترتب عليه التكليف في الدنيا والحساب في الآخرة .
لذلك كان تقدير الله لحاجات الانسان إلى نعم الله الكونية ، قائما على نظام شامل تتكاثر فيه أنواع الخلق وفق خصائص ثابتة ، لكل شئ بذاته .
ويتضمن هذا التقدير الالهي الشامل ، أحوال الحياة الانسانية في الدنيا ثم في الآخرة .
وبذلك ندرك أن التجدد الذاتي في آيات الله الكونية ، مرتبط بثبات خصائص المخلوقات بكل أنواعها ، مع تكاثرها ، ثم موتها ، في دورات تدلنا دائما على حقيقة بعث الانسان بعد موته ، وتجعل ما هو جديد بالنسبة للناس ، مرتبطا بحالة كل إنسان وهو يكتشف من معالم الأشياء ما هو ثابت على تجدده ، إلى حين ، فعندما يكتشف أحد العلماء دواء جديدا ، فان هذا الدواء يظل جديدا بالنسبة لكل مريض يحتاج إليه ، حتى يتم اكتشاف ما هو خير منه فينتزع منه مكانته أما التجدد الذاتي في القرآن والسنة ، فهو يدلنا على ثبات البناء اللغوي للقرآن بلا تبديل ، وكثرة المعاني والمقاصد بلا حدود .

ثم ننظر فنجد السنة مترابطة المعاني ، في وحدة وتنوع ، لا مثيل لهما في غير كلام النبوة .
ذلك أن كلامنا البشري الخارج عن نطاق كلام النبوة ، تتداعى معانيه على ذاتها ، حتى نجد النظريات العلمية ، بحاجة دائما إلى حذف أو إضافة ، مع توالي الاكتشافات وتقدم البحث العلمي .
فاذا عدنا إلى القرآن وتذكرنا كيف أن كل ما تعددت مواضعه من أجزاء الآيات كالحرف أو الكلمة أو الجملة ، فانه يكون كالأبواب الكثيرة التي تفضي بنا إلى حقيقة واحدة في جملتها ، ولكنها كثيرة الوجوه في تفصيلها .
فهكذا يؤدي ثبات هذه الأجزاء على نصوصها إلى حركة متجددة ، تبينها لنا المشاهد الكثيرة التي تتصل بها في الآيات والسور .
وهذه الحركة ، هي أعظم دليل على التجدد الذاتي ، في كلام الله ، فهو بجملته وتفصيله جديد ، في جديد ، مهما تتقدم بنا فصول الزمان والمكان ، في الدنيا والآخرة .
* ـ ولكننا كلما نظرنا في ارتباط هذه الحركة بمدلولاتها في الواقع العملي في كل وجه من وجوه الحقيقة على إطلاقها ، تبين لنا أن أى ابتكار علمي في حياة البشر ، أو أى إنتاج متعلق بهذا الابتكار ، يفقد استحقاقه لكلمة الجديد شكلا ومضمونا ، بمقدار ما يظهر فيه من النسيان أو الخطأ ، وما يتبع ذلك من انفصاله أو انفصال مصطلحاته العلمية ، عن مصالح الناس ، مع استمرار تقدمهم في الحياة .
* ـ إن القرآن يستوعب كل حاجاتنا إلى القراءة .
فلو أننا قرأناه قراءة متواصلة بمقدار ما نتذكر من أجزاء آياته ، وما تجدده لنا في مواضعها من المشاهد ، نحصل على وجوه علمية كثيرة ،

ولكنها مرتبة ترتيبا معجزا متفقا مع الواقع العملي في الكون والحياة ، كما شاء الله أن يكون التركيب والثبات والحركة في آياته الكونية .

* ـ ذلك أن البشر ، لا ينشئون الأشياء أو المصنوعات أو المصطلحات العلمية ، أو الأحكام الدينية إنشاء ، ويخلقونها خلقا وانما هم يركبون المصنوعات أو الكلمات الدالة عليها ، والأحكام الخاصة بتنظيم الانتفاع بها ، في حدود ما يسر الله لذلك من الأسباب ، في وجودهم ومعرفتهم .

ولقد جعل الله هذه الأسباب خاضعة لأحكامه هو ، وليست خاضعة لأحكام خلقه .

* ـ فلما كان البشر ، يتهافتون دائما على ادعاء التجديد ، ولا قدرة لهم عليه ، إلا بمقدار خضوعهم ، لفطرة الله في خلقه ، ونظامه في كتابه وسنة رسوله ، فقد بين الله لهم بالواقع العملي أن نظام بحثهم العلمي في القرآن والسنة ، هو نفسه نظام بحثهم العلمي في كل أمورهم المادية ، في الكون والحياة .

وأكبر الدلائل على ذلك ، أن أجزاء الآيات القرآنية تقوم على ثباتها على نصوصها بلا تبديل ، وحركتها في مواضعها بلا تحريف ، وأن هذا النظام ، يقدم لنا وجوه الحقيقة مرتبة وفق حاجاتنا إليها كلما سعينا لذلك سعيه ، سواء نظرنا إليها نظرا عاما أو خاصا .

والمقصود بالنظر العام هو القراءة المتواصلة لآيات القرآن وسوره كما هي مرتبة في المصحف .

والمقصود بالنظر الخاص البدء بقياس الأشباه والنظائر من أول احتياجنا إلى معنى أى كلمة قرآنية إلى نهاية النظر في حركتها الموصولة ، بسياقها من مواضعها في الآيات والسور ، كما سبق بيان ذلك ، فاحتجنا ـ معا ـ إلى تأكيده هنا ، عندما وجدنا له مناسبة جديدة .

فأما النوع الأول ــ فهو النظر العام حيث ننظر في آيات الله الكونية بكل أنواعها ، ونحن نعيش في رحابها . وذلك أمر يتفق مع حاجاتنا إلى النظر في جمال الكون والحياة ، أو يتفق مع النظر في الوحدة والتنوع بآيات الله الكونية ، على ما هي عليه في ظاهرها العام .

وفي ذلك يقول الله تعالى :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الأنعام/ ١١ .

وكلمة **(قل)** من الكلمات القرآنية الدالة على ارتباط مضمون السنة ، بمضمون القرآن . وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد تضمنت هذه الكلمة ارتباط الرسول والرسالة بما أوحى الله إليه في القرآن والسنة ، وعاقبة المكذبين هي أنهم بادوا وبادت معهم كل منتجاتهم وصناعاتهم ، والسموات والأرض على حالهما ، ينطلقان إلى حيث قدر الله من نهاية الدنيا واقبال الآخرة .

والآيات في ذلك كثيرة ، تفصل لنا وجوه العلم المتنوعة ، التي نحتاج إلى ترتيبها القرآني ، لتتقدم أفكارنا مع

تقدم صناعاتنا ، وتتجدد سعادتنا مع تجدد مبتكراتنا في كل فكر وقول وعمل ، وإنتاج ، ومنتجات .

وأما النوع الثاني ـ فهو النظر الخاص ، في كل وجه بذاته من وجوه البحث العلمي ، في الكون والحياة .

* ـ وواضح أننا لا نصل إلى أى نتائج علمية قابلة لأداء المنافع التي يحتاج إليها البشر في حياتهم العملية ، إلا وقد عرفنا خصائص نوع بذاته من الذرات أو الخلايا ، أو نوع بذاته من الأحياء ، أو الأشجار .

والشكل في كل من ذلك ، هو سبيلنا إلى المضمون . والله تعالى هو الذي ثبت شكل كل ما كثر أو قل من آياته الكونية ، لنستدل بذلك ، على حركة كل نوع من الأنواع في مواضعه ، الكثيرة بين مخلوقات الله تعالى . فهذا النظام نفسه ، هو نظام التدبر في آيات القرآن ، وأجزائها ومواضعها وارتباطاتها ، وما يتحقق بذلك من تجديد المعاني والمقاصد المرتبة ، في نظامها المعجز ، الذي أمر الله به وحيا ، وطبقته السنة عملا ، وبيانا وتفسيرا .

فكيف يكون العلم البشري ، خاضعا لمنهج الله في آياته القرآنية ، وآياته الكونية هذا الخضوع ، ثم يتكبر صغار العقول من الباحثين في العلوم البشرية المختلفة ، فيظنون أنهم لم يعودوا بحاجة إلى القرآن والسنة .

* ـ والحقيقة أن البشر ، كلما ازدادوا تقدما ، وتجديدا في الصناعة والعلوم التي يسرها الله لهم ، كلما كانوا اكثر حاجة ، إلى أمرين أساسيين :

الأمر الأول : هو احتياجهم إلى التدبر في تركيب القرآن في شكله المعجز ، ثم في ارتباط مقاصد السنة بمقاصده ، وبذلك يكتشفون النظام الواحد في منهج البحث العلمي كما يسره الله تعالى لهم في آياته القرآنية ، وآياته الكونية .

والأمر الثاني : هو أنهم بحاجة إلى أن يتعلموا كيف يربطون بين معنى التجدد والتقدم ، ومعنى السعادة الانسانية التي لا تقوم لها قائمة ما لم نستلهم روح القرآن والسنة ، وروح الكون الذي سخره الله لنا ، حيث وصلنا الله بنعمه على أفهامنا ، كما تمت بذلك شريعته ، واكتمل دينه ، ووصلنا بنعمه على أجسامنا كما يسر لنا أنواع الرزق ، في كون متحد متآلف ، لا تناقض فيه ولا تفاوت ، ولا صراع ، ولا حيرة ولا ضلال ، إلا بالبعد عن طاعة الله ورسوله .

هكذا يتبين لنا بعض معاني التجدد الذاتي في القرآن . فكيف يتبين لنا التجدد الذاتي في السنة .

* ـ إن السنة لها من خصائصها الكثيرة أنها مرتبطة بالقرآن من حيث كونها صادقة وعادلة وثابتة في كل مقاصدها .

ولكن الجديد هنا أن السنة تبين لها بتكوينها الشكلي أن مقاصدها مرتبطة بتفسير القرآن وبيانه ، وتطبيقه تطبيقا عمليا على كل أحوال الحياة الانسانية .

وسنضرب لذلك ثلاثة أمثلة تدل على

تجدد السنة تجددا ذاتيا ، يربطنا بمقاصد القرآن ربطا متواصلا باقيا لا سبيل إلى نقضه أو توهين عروته الوثقى .

فأما المثل الأول : فهو من احتواء الأحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلمات تربطنا بالقرآن ، لنستطيع دائما أن نكتشف تفسير السنة ، في جملتها وتفصيلها ، للقرآن في جملته وتفصيله .

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .

ألا لايحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذى ناب من السبع » رواه ابو داود (والحديث طويل وفيه أحكام اخرى)

وقد فسر الخطابي شارح سنن أبي داود هذا الحديث ، ونختار لكم شيئا من هذا التفسير .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) يقول في تفسيره الخطابي رحمه الله : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله الكتاب وحيا يتلى ، كما آتاه الله من البيان أى أذن له أن يبين ما في الكتاب ، ويعم ويخص ، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر ، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به ، كالظاهر المتلو من القرآن » .

وهذا الحديث يتضمن التطبيق العملي لدور السنة في زيادة أحكام لم يرد نصها في القرآن .

وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : ألا لايحل لكم لحم الحمار الأهلي .. ولا كل ذى ناب من السبع .

فمن التجدد الذاتي من حيث المضمون ، أن الله خص السنة بأمور نحتاج إليها في حياتنا العملية ، ولم يجعل الله هذه الأمور في القرآن ، لتتجدد حاجاتنا إلى سنة عبده ورسوله ، كما تتجدد حاجاتنا إلى كتابه المتلو في المصحف .

ولكن الذي يعنينا هنا هو ما سبقت الأشارة إليه من احتواء الكثير من أحاديث الرسول على كلمات تربطنا بالقرآن ، وتردنا إليه ردا جميلا ، كلما كنا بحاجة إلى ذلك ، في الكثير والقليل من أمور حياتنا .

ألا نرى إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « إني أوتيت القرآن ومثله معه » .

إن كلمة **(مثله)** من هذه الكلمات التي تردنا إلى القرآن ردا جميلا كما قلنا ــ معا ــ قبل ذلك .

فلننظر في قوله تعالى :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) الكهف / ١٠٩ .

ان التماثل بين البحر وبين ما جاء عنه بقوله تعالى يقوم على أمور كثيرة نذكر منها ثلاثة أمور في حدود ما نعلم من ذلك ، وما نستطيعه من البيان .

الأمر الأول : هو وحدة المصدر لأن

الله هو خالق كل شيء .

الأمر الثاني : تفرق البحار في مواضعها بين السماء والأرض والزمان والمكان .

وهذا التفرق ، وان كان تباينا وليس تماثلا ، إلا أنه يجمل معنى التماثل من حيث الصفة العامة ، التي تجعل التفرق الشكلي ، دليلا للحياة الانسانية ، تعرف به كل نوع بذاته بين نعم الله تعالى .

الأمر الثالث : ان التفرق الشكلي في مواضع البحار بين السماء والأرض ، التي تتباعد فيها مناطق البحار الكثيرة ، هذا التفرق الشكلي ، هو الذي يتم به معرفتنا لمضمون الماء ، وهو مضمون واحد ، كلما تحركت بنا دوافع الحياة ، فعرفنا ما حضر من البحار ، بما غاب منها ، ولم يبق منه في عقولنا غير التذكر .

فقوله صلى الله عليه وسلم : (ألا واني أوتيت القرآن ومثله معه) يبين لنا معنى التماثل كما هو مبين في القرآن العظيم ، هو أن استقلال كل حقيقة بشكلها ، لا يمنع ارتباط كل أمر واحد ، بمصدره الواحد ، ومضمونه الواحد ، وغاياته الواحدة .

والقرآن يؤكد لنا هذا المعنى في مقاصد كثيرة ، منها التفرق في أشكال العمل البشري ، وان كان ذلك لا يمنع التماثل المتجدد ، لكل نوع واحد من الأعمال .

وذلك كما يقول الله تعالى :

(يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) النور/١٧ .

ومثل ذلك يبينه لنا القرآن عن التماثل بين المضمون العام للقرآن ، وما سبقه من الكتب في لغاتها ، وفي أمكنة نزولها ، وأزمنته . كما يقول الله تعالى :

(وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) الأحقاف/١٠ .

فلننظر كيف تربطنا هذه الكلمة ــ من كلمات هذا الحديث ، بمضمونها القرآني ، المتنوع ، الكثير في معانيه ودلالاته .

ولنبحث في مثل ذلك ..

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو كثير جدا ، ولكن الجهود المبذولة في معرفته جد قليلة .

وأما المثل الثاني : فنجده في تركيب السنة ذاتها تركيبا دالا على التجدد الذاتي الذي لا سبيل إلى مثله إلا في كلام النبوة .

ومن دلائل هذا البناء المعجز في السنة ، أننا ننظر في الأحاديث فنجد لمعانيها وحدة وتنوعا ، كما نعد لبنات بيت واحد ، فنجد كل لبنة متفردة بموضعها وحركتها ، بين اللبنات جميعا .

وبذلك تكون السنة كالبنيان يشد بعضه بعضا ، فلا سبيل إلى الاستغناء ، عن السنة كلها في قليلها وكثيرها ، كما لا ينبغي أن يستغني أحد عن القرآن كله في قليله وكثيره .

فلننظر على سبيل المثل لا الحصر إلى باب البر وصلة الرحم في الحديث الشريف :

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال :
« سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أى العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد في سبيل الله » رواه البخاري ومسلم .
فهذا الحديث يربط بين بر الوالدين وبين الصلاة والجهاد .
* وروى عبد الله بن عمر وابن العاص أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :
« جئت أبايعك على الهجرة ، وتركت أبوي يبكيان ؟ قال ارجع إليهما ، فأضحكهما كما ابكيتهما » رواه أبو داود .
وهذا الحديث يبين لنا أهمية إرضاء الوالدين .
* وعن أنس رضي الله عنه قال :
« أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه .
قال : هل بقي من والديك أحد ؟
قال : أمي .
قال : قابل الله في برها فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » رواه أبويعلى والقبراني .
وهذا الحديث يرفع بر الوالدين ولا سيما الأم ، إلى مستوى الحج والعمرة والجهاد .
* وعن ثوبان رضي الله عنه قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر »
رواه ابن ماجه وابن حبان .
وهذا الحديث يبين لنا البر في عمومه لكل أحد من خلق الله ، وواضح أن رد الدعاء للقدر ، يدخل في القدر ، لأن الدعاء نفسه من القدر .
وواضح أن العمر يزيد بعد موت صاحبه إذا بقي من آثار بره ما ينفعه ، كالعلم النافع ، الذي لا يبتغي به غير وجه الله ، والولد الصالح يدعو له ، والصدقة الجارية ، وكل ذلك مستفاد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله : من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟
قال : أمك .. قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ . قال : أبوك »
رواه البخاري ومسلم .
وهذا الحديث يبين لنا ما يمتاز به بر الأم بصفة خاصة ، من وجوب تقديمه على كل ما عداه .
* وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد » رواه الترمذي
وهذا الحديث يبين أن رضا الله تعالى في رضا الوالد .
* وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال :

« أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : إني أذنبت ذنبا عظيما ، فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ قال : لا . قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم . قال : فبرها » رواه الترمذي .

وهذا الحديث يبين أن بر الأم ينوب عنه بعد موتها بر أختها .

* وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال :

« بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد موتهما ؟

قال : نعم « الصلاة عليهما » والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما » رواه ابو داود وابن ماجه .

وهذا الحديث يبين لنا كيف يتجدد بر الوالدين بعد موتهما .

اننا أمام ثمانية أحاديث عن باب واحد من أبواب السنة ، هو البر وصلة الرحم .

* والحديث الأول يربط البر والصلة بالصلاة والجهاد .

* أما الحديث الثاني فهو يربط البر والصلة بادخال السرور على الأبوين .

* وأما الحديث الثالث فهو يربط البر والصلة بالحج والعمرة والجهاد .

* وأما الحديث الرابع فهو يربط البر والصلة بالدعاء ثم يربطه بالقدر ، ثم يربطه بزيادة العمر .

* وأما الحديث الخامس فهو يربط البر والصلة بالأم وتقديم حقها في ذلك على حق الوالد .

* وأما الحديث السادس فهو يربط البر والصلة برضا الوالد ، وما يؤدي اليه ذلك من رضا الله تبارك وتعالى .

* وأما الحديث السابع فهو يربط البر والصلة بالخالة ، ويجعله توبة من الذنب .

* وأخيرا نصل إلى الحديث الثامن حيث يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن البر والصلة ، لا ينتهيان بموت الأبوين ، وانما يتصلان بالدعاء والاستغفار لهما وصلة رحمهما واكرام صديقهما .

إننا أمام بناء متواصل ، من المعاني والمقاصد التي لا تتوقف عن التقدم ، ولا تكف عن الزيادة في الحركة والاستيعاب ، مع تجدد يرتبط بوحدة متنوعة ، لكل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا بعض معالم الوحي الالهي في السنة المطهرة .

فلما كان التجدد الذاتي في القرآن يقوم على الوحدة والتنوع في أدق دقائق النصوص القرآنية كالحروف والكلمات فما فوقها من الجمل والآيات ، فان الحديث يتجدد تجددا ذاتيا من حيث المعاني والمقاصد ، وهي مبنية هذا البناء العجيب الذي لا مثيل له في غير كلام النبوة .

أما المثل الثالث : فهو يقوم على وجهين أساسيين للتجدد الذاتي في القرآن والسنة :

الوجه الأول : خاص بالعمل

بالقرآن ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات » رواه البخاري .
والأحاديث الخاصة بالصلاة لها وحدتها وتنوعها من حيث معانيها كما هو الشأن في كل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » رواه احمد وابو داود .
ولو ذهبنا نتقدم مع كل الأحاديث الصحيحة ، في باب الصلاة لوجدنا تجددها الذاتي مطردا في تنوعه ، حتى يكتمل البناء العملي لكل آيات الصلاة في القرآن .
وعلى هذا الأساس ضرب الطبري أحسن مثل لتفسير القرآن بالسنة في المقام الأول ، والمأثور عن الصحابة والتابعين ، وكلهم ملتمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأما الوجه الثاني : فهو أن التجديد الذاتي ، إنما هو في اتساع القرآن والسنة لكل حقائق الكون والحياة ، وما بعدهما من أمور الآخرة ، في تقدم متواصل ، لا سبيل إلى العلم به ، والعمل على مقتضاه إلا باتباع كلام الله وسنة رسوله ، إذ ان كل محاولة للتجديد مع البعد عن هذا النور المبين ، إنما هي سقوط وانقطاع ، وحيرة وضلالة . ولا يتفق شئ من ذلك مع التجديد في حقيقته .
ذلك أن التجديد لا يتم في أى حقيقة ما لم تكن هذه الحقيقة ، متصلة بالوحي الالهي من قرآن وسنة ، على أساس من أحكام القرآن وتفصيله ، ومن تجدد السنة في بنائها المحكم ، وتنوعها المتجدد .
وكلام البشر يختلط به الصواب بالخطأ والحق بالباطل والصدق بالكذب .
فكيف يمكننا أن نعتمد عليه ونصف ما شئنا من أجزائه بأنه جديد ، بينما الحقيقة أن ما يستحق هذه الصفة ، هو كل كلام صادق وعادل وثابت ، كما تبين لنا ذلك من قبل . ذلك أن أى كلام جديد ، يشبه صكا يكتبه أحدنا على نفسه ليصرف بمقتضاه مبلغا من المال من أحد المصارف . فلو أن المبلغ المذكور في هذا الصك ، قد صرف من قبل بمقتضى صك غيره ، لكان الصك الأخير ساقطا من الحساب ، ولا مكان له في ان يعتبر له وجود حقيقي ، فضلا عن جدارته لتحقيق الفعل الجديد الذي كان ينبغي ان يترتب عليه .
فكذلك الكلام ، يظل جديدا أبدا ، بمقدار ما يكون قادرا على الفعل والتأثير بصفة مستمرة ، وهذا هو البيان العملي للصدق والعدل والثبات .
والوحي الالهي من قرآن وسنة ، هو الذي يتجدد تجددا ذاتيا بهذا المعنى ، لأنه قادر دائما على أن يبرر لنا ارتباطه العملي الذي لا ينفصل أبدا بجملة الحقائق المرتبطة به .

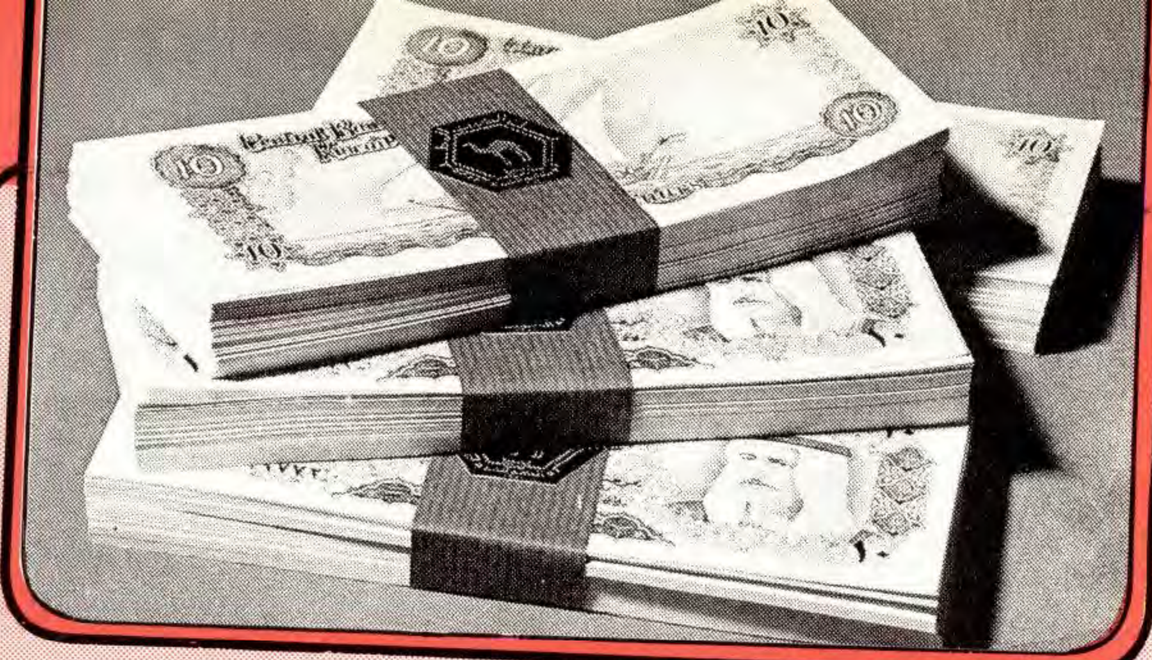
الأوراق الماليــة والبنكيّة والصرف

حمدا لله رب العالمين وصلاة وسلاما على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد .

فإني أشكر الدكتور أحمد السالوس للمرة الثانية على اهتمامه بموضوع الأوراق المالية البنكية ، كما أشكر له غيرته الاسلامية التي أرجو أن تكون خالصة لوجه الله تعالى وألا تشوبها شائبة من اتباع للهوى أو رغبة في حب الظهور ، أو وقوع في براثن الحقد الذي يصيب الكثيرين حين لا يجدون سعة في صدورهم للنقاش الهادف المعتمد على الحقائق العلمية الناصعة الواضحة وضوح الشمس للمبصرين . ولقد طلبت منه ومن جميع العلماء الأفاضل المهتمين بالأمور الاسلامية أن يدلوا بدلوهم لتبيان الحقيقة في أمر له خطورته وأهميته ، وهو التعامل بالأوراق المالية « وهل تعامل هذه الأوراق معاملة الذهب والفضة أو تعامل معاملة عروض التجارة ؟ »

وقلت رأيي في الموضوع « وهو أنني أرى أن تعامل الأوراق المالية معاملة عروض التجارة » فلا تخضع للشروط التي يجب تحققها في التعامل بالذهب والفضة من التماثل في الوزن ومن القبض في المجلس لكليهما إن كان مبادلة ذهب بذهب أو فضة بفضة ، ومن قبض في المجلس مع جواز التفاضل إن كان ذهبا بفضة أو فضة بذهب .

واستدللت على ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أصنافا ستة في عدة أحاديث هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولم يزد عليها مما يدل على أن الربا يقع في هذه الأصناف فقط ولا يتعداها الى غيرها إلّا بنص لقوله تعالى : (**وقد فصل لكم ما حرم عليكم**) الأنعام/ ١١٩ كما انني أرى أن ذكر هذه الأصناف دون غيرها غير معلل بعلة وبناء على ذلك لا يقاس غيرها عليها ، فلا تقاس الفلوس التي هي من نحاس أو غيره ولا تقاس الأوراق المالية على الذهب والفضة في اشتراط المثلية والتقابض في المجلس .



للشيخ/حسن محمد أيوب

ورد علي الدكتور الفاضل والأخ العزيز الحبيب بأن الظاهرية وحدهم هم الذين قالوا بعدم العلة في ذكر هذه الأصناف فرددت عليه بأن الظاهرية ليسوا وحدهم القائلين بذلك فقد قال بهذا الرأي من القدماء طاوس وقتادة وعثمان البتي وأبو سليمان كما ذكر ابن حزم في المحلي ج٨ ص ٤٦٨

واختاره ابن عقيل : « وهو قمة في فقه الحنابلة » مع قوله بالقياس كما ذكر ابن القيم في اغاثة اللهفان ج٢ ص١٥٦ حيث قال : إن علل القياسيين ضعيفة واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس .

ومعهم أبوبكر الباقلاني كما قال ابن رشد حيث لم يلحق بالأصناف الستة المذكورة في الحديث الا الزبيب لأنه أخذ بقياس المعنى ولم يأخذ بقياس الشبه الذي أخذ به جمهور الفقهاء لضعفه عنده ، وقال به من المحدثين الصنعاني في سبل السلام ج٣ ص٣٦ حيث ذكر أن الفقهاء اختلفوا في العلة اختلافا كثيرا يقوي للناظر العارف أن الحق ما ذهبت اليه الظاهرية .

وقال به أيضا من المحدثين أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري في كتابه « الروضة الندية » حيث قال : أما اختلاف مثبتي القياس في علة الربا فليس على شيء من هذه الأقوال حجة نيرة انما هي مجرد تظننات وتخمينات انضمت اليها دعاوى طويلة بلا طائل ، فما أحسن الاقتصار على الشريعة وعدم التكلف بمجاوزتها والتوسع في تكليفات العباد بما هو تكليف محض الخ ج٢ ص١١٠ .

وقلت ان القائلين بالعلة من أصحاب المذاهب الأربعة .

هم الأحناف : وعلة الربا عندهم في الذهب والفضة هي الوزن والأوراق لا توزن فلا تخضع للربا . وهم الامام أحمد وله آراء ثلاثة منها رأي كرأي الأحناف . وهم المالكية والشافعية ولكن العلة عندهم « وهي الثمنية » قاصرة على الذهب والفضة فلا

تتعداهما الى غيرهما فتكون الأوراق المالية عندهما غير داخلة في أحكام الـربا التي يخضـع لهـا الـذهب والفضة . وهذا هو رأي القائلين بعدم العلـة فـلا خـلاف في النتيجـة .
والخلاصة هي : أن الأوراق المالية البنكية لا يشترط في التعامل بها ما يشترط في التعامل بالذهب والفضة ويستوي في ذلك القائلون بعدم العلة وأكثر القائلين بها .

هذه خلاصة ما ذكرته بالنسبة للعلة في ردي المنشور في مجلة الوعي الاسلامي عدد رقم ١٩٦ بتاريخ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ .

وهذا هو الأساس في مناقشة موضوع الأوراق المالية وهل تعامل معاملة الذهب والفضة لعلة الثمنية التي تلحقها بهما أم لا تعامل معاملتهما لعدم العلة أو لأن العلة قاصرة على الذهب والفضة أو لأن العلة فيهما هي الوزن والأوراق لا توزن .

والأمر حينئذ في منتهى الوضوح ومن أراد الرد فعليه أن ينكر ما ذكرته هنا ولا يستطيع ذلك لأنني نقلته من كتب الفقهاء بنصه وحددت رقم صفحاته .

أو يرد على الظاهرية ومن قال برأيهم وهم كثيرون ولهم وزنهم في الفقه الاسلامي . أو يدعي أن الظاهرية ومن قال معهم بعدم العلة لا وزن لهم عند الفقهاء ولا يعبأ بهم . أو يعترف بأن القائلين بعدم العلة لهم رأيهم ولكنه يخالفهم في الرأي .

ولكن الدكتور الفاضل أحمد السالوس لم يفعل شيئا من ذلك كله ، وبعد بعدا شاسعا عن هذا الأصل الذي هو أساس المناقشة ما عدا كلمات تفيد أن الظاهرية لا يعبأ أحد بقولهم وذلك في رده علي في عدد جمادى الآخرة رقم ١٩٨ وراح يحشو أربعين صفحة في مجلة الوعي بكلام للفقهاء لا صلة له بهذا الأصل ، وادعى أنه يرد علي . وأنا أقول له : يا أخي الحبيب : في أي واد مشيت ؟ ولم تركت هذه الأصول كلها فلم ترد عليها ؟ ولم لم تتعرض للرد على الظاهرية ولا على الباقلاني ولا على ابن عقيل ولا على الصنعاني ولا على القنوجي ؟ ولم أهملت الجميع إهمالا تاما كما سبق ؟ كما أنك قلت في العلة القاصرة كلاما لم يقله أصحاب المذاهب القائلون بها فان العلة القاصرة لو تعدت الى الأوراق المالية لتعدت الى الفلوس الرائجة ولو تعدت الى الفلوس الرائجة ما حدث فيها خلاف ، وأنت ذكرت أنهم اختلفوا فيها ، وما ذكرته عن الامام مالك لا يصلح دليلا لك لأنه لم يذكر علة الحكم ، والعبرة بالأصول ، فان جاء في المذهب ما يخالفها نظر في ذلك ، وقد عرفت أصول المالكية كما ذكرها أحد فقهائهم ، وهو ابن رشد وقد ذكرت في الرد عليك من أقوال الأحناف ومن أقوال صاحب المغني الصريحة ما يدل على أن أكثر العلماء لا يرى أن تعامل الفلوس معاملة الذهب والفضة « فجئت أنت وقلت : مرادهم الفلوس الرائجة » وعملت من نفسك شارحا لهم ثم جئت بأقوال

للأحناف لتستدل بها على مذهبك وهي غير صالحة أبدا ، وكان يجب أن تدرك أن علة الربا عند الأحناف في الذهب والفضة هي الوزن فحتى لو قالوا : ان الفلوس فيها ربا لكان على أصل مذهبهم باعتبار أن الفلوس توزن كما يوزن الذهب والفضة ، والأوراق المالية لا توزن ، ولو تدبرت ما قاله ابن عابدين لأدركت هذا المعنى والا فكيف تفهم الأمور ؟ واذا كان أكثر العلماء لا يخضع الفلوس للربا فالأوراق المالية لا تخضع له في التبادل العادي من باب أولى ، وان قلت ان البعض يقول بخضوعها والآخر يقول بغير ذلك قلت لك أنا مع من يقول بغير ذلك فهل علي لوم أن أتشبه بهم ؟

كما أنك أتعبت نفسك في نقل كلام مجمع البحوث وكبار العلماء في السعودية ورئيس المحاكم الشرعية بقطر وهؤلاء قائلون بالعلة فليسوا حجة على من لم يقل بها في الصرف وأنا منهم ، ولم حاولت تجريحي وغمزي ولمزي أكثر من مرة لأنني لم أقل بقولهم ؟ هلا جرحت وغمزت ولمزت وطلبت توبة جميع من لم يقل بالعلة أو لم يقل برأيك ومنهم البعض الذي ذكره رئيس محاكم قطر ، حيث أن هذا البعض اعتبر الأوراق البنكية عروض تجارة ؟

ومنهم كبار علماء السعودية حيث أن أكثر هيئة كبار العلماء بها هم الذين قالوا بأن الأوراق المالية تعامل معاملة الذهب والفضة والقلة لم تقل بهذا الرأي فلماذا لم تسلط عليهم سوطك كما سلطته علي ؟ ولماذا لم تطلب منهم جميعا التوبة لأنهم أذنبوا ووقعوا في كبيرة من الكبائر على حد زعمك ؟ أليس القائلون بعدم العلة والقائلون بها ولكن لا تنطبق على الأوراق المالية أكثر عددا من القائلين بالوصية الواجبة ؟ ومن القائلين بأن الطلاق المعلق لا يقع ؟ ومن القائلين بأن الطلاق الثلاث في لفظ واحد يقع واحدة ؟ ومن القائلين بأن الطلاق المخالف لما أمر الله لا يقع ؟ كأن طلق الرجل امرأته وهي حائض أو طلقها بعد الطهر والاتصال بها الخ ؟ راجع زاد المعاد لابن القيم .

فهل أقمت الدنيا ولم تقعدها على هؤلاء جميعا ؟ وهل الأمر اتباع هوى أم اتباع دليل وأصول فقهية متفق عليها ؟

كان الأولى أن تطلب التوبة بشجاعة من نفسك ومن القائلين بأن الشيك يكفي عن قبض الأوراق المالية وقد طلبت أنا من الجميع أن يأتوا بدليل واحد من الكتاب أو ألسنة أو كلام السلف على أن الربا الذي شدد الرسول صلى الله عليه وسلم علينا فيه لا يحدث اذا قبض الانسان شيكا بدلا من المبلغ المطلوب قبضه في الصرف . قد تقول ان الضرورة تبيح المحظورة كما فعلت فأقول لك : ان هناك من يقول ان ربا الفائدة ضرورة ، وان تعامل البنوك به ضرورة ، وان وقوع الدول فيه ضرورة ، وان حاجة الأفراد اليه ضرورة ، وكلها أقوال تقال فهل كل ما يقال يؤخذ به ؟ وهل قيل لك انه لا حل عند الاقتصاديين الا هذا ؟

ثم اذا كان الشيك ضرورة

فبمقتضى هـذا انك اعتـرفت بـأن التعامل به ربا وحرام لكن الضرورة أباحته ، ولكنك تقول في موضع آخر انه يكفي عن القبض فليس ربا ولا حراما أليس هذا خلاصة ما ذكرته وفيه تناقض واضح ؟

أما ما حشوت به المقال من كلام الفقهـاء فمع أنـه ليس أصلا في المناقشة فهو يرد عليك أنت لأنك خرجت منه الى أن المالكية يمنعون التعامل بالفلوس الا على أساس المثلية والقبض في المجلس وان للأحناف في الفلوس رأيين وكذلك للشافعية وكذلك الحنـابلة : اذا فليس هنـاك رأي واحد ، وهذا دليل على أن الفلوس ليست كالذهب والفضة لأن الربا في الذهب والفضة لا خلاف فيه فلماذا اذا تتهجم علي وتتهمني بالعظائم ؟ وهل سبق مني ما يخدش كرامتك أو يجرح شعورك ؟ ثم لماذا هذا الكلام يا دكتور عن رأيي ورأي الأكثرية معي ؟ تقول : فيه تعطيل لكتاب الله وتذكر آية : (**والذين يكنزون الذهب**) التوبة / ٣٤ هل يفهم أحد غيرك هذا الفهم ؟ وهل هكذا يـرمي العلماء بعضهم بعضا ؟ وتقول : وفيه تعطيل لسنة رسول الله « لأنني سأعطل الزكاة في الأوراق المالية » أهكـذا يسبح بك الخيال وترمي إخوانك بغير رحمة وأنت قرأت قولي بأن الأوراق المالية تجب فيها الزكاة وكذلك سمعت من الشريط ؟ وهل المسلم يتصيد لأخيه الأخطاء بدون أدنى مبرر وبهذا الشكل ؟ وهل هذه مناقشة علمية موضوعية ؟

وتقول : وأصبحنا في عصر يستحل فيه الربا لأن الشيخ حسن لا يقول بالحاق الأوراق المالية بالذهب والفضة « خلاصة كلامك » اذا فجميع الفقهاء الذين لم يقولوا بالعلة والذين قالوا بالعلة القاصرة وجميـع الذين لم يلحقوا الأوراق المالية بالذهب ومنهم سعوديون وغير سعوديين . جميعهم أحلوا الربا في نظرك ؟ يا لـها من داهية دهياء وفتنة عمياء ورمية شنعاء لم يتق اللـه راميها . وذكـرت أن الناس سيستغلون رأيي هذا ويقعـون في أنواع من الربا « خلاصة قولك » فهل هو رأيي فقط ؟ وهل استغلال الناس لفتوى عالم استغلالا بعيدا عن مرمى الفتوى يوجب على العالم أن يغير الفتوى ويقول بما لا يراه ولا دليل عليه عنده ؟

ان الناس استغلوا فتاوي لابن تيمية ولابن القيم ولابن عبد الوهاب وغيـرهم استغلالا فـاحشا ، كمـا استغلوا فتاوي لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهما فماذا فعل كل هؤلاء ؟ هل راجعوا عن فتاواهم ؟ ؟ ثم : ألا ترى معي أن القائلين بالقياس على الأمور الستة المذكورة يترتب على قولهم وقوع كثير من المسلمين في الربا ؟

ان كل ما يكال وما يوزن يقع فيه الربا عند الأحناف ولو كان مبادلة حديد برصاص ، أو جبس بتبن ، أو علف ببرسيم جاف ، أو دقيق بـأرز أو سكر .

وكل ما هو طعام للاقتيات والادخار يقع فيه الربا عند المالكية .

وكل ما هو طعام يقع فيه الربا عند الشافعية ولو كان فجلا بجرجير أو خبزا بكراث أو كزبرة بحلبة وهكذا .

فهل ترى الناس الآن أو قبل الآن بقليل فهموا هذه الأمور وتركوا الوقوع في الربا المترتب على التعامل فيها ؟ ان طلبة العلم أنفسهم قليل منهم من يفهم هذه الأمور فضلا عن أن يطبقها أما رأيت الكثيرين يذهبون الى البقال وأمثاله لفك دينار وتحويله الى فلوس فلا يجدون عنده قيمة الدينار من الفلوس فيقولون للبقال سنمر عليك بعد قليل لأخذ الباقي منك ؟

وهذا ربا حسب قولكم في التعامل بالأوراق المالية ، والناس يقعون في كل ما سبق أمام أعين العلماء فهلا أنكرت أنت وغيرك على هؤلاء ؟

هل قامت حملة من وزارات الأوقاف غيرة على دين الله فحذرت الناس من الوقوع في هذه الأنواع من الربا ؟ ان ذلك كله مفروض على العلماء أن يقوموا به حتى لا يقع الناس في أنواع الربا التي قال بها أهل القياس .

ماذا بالله يحدث لو رفعنا عن المسلمين الحرج ووقفنا عند الأصناف الستة ولم نقل بالعلة التي لا تطمئن النفس اليها في هذه الأمور ؟؟؟

وتقول « إن قضايا العصر لا تحل « باجتهاد فردي » وهذا حق ولكن هل ذلك رد أم اتهام بأنني وحدي أقول بهذا الرأي ؟ وأين اذا جميع العلماء والفقهاء القائلين بهذا الرأي ؟ هل صاروا هباء في نظرك يا دكتور ؟

وأكثرت من قولك أخطأ الشيخ - ومن الخطأ قول الشيخ وما ذكرت خطأ لي الا وجئت بكلام يدل على أنني على صواب ، وأنا أرضى لجنة تحكيم للنظر فيما كتبت حتى ترى بعدك عن الحقيقة وإسرافك في التشنيع والتهم ووضع نفسك موضع المدافع وحده عن الاسلام ضد إنسان يعتدى عليه .

سامحك الله يا دكتور أحمد وردك الى الصواب فيما تقول وفيما تكتب وسدد الله خطانا أجمعين .

تذكر أنني ذكرت في مقالي السابق أنني أريد رد العلماء الأفاضل ولم أقل أريد التهجم والغمز واللمز والتهم الجارحة فإن هذا ليس أسلوب العلماء .

وقبل أن أنهي كلامي في موضوع لن أعود للكتابة فيه أقول لك : حاول أن تقرأ ما كتبته أنت للرد علي في هدوء واسأل نفسك هل حقيقة أنت رددت علي أم شط بك القلم ، وبعدت عن أصل الموضوع واعتمدت على أسلوب التجريح والتهويش والتلفيق واتهامي بأنني بترت الكلام والله يعلم أني بريء من كل ما كتبت ؟؟؟

لا « ثم لا » « ثم ألف لا » يا أخي الحبيب : وأقولها بصدق لأني أحب فيك إيمانك وان كنت لا أحب فيك تجريحك الشنيع لأخ لك في الله يعرف الناس عنه أنه لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا يريد الا الحق المبني على الدليل ، ولا يرضى لنفسه أن يكون مقلدا ، أو متعصبا مذهبيا ، أو أسيرا لكلمة « الجمهور » هدانا الله سواء السبيل .

الصيام والتقوى

للدكتور/ محمد الدسوقي

التقوى - وقد وردت في القرآن الكريم بجميع مشتقاتها نحو مائتين وخمسين مرة - كلمة جامعة لخصال الخير والبر في الدنيا والآخرة ، فهي وان أطلقت في الكتاب العزيز على عدة معان لا تخرج في مدلولها العام عن معنى خشية الله ومراقبته ، والالتزام بما كتبه على عباده ، حتى تكون النفس في وقاية مما تخاف يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وتشير بعض الآثار الى أن من تمام التقوى أن يدع الانسان بعض الحلال ، مخافة الوقوع في الحرام ، فالمؤمن التقي ورع لا يحوم حول الحمى ، ولا يدنو من الشبهات ويترك ما يريبه الى ما لا يريبه ، ومن ثم يحيا مخبتا لربه يخشاه في السر والعلن ، يرجو رحمته ، ويشفق من حسابه وعذابه .

ان التقوى لباس الخير ، وطريق الفوز في العاجلة والآجلة ، فالأتقياء يغدق الله عليهم النعم الجزيلة ما ظهر منها وما بطن : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) الأعراف/ ٩٦ : (**ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**) النحل/ ١٢٨ .

ولا يتقبل الله عملا الا من الأتقياء ؛ لأنهم وحدهم الذين يعملون العمل الطيب الخالص لبارئهم ، فلا يشركون به شيئا : (**انما يتقبل الله من المتقين**) المائدة/ ٢٧ .

ولا غرو ان أثاب الله الأتقياء جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

والصيام - وهو عبادة كتبها الله على المؤمنين به في كل دين - فرض

علينا لغاية مقدسة كسائر الفروض والتشريعات ، وهي تربية التقوى في نفس المؤمن ، وبعث الشكر لربه الذي أنعم عليه بكل شيء : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ .

قال أبو حيان : « للصوم فائدتان : رياضة الانسان نفسه عما تدعوه اليه من الشهوات والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع » (البحر المحيط ٢ صـ ٣٠) .

ان الصيام يبعث على التقوى ، ويحض على الاخلاص لله في السر والجهر ، وقد ذكر بعض العلماء أن التعبير بـ « لعل » في الآية الكريمة فيه معنى الاعداد والتهيئة ، وأن الصيام يعد النفوس لتقوى الله وطاعته ، وأن هذا الاعداد يظهر من وجوه كثيرة أهمها ما يلي :

أولا : أن الامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية امتثالا لأمر الله وتقربا اليه يحمل على التقوى ، ومراعاة حدود الله في كل وقت ، كما أن هذا الامتناع من ناحية أخرى يضعف تحكم القوى الشهوانية في الانسان فلا تسيطر عليه ، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » والمعنى من قدر منكم على أعباء الزواج فليتزوج ، ومن لم تكن له قدرة على ذلك فليصم ، فان الصوم جنة ، أي وقاية ، وهي في معناها الشامل وقاية من كل شر ، فالصوم لذلك وقاية من كل ما يسوء الانسان ويسوء المجتمع ، لأنه يكسر الشهوة ويضعف الاتجاه اليها ، ويخلص الانسان من عبودية الجسد وسيطرة الغرائز .

ولكن كيف يكسر الصوم الشهوة ويضعف الاتجاه اليها ؟ يرى كثير من الباحثين أن الامتناع عن أهم حاجات الجسد من طعام وشراب ، يضعف الانسان ، فيعجز عن المعاصي ، فالصيام لديهم بطبعه يؤثر في قدرة الانسان على العبث والمجون ، ولا يتيح لقواه الشهوانية فرصة الانطلاق ؛ لأنه يحرمها من مصدر النشاط والحركة ، وهو الغذاء ، بيد أن الصيام لا يضعف الشهوة ؛ لأنه حرمان من أهم حاجات الجسد ، والا كان لونا من العقوبة لا لونا من العبادة والطاعة ، والله أرحم بعباده من أن يكتب عليهم ما فيه إعنات لهم أو ضعف لقوتهم .

ان ما افترضه الله على عباده من صلاة وصيام وحج وزكاة ليس له بذاته أثر في تقوى القلوب ، ولكن لأنه عبادة تصل الانسان بخالقه ، وتشعر بسلطان الله عليه فلا يضل ولا يشقى ، فالصلاة مثلا كما جاء في القرآن الكريم تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وهي في ذاتها من حيث القيام والركوع والسجود وتلاوة بعض آيات الله لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ،

ولكن من حيث كونها عبادة تتكرر كل يوم خمس مرات ويستشعر الانسان في كل مرة خشية الله ومراقبته ، لأنه بين يديه ، فان هذا يعصمه من الزلل ، وتحول الصلاة بذلك بينه وبين الفحشاء والمنكر .

والصيام يكسر الشهوة لا بالجوع والعطش ، ولكن لأنه عبادة سلبية ليس لها مظهر خارجي ، وهذه السلبية تمثل عنصر المراقبة الصادقة في ضمير المؤمن ، بحيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة « تفسير المنار ٢ صـ ١٦١ » .

« انّ الجوع ليس مخ الصوم نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين في الحكمة وفضل الصوم ، وحبذا الصوم امساكا عن جميع الأهواء والأخطاء ، ليكون رياضة مصلحة للنفوس ، مجدية على الفرد والجماعة ، مروضة على ما لا يسهل الارتياض عليه في سائر الأوقات لضعف أو اهمال أو عدم رقابة ، فيكون رمضان وسيلة الى التقوى التي رجاها القرآن » . « من هدي القرآن في رمضان للشيخ أمين الخولي صـ ٤٧ » .

ويرى بعض المعاصرين أن الصائم حين يمتنع عن حاجاته البشرية من طعام وشراب وما الى ذلك فانه يشعر برغبة تثير انتباهه الى تلك الحاجات ، فكأن الصيام تذكير بمادية الكيان ، وبشرية الوجود وحاجة الانسان فلا يستعلي ولا يستبد ، ولا يتجاوز حدود بشريته في كل تصرف من تصرفاته .

إن كل فرد ـ مهما يكن مركزه ـ معرض في بيئته للون من الطغيان ، يجاوز فيه قدره نوعا من المجاوزة ، فاذا ما رده الصوم بتنبيهه المكرر الى حاجة الانسان الى أكل الطعام ، عاد بالصوم انسانا سويا (المصدر السابق صـ ١٦) .

وهذه نظرة عميقة خليقة بالتدبر والتأمل ، لأنها لا تجعل الامتناع عن أهم رغبات الجسد مجرد حرمان مؤقت يؤتي ثماره في مجال الحد من طغيان الشهوات ، ولكنها تجعله مع هذا آية العبودية ودليل الضعف البشري ، فيعرف الانسان قدر نفسه ، ورسالته في الحياة .

ثانيا : اذا كانت بعض العبادات كالصلاة والحج والزكاة يمكن أن يدخلها الرياء والنفاق ، لأن القيام بها يتمثل في أمور يطلع عليها الخلق غالبا ، ويستوي في أدائها من الناحية الشكلية المخلصون والمنافقون والصالحون والطالحون ـ فان الصيام عبادة لا يلحقها الرياء ، ولا يتحقق فيها النفاق ، فالقيام بها يتمثل في أمور لا يطلع عليها سوى الحق تبارك وتعالى ، ومن ثم كان سرا بين العبد وربه ، وفريضة يرجو الصائم من ورائها مرضاة الخالق بعيدا عن أعين المخلوقين ، فأداء هذه الفريضة على وجهها المشروع لا يمكن أن يكون إلا ابتغاء لمرضاة الله وامتثالا لأوامره ، ومن امتثل أمر الله في صدق ، وتغيا من الطاعة والعبادة رضوان ربه فقد

اتقى خالقه حق تقاته .

ولأن الصيام هكذا اختصه الله بنفسه ، ونسبه لذاته مع أن كل العبادات كذلك ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي مخبرا عن ربه : « يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ... الصوم لي وأنا أجزي به » وفي رواية أخرى : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزى به » . (رواه الامام مسلم)

وجاء في تفسير المنار ٢ صـ ١٥٩ :

« فاذا ترك الانسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك ، أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق اليها ، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه ، وفي هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة » .

ثالثا : ان الصيام يقوي الارادة الانسانية ، ويجعل من المسلم رجلا ماضي العزيمة حر الارادة لا تلعب به النزوات أو الشهوات ، وذلك لأن من ينتصر على رغبات الجسد ولذاته يسيطر عقله على هواه وارادته على شهوته ، ومن كان كذلك فقد أصبح مالكا لزمام نفسه ذا ارادة قوية لا يميل مع هوى النفس الامارة بالسوء ، ولا ينحرف عن جادة الطريق . وليست التقوى في جوهرها الا ارادة قوية تكبح الأنفس عن غيها وتسلك بها طريق الحق والهدى والرشاد .

ولأثر الصيام في شحذ الارادة وجهاد النفس ومقاومة نزعات الشر والمنكر ، كان واجبا شهرا من كل عام ، ليظل الانسان حرا قوي الارادة نقي السريرة ماضي العزيمة ، لا تسترقه شهوة ، ولا تفسد فؤاده قالة منكرة أو هاجسة أوحى بها شيطان من شياطين الانس والجن ، ولا يرضى بالدنية في دينه ودنياه ، فهو دائما عالي الهمة يكره سفاسف الأمور وينشد بدلا من حياة العقبان والنسور ، حياة القمم والكرامة والعزة والاباء ، لا يركع الا لفاطره ، ولا ينام على باطل أو ضيم أبدا . وذلك لأن تكرر الشهر يجدد آثار الصيام التي قد تنال منها مرور الأيام ، وما أشبه الصيام للنفس بالمصل للجسم ، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجراثيم ، كذلك الصيام يكسب النفس قوة تقدرها على مقاومة الرغبات الهابطة والشهوات الحيوانية المسفة ، وكما أن المصل يجب تكرار التطعيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم ولا يفقد مقاومته ، كذلك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته مرة في كل عام حتى تتجدد قدرة النفس ولا تفقد مقاومتها (انظر الصوم الأضحية للدكتور علي

عبد الواحد وافي صـ ٣٢) .

ان الاسلام دين العزة والقـوة والكرامة ، ومن ثم كان الجهاد في هذا الدين ماضيا الى يوم القيامة ، وكانت تعاليم الاسلام وعلى رأسها الصيام تدريبا عمليا ونفسيا لاعداد المسلمين للحياة العزيزة الكريمة في دنيا يذهب فيها الزبد جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، ان الصيام يمنح الصائمين ارادة صلبة تقهر الشهوات المسيطـرة ، والنـزوات المتحكمـة ، ارادة لا تنال منها شدائد الحياة ، وتزيدها الصعاب مضاء وقوة ، وحين فقه المسلمون معنى الصيـام كما ينبغي أن يكون كانوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين كانوا قوة تهاب ، وعزيمة تجتاح كل الصعاب .

ان القيام بفريضـة الجهاد في الاسلام على وجهها المشروع يحتاج الى رجـال ذوي عقيـدة وارادة وشخصية ، والصيام يسهم بحظ كبير في اعداد الرجال للجهاد والقتال ، اذ هو مجال تقرير الارادة الانسانية والشخصية الانسانية بالاستعلاء على ضرورات الجسد جميعا ، كما أنه مجال لاختبار مدى الطاعـة لله ، والاستسلام لفرائضه أيا كان فيها من الحرمان ، وهذان عنصران لازمان في اعداد النفوس لاحتمال مشقة الجهاد في سبيـل الله (في ظـلال القرآن ٢ / ٧٤) ومن المصادفات الغريبة أن تقع أشهر المعـارك الحربيـة التي خاضها المسلمون في بسالة وحققوا فيها أروع الانتصارات ، ورفعوا فيها راية الاسلام ، في شهر رمضان .

رابعا : لما كان ظرف الصيام يمتد من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فان الصائم يظل طول يومه في عبادة وطاعة لله ، ومن شأن هذا أن يرسخ في ضمير الصائم شعور المراقبة لخالقه في وقت الصيام وغيره ، وبذلك تحقق هذه الفريضة التقوى في النفـوس والخشية في القلوب ، والاقبال على الله في السراء والضراء ، ومن هنا لم يكن الصيام المبرور مجـرد امتناع عن الطعام والشراب وما اليهما ، ولكنه مع هذا امتناع عن كل عمل يفسد روح هذه العبادة أو يحول دون رسالتها كما ينبغي أن تكون ، وان كان من الناحية المادية عملا لا أثر له في صحة العبادة وجوازها .

لقد رويت الآثار في النهي عن الكذب والغيبة والرفث ، وبينت أن من لم يأخذ نفسه في رمضان بالكف عن الرذائل والمناقص فان الله غني عن ترك الطعام والشراب ، ان هذا الترك أهون الصيام وأدناه ، أما أعـلاه وأشقه فهو الصيام عن كل منكر من الأقوال والأفعال ، وما ذلك الا وقاية لهذه الفريضة من أسباب الانحراف بها عن حكمتها الأولى ، وهي تقوى الله والاعتصام بحبله في كل حال .

تلك في اجمال ، الوجوه التي يكفل بهـا الصيام للصـائمـين التقـوى بمفهومها الشامل الكامل ، التقوى التي تحول بين المرء وما يسخط ربه ، وتجعل منه عبدا عابدا لخالقه في كل ما يأتي ويذر ، وتسلكه في عبـاد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يسألون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما ، والذين لا يعرفون في حياتهم الافراط أو التفريط في كل شيء ، فهم اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، انه القصد والتوسط والاعتدال ، والذين يؤمنون بخالقهم ايمانا صادقا لا يخالطه شرك من أي لون ، ولا يأتون منكرا أو كبيرة تورد فاعلها موارد التهلكة والخلود في العذاب المضاعف يوم القيامة .

ان التقوى هي غاية الصيام الأولى وحكمته الأساسية ، وما عداها من الحكم والفوائد التي يفيض في الحديث عنها بعض الباحثين فتبع لها أو منبثقة عنها ، بيد أن ما يذكره هؤلاء من حكم أو فوائد لا يرقى الى درجة الغاية من هذه الفريضة ، وربما أثار غبار الشك حولها ، ومن هذا ما يذهب اليه البعض ، أن من حكمة الصيام أنه منهج صحي يشفي الجسم من بعض الأمراض ، كما أنه وسيلة لأن يحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء ، وهذا الرأي لا سند له من الكتاب أو السنة الصحيحة ، وتخرج عبادة الصيام عن طبيعتها وتنقص من قدسيتها وجلالها ، وتهوى بها الى مستوى العادات ، وتجردها من أغراضها الروحية السامية ، وتلصق بها مقاصد مادية تافهة تتعلق بالجسم وحاجاته ، ثم ان هذه الأغراض عرضة للشك واختلاف الرأي حولها ، فقد يرى بعض الباحثين في الطب وعلوم الأغذية أن ليس للصوم في صورته الاسلامية الفوائد الصحية التي ينسبونها اليه ، وقد يرى البعض أنه لا يحقق ما يرتبونه عليه من عطف الأغنياء على الفقراء ، وأنه لو كان المقصود منه هذا لاقتصر على ذوي اليسار ، واذا سرى الشك الى الغاية والمقصد فانه لا يلبث أن يسري الى العبادة نفسها فتتزعزع عقائد الناس في العبادات ويضعف ايمانهم بها .

وقد يقال : ان الجوع يخلص الجسم من الفضلات والأخلاط الضارة ، فينشط ويصح ، وقد ورد في الأثر : « جوعوا تصحوا » ولهذا يفيد الصيام الجسم صحيا فوق ما فيه من فوائد نفسية وروحية .

ومع التسليم بأن الصيام في صورته الاسلامية يفيد الجسم صحيا فإن الذي يجب الاهتمام به في هذا الموضوع أن الاسلام يحرص أبلغ الحرص على حماية الجسم من كل عوامل الضعف ، ويدعو الى تقوية الأبدان والايمان ، ولذا نهى عن الاسراف في المأكل والمشرب ، وأمر بما يسمى في العصر الحديث بالطب الوقائي ، كما أمر بالنظافة والرياضة ... الخ ، وهذا الحرص البالغ ينسحب على حياة المسلم كلها في أطوارها المختلفة لا على شهر أو فترة معينة ، وان كان لها دورها في هذه الحماية والوقاية .

ان الصيام في جوهره تربية روحية سامية ، وليس عادة صحية أو منهجا غذائيا ، ومن هنا يكون الرأي الذي

يذهب الى الافاضة في الحديث عن فوائد الصيام الصحية ويجعل هذه الفوائد في مرتبة الحكمة من فرضية الصيام رأيا يبعث على الشك في الغاية من هذه الفريضة ، ويكون الرأي الذي يذهب الى أنه ليس من حكم الصيام وأغراضه فوائده الصحية رأيا له منطقه الذي يسوغه ، وهو رأي ينأى بهذه الفريضة الجليلة عن كل ما يسيء اليها ، ولا مراء في أن النظر الى الصيام بهذا المعنى يربأ به عن أن يكون لونا من العادات الصحية التي تفيد في بعض الأحيان دون بعضها الآخر .

ان الجوع نقمة ومحنة ، وليس لجوع الصوم القصير ذلك الأثر الذي تحدث عنه الفقهاء والصوفية ، وما جوع الصائم في حقيقته الا ضرب من الأخذ بالاعتدال وعدم السرف في الشهوات ، ولو عمم هذا الاعتدال في صنوف الشهوات جميعا لتحققت التقوى المرجوة بالصيام (من هدي القرآن في رمضان صـ ٤٩) فالقول بأنه فرض ليحس الأغنياء قسوة الجوع فيعطفوا على الفقراء قول لا يخلو من شبهة تفسده ، والأولى أن تظل هذه العبادة بعيدة عن كل ما قد يضعف الايمان بها وان جاز أن يكون أثرا من آثارها .

وبعد فان التقوى هي العروة الوثقى ، وهي الفارقة بين الكفر والاسلام ، وقد جعلها الله يسرا لكل عسر ، وبابا لكل خير : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق / ٢و٣ .

والصيام - وهو عبادة كتبها الله على المؤمنين به في كل دين - يربي التقوى في النفوس والخشية في القلوب ويدفع الى الجهاد بالنفس والمال ، وهو - فضلا عن هذا - مظهر رائع من مظاهر وحدة المسلمين ، وقوتهم ، فهم في مشارق الأرض ومغاربها ، يعيشون شهرا كاملا وكأنهم في معسكر واحد ، يفرض عليهم ألوانا من السلوك لا مناص من الحفاظ عليها ان شاءوا لأنفسهم فترة تدريبية تعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة .

وما أحوج الأمة الاسلامية في هذا العصر الذي يواجه فيه الاسلام أخطر المؤامرات للقضاء عليه ، أو لجعله غريبا بين أهله ، أو جعل أهله غرباء عنه ، الى أن يكون صيامها سبيلا لتقوى الله ، حتى لا تخشى فيه لومة لائم ، وحتى تعتصم دائما بحبله ولا يكون بأسها بينها شديدا ، وحتى لا ترضى بالدنية في دينها ودنياها ، وحتى تبذل كل ما تملك فداء لعقيدتها وكرامتها ، لتظل كلمة الحق لها السيادة والقيادة في عالم يحكمه منطق القوة الباغية ، الذي يسمى الاغتصاب حقا والاحتلال والارهاب حماية ، والاستغلال ونهب ثروات الشعوب تعاونا ، وبذلك نحيا خير أمة ونعيش أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**) المنافقون / ٨ .

من أدب القرآن :

دعائم القوة في سورة الأنفال

للأستاذ : عبدالغني احمد ناجي

القوة – لأمر جليل له أثره وخطره ، مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم – القوة والأقوياء بقوله : « المؤمن القوي خير ، وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » رواه مسلم . والقوة ذات شعب أو دائرة منداحة ، تضم القوة المعنوية والقوة المادية ، وتشمل قوة الفرد والجماعة ، والاسلام الحنيف – دين القوة العادلة – ينشد في نهجه الحصيف ايجاد الأقوياء الأسوياء من البشر ، ليكونوا لبنات قوية صالحة في مجتمع قوي سوي ، وإن شئت فقل في مجتمع فاضل ، وبيئة مثالية ، فالمثالية المبتغاة لا يمكن تحقيقها إلا مدعومة بالقوة ، إذ الدعاة إليها أو المتمسكون بها ربما يتعرضون للأذى الذي يفتن عن الحق ، فلو لم تكن معهم قوة مادية ولو لم تكن بداخلهم قوة معنوية ممثلة في قوة الروح والايمان واليقين – لاضطروا اضطرارا الى ترك النور تحت وطأة الأذى من جانب الظلام .

لقد اتخذ الاسلام أساليب عدة في تربية المسلمين على القوة العادلة ، أو في دعم قوة المسلمين حتى تسمق فوقها دعوتهم إلى الحق ويثمر نداؤهم الى الصراط المستقيم . والذي يقرأ القرآن الكريم بتبصر وتدبر يجد فيه هذه الأساليب التربوية التي ألمحنا اليها . يجدها في عرض باهر معجز ينبىء عن حسن النتيجة ، ونبل الهدف وهذه

الأساليب قد توجد مبثوثة حسب المناسبة والمقام وقد توجد مركوزة في سورة من سور القرآن الكريم ، إذا كانت السورة برمتها في مناسبة تستدعي تربية القوة لدى المسلمين والذي يعيش في أنوار سورة الأنفال ربما يجد ما يدعم هذا القول الذي نذهب اليه .

ولنعش في رحاب السورة الكريمة مستلهمين الله صواب الرأي وصحة الدليل .

تبدأ السورة بحكاية المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النصر على الكفار في يوم بدر ، فقد حار المسلمون يومئذ في كيفية قسم الغنائم وكادوا يختلفون ، وأوشك الخلاف أن يؤثر في وحدتهم الجامعة ، والوحدة قوة لا تدانيها قوة ، فنزلت الآية الأولى من سورة الأنفال تدرك المسلمين قبل أن يحدث الخلاف ما يحدث في وحدتهم ، وترشد المسلمين إلى أمثل الطرق لفض الخلاف وحسم النزاع ، والحفاظ على القوة والتآلف ، وكان ذلك في الارشاد الى حكم الله العزيز الحكيم عند كل خلاف أو نزاع ، ففي حكم الله تعالى والرضا به راحة للقلوب والضمائر ، وفيه قطع لدابر الخلاف والتدابر ، فتظل قوة الصف متينة ، ووحدة الهدف ثابتة راسخة .

يسألونك عن الأنفال قل الانفال لله والرسول ..) ــ الأنفال لله والرسول ــ جملة مفحمة مسكتة ، اخالها غطاء ثقيلا ، وسميكا غطى مرجلا يوشك ان يغلي أو إخالها ماء باردا سكب على نار فأطفأها وأخمد أوارها ثم توالى السكب حتى تبدلت بؤرة النار والرماد روضة فيها الزرع والنبات .

ولما كانت وحدة المسلمين هي أقوى الدعائم التي تعتمد عليها دعوتهم ، وترف بها سعادتهم في معايشهم فقد الحت الآية في سد ثغرة الخلاف بينهم ، حتى لا يتصدع صفهم او تخدش وحدتهم ، فتأتي أفعال الأمر متوالية متواكبة تلح على المسلمين أن يرعوا هذه الوحدة بالدعم والتقوية ، وأن يدعوا كل ما من شأنه الخلاف والنزاع ، ولنستمع الى بقية الآية المتضمنة هذه الأفعال :

(.. فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ..) فهذه الأفعال في تواليها وتواكبها ــ توحي بالحرص الشديد على وحدة المسلمين وقوتهم حتى لكأن المراد بالتقوى هنا الخوف من عقاب الله تعالى على التمادي في الخلاف والنزاع ، وكأن الغرض من طاعة الله ورسوله ــ في هذا المقام ــ طاعتهما في الحفاظ على الاتحاد والتواد ، ثم يأتي اسلوب الحفز التربوي الحامل على فعل الخير الذي يراه الناصح للمنصوح ممثلا في قوله تعالى للمؤمنين يومئذ .. : **(.. إن كنتم مؤمنين)** اي ان كنتم كاملي الايمان فدعوا الخلاف والنزاع ، واحسموا الأمر بالرجوع إلى حكم الله ورسوله ، وفي تعليق كمال الايمان على تآلف القلوب ، ووحدة الصفوف إيحاء وأي إيحاء بشدة اهتمام الاسلام بتلك الوحدة لأثرها الخطير في دعم قوة المسلمين ، وإني لاخال الآية حارسا يقظا امينا على بلد ساحلي يطل على بحر مائج ، وبين البلد والبحر سد منيع ، ولكن ثقبا في السد حدث ، وليس معه من خطر لصغره ، ولكن الحارس لأمانته وغيرته على بلده لم يسكت

حتى يتسع الثقب او يتصدع السد ، فهاله الثقب الصغير ، لأنه بالسكوت وعدم العلاج والاصلاح سيصبح كبيرا وخطيرا ، فهب الحارس الأمين ، واتخذ لسد الثقب كل وسيلة ممكنة ، وعالجه بصنوف عدة من العلاجات ودعا الى الحذر والحرص من حدوث غيره ، حتى يظل البلد آمنا مطمئنا ذلك مثل الآية الكريمة مع المؤمنين يوم بدر ، وعند الحيرة في تقسيم الغنائم ، والغنائم مال ، والمال حبيب الى النفوس ، وربما يودي التشبث به إلى معاداة من يقف دون الحصول عليه ، فكانت الأوامر الشديدة المتلاحقة : (**اتقوا الله ـ اصلحوا ذات بينكم ـ اطيعوا الله ورسوله** » ثم كان الحفز بتعليق كمال الايمان على اطاعة تلك الاوامر .. « **.. ان كنتم مؤمنين** » .

وبعد التحذير والتنبيه الى التمسك بالوحدة ونبذ الخلاف لما في ذلك من قوة الفرد والمجموع ـ تأتي الآيات متضمنة اهم وسائل التقوية المعنوية للمسلمين ، في أسلوب يتضمن الحفز التربوي ايضا ، وذلك بعرض ابرز سمات المؤمنين الصادقين الذين وصلوا عند الله الى أعلى الدرجات فهم الذين لا تخاف قلوبهم الا من الله ، وكلما تليت عليهم آيات الله تعالى زادتهم ايمانا ويقينا ، وهم الذين لا يعتمدون في كل أمورهم الحيوية إلا على ربهم ، ثم هم الذين يحافظون على صلتهم بخالقهم باقامة الصلاة والمحافظة عليها ، حتى يظل اتصالهم بخالقهم مستمرا وقلوبهم بالله موصولة ، فهذه السمات : عدم الخوف الا من الله ، وقوة الايمان عندما تتلى آيات الله ، والتوكل في كل الأمور على الله تعالى ، والمحافظة على الصلاة ـ هذه السمات من شأنها ان تقوى الروح والقلب ، وتجعل الانسان ـ وإن كان ضعيف البدن ـ أقوى من الطود ، وأصلب من الحديد ، ثم تختم الآية الثالثة بثمرة من ثمار القوة المعنوية التي حدثت ونمت وترعرعت لدى المسلمين باتخاذ أسبابها ، هذه الثمرة هي الانفاق ، والانفاق دون كزازة او شح ثمرة طبيعية لقوة الروح والقلب ، وقد جاء ذكر الانفاق مطلقا إيحاء بان هذا المسلم بعد تقوية قلبه وروحه اصبح لا يخشى فقرا او فاقة لصلته الدائمة بالله الرزاق ، وأصبح منبع خير ، فهو ينفق في كل جهات الخير ، على النفس ، وعلى الغير : (**.. ومما رزقناهم ينفقون**) ولكون القوة المعنوية أساسا وركيزة للقوة المادية بدليل الواقع الملموس ، فقوى الروح قوى حقا وإن كان ضعيف الجسم ، وقوي الجسم ليس بقوي حتى تعتمد قوة جسمه على قوة روحه ، فقد يجبن الضخم العملاق ، الخواء روحه ، وقد يثبت القزم الضئيل ، لقوة قلبه وروحه ، نقول : لكون القوة المعنوية بهذه المثابة كانت دعوة الاسلام اليها ملحة وشديدة حتى ترتكز عليها القوة المادية التي ستأتي الدعوة اليها في هذه السورة بعد قليل من الآيات ، وقد جاءت الدعوة الى القوة المعنوية في أسلوب تربوي ايضا تمثل في مدح المؤمنين الصادقين الذين ينصاعون لتلك الدعوة ، فيقوون قلوبهم وأرواحهم باتخاذ الأسباب التي أرشدت اليها الآيات السابقة ، وقد تركز المدح في آية قصيرة لا تتعدى الجملة الواحدة ولكنها تحمل المدح بأجل ما يتمناه المسلم وهو الايمان

الكامل :

(.. اولئك هم المؤمنون حقا) ثم يجيء في بقية الآية الجزاء والمكافأة للحفز والتشجيع : **(لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)** وذلك كمعلم امين يقول عن صفوة تلاميذه الذين استجابوا لنصحه وإرشاده : هؤلاء أفضل تلاميذي وهم الممتازون حقا ، ولهم عندي أعلى الدرجات ، سأمنحهم أفضل المكافآت ففي مثل هذا الأسلوب مدح للكامل الممتاز ، ودعوة لغيره الى سلوك مسلكه . وانتهاج نهجه حتى يحظى بامتيازه ..

ثم يجيء دور الدعوة الى القوة المادية بعد تأصيل القوة المعنوية فيما سبق ، وتبتديء تلك الدعوة في السورة بمعاتبة المسلمين الذين ودوا المال والتجارة دون الحرب التي ستكسبهم القوة والنصر : **(.. وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ..)** وفي الكناية عن التجارة والمال بغير ذات الشوكة ايحاء بأن الأولى سلوك ما يكسب الشوكة والمنعة ، وإنذار بأن عملهم سيفقدهم الشوكة والمنعة ، وفي ذلك خطر عليهم وأي خطر .

ثم يأتي مراد الله تعالى من القوة العادلة التي يريدها للمسلمين : **(ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)** وما دام المؤمنون قد استجابوا لله ورسوله فقاموا بكل ما من شأنه تقوية الروح ، والقلب كما ارشدت الآية الأولى من هذه السورة فالله تعالى سيكافئهم بأسباب القوة المادية ممثلة في كل شيء تراه العين ويقبله العقل ، حتى التأييد بالملائكة ، مردفين في الحروب والغزوات : **(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ..)** ولا يحسبن أحد في ظلال هذا التأييد الالهي للمؤمنين ان الله منزل نصره وتأييده دون جهاد من هؤلاء المؤمنين فبعد سلوك المؤمنين مسالك التقوية المعنوية كما أسلفنا يأتي التأييد ، ومع التأييد لا بد من كفاح وعمل وجهاد ، حتى يتنزل النصر ويتم الفوز ، ولا بد ان يستعمل المسلمون ما حباهم الله تعالى من قوة في دعم الحق ، وإزهاق الباطل حتى تظل كلمة الله هي العليا لا بد أن يضربوا على يد هذا الباطل ممثلا في الكفار والملحدين حتى يتفيأ العالم ظلال حق وريف ، وسعادة حقة ، لا بد من ذلك ومن ثم جاء بعد آيات التأييد بالملائكة امر الله للمؤمنين بقوله في ختام الآية : **(فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)** وليس في هذا الضرب ظلم او تعسف او طغيان فحاشا لله ان يأمر بذلك وحاشا للمؤمنين الصادقين ان يحدث منهم ما يصمهم بالبغي والعدوان ، ولكن الضرب للحق ، ولاعلاء كلمة الله التي فيها خير البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة ومن لم يدرك ذلك وتسول له نفسه أن يقف حائلا دون إعلاء كلمة الله فكأنه يقف حائلا دون سعادة البشر ، ومن حق

عباد الله الواعين المدركين ان يستلهموا من الله العزة والقوة والتأييد ليجابهوا هؤلاء المعاندين ويأخذوا على أيديهم حتى يتفسح الطريق أمام النور . نور الله الحق ، ليعم الأكوان المتطلعة اليه ، ومن ثم جاء عقب الأمر بالضرب على يد الباطل بيان العلة والسبب ، حتى تطمئن نفس الضارب وتظل روحه قوية ، وقوته شديدة : **(.. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)** .

وإلى هنا نجد الناس وكأنهم انقسموا الى فريقين : فريق قوي الروح صلب المادة يسير في أنوار الحق مدافعا عن الحق ، وفريق ضعيف الروح ، خائر المادة يرتكس في عطن الباطل ومباءاته فتأتي الآيات التالية تحمل نهيا شديدا لأتباع الحق عن الفرار يوم الزحف ، امام غثاء الباطل ، وحزب الشيطان ، فما دام الله قد تكفل بنصر أتباع الحق ، وتكفل بتأييدهم في مواطن الكفاح والدفاع عن الحق ، فلا مجال إذن للنكوص والفرار : **(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ..)** ثم يأتي الوعيد الشديد لكل مؤمن تسول له نفسه الفرار يوم الزحف لغير سبب سوى الجبن والهلع فالموقف خطير يتحدد فيه مصير الحق والباطل ، وساعة ثبات وصبر تقلب الوضع والموازين ، ومن ثم كان الوعيد عنيفا ومخيفا : **(.. ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** .

ويحدث النصر المبين للمسلمين يوم بدر ، ويتنفس المسلمون الصعداء ، ويستروحون نسمات الفوز والظفر ، ولكن وصايا السماء لا تتركهم ، فلا بد من الربط على القلب ولا بد من موالاة النصح حتى تظل أسباب القوة قائمة متينة ، ومن ثم نجد الآيات بعد ذلك تعاود التحذير والتخويف مما يؤثر في وحدة المسلمين : **(.. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)** وتحذر من التكالب المسرف على المال ، والولد تكالبا يصرف عن الجهاد والدفاع عن الحق : **(واعلموا أنما اموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم)** وتضيف الى ذلك — وبعد النصر — التحذير من الغرور بالنصر ، إذ الله وحده هو مانح النصر : **(.. فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ..)** ثم يأتي الترغيب المعجز في الدعوة الى الأخذ بأسباب القوة تجاه أعداء الله تعالى ، وأعداء المؤمنين : **(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ..)** فما أحق الدعوة وما أحسن ما يدعى اليه المؤمنون ، وما أبلغ الأسلوب ! .. **(.. دعاكم لما يحييكم)** فاذا فسر المدعو اليه بالعلم فالعلم — لا شك — حياة ، وإذا فسر بالجهاد تجاه العدو فذلك حياة للمؤمنين وأي حياة وجاء التعليم رائعا وبديعا لان كل ما يدعو اليه الرسول قومه لهم فيه حياة وقوة لكيانهم ، ثم يتكرر الأمر بالثبات في مواجهة العدو ، لأن ذلك أقوى دعائم النصر : **(يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** وفي ذكر الله تعالى في مواطن الخطر مع الثبات والصبر قوة لا تعدلها

قوة ، ومن ثم انتصر المسلمون في قلتهم العددية على الكفار في كثرتهم العددية ، لاستجابة المسلمين الى الأخذ بأسباب القوة والنصر التي دعا إليها الاسلام الحنيف ، ولا يوهن القوة ويضعفها سوى الشقاق والخلاف ، ثم الغرور والبطر ، ومن ثم تأتي الآيات التالية محذرة من هذه الأدواء التي تبدد القوة كالرياح : **(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ..)** وترشد تلك الآية الى أن القوة الممنوحة من الله تعالى ينبغي أن تستعمل في الخير خاصا كان أو عاما لا في الرياء والفخر ، ولا في الصد عن فعل الخير ، فما أنبل الهدف !! والذي يتنكب ذلك فالله من ورائه محيط ، وفي هذا تهديد وأي تهديد .

وإذا توفرت للمسلمين القوتان : المعنوية والمادية ــ فلا يليق بهم التخاذل أمام عدو ، او التباطؤ عن الجهاد أمام خائن يمكر بهم ، فهنا مجال استخدام المسلمين لقوتهم التي منحهم الله اياها : **(.. وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** .

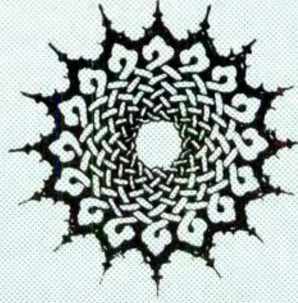
والمسلمون بعد توفر القوة ، وتحقق النصر ينبغي ألا يغفلوا عن كيد العدو ومكره ، ويجب عليهم ان يكونوا دائما على استعداد لمواجهة الخطر ، ومواصلة الكفاح ، بهذا يرهبون العدو ، ويعيشون في هدوء وينشرون الخير الذي كلفوا نشره في امان وسلام : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ..)** وجاء لفظ القوة منكرا ومطلقا لتشمل القوة جميع الانواع : المعنوية والمادية في كل جيل وعصر من الخيول الى الصواريخ .

ولما كان الاسلام دين سلام حقا ، والقتال فيه مشروع لحفظ السلام ، والدفاع عن الحق ــ فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المؤمنين ــ بعد بلوغ قوتهم ما يكفل الدفاع والردع ــ ــ أمروا ان يجنحوا الى السلم إن جنح العدو لها وكان صادقا في ميله وسلمه ، وذلك حتى يدعم المسلمون دعوة الاسلام إلى السلام : **(وإن جنحواللسلم فاجنح لها ..)** والذي يقرأ هذه الآية الكريمة ، ويقرأ في أول السورة قوله تعالى معاتبا المؤمنين في أول عهدهم بقتال الكفار ، حينما مال بعضهم إلى العير لا النفير : **(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم)**ــ نقول : إن الذي يقرؤها يجد فرقا في الدعوة والأرشاد ، والذي يعرف أن المسلمين حين نزول آية العتاب كانوا قلة ضعافا ، وفي حاجة الى قوة تكسر شوكة الكفار ، وأن المسلمين حين نزول الآية الثانية الداعية الى الجنوح للسلم إن جنح العدو لها ــ كانوا من القوة بحيث يرهبون العدو ، ويردعون عدوانه ، فلا حاجة الى الغلظة ما دام العدو قد خضع صلفه ، وانهار بنيانه ، وتحطمت شوكته ، وكأنها قاعدة حربية عادلة يقرها الاسلام اذ يبيح للمسلمين الجنوح للسلم إن قوى جانبهم ، وأمنوا عدوهم ، ويلزمهم باستعمال أقصى القوة في الحرب ، واستعمال شتى الأساليب لكسر شوكة العدو ــ إن كانوا في دور

التقوى والنهوض ، هذا عمل تقره الانسانية العاقلة ، والطباع السليمة ، أقول : ان الذي يعرف ذلك يدرك السبب ، ويفقه العلة في اختلاف مرمى الآيتين الكريمتين . ثم تأتي النصائح المذهبة للخوف من قلوب المسلمين حين انصاعوا لدعوة الاسلام الحنيف الى الجنوح للسلم ممثلة في الأمر بالتوكل على الله وحده ، بعد الحرص وأخذ الأهبة ، والاستعداد التام في قوة رادعة ، ومن ثم كان الأمر بالجنوح للسلم بعد الأمر بالاستعداد في قوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** فلا جنوح للسلم مع ضعف أو قلة ولا جنوح للسلم مع تهاون او غفلة فالجنوح للسلم في الاسلام يكون مع قوة المسلمين الرادعة ، ومع يقظتهم التامة . وربما يأنف المسلمون – وهم في قمة قوتهم – من الجنوح للسلم حذرا من خداع العدو ، فيحرمون بهذا الامتناع انفسهم من الهدوء ، وغيرهم من الهدى ، فتأتي الطمأنة من الله مانح النصر ، وحافظ المؤمنين في قوله تعالى : **(.. وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم ..)** .

ثم يأتي دور الأسرى وموقف الاسلام منهم يوم بدر بالذات ، فنجد القرآن يعتب على المسلمين عدم اثخانهم في الأرض يومئذ ، ويعتب عليهم رغبتهم في عرض الدنيا : **(ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة)** ونلمس العتاب موافقا للعتاب الأسبق في قوله تعالى : **(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم)** ومن خلال العتابين نحس ان الاسلام كالوالد الرحيم ، يريد لأتباعه كما يريد الوالد لأولاده القوة والمنعة ، ولا تناقض بين هذا وبين الآية الداعية إلى الجنوح للسلم ، فآية الجنوح للسلم تحمل نصيحة عامة غير مقيدة بزمن معين ، او غزوة بعينها غاية ما تشترطه أن يكون المسلمون أقوياء وعلى استعداد تام لملاقاة العدو وردعه ، أما آيتا العتاب فهما خاصتان بغزوة بدر يوم أن كان المسلمون قلة ضعافا ، وكان عدوهم كثيرا قويا ، فالعقل يقضي حينئذ باستعمالهم كل الأساليب لكسر شوكة العدو ، وإضعافه حتى يجنح للسلم ، ويميل الى المهادنة ، وربما يكون ذلك بابا إلى الهدى ، والاعتراف بالحق الواضح .

وإذا كانت سورة الأنفال ، قد بدئت ببيان وسائل القوة المعنوية ، كركيزة لسائر القوى ، ثم مدحت الذين يأخذون بهذه الأسباب بأنهم المؤمنون حقا – فانها قد ختمت بمدح الذين يستعملون القوة العادلة في الدفاع عن الحق ، وفي نشر الخير حتى يرف على الانسانية العانية – بأنهم أيضا المؤمنون حقا : **(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا)** وإذا كان للمؤسس نوع من الفضل على المنفذ – فان واضعي اسس القوة : **(لهم مغفرة ورزق كريم)** وبعد فلعلنا بعد استعراض هذه السورة الكريمة نكون قد لمسنا ركائز القوة التي توفرت للمسلمين بمنح الله وتأييده ، فأستعملوها في الحق ، فحقق الله لهم النصر المبين .



شهر الصفاء والاخاء

للأستاذ
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

لقد مرت الأيام ، ودار العام دورته ، وطلع علينا شهر رمضان كعادته ، مهيبا جليلا ، تسعى بين يديه مواكب الحفاوة والترحيب ، في جلجلة من التهليل والتكبير ، تهفو إليه قلوب المسلمين ، وتنتظره في كل عام في لهفة الظمآن إلى الماء ، والحيران الضال إلى الطريق الموصل للهدف المنشود ، والأمل المعقود .

وشهر رمضان بما امتاز به من خصائص دينية وتاريخية ، كانت السبب في نشر الخير في العالم كله ، وتبديد ظلمات الجهل ، وعلاج الأرواح والنفوس والأجسام ، بهذه الميزات والخصائص يجمع المسلمين في مختلف بلاد العالم تحت راية المودة والصفاء والاخاء ، والحب والتضامن بأكمل صوره .

وشهر رمضان هو شهر القيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والاحسان ، شهر تفتح فيه

أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات ، شهر النصر والفوز على الأعداء ، شهر يجود فيه المولى تبارك وتعالى على عباده بأنواع المكرمات ، ويجزل فيه لأوليائه الأعطيات ، شهر جعل الله عز وجل صيامه أحد أركان الاسلام فصامه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه وأمر بصيامه ، وأخبر أن من صامه إيمانا واحتسابا غفر الله عز وجل له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم .

شهر فيه حكم عظيمة ، منها : تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة ، كالبخل والبطر ، وتعويدها الأخلاق الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ، ومجاهدة النفس فيما يرضى الله عز وجل ويقرب إليه ، ويعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لخالقه ، ويذكر نعمه عليه ويذكر - أيضا - حاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله جل شأنه . ومن أجل نعم المولى تبارك وتعالى علينا أن يفرض علينا عبادة فيها لنا كل السعادة وكل الخير ، ويتجلى فيها شفاء القلوب والأبدان ، ونور الحق وصدق العقيدة .

وهذه المعاني نجدها واضحة في قوله عز وجل : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)** البقرة / ١٨٥ .

ولقد قال أحد العلماء في حكمة فرضية الصيام في شهر رمضان : « إن رمضان شهر نزلت فيه هداية السماء إلى الأرض ، فناسب أن يكون زمن عبادة ترتفع بها النفوس من شهوات الأرض إلى روحانية السماء ، وتتخلص من جوانب المادية ودوافع الغرائز إلى صفاء ونقاء يضفي على النفوس البشرية نوعا من الشفافية والرقة » .

فضائل رمضان كثيرة ومتعددة

وشهر رمضان تنبثق منه عدة فضائل كثيرة ومتعددة ، فهو مدرسة يدخلها الصائمون شهرا كل عام ، يتدربون فيها على مكارم الأخلاق ، وممارسة الصفات الحميدة التي بها تصلح الحياة ، ويستقيم عليها أمر الناس . ويمتاز هذا الشهر المبارك بالأحداث التي نشرت النور والخير والسعادة في العالم ، فهو شهر القرآن الكريم كتاب المولى تبارك وتعالى ، وسمي **رمضان** لأنه يرمض الذنوب ، بمعنى انه يحرق ذنوب الصائمين ويمحوها ، وقد قال **المصطفى** صلوات الله وسلامه **عليه** ، : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » رواه البخاري ومسلم .

وتصفيد الشياطين في رمضان رحمة

من الله عز وجل بعباده الصائمين ، حتى يكـــون صيامهم خاليا من وسوسة الشيطان ونزعاته ، والذي يشعر بهذه الناحية هو من يكـون صافي القلب ، طاهر النفس ، قوي الايمان ، فلا يستطيع الشيطان أن يغويه ، أما من يجعل من رمضان شهرا للطعام والشراب ، والعناية بالجسد وإهمال الروح فهو بعيد عن هذا الصفاء وهذا الاشراق ، وكذلك من يجعل منه موسما للتظاهر والتفاخر والرياء بالأعمال ، وقد قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيما يرويه عن ربه عز وجل : « كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى : **إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به**» .رواه مسلم .

وذلك لأن الصوم سر بين العبد وخالقه ، فلا يطلـع عليه إلا علام الغيوب ، بخلاف بقية العبادات فانها قد يدخلها الرياء والتظاهر ، ولأن الصوم يمنع الانسان من الشهوات والملذات بخلاف سائر العبادات ، ومن هنا كانت له وحدة دون سواه هذه المنزلة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكـم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » رواه النسائي والبيهقي وقال لامرأة من الأنصار ، « إذا كان رمضان فاعتمري . فان عمرة فيه تعدل حجة » رواه الدارمي ومعنى هذا أن ثواب العمرة جزيل لوقوعها في رمضان .

وأن من أعظم الفضائل أن يجعل الانسان هواه تبعا لعقله ، ويجعل شهواته مستسلمة لضميره الذي يخضع للقوانين الالهية ، وقد حاول بعض الناس أن يغري رجلا قوي الايمان بارتكاب معصية بحجة أنه لا يراه إلا الكواكب ، فرد عليه الرجل المـــؤمن بقوله : « أنت نظرت إلى الكواكب ، ولكن أين مكوكبها ؟ » .

جهاد النفس بالصوم

وجهاد النفس بالصوم من أرقى أنواع الجهاد ، إذ هو ردها عن غيها وغاياتها وتخليصها مما علق بها من شوائب الدنيا وآثامها ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

ففي الصوم تعود على الصمود والصبر ، وتقوية للارادة ، وتدعيم للعزيمة ، لأن الصائم يجاهد نفسه ، ويحارب نزواته ، ويلجم أطماعه ، ويخوض معركة شرسة ضارية أمام نزعاته وأهوائه ، فبين يديه الطعام ، وتحت أمره الشراب ، وإلى جانبه زوجته ، تزين له نفسه أن يسد جوعته ، وأن يروي ظمأه وأن يقضي شهوته ، بيد أنه يغالب أهواء نفسه ، ويلتزم أمر ربه عز وجل ، ويتغلب على شيطانه ، وكلما استهواه عاود معه الصراع من جديد بدافع من دينه ومن ضميره ، فتتربى فيه الارادة القوية ، والعزيمة الصامدة ، ولا يتسرب اليأس إلى نفسه ، ولا يدب الضعف في

إرادته ، وإنما يحمل راية الكفاح ويتوجه طموحه ويواصل الجهاد يسانده صموده ، وبذلك يسهل عليه الانتصار على عدوه بعد أن انتصر على عدوه الذي يوسوس في نفسه ، لأن الانتصار على العدو أسهل من الانتصار على النفس .

وجهاد النفس والدنيا ، ومغالبة الهوى والشيطان من أعظم الجهاد ، ومغالبة الانسان للشرور المنبعثة من داخل نفسه تحتاج إلى رعاية المولى تبارك وتعالى وعنايته ، وتحتاج إلى إنارة الفكر والعقل والبصيرة وصفاء الروح ، ليعرف الانسان من أين تأتي مكائد الأعداء ، وما هي الأسلحة التي يتغلب بها عليهم وطوبي لمن وفقه الله عز وجل إلى ذلك .

ولا وسيلة إلى التغلب على عوامل الشر والفساد إلا بترويض النفس وتهذيبها وضبطها في طعامها وشرابها ، ويوضح ذلك قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » رواه البخاري ومسلم فمن هذا الحديث الشريف ندرك ان الصوم سلاح قوي في أيدي الشباب للتحكم في أهوائهم وشهواتهم ، وقال لقمان الحكيم : « يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكـــرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

وقال الامام الغزالي : « الصوم زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، وفي جوع الانسان صفاء القلب ، وإبقاء القريحة ، واتقاد البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ فيتبدد الذهن ، والصبى إذا ما كثر أكله ، بطل حفظه وفسد ذهنه » .

ويقول : « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع تصف وترق » وهذه الكلمات الحكيمة تبين مدى تأثير الصوم في تهذيب النفس ، وتصفية القلب ، بالاضافة إلى الثواب العظيم في الدار الآخرة .

الصوم يعلم الصبر

ويعتبر الصيام من الوسائل التي تغرس في النفوس الأخلاق الحميدة فالصبر تعود ، ومن تعوده قادرا استطاعه دائما ، والصيام هو الوسيلة الوحيدة التي تخلق في نفس الانسان الصبر ، كما يكبح الصوم جماح النفس ، ويحد من شهوة الصائم ، ويكسر من حدة غضبه ، فاذا صام المـــرء وجب عليه ألا يغضب ، بل يعفو عمن يسيء إليه ويصفح عنه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصيام جنة — اي : وقاية — فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم ، إني صائم » رواه البخاري .

ويغرس الصوم في نفس الصائم فضائل كثيرة يحتاجها الفرد في حياته ، وتدعو إليها كل وسائل التربية ،

كغض البصر عن كل حرام او مكروه ، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب ، وكف السمع عن الاصغاء إلى أي مكروه ، وقد بين لنا ذلك كله الرسول صلوات الله وسلامه عليه في قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري ، وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها فقال :

« هي في النار » رواه احمد والحاكم وابن حبان .

وقد نوه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بمنزلة الصائمين بقوله : « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي : أما واحدة : فانه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا . وأما الثانية فان خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك وأما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة وأما الرابعة : فان الله يأمر جنته ، فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي ، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما الخامسة ، فانه إذا كان اخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟ فقال : لا ألم تر إلى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » رواه البيهقي .

شهر الكرم والجود

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبل رمضان استقبله بفيض من الكرم والجود ، فهو في هذا الشهر الكريم أجود بالخير من الريح المرسلة .

روى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدرب أصحابه على أن يكونوا كرماء مثله في شهر رمضان ، فكان يحثهم على إطعام الطعام ، ويذكرهم بأن هذه نعمة ينبغي للمؤمن ان يتجه إلى المولى تبارك وتعالى بالدعاء ليوفقه فيها ويجعله من أهلها ، يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فجاء بخبز وزيت فأكل ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه ابو داود .

وجاءت أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه تعد الكرماء الذين يقدمون الطعام للصائمين بأن الله عز وجل سيعطيهم مثل أجور من أطعموهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، وعلاوة على ذلك فان الملائكة تصلي على من أكل عنده حتى

يفرغ الآكلون ، ويصافحه جبريل ليلة القدر .

الصوم راحة للجسم

وفي الصوم دروس في التربية الصحية لا يستطيع غيره تأديتها ، فان أجهزة الجسم كلها وبخاصة الجهاز الهضمي ، تعمل في الجسم طيلة العام ليل نهار ، لا تهدأ ولا تسكن عن الحركة ساعة واحدة ، وهذا العمل الدائب المتواصل مجهد لها بطبيعة الحال ، تحتاج معه إلى فترة من الراحة تتمكن بها من متابعة الطريق الطويل الممتد على مدى عمر الانسان ، وإلى سبيل يؤمنها ويؤمن لها الراحة التي تنشدها ، فليس هناك غير الصوم حيث ترتاح المعدة والأمعاء طوال النهار على امتداد شهر كامل راحة تامة ، يستحيل أن تتوفر لها بغير الصوم وقد عرف الطب الحديث الصوم علاجا ووقاية للكثير من الأمراض المستعصية ، بل لقد قرر الأطباء ان الصوم هو الدواء الوحيد لبعض الأمراض كأمراض القرح المعدية وغيرها ، فأوصوا به وأرشدوا إليه .

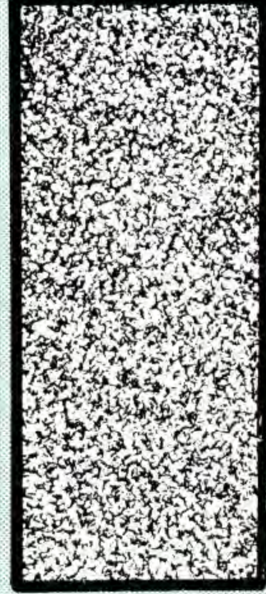
إن الصوم مروض للنفس وصالح للبدن ، يعلم الارادة القوية والعزيمة الصادقة ، وعن طريقه يستطيع الانسان ان يتحكم في النفس الأمارة بالسوء والتي تسرف في شهواتها وملذاتها ، حتى تتجاوز الحد المعقول وتخرج عن النطاق المقبول ، وما الشهوات والملذات إلا أغلفة وأغطية تضرب على القلب نطاقا كثيفا من الظلام والغلظة ، يحجبه عن نور المولى تبارك وتعالى الذي أشرقت له الظلمات ، فاذا جاهد الانسان نفسه وتحكم في شهواته فقد مزق الحجب التي تغلف قلبه ، وخرج من الأغطية واللفائف التي تكاد تخنقه إلى ملكوت الله عز وجل الفسيح ، تماما مثلما يخرج الوليد من بطن أمه إلى نور هذا الكون وفسحته لأول مرة ، وتلك منزلة لها مالها من الصفاء النفسي والنقاء الروحي .

وبعد :

إن شهر رمضان شهر التزكية ، فليكن زيادة للمؤمنين في إيمانهم ، وللمستقيمين في استقامتهم وتنبيها للغافلين عن غفلتهم ، وعودة للشاردين في الغي والضلال والعصيان إلى رحاب الله عز وجل وحاديا للمقصرين في جنب الله جل شأنه ليلحقوا بالركـــب من جديد وينضموا إلى موكب الايمان .

فلنستقبل شهر رمضان بالتسامح والعفو والتوبة الصادقة النابعة من القلب ، ونعمل على تحقيق الأخوة الصادقة .

فلنستقبل شهر رمضان ونحن قد عقدنا العزم على أن يسود الصفاء والاخاء والرحمة بين قلوبنا بقلب منيب ونفس متواضعة ، راجين من الله العلي القدير ان يلهمنا الصبر والاخلاص في فريضة الصوم وكل الفرائض ، وأن يتقبل منا أعمالنا ويحقق لنا رجاءنا وأن يهييء قلوبنا للخير وحب الخير ، إنه نعم المولى ونعم النصير .





ميادين جديدة تنتظر

هذه قصة فتى أمريكي من جامعة لوس انجلوس يسمى جاكسون ، عاصرها وشاهدها وشارك فيها دكتور فاضل كان محاضرا في الجامعة هناك ، لقد رأى عن كثب كيف ان فطرة الاستجابة للاسلام مركـوزة في نفوس الذين لم يصل الاسلام اليهم بعد ، إنها فحسب في حاجة الى من يزيل عنها الغطاء ، ويجد لها شعاعا تهتدي به في الخروج من ظلماتها ، ذلك لان الدين عند الله هو « الاسلام » ، وقد فطر نفوس الخلائق عليه ، وبعث محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، وهذه الفطرة المركـوزة في النفوس مرهونة بأوقاتها ، وبأسلوب علاج الرين الذي ران عليها ، بفعل الزمن والبيئة وتعقيدات الحياة ، ان كل المطلوب هو رفع الغشاوة الحاجبة في هوادة ورفق عن القلوب ، فاذا بنور الهداية تتفجر ينابيعه تلقائيا .

ان كثيرا من الدعاة ربما كانوا في حاجة الى تدريب على الأسلوب ، فكثير منهم في كثير من الأحيان وبسلامة نية طبعا يخطئون الطريق ، ذلك ان لكل شيء في الحياة علمه وفنون تحقيقه ، والدعوة الى الحق يجب ان تكـون كذلك ، وما الارشاد الحكيم الى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة غير دليل على ان الحكمة هي فن الوصول الى القلوب بالاقناع الميسر ، فكثيرا ما نرى دعاة حين يكونون بين قوم لم



للاستاذ / محمد لبيب البوهي

يعرفوا الطريق الحق الى الاسلام . وقد يكونون من ذويهم . فاذا بأول ما يفعلونه معهم هو ان ينذروهم بالويل لتارك الصلاة ، دون ان يدرس هؤلاء ما الصلاة ؟ .. وما حقيقتها ؟ وما ثمرتها ؟ وما السعادة الروحية والدنيوية التي تتحقق بأدائها ؟ ان امر هؤلاء كما قال استاذ حكيم : كمن يتخذ بداية الطريق من محطة الوصول .. وهو امر معكوس . وليس المهم هو مجرد ذكر قصة انسان في امريكا قد اعتنق الاسلام ، بل هي صورة من ميادين مفتوحة تحتاج الى التأمل ، ان الاسلام لو انتشر مثلا في امريكا فقد يكون ذلك اكثر تفضيلا مما لو كان ذلك في سكان الاحراش ، لأسباب كثيرة ليست هي فحسب ما لأمريكا من ثقل في الميزان الدولي ووزنها وأثرها في الاحداث .

***

ولقد أصبح بديهيا أن نكرر ما أصبح مألوفا معروفا من ان الظمأ الروحاني في اوروبا عامة وامريكا خاصة في حاجة الى ما يروي هذا الظمأ والمذاهب الزمنية العابرة والموقوتة كالوجودية وغيرها قد لا تكون في احسن المواصفات الا مخدرات زمنية تعقبها نكسات فظيعة ـ انهم هناك بسبب تفشي

الانحلال يتجرعون مرارة التخمة الحسية التي يحاولون علاجها بالمزيد منها كما يقول الشاعر :

وداوني بالتي كانت هي الداء ،

ان الفطرة هناك تصرخ في حاجة الى من ينتشلها مما تردت فيه .. وهذه هي مهمة الاسلام . وهناك الآن ميادينه التي يجب أن تنال حقها من رعاية الدعوة في بداية هذا القرن الجديد الخامس عشر الذي هناك من الارهاصات ما يدل على انه سيكون قرن اليقظة الروحية الشاملة حيث يكون الاسلام هو المنقذ للعالم من آلامه وفراغه الروحي .

وربما تكون هناك فئة قليلة من مراهقي الترف قد شوهوا عن غير قصد صورة الاسلام في الغرب حين ذهبوا الى هناك وتركوا للمراهقة الحسية حبلها لتمرح في حقول الملذات . فكان مثلهم وهم أصحاب الدعوة اسما لأن اكثرهم أو كل هؤلاء لم يتمرسوا بأصول دينهم . ولكنهم ذهبوا على فراغهم الديني يحملون اسم الاسلام . فكان مثلهم كالمرضى الذين ينتظرون الطبيب فلما جاء فانه بدلا من ان يعالجهم راح يتجرع جراثيم امراضهم . حتى لم يعد من المستغرب كثيرا ان تجد في لندن وغيرها من العواصم الغربية بعض محال اللهو وقد وضعت عليها باللغة العربية لافتات اسلامية . ولكن هناك الى جانب القلة التي ذكرنا امرها من ذهبوا الى امريكا بوجه خاص مسلحين بقيم وفضائل دينية ، ولما اتخذوا هذه المناطق موطن اقامة ، اصبحوا فيها دعاة بحق العلم ـ والقيم ، والمثل ـ والسلوك بما استقر في نفوسهم من اصول الدين ، وما قصة الفتى الجامعي جاكسون الا حالة من آلاف ونحن نذكرها على سبيل المثال وليس الحصر لنبين اثر الاسلوب العصري العلمي المهذب المدروس في ان يؤتي ثماره ، فليس كل ما يصلح لنشر الدعوة في مكان يصلح لكل زمان او مكان ، فللبيئة والظروف الاجتماعية والوسط العلمي اساليب مختلفة .

***

كان الفتى جاكسون وهو باسم التدليل يدعى جاك طالبا جامعيا يعيش في لوس انجلوس . وذات يوم استيقظ مع تباشير صباح جديد كان هو من ايام احد الاعياد الاسلامية ، ليرى مجموعة من السيارات يهتف الراكبون فيها هتافات بنغم حلو هادئ رصين ، اذ كانوا ينشدون نشيد العيد .. لا اله الا الله وحده صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده .. وهزم الاحزاب وحده .

***

كان الصوت هادئا موسيقيا ، ينساب الى قلوب السامعين هادئا رصينا ، فليس فيه صراخ ، وانما نغم جديد على مسامع الفتى . والوجدان يهتز للكلمات الصادقة . ولو لم يدرك السامع كل معناها لأن ما كان من القلب فهو يحرك قلب

السامع ، ولما تكررت كلمات النشيد ، اسرع الفتى الى ورقة ، وراح يكتب بلغته الانكليزية ، الكلمات التي ترددت والتي لا يفقه لها معنى . حتى اذا ذهب الى الجامعة اسرع الى صديق عربي معه ليسأله ترجمة هذا النشيد ، فسر زميله بذلك ، وراح يشرح له المعنى في بساطة واعية ، واخبره ان هناك جماعة من المسلمين لهم دار في لوس انجلوس ، اذ كانت المدينة تحوي نحوعشرين الفا من الجالية الاسلامية . وانهم في ذلك اليوم يحتفلون بعيدهم ، وهذا هو نشيد العيد – انه ينشد امجاد الدين والاتجاه الخالص الى الله الواحد الاحد . ويرددون في تقدير فضل الله عليهم وما حباهم به من نعم .

وسأل جاك هل من مانع ان يزور دار هذه الجماعة ؟. فوجد من صاحبه الحريص على دينه تشجيعا وترحيبا ، واردف ترحيبه ذاك بابتسامة حلوة رقيقة .

***

كانت الجماعة الاسلامية قد اتخذت لها مقرا جميلا تحيط به حديقة صغيرة في المدينة ، وكانوا يحرصون على اجتماع دوري في يومي الجمعة والأحد ، فتكون هناك محاضرة لأحد الأساتذة الذين يلمون بما لا بأس به من اصول الدين .

وفي هذين اليومين يؤدون صلاتي المغرب والعشاء ، ويتناولون معا طعام عشاء خفيف متبرعا كل فرد في هذا الطعام بدولارين ، وهو مبلغ زهيد يضم الى حصيلة تبرعات كثيرة لشئون دينهم عالمين بأن ما يدفع مهما عظم ، فهو قليل بالقياس الى عطاء الله لهم ويدركون انه ما من صدقة الا وهي تقع في يد الله ويدخرها لهم لأخراهم ، فمن يدرك ذلك يقينا يطيب له ويلذ له الانفاق مدركا انه يستثمره في مصارف السماء ، فكل استثمار في الدنيا الى زوال ، وكل ما فيها متروك الا ما يستودع عند من لا تضيع عنده الودائع .

***

لقد شارك جاك الامريكي مكرما في هذا العشاء ، حتى اذا انتهى الطعام رأى نفسه محاطا بابتسامات وترحيبات طيبة مباركة صادرة من قلوب تفيض حبا لجميع الخلائق . ووجد سعادة في أن يشارك الآخرين غسل الصحون وتجفيفها ، حتى اذا نودي لصلاة العشاء جلس غير بعيد يرقب هذه الصلاة .

كان ذلك عنده شيئا رائعا جديدا ، وارتسمت في ذهنه صورة طيبة عاد بها الى داره ، ولم تبرح هذه الصورة خياله ، بل لعله وجد نفسه في الأحلام يشارك فيها ويركع ويسجد مع الساجدين دون ان يدعوه الى ذلك انسان .

***

طابت للفتى الامريكي هذه المشاركة التي وجد فيها لذة جديدة

غير لذائذ الحس .. فجعل بعد ذلك يكثر من التعرف الى آخرين معه في الكلية من هؤلاء الذين رآهم في مجتمعهم يؤدون الصلاة .. وفي غير مشقة لحظ انهم يتميزون عن غيرهم .. ففي وجوههم نور .. وعلى افواههم ابتسامات .. وفي حديثهم روح مودة صادقة . وبين بعضهم اخوة لا تخطئها العين .. فكل ذلك حبب الى الفتى التردد على مجتمعهم مرة بعد مرة .

***

ان مئات الملايين في الشرق الاقصى من بلاد الهند والصين والملايو وجزر اندونيسيا وما حولها من شرق ومن غرب انما دخلوا في الاسلام بداية بما كانوا يشاهدونه من تجار مسلمين ذهبوا الى هناك تسعى انوار اخلاقهم وانوار معاملاتهم بين ايديهم وفي احاديثهم وسلوكهم .. لقد ذهبوا الى تلك المناطق النائية حاملين معهم عادات الاسلام واخلاقه واخوة الاسلام حيث المسلم اخ للمسلم اينما كان .. فكانت هذه الصفات هي الدعوة إلى الدين بغير اعلان .. وهذه الصورة يمكن دائما ان تتكرر في كل زمان ومكان . انها تفتح ميادين جديدة لدين الله الحق عن طريق محاسن الصفات والمعاملات ومكارم السلوك .. فالاسلام دين الاخلاق العظيمة التي هي جزء من الفطرة .. وما الانحراف غير طارئ في انتظار من يزيحه ، ويعيد الى القلوب صفاءها من جديد .

راى الفتى الامريكي نفسه مدفوعا الى سؤال اصحابه عن لب الاسلام ــ فكان مع صاحب له حوار هادئ قال له : اجبني يا جاك هل تظن ان هذا الكون العظيم البديع الكبير قد صنع نفسه تلقائيا ذاتيا وابتكر لنفسه قوانين دوامة ؟ .. استمع الفتى ولم يجب في اول الامر .. قال له صاحبه : ان بعض الناس يرون ان هذا الكون قد وجد مصادفة ووجدت معه قوانينه .. هل تظن ذلك يا جاك ؟ انه عندما يقال ان الكون خلق نفسه تلقائيا كمثل ان يقال انه حدث انفجار في دار للطباعة فارتفعت حروف الطباعة في الهواء ، ثم هبطت وكونت تلقائيا من نفسها كتابا في الكيمياء او الطبيعة فهل تظن ذلك معقولا ..؟ تبسم الفتى الامريكي ضاحكا وقال : لا .. ثم اردف انني لست من هذا القبيل لست ملحدا ان الكون له اله .. وانني اؤمن به .. انه المسيح قال صاحبه في اناة ورفق : إذن فانت تؤمن بان المسيح هو الله ؟ قال الفتى : نعم ..! قال صاحبه : والمسيح هو ابن السيدة مريم ؟.. قال جاك : هذا حق انه ابن العذراء مريم قال محاوره في نفس الهدوء المبتسم : مادام المسيح الذي هو الله هو ابن للسيدة مريم ، فقد نستطيع ان نقول ان السيدة مريم هي أم الله ؟ والله الذي هو المسيح هو الذي خلق الكون وهو الذي يدبر امور ما خلق اي انه كان يدبر امور الكون وهو جنين في بطن امه . هل ذلك شيء يقبله العقل يا صديقي الطيب ؟ .

قال الفتى الامريكي في حياء وتردد كأنما قد فوجىء بقول لم يكن في تقديره ولا حسبانه : تلك احدى معجزاته . قال صاحبه بابتسامة عريضة صادقة في ود ، والسيدة مريم التي هي أم الاله كما ترى وباعتبارها من البشر فان لها اسرة واقارب من الناس .

قال جاك : من الطبيعي ان يكون لها اقارب من الناس شأن كل اسرة .

قال صاحبه : هل يقبل العقل ان يكون الله الذي هو خالق الناس ينتمي الى عائلة منهم ؟ فيكون مثلا هذا عمه .. وهذا خاله ..وهذا ابن عم الله .؟

فسكـــت الفتى وتبسم صاحبه وانتهى الحوار في رفق ولكن يبدو ان المعاني الجديدة ظلت تدور في خاطر جاك الامريكي بل لقد عاد في حياء يريد المزيد من الحوار .

قال له صاحبه : اسمع يا جاك الطيب الكريم : لقد علمنا ان الارض ليست في كون الله الا كمثل ذرة في صحراء او قطرة ماء من مياه المحيط ـ قال الامريكي : هذا حق ـ هناك ملايين او بلايين البلايين من الكواكب في كون الله منها ما هو اصغر حجما ومنها ما يفوقها مئات المرات .

قال صاحبه : اذا كان المسيح هو الله .. وقد ولدته السيدة مريم على هذه الارض . وهو في ذات الوقت الاله الخالق للملايين البعيدة من الكواكب ، فهل ترى ان الاله الذي ولد على الارض كان يصرف امور الملايين من الكواكب البعيدة من هنا ام انه كان الها طوافا يطوف بملايين الكواكب التي خلقها ؟

سكت جاك واستغرق في تفكـــير عميق وهو يستمع الى صاحبه الذي سأله : تقول ان اليهود قد قتلوا أو صلبوا المسيح هكذا تعتقد .. فهل من كرامة الاله ان يموت قتيلا بيد نفر من مخلوقاته . وتبسم الصديق وانتهى الحوار .. ومضت أيام وأيام وفي احدى صلوات العشاء نظر الصديق المسلم فاذا بصاحبه الامريكي قائم يصلي فريضة العشاء في الصف الاوسط من الجماعة .

وأخذ والدا جاك يرقبان هذا التغير العجيب .. واوشكت امه ان تلقي اليه باللوم حين علمت بامره فقال لها ابوه : انظري كم تغيرت اموره . لقد كان ولدنا يشرب الخمر فتركها .. وكـــان يدمن المخدر فتباعد عنه .. الايكفي هذا .!؟ فلم تحر السيدة جوابا واخذت ترقب ولدها عن كثب ، ثم طلبت اليه ذات يوم ان يصحبها الى ذلك المجتمع الذي يتردد عليه .

***

ولم تمض الا اسابيع حتى كانت السيدة الأم تواظب على حضور محاضرات المجتمع المشرق المضيء بأنوار اليقين .

وهكذا تكون الامور .

الا نرى جميعا من ارهاصات القرن الخامس عشر ان هناك ميادين جديدة تنتظر الاسلام بأسلوب مدروس .!؟

رمضان شهر أمتي

للاستاذ : حسن منصور

يدور الفلك دورته . ويتم البدر رحلته ثم يهل علينا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فتنشرح فيه النفوس للطاعة . وتهفو القلوب الى التوبة وتشهد المساجد وجوها لم تشهدها أحد عشر شهرا . إنه أكرم ضيف يأتينا كل عام تحف به كل البركات وتنزل فيه ملائكة الرحمة . ويختفي فيه الشيطان وتتلألأ الأنوار وتنكشف للقلوب المؤمنة الأستار . يدعونا الى التجرد من الشهوات والتحرر من رق النفس وعبادة الهوى ، فهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة .

ويدفعنا الصوم الى أن ننزع من قلوبنا الغل والغش والحقد والدنس ونصفو حتى نكون كالملاك .

ان هناك حافزا خفيا يدفعنا كل عام ان نستعد لاستقبال هذا الشهر المبارك والى تحيته باحياء أيامه صائمين مخلصين ولياليه قائمين داعين .

فنشعر طيلة أيامه بسلام لم

يرفرف علينا طيلة شهور العام وبأمن وطمأنينة لم نشعر بهما في بقية الأيام .

الصيام في القرآن

قال تعالى في سورة البقرة : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) ١٨٣ .

فالصوم يعد نفس الصائم للتقوى . فاذا ما تعهد الانسان نفسه وانتهى الى التقوى كان جزاؤه عند الله عظيما . ومن هنا نفهم الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت في الصوم وعظمة شأنه ، والتي لا تفهم فهما حقيقيا إلا اذا راعينا أن الصائم يتعهد نفسه ويعدها بالصوم . فقد طلب أبو أمامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ان يأمره بعمل ينفعه الله تعالى به فقال صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فانه لا عدل له . فكرر له أبو أمامة الطلب ، فقال عليه الصلاة والسلام ايضا نفس ما قاله في المرة الثانية » رواه النسائي .

بهذا يتضح ان الصوم لا مثيل له في تهيئة النفوس للتقوى ، فمن انتهى الى هذه الغاية وصام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن هنا كان المعنى العميق للحديث المشهور :(قال الله عز وجل : **كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فانه لي وأنا أجزي به**) رواه البخاري ومسلم .

وقد فهم الناس أن الله يجازي على الصوم باستمرار جزاء يزيد على سبعمائة ضعف وهذا صحيح بالنسبة لمن تعهد نفسه واتقى ، أما من لم يتعهد نفسه ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى التي لا تفهم فهما صحيحا الا على ضوء ما تقدم ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » . رواه النسائي وابن ماجة . ويقول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

ولا ينتهي الصوم الى ثمرته التي أرادها الله منه الا اذا صدقت النية وقويت العزيمة وصام الانسان ايمانا واحتسابا . اي صام على التصديق والرغبة طيبة بالصوم نفسه ، غير كاره له ولا مستثقل لأيامه ، وصام طلبا لوجه الله تعالى ، وصدقت نيته في النجاة واستشرقت نفسه لرضوان الله . واذا ما توفر كل ذلك تحقق ما قاله السابقون والمعاصرون في فائدة الصيام .

فاذا ما وطن الانسان نفسه على الصلاح والخير بعد ان مهد له الصوم السبيل الى ذلك ، وأعده ليسير في سهولة ويسر على الصراط المستقيم ، فقد فاز بثمرة الصوم المرجوة ، وهي التقوى ، ويدخل في نطاق الآية الكريمة : (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) يونس/٦٢ ـ ٦٤ .

الصوم يهذب السلوك

والتقوى التي تحدثنا عنها ليست أمرا مقتصرا على الحياة الدينية في المسجد والمنزل بل ان الحياة الدينية بمفهومها الشامل لا يمكن ان تنحصر بين جدران المسجد وتتردد بين أعمدته في دعوات وصلوات ومواعظ فوق المنابر . بل هي سلوك قويم ينهي عن السوء ويدعو إلى الخير في كل مجالات الحياة ونشاطاتها . وعلى هذا الضوء نستطيع أن نرى في الصوم ارادة الحياة - أنه كف عن الطعام والشراب والشهوة ، فهو بهذا تربية بالحرمان والتربية ارادة والارادة ايجابية والايجابية انتاج - وما أروع قول الامام علي رضي الله عنه في وصف الاسلام : « الاسلام هو التسليم - والتسليم هو اليقين - واليقين هو التصديق - والتصديق هو الاقرار - والاقرار هو الأداء - والأداء هو العمل » .

الصوم يقوي العزائم

يقول الامام الغزالي : « الصيام زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، في جوع الجسم صفاء القلب ، وايقاد القريحة ، وانفاذ البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر الشجار في الدماغ ، فيتبلد الذهن ، والصبي اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع تصفو وترق » .

ويقول الشيخ محمد عبده : « ان الصوم يحدث لصاحبه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه . وفي هذه المراقبة أكبر معدل للنفوس ومهيىء لها لتسعد في الآخرة وتستقيم في الدنيا .

انظر هل يقدم من صدق مع الله في صومه وراقبه فيه مخلصا على غش الناس ومخادعتهم ؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لأموالهم بالباطل ؟ هل يحتال على الله في منع الزكاة ؟ أم هل يحتال على أكل الربا ؟ هل يقترف المنكرات جهارا أو يسدل بينه وبين الله في المعاصي ستارا ؟ كلا - ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي اذ لا يطول أمد غفلته عن الله . واذا نسي وألم بشيء منها كان سريع التوبة قريب الأوبة : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الاعراف/٢٠١ .

فكل ارتباطات رمضان في ديننا ، تدعو الى العمل والتفتح على الحياة والآخرة معا ، تدعو إلى البر بالناس والاقبال على الله ، وأكبر البر اخلاص كل فرد في عمله وإستجابته لمطالب الناس عنده .

وما أجمل أن ينتصر الانسان على نفسه في رمضان ، فلا يصخب ، ولا يضيق بالناس ولا بالعمل ، فالصوم يربي ضمائر الأفراد والجماعات ، ويطهر القلوب مما يلم بها من الرجس

طيلة أيام السنة ، وحياة الناس في حاجة إلى تربية وتطهير فتهتدي في رمضان وتزكو بالصوم . وهكذا كان رمضان ولا يزال شهرا تزكو فيه الروح ، وتبدو هذه الزكاة في الفرد سلوكا وعبادة وبذلا - وفي الأسرة والجيرة وذوى الرحم برا وتعاطفا - وفي المجتمع تماسكا وتكافلا . فرمضان بهذا شهر المحراب والميدان - هو شهر القرآن الذي جاء مصدقا بكل نبي ورسول وداعيا الى الربط بين الناس برباط الوحدة والتوحيد والمساواة ، كما هو شهر الجهاد والاستشهاد . فقد شهد جانبا من الوقائع الفاصلة بين الاسلام وأعداء الحق والحياة - فقد شهد غزوة بدر وغزوة الفتح - والعودة الظافرة من غزوة تبوك في أضخم جيش قاده الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما شهد رمضان معركة عين جالوت وبها تحول مسار الزحف التتاري وارتدت موجته ، واستطاعت جيوش المسلمين أن تصون العروبة والحضارة الاسلامية .

ومن طبيعة رمضان أيضا ان تتجمع فيه ذكريات الماضي واحداث الحاضر وآمال المستقبل بحلوها ومرها ، ببسماتها ودموعها ، ويبدو هذا في أكثر من صورة في حياتنا اليومية .

أثر رمضان على الحياة اليومية

وفي رمضان يزداد الود والتزاور بين الناس ، وتزداد العبادة والتوجه الى الله ويزداد عمار المساجد ويكثر الاقتراب من القرآن الكريم وتتعطر الألسنة بالسيرة النبوية المطهرة وتتشنف الآذان بمسلسلات من تاريخنا الحافل بالأمجاد والدروس .

فتجد الأنفس المؤمنة العزاء في آية من القرآن ، أو عبرة من تاريخ ، وتجد الدمعة الحزينة سكينة يشيعها الشهر الكريم في حياتنا ، ويجد القلب المكدود روحا وريحانا في روضة الدين ، يستعين بها على ان يتابع المسيرة في قوة وفاعلية .

ان هذه الأرادة التي يربيها الصوم طيلة شهره المبارك ، نحتاج إليها دوما في مسيرتنا نحو الازدهار والتقدم .

مرحبا يا خير قادم

فمرحبا بك يا رمضان يا من جعل الله أولك رحمة وأوسطك مغفرة وآخرك عتقا من النار وجعل مسك ختامك ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر واختص أمة الاسلام بك فأنت حين تقبل يا رمضان يقبل معك الخير والبركة والرضا واليقين والطمأنينة وسلامة الروح ورضا النفس ، لك منا شكر المقرين بفضلك ، وتحية الخاشعين لربك الفرحين باستقبالك الراجين من الله أن يروا مطلعك على أمة الاسلام مطلع خير ويمن وإنعام - وسلام الله وبركاته عليك عزيزا بيننا مقيما وراحلا بعد ضيافتك تاركا بيننا أثرا عظيما وسرا مقيما .



دروس من الفتح الأكبر للمسلمين
في القرن الخامس عشر الهجري

من انتصارات

تمهيد :

ربى النبي صلوات الله وسلامه عليه من اسلم في مكة تربية اسلامية متكاملة حتى حققوا معنى الاية الكريمة : (**قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له**) الانعام/١٦٢ و ١٦٣ وفي الوقت نفسه فاضت كأس قريش ظلما وعدوانا وجحودا بالحق وصدا عن سبيل الله بكل الاساليب حتى التى تنكره عادات العرب في الجاهلية وما بقى من دين ابراهيم عليه السلام في حرمة مكة وحرمة الاعتداء على من سكنها وصدهم عنها من يريد ان يدخلها معتمرا واخيرا نقض العهد والاعتداء بالقتل والمطاردة على خزاعة التى دخلت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام – وقد اراد الله سبحانه وتعالى ان ينهى هذا الظلم الذي لايريد ان يقف عند حد وأن يدخل رسوله والمسلمين مكة فاتحين وان يطهر بيته من الرجس من الاوثان ومن قول

رمضان

للاستاذ/علي القاضي

الزور وان يعيد الى مكة مكانتها الاولى فتعود مثابة للناس وامنا . ويصبح البيت كما كان مباركا وهدى للعالمين .

لذلك هيأ الله سبحانه وتعالى الاسباب حيث دعت قريش اليها.وذلك ان معاهدة الحديبية كان في احد بنودها ان من دخل في عهد قريش وعقدها دخل فيه ومن دخل في عهد محمد وعقده دخل ، فدخلت بنو بكر عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد النبى عليه الصلاة والسلام ،

واستمر الوضع على هذا سبعة عشر شهرا – ثم بدأت بنو بكر تفكر في الاعتداء على خزاعة أخذا بثأر قديم كان لهم عليها – وكلمت اشراف قريش ان يعينوها بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك .

نقض العهد :

خرج نفر من قريش متنكرين : ((خوف ان يبلغ رسول الله انهم نقضوا العهد والهدنة)) واجلسوا معهم ارقاءهم فأغاروا مع بنى بكر

على خزاعة لبلادهم وهم آمنــون. وقتلوا منهم ثلاثة وعشرين وذلك على ماء قريب من مكة يقــال له الوتــير ، وكان عامــة القتلى من النســاء والصبيـــان وضعفــة الرجال ــ حتى ادخلوهم الحرم .

فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر لنوفل بن معاوية الديلي ــ وكان يومئذ قائدهم يانوفل : انا دخلنا الحرم الٰهك الٰهك ــ فقــال كلمــة عظيمة : (لاإله له اليــوم) ثم قال : يابنى بكر اصيبــوا ثأركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثأركم فيه ؟ وهكذا فهم لم يرعوا حرمة البيت ولا حرمة من فيه مع الافحاش في القول حتى مع الله سبحانه وتعالى .

وفد خزاعة في المدينة :

وهال الأمر خزاعة فلم يجدوا بدا من الالتجاء الى النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين رجلا حتى قدم على رسول الله المدينة فوقفوا عليه وهو جالس في المسجــد بــين ظهرانــي اصحابه وانشد ابياتا تدل على مدى تأثره بما اصاب قومه وقد جاء فيها :

ان قريشــا اخلفــوك الموعدا
ونقضــــوا ميثاقـــك المؤكدا
هم بيتونــا بالوتـــير هجدا
وقتلونـــــا ركعـــا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام : نصرت ياعمرو بن سالم ــ لانصرت ان لم انصر بني كعب ممــا نصرت منــه نفسي ، ومع ذلك فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يستوثق من الخبر ويعذر الى قريش فبعث إليهم رجلا يخيرهم بين احدي ثلاث خلال ــ بــين ان يدفعوا دية قتلى خزاعة ــ او يبرءوا من حلف من تولى كبر هذا النقض او ينبذ اليهم على سواء فأجابه قرطة بن عمرو احد زعماء قريش لكن ننبــذ اليهم على سواء ــ وبذلك برئت ذمة قريش وقامت عليهم الحجة .

عندئذ لم يشك اهل مكة في انهم سوف ينالون جزاء غدرهم فبعثــوا بأبي سفيان الى المدينة علة يستطيع ان يفعل شيئا لقريش عن طريــق الاعتذار او تجديد المعاهدة ومدها لكن الامر كان اخطر من ذلك بكثير ــ فماضيهــم مملــوء بالشر والظلــم وحاضرهم مملوء بالقتل والطغيان ــ ولذلك فلن يرجى منهم خير في المستقبل فلتطو هذه الصفحة وليفتح الله مكة على المؤمنين ولنفتح صفحة جديدة في تاريخ الاسلام والمسلمين . ولذلك فقد عاد ابو سفيان بخفى حنين .

الاستعداد لفتح مكة :

حين عزم النبي عليــه الصــلاة والسلام على فتح مكة ارسل الى اهل البادية والى من حوله من المسلمين يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية حتى قدموا .

في اليوم العاشر من رمضان خرج النبي عليه الصلاة والسلام من المدينة قاصدا مكة بعد ان استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وقد انضم اليه في الطريق الكثير من القبائل فبلغ عدد الرجال عشرة آلاف .

هذا القائد العظيم الذي يقود عشرة

آلاف جندى وهو ذاهب لفتح مكة يلفت نظره بعد مسيرة يوم من العرج كلبة تهر على اولادها وهن حولها يرضعن فيأمر جعيل بن سراقة ان يقوم حذاءها لا يعترض لها احد من الجيش ولا لاولادها.انه النبي الذي ارسله الله رحمة للعالمين فتعم رحمته الانس والحيوان والجماد .

وواصل النبي عليه الصلاة والسلام الصيام حتى وصل بئر الكديد في وضح النهار ـ فخشى النبي عليه الصلاة والسلام ان يشق العطش والتعب الشديد على جنوده فيعيقهم عن اداء مهمتهم ـ فدعا باناء به ماء واشرف على الناس من فوق ناقته العالية وشرب جرعة على مشهد من الجند ليريهم ان الافضل الافطار في مثل هذه الظروف ـ ثم بلغه ان قوما استمروا في صيامهم فقال عليه الصلاة والسلام : اولئك هم العصاة وبين السبب في ذلك فقال : انكم مصبحو عدوكم والفطر اقوى لكم .

لقد افطر النبي عليه الصلاة والسلام ليكون قدوة للمسلمين في ذلك ـ ففي وقت الحرب يصبح الافطار عبادة اكثر من الصيام ـ فلما بلغه ان بعض المسلمين لم يقتد به وهم مقدمون على معركة ـ بين لهم انهم عصاة بصومهم لانهم لن يتمكنوا من اداء واجبهم القتالي وهم صيام .

وحث الرسول عليه الصلاة والسلام جنده على الاسراع في السير ، فوصل الى مر الظهران على ابواب مكة قبل أن يعرف القرشيون شيئا عن قوة المسلمين وعن اخبار سيرهم .

دخول مسالم :

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام حريصا على ان يدخل مكة بغير قتال ووضع الخطة على هذا الاساس وامر اصحابه ان يتفرقوا في مداخل مكة فلا يدخلوها من مدخل واحد وبذلك يفوتون فرصة القتال على اهل مكة لو ارادوا ذلك ـ اذ انهم مضطرون حينئذ الى تشتيت جماعاتهم وتشتيت قواهم في جهات مكة فتضعف بذلك المقاومة ومغرياتها ـ وبذلك تحقن الدماء وتحفظ السلامة والامن في البلد الحرام ـ ومن اجل هذا امر الا يقاتل المسلمون الا من قاتلهم واعلن ان من اغلق عليه داره فهو آمن ، وقد اسند الى الزبير بن العوام دخول مكة من طريق « كدى » وهو جبل بأسفل مكة . والى خالد بن الوليد مهمة دخول مكة من اسفلها . والى ابي عبيدة مهمة دخول مكة من طريق الضواحى الشرقية . والى سعد بن عبادة مهمة دخول مكة من طريق كداء وهو جبل بأعلى مكة .

وقد اخذت نشوة الموقف سعد بن عبادة فقال : اليوم يوم الملحمة اليوم اذل الله قريشا وحين بلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : كذب سعد ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم تعظم فيه الكعبة اليوم اعز الله قريشا ـ وامر بنزع الراية من سعد واعطائها لابنه قيس .

ودخل المسلمون من كل جانب ولم

يلقوا مقاومة ــ اللهم الا خالد بن الوليد الذي استقبله وابل من السهام وقع على جنده فأصاب الكثير منهم ــ وكان ذلك من عمل صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل اللذين دبرا الكمين وراء صخور جبل خندمة ــ فهجم خالد برجاله على المكان الذي تحصن فيه الاعداء فبث فيهم الرعب وشتت شملهم وقتل منهم اثنى عشر ــ ثم انهزموا فدخل حماس بن قيس على امرأته ــ وكان حماس قد اعد سلاحا لقتال المسلمين فقالت له امرأته : والله ما أراه يقوم لمحمد واصحابه شيء قال : والله اني لارجو ان اخدمك بعضهم ــ فقال حماس اغلقى علي بابى فقالت له : واين ما كنت تقول ؟ فأنشد :

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالموتمه
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا يسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقى في اللوم ادنى كلمه

ووصل النبي عليه الصلاة والسلام الى جبل الحجون فرأى لمعان السيوف والرماح ــ فغضب وبعث الى خالد بن الوليد برجل من الانصار ــ فلما جاء خالد عنفه على ان قاتل وقد نهاه عن ذلك نهيا شديدا فأجابه خالد : انهم يارسول الله بدءونا بالقتال ورمونا بالنبال ووضعوا فينا السلاح وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا فقاتلتهم واظفرنا الله عليهم فهربوا من كل وجه فقال عليه الصلاة والسلام : قضى الله امرا .

ازالة آثار الجاهلية :

وبعد ان هدأ الموقف ودخل المسلمون الى مكة اعتجر الرسول عليه الصلاة والسلام عمامة سوداء ووشاحا مخططا على رأسه ، وترك طرفاه ترفل بين كتفيه ثم يمم شطر الكعبة للطواف مبتدئا بالحجر الاسود ، ثم نزل عند راحلة ليغشى البيت ولكنه تراجع اذ ابصر بالاصنام التى تحيط بالكعبة ، وصاح امام لوحة تصور ابراهيم عليه السلام ممسكا بالازلام : ((قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ــ والله ان استقسم بها قط)) وامر بالصور فمحيت .

واتجه الى الاصنام المحيطة بالحرم وكان عددها ثلاثمائة وستين فبدأ بالصنم الاكبر هبل وجعل يضرب في عينيه قائلا : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ــ فخر الصنم لوجهه مهشما وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يطوف بالاصنام فيهشمها واحدا واحدا حتى لم يبق قائم الا صنم بني خزاعة المصنوع من نحاس وصدف وكان منصوبا على سطح الحرم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لعلي : اجلس فجلس علي فصعد رسول الله على منكبيه ــ ثم قال له انهض فأحس علي بحمل فوق طاقة البشر فلم يستطع فنزل ورفع النبي عليه الصلاة

والسلام عليا قال علي : فلما نهض بي وصعدت فوق ظهر الكعبة خيل الى حين نهض بي « صعد » اني لو شئت لنلت فوق السماء ـ وكان الصنم مؤيدا بأوتاد من حديد وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ـ فتمكنت من الصنم فقذفته فتكسر ، ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام سراياه الى الاوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره وبعث رجلا من اصحابه الى القبائل فهدموا اصنامها .

يالله لقد كانت هذه الحجارة منذ هنيهة آلهة مقدسة ولكنها الان انقاض بعد ان هدمها نبي التوحيد . الذي دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله ـ ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينظرون ماذا يصنع بهم ؟ فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال : لااله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده .

خطبة النبي عليه الصلاة والسلام :

توجه اهل مكة في اليوم التالي الى الصفا حيث دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام ليأخذ عليهم العهد والميثاق ـ ومما يلفت النظر ان اهل مكة لم تكن تبدو عليهم امارات الخزى التى تبدو عادة على المنهزمين ـ فقد اطمأنوا الى النبي عليه الصلاة والسلام الذي وصفه رب العزة بأنه رؤوف رحيم ـ واستمعوا الى خطبته التى قال فيها : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وحزم الاحزاب وحده ـ الا وان كل ثائرة او مال او دم فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا فيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطون امهاتها ثم قال : يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بآبائها ـ الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية : **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)** الحجرات/١٣ الا وان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرام الله لم تحل لاحد كان قبلي ولا تحل لاحد كان بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار ـ الا لاينفر صيدها ولا يعضد (يقطع) عضاهها (شجر له شوك) ولا تحل لقيطتها الا لمنشد ولا يختلى خلاها (يقطع حشيشها) فقال العباس : الا الاذخر يارسول الله فانه لابد منه للقبور وظهور البيوت فسكت ساعة ثم قال : الا الاذخر فانه حلال .

ولا وصية لوارث وان الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ولا يحل لامرأة تعطى من مال زوجها الا باذن زوجها ـ والمسلم اخو المسلم ، والمسلمون اخوة ، والمسلمون يد على من سواهم ، تتكافأ دماؤهم ويرد

عليهم اقصاهم ويعقد عليهم ادناهم .
ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ولا يتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح امرأة على عمتها او خالتها والبينة على من ادعي واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث الا مع ذي رحم محرم .
ثم قال : يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاني اقول لكم كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء ثم قال : اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال : هذا مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء وجاء الظهر :
فأمر بلالا ان يصعد فوق الكعبة فيؤذن – وكانت قريش فوق رؤوس الجبال وقد تغيرت وجوههم وتعبوا وتغيبوا خوف ان يقتلوا – فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد مايكون وقال : اشهد ان محمدا رسول الله قالت جويرة بنت ابي جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك اما الصلاة فسنصلى – والله لا نحب من قتل الاحبة ابدا – وقال خالد بن الاسيد : الحمد لله الذي اكرم ابى فلم يسمع هذا اليوم وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم قبل ان اسمع بلالا ينهق فوق الكعبة . وقال الحكم بن ابي العاص : هذا والله لحدث العظيم ان يصبح عبد بني جمح على بنية ابي طلحة . وقال سهيل بن عمرو : ان كان هذا سخطا لله فسيغيره وان كان لله فيه رضا فسيقره وقال ابو سفيان بن حرب : أما انا فلا اقول شيئا لو قلت شيئا لاخبرته هذه الحصباء – فأتي جبريل عليه السلام فأخبره خبرهم .
ثم دخل دار ام هانيء فاغتسل وصلى صلاة الفتح ثماني ركعات وكان أمراء المسلمين من بعده يقتدون به في ذلك فاذا فتحوا بلدا صلوا هذه الصلاة – ثم لبس السلاح ومغفرا من حديد ثم ركب القصواء ومر وابو بكر معه على الناس وعبد الله بن ام مكتوم بين يديه يقول :

ياحبذا مكة من وادى
ارض بها اهلي وعوادي
ارض بها انسي بلا هادي
ارض بها ترسخ اوتادي

حتى انتهي الى الكعبة فتقدم على راحلته فاستلم الركن وكبر فكبر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة ، فأشار اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبل ينظرون ، ثم طاف ومحمد ابن مسلمة آخذ بزمامها .
ثم اجتمعت قريش لمبايعته فجلس علي الصفا وجلس عمر بن الخطاب اسفل مجلسه يأخذ على الناس فيبايعون على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا – ثم قال : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .

غسل الكعبة :

ثم تجرد رجال من الازد ثم اخذوا الدلو فغسلوا الكعبة وبطنها حتى انبعج الوادي بالماء فلم يدعوا فيه صورة ولا اثرا من آثار المشركين الا محوه وكان عليه الصلاة والسلام لما جلس ناحية من المسجد توضأ بسجل من زمزم قريبا من المقام والمسلمون

يبادرون وضوءه يضعونه على وجوههم ـ والمشركون يومئذ متعجبون ويقولون : ما رأينا ملكا قط يبلغ هذا ولا شبيها به !

أثر فتح مكة :

كان لفتح مكة اثر عميق في نفوس العرب فشرح الله صدر كثير منهم للاسلام وصاروا يدخلون فيه افواجا ـ وكانت عدة قبائل بينها وبين قريش حلف وكانت ممتنعة عن الدخول في الاسلام لمكانة هذا الحلف وكانت قبائل ترهب قريشا وتجلها فلما رأتهم استسلموا للاسلام ورغبوا فيه زال الحاجز وكانت قبائل تعتبر مكة لايفتحها احد ولا يدخلها ملك جبار او من يريد لها سوءا الا اهلك ـ ولا يزال فيها من عاصر حادثة الفيل وشاهد مافعل بأبرهة فيقولون اتركوه وقومه فانه ان ظهر عليهم فهو نبي صادق .

فلما فتح الله مكة لنبيه ـ خضعت قريش للاسلام طوعا او كرها واقبل العربي على الاسلام اقبالا لم يعرف قبل ذلك وصاروا يدخلون في دين الله افواجا وصدق الله العظيم القائل : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) سورة النصر .

الانصار يخافون :

ظن الانصار الذين آووا الرسول عليه السلام ونصروه ان مهمتهم قد انتهت وقالوا : فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام وهى بلده وموطنه ـ جال ذلك في نفوسهم وتحدثوا به فيما بينهم ثم قالوا : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده ان يقيم فيها ؟ فلما تم فتح مكة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم « وفي مكان آخر يقول : لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار » .

لقد اقام النبي عليه الصلاة والسلام نحو التسعة عشر يوما في مكة ومع ذلك فقد اعتبر نفسه غريبا مسافرا وكان يقصر من الصلاة وكان يقول بعد تمام الركعتين : يأاهل البلد صلوا اربعا فإنا سفر » .

وامر الرسول عليه الصلاة والسلام على مكة قبل ان يغادرها عتاب بن اسيد يدبر امورها ويقيم الموسم والحج بالمسلمين وسنه عشرون سنة بمحضر من اهل الاسنان والفضل ـ فدل ذلك على ان المناصب تقوم على الجدارة والقوة ـ لا على العلم او السن او الجاه او المال ولم ينكر احد من الصحابة هذا العمل .

خاتمة :

بالامس خرج النبي عليه الصلاة والسلام من موطنه واحب بلاد الله اليه ـ من مكة مستخفيا في بطون الجبال والوديان مهاجرا الى يثرب وقد سبقه الى الهجرة اليها ولحق به اصحابه وهم قلة مستضعفة ـ

خرجوا متسللين فارين بدينهم تاركين المال والاهل والوطن ـ نعم كان ذلك بالامس .

اما اليوم فها هم اولاء يعودون الى وطنهم واهلهم ومالهم ، وقد كثروا من قلة وتقووا بعدضعف ، واستقبلهم اولئك الذين اخرجوهم بالامس خاشعين اذلاء خاضعين خائفين .

وبلال العبد الحبشي الذي طالما عذب في رمضاء مكة على ايدى المشركين ، يصعد اليوم على الكعبة المشرفة ينادى باعلى صوته : الله اكبر . الله اكبر .

نعم بالامس كان يهمس وهو تحت اسواط العذاب احد أحد ـ واليوم يجلجل فوق بيت الله الحرام : لااله الا الله محمد رسول الله والكل خاشع ومنصت .

وبعد انتصار المسلمين وفتح مكة القى الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطبة ـ ترى ما الذي يشغل بال هذا الفاتح العظيم وما الذي يقوله في هذه الخطبة ـ نعم انه الفاتح العظيم ولكنه ايضا رسول الله صاحب الرسالة ولا يشغل باله شيء الا اداء هذه الرسالة وحتى وقت الفتح الاكبر لم يشعر بشيء من الزهو او الغرور بل انه هو محمد رسول الله ، يلقى خطبة يضع فيها الاسس الاسلامية في العقيدة والتشريع والاخلاق التى يحتاج اليها الناس في جميع العصور وفي جميع البلاد ـ ولم يحدث في التاريخ البشري ان خطب فاتح مثل هذه الخطبة التى تخلو من التعاظم والتى تضع اسس المجتمع السليم ـ ولكنه محمد رسول الله الذي ارسله الله تعالى لانقاذ البشرية واخراجها من الظلمات الى النور .

ان محمدا صلوات الله عليه دخل مكة دخول الرسول الذي يريد ان يفتح القلوب لنور الايمان ـ فهو ليس ملكا يبغى شهرة ، ولا طاغية يبغى سيطرة ـ لقد ارسله الله رحمة للعالمين ومن هنا فلم يكن في مشاعره الا المودة ولم يكن في الفاظه الا الرقة .

دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة دخول خاشع متواضع لا دخول فاتح متعال ـ دخل خافضا رأسه تواضعا لله حين رأى ما اكرمه الله به من الفتح ، حتى ان ذقنه لتكاد تمس واسطة الرحل ـ دخل مكة وهو يقرأ سورة الفتح ـ وفي دخوله مكة فاتحا ـ وهى قلب الجزيرة العربية ومركزها الروحي والسياسي رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة والتواضع والخضوع .

او ليس مما يلفت النظر ان يردف خلفه اسامة بن زيد وهو ابن مولاه ـ ولم يردف احدا من أبناء هاشم او اشراف قريش .

انها العبودية المطلقة لله تعالى في السراء والضراء .

وما اشد حاجتنا في بداية القرن الخامس عشر الى ان ندرس هذه الغزوة دراسة واعية لنأخذ عنها الدروس التى تفيدنا في مستقبلنا نحو الدعوة الى الله تعالى لننقذ انفسنا مما نحن فيه وننقذ هذا العالم المضطرب الحائر .

ليلة القدر وبداية التبليغ

للاستاذ
محمد نعيم عكاشة

نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** العلق/١ ، ثم جاء رمضان فأمر الله رسوله الأمين بتبليغ رسالة القرآن إلى الناس : **(يا أيها المدثر . قم فأنذر)** المدثر/ ١ و٢ .

والقدر هو الشرف العظيم .. يقول أبو بكر الوراق : سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ، وعلى لسان ملك ذى قدر ، وعلى رسول ذى قدر ، وعلى أمة ذات قدر ، وكما وصف الله هذه الليلة بالقدر والشرف ، وصفها بالبركة في قوله تعالى : **(حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين)** الدخان/١ - ٣ .

ويقول الزمخشري في كتابه عند تفسير قوله تعالى : **(ليلة القدر خير من ألف شهر)** القدر/٣ ، ان سبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية هو ما يوجد فيها من المصالح الدينية : من تفصيل كل أمر حكيم ، وتبيين الطريق المستقيم .

ويقول الامام الشيخ محمد عبده (والقدر) إما تقدير الأمور وقضاؤها وإما العظمة والشرف ،

وكلا المعنيين مراد ومقصود ، وبهما سميت ليلة القدر : أما على معنى التقدير فهي الليلة التي ابتدأ الله فيها تقدير دينه ، وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه ، وأما معنى العظمة والشرف فذلك لأن الله لانزاله القرآن فيها ليبلغ الناس رسالة هادية ، قد أعلى من منزلة رسوله وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأعلى منزلة الانسانية حيث أنقذها ــ ببزوغ أول شعلة إلهية ــ من ظلمات الجهل والوثنية .
قال تعالى : **(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** الأنعام/١٢٢ .
فلا عجب في تعبير القرآن الكريم عن فضل هذه الليلة بأنها : **(خير من ألف شهر)** فان ليلة هدى ونور ، خير من دهر يمضي في ظلام وضلال ، فليست قيمة الأيام بساعاتها ، ولا قدر الليالي بطولها وعددها ، وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر ، وسعادة للناس ..

الاختلاف في تعيين الليلة

وقد اختلفت الروايات في تعيين هذه الليلة إلى ثلاثة وعشرين قولا ، وأرجحها أنها في رمضان ، وفي العشر الأواخر منه ، وفي الأوتار من تلك الأواخر .. ومن الأقوال التي ذكرت في هذا الشأن :
قال ابن اسحاق : إنها كانت ليلة السابع عشر من رمضان لقوله تعالى : **(إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)** الأنفال/٤١ ، لأن المراد بيوم التقاء الجمعين يوم التقاء المسلمين مع المشركين في غزوة بدر وكان يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية من الهجرة فكان يوم الفرقان ، وهو أول يوم نزل فيه القرآن في رمضان قد وافق يوم التقاء الجمعين ، وإن كان بينهما زمان طويل فهما متحدان في الوصف « وهو انهما يوافقان الجمعة ١٧ رمضان » وإن لم يتحدا في الزمن ــ

وقال البيروني : ليلة السابع والعشرين من رمضان تسمى ليلة القدر وهو اتفاق من العوام لأنها مجهولة وقيل اطلبوها ليلة السابع عشر وليلة التاسع عشر فان فيها وقعة بدر وفتح مكة ، ونزول الملائكة امدادا مسومين ، وعسى ان يكون هذا صحيحا فان الله يقول : **(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر)** القدر/٤ و ٥ .
وفي حديث عبدالله بن أنيس الجهني أنه قال لرسول الله : « إني رجل ضرير البصر شاسع الدار فمرني ليلة أنزل فيها فقال له الرسول : انزل ليلة ثلاث وعشرين » رواه ابو داود .
وذكر ابن حجر في فتح الباري عن ابن عباس ان عمر دعا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا على انها في العشر الأواخر من رمضان ،

وهذه العشر هي التي كان الرسول يخص أيامها ولياليها بمزيد من التعبد لله تعالى والتقرب اليه بملازمة الاعتكاف فيها .

وفي البخاري عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيى ليله ، وأيقظ أهله ، وفي الترمذي عنها : كان النبي يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها . وعنها كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى .

وحديث ابن عمر عن ليلة القدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

قال القرطبي : والذي عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين ، لحديث أبي ابن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليلة القدر ليلة سبع وعشرين .. ولحديث زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب ان أخاك عبدالله بن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال يغفر الله لأبي عبدالرحمن ، لقد علم انها في العشر الأواخر من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ، ولكنه اراد الا يتكل الناس ثم حلف ابي لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين .

قال ابن حبيش بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر قال بالعلامة التي اخبرنا رسول الله ان شمسها تطلع يومئذ لا شعاع لها .

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان » .

ويؤخذ من مجموع الأحاديث التي أوردناها ان ليلة القدر في الغالب الأعم تتكرر كل عام وتكون في العشر الأواخر من رمضان متنقلة في أوتارها .. قال ابن حجر : وأرجحها كلها انها في وتر من العشر الأخيرة ، وأنها تنتقل وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين ، وعند جمهور العلماء ليلة سبع وعشرين .

إخفاؤها .. لماذا ؟:

وفي إخفاء هذه الليلة وعدم تعيينها أسرار ولطف من الحكيم الخبير .. وقد ذكر ان الحكمة في ذلك : ان يجتهد من يطلبها في العبادة ، وان يتوفر في جميع الليالي على الطاعة وكثرة الأدعية ، وهو ما كان يفعله السلف الصالح .

وقال الفخر الرازي في تفسيره : « وأخفاها تعالى كما أخفى سائر الأشياء فانه أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغب عباده في الكل ، وأخفى غضبه في المعاصي ليتحرزوا عن الكل ، وأخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان ، فان العبد إذا لم يتيقن أي ليلة هي ، فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان على رجاء أنه ربما

كانت هذه الليلة هي ليلة القدر .

فضل الليلة ..:

وردت جملة أحاديث في فضل هذه الليلة : من ذلك ما رواه إمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري ، فانه عقد بابا خاصا في فضل ليلة القدر ، وروى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .. إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على فضل تلك الليلة ، لأنها وضعت حدا بين الضلالة والهداية ، وفيها ارسل النبي – صلى الله عليه وسلم – الى الناس كافة .

وقال الشعبي : المراد من نحو : (أنزلناه) و (أنزل فيه القرآن) الابتداء بانزاله خصوصا والقرآن كله والجملة منه وان قصرت كل ذلك يسمى قرآنا ، ويسمى كتابا . والمراد بانزاله : الابتداء بانزال شئ منه ، وهو المعنى من قوله : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** البقرة/ ١٨٥ . أي ابتدئ فيه بانزاله . وتنص هذه السورة على ان الانزال حصل ليلا لا نهارا ، وان هذه الليلة تسمى ليلة القدر ، ووصفت آية الدخان بالليلة المباركة ، وفيها يفرق كل أمر حكيم ، أي يفصل فيها كل حكم من أحكام الدين ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فرق بين الحق والباطل ، وبين للناس مصالح حياتهم الدنيوية والأخروية .

وقال ابو بكر بن العربي : لو لم يكن من شرفها الا انزال القرآن فيها لكفى .. قال تعالى : **(إنا إنزلناه في ليلة القدر)** القدر /١ ، اي ليلة الشرف الرفيع ، والفضل الخطير ، وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم .

وقال العلماء : يلقى الله فيها إلى الملائكة ما قضاه على خلقه في العام ثم ينزله في الأرض عند حدوث أسبابه ومناسباته ، وفيها تتنزل الملائكة إلى السموات والروح فيها إلى الارض يستغفرون للمؤمنين ، فمعنى (يفرق كل أمر حكيم) يفصل ويبين كل أمر مشتمل على الحكمة وموافق للصواب ، وينسخ فيها من أم الكتاب ما يكون في مدى أيام السنة من رزق وأجل وموت وحياة ، وسلم وحرب ، وفرح وحزن وسعادة وشقاوة ، وكل ما هو كائن من الأحداث التي دونت وقائعها في أم الكتاب ، فليلة القدر هي الليلة التي تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها ، وليس المراد من تقدير هذه الأشياء في ليلة القدر بدء تقديرها وانشاء تحديد مواقيتها ، وضبط شؤونها واحوالها فان ذلك أزلى سبق به علم الله وارادته منذ القدم ، وانما معنى ذلك اظهار هذه الأمور للملائكة ، وإطلاعهم عليها ، وكشفها لهم ليضبطوها في صحفهم ،

ويقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك ..

وقيل ان الملائكة تكون في الأرض في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى ، وان الله يقبل التوبة فيها من كل تائب ، وانه تفتح فيها أبواب السماء ، وأنها من غروب الشمس إلى طلوعها . وروى ان جبريل ينزل إلى الأرض ومعه كثير من الملائكة فيركزون ألويتهم في أربعة مواطن عند الكعبة ، وعند قبر الرسول ، وعند مسجد بيت المقدس ، وعند مسجد طور سيناء ، ثم يتفرقون : فلا يبقى دار ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة الا دخلته الملائكة ويسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله فيها : انها **(خير من ألف شهر)** قال العلماء معناه أن ثواب العمل فيها أفضل وأعظم من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

قال الامام مالك في الموطأ : سمعت من أثق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خيرا من ألف شهر .. انتهى ..

الاحتفال المشروع بليلة القدر :

وقد جرت عادة الناس على تحرى ليلة القدر والاحتفال بها في السابع والعشرين من رمضان وهذا امر حسن الا ان البعض يخرج عن الصورة المشروعة للاحتفال ويجرى وراء خيالات واسعة غير مقبولة ، شرعا .. فأحياء الليلة لا يكون إلا بالاجتهاد في الطاعة والاكثار من التهجد والتعبد والضراعة ومضاعفة الاحسان والبر وكثرة الصدقات وقراءة القرآن ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

ويقول الامام الشيخ محمد عبده : « هي ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين . وان مثل هذه المواسم انما ندب الدين اليها لتتخذ موسم ذكرى .. ذكرى لنعم الله وحساب النفس على مبلغ ما أدت من الشكر على هذه النعم ، ومقدار قربها أو بعدها عن هذا الدين ، فهي بمثابة احياء للقلوب ، واذكاء للاخلاص ، وحث على التوبة ، ورجوع إلى الله في التمسك بدينه والتأدب بأوامره ، والكف عن نواهيه ، حتى تزداد عليهم نعمه ، وتتوارد عليهم آلاؤه ، وينعموا برضاه ويفوزوا بمحبته : **(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)** ابراهيم/٧ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ، اني علمت ليلة القدر بماذا أدعو فيها ؟ فقال قولي « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » رواه الترمذي واحمد .

المسلمون

في بداية القرن الخامس عشر الهجري

قوة الاسلام : وقوة المسلمين

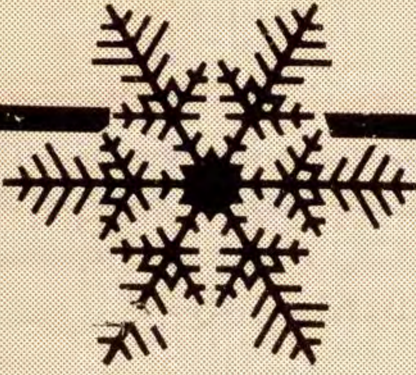
يأتي القرن الخامس عشر الهجري ، وعالمنا الاسلامي والعربي يموج بتيارات من القلاقل والفتن والاضطرابات ، وبلغت الخطورة في محنته الى درجة أثخنته الأحداث الدامية بالجراح ، من كثرة السهام الموجهة تارة الى عروبته وتارة موجهة الى اسلامه من أعدائه أحيانا ومن أبنائه المفتونين والمخدوعين أحيانا أخرى ، بصورة تبعث الأسى في نفس كل مسلم غيور على الاسلام ، وتهز كل عربي مشفق على العروبة ، وتمزق قلب كل انسان ينتمي الى دين الحنيفية السمحاء .

والمحن التي يتعرض لها عالمنا الاسلامي والعربي . كانت ستهون ، وتقل خطورتها ، لو أنها تتصل بفرد ، أو جماعة من الجماعات ، ولكن الخطورة كل الخطورة ــ هنا ، أنها تتصل بكيان الاسلام ، وتتعلق بمستقبل هذا الدين الذي بشر به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، والذي جاهد هو وأصحابه الكرام من أجل إرساء قواعده ، وتثبيت أركانه والذي ارتضاه الله لعباده ، ليكون دينا عاما ، وأبديا ، للبشر .

ومن الحقائق المسلم بها ، أن الاسلام لا يقوم وحده ، بل لا بد من قوى تتمثل في المسلمين ، فالمسلمون اذا اتحدوا ، وتماسكوا وتمسكوا بالاسلام ، استطاعوا بقوتهم التي أعطاها لهم الاسلام ، أن يؤلفوا قوة مرهوبة الجانب شامخة البنيان ، قوية الأصداء .

اذن فهناك قوتان قوة الاسلام التي لا بد من قيامها بتكتل المجتمع الاسلامي وقوة المسلمين الذين يستمدون عناصر قوتهم من الاسلام .

ومن هنا فان أعداء الاسلام يركـــزون اهتمامهم على هذين الجناحين ، انهم يركزون اهتمامهم على امرين ، الاول : القضاء على المسلمين ، وتدمير تكتلهم ، الثاني : اذا تحقق لهم ذلك أمكنهم صرف المسلمين عن دينهم القويم ، لأنهم



وقضاياهم

للاستاذ/
سعد صادق محمد

يعلمون أن قوة المسلمين في دينهم ، فهم اذا تمسكوا بدينهم ، وعضوا عليه بالنواجذ ، وضعوا أقدامهم على طريق الخير والقوة والفلاح ، كما فعل سلفهم الصالح ، وكانوا سادة العالم في عصورهم الذهبية الماضية ، وشهد الله لهم بأنهم : (**خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران/١١٠

الارساليات التبشيرية :

والمتأمرون على الاسلام ، لكي يتحقق لهم ما يريدون ، استخدموا في نطاق أنشطتهم المعادية ــ الارساليات التبشيرية ، والمدارس .

فمنذ أكثر من نصف قرن من الزمن ، بعث أعداء الاسلام ، الارساليات التبشيرية « الى انحاء **العالم** الاسلامي في آسيا وأفريقيا » للتبشير هناك ، وخاصة في المناطق الفقيرة لمحاولة استغلال حاجة الفقراء المسلمين ، لاغرائهم ، وتحويل أفكارهم ، ومعتقداتهم .

ومن خلال هذه المدارس ، قامت الارساليات التبشيرية بنشاطات كبيرة لتحقيق أغراضهم المعادية للاسلام . فهي تقوم بنشر التعليم الأجنبي في أوساط أبناء المسلمين ، في مدارسها وجامعاتها ، لقتل اللغة العربية في نفس المسلم وهي لغة القرآن والعروبة ــ كما يحدث الآن في أندونسيا والهند والشام .

ومن خلال هذه المدارس أيضا يقوم المبشرون بهدم مفهوم العقيدة في المسلمين ، واخراج المسلم من دينه ، ليس بتحويله الى دين آخر ، ولكن بتشكيكه في دينه ، وفي معتقدات اسلامه ، وبذلك يسهل عليه اعتناق المذاهب الهدامة مثل الالحاد والماركسية .

وأعداء الاسلام لم يكتفوا بتغيير مفاهيم وفكر الشباب المسلم ، بل امتدت أيديهم اليه ، فصدروا له كل مايقضي على روحه الشرقية ، وسماته الاسلامية ، فدفعوه الى تقليد شباب الغرب في التخنث ، فأطال شعره وسوالفه ، ولبس الضيق والمشجر من الثياب ، وقلد شباب الغرب المتحلل « الخنافس » في انحرافه وحاكاه في

حياة اللهو والميوعة ، فأخرجوه بذلك عن تقاليده وعاداته الطيبة ، وقضوا على شخصيته الاسلامية ، وأماتوا فيه روح الرجولة وخشونتها وجديتها .

كـذلك امتدت أيديهم الى البنت المسلمة ، فدفعوها هي الأخرى الى سلوك طريق سيىء منحرف ، فقلدت الرجال واختلطت بهم في الكليات ، وفي أماكن التجمعات الأخرى .

كما عملوا على إحياء العصبيات ، وتشجيع الأقليات والقوميات ، كما نرى في لبنان ، وايران ، والعراق ، ومصر وشمال افريقيا ، وغيرها من البلاد ، لقتل تكتل العرب والمسلمين ، واماتته ، أو على الأقل .. اضعاف وحدتهم ، لكـي لا تقوم لهم قائمة قوية .

اسرائيل .. والعالم الاسلامي :

واسرائيل التي أوجدها المتآمرون ضد العروبة ، مازالت تحتل أرض الاسلام والنبوات منذ وعد بلفور المشئوم ، والذي كان في نوفمبر عام ١٩١٧ .. لقد اقتطع المتآمرون على الاسلام هذا الجزء العزيز من أرض العرب وأعطوه لليهود ليقيموا عليه دولتهم ، وقد زعم اليهود أن فلسطين هي « أرض الميعاد » فقاموا بطرد سكان فلسطين من أرضهم . طردوا بعض النساء والأطفال والشيوخ وقتلوا البعض الآخر ، كما قتلوا شباب فلسطين ورجالها في المذابح المشهودة والتي سجلها التاريخ في صفحاته ، كذلك اعتدى اليهود على المسجد الأقصى ، وأحرقوا منبره ومحرابه في ٨ جمادي الآخرة ١٣٨٩ هـ ـ ٢١ أغسطس ١٩٦٩ .

وفي سلسلة اعتداءاتهم امتدت أطماعهم الى القدس العربية « تاريخا ، وأرضا ، وسكـانا » وادعت انها أرض آبائهم ، وقررت جعلها عاصمة لاسرائيل ، وامعانا في العدوان والكيد والصلف ، راوغت المفاوض المصري في عدم اعادة الأرض لاهلها ، وجعل الحكم الذاتي قاصرا على الاشخاص فقط ، دون الأرض مما يكشف عن أخلاقياتها ، لتدلل اسرائيل بذلك على أن اسرائيل التي كانت في عهد نبي الله موسى عليه السلام . هي نفس اسرائيل التي اغتصبت فلسطين عام ١٩٤٨ . وهي نفس اسرائيل التي وقعت اتفاقية كامب ديفيد مع مصر . وهي نفس اسرائيل الى أن تقوم الساعة ، فهم لا عهد لهم ولا أمان .

وعلى جبهة أخرى غير فلسطين والقدس ، ترى اعتداءات اسرائيل المتكررة على جنوب لبنان للقضاء على المقاومة الفلسطينية المكـافحة لاسترداد أرضها ، وكيانها ، وتاريخها ، ويحدث هذا رغم صيحات واستنكار العالم ضد اسرائيل وغير ذلك من الفتن والقلاقل التي تحدثها الحركـات اليهودية العالمية ضد الاسلام والعرب .

قضايا المسلمين في افريقيا . وآسيا :

وهناك دول في افريقيا وآسيا لها قضايا مريرة تعيش فيها . وهي قضايا تتصل بحق الحياة ،

كامنة في أن قادة المسلمين لم يقوموا بما طلبه منهم ربهم من القيام بواجب التعبئة الروحية والمـــادية للمجتمع الاسلامي الكبير ، ولديهم وسائل التعبئة المادية والمعنوية ـ ليواجهوا مواكب العداء والحروب التي تنظمها الصليبية في عصورنا هذه ـ بما لديها من امكانيات مادية ـ فلا شك أن هذه المواكب والحروب . هي امتداد شرس وجاحد للحروب الصليبية التي بدأت في الأندلس ، وبيت المقدس والشام ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية التي ازدهرت أيام الاسلام الاولى ، والتي شهدت مجدا ونهضة ، وعزا ، وقوة وشموخا . نقول : هي امتداد للحروب الصليبية يراد بها القضاء على قوة المسلمين الكامنة في الاسلام .

قرون شهدت جهاد النبي والصحابة :

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ الاسلامي فسنجد أن القرون الماضية شهدت رجالا تعرضوا لمحن من مثل ما نتعرض له هذه الأيام ، ولكنهم لم يسكتوا عليها . فقد كان الرجل منهم « أمة » وكان الرجل منهم : أفضل من ألف رجل في عصور أخرى . غير عصورهم وقرونهم .

وطبيعي أننا لن نتكلم عن القرن الأول الذي شهد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد هجرته من مكة الى المدينة ، ولا عن جهوده المباركة في تحطيم الأصنام التي عبدتها الجاهلية في شتى صورها ورموزها ، وطهر المجتمع من صور الفساد والشرك والباطل ، وقضى على كيد المنافقين الذين عملوا ضد الاسلام والمسلمين سرا وعلانية . وعلى اليهود الذين تآمروا على الاسلام وكادوا له ولأهله ، ثم انتصر على هؤلاء جميعا ، وأنشأ نموذجا لدولة اسلامية عظيمة .

ولن نتحدث كذلك عن الخلفاء الراشدين « رضي الله عنهم » ولا عن عصورهم حين اهتزت على أيديهم الامبراطوريتان القويتان والكبيرتان ، صاحبتا الحضارة اليونانية والفارسية ، وسقطتا من عرشيهما خلال خمس سنوات ، وكان هذا حدثا فريدا في التاريخ ، لم يحدث له مثيل ، لا قديما ولا حديثا وأنشأوا أمبراطورية اسلامية فريدة في نوعها ، حديثة في شكلها ، عظيمة في مضمونها ، وهم ضعفاء لا يملكون بعد حضارة تقف على صف واحد مع الحضارات اليونانية والفارسية ، ولا يملكون قوة مادية تضارع القوتين الكبيرتين ، نقول : لن نتكلم عن الدولة الاسلامية ، ولا عن امبراطوريتها الاسلامية ، فذلك معروف وثابت في التاريخ لكل ذي عين ولب ، وليس هذا مجاله ، ولكننا سنتناول جهود المسلمين في عصور تالية .

إن كل واحد من هؤلاء الذين سنتناولهم كان في محنة ، فلم يسكت ولم يرض بالضيم ، والضعف والهوان ، فناضل العدو ، وكافحه ، وأثبت أنه وحده « امة » وأنه « بطل » وانه قادر على مواجهة

المحنة ، كذلك جاهر برأيه وعقيدته ، ولم يخش أحدا مهما أحاطت به الخطوب ، وحاصرته الشدائد ، وكان كل واحد منهم قدوة لغيره ، وكان يلقي بنفسه في المعركة ، مرددا قول الشاعر الذي قال قولته العظيمة ، وهو يقاتل العدو :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

صلاح الدين الأوبي :

تولى هذا القائد العظيم مقاليد الحكـــم بعد وفاة نورالدين محمود صاحب دمشق وعندما نجح صلاح الدين في ضم مصر اليه ، دب الفزع في قلوب الصليبية ، لأنهم أيقنوا أنه بصيرورة الأمر الى صلاح الدين ، سينزع منهم بيت المقدس .

واتجه صلاح الدين الى الحروب الصليبية ، واتخذ سياسة ضدهم ، لأنهم كانوا يتآمرون ضد المسلمين ، ويريدون شرا بهم . فكانت « موقعة حطين » ، فاقام حصارا محكما للصليبين عند سهل حطين ، ومنع عنهم الماء حتى اشتد به العطش ، ثم هجم على قواتهم المنهوكة القوى ، فأنزل بهم هزيمة ساحقة ، خيبت آمالهم ، وبددت شملهم ، ومزقتهم شر ممزق ، وفر قوادهم وقبض على البعض الآخر ، وسيقوا إلى صلاح الدين أذلاء مجروحين .

والواقع أن موقعة حطين ، كانت أعظم من كونها مجرد نصر حربي بالنسبة الى المسلمين ، اذ كانت في حقيقة أمرها ، بشيرا بنجاح المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية قام بها أعداء الاسلام ، وشهدها العالم في العصور الوسطى ، أما بالنسبة للصليبين ، فقد كانت حطين أكبر من كونها كارثة حربية ، لأنها لم ينتج عنا أسر « حابي لوزجتان » ملك بيت المقدس ، وضياع هيبته كملك فحسب ، بل نتج عنها ضياع « زهرة فرسان الصليبيين » وغالبية جيش مملكة بيت المقدس بين قتلى وجرحى وأسرى في يوم حطين العظيم .

ثم استولى صلاح الدين بعد ذلك على كثير من مدنهم وحصونهم في الشام مثل : عكــــا ، والناصرية ، وحيفا . وغيرها من المدن الساحلية ، ثم تابع بعد ذلك أعماله البطولية في الشام ، بالاستيلاء على « بيت المقدس » ، ثم كان « صلح الرملة » الذي طلب فيه الصليبيون من البطل صلاح الدين الكف عن الحرب .

وهكـــذا نرى هذا البطل المغوار « صلاح الدين » قد خلد اسمه في التاريخ بهذا الانتصار الرائع على الصليبية الماكرة .

وهنا نرى ثلاثة أبطال آخرين من حقهم علينا أن نذكــرهم في مقام الفخر ، حيث كان لهم دور كبير في المعركة الصليبية .

*** الشخصية الأولى :**

ركن الدين بيبرس الذي استطاع أن ينقذ المنصورة بعد أن اقتحمها الصليبيون ، تمهيداً لاحتلال القاهرة ، كما استطاع ان ينقذ الجيش العربي من هزيمة محققة ، وكان من أثر هزيمة الصليبيين في تلك

الموقعة ، أن سيق لويس التاسع عشر الى سجن المنصورة ، ليدفع الجزية ذليلا مقهورا أمام أيدي المسلمين الأبطال ، ويعلق المؤرخون على هذه الموقعة التي تألق فيها ركن الدين بيبرس بأنها : كانت من أهم الأحداث في تاريخ الحملات الصليبية في تاريخ مصر ، التي وجدت في تلك اللحظات الحرجة ، وقد برز فيها أبطال استعذبوا المـــوت في سبيل الدفاع عن بلادهم ، واستطاعوا أن يشعلوا نار الوطنية ، ويهيجوا الحماسة ضد قوى الصليبية التي هددت البلاد .

واشترك بيبرس كذلك في معركة عين جالوت ، وكان له شرف الانتصار على التتار في موقعة « عين جالوت » الخالدة .

※ اما الشخصية الثانية :

فهو السلطان سيف الدين قطز ، قائد معركة « عين جالوت » .. خرج قطز بجيشه لملاقاة المغول « التتار » بعد أن اعملوا تخريبا في بغداد وقتلوا رجالها وعلماءها وحفظة القرآن فيها . خرج لـــلاقاة التتار ، عند « عين جالوت » ، بين بيسان ونابلس بفلسطين . وكـــان يحث الناس لاستنقاذ الشام من التتر ، ونصرة الاسلام والمسلمين ، ويصيح في وسط المعركـــة تشجيعا للجند « وإسلاماه » ، وقد أظهر الجيش المصري شجاعة فائقة بقيادة قطز ، وبيبرس ، حيث أوقع الهزيمة بجيش التتار الذي اندحر وولى الأدبار ، وقد كانت موقعة « عين جالوت » فاصلة في التاريخ ، فقد جاء انتصار البطل قطز على المغول حدثا هاما وعظيما بعد أن عجزت الدولة الخوارزمية ، والدولة العباسية عن مقاومتهم ومدافعتهم . وبعد أن انهارت القوى المسيحية أمام الزحف المغولي على أجزاء من روسيا وبولندا والمجر .

ومما جعل هذه الموقعة من المواقع الهامة الحاسمة في التاريخ ، ان خطر المغول ، لم يكن على الشرق فحسب ، وانما كان خطرا على اوروبا نفسها ، فلو تقدم المغول في اوروبا ، واستقروا فيها ، لكـــان تأثيرهم سيئا جدا عليهم ، ومن هنا نقول : إن الغرب مدان للعرب ــ ضمن أفضالهم عليه ــ بهذا العمل العظيم .

※ اما الشخصية الثالثة :

فهو نور الدين محمود بن زنكي رئيس الدولة النورية ، وهو أول مسلم في تلك الفترة كان همه مواجهة الصليبيين ، اذ نذر نفسه لحربهم ، وجندها لقتالهم ، وكلمته هذه تعطينا مؤشرا لاتجاهاته ، يسأله سائل عن سر حزنه الدائم ، بينما الناس يبدون حوله بأحوال مختلفة ؟ فيجيب « كيف أضحك ، وبيت المقدس تحت سلطان الصليبيين ؟»

ونور الدين هو الذي استولى على مصر ، وهو أهم شخصية عرفت في تلك الفترة ، تمتلىء غيرة ، واسلاما ، وحماسة في عصر الحروب الصليبية .

الامام ابن تيمية :

ويتحدث التاريخ عن هذا الامام

حديث إعجاب وإكبار ، فقد وجد هذا الرجل في عصر اسود متلاطم بأمواج من الضعف والفساد ، والانحراف في النواحي السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية .. اذ زخر المجتمع بأجناس مختلفة طارئة عليه ، متنافرة ، يعمل كل جنس وفق تقاليده وموروثاته ، وكان منهم السلاجقة من الاتراك الذين حكموا البلاد ، وتحكموا في أمورها ، دون الخليفة وكذلك ضعف الخلفاء بسبب نزواتهم وكان من نتائج ضعف الخلفاء ، أن انفرد بعض الحكام بأمور أقاليمهم مستقلين عن الخليفة ، كذلك كثر أدعياء العلم ، ومحترفو التحزب السياسي ، ومروجو الخرافة ، وناشرو البدع ، حتى حلت البدعة محل السنة وتوهم الناس ان البدعة هي الدين الصحيح ، وانتشر التعصب المذهبي وجمدت الأفكار على التقليد ، ودب الفساد في كل جانب من جوانب الحياة .

وكان من نتائج الضعف والتمزق ، أن تعرضت البلاد لخطرين عظيمين هما خطر ظهور التتار ، وزحفهم الى الشام ومصر وخطر زحف الفرنج الى هذين الاقليمين ـ أما ظهور الافرنج « الصليبيين » فسبق أن تحدثنا عنه ، وعن دور صلاح الدين ، والظاهر بيبرس ، وقطز ونور الدين محمود في المعركة مع الصليبيين .

أما التتار فقد عاصر ابن تيمية ظهورهم ، وكما سبق أن ذكرنا أن التتار أنزلوا بالديار الاسلامية : الدمار والخراب ، وكما يقول المؤرخون : ان الاسلام والمسلمين بلوا في تلك الأيام بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، ومنها : ظهور التتار ، قبحهم الله ، أقبلوا على المشرق ، ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع عنها . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم ، وتفنى الدنيا .

وابن تيمية ، له دور هام وكبير في المعركة مع المغول ، فقد أظهر هذا الامام شجاعة نادرة في مجابهة التتار . اذ عندما زحفوا بجحافلهم على الشام دب الذعر في نفوس الأهالي وراحوا يبحثون عن مهرب من شر المغول ، لكن ابن تيمية لم تضعف له قناة ، ولم يهن له عزم ، بل نهض للقيام بعبء الدفاع عن حاضرة الاسلام ، فكان يخطب في الجماهير ، يوصيهم بالصبر والثبات ، ويحضهم على القتال والجهاد والانفاق ، ويحثهم على التصدي للعدو ، للحفاظ على كيان الأمة ومقدساتها ، وكان يرسل رجالا من أتباعه للقيام بحراسة مداخل المدينة للحيلولة دون فرار ضعفاء الايمان والجبناء خوفا من بطش التتار ، ويخرج ابن تيمية مع بعض المشايخ والأعيان لمقابلة ملك التتار ، فيقابله ابن تيمية بنفسه ، ويتحدث اليه ، ويغلظ له القول ، حتى ظن من معه من العلماء أنه سيقتل .. وكانت شجاعة ابن تيمية تشبه « شجاعة أكابر الأبطال »

وعندما عاود المغول العدوان على الشام عام ٧٠٠ هـ خرج اليهم ابن تيمية وتقدم المقاتلين ، يقاتل معهم في الميدان ، ويخطب في المجاهدين ، ويحثهم على القتال ، يبشرهم بالنصر ، وانتهت المعركة بنصر الله .. فكان ابن تيمية بحق « امام السيف والقلم واللسان » .

جمال الدين الأفغاني :

وعرف هذا الشيخ بأنه داعية الوحدة الوطنية ، كان هذا العالم الجليل يدعو الى انهاض الدول الاسلامية والعربية من ضعفها وانقسامها ، لتعود ـ كما كانت فجر الاسلام ـ ذات قوة ، وسيادة ، وحضارة ، وكانت دعوته الى الوحدة الوطنية هي شغله الشاغل ، وأبرز أعماله . فكان الافغاني يرى الاستعمار ينقض على بلاد الشرق كله ، ويشعل فيها الفتن والقلاقل ، كما كان يرى الحكام والامراء في بلده وفيما احتل من بلاد الشرق يستبدون ، ويتخاذلون ، ويتنافسون على إرضاء المستعمر ، وكان يرى الجهل متفشيا ، والأمية منتشرة ، والعقائد والتقليد الأعمى مستحوذا على العلماء وعامة الناس ، وباب الاجتهاد مغلق في وجوه المفكرين ، كان الافغاني ينتقل من بلد اسلامي الى آخر ، فيرى سوء أحوالها الداخلية والخارجية فيثير حمية المسلمين ، ويوقظ في نفوس العلماء والهيئات الدينية الثورة ضد الاستعمار وضد الاستبداد السياسي ، والجمود العقائدي والفكري كما كان يبث في المسلمين روح الفضيلة والاباء ويذكرهم بأمجاد الآباء ، وحديث التاريخ عن الأجداد ضد الباطل والفساد ، وكان الرجل ثورة في كل مكان . فقد أيقظ روح الثورة في الشرق على الاستبداد والحكام والمستعمر .

وكان له مقصدان في حياته ، **الأول** : تنبيه المسلمين الى الاصلاح الديني والعلمي بالكتابة والخطابة ، **والثاني** : سياسي واجتماعي ، وهو ترقية الدول الاسلامية بالمدنية والقوة ، حتى تصل الى مستوى أحسن من البلاد الغربية .

ومن جهاده أنه كون جمعية سرية ، هي العروة الوثقى ، وكانت تدعو الى تضامن الدول الاسلامية ، والنهوض بمستواها الفكري والاقتصادي ، ومحاربة المستعمر ، وتحرير الأرض منه ، كما كان من وسائله وجهوده انشاء جريدة العروة الوثقى التي أصدرها لتعبر عن فلسفته ، ودعوته في الحياة والاصلاح والخير وتقدم المسلمين .

الامام محمد عبده :

كان الامام محمد عبده من أولئك المجاهدين الذين كتب التاريخ لدعوتهم الخلود فقد جاهد في سبيل الله ، وفي سبيل اعزاز الدين ونصرته ، وفي سبيل النهوض بالمسلمين واصلاحهم دينيا ، فكانت دعوته مقدمة لموجة ثورة جديدة ، ما لبث أن تفجرت عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وبعد خيبة أمل الوعود البراقة التي قطعها

الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب ، وفي مقدمتها : وعود ويلسون التي ما لبث هو نفسه أن تنكر لها ، واعترف بالحماية البريطانية على مصر .

جاهد الامام محمد عبده لنشر الدعوة الاسلامية الصحيحة ، وعمل لتطهيرها مما طرأ عليها من البدع والخرافات جهادا عنيفا ، وتحمل كثيرا من العنت والاضطهاد والارهاق . كان يؤلمه ما وصل اليه حال المسلمين من ضعف وهوان وتخلف ، ويؤلمه أيضا ما وصلت اليه حضارة الغرب ، ويقارن بينهما ، فيزداد ألما وحسرة ، ودفعه هذا التألم الى البحث عن أسباب ضعف المسلمين الطارىء ، وخلص من ذلك البحث الى أن العلة في الضعف الذي أصاب المسلمين هي : بعدهم عن دينهم الحق ، واعراضهم عن اسلامهم الصحيح ، وأخذهم بكثير من العادات والتقاليد الناشئة التي ينكرها الدين ، والتي لا تمت اليه بصلة ، ولا تنتمي اليه بنسب ، وعلى ضوء ما تراءى له ، وخرج به من نتائج ، سعى الامام حثيثا لنشر دعوة الاسلام الصحيحة ، اذ رأى أن خير علاج لمشكلات المسلمين هو رجوعهم الى دينهم الصحيح وان خير دواء لاوضاعهم السيئة هو : توبتهم الى الله ، ومن هنا حدد العلاج في الاتي :

اولا : تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتجر فيه زعماء الدنيا ، ولا زعماء الأديان .

ثانيا : اعتبار الدين صديقا للعلم ، ولا موضع لتضادهما ، اذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات الفكر ، لا تغني احداهما عن الأخرى .

ثالثا : فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى « القرآن ، والسنة ، وطريق السلف الصالح » .

رجاء .. وأمل :

لا نريد ان نقول : ان القرن الخامس عشر الهجري ، وما قبله من القرون ، قد خلا من شخصيات مسلمة ، ومن روح اسلامية نشطة ، تعيد لنا صورة الحمية الاسلامية ، والغيرة على دينه ، والحماس له . لا نقول ذلك ، فعالمنا الاسلامي توجد به عناصر لزعامات ، وقيادات مؤمنة باسلامها ، مخلصة لدينها ، متحمسة لعروبتها ، ولكنها في حاجة الى عون ومساندة لتقوم بعمل لمصلحة الاسلام وخير المسلمين .

اننا نطلع ـ في مستهل القرن الخامس عشر الهجري ـ بقلوب كلها رجاء ، ونفوس ملؤها الأمل ، الى كل عالم ، ورئيس ، وقائد في عالمنا الاسلامي أن يتحرك .

نريد من علماء الاسلام أن يكون لهم دور باعتبارهم القدوة والأمل في تحقيق الحكم بشريعة الله ، لأنهم من أعلم الناس بهذه الشريعة ، وقد مر بنا الحديث عن علماء امثال ابن تيمية ، والافغاني ، ومحمد عبده ، وعرفنا كيف جاهدوا ، ووقفوا في مواجهة الارهاب والحاكم المستبد والمستعمر ، وكيف قاموا بواجبهم في

بيان الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نريد من قادة المسلمين وحكامهم بما لديهم من امكانيات هائلة – أن يعملوا لحماية الحركات الاسلامية ، ومساندة المنظمات والهيئات الاسلامية التي نريد ان تنشط من حين لآخر ، وتصدر قرارات وتوصيات لمصلحة المسلمين ، ولخير الاسلام ، لأن هذه المنظمات لا بد من تدعيمها ماديا وأدبيا من الحكومات الاسلامية .

نريد من الهيئات والمنظمات الاسلامية أن تزيد من أنشطتها ، وتطالب الحكـــومات الاسلامية لتدعيمها ، وألا تتراخى أو تتباطأ في توصياتها وقراراتها .

نريد ألا تكـــون هذه القرارات والتوصيات حبرا على ورق ، والا تضيع في ادراج المكاتب ، بل يجب ان تتحرك هذه القرارات والتوصيات ، لتشعر الشعوب الاسلامية بوجود كيان اسلامي متحرك ، يحمي الاسلام ، ويصون معتقداته .

نريد تسوية الخلافات القائمة بين الشعوب الاسلامية والعربية ، ووضع خطط للتعاون الاسلامي في مختلف المجالات . في مجال الاعلام ، والثقافة والاقتصاد ، والسياسة الخارجية ، لأنه بدون تسوية الخلافات يكون اللقاء الاخوي بين الاشقاء مستحيلا ، ويكـــون وجود التعاون في هذه المجالات اكثر استحالة لأن أعداء الاسلام ، والمتآمرين على المسلمين ، يعملون دوما على تعقيد المشكلات القائمة بين الدول الشقيقة ، وتنشيط الصراعات المـــوجودة بينهم ، وهذا يعمل بالضرورة – على استحالة حل المشكلات ، ويقلل من فرص اللقاء .

نريد التركيز على التعاون مع البلاد التي يتهددها الغزو التبشيري ، وخاصة في دول افريقيا المسلمة .

نريد الاهتمام بالحركـــات الاسلامية في الفليبين ، وبورما وتايلاند وارتيريا ، وافغانستان ، ومساندة هذه الثورات بالمـــال والسلاح ، لتنتصر على قوى الصليبية وينتصر الاسلام .

نريد وقفة عربية جريئة وموحدة أمام اعتداءات اسرائيل واطماعها المتزايدة يوما بعد يوم في فلسطين والقدس وفي غيرها من الدول العربية ، لاسترداد حق شعب فلسطين المغتصب ، ولوقف اطماعها ، حيث لا يفيد معها اتفاقيات أو معاهدات .

نريد احياء مشروع الجهاد ، تتكون حصيلته من قروش تجمع من الأفراد ، والحكـــومات والهيئات لمساندة الأقليات في الفليبين وبورما وتايلاند وارتيريا وافغانستان ، ومدها بالمال والسلاح .

نريد قيادة رشيدة ، لا تهتم بالشعارات المستوردة ، والزعامات المتهالكـــة المتهافتة ، لتنقذ العالم الاسلامي من محنته في مستهل القرن الخامس عشر .

والله ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

مائدة القارئ

من كلام العرب

قال اعرابي : اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الامور .

وسئل اعرابي عن القدر فقال : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها وسئل اخر عن القدر ، فقال : علم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون وحق علينا ان نرد ما التبس علينا من كلمه الى ما سبق من علمه .

وقال اعرابي : تداور الليل والنهار ، لاتبقى عليه الاعمار ولا لأحد فيه الخيار .

طرائف وعبر

– نزل رجل صومعة راهب ، فقدم اليه الراهب اربعة ارغفة وذهب ليحضر اليه العدس ، فحمله وجاء فوجده قد اكل الخبز . فذهب واتى بخبز اخر فوجده قد اكل العدس . ففعل معه ذلك عشر مرات . فلما أراد الضيف الانصراف سأله الراهب اين مقصده ، قال : الى الاردن .

قال : ولماذا ؟ قال : بلغني ان بها طبيبا حاذقا اريد ان اسأله عما يصلح معدتي ، فأني قليل الشهوة للطعام .

فقال له الراهب : ان لي اليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : اذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي .

دعاء

« اللهم ابرم لهذه الامة امرا رشيدا يعز فيه وليك ، ويذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ورضاك » .

من دعاء سفيان الثوري رضي الله عنه

مائدة القارئ

في تفريج الهموم وقضاء الديون

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له (أبو أمامة) فقال له النبي : يا ابا امامة مالي اراك جالسا في المسجد من غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتني وديون يا رسول الله .

قال : افلا اعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ؟..

قال : بلى يا رسول الله ..
قال : قل اذا اصبحت واذا امسيت : اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من البخل والجبن واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ..

قال : فقلت ذلك فاذهب الله عز وجل همي وقضى ديني ..
ـ رواه أبو داود ..

خشية الخالق

رفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة .. فقال له الحسن : حاجتك مقضية ، فقيل . له : لو نظرت في رقعته ثم رددت . الجواب على غير ذلك ؟ قال : يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته !!

○ قال الامام علي كرم الله وجهه : والله ان دنياكم عندي اهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ..



للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

فرض صيام شهر رمضان في كل سنة هلالية في السنة الثانية من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان تحولت القبلة من بيت المقدس بالشام الى الكعبة بمكة بأيام معدودات .. اذ ان تحويل القبلة كان في نصف شعبان

على ما عليه الجمهور الاعظم من علماء السيرة في نفس هذه السنة ..

وبعد ان استقر امر الصلاة – وهي الركن الثاني في الاسلام – بأوقاتها ، واعداد ركعاتها .. وتحديد اتجاه القبلة في أدائها .. كان منطقيا ان يشرع بعد ذلك ما هو بعد الصلاة في الركنية ، وما يتلوها في الفرضية وكان من بين ما شرع عقيب فرضية الصلاة .. الصيام في رمضان .. ولم يكن الفارق بين فرضيتهما الا نحوا من نصف شهر ، وذلك بقوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .)
البقرة/١٨٣ – ١٨٥ .

وقد مهد لصيام رمضان تمهيدا اتخذ اوضاعا متنوعة .. فمرة صام الجاهليون عاشوراء .. وصامه الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة متابعة لأهل الجاهلية في صومهم له .. لأنه لم يكن يرفض كل ما عليه الجاهليون .. بل كان يأخذ أحسنه ، ويبطل أسوأه .. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه .. فلما قدم المدينة صامه ، وأمر بصيامه ، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه .. فترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره) .. وقد حدث هذا التمهيد لصيام رمضان من دون ان يدري أحد أن رمضان آت بفرضيته لا محالة .. إذ أن ذلك كان لا يزال سرا مطويا في ضمير الغيوب ، ولم يكن احد يدري من ظهر الغيب شيئا من ذلك .. ولكن حركة المقادير .. جرت على النحو الذي اوجد تمهيدا لرمضان بصيام عاشوراء .. فعرف الناس معنى الصيام ، وفكروا فيه ، وتمرسوا به فعلا وواقعا ، واقتنعوا بما يحتويه من أسرار وحكم .. وقعت من نفوسهم موقع القبول والرضا ..

وان غامت في انفسهم آفاقها ، وقصرت في بصائرهم رؤيتها بادئ ذي بدء .. حتى جاء القرآن الكريم بالأمر بكتابته وتبيين وجه حكمته ، وتحديد مداه ومغزاه ، وحكمه واحكامه واستمر هذا التمهيد الواقعي لصيام رمضان ينتقل مع الايام من طور الى طور .. ومن قوم

الى قوم حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فدخلها في شهر ربيع الاول فوجد اليهود صياما ولما سأل عن ذلك عرف انهم يصومون عاشوراء .. فوافقهم على صيامه وصامه وامر المسلمين بصيامه .. وكان هذا هو الفصل الثاني من فصول التمهيد والتقدمة لصيام رمضان بحسب الواقع التاريخي .. وان لم يسبق ذلك بعلم العلماء ، ولا بفقه الفقهاء – وفي ذلك يروي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء .. فقال لهم : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ .. قالوا : هذا يوم عظيم ، انجى الله فيه موسى وقومه ، واغرق فرعون وقومه .. فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه وامر بصيامه) وقد يقال : فأين عاشوراء ؟ وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم من السنة الهلالية التي هي التوقيت المعتمد عند الله تعالى كما قال : **(ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم)** التوبة/ ٣٦ وكما قال جل شأنه : **(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)** البقرة/ ١٨٩ او هو العاشر من شهر ربيع الاول الذي دخل فيه الرسول المدينة مهاجرا من مكة .. فوجد اليهود صائمين فيه .. فصام عاشوراء وأمر بصيامه : والجواب – كما في السيرة الحلبية جـ ٢ : ١٤٩ : ان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذي هو عاشر المحرم فيما عند الله تعالى هو الذي نجا فيه موسى وغرق فيه فرعون .. اتفق له في دورته الحولية ان وقع في شهر ربيع الاول الذي دخل فيه الرسول المدينة بحسب التوقيت الشمسي عند اليهود .. وان الرسول صامه في المحرم التالي لذلك وأمر أصحابه بصيامه كذلك .. ولم يوافق اليهود في صيام ذلك اليوم من شهر ربيع الاول ثم خالفهم في عاشوراء التالي وما بعده .. فهذا من أبعد البعيد (المصدر السابق : ١٥٠) وذلك لأن أيام الشهور القمرية تدور في فصول السنة كلها .. وقد يصادف بعضها الصيف مرة والشتاء اخرى ، والربيع طورا والخريف طورا آخر .. اما التوقيت الشمسي فهو مقيد بفصول السنة لا يريمها .. وفي المعجم الكبير للطبراني عن خارجة بن زيد رضي الله عنه قال : (ليس يوم عاشوراء اليوم الذي تقوله الناس – اي اليهود – انما كان يوما تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور في السنة) .. ثم كان الطور الثالث من اطوار التمهيد التاريخي لصيام رمضان هو إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل والدعاة الى القبائل وسكان الاطراف يدعوهم فيها الى صيام عاشوراء : فمن كان منهم

اصبح صائما فليتم يومه .. ومن كان اصبح غير صائم فليمسك بقية يومه تشبها بالصائمين .. وكان يأمر بالصبيان والصغار .. فيتفل في افواههم ويأمر أهلهم بتصويمهم حتى الليل .. ففي الصحيحين عن الربيع بنت معوذ قالت : (ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الانصار التي حول المدينة : من كان اصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان اصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ اي الصوف ـ فاذا بكى احدهم على الطعام اعطيناه اياه حتى يكون عند الافطار) .. وفي رواية : (فاذا سألوا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم) ..

وفي شهر شعبان من السنة الثانية (الفقه على المذاهب الاربعة/٢٤٧) فرض صيام رمضان فبدأت بذلك مرحلة جديدة كل الجدة .. اذ انتقل الصوم من اطار السنية المؤكدة لعاشوراء الى الوجوب الحتمي لرمضان على غير المرضي والمسافرين .. الا ان هذا الوجوب والتحتم لم يبدأ بطريقة فجائية مباشرة .. بل درج الشرع الحكيم في فرضيته ولزومه على مدرج الترقي في التشريع .. كما هو الشأن في كثير من الاحكام الشرعية .. فكان صيام رمضان اول ما بدأ على التخيير للمطيقين له .. المتحملين لصومه في يسر وخفة .. فكانوا بالخيار بين أمرين : إما صيام شهر رمضان .. واما الاطعام عن كل يوم مسكينا نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند اهل الكوفة وهم الحنفية .. أو مدا عند غيرهم ،

وذلك بقوله تعالى : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** أي الذين يستطيعون صوم رمضان من الأصحاء المقيمين **(فمن تطوع خيرا)** أي زاد على اطعام المسكين ، **(فهو خير له وأن تصوموا خير لكم)** من الفطر والاطعام ، **(ان كنتم تعلمون)** ما في الصوم من فوائد .. فكان من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم يفطره الدية السابق ذكرها .. (السيرة الحلبية جـ٢ : ١٥١) .. ثم أن الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** أي فمن وجد وعلم دخول الشهر فليصمه .. الا اذا كان لا يستطيع صيامه لكبر أو مرض ميئوس من شفائه فيجزيه الاطعام الآنف الذكر .. كما رخص فيه للمريض الذي يجهده المرض .. وللمسافر الذي يرهقه السفر « مسافة ٨٩ كيلومترا فأكثر » ولو لم يشق ذلك عليه أن يفطر على أن يقضي بدل الأيام التي أفطرها أياما أخر اذا زال عنه المرض والسفر ، وذلك بقوله تعالى مرة أخرى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** ويكون الصوم في حال احتماله مع السفر

والمرض خيرا من الفطر على كل حال هذا لون من التدرج في تشريع الصيام في رمضان في أول أمره بالتشريع .. وثمت لون آخر من هذا التدرج .. وهو : أن الناس الذين فرض عليهم صوم رمضان كانوا اذا دخل الليل يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب .. أو يدخل عليهم وقت العشاء الآخرة حتى وهم متيقظون ، فاذا ناموا .. أو دخل وقت العشاء عليهم حرم عليهم الأكل والشرب والاتيان الى الليلة القابلة .. ثم نسخ ذلك وأحل المفطرات كلها الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى : **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) ..** البقرة/١٨٧ الى أن قال جل شأنه : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** البقرة/١٨٧ وقد فهم بعض الصحابة من الآية الكريمة حقيقة الخيط فاتخذ لنفسه عقالا أسود وعقالا أبيض وجعل يتبينهما فلا يستطيع .. حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «« انك لعريض القفا » وهذا كناية عن ثقل فهمه وبين له أن ذلك يعني : بياض النهار وسواد الليل .. وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة .. فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه .. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة .. اني رجعت الى أهلي .. فوجدت رائحة طيبة .. فسولت لي نفسي .. فجامعت أهلي .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما كنت جديرا بذلك يا عمر » فقام رجال فاعترفوا بمثله .. فنزلت الآية الكريمة .. كما ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم .. فسأله صلى الله عليه وسلم فأخبره بأنه أهل زرع وحرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يستيقظ الا بعد الغروب .. فلم يتناول شيئا .. فأنزل الله هذه الآية الكريمة .. ولا مانع أن تنزل آية من القرآن الكريم لأكثر من سبب ، وأن تتوافق الأسباب على هدف واحد .. وفي النهاية استقرت شريعة الصيام في رمضان على وجوبه عينا على كل من شهد الشهر مقيما صحيحا بدون خيار ، وعلى الرخصة للمريض والمسافر وأمثالهم في العذر في افطاره مع القضاء في أيام أخر .. وعلى الاذن للكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه بالافطار مع الفدية عن كل يوم يفطر فيه ، ووضع حد لهذا التدرج في التشريع والذي استغرق مع تمهيده الخطوات الآتية :

١ ـ ان المشركين من قريش كانوا يصومون عاشوراء بمكة وقد صامه النبي صلى الله عليه وسلم معهم موافقة لهم على بعض عاداتهم الحسنة .

٢ ـ بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وافق اليهود

في صيامهم ليوم عاشوراء – وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب موافقتهم غالبا قبل فتح مكة .. كما كان يكره ذلك في كل أحوالهم بعد فتح مكة وقد صامه وقال : نحن أحق وأولى بموسى منكم لأن موسى أخوه في الدنيا والآخرة وقد أمر أصحابه حينئذ بصيامه وشدد في الأمر حتى صوم الصبيان وحتى أرسل رسله الى ما حول المدينة ليأمر بصيام عاشوراء سواء منهم من أصبح صائما بلا نية ، أو أصبح مفطرا تشبها بالصائمين ، الا أن هذا الأمر بصوم عاشوراء لم يتخذ صفة الوجوب – على أرجح الأقوال – واليه ذهب الشافعية ويؤيدهم حديث معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب الله عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر » رواه البخاري .

٣ – بعد فرضية صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة وفي شعبان منها اتخذ صيام عاشوراء صفة الاختيار .. فمن شاء صامه .. ومن شاء تركه .. وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك صيامه مما يفيد حكم الندب لصيامه على الأقل تشبها بصيام النبي صلى الله عليه وسلم له ، وزالت عنه صفة السنية المؤكدة .. وفي السنة التي توفى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حين واظب على صيام عاشوراء قالوا له يا رسول الله : (هذا يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : فاذا كان العام المقبل صمنا التاسع) وفي رواية : « لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع مع العاشر » رواه مسلم عن ابن عباس . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وافته منيته قبل أن يصوم التاسع ، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : « صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك ذلك » وكان عبد الله لا يصومه الا أن يوافق صومه » واذا أدركنا أن الصبيان ليسوا محلا لايجاب صوم عاشوراء ، عرفنا الى أي مدى يترجح قول من قال : ان صوم عاشوراء لم يتخذ صفة الوجوب لا قبل رمضان ولا بعده .. وأنه لم يفرض على الأمة الا صيام واحد في كل سنة مرة واحدة .. هو صيام شهر رمضان ، وان صوم عاشوراء تردد بين الاباحة والسنة المؤكدة والندب .

٤ – تدرج التشريع في صيام رمضان .. فبدأ أول ما بدأ على التخيير للمستطيع من المقيمين الأصحاء : إن شاءوا صاموه ، وإن شاءوا أفطروه وأخرجوا عن كل يوم يفطرونه الفدية المقررة .. ثم نسخ ذلك بالالزام العيني والغاء هذا التخيير .. كما بدأ أولا مع حل الفطر بعد الغروب ما لم يحدث نوم أو تدخل العشاء .. فان نام امرؤ أو أظله وقت العشاء حرم عليه الفطر .. ثم نسخ ذلك بحل المفطرات كلها من الليل حتى يطلع الفجر حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود .

القتل بين الشريعة

تمهيد :

القتل عند العرب قبل الاسلام :

كان العرب قبل ظهور الاسلام قبائل متناكرة متنافرة ، لا سلطان يجمعها ولا حاكم يقيم العدل بينها وانما كان العدل فيها والسلطان لصاحب الظفر والناب ، ولم تكن الحروب بينهم بسبب الثأر تقف عند حد ، حتى لتدوم معاركه الطاحنة بينهم أربعين عاما ، كما حدث بشأن حرب البسوس التي بدأت بقتل « جساس بن مرة » « لكليب بن وائل » لقتله ناقة كانت ترعى بين ابله للبسوس خالة جساس . ولم تقف مطالبة أهل الدم للثأر الى حد قتلها القاتل والتمثيل به ، وانما تجاوزته الى غيره من أفراد قبيلته الذين يناظرون المجني عليه في مكانته وكثيرا ما كان يسرف أصحاب الدم ولا يرون بديلا لشفاء غيظهم الا الامعان في القتل من قبيلة القاتل ، ولا ادل على نلك مما يروى ان شريفا قتل ، واجتمع أقارب القاتل لدى والد المقتول ليرضوه فخيرهم بين احدى ثلاث ، قالوا : وما هي ؟ فقال لهم : تحيون ولدي ، أو تملأون داري من نجوم السماء ، أو تدفعون لي قومكم

العمد والقانون

للمستشـــار/ علي عبـد الســلاه طنطاوي

حتى اقتلهم جميعا ثم لاأرى أني أخذت عوضا . الفخر الرازي ج ٢ ص ١٤٩

موقف الاسلام :

ولما جاء الاسلام بهدايته ورحمته لم يكن ليترك الناس وما هم عليه من سوء في هذا الامر ، فضلا عن أنه ما كان يحملهم ما لا يطيقون بمخالفتهم فطرتهم وطبيعتهم ، ذلك أن الغضب للدم وحب الانتقام له فطرة وطبيعة في كل انسان ، ومـن ثم فقـد قررت الشريعة الغراء القصاص ولكن من ذات الجاني دون سواه فلا مسئولية على غـيره : **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** الانعام/ ١٦٤ ، كما أنه قصد من القصاص حفظ النفـوس وضمانها ، لان من يعلم أنه لو قتل سيقتل فانه يتردد أكثر من مرة قبل أن يقدم على جريمته ، هذا بالاضافة الى أن في القصاص ما يشفي غليل أسرة القتيل ويستأصل شأفـة الشر من نفوسهم ويزيل حقد قلوبهم .. وصدق الله العظيم حين يقول : **(ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب)** البقرة/ ١٧٩

ومـع تقريـر الشريعـة الغـراء للقصاص في القتل ، الا أنها لم توجبه

بل خيرت بينه وبين العقوبة ، وهذا العفو يكون بالصلح أو بقبول أولياء الدم للدية بدلا من قتلهم للجاني ، وتركت الشريعة كلا الامرين لمحض اختيارهم . ان شاءوا القصاص اقتصوا ولا تثريب عليهم ، وان شاءوا العفو وقبول الدية فلا سلطان عليهم ، وحتى ان قبلوا الدية فانه يتعين عليهم طلبها بالمعروف والرضى والمودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديها باحسان واكمال تحقيقا لصفاء القلوب وشفاء الجراح والنفوس وتقوية لأواصر الود والمحبة بين الأحياء : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)** البقرة/١٧٨

القصاص في الاديان السماوية :

والقصاص هو شريعة الأديان السماوية كلها ، فقد ورد في التوراة في سفر الخروج الاصحاح الحادي والعشرين « من ضرب انسانا فمات يقتل ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فأنا أجعل له مكانا يهرب اليه ، واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تاخذه للموت ، ومن ضرب اباه او امه يقتل قتلا ، ومن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا ، ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا ، واذا تخاصم رجلان فضرب احدهما الآخر بحجر او بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش فان قام او تمشى خارجا على عكازه يكون الضرب بريئا الا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه .

واذا تخاصم رجلان وصدما امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل اذية يغرمان ، واذا حصلت أذية تعطي نفس بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح . « وقد ورد في الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر العدد ما يفيد بان ولي الدم له حق قتل القاتل . « ان القاتل يقتل .. ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه » .

هذا هو حكم التوراة وهو حكم الانجيل لعدم وجود نص به يخالف هذا الحكم ولا ينال من ذلك ما ورد بأنجيل متى « سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضا وذلك لان هذا القول المنسوب الى نبي الله عيسى عليه السلام هو وصية بالعفو وليس القصد منه سن نظام يترك فيه المعتدي يعربد وفق ما يريده . وقد جاءت تعاليم الاسلام بالقصاص وحضت على العفو . : **(فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)**

وهذه الآيات التى تحث على العفو لا تعني ترك المعتدي دون جزاء ، وهو الامر الذي ينطبق على قول سيدنا عيسى عليه السلام .

ادلة ثبوت القصاص

إن عقوبة القصاص ثابتة بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة . اما الكتاب فقوله عز وجل : **(يأيها الذين آمنوا**

كتب عليكم القصـــاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتبـــاع بالمعــروف وأداء اليـــه باحسان ذلك تخفيــف من ربــكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصـــاص حيـــاة يا أولى الألبـــاب لعلــكم تتقون) البقرة/ ١٧٨ و ١٧٩

وقولـه : **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنـــف بالأنـــف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـك هم الظالمون)** المائدة/ ٤٥

وهذه الآية الكريمة وان كانت تبين احكام شريعة التـــوراة الا ان هذه الاحكام لم تنسخ ومن ثم فالمسلمون يلتزمون بها فضلاً عن ان الآيات الواردة في سورة البقرة سالفة الذكر قد جاءت بالقصاص . اما ما ورد بشأنه في السنة فهو قوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل له قتيل فهو بخير النظيرين : اما ان يفتدي واما ان يقتل .. » رواه الترمذي ، وقوله « من اصيب بدم او خبل فهو بالخيار بين احد ثلاثة : اما ان يقتضي واما ان يؤخذ العقل واما ان يعفو . فان اراد رابعة فخذوا على يديه » رواه ابن ماجة والدارمي

تعريف القتل :

القتل العمد في الشريعة هو ازهاق الروح – روح الانسان عمدا – بفعل انسان آخر . فيشتـــرط اذا لقيـــام جريمة القتل ان تتوافر ثلاثة اركان :

اولا : الركن المادي : هو ارتكاب الجاني لفعل يحدث الوفاة .

ثانيا : الركن المعنوي : وهو ان يقصد الجاني من فعله هذا احداث الوفاة بالمجني عليه .

ثالثا : ان يكون موضع الاعتداء هو انسان حي .

ويقع الركن المادي بأي فعل سواء بالذبح او بالتغريق او بالالقاء الى حيوان مفترس او بالخنق او بالحرق او بالسم او بالضرب .

وجمهور الفقهاء لم يشترط آلـــة محددة في ارتكاب جريمة القتـــل . فعندهم أن كل ما من شأنه ازهاق الروح ، محددا أو غير محدد ، مباشرة او تسببا ، فهو محقـــق للجريمـــة وموجب للقصاص حتى كان بنيـــة ازهاق الروح . ولقد خالف أبو حنيفة الجمهور واشترط في القتل الموجب للقود ان يقع بآلة محددة تفرق الاجزاء وما يشبهها كالنار ، كانه لا ينتفي عنده الشك في تعمد القتل الا بوضع آلة الاعتداء وبأن تكون من حديد او ما يجري مجراه فهو يعتبر هذه الآلات قرينة على قصد العمد في القتل .

والقرآن والسنة لم يتعرضا لآلة القتل ، وتـــركا تحديدهـــا للعـــرف والظروف وملابسات الحادث ولتطور الزمان . فقد يتفتق عقل انسان عن اختراع آلة قاتلة غير التى كانـــت معروفة من قبل ، ولا خلاف بـــين الفقهاء في ان فعل القتل كما يقع بوسيلة مادية ، قد يقع بوسيلة معنوية كمن يطلق مقذوفا فوق رأس انسان

فيموت رعبا ، او من يصيح بانسان على ربوة فيسقط فزعا من صيحته فيؤدي سقوطه الى موته . وقد قال بعض الفقهاء من بينهم الامام مالك / بانه اذا تعمد الجاني الفعل ، فان فعله يعد قتلا عمدا ، والا عد قتلا خطأ اذا كان يقصد من فعله اللهو . ويرى البعض الآخر من بينهم ابو حنيفة أن الفعل يعد شبه عمد لان الوسيلة لا تقتل غالبا ، وفي كل الامور يجب ان تتوافر رابطة السببية بين الفعل والموت سواء كان الموت نتيجة مباشرة لفعل الجاني أو غير مباشرة ، وسواء كان السبب قريبا أم بعيدا ما دام الفعل سببا للنتيجة ، ومع هذا لا يسمح فقهاء الشريعة بتوالي الأسباب التى غير محددة ، بل يقيدون هذا التوالي بالعرف ، فما اعتبره العرف سببا في القتل فهو سبب له ولو كان سببا بعيدا ، وما لم يعتبره العرف سببا للقتل فهو ليس سببا له ولو كان قريبا .

القصد الجنائي :

يجب لدى جمهور الفقهاء ان يقع الفعل بقصد ازهاق روح المجني عليه ، فان تعمد الجاني الفعل بقصد العدوان المجرد دون قصد القتل ، فان فعله يكون قتلا شبه عمد . وقد خالفهم في ذلك الامام مالك اذ رأى ان قصد اتيان الفعل يكفي لقيام جريمة القتل العمد دون الحاجة لنية القتل . ذلك انه لا يرى القتل الا نوعين : قتل عمد ويتوافر بالفعل المزهق للروح والقصد العدواني . والقتل الخطأ ويتحقق اذا كان الجاني يقصد من فعله اللهو أو التاديب .

ونية القتل أمر نفسي يبطنه الجاني ، ولكن يمكن استظهارها عن طريق الآلة المستعملة في الحادث ومن أنها تؤدي الى الموت بطبيعتها ، ويمكن استظهارها ايضا من موضع الاصابات وكيفية احداثها وظروف ارتكاب الجريمة . وكل ذلك بالاضافة الى اعترافات المتهم ، فاذا اعترف المتهم اعترافا صريحا خاليا من أي عيب يشوبه ، فان اعترافه يكون دليلا على نية القتل عنده . وللمتهم ان يقيم الدليل على انه لم يكن يقصد القتل .

ان يكون القتيل آدميا حيا :

فمن يطلق النار على ميت يقصد قتله فليس بقاتل ، لان الفعل لم يقع على حي . كذلك الاعتداء على جنين في بطن امه . ومن يطلق النار على محتضر قاصدا قتله فيموت فهو قاتل . ولا يوهن من ذلك كون المجني عليه في حالة احتضار ، لأن فعل الجاني هو الذي ادى اليه ولا عبرة بشخصية المجني عليه فيتساوى ان يكون كبيرا او صغيرا رجلا كان ام امرأة ما دام معصوم الدم .

وجمهور الفقهاء قال ان اساس العصمة الاسلام والامان ، وخالف ابو حنيفة واعتد بعصمة الدار ومنعة الاسلام . فمن يقتل مسلما في دار الحرب فلا عقاب عليه لأنه لا يعد معصوما في رأيه خلافا لباقي الفقهاء الذين لم يعتدوا بوجوده في دار الحرب .

والمرتد والمحارب والقاتل والزاني غير معصومين وقتلهم لا يوجب

القود . ولكن قد يخضع الجاني لعقوبة تعزيرية ، وذلك لافتياته على حق السلطة العامة في توقيع العقاب .

حالة رضاء المجني عليه بالقتل :

لا خلاف بين الفقهاء في ان رضاء المجني عليه لا يبيح الجريمة لأن عصمة النفس لا تباح الا بنص شرعي ، ولكنهم اختلفوا في عقوبة القاتل فالبعض ومن بينهم الاحناف ورای في مذهب الشافعي قالوا : ان الاذن بالقتل يعد شبهة والحدود تدرأ بالشبهات ، ومن ثم فالعقوبة تكون الدية دون القود ، والراجح في المذهب المالكي ان الجاني ، يعاقب بالعقوبة المقررة للقتل العمد . أما الامام احمد فيرى وهو الراجح في مذهب الشافعية ألا عقاب على الجاني ، لان من حق المجني عليه العفو عن العقوبة وان الاذن بالقتل يساوي العفو عن العقوبة في القتل . التشريع الاسلامي ج ٢ ص ٨٥

عقوبة القتل العمد

أولا : القصاص

يرى جمهور الفقهاء انه اذا توافرت اركان الجريمة السابق سردها تعين القود عينا في القاتل ، اي القصاص بقتله شريطة ان يكون بالغا عاقلا مختارا ، وان لا يكون المقتول من فروع القاتل كالابن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقتل الوالد بالولد » ، رواه احمد والترمذي – وحكم الام هو ذات حكم الاب وكذلك الجد لاب او لام كما ، قالوا : بقتل الجماعة بالفرد لان القصاص مزجرة السفهاء فيجب تحقيقا لحكمة الاحياء . اللباب في شرح الكتاب ص ٢٨

واستدلوا في ذلك الى ما يروى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب : من قتله سبعة من اهل صنعاء ، ذلك ان امرأة صنعاء غاب عنها زوجها وترك لها ابنا له يسمى « اصيل » من زوجة اخرى فاتخذت لها في غياب زوجها خليلا وقالت له : ان هذا الغلام يفضحنا وامرته بقتله فامتثل لها بعد امتناع واشتركت واياه مع الآخرين في القتل ولما اكتشف الحادث واعترف الجناة ، كتب والي صنعاء الى عمر فامره بقتلهم قائلا : لو ان اهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم جميعا .

كما قالوا ان الامام علي بن ابي طالب قتل الحرورية طائفة من الخوارج نسبة الى حروراء بعبد الله ابن خباب فانه توقف عن قتلهم حتى يحدثوا حدثا او يرتكبوا جرما غير مجرد القول فلما ذبحوا عبد الله بن خباب وقالوا : كلنا قتلناه . فقال علي لاصحابه دونكم القول فما لبث ان قتلهم علي واصحابه .

ولا شك ان هذا عين المصلحة ودرء للشر والا لو علم الجماعة انهم اذا قتلوا الواحد ولم يقتلوا به لتعاون الاعداء على قتل اعدائهم بالاشتراك في قتلهم . تفسير القرطبي

استيفاء القصاص :

قال الاحناف ان لولي الدم حق الاستيفاء وبرهنوا على صحة رايهم بقوله عز وجل : **(فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان**

منصورا) الاسراء/٣٣

وقال جمهور الفقهاء ان استيفاء القود حق للحاكم دون سواه ، وليس لولي الدم الا ان يطالب بحقه ، يقول ابن فرحون في كتاب تبصرة الحكام ان كل ما يحتاج الى نظر وتحرير وبذل جهد في تحرير سببه ومقدار سببه لابد فيه من حكم الحاكم « ثم قال عند الحدود انها تفتقر الى حكم الحاكم وان كانت مقاديرها معلومة لان تفويضها يؤدي الى الفتن والشحناء والقتل وفساد الانفس والاموال وكذلك التعزيرات وكذلك ما جرى هذا المجرى كاستيفاء القصاص » ويقول القرطبي في تفسيره « لا خلاف في ان القصاص في القتل مفوض لأولى الامر اذ فرض عليهم النهوض بالقصاص واقامة الحدود وغير ذلك لان الله سبحانه وتعالى خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعا ان يجتمعوا على القصاص فاقاموا السلطان مقام انفسهم في اقامة القصاص وغيره من الحدود ، ولا يفوتنا ان ننوه ان الاقرب الى النفع العام والادنى الى الحق هو رأي جمهور الفقهاء ، وذلك لان السلطان المقصود بقول الله عز وجل : **(فقد جعلنا لوليه سلطانا)** انما يعني ـ والله اعلم بمراده ـ الحكم العادل وهو قتل القاتل فلا حاجة لتدخل ولي الدم ما دام هذا الحكم وضع موضع التنفيذ ، اما اذا تقاعس الحاكم عن تنفيذ الحكم واهمله تماما فلولي الدم حق التدخل لاستيفاء حقه بالقصاص . وجدير بالذكر ان اهمال الحاكم تطبيق بعض احكام الشريعة لا يعتبر اهمالا تاما منه في تنفيذ القصاص ، ومن ثم فان في هذه الايام التى نعيشها والتى اهمل فيها المسئولون تطبيق احكام الشريعة لا يجوز لولي الدم ان يقتص من القاتل بنفسه .

آلة التنفيذ في القصاص :

لم يحدد القرآن الكريم الآلة التى يجب استيفاء القصاص بها ، وازاء عدم تعيينها اختلف الفقهاء في شأنها وبكل الاسباب التى يستند اليها ، فقال جمهور الفقهاء ان لولي الدم ان يقتص من القاتل بمثل فعله أي بذات الآلة التى استعملها في ارتكاب جريمته وذلك في حالة شروعه في الفعل . اما اذا كانت الآلة غير مشروعة كمن يقتل آخر باسقائه خمرا فالراجح عندهم ان يكون القتل بجز الرقبة ، ولا يقتل به وبمثل فعله بالمجني عليه لعدم مشروعية الفعل في هذه الحالة ، وسند هذا الرأي : تحقيق المساواة والمماثلة بين الفعلين أخذا من قوله عز وجل : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** وقوله : **(فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)**

كما قالوا انه يمكن لولي الدم ان يقتص في مثل هذه الحالة بالسيف والامر متروك لاختياره . والرأي الثاني : هو لبعض الفقهاء أنه لا يقتص بغير السيف أخذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا قود الا بالسيف » رواه ابن ماجه ،

واشترطوا ان يكون السيف حادا او غير مسموم وذلك منعا من تعذيب الجاني والتمثيل به الذي لو تحقق تم استيفاء القصاص بمثل فعل الجاني وهذا التعذيب نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للحيوان « ان الله تعالى كتب الاحسان على كل شيء فان قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه احمد ـ واذا كان هذا شان الحيوان فاولى بذلك الانسان . اما الاستدلال بآية (**فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**) فانها نزلت بشأن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل في غزوة أحد ومثل المشركون بجثته قال النبي صلى الله عليه وسلم « لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم فنزلت هذه الآية » وعندئذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم « بل نصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة » سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٠١ و ١٠٢

ويرى بعض العلماء المعاصرون انه لعدم وجود دليل من الشرع يعين آلة محددة فانه يجوز استعمال أي آلة تؤدي الغرض المقصود . وقد أفتت لجنة الفتوى بالازهر الشريف بجواز استيفاء القصاص بالمقصلة والكرسي الكهربائي وغيرهما . التقرير في الشريعة الاسلامية هامش ٢٦٧ والاسلام عقيدة وشريعة ٣٨٣

ثانيا : الدية :

ثبتت الدية بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله عز وجل : (**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا**) النساء/٩٢ ، وقوله تعالى : (**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان**) فدل بهذه الآية على وجودها بدل الدم عند العفو واما ثبوتها بالسنة فهو ما يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من انه كتب الى اهل اليمن كتابا في الفرائض والسنن والديات ورد فيه « ان في النفس مائة من الابل » .

واما ثبوتها بالاجماع فان الفقهاء وفي كل الازمنة والامكنة اجمعوا على وجوبها في الجملة ، والدية في القتل العمد تجب على القاتل لا تتجاوز الا اذا كان القاتل صغيرا او مجنونا فان جمهور الائمة قال بتحمل العاقلة « أسرة القاتل » لها في هذه الحالة وخالف الشافعي الذي قال بوجوب الدية في مالها ، كما ان جمهور الفقهاء قال بعدم تأجيل الدية في القتل العمد ولكن الاحناف قالوا ان مرجع الامر الى تراضي الطرفين .

والشريعة الاسلامية عندما اوجبت الدية فانها وحدت قيمتها في كل حالة وقررت المساواة فيما بين جميع المسلمين ، خلافا لما كان عليه العربي في الجاهلية فلم تكن قيمتها موحدة عندهم ، بل كانت ترتفع وتتضاءل وفي مكانة المجني عليه بين قبيلته ، ووضع القبيلة بالنسبة لغيرها من القبائل ، والابل هي الاصل في تقدير

الدية عند بعض الفقهاء وقدرها مائة في دية المسلم وقالوا ان الذهب والفضة يقدر بها .

وقال البعض الآخر ان الابل والذهب والفضة كلها اصول معتبرة في تقدير الدية فبأي من هذه الأصول يمكن اداء الدية وقالوا : انه في الابل مائة وفي الذهب ألف دينار ومن الورق اثنى عشر الف درهم ويرى بعض العلماء المعاصرين ان الدية هي مائة من الابل لا تقل قيمتها عن الف دينار فأن قلت وجبت الألف دينار وان زادت وجبت الزيادة في قيمتها والالف دينار بالنقد المصري الآن ٤٦١٢.٥ جنيها على اساس سعر الذهب ، ولو قدرت على سعر الابل وهو الواجب فان قيمتها الآن تساوي سبعة آلاف جنيه . المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة بحث مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٢

ثالثا ـ التعزير :ـ

اذا امتنع القصاص عن القاتل او سقط عنه سواء سقطت الدية أم لم تسقط فان للحاكم وفق الرأي الراجح لدى الفقهاء أن يوقع على الجاني عقوبة تعزيرية يراها مناسبة لتأديبه وزجره وقد تكون اللوم او التوبيخ او الحبس وليس هناك ما يمنع من ان يصل التعزير الى حد القتل ما دامت ملابسات الواقعة تقتضيه .

رابعا : العقوبة التبعية للقتل :

بجانب العقوبة الاصلية لجريمة القتل العمد توجد عقوبتان تبعيتان هما الحرمان من الميراث والحرمان من الوصية . وقد ثبتت هاتان العقوبتان بالسنة فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس للقاتل من الميراث شيء » رواه البيهقي في السنن

القتل العمد في القانون الوضعي :

لم يعاقب القانون الوضعي المصري على القتل العمد بالاعدام الا في حالات على سبيل الحصر وهي :

اولا : اذا كان القتل قد وقع مع سبق الاصرار « المادة ٢٣١ عقوبات » ويتوافر سبق الاصرار اذا دبر الجاني امر ارتكاب جريمة في هدوء وروية عاقدا العزم عليها مقدرا خطورتها ناظرا الى عقوبتها .

ثانيا : اذا وقع القتل بقصد الترصد ويتحقق الترصد بانتظار الجاني للمجني عليه في المكان الذي يعلم انه يسير منه سواء طالت فترة الانتظار ام قصرت . (المادة ٢٣٢ عقوبات)

ثالثا : اذا وقع القتل بالسم « المادة ٢٣٣ عقوبات » ويتساوي في هذه الحالة دس السم في الطعام او في الشراب او بطريق الحقن .

رابعا : اقتراف القتل بجناية اخرى او ارتباطه بجنحة « المادة ٢٣٤ عقوبات » شريطة ان لا تكون الجريمتان ناشئتين عن فعل اجرامي واحد .

كما ان القانون عاقب الشريك في الجرائم السابقة بالاعدام او الاشغال الشاقة المؤبدة .

اما اذا وقع القتل العمد دون الظروف المشددة السابقة فان القانون يعاقب عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة .

هــذا من ناحيــة النصــوص القانونية ، اما من ناحية التطبيق العملي فقد جرى القضاء في الغالب الاعم على استعمال المادة ١٧ من قانون العقوبات ، وهذه المادة تجيز النزول بعقوبة الاعدام الى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة ، اذا رأت المحكمة اخذ الجاني بالرأفة .

وكثيرا ما تعلو صيحات بعض رجال الفقه والقانون الوضعي مطالبين بالغاء عقوبة الاعدام زاعمين انها عقوبة بربرية قاسية تتنافي مع ما أسموه بالمدنية والتقدم .

وكان اول المنادين بالغائها هو الفقيه الايطالي « سيزاردي يكاريا » ومن بين ما قالوه ايضا في نقده ان حياة الانسان مملوكة له ولا حق لغيره في سلبها ، كما قالوا بان قتل القاتل يفقد المجتمع نفسين فضلا عن ان الغاية من العقاب هي اصلاح الجاني ، وعقوبة الاعدام تفوت هذا الغرض كما انه يستحيل تصحيح خطأ القاضي بعد تنفيذ الحكم بالاعدام اذ لا سبيل لاعادة الحياة الى المحكوم عليه .

وقد فات هؤلاء ان حياة الانسان ليست ملكا خالصا له ، بل هي ملك لله الخالق الوهاب وهو الذي شرع عصمة النفس وحرم ازهاقها ، ولكنه في ذات الوقت سلب هذه العصمة ممن لا يستحقها والانسان الذي يعتدي على حق غيره في الحياة غير جدير بصيانة حقه فيها .

كما ان نفس الجاني التى يتباكون على اعدامها انما هي نفس شريرة من صالح المجتمع بترها . وفي الطب الحديث لا يتوانى الجراح من بتر العضو الفاسد اذا كان في بتره صلاح لباقي الجسد ، والقاتل بارتكابه جريمة القتل العمد انما يدل على انه يحمل بين جنبيه شرا وفسادا كبيرا .

ومن صالح الجماعة التخلص منه ، لا سيما وان في بقائه خطرا على حياة الآخرين اذ ان اهل القتيل لا يطيقون صبرا حتى يثأروا لدمه وقد يكون الثأر من احد اقارب القاتل اذا تعذر عليهم قتل الأخير .

وما زعمه هؤلاء المعارضون من ان الاعدام يفوت الغرض من الاصلاح فمردود ، لأن من يرتكب هذه الجريمة الشنعاء لن يجدي معه صلاح ولا تهذيب فضلا عن انه لو حكم عليه بعقوبة مقيدة للحرية فسيخرج من السجن شيخا فانيا لأن عقوبة القتل العمد تصل الى الاشغال الشاقة المؤبدة ٢٥ سنة .

أما القول بعدم استطاعة تدارك ما قد يقع فيه القضاء من خطأ وان كان لهذا القول بريق قد ياخذ بالالباب الا انه مردود بان هناك ضمانات كثيرة سواء من ناحية أدلة ثبوت الجريمة او الاجراءات ، وكلها كفيلة بان تحول بين القاضي والخطأ .

هذا فضلا عن ان مثل هذه العقوبات لا يحكم بها الا اذا اقتنع القضاء اشد الاقتناع بثبوت الجريمة . المسئولية الجنائية ، للدكتور محمد الخضراوي .

وعموما وكما يستحيل تصحيح

الخطأ في الاعدام يستحيل تصحيحه بالنسبة لعقوبة السجن التى قد تكون نفذت بأكملها أو نفذ بعضها .

ثم ان القول بهذه العقوبة او مجافاتها المدنية قول يجافي العقل والمنطق العادي للامور ولسنا ندري اي مدنية تلك التى يريدون في ظلها ترك القصاص ؟!

هل المدنية في نظرهم هي ترك قاتل النفس سافك الدم دون جزاء يناسب ما اقترفت يداه ؟!

هل المدنية ترك الآمنين الوادعين غرضا لكل هاجم وموضعا لمخالب كل معتد اثيم ؟!.. أليس الجزاء من جنس العمل ؟! ثم اذا كان في القصاص قسوة أليس الباعث عليه الزجر والتأديب ؟!.. ثم لمن تكون الرحمة أتكون لقاتل النفس سافك الدم .. أو تكون بأسرة القتيل واولاده الذين تركهم القاتل بجريمته يتقلبون على جمر اليتم ويلتحفون الضياع ؟!.. أتكون الرحمة بالمجرم القاتل أو بهؤلاء الذين تركهم الجاني حيارى لا يدرون اين المساق ؟!

هل يترك القاتل ليكون همزة وصل لسلسلة من الجرائم ، قد يروح ضحيتها عشرات الابرياء ؟ ويتيتم فيها مئات الاطفال وتفنى فيها النساء بين ملابس الحداد والنواح .

واني ارى من لا يرحم حياة غيره لا يستحق الرحمة لان الرحمة ليست حنانا دون عقل ولا رأفة تخل بأمن الناس ونظام المجتمع والعدل فيه وان المتتبع لاحصائيات الامن العام في مصر ليلحظ عدم جدوى العقوبة الوضعية في محاربة هذه الجريمة التى وصل عددها في سنة ١٩٢٣ الى ١٩٤١ جناية قتل (تقرير الأمن العام المنشور بمعرفة وزارة الداخلية) ، باعثها في الغالب الاعم ، الثأر . ذلك ان القانون عجز عن شفاء غيظ نفس اهل المجني عليه فكان طبيعيا ان يتولوا هم شفاء غيظ انفسهم .

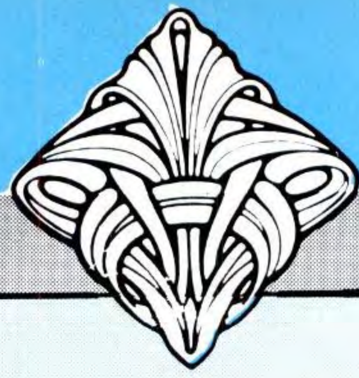
كما ان عقوبة السجن للقاتل وان صلحت للبلاد التى صدرتها لنا ، لترف اهلها وانغماسهم في النعيم ، فهي ليست كذلك عندنا فضلا عن ان السجون اثبتت افلاسها عن اصلاح المجرمين ، واصبحت معهدا عاليا لتخريج المجرمين المحترفين ، الذين يتلقون فيها فنون الجريمة واساليبها التى لا عهد لهم بها على ايدي غيرهم من عتاة المجرمين ، وان لنا لعبرة في البلاد التى الغت عقوبة الاعدام ثم عادت اليها بعد ان اكتشفت تفشي هذه الجريمة فيها .. ومن هذه الدول ايطاليا التى ألغتها سنة ١٨٩٨ واعادتها سنة ١٩٣٠ وكذلك الولايات المتحدة الامريكية التى عادت اليها بعد الغائها .

ولست ادري متى تعلم السلطة التشريعية في هذه البلاد ان شريعة الاسلام هي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أما آن لهم ان يعلموا ان هذه الشريعة لم يغض على الايام معينها ولم تتعطل على الزمن مواردها .! أما آن لهم ان يتدبروا قوله عز وجل : **(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا)** الاسراء/١٠٥

شهر العزيمة والجهاد

للاستاذ محمود محمد ابراهيم السيد

رمضان شهر عزيمة وجهاد ... رمضان شهر هداية ورشاد
قد أشرقت بحلوله آمالنا ... وتبسمت دنيا الربيع النادي
كم ذاتحن الى ضياه قلوبنا ... وتظل تهتف باسمه وتنادي
تصفو لدى استقباله أرواحنا ... نشوى بنور الفيض والامداد
فيه مغالبة النفوس وضبطها ... والصوم للانسان خير جهاد
فيه مراقبة الضمير وحفظه ... وطهارة للروح والأجساد
وتراحم في ظله وتقارب ... وتعاون في البر والارشاد
وتجاوب بين المشاعر في رضا ... وسماحة ومحبة ووداد
قد أنزل القرآن فيه هدى لنا ... ومبشرا بالخير والاسعاد
في ليلة منه تعاظم فضلها ... فاقت على الأزمان والآماد
للصائمين بها نسائم رحمة ... في موكب الأفراح والأعياد
أثنى عليها الله في آياته ... وبها فضائل جمة وأيادي
يسخو بها المولى ويفتح بابه ... للسالكين به وللرواد
والصوم قد شرع الاله زكاته ... قصدا إلى التقويم والاعداد
هي قربة لله وهي تراحم ... وعبادة الرحمن أفضل زاد
ولنا بذا الشهر الكريم مواقف ... قد خلدت بالفخر والامجاد
كتبت لنا فيها انتصارات على ... حملات أهل الشرك والالحاد
والله أيدنا وأظهر جنده ... بالنصر والتثبيت والامداد
يا معشر الاسلام هذا شهركم ... شهر فضيل مشرق الميلاد
شهر يربى في النفوس مبادئا ... هي في طريقكم منار هادي
شهر أهلت بالمنى أضواؤه ... بين الأنام فسيحة الأبعاد
فتفيأوا محرابه وتخيروا ... زادا ليوم البعث والميعاد
هو فرصة كبرى فمن يظفر بها ... يسعد وظل الله خير مراد
يا أمة الحق استعيدوا مجدكم ... بالعلم والتقوى والاسترشاد
وابنوا كما بنت الأوائل قبلكم ... بالجهد في غدكم والاستعداد
هيا أعيدوا في الورى تاريخكم ... روضا نضيرا زاهر الأعواد



الصوم

قضت حكمة الله ـ ابان الدعوة ـ الا تكلف المسلمين اكثر من الايمان بالشهادتين على مدى تسع سنوات من البعث ، حتى فرضت الصلاة ليلة الاسـراء والمعـراج ـ فلمـا مـرن المسلمون عليها ، وخالط حبها قلوبهم على مدى ست سنوات ـ فرض الله بعد ذلك الصوم في منتصف السنة الثانية من الهجرة ، وللعلم والتسرية اخبرهم الله في كتابه بأن الصوم فـريضة قديمة ـ قدم الشرائع السماوية وانها فرضت على الامم السابقة كما فرضت على امة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال جل شأنه (**يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الـذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/ ١٨٣ .

وقد اتخذ الصيام في الامم السابقة اشكالا وصورا مختلفة ، تتمثل تارة في الحرمان من مـواد غذائيـة معينة كاللحوم والاسماك والبيض والزبد والمسلي والاجبان كما هو الحال إلى اليوم في صيام النصارى نحو خمسين يوما ، ثم اباحة ما عدا ذلك من اطعمة ، وعدم التقيد في تناولها بكم أو وقت أو كيف ، ويتمثل الصوم تارة اخرى في صوم بضعة ايام يتدرج فيها الوقت من ربع اليوم الى نصف يوم الى يوم بعد يوم ، كما هو الحال في صيام اليهود حيث يصومون ايام ٥ و ٧ و ٨ و ٩ من اكتوبر ساعات محدودة ثم يصومون يوم ١٠ بليلته ، ويسمونه الصيـام الكبير او يـوم الغفران ، ويزعمون انه اليوم الذي كلم فيه موسى بالوادي المقدس طوى ، ويحكمون بالكفر على من يفطر في هذا اليوم ،

مِن مستلزمات الفطرة

للاستاذ/ عبد الحميد محمد المشهدي

ويتمثل الصوم تارة ثالثة في الامتناع عن الكلام والكف عن مزاولة العمل ، هذا ما رويت ترجمته عن صوم الأقدمين زاعمين أن الامتناع عن تناول أي طعمة أو تغيير المسيرة المألوفة لاي مجتمع - يورث كبتا لجموح النفس واذلالها ، وهي الثمرة المرجوة من تشريع الصوم كما يقولون - فلما اوحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم بصورة الصيام الاسلامية المتناسقة كما وكيفا وسلوكا ، وجاءت السنة المحمدية ففصلت ما أجمل ، وفسرت ما أبهم وفوقت ما اغفل - كان التشريع الجامع بين صوالح المسلمين دينا ودنيا .

وقد كان شهر رمضان وعاء الصوم - لفضله المتميز على بقية الشهور - ولنزول القرآن فيه ، والقرآن هدى للناس ومرجعهم ودستورهم في شؤون دنياهم ودينهم قال سبحانه (**شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن**) البقرة/ ١٨٥ واذا كان العالم شرقه وغربه - يحتفل في المناسبات بذكريات الزعماء والمصلحين والقادة والمفكرين والادباء والفنانين والمخترعين والمكتشفين - أفلا يجدر بنا - نحن المسلمين ان نحتفل بالشهر الذي انزل فيه الينبوع الحضاري المتجدد .

ورسالة الهداية الخالدة للبشر وهو القرآن الكريم وحسبه قدرا ووصفا ، قول الله سبحانه فيه (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**

ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة/ ١٥ ، ١٦ وكذلك قوله جل ثناؤه **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)** الانفال/ ٢٤ وفي كلمة ـ لما يحييكم من المعاني العلمية والفنية والادبية ـ ما لا يتسع المقام لشرحه ويكفي للاشارة الى ذلك ان اول اية نزلت من القرآن على رسوله ـ كانت دعوة للتوحيد مقرونة بدعوة التعليم والارتواء من منهل العلم ، قال سبحانه **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** القلم/ ١ ـ ٥ وللعلم دوره العظيم في حياة الاسلام واهله وازدهار دعوته ، والالما دعا الله اليه في عدد كبير من الآيات القرآنية ، ولما دعا الرسول العظيم اليه في عدد لا يحصى من الاحاديث النبوية ، ولما افسح له الرسول في مسجده ركنا خاصا للتعليم والعلم ، بسط عليه عنايته وظلله برعايته فكان المنار الاول الذي أشرقت من اشعاعه تعاليم الاسلام على ربوع العالم ، وانقذت البشرية من ظلام التخلف والجهل في القرون الوسطى والى يوم القيامة وقدمت لعصر النهضة الاوروبية مشاعل طلائعها الاولى .

لهذا كان احتفال المسلمين على مر القرون عارما متجددا ـ بشهر القرآن شهر ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ، شهر الصوم المفروض ، شهر البر بالفقراء شهر زكاة الفطر ، شهر الصمدانية والتشبه بالملائكة الابرار شهر العتق من النار شهر المران على الصبر والحرمان ، شهر الحصانة من همزات الشيطان ، شهر الشكر على نزول القرآن ، شهر الانتصار على الهوى والنفس والشيطان ، شهر تفتح فيه ابواب الجنة ، وتغلق فيه ابواب النار ، واذا كان لشهر رمضان من الافضال والميزات ما تقدم فان رمضان ظل على مدى القرون ميدانا يفيض بامجاد الاسلام والمسلمين وترفرف في ساحته أعلام النصر فوق الرؤوس المتوجة بأكاليل الغار .

ففي شهر رمضان تقرر مصير الاسلام في بدر ، ورست قواعده فوق أرض صلبة وانتصرت فيه القلة المؤمنة الصابرة على الكثرة الكافرة من المشركين تفوقهم عددا وعدة وثراء **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)** البقرة/ ٢٤٩ وفي شهر رمضان فتح الله ابواب مكة امام رسوله وطهر المسجد والبيت الحرام من الالهة المعبودة التي لم تستطع ان تدفع عن نفسها وقع المعاول حولتها ركاما وجذاذا ، والقى بها في مطارح القمامة والغائط .. وفي شهر رمضان تحدى رسول الله جيوش الروم في (تبوك) فهزموا بسلاح الرعب وولوا مدبرين .. وفي شهر رمضان هزم المسلمون تحالف الفرس والروم على شاطىء الفرات في السنة الثانية عشرة من الهجرة .. وفي شهر رمضان فتح الله بلاد الاندلس على يد القائد العربي العظيم طارق بن زياد وعاشت

هذه البلاد ثمانية قرون في ظل القرآن وتحت رايته ومن مشكاته كانت النهضة الاوروبية الحديثة .. وفي شهر رمضان انتصر المعتمد بن عباد القائد العربي الفز على جيوش الفونس السادس ملك قشتاله والكونت ريمون وشانسيوم ملك إراجون في معركة الزلاقة يوم العروبة .. وفي شهر رمضان انتصر السلطان محمد بن قلاوون على جيوش التتار بقيادة غازان في معركة برج الصفر ، وعاد الى مقر ملكه برؤوس القتلى معلقة في أعناق الاسرى من المجوس يكسو وجوههم غبار الخزي والهزيمة والعار .. فهل يمكن بعد هذا الاستعراض السريع ان يمر بنا هذا الشهر دون ان نحتفل به ، ونترجم هذا الاحتفال الى دراسة وتلاوة وتعبد وبر وصدقة وتعاطف وتعاون وتجلد وعصمة من كل ما حرم وكره . حتى نظفر بثوابه كاملا ، ونفوز بجزائه وفاقا ويلتقي المسلمون جميعا على مائدة الرحمن في يوم العيد وأفرين مكبرين مهللين متآخين مهنئين لا تثقلهم المسؤوليات ولا تضنيهم أعباء الحياة .

واذا كان لا بد من الاحتفاء أو الاحتفال بشهر رمضان فلتعلم ان رؤية هلاله - هي شارة البدء والاستعداد للهجرة من الحياة العادية الى حياة منظمة لها قيم ومبادىء وآداب وسلوك وحواجز وحدود ، يبتدىء الصوم بها يوميا وينتهي في اطار الآية الكريمة **(كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل)** البقرة/ ١٨٧ .

وقد كانت رؤية الهلال هي مؤشر البدء والاستعداد للصوم - ليستوي في ذلك سكان البوادي والحضر والمسافرون على أجنحة الهواء وفوق اعناق الماء والضاربون في الفيافي والصحراء ، استجابة لقوله سبحانه **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/ ١٨٥ . واطاعة لقوله صلوات الله وسلامه عليه (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) رواه البخاري ويجوز للبلاد الاسلامية المجاورة التي لم تر الهلال ، ان تقتدي بالبلاد التي ثبتت عندها رؤيته متى كان موقعها يجعلها تشترك معها في ليل واحد او جزء من الليل وحددوا ذلك بالمنطقة التي تقع بين بلاد المغرب وجزر الفلبين وقد اجمع علماء الفلك على انه حينما يكون الوقت مغربا في المملكة المغربية يكون قد بقي على الفجر في الفلبين نحو ساعة وثلث وهي مدة كافية لتناول السحور وتبييت النية حين يعلم المسلمون في هذه الجزر بظهور هلال رمضان بطريقة ما وما اسرع وسائل المعرفة من الالكترونيات والتكنولوجيا .

وللصوم ركنان : - الامساك والنية في كل ليلة قبل الفجر ، عند الامام الشافعي وتجوز نية الصوم عن رمضان كله مرة واحدة تلافيا من نسيانها خلال الشهر ولقدر الصوم وعظمته اقسم الرسول بشأنه فقال صلوات الله وسلامه عليه (والذي نفسي بيده - لخلوف فم الصائم اطيب

عند الله تعالى من ريح المسك) رواه مسلم . كما ان الله يباهي ملائكته بصمدانية الصائمين واستسلامهم لطاعة الله وعظمته فيقول في الحديث القدسي **(انظروا يا ملائكتي الى عبادي يذرون شهوتهم وطعامهم لأجلي ، فالصوم لي وانا اجزي به)** وفي تفسير لقوله سبحانه **(كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية)** الحاقة/ ٢٤ يقول وكيع : هو خطاب من الله للصائمين في الجنة ـ ومن تفسير لقوله جلت عظمته : **(فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)** السجدة/ ١٧ يقول كان عملهم الصوم .

والصوم في جملته امساك وكف عن تناول المفطرات مهما دق حجمها وصغر وحائل دون وصولها الى الجوف اختيارا عن طريق طبيعي كالفم والاذن والانف ، ومن بين هذه المفطرات التدخين تناولا بالفم ، أو سعوطا في الانف ، وضخ الحقنة الشرجية ، اما ضخ الدواء بالابرة تحت الجلد أو في العضل فهو غير مفطر بخلاف ضخها في الاوردة أو الشرايين فانه مفطر ، وكذلك التقطير في الانف والاذن واستنشاق ادوية الزكام والذبحة الصدرية والربو فانه مفطر وكذلك ابتلاع ما يتساقط من فضلات الطعام من بين الاضراس أو الاسنان وابتلاع القيء والنخامة والبلغم مع امكان قذفه خارج الفم ، فانه مفطر ، وكذلك الجماع أو الاستمناء خلال ساعات الصوم فانه مفطر وكذلك الرده قولا أو عملا ومنها سب الدين وازدراء مقدساته وانكار ما علم منه بالضرورة والجنون والاغماء فانه مفطر .

ولا صحة لما شاع بين بعض الناس من ان الاكتحال والتقطير في العين ودهان الشعر والحجامه والفصد وابتلاع الريق والابتراد بالماء صيفا وتذوق الطعام ومجه ووصول الغبار والدقيق الى الجوف في غير عمد .. نعم لا صحة لما يقال عن هذا بانه مفطر .

ومن المعلوم سلفا ان الصوم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل مقيم سليم ومنكر وجوبه كافر باجماع المسلمين على ان تكون المرأة خالية من الحيض والنفاس والا تكون حاملا او مرضعا ولو بالاجر وتخشى على نفسها ما يضر بها ، وذلك لأن وطأة الصوم مجهدة مضنية ونزول الدم يزيدها بهرا واجهادا وضغط الحمل وادرار اللبن يعرضها للبهر والوهن والله أرأف وأرحم من أن يكلف هذا المخلوق الضعيف بما يصل به الى حالة الانهاك والوهن ، وقد يسبب لها ذلك مضاعفات صحية تصل بها الى شفا الاصابة بمرض خبيث ـ فاذا تحاملت الحائض والنفساء على نفسها وصامت بطل صومها وباءت بالوزر المذكور وحرمت كذلك من ثواب الصوم لقوله صلوات الله وسلامه عليه : (رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) رواه الترمذى ولا يجب الصوم على الصبي الذي لم تدركه علامات البلوغ ويجوز الصوم له للتعود والمران عليه ، وقد كان أصحاب الرسول عليه

الصلاة والسلام يدربون اولادهم الصغار على الصوم ويعللونهم عند الجوع بالدمى المصنوعة من الصوف حتى يهل وقت الافطار كما روت الربيع بنت معوذ فيما رواه البخاري ومسلم : (كنا نصوم صبياننا الصغار ونذهب الى المساجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فاذا بكى احدهم للطعام اعطيناه اياها حتى يكون عند الافطار) .

هذا ولا صوم على مريض لا يرجى برؤه كالمسلول والمعود والمسلول والمسروط وعليه الفدية والقضاء ان امكن ذلك اما من افطر لمرض يرجى شفاؤه فعليه الفدية والقضاء ويباح للمسافر سفر قصر مساحته (٨١) كيلو ان يفطر فاذا قدر على الصوم قبل منه خلافا للامام احمد وكذلك يباح الفطر للشيخ الطاعن في السن وعليه ان يطعم كل يوم مسكينا وجبتين كاملتين من اوسط ما يؤكل عادة وكذلك يباح الفطر لمن يزاولون عملا شاقا في مجال الزراعة او الصناعة او الكراء على ان يكون عمله مورد رزقه الوحيد وعليه القضاء اذا اتيحت له فرصة الصوم .

هذا وقد شرع الصوم نهارا لا ليلا لتتضاعف المشقة عند الكفاح في مجال الرزق والمعاناة من الحرمان بالصوم وكلما ثقلت اعباء المشقة تضاعف الاجر وعظم الثواب بالاضافة الى ان الصيام نهارا يجدد الاحساس بالجوع ومرارة الجوع توقظ المقتدرين من غفوتهم وتنبههم الى واجبهم الاسلامي والانساني نحو المعوزين والمحرومين فيتحقق الود ويتوثق التعاطف بين طبقات المسلمين ، وفي معنى الاثر : (أطفئوا نار الحسد ولو بشق تمرة فان كل ذي نعمة محسود) .

على ان تجسيد الاحساس بالجوع - من ناحية أخرى يشعر الصائم بقيمة النعمة عند انقطاعها بالصوم فيتدارك ما فاته من وسائل الشكر عليها والثناء على الله للاستزادة منها قال سبحانه : (**لئن شكرتم لازيدنكم**) ابراهيم /٧ وقوله جل ثناؤه (**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم**) الحديد/ ١١ ولاهمية الصوم وقدره وعظيم أثره ، وتلافيا مما عساه يحدث فيه أو يدس عليه ظرفا ومطلعا ومطعما وحكما وعددا وتأويلا ومناخا - نعم لاهمية كل ذلك - حدد - الشارع أيام الصوم وساعاته ودقائقه من رمضان ، ولم يتركه نهبا للأهواء الرياسية ، أو في متناول السلطات الدينية أو الظروف المناخية ، كما حدث مثل ذلك بين الأقدمين الذين : (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**) التوبة/ ٣١ اما تحديد الشهر - فثابت بقوله سبحانه : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) البقرة/ ١٨٥ وهذا أمر والامر للوجوب ورؤية هلال الشهر مؤشر الهي لبدء الصوم والاستعداد له ، أما عدد أيامه فمحصور بين مطلع الهلالين : هلال رمضان وهلال

شوال ، حيث يقول الرسول العظيم : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » فما يقع من عدد الايام بين الهلالين فهو شهر رمضان قل عددها عن ثلاثين يوما أو زاد ، وما يقع من ساعات الصوم من قبيل الفجر الى غروب الشمس ، فهي ساعات الصوم اليومية ، قال جل شأنه : (**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**) البقرة / ١٨٧ اي بعد الغروب ، ومن هنا ولشدة حرص المسلمون على تحقيق ساعات الصوم وتحديدها لم يعتمد المسلمون في انحاء العالم منذ فجر الاسلام الى اليوم والغد ـ على القواعد الفلكية والعمليات الحسابية في معرفة وتحديد أول أيام الصوم وآخرها ، رغم تقدم علم الفلك وأجهزته ومراصده وتفوق علم التكنولوجيا ، وسحر الالكترونيات الحديثة ، وسيظل اعتمادهم على تعاليم المعلم العظيم في حديثه الشريف : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » رواه البخاري .

ولعل من أسباب هذا التحديد الواضح في عدد ايام وساعات الصوم ـ ما رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما ونقله الزمخشري في تفسيره ـ من أن النصارى صادفهم رمضان صيفا ، فقرر رهبانهم الصيام في فصل معتدل الطقس ، وارتضوا ان يكون فصل الربيع وتكفيرا عن هذا التعبير زادوا في صيامهم عشرة أيام ، ثم مرض راهب كبير فنذر اذا شفي ان يزيد أيام الصوم سبعة فشفي ووفى بنذره ، ثم نجا أحد ملوكهم من خطر احاط به فنذر ان يزيد أيام الصوم ثلاثة اذا نجا ، فكان له ما أراد وما نذر فكان عدد أيام الصوم خمسين .. وكذلك فعل اليهود ، فقد نقلوا صيامهم الى فصل الخريف ، وأكدوا على صيام أيام ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، من اكتوبر ، ويصومون أربعا وعشرين ساعة في اليوم العاشر منه ويسمونه الصوم الكبير أو يوم الغفران ويزعمون انه اليوم الذي كلم الله فيه موسى فوق جبال سينا ، والى هذا التعبير تشير الآية الكريمة : (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله**) التوبة / ٣١ يمنحون أنفسهم حق التبديل والتغيير والزيادة والنقص .. ولعل تكريه الشارع لصيام يوم الشك ، وتحريم الصوم في يوم العيد الأصغر أو ألاكبر ـ من أسباب عناية القرآن بتحديد ايام الصوم وساعاته ، حتى تأتي مطابقة لارادة الله في صوم شهر رمضان متى هل هلاله في أي فصل من فصول العام .

وقد أسند الله جزاء الصوم وثوابه .. الى كرمه العظيم في حديثه القدسي : ـ « الصوم لي وأنا أجزي به » ذلك لأن الصوم ترك وكف لا عمل فيه ، وعبادة باطنية قوامها الصبر المجرد ، ولأنه سر بين العبد وخالقه ، بينما جميع الطاعات الأخرى بمشهد من الناس ، ومرأى من الجميع ، وفي القيام بالصوم كبح لنشاط الشيطان ، وحد من نوازعه واغراءاته ، وبهذا

استحق الصائم ثوابه بغير حساب ولا يستحق مثل هذا الثواب الا من استكمل لصيامه كل أركانه وشروطه وآدابه ، لأن الكف عن الطعام والشراب فقط ، لا يعتبر صوما كاملا ، والجامع بين الصيام والغيبة لا يعتبر صومه كاملا والجامع بين الصيام والكذب والغش وقول الزور والنظرة المحرمة واليمين الفاحشة لا يعتبر صومه كاملا ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « من لم يدع قول الزور والعمل به ـ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري فالصوم الكامل هو الذي جمع بين الكف عن المفطرات والكف عن المحرمات والمكروهات ، والا كان الصوم مهزلة حين يجمع الصائم بين العبادة واقتراف المعاصي وفي هذا يقول الرسول الكريم « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » رواه ابن ماجه .

هذا وكل ما فرض الله على عباده المسلمين ومن بينها الصوم ، فرض لصوالحهم دينا ودنيا ، ولا أريد أن استعرض الحكم المتعددة من فرضية كل ما فرض الله فليس هذا ميدانه ولا مقامه ، وحسبي من ذلك ما ترتب على فرضية الصوم من بعض نواحيه وأسراره التي تعود فائدتها على الصائمين وحدهم قبل كل شيء ، فلن ينال الله من عباده العابدين شيئا ، ولن يضره من عصيانهم شيئا وهكذا يقول الله في كتابه :

(وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) ابراهيم/٨ كما قال الله في حكمة القربى اليه باراقة دماء الهدى في الحج : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** الحج/٣٧ وهكذا لم تكن فرضية الصوم تعذيبا للصائمين ولا اعناتا بهم بل هي لصوالحهم مادة وروحا ، وأولها : الحكمة الصحية ، حيث تؤدي قلة الطعام ، ودوام الحرمان من قبيل الفجر الى ما بعد الغروب ـ الى تجفيف المعدة وتطهيرها من الرواسب المتخلفة من الاطعمة والاشربة زهاء أحد عشر شهرا من كل عام ، شأن الانسان في هذا ، شأن الارض الزراعية التي تملك المصارف التي تخلصها من بقايا الماء بعد استيفاء حاجتها منه ، فتجف وتشبع من الهواء وحرارة الشمس ، فتأتي أكلها كل حين ، وتجود بأوفر المحاصيل والثمرات ، والا غرقت في الماء الآسن وتحولت تربتها الى مستنقع وأملاح تأتي على البذور والنبات في طفولته ، والمعدة بيت الداء اذا احتشدت بالطعام ، أو القي به اليها بغير مواقيت أو نظام ، وهي رأس الدواء اذا قلت وجباتها ونظمت أوقاتها ، وهو ما يسمى بالحمية أي الصوم والتجويع ، وكثرة الطعام تذهب باليقظة والصحو وقوة الملاحظة وتخمد وقدة الزكاء والفطنة ، وتصيب الرأس بالاسترخاء والثقل .

أما حكمة الصوم من الناحية الاجتماعية ـ فيتلخص في أن الصوم المتكامل ـ من شأنه أن يقلل من تدفق الدم ويقلل من سرعته في الاوردة

والشرايين ، وقلة الدم يحفظ على الشاب اعتدال حيويته ، وتهدئة اعصابه ، ويبعده عن التفكير في المعاصي ، لأن كثرة الطعام تكثر الدم ، وكثرة الدم تدعو الى آثارة الاعصاب ، واثارة الاعصاب مجلبة للفساد ومدعاة للمعاصي .

أما حكمة الصوم من الناحية التربوية فانه يورث الاناة والصبر على الآلام والحرمان . وفي الصبر دواء لعلاج الكثير من مشاكل الحياة ، فنجاح التاجر والمزارع والصانع والطبيب والمعلم والطالب والمحارب والمربي ـ مرهونة بمقدار صبره واناته وقوة احتمالاته ، فالتاجر الناجح هو الذي يصبر على استرضاء العميل ولجاجته ويختار له البضاعة الجيدة بالثمن المعتدل ، والمزارع الناجح هو الذي يصبر على خدمة الارض ويتعهدها بالحرث والسقي والنقاء ، والصانع الناجح هو الذي يصبر على اختيار الخامات وجودة الحياكات والعامل الناجح هو الذي يصبر على تجويد ما بيده ، ويوفي بما يتعهد به ، والمربي الناجح هو الذي يصبر على لأواء التدريس ويسوس تلاميذه بالاناة والجندي الصابر هو الذي يفوز ويستأهل غار الفخار ، كل هذا النجاح مرهون بالصبر ، والصبر وليد الصوم ، وأخيرا فان الصوم وليد الاحتمال والاناة ، والصبر عصمة من الحدة والانفعال ، وهو الصمام من الغضب والاندفاع ، قال صلوات الله عليه : « انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل « يندفع » واذا امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم اني صائم » رواه الترمذي .. وقد قسم الامام ابو حامد الغزالي ـ الصوم الى ثلاثة اقسام ، صوم العموم بمعنى الامساك عن كل ما يصل الى الجوف عمدا اثناء الصوم عن طريق الفم والانف والشرج ، كالاكل والشرب والسعوط والادوية ومثل هذا ضخ الادوية في الاوردة او الشرايين وكذلك الجماع والاستمناء في ساعات الصوم .

القسم الثاني صوم الخصوص ـ وهو فوق ما تقدم ـ كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن المعاصي والآثام ويؤيدون مذهبهم بما رواه عن جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خمس يفطرن الصائم ـ الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) رواه مسلم .

القسم الثالث ـ صيام خصوص الخصوص وهو صوم القلوب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية والانصراف عن كل ما سوى الله عز وجل فاذا انصرف الصائم ـ عند اصحاب هذا المذهب ـ الى ما سواه جل شأنه كان مفطرا وقالوا : ان من تتحرك همته في نهار رمضان لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة لقلة وثوقه بفضل الله وافتقار الى اليقين برزقه الموعود .

ولست من انصار هذا الغلو في العبادة ولا من الداعين الى صيام القلوب القائلين بان التوجه بالقصد والرجاء لغير الله ـ افطار ، وصرف

الهمة لغير العبادة افطار ، والتغاضي عن اقامة الحدود افطار ، والاهمال في المصالح العامة افطار ، لان هذه اثام ولكل أثم حدوده وعقوبته والاسلام عبادة وعمل ، الاسلام مسجد ومصنع ، الاسلام مصحف وسيف ، الاسلام علم وعمل ولا بد من خلال العمل ان تحدث اخطاء وان تظهر فجوات وللاخطاء والفجوات دواؤها من التوبة والانابة والتنصل من الذنب والرجوع الى الله . وعندي ان الصوم من مستلزمات الفطرة في الانسان والحيوان والطيور وبعض الاشجار والحشرات والزواحف والبرمائيات فالابل تصوم عن الطعام فترة في كل عام وبعض الطيور الجارحة تقبع في اوكارها وتصوم ، وكذلك تصوم الحيوانات البرمائية والضفادع والزواحف في فترة البيات الشتوي والطيور المهاجرة في فترة الانتقال بحثا عن مواطن الدفء والخضرة وتصوم الاسماك عند الانتقال الموسمي الى مواطن اللقاح وتصوم الاشجار عن غذائها الارضي فتذبل اوراقها وتتساقط ثم تعود سيرتها الاولى فتورق من جديد .. الى غير ذلك مما لا يعلم انواعه وعدده الا الله .

فالصوم اذن ليس ضريبة مفروضة على هذه الكائنات ولهذا كانت شرعة الصوم قديمة قدم الخليقة ثم تجلت حاجة الانسان اليه منذ نشأته وصاحبته على مر العصور رياضة وطبا وعبادة ، حتى وافت شريعة الاسلام بخيراتها وظلالها ، وكان الصوم ركيزة بين اركانها . صوم قوامه الاعتدال والوسط وثمرته معالجة النفس والجسد وريادة الاعصاب ، وسره المران على الصبر والتدريب على مرارة الحرمان وتحسين الصلة بالله ثم بالناس والشعور بالواجب والاحساس بالمسؤولية نحو الاخرين والاسهام في مجالات الخير المختلفة والتجاوب مع مشاعر المعوزين والمحتاجين والتطبيع على فضيلة النظام فيما نزاوله من أعمال وتقسيم الوقت بين الاخلاص في العمل الجاد والعبادة الضارعة حتى يمكن الانتفاع بكل ما منحنا الله به من نعمة الوقت وخير الزمن ، وللنظام اثره الكبير في دفع عجلة التقدم والحضارة وتوفير الانتاج والخير للانسانية في كل مكان . ثم تعود تقاليد الصوم لتطوف باذهاننا وخيالنا حول موائد الافطار في دنيا المسلمين في وقت واحد وشعور واحد وايمان واحد فنذكر بذلك امجاد الاسلام وكثافة تعداده وقوة مواقفه ومنابع ثرواته وما يمكن ان يقوم به لارساء قواعد وتمكين بنيانه ومدى اسهامه في ركب التقدم والحضارة ويقدمه لخير الانسانية في كل اتجاه متى اتحدت صفوفهم وتضامنت ارادتهم وتعاونت قواهم وصفت نواياهم فانجز الله لهم وعده وورثهم أرضه واستخلفهم فيها كما قال ذلك في كتابه : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا**) سورة النور/ ٥٥ .

صَوْمٌ

تكمن الحكمة العليا للصيام في قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/ ١٨٣ .

فالتقوى هي الهدف من الصيام كما هي الهدف من مختلف الشعائر التي كلفها الله المؤمن وتعبده بها . ولا يخفى أن التقوى هي جماع الفضائل وأساس الكمالات وقمة المثل العليا في الحياة .

لقد تعبدنا الله بالعبادات ليهذب من ضراوة نفوسنا ويرفع من قدرنا حتى نستحق بذلك مقام الخلافة التي من الله بها علينا منذ القدم حين خاطب ملائكته في عليائه : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**) البقرة/ ٣٠ .

ولا يكون الانسان خليفة إلا إذا تخلق بأخلاق الله . بأن يصبح ربانيا . يسمو ببشريته عن أدران الأرض ويرتفع بروحانيته الى آفاق السماء . ويجول بفكره في ملكوت الله فيرتد اليه بغرائب الفكر ودقائق العبر ، هو مع الناس كأحدهم ولكنه مع الله بوجدانه ومشاعره ، ووسيلته

العارفين

للأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

في ذلك .. التقوى التي أمر الله بها عباده في مختلف الظروف والمناسبات ، ودعاهم الى أن يتخذوا منها شعارا ودثارا ، والصوم وسيلة كبرى من وسائل تحقيق هذه التقوى التي أمر الله بها .

ولئن كانت الصلاة تربط بين الانسان وربه عن طريق المناجاة والتحميد والتسبيح والتكبير والتلاوة والركوع والسجود ، فان الصوم يربط بينه وبين ربه عن طريق الا مساك عن الشهوات المختلفة وما يلازم ذلك من آداب وضعها الشارع الحكيم للصوم ، ولا يتحقق مفهومه على وجهه الصحيح الا بها ، بل لا يتحقق الهدف منه الا بمراعاتها ، يبين ذلك الحديث الشريف الذي يرويه صاحب رياض الصالحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه ، وهذا لفظ رواية

البخاري .

ومعنى الجنة الوقاية ، فالصوم وقاية للصائم من شتى الأدواء الحسية والمعنوية ففيه وقاية لصحته من الأمراض التي يسببها الافراط في الطعام والشراب ، وفيه وقاية لروحه من دنس الشهوات التي تنشأ عن امتلاء المعدة وما يترتب على ذلك من التراخي في الطاعة والتداعي الى المعصية ، وفيه وقاية لعقله من وخم الغفلة المترتب على الشبع المفرط فلا تتفتح أمامه مغاليق الحكمة وأبواب الفكرة ، وفيه وقاية لمجتمعه من أمراض الشح والبخل والأثرة ، فلا يحس بألم الجائع الا الجائع ، إن هذا الحديث الشريف من جوامع كلم المصطفى صلى الله عليه وسلم وفيه من المعاني النبيلة ما يجل عن الحصر ، وفيه آداب عليا تهدف الى سعادة الانسان في الدنيا والآخرة .

من آداب الصوم وآثاره :

كما أن في هذا الحديث الشريف إشارة الى آداب الصوم المتمثلة في تجنب الرفث ، من كلام فاحش وبذاء وما الى ذلك من كذب وغش وخداع ونميمة وغيبة ، وغيرها من فلتات اللسان ، وفي تجنب الصخب وهو كثرة اللغط ورفع الصوت ، والضوضاء والتباهي بالباطل والجدال وغير ذلك مما يؤدي الى إحباط الأعمال وفي التسامح وترك المراء ، وفي التجاء الصائم الى الله ، ممن يجره الى ذلك ... فان استمر الصوم بهذه الآداب العليا أثمر ذلك نورا في داخل القلب وتهذيبا في الوجدان وحكمة تفيض على اللسان ، ولعل في ذلك سببا لاضافة الصوم الى الله حيث يقول في مطلع الحديث السابق .. « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ... »

فهم بعض المتذوقين ذلك فقال : أضاف الله الصوم الى نفسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية ولأنه من أعمال السر التي لا يطلع عليها أحد الا الله تعالى .

شهوة البطن أساس الشرور :

ان جميع أبواب الشر المحيطة بالانسان مفتاحها شهوة البطن الذي إذا شبع استطاع الشيطان أن يفتح أمامه كل باب مغلق من الفتنة ويجره الى كل نوع من أنواع المعصية ، دون أن يستطيع مقاومته ، ولقد عبر عن ذلك الامام يحيى بن معاذ حين قال فيما يورده عنه صاحب كتاب عوارف المعارف « إذا ابتلى المرء بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بمرض الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان ، فاذا جوع بطنه وراض نفسه يبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله ، وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن منه الشيطان ، والشبع نهر في النفس يرده الشيطان ، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة ، وينهزم

الشيطان من جائع نائم فكيف اذا كان قائما ؟ ويعانق الشيطان شبعان قائما فكيف إذا كان نائما ؟

فالصوم له أثر كبير في تهذيب النفس وترويضها حتى تنقاد لصاحبها وتمرن على أعمال البر وتعتادها وتصبح سجية لها ، ولكن لا يتم ذلك إلا بالمنهج الذي رسمه العارفون بالسير على قدم صاحب الشريعة . صلى الله عليه وسلم .

منهج لا بد منه :

فمن ذلك أن يكون صومه لله ، مؤمنا موقنا بأن ذلك استجابة لأمر الله وتنفيذ لشريعته حيث أمر بالصوم ودعا إليه ، وهذه هي النية المطلوبة التي لا يقبل عمل صالح الا بها : « إنما الأعمال بالنية وانما لامريء ما نوى » متفق عليه .

وقد ورد في ذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » متفق عليه - رياض الصالحين .

والمقصود بقوله : إيمانا ، أي مصدقا بثوابه عند الله ، وبقوله : احتسابا ، أي قاصدا به وجه الله تعالى ، فقد يكون الصوم بدون نية أو بنية أخرى غير التي أشار إليها الحديث الشريف ، كأن يكون مريضا نصحه الأطباء بتحاشي الطعام أو الاقلال منه أو الاقلاع عن ألوان معينة منه ، أو كأن يكون مقلدا منساقا في صيامه كما يفعل الغافلون عن حكمة الصيام فذلك إذا أثمر صحة في البدن فلن يثمر النور الباطني المطلوب .

ومن ذلك التمسك بالآثار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم فان في ذلك إحياء للسنة وتأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله تعالى بالاقتداء به والسير على منهجه حيث يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/٢١

ومن الآثار الواردة في ذلك ، الالتزام في صوم رمضان بأيامه فلا يتقدم الصائم عليه بصوم يوم ولا يزيد عليه يوما آخر ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم . رواه أبو هريرة رضى الله عنه . وقال صاحب رياض الصالحين . متفق عليه .

ومعنى : رجل كان يصوم صومه ، أي رجل تعود أن يصوم يوم الخميس مثلا فصادف أن يوم الخميس كان سابقا على أول رمضان ، والوارد في بدء الصيام ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان حالت دونه غيابة فأكملوا شعبان ثلاثين يوما » وما رواه أبو داوود والترمذي أيضا عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما : « من صام

اليوم الذي يشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » .

والالتزام بصوم الشهر التزام بالأمر الالهي والسنة النبوية ، دون إضافة ، فالاضافة ابتداع ، وما تقرب عبد الى الله بأحب مما افترضه عليه من الفرائض ، فاضافة يوم زائد على رمضان قبله أو بعده يساوي إضافة ركعة الى إحدى الصلوات المكتوبة .. ولا يعني ذلك ألا يصوم الانسان متطوعا ، فالتطوع محبوب ومسنون وله ثوابه الجزيل ولكن ذلك له أوقات أخرى غير يوم الشك السابق على رمضان ويوم العيد الذي يعقبه فالصوم في هذين اليومين وإن حسنت نية الصائم ، فيه مخالفة واضحة .

- والدعاء عند رؤية الهلال من الآداب المرعية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال : « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى » رواه الدارمي ..

إن في هذا الدعاء استشعارا طيبا لآيات الله سبحانه وتعالى واعترافا بنعمة تسخيرها لنا ، وإدراكا لعظمة هذا الرسول « وهو الهلال » الذي آذن الله به بدء الصيام ، ودليلا بينا على الرجوع بالاذن في الشعائر الى موجبها سبحانه وتعالى حيث جعل رؤية الهلال بالعين المجردة إشارة البدء بالصيام ، فلا نلجأ في ذلك الى حسابات فلكية أو اصطلاحات رقمية قد تتعرض لاحتمال ولو طفيف في الخطأ ، وفي مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم للهلال تنزيل له منزلة العاقل ، وكيف لا يكون عاقلا وهو طوع كلمة الله لا يخرج عما كلفه ولا يتعدى حدود ما أمر به : (**الشمس والقمر بحسبان**) الرحمن/ ٥ ، وقديما خاطب الحق تعالى السموات والأرض خطاب العقلاء فقال لهما : (**ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**) فصلت/ ١١

- ومن الآثار المرعية في الصوم التعجيل بالفطور وتأخير السحور فمن ذلك ما ورد في رياض الصالحين عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال خمسون آية .

ذلك أن في تعجيل الفطور وتأخير السحور مراعاة الرفق بالنفس وتقوية لها على العبادة حتى لا تعوقها مشقة الصوم وشدة الجوع عن ذلك ، كما أن في ذلك استمساكا بالسنة المطهرة التي جاء صاحبها رحمة للعالمين ومن الخير أن يتمسك المسلم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى تنسحب آثارها عليه ، وليكن ذلك مراعى في نيته . فان الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم له أثره الطيب في الانتفاع بالحكمة التي اهتدى اليها صلى الله عليه وسلم فعمل بمقتضاها ، وكل عمل قام به الرسول مستقي من معين أقواله التي قال الحق فيها : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى**) النجم/ ٣ ، ٤ ونحن مأمورون بالتزام عمل الرسول حيث

قال الله تعالى : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم**) آل عمران/ ٣١ وحيث قال الله لنا : (**وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) الحشر/٧

الصوم تهذيب للنفس وسمو بالروح :

وليس من التكرار القول بأن الصائم عليه أن يحفظ لسانه وجوارحه عن كل ما يغضب الله ، فان ذلك من أول واجبات الصائم التي يتحقق بها الهدف من الصوم ، وكم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ، قيل : هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام ، وقيل هو الذي يقتات وهو صائم على أعراض الناس ، وقيل هو الذي لا يكف لسانه عن الفلتات ، ولا بصره عن تتبع العورات ولا سمعه عن الآفات ولا ذهنه وفكره عن التطلع الى الشهوات . فكما يكون الصوم عن الطعام يكون كذلك ما أمكن عن الكلام ، وكلما قل الكلام استيقظ الفكر واستنار الباطن ، وقد ورد في الأخبار : الصمت حكم وقليل فاعله ومما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . ومما رواه الشعراء المتذوقون في ذلك ما قاله أبوبكر غالب بن عبد الرحمن وجاء في هامش رياض الصالحين .

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذن من صومي الجوع والظمأ
وإن قلت إني صمت يوما فما صمت

لا جرم ، فما حظ الصائم اذن من صومه اذا لم يأت الصوم بثمرته المرجوة في أن يكسب صاحبه نورا ويحقق له التقوى التي جعلها الله تعالى هدفا ساميا للصوم .

والصوم درجات فهناك صوم العامة عن شهوتي البطن والفرج ، وهناك صوم الخاصة عن كل شيء فيه شبهة وهناك صوم العارفين المقربين عن كل شيء سوى الله عز وجل . فلا يخطر على قلوبهم الا هو ولا تتعلق همتهم الا به سبحانه .

الخروج على المنهج وأثره :

والوسيلة الى تحقيق أهداف الصوم ـ الى جانب مراعاة الآداب السابقة التي أشرنا اليها هي الاقلال من الطعام والشراب ما أمكن ، فلن يكون الصوم صوما إذا عوض الصائم ما فاته من طعام وشراب في وجبتي الفطور والسحور أو في إحداهما بأن يجمع في أكلة واحدة أكلات يستدرك بها ما فات ، وهذا ما نراه ملاحظا في هذه الأيام ، إننا نلاحظ أن استهلاك الطعام يزيد في رمضان وأن هناك ألوانا من الطعام والمشهيات لا تظهر أو لا يكثر ظهورها الا في خلال رمضان ، والمائدة في الافطار والسحور ، نراها حافلة بالكثير الطيب المغري ، الذي يفوت معه كل غرض

من أغراض الصوم دعا اليها الشارع الحكيم .

ولننظر الى تأديب الله لعباده بالصوم ، فكما ألزمهم به مراعاة لأجسامهم وصحتها ، ألزمهم كذلك به تحقيقا لأهداف اجتماعية سامية ، منها الحد من سلطان الترف المودي بالأمم والجماعات فما تسلط الترف على قوم حتى أهلكهم ، قال تعالى : **(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** الاسراء/١٦ ، والمترفون هم أسبق الناس عذابا يوم القيامة : **(حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون)** المؤمنون/٦٤ ، والمتتبع لآيات الترف في القرآن الكريم يراها تشير الى وجوب الحذر منه ، والتأبي عليه حتى لا تنجرف النفوس في تياره المفسد والمزين للسوء والفاتح لأبواب الفتنة والشهوة بابا فبابا ، حتى ينسى المرء في خلال ذلك كل دعوة للخير ويغفل عن كل استجابة للحق والنور ، ومن الترف الجمع بين عدة ألوان من الطعام وعدم الاكتفاء بها أحيانا في الوقت الذي يتشهى بعض الناس الكفاف فلا يجدونه . ورد عن بعض الصالحين قوله : لا تجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين فما بالك إذا كان الجمع بين العديد من الأصناف ؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه أنس رضى الله عنه ـ يفطر على رطبات أو تميرات فان لم تكن حسا حسوات من الماء ، ثم يقوم الى الصلاة ، فالاقتصاد في الطعام على قدر الضرورة واجب ، وإذا راعى المسلم قدر الضرورة في طعامه اصطحبته هذه العادة في سلوكه فلا يتكلم الا لضرورة ولا ينام الا لضرورة ولا يكون سعيه في الحياة وتقلبه فيها الا لضرورة ، هي ضرورة العمل لوجه الله والاستجابة لأمره مصداقا لقوله تعالى : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين)** الأنعام/١٦٢ ، وإذا التزم المسلم ذلك أصبح الانسان الرباني الذي تصير جميع حركاته وسكناته لله وبالله ، ولقد أصبح كما يقول بعض العارفين « نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح » وتفسير ذلك أن النوم ضرورة لصحة البدن فيقوى على العبادة وكل ما يعين على العبادة ينسحب عليها حكمها ، فبذلك يصبح النوم عبادة ، ويصبح نفس النائم الصائم تسبيحا ، فمن ضرورة الصوم وأدبه ـ إذن ـ أن يقلل الصائم الطعام الذي كان يتناوله وهو مفطر ، وسيجد لذلك أثره الواضح في نشاطه الجسمي والفكري والروحي وفي استجابته الطيعة السريعة لدوافع الخير . قال لقمان لابنه : إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال بعض الحكماء : الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك يكون زهدك في الدنيا ، وقد ورد في الأثر الكريم : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، وكان حال

الصحابة الأجلاء ، الزهد في الطيبات ـ لا في شهر رمضان فحسب بل في سائر الأوقات ـ ، وأثر عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يؤثر الجاف من الطعام ، حتى قال أحدهم وكان يخدمه : ما نخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاص ، وقد سئل عمر عن إيثاره التقشف وفي إمكانه أن ينال من طيبات الدنيا فقال : لقد قرأت قوله تعالى في حق قوم : (**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**) الأحقاف/ ٢٠ ، فأحببت أن أدخر طيباتي للآخرة ، وفي أثر أورده السهر وردي في عوارف المعارف عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قولها : أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم ، قالوا : كيف نديم ؟ قالت : بالجوع والعطش ، ويمكن تحقيق ذلك بالتربية والتعويد ، فان من شأن النفس أنها تخضع للسياسة الحازمة الحكيمة وتنقهر تحت حكم الارادة الصلبة قال البوصيري في بردته :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وما أصدق الذي يقول :

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد الى قليل تقنع

الصوم والقرآن :

ولا تقهر عبادة النفس كما يقهرها الصوم لأن الرياء لا يظهر فيه ، ولأن الجوع الذي يصحبه يذيب الشهوات ويميت التطلعات ، ولكن ذلك لا يتم الا إذا كان الصائم متشوقا الى تحقيق هدف التقوى بمراعاة الآداب المطلوبة وإحياء ليالي الشهر بالطاعات ومداومة تلاوة القرآن الكريم ، فقد ورد في فضل التلاوة آثار طيبة ـ ولا سيما إذا كانت في رمضان ـ ويكفي أن يكون الله قد قرن رمضان بالقرآن حيث قال : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة/ ١٨٥ ـ وفي إسناد الصوم لله مع جعل شهره موعدا لنزول كلامه دلالة على ارتفاع منزلة الصوم ووجوب اغتنام فرصته للتقرب الى الله عن طريق كلامه : (**ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور**) فاطر/ ٢٩و٣٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » قال صاحب رياض الصالحين : متفق عليه .

ـ وبعد ، فالصوم كله خيرات وفضائل وله ثمار رائعة يانعة ، ما تنبه لها عاقل الا اغتنم فرصته وحقق آدابه وأداه كما يجب حتى يتحقق له خير هذا الشهر المبارك ، وبذلك يصبح أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتقا من النار .



الرشوة وأثرها في تقويض صرح المجتمع

كثير هم الذين يلجأون الى وسائل غير مشروعة تحقيقا لأهدافهم ومطالبهم

وكثير هم الذين يسمون الأشياء بغير أسمائها ظانين أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الاثم .

وكثير هم الذين يغتصبون حقوق الغير .. فيحتلون مواقع ليست لهم .. فيتسلط على مقاليد الأمور من لا يحسن إصلاح شأن نفسه .. وتشيع في المجتمع امراض حذرنا ديننا الحنيف من شرها ..

حول هذا الموضوع كتب الاستاذ عبد المنصف محمود يقول :

الرشوة حرام بالاجماع : سواء أكانت للحاكم أو للقاضي أو للعامل أو لغيرهم لما لها : من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، وأضرار جسيمة ، قال الله تعالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** » البقرة/١٨٨ .. قيل : هو أن يدفع الانسان إلى الحاكم رشوة ليحكم له أو يحمله على تنفيذ رغبته .. والمعنى على هذا التأويل : لا تصانعوا الحكام بأموالكم ولا ترشوهم ، ليقطعوا لكم حق غيركم .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراشي والمرتشي في الحكم » رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان ، واللعن : هو الطرد والابعاد من رحمة الله .. وعن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش : يعني الذي يمشي بينهما » وهو السفير بين المعطي والآخذ ، وإن لم يأخذ على سفارته أجرا ، فإن أخذ فهو اشد حرمة .. رواه أحمد والبزار والطبراني ..

والرشوة التي تعطى للقاضي : إن كانت ليحكم له بغير حقه : فهي حرام على الآخذ والمعطي ، لأن الراشي يساعد المرتشي على تضييع الحقوق ، ويغريه بالرشوة على التحكم فيما هو حق لغيره ، فيستمريء الحصول على المال من هذا الطريق غير المشروع ..

والمرتشي : قد أخذ مال غيره ، ومنع الحق عن صاحبه .. وهو جور وظلم ..
وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه : فهي حرام على الحاكم دون المعطي ، لأنها لاستيفاء حقه .. وقيل : تحرم على المعطي أيضا ، لأنها توقع الحاكم في الاثم ..
وأما الهدية : فان كانت ممن يهاديه ، قبل أن يعهد إليه بهذا المنصب فلا تحرم استدامتها .. وان كانت قد أعطيت له بعد أن ولي هذا الأمر تزلفا أو لقضاء حاجة ، أو كانت ممن بينه وبين غيره خصومة عنده : فهي حرام على الحاكم والمهدي ..
ولعل اشد وعيد ورد في شأن الذين يرتمون بين أحضان الرشوة ذلك الداء الوبيل والمرض الخطير : الذي يودي بحياة الأمة ، ما رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الراشي والمرتشي في النار » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو بما كرهوا .. جيء به (يوم القيامة) مغلولة يده .. فإن عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه ، وان حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه ، شدت يساره إلى يمينه ، ثم رمي به في جهنم ، فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام » رواه الحاكم .. وروي عن مسروق رضي الله عنه : « أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها ، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فرده ولم يقبله .. وقال : سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت !! فقال رجل : يا أبا عبد الله ما كنا نظن أن السحت الا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر ونعوذ بالله » أي لمن استحل ذلك .. ومصداق هذا ما رواه الطبراني بسند صحيح عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : « الرشوة في الحكم كفر ، وهي بين الناس سحت » .. وفي رواية اخرى : « هدايا العمال غلول » الامام أحمد عن أبي حميد الساعدي .. وروي ابن سعيد عن طريق فرات بن مسلم قال : « اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئا يشتري به !! فركبنا معه ، فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح ، فتناول واحدة فشمها ، ثم رد الأطباق : فقلت له في ذلك ، فقال : لا حاجة لي فيه .. فقلت : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما : يقبلون الهدية ؟ فقال : إنها لأولئك هدية وللعمال بعدهم رشوة ..
ومضى كاتبنا يقول : قبيح بنا أن نتقدم بالرشوة إلى من بيده إنجاز اعمالنا ، ونحاول أن نميله لأخذها ، فنجني عليه شر جناية ، ونعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها ، ونعلمه الطمع والجشع ، ونلفته إلى شيء قد لا يكون في حسبانه ، ولم يتعود عليه من قبل ، وفي هذا إفساد لنفسه ، وتخريب لذمته ، وبيع لضميره بدراهم معدودة ..
وأقبح من هذا وأفظع : أن نحاول بالرشوة أو المحسوبية ، أو المحاباة ،

تخطي ذوي الجـدارة والكفاءة في الوظائف والأعمال ؛ أو الحصول على ما ليس من حقنا ، أو إلحاق الضرر بغيرنا ؛ فإن ذلك من الاثم بمكان كبير ..

محاسبة الحكام للولاة والعمال :

ولا يتبادر إلى الذهن : أن تحريم الرشوة قاصر على الحكام أو القضاة فحسب ، بل أنه يشملهم وغيرهم من كل من ولى من أمور الناس شيئا ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك ، فهو غلول » .. عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : « استعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية على صدقات بني سليم ، فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاسبه ، قال : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه : ثم قال : أما بعد فاني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله ، فيأتي احدكم فيقول : هذا لكم ، وهذه هدية أهديت لي ، فهلا جلس بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته : إن كان صادقا ، فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئا بغير حق ، إلا جاء الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيراله رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر .. ثم رفع يديه حتى رؤى بياض أبطيه : ألا هل بلغت » رواه البخاري ومسلم .. فقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم عـلى عامله المذكور : أخذه الهدية ، لأنها هدية تهدى لأجل علة ، وفي الحديث دلالة : على أن هدايا العمال يجب أن تجعل في بيت المال ، وأنه ليس لهم منها شيء .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بلغه أن عامله على مدينة حمص اشترى دارا بسبعة آلاف درهم ، فاستدعاه إليه وسأله ، كم راتبك في اليوم ؟ قال : ثلاثة دراهم ، فقال عمر : فما تصنع بها ؟ قال : أعود بدرهمين على عيالي واحتفظ بدرهم .. قال : كم لك في عملك ؟ قال : سنتان ، قال عمر : بعد حساب يسير : إن ما يمكنك أن تقتصده فيهما : سبعمائة درهم ، فمن أين جئت بالباقي ؟ قال الوالي : كانت تصلني هدايا من بعض الناس .. قال عمر : لو كنت في بيتك ولم تكن حاكما أكان يهدي إليك ؟ ثم أمر بعزله عن الولاية ، ومصادرة أمـوالـه ، وضمهـا إلى بيت مـال المسلمين ...

هكذا تكون محاسبة الحاكم لعماله وذويهم ، والتشديد عليهم ، والتفطن لأحوالهم ، وعدم الغفلة عنهم ، لئلا يتخذوا من جاههم أداة يبتزون بها أموال الرعية ، ويجمعون الثروات الطائلة عن طريق الهدية ، أو ما يسمى بالكسب غير المشروع .

ـ الأخ عبدالرحمن أحمد شادي ارسل الينا مقالة كريمة عنوانها

(الأعياد الخالدة والبائدة)

نقتطف منها :

تمتاز الأعياد الدينية في الاسلام وهي عيد الفطر وعيد الاضحى بأنها خالدة تمر عليها ألوف السنين دون ان تفقد جلالتها وروعتها حتى ولو تعرضت للحط من شأنها والنيل من مكانتها في دولة ملحدة ظالمة .. اما الأعياد القومية فانها لا تنبع من القلوب وانما تفرض على الناس فرضا .. تحشد لها الحشود والبنود وعدسات التصوير .. ولولا التذكير الدائم ما احتفل بها احد وهي كثيرة واحصاؤها محتاج الى بحث مستقل .. وهي محلية ، كل بلد له اعياده الخاصة ولا تعرف في البلاد الأخرى .. وقد توضع هذه الأعياد على الرف متى وضع صاحب المقام الرفيع المقامة من اجله على الرف ايضا .

ان الاسلام الحنيف ينكر مثل هذه الأعياد المزيفة ويوجب علينا ان نحتفل فقط بعيدي الفطر والأضحى .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .
- موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .
- الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .
- ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
- لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .



مسيحي .. اسلم

حمل الينا البريد هذه الرسالة يقول صاحبها : انا شاب في الخامسة والعشرين من عمري ومن عائلة مسيحية ومتعصبة جدا . وقد شاءت الاقدار ان اهاجر من بلدي طلبا للقمة العيش ، وحتى استطيع ان اعيل اهلي واخواتي ، وحضرت الى الكويت سنة ١٩٧٢ وعملت فيها ، واصبحت اعاشر واتعامل مع الافراد في هذا المجتمع واندمجت معهم ، وقرأت عن مبادىء الدين الاسلامي السمحة ، وعملت مقارنة بين الدين الاسلامي والدين الذي اعتنقه ، فوجدت الفرق الكبير ، واصبح ايماني انه لا دين عند الله الا دين الاسلام ، هذه قناعتي ، ولكني كنت اخفي هذه الحقيقة عن جماعتي واهلي . وقد رفضت عدة طلبات كان من شأنها ان توثق العلاقة بيني وبين الدين المسيحي . فرفضت الزواج متعللا بعدة اسباب . وفي السنة الماضية اكملت الرسالة التي كنت قد حضرت من اجلها الى الكويت حيث ان اخواتي تزوجن ووالدي قد توفي ، واصبحت وحيدا مع الدتي . وبعد هذا سافرت الى بلدي ثم أودعت اهلي الا انني قررت بيني وبين نفسي ان اشهر اعتناقي للدين الاسلامي وبعد رجوعي بيومين فقط وقعت في مشكلة ودخلت السجن . فما زادني هذا الا ايمانا بالله فأشهرت اسلامي علنا ، وعن طريق وزارة الداخلية فوزارة العدل . وقد عرف اهلي وجماعتي باسلامي فاصبحت تنهال علي رسائل التهديد والوعيد ، حيث صدر الحكم علي بالسجن ثم الابعاد بعد تنفيذ عقوبة السجن ومعنى هذا انني انتظر الاعدام بعد فترة السجن حيث انني من بلد تطارد المسلمين أينما وجدوا .

فأرجو حمايتي من أعداء الدين الاسلامي ونصر الحق ، وإزهاق الباطل ، وإنقاذي مما اعاني .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

المعذب : شحاته روفائيل جهجاه
السجن المركزي
بعد الاسلام : عمر شحاده جهجاه

المحرر :

اخي عمر قد وفقك الله للخير اذ شرح صدرك للاسلام .. « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » .

وفضل الله عليك عظيم اذ وهبك نورا في العقل به اهتديت الى الدين الحق ، فأنقذت نفسك من الهلاك .. وما الأنبياء جميعا الا حملة وحي السماء الى الانسان حتى اكتمل نضج العقل الانساني ، فختمت حلقات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكل نبي سبقه كان يبشر به ويدعو الى الايمان بدعوته .. وبعد ان صرت مسلما يجب عليك ان تؤدي فرائض الاسلام وتتعامل بأخلاقه فان القول يتبعه العمل .. والعمل يجب ان يكون خالصا لوجه الله ، والايمان : ما وقر في القلب ، وصدقه العمل . وبعد أن اشهرت اسلامك ، واعلنته على الملأ ، فمعنى هذا انك تواجه العالم كله بحقيقة اسلامك ، وتقول له : لقد هداني الله للحق ، وانا ادعوكم اليه .

لقد واجهت العالم كله بحقيقة اسلامك ، ومعنى هذا انك صاحب ارادة وعزيمة قوية ، وأنه لن يصرفك عن الحق صارف ، حتى ولو كان الاهل جميعا ..

انظر الى سعد بن الربيع عندما أسلم في بداية الدعوة الاسلامية ، وكانت أمه تحبه وهو يحبها كثيرا ، غير أنها ارادت ان تصرفه عن الاسلام بشتى الوسائل .. حتى نذرت الا تستظل من شمس ، والا تأكل .. حتى يرجع سعد عن دينه أو تموت ..

فقال سعد وهو المحب لوالدته : والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً لما تركت ديني فافعلي ما شئت .

وبعد ... لقد واجه صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، من صنوف العذاب ، والوان الاذى ما تقشعر من هوله الأبدان ، ولم يصرفهم ذلك عن دينهم .

بل إن هناك من مات تحت سياط الكفر وجبروت الطغاة ، فكانوا الشهداء الاوائل في الاسلام منهم ياسر ، وسمية . وكان الرسول يمر بهم وهم يعذبون فيقول : صبرا آل ياسر .

فاستمسك بدينك يا اخ عمر ..

والله يحميك من الأعداء ، واتخذ لنفسك كل الحيطة والحذر ، وفوض الأمر لله فلن تموت حتى تستوفي اجلك . ويمكنك ان تبلغ السلطات المختصة بمن يهددك وتطلعهم على الرسائل الواصلة اليك .. وهم يقومون بعمل اللازم ، ثم إن أرض الله واسعة .. وسوف تجد لك مكانا على ظهرها تأمن فيه على نفسك ، وعلى دينك .. فهاجر حيث تجد الأمن والأمان .. وتب الى الله .. والجأ اليه دائما ، يكن في عونك .



نشرت مجلة الدعوة الهندية في عددها الصادر في ١٥/ ٣/ ٨١ كلمة بعنوان :

متى ننتبه من سباتنا

تقول فيها :

كثير من الناس يزعمون ان روسيا وامريكا دولتان تختلفان منهجا وهدفا ، ولا تتحدان في امر ما - وهم في زعمهم هذا يصيبون الى حد ما . فها هي روسيا دولة ملحدة تعتز بالحادها وتحاول ابراز مجتمع انساني ملحد ، سائرة على درب الدكتاتورية العمالية . واما امريكا فهي دولة مسيحية ديمقراطية رأسمالية تعتز بديمقراطيتها وتحاول ابراز مجتمع انساني سائرة على درب الديمقراطية الرأسمالية . وتمنح مواطنيها حرية العقيدة والعمل ، وتفسح لهم المجال ان يلعب كل دوره في الصعيد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، بخلاف روسيا فانها لا تعتز بحرية الفرد ، بل تحاول ان تذوب شخصيتهم في الهيكل الاجتماعي البرولتاري ومن اجل ذلك لا توجد في روسيا الاحزاب السياسية المعارضة ولا منظمات عمالية ولا طلابية . وكذلك لا توجد فيها الصحافة الحرة . والنشاطات الثقافية الحرة .

هذه النواحي كلها تدل على ان هاتين الدولتين لا تتحدان في المبادىء والاهداف ولا في السلوك والمنهج وتختلفان حول سائر القضايا الدولية سياسية كانت أم عسكرية - اقتصادية كانت او أجتماعية .

وكلتاهما توافقان على هضم حقوق الشعب المسلم في اريتريا وفلسطين وفي المناطق الأخرى من العالم وعلى إثارة الخلافات بين المسلمين . فما هي الحرب الدائرة بين ايران والعراق الا نتيجة لمؤامرة دولية للقضاء على الثورة الاسلامية ولدفع عجلة التقدم للحركات الاسلامية في العالم الى الوراء ، وما حدث ويحدث في افغانستان لا يحتاج إلى الاشارة . كل يعلم أنه مأساة الساعة ، ومؤامرة دولية للقضاء على الكيان الاسلامي في البلد المسلم فالى متى نغتر بهما - وإلى متى لا ننتبه إلى واقع الأمر - فقد فقدنا الخلافة الاسلامية ، وفقدنا فلسطين الحرة ، وضاقت علينا أرض لبنان ، وتمطر علينا سماء أفغانستان مطرا من النار فهل بقى لنا شيء آخر نريد أن نفقده باسم الرقى والتقدم ، او باسم صداقة روسيا وأمريكا . المسلم لا يلدغ من جحر مرتين .

انتفاضة متوقعة للمسلمين في الاتحـــاد السوفيتي

نشرت جريدة الشرق الاوسط بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٨ نقلا عن ديلي تلغراف موضوعا تحت هذا العنوان تقول :

في الوقت الذي تواجه فيه القيادة السوفياتية تحدي العمال الذين بدأوا بتفكيك النظام الشيوعي في بولنـدا هناك مخاوف من أن تتراكم المسببات لانتفاضة المسلمين في جنوب الاتحاد السوفياتي .

وقالت صحيفة « ديلي تلغراف » أن السوفيـات من اصـل روسي يشكلون الآن اقلية ضمن الشعـب السوفياتي فعددهم لا يتجاوز ١٣٧ مليونا من اصل ٢٦٢ مليونا يشكلون مجمـوع عدد سكان الاتحـاد السوفياتي .

ووفقا لاحصائيات رسمية سوفياتية فان عدد السوفيات من اصل روسي لن يتجاوز سنة ٢٠٠٠ ، ١٤٠ مليون نسمة بينما سيصـل اجمـالي عدد السكان الى ٣٠٠ مليون نسمة ، من بينهم ما لا يقل عن ٧٥ مليون مسلم مقابل ٤٥ مليون مسلم الآن .

وقالت الصحيفة ان نسبة الولادة في اواسط اسيا السوفياتية اكبر من أي نسبة أخرى في بقية انحاء الاتحاد السوفياتـي . فبينمـا تصـل هذه النسبـة الى ٣٫٧٪ في جمهوريـة طاجيكستان لا تتجـاوز ١٫٩٪ في الاتحاد السوفياتي ككل .

وتابعت الصحيفة القول انه من المحتمل ان تعمل الزيـادة في عدد السـكان على زيـادة البطالـة في الجمهوريات السوفياتية الجنوبية الا اذا سمح المخططون الاقتصاديـون بنقل بعض السوفيات الآسيويين الى الجـزء الأوروبـي من الاتحـاد السوفياتي او اعادة توزيع المراكز الصناعية بشكل آخر .

وقالت الصحيفـة لكن النتيجـة الفورية لمثل هذا التغيير الديموغرافي قد بدأت تظهر الآن ، فوفقا لنفس الاحصائيات تبلغ نسبة الشباب من الاصل الروسي الذي يستطيع دخول الجيش اقل من نصف مجموع عدد الشبان الذين يستطيعون دخوله في الاتحاد السوفياتي . ومن الملاحظ ان المسلمين من الاصل التركي والايراني يشكلون حوالي ٢٤٪ من الشبـاب المؤهل للتجنيد .

وجدير بالـذكر ان القليـل من المسلمين يصلون الى مراتب الضباط في القوات المسلحة السوفياتية كما أن السوفيات الآسيويين محرومون من أي دورات عسكرية خاصة او مهنية كدورات المظليين واستخدام اجهزة الاتصالات السلكية واللاسلكية .

وقالت الصحيفة أن عدم تعـود الناس في الجمهوريات السوفياتيـة الجنوبيـة الاسلاميـة على اللغـة الروسية هي مشكلة الجنود المسلمين في الجيش السوفياتي ، ولكن عدم معرفتهم اللغة ليست السبب الوحيد لمعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية في القوات السوفياتية .

اقرأ في هذا العدد



ألبانيا (بلاد الأرناؤوط)

○ احدى دول البلقان وتعرف باسم (بلاد الأرناؤوط) تجاور كلا من يوغسلافيا واليونان تبلغ مساحتها ٦٢٥٠٠كم^{2} وطبيعة البانيا جبلية يصعب العيش فيها تتألف من مثلث غير منتظم الأضلاع بين خطي عرض ١٩ ـ ٢٢ شرقي غرينتش يتأثر مناخها بالبحر الادرياتي وبحر ايجة وهو صحي بوجه عام .

○ يبلغ عدد سكان البانيا ٢,٦٠٠,٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين ٧٥٪ والشعب الألباني من العنصر الآري يعرف عند الأوروبيين باسم (الألبان) أي الأرناؤوط ويتألف السكان من مجموعة عناصر متغايرة فالأرناؤوط يبلغ عددهم ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة وهم السكان الحقيقيون أما باقي العناصر فيتألفون من الترك والأفلاق والبلقان واليونان والصرب والغجر .

○ يتميز العنصر الألباني بطول القامة واتساع المنكبين وهو ذو جسم مرن ممشوق .

○ دخل الاسلام الى البانيا مع الفتوحات العثمانية في القرن السادس عشر والألبان ينظرون للدين نظرة اعتدال .

○ اللغة الألبانية هي في الأصل لهجة الليرية وهي احدى اللغات الآرية وأقرب اللغات اليها هي مجموعات لغات بحر البلطيق الصقلبية وتنقسم اللغة الألبانية الى لهجتين : لهجة الشمال وتعرف بالتركية باسم (غيفة) ولهجة الجنوب وتعرف بالتركية باسم (توسقة) .

○ عاصمة ألبانيا مدينة (تيرانا) ومن المدن الهامة سكوتاري ، دورازة ، برزرين والبلاد بصورة عامة زراعية وأهم الحاصلات الذرة والزيتون والتبغ والكروم .

○ استقلت البانيا عام ١٩١٢م وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تمكن الشيوعيون من الاستيلاء على الحكم وطبقوا فيها النظام الماركسي الذي يدور في فلك الصين الشعبية والمعادي للاتحاد السوفييتي لكن الشعب الألباني المسلم يتطلع الى ذلك اليوم الذي يستطيع العودة فيه من جديد الى بوتقة الاسلام العظيم .

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



القرآن الكريم والعلم

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٢ ● شوال ١٤٠١ هـ ● اغسطس ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة :

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

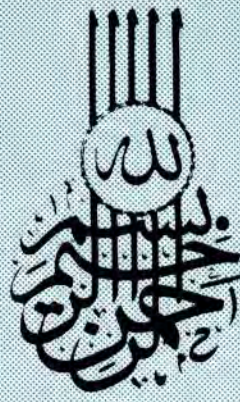
● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الجهاد رهبانية الاسلام

في بعض الديانات السابقة على الاسلام كان الترهب في الصوامع ، والانقطاع في الأديار حتى الموت ، وهجر الحياة وتكاليفها ، آية اليقين البالغ والصفاء التام !!

اما الاسلام فقد رسم طريقا آخر للعبادة غير هذا الترهب .. طريقا يكبدهم العمل والكفاح ، فلم يقل لمن يحبون الله اعتزلوا الحياة وتأملوا ، بل قال لهم : انغمسوا في الحياة وعالجوا باطلها بالحق ، وقاوموا طواغيتها بالقوة .. وبهذا

البيان رفض الاسلام الترهب الذي يدع الباطل يسير من غير مقاومة ، واصبح الاقبال على الحياة ومعالجة شؤونها لنشر الفضائل ومحو الضلالات جهادا في سبيل الله .

ولا شك أن أهل الفساد والعدوان أبغضوا الاسلام لهذه النزعة البادية في تعاليمه ، لأنهم لا يخشون قوما يتعبدون بالعزلة ، وإنما يخشون قوما يتعبدون بالهجوم على هذه الدنيا لاصلاحها ، وتقييد الطغاة المهتاجين في أرجائها .. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي شاقته العزلة ، حين مضى على شعب فيه عيينة من ماء عذبة ، وحدثته نفسه بأن يجنح الى تلك البقعة ، وأن يقبل على ربه فما يفتر عن ذكره في صباح أو أصيل « لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » .

نعم ، ان الانسان في عمله المتواصل وكفاحه الدائب يحتاج الى لحظات ينفرد فيها بنفسه مثلما يحتاج المسافر الى منازل يحط فيها رحاله ويجم فيها بدنه . ومن أجل هذا سن الاسلام لأتباعه الاعتكاف ، وأذن لهم بالعزلة الى حين . ولكن الاسلام يرفض أن تتحول هذه العزلة الى هجران للمجتمع وقلة مبالاة بالمعركة الدائرة بين الحق والباطل والافساد والاصلاح .

وقد قارن النبي صلى الله عليه وسلم بين منازلة الأعداء وجهادهم بكل وسائل المنازلة والجهاد وبين عبادة الله بالعزلة ، فصور بعد المسافة بين الأمرين أوضح تصوير .. سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : « لا تستطيعونه » فأعادوا عليه السؤال ثلاثا كل ذلك يقول : «لا تستطيعونه» . ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » .

والحياة الى يوم القيامة صراع بين الحق والباطل ، والقوة أضمن طريق لاحقاق الحق .. وفي هذا العصر يهتاج أعداء الاسلام كالكلاب المسعورة لانتهاب مصير المسلمين !! والاسلام يفرض على أهله إباء الضيم ، وان يجاهدوا المعتدين ، وان يعدوا لهم كل ما يستطيعون من قوة معنوية ومادية ، وأن يبذلوا النفوس والأموال في سبيل تخليص أرضهم ومقدساتهم ، وصيانة وجودهم ، والاحتفاظ بعزتهم وكرامتهم بين دول العالم .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان الجهاد في سبيل الله اعظم درجة عند الله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .

حدث النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله فقال رجل : ما أبالي ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم . فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله ، ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) .

والمجاهدون الصادقون ، المتوحدون على الحق . المتآخون على الايمان بالله المتعاونون على البذل والتضحية في سبيل الله ، يمدهم الله بعونه وتوفيقه ، ويحقق لهم النصر العزيز على أعدائهم . قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .. وقال : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

التفكير في الدين

للدكتور/ ابراهيم علي ابو الخشب

كلمة دين تطلق بمعنى الخضوع والانقياد . فيقال دان له اهل الحي بمعنى خضعوا لامره ونزلوا على ارادته . واستجابوا لدعوته ، وصاروا له اتباعا لا يخرجون على طاعته بحال من الاحوال ، لانهم يرونه المثل الاعلى للقائد او الرائد . وتطلق الكلمة – كذلك – على الجزاء على العمل خيرا او شرا ، ومن ذلك في سورة فاتحة الكتاب الاية ٤ (**مالك**

يوم الدين) اي الجزاء في نهاية المطاف ، حيث تنتهى الدنيا ، ويقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ليحاسبهم على ما كان منهم في هذه المرحلة التي اجتازوها من الحياة الدنيا(**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/٧ ، ٨ والمعنيان الخضوع والجزاء يتداخلان ويكمل احدهما الآخر ، اذ الذي يلقى من الله جل وعلا جزاء عمله في الدار الآخرة . خاضع له لا محالة – راغبا او راهبا – لأن مصيره الذي وصل اليه ، ليس له حيلة فيه ، ولا الغاء له ، ولا هروب منه ، او هو من صنعه ، يملك شأنه وجودا أو عدما ، وانما هو مصير كان من الحتم ان يصير اليه ، والمراحل التي تخطاها ، والمسافات التي قطعها او الاطوار التي مر بها ، منذ ان كان خاطرا في نفس امه وابيه ، الى ان كان ماء وعلقة ومضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم طفلا وشابا ، ورجلا وكهلا ، وهكذا الى يوم النشور وتقرير المصير بالجنة او النار ، انما هي تنفيذ لخطة مرسومة في الازل ، أو جدول موضوع لم يكن هو صاحب الكلمة فيه .. وما من فصيلة من الحيوانات أو الطيور أو الاسماك الا كان في فطرتها التي ركبت فيها ، او طبعت عليها ، معنى الانقياد الى من تطمئن كل الاطمئنان الى انه يفضلها بالقوة ، او يمتاز عنها بالدراية ، أو ما يوفره لها من الخير والبر ، أو بذوده عنها من الخطر ويظهر ذلك في التبعية العمياء له ، والتفافها الواضح حوله وربما كان هذا الفرد المتميز بكل هذه المزايا هو كل شيء في نظام حياتها ، ودفع الاذى عنها ، أو جلب الخير لها ، وبعسوب النحل صورة واضحة لهذه الدعوى التي ندعيها ، تنقاد له ، وتلتف حوله ، وتعتمد عليه ، ويكون وجودها رهنا ببقائه على هذا الوضع منها ، فان نزلت به جائحة ، أو اصابه مكروه ، أو وقع عليه عدوان ، كانت هي بعده بددا واقل عددا ..

والبشرية على تطاول عهدها ، وامتداد تاريخها ، واختلاف مراحل حياتها من الاحراش والادغال ، والجبال والانهار ، والخيام في الصحاري ، والبيوت في القرى والمدن كانت تشعر بتلك التبعية الروحية التي تخفى عنها ، ولا تعيش الا في اوهامها المظنونة ، أو خيالها الملح ، وشعورها الجياش ، وعقلها الباطن ، ووعيها المكبوت واحلامها التي تطوف بخواطرها ، وقد انقادت لرئيس القبيلة ، ونزلت على ارادته ، واستجابت له بادىء ذي بدء ، اشباعا لهذا النزوع ، وتحقيقا لذلك المعنى ، ثم مع مرور الزمن ، وتهذيب هذه الفكرة نوعا ما بحثت عن صورة يتمثل فيها ذلك الانقياد ، وتلك الطاعة ، وجعلت تتخيلها في الهواء أو الماء أو النار أو الكواكب أو الرياح أو الجبال أو الشمس أو القمر وهكذا واخذت بعد هذا ترمز لها برموز وتعبدها عبادة مباشرة ، أو تجعلها واسطة الى هذا الذي تعبده كما صرح القرآن الكريم في بعض هذه الاصنام

وهم يقولون عنها **(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)** الزمر/٣ وان كانت عبادة الاصنام أو الاوثان أو النار أو الرياح وما شاكل ذلك كله لا تحدها أمثلة ولا صور ، وانما هي على أمثلة متنوعة ، وصور مختلفة ، ومن طريف ما يقال في ذلك ان الصنمين « إساف ونائلة » يرمزان الى رجل وامرأة فسقا في الحرم الشريف بمكة المكرمة فمسخهما الله الى حجرين على صورتيهما وقد فوجىء الناس بهما معلقين هنالك فاخذوا يتابعونهما بالزراية لهما . ومع تطاول الزمن ، وتناسي الناس لهذه الحادثة تحولت الزراية بهما ، والبصق عليهما ، واللعنة لهما ، الى قداسة واحترام ثم عبادة بعد ذلك ، وفي قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه التي سجلها القرآن وقد كان ابوه يحترف صنع التماثيل وبيعها لمن يعبدها من دون الله **(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمان عصيا . يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا . قال أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . واعتز لكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا أكون بدعاء ربي شقيا)** مريم/٤١ ـ ٤٨ ما يدل على مدى تعلق البشرية وارتباطها بتلك الصور والتماثيل التي صنعوها بايديهم وكان لابراهيم عليه السلام موقف آخر كان يعلن فيه لقومه ان الخرافة التي تتمكن من العقول ، أو تستولي على النفوس ، ليس لها من علاج الا التمرد عليها ، والتحطيم لمعالمها وآثارها حتى لا تعود الاوهام الى الارتباط بها ، والحنين اليها ، أو التقرب منها ، والعبادة لها ، وذلك في قصة العدوان عليها المذكورة في سورة الصافات **(وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال اني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون . ما لكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين . فاقبلوا اليه يزفون . قال اتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم . فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين . وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين)** الصافات/٨٣ ـ ٩٩ ولقد ذكر هذا الموقف بعينه على صورة اخرى في سورة الانبياء **(ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون . قالوا**

وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) الانبياء ٥١ ـ ٧٠ وهذا كان الحوار الذي اجراه الله على لسان نبيه ابراهيم من الدقة والحكمة والسداد والرشد ، والبراعة والحذق ، والكياسة والمنطق ، واللباقة والرأي ، بحيث لم يترك لهم منفذا يدخلون منه ، ولا ثغرة يسلكونها ولا حجة يعتمدون عليها ، أو يتمسكون بها ، (**فاسألوهم ان كانوا ينطقون**) وكأنما كانوا في غفلة عن هذا كله ، ولم يدر بخلدهم انها جماد لا تحس ، أو حجر لا يدرك ، وصخر لا ينطق ، الى هذه اللحظة التي جابههم بانهم هكذا في سكرتهم يعمهون (**قالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) وكان من الواجب ان يصدر عنهم هذا الاعتراف من قبل في هواتف افئدتهم . وقرارة انفسهم . فلا يكون منهم ذلك التخبط كله . لكن الله سبحانه وتعالى اراد ان تكون هذه الهزيمة المنكرة ارغاما لهم على ان يعلنوا هذا الخطأ الذي لم يجدوا مناصا من الاعتراف به ليكون ادعى الى اظهارهم بمظهر الحمقى الذين تجافوا الصواب ، وتنكبوا سبيل الحق الذي هو معلوم بالضرورة ، وليكون كذلك عنوانا على إفحامهم (**قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون**) والحمق كل الحمق ان يكون الميدان للمنطق الذي لا يصح انكاره ، ولا يمكن الاختلاف فيه ، لأنه مسلم به في بداءة العقول ، ثم يتحول ذلك الى صراع دموي او انتقام ينبيء عن الحقد والطيش والغضب والكراهية ، واستعمال اساليب الهمجية والفوضى والخروج عن مناهج العقلاء ، (**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم**) وكأنما ظنوا ان ذلك صنيع يرتفع بهم الى مستوى النصر ، وجهلوا انه نصر شر من

الهزيمة ذاتها لأنه عنوان على ان صاحبه قد تجرد من الانسانية التي هي اسمى ما يملكه الانسان .. ولم يكن ابراهيم عليه السلام وحده هذا الذي صارع قومه بالبرهان . وحاجهم بالدليل وسفه احلامهم بانحرافهم عن الجادة ، وعدولهم عن السنن السوى فيما يجب ان يكون دينا قيما ، وعقيدة صحيحة ، وهديا واضحا ، يجعل قلوبهم ممتلئة بالايمان الراسخ بتلك القوة الخفية التي تدبر امور البشر ، وتصرف شؤون الكون ، وتقضي على الناس بالخير او الشر ، والحياة او الموت ، والسعادة والشقاء ، وتمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ، وانما كانت هذه قصة مكرورة معادة ، لم يخل منها تاريخ رسول من الرسل الذين ارسلتهم العناية الالهية لاحقاق الحق وابطال الباطل ، ولذا يقول سبحانه وتعالى (**ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**) النحل/ ٣٦ وذلك ان دلنا على شيء فانما يدلنا على ان البحث عن الدين ، والتفكير فيه والنزوع اليه ، من الامور التي كانت على مدى التاريخ الشغل الشاغل الذي اهتمت به الانسانية ، واخذ من صراعها العقلي الشيء الكثير بصرف النظر عن كونه كان يسير على وفق الجادة الصحيحة ، والنهج السليم ، اوكان خطأ وخبطا ، وقد علمنا انه كان في بعض الحين يلازمه المنطق ، ويقترن به الحق ، ويصحبه الصواب ، ويحاول محاولة جادة ان يصيب كبد الحقيقة ، وثبت ان كثيرين من اهل الجزيرة العربية كانوا يتلمسون الصواب ، ويطلبون الحق ، ويبحثون عنه ، فلا يخطئهم السداد والرشد ، والتوفيق والهداية ، كما ينقلون عن « قس بن ساعدة الايادي » من الخطباء ، « وامية بن ابي الصلت » من الشعراء ..

وتعرض بعض المفكرين من الكتاب لتعريف الدين فقال « فريد وجدي » : « الدين شعور بالارتباط الطبيعي بين الانسان وروح الكون » وقال : « اذا قلنا ان الانسان لا يمكنه ان يعيش بلا دين لا نكون مغالين ، وانما نكون مماشين لطبيعة الاشياء » وينقل الشيخ امين الخولي عن الجرجاني في كتابه التعريفات : « الدين وضع الهي يدعو اصحاب العقول الى قبول ما هو عند الرسول » وعن صاحب كتاب كشاف اصطلاحات الفنون : « الدين » وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح . وعن الراغب الاصفهاني : « الدين ما شرع الله لعباده على لسان الانبياء ليتوصلوا به الى جوار الله » وعن بعض الغربيين : « انه ديوان الفضيلة والطراز العالي للحياة » ويقول بعض المشتغلين بعلم النفس ان فكرة التدين نشأت في اول امرها عند الانسان البدائي من الخوف من مظاهر الطبيعة كالرياح والامطار

والرعد والبرق والزلازل والبراكين اذ اهتدى الى ان يحتمي من مخاطرها بقوة خفية لا يعرف مصدرها على التحديد ، وكان اسلوب الاحتماء هذا غير محدد بكيفية بعينها ، كما ان هذه القوة لا يستطيع احد ان يحددها اكثر من كونها معنى روحيا تمتلىء به الخواطر ، وتتوهمه النفس ، وتتخيله العقول ، وتعمر به الافئدة ، ثم لا يمكن لاحد ان يحدد ابعاده ، أو يخطط صورته ، أو يصف ملامحه ، ومن هنا كثرت النعوت له ، والحديث عنه ، والتصورات المختلفة لذاته ، فهو تارة جماد ، وأخرى نبات ، وثالثة مادة أو روح ، وليل أو نهار ، وظلمة أو نور ... واغلب الظن ان كلمة اله ورب وخالق وموجد للاشياء وعلة العلل – كما يقول الفلاسفة – : لم توجد في قواميس الكون الا فيما بعد حينما شبت الانسانية عن الطوق ، وحديث القرآن الكريم عن خالق السماوات والارض في زعم العرب او اعتقادهم ينبىء عن انه هو الله **(ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله)** لقمان/٢٥ ما في ذلك من شك ولا ريب ، لكن هذه الالوهية التي تجري على السنتهم ويعبرون عنها بكلمة الله أو اله أو رب السماوات والارض ما هي حدودها المنطقية في اوهام الفلاسفة أو افكار العلماء لم يصلوا فيها الى نقطة تلتقي عندها تصوراتهم ، ومرة كانت رموزا واشارات ومرة كان لها اعوان وجنود **(وما يعلم جنود ربك الا هو)** المدثر/٣١ ومرة كان لها شركاء **(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)** الانعام/١٠٠ وربما كان هؤلاء الشركاء كثرة غير محدودة ولا معدودة ، لذلك كان الرد القرآني قاطعا للألسنة ، وقاضيا على هذه البلبلة **(قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد)** سورة الاخلاص وقد اخترع المسلمون علما برأسه خاصا بتنزيه الله عن الصاحبة والولد والشريك والمشابهة للحوادث ، ولما كان اهم ما تضمنه هو برهان وحدانيته في الذات والصفات والافعال سموه « علم التوحيد » ويقول كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)** الانبياء/٢٢ وكأنها على قصرها البرهان القاطع ، والدليل الواضح ، والحجة الدامغة ، على انه سبحانه قيوم السماوات والارض ، لا ينازعه ذلك دعى ، ولا يزاحمه جبار ، ولا يشاركه مسلط ، ولا يغالبه قهار **(له الملك وله الحمد)** التغابن/١ ومع ان القرآن الكريم اشبع هذه الناحية بيانا ، ووفاها برهانا ، الا ان للعلماء في ذلك قاعدة هي ان الدليل العقلي مقدم على الدليل النقلي ، ويعنون بذلك ان المؤمن بالله اذا اراد ان يقنع غير المؤمن بالآية الكريمة **(بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة)** الانعام/١٠١ او قوله : **(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)**

الانعام/ ٥٩ اوقوله : **(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)** هود/٦ او قوله : **(وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم)** الانعام/ ١٣ أو غير ذلك ، وذلك من الآيات التي تدل على انه وحده القائم على كل نفس بما كسبت ، كان كما يقول الحريري في مقاماته ينفخ في غير ضرم ، لأن ذلك الذي يوجه اليه هذا النص لا يؤمن بانه خطاب السماء ، نزل على سيد الانبياء ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم ظل يدعو العرب ثلاثا وعشرين سنة ما بين مكة والمدينة ، وكان معظم جهده وهو بمكة قاصرا على وحدانيته سبحانه ، وتنزيهه عن كل نقص ، ووصفه بالكمال كله ، لأن الانسان اذا ما تيقن ذلك وآمن به . استراح قلبه ، وهدأ خاطره ، وطابت نفسه واطمأن عقله . وعلم أنه آوى الى ركن شديد ، يعتز به ، ويفزع اليه ، ويلوذ بكنفه ، ويحتمي بسلطانه ، ويطلب منه ، ويغترف من فيضه ، ولا يذل الا له ، ولا يخاف الا منه ، ولا يقف الا بين يديه ، ولا يكون الانسان كل الانسان الا هذا الذي تكون عبوديته قائمة على هذه الدعائم من اجلاله لربه ، وايمانه به ، وثقته فيه ، ورجائه منه ، واعتماده عليه ، واتجاهه اليه ، ولا تجد رجلا تأنس به ، وتستريح له ، وتأمل فيه ، وتقبل عليه ، وتأمنه على دينك وعرضك ومالك الا وهو من هذا الطراز الذي امتلأ قلبه بالله ، وعمرت نفسه بالدين ، وازداد ايمانه بربه ، وكان يعبده على هذا الاعتبار الذي يرجع اليه كمال القدرة والارادة والعلم والحلم والرحمة والسلطان والملك والتصرف والقهر والغلبة ...

ومع كون نظرية الالوهية هذه من البداهة والوضوح بهذه المثابة ، فان جماعة ممن طمس الله على قلوبهم بغضبه ، واظلم بصائرهم بسخطه ، كانوا ينكرون هذه الحقيقة ثم لا يكتفون بانكارها وانما يريدون ان يحملوا الناس على مذهبهم العقيم ، ورأيهم الفاسد ، واعتقادهم الضال ، وفهمهم الخاطىء ، ودينهم الكاذب ، وذوقهم المختل ، والكون في نظرهم حدث بطريق المصادفة أو الضرورة ، والفرق بين الأمرين ان المصادفة محض وجود لم يكن مقدرا ولا مظنونا ، وان اصل هذه الكائنات خلية ما ، قذف بها الغيب من غير تقدير ولا ارادة ، وبمرور الزمن ، أو مضي السنين والاعوام ، صارت الى هذه المخلوقات التي لا عداد لها ، من الانسان والحيوان والطيور والوحوش والجبال والانهار والهوام والحشرات .. واما الضرورة فهي الحاجة التي تحتم ان يكون الوجود على شكل خاص ، أو هيئة بعينها ، كطول عنق الزرافة الذي لا بد منه لتتناول به غذاءها من الاشجار العالية ، وزعانف السمكة التي تساعدها على السبح في الماء ، وهكذا ولا يعترفون بتلك القوة التي تدبر هذا العالم ، وتسوس ذلك الكون ، وتتقن هذا الصنع ، وتتحكم في القضاء والقدر ، وتقدر الحياة والموت ، وتعلم

خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وهو منطق ـ كما يرى العقلاء ـ يتهاوى بعضه على بعضه ، ويناقض اوله آخره ، وينكر لفظه معناه ، ولا ينطلي الا على الاطفال أو المجانين **(الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير . ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)** لقمان / ٢٠ ـ ٢٤ وفي هذه الآيات من سورة لقمان وامثالها من القرآن كله . ما يصفعهم على اقفيتهم ، ويجابههم بما يتخاذلون له ، وترتعد منه فرائصهم ، وبخاصة اذا لاحظنا انهم لا يعتمدون على منطق ، ولا يستندون الى دليل ، ولا يقف الى جانبهم عقل ، ونحن نعلم ان الدعاوي من غير دليل يؤيدها ، او حجة تدعمها ، او برهان يؤازرها ، افتراء على الله وعلى الناس ، لا يتمسك بها الا الحمقى ، ولا يصدقها الا اولئك الذين اصابهم الله بالغفلة ، ورماهم بالعته ، او ابتلاهم بالجنون ، وسلبهم نعمة العقل والادراك ، والانسان الذي كرمه ربه بالتمييز ، ومنحه الفكر الواعي ، والبصر الكاشف ، والصواب الحق ، والخير المحض ، هو هذا الذي يفتح عينيه على الضياء ، ويوجه قلبه الى الهداية ، وذوقه الى المنطق ، وعقله الى الحكمة ، فلا يتخبط تخبط الضال ، ولا ينحرف انحراف الاعمى ، ولا يتقاعس تقاعس الجبان ، وقانونه الذي يلتزم به ، ويخضع له ، ويتعامل معه **(فاطر السماوات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)** يوسف / ١٠١ واعتقد ان هذا الانسان ليس هو هذا الذي جاء بمحض المصادفة ـ كما يقولون ـ ولكنه هذا الذي فضله ربه بالعقل ، وكرمه بالدين ، وشرفه بالتكليف ، وميزه بالرأي والاختبار ، والحكمة والصواب ، والحق والمنطق **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء / ٧٠ وابوه آدم هذا الذي علمه الله الأسماء كلها ولم تكن تعرفها الملائكة ، وقد أمرهم سبحانه أن يسجدوا له لأنه سيمنحه الخلافة في الأرض .. وهكذا كان الانسان عند الله في مكان الرعاية والتقدير ، والاجلال والاحترام ، على قدر تفكيره فيه ، وايمانه به ، وعبادته له ، ورجوعه اليه ، وخوفه منه ، لأن ذلك كله استجابة للفطرة ، وسير على السنن السوى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

منهج الإسلام

الاسـلام بنظمه وتشـريعاتـه ، ونصائحه وتوجيهاته ، يشتمل على تشريعات حية نامية متطورة ، تكفل للفـرد وللمجتمع الحيـاة الكريمـة الآمنة . ولهذا نرى الاسلام يعني اكبـر العنايـة بـالمجتمـع المسلم ، وبوجوب تطهيره من الرذائل الدخيلة التي وفدت علينا مع الاستعمار والتي ورثناها من عهود الانحطاط ، من المادية والانانية والميوعة والتحلل ، والاستغراق في متع الحياة الدنيا ، والاستبداد والنفاق ، والملق وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال الى غير ذلك من الاخلاق التي ينهى عنها الاسلام ، كما نجد الاسلام من ناحية اخـرى يعني بتثبيت القيم الاخلاقية الاصيلة التي توارثتها هذه الامة جيلا بعد جيل ، مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذي بعثه الله ليقيم مكارم الاخلاق ، كالسخاء والايثار والعفاف والحياء والغيرة . والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد والوفاء والرحمة بخلق الله ، واصلاح ذات البين والشجاعة ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبـر الوالـدين ، وصلة الارحـام ، والاحســان الى الجــار ، واكـرام

في بناء المجتمع الفاضل

للاستاذ / حسنين نعيم

الضيف ، واغاثة الملهوف والصدق في القول والامانة في العمل ، والعدل في الحكم والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، واعطاء كل ذي حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس والقصد والاعتدال . في كل شيء الى غير ذلك من الفضائل التي يجب ان تسود وتبقى لذا ليس عجيبا ان نرى الدكتور « هوجوماركاسن » الفيلسوف الالماني يقول : « ان الاسلام احدث الاديان السماوية ثم هو في الوقت نفسه ارقاها واعظمها تمشيا مع التقدم » وقد امتاز الاسلام بهذا الامر في تعاليمه الجليلة المستمدة من القرآن حتى صار اعظم الاديان اخذا بأحكام العقل وأشدها تقديرا للترقي . وانه لا يرغم معتنقيه على الايمان به ارغاما بل تسليما والتسليم مشتق من اسمه الاسلام » .

ولذلك كانت الغاية التي ينشدها الاسلام من الحياة هي أن يعيش الناس عيشة فاضلة كريمة ، تلائم كرامتهم وتناسب منزلتهم بين الخلائق ، ومن هنا كرم الله بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق ، وجعلهم خلفاء في هذه الارض ، وسخر لهم كل ما فيها ليعمروها بالخير والصلاح ، وجعل لهم أجلا لا ريب فيه تنتهي اليه

مدتهم في الحياة الدنيا ، بعدها ينتقلون الى حياة أخرى أكرم وأسمى . قال جل وعلا : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء/ ٧٠ كما قال جل شأنه : (**وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه**) الجاثية/ ١٣ والى جانب هذا كله حذرهم سوء المصير ، إذا هم انحرفوا عن الجادة وحادوا عن الطريق السوي ومالوا مع الاهواء والشهوات .

فالاسلام لا يريدها حياة كيفما كانت ، انما يريدها حياة سامية سامقة ، كريمة تليق ببني الانسان ، وترتفع بهم عن الاسفاف ، والهبوط الى مستوى الحيوان الأعجم الذي تحكمه شهواته وغرائزه ، فيندفع معها بلا ارادة ولا فكر ولا نظر في العواقب ، يريدها حياة وحدة وارتباط ، وتآلف يدين الناس فيها دينا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ويسكنون وطنا واحدا ، هو هذه الأرض التي سخرها لهم ليعيشوا عليها إخوة متراحمين ، مثلهم في توادهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى لذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما اعزنا الله اذلنا الله » والاسلام يريدها ايضا حياة فاضلة كريمة ، قوامها التآخي ومظهرها التراحم ، وغايتها السلام ، كل هذا ليقيم الاسلام المجتمع على اسس من الطهر والنقاء والصفاء ، والاخوة والمحبة والمودة ، وحتى يعيش الجميع في ظل الاسلام آمنين على ارواحهم وأعراضهم وأموالهم ، لذا يقول صلوات الله وسلامه عليه « كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه » رواه ابو داود وابن ماجه أيضا ليقيم الاسلام المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة ، ولا ينتشر فيه التبرج يقول تبارك وتعالى : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**) النور/ ٣٠ و ٣١ كما يقيم الاسلام المجتمع على الشورى والنصح والتعاون والمساواة والعدالة ، لذا يقول الله تبارك وتعالى : (**وامرهم شورى بينهم**) الشورى/ ٣٨ ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « الدين النصيحة » وبقية الحديث كما جاء في صحيح مسلم قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال « لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم » ومن هنا رأينا الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، حين يودع احد ولاته الى اقليمه حاكما يلقي عليه قبل سفره هذا السؤال الكبير قائلا :

« ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق او ناهب ؟ فيجيبه الوالي قائلا : اقطع يده . فيقول عمر واذن فان جاءني منهم جائع او عاطل

فسوف يقطع عمر يدك ، ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفهم فاذا اعطيناهم هذه النعمة من الله ، اقمنا عليهم حدود الله كفاء شكرها . ولا شك ان المجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم بحكم التشريع ، والذي يقف فيه الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام الله رب العالمين واحكم الحاكمين ، والذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون يعيش الجميع في ظله آمنين مطمئنين على حياتهم وارزاقهم وجميع شؤونهم يروي المؤرخون ان يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز عاملا على صدقات افريقية ، فاقتضيتها وطلبت الفقراء نعطيها اياهم . فلم نجد بها فقيرا ، فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، مع ان مدة خلافته كانت ثلاثين شهرا .

على هذه الاسس القويمة يبنى المجتمع الاسلامي وتتكون الأمة الاسلامية : كما يريدها الله ، ومن هنا رأينا المنصفين من الاجانب يشيدون بالاسلام ، ويمجدون تعاليمه فهذا هو جون الفيلسوف الالماني الذي يؤثر عنه انه نظر في الاسلام فأعجبه يقول « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » كما رأينا « كارليل » الفيلسوف الانجليزي يقول « اي دليل تبغي على صدق محمد فيما يدعيه من النبوة اكبر من ان يأتي للناس بدين يهديهم به ، ويدفعهم في طريق الحياة الفاضلة ، وان يبقوا محافظين عليه متحمسين له اكثر من اثنى عشر قرنا ، الا فليعلم الناس ان مثل الباطل كمثل ورق البنك الزائف ، يمر من يد ويدين ، ثم يضبط ويعرف انه زائف ، ولكن الاسلام هدى عقول كل هذه الاجيال ، واهله اشد اعتدادا وتمسكا به من اي امة بدينها في الارض » .

وهذه شهادة صدق للاسلام وصدق الشاعر حين قال :

شهد الانام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الاعداء

ومن هنا فان الاسلام هو الذي يمكن بواسطته اقامة مجتمع فاضل ، وذلك بارشاده الانسان الى الوسائل التي ترفع من شأنه وتعلي من قدره ، وتجعله سعيدا في الدنيا والاخرة ، فقد اقتضت حكمة الله جل شأنه ان يكون في هذا الدين خير هذه الدنيا وأمنها وسعادة الفرد والجماعة فيها يقول جل وعلا : (**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى**) طه/١٢٣ ـ ١٢٧ كما يقول سبحانه : (**انه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**)طه/ ٧٤ ـ ٧٦ .

فالاسلام فيه الخير كل الخير ، والفلاح كل الفلاح لمجتمعنا في هذه الدنيا اليس هو صانع تاريخ العرب وأمجادهم وثقافتهم ومثلهم وحضارتهم ؟ ثم اليس هو الذي خلّد لغتهم ورفع ذكرهم في العالمين عامة وفي الشعوب الاسلامية خاصة ؟ بل وجعل من العرب أمة رائدة حيث وضع في أيديهم القيادة ، وجمعهم من شتات العصبية ، وحررهم من جهالة الأمية وضلال الوثنية وقذارة الجاهلية ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، وصدق الله إذ يقول : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) الجمعة / ٢

وبالاسلام صار العرب إخوة متحابين متعاونين ، يتسابقون الى الخير ويتبارون في عمل البر ، بل لقد كان التواصي بالخير والدعوة الى التزام البر طابعا وشعارا وخلقا وسلوكا ، حتى لقد كان الرجلان اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة المباركة الوجيزة : (**والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) سورة العصر .

وكان رب الأسرة وعائلها لا يكاد يخرج من بيته حتى يوصيه أهله بالخير ، ويذكرونه بالبر والرشد ، لا سيما وهو في طريقه الى السعي على رزقه ، واكتساب نفقة أهله ، قائلين له اتق الله ولا تكسب حراما ، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم .

ولقد كان الإيثار خلقا وسلوكا ، فقد أخرج الطبراني في الكبير عن مالك الدار وهو مالك بن عياض مولى عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ، فقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

فذهب الغلام اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال أبو عبيدة وصله الله ورحمه ثم قال : تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، حتى نفدت ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقال اذهب بهذا الى معاذ بن جبل فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك . فقال معاذ رحمه الله ووصله . تعالي يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا ، اذهبي الى بيت فلان بكذا ، فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين ، فأعطنا . فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره . فسر بذلك فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض .

ولقد كان العدل سائدا بين الأولين بفضل الاسلام الذي أرشدهم اليه وكان شاملا للناس جميعا فلم يفرقوا في ذلك بين المسلم وغيره من أهل الأديان الأخرى .

يروي أبو داود في سننه أن الرسول

صلوات الله وسلامه عليه قال « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » .

حتى لقد حدث حين توغلت جيوش المسلمين في فارس وما وراء النهر ودخلت مدينة سمرقند أن أرسل أهلها الى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين فأرسل عمر الى والى خراسان يأمره بعرض هذه القضية على القاضي « جميع بن حاضر البلخي » فقضى القاضي بأعجب حكم في التاريخ . لقد قضى بإخراج الجيش الاسلامي من سمرقند لأنه دخل المدينة غدرا وهو حكم لم تعرفه الدنيا الا للقضاء الاسلامي وعدالة لا تعرفها عدالة الأرض .

هذا وقد ذكر الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » أن عبد الله بن عمر رجع من غزوة من الغزوات وقد ابتاع الغنيمة بأربعين ألف درهم فلما قدم على أبيه أنكر عليه ما فعل لأنه لعل أمير الجيش قد باع له بأرخص مما يبيع لغيره ، لأنه ابن أمير المؤمنين ، ولم يجد شيئا قول ابنه له انه اتجر كما يتجر غيره ، ثم قال له اني قاسم مسئول واني معطيك أكثر مما ربح تاجر من قريش . لك ربح الدرهم درهم ودعا التجار فاشتروا ما كان معه بأربعمائة ألف فأعطاه ثمانين منها ، ودفع بالباقي الى بيت المال ليقسمه بين الناس . ويروي البخاري في صحيحه أن عمر رضي الله عنه قسم ثيابا بين بعض نساء أهل المدينة فبقى منها ثوب جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك . يريدون أم كلثوم فقال عمر أم سليط أحق به وهي من نساء الأنصار وممن بايع رسول الله فقد كانت تحمل القرب يوم أحد .

بل لقد بلغ العدل عند عمر الغاية وأربى على النهاية ، وذلك حين خرج يوما يتفقد ابل الصدقة فقد وجد بينها طائفة أنكرها لجودتها وسمنها وحسن العناية بها فقال لعامله على إبل الصدقة ، إبل من هذه ؟ فقال العامل إنها إبل عبد الله بن عمر فقال ومن عبد الله بن عمر ؟ فقال العامل : ابن أمير المؤمنين فقال عمر : علي به . فأحضروه فقال عمر لابنه بكم اشتريت هذه الابل فقال عبد الله اشتريتها بكذا يا أمير المؤمنين فقال عمر نعم يقولون هذه إابل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها ، لك ما اشتريت ثم هي لبيت مال المسلمين .

ومن ثم رأينا المسلمين الأولين قد سادوا وفتحوا البلاد شرقا وغربا حيث ساروا على منهج الاسلام الذي هذب سلوكهم وصفى نفوسهم ونقى ضمائرهم وعدل سلوكهم لذا ليس عجيبا أن نرى أحد الفلاسفة يقول مشيدا بالاسلام « إن لتعاليم الدين من السيطرة على المسلمين في كل تصرفاتهم ما يجعل لها مكانا بارزا في أي تخطيط لاتجاهات العالم الاسلامي ، فالاسلام ليس مجرد مجموعة من القوانين الدينية ولكنه حضارة كاملة .

روح السورة وأهدافها في القرآن الكريم

للدكتور : عبد الله محمود شحاته

١ ــ خطأ المستشرقين :

وجه بعض المستشرقين نقدا الى تأليف القرآن ، وقال : انه جمع غير مؤتلف، أشبه بقولهم : « خمر لبن عسل » .

ولم يستطع أن يتبين ما في القرآن من روابط خفية ، فالوحدة الكبرى التى تجمع بين آيات القرآن هي الحديث عن الأسلام وما يتعلق به ، ولكن هذا الحديث كان معجزا متشابها يحس الأنسان فيه بصدق العاطفة وجمال التعبير وجودة الأداء . قال تعالى : (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد**) الزمر/٢٢

وفي ترابط آيات القرآن سر تحس به النفوس وتخشع له القلوب ، وقد تعجز الكلمات عن التعبير عن التأثير القرآني وسطوته على القلوب .

٢ ــ رأي الدكتور دراز :

يرى الدكتور دراز أن القرآن يضرب به المثل في جودة السبك واحكام السرد حين ينتقل من فن الى فن .

ويرى : « أن هذه النقطة قد غفل عنها جميع المستشرقين ، فضلا عن بعض علماء المسلمين ، فعندما لاحظ بعضهم بنظرته السطحية عدم توافر التجانس والربط الطبيعي بين المواد التى تناولتها السور ، لم ير في القرآن الا أشتاتا من الأفكار المتنوعة ، عولجت بطريقة غير منظمة ، بينما رأى البعض الآخر أن علة هذا التشتيت المزعوم ترجع الى الحاجة لتخفيف الملل الناتج من رتابة

الأسلوب . وهناك فريق آخر يرى في الوحدة الأدبية لكل سورة – وهو مالا يستحيل نقله في أية ترجمة – نوعا من التعويض لهذا النقص الجوهري في وحدة المعنى .

وفريق آخر يضم غالبية المستشرقين ، « رأى أن هذا العيب يرجع الى الصحابة الذين جمعوا القرآن وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه ورتبوها على شكل سور » .

ويعقب الدكتور محمد عبد الله دراز :

« بأن هذه التفسيرات لا تبدو صالحة للأخذ بها ، اذ من المتفق عليه أن السور كانت بالشكل الذي نقرأها به اليوم ، وبتركيبها الحالي منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » .

« ولقد اتضح أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا للسورة يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة .. ولا جدال في أن طريقة القرآن هذه ليس لها مثيل على الأطلاق في أي كتاب في الأدب أو في أي مجال آخر ، يمكن أن يكون قد تم تأليفه على هذا النحو . واذا كانت السور القرآنية من نتاج ظروف النزول ، تكون وحدتها المنطقية والأدبية معجزة المعجزات » .

٣ – نزول القرآن منجما :

لقد نزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة سنة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة . واستمر نزول بعض السور عشر سنين مثل سورة البقرة ، ومع ذلك احتفظت بالتناسق والترابط بين آياتها ، وبالترتيب والتجانس بين موضوعاتها .

« ومع أن السورة من القرآن كانت تنزل منجمة مقسطة وفي أوضاع تأليفية عجلى ومشتتة ، وبين أجزائها عناصر معنوية مختلفة ، ومع هذا سبكتها وأحكمت صنعتها يد الله السميع البصير ، فانظر الآن هل استطاعت هذه الأسباب على تضافرها ، أن تنال من استقامة النظم في السور المؤلفة على هذا النهج ؟. « أما العرب الذين تحداهم القرآن بسورة منه فلقد علمت لو أنهم وجدوا في نظم سورة منه مطمعا لطامع ، بله مغمزا لغامز لكان لهم معه شأن غير شأنهم وهم هم » .

٤ – كتاب النبأ العظيم :

كتاب النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ، من أقيم الكتب التى تحدثت عن القرآن ، فقد تحدث الكتاب عن الوحدة المعنوية للسورة ، وما في القرآن من اعجاز متعدد الألوان ، فمنه الأعجاز اللغوي والأعجاز العلمي ، والأعجاز التشريعي . وبين أن أسلوب القرآن هو ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها ، ووضع الدليل أمام القارىء قائلا :

« أقبل بنفسك على تدبر هذا النظم الكريم لتعرف بأي يد وضع بنيانه ، وعلى أي يمين صنع نظامه حتى كان كما وصفه الله (**قرآنا عربيا غير ذي عوج**) الزمر/٢٨ . اعمد الى سورة

من تلك السور التى تتناول أكثر من معنى واحد ، وما أكثرها في القرآن الكريم فهي جمهرته ، وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة ، ثم ارجع البصر كرتين : كيف بدئت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ، ووطأت أولاها لأخراها ، وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها ، أو مبانيها ، ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى . ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة واحدة حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها نزلت نجوما »

٥ ـ طبيعة وحدة السورة :

في السورة وحدة فكرية ، تعني أن هناك روابط بين أجزائها ، ويخطيء من يظن أن هذه الوحدة تعني أن السورة موضوع مستقل ، أو فصل في باب ، أو مبحث في كتاب .

فهناك فارق كبير بين طريقة القرآن ، وطريقة التأليف عند الناس . القرآن كتاب هداية يسلك الى النفوس طريقها ، ويتخولها بالموعظة بين الحين والآخر ، ولكنه جعل لكل سورة موضوعا غالبا عليها وسمات بارزة فيها .

٦ ـ رأي الاستاذ محمد المدني :

يقول أستاذي المرحوم الشيخ محمد المدني في مقدمة كتابه « المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء » .

ان في كل سورة من سور القرآن الكريم روحا يسرى في آياتها ، ويسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها .

« ومن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بوضع الآيات التى تنزل عليه منجمة في مواضعها من السور ، وأن ذلك كان عن وحي يتلقاه عليه الصلاة والسلام من جبريل ، عن الله رب العالمين ، فهل كان ذلك الا لمعنى ؟.. وهل يأمر الله تعالى بوضع هذه الآيات هنا ، وهذه الآيات هناك الا لحكمة ؟. وقد عنى المفسرون بكثير من الجوانب المتصلة بدراسة القرآن الكريم ، وقل فيهم من عنى بهذا الجانب الذي هو دراسة الروح العام لكل سورة ، والغرض الذي تهدف اليه .

ومن الواضح أن سور القرآن مع كون كل واحدة منها ذات طابع خاص وروح يرى في نواحيها ، لا يمكن أن تعد فصولا أو أبوابا مقسمة منسقة على نمط التأليف التى يؤلفها الناس ، ومن أراد أن يفهمها على ذلك أو أن يفسرها على ذلك ، فانه يكون متكلفا مشتطا محاولا أن يخرج بالقرآن عن أسلوبه الخاص ، والذي هو التنقل والمراوحة والتخول ، وبث العظة في تضاعيف القول والوقوف عند العبرة لتجليتها ، والتوجه الى مغزاها ، وانتهاز الفرصة أينما واتت لدعم العقيدة السليمة والمباديء القويمة .

ان هناك فرقا بين من يحاول أن يفعل ذلك ومن يحاول أن يجعل القاريء يلمح الروح الساري ،

والبيئة المعنوية الخاصة التى تجول فيها السورة دون أن يخرج التنزيل الحكيم عن سنته وأسلوبه الذي انفرد به ، وكان من أهم نواحي الأعجاز فيه .

وهذه الطريقة في الدراسة القرآنية أجدى على الناس من تتبع الآيات آية بعد آية بحسب ورودها في السورة ، ومن تتبع جمل كل آية وكلمات كل آية ، وأحيانا حروف كل آية أيضا ، ليدرس كل ذلك على نحو من التفصيل والاجمال ، أو على نحو من التطويل والأيجاز ، فان ذلك لا يعطي المنظر العام ، ولا يساعد على تصور عظمة الصورة مجتمعة الملامح منضمة التقاسيم ، كاملة الوضع .

٧ ـ خاتمة :

ان النظرة الكاملة للسورة تبرز شخصيتها وتجعل القاريء يتعرف على فكرتها العامة ، ويتتبع موضوعاتها داخل الأطار العام المميز لها عن غيرها .

وشتان بين صورة متكاملة متجانسة ، وبين أجزاء مفككة مقطعة لهذه الصورة .

شتان بين من يصف قصرا شامخا ببيان نوع أحجاره ولبناته وأخشابه وحديده ومقابض أبوابه ، وبين من ينظر الى جملته كبيت كامل أو كصرح عظيم .

يرى الامام أبو حامد الغزالي أنه شتان بين من يقدم عبدا هدية لأنسان وبين من يقطع أوصاله ليقدمها هدية ، مع أن العبد في الواقع هو مجموع هذه الأجزاء .

ويقول الغزالي : « الصلاة المشتملة على الركوع والسجود وسائر الأركان بدون حضور القلب ، أشبه بأجزاء العبد حين تقدم هدية ، أما الصلاة المشتملة على الخشوع وحضور القلب فهي أشبه بالعبد الكامل حين يقدم هدية فيها الروح والحياة والجمال » .

لقد تكفل الله بحفظ كتابه ، وهذا الحفظ لا يعني حفظ النصوص وحدها ، ولكنه يعني أيضا حفظ المعنى والروح الهادية في القرآن الكريم ، وما أحوجنا أن نتعرف على روح القرآن الهادية ، وأن نستلهم منه العظة والعبرة ، وأن نستهدي بأهداف سوره ومقاصدها وآداب آياته وأحكامها .

ان هناك يقظة فكرية في البلاد الأسلامية ، وتوجد رغبة ملحة في أن يعود المسلمون الى القرآن ، وأن يتعرفوا على هديه .

وفي رأيي أن تيسير الأهداف العامة للسورة ، وتوضيح أفكارها وسماتها ، يساعد القاريء على ادراك الروح العامة للآيات ، والأحساس بالوشائج والصلات التى تربط بين أجزاء كل سورة ، وهذا يسهل الحفظ لمن أراد الحفظ ، ويسهل الأحاطة بالمعنى الأجمالي للآيات لمن أراد القراءة والتلاوة ، ويقرب القرآن وييسر فهمه ، حتى يتعظ به المؤمنون ، ويهتدي به المسلمون ، وصدق الله العظيم : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر/١٧ .



مِن سمات ..

مجتمع التوحيد



للدكتور / عبد الفتاح محمد محمد سلامه

تراهم ركعا سجدا :

المجتمع الاسلامي ـ الذي صنعه القرآن تحت راية التوحيد ـ مجتمع نابض بالحياة ، موار بالحركة ، زاخر بالنشاط في شتى الميادين والمناحي ، لا تقعد به همته العالية أن يتطاوس ويحلق ، حتى يتعانق مع أسرار الكون ، ونواميس الوجود ، متفاعلا معها ، مهيمنا عليها ، لأن الله هكذا خلقه ، وعلى هذا العطاء ذرأه .. فهو بحكم طبيعته المستمدة من القيم المغروسة فيه ، لا يعرف السلبية او الانزواء ، كما انه يرفض ـ بكل حزم وقوة ـ ان يتراجع او ينهزم في معارك التعمير والبناء .. ويعجبني في هذا المقام كلمة جرت على لسان ، فيلسوف الاسلام وشاعره الأمجد « محمد اقبال » ـ سقى الله جدثه وابل الرحمة ـ : قال فيها :

« المؤمن الضعيف هو الذي يعتذر بالقضاء والقدر ، اما المؤمن القوي فهو قدر الله الذي يتحدى به الأشياء .. » ..

والكتاب المقدس ــ القرآن ــ واضح كل الوضوح ، في تقريره لهذه الحقيقة الساطعة ، حيث يعلن :

(ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ..) القصص /٧٧

ولقد كانت الديانة المسيحية في جوهرها ، دعوة صريحة الى تعميق المفاهيم الروحية ، ونشر مبادىء الحب والتسامح ، بين جماعة بني اسرائيل المتنمرة ، والتي كانت تطفح بكل معاني اللؤم والغدر والخسة والخيانة .. حتى روي عن المسيح ــ عليه السلام ــ قوله :

« من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .. »

« المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسره » ..

ولكن هذه التوجيهات الانسانية النبيلة ، والتي صدرت من روح الله وكلمته ، لم تجد صدى في بيئة معتمة ، أوغلت في العداوة ، وارتضعت من لبان الجريمة ، وكانت تتعطش الى سفك الدماء ، وتتوق الى ازهاق الأرواح ، بعدما كندت طبيعة من فيها من اليهود ، وسرت المادية في اوصالهم ، فتحجرت منهم القلوب ، وتصلدت النفوس ، وخربت الضمائر ، فاستحال هؤلاء الشرانم ، وأولئك الأوزاع الى حيوانات شرسة ضارية ، وثعالب ماكرة ختالة ، لا بضاعة لها الا النهب والتكالب ، ولا مصلحة لها الا الاستغلال الجشع ، وارواء جانب الأثرة الطاغية التي تمكنت منها ايما تمكن ، فصبغت سلوكها بصبغة مادية مسعورة .. لا تبض بقطرة واحدة من ادب او حياء :

ومن ثم ، فان مبادىء المسيحية ما لبثت ان انكمشت وتلاشت ، بل انها تبخرت تماما على ساحة المجتمع اليهودي الصاخب المعربد ، واخفق اقطاب المسيحية ، ومن خلفوا عيسى في دعوته ، إخفاقا كاملا ، وفشلوا فشلا ذريعا ، في توجيه دفة السفينة ، والقبض على زمامها .

وضاق الدعاة ذرعا بمجتمعهم الرافض ، وافلس رصيدهم من القيم والشعارات والمثل في معالجته وتغيير معالم الشر المبثوثة في كيانه ، فحدث ما لا بد ان يحدث : فرار وعزلة ، وتقوقع ورهبنة ، وسخط وتذمر ، وكبت ، ومحاربة للحياة ، وسخط عليها .. وعداء سافر للوجود الانساني كل هذا تحول اليه دعاة الانجيل ، واخذ التمزق النفسي يطحنهم ويسحقهم ، فلجأوا الى المغارات وكهوف الجبال ، واعتكفوا في الأديرة والصوامع ، منقطعين مترهبنين عازفين عن الحياة وشؤونها ، بعد ان هزموا في ميدانها ، وتركوا ساحتها الرحيبة للشيطان يلعب فيها ويعبث بمقدسات الله .. ومن هنا فانهم فشلوا في تأدية رسالتهم ، لأنهم

الزموا انفسهم بهذا النظام ، وفرضوا عليها بدعة الرهبنة التي ما انزل الله بها من سلطان :

ويصور الذكر الحكيم هذا التحول الرهيب في حياة المسيحية فيقول الله تعالى :

(ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ..) الحديد /٢٦ ، ٢٧ ..

بات ظاهرا لذي عينين : ان رسالة الانجيل ، كما يمثلها دعاتها ، غير صالحة لمواكبة المسيرة البشرية ، فهي قد دعمت الجانب الروحي بقدر استطاعتها أما والمجتمعات الانسانية في حركة مائجة ، وأوضاع مهتزة ، فقد اصبحت تتطلب بعثا جديدا ، وتستدعي قيادة رشيدة ، تعبر بها المفاوز ، وعلى دعاة الانجيل القاصرين ان يسلموا اللواء ، لمن هو اقدر منهم على حمل اللواء :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه   لا تظلم القوس أعط القوس باريها

فكان ان سجل التاريخ بين احداثه الجسام : ظهور المجتمع الاسلامي بقيادة ابرز الشخصيات العالمية منذ ان برأ الله النسمة والى ان ينفض سرادق هذه الحياة .. الا وهو سيدنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله .. وأثبتت الأيام ان هذا المجتمع المذكور ، هو اقدر المجتمعات على مواكبة مسيرة الانسانية ، وقيادة قافلة الحضارة ، وتعبئة الزمن بطاقات مبدعة لصناعة الرجال ، وتكوين الأجيال ، وتربية الابطال .. فدستوره نزل ليصلح الحياة وما بعدها ، ويخلق من اتباعه اناسا ينغمسون في اعماق الدنيا بانين مشيدين ، يقومون معوجها ، ويرفعون فيها للفضائل والمكرمات مكانا عليا ..

ونحن وان كنا قد جمعتنا لقاءات سابقة مع مجتمع التوحيد الأول ، على صفحات هذه المجلة الغراء ، فان اللقاء الذي يضمنا الآن يشع بالعبادة ، ويموج بالذكر ، وتتمثل فيه المحاريب ، وقد استقبلت أفواجا وزمرا من القائمين والعاكفين والركع السجود .. أليسوا هم الذين قال الله فيهم :

(تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من

أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ..) ؟ .. **الفتح / ٢٩ ..**

بلى !!! إنهم هم أتباع محمد عليه الصلوات والتسليمات ، وهذه النعوت مكملة لهم ، وتبرز شخصياتهم في دنيا الناس ، مثلما تبرز الثريا في عالم الكواكب ..

فهم غزاة فاتحون ، حاكمون مؤسسون ، صناع حضارة ، ومشيدو مدنية ، رواد علم ، وحماة ثقافة ، أرباب فكر اصيل وعقل مستنير ... والتاريخ بذلك خير شاهد ...

ومع كونهم يقفون في محراب الحياة ، خلايا نشطة واعية ، لها في ميادين التعمير والبناء والرقي المادي والأدبي صولات وجولات .. فانهم في الوقت ذاته يمثلون في محراب العبادة لا يغفلون عنه ، ويزودون انفسهم بزاد منه ، وذلك ليثبتوا لكل ذي لب : أن الحياة لا تصلح إلا اذا كان الدين هو القائم عليها ، والموجه لها ، والحارس الامين لقضاياها ، وكانت هي ترجمة صادقة لنظمه ومبادئه .. ورحم الله « إقبال » حين هتف :

إذا الايمـــان ضاع فلا أمان ... ولا دنيـــا لمن لم يحـــي دينا
ومـــن رضي الحيـــاة بغـــير دين ... فقـــد جعـــل الفنـــاء لهـــا قرينا

ونحن ــ بكل فخر واعزاز ــ لا نقصد بالدين الا الاسلام ، شريعة الله الخاتمة الخالدة :

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..) آل عمران / ٨٥ فهي شريعة الدنيا والآخرة ، فلا رهبانية ولا عزلة ولا انقطاع ، ولا فرار إلى الكهوف ، ولا تعذيب للأجسام ، ولا تنكر للحياة ، ولا تجهم في وجهها .. الم يقل رسولها العظيم ..

« لا رهبانية في الاسلام » .. الطبراني في الأوسط .. « رهبانية أمتي الجهاد .. » .. ابو داود .. « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه وإنما خيركم من أخذ من هذه وهذه .. » .. الترمذي .. ؟؟؟

واذا كان الأمر كما قررنا ، فان ربنا ــ تبارك وجل في علاه ــ قد وصف أتباع النبي الامي ، وهم البذور الأولى في مجتمع التوحيد الأشم ، فقال :
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..) ..
الفتح / ٢٩

فهم قوم يعيشون حياتهم بكل ما فيها من نشاط دافق ، وسعي موفور ، لا يعرفون الخور او الضعف ، وانما يعطون الحياة خير ما فيها ، مما يسعدها ويرقيها .. اما النص الذي معنا الآن :

(**تراهم ركعا سجدا** ....) .... فانه يشير الى دعامة متينة وخطيرة من دعائم « مجتمع التوحيد الحضاري » في ظلال القرآن .. ألا وهي : الصلاة ...

وليس هناك من وسيلة فذة لكسب رضا الله ، وتعميق الصلة به ايمانا واعتقادا ، أزكى ولا أقدس من تلك الساعات التي يقف فيها المؤمن بين يدي ربه خاشعا ، يقشعر منه الجلد ، ويذوب فيه القلب ، ويلج الى عالم الصفاء والطهر والنقاء ، فينادي مولاه ويناجيه ، وهنا يدرك العبد أن سيده العظيم أقرب اليه من حبل الوريد .

جاء في الحديث القدسي : « وما تقرب الى عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه .. » .. رواه مسلم ..

ومن هنا ندرك سر التعبير في وصف جماعة المؤمنين بأنك :

« تراهم ركعا سجدا » .. فينعتهم القرآن بهذين النعتين الجليلين ، ويضفي عليهم هاتين الهالتين المضيئتين .. « الركوع والسجود » .. واذا كان الركوع يمثل الخضوع والاذعان لله رب العالمين ، فان السجود يتحول الى رمز كبير يحوي قمة العبودية ، ويشير الى ذروة الوصول للاله الكبير المتعال ..

« اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. » .. الترمذي

ونحن نلمح على هذا التعبير (**تراهم ركعا سجدا ..**) مسحات مشعة وايحاءات مشرقة من الجمال البياني الأخاذ .. الذي يصورهم في هذه الصورة القانتة العابدة ، ويبرزهم في ذاك الاطار المهيب ، الذي يعلوه الوقار ، ويجلله البهاء ، وما بالك بقوم اذا توجهت اليهم بنظراتك ، او وقعت عليهم عيناك ، فانك لن ترى منهم الا متلبسا بركوع او سجود ، ولن تبصرهم الا على حالة من العبادة المنيبة المتبتلة ، فكأن دينهم وشعارهم ، بل وشغلهم الشاغل هو : أن يراهم ربهم في محل طاعته ، ويفتقدهم حيث نهاهم ، وهم بذلك يكونون قد وصلوا الى

اعلى مراتب العبادة والتجرد لله الواحد الديان ، حيث مقام الاحسان ، الذي يتحدث عنه سيد ولد عدنان :

« الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك ... » ... رواه الشيخان ...

وهذه الصفوة المؤمنة انطبعت حياتها بطابع الطاعة لله ، والامتثال له ، والتوجه اليه ، فهي قد اتحدت مع الكون ، وانصهرت في بوتقته ، وتجانست مع نواميسه ، حيث يصبح الجميع وحدة متسقة ، تهتف بلسان الحال ، وتقر بلسان المقال ، معترفة بالجمال والكمال ، لربك ذي الجلال :

(الم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ..) .. الحج / ١٨ ..

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ...) .. الاسراء / ٤٤ ..

ولأجل أن يبرز القرآن هذا المعنى واضحا جليا ، يأتي بالصيغتين الكريمتين وهما : (**ركعا سجدا**) . بما تشتمل عليه كل منهما من مبالغة وكثرة وزيادة ، نتيجة التشديد الكائن في مادة الكلمة ، ولا يخفى عليك جمال الايقاع والرنين الموسيقي العذب الذي ينبعث من تأليف ذينكما اللفظين الرقيقين بطريقة تأخذ بمجامع القلوب ، وتلك ناحية يدركها أرباب البلاغة ، ويتذوقها أصحاب الأحاسيس الأدبية الرفيعة ، التي يستثيرها القول الجميل ، ويحرك كوامنها التعبير الجليل ، ويقدح زناد عاطفتها التركيب الرصين ..

والصلاة في لغة القرآن تعني عبادة القلب واللسان والجوارح ، وهي مقوم اصيل من مقومات المجتمع الحضاري في ظل الاسلام ، لأنها تخلع عليه ظلالا وارفة من الأمن والرضا ، وتجعله يشعر بالسكينة تنزل عليه ، وتوفر له اسباب السعادة ، بل وتغسل عنه الأوضار والأكدار ، وتصب سلوكه وأفعاله في قوالب من الاتقان والابداع ، فعلى قبس من نورها يمضي المؤمن في عمله هادىء النفس ، واثق الخطى ، عامر الفؤاد بيقين في الله لا يهتز ولا يتزعزع ، لا ترجف به الأرض ، ولا يشطح به الخيال ، ولا تلعب به الاماني ، ولا يغره بالله الغرور .. وإنما يكون متصلا بحبل ربه المتين ، يأخذ عنه ، ويستقي من ورده ، ويغترف من نبعه ، فيعرف الحقائق ، وتتجلى له الأشياء ..

والقرآن الكريم يقرر هذه القضية ، ويسوقها في تأكيد جازم ، وذلك حيث يقول رب العزة :

(ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون ..) .. المعارج /١٩ ـ ٢٣ .

وجاء في الحديث الصحيح عن سيدنا رسول الله : « أنه كان إذا حزبه أمر ، فزع إلى الصلاة .. وقال بهذا أمرني ربي .. » .. مسلم ..

(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ..) .. طه /١٣٢ ..

بل ان الرسول العابد ـ وهو قائد مجتمع التوحيد ـ لتصل به درجة العشق للصلاة والهيام بها ، إلى حد الانبهار ، والشوق الجارف ، والحنين الدافق ، الذي لا يستطيع مغالبته .. فاذا بك تسمعه وهو يخاطب مؤذنه الأثير عنده ، بلغة وديعة وصوت مأنوس يقطر سلاسة وعذوبة ، وهو يقول بلسان المحب الوامق :

« أرحنا بالصلاة يا بلال ... » .. رواه البخاري

إي والله !!! أرحنا بها لا أرحنا منها ... !!!

وإنك لتعجب أشد العجب عندما تجد النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ، يخلع على الصلاة هذه الصورة الباهرة ، ويبرزها في ذلك الاطار المضيء ، ويسوق لها ذاك المثل الفريد ، فيجعلها بلسما شافيا يطب الجروح ، ويبرىء السقام ، ويزيل عن الانسان أثقاله وهمومه ..

« أرأيتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل فيه خمس مرات كل يوم ، هل كان يبقى من درنه شيء ؟؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا .. » .. رواه البخاري ..

فالصلاة روح الاسلام وشعاره ، ولباس الايمان ودثاره ، وهي قيمة خلقية حضارية ، غرسها القرآن المجيد في أعماق مجتمع التوحيد العظيم ، فعرج بها الى السموات العالية ، وتسنم بها ذرا الفضائل والمثاليات ، وغدا افراده رهبان الليل

وفرسان النهار ، فعندما يجن الظلام على احدهم ، وتغور نجومه ، ويرخي سدوله ، اذا بك تلفيه : يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غيري ، ألي تعرضت ؟ أم إلي تشوقت ؟ هيهات هيهات .. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ...

واذا كان الله قد أيد رسوله الكريم بالاسراء والمعراج ، وفيهما رأى محمد من آيات ربه الكبرى : **(ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين او أدنى) .** النجم /٨ ، ٩ وفيهما ايضا فرضت الصلاة في ساعة من ساعات القرب والاصطفاء والاجتباء ..

فانه لا ينبغي ان يغيب عن أذهاننا : ان هذه الصلاة بعينها قد جعلها ربنا إسراء بحياتنا ، ومعراجا لأرواحنا ، حيث نتخفف من وطأة الحياة ، ونتخلص من ماديتها ، ونزيح عن انفسنا قيودها واغلالها ، في فترات نخلو فيها الى خالقنا ، نحادثه ويحادثنا ، وندعوه ويستجيب لنا ، ونشكو اليه فيزيل شكاتنا ، وبذلك تعود لأرواحنا شفافيتها ورفافيتها ، ويؤوب لنفوسنا صفاؤها ونقاؤها ..

(وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ..) .. البقرة / ١٨٦ ..

ويقول فيه سيدنا رسول الله ، يخاطب الناس جميعا :

« الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين .. » .. البيهقي ..

الناس سواسية

عندما يصعد الانسان النظر ، ويقلب الفكر ، ويسلس القياد لتطلعاته ، فانه سيرمق عن قرب عالما ممزق الاوصال ، مقطع الروابط ، مبتوت الوشائج ، تأكله الاحقاد ، وتضطرم فيه نيران العداوة ، وتسري بين اوصاله روح البغضاء والكراهية . سوف يبصر حشود البشرية مطحونة مسحوقة متحاربة متصارعة ، تكاد لافلاسها من القيم تهوى من حالق ، وترتطم بالصخور . لقد اصبح الحال كما وصفه القرآن :

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم/٤١ .

ومما يؤسف له ان حياتنا هذه ، تحكمها الآن تيارات رعناء ، متناقضة

الاهواء ، متباينة المشارب ، مختلفة المنازع ، وهي كلها تحكي ردة الفكر ، وشتات العاطفة ، وتصور الجاهلية الداكنة والانسانية تموج فيها ، وقد غشاها ما غشاها ، وغمرها ما غمرها من اشواب الباطل ، تعكس عليها ظلالا فاحمة من القتام الاسود الرهيب ، جعلتها تسبح في دائرة فضائية خواء ، وتتحرك في واد بلقع تلفه الوحشة ، وتكتنفه المتاهات . وما أرى الانسانية وهي تتخبط في مسيرتها ، الا وقد نسيت ارشاد ربها ، وتوجيه خالقها وبارئها ، حين صب في سمعها :

(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الانعام/١٥٣ ومنذ أن برزت الى الوجود ، في مطالع هذا القرن ، فكرة تفوق الجنس الآري ، او سيادة العقل الاوروبي ، وتسلطت على العالم هذه النزعة الهوجاء : بدأ الاستعمار الغربي المتغطرس : حملاته المحمومة المسعورة ، التي اكتوت بها الامم ، وزلزلت كيان الشعوب ، واخذ مد الطغيان يقوض دعائم الامن ، ويدك معاقل الاستقرار ، ويقبض بيد من حديد على كل ما يقع في حوزته من مال ، ويبتز من الاسلاب والخيرات ما ناهيك بكثرته وضخامته . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، اذا لهان الخطب ، وخفت البلية ، ولكن طفح الكيل ، وجاوز السيل الزبى ، عندما استذل المستعمرون غيرهم من بني البشر وحولوهم الى ما يشبه العبيد والخدم ، ونظروا اليهم نظرة تنقص ومعابة ، وكأنهم مخلوقات حشرية او كائنات طفيلية ، يجب التخلص منها ، ويلزم استئصال شأفتها .

وذلك كله حدث ويحدث بدعوى ان العقل الاوروبي هو سيد العقول ، وان صاحبه ميزه الله باستعداد ، وحباه باختصاص ، حرم منه كل الناس ، فمن حقه ان يسود ويسيطر ، ويستغل ويستعمر ، ويستذل ويستعبد ، ويستولي على مقدرات الامم ، ويتحكم في مصائر الشعوب . وكنتيجة عكسية لهذا الاتجاه الأفن ، ظهرت التفرقة العنصرية ، وطفت آثارها الفادحة فوق السطح ، وظهرت عواقبها الوخيمة في بقاع شتى نكبت بالاستعمار ، ورزئت بهمومه واثقاله ، والمثل على ذلك : جنوب افريقيا حيث الاستعمار البرتغالي يكتم انفاس المواطنين السود ، ويجثم فوق صدورهم ، ويعاملهم باسلوب همجي بربري ، كله قمع وعنف ووحشية وقسوة تتنافى مع ابسط قواعد الانسانية . حتى الدول التي تدعى لنفسها تقدما ومدنية ، وبلغت في القوة المادية درجة خيالية . كأمريكا مثلاً نكبت هي الاخرى بهذا اللون من الوان المعاملة فهناك الزنوج السود القاطنون في الولايات المتحدة ، يعانون اشد المعاناة ، ويقاسون انكى انواع المظالم التي يتعرض لها انسان . وكم قامت ثورات جائحة ، راح ضحيتها رجال ونساء واطفال ، ولكنها أخمدت ، وسحبت عليها ذيول النسيان

لقد اسمعت لو ناديت حيا

ولكن لا حيـــاة لمن تنادي

وهكذا تحول الانسان الابيض المتمدين الى حيوان فاتك ، ووحش شرس ، يسفك الدماء ، ويزهق الارواح ، وكأن البشرية قد رجعت الى العهود البدائية ، يوم أن كانت تحكمها شرائع الغاب ، وتسوس حياتها قوانين الارهاب . بل صار الحال هو الذي عناه الشاعر حين هتف :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصـــوت إنســـان فكدت اطير

وفي عام ١٩٤٥ قامت المنظمة الدولية (الامم المتحدة) وهي هيئة انيطت بها امور خطيرة : تتمثل في رعاية العالم والسهر على راحته ، والضرب على يد الظالم ، وانصاف المظلوم المقهور ، وتقديم كافة المساعدة المادية والادبية للشعوب المستضعفة ، لتظفر بحريتها ، وتعتز بآدميتها ، ولكن هذه الهيئة الدولية ما تمكنت من القيام بدورها ، لتصارع ارباب النفوذ ، وتطاحن القوى العالمية ، وظل الناس في اقطار شتى يتحملون الوانا جمة من الويلات والشرور ، من جراء تسلط قوى البغي والطغيان .

ومن عجب انه في العام الذي ولد فيه : الميثاق العالمي لحقوق الانسان في ديسمبر ١٩٤٨ والذي اصدرته الامم المتحدة ، وقامت له الدنيا وقعدت في ذلكم العام الحزين بالنسبة لنا نحن العرب والمسلمين وقعت اعظم الجرائم الانسانية بشاعة وخسة ، حيث نهب شعب باكمله ، وطرد من دياره ، واخرج من ارضه ، وابتزت خيراته ، وخرج اكثر من مليون مسلم وعربي هائمين على وجوههم ، تحتويهم الخيام ، ويؤويهم العراء ، وتضمهم بطون الصحراء . وقعت جريمة فلسطين التي تندى لها جبين الانسانية حزنا وخجلا تحت سمع وبصر المنظمة العالمية وقامت دولة صهيون على حساب امة كانت تقول : لا اله إلا الله فماذا فعلت المنظمات والهيئات ؟ وماذا قدم ميثاق حقوق الانسان لشعب مغلوب على امره ؟ . لا شيء . بل وصل الامر منتهى القحة ، عندما بادر رئيس امريكا في ذلك الوقت : « ترومان » . واعترف بدولة العصابات اليهودية بعد قيامها باربع عشرة دقيقة ولله في خلقه شؤون .

ويحضرني في هذا المقام حديث لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت » رواه البخاري ومسلم .

وناهيك بالنزعة العنصرية القاتمة التي أوغلت في دماء اليهود ، وصبغت فكرهم ، ولونت اتجاههم ، فجعلتهم يهرفون بمالا يعرفون ، وتنادوا بتفوق السلالات اليهودية ، وانها وحدها اهل لتكريم الله واصطفائه ، وان كلمة الرب قد القيت اليها من ضمير الغيب ، فلها السيادة والتعالي ، والقيادة والهيمنة . ومن ثم ، اذاعوا على سمع العالم انهم : « شعب الله المختار » . وان وعده —

سبحانه ـ بالتمكين والغلبة ، خاص بهم ، مقصور عليهم ، دون غيرهم من الناس . والقرآن الماجد يتغلغل الى اعماق هذه النفوس المظلمة ، المريضة بعقدة السيطرة والاستحواذ ، والتي يلعب فيها مركب النقص دوره الشائن المحقور ، ويستبطن اسرارها الغامضة المثيرة ، ثم يزيح عنها الاستار ، ويكشف الاقنعة ، لتبدو في جلاء على حقيقتها الرهيبة : وبذلك : « يفصح الصبح لذى عينين » يقول الكتاب الكريم محللا العقلية اليهودية المتهافتة :

(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) . المائدة/١٨ .

ويتحدث عن نزعة الغرور المادي ، التي اوصلتهم الى درجة الكفر الفاجر :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) المائدة/٦٤ .

(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران/١٨١ .

تلك امانيهم ، وهذه مزاعمهم ، ولا مراء في انها نزعات شريرة ، معربدة شقية مغامرة ، ينتكس بها الحق ، ويعم تحت دخانها الظلم ، ويخفت في ظلالها المخيفة صوت العدالة ، وتقوم بها للباطل دولة ، وتكون له صولة ، فتستباح الحرمات ، وتنتهك الحريات ، وتهدر آدمية الانسان ، ويفقد من جراء ذلك كل معنى كريم ، وتغيب عنه كل القيم الرفيعة ، وفي هذا الزحام تنقلب الامور ، وتنعكس الموازين ، وتفسد المعايير ، واذا ما سارت البشرية الى هذه الهاوية ، وتدلت الى هذا الدرك ، فقد باينها الرشد ، ونبابها الشيطان عن الهداية ، وهي ـ بذلك ـ الى الدمار تسعى حثيثا . وما لهذا خلق الانسان . وما لذاك العبث كانت حكمة الاستخلاف .

واذا اردت ان تعرف دستورا جامعا ، يرعى العلاقات الانسانية ، ويمجد اواصرها ، ويبوىء البشرية مكانتها القمينة بها ، فلا تنظر الى الشرق ، ولا ترن الى الغرب ، ولكن ارهف سمعك ، واصغ بحسك ، واستثر انتباهك لصوت كتاب الله ، يعلو داويا ، وينساب رقيقا حانيا ، يمسح الضغائن ، ويزيل الاحقاد ، انه يخاطب الناس ، كل الناس ، ويناديهم هذا النداء العطوف ، ليلقي في حبات قلوبهم هذا الاعلان ، بل ذاك الميثاق العالمي الخطير ، وهو ميثاق الهي ، ومنهج رباني ، حفيت اقدام البشرية ودميت ، وهي تسعى لاهثة اليه ، بينما هو كائن في صيدلية القرآن ، الذي انزل على محمد عليه الصلاة والسلام . انه يقول في حزم وحسم :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات/١٣ . أرأيت الى هذا العطر الفواح ؟ أرأيت الى هذا العالم الطهور الذي يحلق في آفاق غير

متناهية من الجمال والجلال والكمال ؟؟ انه عالم القرآن في تفرده ، وهمسه في خلوده وشموخه انه النور يشرق ، والضياء يتألق ، والهداية تسري ، والحياة تواكب مسيرة الحضارة الصاعدة الظافرة . وما اجمل ان يصافح سمعنا قول ربنا ، متحدثا عن تلكم المعاني المتوجة بالبهاء :

(الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) النور/ ٣٥ .

(وكذلك أو حينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم) الشورى/ ٥٢ .

ان الدساتير البشرية المنحوتة من الافكار القاصرة ، والثقافات المحدودة ، يجب ان تعرف قدرها ، ولا تتجاوز طوقها ، وكذلك المواثيق الدولية التي صاغتها اقلام ذهب بها الهوى كل مذهب ، فراحت تسوق مبادىء متباينة ، وتسوس الشعوب والامم بنظريات تخلو من الروح والمضمون .

اقول : ان هذا الحشد الهائل من الافكار والثقافات ، يجب ان يقف خاشعا امام دستور القرآن الامجد ، وهو يشرع للناس ، ويبني لهم الحياة الطيبة ، وهي حياة ترتكز على جوهر اصيل ، ومعنى نبيل ، يتماثل في قيمة حضارية ، سكبها القرآن انشودة معطرة ، في سمع الانسانية الضالة الحائرة ، فاذا بها تغدو عالما غنيا بالمبادىء والمثاليات واعني بهذه القيمة الحضارية : « المساواة » وذلك حين ينادي ربنا البشرية العزيزة التي نفخ فيها من روحه ، وهي مبثوثة في فصائلها الكثيرة :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهو نداء عزيز غال ، يهز أوتار القلوب ، ويثير كوامن الشوق في النفوس ، وفيه يخلع الله على الانسانية خلعة البهاء والوقار ، ويدثرها بحلية التكريم والتعظيم ، لأنه توجه اليها بهذا الخطاب الذي يفيض رقة وعذوبة ، وهو هنا ـ سبحانه ـ ينادي الناس ، كل الناس ، على اختلاف الوانهم والسنتهم ، ومللهم وجنسياتهم ، بدون تفريق او تمايز ، فالكل خلقه ، والجميع نفخة من روح قدرته ، بل ان التباين في الالوان والالسنة ، امارة من امارات العظمة المبدعة التي سجلها الكتاب الخالد لله رب العالمين :

(ومن أياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) الروم/ ٢٢ .

فلم يعد منذ الآن ، وبعد هذا البيان ، من يتغنى بنزعة العرق ، أو يمتدح بظاهرة اللون ، او يتعالى بشارة اللغة ، أو يعزف على قيثارة الغرور نغمة نشازا لنعرة جاهلية كذوب . فكل هذه السمات والملامح ، من خلق الله وحده ، ومن ابداعاته الباهرة ـ تبارك وجل في علاه ـ وليس لأحد فيها فضل ، وليس له

اكتساب ـ فالناس بكل ما يموجون فيه من آيات التغاير ، قد ركب فيهم ، وبرزوا الى الحياة وهم يحملون بصماته .

وأنت ترى أن هذا الأسلوب الندائي ، قد توشى بالمساواة العامة الشاملة ، وأن الناس بها قد أعطوا شحنات كبيرة من الانتباه ، ومنحوا طاقات من الاثارة ، شدتهم الى خالقهم ، وجذبتهم اليه ، فاشرأبوا وتطاولوا ، ورنوا وتطلعوا ، وكلهم متهيىء ليسمع خطاب الملك العلام ، للبشر في كل زمان ومكان :

(انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

وبتقرير هذه الحقيقة الخطيرة ، طاشت أقوال الفلاسفة ، وذهبت آراؤهم قبض الريح ، وظهرت أفكارهم بزيفها وهزالها وسطحيتها ، حيث زعموا قديما : أن الخلق في أصل تكوينهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام : البيض وقد خلقهم الرب من فمه ، والحمر وقد أوجدهم الله من بطنه ، والسود وقد أنبتهم الخالق من قدمه ، ولذلك فهم أشرار ، وملاعين ، ويلزم تسخيرهم خدما وعبيدا .

وفي الوقت الذي تسود فيه هذه الآراء الواردة عن فلاسفة اليونان ، نرى القرآن العزيز يصدع بهذا البيان ، ويسوق هذه القضية التي هزت الانسانية في أعمق أعماقها ، وجعلتها تسجل بحروف من نور ذاك الحدث الفريد من نوعه ، والذي صبه محمد بن عبد الله ، وهو يشيد مجتمع التوحيد على تقوى من الله ورضوان . الناس أصلهم واحد ، مربوبون لرب واحد ، فلم يخلق صنف منهم من ذهب ، والآخر من خشب ، ولم يفطر الله نوعا من عباده من ماس ، والثاني من حجارة ، أبدا جلت حكمة الله عن هذا العبث ، وتعالت عن ذاك الهراء . فآدم أب البشرية ، تحدث القرآن عن الأصل الذي انحدر منه فقال : **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)** المؤمنون /١٢ .

هذه السلالة الطينية الترابية ، أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئا مذكورا ، ثم بث الله فيها الروح ، فصارت نفسا زاكية مشرقة هي : آدم ، ثم خلق الله من تلك النفس زوجا لها لتؤنسها وتذهب وحشتها ، ولتتم بعد ذلك عملية الانجاب ، ويكثر النوع ، ويعمر الكون .

ويحلق بنا القرآن في هذه الآفاق ، ويقرع أسماعنا بالحقيقة المجلجلة :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) النساء/١ .

ذلكم مبدأ الاسلام ، وتلكم هي القاعدة الصلبة التي أسس عليها مجتمع التوحيد بنيانه الشاهق ، عالي الهامات ، رفيع الذرا ، سامق الأعمدة وسار عليها سيرته التي أذهلت التاريخ ، فلم تكن كلمة « المساواة » في قاموس القرآن مجرد شعار أجوف ، وانما كانت تطبيقا حيا أمينا ، وأصبحت دستورا فذا ، يحتكم اليه أتباع محمد عليه الصلاة والسلام . ويلوذون به ، فيجدون عنده المرفأ الأمين ، والبلسم الشافي ، الذي يطب الجروح ويداوي السقام . ورحم الله أمير

الشعراء : « أحمد شوقي » عندما وصف شريعة القرآن شريعة العدالة فقال :

اللـه فوق الخلـق فيهـا وحده   والنـاس تحـت لوائهـا أكفاء
والبـر عنـدك ذمـة وفريضة   لا منـة ممنونـة وجباء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى   فالـكل في حق الحيـاة سواء

وإذا كان الناس جميعا متساوين في مبدأ الخلقة ، كما نطق بذلك القرآن ، فان من سمات مجتمع التوحيد بقيادة محمد بن عبد الله ، أنه لا يلقى بالا الى الأمور الشكلية العارضة ، التي قد تغشى الانسان وقد تفارقه من مال وجاه وصولجان ولون . فهذه كلها في ميزان الاسلام خواء ، لا تغير من جوهر الشخصية ، ولا تغني عنها فتيلا ، اذا طاش سهمها ، وخاب سعيها في مجال القيم والأخلاق والمثاليات والعقائد .

وهذه تجربة مثيرة جلاها القرآن ، ووضعها في اطار انساني مهيب ، ونحن نستشف من خلالها : كيف نفذ الكتاب الخالد بمبدأ المساواة الى قلوب الناس وعقولهم ، وحطم به كبرياء الجبابرة ، وأذل به جبروتهم ، وخضد به شوكتهم ، ومرغ به في الأوحال طغيانهم :

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الأنبياء/١٨ . هل تبصر عصابة الشرك هذه ؟ انها تقدم على رسول الله متأففة متضجرة ، تنتفخ أوداجها ، وتشمخ بأنوفها ، متعالية متعاظمة ، يسوقها غرور عنيد ، ويزين لها شيطان عتيد ، وهي تلح على النبي الجليل : إذا أراد أن يدعوهم بدعاية الاسلام ، ألا يسوي بينهم وبين العبيد والفقراء في مجلس واحد ، فهم قوم أغنياء يتربعون على عرش الزعامة في قريش ، فكيف وهم علية الناس وذؤاباتهم يضمهم مكان فيه : صهيب وبلال وسلمان وعمار ، وغيرهم من المستضعفين الذين يلبسون رث الثياب ، وليس لديهم ما يعتزون به من عرض الحياة ، ولا ما يشمخون به من زينتها وتيجانها ؟ ؟

وكاد الرسول العظيم ـ وقد كان حريصا على نشر الدعوة بكل سبيل ـ أن يقتنع بوجهة نظرهم ، ويسايرهم فيما يرتأون الا أن الوحي نزل ليسدد خطاه على الطريق ، ويحسم القضية المثيرة من جذورها ، لتمد الانسانية جمعاء بالدروس النافعة ، وتغذيها بالمنهج الواضح ، وتسعفها بالعبرة ، وتزودها بالموعظة .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف/٢٨و٢٩ .

هنا يقف الزمن ، ويخشع الدهر ، وتنصت الحياة ، ويكتب التاريخ في سجلاته شهادة الحق لخير المجتمعات ، وخير الأمم ، وأكرم بها من شهادة

أملاها : من لا يحابي ولا يداري ولا يداجي ، ولا يخاف أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد . **أتدري من هو** ؟ انه الله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/ ١١٠ .

بل أن سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم ، بدرت منه بادرة لعبد الله بن أم مكتوم ، فامتعض وجهه ، وتقطب جبينه ، وعبس وأعرض عنه ، وقد جاءه ذات يوم ، يبغي عنده هداية وتذكيرا ، وتزكية وتطهيرا ، وكان الرسول مشغولا بدعوة أكابر القوم الى الاسلام ، فكره من هذا الرجل – وكان أعمى – أن يأتي اليه ، ويقطع عليه حديثه ، ومع كل هذا فقد نزل القرآن يعاتبه وينهي اليه أنه لا يرضى منه ذلك الأسلوب الجاف في معاملة هذا الانسان المحروم المتعطش الى الري ، الظامىء الى المعرفة : استمع الى تلك الصورة الانسانية الفريدة ، يسكبها الكتاب المعجز نغما حلوا ، في همس رقيق ، ولفظ أنيق ، وتعبير رشيق :

(عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة) عبس/ ١ – ١١ .

ولقد كان سيدنا رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، بعدها ، اذا أقبل عليه ابن أم مكتوم ، يحتفي به ، ويكرم وفادته ، ويهش له ويبش ، بل ويفرش له عباءته .

أرأيت دستورا بشريا يداني هذا الدستور ؟ ان كل ما سنه أصحاب القرائح من حقوق انسانية ، لو صيغ مبلورا مجموعا ومحبوكا ، فانه لن يتعدى بعض مضامين اشتملت عليها الآية الكريمة التي نحلق في أجوائها المعبقة بالشذى ، المضمخة بالعطور وأعني :

(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى)

ولم ينفرد القرآن بالدعوة الى هذا المبدأ الخالد ، مبدأ المساواة ، فهناك السنة الواردة عن معلم الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، والتي تعتبر الناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، ومن ثم أصبح تلامذة النبي الكريم اخوة أندادا متحابين ، قد تلاشت بينهم الفواصل ، وتمزقت الحجب ، لأنهم عرفوا أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ، وأنهم يعبدون ربا واحدا .

يقول أمير الأنبياء في حجة الوداع :

« **أيها الناس** !! ان أباكم واحد ، وإن ربكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا **فضل لعربي** على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، **ألا هل بلغت** ؟؟ اللهم فاشهد » رواه الشيخان .

ويخشى الرسول الحبيب ، أن تصيب أهله عقدة التعالي على الناس ، فيغترون **بعنصريتهم** ، وكونهم فرعا من دوحة الرسالة الباسقة ، ويتكلون على هذه

النزعة ، ويذرون العمل الذي يقربهم الى الله . فتراه يسدي اليهم هذه النصيحة الغالية ، ويسوق اليهم ذلك التوجيه الرشيد ، في صورة نهي مغلف بغلالة رقيقة من العطف والاشفاق :

« لا يأت الناس بالأعمال ، وتأتوني بالأحساب والأنساب ، فلقد علمتم أنه ليس لأحد فضل على أحد الا بالتقوى » الترمذي :

« الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا ، والنار لمن عصاني ولو كان هاشميا قرشيا » ابن ماجة وغيره .

إن مجتمعا يتلاحم فيه الأفراد هذا التلاحم الفذ العجيب ، وتختفي من أجوائه الطائفية والعصبية والحزبية والعنصرية ، لتشغل مكانها كل معاني الحب والصفاء والنقاء ، لتصبح هي الديدن والشعار الذي يظلل أبناء الاسلام بلوائه الخفاق . بل أن أمة يتساوى فيها بالمناكب والأقدام : بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي مع محمد النبي ، لهي أمة قمينة بالزعامة ، جديرة بالريادة ، وهي أهل لأن توجه مسيرة الحياة ، وترعى وثبتها ، وتبارك زحفها :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة/١٤٣ .

تلك سنة العدل ، وهذه شريعة المساواة التي أقام الاسلام العظيم ميزانها ، وجعلها ناموسا عاما يحكم البشرية ، ويسوس أمرها فالناس في مقياس القرآن السديد ، أسرة إنسانية واحدة ، لكل فرد فيها كافة الحقوق التي لأخيه ، بطريقة تحفظ توازن المجتمع ، ولا تترك ثغرة واحدة لظلم مستبد ، أو انتهازية رخيصة ، أو استعلاء كاذب . وبذلك يتسنى لمجتمع التوحيد ، أن يمارس أفراده حقوقهم ، ويعبرون عن آرائهم وخوالجهم في حرية كاملة ، لا في ديمقراطية مزيفة ، تبيح للناس الكلام ، وهي في الواقع تكبلهم بقبضات الحديد .

لقد كان أتباع النبي يطبقون مبدأ الشورى في أسمى صورها ، وأنضر حللها ، حتى مع زعيمهم وقائدهم العظيم محمد ، والرسول الجليل تنبهر نفسه ، حين يرى بين تلاميذه هذه الطاقات الخصبة ، وتلك الشجاعة الصادعة ، وحين يبصر أن مدرسة الوحي ، قد أنجبت رجالا أعزة لا يعرفون الخور ، ولا يقبلون التبعية الذليلة ، بل عندهم ملكة النقد الصائب ، والنظر العميق ، وتلك كلها قيم غرسها القرآن فيهم وهو يضع اللبنات الأولى لمجتمع « لا اله الا الله » :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) آل عمران/١٥٩ .

وتورد لنا السيرة العاطرة حادثة مثيرة ، يتكشف لنا من ثناياها كيف كان الصحابة يصقلون أنفسهم على محك الديمقراطية الربانية ، وليست الفارغة الكاذبة كتلك التي اخترعها ويخترعها سماسرة الأمم ، وتجار الشعوب من أولئكم

المزايدين المنافقين .

فلقد نزل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالناس منزلا في غزوة بدر الكبرى ، فقام الحباب بن المنذر وقال لرسول الله في جرأة وصراحة لا تعرف الضعف : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل الذي نزلته أهو منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول النبيل : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال الحباب : ان هذا ليس بمنزل ولكن أرى أن ننزل أدنى ماء من القوم فنحفر حوضا ونملأه بالماء ونقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فانبهر الرسول بالرأي وتقبله في رضا وارتياح .

هكذا الفرد في معيار الاسلام ، انسان له حريته ، وعضو له كرامته ، ومخلوق عزيز لا تهون عليه آدميته ، مهما كان وضعه الاجتماعي ، وكيفما كانت ظروفه الانسانية . ألم يقل الرسول في سلمان الفارسي : « سلمان منا آل البيت » ؟ رواه ابن ماجة .

ألم يقل عمر بن الخطاب الخليفة الملهم في بلال بن رباح العبد الحبشي : أبو بكر سيدنا وأعتق بلالا سيدنا ؟ ؟

ألم تعارض امرأة عجوز عمر الفاروق وتصحح له حكما يتعلق بمهور النساء ، وكان يريد أن يحمل الناس عليه ، فما زاد على أن قال : كل الناس أفقه منك يا عمر حتى العجائز ؟ ؟

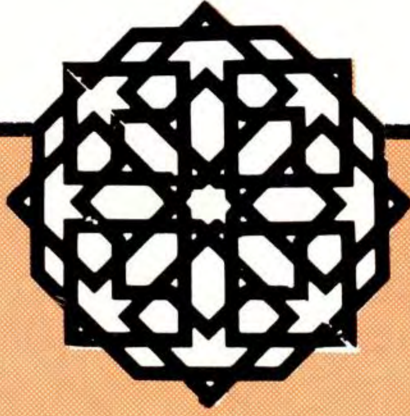
ألا لله در مجتمع هذا شأنه ، وتلك سيرته ، وهاتيك مناقبه ، فأرح نفسك ولا تشقها بالبحث ، فوالله لن تعثر عليه لا في الشرق ولا في الغرب ولا بين قواميس الفلسفة ، ولا حتى في عالم الخيال والمثاليات فاذا رمت عثورا عليه فانك واجده حتما في دساتير القرآن ، وفي مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام .

وأكرم يا أخي بمجتمع يأخذ فيه العبد المهيض الجناح حقه من السيد الشريف ، في مساواة فذة تخشع لها الانسانية ، وتنحني لها هامة التاريخ : حدث هذا عندما تعالى أبو ذر الغفاري على بلال العبد الحبشي وعيره بأمه وقال له : يا ابن السوداء . ويشكوه بلال الى الرسول الأعظم : ويغضب الرسول ويقول لأبي ذر :

« أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » البخاري .

وما أن سمع أبو ذر هذا التأنيب من سيد الرسل حتى نام ووضع خده على التراب وقال : والله لا أنهض حتى يطأ بلال خدي بقدمه .

تلك هي المساواة الحقة ، والعدالة النادرة التي قام عليها مجتمع التوحيد دون غيره من المجتمعات ، في ظلال القرآن الكريم



التفسير العلمي للقرآن الكريم

للدكتور/ محمد جمال الدين الفندي

كثر الحديث حول هذا الموضوع ، خصوصا من جانب المعارضين الذين تكاد تنحصر حجتهم في ما يذهبون اليه من أن العلم يتغير ، وهم بذلك انما يقصدون النظريات العلمية بطبيعة الحال ، ومن غير الملائم اذا ، بل ومن الخطر بمكان – حسب رأيهم هذا – ان نعلق على آيات الذكر الحكيم أو نفسرها بشيء يتغير ويتبدل الى النقيض في بعض الأحيان !

والحق أن من بين المفسرين العلميين الحديثين من أساءوا الى هذا الواجب الديني ، وأقصد به تفسير القضايا العلمية التى أثارها القرآن الكريم في ظل الثابت من حقائق العلم وفي ظل تلك الافاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم ، ذلك اما لكونهم تخطوا حدود الثابت من حقائق العلم مما غاب عن ادراكهم أو خرج عن نطاق تخصصاتهم ، واما لأنهم حملوا الآيات الكريمة ما لا تحتمله من معاني او تأويل !!

وكثيرا ما سألني الباحثون عن رأيي في هذا الأمر فكنت أصرح بأن المبدأ (يعني التفسير العلمي للقرآن الكريم) في حد ذاته سليم بل وواجب

علمي وديني في نفس الوقت ، ولكن علينا أن نتوخى الدقة والسلامة فيما نسوق من حقائق العلم التى لا تتغير وأن لا نحمل الآيات ما لا طاقة لها به . وعلى الرغم من تلك الأخطاء التى ارتكبها بعض الكتاب في هذا العصر الا أنه يكفيهم فخراً أنهـم كسروا الجمود أو حطموه !!

نعم أيها القاريء المسلم ، فان أهم أسباب تخلفنا هو الجمود ، ويوم أن عجزنا عن مسايرة الركب ونضب فكرنا كان التخلف . انظر معي الى ما فعله أجدادنا عندما فهموا الرسالة على حقيقتها وانفتحوا بأفكارهم على حضارات الفرس والروم والاغريـق والهند و ... ، لقد هضموا كل تلك الحضارات وأضافوا اليهـا الشيء الكثـير داخـل اطـار (المنهـج الاسلامي) أو الفلسفة الاسلامية . ويومئذ كانوا هم قادة الأرض علميا وفكريا واقتصاديا وسياسيا و ... لقد ابتدعوا كثيرا من العلوم مثـل الجبر ، وحساب المثلثات ، والفلك الكروي ، وحساب اللوغاريتمـات ، ونبغوا في علم الفلك بالذات لخدمة الشريعة ، وما زالت بصمات أصابع العلماء المسلمين باقية في قبة السماء ممثلة بمئات الأسماء العربية للنجوم مثل :

أشرنار أصلها آخر النهر
بتلجوز أصلها الجوزاء
تاوروس أصلها الثور
دنب أصلها الذنب

حتى ان المأمون في بغداد قاس نصف قطـر الأرض بطريقتـين مختلفتين ، الأولى هي طريقة « ثابت ابن قرة » الذي عمد الى قياس المسافة بين كل خطين متتاليين من خطوط العرض ، وكـان يقيس خط عرض المكان بواسطة قياس ارتفاع النجم القطبي فيه . أما الطريقة الثانية فهي طريقة « البيروني » ــ وهي لا تزال تحمل اسمه حتـى يومنـا هذا ــ وتتلخص في قياس زاوية انحطـاط الأفق من على جبل مرتفع يطل على مساحة منبسطة من الأرض .

وانتقلت تلك القياسات الى أسبانيا (الأنـدلس) ومنهـا عرف المستكشفون فيما بعد من أمثـال (كولمبس) و (ماجلان) أن الأرض كروية وأن محيطها لا يتعدى طوله ٢٥ ألف ميل ، فأقدموا على الدوران حول الارض في مراكبهم ، ولكن الفضل العلمي والقياس انما يرجع كما نرى الى العلماء المسلمين !! وأعجب من هذا كله أن جاءني رجل في يوم من الأيام بعد أن صلى بنا الامام يسأل : هل الأرض مكورة حقا !!؟ فكيف نسى المسلمون هذا التراث العلمي ، وكيف تخلفوا ؟ وهل كانت رسالة المسجد قاصرة على مجرد الصلاة ؟ أو ليس العلم رسالة الاسلام ؟! ألم تكن أولى آيات الذكر الحكيم على الاطلاق أمرا بالقراءة للعلم والمعرفة عندما نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى عز وجل :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علـم

الانسان ما لم يعلم) العلق : ١ـ٥ .

لقد توصل « الخليلي » في دمشق الى الفلك الكروي وصنف (زيجا) أو جداول فلكية من أربعة مجلدات لا نعرف كيف انتقلت الى بولندا ليصنف مثلها « كبرنيق » بعد مضي ١٥٠ عاما أو أكثر ويقرر في ظلها أن الشمس هي التى تحتل مركز ـ أو بؤرة ـ المجموعة الشمسية ، وليست الأرض هي مركز الكون كما كان يظن الناس حسب تعاليم الاغريق وفلسفاتهم . ويومئذ قامت الدنيا وقعدت . وما زال العلماء يحتفلون بذكرى « كبرنيق » ونحن لا نعرف شيئا عن « الخليلي » صاحب الفضل الحقيقي المهضوم !!

وهل يعقل ، ونحن نعلم أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، هل يعقل أن نجمد معاني ما فيه من آيات كونية عند حد ما قاله الأقدمون ؟ وهل يستطيع منصف ان يدعي أنه (أو غيره) قد وصل الى نهاية المطاف في هذا المجال ؟

الحق أن القرآن كلام الله والكون من عمل الله ، وكان من الطبيعي اذا أن يستمد القرآن كثيرا من آياته وحكمه من الكون . وعلى هذا النحو تحدث عن السماء والهواء والماء والأحياء و ... وأثار بذلك قضايا علمية عامة :

(ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) الجاثية ـ ٣ ـ ٦

والعلم هو الذي يبصرنا بآيات الخالق في هذا الكون ، وأقصد بها الحقائق الثابتة التى لا تتبدل . ومن هنا كان التقاء العلم بالدين . ومن هنا جاءت تلك القضايا العلمية التى أثارها القرآن الكريم معجزة في عصر العلم .

والنظام الذي يسير عليه الكون ثابت وشامل . ولولا هذا الثبوت وذلك الشمول ما نشأ العلم الذي هو في جملته تلمس الحقائق في عالم الحس باستخدام الحواس أو الآلات التى ترقى بأية ظاهرة الى مستوى الحس . ومعلمنا في هذا كله هو الكون ـ كتاب الله المنظور ـ فنحن نستمد منه الحقائق ثم نردها اليه لنتبين مدى صحتها ، فان خالفت ما في الكون اعتبرت وهما وخيالا .

(قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) الانعام/١٤٨

ونحن طالما كنا نفسر الآيات في ظل الثابت من حقائق العلم فلا خوف ولا حرج . ولزيادة الايضاح أضرب مثلا أو اكثر لذلك .

١ ـ انظر الى قوله تعالى :

(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر/٢٢

قال بعض الأقدمين ان (لواقح)

هنا انما تشير الى تلقيح الرياح للنباتات أو بعض النبات . وهذه حقيقة علمية كانت ولا زالت وسوف تظل سليمة ، الا أنني في هذا العصر لمست حقيقة أخرى فحواها أن الرياح تلقح السحاب أيضا .. نعم ان الرياح بعد أن تثير السحاب ، أي تكونه وتدفعه .

(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) الروم/٤٨ قد تدأب على امداده وتغذيته ببخار الماء الذي تحمله وتجلبه معها من البحار والمحيطات وكذلك تغذيه بجسيمات صغيرة تسمى علميا باسم (نوى التكاثف) . ووظيفة هذه (النوى) هي تجميع جزئيات بخار الماء في مناطق اثارة السحب لتكون قطرات صغيرة من الماء أو من بلورات الثلج .

والفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر هو أن الأولى لها مدد مستمر من بخار الماء ونوى التكاثف بواسطة الرياح أو الهواء الصاعد ، أما الثانية فليس لها أي مدد .

وينجم عن استمرار الرياح في « تلقيح » السحاب الذي تثيره ببخار الماء ونوى التكاثف نزول المطر . ومن هنا تكون الفاء في قوله تعالى **(فأنزلنا)** هي فاء السببية ، أي نجم عن هذا التلقيح نزول المطر . أما قوله **(وما أنتم له بخازنين)** فهي اشارة أخرى الى معجزة أخاذة الى الدورة المائية بين السماء والأرض ، حيث نقول : ان ماء المطر يعود مرة أخرى الى المحيطات والبحار عن طريق الأنهار أو المياه الجوفية ، وتعود الشمس فتبخر بعض ماء المحيط والبحر لتعود الدورة من جديد وهلم جرا !

وعلى هذا النحو نجد أنه في ظل الآفاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم تثير هذه الآية الكريمة ثلاث قضايا علمية هامة هي من آيات الاعجاز العلمي في هذا العصر .

أما القضية الاولى فهي أن الرياح تلقح السحاب (ببخار الماء ونوى التكاثف) ، وأما القضية العلمية **الثانية** فهي أنه ينجم عن هذا التلقيح نزول المطر . وتقر القضية **الثالثة** حقيقة الدورة المائية بين السماء والأرض .

وأنا عندما أكتب هذا ـ أو أذكره في محاضراتي ـ لا أدعي أن ما قاله الأولون خطأ لأن حقائق العلم لا تتغير ، كما أنني لا أدعي بأن قولي هذا هو نهاية المطاف ، فقد تظهر حقائق أخرى غابت عنا ، ولكن لا يعني ذلك أن ما قلناه خطأ على الاطلاق . ومعنى ذلك أنه لا يليق بتاتا أن نقف مكتوفي الأيدي ، أو ان ندعي بأن العلم يتغير وبذلك لا نساير الركب ، أي ركب الحضارة الذي تخلفنا عنه حتى يدعى أعداء الدين كذبا وبهتانا أن الدين هو السبب !!

والأمثلة التى يمكن أن أسوقها للبرهنة على صحة وسلامة أنه لا خوف اطلاقا من التفسير العلمي للقرآن الكريم ما دمنا نستخدم حقائق علمية ثابتة هي في الواقع أمثلة عديدة . ونحن يجب علينا أن نتذكر

دائما أن معاني الكتاب العزيز لن تنضب ، وأنه سيظل معجزا الى يوم الدين ، وأن علينا أن نتدبره ونفسره في ظل الثابت من حقائق العلم .

خذ مثلا قول الله عز وجل :

(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات/٤٧ ، أو قوله : **(وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)** الانبياء/٣٢ ، او قوله : **(والسقف المرفوع)** الطور/٥

ماذا قال الاقدمون في مثل هذه الآيات الكونية ؟ وماذا تبين لنا في عصر العلم من حقائق مستمدة من الكون الذي صنعه الخالق ونتمشى مع قضايا العلم التى أثارها الكتاب العزيز بصورة تسحر العقول وتجعل الجاحد يؤمن بأنه كلام الله الخالق العليم ..؟؟ هذا هو بيت القصيد ، وهذا ما سنكتب عنه في سلسلة أبحاثنا في هذا المجال لعلنا بذلك نؤدي الأمانة ، ونقدم ما علينا من زكاة العلم نحو اخواننا المسلمين في كل قطر ان شاء الله تعالى .

اما الآية الكريمة : **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)** فقد فسرها الأقدمون تفسيرا صحيحا سليما منطقيا . ومجمل قولهم : أن هذا الكون رغم اتساعه ورغم ما ضم وحوى من أجرام ، فان لدى الخالق العلي القدير المزيد والمزيد .

واتضح لنا في عصر العلم معنى آخر يمكن أن يضاف الى المعنى الأول من غير خوف أو وجل ، ذلك لأن الذي حدث بالفعل منذ أن نزل القرآن الكريم وسار ركب العلم قدما أن اتسعت آفاق الكون أمام العلماء – ومن ثم أمام الناس – في خطوات متتالية اتساعا يفوق حدود الوصف والخيال . فقد كان الناس في باديء الأمر يظنون أن الأرض هي مركز الكون ، وأن السماء تنتهي عند القبة الزرقاء ، وأن النجوم معلقة غير بعيد في تلك القبة .

ثم عرف الناس فيما بعد : المجموعة الشمسية التى لا يزيد قطرها على ٥ ساعات ضوئية – والساعة الضوئية هي المسافة التى يقطعها الضوء في ساعة كاملة بسرعته البالغة « ٣٠٠ ألف كيلو مترا في الثانية » – ثم امتدت أبعاد السماء الى مجرتنا التى سماها المسلمون الطريق اللبني أو طريق البنانة وقطر هذه المجرة أوالجزيرة الكونية هو « ١٠٠ ألف سنة ضوئية » . ثم باستخدام المناظير الفلكية اكتشف الانسان المجرات الأخرى وعرف أن أقرب المجرات الى مجرتنا هي مجرة المرأة المسلسلة التى تبعد عنا بنحو « ٧٠٠ ألف سنة ضوئية » ، أما القبة الزرقاء فهي مجرد ظاهرة ضوئية تحدث في جو الأرض .

ثم اتسعت السماء أمامنا حتى وصلت في ظل « الفلك الراديوي » الى حدود « ٢٠ ألف مليون سنة ضوئية » !! نعم لقد كشفت لنا « المناظير الراديوية » اجراما تسمى (اشباه النجوم) على أبعاد سحيقة لا نجد لأبعادها او لمواقعها تعبيرا

أروع من قول الله عز وجل :

(فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم) الواقعة/ ٧٥ ، ٧٦

وربما تركزت أهم أسباب الاعتراض على التفسير العلمي للقرآن الكريم (كما ذكرنا) فيما يذهب اليه البعض من أن العلم يتغير وقد ذكرنا أن الذي يتغير ليس هو عموم العلم بل النظريات العلمية ، ذلك لأنها انما تستنبط باستخدام قوي العقل في ظل الثابت من حقائق العلم . وكلما تراكمت معلوماتنا السليمة عن الكون ، تلك المعلومات المستمدة بالرصد والقياس والتتبع ، كلما كانت هناك فرصة أكبر لاستنباط النظريات ، أو لتعديلها أو تحويرها . ولزيادة الايضاح نقول مثلا ان الضوء عندما درسه العلماء منذ عهد « الحسن بن الهيثم » تراكمت الحقائق المتعلقة به فعرف العلماء على التوالي أن الضوء « ينعكس » أو « يرتد » من الأجسام التى يسقط عليها ، ثم عرفوا أنه « ينكسر » ، ثم توصلوا الى أنه « يتشتت » أو « يتناثر » ، وأنه « يحيد » ، وكذلك « يستقطب » .. وهكذا ظهرت في ظل هذه الحقائق عدة نظريات علمية تتعلق بطبيعة الضوء أو كنهه أو حقيقته المطلقة ، منها نظرية « الجسيمات الصغيرة جدا » « لينوتن » ، ثم « النظرية الموجية » « لهيجن » ، ثم « نظرية الكم » « لبلانك » ثم ... الخ ... ولم تثبت حقيقة الضوء على حال حتى الآن .

قس على ذلك الكهرباء ونحوها من الطاقات وما نظرية التطور التى يتشدق بها بعض المكابرين الا مجرد افتراض من هذا القبيل وقد ظهرت نظريات تخطئها وتقلبها رأسا على عقب ، الا أن هذا لا يعني أن الحقائق العلمية التى بنى عليها علم الحيوان هي بدورها خطأ ، لأن الحقائق انما تتكامل فقط كلما جمع العلماء معلومات متزايدة من الكون وما يحوي من أحياء وما يعج فيه من طاقات نحن لا نعرف مصدرها ولكننا نصفها بقوانين رياضية ونقول ان الطاقة لا تغني ولا تجيء من العدم وانما قد تتحول الى أنواع متباينة على غرار تحول طاقة الوضع الى كهرباء وتحول الطاقة الكهربائية الى حرارة أو ضوء وهلم جرا .

ويهمنا في هذا المقام أن نبين بجلاء ووضوح أنه بدلا من أن يهاجم العلم من غير قيد أو تحديد بأنه يتغير ، وبدلا من ان تزيد الهوة بين العلم والدين أقول بدلا من هذا وذاك يجدر بنا — معشر المؤمنين — أن ننادي بثلاثة مباديء أساسية أو ثلاث حقائق واقعية هي :

أولا : أن قيام العلم انما هو نتيجة لثبوت النظام الكوني وشموله . فلولا ثبوت الناموس الطبيعي وشموله ما كان هناك علم .

وثانيا : أن هذا الثبوت وذلك الشمول هما أكبر دليل عقلي وعلمي على استبعاد عنصر الصدفة واثبات وجود الخالق ، ذلك لأن الصدفة لا يمكن أن تثبت نظاما ولا يمكن أن

تجعله شاملا .

واذا كان الأمر كذلك فليس من المنطق ولا من المنتظر أن يعمد الخالق جل شأنه ـ وعصر العلم على الأبواب ـ الى تغيير ناموسه من أجل تجلية ذاته أو اثبات وجوده .. ولهذا كانت أكبر المعجزات وآخرها : معجزة تساير الناموس الطبيعي وتتمشى مع نظام الكون ، وأقصد بها القرآن الكريم الذي يخاطب العقل ويوجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة . أما المعجزات التى خالفت الناموس فقد انتهت بانتهاء زمانها ومكانها . ونحن اليوم نؤمن بتلك المعجزات عن طريق القرآن الكريم الذي نسلم بما فيه ككل ونؤمن بما حوى من تفاصيل مثل عصا موسى ، وهدهد سليمان ، وناقة صالح ، و ... التى لولا القرآن الكريم ما صدق بها أحد بحجة أنه لم يرها أو يشاهدها أو يلمسها ، أو بحجة عدم وجود صلة قاطعة بينها وبين وجود الخالق !!

وعلى هذا النحو كان من الطبيعي عندما أقبل المشركون على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يطلبون عملا من الخوارق وبرهانا يخالف النواميس الطبيعية ، كان من الطبيعي أن يستنكر القرآن الكريم هذا المطلب ، لأنه مطلب واه ينتهي بانتهاء زمانه ومكانه بينما أمامهم معجزة خالدة لا يقف اعجازها عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات تخاطب عقولهم وتغذي أفكارهم :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا .) الاسراء/ ٩٠ ـ ٩٣

وهكذا يتخذ القرآن الكريم الأسلوب العلمي فيستنكر عمل الخوارق . وهكذا يفرق نزول القرآن بين عهدين من عهود العقل البشري .

ثالثا : أن العلم رسالة الاسلام ، ودليلنا على ذلك تلك الآيات العديدة التى تحض على دراسة أسرار الكون ونواحيه ، مثل قوله تعالى في سورة البقرة :

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) الآية ١٦٤ وقوله في سورة الاعراف :

(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) الآية/١٨٥

بل أن هناك من آيات الذكر الحكيم ما يمكن أن تتخذ أساسا لارساء قواعد بعض العلوم : انظر

مثلا الى قوله تعالى :
(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت/ ٢٠

فمهما قيل في تفسير هذه الآية الكريمة ما من شك أنها تقرر حقيقة علمية ثابتة فحواها أن تاريخ الأرض وما عليها مكتوب بطريقة ما في قشرتها التى نعيش عليها ، وما علينا الا أن نتنقل بين أرجائها فاحصين دارسين مدققين ـ وهذا هو معنى فانظروا ـ لنقف على ذلك التاريخ . أما اللغة التى كتب بها فتعرف الآن باسم لغة « الأحافير » أو « الحفريات » .

ومنذ أكثر من ١٥٠ سنة أعلن عالم « اسكتلندي » اسمه « هاتون » وكتب يقول : « ان تاريخ الأرض وما عليها مكتوب بين طيات قشرتها ، وما علينا الا أن نتنقل بين أرجاء الأرض ونجمع الأحافير ونتعرف عليها وندرسها ونربط بينها لنعرف ذلك التاريخ » !! آنئذ قامت الدنيا وقعدت ، وقال الناس ان علما جديدا قد ولد وظهر في الوجود هو علم « الأحافير » ومن ثم « علم طبقات الأرض » أو « الجيولوجيا » ، وحصل هاتون على لقب « لورد » تقديرا له واحتفاء بمولد هذا العلم على يديه !

ولكن ألست انت معي أيها القاريء الكريم في أن الآية الشريفة قررت نفس القضية العلمية بطريقة معجزة أخاذة قبل عصر النهضة العلمية بنحو ألف سنة !! الا أن فريقا من المسلمين كانوا ـ سامحهم الله ـ ينادون بأن البحث في سنن الله تعالى والكشف عن آياته ممنوع !! وهذا أيضا من أسباب التخلف الذي أصاب صميم الادراك وحقيقة الفهم لرسالة الاسلام .

واكثر من هذا أن قصر فريق من المسلمين العلم على العلوم الدينية ، وأعني بها الفقه ، ونحوه واعتبروا سائر العلوم الأخرى كماليات لا لزوم لها ، بل وشككوا الناس في قيمتها ناسين او متناسين أنهم انما يأكلون ويشربون وينتقلون ويتطيبون ويطيرون في السماء وينقلون أمتعتهم في البر والبحر ويتسامرون و .... بوسائل كلها من صنع العلم وعمل العلماء .

وبطبيعة الحال لا ينكر هذا الفضل للعلم الذي منحنا اياه الخالق العليم وفضلنا به على سائر مخلوقاته الا كل مكابر جاحد غير مدرك لرسالة الاسلام التى جعلت المسلمين في سنوات معدودات قادة هذه الأرض فكريا واجتماعيا وعلميا .. الخ ..
(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الانبياء/ ١٠٥

واذا أردنا أن نواجه الحقيقة كاملة ، نقول : اننا تخلفنا لبعدنا عن الدين . وما من شك للأسف الشديد أن هذا التباعد لم يكن قاصرا على اتجاه معين وانما شمل كل الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعلمية .. وما من شك أن القرآن الكريم كتاب هداية قبل كل شيء ، فيه صلاح الدارين ، وقد أمرنا بالعلم وان نعد لأعداء الدين ما استطعنا من قوة ، والعلم مصدر

القوة في هذا العصر ، ليس فقط من حيث استغلال الطاقات واعداد الأسلحة ، ولكن أيضا من حيث الفكر ، لأننا نعيش في عصر يؤمن فيه سواد الناس بالعلم وعلينا أن نخاطب غير المؤمن بلغة العلم ، والاسلام كفيل بذلك ، وهو الدين الوحيد الذي يقف شامخا أمام تيارات الكفر والالحاد بعد أن فصل الأوروبيون العلم عن الدين وانطلقوا بعلمهم يشككون الناس في عقائدهم !!

لهذا كله حرصت على أن ينصب حديثي وبحثي على صلة العلم بالدين ، وعلى سد تلك الهوة السحيقة التى ظهرت بين العلم والدين في بلاد الغرب وراح فريق منا ينقل عنهم كل ذلك . وان الدراسة الواعية لتراثنا الاسلامي انما تظهر بجلاء كيف نشأ العلم في أحضان الدين عن المسلمين .

ومنذ سنوات جاءني رجل يقول : كيف يكون القرآن الكريم معجزة خالدة ونحن نكاد نقصر اعجازه على حد البيان والفصاحة والبلاغة ، مما لا يثير اهتمام سواد الناس في هذا العصر ، وأقصد به عصر العلم ؟

ثم لماذا نحيط التفسير العلمي لبعض الآيات الكونية بكل هذه المخاوف ونحدده داخل اطار ما قاله الأولون ؟؟

قلت : ان التفسير العلمي السليم للقرآن الكريم - قديمه وحديثه - انما يتم في ضوء السائد من العلوم والمعرفة في عصر المفسر . ولم يقل عاقل ولا عالم منصف بأنه قد وصل الى نهاية المطاف في تفسير القرآن الكريم ، خصوصا تلك الآيات التى أثارت قضايا علمية عامة وأشارت الى آفاق الكون الواسعة وما دمنا نفسر في ظل الثابت من حقائق العلم فلا خوف اطلاقا ولا ضرار .

وبدلا من المناداة بأن العلم يتغير فتزيد الهوة بين العلم والدين يجب علينا أن ندقق اللفظ ونستبعد النظريات العلمية وحدها فهي التى تتغير أو تتحور في ظل ما يصل اليه العلماء من حقائق العلم الجديدة . ويجب أن نلاحظ أن التفسير العلمي السليم للقرآن الكريم انما يقودنا دائما الى استبعاد عنصر الصدفة من ناحية والى عدم الوقوف بالحقائق العلمية عند وصف الأشياء كما هو متبع الآن ، بل علينا أن نخطو خطوة الى مناقشة الحكمة أو الفائدة من كل آية يستمتع بها الناس بلا مقابل !

وليس معنى ذلك الخروج عن المنهج العلمي في دراساتنا ، ولكن معناه الاستمرار خطوة أخرى نخطو بها من العلم الى الايمان ، عندما نتدبر الحكم المنطوية تحت كل آية من آيات الكون . والحق أن الذي فصل العلم عن الدين هم أهل أوروبا في العصور الوسطى ، وذلك تحت ضغط فئات الكهنوت « أو الكنيسة » التى لم تجد سبيلا للربط بين الدين وما يتوصل اليه العلماء من كشوف فلكية على يد امثال « غاليليو » « وكبرنيق » الخ .. والأمثلة التى يمكن أن نسوقها لزيادة الشرح ولايضاح ما نرمي اليه وننادي به أمثلة عديدة .



نظام العقوبات في الإسلام

وهل يتنافى مع حضارة القرن العشرين

للدكتور / أحمد شوقي الفنجري

تدوي في أرجاء العالم الاسلامي كله هذه الأيام صيحة قوية تطالب بالعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية في كافة قوانين ومعاملات الدولة وذلك بعد أن أوقفها الاستعمار الأوروبي في بلادنا منذ أكثر من قرن كامل واستحدث مكانها البغاء والخمور والمخدرات وكافة أنواع الرشوة والفساد .

بعض الأمثلة ودلالتها :

● نادى عمر بن الخطاب أحد ولاته قبل سفره الى اقليمه الذي سيحكمه وأخذ يمتحنه :

ـ ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟

فأجابه الوالي بدون تردد : أقطع يده

فقال عمر ـ اذا . ان جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك ..

ثم تابع نصيحته قائلا : ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونستر عورتهم ونوفر له حرفتهم .. فاذا أعطيناهم هذه النعمة تقاضيناهم شاكرين ...

يا هذا .. ان الله خلق الأيدي لتعمل .. فاذا لم تجد في الطاعة عملا التمست في المعصية أعمالا .. فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ..

فهذا المثل يدلنا على أن الحدود لم تنزل من أجل الرعية وحدهم . ولكنها أيضا تضع المسؤولية على الوالي حتى لا يتهاون في توفير فرص العمل والرزق لأبناء شعبه بخلق المشروعات النافعة وحسن توزيع الدخل والاصلاح الداخلي ...

● ومثل آخر : سمع عمر بن الخطاب أن جماعة من الشباب يسكرون في بيت واحد منهم ، فتسلق سور البيت وفاجأهم وهم يشربون الخمر . فما أن بدأ يتوعدهم بتوقيع الحد والعقوبة عليهم حتى رده أحدهم قائلا :

ـ مكانك يا عمر .. لقد جئنا بواحدة وجئتنا بثلاث ..

أولاها : تجسست علينا والله يقول : **(ولا تجسسوا)** الحجرات/١٢

وثانيها : لم تدخل من الباب والله يقول : **(وأتوا البيوت من أبوابها)** البقرة/١٨٩

وثالثها : دخلت بدون استئذان والله يقول : **(لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا)** النور/٢٧

وهنا تنبه عمر الى خطئه . فقد وضع الاسلام أمام السلطة التنفيذية قيودا وتعاليم وآدابا وأوجب عليها الالتزام بها حتى وهي تتعامل مع الخارجين على شريعة الله واذا تعدت السلطة التنفيذية هذه الحدود والآداب فلا يجوز لها أن توقع العقوبة لأن اجراءات التفتيش والقبض لم تكن قانونية .

وهكذا اعتذر عمر عن فعلته .. واعتبر نفسه مخطئا وقال لهم :

« هذه بتلك (أي أن كلانا أخطأ) ... ولا تعودوا الى مثلها ...

من هذا المثل الثاني نرى أن نظام العقوبات في الاسلام لم يوضع بغير روابط ولا أصول بل إن للمخطيء والمذنب حقوقا في الاسلام وله ضمانات لم يتحقق مثلها في أي قانون مدني في التاريخ .

● ومثل ثالث : في عام الرمادة على عهد عمر أجدبت الأرض ومات الزرع ونفقت الأغنام وعمت الناس مجاعة كبيرة فاذا بعمر يوقف حد السرقة ويعلن « لا حد مع الجوع » ورغم الجوع وتوقف العقوبة ، لم تحدث في ذلك العام كله سوى سرقة واحدة .. والسر في ذلك أن الناس كانوا يشعرون بعدالة النظام الاسلامي وعدالة تطبيقه .. فلم يكن أحد من المسؤولين والولاة يؤثر نفسه بخير لا ينال أفقر فقير فيهم .. وأهم من هذا فان الوازع الديني كان من القوة في نفوس الناس

بحيث يتغلب على غريزة الجوع وعلى كل محنة ويغني عن أي عقاب ...

فهذا المثل الأخير يبين لنا أنه في حالة تطبيق **النظام** الاسلامي .. بما يحققه من عدالة اجتماعية ووازع ديني قوي ، فسوف لا نحتاج الى تطبيق العقوبات الا في أضيق نطاق ، مهما كانت المحنة والشدة والفقر الذي يعيش فيه الشعب .

كانت هذه ثلاثة أمثلة عن نظام العقوبات في الاسلام ، حرصت على نقلها عن عهد عمر بن الخطاب بالذات ...

ـ فاذا كان عهد الرسول يمثل فترة التشريع .

ـ وعهد أبي بكر يمثل فترة تثبيت أركان دولة الاسلام .

ـ فان عهد عمر يمثل فترة التطبيق المثالي لشرائع الاسلام وخاصة فيما يتعلق بالحدود .

المعارضون للتطبيق الاسلامي :

يقول بعض المعارضين أو المشككين في امكانية تطبيق الاسلام في عصرنا الحاضر :

« ليس من المعقول في القرن العشرين أن نقطع يد السارق ، أو نرجم الزاني أو نضرب شارب الخمر ، فنحن في عصر ينظر الى هذه الآفات الاجتماعية على أنها أمراض وعلل ، ونعالجها طورا بالعلم النفسي وطورا آخر بالطب والمستشفيات وطورا ثالثا بالعلاج الاجتماعي والاقتصادي ، ولا يلجأ المجتمع الحديث الى العقوبة البدنية الا اذا استنفد هذه الوسائل كلها ..

ويقول آخرون أن الجلد والرجم وقطع اليد عقوبات قاسية لا يستسيغها القلب ولا العقل في القرن العشرين .. فهي أقرب الى أساليب القرون الوسطى منها الى عصرنا هذا الذي ألغى العقوبات البدنية .

ونرد هنا على كل هذه الاعتراضات بالحقائق التالية :

أولا : من المعروف لدى المشرعين وعلماء الاجتماع أن هناك نوعين من المنحرفين الخارجين على قوانين المجتمع :

ـ نوع يضطره المجتمع اضرارا الى ارتكاب طريق الزلل .. فهو ضحية المجتمع ..

ـ ونوع آخر يرتكب طريق الزلل استهتارا بالمجتمع .. فالمجتمع ضحيته ..

من أمثلة النوع الأول الرجل الذي يضطر الى السرقة بسبب الجوع .. والمرأة التي تضطر الى الزنا بسبب الفقر أو الحرمان .. والشاب الذي يلجأ الى السكر والمخدرات بسبب البطالة والفراغ .. والموظف الصغير الذي يطلب الرشوة لينقذ ابنه أو زوجته المريضة ..

وهذا النوع من الناس هم ضحايا المجتمع ويستحقون العطف والاشفاق قبل القسوة والعقاب .. والعلاج الحقيقي لحالتهم يكمن في تغيير نظام المجتمع نفسه واصلاحه ، بحيث يكون لدينا المجتمع المثالي الذي يكفل لكل مواطن حقه في الرزق وفي التعليم وفي الرعاية والعلاج .. المجتمع الذي

يوصل الى الناس حاجتهم ولا يضطرهم الى أخذ حقوقهم بالتحايل أو بالطريق غير المشروع ..

وهذا هو ما يفعله النظام الاسلامي بما يكفله من حقوق الناس .

- أما النوع الثاني فهو الذي يسرق بغير حاجة الى السرقة ، ويزني بغير عذر للزنا ، ويقتل استهتارا بالأوراح .. هذا النوع الذي يجعل المجتمع والناس ضحيته ، وأمثاله كثيرون بين شباب الغرب وأمريكا بالذات ، حيث تنتشر جرائم السرقة والقتل وهتك العرض لا من أجل الحاجة والفقر والاضطرار ، ولكن من أجل التسلية وحب المغامرة والاستهتار بالقانون والمجتمع .

فلمثل هؤلاء أنزلت العقوبات وشددت في الاسلام .. حتى تكون لهم رادعا وعلاجا .. بل ان العقوبات في الاسلام قد أنزلت لهذا النوع فقط من الناس ، لأن النوع الأول لا يمكن وجوده في ظل الرعاية التي يقدمها الاسلام لأبنائه .

● والاسلام لا يعترض أسلوب العلم الحديث .. ولا ينكر دوره ولا يمنعه من تأدية رسالته ، ولا يمكن أن يدعي أحد أن الاسلام يوجب تطبيق الحد دون محاولة طرق العلاج العلمي والنفسي . بل ان الاسلام قد سبق كل ما يعرف في عصرنا الحديث من أساليب علمية في علاج المشاكل ..

فالخمر مثلا نزلت فيها ثلاث آيات بالتدريج . الأولى تذكر أن فيها إثما وفيها منافع للناس ، والثانية جاءت تمنعها قبل الصلاة فقط .. وأخيرا جاءت الثالثة بالأمر القاطع الفاصل الذي ينهي عنها نهيا حازما .

ويقول مؤرخو السيرة إن الأمر الأخير بمنع الخمر قد نزل ، ولم يكن هناك مسلم واحد يشربها وفي هذا خير دليل على أن الاسلام لا يستحب أو يقبل تطبيق العقوبات بغير الأسلوب العلمي السليم .. وأنه ليس من النظم التي تحل المشاكل الاجتماعية بجرة قلم أو بأمر الى الشرطة .

وتطبيق الشريعة الاسلامية يبدأ بتكوين المجتمع المسلم الذي يكفل لأعضائه كل الضمانات فلا يضطر الناس فيه الى السرقة والرشوة بسبب البطالة أو الفقر .. ولا يلجأ الشباب فيه الى الخمور والمخدرات بسبب الفراغ النفسي والعقائدي .

اذا تحقق هذا المجتمع ، فليس من الظلم أبدا معاقبة المنحرف والمسيء في جرائم الحدود بما نص عليه الكتاب العزيز أو السنة المطهرة ، وفي غيرها بالتعزيرات التي يراها الحاكم المسلم .

○ إما الادعاء بأن العقوبات الاسلامية بالغة القسوة والعنف :

فمن المعروف أن أي تشريع في العالم له على المجتمع جانبان جانب الحقوق والامتيازات وفي مقابلها جانب الواجبات والعقوبات .. والتشريع العادل حقا هو الذي يوازي بالعدل والقسط بين ما يعطي وما يأخذ .. ولا ينزل من العقوبات ويتقاضى من

الواجبات الا بقدر ما يعطي الناس من الحقوق والامتيازات . والعقوبات التي شرعها الاسلام مكافئة للجرائم التي سببتها فهي زجر وتأديب للمعتدي ، وصرف لغيره ممن يفكر في مثل فعلته وذلك يحقق للمجتمع الأمن والاستقرار .

● ومن المعروف أن بعض العقوبات التي ذكرت في الشريعة لم تنزل بها آية أو نص في القرآن ، ولم يأمر بها رسول الله أو ينفذها على عهده ، ولكنها جاءت للتعزير نتيجة اجتهاد الخلفاء وأهل الفقه حسب ما تقتضيه ظروف عصرهم وحاجة مجتمعهم فمن أمثلة ذلك ما جاء في حد الخمر :

فقد حرم الله الخمر في القرآن ولكنه لم يفرض على شاربها عقابا في الدنيا وإنما ترك ذلك لما ادخر للمخالفين لامره من العقاب يوم القيامة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب على الخمر اربعين ضربة باطراف الثياب او بالجريد . ولم يحاول ابو بكر ان يزيد على ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، ولكن عمر رأى على عهده أن المسلمين ينساحون في الارض ويمضون في الفتوح وأشفق أن يغريهم بعدهم عن مركز الخلافة بالتهاون في رعاية ما أمر الله به وخاصة ان الخمور كانت تباع امامهم ويشربها اهل الذمة .

فأخذ عمر رضي الله عنه يستشير الصحابة في اقصى عقوبة يمكنه تطبيقها على شارب الخمر ، فأشار علي بأن يؤخذ شارب الخمر بعقوبة القاذف فيضربه ثمانين جلدة لانه اذا شرب سكر واذا سكر كان حريا ان يفتري ويقذف الناس ... ثم جاء عثمان بعد عمر فعاد الى الحد الذي طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● ورغم شدة العقوبات في الاسلام الا انها تتميز عن العقوبات المدنية بما يصاحب التنفيذ من خلق اسلامي متسامح وكريم .. فالاسلام ينص على عدم توجيه لفظ جارح او سب الى المذنب حتى أثناء توقيع العقاب عليه .. فقد سمع رسول الله خالد بن الوليد يسب امرأة زانية اثناء توقيعه الحد عليها فنهاه الرسول وقال له :ـ « مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » .رواه مسلم وابو داود .

فتوقيع الحد في نظر الاسلام معناه ان المذنب قد غفرت له كل ذنوبه وخرج من العقوبة كما ولدته امه لا يلحقه بعدها عار ولا حرج في المشاعر ولا شعور بالذنب أو المهانة ، وهي في المجتمع الاسلامي الخالص لا تعيق صاحبها عن استئناف الحياة الشريفة كأي مواطن حر وشريف . وكثيرا ما كان الحاكم نفسه يواسي من يوقع عليه العقوبة حتى يرد له اعتباره ، اذ لم تكن العقوبات توزع على الناس حسب الاهواء الشخصية او الدوافع السياسية ، بل كانت لوجه

الله تعالى وصالح المجتمع .. ويروى عن عمر انه علم ان احد اشراف قريش عندما اقيم عليه حد السكر في الشام ، شعر بالمذلة والخزى امام اهله وقبيلته فجلس في بيته واحتجب عن الناس . فلما علم عمر بذلك ارسل اليه خطابا يذكره بقوله تعالى : —

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣ .

فسرى عن الرجل وخرج للناس وترأس جماعته من جديد .

● وشروط توقيع العقوبة في الاسلام أدق وأصعب منها في اي قانون مدني .. وهذه الشروط تجعل توقيع العقوبة في أضيق نطاق وفي الظروف الواضحة التي لا يمكن ان يتطرق اليها أدنى شك فجريمةالزنا مثلا لا بد لثبوتها من اربعة شهود عدول .. اي موثوق بهم وأن يروا بأعينهم (المرود يدخل في المكحل » على حد تعبير الفقهاء وهو أمر شبه مستحيل عمليا .. واذا ثبت أن هؤلاء الشهود قد دخلوا البيت من غير بابه أو خلسة أو تجسسا بطلت شهادتهم .. ومن القواعد الثابتة في الاسلام ذلك الحديث النبوي الذي يقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » رواه ابن عدي وهو الذي يعبر عنه القانون الحديث بقوله « الشك يفسر لصالح المتهم » .

ومن المعروف ان حد السرقة قد نفذ في عهد الرسول مرة واحدة فقط ، وأن حد الزنا قد نفذ مرتين اثنتين ، وأنه في جميع عهود الخلفاء الراشدين لم ينفذ حد السرقة الا في ست حالات فقط . وأن جميع هذه العقوبات قد تمت بالاعتراف الطوعي ، ولم تحدث حالة واحدة بشهود الرؤية .. بل ان الغامدية وهي المرأة الوحيدة التي طبق عليها الرسول حد الزنا كانت تلح عليه الحاحا ليطهرها بالعقوبة من عذاب ضميرها . فكان الرسول يؤخرها ويمهلها بين الحين والحين ، لعلها تتراجع في أقوالها وهي على اصرارها . وأخيرا لما علم بانها حامل قال لها .

« اذهبي حتى تضعي (ما في بطنك) حملك » رواه مسلم ومالك فغابت بضعة أشهر ثم عادت ومعها وليدها فقال لها « اذهبي حتى يستغني الطفل الرضيع » فذهبت وعادت بعد ان كبر وليدها واستغنى عن الرضاعة فأوقع عليها الحد .

والآن قد يقول قائل « ما معنى وجود العقوبة طالما ان تطبيقها شبه مستحيل الا في حالة الاعتراف الشخصي والطوعي » ونرد عليه بأن هذه هي فعلا النظرية المثالية الحديثة في العقاب .

فالعقوبة في نظر العلم الحديث لم يعد الهدف منها هو الانتقام او التعذيب ، ولكن الهدف هو الردع

والتخويف أي انها أصبحت للوقاية اكثر منها للعلاج ولمنع الاخطاء في المستقبل اكثر منها للحساب على الماضي .

● ان بعض الناس في العالم الاسلامي يتساءلون : لماذا لا نطبق الاسلام في جميع نواحيه ما عدا العقوبات فيترك الامر فيها الى القانون المدني :ـ

وهذه نقطة هامة وخطيرة يجب ان يعرفها كل مسلم :ـ

فجميع نظم العالم كما ذكرنا تعطي على قدر ما تأخذ . وتجعل العقوبات والواجبات على قدر ما تقدم من الحقوق والامتيازات .. فالحق والجزاء مرتبط كل منهما بالاخر اشد الارتباط .. واذا اهتز ركن منهما فان ذلك يقوض الركن الآخر ، ويفسد النظام كله من أساسه وهذه هي الحكمة في قوله تعالى : (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب**) البقرة/ ٨٥ .

وهكذا يعتبر الله تعالى ترك بعض تعاليم الدين نوعا من هدم الدين كله ولا يقل خطرا عن الكفر بالله والشرك به ..

ـ فلا يمكنك مثلا ان تطلق حرية الزواج حتى أربعة وحرية الطلاق ثم لا تفرض عقوبة قاسية حازمة على جريمة الزنا .

ـ ولا يمكنك ان تقطع يد السارق الفقير في حين انك تعفي الغني من الزكاة .

ـ ولا يمكنك ان تقيم مجتمع الكفاية أي تكفل لكل مسلم حدا ادنى من الرزق في حين انك لا تفرض ضريبة المال الاسلامية التي تشمل الزكاة .

فالنظام الاسلامي كأي نظام علمي دقيق ، يمثل وحدة متكاملة يسند بعضها بعضا ويكمله .. ولو تركنا جزءا منه كنا كمن يقول (**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة**) دون ذكر قوله تعالى (**وانتم سكارى**) النساء/ ٤٣ فيعكس الهدف من الآية الكريمة .

والخير كل الخير في تطبيق الشريعة الاسلامية بجميع أجزائها .

● ان قسوة العقوبات في كثير من الاحيان قد يقصد بها الحاكم قبل المحكوم ومن بيده سوط العقاب قبل من يطبق عليه العقاب ، فقد رأينا في المثل الاول الذي ضربناه عن رأي عمر ابن الخطاب في اقامة الحدود ، ان العقوبة القاسية تجعل الحاكم ملتزما بحل كل مشاكل شعبه وإيصال الحقوق الى أصحابها قبل ان يبدأ في تطبيق العقاب ..

ـ فهو لن يقطع يد لص قبل ان يؤمن

عملا لكل محتاج .
– ولن يرجم زانيا او زانية قبل ان يوفر فرص الزواج لكل شاب ، فيوفر له سكنا لائقا ورزقا ثابتا وعيشة كريمة .

ولو لم يكن في العقوبات الاسلامية غير هذه الفائدة لكفى .

من هذا كله نرى ان نظام العقوبات في الاسلام هو نظام دقيق علمي متكامل ... وانه انسب النظم في عصرنا الحاضر لاي دولة اسلامية متطورة في القرن العشرين .

وابسط دليل على ذلك ان نقارن بين حال المسلمين في عهود الاسلام الزاهرة بحالة اوروبا اليوم وهي في قمة مجدها وازدهارها .

فالعالم الاسلامي قد ظل قرابة ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، لا يعرف الامراض السرية التي كانت منتشرة في اوروبا .. وكان اول مرة يسمع المسلمون عنها عندما حضر نابليون وجنوده الى الشرق وسمى الناس الزهري « المرض الفرنساوي » .

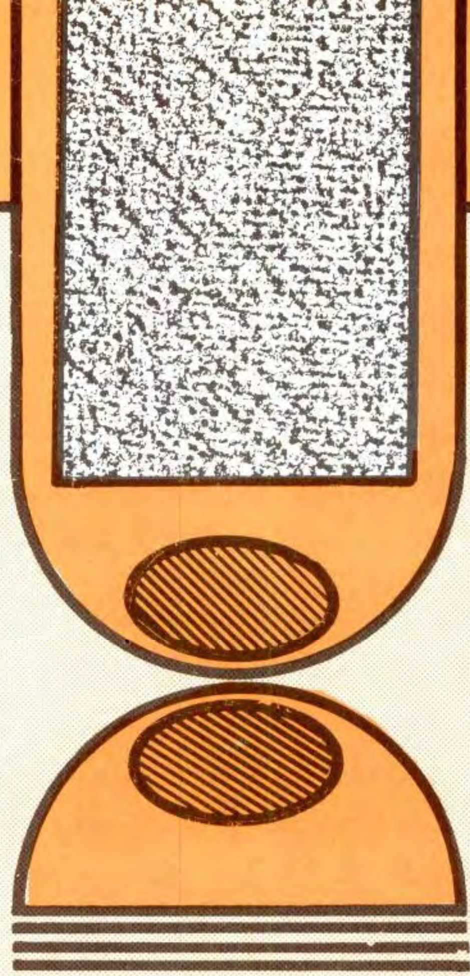
والعالم الاسلامي لم يعرف حوادث السكر العنيفة التي تؤدي في اوروبا الى الكثير من جرائم القتل ، وحوادث السيارات ، وجنون الخمر والموت المبكر ، ولم يعرف العالم الاسلامي حوادث الانتحار التي تنجم عن القمار وضياع الثروات بالملايين على موائد الخمر والقمار .

وكانت بلاد الاسلام لا تسمع فيها عن سرقة بالاكراه او حوادث السطو وقطع الطريق .. فكان التاجر يترك متجره مفتوحا ويذهب إلى الصلاة آمنا .

وكان عمال الخليفة يمرون على الناس لتوزيع الزكاة ، فيردهم الناس مستغنين متعففين فيمرون بها على الذميين ، فيردونها لعدم حاجتهم ، وأخيرا ترد الى بيت مال المسلمين لعدم وجود من يطلبها في الدولة كلها ، فمتى حدث هذا في أي دولة اوروبية وفي اي عهد من عهود ازدهارها ؟ واليوم ...

وقد تفشت في عالمنا العربي والاسلامي كل انواع الجرائم التي وردت الينا مع حضارة الغرب ، جرائم الرشوة والسرقات الكبيرة بالملايين .. وجرائم الاستهتار بالعرض والشرف ورابطة الاسرة وانتشار الدعارة والمجون تحت اسم الفن والحضارة .. وموائد القمار التي تضيع عليها ملايين الدولارات من عرق الكادحين والجياع والمساكين . ومجالس السكر والمخدرات التي تضيع فيها كل القيم الانسانية .

اليوم اصبحنا اشد ما نكون حاجة الى تطبيق الاسلام نصا وروحا ثوابا وعقابا حتى نخلص مجتمعنا من هذا البلاء الذي عم وفاض ...



الحرب والسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، وبعد ، فقد أحببت أن أسأل شريعتنا الغراء حول موضوع حاسم تتجاوب أصداؤه في عالمنا العربي في أيامنا هذه كثيرا ، ويختلف فيه العرب ما بين مؤيد ومفند ، ومعاضد ومعارض ، ولو أننا عدنا الى ديننا نسأله ما اختلفنا في شيء وما تشعبت بنا السبل واختلطت علينا المسالك **(فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** النساء/٥٩ **(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب)** الشورى/١٠ **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** النور/٦٣

نعود الى موضوع البحث وهو الحرب والسلام ، وقد أوردت هاتين الكلمتين لأنهما التعبير الشائع في لغتنا اليومية لكن تسميتها في القرآن جاءت بلفظتي القتال والسلم وربما وفقنا الله في مقال قادم لايضاح الفرق بين هذه التسميات وتلك .

فرض القتال :

بدأ القرآن الكريم في عرض أمور البشر عرضا تاريخيا في قوله تعالى : **(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)** البقرة/٢١٣

فهناك فئتان بعد بعث الله الأنبياء

في ميزان القرآن الكريم

للأستاذ : محمد عبد السلام نجم

بالحق ، فئة مؤمنة مهتدية وأخرى باغية انحرفت برسالات السماء لخدمة أهوائها وضلت عن الصراط المستقيم ، وهنا وضح دور القتال في قوله تعالى : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز**) الحج/ ٣٩ ، ٤٠

اذن فمشروعية القتال جاءت لوقف ظلم وطغيان الفئة الكافرة المبتعدين عن سبيل الله الذين يرون في انتشار النور الالهى تهديدا لشهواتهم الطامعة المستغلة وايذانا بتعديل الأوضاع على غير ما يهوون فهم يبادرون بخنق كلمة الحق في مهدها وظلم أهلها وطردهم وتشريدهم ولو استمر الوضع هكذا .. عدوان من الظالمين وسكوت من المؤمنين لما استقام الأمر ولأصبح أتباع الحق سبحانه يمثلون الضعف والمذلة فكيف يكون ذلك وهم أتباع القوى العزيز القادر على نصرهم ، ما داموا ينصرونه بنشر هداه على الأرض وإعلاء كلمة الحق والدين وفي مشروعية القتال هذه حماية لمصالح المؤمنين وعقائدهم أيضا .

وكان الله سبحانه وتعالى يأخذ القرى بظلمها حين كان أصحاب الهوى يكذبون المرسلين ومع تقدم الرسالات بتقدم التدريب الالهى لحمل الأمانة التى اشفقت منها السماء والأرض والجبال ، عهد الله سبحانه وتعالى بمهمة الدفاع عن الحق الى

أوليائه من المؤمنين وكان ذلك التكليف لبني اسرائيل كما يحدثنا القرآن الكريم في قوله تعالى : **(ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)** البقرة/٢٤٦

وبذلك لم يؤهل بنو اسرائيل لحمل شرف الدفاع عن كلمة الحق وجاء التكليف بعد ذلك الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم صريحا واضحا ومعللا كذلك في قوله تعالى : **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢١٦

فمن هم الذين يجب أن نقاتلهم ؟

ان الجواب واضح في قوله تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)** التوبة/ ٢٩

فماذا لو تخلينا عن قتالهم ؟

عدول المسلمين عن قتال أعدائهم الذين عددهم الله عز وجل في الآية السابقة فيه هجوم مضاد من جانب هؤلاء الأعداء على المسلمين فلا يضايقهم شيء الا هذا الايمان الراسخ في القلوب ، يقول الله عز وجل : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٢١٧

ويتحدث القرآن الكريم عن عهد أولئك الأعداء وكيف يخلد المسلمون الى مظنة صدقهم وحسن نيتهم فيقول تعالى : **(كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون)** التوبة/٨

فكيف نستعد للقتال ؟

الاستعداد للقتال يجب أن يكون بالحشد الكامل ماديا ومعنويا يقول رب العزة تبارك وتعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون)** الانفال/٦٠ ، ويقول عز من قائل : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)** التوبة/٤١

أما التوجيه المعنوي فان ايضاح الهدف وعاقبة العمل يحفل بها القرآن الكريم في آيات كثيرة وحسبنا أن نذكر منها قوله تعالى : **(ألا تقاتلون قوما**

نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) التوبة/ ١٣ ـ ١٥

وهذا التوجيه المعنوي مطلوب من القائد اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله عز وجل أن يحرض المؤمنين على القتال : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)** الأنفال/ ٦٥

هذا طبعا فضلا عما وعدهم الله بالخير سواء في حالة النصر أو الشهادة : **(قل هل تربصون بنا الا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون)** التوبة/ ٥٢

ثم هذه الصفقة الرابحة بكل ما تحمل من معنى : **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة/ ١١١

فكيف يكون القتال ؟

هنا أيضا نجد التوجيهات التى تكفل لنا النصر . فاذا ابتدأ القتال وقد تم للمسلمين حشد كل قواهم المادية والمعنوية فأول ما هو مطلوب منهم هو الثبات مع الاتصال بالله عز وجل **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)** الأنفال/ ٤٥ ، ٤٦

ويجب الا يفر المسلم من المعركة بأي حال من الأحوال ولا يكون هناك انسحاب بالجيش الاسلامي الا ان كان ذلك بقصد التركيز والدعم وليس بهدف الفرار **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** الأنفال/ ١٥ ، ١٦

ويجب ألا يستشعر المؤمنون الضيق والعنت الذي قد يقابلونه في حالة الحرب سببا من أسباب تداعيهم ، وفتور همتهم ، واضطراب موقفهم ، بل ليعلموا ان أعداءهم في حالة الحرب يعانون أيضا من الضيق والعنت ، وعلى ذلك فالغلبة لمن يصبر أكثر ، ولينظر المؤمنون على أن ذلك اختبار من الله وعليهم أن يجتازوه بنجاح **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح**

مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) آل عمران/ ١٣٩ – ١٤٢

وقال تعالى : **(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين)** البقرة/ ١٥٥

ويجب أن يتجه المسلمون في أثناء الحرب الى قتل من تصدى لقتالهم لأنهم يعمدون الى قتل المسلمين بكل غل وحنق ، والذين يحلو لهم أن يأسروا اكبر عدد من الأعداء لخدمة بعض المواقف الدنيوية ، أو الذين ينصرفون الى جمع غنائم الحرب قبل حسمها انما يخالفون أمر الله تعالى الصريح في قوله الكريم : **(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم)** محمد/ ٤

النصر :

لابد أن يعقب الحرب الاسلامية الصادقة نصر من عند الله ، لكن لا يكفي أن يوقن المقاتلون بالنصر لمجرد أنهم مسلمون ، لا ولكن اذا أخلصوا لهدف نصر الله عز وجل واتبعوا ارشاداته فان الله ينصرهم وهو شرط واضح **(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** محمد/ ٧ ، وتأكيد بالنصر واضح أيضا في قوله تعالى : **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)** الحج/ ٤٠

انهاء القتال :

قلنا أن للقتال هدفا لابد أن يبلغه ، وبلوغ هذا الهدف هو النصر ، وببلوغه تنتهي الحرب ولا تستمر والا كان عدوانا ينهي الله عز وجل عنه : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)** البقرة/ ١٩٣ **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير)** الأنفال/ ٣٩

السلم :

اذا انتهى أعداء الاسلام عن استمرار القتال وكفوا أيديهم معترفين بدين الله عز وجل وصحة القضية التي يقاتل من أجلها المسلمون وأبدوا رغبتهم في السلم رغبة حقيقية فالاسلام يرحب بهذا السلم ويحقق لهم هذه الرغبة ويصبح عدم تحقيقها شهوة شيطانية خبيثة **(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)** البقرة ٢٠٨ ، ويقول سبحانه وتعالى : **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)** الأنفال/ ٦١

الخداع بالسلم :

وربما يحس أعداء الاسلام وطأة القتال وأنه لا طاقة لهم به فيضمرون في أنفسهم العداء ويتظاهرون بالرغبة في السلم ، وهنا يكون الموقف الصعب الذي قد لا يستبينه المسلمون ، ولكن الحل موجود ايضا حيث يبين رب العزة جل جلاله وسائل تدارك هذا الموقف وكشف الخداع فيه باسترجاع سيرة النصر ، فما تظاهر الأعداء بالرغبة في السلم الا حين أحسوا بنصر المسلمين ، اذن فاسترجاع سيرة هذا النصر بكل العوامل المؤدية اليه وبتجميع المؤمنين دائما على قلب رجل واحد ، لأن هدف الذين يخادعون بالسلم هو النفاذ في فرصة هدنة ماكرة الى صفوف المسلمين لتشتيتها وبعثرة قواها ، ثم يميلون عليهم ميلة واحدة ، يقول الله عز وجل : (**وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم . يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**) الأنفال/ ٦٢ ـ ٦٤

وهكذا يكون المسلمون واعين حذرين دائما ، فان ظهر أن هذا السلم ما هو الا خديعة فيجب انهاء حالة السلم والالتجاء للقتال والحرب . قال الله تعالى في صيغة صريحة قاطعة : (**واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون**) الأنفال / ٥٨ ، ٥٩

استجداء السلم :

وتلك حالة خطيرة يضطر فيها ضعاف المسلمين لاستجداء السلم من أعدائهم ظانين أنهم بذلك يصلون بسرعة وسلامة الى أفضل الحلول رغم تعنت الأعداء وصلفهم وتشددهم في املاء شروطهم ، وهنا يحذرنا الله عز وجل من هذا التردي الخطير في قوله تعالى : (**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**) محمد/ ٣٥

فهل هي رغبة جامحة في القتال واعراض أجوف عن نداء السلم ؟ ان علام الغيوب جل شأنه يقول لنا من الأسرار ما قد يخفي علينا في ظروف قد لا تتيح لنا الرؤية الكاملة للموقف (**ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط**) آل عمران/ ١١٩ ، ١٢٠

يجب اذن ان نتعرف على موقفنا جيدا وندرسه من شتى جوانبه متجردين من العجلة والزيغ والأهواء مستلهمين كتاب الله وسنة رسوله في كل خطواتنا (**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**) آل عمران/ ١٣٨

نِعَمُ العطاء

مكانة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تفوق عن مكانة أبناء جنسهم ، وذلك لما لهم من صفات تفوقوا وامتازوا بها عمن سواهم من أبناء البشر جميعا . كانوا على إيمان بالله سبحانه لا يتطرق إليه الشك ، كان إيمانهم بالله إيمانا كاملا بالصدق واليقين والثبات ، ووصلوا بإيمانهم إلى طمأنينة النفس ، وإلى غاية الاعتزاز بالله ، ولقد كبح الاعتزاز عندهم كل نوازع الأغراض من نفوسهم ، فهم لم يلتفتوا أبدا إلى ما بأيدي غيرهم من متاع ، بل ولم تجد الأطماع طريقا إلى إغرائهم ، وعملوا — من أجل الحياة — لكسب العيش الكريم ، ثم جاهدوا في سبيل دعوتهم إلى الله ، أما أمانتهم فانها حفظت لهم وللناس حق السماء فيما أنزل الله عليهم من وحيه ، كما حفظت عليهم حق أهل الأرض في كل ما أئتمنهم الناس عليه .

لقد وصل الأنبياء والرسل إلى مكانة التفوق على غيرهم لأنهم حققوا في حياتهم التوافق ، والاتزان ، والانسجام ، بين الروح والجسد ، في كل أمر أمر الله به ، لأنه أمر من الله

عطاء الله لمن اصطفاه

للاستاذ حسين عبد الحليم

سبحانه — وهو باليقين — فيه الخير ، وفي كل نهي نهى الله عنه ، لأنه نهي من الله سبحانه — وباليقين في فعله الشر كل الشر ، فأحكام الله سبحانه طاعة في سرائرهم وفي علانيتهم .

ولقد وصلوا في مفهوم وحدانية الله تعالى إلى أرقى مراتب الفكر الانساني ، ذلك لأن توحيد الله تعالى تنزيه ، وسمو ، وجلال ، وقد وهب الله لهم من نوره ما وهب .

وأخذهم من قلوبهم وضمائرهم ، وأعدهم في التكوين وفي الخلق ليكونوا رسلا لعباده ، ومن الفكر التوحيدي نالوا درجة النبوة والرسالة وشرفهم الله بها ؛ وقد بلغوا — بالبيان المضيء الواعي — كل ما أراده الله سبحانه من خلقه .

وإننا نرى من عطاء الله لأنبيائه ورسله أن كشف الغطاء عن بصائرهم ، فشاهدوا أسرار الخالق في كل شيء خلقه وأبدعه ؛ من هذا الحديث نجد أنفسنا أمام سنة جليلة من سنن الخالق سبحانه ، وهي : « أن لله فيمن يخلق . صفوة يختارها ويصطفيها ، ويقربها إليه . ويهبها العطاء منه بما يشاء » .

وإذا اصطفى الله سبحانه من اصطفاه فلا راد له . يؤكد ذلك قول الله تعالى : **(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)** آل عمران / ٣٣ .

وكان هذا التقدير والاختيار لأنهم يستحقونه ، فهم قد ملأوا حياتهم بالصدق ، وهم قد عبروا بالبلاغة والحجة الواضحة عما أنبئوا به من الله لمن بعثوا إليهم .

ولقد تحدث هؤلاء الرسل مع الناس عن آلاء الله ، وكشفوا أمام العقول المستعصية عن أسرار قدرة الله ، وعن وحدانيته .

ثم عرضوا – قضية البعث يوم القيامة ، وعرضوا كذلك ما يتبعها من الحساب والثواب والعقاب .

قالوا عن قضية البعث قولا سهلا لا يدع مجالا للارتياب .

ولقد تعجب المعارض أي عجب لهذه القضية التي تلزمه بالحساب وبالثواب وبالعقاب .

وقال – كما حكى القرآن الكريم – :

(من يحيي العظام وهي رميم) ؟ . يس / ٧٨

وتأتي حجة الخالق أمام تعجب من عارض رسله .. يقول القرآن الكريم : **(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)** يس / ٧٩

يعترف – المعارض – أولا بأن الذي خلقه هو الله ، ثم يقر بأنه – قبل أن يخلقه الله . لم يكن شيئا . فاذا كان يعترف بالخلق الأول له فلم ينكر الخلق الثاني ؟

ولنا ان نسأل هنا :

لماذا استبعد المعارض الآخرة والبعث والحساب والثواب والعقاب ؟

لقد استبعد المعارض الآخرة لأن فيها ما يخيفه من اصناف العذاب ، بل ورأى فيها ما يصرفه عن لذاته وشهواته وأطماعه في دنياه . بل ورأى فيها حضه وإيقاظه لاعمال العقل في محاسبة النفس ، وحملها على تقدير الحساب والثواب ، او العقاب : ولقد تناسى المعارض « قضية البعث » .

مع أن محاسبة النفس بالحساب وتقدير الثواب أو العقاب لها ، هي دعوة إلى إدراكه قيمة وجوده ، وإشغال فكره ، وإحساس وجدانه ، وفي هذا كله فضائل يتميز بها الانسان على سائر الحيوان .

ونعود لنتابع تقدير الله لرسله وأنبيائه فنرى أن الأنبياء كثيرون .

ولكن الرسل الذين اصطفاهم الله من بين أنبيائه ، ونالوا من عطائه وفضله درجة الرسالة ، هم خمسة وعشرون رسولا . قال الله تعالى : **(وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين)** الأنعام / ٨٣ – ٨٦ .

إن الآيات الكريمة قد أحصت لنا ثمانية عشر رسولا ـ أما من بقي من الخمسة والعشرين ، فانهم سبعة : **إدريس ، وهـود ، وشعيـب ، وصالـح ، وذو الكفل ، وآدم ، ومحمد بن عبد الله .**

ويتدرج الاصطفاء !

فيصطفي الله بالعطاء والفضل خمسة من هؤلاء الرسل ، وهم بالترتيب ، **محمد بن عبد الله العربي** القرشي . وهو أولهم ، ويليه في القرب من الله **إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم نوح .** عليهم الصلاة والسلام جميعا وهؤلاء هم أولو العزم ، وخصهم الله بهذه الصفة لأنهم صبروا وتحملوا المشاق في سبيل الله تعالى : لنشر دعوته ؛ ثم اصطفى الله بالفضل « محمداً » من أولى العزم ، فما ناله محمد بن عبد الله من عطاء الله وفضله لم ينله غيره من الأنبياء والمرسلين .

فمحمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو أقرب الخلق إلى الله .

يقول الشاعر .. في مدحه .

الله هيأ من حظيرة قدسه
نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائماً
ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعد ولقاء

ويقول الرسول محمد ، عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم ، فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر » رواه احمد والترمذي وابن ماجه .

النبي محمد ـ يعتز بعطاء الله .
ولا يفخر إنه ـ بتقدير الله يتحدث .
وبنعمته وعطائه يحكي
هنيئا لك يا رسول الله !!
ونعم العطاء عطاء الله .

إن محمداً بن عبد الله ،، قد فاز بالقرب من الله ، ونال درجة عنده لم ينلها أحد من خلقه .

وإذا احتسبت الفترة التي عاشها النبي صلوات الله عليه بين قومه يدعوهم فيها إلى الله تعالى ، لوجدناها فترة قصيرة ، تصل إلى ثلاث وعشرين سنة .

وعلى الرغم من قصر هذه الفترة فان من إكرام الله له أن نصر دعوته في أنحاء الجزيرة العربية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وفتح الله عليه بالفتح الأكبر ،، فتح مكة ..

وييئس الشيطان أن يعبد في الأرض العربية كلها .

هذا هو ما قاله محمد بن عبد الله حين كان يكسر بيده الأصنام . اعترافا بفضل الله وعطائه ،، وإن من تكريم الله لنبيه محمد أن هيأ له رجلا حازما هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ..

فهو في حياة النبي ،، يناصره ،، ويفتديه بماله ،، وبروحه ،، ويؤانسه في الغار قال تعالى : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ**

يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة / ٤٠

وبعد ممات الرسول الكريم ، يقف أبو بكر أمام كل الأعداء لمحمد ولدينه ، ليحافظ على قواعد الاسلام .

ثم يوضح للأمة الاسلامية طريق مسيرتها .

إن محمدا بلغ الكمال في كل شيء ، بلغ الكمال في الصدق ، وفي الأمانة وفي الصبر على الشدائد ، وفي الخوف والخشية من الله ، فهو جدير بتكريم الله سبحانه وهو القائل عنه في كتابه :

(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم / ٤

وينفي عنه الجنون ، ويعصمه منه . وقد رماه الأعداء به **(ما أنت بنعمة ربك بمجنون)** القلم ٢

وقد تفضل عليه الله بالعصمة من أعدائه ، وفي يوم الهجرة من مكة الى المدينة دليل على هذه العصمة .

وقد أسرى به سبحانه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام ، ليبعد عنه الحزن ، ويحظى بقرب الله .

وقد عمم بعثته فجعلها لكل المكلفين من إنس ، ومن جن .

وقد حفظ دعوته من التغيير ، وهيأ له من ينصرونها في كل زمان .

وقد حفظ قلبه ، وجعله وعاء صافيا لحمل رسالة السماء .

ولقد كرمه أعظم تكريم . إذ خصه بالمعجزة الخالدة .. تلك هي « **القرآن الكريم** » !!وقد جعله صلوات الله عليه خاتما للرسل لأنه أكملهم .

وإذا وصل الكمال في العطاء وفي التكريم إلى محمد فما الحاجة لمن يأتي بعده ؟

وكان لابد ـ بعد أن جعله خاتما للرسل ـ أن تكون رسالته خاتمة للرسالات وللشرائع ، لأنها أكملت كل الشرائع السابقة . إن الشرائع السابقة تختلف بحسب الأزمنة ، أما شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه فهي لم تترك حاجة من حاجات الناس مهما اختلفوا ، إلا تناولتها بنصوص القرآن بالتشريع ، وبالتنظيم .

وإن كلام الله معجز للبشر جميعا قال تعالى : **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء / ٨٨

وإن إعجاز القرآن يتجلى في كونه في أعلى قمة من طبقات البلاغة والفصاحة .

وإن إعجاز القرآن حاصل ، لكونه يشتمل على الاعلام بالغيب ، ولكونه يتحدث عن دقائق العلوم .

وإن كتاب الله لمحمد . نعم العطاء وسيبقى القرآن في حفظ الله »
قال تعالى :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر / ٩

صلاة وسلاما عليك يا رسول الله بقدر حبك لله ،، ولكتابه .

وبقدر حب الله لك ،، وبقدر عطائه لك ،، وتكريمه إياك .

قصة الإفك

ومقاصدها في فقه الدعوة

للكتور/ عبد السلام الهراس

إن الدعوة التي تستمد من القرآن والسنة وسيرة الصحابة والصالحين مبادئها وأساليبها وسلوكها ، هي الدعوة الاسلامية الحق . وليست

حكمة الدعوة ولا موعظتها الحسنة امرين يستفادان من خارج المصادر السابقة ، وامامنا نماذج حية لتربية الدعاة تربية مفعمة بالوعي والتبصر والفطنة والحذر الهادف والصبر الجميل والارادة الصامدة وايثار الحق والقدرة على التمييز والاحساس بالخطر ، وادراك المرامي والاهداف للقيادة من جهة وللقوى المعادية من جهة اخرى ، ومن هذه الدروس النموذجية العظيمة قصة الافك التي تناولتها « **سورة النور** » وكانت سببا في تشريعات هامة تتعلق بالاسرة والبيت والعرض والعلاقات الزوجية وبعض ازماتها ، واعطت حلولا لبعض القضايا الاخلاقية والاسرية ، كما اهتمت بالتربية والتأديب ، وشرعت حدودا صارمة حماية للكرامة الانسانية ، وحفاظا على سمعة المسلمين .

وردت القصة بتمامها في صحيح الامام البخاري بأسلوب جميل رائع ومؤثر ، يحمل في ثناياه سمات الصدق والعفوية والبراءة والطهر والعفاف ، وشفافية الروح وسمو الاخلاق والورع وعفة اللسان فلنراجع هنالك .

اما التهمة فقد نفاها الرسول صلى الله عليه وسلم اولا بقوله : « معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي ، والله ما علمت على اهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي » رواه البخاري .

ثم نفاها الله اخيرا ، وبرأ « **الصديقة بنت الصديق** » كما برأ معها في ذات الوقت الصحابي الجليل « **صفوان بن المعطل** » بقوله تعالى : **(ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم)** النور/١١ .

اذن فلم يبق هناك ذرة من شك في ان هذه التهمة باطلة ، ومن اصدق من الله قيلا ؟ وبذلك كفى الله المؤمنين القتال .

واذا ما طويت ملفات القضية بما صدر فيها من احكام نهائية ، وما نفذ فيها من عقوبات شرعية ، فان للقضية جانبا آخر لا تزال وثائقه منشورة ، وملفاته معروضة ، والواحه شاخصة ، لتكون مصدرا هاما للدراسة ، واعمال النظر في ظاهره وباطنه ، واستخلاص العبر واستنتاج المقاييس ، واستخراج القوانين من ثناياه ، ليكون ذلك صفحات حية من كتاب العمل الاسلامي ، ودليلا من دلائل الحركة ، وجزءا من فقه الدعوة .

لقد كان الافك امتحانا عسيرا للقيادة الاسلامية الاولى ، ولقاعدتها معا ، وفتنة ارتج لها ارجاء المجتمع ، وتزلزلت بها نفوس ، واضطربت قلوب ، واغتنمت العصبة المنافقة واليهود الفرصة لترويج الشائعة ، وتزويقها وتسويغها للعقول والأفواه ، ومع ذلك يقول الله تعالى : **(لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم)** فما هو هذا الخير ؟ احسب ان من اهم عناصر الخير في

هذه القصة هي ما يمكن استخلاصه من غايات عظيمة ، وحكم مفيدة ، فمن ذلك :

١ ـ الثقة :

تعرض المجتمع الاسلامي لامتحانات عسيرة في ايمانه ، وثقته بربه ، وقيادته ، وحياة الدعوة قبل الهجرة وبعدها ، كانت كلها اختبارات وابتلاءات تربوية صارمة ، ومن هذه الابتلاءات : **الافك** الذي كان امتحانا لثقة المسلمين برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأسرته ، وبقيادة ابي بكر في بيته ، وتربيته لبنيه ، وهو المعد لخلافة النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد فوجىء المسلمون بترويج الافك ، والافك عندما ينطلق من عصبة منظمة يتخذ صورا شتى ، واساليب مختلفة ، حتى يكون اكثر تأثيرا واستمالة ، وقدرة على قبوله واستساغته ، ولكن المسلمين يعرفون الله حق المعرفة ، ويعرفون رسول الله حق المعرفة ، ويعرفون زوجة « الصديقة بنت الصديق » حق المعرفة ، ومن قويت معرفته بالله ، ومعرفته برسول الله ، ومعرفته بالصديقة رضى الله عنها ، لا يسعه ان يقول إلا ما قاله سادات الصحابة لما سمعوا ذلك :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) النور/١٦ .

وروى ان ابا ايوب خالد بن زيد الانصاري قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضى الله عنها ؟ قال : نعم ، وذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا ، والله ما كنت لأفعله : قال : فعائشة والله خير منك .

هذا الموقف العفوي يدل على سمو التربية التي تلقاها الصحابة في جو النبوة الكريمة، لقد شاهدوا قدوتهم على صراط مستقيم دائما ، في بيته ، وعلاقاته ، وحركاته وسكناته ، وشاهدوا من حياته ما كون في نفوسهم ثقة ثابتة لا تعصف بها اعتى الابتلاءات ، لانهم يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى يتولاه ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يربي فيهم هذه الثقة في حدود رسالته ونبوته ، وعبوديته لربه حتى لا يدعوا فيه ما ادعته النصارى في نبيهم ، وحتى لا يغلوا في محبتهم .

وتتجلى هذه التربية الحضارية ليس فقط في دفع الافك ، ورفضه رفضا قاطعا ، بل ايضا في الاسلوب المعبر عن ذلك ، لقد كان صورة معبرة دالة اذ قالوا : **(سبحانك هذا بهتان عظيم)** .

ويعلق ابن القيم على هذه العبارة الجميلة بقوله :

« تأمل ما في تسبيحهم لله ، وتنزيههم له في ذلك المقام ، من المعرفة به ، وتنزيهه عما لا يليق به ، ان يجعل لرسوله وخليله واكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به السوء ، وعرف اهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق الا بمثلها ، كما قال تعالى : **(الخبيثات للخبيثين**

والخبيثون للخبيثات) النور/٢٦ فقطعوا قطعا لا يشكون به ان هذا بهتان عظيم .

وكما كان الظن حسنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبزوجه رضي الله عنها ، كان ايضا بصفوان ابن المعطل .

لأن المجتمع كان يتعامل فيه افراده بينهم بالثقة والاحترام والتقدير .

٢ ـ الوعي والفطانة :

ان الافك كان عملية عدوانية في مجال الدعاية والشائعة ، قصد بها أعداء الاسلام الفت من عضد المسلمين ، بعد ما شهدوا من انتصارات متوالية ، وخضوع القبائل لهم ، والدخول في دينهم : احس اليهود والمنافقون بالمدى الكبير لنجاح الاسلام واكتساحه الميادين كلها ، وسحقه لمؤامراتهم ، لذلك حسبوا ان في استغلال هذا الحادث مكسبا هاما ، اذ يستطيعون ان يثيروا البلبلة والاضطراب داخل اسرة رسول الله ، ووسط المجتمع الاسلامي الجديد ، فكانت هذه المؤامرة من جانب اليهود واذ يالهم من المنافقين ، امتحانا عسيرا لوعي المسلمين وفطانتهم وتربيتهم النفسية والاجتماعية ، فاذا بالمؤامرة ترتد خائبة ، اذ ينكشف لاصحابها مدى سلامة هذا المجتمع ، وتماسكه ورشده ، وذكائه وعمق وعيه ، ورصانته وحسن تفكيره ، فالشائعة لم تستطع ان تجد مجالا للانتشار الا في اطار ضيق ، وضيق جدا لا يتعدى افرادا ثلاثة ممن اقيم عليهم الحد .

اما المنافقون الذين يقودهم عبد الله ابن ابي بن سلول فلكونهم مبتورين من الجماعة الاسلامية لم يستحقوا التطهير بالحد ، لأن مصيرهم العذاب العظيم في الدنيا والهزائم المتكررة والمقت الاجتماعي الشامل ، والاحتقار من اقرب الناس اليهم ، وفي الآخرة بما هو اشد وانكى ، وتلك الفئة المؤمنة القليلة التي تنحصر في ثلاثة افراد تعرضت للحد ، لانها آذت عرض مسلمة مؤمنة ، وأبانت عن ضعف في وعيها ، ونقص في ادراكها لابعاد مؤامرات المنافقين واليهود ، ومن فضل الله على هذه الفئة الساذجة ان قبل الله توبتها ، اذ طهرها بالحد ، يقول تعالى :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) النور/ ١٤ ، ١٥ .

وهذه نقطة هامة نستفيدها من هذه الحادثة ، وهي ان المؤمن الحق ان بدر منه خطأ ما ، ولو كان في هذا المستوى الذي نتناوله ، فان باب التوبة مفتوح بفضل من الله ورحمته ، اما المنافق فلا توبة له لانه مصر على النفاق ، مستمر في الضلالة .

٣ ـ تمييز الاعداء وكشفهم

لو كان الحادث يتعلق باسرة مسلمة عادية ما كان اعداء الاسلام يسارعون لاستغلاله ، فقد سبق ان

هاجرت مسلمة من مكة الى المدينة حيث زوجها ، وصحبها في الطريق رجل من مكة - كان جارا لها - حماية لها من اخطار الطريق ، فلم يلتفت احد الى هذه القضية ، لأن اتهام امرأة عادية ليست بقضية ذات استثمار دعائي ، اما وان الامر يتعلق بامرأة ذات شأن ، لكونها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبنت صاحبه أبي بكر رضي الله عنه ، فالفرصة مواتية لمناوأة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجماعة المسلمين ، وبث البلبلة والاضطراب في صفوفهم ، وزرع الشك والظن السيىء فيهم ، لأنه ان استقر ذلك في النفوس تزعزعت الوحدة ، وتضعضع الصف ، ومن هذا يبدأ التقهقر والفشل ثم الانهيار .

هكذا تهيأ للمنافقين وتراءى لهم ، فاندفعوا بنشاط متواصل ، يتصلون بهذا وذاك يشيعون الافك وينشرونه ، ويزيدون فيه وينقصون ، فكان نشاطهم ذاك فرصة نادرة ينكشفون فيها للمسلمين ، فيعرفون منهم صفات جديدة من الكيد والمكر ، والدس والتلفيق والبهتان ، ويعرفون معظمهم باسمائهم ، كما تتأكد قيادة ابن ابي سلول لهذه العصبة الخطيرة ، كما انكشف بعضهم في غزوة بدر ، وغزوة احد ، وغزوة الخندق ... وهكذا تكون هذه الحادثة المؤلمة خيرا للمسلمين وللمجتمع الاسلامي ، اذ انكشف لهم اعداؤهم عراة من الداخل(**ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر**) آل عمران/١١٨ ولو بذل المسلمون ما بذلوا لكشف هؤلاء الاعداء ما كانوا ليحققوا هذا الغرض بمثل ما تحقق بهذا الحادث ، اذ اندفع المنافقون في بلادة وتسرع وتهور الى اعلان الحرب النفسية ، بدافع البغض والحقد والتقرب لليهود وهكذا يمكن للمسلمين في كل زمان ومكان ان يكشفوا المنافقين والاعداء على ضوء تصرفاتهم ومواقفهم ، وسلوكهم في مثل هذه الاحداث ، فسمات المنافقين التي رسمها القرآن ، ووصفها من الداخل والخارج ، تنطبق عليهم في كل زمان ومكان .

٤ - تأديب واعداد خلقي :

ان قصة الافك كانت مناسبة لتربية الامة ، وتعويدها على خصال حميدة ، واشعار كل فرد منها بوجوب احترام الآخرين ، واعتبار نفسه انه جزء من كل ، وبهذا يتكون الشعور الجماعي الذي يجعل من الأمة جسما حيا متكاملا ، كل عضو فيه يخدم باقي الاعضاء ، ويسعى لمنفعتها ، ويحمل نحوها نفس التقدير ، ونفس الظن الحسن ، يقول تعالى مخاطبا الجميع ، من ظن خيرا ، أو من ظن غير ذلك تأسيا وتأكيدا ، توجيها وارشادا ووعظا : (**لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**) النور/ ١٢ .

فالظن الحسن بالغير هو في الحقيقة ظن حسن بالذات نفسها ، لأن الامة ذات و حدة ولا يكون المؤمن

مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وان كل شعور بغير هذا انما هو مرض فردي ، ان كان صاحبه فردا ، وظاهرة مرضية اجتماعية تدل على اختلال في التربية ، وسوء في التوجيه ، واضطراب في السير ، ومثل هذا المجتمع لا يكون جديرا بالقيادة ، وانما يكون قابلا للتمزق والفتنة والتبعية ، والاستسلام للانهيار .

٥ ــ انجازات تربوية :

ان هذا الحادث يبين لنا ان تربية القرآن وعناية الله بحمال رسالته قد بلغت درجة عالية من الفعالية والتأثير ، أما بالنسبة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد كان الكمال الباهر ، ولنضرب على ذلك امثلة :

○ **ــ الصبر :** فقد لاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر ، وكذلك فعل ابو بكر وزوجه ، ونفس الموقف التزمته عائشة ــ رضي الله عنها ــ لانها زوجة الاول صلى الله عليه وسلم ، وبنت الثاني رضي الله عنه .

اما الرسول فقد كان يعيش وفق تربية سماوية مباشرة ، يتولاه الله بوحيه ، ويصنعه على عينيه التي لا تنام ، لذلك اتخذ موقف الصبر والاناة والانتظار والتربص ، لأنه ادرك ان شيئا وراء هذه الحادثة ، وانها امتحان من نوع جديد في سلسلة الامتحانات السابقة للمجتمع الاسلامي كله ، ولم يقدم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أي اجراء أو تنفيذ ، وانما عندما عاد الى المدينة ، وكثر القيل والقال من رئيس المنافقين واشياعه رقي المنبر متعذرا في عبد الله بن ابي قائلا :

« يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني اذاه في اهلي ، فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا ، وما كان يدخل على اهلي الا معي » رواه البخاري .

ثم استشار بعض اقربائه ، فكانت اشارة الجميع تدل على حسن الظن بعائشة رضي الله عنها ، بما في ذلك علي كرم الله وجهه .

ثم اتجه نحو صاحبة القضية مباشرة يخاطبها في أدب قرآني رفيع .

اما ابو بكر ــ رضي الله عنه ــ فاحتذى حذو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشعر بان هذا ابتلاء من الله ، فلاذ بالصبر ، واتجه نحو الله وحده سبحانه وتعالى ، وكان في استطاعته ان يستعمل نفوذه ، وان يثير الصحابة والمسلمين على هؤلاء الأفاكين ، وينتصر لعرضه ، لكنه لم يفعل ذلك ، وانما أدرك ان الابتلاء يواجه بالصبر والتسليم والاعتماد على الله الذي يتولى أولياءه .

اما عائشة التي تربت في احضان الرسول واحضان صاحبه أبي بكر ، فقد بكت وخرت مغشيا عليها ، واصابتها حمى ، فلما افاقت وكلمها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الموضوع ، لم تزد ان قالت : واني لا اقول إلا كما قال والد يوسف : **(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)** يوسف/١٨ .

لكن صفوان بن المعطل لم يكن من الصابرين ، اذ لم يحتمل الصدمة ، وقد ووجه بتهمة خطيرة ، من شأنها ان تعرضه الى سخط الله ، وسخط رسوله ، ومقت المجتمع الاسلامي كله ، لذلك اهتاج اهتياجا دفعه الى البحث عن حسان بن ثابت ، وهو مؤمن مثله ، حتى اذا وجده هوى عليه بسيفه يريد قتله ، ولولا ثابت بن قيس ابن شماس الذي اخذ صفوان فشد وثاقه لأجهز على حسان ، وفي مثل هذا الموقف لا يصبر الا اولو العزم من الرجال ممن يهيأون للقيادة والريادة كأبي بكر .

٦ ـ العفو والاحسان :

والخلق الثاني الذي تجلى في هذه القصة ، هو العفو والصفح والاحسان للمسيء . فقد آذى « مسطح » « ابا بكر » في عرض ابنته ، وكان يعوله لقرابة بينهما ، فلما وقع ما وقع ، اقسم ابو بكر الا ينفع مسطحا بنافعة ، فقطع عنه النفقة ، فنزل قوله تعالى : **(ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم)** النور/٢٢ فقال ابو بكر : بلى ، والله يا ربنا انا لنحب ان تغفر لنا ، وعاد لمسطح بما كان يصنع واستأنف الانفاق عليه .

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تثني على حسان ، وتقول : ما سمعت بشعر احسن من شعر حسان ، ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة .

ولكن ليس هذا بعجيب ، اليست بنت الصديق وزوجة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك فقد احسنت كما احسن ابوها بعدما عفا وصفح ، وكل ذلك من اخلاق التربية النبوية الكريمة التي تستضيء بنور الوحي ونور القرآن **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)** النور/٤٠ .

٧ ـ سمو الخلق في العلاقات والورع :

لقد تجلى في هذه الحادثة سمو اخلاق المجتمع الاسلامي ابتداء من قائده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهاء بآخر شخص من هذا المجتمع .

وأي اسلوب حضاري اخلاقي اعظم من تلك المعاملة المتبادلة ، وذلك الحوار الذي جرى بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين زوجه ـ رضي الله عنها ـ فلم يتسرع الرسول باخبارها بما يشاع ، ولما علمت به جرى هذا الحوار الكريم بينهما ، اذ قال لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدما حمد الله واثنى عليه :

« اما بعد ، يا عائشة ان كنت قارفت سوءا ، او ظلمت ، فتوبي الى الله . فان الله يقبل التوبة عن عباده » فالتفتت عائشة إلى أبيها فقالت له : أجب رسول الله ، قال : فماذا أقول له ؟ فالتفتت إلى أمها فقالت لها : أجيبي رسول الله ، قالت : ماذا اقول ؟ وعند ذاك لم تجد بدا من الجواب ، فحمدت الله واثنت عليه بما هو اهله ثم قالت :

« اما بعد ، فو الله ان قلت لكم اني

لم افعل ، والله – عز وجل – يشهد أني لصادقة ما ذلك بنافعي عندكم . لقد تكلمتم به واشربته قلوبكم . وان قلت لكم اني قد فعلت ، والله يعلم اني لم افعل ، لتقولن قد باءت به على نفسها ، واني والله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف – اي النبي عليه السلام والتمست اسمه فلم تقدر عليه – حين قال

(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

في هذا الموقف العصيب بدت آثار تربية القرآن ، وتربية الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الافراد الذين حضروا المجلس ، فالكل قد عرف الحدود والمقامات ، ومن جهة اخرى فان زينب – رضي الله عنها – كانت ضرة لعائشة ، وكانت تساميها عندما سألها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بادرت الى القول :

« يا رسول الله ، احمي سمعي وبصري . والله ما علمت الا خيرا » »

وعندما سأل عليا رضي الله عنه – وهو تربية الرسول صلى الله عليه وسلم – حاول في اجابته اطمئنانه ، ولكن فيما يتصل بعرض عائشة رضي الله عنها احاله فيه على الجارية التي تعرف خبايا الامور ، فقال له :

« وان تسأل الجارية تصدقك الخبر » فقالت الجارية – بريرة او غيرها – والذي بعثك بالحق ما رأيت منها امرا قط اغمصه (اعيبه والاحظه) اكثر من انها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين اهلها ، فتأتي الداجن فتأكله وفي رواية اخرى انها قالت : ما علمت عليها الا ما يعلمه الصائغ على التبر »

اما اسامة بن زيد – رضي الله عنه – فقد قال :

« يا رسول الله ، اهلك ولا نعلم الا خيرا »

وقد تبين من هذا ان البناء الداخلي لاسرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان متينا متراصا يسوده حسن الخلق ، وعمق الورع ، والتواد والتراحم ، والاحترام المتبادل ، والاخلاص وايثار الحق على ما سواه .

٨ – الثقة بالله

ان موقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وموقف ابي بكر – رضي الله عنه – وزوجه وجواب عائشة كل ذلك يدل على الثقة في الله ، والاطمئنان الى حكمه ، والشعور بمعيته ، وانتظار القول الفصل منه سبحانه وتعالى ، وان كانت عائشة لم تكن تظن ان قرآنا سينزل فيها فانها كانت على يقين من براءتها ، وان براءتها ستأتي من السماء ، ولهذه العلاقة بينها وبين ربها اتجهت بالشكر له فقط ، لأن وحيه هو الذي فرج الكربة ، وازال الغمة ، بل واسبغ نعمة المسرة والفخر مما زاد الروابط متانة ، والمحبة قوة ، والنفوس اطمئنانا ، وهناك حكم اخرى وعبر عظمى اشار الى بعضها ابن القيم في كتابه العظيم « زاد المعاد » ويمكن استخلاص البعض الآخر بالتأمل والنظر مثل مناسبة التشريع ، وزيادة التشريف لابي بكر وعائشة ، وابراز

مقام ابي بكر العظيم في درجات الاهلية للقيادة ، بالموقف الرزين الذي التزمه ، وبالعفو الكريم والاحسان المتواصل اللذين اتصف بهما ، وبمسارعته لانفاذ توجيه الله ، وامتثال تعاليمه ، والعمل على ما يرضيه سبحانه وتعالى .

ويجدر بنا ان نختتم هذا الموضوع بكلام ابن القيم الذي لخص فيه كثيرا من مقاصد هذه الحادثة ، وبيان ما فيها من خير للامة الاسلامية جمعاء ، يقول رحمة الله عليه جوابا عن تساؤل حول توقف الرسول صلى الله عليه وسلم في امر عائشة سائلا ومستشيرا وباحثا قائلا :

« فالجواب ان هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولجميع الامة الى يوم القيامة ، ليرفع بهذه القصة اقواما ويضع بها آخرين ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وايمانا ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء ان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها لا يوحي اليه في ذلك شيء ، لتتم حكمته التي قدرها وقضاها ، وتظهر على اكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون ايمانا وثباتا على العدل والصدق ، وحسن الظن بالله ورسوله واهل بيته ، والصديقين من عباده ، ويزداد المنافقون افكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وابويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن ابويها والافتقار الى الله ، والذل له وحسن الظن به ، والرجاء له ، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد احد من الخلق ، ولهذا وفت لهذا المقام حقه لما قال لها ابواها قومي اليه ، وقد انزل الله عليه براءتها ، فقالت : والله لا اقوم اليه ، ولا احمد إلا الله هو الذي انزل براءتي .

وايضا فكان من حكمة حبس الوحي شهرا ان القضية نضجت واستشرفت قلوب المؤمنين اعظم استشراف الى ما يوحيه الله الى رسوله فيها ، وتطلعت الى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي احوج ما كان اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته ، والصديق واهله ، واصحابه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الارض وهي احوج ما كانت اليه فوقع منهم اعظم موقع والطفه وسروا به غاية السرور ، وحصل لهم به غاية الهناء ... »

وبعد ،

فجدير بالمسلمين ان يدرسوا مثل هذه القضايا بما تستحق من عناية ، في وقت استسهل فيه كثير من المسلمين — وفيهم الخاصة !!! — إثم القذف ، وثلم العرض ، والاصاخة للشائعة . وقد عرف اعداء الاسلام هذا الضعف فينا فاستغلوه اشد استغلال ، وافادوا منه ايما فائدة ، ودخلوا منه الى مجالات الافساد بين الجماعات والافراد في المجتمع الاسلامي .

مائدة القارئ

لا تتمن ما غبت عنه

كان المقداد بن عمرو رضي الله عنه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين ، وقد شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فارس المسلمين الوحيد في غزوة بدر ، لقول علي رضي الله عنه : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروي عبد الرحمن بن جبير بن نضير عن ابيه ، قال : جلسنا الى المقداد يوما فمر به رجل ، فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لوددنا انا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت ، فاستغضب ، فجعلت اعجب ، فالرجل لم يقل الا خيرا ، ثم اقبل اليه (اي التفت اليه بوجهه) فقال :

ما يحمل الرجل على ان يتمنى محضرا غيبه الله عنه ، ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ؟ والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، او لا تحمدون الله اذ اخرجكم لا تعرفون الا ربكم ، مصدقين بما جاء به نبيكم ، ولقد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على اشد حال بعث عليها نبي من الانبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ان دنيا افضل من عبادة الاوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده . ان كان الرجل ليرى والده وولده واخاه كافرا ، وقد فتح الله قفل قلبه للايمان ، يعلم انه (اي ان والده او ولده او اخاه) ان هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار . وانها للتي قال الله عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين » (الفرقان ٧٤) .

دعاء

اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا ورحيمها أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك

مائدة القارئ

اخوة بعضهم من بعض

روي عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه صر اربعمائة دينار ، وقال لغلامه ، اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ، ثم تلبث عنده في البيت ساعة ، حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها الغلام وقال له : يقول امير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك ، فقال له : وصله الله ورحمه ثم دعا بجارية له وقال لها : اذهبي بهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه السبعة الى فلان ، حتى انفذها فرجع الغلام الى عمر ، واخبره فوجده قد اعد مثلها الى معاذ بن جبل وقال له : انطلق بها الى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من امره ؟

فذهب اليه وقال له كما قال لأبي عبيدة .. ففعل معاذ ما فعل ابو عبيدة ، فرجع الغلام واخبر عمر .. فقال : انهم اخوة بعضهم من بعض .. رضي الله عنهم جميعاً .

كلمات لها معنى ..

المسلم الحق يربيه اسلامه على البصيرة النافذة ، والحكمة البالغة والقوة الصادقة ، والحجة الدامغة فما بالنا نرى القليل من النماذج لهذا المسلم ونرى الكثير من النماذج اللامعة عن معرفة او جهل ، والمتهور عن اخلاص او طيش والمتردد عن هوس او جبن ..

امثال

* اذا حان القضاء ضاق الفضاء

* * *

* اذا حلت المقادير بطلت التدابير

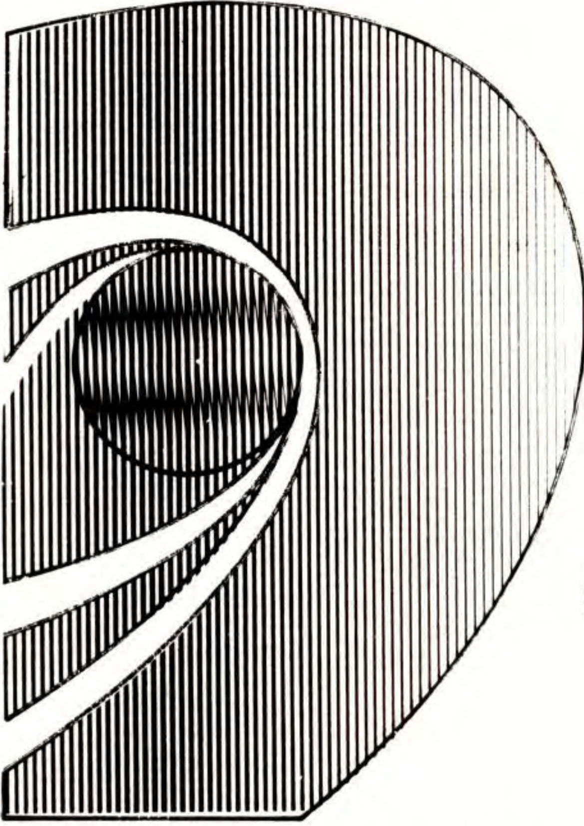
نظرية فرويد

شهد القرن التاسع عشر مولد كثير من المفكرين في نظريات التطور وأصل الانواع .. وقد أحدثت تلك الافكار والنظريات ثورة في مجال الدراسات العلمية المختلفة .. حتى لقد قيل ان مذهب فرويد في التحليل النفسي يعد تطبيقا لنظرية التطور في مجال علم النفس .

ولقد ذهب هؤلاء المفكرون بعيدا .. حتى ضلوا سواء السبيل وتنكبوا الطريق الحق .. ودخلوا في متاهات الظنون .. حتى أنكروا وجود الله تعالى . وبنيت دراساتهم على هذا الاساس الخاطيء .. واذا كان الاساس خاطئا فان كل ما بنى عليه لابد ان يكون خاطئا أيضا .. ومن هنا نستطيع ان نقول ان فكرة التحليل النفسي تؤدي الى انكار وجود الله تعالى وانكار المثل العليا في الاخلاق .

ومن العجيب ان يدعى فرويد عكس ذلك تماما ، ويزعم ان الارتباط المستمر بين الدين والاخلاق سوف يؤدي في النهاية الى تحطيم كل القيم الاخلاقية .

في العلاج بالتحليل النفسي



الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

من هنا نفهم ان فرويد كان ملحدا .. وان نظريته في العلاج بالتحليل النفسي ، لمختلف الامراض النفسية ، انما بنيت على فكر الحادي خاطيء .. وللنناقش نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي ، مناقشة موضوعية ومن منطلق علمي بحت ، ونقارن بينها وبين شفاء الامراض التى تعتري النفس البشرية ، بالاتصال بالله تعالى والايمان به والاستغفار له .

يعتقد فرويد – مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، أن الامراض النفسية هي نتيجة كبت لرغبات الغرائز الحسية .. تلك الرغبات التى لا يقرها الدين أو لا يرضى المجتمع عنها أو لا يسمح العرف بها .. فيضطر صاحبها الى ان يكبتها في عقله الباطن بشكل لا شعوري بقصد اخفائها وتجاهلها .. ولكنها دائما

.. بسبب ما يحيط بالانسان من شحنات عاطفية – تحاول الظهور الى الوعي ، وتسعى دائما الى التعبير عن نفسها في الوقت الذي يحاول فيه

الانسان كبتها وحبسها في اللا شعور .. وبين محاولة الكبت ومحاولة الظهور .. ينشأ نوع من الصراع النفسي .. يسبب مرضا نفسيا .. والمرض النفسي قد يكون بسيطا وقد يكون شديدا .

ويرى فرويد أن علاج الأمراض النفسية هو التحليل النفسي .. ولقد آمن بهذه النظرية في العلاج كثير من الاطباء حتى الان .. ومجمل التحليل النفسي أن يسترخى المريض تماما ، ويساعد على ذلك ببعض العقاقير المهدئة .. ثم يتحدث بكل ما في نفسه للطبيب النفساني بصوت مسموع .. وهذا في حقيقته نوع من اعتراف صريح من المريض للطبيب بكل الأخطاء التى ارتكبها .. وكل الظروف التى تأثر بها .. والتى ربما كان قد نسى بعضها .. ولكنها ترسبت في نفسه وأحدثت بها عقدا نفسية .

والهدف من التحليل النفسي هو الكشف عن الأخطاء والذنوب فيراها المريض نفسه ويشعر بها في الوعي .. هنالك يحدث صلح بين النفس والضمير .. فيتسامح ضمير المريض .. ويكف عن لوم النفس فينزاح عن النفس عبء ثقيل .. فيستريح المريض وتتحسن حالته .

هذا ما قاله فرويد مؤسس مدرسة العلاج بالتحليل النفسي وسار عليها كثير من الاطباء من بعده زمنا طويلا .

واذا حاولنا أن نقارن بين نظرية فرويد في علاج الامراض النفسية بالتحليل النفسي وبين شفاء تلك الامراض باتصال المريض بالله تعالى ومداومة الاستغفار له سبحانه .. لوجدنا أن القرآن الكريم فيه الشفاء للناس اكثر وأجدى مما في العلاج بالتحليل النفسي وذلك للأسباب الاتية :

اولا : التحليل النفسي هو اعتراف من المريض بأخطائه وهمومه ومشاكله لانسان آخر – هو الطبيب – يعلم المريض أنه لا يملك له ضراً ولا نفعاً .. أما الاستغفار فهو افضاء المريض بكل ما في نفسه الى خالقه تعالى .. والمريض هنا يعلم يقينا أن الله تبارك وتعالى بيده الأمر كله .. وأنه لا ملجأ منه الا اليه .

ثانيا : التحليل النفسي هو محاولة لأخذ الاعتراف من المريض وسحبه منه سحبا .. أما الاستغفار لله فهو طلب المغفرة من أخطاء اعترف بها المريض مسبقا .. فهو اعتراف كامل وصريح ، طواعية واختياراً ، بدون أي ضغط .. ومن أقرب طريق .

ثالثا : التحليل النفسي لابد أن يكون أمام طبيب نفساني .. ولا بد أن يأخذ المريض موعداً ، وينتظر دوره ، فالطبيب ليس حاضرا في كل وقت .. وغير موجود في أي لحظة يحتاج اليه المريض اذا حدثت له أزمة نفسية مفاجئة .. أما الاستغفار لله تعالى فبابه مفتوح لمن يريد .. بدون اجراءات .. وبدون تحديد موعد وبدون انتظار . والله تعالى تفضل على عباده ، فحثهم على الاستغفار له وشجعهم على ذلك .. كما في قوله تعالى :

(أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) المائدة /٧٤ وكما في قوله تعالى : **(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)** هود/٩٠

رابعا : لا يزيل التحليل النفسي ما في قلب المريض من خوف من محاسبة الله تعالى له ، فلا يمنحه الطمأنينة والارتياح .. أما الاستغفار لله تعالى فهو يزيل كل قلق وخوف من محاسبة الله له .. ذلك لأن الخالق سبحانه وعد المستغفر له ، بالصفح والمغفرة والرحمة .. ونجد ما يشير الى ذلك في قوله تعالى :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) النساء/١١٠

وفي قوله تعالى : **(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم)** الانعام/ ٥٤

خامسا : ليس في وسع أي طبيب أن يعد مريضا وعدا قاطعا بالشفاء . فعلاج الطبيب محاولة تنجح او لا تنجح .. أما نتيجة الاستغفار لله تعالى فهي نتيجة حتمية .. فيها العفو والمغفرة والصفح من الله تعالى للانسان .. مهما أسرف في الخطأ .. ومهما أوغل في طلب المعصية .. اذا كف عن الخطأ وأقلع عن المعصية .

ونقرأ قولا كريما يطمئن النفس البشرية ويريحها في قوله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣ ، وفي قوله تعالى : **(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم)** المائدة/ ٣٩

واذا كان التحليل النفسي وسيلة من وسائل العلاج .. فأن الاستغفار لله .. وكلماته تعالى هي الشفاء وفيها الشفاء للنفس البشرية من الامها وامراضها .. يقول الله تعالى :

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) الاسراء/٨٢

سادسا : ان التحليل النفسي قد يساعد المريض في أن يكف الضمير عن محاسبة النفس عما حدث في الماضي .. أما الاستغفار لله تعالى فهو أعم وأشمل فائدة وشفاء .. فهو يشفيه مما حدث منه في الماضي ، ويأخذ بيده في شدته في الحاضر ، ويرشده الى طريق العلاج في المستقبل ، فهو يطمئنه ويريح قلبه في عطف وحنان كما في قوله تعالى :

(وتوكل على الله) النساء/٨١ يمنح الطمأنينة للنفس ، وقوله تعالى : **(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)** التوبة /٥١ يزيل من النفس التوجس والقلق والخوف ، وقوله تعالى : **(واصبر وما صبرك الا بالله)** النحل/١٢٧ يمنح الانسان مزيدا من القوة ، ويعطيه قسطا أوفر من التحمل والصمود في مواجهة الشدائد ، وقوله تعالى :

(وما تشاءون الا أن يشاء الله) الانسان/ ٣٠ ، يريح النفس تماماً لأنه يزيل عنها الأعباء التي تنوء بحملها .

سابعا : المريض بمرض نفسي يشعر بالوحدة .. فهو محتاج للطبيب في كل وقت ، ولكن الطبيب ليس معه دائما .. أما من يتجه لله تعالى بالاستغفار فالقرآن الكريم يعلمه أن الله معه في كل وقت .. وفي كل مكان .. لا يتركه لحظة .. ولا ينصرف عنه مطلقا .. كما في قوله تعالى :

(ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) المجادلة/٧ ، واذا تفكرنا في هذه الآية نجد أنها بدأت بتقرير علم الله الشامل لكل ما في السماوات والارض .. ثم جاءت بعد ذلك بتقرير وجوده تعالى مع كل مخلوق .. فتشعر المخلوق الضعيف بأن الخالق تبارك وتعالى لا تشغله أمور ملكوته عن النظر اليه دائما .. والقرب منه ابدا .. وذلك يجلب للانسان شعور الأنس والطمأنينة والسعادة والارتياح . ونقرأ قولا كريما مريحا للنفس البشرية وشافيا لالامها ومتاعبها وأمراضها في قوله تعالى :

(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة/١٨٦

ونلاحظ ان الله تعالى لم يقل « اذا سألك المؤمنون عني » .. وإنما أضفى – جل وعلا – على المستغفرين كرامة وعزة ومقاما كريما باضافة اسمهم اليه تعالى فقال : **(واذا سألك عبادي)** فأضاف اليهم شرف عبوديتهم لله .. وما اعظمه من شرف .. كذلك لم تقل الاية « واذا سألك عبادي فاني سأسمع دعاءهم وسأجيبه » ولكن الله تعالى – وهو الكريم الجواد البر الرحيم – عجل باجابة الدعوة بمجرد طلبها فقال تعالى : **(واذا سألك عبادي عني فأني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)** .

ثامنا : المريض قد يثق بالطبيب .. ولكنها لن تكون ثقة مطلقة .. ذلك لأن الطبيب انسان يخطيء ويصيب .. أما المستغفر لله ، فلا تملؤه الثقة المطلقة بالله تعالى فحسب .. ولكنه اليقين والايمان الكاملان .. وشتان بين ثقة مهزوزة بانسان .. وايمان ويقين بالله تبارك وتعالى علوا كبيرا .. والاستغفار طريق الايمان بالله تعالى .. والايمان يمنح الانسان فوائد لا تحصى وقد تواترت الايات الكريمة التى تدعو الى الاستغفار لله تعالى والايمان به لأن للايمان الأثر العظيم في علاج الام النفس البشرية وأمراضها . فالايمان بالله تعالى يحرر الانسان من تصوراته الدنيوية فيزول ما في قلبه من قلق . والايمان يجعل الانسان يحس بأن له عند خالقه مكانة وكرامة ، وقوله تعالى **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)**

المنافقون/٨ تشعر الانسان بالعزة والكرامة والطمأنينة .. وتملأ نفسه – اذا أخطأت – بالأمل العريض في صفح الله وغفرانه اذا قرأ قوله تعالى : **(الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)** الفرقان/ ٧٠

وجاء العصر الحديث يحمل لنا الدليل على خطأ نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي . فأساس نظرية فرويد أن سبب المرض النفسي هو كبت رغبات الغرائز الحسية بشكل لا شعوري اذا كان الدين لا يقرها أو كان المجتمع لا يرضى عنها ، ولكنها تحاول الظهور الى الوعي بين الحين والحين فيكبتها مرة أخرى .. وبين محاولات الكبت والظهور ينشأ الصراع النفسي .. وتحدث بسببه الامراض النفسية .. ولكننا نرى اليوم الدليل على خطأ تلك النظرية في المجتمعات الغربية كما في الدول الاسكندنافية واوروبا الغربية وغيرها .

فالمجتمعات هناك لا ترفض تلبية أي رغبة لغرائز الانسان ولا يعترض العرف هناك على ذلك .. اذن فليس هناك كبت لرغبات الغرائز الحسية .. فلو كانت نظرية فرويد صحيحة لا نعدمت الامراض النفسية في تلك المجتمعات .. ولكن العكس هو ما حدث تماما فان عدد حالات الأمراض النفسية في تلك المجتمعات في ازدياد مستمر والاقدام على الانتحار في أعلى معدل له .

هذا فضلا عن ان أصحاب مدرسة العلاج بالتحليل النفسي لم يستطيعوا تفسير نجاح علاج الاكتئاب النفسي بالعقاقير الطبية وبالصدمات الكهربائية بدون مزاولة التحليل النفسي على الاطلاق .

من هنا نفهم ان نظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي لامراض النفس نظرية خاطئة واساسها خاطيء .. وان الفكر الالحادي الذي بنيت عليه كان خاطئا ايضا .. وأنه من الاجدى للانسان الا يعتمد على نظريات تتأرجح بين الصواب حينا والخطأ احيانا .. بل يتجه رأسا الى الحق واليقين .. الى الشفاء الاكيد .. وهو الاتجاه الى الله تعالى والاستغفار له .

والقرآن الكريم هو شفاء لما يعتري النفس البشرية من الام واضطراب وأمراض .. والخالق تعالى ادرى بمن خلق وكل صانع أعلم بما يصون صناعته .

واذا كنا نرى صانع السيارة يرسل معها كتابا يبين فيه طرق اصلاحها وصيانتها يدرسه الناس ويسيرون على هداه في اصلاح وصيانة سياراتهم .. والأمر نفسه بالنسبة لكل آلة وكل جهاز .

وخالق الانسان وصانعه .. ارسل له كتابا .. هو القرآن .. بين فيه للانسان طرق اصلاحه وصيانته .. وطرق الهدى وسبل الشفاء ، كما في قوله تعالى **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)** الاسراء/ ٨٢ .

بين الآباء والأبناء في القرآن الكريم

للاستاذ / محفوظ امين غريب

العلاقة بين الاباء والابناء قضية اجتماعية شغلت رواد الاصلاح بل شغلت الناس جميعهم ، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والفكرية ، في كل زمان ومكان ، ولسوف تظل شاغلهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد شهد عصرنا الحديث ـ عصر التقدم العلمي الهائل والمذاهب الفكرية والاجتماعية المتضاربة ـ جدالا واسعا حول هذه القضية ،

وتبلور الجدال في تساؤل تضاربت أيضا حوله الاجابات : هل يظل الآباء ـ كما كان شأنهم قديما ـ في أبراج عالية ويظل الأبناء حول هذه

الأبراج خاشعين يفعلون ما يؤمرون أو على الآباء أن ينزلوا من عليائهم إلى الأبناء عاملـين بنظريـات التربيـة الحديثة التي تعلي من شأن الحرية الشخصية وتكاد تلغي الحدود بين الآباء والأبناء ؟

على أن القرآن الكريـم حسـم القضيـة ؛ إذ عرضهـا بأبعادهـا المختلفة ، وأعطى لكل مقام فيهـا مقالا سديدا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبذلك لم يبخس الآباء أو الأبناء حق كل على الآخر ، وحدد بجلاء الأسس السليمة التي تحكم العلاقة بين الآباء والأبناء ، بحيث لا يتعدى كل حدود الله تعالى في ممارسة هذه العلاقة .

هذا هو لقمان الحكيم يضرب لكل أب المثل الأعلى في الأبوة المدركة بعمق حق الابن على أبيه ؛ فلقد قام بواجبه نحو ابنه خير قيام حين وعظه ، فزوده بما يحييه حياة طيبة ويجعله من حزب الله . وكان أول ما زوده به العقيدة الصحيحة الخالصـة من الشرك ، فالشرك ظلم عظيم ؛ لأن فيه تسوية الخالق المنعم على خلقه بمن لا يخلق ولا نعمة له أصلا ، ويحث لقمان ابنه على مراقبة الله في أقواله وأعمالـه صغيرها قبل كبيرها ، لأن كل امرىء بما كسب رهين . وينادي لقمان ابنه بعطف آمرا إياه بتأديـة الصـلاة باخلاص ليصل نفسه بخالقه ، وأن يسلك طريق التطبيق العملي للايمان فيأمر بالمعروف وينهى عن المنـكر ويصبر على ما يصيبه في سبيل الله ؛ لأن ذلك مما أوجبه الله ، ويرشد لقمان ابنه إلى مجموعة من الفضائـل ، تجلب له حب الله وعباد الله من تواضع للناس ، واعتدال في مشيته ، وخفض لصوته ؛ لأن الله لا يحب المتكبرين المختالين الفخورين بأنفسهـم ولأن أنكر الأصوات صوت الحمير العالي ، قال تعالى : **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) لقمان / ١٣ . (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتـكن في صخـرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمـير) لقمان / ١٦ ـ ١٩ .**

هكذا قام الاب الحكيم لقمـان بواجبه نحو ابنه في عطف عليه وتقدير لذاتيته ، فهذا النداء « يا بني » الذي يفيض استعطافا يتكرر وصولا الى قلب الابن واحتراما لآدميته دون قهر أو إكراه ، وما التحليل والتعليـل اللذان يتجليان في الآيات إلا وسيلة إفهام واقناع ، ليفهم الابن ويقتنع ، ثم يختار برأيه المستقل المسترشـد بتوجيه هذا الاب الحكيم الحاني .

وإذا كان لقمان الحكيم قد ضرب مثلا اعلى في الأبوة ، فان إسماعيل عليه السلام قد ضرب مثلا أعلى في البنوة ، ويؤيد ذلك قصة رائعة في

القرآن الكريم .
لقد كان اسماعيل ابنا صالحا برا بأبيه ابراهيم عليه السلام ، وقد بلغ في بره بأبيه أن استسلم له ليذبحه تحقيقا لرؤية رآها الأب في منامه ، وقد باركت السماء هذا التجاوب الأمثل بين الابن وأبيه ، فكافأتهما بكبش عظيم يذبح بدل الابن وبالتالي ارتاح قلب الاب بنجاة ابنه بعد ذلك الاختبار البين . وكذلك يجزي الله الآباء والأبناء المحسنين أمثال ابراهيم واسماعيل عليهما السلام :
(رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم) الصافات / ١٠٠ ـ ١٠٧ .

ويكفي اسماعيل فخرا وشرفا أن كان الساعد الأيمن لأبيه في بناء البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وقد سجل القرآن الكريم لاسماعيل أنه شارك أباه البناء والأذكار التي كان يتجه بها إلى ربه أثناء البناء :
(واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة / ١٢٧ ـ ١٢٩ .

هكذا كان إسماعيل خيرا وبركة لأبيه ، فكان مجيئه الى الدنيا ـ كما قرر القرآن تحقيقا لدعاء أبيه : **(رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم)** .

على أن بر الأبناء بآبائهم لا يعني أن يكون الابناء إمعات خلف آبائهم يسيرون على دربهم ، ولو ذهبوا بهم الى الجحيم . هذا ما يقرره القرآن الكريم في قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه « آزر » .

لقد أثبت ابراهيم أنه ابن راشد حين رفض أن يسير أصما أبكما اعمى وراء أبيه وقومه في العكوف على عبادة الاصنام ، ولم يقتنع عقله بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين ، وأعلن لهم أنهم وآباءهم في ضلال مبين ، فبهتوا من جرأته ولم يصدقوا آذانهم حين قرعها بعنف حكم ابراهيم بضلالهم وضلال آبائهم ، فقالوا له : أأنت جاد في حكمك وما جئتنا به ؟ فرد عليهم في قوة : بل ربكم رب السماوات والارض الذي خلقهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ، ولم يكتف ابراهيم بذلك بل صارحهم مقسما بالله ، انه سيكيد أصنامهم بعد أن يذهبوا إلى عيدهم . وقد بر بقسمه فدخل الى هيكلهم فحطم آلهتهم إلا أكبرها حجما ، لعلهم

يرجعون إليه بالسؤال عمن فعل ذلك . وروع أبو ابراهيم وقومه وتساءلوا عمن فعل ذلك ؟ ثم عرفوا أن الفاعل ابراهيم ، فأجمعوا رأيهم على عقوبته بمرأى من الناس . وفي ذلك الموقف الرهيب صمد الابن الراشد ابراهيم ، وجادل أباه وقومه بمنطق مبين ، وعزم لا يلين ، رغم أنه يرى بعينيه نارا مستعرة قد أعدوها لتحريقه فيها . قالوا له : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال ساخرا : لا ، بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، وأثر فيهم جوابه الحكيم فراجعوا عقولهم ، وقال بعضهم لبعض : إنكم أنتم الظالمون . ولكنهم عادوا فانقلبوا الى المجادلة بالباطل عنادا وتكبرا على الحق الذي أظهره لهم ابراهيم فقالوا له : لقد علمت أن هذه الأصنام لا تنطق ، فقال منكرا عليهم عبادتهم الباطلة : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ولا انفسهم ينصرون ؟ أف لكم وأف لما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ ولكن عناد القوم هوى بهم الى وحل الكفر فقالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم ناصريها حقا . وأوقدوا نارا عظيمة وألقوه فيها ، فنادى رب العالمين أن كوني بردا وسلاما على ابراهيم ، فنجا الابن الراشد ابراهيم من كيدهم ، وأما الاب الضال وقومه فقد كانوا هم الأخسرين : (**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى انفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين**) الأنبياء / ٥١ ـ ٧٠ .

هكذا يقرر القرآن الكريم في قصة ابراهيم وأبيه استقلال شخصية الابن ما دام تفكيره راجحا . ولقد بلغ ابراهيم في ذلك الاستقلال أن تبرأ من ابيه وعدل عن استغفاره له حين تبين له انه عدو الحق : (**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن**

موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) . التوبة / ١١٤ .

وليس معنى عطف الآباء على أبنائهم أن يتقبل الآباء الأبناء على علاتهم ، فيغضون الطرف عن نقائصهم ، ويلتمسون تبريرا لزلاتهم باسم الأبوة الحانية على فلذة كبدها . هذا ما يقرره القرآن الكريم في قصة نوح عليه السلام مع ابنه .

لقد أرسل الله تعالى نوحا إلى قومه ، فحاول أشراف القوم إبطال نبوته بكل ما أوتوا ، وانحاز ابن نوح الى حزب الكافرين . وأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومه الا القليل ، وأن عليه أن يصنع سفينة تحت رعايته سبحانه ، ولا يشفع في الذين ظلموا من الكافرين فانه محكوم عليهم بالغرق . ولما جاء الطوفان بأمر الله قال نوح للذين آمنوا : اركبوا السفينة باسم الله مجريها ومرساها ، فركبوا فيها ، فأخذت تجري بهم في أمواج كالجبال . ونادى نوح ابنه وكان معتزلا إياه في ناحية ، وقال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، فقال : يا أبت سآوي الى جبل يحميني من طغيان الماء ، فقال له ابوه : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان الابن من الهالكين غرقا . ولقد تبرأ نوح من ابنه لما تبين له أنه عدو الحق واستغفر الله أن توجه إليه تعالى كي ينجي ابنه من الغرق : **(وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)** . هود / ٤١ ــ ٤٧ .

وهكذا حسم القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا قضية العلاقة بين الآباء والابناء ، فكفل لكل حقه ، وحدد واجبه ، وألزم الجميع ــ في ممارسة هذه العلاقة ــ بالتعاون على البر والتقوى ، ونبذ الاثم والعدوان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبذلك تسعد الأسرة ويكون الآباء والأبناء لبنات طيبات في صرح خير أمة أخرجت للناس : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** . آل عمران / ١١٠ .

علوم الزراعة والنبات في القرآن الكريم

للاستاذ / عبد الرزاق نوفل

لقد شرف الاسلام الزراعة تشريفا لم ينله غيرها من عمل اذ اسندها الى الله سبحانه وتعالى في نص قرآن ربنا العظيم : **(أفرأيتم ما تحرثــون . أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون)** ٦٣ و ٦٤/الواقعة .

وفي كل الآيات التي اوردت الزرع والانبات تقرر ان الله جل شأنه هو الذي يزرعها وينبتها في مثل النص الكريم : **(أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون)** ٢٧ / السجدة وانه الذي انشأ الشجر الذي نستمد منه النار بما فيها من ضوء وحرارة وذلك في النص الشريف : **(افرأيتم النار التــي تورون . أأنتــم انشأتــم شجرتها ام نحن المنشئون)** ٧١ و ٧٢ / الواقعة .

والزراعة هي اول مهنة قام بها الانسان اينما كان .. سواء اكان وهو في الجنة ام بعد ان هبط منها الى الأرض وعاش فيها وعليها .. فآدم اول البشر منذ ان خلق في الجنــة واحس بوجوده ، واستمع الى امر الله جل شأنه له بان يأكل هو وحواء من كل ما فيها من ثمر ونبات عدا شجرة واحدة وذلك بالأمر الكريم :
(وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ٣٥/ البقرة .

ولذلك فقد باشر مع زوجته نوعا من انواع الزراعة ، هي جمع الثمــار وحصاد الزروع وكذلك الأمر بعد ان

نزلا من الجنة الى الارض ، فقد قاما بالزراعة بكل انواعها ومختلف عملياتها .

وعلماء الطبيعة في ابحاثهم مع علماء الحياه يقررون ان الحياة النباتية اسبق على كافة اصناف الحياة الاخرى من حيوانية او بشرية ، فالانسان لكي يعيش لا بد له ان يتغذى وعلى عناصر تناسب عناصر جسمه . ولذلك اعتمد ويعتمد على النبات والحيوان . فلا بد ان النبات والحيوان قد توافرت اصنافهما للانسان منذ احتاج الى تغذية والحيوان لكي يعيش ويحيا لا بد ان يتغذى .. اما على حيوان اصغر او على نبات .. ولذلك لا بد ان الحيوانات الكبيرة قد وجدت اخرى صغيرة ونباتا .. ولأن الحيوانات الصغيرة قد عاشت وتكاثرت فلا بد انها وجدت النبات الذي اكلته . والنبات انما يكون غذاؤه بنفسه دون حاجة الى كائن اخر . وهكذا قرر علم الحياة ، ان النبات سبق الحيوان ـ وانهما سبقا الانسان .. وهذه ان كانت حقيقة علمية وبديهية عقلية .. فانها آية قرآنية قد سبقت العلم بما اوردته اذ تقول الآيات الشريفة : **(والأرض بعد ذلك دحاها . اخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها)** ٣٠ ـ ٣٢ النازعات ، اي ان الارض بعد ان اخذت شكلها الكروي نتيجة دورانها وهي ملتهبة . اخرج الله سبحانه وتعالى منها الماء الذي اخرج به المراعي .. التي تعيش عليها الحيوانات وبعد ذلك تفتتت الاحجار ، وانتشرت الجذور . وتراكمت المواد الذائبة فحددت اماكن الجبال وأرسيت .

وقد وجه القرآن الكريم نظر الانسان الى ما في نبات الارض وزرعها من آيات تشير الى بعض قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق والابداع . وتدل على وحدانيته وتعرض صورة لآثار حكمته وعظمته . وذلك في كثير من الآيات الشريفة مثل النص الكريم :

(اولم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم . ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) ٧ و ٨/ الشعراء .

وكذلك فيما يرى الانسان من زروع ونباتات مختلفة تخرجها الأرض من قطع متجاورات متماثلة في تركيبها وتسقى بماء واحد ولكن يخرج منها مختلف الزروع من حبوب وبقول وخضر وفواكه . فهذه آيات على وجود الله ووحدانيته وقدرته .. وكذلك فيما يختلف من الأرض الواحد في جودة انتاجها .. فانتاج جزء من الارض افضل من جزء .. رغم ان الارض واحدة والماء واحد والحب واحد .. وهذه ايضا آيات على حكمة الله وبالغ علمه وفي ذلك يقول القرآن الكريم : **(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)** الرعد/ ٤ ولقد اورد القرآن الكريم اصول علم الفلاحة قبل ان

يصل اليها علمنا المعاصر وذلك في نص الآية الكريمة : **(ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)** ٢٦٥/ البقرة اذ تقرر الآية بصراحة ووضوح حقيقة علمية ، وصل اليها العلم الحديث ووصفها كأصل اول لعلم الفلاحة ، ألا وهي جودة الارض الحالية .. وقد اتضح اخيرا اهمية انخفاض مستوى الماء الارضي الذي يؤثر تأثيرا مباشرا على قدرة الأرض في الانتاج وعلى سلامة هذا الانتاج وكميته . فكلما كانت الارض مرتفعة ـ اي منخفضة مستوى الماء الأرضي كلما كانت افضل في الزراعة . وهذه الارض المرتفعة لو رويت ريا غزيرا فانها تأخذ منه كفايتها ثم ينصرف عنها الباقي بارتفاعها .. وان لم يصبها الماء الغزير واصابها الماء الخفيف المناسب فانها تنال حاجتها منه دون حاجة الى صرف الزائد . وعدم وجود الماء الزائد في حالة الري الخفيف . وتخلص الأرض من باقي الماء في حالة الري الغزير انما يؤدي الى زيادة الانتاج الى ضعف او ضعفين وهذا ما تقرره الآية الشريفة ووصل العلم اليه بعد اربعة عشر قرنا من الزمان من قولها بعد التجارب والدراسات ولذلك تهتم الدول الزراعية بالمصارف قدر اهتمامها بقنوات الري لتحقيق خفض مستوى الماء .. وبالتالي ارتفاع سطح التربة التي تزرع عن هذا الماء الأرضي .

وفي علوم التربة اورد القرآن الكريم كذلك حقائق علمية سبق بها العلم بعشرات المئات من السنين وذلك بمثل الآية الكريمة : **(وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج)** الحج/ ٥ .

ولا يتصور الانسان اطلاقا ان الارض تهتز اذا نزل عليها الماء . ولا انها تزداد في الحجم ، فان اية ملاحظة مهما كانت دقيقة ، لا يمكن ان تصل الى ما تقول به الآية الشريفة بنصها الواضح ، الا ان العلم وصل عن طريق التجارب العملية الى ان التربة الزراعية ايا كان نوعها ، لا بد ان تحتوي على نسبة من المسام تختلف في عددها وسعتها من ارض الى اخرى . وان هذه المسام بها هواء . فاذا نزل الماء على التربة تغلغل في هذه المسام ودفع امامه الهواء ، وتتحرك بذلك ذرات التربة في اهتزاز امكن حسابه معمليا ، ويزداد بذلك حجمها لدرجة امكن قياسها ، وفي كل معامل المعاهد والكليات بل والمدارس الثانوية تجرى مثل هذه التجارب بوضع قطعة من التربة الزراعية في مخبار مدرج وبعد قياس حجم التربة ، يضاف الماء الى التربة فيرتفع سطحها في المخبار ويحدد درجة زيادة حجم التربة بالماء .. اي ان الأرض بنزول الماء تهتز وتربو ، كما اثبت العلم انه بعد نزول الماء على الارض تخرج الشعيرات الجذرية للنبات وتتشعب تحت الارض لتبحث عن

الغذاء . واثناء تغلغلها تهتز ذرات التربة بتأثير هذه الحركة كما تزداد حجما بهذا التفكك ، وقد يعتقد البعض ان هذه الحركة بسيطة وان هذا التفكك ضئيل الشأن . ولكن الحقيقة ان البحث العلمي قد اثبت ان الشعيرات الجذرية كثيرة وطويلة ومتفرعة ، بحيث انه في الارض الزراعية قل ان نجد اية مساحة بأي قدر خالية من الشعيرات الجذرية للنبات .

وقد وضع القرآن الكريم اصول دراسة علم النبات ، كما وصلت اليها الابحاث العلمية اخيرا ، فدراسة النبات حاليا وفي كل جامعات العالم ، تعتمد على اساليب موحدة علمية وصلت اليها بعد ابحاث طويلة ومقارنات عديدة لوسائل دراسات مختلفة ، فأول ما يعتمد عليه علم النبات المعاصر في دراسته ، هو الشكل الظاهري للنبات اذ عن طريق هذا الشكل يمكن وصف النبات وصفا علميا ، ولا بد ان يكون النبات قد اكتمل نموه ، حيث يمكن وصف الجذر والساق والأوراق والزهرة والثمرة ، وبعد ذلك وعليه يمكن وضع النبات في مكانه تماما من المملكة النباتية ، وعن طريق وصف الزهرة يوضع ما يسمى بالقانون الزهري ، وعن طريق وصف الثمرة توضع الثمرة في مكانها من انتقسيم النباتي الثمري . اذ يختلف النبات بالنسبة للثمرة اختلافا كبيرا لتعدد اشكال الثمرة من ناحية طبيعة الغلاف ، اذ قد تكون الثمرة غضة او جافة . والغضة تنقسم الى اقسام اخرى .

وهكذا قرر علم النبات ان الدراسة الظاهرية للنبات ، هي اهم وسائل دراسة النبات والأساس لها ، ولا بد ان تتم الدراسة عندما يكتمل نمو النبات وتنعقد ثماره . وقد اورد القرآن الكريم كل هذه الحقائق العلمية ، وهذه الاصول الدراسية في نص كريم من الآية الشريفة :

(انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الانعام/٩٩ .

وقرر القرآن الكريم حقيقة علمية في علوم التغذية والزراعة في النص الكريم :

(واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) البقرة/ ٦١

إذ تقرر الآية الشريفة ان البقول العدس والبصل ادنى وأقل خيرا مما كان يأكله قوم موسى ، وهو المن والسلوى وهما نوعان من الحلوى عسلية وطير يرجح ان يكون هو المعروف حاليا بالسمان ، ولم يصل العلم – الا اخيرا – الى ان افضلية الغذاء ليست في مقدار ما تحويه المادة الغذائية من عناصر بل في نوع ما يحتويه من مكونات التغذية . وقد وصلت لجان الابحاث العلمية الى ان قيمة المواد الزلالية ، تختلف في نوعها وفي المقدار الذي يمنع المواد الزلالية المكونة للانسجة من ان تحترق ، وان

البقول يضر الاكثار منها حتى ان التقارير العلمية ، تنصح بعدم اعطائها للاطفال ، وبالتقليل منها للكبار ، وعرف اخيرا ان المواد البروتينية او الزلالية ، والتي تعتبر اهم مكونات البقول ولو انها مصدر طاقة لتوليد الحرارة والنشاط ، الا انها مرهقة لاجهزة الجسم في تحويلها الى هذه الطاقة ، ولهذا ينصح الطب الحديث بالاعتماد على النشويات كمصدر للطاقة ، وان البروتينات او المواد الزلالية الموجودة في الحيوان ، تفضل تلك الموجودة في البقول تفضيلا كبيرا ، وتعتبر الانواع التي ذكرها القرآن الكريم من البقول اكثرها احتواء على المواد البروتينية والزلالية ، بل ان الطير الذي كان يأكله قوم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، يحتوي نفس النسبة تماما من المواد الزلالية الموجودة في اصناف البقول التي اوردها القرآن الكريم ، اي ان الآية الشريفة قد قارنت بين الطير والبقول وهما متساويان تماما في نسبة المواد الزلالية ، الا ان الآية الكريمة قدرت ان البروتين الحيواني افضل من البروتين النباتي ، وهذا ما وصل اليه العلم الحديث في اخر ابحاثه العلمية عن الصحة الغذائية .

وأورد القرآن الكريم اصول التخطيط الغذائي السليم ، وأسس التخزين العلمي الحديث في النص الكريم : **(يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)** ٤٦ ـ ٤٩/ يوسف

كما اورد حقيقة تكوين الفحم من النباتات التي تدفن في باطن الأرض لأجيال من السنين وذلك بالنص الشريف :

(والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى) ٤ و ٥/ الأعلى

كما اورد القرآن الكريم كافة اصناف وأنواع النباتات والزروع ـ من المراعي حتى الأشجار والنخيل ، وان المتدبر لآيات القرآن الكريم ، ليجد انه وقد اورد كل اصول وحقائق علوم النبات والزراعة ، وشرف الزراعة تشريفا لم يشرفه لغيرها . بل انه ليقرر بان الشجر جميعه بانواعه واصنافه وفي كافة مراحله انما يسجد لله سجود الطاعة والولاء شأنه في ذلك شأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب كلها بأصنافها . اذ تطيع الله طاعة تامة . اما الجنس البشري فبعضه ليس على هذه الطاعة اذ تقول الآيات الكريمة : **(ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)** ١٨/ الحج .

الغفلة

للاستاذ : علي حسن الشكرجي



أقيم حفل ليلة زفاف ، في مدينة من مدن دولة عربية ، التي أجلي عنها الاجنبي المحتل حديثا ، بعد أن مكث فيها أكثر من نصف قرن ، يشيع فيها عاداته وقوانينه ويسوغ النفوس لها بدهاء شديد ، حتى أنها مكثت بعده ، ولم يفكر المواطنون أن يجلوها معه .

جلبت الخمرة ورقصت الغجريات ، وتعالت أصوات الغناء الغرامي الفاضح مصحوبا بموسيقى غربية صاخبة .

رأى الفتى « حمزة » بعض الرجال ، يدخلون مكانا منزويا ، لا يلبثون أن يخرجوا منه ، وهم يمضغون شيئا في افواههم .

« ماذا هناك ؟! لا بد أنه شيء خاص ثمين ، لا يقدم إلا للمقربين !! »

اغتنم فرصة اختلاء المكان ، فتسلل إليه ، فوجد « قناني » فيها سائل رائق صاف ، « ما اجمل هذه القناني ، ما أشهى ما فيها !! »

ويقرأ : « ويسكي ... »

وفجأة يسمع وقع أقدام تقترب ، وبدون تفكير وتردد ، حمل قنينة ، ودلف خارج المكان ، وقد اخفاها تحت سترته الفضفاضة ، ويرجع الى صديقه « ممدوح » ويهمس في أذنه ، « اني قد حصلت على شيء ، لم يحصل عليه أحد من أمثالنا ، هيا نخرج إلى النهر لنشرب ويسكي .. ها ها . » .

يخرجان وينطلقان إلى النهر ، ويجلسان على ضفته ، كان ماء النهر الجاري يعكس البدر ، وبدا لهم وكأنه يرقص للعرس أيضا .

يفتح حمزة القنينة بشهية ، ويعب منها جرعات سريعة ، فأحس أن جوفه وحلقه يحترقان ، وغاشت نفسه ، وكاد يرمي على الارض الجرعة الاخيرة ، إلا أنه أراد ان يورط صديقه فيما تورط فيه ، فيصيح « الله !! ما أطيبه لهذا السبب كانوا يخفونه إلا عن بعض !! قاتلهم الله !! »

يخطفها ممدوح منه ، ويفرغ منها جرعات في جوفه ما لبث ان بصق شيئا منها على الأرض ، وهو يقول « خدعتني يا حمزة !! »

ويضربه ، إنهما اعتادا أن يمزحا باللكمات والركلات ، والصراع والمطاردة ، وكان المزاح ينتهي بسلام ، إلا أن هذه المرة اختلفت ، فقد لعبت بهما الخمرة ، نهض حمزة ليرد الضربة بأخرى أقوى منها .

يهرب ممدوح ، ويطارده حمزة ، الذي اخذ يشعر بالتراخي والفتور ، إنه لا يستطيع اللحاق به ، فيستشيط غضبا ، ماذا يفعل ؟

التقط حصاة كبيرة ورماها عليه فتقرع منه رأسه « اخ !!» صاح ممدوح ، وقد كاد يفقد وعيه من شدة

الألم ، فقد احس ان روحه تنتزع من أنفه ، كما تنتزع شعرات غليظة من جلد بشري رقيق ، يفقد صوابه ، ويفلت منه زمام نفسه ، ويرجع إلى حمزة ، ويرفع القنينة التي كانت مرمية على الأرض ويهوي بها على رأسه بقوة كافية لتسكين ألمه ، لكن سرعان ما عاد إليه ألم أقسى منه ، إنه رأى الدم يتدفق من رأس صديقه غزيرا ، وقد سقط على الأرض لا حراك فيه .

يصيبه الهلع ، ويبتعد متراجعا ، وينطلق إلى بيته ، ويأوى إلى فراشه دون ان يكلم احدا .

لم يغمض له جفن ، ما أطولها من ليلة !! لعل ما حدث حلم يزول تأثيره وآثاره عند الاستيقاظ !! لا انه حقيقة ، إن على كمه دما !!

ويمزق نفسه شعوران : شعور حزن على فقد صديقه العزيز إلى الأبد ، وشعور خوف من السجن او الاعدام .

تحبس أنفاس ممدوح طرقات على باب الدار قبل شروق الشمس ، على غير المعتاد ، فاذا بأبي حمزة يسأل عن ابنه ، إنه لم يرجع البارحة اليهم .

إن الجميع يعرفون أن « ممدوح » و« حمزة » صديقان لا يفترقان ، ويعرف كل منهما اين يذهب الآخر .

وحينما سأله الاب : اين كانا ؟ ومتى افترقا ؟ أجابه أنهما كانا في حفل الزفاف ، وتركاه حوالي الساعة العاشرة ، وذهب كل منهما الى بيته ، وأيده على ذلك اهله ، بشهادتهم أنه أتى الى البيت مبكرا ، ولم يسهر في الحفل .

لم يمض وقت طويل من الصباح ، حتى شاع في المدينة كلها خبر مقتل حمزة ، ويساق « ممدوح » الى التحقيق . إنه الآن امام موظفين مأمورين غرباء عنه وعن حمزة ، لا ينفعلون بوقوع جريمة ، لأنهم ألفوها ، فلا يتوقع منهم أن يغتاظوا منه ، او يلوموه ، حزنا على مقتل حمزة صديقه العزيز ، فيخبرهم بكل ما حصل بيسر وهدوء ، إلا إنه ما يلبث أن ينفعل ويصيح : « اني لا يهمني بعد السجن ولا الاعدام ، إن الذي يقتلني ويعذبني الآن ، هو فقد صديقي الوفي « حمزة » افعلوا بي ما شئتم ، اعدموني . فاني استحق الاعدام !! » .

ثم يهدأ ويقول بصوت خفيض : « كان عليكم أن تمنعوا أسباب الجريمة ، لا أن تنتظروا حتى يقع احد فيها ، فتطاردونه ، وكأن الأمر لعب اطفال ، ما زالت في المدينة عادات عشائرية ، وحينما تعلم عشيرة حمزة ان « ممدوح » لن تعدمه السلطة ، لأنه لم يكن متعمدا القتل ، استعدت لتثأر لنفسها . أرسلت إنذارا إلى احمد أخي ممدوح الكبير ، ورب العائلة ، إما أن يدفع الدية أو يقتل .

تظلم في عينيه الدنيا ، دنيا بلاد الشمس ، وتضيق عليه أرضها الواسعة ماذا يفعل ؟! انه لا يستطيع أن يطلب من عشيرته أن يساهموا في دفع الدية ، لأنه لم يساهم قط في دفع دية أحد ، ويستحيل عليه ان يدفعها

وحده .
إنه لا يقر العادات العشائرية هذه ، وكان يشعر أن مجتمعه قد نسي دينه وتعاليمه ، وقد استبدلها بتقاليد غريبة ، وتعاليم أجنبية ، فلم يخض مع الخائضين فوجد بمرور الزمن أنه معزول عنهم ، وأحس أنه غريب بينهم ، وكان يعينه على تحمل هذه الغربة والعزلة ، إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا وان طوبى للغرباء فالرسول بشره قبل اربعة عشر قرنا فطوبى له طوبى لأحمد الغريب .
وبعد ليل قضاه ساهرا مفكرا ، قرر ان يغادر المدينة إلى العاصمة حيث لا عادات عشائرية ، وحيث يصعب على أفراد عشيرة حمزة أن يجدوه ، لسعة مساحتها ، وضخامة عدد سكانها .
ويرحل احمد صباح اليوم التالي إلى العاصمة لاجئا إليها ، هاربا من القتل ظلما ، على يد إخوانه بني قومه ووطنه .
ويضاف إلى غربته غربة أخرى ، غربة الديار والوجوه ، ما أثقل ان يضطر الانسان ان يعيش غريبا .
إنه الآن مشرد ، شردته تقاليد ظالمة .
ولم تكد تدخل السيارة العاصمة ، حتى سمع ضجيجها ، ورأى زحامها وينظر من خلال نافذة السيارة إلى شوارعها ، فيرى الناس مزدحمين على دور اللهو الباطل ، وحانات الشراب الحرام ، يدفعون النقود بسخاء بينما رأى الجوامع خالية ، مع أن دخولها بالمجان ، وبلا تذكرة ، فيذكر المثل الشعبي : « الجنة بالمجان ، وجهنم بفلوس » .
وتثير انتباهه لافتة كتب عليها « معرض فلسطين » احس برغبة جامحة في زيارته ، فنزل وأسرع إليه .
ويدخل المعرض ، ويرى صورا ورسوما لمآسي فلسطين ، لمشرديها وأيتامها وثكالاها .
خرج تلك الساعة بروحه عن دنياه ، وعاش فيها مع مظلومي فلسطين ، وشهدائها ، ومشرديها ، ولاجئيها ، من أطفال وأمهات ، ونساء وشيوخ في أسمال بالية ، وقد بان الوسخ والبؤس عليهم ، وملأ كيانه حزنا بكاء هؤلاء الأطفال وتأوهات وأنين هؤلاء النساء والشيوخ ، إخوانه في الدين والقومية والمصير ، وتلسعه قهقهات الصهاينة ، تتعالى لهروب هؤلاء وتشردهم ، فيمتلىء حقدا وحنقا عليهم .
وترجع إليه روحه بواقعه فيبكي .
« اني والله لاجىء مشرد مظلوم مثلكم » .
وينصرف ذهنه إلى ما يحدث بين العشائر العربية ، بعضهم يثأر من بعض ، ولا يثأرون لهؤلاء المظلومين من عدوهم الأكبر ، الذي لو استطاع لفعل بهم ما فعل باخوانهم الفلسطينيين ، ما أشد غفلتهم عن عدوهم المشترك ، لكن لماذا لم تهزه النكبة من قبل ؟! عجبا !! ما كان أغباه وأقسى قلبه !! إنه سمع كثيرا عن نكبة فلسطين وتشرد اهلها ، واحتلال القدس .
حدثته نفسه أن يركع أمام فلسطيني

في المعرض ، ويطلب منه الصفح ، ويقدم اليه نفسه فداء لفلسطين ، ويقول له : « إننا ظلمناكم كما ظلمكم العدو ، إننا نتخاصم فيما بيننا ونتباعد والعدو ينكل بكم ، ويشردكم ، إننا نحتفل فرحين ، ونرقص ، ونغني ، ونشرب منتشين ، وأنتم تتصدق عليكم الامم الغرباء ، إن هذا ذنب لا يكفر عنه إلا ببذل النفس » .

لم يعد « أحمد » يرى شيئا ، فالدموع حجبت عنه الرؤية ولم يعد يسمع شيئا ، فبكاء المشردين ، وعويلهم وأنينهم ، صم أذنيه ، وكذلك قهقهات الصهاينة .

لم يطق المكوث في المعرض ، أمام تلك الصور والرسوم ، أكثر من ذلك ، فيخرج ويجد مكانا خافت النور خاليا ، فيجلس ويفكر .

أيذهب الى عشيرة حمزة ، ويقول لهم : لماذا يقتل بعضنا بعضا ويشرد أحدنا الآخر والعدو يظلم ويشرد ، ويقتل إخواننا في فلسطين ، ويحتل أراضيهم ، لا إنهم سيطلقون عليه النار حالما يرونه لا بد انهم سمعوا بهروبه منهم ، إنه لم يعد يهاب الموت ، لكنه لا يريد أن يقتله اخوه ، انه يريد أن يقتله صهيوني ، وهو يجاهد لتحرير فلسطين المقدسة ، فلينطلق الى المعرض ، ويطلب من الفلسطينيين العاملين فيه ، ان يقبلوه فدائيا في صفوفهم باسرع وقت ، قبل ان يقتل بعيدا عن فلسطين ، فباب التطوع مفتوح .

يقف بجانب احد العاملين في المعرض ، بدا عليه في نحافته وشحوب لونه ، انه فلسطيني . أراد ان يكلمه ، لكنه لم يستطع ، فقد خنقته العبرة ، ويبتعد عنه ، ويسترجع سيطرته على نفسه ، ويقف بجانبه مرة اخرى ، ويمد يده الى ذراعه ليثير انتباهه ، لكن يده لم تصل اليها ، ويفتح فمه ليكلمه ، إلا أن كلامه لم يخرج من فمه إلا همسا .

« حق له ألا يسمعني بعد كل ما أصابه ، وأصاب وطنه ، وأهله ، واقرباءه وأصدقاءه » .

وينطلق خارج المعرض ويبكي حتى تجف دموعه .

وبعد قليل يرجع إلى الفلسطيني ، ويقف هذه المرة أمامه بحيث نظر إليه الفلسطيني نظرة تساؤل : ماذا يريد ؟

اراد « أحمد » ان يجيب : « إني اخوك يا مظلوم .. إني عشت – والله – الآن نكبتك ، وعرفت مرارتها ، فلم اطق إلا ان اشارككم الجهاد ، ما أعذب ان استشهد في قضيتكم !! إني اريد ان اربط مصيري بمصيركم ، إما أن أقتل ، وإما ان نحرر معا فلسطين ، وأكون فيها مواطنا بينكم ، نبنيها دولة عربية مسلمة ، شامخة ، لتكون رمزا لانتصار الحق على الباطل ، وعبرة للظالمين ، وطريقا للمظلومين »

إلا أنه لم تخرج من فمه الا : « أريد أن أكون فدائيا معكم » وكأنها حين خرجت من فمه ، قد رفعت عن كاهله جبال الهموم ، واثقال الشعور بالذنب .

الإسلام وأثره في رقي الفكر الإنساني

للشيخ/ سليمان احمد التهامي

بني دين الاسلام القويم على دعائم راسخة من الكمال العلمي الذي أطلق العقول المتردية في غياهب الظلمات من قيودها لتنهل من العلوم والمعارف ما هي مستعدة له بمقتضى فطرتها ، لذا حارب الاسلام الجمود المزري بكرامة الانسان ولم يكلف الناس شططا ولم يمتحنهم بألغاز تعلو على العقول بل جاء رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم بشرع أبين محجة ، وأقوى حجة يتمشى مع مقتضيات الفطرة ويعتمد على سلطان العقل كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي » وليس بعد هذا البيان الناصع قول لقائل ولا حجة لمكابر .

فالاسلام تجاوز ما جاءت به الشرائع الحديثة اذ يجعل حرية الفكر واجبا على كل مفكر ولم يجعلها حقا له فحسب ، فقد جعل الفكر والنظر

أساس التدين ونهـى عن التقليـد واتباع الهوى ، وعظم أمر العقل . ولم يكن ليكتفي في تعليـم العلـم بمجموعة من الالفاظ تلقن للنـاس فيتلقونها من غير بحث ولا تفكير ، ويدخرونها في أذهانهم دون جدل أو مناقشة ، وانما اراد من العلم ذلك النوع البرهاني الـذي يرتكـز على الادلة ، ويعتمد على معرفة الاسباب وربطها بمسبباتها ليعرف المتعلم الى أي غاية يقصد وإلى أي نهاية ينتهي ، فكانت سنة القرآن في تعظيم العلم المبنى على البرهان سنة فريـدة لم يسبق اليها وبلغ من تعظيمه لذلك العلم أن قيد به الحكم بمنع الشرك بالله تعالى والنهي عنه وهو اكبـر الكبائر واظهر ضروب الكفر ، ومع ذلك فلم يشأ العليم الخبير أن يترك النهي عن الشرك من غير دليل ولا برهان بل أمر باتباع البرهان فقال جل شأنه : **(قل انما حرم ربـي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغـير الحـق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)** الاعراف/٣٣ . فالله تعـالى يأمـر الناس أن ينظروا في الحجة قبل أن يعتنقوا المبـدأ ، لان المقصود من السلطان في الآية الكريمة على ما يقول المفسرون هو الحجة والبرهان .

وقد أجمع العلماء على أن من قلد في الايمان بالخالق لا يقبل منه ايمانه ، ولا تسلم له عقيدته وأن كل ذلك مردود عليه حتى يذعن ببرهان ، ويعـرف كيف يقيم الحجـة على صحـة ما يعتقده ، عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم .

حتى في الفروع التى لا تتصل بأصل الايمان ، لا يليق بالانسان الا أن يكون مستقل المذهـب حرا في تفكيره ، أما تقبل آراء الناس من غير تنقيح ولا تمحيص فلا ينبغي لمسلم مهما كان حاله ، فانه وان تجرد عن العلم لا يتجرد عن الفطرة ، وكل امرىء بفطرته يستطيع أن يفهـم ويناقش حتى يصل الى ما تستريح له نفسه ، ويطمئن اليه ضميره ، كما يقول ابن عبد البر ، اذ يشرح العلم عند المسلمين فيقول : « حد العلم عند العلماء والمتكلمين هو ما استيقنته وتبينته وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه ، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليدا فانه لم يعلم » .

والفرق بين التقليد والاتباع فرق بين ، لان الاتباع هو أن تتبع القائل وأنت على يقين من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ولا تتبين وجه القول ولا معناه وتأبى قول من سواه ، وان تبين لك خطأ من اتبعته ، فأنت ترى رأيه غير معتد بما خالفه من آراء أظهرت فساد قوله ، وهذا يحرم القول به في دين الله تعالى .

ولعلك تعـرف أن من اصول النصرانية الايمان بغير المعقـول ، فالايمان عندهم منحة لا دخل للعقل فيها ، ومن الدين عندهم ما هو فوق العقل ، بمعنى انه يناقض احكام

العقل ، ومن ذلك فيجب الايمان به .. فكأن الفهم عندهم ليس وسيلة الى العقيدة ، وانما هو نوع من شغل القرائح بما يتسلى به الانسان ويفني فيه وقته بدون طائل .

قارن هذا بما ورد في أصول الاسلام الصحيحة التى جعلت العقول في متسع لا يحده أفق وأباحت للاذهان أن تبحث وتستقصى بلا حرج ولا نكير ، بل جعلت الانسان مكلفا أن يبذل طاقته في الوصول الى الحق ، وليس عليه بعد ذلك من حرج ما دام قد صرف عقله فيما خلق له وهو البحث والتنقيب ، فاذا وصل الى الصواب فبها ، والا فهو من الناجين ، وقرر العلماء في ذلك أن من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد واخطأ فله أجر .

وقد كان اسلوب الكتاب الكريم خير داع الى هذه الحرية ، حرية الفكر والعقل واكبر باحث للعاقل على اتباعها ، حتى ان من يمعن النظر في آيات الله يرى أنه من الاثم أن ينظر الانسان الى الاحياء والاشياء المحيطة به من غير أن يفهم أصلها ومصيرها ومنتهاها ويسائل نفسه كيف خلقت ؟ والى أي غاية تسير والقرآن الكريم ازدرى هذا السلوك الذي يجعل الانسان يفني عمره في غفلة وضلال دون بحث وتمحيص فيما يحيط به ، قال تعالى : **(وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)** يوسف/ ١٠٥ .

وجاء كتاب الله وسنة رسوله الكريم بمباديء تتسع في معناها وتبعد في مرماها ، حتى لا تضيق بحاجة ذرعا . ولا تأبى على الناس اصلاحا أو نفعا ، وذلك المسلك يوحي الى الناس أن يكونوا أحرارا ليفهموا ما يصلحون به وليهتدوا الى ما يبتغون من الحياة النافعة والعيش الهنيء ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم **(كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته)** ص/ ٢٩ . فهداهم بذلك كله الى أنه يجب عليهم أن يفقهوا حكمة ما خوطبوا به ، ووجه كونه مصلحة لهم ، ووسيلة لسعادتهم ، وتركه مدرجة لفسادهم وشقاوتهم : **(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)** يوسف/ ١٠٨ . ثم وصف من اتبعه بقوله تعالى : **(والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً)** الفرقان/ ٧٣ .

أطلقت هذه الآيات وأمثالها عقول المسلمين وتفكيرهم ، وحررت افكارهم من غبار الماضي السحيق الذي طمث على افئدتهم .. فأخذت النفوس تنعم في رغد هذه الحرية التى طال انتظارها لتعطي للانسان برهانا صادقا فيما حوله من عظمة وقدرة الخالق عز وجل .

وكان من آثار هذا التفكير أن ظهر في المسلمين علماء لا يشق لهم غبار في الشرائع والادب والعلوم ، وانتهى أمرهم الى أن كانوا أساتذة العالم في عصرهم . ونشأ فيهم التسامح ، فلا يبغي أحد على أحد بغير سبب ، ولا يخاصمه بدون حجة ، حتى ان خلفاء

المسلمين أنفسهم وقد كانت الدنيا بقبضتهم لم يكونوا ليكرهوا أحدا على اعتناق مذاهبهم أو الاخذ بآرائهم ، فلم يظلموا الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

روى أن عمر بن الخطاب رفعت اليه مسألة رجل توفي وترك جده واخوته فاستشار فيها ، وهنا يروي زيد بن ثابت حواره مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيقول : ــ كان رأيي يومئذ أن الاخوة أحق بميراث أخيهم من الجد ، وعمر بن الخطاب يرى يومئذ أن الجد اولى بميراث ابن ابنه من اخوته ، فتحاورت أنا وعمر محاورة شديدة ، فضربت له في ذلك مثلا فقلت : لو أن شجرة تشعب من أصلها غصن ثم تشعب من الغصن خوطان ، ذلك الغصن يجمع خوطين اقرب الى أخيه من الاصل ؟ ثم ما زلت اعد له واضرب له الامثال ، وهو يأبى الا أن الجد اولى من الاخوة ، ويقول : والله لو أني قضيته اليوم لبعضهم لقضيت له للجد ، ولكن لعلي الا أخيب منهم أحدا ، ولعلهم أن يكونوا كلهم ذوي حق .

وقد كان عمر يستفتي في المسألة فاذا أفتى وقيل له ان فلانا أفتى بغير رأيك يقول : لو كنت أردك الى كتاب أو سنة لفعلت ، ولكني أردك من رأي الى رأي وهذا لا يجوز ، فاذهب وخذ بما تراه .

وقد نقل عن الائمة الذين كانت مذاهبهم مدارس يأوى الناس اليها أنهم حثوا على ممارسة حرية الفكر والنقاش ، يأخذ الواحد منهم ويعطي رأيا .. لا يبالي منزلة كبير ولا سطوة جبار .

فقد حكى ابن القيم عن ابي حنيفة وابي يوسف أنهما قالا : لا يحل لاحد ان يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه .

ورِوى عن مالك أنه قال : « انما أنا بشر أخطيء وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه » . ومن البلاء أن يقنع المسلم برأي لا يعرف حجته ، أو يقف عند مذهب وقد كشفت الايام عن فساده ، وهو يقرأ في كتابه المبين ما نعى الله على الجاحدين الضالين : **(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)** النجم/٢٣ .

وقد تواترت الرواية عن الامام مالك أنه قال له الرشيد : انه يريد أن يحمل الناس على مذهبه ، فنهاه عن ذلك وقال : ان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وهم يحملون الاثار عن الرسول فدعهم ومذاهبهم .

فهل هناك دليل اقوى من ذلك على استقلال الفكر ، وابعد مدى في طريق الحرية ؟ وليت شعري هل في حلقات العلم ومراكز الابحاث الان من يستدركون على شيوخهم أو يخالفون اساتذتهم كما كان يفعل المسلمون من قبل !!.

ولا ريب في ذلك فقد كان الشافعي عليه رضوان الله يقول : ان الماء اذا بلغ قلتين بقلال هجر لا ينجسه شيء

يقع فيه ، أما اذا كان دون هاتين القلتين فان كل نجاسة تقع فيه تذهب عنه حكم الطهارة وان لم تغيره . فاستدرك عليه الغزالي وهو من أتباعه ، ورد هذا المذهب واطال في مناقشته في كتابه الاحياء ، وقال : ان الذي يراه أن الماء القليل الذي لا يبلغ القلتين لا ينجسه شيء يقع فيه الا اذا تغير ، وخالف مذهب امامه وتركه الى مذهب مالك .

وروى البيهقي أيضا بسنده الى الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت .

ومن قرأ تفسير الكشاف للزمخشري يرى أن صاحبه يخالف مذهبه الحنفي مسائل اتباعا لما فهمه من القرآن .. ومن ذلك ما يقول الحنفية في الصعيد الذي يتيمم منه الانسان ، فقد قال رب العزة تبارك وتعالى : **(وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا)** النساء/ ٤٣ . وهنا يختلف الفقهاء في فهم الصعيد ، فيقول الشافعي انه التراب الطاهر ، ويقول ابو حنيفة : كل ما علا وجه الارض وان كان صخرا ، على تفصيل له في ذلك ، ثم لا يقنع هذا الرأي الزمخشري وهو يتبع ابا حنيفة فيعترضه ويفنده ويقول في تفسيره اذا كان المراد من الصعيد وجه الأرض وان كان صخراً ، فما تصنع بقوله تعالى في سورة المائدة : **(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه)** أي من الصعيد ، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه .
ويورد الزمخشري جواب الحنفية على هذا السؤال ، فيقول : قالوا ان « من » في الآية الكريمة لابتداء الغاية وليس المقصود أن الانسان يمسح وجهه ببعض التراب . ويرى أن هذا الجواب قول متعسف ، وأنه لا يفهم من قول العرب : مسحت برأسي من التراب أو من الماء الا أن الممسح يمسح ببعض التراب أو الماء .. وهذا عنده هو الحق .

والاسلام لا يقصد من الانسان الا أن يكون حرا في بحثه ، وأن عليه أن يرفض كل علم لا ينبني على البرهان الاكيد ، وأن يطرح كل قضية لا تقوم على الحجة جانبا ، ولا أدل على ذلك من آيات كتاب الله الكريم التى تكثر من ذكر الادلة والبراهين وتنبه العقلاء وترشدهم الى التمسك والاخذ بما انزل من عند ربهم قال تعالى : **(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)** النساء/ ١٧٤ وقال جل شأنه : **(ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون)** المؤمنون /١١٧ .

فنراه قيد الوعيد على الشرك بأنه لا برهان لصاحبه يحتج به — وفي ذلك أيضا تعظيم لامر البرهان وتعجيز لاهل الشرك عن اقامة الحجة على شركهم .

وقد أقام المولى جل شأنه البرهان

العقلي على بطلان الشرك بقوله بعد ذكر السموات والارض . **(لو كان فيهما الهـــة الا اللـــه لفسدتـــا)** الانبياء/ ٢٢ . وبقوله : **(اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)** المؤمنون/ ٩١ .

وقد روى القرآن أن المولى عز وجل علم رسله السابقين أن العلم هو الذي يسنده البرهان ويدعمه الدليل فقال في قصة ابراهيم عليه السلام وهو يحاج قومه : **(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينــزل به عليكــم سلطانـــا فأي الفريقين أحق بالأمــن ان كنتــم تعلمون)** الانعام/ ٨١ .

وما أخبر به المولى جل شأنه أنه يكره الجدل بغير برهان ، ويمقــت الاعتقاد بغير حجة ، لان ذلك فيه اهدار لحرية الفكر وضرب من ضروب القهر الذي يفرض على العقول ، ولا أثر له الا فقدان الانسان لحريته في التفكير وتقييد للقدرات التى وهبها الله له دون سائر المخلوقات ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : **(الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا)** غافر/ ٣٥ ، وقوله تعالى : **(ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه)** غافر/ ٥٦ .

كان الاسلام بحق دين الفكـــر والبرهان لا دين التسليم والاذعان وآيات كتابه الكريم جاءت بأفضل مباديء الحرية في الجدل البناء وأقوم الاصول لاستقلال الرأي ، وكـــان بحق واضع تلك الاسس والمباديء ، وله الفضل العظيم في غزو مواضع الاقناع من العقلاء تعليما لهم وغرسا لاصول الحرية في نفوسهم ، مما كان له الاثر الكبير في رقي طرق التفكير وصولا الى سبيل أهدى وأقوم ، تلك السبيل التى انتهت بالعلماء المسلمين الى أن نقلوا آراء الفلاسفة من جميع الاديان وناقشوها مناقشة لم يسبق لها مثيل ، بدا فيها الموحدون الذين يقفــون عنــد ظواهـــر النصوص والامور ، بجانب الفلاسفة الذيــن يبحثون ويتكلمون في الماديات ومبدئها ونهايتها ومظاهرها وغايتها . واتسع هذا الجدل الذي شمل (الغزالي وابن رشد وابن سينا والفارابي) وغيرهم ممن اسسوا مذاهب ، ووضعـــوا نحلا ، وتفرقوا طوائف ، لا يمنعهم سلطـــان ولا يردهـــم الا البرهـــان والدليل ، ثم تسمع منهم بعد ذلك عبارات التسامح مع المخالفين حتى يقول بعضهم اذا صح الحديث فهو مذهبـــي واضربـــوا بقــــولي عرض الحائط ، ويقول آخر ، كل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا ساكن هذه الروضة المباركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم يتفق اهل الملة الاسلامية على أنه اذا تعارض العقل والنقل .. أخذ بما دل عليه العقل ، وبقى في النقل طريقان : طريق التسليــم بصحـــة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الامر الى الله في علمــه ، والطريق الثانية .. تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق

معناه مع ما أثبته العقل . وبهـذه القاعدة التى قامـت على الكتـاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مهدت أمام العقل السبل المثلى وأزالـت من طريقـه جميـع المعوقات ليسير كل عالم منهـم في بحبوحة من فكره لا يخشى أحدا ، عقله رائده وكتاب الله مرشده .

أما اذا أوصدت أبـواب الفكـر وحجر على العقول ، ووقعت الافئدة في حبائل الاسر ، فمن أين لهـم أن يتدبروا آيات الله ويستفيدوا بما فيها من واسع المعنى وصادق المغزى ؟.

وقد أرسل نبي الله معاذ بن جبل الى اليمن وسأله بم تقضي ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب الرسول على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله الى ما يرضي الله .. وفي ذلك ثناء على التفكير والبحث وحض على الاجتهاد وذم للجمود وعبودية الفكر ، وقد ورد في ذمها آيات كثيرة ، منها قولـه تعالى : **(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهـم لا يعقلـون شيئـا ولا يهتـدون)** البقرة/ ١٧٠ وقوله تعـالى : **(واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنـا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمـون شيئـا ولا يهتـدون)** المائدة/ ١٠٤ . صدق الله العظيم . وقد ذمهم من ناحيتين (احداهما) الجمود على ما كان عليه اباؤهـم والاكتفاء به عن الترقي في العلـم والعمـل ، وليس هذا من شأن الانسان العاقـل والفكـر الواعـي (والاخرى) أنهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا ميـزة البشر في التمييـز واستخدام العقل والضمير الانساني للوصول الى العلم والهدى في الدين كما في قوله تعالى : **(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفـؤاد كل أولئـك كان عنـه مسئولا)** الاسراء/ ٣٦ .

ولا ريب في أن المسلمين اذا لم يطلقوا العنان لعقولهم ، ويتمتعـوا بحريتهم في تفكيرهم ليواجهوا الدنيا وما فيها من جديد ، سيتخلفون عن الركب والتنقيب عن اسرار الحياة وما أودع الله في خلقه من خصائص تحار فيها العقول الباحثـة عن عظمتـه وقدرته سبحانه وتعالى جل شأنه ، كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه في أبيات يظهر فيها ضعفه وقلة حيلته أمام اعجاز القرآن الكريم وعلم الرحمن الرحيم .

كلمـا أدبنـي الدهر
أرانـي نقص عقلي
واذا ما ازددت علما
زادنـي علمـا بجهلي

فعلينا الاخذ بكتاب الله وسنـة رسوله لنتبصر بآياته ولنهتدي بهديه ، لترقى عقولنا وتنعم نفوسنا بحرية الفكر والعلم ، ومـا ربـك بظـلام للعبيد : **(وتلك الأمثال نضربهـا للناس وما يعقلها الا العالمون)** العنكبوت/ ٤٣ .

النمو الخلقي

للدكتور/عبدالرحمن عيسوي

مفهوم الاخلاق :-

ينبغي تحديد المقصود باصطلاح « الاخلاق » فهل الاخلاق هي ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خطأ ، أم أن الأخلاق هي ما يعتبره الفرد عدلا وشفقة وايثارا وما إلى ذلك من القيم الخلقية المطلقة ؟ لا شك أن مفهوم الأخلاق كمفهوم نابع عن المجتمع هو مفهوم دينامي في طبيعته ، بمعنى انه يتغير من جيل إلى جيل ، ومن مجتمع إلى اخر ، وينمو ويتطور أو يتعدل .

ويعرف « هادفليد » الاخلاق فيقول : « هناك معنيان عريضان لمصطلح « الأخلاق » أحدهما : بمعنى الامتثال لمعايير المجتمع وعاداته ، والمعنى الآخر : هو اتباع الغايات والأهداف الصحيحة » .

النوع الأول : يجعلنا آليا نتبع العادات ، ونمتثل للسلوك الجماعي ، ونرعى التقاليد الاجتماعية ، وطبقا للمعنى الثاني فان الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والأمانة تعد خيرة في

ذاتها ، وينبغي اتباعها ، بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره ، والأخلاق بمعنى الامتثال لقيم المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر .

ويستخدم أحيانا اصطلاح الخلق ليعني السلوك الخلقي ولكن اصطلاح الخلق يشير إلى درجة التنظيم الخلقي الفعال لكل قوى الفرد ، ويشير إلى الاستعداد « النفسيفيزيقي » الدائم الذي يقمع البواعث تبعا لمبدأ تنظيمي معين . ومعنى هذا الاشارة إلى الأخلاق كخلق داخلي يكمن في داخل الفرد نفسه ، وهكذا نرى أن اصطلاح الخلق يشير إلى سمات الشخصية أكثر من إشارته إلى الأخلاق التي تتضمن قوة إرادية كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم . وتهتم الأخلاق بنوع خاص بقوى الفرد الارادية وأهداف كفاحه واتجاهاته .

ويقصد بكلمة الأخلاق من الناحية السلوكية العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما ، وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر ، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر إلى آخر ، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر باختلاف الطبقات الاجتماعية ، فالمبادئ التي تصلح للمجتمع الاشتراكي لا تصلح للمجتمع الرأسمالي ، كذلك أخلاقيات المجتمع الديمقراطي تختلف عن أخلاقيات المجتمع الديكتاتوري ، فالفرد الذي يعيش متكيفا في مجتمع رأسمالي يصبح غير متكيف إذا ما نقل إلى مجتمع شيوعي مثلا . وطبقا لوجهة النظر « الامتثالية » ما على الفرد إلا أن يقبل قيم الجماعة التي ينتمي إليها حتى يعيش في سلام ووئام معها ، ولكن رغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق إلا أن هناك بعض المبادئ الخلقية « المطلقة » العامة التي تصدق في كل مكان وزمان ، ومنها الصدق والأمانة والولاء ... الخ

ويعرف الخلق بأنه تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات ، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل . فالنمو الخلقي لدى الطفل يسير من مجرد الرغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل ، وبتقدم الطفل في العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية أي صادرة من الخارج ، من الآباء والأمهات والمدرسين إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل ، ويتكون هذا الضمير عن طريق امتصاص قيم الآباء واكتسابها ، وبذلك تصبح معايير الطفل نفسه .

الأنماط الخلقية :

يصنف الناس أحيانا إلى أنماط خلقية مختلفة تبعا لنوع الأخلاق الذي يتبعونه :

١ – النمط النفعي وفيه يسلك الفرد فقط سلوكا خلقيا للحصول على

أغراضه الذاتية .

٢ ـ النمط الامتثالي وهو النمط الذي يفعل صاحبه ما يفعله الآخرون ، وما يقولون إنه ينبغي عليه أن يعمله .

٣ ـ النمط العقلي أو النمط ذو الضمير الحي وله معاييره الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ .

وتبعا لهذه المعايير يحكم على تصرفاته ، وهو نمط إيثاري ويمثل أعلى مستويات الأخلاق . وله مجموعة من المبادئ الخلقية الثابتة المستقرة والتي توجهه ، إنه عقلاني وواقعي في تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس . وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات او التأويلات الخلقية لأنه يتبع « حرفية » القانون الخلقي ، اما الشخص النسبي في مذهبه الخلقي فانه يأخذ في الحسبان النوايا والدوافع والاصرار أو التعمد والنتائج العملية لعمله ، وكما يقول فروم في ضوء الاخلاق السلطوية تضع السلطة ما هو خير للانسان ، وتضع القوانين والمعايير للسلوك ، أما في الأخلاق الانسانية فالانسان نفسه هو موضوع المعايير وهو الذي يضع هذه المعايير ، إنه مصدر المعايير والمسؤول والمنظم ، وهو أيضا الموضوع الذي تنطبق عليه هذه المعايير .

خصائص الفكر والسلوك الخلقي

يضاف إلى المشاكل السابقة مشكلة عمومية المبادئ الخلقية أو خصوصيتها بمعنى هل يكون الطفل الأمين في البيت أمينا في المدرسة ، وفي النادي ، وفي العمل ، وفي الامتحان ، وفي اللعب ، وفي جميع المواقف والأماكن ، أم أن الأمانة تتوقف على الموقف الذي يوجد فيه الفرد ومقدار حاجاته إلى « الغش » مثلا ؟ وعلى دوافع الفرد وحاجاته ؟ لقد دلت دراسة هارتشون وماي (سنة ١٩٢٨) على عدم وجود ارتباط ذي دلالة بين الغش في المدرسة والغش في المنزل ولكننا إذا أخذنا الأخلاق بمعنى الشعور بالذنب لتجنبنا الصعاب الناتجة من الاتجاه الامتثالي السلوكي ، إذ من الممكن أن يخضع الفرد للاغراء ومع ذلك يشعر بالذنب نتيجة لامتلاكه معيارا داخليا .

يسير الطفل في بدء حياته بمنطق « اللذة » أي إنه يميل إلى تكرار السلوك الذي يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم . ويتكون ضمير الطفل عن طريق مجموعة الأوامر والنواهي التي يتلقاها من الوالدين اللذين يقومان بوظيفة الضمير في بدء حياة الطفل ، فالطفل الصغير لا يسرق لأن « ماما » تقول : لا تسرق ، ولأن السرقة تغضب « ماما » .

وهنا ينبغي أن نتساءل عن العوامل التي تؤثر في مجرى النمو الخلقي ؟

العوامل المؤثرة في النمو الخلقي :ـ

لقد تساءل كثير من الكتاب : هل

يرجع السلوك الخلقي إلى الوراثة أم إلى البيئة والاكتساب ؟ يحتوي التراث السيكولوجي على كلا الاتجاهين : أي الاتجاه الوراثي والاتجاه الاكتسابي ، ومن بين الدراسات العديدة التي تؤيد العوامل الفطرية في الأخلاق دراسة الأسر التي انتشر الجنوح والاجرام بين أعضائها بكثرة كبيرة عبر الأجيال المتعاقبة ، ولقد افترض قديما بعض العلماء وجود حس خلقي داخل الانسان ،

ولكن إذا كان للأخلاق حس مستقل ، فأين يقع هذا الحس من الجسم ؟ وفي غضون القرن ١٨ سادت حركة طبية تفترض أنه نتيجة لاصابة الفرد بمرض ما ، فانه يفقد حسه الخلقي ، بينما تبقى قواه العقلية سليمة ،

وأطلق على هذه الحالة المرضية اصطلاح الجنون الخلقي ويفترض هنري مودسلاي ان معظم المجرمين الصغار ضعاف أخلاقيا في القوة الخاصة بتكوين الحس الخلقي ، وكان يعتقد أن معظم الأطفال موهوبون عقليا ، ولكنهم يعانون ضعفا خلقيا ، وأن هذا الضعف الخلقي الموروث يبدو أنه ينتشر في أسر معينة عبر الأجيال المتعاقبة . ومن ناحية بناء الشخصية وجد أن كثيرا من الأعراض السيكوباتية والعصابية ترتبط بالجنوح ، وكان لمبوروزو يعتقد بوراثية الاجرام . ويعتقد بعض الناس بأن الطفل يولد مزودا بضمير معين يساعده على التمييز بين الصواب والخطأ ، بل يزعم البعض أن الطفل يرث بعض السمات الخلقية المحددة كالأمانة والصدق ، ولكن هذه الفكرة تخلص الآباء والمعلمين من مسؤولياتهم إزاء تربية الطفل تربية خلقية سليمة حيث لا يعزون السلوك غير المرغوب إلى فشلهم ، وإنما إلى نقص وراثي أو فطري لا يمكنهم التغلب عليه .

يقول مكدوجل ، مؤيدا الاتجاه الوراثي للعقل البشري ، إن هناك نزعات فطرية أو موروثة هي المنابع الأساسية أو القوى الدافعة لكل من الفكر والسلوك ، وهي الأساس الذي تنمو عليه خلق وإرادة الأفراد والأمم بالتدريج تحت توجيه الملكات العقلية .

أما فرويد فيرى أن غريزتي الجنس والمحافظة على الذات هما العنصران الأساسيان في الدافعية الانسانية وتتضمن غريزة المحافظة على الذات ، من بين ما يتضمن حماية معايير الفرد الخلقية والاجتماعية ويفترض آدلر وجود نزعتين مسؤولتين عن ارتباط الانسان بأخيه الانسان وهما :

١ ـ الرغبة في القوة الشخصية والسمو .

٢ ـ الشعور الاجتماعي .

ولكن مثل هذه الاتجاهات التي تختزل الدافعية الانسانية في شكل عامل أو عاملين تبالغ في تبسيط التنظيم الدافعي في الانسان ، وهو تنظيم بالغ التعقيد وفي مجال تأييد وجهة النظر الوراثية في نمو القيم الخلقية ربما نشير إلى الفروق الملاحظة بين الذكور والاناث في

الأخلاق . فلقد وجد أن الاناث أكثر تأثيرا بالنداء الانفعالي في الحياة الدينية ، بينما الذكور أكثر جذبا بالشرف والعقاب الخلقي والنشاط الاجتماعي . وبالنسبة للعدوان فلقد أعطى بايز وماريكارد (١٩٣٧) حقنا من الهورمون المنشط للذكورة لعدد من الصبيان الصغار ووجدا زيادة واضحة في العدوانية في كل العلاقات الاجتماعية ، كذلك أعطى كلارك وبرش هرمونات ذكورة وانوثة لقرد ذكر ، ووجد ان الهرمون الذكري يؤدي إلى زيادة السيطرة الاجتماعية عند الحيوان وأن الهرمون الانثوي يؤدي إلى خضوع الحيوان ويؤكد هذا فكرة زيادة النزعات العدوانية في الذكور عنها في الاناث . وفي مجال الفروق الجنسية في الأخلاق أيضا هناك ما كشفت عنه دراسة تيودور ــ هات ، حيث وجد أن الاناث يلقين أكثر من الذكور كثيرا من الأكاذيب التقليدية مثل :

أمي ليست في المنزل

أنا سعيدة لرؤيتك

لقد قضيت وقتا ممتعا في حفلتكم

مثل هذه الأكاذيب اعتبرتها نسبة أكبر من البنات عن البنين « ضرورية » كذلك اعتبرت نسبة أكبر من البنات الأكاذيب الاجتماعية « ضرورية » (نسبة ٣٢٪ في مقابل ١٨٪ من الذكور) ومن أمثلة الأكاذيب الاجتماعية « الكذب للاحتفاظ بالأسرار » و « الكذب حماية من الغرامة » وما إلى ذلك .

وفي دراسة شيلي (١٩٣٨) التي تناولت ٨٠٠ طفل تتراوح أعمارهم من ٩ ــ ١٦ سنة وجد الذكور أكثر عدوانا وسيطرة واقل خوفا واكثر تفاخرا عن الاناث اللائي كن اكثر شكا وخيالا ، وأكثر خضوعا وطاعة للضوابط الاجتماعية ، ولقد وجدت نسبة الذكور إلى الاناث في الأحداث الجانحين تساوي ٦ ــ ١

ولكننا يجب أن نلاحظ أن هناك فروقا كبيرة في نوع الجرائم التي يرتكبها أفراد كل جنس ، كذلك هناك فرق في المستويات الخلقية التي يضعها المجتمع على أفراد كل جنس ، فالمعروف أن الأسرة أكثر تسامحا في قبول المخالفات التي يرتكبها الولد الذكر . كذلك فانه يفترض أن الأب ــ أكثر من الأم ــ هو الذي يمثل السلطة الخلقية الرئيسية في الأسرة . وأنه أيضا الموضوع الخلقي الذي يتقمصه الولد والبنت على حد سواء إن الأب أكثر تمثيلا للمعايير الاجتماعية وهو أكثر قدرة على القيام بعملية الضبط والربط في الأسرة .

ويبدو أن الأباء لهم أكبر قدر من التأثير في تكوين مفهوم الطفل عن الخطأ والصواب . ولقد تبين أنه كلما زاد اتصال الطفل التصاقا بالكبار زاد تأثيرهم عليه ، وعلى سلوكه ، وتلعب علاقات الحب والعطف والحنان والدفء دورا هاما في تنمية الضمير القوي في الأطفال .

فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذي يؤدي إلى تنمية الضمير ، أما الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيها

فانهما يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان والطغيان والمبالغة في المطالب .

أما الأطفال الذين خضعوا لسيطرة الامهات والتحكم الزائد والتأنيب المبالغ فيه والذين كانوا يمنحون المكافأة لخضوعهم ، أصبحوا منسحبين . ويعتبر المنزل من أقوى المؤسسات الاجتماعية في نقل ثقافة المجتمع للطفل ، إنه يكمل وظائف المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، كالحكومة والمدرسة والمسجد ، بل إنه يبدأ في « عمله هذا » قبل أن يبدأ الطفل في الاحساس بدور هذه المؤسسات كذلك تلعب المدرسة دورا هاما في نمو السلوك والقيم الخلقية في الطفل ، فلقد لوحظ أن السلوك الخلقي للاطفال يتدهور عندما تضعف الادارة المدرسية .

العوامل التي تساعد على النمو الخلقي الجيد

١ ـ صحة جسمية جيدة لمقاومة الاغراء وللتحرر من الشعور بالمرارة أو النقص ، ومن وجود دوافع الانتقام .

٢ ـ الأمان الانفعالي لامكان الشعور بالحب تجاه الآخرين .

٣ ـ توفير وظيفة مناسبة ومنافذ للتعبير او التصريف .

٤ ـ تدريب مستمر في التحكم والضبط الذاتي للمساعدة في التخلص من البواعث الطفلية .

٥ ـ وجود أفق اجتماعي مستمر الاتساع لتنمية القدرة على اكتساب المعارف ، وعلى التسامح ، وعلى التعاطف ، وعلى الفهم ، وتنمية الرغبة الأصلية لتقدير حقوق وواجبات الناس الآخرين .

٦ ـ الطموح نحو الرغبة القوية في عمل الصواب ، بحيث يجد الفرد الشعور بالرضا والسعادة نتيجة لعمل الصواب . وفي الغالب ما ينمو الطموح نتيجة للتعاليم الدينية .

ولا يمكن تخيل حدوث النمو الخلقي بمحض الصدفة بل إنه يحتاج إلى جهود وأساليب مدروسة ويتطلب تخطيطا دقيقا للمواقف التي تضمن التعاون والضبط الذاتي ونمو روح الجماعة . كذلك ينبغي تشجيع الطفل على تعميم المبادىء الخلقية ، ويمكن إشراك التلاميذ في مشروعات خدمة البيئة لتنمية الشعور بتحمل المسؤولية وتقدير الصالح العام وحمايته . وإلى جانب المؤثرات الخارجية ، ففي مرحلة المراهقة توجد دوافع داخلية نحو التعاون ونحو تقدير العدالة ونمو الشعور بالولاء للجماعة ولقواعدهم وغير ذلك عن المبادىء السلوكية المثالية ففي المراهقة تنمو النزعات المثالية والنزعة نحو إصلاح العالم ، ونحو البذل والتضحية الذاتية . وينبغي توجيه هذه المثالية نحو السلوك الخارجي الحقيقي كما ينبغي إشعار المراهقين بأنهم مرغوبون ومطلوبون كما ينبغي أن يجدوا المنافذ الايجابية لتصريف طاقاتهم الزائدة .

شموع ودموع

قد جئت للكـــون إعلاء وعمرانا ... تهدى لانسانه امنا وايمانا
تروم عالمنا يعلو مراقيه ... فلا يعيش أسير الجهل حيرانا !
اشرقت تدعو الى الرحمن خالقنا ... وكيف لا نعبد الرزاق رحمانا ؟
ترى العقيدة أس الامر أجمعه ... متى نؤسس صحيحا نعل بنيانا
وعشت تهدى بنى الانسان قاطبة ... تروي بهديك جيلا كان هيمانا
فاستقبح الناس ظلما كان يرهقهم ... واستحسنوا العدل تشريعا وميزانا
تفجر الخير في أعماقهم غدقا ... فأوسعوا الكـون إصلاحا وعمرانا
رأوا سماحة هذا الدين تجمعهم ... لله صفا ، وفي الضراء إخوانا
وصار لله والاسلام نسبتهم ... به نجمل دنيانا لاخرانا !
واكـــرم الناس أتقاهم وأصلحهم ... ساوت قريش بهذا قيس عيلانا !



يا سيد الكون عفوا إذ نظرت لنا ... نجفو الهدى فتعالى صوت شكوانا
قد أصبح الذهب البراق قبلتنا ... وصار دينارنا المحبوب مولانا !
به التكـــاثر ملهانا وشغلتنا ... حتى نسينا زمانا ضم إخوانا !
أيام هاجرت لا تأسى على وطن ... جفا الهدى وجزى رحماه طغيانا !
ما كان ترك الحمى جبنا ولا هربا ... بل ارتكـــازا يزيد الحق رجحانا !
فـ..ت (يثرب) نورا هاديا أمما ... تهوى الهدى لصلاح الكون عنوانا !
المؤاخاة في تكـــوين مجتمع ... لم يدر أبناؤه عربا وسغبانا !
كانوا بأخلاقهم أعلام عالمنا ... سادوا وشادوا به للعز أركانا !
وإن يكـن مالهم قلا فقد سمحوا ... فصار من جودهم ذا الكون مزدانا !

على قمة القرن الرابع عشر الهجري



للأستاذ/محمود عبداللطيف فايد

ما قيمة المال إن عاشت مشاكلنا ... ولم نطب به مكـــروه بلوانا
البعض ينفق لم يحفل باخوته ... والبعض يشكوإلى الرحمن حرمانا
واخجلتي حينما يجري بنا مثل ... للضعف والفقر والنعمى بيمنانا
يقدم العلم غيري للعلا صعدا ... وكلما زاد عمرى زدت نقصانا !!

★★★

من لى بوحدتنا أو سر قوتنا ... حتى يرى عالمـــي عدلا وإيمانا
من لى بمن جعلوا الاسلام غايتهم ... فراقبوا الله خافوا منه طوفانا
وكيف نمسك وفرا في خزائننا ... وهذى أرضنا تشكـــو إسرانا
والمـــاء عن كثب يغرى طوائفنا ... بيتا يؤرقنا من بات ظمآنا
والمـــال لله إن ثابت عراشدنا ... نعمل لعزتنا ، نزرع لأخرانا

★★★

لو أن أهل القرى قد أخلدوا لهدى ... ما شاف عالمنا نكسا وحيرانا
وكيف يفلح قوم مزقوا شيعا ... والله وحدنا في الحق إخوانا

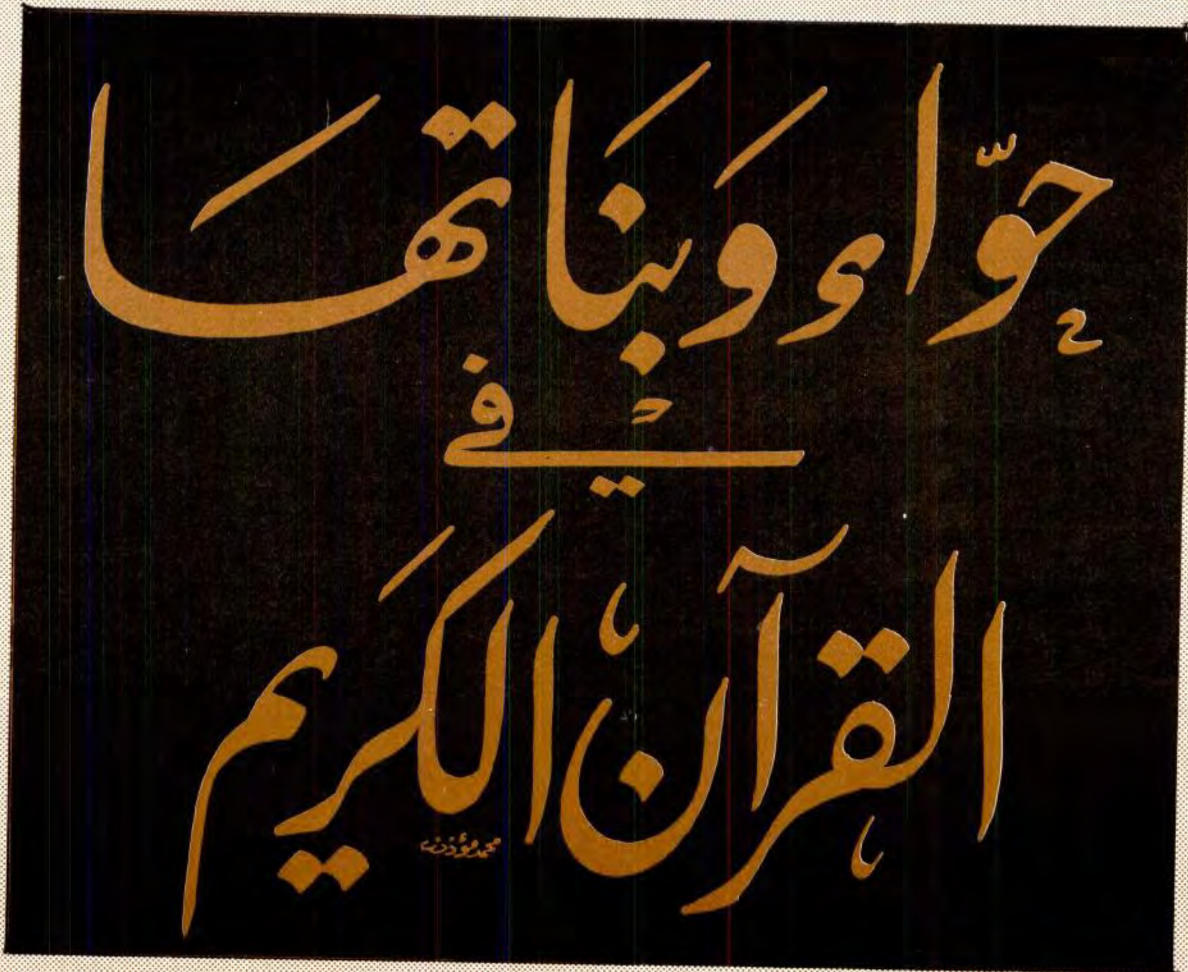
★★★

يا سيد الرسل : يا أستاذ عالمنا ... يا ناجع الطب يا محاء شكوانا
أرى دموعي على القرطاس هامية ... فأمتي أمتى لم تأل عصيانا
على شفا حفرة ترنو لمنقذها ... ترجو الغياث ولطف الله رضوانا

★★★

دامت سطورك – مولانا معلمنا – ... بدورنا ودواء طب مرضانا
نحل في نورها بالعلم مشكلنا ... ونوسع الكـــون بالايمان عمرانا

كتاب الشهر



تأليف : السيدة أمينة الصاوي

عرض : الاستاذ عاصم الادفوي



مما يؤلم المسلم اليوم ، هذه الغربة المروعة التي تفصم بين المجتمعات العربية والاسلامية عن تاريخها وماضيها ونماذجها الايمانية الاصيلة ، على سبيل المثال ، إذا وضعنا تحت دائرة الضوء ما يقدم لبناتنا ونسائنا من ثقافة ، فماذا نحن واجدون ؟

ـ مع بعض الاستثناءات ، فانك إذا تصفحت مجلة نسائية ، فلن تجد فيها إلا موضوعات من قبيل : أطباق الطعام ، ديكور المنزل ، عروض الأزياء النسائية ، قصص عاطفية أجنبية ، مشاكل القارئات ، وقد تجد حلقات مسلسلة لمذكرات ممثلة من هوليوود أو روما .

ـ وإذا قلبت موسوعة نسائية عن عالم المرأة ، فلن تجد فيها إلا أسماء الأديبات الشقيقات « شارلوت وإميلي وآن برونتي » ، والممرضة : الانجليزية « فلورنس نايتنجيل » ، والطيارة الأمريكية « إميليا إيرهارت » ، والمؤلفة الكفيفة الصماء « هيلين كيلر » ، وحتى إذا جاء بالموسوعة النسائية المترجمة إلى اللغة العربية ، ذكر لقلة من النساء العربيات والمسلمات ، فان هذا يأتي من باب دفع الحرج أو (رفع العتب) ، حتى إذا ما تعرض المسئولون عن إصدارها لهجوم من كاتب ذي نخوة عربية إسلامية ، وجدوا ما يدافعون به .

* ومن المؤكد أنك لو سألت طالبة من بنات المدارس الثانوية أو الجامعات والمعاهد العليا ـ باستثناء من تربين ونشأن في بيوت إسلامية ـ عن ماذا تعرف عن : السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، أو نسيبة بنت كعب رضي الله عنها ، أو البطلة الفدائية : خولة بنت الأزور الكندي ، لما سمعت منها جملة واحدة مفيدة .

* أما من أوتوا نصيبا وحظا من المعرفة فالغالبية العظمى منهم ، تفوق معلوماتهم عن « جان دارك » الفرنسية ما يعرفونه عن « صفية بنت عبدالمطلب » رضي الله عنها ، أو عن « غزالة الحرورية » البطلة العربية ، وهم يعلمون عن « فلورنس نايتنجيل » بينما يجهلون اسم « رفيدة بنت سعد » الأسلمية الخزرجية ، أول ممرضة في الاسلام .

* بل إنه من الجلي الواضح أن رجل الشارع العربي يعلم عن الغانية البطلمية « كليوباترا » الشيء الكثير في الوقت الذي لم تطرق سمعه معلومات عن البطلة العربية ـ قبل الاسلام ـ « زينوبيا » ملكة « تدمر » التي امتد ملكها من أرمينيا إلى أعماق الجزيرة العربية .

* والأسباب التي تقف وراء غربة المجتمعات العربية والاسلامية عن جذورها التاريخية ، عديدة ، وقد شخصها الكثيرون من أساتذتنا وعلمائنا الاجلاء ، وإن كان المجال لا يسمح بتناولها بافاضة ، وما لا يختلف عليه اثنان هو أن الضعف الذي ران قرونا طويلة على المجتمعات العربية والاسلامية ، جعل ثقافتها وتعليمها بيد المستعمرين ، فوجهوها الوجهة التي تخدم أطماعهم وأهدافهم ، وحتى بعد غروب شمس الاستعمار العسكري ، فان الاستعمار الثقافي لايزال يمارس فعله ، واستطاع أن ينجح في تغريب الكثيرين من المثقفين والمفكرين وأساتذة الجامعات ، محولا إياهم ـ إلى أدوات في أيدي بعض المستشرقين ، وطلائع الاستعمار الثقافي .

* ومن الأسباب النفسية الاجتماعية التي تمارس فعلها وتأثيرها في مجتمعاتنا العربية والمسلمة ، الاصابة بالداء الذي يعبر عنه البعض بـ « عقدة الخواجة » ، التي سبق أن كشف عنه « عبدالرحمن بن خلدون » في مقدمته الشهيرة ، حين تحدث عن ولع المغلوب باقتداء الغالب ، فنحن نلحظ أن المتحمسين للثقافة الاسلامية والعربية الأصيلة يلقون بعض الصد الموجه إليهم ، لكن الأبواب تفتح أمام المستغربين عباد كل ما هو وارد من الخارج ، وكل ما ختم بخاتم الافرنج .

* كما أن عناصر أخرى جدت على الموقف الثقافي العام ، ذلك لأن الدول المتقدمة في الشرق والغرب بتملكها لأدوات الحضارة والقوة ، قد صرنا أسرى لاعلامهم وثقافتهم ، الموجهة بخبث إلى العقل العربي والاسلامي ، فهم قادرون على توجيه أموال طائلة لانتاج أفلام أو تمثيليات عن أبطالهم ، وشخصياتهم ، وأمثلتهم العليا ، ونحن لا نفعل شيئا سوى استهلاك هذا الانتاج الفني ، والانصات إليه ، ببلاهة ، وفي توقيت يومي مستمر .

* لكن مع هذه الصورة المحزنة ، ووسط كل هذا الركام ، فان البعض يدافعون باستماتة عن الفكر العربي الاسلامي الأصيل ، ويبذلون جهودهم للعودة بمجتمعاتنا إلى المسار الصحيح ، فمن هؤلاء ؟

ـ إنه من يقدم دراسة تاريخية علمية نقدية تجيب على السؤال الحيوي : لماذا استطاع زحف التحرير العربي الاسلامي أن يدمر أقوى إمبراطوريتين ، الفرس والروم ؟ وكيف استطاع المد العربي الاسلامي أن يحرر شعوبا عديدة في عقود قليلة من الزمان ؟

ـ وإنه أيضا من يقدم دراسة عن أروع صور الحرية الدينية والفكرية والعقلية التي مارستها الحضارة العربية الاسلامية يوم أن كانت مزدهرة ؟

* والكتاب الذي بين أيدينا على صغر حجمه وتركيزه واحدة من الاسهامات الهامة في التخفيف من غربة الثقافة العربية الاسلامية عن مجتمعاتنا ، ذلك أن موضوع « حواء وبناتها في القرآن الكريم » هو أحد الفصول الهامة في كتاب العقيدة الاسلامية ، وهو الفصل الضروري الذي يجب على حواء المسلمة أن تتمثله ، وأن

تعيش حياتها في إطاره ، فماذا تقول المؤلفة في كتابها ؟ :
ـ تقدم المؤلفة للموضوع بلمحة تاريخية تعرض صورا متلاحقة لوضع المرأة الذليل في الحضارات الاغريقية والفرعونية ، ثم نيلها بعض الحقوق مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، لكن لما جاء الاسلام ، تبدلت أحوال المرأة تماما ، وحدث التغير الجوهري في تقدير دور المرأة في بناء المجتمع المسلم ، ومن مظاهر هذا تسمية سورتين من سور القرآن الكريم هما : سورة النساء ، سورة مريم ، وتستفتح سورة النساء بأول آية تقرر حقيقة وحدة النفس الانسانية رجلا كان أو امرأة ، قال تعالى : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** ، والقرآن الكريم يخاطب المرأة كمخاطبة الرجل ، وهو يساوي بين الرجل والمرأة في العقاب والثواب ، يقول جل من قائل : **(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)** سورة النساء ـ الآية رقم ١٢٤ .

* كما تشير المؤلفة إلى أن القرآن الكريم قد أعطى المرأة كثيرا من الحقوق التي كانت محرومة منها ، كالتملك ، والبيع والشراء ، والتصرف في المال ، وجعل لها القرآن الكريم نصف حظ الرجل في الميراث بعد أن كانت هي نفسها بعض التركة ، وحدد القرآن الكريم للمرأة حقها في العمل ، والتعلم ، واختيار الزوج ، والطلاق إن أساء الزوج معاملتها واستحال عليها أن تعاشره ، وفرض على الرجل أن يحسن معاملتها ، وأن يقدم لها الصداق عند الزواج ، واحتفظ لها بحقوقها في النفقة بعد الطلاق ، والخلاصة ان القرآن الكريم عنى بالمرأة طفلة وابنة واختا وزوجة وأما .

* ثم قدمت الكاتبة عددا من النماذج النسائية التي تحدث عنها القرآن الكريم ، وهن : حواء عليها السلام ، وهاجر أم العرب ، وأم موسى عليه السلام ، وآسيا المؤمنة وامرأة فرعون ، وبلقيس ملكة سبأ ، وامرأة زكريا عليه السلام ، ومريم أم عيسى عليه السلام ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وخولة بنت ثعلبة ، وامرأة العزيز ، وأم جميل حمالة الحطب ، ففي كل قصة من قصص حواء وبناتها كما رواها لنا القرآن العظيم العبر الغالية ،

ياحبذا لو تدارسها الأباء والأمهات ، ورووها لأبنائهم وبناتهم ، ليحققوا لهم وللأجيال الشابة التربية والتنشئة الاجتماعية الاسلامية العفة ، ليتخذوا منها المثل العليا والنماذج التي تحتذى ، وهي مثل تلفها الطهارة والايمان ، وما أحوج مجتمعاتنا العربية والاسلامية إلى هذه التنشئة الاسلامية التي تصنع لهم ، وتربي فيهم البصيرة المسلمة التي تقودهم بأمان وسط بحار العصر المضطربة .

جمعية الدعوة الاسلامية ـ ببريطانيا



ارسل الينا الاخ منور حسين مشهدي رئيس جمعية الدعوة الاسلامية ببريطانيا هذا التعريف الموجز عن نشاط الجمعية يقول فيه :

لا يخفى على الجميع ان الجيل الجديد من شباب المجتمع البريطاني حر من كل القيود والقيم وفي معزل عن حقيقة الاسلام ومبادئه وكل ما يمتد اليه بصلة ، بحكم المجتمع التائه

وبحكم التأثيرات الضارة من قبل المؤسسات التعليمية الغربية التي اثارت لديهم الشكوك والشبهات حول الاسلام . وبما ان معظم آباء وامهات الشباب المسلم قد اهتموا بالدنيا حتى

صارت لديهم مقصودة بذاتها وشغلتهم اعمالهم ليلا ونهارا عن واجباتهم الدينية وقصروا في تربية اولادهم التربية الاسلامية . لذا صار لزاما على المسلمين الذين تفضل الله عليهم بنعمة العلم والعمل ان يحاولوا ويبذلوا جهودا في نشر الاسلام ويفكروا في تربية هؤلاء الشباب تربية جادة مؤثرة على اسس صحيحة لكي يرفعوا لواء الاسلام في ظلمات اوروبا وبدافع من هذا الشعور بالمسئولية اسست جمعية خيرية تسمى « جمعية الدعوة الاسلامية ببريطانيا » شعارها رفع لواء الاسلام بين ابناء المسلمين وغيرهم ، وكان ذلك في شهر مايو ١٩٧٤ .

ولهذه الجمعية مركز يسمى « مركز الدعوة الاسلامية » ومقره مدينة برمنغهام ويضم هذا المركز الذي تشرف عليه الجمعية مسجدا . ومدرسة ، ومكتبة ومطبعة وقاعة للمطالعة ودارا للكتب !

□ المسجد : يصلي المسلمون فيه صلواتهم الخمس بما فيها الجمعة . حيث يخطب الخطيب في موضوعات شتى يشرح فيها امور الدين كما تقام فيه حلقات دراسية عامة لتفسير القرآن الكريم وشرح الاحاديث النبوية وذلك بعد صلاة العصر من كل يوم . ونظرا الى كثرة المصلين والحمد لله فقد اعد مشروع توسعة وتعمير المسجد بتكلفة تصل الى حوالي ستين الف جنيه استرليني .

□ **المدرسة :** نظرا للحاجة الملحة والماسة الى تعلم القرآن الكريم والامور الدينية واللغة العربية وهي لغة القرآن عينت الجمعية خمسة اساتذة للتدريس فيها والدراسة تسير فيها على ما يرام والحمد لله .

□ **المكتبة :** تحتوي المكتبة في الوقت الحاضر على كتب دينية ومصاحف وكتب التفسير والاحاديث وغيرها من الكتب المختلفة باللغة العربية والانجليزية والاردية . وتريد الجمعية ان توسع هذه المكتبة باضافة العديد من المراجع الاسلامية اليها .

□ **المطبعة :** اسست الجمعية مطبعة صغيرة كاملة لنشر كتبها ومجلاتها وغير ذلك من مطبوعاتها المستمرة .

□ **قاعة المطالعة :** بما أن وسائل الاعلام المستحدثة قد قربت العالم وجعلت افكار واخبار الدول سهلة التناول ، لذا رأت الجمعية ان تزود قاعة المطالعة بالجرائد اليومية باللغات الانجليزية والعربية والاردية ، الى جانب المجلات الاسبوعية والشهرية وغير ذلك ليستفيد الناس منها .

□ دار الكتب : أسست الجمعية هذه الدار نظرا لحاجة المسلمين ومتطلبات المؤسسات التعليمية

والمنظمات الاسلامية ومكتباتها اليها وتباع فيها المطبوعات الاسلامية وتنفق ارباح المبيعات في مجالات الدعوة الاسلامية .

صفاء العقيدة الاسلامية ووضوحها فتندفع بذلك الشبهات التي يثيرها اعداء الاسلام الحاقدين .

□ المطبوعات التي توزع مجانا :

توزع الجمعية بعض الكتب الاسلامية على المسلمين المرضى والمسجونين والطلبة المحتاجين وعلى غير المسلمين لاطلاعهم على

□ المجلة الاسلامية : تصدر الجمعية مجلة وهي باللغة الانجليزية للشاب المسلم . وتوزعها مجانا الى جميع البلاد الاوروبية ، والآسيوية والافريقية . وبجانب هذا انشأت الجمعية دائرتين .



مدرسة تدرس بنات المسلمين في مدرسة جمعية الدعوة الاسلامية في مركزها ببرمنغهام



ـ استاذ يعلم الشباب المسلمين في مدرسة جمعية الاسلامية ببرمنغهام

الاولى : دائرة الشباب المسلمين وهي تهتم بتنوير عقولهم بالثقافة الاسلامية وايقاظهم وجهود الشباب في مجالات الكتابة والخطابة وتعهد اجسامهم بالتدريب ليكونوا اقوياء البنية .

لذلك تضع الجمعية برامج عديدة في هذا الصدد وتعقد المسابقات وتوزع الجوائز .

والثانية : دائرة النساء المسلمات وهي منظمة تقوم بتربية النساء والاطفال وتعليمهم وتعقد هذه الدائرة اجتماعات شهرية لها ،

ومما لا شك فيه أن هذه المشاريع لا يمكن ان تتقدم وتزدهر الا بفضل الله ونظرة الكرم والجود والتعاون من المسلمين نحو هذا العمل الخير . قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » لتتمكن الجمعية من الاستمرار في تأدية رسالتها على اكمل وجه ممكن



بريد الوعي الاسلامي

حمل البريد الينا كثيرا من رسائل الاخوة القراء على امتداد الساحة العربية والاسلامية .. ونظرا لكثرة الرسائل ، فاننا نعتذر للتأخر في نشرها والرد عليها ..

قضاء الصلاة

شاب تونسي من قابس هو الاخ فرحات حسان .. كتب الينا يقول :

بدأت اصلي وانا عمري ٢٤ سنة ، وانا اداوم على اداء الصلاة في اوقاتها ــ والحمد لله ــ ولكن يؤرقني التفكير في قضاء ما فاتني من صلاة قبل هذا .. فكيف أقضيها ؟

المحرر :

الصلاة عماد الدين ، من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي ذات تأثير ايجابي في حياة الفرد والجماعة ، تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وهي وقوف بين يدي الله سبحانه في اليوم خمس مرات .. لذا فقد حرص المسلمون الاولون على ادائها في اوقاتها وفي جماعة ما امكن ذلك ، وسار على ذلك المسلمون جميعا الى يومنا هذا .. وامر الاسلام بأن يعود عليها الصغار حتى قبل سن التكليف ، حتى اذا ما وصلوا الى مرحلة التكليف حيث الثواب والعقاب ادوها في يسر وبلا مشقة .. والصلاة لا تسقط عن الانسان العاقل البالغ المكلف بأي حال .. فيؤديها في جماعة او منفردا ، وفي المسجد او في البيت ، او في اي مكان طاهر .. ويؤديها بوضوء او بتيمم اذا لم يجد الماء او تعذر استعماله ، ويؤديها قائما بركوها وسجودها .. او جالسا اذا لم يستطع القيام .. او مضطجعا اذا لم يستطع الجلوس ، وذلك بأن يتصور نفسه في صلاة ، ويحرك لسانه بالقراءة ، ويجري حركاتها على قلبه ..

من هنا تعلم يا اخ فرحات ان الصلاة لا تسقط بحال ـ الا اذا كانت المرأة حائضا او نفساء فانها لا تعيد الصلاة التي سقطت عنها اثناء الحيض والنفاس .. اما انت فأحمد الله ان وفقك لطاعته ، وحافظ على اداء الصلاة وداوم على ادائها فذلك دليل الايمان الحق ..

اما ما فاتك من الصلاة فحاول قضاءه بأسرع وقت ممكن ، فانه لا يسقط عنك الا بادائه ، ويمكن ان تؤدي مع كل فريضة فريضة اخرى مما فاتك ، حتى يغلب على ظنك انك اديت جميع ما فاتك من الصلاة منذ بلوغك سن التكليف ... والله يوفقك .

ردود سريعة

ـ الاخ الطالب احمد كمال امين الجمال ـ مصر ـ الشرقية

بعث الينا راجيا نشر اسمه في ركن التعارف في مجلة البراعم .

نعتذر يا اخ احمد عن ذلك لأن ركن التعارف مخصص فقط للبراعم الاسلامية اليافعة التي لم يتجاوز سنها ١٥ عاما فقط . ونشكرك على قصيدتك ونأمل لك مزيدا من التقدم في انتاجك الشعري .

ـ الاخت رجاء الوسلاتي / تونس

شكرا على رسالتك وعواطفك الاسلامية وقد تم ارسال بعض اعداد المجلة السابقة نرجو ان تجدي فيها مقالات تبحث في الموضوعات التي تطلبين من المجلة نشرها .

ـ الاخ محمد من المغرب يسأل عن طائفة البهرة عقيدة وسلوكا

يا اخ محمد ـ البهرة جماعة من الشيعة الامامية ينتسبون لطائفة الاسماعيلية ينتشرون بين الهند وشرقي افريقيا واليمن وباكستان وبريطانيا وتعتبر الهند مقرهم الرئيسي وملخص معتقداتهم ما يلي :

يعتقدون بالفيض الالهي وهي المعرفة التي افاض الله بها على الامام فتجعله فوق الناس قدرا وعلما والامام عندهم معصوم لذلك يحرصون على تعمير القبور واكبر دليل على ذلك اهداؤهم مقصورة من الفضه لمسجد سيدنا الحسين واخرى لمسجد السيدة زينب ومن عقيدتهم عدم تخطئة الامام مهما اتى من افعال خير او شر والامام بمقام النبوة عندهم وكل آرائهم لا دليل عليها ويبدو بأن الكثير من عقائدهم نتجت عن اتصالهم ببراهمة الهند والفلاسفة والبوذيين والفرس .



العروبة وموقف الاسلام منها

حول هذا الموضوع كتب الاستاذ عبد الله عبد العزيز العدواني في جريدة الانباء الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/٤ ما يلي :

لقد كثر الحديث والجدل حول قضية العروبة وموقف الاسلام منها ، وقد قرأت الكثير من كتابات الاخوة حول هذا الموضوع الحساس .

وفي الحقيقة انني اود من خلال السطور التالية ان اطرح وجهة نظري حول هذا الموضوع كشخص مسلم عربي .

لا ينكر احد ان الاسلام خاتم الاديان الذي يجب ان يعتنقه كل من يصله خبر هذا الدين وتقام عليه الحجة ، والا اصبح كافرا مهما كانت عقيدته .. لقد جاء الاسلام باللغة العربية ، وكان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عربيا من خيرة بيوتات العرب من قريش ، وكذلك فان الخلافة في دولة الاسلام هي للمسلم من قريش دون سواهم بالاضافة الى ان لغة اهل الجنة هي العربية ، وفي الاثر ان كره العرب لمجرد كونهم عربا يعد ضربا من النفاق . اقول ان هذه الدلائل تشير الى تكريم الله عز وجل للعرب بما لا يدع مجالا للشك .. ولكن يجب علينا عدم الافراط او التفريط في فهم هذه القضية وهو ـ مع الاسف ما وقع فيه بعض الاخوة في كتاباتهم حول الاسلام والعروبة .

والحقيقة ان المتمعن في التشريع والفقه الاسلامي والدارس للتاريخ الاسلامي يجد حقائق واضحة لا لبس او غموض في تفسيرها حول علاقة الاسلام بقضية القومية والدعوات العرقية او الشعوبية سواء جاءت من العرب ام من غير العرب .

فلقد حارب الاسلام التفرقة الطبقية المبنية على أسس عرقية او قومية .. ففي الحديث الشريف « كلكم لآدم وادم من تراب لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » وفي الكتاب الكريم « **انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند**

الله اتقاكم » .

ومن هذين النصين الشرعيين نلحظ وجهة النظر الاسلامية حول قضية التفرقة العرقية ، فقد حارب الاسلام مثل هذه الفوارق وجعل الميزان الحقيقي للمسلم هو مدى التزام المرء بتعاليم الخالق عز وجل لا بقربه أو صلته بجنس أو قوم أو غيرهم .

ولقد جسد الرعيل الاول من الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحقيقة . قدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان المسلم العربي يحارب اباه وامه واقاربه ولا يتوانى عن الحاق الضرر بهم وحتى قتلهم لا يمنعه من ذلك قرابتهم او صلتهم به . واكبر من ذلك فقد كان المسلم العربي يعين اخاه المسلم غير العربي على قتل او الحاق الضرر بقريبه وابن جلدته من العرب .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحارب اعمامه واخواله ممن لم يعتنقوا الاسلام غير مكترث بكونهم قومه وبني جلدته فالاسلام الغى كل عصبية ، والغى اي تمييز وجعل الانتماء اليه هو الاساس والمقياس .

وما اقامة دولة الاسلام على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام الا ترسيخا لمبدأ اسبقية الاسلام والانتماء الاسلامي على ما سداه من روابط عرقية او غير عرقية .

فلم تقم دولة عربية على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .. وانما قامت دولة اسلامية عاش في كنفها المسلمون جميعا عربا وغير عرب بالاضافة الى الطوائف الاخرى من غير المسلمين كاليهود والنصارى خاضعين لسلطان الخليفة المسلم ومتمتعين بكامل الحرية المدنية ما لم يتعارض ذلك مع الاسلام على ان يدفعوا الجزية كضريبة لتمتعهم بالحياة تحت ظل الخلافة الاسلامية . ولا حق لهم في اي منصب قيادي في الدولة ، فالحكم والقيادة والسيادة هي للاسلام والمسلمين الى ان تقوم الساعة ، وهذا حكم الله سبحانه وتعالى الذي لا تجوز معارضته في اي حال وتحت اي ظرف .

ولكن مع اتساع الخلافة الاسلامية ودخول شعوب كثيرة في الاسلام وخضوعهم لسلطان الخلافة الاسلامية كان من الطبيعي ان يظهر بعض المنافقين ممن اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر بكافة صوره واشكاله ، بدأ هؤلاء الحاقدون بمحاولة هدم كيان الخلافة الاسلامية بكل ما اوتوا من وسائل ومن بينها اثارة النعرات العرقية والدعوات الانفصالية فقالوا ان الاسلام دين العرب فقط وان العرب استعبدوهم تحت ستار الدين الجديد هذا كان من غير العرب ، أما عند العرب فقد بدأت الدعوة في العرب غير المسلمين بعد ان احسوا انهم لم تعد لهم سلطة في دولة الاسلام فبدأوا بنشر الدعوة القومية والمطالبة بالوحدة العربية والدولة العربية لكي يتخلصوا من سلطان الاسلام والخلافة الاسلامية .

ولقد لقيت هذه الدعوة القبول من

بعض المسلمين العرب الذين لم يعوا حقيقة هذه الدعوة واهدافها المعادية للاسلام ، والداعية الى التخلي عن التشريع الاسلامي والرابطة الاسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية والرابطة القومية التي تتيح لغير المسلمين المجال للتغلغل في الكيان او البنيان السياسي للدولة الاسلامية ، وتقلد المناصب القيادية التي لا يجوز في التشريع الاسلامي تقلدها الا للمسلمين فقط دون سواهم بغض النظر عن ارتباطاتهم العرقية والقومية .

هذه كانت حقيقة ظهور الدعوات القومية سواء من العرب او غيرهم من الاجناس ممن خضعوا لسلطان الخلافة الاسلامية .

ان التشريع الاسلامي واضح وصريح عندما حدد علاقات المسلمين مع بعضهم ، وعلاقاتهم مع غير المسلمين من مختلف الطوائف الدينية والاجناس العرقية .

فالمسلم أخو المسلم دائما وابدا يجب عليه ان ينصره ويعينه ويتكاتف معه تحت اي ظرف .

فمثلا اذا تقاتل مسلم مع غير مسلم فعلى المسلمين نصرة اخيهم المسلم حتى وان كان غير المسلم هذا من بني قومهم فالاسلام كما سبق وقلت قد الغى اي رابطة سوى الاسلام ، وهذا ينجر على جميع انواع العلاقات والروابط في كل المجالات فحتى المحبة والود والصداقة يجب على المسلم ان لا يفضل في علاقته غير المسلم على المسلم لاي سبب كان . وهذا لا يعني ان يكون المسلم عدوا لغير المسلم دائما فالاسلام يدعونا الى التسامح مع غير المسلمين ما لم يعتدوا على حرمة الاسلام والمسلمين .

وفي الختام اقول ان على المسلمين عربا وغير عرب الاتحاد لبعث الخلافة الاسلامية من جديد ونبذ كل النزعات القومية التي هدمت دولة الاسلام ، وسببت لنا ما نحن فيه من تخلف وذل بعد ان كنا الاعزة واصحاب الحضارة عندما كانت هويتنا هي الاسلام عربا وغير عرب ، انني ادعو الاخوة ممن يخالفونني الرأي ان يقرأوا مقالي جيدا بروح علمية محايدة لكي نصل الى الحقيقة التي لا لبس فيها ولا غموض .

المسلمون في اليابان

نشرت جريدة السياسة بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٩ حديثا للدكتور موسى محمد عمر ممثل المركز الاسلامي في اليابان قال فيه :

– ان الدعوة الاسلامية في اليابان تختلف عن مثيلاتها في اميركا واوروبا واسيا ، لان الدعوة الاسلامية في اليابان موجهة الى الشعب الياباني

مباشرة حيث اقتنعت اعداد كبيرة من اليابانيين بالاسلام واعتنقته ، وكما هو معلوم فان ادخال غير المسلمين في الاسلام مهمة عسيرة الا ان ظروف اليابان تساعد وتشجع والحمدلله فاننا نرى نتائج ملحوظة ، لا تقاس بالارقام ، فاعداد المسلمين عام ٧٢ ـ ١٩٧٣ كان يقدر من ٢ ـ ٣ آلاف مسلم ياباني بينما قدرت حاليا اعداد المسلمين بين ١٢ ـ ١٥ الف ياباني بخلاف الاجانب . وقال ان التجاوب الموجود من عدة منظمات اسلامية ترك اثرا في مسيرة الدعوة الاسلامية هناك ، وقد نظمت احدى الجامعات مؤتمرا للفقه الاسلامي حيث رعى شقيق الامبراطور هذا الحفل الاسلامي وكانت هذه البادرة ظاهرة تاريخية كما أنشئ بجامعة (تشوؤ) كرسي للدراسات الاسلامية في وقت تقوم فيه كبريات الصحف اليابانية وتوزيعها يتجاوز العشرة ملايين نسخة يوميا وهي (اساهي ، ومانتجي) وكلا الصحيفتين ، تتعاونان مع المركز الاسلامي كما نظمت ايضا الندوة الثقافية الاسلامية بالاضافة الى ان الاذاعة والتلفزيون تستضيف مندوبي المركز بمقابلات للتحدث عن الاسلام وعرض كذلك فيلم عن مناسك الحج وتم توزيعه على المدارس واحدث ضجة واسعة بالاوساط وعرض ايضا برنامج عن حياة الرسول ، وبرامج اخرى عن المناسبات الاسلامية وقال ان المركز الاسلامي في طوكيو صغير بحجمه وكذلك بامكانياته المالية والبشرية وقال د . موسى محمد ان طبيعة الشعب الياباني غير المتعصبة ضد الاسلام ساعدت في تحقيق نتائج كبيرة جدا والمستقبل في اليابان اسلاميا يبشر بخير عميم ويعتمد بالدرجة الأولى على الجهد المبذول . وبخصوص الزيارة الحالية قال د . موسى عمر ان هذه الجولة تستهدف عرض موقف الدعوة الاسلامية في اليابان وما وصلنا اليه ومدى اقبال اليابانيين على الاسلام وبنفس الوقت عرض ما تحتاجه الدعوة ماديا ومعنويا .

وقال ان الدعوة تحتاج الى رجال اولا ولذلك طلبنا العون في تفريغ بعض العاملين بكفاءات معينة تتلاءم مع ظروف اليابان ، وكذلك المشاركة في الدعوة من حيث طبع الكتاب الاسلامي باللغة اليابانية والدعوة لتنظيم حملات تبليغ ومحاضرات وندوات بالاضافة الى المساعدة في بناء مقر تنطلق منه الدعوة الاسلامية وتلبية الاحتياجات بشكل عاجل ، وحول ما إذا تم في هذه الجولة جمع تبرعات للمركز الاسلامي باليابان قال : ان دولة الامارات العربية تبرعت بمساعدات مالية وشاركت في نشاط الدعوة وكذلك الحكومة السعودية تبرعت وشاركت في جميع المجالات المختلفة التي عرضها المركز عليهم ، اما بالنسبة للكويت فقد وعد المسؤولون بدراسة الامر ولكن سبق ان تبرعت الكويت في مناسبات عديدة .

اقرأ في هذا العدد

جمهورية مصر العربية

● دولة عربية اسلامية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قارة افريقيا ـ يخترقها نهر النيل من الجنوب الى الشمال وعلى اطرافه تقوم الحياة البشرية ـ عاصمتها القاهرة التي تفخر بالجامع الازهر ومن مدنها الاسكندرية وبور سعيد واسيوط والاسماعيلية .. عدد سكانها ٤٣ مليون نسمة يعيشون ضمن مساحة قدرها ٩٩٤٠٠٠ كم٢ غالبيتهم من المسلمين السنة وفي البلاد اقلية مسيحية تسمى (الاقباط) .

● ان اسم مصر مشتق من مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام .

● تعتبر مصر من اقدم مناطق العالم التي شهدت ارضها نشوء الحضارات وفي مقدمتها حضارة مصر الفرعونية بآثارها التي لا تزال باقية حتى اليوم ثم حكم مصر البطالمة اليونانيون ثم حكمها الرومان. واخيرا جاء الفتح الاسلامي لها بقيادة عمرو بن العاص عام ٢١هـ ودوي على واديها الحبيب نداء الله اكبر .

● ورد اسم مصر في القرآن الكريم ضمن آيات متعددة . منها قوله تعالى :

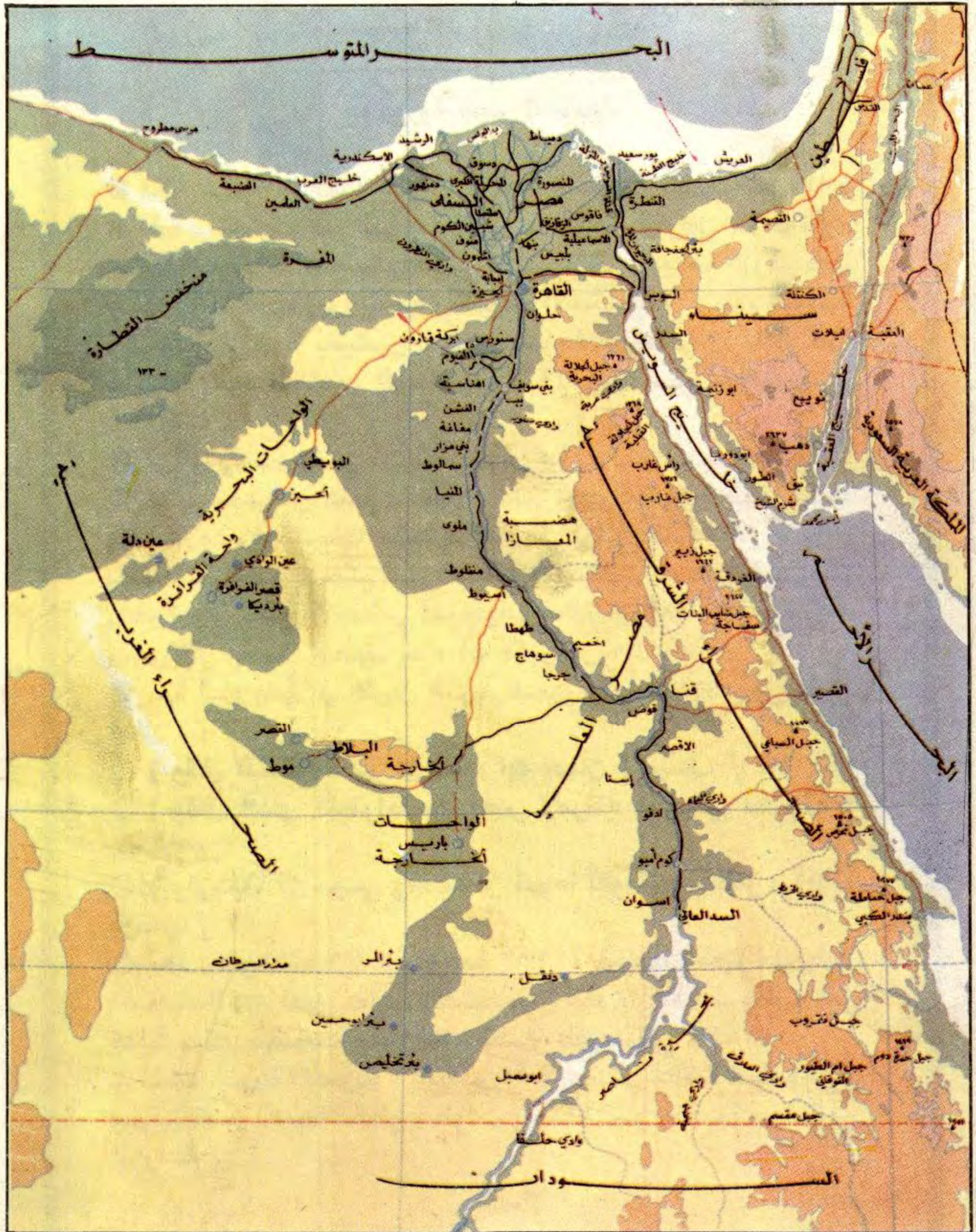
○ **(وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين)** يوسف / ٩٩

○ **(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه)** يوسف / ٢١ .

○ **(واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) يونس / ٨٧ .**

○ **بعد سقوط الخلافة العباسية ١٢٥٦م خضعت مصر لسيطرة المماليك الذين قضى عليهم العثمانيون عام ١٥١٧م ـ وظل الامر كذلك حتى خضعت مصر للاستعمار البريطاني ١٨٨٢م .**

ـ قامت الثورة المصرية ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي اعلنت الجمهورية وبدأت مصر بعدها تخطو خطوات واسعة نحو التصنيع وتطوير الزراعة ..



جمهورية مصر العربية

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٣ ● ذو العقدة ١٤٠١ هـ ● سبتمبر ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الاردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الحجّ.. أشهر معلومات

كان الحج معروفا قبل الرسالة الخاتمة ، منذ أن أتم ابراهيم الخليل – عليه السلام – بناء البيت الحرام تنفيذا لأمر الله تعالى ، فقد أمر الله ابراهيم أن يرفع قواعد البيت ، فرفعها هو وولده اسماعيل ولما فرغ من بناء البيت أمره الله أن ينادي في الناس بالحج ، وذلك قوله

تعالى : **(وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم) .**

وفرض الحج في الاسلام سنة ست من الهجرة بقوله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا) .. وقد وقت الله تعالى للحج أشهرا معلومات هي : شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة ، تؤدى فيها أعمال الحج : من الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، ولا يصح أداء شيء من أعمال الحج في غيرها .. وعلى من قصد البيت الحرام للحج في هذه الأشهر أن يجتنب ما نهى الله عنه من الرفث وهو غشيان النساء والتقبيل ، وأن يعرض لهن بالفحش من القول .. ومن فعل المعاصي عامة ، وما نهى عنه المحرم في حال الاحرام خاصة من قتل الصيد وتقليم الأظافر وأخذ الشعر .. ومن المراء الذي يمارى الرجل به صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه .. وعليه أن يستجيب لفعل الخير ، فيستعمل مكان الرفث الكلام الحسن ، ومكان الفسوق البر والتقوى ، ومكان المراء الوفاق وحسن العشرة والأخلاق الجميلة .. وعليه أن يتزود لسفره واقامته وعودته بما يتبلغ به ويكف وجهه عن الناس ، ويتزود لآخرته بالتقوى فهي خير زاد قال تعالى :

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

والحج الذي لا يخالطه اثم ولا معصية ، ويقترن بالفضائل كاطعام الطعام ، وطيب الكلام والتزود من فعل الخيرات هو الحج المبرور الذي جعله الله من أفضل الأعمال . روى أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

وقد جعل الله الحج جهاد من لا يستطيع الجهاد في سبيل الله ، فقد ورد عن الحسن بن علي رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر من عدم استطاعته الجهاد قائلا : اني

جبان . واني ضعيف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : (هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج) .

والحج مفروض على التراخي . ولكن يستحب للمكلف المستطيع أن يعجل بأداء الحج لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة) .

والاستطاعة تتحقق بالقدرة الصحية التي تمكنه من السفر والانتقال وأداء الأعمال ، والقدرة المالية التي تكفل له الزاد والراحلة زيادة عن حاجة من يعولهم أثناء غيابه ، وأمن الطريق بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله . وعدم وجود مانع من الذهاب الى الحج كالحبس والاعتقال ، وبطش سلطان ظالم .

والمسلمون حين يفدون من مشارق الأرض ومغاربها لأداء الحج يتاح لهم أن يتذكروا أمورهم ويتدارسوا شؤونهم ، ويرسموا خطوط مستقبلهم .. وهم حين يشاهدون الأماكن المقدسة التي مشى فيها رسولهم صلى الله عليه وسلم . وعاش فيها الصحابة والتابعون ، وشهدت انتصارات الاسلام في أيامه الأولى تتيقظ مشاعرهم ، وتتجه نفوسهم للسير في الطريق نفسه الذي سلكه هؤلاء الأبطال الأطهار لرفع كلمة التوحيد ، واعزاز الحق فعزوا وسادوا .

والحج يعطي معنى واضحا للمساواة بين المسلمين أمام الخالق جل وعلا ، فهم يطوفون جميعا حول مكان واحد هو البيت الحرام ، ويسعون جميعا بين الصفا والمروة ويقفون جميعا على (عرفات) يدعون الله في صفاء ونقاء وخشوع لا فرق بين جنس وجنس ولا بين غني وفقير .

وهل نجد مظهرا لوحدة العقيدة أبهى من مظهر الحجاج وهم يجتمعون على الحب والاخاء في الله ، والتعاون على الخير والتناصر على الحق ؟؟

وهل نجد عملا يحقق لصاحبه ضمان الجنة ان مات وضمان الأجر والثواب ان عاد الى بلده كما نجد ذلك فيمن قصد البيت الحرام للنسك حاجا أو معتمرا ؟؟

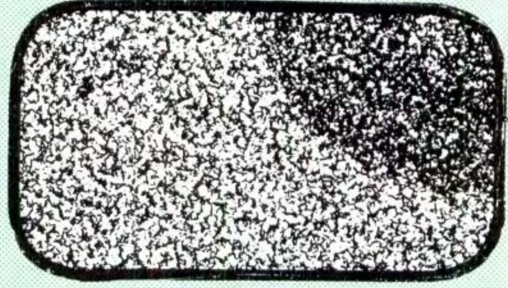
روى ابن جبير باسناد حسن عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة) .

رئيس التحرير

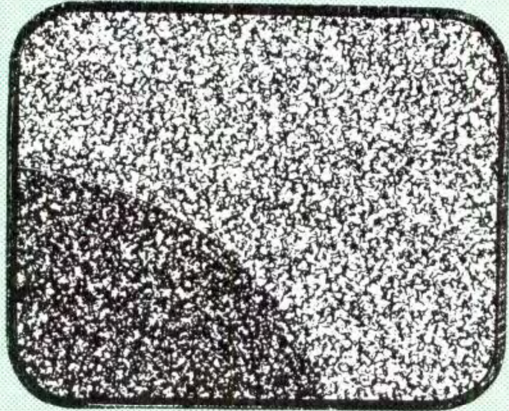
محمد الأباصيري

مع آية من كتاب الله

الله أعلم







الرسول المصطفى :

جاء هذا القول الكريم من الله تعالى ، ردا مفحما ، مخزيا لأهل الضلال والعناد من مشركي قريش الذين أبوا أن يستجيبوا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يصدقوا أنه رسول من عند الله ، فقالوا : **(لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله)** فأخزاهم الله تعالى بقوله : **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** فليس هذا الأمر مما ينال بالتمني ، ولا بالمال والجاه والسلطان ، وانما ذلك الى الله تعالى وحده ، يصطفي به من يشاء من عباده : **(الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)** الحج/٧٥ .. وقد نازع المشركون النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكون رسولا من الله تعالى اليهم ، وليس هو أكثرهم مالا ، ولا أعظمهم جاها وسلطانا ، فقال الله تعالى عنهم : **(واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا)** الفرقان/٤١ .. وقال سبحانه عنهم أيضا : **(ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به**

حيث يجعل رسالته

للأستاذ
عبد الكريم الخطيب

كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فرد الله عليهم بقوله : **(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)** الزخرف/ ٣٠ ــ ٣٢ .

والزمان المصطفى :

وكما اصطفى الله محمدا بن عبد الله ، اماما للمرسلين ، وخاتما للنبيين ، فانه سبحانه اصطفى زمان بعثته ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ ليكون أنسب الأزمان ، لاستقبال هذه الرسالة المباركة الخاتمة ، ولاخراج ما تحمل من ثمر طيب مبارك ، تغتذي منه القلوب والعقول ، وتحيا به الأرواح والنفوس .. فلا شك أن للزمن آثاره في حياة الناس ، حيث تنضج على أناته معادن الناس ، وتختبر به معادنهم ، فيكون لكل زمن من الناس ما يشبهه .

ومن هنا كانت رسالات الرسل ، قبل البعثة المحمدية ، محسوبة بحساب أقوامهم ، مقدرة بقدر

مبلغهم من النضج الانساني في مسيرة الزمن بالناس .

ومن هنا أيضا أخذت رسالات الأنبياء ابتداء من نوح ، الى موسى وعيسى ، تتدرج صعدا ، في تكاليفها ، وأوامرها ونواهيها ، حيث تأتي الرسالة اللاحقة باضافات جديدة ، لم تأت بها السابقة .

وهكذا حتى جاء دور الرسالة الاسلامية الخاتمة على يد محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين ، فكانت قمة الرسالات السماوية ، وواسطة عقدها .

ان الانسانية لعهد محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت قد جاوزت طور الصبا ، وبلغت أشدها ورشدها ، وهي بهذا جديرة بأن تخاطب من جهة عقلها . لا من جهة حواسها .. وكانت الكلمة المعجزة المتحدية أنسب وسيلة لاقناعها ، واقامة الحجة عليها ، وذلك على خلاف ما كانت عليه الانسانية في مدارج طفولتها وصباها ، حيث كانت المعجزات المادية المحسة التي تشاهد بالعين ، هي التي توائم الناس في هذه الأطوار من حياتهم ، وتقيم الحجة عليهم .

كما نرى ذلك في تعليم الصغار ، وما للمحسات من دور أساسي في نقل المعلومات اليهم . على خلاف الكبار الراشدين الذين يكون معتمدهم على العقل في تحصيل العلوم والمعارف .

رسالات الرسل قبل الاسلام :

وننظر في رسالات الرسل ــ عليهم السلام ــ قبل الرسالة الاسلامية ، فنجد أن المعجزات التي وضعها الله بين يدي رسله لتكون شهادة على صدقهم ، وأنهم مبعوثون من عند الله ــ نجد أن هذه المعجزات كانت أمورا مادية خارجة عن مقدور البشر ، خارقة لناموس الحياة المعهودة لهم ، وبها يقع الاعجاز القاهر . المفحم ، الباعث على الدهش ، والحيرة .

فهذا طوفان نوح ، وريح عاد ، وصاعقة ثمود ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وكلمة عيسى التي كان يبرىء بها الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى باذن الله ، كلها كانت مشهودة لأعين القوم الذين بعث فيهم هؤلاء الرسل ، وكلها خارجة عن حدود القدرة البشرية !!

فسفينة نوح ، معجزة مادية قاهرة ، صنعها بيده ، وشهد قومه صنعها ، وأعلمهم بالغاية التي صنعت من أجلها ، وهي أنها ستكون مركبا للمؤمنين ، ونجاة لهم من الطوفان الذي سيغرق كل من لم يؤمن به من قومه ! وأنه لو لم يجىء هذا الطوفان ، لما كان لسفينة نوح حديث في الناس ، ولا أثر في الحياة . ولكنها حين جاءت ساعة العسرة ، وأقبل الطوفان ، كانت أشبه بعصا موسى ، حين ضرب بها البحر ، فانفلق ، وأقام له طريقا له ولقومه ، طريقا يبسا ، ركبه هو وقومه فنجوا ، وركبه فرعون وجنوده ، فأطبق عليهم ، فكانوا من المغرقين .

ومعجزة هود ــ عليه السلام ــ

كانت ريحا صرصرا عاتية ، أنذر بها قومه ، ان لم يؤمنوا به ، كما يقول تعالى : **(فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا)** فكان جواب هود لهم : **(بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين)** الاحقاف/ ٢٤و٢٥ .

ومعجزة صالح – عليه السلام – كانت ناقة ، لا يظهر وجه المعجزة منها ، حتى تجيء الساعة الموقوتة لها لقد قال صالح لقومه بعد أن تحدوه أن يأتيهم بالوعيد الذي توعدهم به اذا لم يؤمنوا : **(ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب)** هود/ ٦٤ . ان كل ما هو مطلوب منهم أن يدعوا هذه الناقة وشأنها ، تأكل في أرض الله ، وألا يمسوها بسوء ، فان هم عرضوا لها بأذى أخذهم الله بالعذاب .

وازاء هذا التحدي لصالح ، وامعانا ، في تكذيبه ، عقروا الناقة ، ليروا ماذا سيحل بهم . فلما فعلوا بالناقة ما فعلوا ، قال لهم صالح : **(تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب)** هود/ ٦٥ ومع هذا ، فانهم لم يصدقوا هذا الوعيد ، ولم يؤمنوا خلال هذه الأيام الثلاثة ، ولو آمنوا لنجوا من هذا الهلاك الذي أنزله الله تعالى بهم : **(فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها . ولا يخاف عقباها)** الشمس/ ١٤و١٥ .

هذا ، ونلحظ في هذه المعجزات الثلاث – معجزة نوح ، وهود ، وصالح – أنها لم تكشف عن وجهها ، الا حين تطلع طلعتها المباغتة ، لتأتي على القوم الظالمين . انها تجارب في حقل الانسانية الأولى ، غايتها تنقية المجتمع الانساني ، من هذه الأشواك الخبيثة ، التي تنجم بين الحين والحين ، في أماكن وأزمان مختلفة في جسد المجتمع البشري . ولهذا كان من تدبير الحكيم الخبير أن يجتثها من أصولها ، بعد أن يقدم اليها الدواء على أيدي رسله ، فلا تتقبله ، ولا تستجيب له ، فلم يكن بعد هذا الا حسم الداء ، واقتلاعه من جذوره .

وتمضي الأيام والسنون ، ويجيء ابراهيم عليه السلام ، وقد قطعت الانسانية مرحلة طويلة نحو النضج والرشد ، فلا يكون ابراهيم هو الذي يأتي بالمعجزة متحديا ، وانما يصنع قومه بأيديهم مادة المعجزة ، فيوقدون له نارا ، ويؤججون ضرامها ، ثم يلقون بابراهيم فيها ، وهنا تخرج المعجزة من هذه النار التي أوقدوها بأيديهم ، وينظر القوم واذا نارهم هذه قد صارت بردا وسلاما على ابراهيم ، لم يمسسه منها سوء !

ولا تنتهي هذه المعجزة ، بما انتهت به المعجزات السابقة ، حيث كانت تقف على اطلال القوم الظالمين ، دون أن تترك منهم بقية ، كما يقول تعالى : **(فهل ترى لهم من باقية)** الحاقة/ ٨ . فقد ترك القوم وشأنهم .

ثم تجيء دعوة موسى وعيسى عليهم السلام ، وبين يدي كل دعوة منهما الكلمة التي تخاطب العقل ، والمعجزة المادية التي تجابه الحواس ، وذلك حين أشرفت الانسانية على دور المراهقة والتمييز من حياتها ، فكان بين يدي موسى التوراة ، وفيها شريعة الله وما تحمل من أحكام وآداب ، وفي يده عصاه التي يرسلها من يده فتكون حية تسعى ، أو يضرب بها البحر فينشق عن طريق يبس ، أو يضرب بها الحجر ، فيتفجر منه الماء . وكان بين يدي عيسى الانجيل ، وفيه الحكمة والموعظة ، وفي فمه كلماته التي يبرىء بها الأكمه والأبرص ، ويحيي بها الموتى باذن الله .

وانظر أثر الفارق الزمني بين موسى ، وعيسى – عليهما السلام – فتجد أن لهذا الفارق أثره في صورة المعجزات هنا ، وهناك .

فمعجزات موسى المادية ، تنطلق من عصاه ، مادة محسة ، مشهودة للناظرين . ومعجزات عيسى ، في نفخة من فمه ، أو كلمة تنطلق من بين شفتيه . تسمع ولا ترى !

هكذا يقضي منطق الزمن في سير ، وفي تنوع المعجزات التي يضعها الله تعالى بين أيدي رسله .

المعجزة الخالدة :

أما معجزة خاتم النبيين محمد – صلوات الله وسلامه عليه – فقد كانت في كلمات الله التي ضم عليها القرآن الكريم . فلم تكن لرسول الله معجزة محسة يراها الناس ، كما كان ذلك لرسل الله من قبله .

وكلمات الله في القرآن الكريم ، انما تخاطب العقل وحده ، فمن رشد ، ووعى ، وتدبر كلمات الله ، آمن بالله ، وصدق رسوله . ومن لم يؤمن ، لم يأخذه الله تعالى بالهلاك العاجل في الدنيا ، بل تركه يعيد النظر فيما يقرأ أو يسمع من كلمات الله ، الى آخر يوم من أيام حياته .

والحق أن المعجزة القرآنية ، تختلف اختلافا واضحا عن جميع ما سبقها من معجزات الأنبياء ، من حيث هي في شكلها ومضمونها ، ثم من حيث الصلة التي بينها وبين الرسول الذي جاء بها ، والصلة التي بينها وبين القوم الذين تعرض عليهم .

فأولا : المعجزات المادية المحسة التي جاء بها الرسل – قبل محمد صلوات الله عليه وسلامه – لا تعيش في الحياة ولا تصحب الناس الا لحظات عابرة ، ثم تختفي الى آخر الدهر .

وثانيا : ان هذه المعجزات المادية المحسة ، ليست حجة الا على الذين شهدوها ، ورأوا آثارها رأى العين . أما من لم يشهدها ، فلا حجة فيها عليه ، وما صدق أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، بسفينة نوح ، وريح عاد ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وكلمات عيسى ، الا لأن القرآن الكريم قد ذكرها ، وذكر آثارها .

وثالثا : أن تلك المعجزات المادية المحسة ، كان أغلبها تحت سلطان

الرسول ، يظهرها حيث يشاء ، بمعنى أنها لا يمكن أن تكون أو تقع ، الا اذا كان الرسول هو الذي يجليها ويكشف عن وجهها ، فاذا ذهب الرسول ، ذهبت المعجزة معه ..

وهذا خلاف المعجزة القرآنية ، المتحدية للناس جميعا ، في كل زمان ومكان ، الى يوم النفخ في الصور .. ان المعجزة القرآنية ذات وجود ذاتي ، مستقل عن الرسول المبلغ لهذا القرآن الذي نزله الله تعالى عليه ، فهي تواجه الناس باعجازها المتحدي ، بدون أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ، مكان في هذا التحدي .

فحيث كان في الناس من يفهم العربية ، ويتعرف على مواطن البلاغة والروعة في الكلام ، فانه يستطيع أن يستدعي اليه المعجزة ، أو المعجزات التي تنطوي عليها كلمات الله ، وأن يشهدها حاضرة عتيدة في مجلى بصيرته ، كلما تلا آيات من كتاب الله أو استمع اليها .. وقد عرف مشركو العرب هذا الاعجاز للقرآن الكريم ، فآمن به من آمن ، وكفر من كفر عنادا واستكبارا ، كما يقول تعالى عن هؤلاء المكابرين المعاندين من مشركي العرب : (**قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الأنعام/٣٣ وكما يقول سبحانه : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**)النمل/١٤ .

ثم انه إذا لم يكن هناك من لا يفهم العربية ، ولا يحسن تذوق بلاغتها ـ وهم كثير ـ فان ما جاء به القرآن الكريم من دعوة الى توحيد الله ، ومن عبادات ومعاملات ، ومن أحكام الأسرة ، ومن القصاص من أهل البغي والعدوان ـ اذا ترجم الى أية لغة ، فانه يرسم للحياة الانسانية دستورا خالدا معجزا ، اذا استقام عليه مجتمع من المجتمعات ، بلغ من العزة والسعادة ، والأمن والاستقرار ، ما يقيمه على هامة أرقى المجتمعات التي لا تقيم وجودها على هذا الدستور الالهي الذي : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/٤٢ .

وإذن فالزمن الذي اختاره الله تعالى لمطلع الرسالة الاسلامية الخاتمة لرسالات السماء ، هو أنسب الأزمان لالتقاء هذه الرسالة بالعقل الانساني ، الذي كان في ذلك الوقت قد بلغ درجة من الوعي لم تبلغها البشرية من قبل .

ولا يستهولنك في هذا المقام ، ما يقال عن حكماء اليونان والرومان وفلاسفتهم ، وما يقال عن فراعنة مصر ، وبابل وأشور ، وما بلغوا من علم ومعرفة ، فان ذلك لم يكن الا ومضات تلمع ثم لا تلبث أن تختفي ، ويخيم عليها الظلام !!

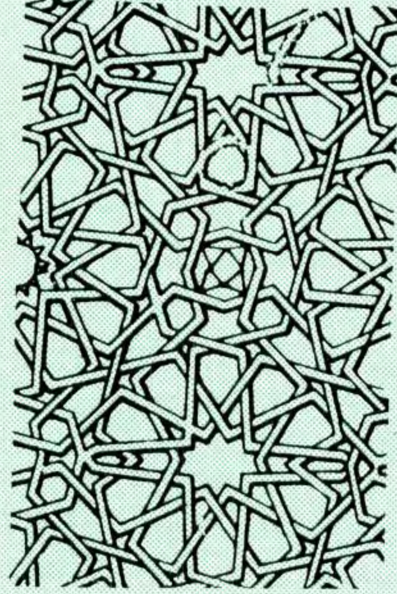
أما الرسالة الاسلامية فهي خالدة باقية لأنها رسالة الله إلى خلقه وقد تكفل جل شأنه بحفظها .

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

رد على تعليق

++++++++++

الاسلام



عرض الاستاذ عبدالسميع المصري في العدد ١٩٩ من مجلة الوعي الاسلامي كتابي « الاسلام والسياسة » فأحسن العرض ولولا هنات لفظية ما اخذت عليه شيئا في ادب الحوار ، ولعل أول ما آخذه عليه كلمة التخبط فان ادب الحوار العلمي لا يعرف مثل تلك الكلمات القاسية ، وان كنت ألتمس له العذر بعد أن غامت المعاني لديه فلم يع معنى الدولة في المصطلح العلمي الذي عرفه فقهاء السياسة والعلوم السياسية وما تعنيه الدولة الدينية أو « الثيلوجية » أو « البيثوقراطية » في هذا المصطلح ، وقد غاب عنه أن الدولة ظاهرة لاحقة على قيام المجتمع وليست سابقة عليه فاذا قامت فانها تقوم على غرار هذا المجتمع ومثالا له ، فاذا كان المجتمع إسلاميا كانت الدولة إسلامية ، وفرق بين أن نقول دولة إسلامية أو أن نقول دولة دينية ، مما يفسر عبارة الاسلام : « دين ودولة » .

وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بناء العقيدة ، وظل يدعو لها ثلاثة عشر عاما بمكة ، فلما قامت الجماعة الاسلامية بالمدينة كان عليه أن يسوس امورها ، وحفلت السور المدنية بكل ما يقوم عليه المجتمع الاسلامي من شرائع تحكم سلوكه ومعاملاته وعلاقات أفراده بعضهم ببعض ، وكان يترك لهم من أمورهم ما هم أدرى به فيقول : « انتم أعلم بشؤون دنياكم » وقد نزل على رأي « الحباب بن المنذر » في موقعة بدر معلنا إلى صحبه أنه بشر مثلهم ، وان

والسياسة

للدكتور/حسين فوزي النجار

الرأي شورى بينهم وهو غير ما يدين به الحاكم في الدولة الدينية أو « الدولة الثيوقراطية » حيث لا يبرم أمرا إلا وحيا من الله ، وحيث لا تعلو إرادة فوق إرادته ، كما كانت البابوية في حكمها للأمبراطورية الرومانية ، وكما كان من أمر البابا حين يمنح صكوك الغفران ويصدر قرارات الحرمان ضد مخالفيه .

وقبل أن أعرض لتلك المصطلحات الحديثة التي اتسم بها العلم الحديث ، سواء في ميدان السياسة أم الاجتماع أم الاقتصاد ، مما نجد بذوره في تعاليم الاسلام جليةواضحة بينة ، لولا أننا غفلنا عنها فلم نتبين ما بين الاسلام والعلم الحديث من وشائج تزيدنا إيمانا ويقينا بديننا العظيم .

قبل أن أعرض لذلك أحب أن أسأل الاستاذ عبدالسميع المصري ومن يجري جريه ، أيهما أوسع مدى وأبعد نطاقا : الدنيا أو الدولة ؟

فالدولة نظام قانوني تنشأ بنشأة الجماعة المنظمة ، وهي الجماعة التي يدرك فيها الفرد ذاته في غيره ، أي أنه يدرك مسؤوليته قبل الجماعة التي يعيش فيها وواجبه نحوها . وهو ما نراه فيما حدده الاسلام لقواعد المسؤولية والواجب ، كما فصلتها في كتابي . وبقيام هذه الجماعة المنظمة التي يدرك الفرد فيها ذاته في غيره ، تقوم الجماعة السياسية وتبدو حاجة هذه الجماعة السياسية إلى من يدير أمورها فتنشأ السلطة ، وتلتزم السلطة فيها بارادة

المجموع ، وهي إرادة تعلو على كل إرادة سواها ، وهي مصدر السيادة التي تحكم السلطة .

أما الدنيا فهي الحياة بأوسع ما تقوم عليه وما تحتويه ، بل إنها تتسع فتشمل الانسانية جمعاء ، وهي الناس جميعا بكل ألوانهم وأجناسهم ، وهي في دنيا الاسلام هذا العالم الاسلامي الواسع ما كان منه خاضعا للدولة الاسلامية أيام كانت هناك دولة اسلامية فسيحة ، وما كان منه بعيدا عنها ، ودنيا الاسلام في يومنا هذا هي دنيا المسلمين في أي منتجع يقيمون : في الفيلبين وفي الهند وفي امريكا ، حيث يحيون ويقيمون شريعتهم ويمارسون قواعد دينهم من عبادات ومعاملات وعلاقات في دول على غير دينهم .

فاذا قلنا الاسلام دين ودنيا ، فانما نعني شريعة تقيم للدنيا نظاما تتكامل فيه الحياة على أكمل ما تكون الحياة ، فاذا اكتمل للجماعة الاسلامية في أي منتجع قوامها السياسي ، بمعنى أنها هي الجماعة التي تسود ارضها ولها السلطان عليها أقامت الدولة ، ومادامت الدولة تقوم مثالا للمجتمع وعلى غراره فانها دولة اسلامية تقيم شريعة الاسلام وتحكم على أصولها .

ولعل ما يذهب إليه الذين يقولون بأن الاسلام « دين ودولة » لا يخرج عن هذا ولا يشذ عنه إذا ما كانت الدولة تعني الدنيا وتعني الحياة التي يعيشها الناس . ولعل هذا هو ما يذهب إليه القائلون بذلك ، والا اختلف المعنى واختلف المضمون .

فاذا قلنا الاسلام « دين ودولة » فان المعنى يندرج إلى غير ما يذهب إليه المسلمون بهذا التعبير ، وهو ما يغيم على غير المسلمين فيذهب الرأي بهم إلى أن المسلمين يدعون إلى قيام دولة ثيوقراطية ، وهي الدولة التي تعلو فيها إرادة الحاكم على كل إرادة سواها لأنه يستمد سلطانه من الله مباشرة وهو ما يتنزه عنه الاسلام .

ولعل الاستاذ عبدالسميع المصري في غيرته التي لمستها في تعليقه ، يدرك دعوى العلمانية التي يثيرها الشيوعيون في بلادنا وما يكنونه في ضمائرهم من خبث حين يصورون عبارة « الاسلام دين ودولة » بأن المسلمين يدعون إلى إقامة دولة دينية أو « ثيوقراطية » وهم يعرفون تماما أن الاسلام لم يعرف الدولة الثيوقراطية ، فما كان الحاكم في الاسلام خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا إلا حاميا للشريعة مقيما لقواعد الدين ، وليس له حق تأويله أو تفسيره ، فهذا موكول إلى اجتهاد الفقهاء وفي اجتهادهم يلتزمون بقواعد لا يحيدون عنها ، هي كما نعرف جميعا القرآن والسنة والقياس والمصالح المرسلة ، وليس منهم ولا من الحكام من يتلقى الوحي من الله أو يحكم بامرته فقد انقطع الوحي بختام الرسالات وبانتقال محمد « صلى الله عليه وسلم » إلى الرفيق الأعلى .

وإذا كانت أوروبا قد عرفت الدولة الثيوقراطية تحت سلطان البابوية فان

المسلمين لم يعرفوا تلك الدولة ولم تمر بهم في تاريخهم ، وإذا كانت الحركة العلمانية قد عرفها الفكر الأوروبي : حين فصل بين الدين والعلم ، وحين أنكر سلطان البابوية ورجال الأكليروس ، فان الاسلام لم يعرف هذا الفصل بين الدين والعلم ، ولم يقف الاسلام في يوم ما أمام حرية الفكر ولم ينكر العلم ، فأكثر الناس خشية لله هم العلماء ، ذلك إنهم يدركون من أسراره وسنته ما يزيدهم إيمانا على إيمان ، ولم يعرف الاسلام حاكما يدعى لنفسه سلطة إلهية .

فاذا كان الشيوعيون يتخذون من عبارة « الاسلام دين ودولة » وسيلة للتهجم على الاسلام ، وأن الدولة فيه تقوم على أساس « ثيلوجي » ينكر العلم ويقف دونه ، فلأنهم يبغون هدم الاسلام والنيل منه ، فينادون بالعلمانية مادام الاسلام كالمسيحية ينكر العلم وهو حقيقة مقررة .

ويؤسفني أن أقول ان « العلمانية » لفظ أبهم معناه الخفي على كثير من المسلمين حتى أنكروه على غير دليل أو منطق ، والدليل بين والمنطق سليم ، فان الاسلام لم يفصل أبدا بين الدين والعلم ، وعاش العلم في رحاب الاسلام مزدهرا حتى عدت العوادي على المسلمين فتخلفوا وجهلوا حقائق دينهم ، وإنه قد شمل الدنيا جميعا ما يدخل في خصائص الدولة وما هو بعيد عنها لا دخل لها فيه ، مما تحكمه قيم الدين وأخلاقياته .

ولعل أكثر ما كان يعني الشيوعيين في مصر يوم كان سلطانهم عليها غالبا خلال الستينات ، أنهم كانوا يرمون إلى حذف كلمة إسلامية من وصف الدولة المصرية .

كان هذا هو السبب في أن أتصدى لهم بكتابي « الاسلام والسياسة » يدور في فحواه على أن الاسلام لا يعرف الدولة الدينية ، وإنه إذا لم يأت بشكل معين للدولة فانه قد وضع المبادىء العامة التي يقوم عليها دستور مقنن لحكم إسلامي ، والخلافة في الاسلام ليست غير شكل من أشكال الحكم ، يقوم على المبادىء التي قررها الاسلام ، وأولها مبدأ الشورى وهو المقابل للديمقراطية الحديثة ، فاذا التوت الخلافة عن هذه القاعدة فقد فقدت القاعدة التي قررها الاسلام للحكم ، واي حكم يقوم على الشورى والأخذ بشريعة الاسلام جمهوريا أو ملكيا أو أي شكل آخر فهو حكم اسلامي ، وإذا كانت الخلاقة إطارا لوحدة العالم الاسلامي ففي أنظمة الدول الحديثة ما يحقق هذه الوحدة تحت أي اسم ، فالجوهر هو الذي يعنينا وليس الشكل . ولم تكن الخلاقة مما نصت عليه الشريعة وليست أصلا من أصول الاسلام .

وارجو ألا يضنى الاستاذ المصري بما سماه « التكرار والاطالة إلى حد الاملال لتأييد رأي ــ كما ذكرنا ــ المؤلف نفسه في شك من صحته » .

هدانا الله جميعا إلى طريق السداد إلا أن أقول كلمة الاسلام في دنيانا هذه الواسعة .

التطبيع الاجتماعي الإسلامي

للدكتور زيدان عبد الباقي

يولد الطفل وعقله عبارة عن صفحة بيضاء ، ويتولى المجتمع من خلال الأسرة تطبيع هذا الطفل اجتماعيا بنقش القيم الاجتماعية والمباديء والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد وما الى ذلك من محددات السلوك على عقله ، فيتحول من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي يدرك حقوقه ويتمسك بها ، كما يدرك واجباته ويقوم بها .

وفي هذا يقول الامام الغزالي « الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه » وقول الغزالي هذا يتفق مع أحدث نظريات علم التربية ، ذلك أن الطفل البشري يولد وهو في حالة من العجز الشديد بحيث اذا ترك وشأنه هلك . ومن أجل ذلك كانت رحمة الله بالأطفال ماثلة في عاطفة الأمومة وعاطفة الأبوة ، حيث يتولى الأبوان رعاية أطفالهما الى حد تفضيلهما على نفسيهما . ففي فترة الطفولة المبكرة يتعرض الوليد من أمه لعدد كبير من خبرات البذل والعطاء ولعدد كبير من خبرات الحرمات . واذا كانت خبرات البذل والعطاء مثل الارضاع وتغيير الملابس المبتلة ومختلف أنواع الرعاية الأخرى ضرورية لحياة الطفل ، فان خبرات الحرمان أكثر ضرورة لحياته الاجتماعية ، حيث تغيب الأم عن طفلها اما لانجاز بعض الأعمال المنزلية أو للخروج للعمل أو للتزاور ، وبالتالي - لا سيما وأن الطفل لا يمارس في الشهور الأولى من عمره وظيفتي التذكر والتوقع - فانه يتصور أنه فقد - بغياب أمه - حياته كلها ، حيث ينخرط في البكاء الشديد بكل كيانه .

وتساعد خصائص الطفل ومن أهمها خاصيتا « المطاوعة » و « الاندماج » في ظل ظروف حالتي البذل والحرمان علي تنمية وسائل

التعبير والطلب لدى الطفل ، بمعنى أن خاصية المطاوعة تسمح له بتشكيل سلوكه بأشكال متنوعة تتناسب مع أشكال السلوك السائدة في المجتمع ، فالعجز الشديد لدى هذا الوليد يحتم عليه قبول كل ما يلقي اليه من الكبار من مساعدات وتوجيهات تربوية والا هلك .. وتبدو خاصية المطاوعة واضحة في علاقة سيدنا اسماعيل عليه السلام جد العرب بأبيه الخليل ابراهيم عليه السلام من خلال قوله تعالى : (**فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين**) الصافات /١٠٢ ومن ناحية اخرى فان هذا العجز الشديد يعرضه في طفولته المبكرة لخبرات الحرمان التى لا يستطيع التغلب عليها بنفسه ، ومن ثم تبدأ في الشعور بحدود شخصيته ، بأنه كائن له حدوده . ومن هنا توضع البذرة الأولى لاستقلال شخصيته واحساسه بفرديته . وبذلك تساعد خبرات البذل والحرمان التى تقدمها الأم لوليدها على وضع الأساس النفسي والاجتماعي لشخصية الطفل التى ستتبلور فيما بعد .

الطابع الفردي والاجتماعي للوليد :

وهكذا فانه عن طريق خبرات البذل والحرمان التى توفرها الأم لوليدها تتجه به من التمركز حول الذات وتلك مرحلة يمر بها الطفل في نموه وارتقائه النفسي . ومن مميزاتها أن الطفل يكون عاجزا تماما عن أن يرى وجهة نظر الآخرين في أي مشكلة هو بصددها ، ولكنه مدرك فقط لوجهة نظره هو . ومن مظاهر التمركز حول الذات ايضا الأنانية الشديدة عند الأطفال في هذه المرحلة ، فاذا كان الطفل يحب شيئا فهو يريد أن يحصل عليه بأي شكل ، بصرف النظر عن فائدتها أو عدم فائدتها بالنسبة له ، وبصرف النظر عن مقدرة الأبوين على شرائها أو عدم المقدرة .. فالطفل هنا متمركز في قدراته المختلفة ، وفيما ينبع من ذاته ولم ينطبع بعد في البيئة المحيطة به .. نقول تتجه خبرات الحرمان من التمركز حول الذات الى الشخصية ذات الطابع الاجتماعي المطلوب للمجتمع ، حيث تتولى الأم تدريبه على مقاطع الكلمات ثم على الكلمات والعبارات ، ثم تشرع في تلقينه مبادىء دينه ومختلف سننه الاجتماعية مثل العادات والأعراف والتقاليد وسائر القيم والمبادىء القويمة .. الخ . وهذا يؤكد الأساس العلمي لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البيهقي والطبراني ، واذا كان الحديث النبوي يجمع بين دور الأب والأم في تهويد أو تنصير أو تمجيس الوليد ، فان الدور البارز في هذا للأم أكثر من الأب ، فهي التى تهدهده وتمسح عنه بيدها الحانية .

غير أن دور الأب يتفوق على دور

الأم في تربية الأبناء بعد السنوات الثلاث الأولى من عمر كل منهم ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » الترمذي والحاكم ، وقال أيضا « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي ، ذلك ان الأبناء - بنين وبنات - هم ثمرة القلوب وأفلاذ الأكباد ، وأمانة جليلة في أعناق الآباء ، تتمثل في حسن الرعاية ودقة التربية واستقامة التنشئة الاجتماعية . ومن ثم فان الاسلام يلزم الآباء بتوفير التربية السليمة للأبناء بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) التحريم/ ٦ ، والولد من الأهل ، والوقاية من النار تكون بالهداية الى مواطن الخير والابعاد عن مزالق الشر ، وانما يتحقق ذلك بحسن التربية .

ومن الواجب على الوالد أن يحرص اولا وقبل كل شيء على غرس بذور الأخلاق الفاضلة في نفس الولد أو البنت وتعويدهما العادات الكريمة والأعراف القويمة والتقاليد المألوفة وتجنيبهما الترف والنعيم ، وابعادهما عن قرناء السوء . وفي هذا يقول الغزالي عن تربية الوالد لولده وصيانته « بأن يؤدبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره » .

ومن خبرات البذل والحرمان التى يقدمها الوالد والوالدة معا اشعار الأبناء بتمييز بعضهم على بعض مما يربي الغرور في نفس من يقدمانه على غيره ، ويربي الغيظ والحقد في نفس من يحرمانه أو يؤخرانه . فقد حاول بعض المسلمين أن يشهد الرسول الكريم على أنه اختص أحد أبنائه بشيء فرفض الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقال « أشهد غيري ، فاني لا أشهد على جور » متفق عليه ، ونصحه النبي بأن يسوى بينهم حتى يكونوا متساوين في برهم له . بقوله « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » متفق عليه .

المعلم الأول للوليد :

واذا كان علم النفس التربوي وعلم الاجتماع التربوي يؤكدان أن الأم تتولى محادثة وليدها منذ لحظة ميلاده ، وان كان الحديث من طرف واحد ، فان عاطفة الأمومة تجعل في مقدور الأم - وحدها - أن تترجم تقلصات كل جارحة من جوارح وليدها ، ثم تستجيب لتلك التقلصات بتوفير ما عبرت عنه من احتياجات لهذا الوليد .. وهذا الفهم لدى الأم يعتمد على عملية مماثلة بين الأم ووليدها ، بمعنى أنه اذا كان الطفل عمره كذا ساعة أو يوم أو شهر ويصرخ ويتلوى بشكل معين ، مع أنه في حالة شبع فلابد أن يكون عنده مغص مثلا . والمقارنة بين الأم والوليد تعتمد على عملية الاسقاط Projection وتلك العملية تشبه ماكينة السينما التى تلقي شعاعا

منعكسا على الشاشة الموجودة في الاتجاه المقابل فتظهر الصورة . ولذلك فالأم تعرف أنها تتلوى وتتقلب في حالة المغص ، وما دام الطفل يتلوى ويتقلب فقد يكون عنده مغص ، أي أن الأم تسقط على الطفل بعض حالاتها النفسية ، مع أن حالتها هذه قد تكون غير موجودة تماما لدى الطفل .. وخاصية المطاوعة لدى الوليد تساعده على اكتساب كل خبرة تقدمها الأم ، بمعن أنه يبدأ في التعليم منذ لحظة ميلاده . وهذا ما عبر عنه حديث الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله « طلب العلم فريضة على كل مسلم » البيهقي ، ولذلك فان الأب والأم مطالبان بواسطة علماء الاجتماع التربوي بانتهاز فرصة الطفولة المبكرة عند الأبناء لكي يغرسا في نفوس أبنائهم المباديء الطيبة والأخلاق الكريمة وتزويدهم بالمعلومات النافعة .

ومن المعروف أن الطفل يغلب عليه الحياء في أول أمره . واذا زاد هذا الحياء عن حده انقلب الى ضده ، أي يصير ضعفا . وبالتالي فانه من الميسور استغلال هذا الحياء عند الطفل واستثماره تربويا بصورة تجعل منه شخصية متميزة بالاتزان الانفعالي . وفي هذا يقول الامام الغزالي « فانه اذا كان - أى الطفل - يحتشم ويستحيى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض ، فصار يستحي من شيء دون شيء . وهذه هداية من الله تعالى ، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحى لا ينبغي أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه » وهكذا نجد للأم دورا في تربية الأبناء يتقدم على مختلف أدوار بقية أفراد الأسرة ، وان كان دور الأب قد يتفوق على دورها في المراحل التالية من عمر الأبناء .

المنهاج الدراسي الاسلامي :

يتكامل المنهاج الدراسي الاسلامي بحيث يشمل كل خصائص مناهج التربية الحديثة ، وبحيث يتناول كل ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية الكاملة ، ويقضي المنهاج الدراسي الاسلامي الذي ينقسم الى جانبين أحدهما دراسي والآخر تربوي بما يلي :

أولا : الجانب الدراسي :

يتكون الجانب الدراسي من المنهاج الدراسي الاسلامي من خمس مراحل هي :

١ - في مرحلة الحضانة ورياض الأطفال :

ففي هذه المرحلة نرى المربين المسلمين الأوائل أمثال ابن سينا الذي يشير بأن يبدأ البرنامج اليومي لأطفال الحضانة ورياض الأطفال بالاستحمام ، ثم باللعب الحر حينا من الزمن ، ثم تناول وجبة خفيفة من الطعام ، ثم اللعب المنظم تحت اشراف المدربين الرياضيين والاخصائيين الاجتماعيين ، ثم تناول الغذاء .. الخ وهذه المرحلة في التعليم

الاسلامي تبدأ منذ عهد الرضاع ، حيث يطالب الاسلام المسلمين باختيار المرضعة الصالحة والمربية الصالحة .. ويشترط الامام الغزالي في المرضعة أن تكون متدينة وتأكل من حلال حتى تؤثر في الوليد تأثيرا صالحا ، لأن هذا في نظره يتفق مع قول الرسول عليه الصلاة والسلام « كل جسد نبت من حرام ، فالنار أولى به » الطبراني وابو نعيم .

وهذه المرحلة في التعليم الاسلامي تبدأ منذ لحظة ميلاد الطفل تطبيقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام بأن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » البيهقي وكذلك فان الأب والأم مطالبان بواسطة علماء الاجتماع التربوي بانتهاز فرصة الطفولة عند الأبناء لكي يغرسا في أبنائهما المبادىء الطيبة ، والاخلاق الكريمة والمعلومات القويمة .

٢ - في المرحلة الابتدائية :

والتى فيها ينبغي أن يقوم المعلم او المؤدب بالاشراف على تربية الطفل ، مع التدرج في الزامه بالكتاب وبالعلم ، من التقليل من فترات اللعب بالتدريج ، مع زيادة فترات الدراسة . وهذه المرحلة من أهم المراحل الدراسية في حياة الأطفال التعليمية ، على اعتبار أن مزايا التعليم فيها كما أشار اليها خبراء التعليم الاسلامي متعددة مثل قولهم :

- من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

- وقولهم أيضا : التعلم في الصغر كالنقش على الحجر .

- وكذلك قولهم أطيع الطين ما كان رطبا ، وأعصر العود ما كان لدنا .

كما يطالب حجة الاسلام الغزالي بالزام الطفل بالقيام بالفروض الدينية اذا بلغ سن التمييز والتكليف والرسول يقول مثلا في شأن الصلاة بالنسبة للبنين والبنات « مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر » احمد وابو داود والحاكم ، والقدوة العملية في مجال التربية انفع درسا وأقوى تأثيرا .

٣ - في المرحلة الاعدادية :

وهي مرحلة اكتشاف القدرات والاستعدادات العلمية والمهنية لدى الأطفال . ولذلك فمن الضروري استخدام أساليب التوجيه التربوي في توجيه كل منهم الى ما يتفق مع قدراته واستعداداته من جانب ومع حاجات المجتمع وامكاناته من جانب آخر . وفي هذا يقول أبو يحيى الأنصاري « ان كل صبي يجب عليه أن يعرف طرفا من العلوم الضرورية في الحياة - أي المعارف العامة - ثم يتجه بعد ذلك الى العلم - أي العلم الذي يتفق مع قدراته العقلية العليا - أو المهنة التى يهواها طبقا لاستعداداته المهنية ، اذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم ، فاذا اتجه الى العلم فليقصد العلم الذي يقبله طبعه - أي ميوله - فما كل ما يصلح لتعلم العلوم ، يصلح لجميعها » .

هذا ومن الضروري ألا تنتهي هذه المرحلة الا بانتهاء عملية التوجيه

التربوي حتى يعرف كل تلميذ خطه المهني أو العلمي . وقد ذهب الأصفهاني الى هذا الرأي - كما يرى ابن سينا - من « أنه ليست كل صناعة (مهنة) يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه وناسبه » ولقد روى أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر ، فصعب ذلك عليه ، فقال له الخليل يوما .. « من أي بحر قول الشاعر :

اذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه الى ما تستطيع ؟

ولما عجز يونس بن حبيب عن الاجابة طالبه الخليل بن احمد بتنفيذ الشطرة الثانية من قول الشاعر محل السؤال .

وكان الامام البخاري يحاول في أول أمره تعلم الفقه والتبحر فيه ، فقال له محمد بن الحسن : « اذهب واشتغل بعلم الحديث » عندما رآه مناسبا لقدراته وأليق به وأقرب اليه . وقد اطاع البخاري ومن ثم صار على رأس أهل الحديث ، بل وامامهم .

٤ - في المرحلة الثانوية :

وهي طبقا لرأي أبي يحيى الانصاري تنقسم الى نوعين :

أ - الثانوي الفني بمختلف انواعه الزراعية والتجارية والصناعية ، وهو التعليم الذي يؤهل الدارسين للمهن الضرورية للمجتمع .

ب - الثانوي العام بمختلف اتجاهاته الأدبية والعلمية والرياضية ، وهو التعليم الذي يؤهل الدارسين للمرحلة الجامعية وما بعدها .

وهذه المرحلة ينبغي أن تنتهي قبل بلوغ الدارسين سن العشرين من اعمارهم حتى يتشبعوا بالمهارات المهنية المطلوبة لمهنة كل منهم من جانب ، او أن يتشبعوا بالأسس العلمية الأدبية أو العلمية أو الرياضية من جانب آخر . وفي هذا يقول علماء التربية الاسلامية « بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال ، وانه وان كان الكبير أوقد عقلا ، فانه أشغل قلبا » ويقول الشاعر في هذا أيضا :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا

فمطلبها كهلا عليه شديد

وفي هذه المرحلة ينتهي تعليم ٧٥٪ من أبناء الشعب ، ويملك ٢٥٪ منهم القدرات التى تمكنهم من مواصلة التعليم في المرحلة التالية وما بعدها .

٥ - المرحلة الجامعية :

وهي المرحلة التى يتاح فيها تخريج الاخصائيين في مختلف التخصصات بحيث تغطي أعدادهم حاجات المجتمع من المتخصصين ذوى المستويات الدقيقة .

تلك هي أجزاء الجانب الدراسي في المنهاج الدراسي الاسلامي ، وهو الجانب الذي يقدم داخل الفصول ، اما الجانب التربوي الذي يقدم داخل الفصول وخارجها فهو كما يلي :

الجانب التربوي :

وهذا الجانب يتكون من خمس مراحل هي :

١ - التربية الاجتماعية الاسلامية :

وهذا النوع من التربية تضع الأم الأساس الأول له ، ثم يستكمله مع الأم ، الأب والمعلم والقريب والجار والصديق والزميل . وعلى الكبار داخل الأسرة أن يعودوا صغيرهم على آداب المائدة لضرورتها بالنسبة له . وفي هذا يقول حجة الاسلام الغزالي « وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام ، فينبغي أن يؤدب فيه ، مثل : ألا يأخذ الطعام الا بيمينه ، وأن يقول عليه : بسم الله عند أخذه ، وأن يأكل مما يليه ، وألا يبادر الى الطعام قبل غيره ، وألا يحدق النظر اليه ، ولا الى من يأكل ، وأن يجيد المضغ ، وأن لا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ يديه أو ثوبه ، وأن يعود الخبز القفار في بعض الأوقات ، حتى لا يصير بحيث يرى الأدم دائما وحتما ، ويقبح عنده كثرة الأكل ، بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم ، وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل ، وأن يحبب اليه الايثار بالطعام ، وقلة المبالاة به ، والقناعة بالطعام الخشن ، أي طعام كان »

وكل تلك الأمور ينبغي أن يلتفت اليها الوالدان في تربية الأبناء وتعليمهم آداب المائدة وأساليب تناول الطعام وكيفية الجلوس على المائدة ، حتى لا يضيق بهم من يشاركونهم الطعام والجلوس على المائدة . وبجوار ذلك يقول الغزالي أيضا « وينبغي ان يعود .. الا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده ، فان ذلك دليل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، وانه فعل أبناء اللئام » وأن يعود أيضا الاحسان الى الغير ، على أن يكون ذلك بمقدار حتى لا يخرج به الى رذيلة التفاخر على الغير ، وفي ذلك يقول حجة الاسلام الغزالي « ويمنع من أن يفتخر على أترابه بشيء مما يملكه والداه ، أو بشيء من مطامعه وملابسه ، أو لوحه وأدواته ، بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم » .. واذا عجز الوالدان عن ذلك ، أو اذا كان الطفل قد فقد أحدهما أو كليهما ، فعلى المدرس والمربي والأخصائي الاجتماعي أن يبصر الطفل ويعلمه آداب المائدة باعتبارها من أهم العادات الاجتماعية .

واذا كان من الخير في مجال التربية الاجتماعية ان نعود الطفل الشعور بمشاعر الآخرين والتجاوب معهم في عواطفهم ومشاركتهم وجدانيا فيما يمر بهم ، فانه من الخير في مجال الصحة النفسية أن نجنب الطفل حد العواطف المثيرة حتى لا تستبد به وتضله عن الطريق السوي .. ولذلك نجد الفيلسوف الاسلامي الذائع الصيت ابن سينا يقول في كتابه « القانون » انه « يجب علينا أن نجنب الطفل الغضب الشديد والخوف الشديد والحزن والسهر ، وأن نقدم اليه ما يحتاجه ليعتدل مزاجه ، فتعتدل أخلاقه ، لأن الأخلاق الحسنة تابعة لصفاء المزاج » .

وهكذا نجد التربية الاجتماعية الاسلامية تتناول التربية بجانبيها الاجتماعي والنفسي وكذلك الصحية النفسية ، وتلك هي الصورة التكاملية للتربية .

٢ ـ التربية الصحية :

وعلى الوالدين أيضا تجنيب أطفالهما العادات المرذولة التى قد تؤثر على صحتهم وعلى الصحة العامة . وفي هذا يقول حجة الاسلام الغزالي « وينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره .. الخ » ومعنى ذلك أن الامام الغزالي يطالب الجميع بتعليم الأطفال عادة البصق والتمخط والعطس في المنديل وليس على الأرض في الشارع أو المنزل أو في الفصل الدراسي أو في مكان العمل .. وكذلك اذا تثاءب فانه ينبغي أن يضع كفه مقلوبا على فمه حتى لا يرى الناس فمه مفتوحا وبه آثار التدخين وآثار تناول القهوة والشاي بصورة قد تكون مقززة .. وأيضا ألا يسير وراء الآخرين أو يلتصق بظهورهم أينما جلسوا وحيثما ساروا .. الخ .

٣ ـ التربية الرياضية :

والتربية الرياضية او البدنية لها أهميتها في مجال منهاج التربية الاسلامية المتكامل ، على اعتبار أن العقل السليم في الجسم السليم . وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان لبدنك عليك حقا » وكذلك يقول الامام الغزالي « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » ومن الألعاب الأساسية لعبة « الرمي » وهي لعبة تؤدي الى زيادة القوة البدنية تأكيدا للحديث الذي يقول « ألا ان القوة الرمي » مسلم .

ويحدد الامام الغزالي مواعيد ممارسة الأنشطة الرياضية بقوله « وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف عن الكتاب ـ أي للطفل فيما بين الحصص الدراسية او فيما بين المواعيد المحددة للاستذكار في المنزل ـ أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا » واللعب الجميل الذي يشير اليه الغزالي هنا ليس هو لعب الكرة في الشارع او بقية مختلف الألعاب التى تمارس في الشارع داخل الأحياء السكنية أيا كان نوعها ، وانما اللعب الجميل هو اللعب المنظم داخل ملاعب المدارس والمعاهد والكليات الجامعية والأندية الرياضية تحت اشراف المتخرجين في مختلف أقسام المعاهد العالية للتربية الرياضية .

وهذا اللعب من وجهة نظر الغزالي ضرورة علمية وعقلية واجتماعية ونفسية تجدد ذهن الطفل أو الغلام أو الشاب الصغير حتى يعود الى دراسته أو عمله وهو أكثر اشتياقا اليه وقواه متجددة حتى لا يسأمه ويفر منه وممن يفرضونه عليه بمختلف الحيل النفسية المعروفة .

٤ ـ التربية القومية :

تقوم التربية القومية الاسلامية

على أساس تعريف الدارسين حقوقهم وواجباتهم من خلال القيم الاجتماعية المستمدة من الدين والأخلاق ، وكذلك تعريفهم بوطنهم من خلال الوثائق القـوميـة التى تنظم العـلاقـات والمعاملات في المجتمع مثل الدستور ..

وليس على أساس الاشادة الى حد التأليه ببعض الملوك أو الرؤساء أو الأمراء في المجتمع . ذلك أن التربية القومية الاسلامية تقضي بأن يغرس في نفس الطفل منذ أول الطريق معنى العزة وعدم الرضا باذلال الناس . وفي هذا يقول الامام الغزالي « ويمنع أن يأخذ من الصبيان شيئا بذلة ، ان كان من المحتشمين ، بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة ، وان كان من أولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والأخذ مهانة ومذلة ، وأن ذلك من دأب الكلب ، فانه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها » تلك هي التربية الاسلامية التى تعتمد على المشاركات الـوجدانيـة والاجتماعية والنفسية والاقتصادية التى تستنـد الى الآيـة القـرآنيـة (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) أي التربية التى تجعل من الانسان وحدة اجتماعية متفاعلة بصورة ايجابية مع بقية افراد المجتمع ، ولا تجعل منه مجرد عابد ذليل في محراب الملك أو الرئيس أو الأمير .

٥ ـ التربية الدينية :

وهذه التربيـة أساسهـا الدين والايمان بالله والخوف منه والارتباط بحماه ، وذلك بتعليمه القرآن الكريم والحديث والفقه والسيرة وقصص الأخيار . وهنا يطالب حجة الاسلام الغـزالي « بتجنيب الصبي أشعار الهوى والغرام والأدب المفسد ، كما يطالب بالـزامه بـالقيام بـالفروض الـدينيـة اذا بلـغ سن التمييـز والتكليف » بشرط أن يكون والداه ومدرسوه والمشرفون على تربيته قدوة حسنة له . والقرآن يقول في هذا (**لقد كـان لكم في رسول اللـه أسـوة حسنـة**) الاحـزاب/٢١ ، ويقـول الرسول عليه الصلاة والسلام كما أمره به في القرآن « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** » وكذلك نقرأ موعظة لقمان لابنه في القرآن الكريم (**واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** لقمان /١٣ وعلى الوالد ايضا ان يأخذ بيد ابنه الى الطريق المستقيم ،

طريق الدين والأخـلاق الكريمـة ،

أسوة بسيدنا نوح الذي قال لابنه كما جاء في القرآ الكريم (**ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قـال سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغـرقين**) هـود/٤٢ ، ٤٣ وعلى الأبناء طاعة آبائهم حتى لا يكون مصيرهم مثل مصير ابن نوح ما دام آباؤهم يرشدونهم الى طريق الدين .

ومما ينبغي أن يحرص عليه المربون في تربية الأبناء تقديرهم لأنماط السلوك الايجابية ، أي التى تتفق مع الدين ، التى يأتيها الطفل .. فاذا أتى الولد عملا كريما أو سلك سلوكا حميدا ، كان على المربي أن يذكر له ذلك ويقدره ويشكره عليه ليكون ذلك تشجيعا وتأييدا وحثا له على المزيد من العمل الطيب والتصرف الجميل . واذا ارتكب الولد خطأ كان على المربي أن يذكره به في رفق ، وأن يبين له ما في هذا الخطأ من ضرر . وأن يحرص المربي على أن يتم ذلك في هدوء وبعيدا عن التشهير ، وبلا قسوة ، حتى لا يقتل عنصر الحياء في الصبي ، وحتى لا يقضي على همته وعزيمته . وللغزالي في هذا المقام عبارة جليلة تدل على خبرة وبصيرة بطرق التربية القديمة والحديثة يقول فيها « ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس ، فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة ، فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ، ولا يكاشفه ، ولا يظهر له أنه يتجاسر أحد على مثله ، لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه ، فان اظهار ذلك عليه ربما يزيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة ، فعند ذلك ان عاد ثانيا ، فينبغي ان يعاتب سرا ، ويعظم الأمر فيه ، ويقال له : اياك أن يتعود بعد ذلك لمثل هذا ، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس .. ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه الا أحيانا » .

وهكذا نرى الغزالي يؤمن بالتجاوز عن السابقة الأولى اذا ما أخفاها صاحبها ونجح في اخفائها لأن ذلك يدل على احساسه بالذنب ، ولكنه اذا عاد لمثلها فمن الضروري محاسبته عليها سرا أيضا وعلى الوالد أن يحافظ على اطار من أنماط السلوك مع ولده حتى لا يتصور الولد أن الوالد غلام يلعب معه .

وعلى الوالدين أن يقتديا بنبي الله لقمان في توجيه أبنائهم الى ما يتفق مع الدين ، كما جاء في القرآن الكريم (**يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك وأغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير**) لقمان/١٦ ـ ١٩ .

تلك هي باختصار شديد نظرية التطبيع الاجتماعي Socialization الاسلامي التى تركها لنا فقهاء الاسلام من مختلف نواحيها البيولوجية والاجتماعية والنفسية والدينية ، مما يعد مفخرة للاسلام وللمسلمين .

رحلة الحاج من وطنه إلى مكة المكرمة وآثار الحج ومنافعه



نحو فهرسة لمناسك الحج

للدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى

مع اشراقة اول شهور الحج الثلاثة (شوال وذو القعدة وذو الحجة) بدأت وفود الحجيج تزحف قاصدة مكة المكرمة لتؤدي هذه الفريضة وتشهد أكبر مؤتمر

سنوي يعقد على صعيد واحد وحول بيت واحد حضوره عبادة والطواف حوله عبادة وعلاوة على ذلك فيه منافع للناس .

وتزدحم النفس بالأحداث الجلال العظام فمنذ أربعة عشر قرنا وزيادة ، انبعثت من أرض هذه البلاد أنوار الرسالة المحمدية ، تبشر بدين الحق الذي أفاء على العالم كله حضارة وعدالة ونورا .

ذكريات عزيزة يحسها كل البشر ، وتستشعرها الانسانية في كل مكان ، وتملأ وجدان المسلمين ، وتفيض بها مشاعرهم ، وعجيب أمر هذه الفريضة فمن أداها وذاق حلاوتها وأمتع الروح والقلب بالمشاهد وممارسة الشعائر ، يعيش طيلة حياته تواقا الى تكرارها ومعاودة أدائها والمتعة بما تجد فيها الروح هناك من سعادة لا تعادلها سعادة .

لذلك ظلت الكعبة وهي قبلة المسلمين سببا هاما من أسباب قوة ووحدة المسلمين .. وكانت كتابات وتقارير واجتماعات اعدائهم تدور حول صد المسلمين عنها أو التهوين من شأنها ، بل لقد صرح احدهم « بأن الاسلام سيظل صخرة عاتية تتحطم عليها كل محاولات النيل منه ما دام للاسلام هذه الدعائم الاربع : القرآن والأزهر واجتماع الجمعة ـ الاسبوعي ـ ومؤتمر الحج السنوي » واجد نفسي معتزما بمشيئة الله آداء فريضة الحج فاغترف من هذا النبع الصافي هذا المقال اقدمه تذكرة لكل مسلم ومسلمة بأعمال الحج ومناسكه ، مرتبة ترتيبا زمنيا ومكانيا فإنأوقات الحاج وتوالي المناسك وتعدد المعالم وكثرة الانتقالات .. لا تحتمل استيعاب الاحكام الشرعية المتعلقة بالحج طلبا أو كفا صحة او فسادا في كتب الفقه الاسلامي المطولة . وهي كثيرة ومتعددة .

والجدير بالذكر ان الحج فر يضة وركن من أركان الاسلام الخمس ، شرعها الله وأوجب أداءها على كل مستطيع يقول سبحانه : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** آل عمران/٩٧ وقبل الشروع في آداء مناسك الحج على المسلم أن تكون نيته خالصة لله سبحانه وتعالى ، وعلامة ذلك أن يتخلص المسلم من عيوب نفسه ، وان يرد المظالم ويعطي لكل ذي حق حقه ، وأن يصل رحمه ويعد نفقته في الاراضي المقدسة من مال طيب حلال . فمن فعل ذلك كان حجه مبرورا .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه .

تعريفات هامة :

١ ـ **ما هو الحج** : هو أن يقصد المسلمون القادرون الكعبة في مكة المكرمة ، وأركانه : الاحرام ، والطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة في التاسع من ذي الحجة من الزوال إلى الفجر مع مراعاة أن يكون الاحرام من اماكنه .. والحج فريضة محكمة على كل مسلم مستطيع قادر على آدائها صحة

ومالا وغيرهما وسبق الاشارة الى ذلك .

٢ ـ **ما هي العمرة** : واجب تؤدي مع الحج أو منفصلة عنه واركانها ثلاث : احرام ، وطواف ، وسعي وأربعة بزيادة الحلق عند الشافعية وهي واجبة وفي تركها هدى ويرى بعض المذاهب انها سنة . وليس لها ميقات زماني فيمكن القيام بها في أي وقت من أوقات السنة .

٣ ـ **الميقات الزماني للحج** : بين الله سبحانه وتعالى المواقيت الزمانية للحج في قوله تعالى : (**الحج اشهر معلومات**) البقرة/١٩٧ وقد بينها « الرسول » صلى الله عليه وسلم بأسمائها وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة .. وقال أبو حنيفة وبعض الأئمة انها شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة .. ويقول الامام الشافعي ان الشروع في الحج قبل هذه الاشهر لا يصح .. كما لا يصح الاحرام بالصلاة قبل وقتها . ومن المتفق عليه ان أعماله ومناسكه لا تستوعب هذه الأشهر الثلاثة وغالبا تؤدى في أيام معدودة من ذي الحجة الا الاحرام فانه يمكن ان يستوعب شهر شوال وذي القعدة وعشرا من ذي الحجة ، وتوسيع الميقات الزماني جاء بقصد سعة الاحرام وسفر الحاج ذهابا الى الاراضي المقدسة واستعداده لأداء هذه الفريضة .

٤ ـ **الميقات المكاني** : خصص الشارع لكل وافد الى مكة المكرمة مكانا أوجب عليه ان لا يمر به إلا محرما « أي متجردا من ثيابه العادية ومرتديا ملابس الاحرام ، وهذه الامكنة تسمى مواقيت الاحرام ولا يصح ان يؤخر الاحرام بعدها وان كان يصح أن يكون قبلها فيجوز لأي حاج ان يحرم من بيته او في الباخرة أو في الطائرة أو في المطار ولكن ذلك مشقة لم يلزمنا بها الشارع الحكيم .. ومعلوم أن للاحرام ميقاتين احدهما زماني كما سبق من أول شوال إلى طلوع فجر الاضحى والآخر مكاني وهو يختلف باختلاف الجهات التي قدم منها حجاج البيت الحرام وهي كما يلي : ـ

(أ) **ذو الحليفة** « آبار علي » مكان بينه وبين مكة حوالي ٤٥٠ ك . م وهو ميقات اهل المدينة .

(ب) **الجحفة** « رابغ » مكان بينه وبين مكة ٢٠٤ ك . م تقريبا وهو ميقات أهل مصر والشام والمغرب وبلاد الأندلس .

(جـ) **قرن المنازل** ، جبل يقع شرقي مكة المكرمة يطل على عرفات وبينه وبين مكة ٩٤ ك . م وهو ميقات أهل نجد والكويت .

(د) **يلملم** ، ميقات أهل اليمن والهند وهو جبل جنوبي مكة المكرمة وبينهما ٥٤ ك . م .

(هـ) **ذات عرق** ، ميقات أهل العراق وهو مكان في الشمال الشرقي من مكة وبينهما حوالي ٩٤ ك .م .

وهذه المواقيت عينها وبينها « رسول الله صلى الله عليه وسلم » لأهل هذه البلاد التي ذكرت ولمن مر بها يقول صلى الله عليه وسلم : « هن لهن . ولمن أتى عليهن من

غيرهن . ممن أراد الحج أو العمرة » رواه مسلم ويحرم على المسلم الذي يريد الحج أن يتجاوزها بدون إحرام سواء أكان قادما برا أم بحرا أم جوا .

خطوات أداء فريضة الحج أو العمرة :

اولا : الاحرام :

الاحرام أولى خطوات أداء فريضة الحج أو العمرة ، ويجب أن يكون من ميقاته المكاني وفي ميقاته الزماني بالنسبة للحج ويشمل ما يلي : ـ

١ ـ قبل وصول الحاج الى ميقات الاحرام عليه الاستعداد للاحرام والسنة في الاستعداد للاحرام ، أن يقلم أظافره وأن ينظف بدنه وأن يزيل الشعث كقص الشارب وتسريح اللحية وحلق العانة ونحو ذلك ، مما قد يتأذى به المحرم اذا بقى بعد دخوله في الاحرام ، ثم يغتسل ويتجرد من ملابسه العادية ويلبس ملابس الاحرام .

٢ ـ بعد ذلك يصلي ركعتين بنية سنة الاحرام ، وعقب ذلك ينوي الدخول في النسك ويسن النطق بالنية بأن يقول نويت الحج وأحرمت به لله تعالى « اللهم يسره لي وتقبله مني » اذا كان مريدا الحج فقط . ويقول : « نويت العمرة ... الخ » اذا كان معتمرا أو يقول « نويت الحج والعمرة ... الخ » اذا كان سيجمع بينهما في احرام واحد .

٣ ـ يسن قرن الاحرام بالتلبية وهي سنة ويستحب للرجل ان يرفع صوته بها ، ووقتها عند جمهور الفقهاء **من وقت الاحرام الى رمي جمرة العقبة يوم النحر ،** ويستحب تجديدها عند تغير الحال من صعود جبل او ركوب سيارة او لقاء اصحاب ومعارف وعقب كل صلاة يصليها وهو محرم ، ومن الجدير بالذكر ان رفع صوت المرأة بالتلبية مكروه وعليها ان تسمع نفسها ومن يليها فقط وصيغة التلبية هي :

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .. » والتلبية هامة جدا في أداء مناسك الحج ، وبعض الأئمة يرى انها ركن من اركان الحج ، ويرى غيره انها ليست ركنا ، ولكن يلزم تاركها دم .

٤ ـ محظورات الاحرام : اثناء فترة الاحرام من وقت الاحرام حتى الانتهاء من المناسك يحرم عدة أشياء نجملها فيما يلي :

(أ) لبس المخيط للرجل :فلا يلبس المحرم قميصا أو جبة أو سروالا او اي ثوب مما اعتاد لبسه ولا يلبس عمامة او قبعة ولا حذاء يستر ظاهر قدمه .

(ب) القفاز « الجوانتي » للمرأة ، يحرم على المرأة ستر الوجه واليدين بأي ساتر ، ويرى بعض الأئمة ان المرأة اذا قصدت ستر احداهن « الوجه او اليدين » عن الأجانب جاز لها ذلك وفي هذه النقط كثير من التفاصيل .

(جـ) ايضا يحرم **الرفث** ، وهو الجماع ودواعيه كالتقبيل واللمس بشهوة والمداعبة والنظر في محاسن المرأة .

(د) ويحرم **الفسوق** اقتراف المعاصي والجدال وهو مخاصمة الرفقاء وغيرهم لقوله تعالى : **(فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** البقرة/١٩٧ .
(هـ) كذلك يحرم **ممارسة عقد النكاح** سواء أكان زواجا ام خطبة على المحرم واذا حدث كان باطلا الا عند الحنفية .
(و) كذلك **يحرم** تقليم الاظافر والتطيب وصيد البر وقطع شجر الحرم او اتلافه . وهذه المحرمات كلها اذا اقترف منها شيء وجبت الفدية ما عدا عقد النكاح ، والفدية وهي تختلف وتتفاوت باختلاف طبيعة المحظور الذي وقع .
٥ **ويباح للمحرم** ما عدا ذلك . كالاغتسال وغسل الثوب ونفض الشعر ومشطه ولبس الخفين للمرأة فقد روى مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عائشة رضي الله عنها فقال « انفضي رأسك وامتشطي » وقال النووي نفض الشعر والامتشاط جائزان في الاحرام ، بحيث لا يؤدي ذلك الى سقوط الشعر . كذلك لا شيء في تغطية الرأس بهذا او النظر في المرآة او شد الحزام او لبس الخاتم الفضي في اليد او الاستظلال بشيء او خيمة او بيت او مظلة شمسية كذلك يباح ايضا قتل الحيوانات المؤذية للمحرم اثناء مدة الاحرام كالعقرب والثعبان .
٦ ـ ويستمر المحرم متجها الى مكة المكرمة فاذا ما قرب منها يسن له ان يغتسل قبل دخولها ، ويستحب ان يدخلها نهارا ويبدأ بالحرم ويقول عندما يقع بصره على الكعبة : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه ، من حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا » .. « اللهم انت السلام فحيينا بالسلام » وهذا الغسل للنظافة فيستحب للمرأة حتى ولو كان بها عذر شرعي ، كما ان عليها ان لا تدخل المسجد الحرام الا اذا تطهرت بعد النقاء ..

والجدير بالذكر ان انواع الاحرام **ثلاثة** : هي الافراد والتمتع والقران **فالافراد** : هو ان يحرم للحج وحده فاذا فرغ من اعماله ، احرم بالعمرة وطاف وسعى واتم اعمالها .

والتمتع : هو ان يحرم بالعمرة فاذا فرغ منها ، احرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة .

والقران : الجمع بينهما في احرام واحد او الاحرام بالعمرة ثم ادخال الحج عليها قبل الطواف وعلى كل من المتمتع والقارن ان يقدم هديا لقوله سبحانه في المتمتع : **(فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم)** البقرة/١٩٦ . واما القارن فلما روى عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم . ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات ومن اختار الافراد فليس عليه شيء من الهدى .. بقي ان تتذكر ايها القارىء ان افضل الانواع الثلاثة للاحرام محل اختلاف بين الأئمة رضوان الله عليهم .

فالاحناف على ان القران افضل ويليه التمتع ثم الافراد . **والمالكية** يفضلون الافراد ويليه القران ثم التمتع ، **والشافعية** يقولون بأفضلية الافراد ويليه التمتع ثم القران ، والامام احمد يفضل التمتع ويليه الافراد ثم القران وعلى العموم ما دامت هذه المسألة خلافية بين الأئمة فعلى كل حاج تخير نوع الاحرام الذي يتوافق مع ظروفه ووقته مع ملاحظة وجوب الهدى على المتمتع والقارن فقط اما المفرد فلا هدى عليه : **ورأى الفقهاء الغالب يوافق الامام احمد في افضلية التمتع لما يحققه من فوائد هي : ـ**

١ ـ قصر مدة الحج وهي لا تتعدى اليوم الثامن من ذي الحجة ويوم عرفة وجزءا من ايام العيد . فلا يكون هناك ملل من طول مدة الاحرام لأن طول المدة قد يكون سببا في فساد الحج ، او الاقلال من الثواب الا من قدره الله سبحانه وتعالى على تحمل المشقة .

٢ نظافة الجسم بالاستحمام الذي يقوم به المتمتع بين النسكين وصيانته من العوامل الجوية .

٣ ـ ان المتمتع يلزم اهداء هدى وهذا يفوز بالنفع للفقراء والمساكين كما سبق فان لم يجد المتمتع هديا فعليه الصيام كما حددته الآية الكريمة .

وبدخولك ايها الحاج الكريم مكة المكرمة تكون قد بدأت في بقية المناسك .. تقبل الله حجك وجعله حجا مبرورا .

قبل أن اختم هذا المقال أود الاشارة إلى آثار أداء فريضة الحج في النفس والحياة عموما والى تلك المنافع التي أشارت اليها الآية الكريمة في قوله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله)** الحج/٢٧ و ٢٨ والآية الكريمة تفتح بابا للتأمل والتفكر والنظر في هذه المنافع المشهودة التي قدمت في الآية الكريمة على ذكر اسم الله جلا علاه .

وتتعدد آثار الحج ومنافعه لتشمل الآثار والمنافع الروحية والتعليمية والتجارية وغيرها ، هذه الآثار وتلك المنافع العظيمة التي أوردها القرآن الكريم تعليلا لهذه الرحلة المباركة كانت دائما محل اهتمام المؤمنين المخلصين وغيرهم واهتمام المؤمنين المخلصين بها يكون على سبيل تحصيلها وأداء هذه الفريضة لاكتساب هذه الآثار وتلك المنافع ، اما غيرهم فهي محل اهتمام بالدراسة والبحث وايجاد الوسائل الكفيلة بعدم تحقيقها وتحصيلها وبصد المسلمين عن الكعبة ومحاولة صرف نظرهم عنها ومع ذلك فاننا نجد قلة من المنصفين الاجانب يشهدون بفضل هذه الشعيرة الاسلامية العظيمة والامثلة على ذلك كثيرة منها ما ورد في مقدمة هذا المقال ، واذا ما عدنا الى تعداد هذه المنافع والآثار التي تعود على المسلمين افرادا

وجماعات وشعوبا بالخير العميم ، فيمكن ان نذكر منها :
١ ـ ان الحج يزود المسلم بشحنة روحية وعاطفية ويملأ جوانبه خشية وتقى لله سبحانه وتعالى ، فالارض المقدسة وذكرياتها الغالية وشعائر الحج والتفاف المسلمين حول الكعبة التي ظلت وسوف تظل على مدى الدهر رمزا للتوحيد وعبادة الله ووحدة المسلمين وقوتهم فيرجع الحاج خاصة من كان حجه مبرورا نقي القلب . طاهر العقيدة واقوى عزيمة على الخير واصلب عودا امام المغريات والشهوات ولقد اشار الحديث النبوي الى هذا ، يقول الرسول الكريم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » رواه البخاري واحمد والنسائي .
٢ ـ المنافع التجارية : وللحج جانب مادي ، حيث يكون فرصة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين .
وكان المسلمون في اوائل الاسلام يتحاشون التجارة ، ولا يقومون بأي عمل دنيوي ، يكون الهدف منه الربح والرزق خوفا من ان ينال ذلك من أدائهم الشعيرة ، أو ينقص مثوبتهم عند الله . فأجاز الله سبحانه وتعالى ذلك فقد روى البخاري عن ابن عباس قال : « كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فتأثموا أي تحرجوا ان يتاجروا في الموسم « موسم الحج » فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية الكريمة : (**ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم**) البقرة/١٩٨ . يقول صاحب المنار في هذه النقطة : « كان بعض المشركين وبعض المسلمين يتأثمون في ايام الحج من كل عمل حتى كانوا يغلقون حوانيتهم فعلمهم الله تعالى انِ الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الاخلاص . وقوله تعالى (**من ربِّكم**) يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة انه فضل من الله ، نوع من انواع العبادة ويروي ان عمر قال لسائل في هذا المقام : وهل كنا نعيش الا على التجارة ؟
٣ ـ الحج مساواة ووحدة وسلام : من الأمور المسلم بها ان الحج تدريب عملي للمسلم على المبادىء الانسانية العليا . فقد جاء الحج ليضع المبادىء والقيم الاجتماعية بين أيدي المسلمين ليتدربوا عمليا عليها ، من هنا كانت الحكمة في الاحرام حيث التجرد من ملابس الزينة والتفاخر وارتداء الجميع ملابس بسيطة لا مجال فيها لصنعة هي اقرب من اكفان موتى المؤمنين . ويلبسها الكل: الفقير والغني والمعدم وذو المال والحقير وصاحب الجاه . وقديما كانت قريش ترى نفسها افضل من سائر العرب ، فكانت تقف على المزدلفة وتترفع عن الوقوف معهم في عرفات ، فأبطل الاسلام هذه العادة ، وذكر بعض اعمال الحج قوله : (**ثم افيضوا من حيث افاض الناس**) البقرة/١٩٩ .
كذلك يتجلى مبدأ السلام في هذه الرحلة الميمونة ، فالحج طريقة لتدريب المسلم على السلام ، فأرض الحج هي البلد الحرام والبيت الحرام يقول تعالى : (**من دخله كان آمنا**) آل عمران/٩٧ ويقول عمر رضي الله عنه « لو وجدت فيه ـ أي في الحج ـ قاتل أبي ما مسته يدي » أرض الحج أمان شامل للطير في الجو ، والصيد

في البر ، والنبات في الارض ، والمسلم في الحج يعيش في سلام حقيقي ، مهما اختلف جنسه ولونه ووطنه ، وحدة في الشعائر والمشاعر ، والهدف والعمل والقول ، الجميع مسلمون يطوفون ببيت واحد ويعبدون الها واحدا ، ويتبعون رسولا واحدا هل رأيت ايها القارىء الكريم وحدة اعمق من هذا وابعد غورا ؟

٤ ـ الحج مؤتمر عالمي : يجتمع المسلمون من مشارق المعمورة ومغاربها . مؤتمر دعا اليه العلي القدير يلتقي فيه المصلحون والسياسيون والعلماء ، ليتعارفوا ويتعاونوا على بلوغ انبل الاهداف واعظمها . ولقد عرف المسلمون الاوائل قيمة هذا المؤتمر ، فجعلوه فرصة لتبادل الآراء وتعارف الافكار وتدارس الروايات والاحاديث والاخبار . ولا يخفى علينا ما للحج من أثر في ثقافة المسلم وتدريبه ، وتوسيع افقه واتصاله بمن حوله من العالم لذلك قالوا : السفر نصف العلم ويروى ان حكيما قال من يعش يرى كثيرا ، فرد عليه آخر وقال : لكن من يسافر يرى اكثر ، رحلة الحج فيها تدريب للمسلم على البساطة والتقشف ، والانتقال والارتحال والاعتماد على النفس ، والبعد عن الترف والتكلف والعودة الى طهارة الفطرة الانسانية وفيه التضحية بالراحة والسكون ، وتدريب على ركوب الصعاب والمشقات ومفارقة الاهل والوطن ، والآل والصحاب ، وأعمال الحج توقظ في نفوس الحجيج النزعة الى تقاليدهم وتذكرهم بكل المعاني والمشاعر النبيلة وبقصة مجيء الاسلام وانتشاره وازدهاره .

وستظل الكعبة رمزا خالدا ومثابة للناس وأمنا يقول الله تعالى : (**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**) البقرة/ ١٢٥ اللهم اجعلنا من حجاج بيتك الملبين لندائك وهيىء لنا كل السبل لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم . وليذهب الى الجحيم امثال المستشرق الفرنسي (كيمون) حيث يقول في كتابه (باثولوجيا الاسلام) « اعتقد ان من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة » ويقول موروبيرجر في كتابه (العالم العربي المعاصر) « يجب محاربة الاسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوتهم لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره ان الاسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الافريقية » ونقول لهؤلاء المستشرقين ان الاسلام سوف ينتشر وينتشر ، وسيعود المسلمون الى ريادة العالم كله ، وسيملأ الاسلام جوانب الارض عدالة وحضارة ونورا .

ثانيا : الطواف حول الكعبة المشرفة :

١ ـ بعد دخول مكة المكرمة ، يشرع في طواف القدوم وهو سنة لمن نوى الحج فقط ، اما المعتمر فيجزئه طواف العمرة عند القدوم لأن هذا الطواف سنة للحاج فقط ، وركن من اركان العمرة ، ويوجد بعد ذلك نوعان من الطواف بالكعبة ، هو طواف الافاضة او الزيارة ، وهو ركن من اركان الحج لقوله تعالى : (**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**) الحج/ ٢٩ . وطواف الوداع ويسمى طواف الصدر ليكون هذا الطواف آخر عهدك بالبيت ، ومعلوم ان

ذلك يكون في نهاية الحج وعند العزم على مغادرة مكة للسفر منها الى موطن الحاج ، ويسمونه ايضا طواف الوداد ، وسوف نتكلم عن الادعية المأثورة في طواف الوداع او الصدر او الوداد في نهاية مناسك الحج .. ونخلص من ذلك ان طواف القدوم سنة عند الحنفية والشافعية والحنابلة لمن نوى الحج فقط ، وواجب عند المالكية وفي عدم القيام به هدى عندهم ، اما طواف الافاضة فهو ركن من اركان الحج باجماع الأئمة خاصة الأربعة اشواط الاولى والثلاثة الباقية يرى الفقهاء انها واجبة وليست ركنا ، اما طواف الوداع فهو واجب في اغلب المذاهب وعند الحنفية واجب على غير اهل مكة وفي تركه هدى عندهم .

٢ ـ والطواف مهما كان نوعه سبعة اشواط ، ومعنى الطواف الدوران حول الكعبة ، ويراعى فيه ما يراعى في الصلاة من طهارة وستر عورة ، ويسن الرمل « الاسراع في المشي او الجري » في الاشواط الثلاثة الاولى ، ويمشي في الاربعة الباقية .

٣ ـ وعلى الحاج ان يبدأ كل دورة بالحجر الاسود ، ويختمها به جاعلا البيت عن يساره ويستحب للحاج ان يجعل وسط الرداء ت تحت منكبه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه الايسر .

٤ ـ اذا شك الحاج في عدد الاشواط ، بنى على اليقين وهو الاقل ، فاذا شك مثلا انه طاف خمسة اشواط او ستة ، جعلها خمسة واكمل الطواف .

٥ ـ وعلى الحاج ان يستلم الحجر الاسود في كل مرة ، ويقبله اذا امكنه ذلك والا اشار اليه من بعيد ، ويقول عند لمسه الحجر الاسود او الاشارة اليه « اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

٦ ـ يسن أثناء الطواف الدعاء بالادعية المأثورة في كل شوط من الاشواط السبعة ،

٧ ـ على المرأة اثناء الطواف ان تمشي مشيتها المعتادة وليس عليها ان ترمل اي تسرع او تجري .

٨ ـ بعد الانتهاء من الاشواط السبعة ، يصلي المحرم ركعتين ناويا سنة الطواف ، ويقرأ في الركعة الاولى سورة الاخلاص ويسن ان تكون الصلاة في مقام ابراهيم ، ان امكن ، وتجزىء عن ركعتي سنة الطواف صلاة اي فرض او نفل يصليها الحاج .

٩ ـ بعد صلاة الركعتين يسن له ان يأتي الملتزم « باب الكعبة » ويتجه الحاج الى بئر زمزم للشرب منها ما استطاع ، ويسن ان ينوي عند شربه الشفاء ونحـــوه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم . فيه طعام الطعم وشفاء السقم » ويسن ان ينوي عند شربه الشفاء ونحوه مما هو خير في الدين والدنيا ، فان « ماء زمزم لما شرب له » ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب من ماء زمزم يقول : اللهم اني اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

ثالثا : **السعي بين الصفا والمروة** :

١ ـ بعد شرب ماء زمزم يرجع المسلم الى الحجر الاسود لاستلامه ناويا التوجه الى السعي بين الصفا والمروة .

٢ ـ والسعي بين الصفا والمروة يكون سبعا مبتدئا بالصفا ومنتهيا بالمروة . أي مبتدئا بما بدأ الله به في قوله : **(ان الصفا والمروة من شعائر الله)** البقرة/١٥٨ . وهو ركن من أركان الحج ومن الأئمة من قال بوجوبه .

٣ ـ تجوز الاستراحة بين الاشواط ، أو أداء الصلاة مع الجماعة ويشترط المشي للقادر عليه ولا بأس بالركوب لغير القادر .

٤ ـ للسعي سنن منها :

أ ـ ان يخرج الى السعي من باب الصفا .

ب ـ ان يصعد على الصفا حتى يشاهد الكعبة .

جـ ـ الدعاء بالادعية المأثورة ويستحب فيه قراءة القرآن والاكثار من الذكر .

د ـ ان يكون بعد الطواف مباشرة .

هـ ـ ان يكون الساعي متطهرا من الحدث والخبث .

و ـ ان يهرول وسط الشوط بين المكانين المعروفين بالميلين (العلمين الاخضرين) .

ويجب الاشارة الى انه لا يسن للنساء الصعود على الصفا إن كان هناك زحام .

التحلل من العمرة :

بعد الانتهاء من السعي بين الصفا والمروة تتم العمرة لمن نواها عند الاحرام .. اذا كان معتمرا فقط وحتى يتحلل من العمرة عليه ان يحلق رأسه ويقص شعره ، ويباح له ما كان محظورا عليه وقت الاحرام . يظل هكذا حتى يحين وقت الاحرام بالحج ، وهو في هذه الحالة يسمى **متمتعا** وسبق أن التمتع هو الاحرام بالعمرة اولا ، ثم التحلل منها ، ثم الاحرام بالحج في وقته ، وسبق انه متى تمتع المحرم وجب عليه هدى .

اعادة الاحرام للحج (يوم التروية) :

في اليوم الثامن من ذي الحجة نتهيأ للاحرام ، ويسمى هذا اليوم يوم التروية وسبق كيفية الاحرام . والاحرام للحج بعد التحلل من العمرة يكون من نفس المكان الذي ينزل فيه الحاج سواء أكان في مكة ام خارجها ، ثم يذهب الحاج الى منى في طريقه لعرفات ، واثناء السير الى منى يستحب الاكثار من الدعاء والتلبية ، ويبيت الحاج في منى ولا يخرج منها الا بعد طلوع شمس التاسع من ذي الحجة ، ويؤدي بها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وتجدر الاشارة الى انه اذا ترك الحاج شيئا من هذا او ذهب الى عرفات مباشرة من مكة فلا شيء عليه ، لان عائشة رضي

الله عنها لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه .

رابعا : الوقوف بعرفة .:

١ ـ اهم ركن من اركان الحج لقوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » رواه ابن ماجه وابو داود . من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج .
٢ ـ وعرفات جبل يقع غرب مكة على بعد اكثر من عشرة كيلو مترات ، ووقت الوقوف بعرفة بين زوال اليوم التاسع من ذي الحجة الى فجر العاشر منه ، وشرط الوقوف ان يكون بعد الزوال ، والسنة ان يمتد الى غروب الشمس ، ومن وقف قبل الزوال لا يعتد بوقوفه .
٣ ـ عرفة كلها موقف « **إلابطن عرنة** » وفي الجهة الشمالية من جبل عرفات صخرة مرتفعة تسمى جبل الرحمة وفي سفحها الجنوبي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع المشهورة .
٤ ـ المراد بالوقوف بعرفات حضور الحاج فيه ولو لحظة بمقدار ما بين السجدتين واقفا او جالسا او ماشيا او راكبا او نائما او مستيقظا من بعد ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة وحتى فجر العاشر منه .
٥ ـ يجب في الوقوف ان يكون على طهارة والاكثار من ذكر الله والثناء عليه والتكبير والتلبية والتهليل والاستغفار والتذلل له والطلب منه والرجاء اليه .
٦ ـ في عرفات نصلي الظهر والعصر يومها قصرا جمع تقديم ومعنى الظهر المقصور ان نصلي ركعتين بدلا من اربع ، وكذلك العصر . ونجمعها جمع تقديم اي نصلي الظهر والعصر في وقت الظهر مع الامام بمسجد نمرة من غير فصل بينهما بنافلة .. واذا صليت في الخيمة فتصلي كل فريضة في وقتها او جمعها في وقت الظهر مستقلة كل منها عن الاخرى .

الافاضة الى المزدلفة :

المزدلفة مكان يقع بين منى وعرفات ، وتكون الافاضة اليه بعد غروب الشمس ، ويندب في الافاضة الى المزدلفة الاكثار من التلبية والدعاء والذكر وقراءة القرآن .. وعند الوصول الى المزدلفة « وتسمى المشعر الحرام » نصلي المغرب بها مع العشاء قصرا جمع تأخير اي وقت العشاء ، والمبيت بمزدلفة مطلوب لمن في استطاعته ذلك حتى يصلي الصبح في أول وقته ثم يتركها الى منى لقوله تعالى : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**) البقرة/١٩٨ ومعنى افضتم : نزلتم .
والحاج يجمع من ارض المزدلفة الحصيات التي ترمى بها جمرة العقبة بمنى صباح يوم النحر وهي سبع حصيات ، ويمكن جمعها من غير المزدلفة ، ويمكن

ايضا جمع جميع الحصيات اللازمة للرمي في الايام الثلاثة يوم العيد واليومين التاليين له من مزدلفة او من غيرها ومجموع الحصيات المطلوبة ٤٩ حصاة لجمرة العقبة يوم النحر ، وواحدة وعشرون للجمرات الثلاث في ثاني ايام العيد ، ومثله في ثالث ايام العيد .

رمي جمرة العقبة بمنى : كما يلي :

بعد ترك المزدلفة يسلك الطريق الى منى وعند دخولها فورا يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات واحدة تلو الاخرى على ان تكون كل حصاة بين طرفي الابهام والسبابة اليمنى ، وان يكون الرمي بقوة قائلين : « بسم الله والله أكبر .. رجما للشيطان وحزبه اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا » .

وبعد رمي اول حصاة تنقطع التلبية التي التزمناها منذ الاحرام بالحج ، ثم يتم ذبح الهدى ان لم يكن قد تم الذبح بمكة من قبل ، ويلاحظ عدم رمي هذه الجمرة ولا غيرها بأشياء تخالف السنة ، ويمكن الانابة في الرمي على ان يرمي من انبته لنفسه اولا ولمن انابه ثانيا . والافضل الرمي بنفسك ما دمت قادرا عليه .

وتسير الخطوات بعد ذلك :

١ ـ بعد رمي جمرة العقبة بالحصيات السبع ، يحلق الحاج رأسه او يقصر شعره ومعنى ذلك هو التحلل من الاحرام بالحج ، ويباح ما كان محظورا بسبب الاحرام الا معاشرة الازواج ، وهذا هو التحلل الاول الذي يبيح له كل شيء الا النساء .

٢ ـ بعد ذلك ينزل الى مكة لطواف الافاضة وهو ركن كما سبق ثم يسعى بعده ويتحلل الحاج التحلل الاكبر ويرجع الى حياته العادية وطواف الافاضة كيفيته وشروطه واجراؤه يكون كما سبق في الكلام عن طواف القدوم .

٣ ـ الذين لا ينزلون الى مكة يوم النحر بل يظلون بمنى حتى يرموا الجمار ، فانهم يطوفون طواف الافاضة عندما ينزلون الى مكة ويتحللون التحلل الاكبر .. والسعي الذي يعقب طواف الافاضة يكون للذين لم يسعوا من قبل ، اما الذين سعوا فعليهم بطواف الافاضة ثم التحلل الاكبر .

٤ ـ رمي الجمار أيام التشريق الثلاثة له شروطه التي سوف اتكلم عنها فيما بعد .

٥ ـ رمي الجمار ايام التشريق يكون بعد رجوع الحاج من طواف الافاضة ان كان قد نزل مكة بعد رمي جمرة العقبة ، وان لم يكن قد نزل الحاج واجل طواف الافاضة فانه بعد الانتهاء منها ينزل الى مكة ويطوف طواف الافاضة ويتحلل التحلل الاكبر .

٦ ـ بعد ذلك يطــوف الوداع عند العزم على مغادرة مكة الى الموطن ثم يسافر بعد ذلك في سلامة الله .

الافاضة ورمي جمرة العقبة والتحلل

من الجدير بالذكر ان الافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف حتى غربت الشمس وقال : « خذوا عني مناسككم » رواه مسلم وقد افاض النبي عليه الصلاة والسلام بالسكينة وضم زمام ناقته اليه حتى كاد رأسها يفيض طرف رجله وهو يقول : « يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالانصاع » والانصاع يعني الاسراع رواه البخاري ومسلم ، الاكثار من التلبية والدعاء والذكر وقراءة القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لم يلب حتى رمى جمرة العقبة ويبيت الحجاج هذه الليلة في « مزدلفة » ويسن ان يظل بها الحاج حتى يصلي الفجر الا اذا كان له عذر ، وعند الحنفية ان الحاج لا ينصرف قبل طلوع الفجر إلا لعذر وإلا لزمه دم .

ولا يتعين اخذ الحصى من المزدلفة وان استحبه الشافعية ولا دليل على من اعتقد بوجوب اخذ الحصى من المزدلفة والوارد عنه صلى الله عليه وسلم انه اخذ سبعا من حصى الجمار في هذا اليوم ليرمي جمرة العقبة ويمكن التقاط حصى الرمي في الايام الباقية من منى ويمنع اخذ الحصى من مكان الرمي « أي حصى رمي به من قبل » وبعد رمي جمرة العقبة ينحر الحاج هديه ثم يحلق بعد ذلك شعره أو يقصر والحلق افضل ، لأنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة والرحمة للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة واحدة ، اما النساء فليس عليهن حلق ، وانما عليهن التقصير وبعد الفراغ من الحلق ، يسن ان يقول الحاج الحمد لله الذي قضى عني نسكي . اللهم ائتني بكل شعرة حسنة . وامح عني بها سيئة . وارفع لي بها درجة واغفر لي وللمحلقين والمقصرين وجميع المسلمين . اللهم زدنا ايمانا ويقينا وتوفيقا وعونا واغفر لنا ولآبائنا وامهاتنا وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد رمي جمرة العقبة والذبح وحلق الشعر او تقصيره ، يباح للمحرم كل شيء ما عدا النساء وهذا هو التحلل الاول ثم يطوف طواف الركن « طواف الافاضة » ويسن للحاج ان يتطيب ويتوجه الى مكة لأداء هذا الطواف ، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل ان يحرم . ولحله قبل ان يطوف بالبيت » اخرجه البخاري ومسلم وبعد الفراغ منه يسعى ان لم يكن قد سعى ويرجع الى حياته العادية فيحل له ما بقي محرما عليه وهو مباشرة زوجته .

شروط رمي الجمار

وفي أيام التشريق ترمى الجمار الثلاث في ثلاثة أيام ، اذا تأخر بمنى،ويومين اذا تعجل ، والجمار عددها ثلاث هي الصغرى قريبة من مسجد الخيف والوسطى

تبعد عنها بنحو ١٥٥ مترا والكبرى وتسمى جمرة العقبة وهي في مدخل منى وتبعد عن الوسطى بنحو ١٥٥ مترا ايضا ويلاحظ :

١ ـ عند الرمي يبدأ الحاج بالصغرى فالوسطى فالكبرى على الترتيب ويفعل ذلك يومين بعد العيد ان اراد الاكتفاء والرحيل الى مكة او ثلاثة اذا اراد البقاء .

٢ الرمي يكون بحصى مناسبة لا هي بالصغيرة ولا بالكبيرة وعليه ان يتأكد او يغلب على ظنه اصابة الجمرة .

٣ ـ لا يجوز الرمي بحجر كبير ولا بعصى او زجاجة او حذاء او ما شابه ذلك ، كما يفعل بعض الناس اظهارا لكراهية الشيطان لأن هذا مخالف للسنة .

٤ ـ على الحاج تحاشي اصابة الناس عند رميه الحصى ، وينوي في قلبه العزم على قهر الشيطان ووسوسته ، وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصى وفي الحقيقة يرمي الشيطان .

٥ ـ ووقت الرمي لجمرة العقبة يوم النحر عند الشافعية واحمد من منتصف ليلة العيد حتى آخر أيام التشريق الثلاث ، ويمكن الأخذ بهذا تلافيا للزحام او شدة الحر ، وعند الحنفية يبدأ الوقت عنده بطلوع فجر العيد حتى فجر اليوم الثاني ، ويندب ان يكون بعد طلوع شمس العيد ، ويكره تأخير الرمي بعد الزوال يوم العيد عند المالكية .

٦ ـ الجمار الثلاث الاخرى وقت الرمي يكون من الزوال الى الغروب ، ويكره تأخيره الى الليل حتى الفجر ، ولكنه يجزىء عند ابي حنيفة ، ولا يجوز تأخيره عن الغروب عند مالك والشافعي واحمد ، وعندهم لو تأخر عن الغروب لا يرمى ليلا وانما يرمى بعد زوال اليوم الثاني .

٧ حكم الرمي واجب عند الجميع .

٨ ـ يجوز للمرضى وكبار السن والنساء الحوامل ان يوكلوا من يرمي عنهم الجمرات كلها ، وليس لهم توكيل لغيرهم في شيء من المناسك ما عدا الرمي ، وعلى الحاج الموكل ان يرمي لنفسه اولا ، ثم يرمي عن موكله .

والجدير بالذكر ان من فاته الوقوف بعرفة فلا حج له وعليه عندئذ ان يأتي باعمال العمرة من طواف وسعي وحلق او تقصير وعليه قضاء الحج في العام القادم ودم كدم المتمتع ـ اما من فاته ركن آخر غير الوقوف بعرفة ، فيجوز الاتيان به في اي وقت من عمره عند ابي حنيفة واحمد ، وعند المالكية يمتد وقته الى آخر ذي الحجة ولا دم عليه ، ولكن اذا آخر الاتيان به بعد ذي الحجة فان حجه صحيح ويجب عليه هدى . ومن المعروف أن من فاته السعي فعليه ان يؤديه طالما هو موجود بمكة ، والا بعث بهدى يذبح في مكة ولا يرجع الى مكة لاعادة السعي .

مبطلات الحج :

تجدر الاشارة الى ان الحج او العمرة لا يبطله ارتكاب اي شيء من المحظورات

(محظورات الاحرام) الاحالة واحدة هي الجماع فهي تبطل الحج اما ارتكاب اي محظور آخر فيوجب الفدية والفدية تكون واحدة من **ثلاثة اشياء هي** ذبح شاة او اطعام ستة مساكين كل مسكين نصف صاع او صيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة ايام بعد عودته الى وطنه ويجوز الاكل من هدى التمتع وهدى القران وهدى التطوع ولا يأكل من غيرها هذا ما ذهب اليه الامام ابو حنيفة والامام احمد . وعند الامام مالك يجوز الأكل من الهدى الذي قدمه لفساد حجه ومن هدى التمتع ومن الهدى كله الا فدية الاذى وجزاء العيد وما نذره للمساكين .

أخطاء شائعة يرتكبها بعض الحجاج :

تتعدد الاخطاء الشائعة التي يرتكبها بعض الحجاج ، وقد يكون ذلك بغية الامعان في أداء الشعيرة او نتيجة عدم المام الحاج بمثل هذه الأمور منها :

١ ـ تجاوز الحاج ميقاته المكاني وهذا مخالف لأمره صلى الله عليه وسلم فعلى من يفعل ذلك الرجوع الى الميقات المكاني والاحرام منه ، وإن لم يستطع ذلك فعليه فدية ، يذبحها في مكة ويطعمها كلها للفقراء . فان لم يمر الحاج على ميقات من المواقيت الخمسة السابقة احرم بمحاذاة اول ميقات يمر به .

٢ ـ كذلك من الاخطاء في الطواف ابتداء الطواف قبل الحجر الاسود او من داخل حجر اسماعيل او الرمل « الاسراع » في جميع الاشواط او المزاحمة لتقبيل الحجر الاسود او التمسح به التماسا للبركة منه او استلام جميع اركان الكعبة المشرفة او التزاحم للصلاة عند مقام ابراهيم عليه السلام .

٣ وايضا من الاخطاء نزول بعض الحجاج خارج حدود جبل عرفات وبقاؤهم في اماكن نزولهم حتى غروب الشمس ، ثم ينصرفون الى مزدلفة ، وهذا خطأ جسيم يفوت على مرتكبه الحج ، لأن الحج عرفة بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا انصراف بعضهم من عرفة قبل الغروب ، وهذا مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه وقف بعرفة حتى غربت الشمس تماما . والتزاحم في صعود جبل عرفة ، واستقبال بعض الحجاج عرفة في الدعاء والسنة هي استقبال القبلة .
٤ ـ ايضا من الاخطاء اعتقاد البعض ان حصى الجمار لا بد ان يكون من مزدلفة وانشغالهم بالتقاطه قبل ان يصلوا المغرب والعشاء ، وكذلك غسل الحصى بالماء وهذه امور غير مشروعة ، او رمي الحصى دفعة واحدة ، او الرمي بحصى كبير او الحذاء او الاخشاب ، وايضا من الأخطاء الانابة في الرمي مع القدرة عليه .
وهناك اخطاء كثيرة أخرى كمن يطوف طواف الوداع ثم يرجع الى منى ليرمي الجمرات ويسافر من منى الى وطنه ، فمثل هذا جعل آخر عهده بالجمار وليس بالبيت الحرام ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينفرن احد حتى

يكون آخر عهده بالبيت » رواه مسلم واحمد وقد يخرج الحاج بعد طواف الوداع القهقري اي يخرج بظهره ليظل مستقبلا الكعبة وهذه بدعة في الدين لا اصل لها . أو الدعاء بدعوات كالمودع للكعبة .

أخطاء في زيارة المسجد النبوي :

بعض الزائرين للمسجد النبوي يتمسح بالقضبان ، أو يذهب الى المغارات في جبل احد ، وربط الخرق عندها وزيارة بعض الأماكن التي يظنون أنها من آثار الرسول الكريم كمبرك الناقة واخذ التراب من هذه الاماكن للبركة ، ورمي النقود عند زيارة مقابر البقيع ، ودعاء الاموات ، كل هذه أخطاء لا اصل لها في الدين ، ولكن اذا ذهب الزائر الى هذه الاماكن ومثلها بمكة ، غار حراء وثور بقصد معرفة هذه الاماكن وتذكر المجهود الجسمي وما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته حتى انتشر الاسلام هذا الانتشار العظيم ، فأغلب ظني ان هذا لا بأس به إذا ما وضع الزائر في ذهنه صعوبة الوصول ووعورة الطريق خاصة وان هذه الطرق لم تكن ممهدة او مرصوفة في هذا الوقت .

ويجدر الاشارة في نهاية هذا المقال ، انه يسن زيارة مقابر البقيع وقبر عثمان رضي الله عنه وقبور شهداء أحد ، وقبر حمزة رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ، ويسلم الزائر عليهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا ان نقول عند زيارة القبور : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم .

بقى على المسلم ان يتذكر ان شروط وجوب الحج هي : البلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ووجود محرم مع المرأة او رفقة مأمونة من النساء .

اما أركان الحج عند الأئمة فهي :

الحنفية : ركنان فقط : الوقوف بعرفة وطواف الافاضة الاربعة اشواط الاولى منها اما الثلاثة الباقية فهي من الواجبات وليست من الاركان .

الشافعية : اركان الحج ستة : الاحرام وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وازالة الشعر بشرط ان يزيل ثلاث شعرات من الرأس « **الحلق او التقصير** » ويكون هذا الركن بعد الوقوف بعرفة والركن السادس هو الترتيب بمعنى تقديم الاحرام اولا وتقديم الوقوف على طواف الافاضة والحلق والطواف على السعي ان لم يفعل السعي عقب طواف القدوم .

باقي الأئمة : عندهم أركان الحج **أربعة** : الاحرام وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة .

وصحة الحج تتوقف على أداء هذه الاركان ، فمن ترك ركنا منها لا يصح حجه .

تربية الطفل في الإسلام

للاستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

○ ـ **نظرة الاسلام الى طبيعة الطفل**

يتمشى اهتمام الاسلام بتربية الطفل مع نظرته الى طبيعة الطفل . وبدون فهمنا لهذه النظرة يكون فهمنا لتربية الطفل في الاسلام فهما مبتورا ، ويمكن تحديد خصائص الطبيعة الانسانية للطفل كما يلي :

١ ـ يتكون الانسان من جانبين : الجانب المادي والجانب الروحي ولابد من امتزاج هذين الجانبين لتحقيق سعادة الانسان ، واما انفصالهما عن بعضهما البعض فيؤدي الى شقائه .

٢ ـ تتصف طبيعة الانسان بأنها متفاعلة أي أنها مؤثرة في الوسط المحيط بها بفعل الدوافع الفطرية المزودة بها ، ومتأثرة بهذا المحيط بفعل المرونة التى تتصف بها من حيث قابليتها للتأثر بهذا المحيط .

٣ ـ لا تنضج طبيعة الانسان بدون التربية الصحيحة السليمة الملائمة لهذه الطبيعة .

٤ ـ تتصف طبيعة الانسان عند الولادة بالحياد الاخلاقي أي يولد الطفل على الفطرة ، وبحسب التربية التى يتلقاها من بيئته يغلب لديه جانب الخير أو الشر .

٥ ـ الطفل ليس رجلا مصغرا .

وهذه الخصائص ليست منفصلة عن بعضها البعض وانما هي مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطا وثيقا ، بحيث تكون كلا واحدا ، وهذا الفصل المصطنع انما هو من أجل سهولة توضيحها فقط .

وسيتم فيما يلي تناول كل جانب من هذه الجوانب بشيء من التفصيل

○ ـ **تكوين الانسان** :

يتكون الانسان في نظر الاسلام من جانبين : الجانب المادي والجانب الروحي لقوله تعالى : (**اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) ص ٧١/٧٢ ،

فالطين يمثل الجانب المادي من الانسان وهو جسده ، وقد ثبت أن جسد الانسان يتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الطين . وينبع من هذا الجانب دوافع الانسان التى تهدف الى المحافظة على بقاء الانسان وحمايته من الأخطار الخارجية التى قد يتعرض لها . وهذه الدوافع الفطرية هي ما تسمى عند المسلمين بالشهوات .

ويدل على اعتراف الاسلام بوجود هذه الدوافع عند الانسان عدد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال كبار علماء المسلمين ، ولضيق المقام هنا عن التفصيل يكتفي الباحث بذكر قوله تعالى : (**زين للناس حب الشهوات**) آل عمران/١٤ ، وقوله تعالى في الانسان : (**وانه لحب الخير لشديد**) العاديات/٨ ، والخير هنا هو الموضوعات المادية الخارجية التى تشبع دوافع الانسان وحاجاته ، كما يدل على ذلك السياق الذي توجد فيه هذه الآية في سورة العاديات .

وأما الجانب الروحي الذي في الانسان فينبثق عنه دافع التدين الفطري ، ومظهر هذا الدافع هو التقديس . وحتى حين تضل فطرة الانسان لانكبابها على الشهوات فانها برغم ضلالها تتجه نحو خالقها . وانه وان كان اتجاها تخالطه الشوائب التى تؤثر في نقائه وصفائه الا انه على أي حال اتجاه نحو الله يظهر فيه وجود دافع التدين الذي يدل عليه مظهر التقديس بشكل واضح . فيعبد الناس الله ويشركون به غيره من الكائنات (**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**) الزمر/٣ ، والملحدون الذين يحاولون قمع دافع التدين الفطري عند الانسان لم يستطيعوا قمع هذا الدافع وانما هم يعملون على تحويله الى عبادة الابطال أو الى عبادة كائنات أخرى من مخلوقات الله أو الى منتجات من صناعة الانسان ، ويظهر ذلك جليا من تقديس الافراد لمثل هذه الأمور عندما يضلون عن الله تعالى .

وهذان الجانبان وهما : الجانب المادي والجانب الروحي لابد من اتصالهما وامتزاجهما بشكل متوازن من أجل تحقيق سعادة الانسان . فسعادة الانسان لا تتحقق الا باشباع دوافعه جميعها بشكل متوازن وبحيث يصحب عملية الاشباع هذه مزج المادة بالروح أي تسيير الاعمال التى يقوم بها الفرد لاشباع دوافعه بأوامر الله ونواهيه . فالاسلام يحض على اشباع الدوافع في عدد من الآيات والأحاديث نجتزىء منها قوله تعالى : (**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**) الاعراف/٣٢ ، وكره الاسلام الانقطاع التام للعبادة لاشباع الجانب الروحي واهمال الحاجات الجسدية ، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية وقال (ان الرهبانية لم تكتب علينا) رواه احمد ، وقال تعالى : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/٧٧ .

كما أمر الاسلام المسلم بأن يجعل المقياس الذي يقيس به أعماله التى

يقوم بها لاشباع دوافعه هو مقياس الحلال والحرام بحسب أوامر الله ونـواهيه ، وهـذا هو مـزج المادة بالروح . فمثلا اباح الاسلام اشباع الدافع الجنسي ولكن بطريق منظم وبحسب قـواعـد معينـة وضعهـا الاسلام للزواج وحرم الزنا وجعله من الكبائر .

وأباح اشباع دافع الجوع بأنواع معينـة من الطعام وحـرم أنواعـا أخرى ، وأمر بأن يتم الحصول على الطعام بالطرق الحلال التى أباحها الشرع . ومن يتتبع الاحكام الشرعية يجد أن هذا الأمر وهو مزج المادة بالروح ينطبق على اشباع كل دافع من دوافع الانسان ، أي أن الاسلام يحض على اشباع كل دافع ولكن بحسب أوامر الله ونواهيه وأن يتم الاشباع بشكل معتدل ومتوازن بين جميع الدوافع ، وأي انفصال بين الجانب المادي والجانب الروحي يؤدي الى عدم التوازن بين اشباع الدوافع وينتج عن ذلك شقاء الانسان .

○ ـ اتصاف الطبيعة الانسانية بالحياد الأخلاقي

المقصود بهذا القول أن الطفل يولد على الفطرة ، وتكون قابليته للاتجاه نحو الخير اكثر اذا ما حقق التوازن بين اشباع دوافعه بشكل معتدل وكان يمزج في هذا الاشباع المادة بالروح أي كان يجعل مقياس أعمالـه في اشبـاع دوافعـه مقيـاس الحـلال والحرام المتفق مع أوامر الله ونواهيه وأما اذا لم يمزج المادة بالروح وحدث انفصال بين جانبه المادي وجانبه الروحي فانـه يختل التـوازن بين الجانبين فيختل التوازن بين اشباع الدوافع جميعها فينتج عن ذلك الشقاء الانسـاني ، كما نـلاحظ في وقتنا الحـاضر أن حالات القلق النفسي والانتحار تكثر حيث تسود الحياة المادية ، ويتم اهمال الجانب الروحي لدى الانسان . والاندفاع وراء اشباع الدوافع بـدون ضوابط يؤدي الى تضخمهـا وخروجهـا عن الاعتدال فتـدفع الانسـان الى الـوقـوع في الشرور . ويعبر الغزالي عن الحياد الاخلاقي بقوله : « والقلب بأصـل الفطرة صالـح لقبول آثـار الملك ، ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر ، وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها » .

○ ـ عدم قابلية الطبيعة الانسانية للنضج بدون التربية :

عندما يولد الطفل يكون خلوا من كل علم . وكل علم يوجد لديه في مستقبل حياته انما يحصل عليه عن طريق الاكتساب من بيئته ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « وانمـا الـعلم بـالتـعلـم » رواه البخـاري ، والحقيقـة أن نمـو الخصـائص الانسانيـة التى تميز الانسان عن الحيوانات وضبط دوافعه وتهذيبها وانارة العقل بالشرع لا يتم كل ذلك بشكل صحيح بدون التربية السليمة الملائمة لطبيعة الانسان وفي ذلك يقول الحسن رحمه الله : « لولا

العلماء لصار الناس مثل البهائم » . ومن هنا فقد اكتسب طلب العلم والعمل به أهمية كبرى لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه ابن ماجه ، والاسلام لا يعذر الجاهل على جهله بأي علم من العلوم النافعة له في حياته . كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ دائما من كل علم لا ينفع .

○ ـ مرونة الطبيعة الانسانية في تفاعلها مع الوسط المحيط بها :

طبيعة الطفل في أساسها متفاعلة مع الوسط المحيط بها أي أنها تؤثر في الوسط المحيط بها وتتأثر به . وفعاليتها في التأثير في الوسط المحيط بها ناتجة عن فعل الدوافع الفطرية التى يولد الطفل مزوداً بها كما سبق توضيح ذلك . وفي نفس الوقت تتصف هذه الطبيعة الانسانية بتأثرها في الوسط المحيط بها ، لان الطفل يكتسب علومه وأخلاقه من بيئته ، ويعبر الغزالي عن ذلك بقوله « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل شيء وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه » .

○ ـ نظرة الاسلام الى الطفل بانه ليس رجلا مصغرا

ينظر الاسلام الى الطفل بأنه يختلف عن الكبير البالغ في صفاته الجسمية وقدراته العقلية ولذا فانه ينبغي معاملته بشكل يتفق مع خصائصه ، ولذا فان الاسلام لا يكلف الطفل بالالتزام بالتكاليف الشرعية حتى يصل سن البلوغ ويصبح قادرا على الالتزام بهذه التكاليف من الناحية الجسمية والعقلية لتلبية الجانب الروحي ، وحتى يصل سن البلوغ لابد من الاهتمام بتربيته وتعويده على السير في طريق الخير ووقايته من السير في طريق الشر . ولذا فقد جعل الاسلام تربية الطفل ووقايته من كل انحراف واجبا دينيا وحمل مسئوليته للاباء وغيرهم من المربين الذين يشرفون على تربية الطفل . وانهم يأثمون في حالة تقصيرهم عن القيام بهذا الواجب الديني . يقول تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا)** التحريم/٦ ، ويوضح الغزالي ذلك بقوله : « والصبي أمانة عند والديه .. فاذا عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له » .

○ ـ التطبيقات التربوية

في ضوء مفهوم الطبيعة الانسانية توجد تطبيقات تربوية اسلامية لتربية الطفل سبقت بها التربية الاسلامية كل تربية في القديم والحديث . والتطبيقات التربوية التالية متصلة مع بعضها البعض ، ويصعب الفصل بينها ، وما الفصل بينها الا من أجل فهمها :

○ ـ ضرورة ايجاد التوازن بين العوامل النفسية والبيئية :

بما أن طبيعة الطفل متفاعلة

بفطرتها مع الوسط الذي يعيش فيه الفرد ، فان الفرد في أي مرحلة من مراحل نموه ، انما هو نتاج التفاعل المستمر بين العوامل النفسية الموجودة في داخله ، والعوامل الخارجية المؤثرة فيه . وتفسير سلوك الفرد ينبغي أن يتم في ضوء هذين العاملين . ونجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه مسلم ، وفي هذا الحديث يقر الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ الفروق الفردية ، ثم يوضح أن المزايا الداخلية التى يتميز بها الفرد لا تجعله متميزا عن غيره الا اذا تفاعلت مع البيئة الموجود فيها .

○ ـ ضرورة استغلال الدوافع في التربية والتوجيه :

بما أن الدوافع هي محركات السلوك الانساني كان من الطبيعي أن تهتم التربية الاسلامية باستغلال هذه الدوافع . وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في تربية الاطفال . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينظم للاطفال دروسا بليغة يتعلمون منها ثمرات الجهاد والسبق في الحياة وهم لا يشعرون ، وذلك عن طريق اللعب الذي يلائم طبائعهم واستغلال دوافعهم واشباع حاجاتهم فقد روى في مسند الامام أحمد أنه كان صلى الله عليه وسلم يصف الاطفال الذين يأنسون به ويقول : « من سبق فله كذا » « فيستبقون اليه ، فيقعون على صدره فيلتزمهم ويقبلهم .

○ ـ استغلال اللعب في تربية الطفل

لقد رأينا فيما سبق كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستغل اللعب في تربية الأطفال . وأدرك المربون المسلمون ما للعب من أهمية كبرى في تربية الاطفال . ومما أدركوه في هذا المجال هو أن فرض الجدية على الطفل والطلب منه بالاستمرار في التعلم وعدم السماح له باللعب الجميل المناسب له يؤدي الى ملله من الدروس واضعاف قدرته على تحصيلها والتفكير فيها والى كراهيته لها والنفور منها ، واما اذا سمح له بعد انتهاء الدرس بممارسة اللعب المناسب الترويحي فان ذلك يؤدي الى تجديد نشاطه ويزيد من اقباله على دروسه بهمة ونشاط ، ويزيد من قدرته على التحصبل والتفكير .

○ ـ ضرورة تهيئة بيئة تربوية مصفاة من الشوائب :

بما أن طبيعة الطفل تتصف بالمرونة من حيث قابليتها للتأثر بالبيئة المحيطة بها ، لذا كان لابد من احاطته بالمؤثرات التى تؤثر فيه تأثيرا ايجابيا ، وتقيه من الوقوع في الانحراف وتحميه من كل أثر سلبي . ويحض الرسول صلى الله عليه وسلم كل مسلم على أن يبذل جهده في تهيئة البيئة التربوية الصالحة لطفله في البيت عند التفكير في تأسيس البيت وحتى قبل ولادة الطفل ، ولا أدل على ذلك من أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا كل مسلم يريد أن يختار زوجته بالتفكير في الأطفال الذين ستنجبهم ،

فيعرف الصفات والمواهب التى تتمتع بها ، ويعرف مدى صلاحيتها لتنشئتهم التنشئة الصالحة لأنها ستنقل اليهم مزاياها الطبيعية عن طريق الوراثة ، وستنقل اليهم صفاتها المكتسبة عن طريق التربية والمخالطة . وكذلك نرى المربين المسلمين يوصون بضرورة حفظ الطفل من قرناء السوء ، وألا يستعمل في حضانته الا امرأة صالحة متدينة ، وأن يكون المعلم قدوة حسنة لتلاميذه .

○ - الاهتمام بالأخذ بالتربية المستمرة :

طبيعة الطفل تتصف بالمرونة ، واهمال تربيته يؤخر نضجه من حيث اتصافه بالصفات الانسانية ، وأنه اذا عود الشر استمر عليه وأدى ذلك الى شقائه ، واذا عود الخير استمر عليه وأدى ذلك الى سعادته ، لذا كان لابد من الاهتمام بتربية الطفل منذ صغره ، والاستمرار في تربيته طيلة أيام حياته .

○ - ضرورة مراعاة مستوى نضج الطفل واستعداده للتعلم :

بما أن الطفل يسير في مراحل من النمو في نضجه ، فاذن لابد من مراعاة مستوى النضج الذي يكون قد وصله ، فهو لا يستطيع أن يتعلم الا ما هو مناسب له يقول تعالى (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة/ ٢٨٦ ، ولذا لا يجوز تكليف الطفل بما هو فوق طاقته ، ويبين المربون المسلمون في ضوء ذلك أن تكليف الطفل بتعلم ما هو فوق طاقته واستعداداته لا يؤدي الا الى نفوره من التعلم وعدم استفادته منه ، ولذا على المعلم أن يعرف مستوى قدرات طفله وان يعرف استعداداته ليقدم له ما يناسب ذلك يقول ابن قيم الجوزيه : « ومما ينبغي للمربي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الاعمال ومهيأ له منها » .

○ - عدم معاملة الطفل على انه رجل مصغر :

يتصل هذا التطبيق بالتطبيق السابق ، والمراد تركيزه هنا ان الطفل لا يختلف فقط عن الكبير في القدرات العقلية ، وانما يختلف عنه في جميع الصفات ، ولا بد من احترام طبيعته هذه ومعاملته على اساسها ، فانه يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « من كان له صبي فليتصاب له » رواه الديلمي ، اي فلينزل الى طبيعته الطفولية وليعاملها على اساس طبيعتها التي تختلف عن طبيعة الراشد .

○ - ضرورة مراعاة الفروق الفردية :

لقد سبق وان رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » اي انه يوجد بينهم اختلاف في الصفات والطبائع الاساسية وفي الصفات المكتسبة ، وهذا يحتم استعمال اساليب مختلفة في معاملة الافراد ويقول المربون المسلمون « وكما لو عالج الطبيب جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم ، فكذلك الشيخ المريد لو اشار

على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وأمات قلوبهم » .

○ ـ **التوجيه العلمي والمهني بحسب المواهب والقدرات** :

تدعو التربية الاسلامية الى توجيه الطلاب الى التخصصات المهنية والتعليمية بحسب مواهبهم وقدراتهم التي يتصفون بها ، وعلى ان تبدأ عملية التوجيه بعد ان يجتاز الطالب مرحلة من التعليم يتقن فيها اساسيات العلوم المهمة له في حياته ، ويصبح في مرحلة يكون فيها قادرا على التخصص في الناحية التي تتفق مع مواهبه .

○ ـ **حاجة الطفل الى الانتقال معه من المحسوس الى المعقول في تعلمه** :

تنظر التربية الاسلامية الى العقل وخاصة في مرحلة الطفولة بأنه يألف المحسوسات ويصعب عليه ادراك المعقولات اذا لم تتمثل في الحواس ويقول الغزالي : « لا يحل في العقل الا ما يحل في الحواس » . ولذا فقد اهتمت التربية الاسلامية بالبدء بالمحسوسات للانتقال الى المعقول لتقريب المعاني العقلية للمعقول . ونرى القرآن الكريم تكثر فيه الآيات التي تحاول تقريب كثير من القضايا العقلية الهامة عن طريق ضرب الامثال الحسية ، ويبين الله سبحانه وتعالى ان الغاية من ضرب الأمثال للناس هي اثارة تفكيرهم ، يقول تعالى : « **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** » الحشر/٢١ . ولا يتسع المجال هنا لذكر عدد من الأمثلة على ذلك ونكتفي منها بقوله تعالى : (**مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد**) ابراهيم/١٨ . ولذا فقد اهتم المربون المسلمون باستعمال الوسائل الحسية في تعليم الاطفال لتوضيح العلوم لهم .

○ ـ **حاجة الطفل الى الانتقال معه من السهل الى الصعب في تعلمه** :

لقد سبق وان رأينا ان التربية الاسلامية تهتم بمراعاة مستوى نضج الطفل وتشدد على الا تقدم له الا ما يتناسب مع قدراته واستعداداته لأن كل ما يقدم له وكان فوق مستوى نضجه واستعداداته يصعب عليه فهمه ولهذا فانه لا بد من استعمال الوسائل الحسية لمساعدة الطفل على فهم العلوم والبدء معه في تعلم السهل والانتقال معه الى الصعب .

○ ـ **حاجة الطفل الى الانتقال معه من المعلوم الى المجهول في تعلمه** :

لما كان فهم المعلوم اسهل من فهم المجهول لذا كان لا بد من البدء بالمعلوم في تعليم الطفل والانتقال به الى المجهول . ويذهب المربون المسلمون الى ان العلوم المجهولة يصعب اكتسابها بدون العلوم السابقة فيقولون : « كل علم مكتسب فبعلم قد سبق ان اكتسب » ويقولون : « العلوم الخفية توزن بالعلوم الجلية » .

○ ـ **الثواب والعقاب** :

تميل التربية الاسلامية الى

استغلال الثواب لاثارة نشاط الطفل للتعلم ، ولتعزيز تعلمه كما سبق وان رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستعمل الثواب في اثارة نشاط الاطفال للتعلم ولتعزيز تعلمهم ويقول « من سبق فله مني كذا » فيستبقون اليه فيقعون على صدره فيلتـزمهم ويقبلهم .

وأما بالنسبة للعقاب فان الاسلام ينظر الى طبيعة الطفل بانها ليست شريرة ، ولذا فهو لا يقر العقاب في تربية الطفل من اجل العقاب نفسه ولتطهير نفس الطفل من الشر المتأصل فيها . وانما يحض على الرفق في المعاملة وينهي عن استعمال العنف لقوله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرحمة ما لا يعطى على العنف** » رواه مسلم . وقـد ادرك المربـون المسلمون المضار النفسية والعقلية والجسمية والخلقية التي تنتج عن استعمال العقوبات القاسيـة ومما يقوله ابن خلدون في هذا المجال : « من كـان مربـاه بالعسف والقهـر من المتعلمين ... سطا به القهر وضيق على النفس انبساطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والخبث ... وفسدت معاني الانسانية التي له ... وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل » .

○ ـ **اجبارية التعليم** :

لأهمية التعليم في حياة الانسان فقد جعله الاسلام اجباريا على كل فرد مسلم لقوله صلى الله عليه وسلم « **طلب العلم فـريضة عـلى كـل مسلم** » رواه البخـاري . والعلـم الفرض هذا هو العلم الذي لا يستغنى عنه المسلم في حياته . واما العلوم التي يحتاجها بعض الأفراد دون الآخرين مثل الطب والصيدلة وغيرهـا من العلوم التي اذا خلا منها بلد لحق الضرر والأذى ببعض افراد اهل البلد كانت هذه العلوم فرض كفاية يأثم جميع اهل البلد اذا خلا البلد من اي علم منها ، ويسقط الأثم عن الباقين اذا وجد في البلد من يتخصص بهذه العلوم الى الحد الذي يكفي حاجة اهل البلد من هؤلاء المتخصصين . واما التعمق في علوم فرض العين وعلوم فرض الكفاية عن الحد اللازم لحاجة الناس فيعتبر من علوم الفضيلة ، ويكون مذموما اذا لم يكن نافعا او ضارا او كان مبنيا على اسس من الوهم والخرافة .

رأينا فيما سبق ان درجة وجوب تعلم العلم من حيث كونه فرض عين او فرض كفاية او فضيلة او من حيث كونه مذموما انما يكون بحسب درجة نفعه للفرد او للمجتمع او بحسب الضرر الذي يحصل منه للفرد او للمجتمع . ولذا فانه من الواضح ان الاسلام لا يحض على طلب العلم لمجرد حشو العقول بالمعلومات التي لا تستعمل في الحياة ولا تكون نافعة . ونرى القرآن الكـريم يذم الـذين يتعلمون علما ولا يعملون به بأسلوب يعادل اقسى الزواجر يقول تعالى (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثـل الحمـار يحمـل اسفـارا**) الجمعة / ٥ .

أسرى الحرب

ان الحرب قديمة في العالم ، لا يخلو منها زمان ومكان ، لأن الاقتتال طبيعة في البشر . وسبب ذلك كما يقول ابن خلدون : اما غيرة ومنافسة ، واما غضب لله ولدينه ، واما غضب للملك والسيطرة وسعي الى تمهيد ذلك ، واما عدوان على الآخرين .

والناس يدركون خلو الحرب في كثير من الاحيان من الرحمة والهوادة ، فمن لوازمها القسوة والغلظة ، ومع ذلك فهم يسارعون اليها ، اذا أخفقت جهودهم السلمية ، وفشلت وسائلهم الدبلوماسية في الحد من عدوان الظالم **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** البقرة/٢١٦ ففي رد العدوان حفظ للحق وبقاء للعدل . أما السلام الدائم فهو أمر مستحيل في البشر عند ابن خلدون ، لأن القتال ناتج عن اختلاف ارادتين : احداهما تريد الانتقام والعدوان والأخرى تدافع ضدها ، فاذا تجمع حول كل ارادة المتحزبون لها كانت الحرب .

وفي عصرنا الحاضر تسعى الدول الى اقرار السلام وابعاد شبح الحرب ، وربما صدق هذا على بعض الدول ، لأن هناك من يحضر المؤتمرات ونية الغدر وأسلحة الفتك والدمار تلازمانه ، ثم ان جهود السلام تتعارض مع أهواء الدول الكبيرة وأطماعها ، فهي لذلك تسعى في فرض نفوذها ومذهبها السياسي أو اتجاهها الاجتماعي . وما دام الواقع العالمي

في الاسلام

للاستاذ / حسن عبد الغني ابو غدة

كذلك فان الحرب مستمرة وفكرة الغائها لا يمكن لها أن تستمر ، وسيبقى القتال مهددا العالم .

مشروعية القتال في الاسلام :

اذا كان القتال شبحا مخيفا يخشى الناس وقوعه ، فان الاسلام لا يزاوله لبسط نفوذ ولا لقصد عدوان . فهو الذي عاب الافساد في الارض والاعتداء على الناس (**ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) البقرة/ ١٩٠ ولكن لماذا شرعت الحرب في الاسلام ؟

١ ـ من مشروعية القتال رد العدوان ومقاومة الظالم ، لأن طرد المسلمين من ديارهم ومبادأتهم بالعدوان ، ونقض العهود معهم تشكل دوافع كافية لقتال العدو (**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة**) سورة التوبة/ ١٣ (**فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**) سورة البقرة/ ١٩١ .

٢ ـ كما أن من مشروعية القتال تأمين وصول الدعوة الاسلامية الى الناس ، لأن الاسلام ، لا يقف مكتوف اليدين أمام من يقف في طريق دعوته ، ويمنع الناس من سماع الاسلام وفهمه بما يفرضه عليهم من ارادة ظالمة وقوة غاشمة . فمن حق الناس اختيار ما يريدون من عقيدة وما يرضون من دين . وليترك المتسلطون دعاة الاسلام يحاجون غيرهم ويناقشونهم ولتكن الغلبة

للحجة والبرهان لا للتسلط والقهر **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)** سورة البقرة/١٩٣ .

من آثار الحرب الأسر :

اذا كانت الحرب وسيلة لابد منها عند اخفاق الجهود السلمية وفشل المفاوضات ، واذا كان الاسلام قرر مشروعية الحرب لأهداف سامية تقدم ذكرها ، فان كل حرب لابد أن تترك آثارها بين الناس ، ومن آثار الحرب ظهور الأسرى . ويهمنا أن نعلم معاملة الأسير في الاسلام وهل لهذه المعاملة نظام معروف وقواعد ثابتة ؟ هذا ما سنبحث عنه .

معاملة الأسير قبل الاسلام :

الأسير هو الشخص الذي يقع في قبضة دولة معادية في الحرب أو قبلها أو بعدها ، وربما كان الأسير رجلا أو امرأة .

وسمي أسيرا لوقوعه في الأسر وهو الاحتباس الذي يصاحبه في العادة التقييد أو ربط اليدين ليمنع من الفرار والعدوان .

بدأ الأسر في التاريخ عقب الغزو أو الحرب اللذين كانا يسودان بين الأقوام والجماعات ، فتكون نهاية ذلك استبقاء الافراد الذين ألقي القبض عليهم بيد أعدائهم ، ثم أصبح للأسير نظام خاص للمعاملة عند قدماء المصريين والصينيين والهنود ، كما أن الرومان واليونان والفرس كانت لهم معاملات معينة للأسرى . حتى عرب الجاهلية عرفوا معاملة منتظمة مع الأسير : كالفداء أو الاستخدام أو القتل . غير أن الأسرى كلفوا من الاعمال مالا يطيقون ، ومنعوا من السكن الملائم وربما من الغذاء ان لم يخضعوا صباح مساء لضربات السياط والتعذيب . على مثل هذه المعاملة كانت عادة بعضهم قبل الاسلام . وعندما جاء الاسلام كانت له نظرة خاصة للأسير سيأتي بيانها . ولكن متى حدث الأسر في الاسلام ؟

أول حادثة أسر في الاسلام :

ان أول حادثة اسر في التاريخ الاسلامي كانت في سيطرة سرية من المسلمين بقيادة عبد الله بن جحش على رجلين قرشيين هما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وكان ذلك في الشهر الحرام ـ رجب ـ قبل غزوة بدر الكبرى ، وقد رد رسول الله هذين الأسيرين الى قريش بعد أن عاد رجلان من السرية الى المدينة ، وكانا قد تخلفا في الطريق . فلما تأكد رسول الله من رجوع جميع رجاله أعاد الأسيرين الى قريش . ولم تتعرض آيات القرآن لقصة هذين الأسيرين .

ولما اشتد عود المسلمين وانتزعوا النصر العسكري في معركة بدر حصلوا على سبعين اسيرا من أفراد عدوهم ، وكانت مسألة الأسرى من آثار المعركة التى اختلفت وجهات نظر المسلمين فيها . فعمر بن الخطاب ومعه بعض الناس يرون قتل جميع الأسرى وعدم قبول افتدائهم . وابو بكر الصديق ومعه بعض الناس يرغبون في الفدية ولا يريدون القتل لأن الأسرى من الأهل والقرابة ، وأخذ

الرسول بالرأي الثاني وقبل الفداء ممن يستطيعه .. الخ ونزلت آيات القرآن تعرض - ولأول مرة - لمسألة الأسرى (**ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**) سورة الأنفال/٦٧ .

من هو الأسير ؟

الأسير في النظام الاسلامي هو فرد من العدو المحارب غير المسلم وربما أمسك به قبل الحرب أو بعدها ، سواء كان جريحا ام سليما . وعليه فلا أسر لأفراد العدو المهادن أو المصالح الا لحدوث غدر ووقوع خيانة ، كما أنه لا أسر لأفراد مسلمين : فلو ثار بعض المسلمين على السلطة أو خرجت طائفة منهم على الدولة فألقي القبض عليهم فهؤلاء بغاة وليسوا أسرى ولهم معاملة مغايرة تختص بشرحها كتب الفقه الاسلامي . وربما سموا أسرى تجوزا .

التحكم بالأسير :

ذهب بعض العلماء الى أن الفرد الآسر أو المجموعة الآسرة هي التى تتحكم في مصير الأسير وممتلكاته بل هي صاحبة الارادة الوحيدة في ذلك قياسا على قوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا فله سلبه » حديث متفق عليه ، والسلب هو ما يملكه القتيل من متاع وسلاح اثناء المعركة . فكذلك من أسر أسيرا فهو حر الارادة فيه . وأضافوا الى ذلك ما أخرجه الحاكم من أن آسري العباس بن عبد المطلب توعدوه بالقتل بعد بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الانصار آنهم قاتلوه . قال عمر : أفآتيهم ؟ قال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم : ارسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال عمر : فان كان لرسول الله رضا ! قالوا : فان كان له رضا فخذه . فأخذه عمر .

وفي تقديري أن قصة العباس مع آسريه لا تصلح لما ذكروا ، بل لها توجيه آخر هو أن الأنصار توعدوه بالقتل توقعا لما سيوقعه به الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل أنهم لما قبل الرسول الفداء بحكم كونه رئيس الدولة لم يصر الأنصار على قتل العباس وتسليم العباس الى عمر طاعة من الأنصار لقيادتهم التى لها حق التصرف المطلق لأن من المعروف في الفقه الاسلامي أن راى الحاكم هو الذي ينهي مصير الأسرى .. ولما سبق فان الذي يتحكم في مصير الأسير رئيس الدولة لا الأفراد أو المجموعة الآسرة - لأن أسير الحرب هو أسير للدولة . وهذا ما قرره القانون الدولي فاعتبر أسير الحرب اسيرا للدولة وحدها وهي التى تقرر مصيره .

ما يحمله الأسير :

يكون مع الأسير المحارب عادة سلاحه ولوازم حربه من أجهزة وعتاد وربما مبالغ من المال وما شابه ذلك . والحكم في ذلك أن الممتلكات ملك للدولة الآسرة لا الأفراد ، والتصرف فيها خاضع لرأي القائد المفوض أو الحاكم العام . ويحرم على الأفراد أخذ شيء من ذلك الا باذن من

الحاكم . وكل سرقة قبل توزيع المغانم غلول وسحت « لا تغلوا فإن الغلول نار وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة » حديث رواه أحمد والنسائي .

وربما احتاج القائد الى حماسة المقاتلين فبث فيهم الشجاعة والمنافسة فأباح لهم تملك ممتلكات من يقتلونه أو يأسرونه من العدو ، فهذا أمر جاء في الاسلام لأن تقدير المصلحة عائد الى القائد ، ومن المصلحة تشجيع الأفراد المقاتلين على العدو ورفع روحهم المعنوية بما هو مناسب ومشبع لرغبات الأفراد « من قتل قتيلا فله سلبه » وقد قال عبد الله بن جحش « اللهم ارزقني رجلا شديدا أقتله وآخذ سلبه » . اخرجه الحاكم والبيهقي بسند صحيح .

تقييد الأسير :

أجاز الاسلام ربط يدي الأسير أو تقييده بجذع شجرة أو عمود أو غير ذلك ، وهو حينما يقرر ذلك يقصد به التحفظ على الأسير والحذر من هربه أو عدوانه . أخرج أبو داود عن جندب بن مكيث أنه خرج في سرية فأسروا الحارث بن البرصاء فقال لهم : اتركوني فقد جئت أريد الاسلام . فقالوا : ان تكن مسلما لم يضرك رباطنا يوما وليلة ، وان تكن غير ذلك نستوثق منك . ثم شدوا وثاقه أخذاً من الآية الكريمة (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**) سورة محمد / ٤ وجريا على عادة القرآن في تعليم المسلمين الحذر من العدو فقد أرشدهم ـ كما يقول المفسرون ـ ولم يلزمهم بربط الأسير أو تقييده .

وربما تستنكر بعض الدول اليوم ربط الأسير أو تقييده ، وتعتبر ذلك اهدارا لكرامة الانسان ، وفات تلك الدول أن ذلك للحذر والتحفظ . بل ان هناك من يدعي التقدم والحضارة ثم يخرق الكرامة الانسانية ، بما يقوم به من قتل وتشريد وعدوان على الابرياء من أطفال ونساء وشيوخ ، وليست حروب أفغانستان وارتيريا بعيدة عنا ، كما أن فعل العدو الاسرائيلي شاهد حاضر على هدر حقوق الانسان وكرامته .

هذا وقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيره ثمامة بن أثال في سارية ـ عمود ـ المسجد النبوي ، وربما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم تعريف الأسير بدين الاسلام وشعائره وسلوك المسلمين ومعاملاتهم وعدالتهم وسمو دينهم . ولقد تأثر الأسير بمن خالطهم حيث انه لما أطلق سراحه دخل الاسلام فتأثر به قومه لأنه كان زعيمهم فلا يعقل أن يخالفوه . وفي أمثال ثمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجب ربنا عز وجل من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » حديث رواه البخاري .

تعذيب الأسير :

ان المتتبع للنصوص الاسلامية في معاملة الأسرى يجدها تفيض بالاحسان الى الأسرى ومد يد المساعدة اليهم . لأن الأسير مخلوق وقع في شدة وضيق فيحسن بالآسرين ان يقدموا له العون ويخففوا عنه الشدة ، فربما ترك عداوته لهم

وانخلع عن الشرك الى الاسلام من حسن المعاملة (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** سورة الانسان/٨ ثم ان الاسلام دين هداية لا عداوة وحقد . فهو لا يبيح لاتباعه مبادأة الأسير بالعدوان والايذاء والتعذيب ليكره على الاعتراف بأمر ما أو ليحمل على افشاء أسرار دولته . خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت رجلا من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي أحسنوا اساره ثم رجع الرسول الى أهله فقال لهم : اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به الى ثمامة وأمر رسول الله بلقحته (ناقته) أن يغدا عليه بها ويراح » كما في الروض الأنف وأصل الحديث عند الشيخين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوم بدر : استوصوا بالأسارى خيرا . فاذا كان الاسلام يكرم الأسير ويطعمه ويستوصى به خيرا فهل يعقل أن يسمح بتعذيبه أو ايذائه ؟ أما اذا جرت عادة الدول المعادية على تعذيب أسرى المسلمين والاضرار بهم لحملهم على افشاء الأسرار فلا مانع حينذاك من التماثل في المعاملة ، لايقاف العدو عن عدوانه وكفه عن فعله السيء . وما ورد من روايات وقصص فيها تعذيب المسلمين لأسراهم فانما هي من باب التعامل بالمثل لا المبادأة بالعدوان .

والشيء المتعارف عليه دوليا في عصرنا الحاضر ان الأسير لا يكره على شيء من المعلومات سوى اسمه ورقمه العسكري ورتبته ، وقد سبق الاسلام هؤلاء حينما أرشد الى اعانة الأسير وسماع شكواه كما كان يفعل رسول الله عندما يتردد على ثمامة وهو في المسجد يسأل عن حاله .

معتقلات الأسرى :

كان الأسرى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعون في المسجد كما فعل بثمامة بن أثال . أو يربط الى جذع شجرة بشكل مؤقت ليتم تقرير مصيره أو يحتفظ به في غرفة أو بيت من البيوت كما فعل بسهيل بن عمرو حينما أودعه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجرة سودة بنت زمعة احترازا من هربه كما في سنن ابي داوود ، ولم تكن بساطة حياة العرب تساعدهم على تخصيص معتقلات أو بناء سجون للأسرى ، خاصة اذا علمنا أن تبادل الأسرى أو تقرير مصيرهم كان لا يأخذ مدة بعيدة من الزمن حسب استراتيجية حروب ذلك العصر ، وما دام الاسلام دين النظافة ، يأمر بها ويحث عليها « ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم (ساحاتكم) ولا تشبهوا باليهود .. رواه الترمذي فلا نستطيع أن نتصور المسجد أو البيت أو ساحات المسلمين الا نظيفة صحية تتوفر فيها راحة الأسرى وتحفظ فيها سلامة أجسادهم ويبتعدون عن الأمراض

والأوبئة والصخب والقلق .

وعلى هذا فالأسير كان يلقى العناية الصحية والراحة الجسمية عند المسلمين اضافة الى تلبية رغباته وتأمين حاجاته ومتطلبات جسمه . وقد ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرسل الى الأسير الطعام والغذاء ويأمر بالناقة ليشرب منها صباحا ومساء . ويستمع الى شكواه في معتقله قائلا : ما عندك ياثمامة ؟ ثم تغير اسلوب المعيشة وبنيت السجون ووضع فيها الأسرى وتمتعوا فيها بالراحة والطمأنينة والاحترام الى أن افتدوا أو اطلق سراحهم .. الخ . وبهذا يكون الاسلام سابقا عصرنا المسمى بعصر النور والذي يطالب باحسان معاملة الأسرى وحفظهم في معتقلات خاصة تحفظهم من القتال ، وتتوفر فيها أساليب الراحة ومتطلبات الصحة والسلامة . ولم يحدث في تاريخ المسلمين ان لقي الأسير منهم الجوع والقهر والتعذيب وقطع الاطراف على النحو الذي تعامل به بعض الدول أسراها في عصرنا هذا الذي يسمى بعصر النور كل ذلك يتم على أيدي أبناء الأمم التى تدعي أنها حامية الانسان والحضارة والمدنية ، قال عمر بن الخطاب : يارسول الله دعني انزع ثنيتي (سني) سهيل بن عمرو ويدلع لسانه حتى لا يقوم خطيبا يحرض عليك ، فلم يأذن له بذلك .

العناية بالأسير :

من المباديء الاسلامية تكريم الانسان واحسان معاملته (**ولقد كرمنا بني آدم**) سورة الاسراء/ ٧٠ ، ومن هذا المنطلق شرع الاسلام تكريم الأسير ورعايته الرعاية اللائقة به كانسان له روح وحياة يحيا بها . ومن رعاية الأسير توفير طعامه وشرابه وملبسه واطمئنانه على أهله واولاده وحفظ صحته من الأمراض والعدوى ومعالجته ان لزم الأمر ، وهذه التكاليف تقوم بها الدولة بحكم واجبها تجاه أسراها حتى يتقرر مصيرهم ، ذلك لأن الأسير يعجز عن التكسب والانفاق على نفسه ورعاية شؤونه ، فلا بد من العناية به ممن يمنعه من القيام بذلك . والأسلام لا يجيز حرمان الأسير من الطعام أو الدواء كما لا يسمح للأمراض بالفتك به وهو لا يوافق على تعرية الأسرى وهتك كرامتهم باظهارهم عراة دون ستر عورتهم . ولقد أثنى الله على من يطعم الأسير في قوله : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) سورة الانسان/ ٨ بل هذه من صفات المؤمنين الملازمة لهم ، بل ان المسلمين كانوا يشركون الأسرى معهم في الطعام كما قال أبو عزيز أسير المسلمين في بدر : كنت في رهط من الانصار فكانوا اذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصية رسول الله اياهم بنا .. الخ ، اما كسوة الأسير فهي واجبة سترا لعورته وصيانة لكرامته الآدمية (**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشاً**) سورة الاعراف/ ٢٦ والاسلام يوجب دفع البرد عن الأسير بما يعطي من ثياب

تحميه من البرد وتحفظه من الحر أو تدفع عنه الأذى ولقد اتى بالعباس بن عبد المطلب وهو أسير في بدر ولم يكن عليه ثوب يستره فامر له رسول الله بثوب يكسوه .. حديث رواه البخاري ، وحفظ صحة الأسير وتأمين راحته مطلوب في قوله صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالأسارى خيراً » ولا مانع بعد ذلك من تقدير الناس وانزالهم حسب منازلهم ومراكزهم الاجتماعية أو العسكرية ، اذ ليس في الاسلام ما يمنع من معاملة اصحاب الرتب من الضباط الأسرى معاملة أفضل وأحسن مستوى ممن دونهم ، على أن لا تهدر حقوق الأخرين ولا يتساهل في الحد الطبيعي والانساني في معاملة عامة الأفراد العاديين .

مصير الأسرى :

بدأت النصوص الاسلامية تعالج مسألة الأسرى بدءا من أسرى بدر ، فقد استشار الرسول أصحابه في مصيرهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالعفو عنهم وقبول فدائهم لأنهم الأهل والقرابة ، وأشار عمر بقطع رؤوسهم والخلاص من شرهم وأشار عبد الله ابن رواحة بتحريقهم في واد كثير الحطب ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رغب في الفداء وأخذ برأي ابي بكر لعلهم يتوبون ويؤمنون ولعل المسلمين ينتفعون بالفداء والمال ، ثم نزلت آيات القرآن تحبذ رأي عمر وتتمنى لو أن الرسول قتل الأسرى ، لأن الرحمة لا تنفع معهم واللين لا يجدي أمامهم فهم (مجرمو حرب) حسب تعبيرنا المعاصر لأنهم نكثوا أيمانهم واخرجوا الرسول من بلده وعذبوا الضعفاء وقتلوا المسلمين وهم الذين بدأوا بالحرب يوم بدر **(ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض)** سورة الانفال/٦٧ .

ولعل في تقتيل الأسرى يومئذ ارهابا للمعتدين وتخويفا للغادرين ولكل من تسول له نفسه العدوان على الاسلام وأهله ، ثم لما قوي المسلمون وانتشر الاسلام استقرت معاملة الأسرى على أمور ١ ـ الفداء ٢ ـ المن ٣ القتل ٤ ـ الاسترقاق

ولذا جاءت تعبيرات الفقهاء بأن الامام (الحاكم) مخير بين هذه الأمور الأربعة كما في الهداية من كتب الحنفية وغيره .

○ **أما الفداء** : فقد قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تصرف به مع الأسرى مقابل دفع مبلغ من المال يدفعه الأسير أو اهله أو الدولة المسؤولة عنه . وقد اطلق سراح العباس بن عبد المطلب مقابل مبلغ من المال ، فان لم يكن للأسير مال أو لم يفد به فأمامه مجال تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ليطلق سراحه . وقد تعلم الصحابي الجليل زيد بن حارثة من أسير في معركة بدر .

● وقد يفدى الأسير بتبادله مع أسرى المسلمين عند العدو « فادى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مسلما برجلين مشركين » حديث أخرجه مسلم والترمذي .

واستمر العمل بالفداء بين الدولة

الاسلامية وأعدائها ، فقد كانت العادة بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية أن ينتهي مصير الأسرى بالفداء المالي أو الشخصي ، فيعين المكان والزمان للتبادل ويتم ذلك بصفة رسمية محفلية (ابن الاثير في حوادث عام ١٨١ هـ) وليس هناك مقدار معين من المال ، وانما يقدره الحاكم حسب الظروف والملابسات وحال المسلمين .

○ **وأما المن** : فهو التفضل على الأسير باطلاق سراحه دون مقابل ، لطمع في اسلامه (كثمامة بن أثال) أو تغيير مواقفه أو لأنه فقير لا يجد ما ينفقه ، أو يتعهد بأن لا يعين على المسلمين عدواً .. الخ وقد من رسول الله صلى الله وسلم على أبي نمرة الشاعر يوم بدر بعد أن شكا اليه الفقر وكثرة الأولاد ، وعاهده أن لا يعين عليه عدواً (واعطاه كلمة الشرف كما في تعبيرنا الحديث) وحينئذ تركه الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنه نكث وعده وغدر بعهده . وخرج مع المشركين يوم أحد كما سنبين ذلك فيما يأتي . والمن والفداء مذكوران في قوله تعالى (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء**) سورة محمد / ٤ .

○ **وأما القتل** : فهو ليس الحل الوحيد لمصير الأسير لأننا ذكرنا أن الحاكم مخير بين أربعة أمور ، لكننا لو تتبعنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ودرسنا المواطن التى قتل فيها أسراه وجدناها قليلة بالنسبة الى الفروع الاخرى من مصير الأسرى ، بمعنى ان الرسول لم يقتل من الأسرى الا معاملة بالمثل لأن اعداءه كانوايقتلون أسراهم من المسلمين (قتل خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وهما في الأسر) . كذلك فإن الرسول لم يقتل من الاسرى الا من رأى منه الغدر والاعتداء على حرمات المسلمين فهذا ابو نمرة الشاعر نقض عهده وأخل بوعده ونكث كلمة الشرف والوفاء التى أعطاها لرسول الله ، فوقع في الأسر يوم أحد وطلب من الرسول أن يمن عليه لكثرة عياله ولكن الرسول رفض وعامله معاملة يستحقها مجرم الحرب في عهدنا وقال له : لا أعفو عنك حتى تجلس في مجالس مكة وتمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين وقال له لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر بقتله كما في فتح الباري . واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم يعامل من آذاه - من الأسرى - والب عليه الناس بالقتل حتى يردع المجرم ويوقف المعتدي والسيرة تذكر معاملة الرسول لبني قريظة بالتقتيل لأن يهود بني قريظة عاهدوا الرسول على أن يعيشوا مسالمين في المدينة ، يردون معه عدوان المعتدين عليها ، واذ بهم ينقضون العهد ويساعدون قريشا على المسلمين في غزوة الخندق ، بل يتحرشون بالمسلمين من خلف صفوف القتال ويضعفون عزيمتهم عن مقاومة عدوهم الأمامي ، فما كان لهم من جزاء الا القتل بما أثاروا من ذعر في صفوف المقاتلين المسلمين ، وما قاموا

به من عدوان على المدنيين الآمنين في المدينة المنورة .

ولعل معاملة الرسول لأمثال هؤلاء أشبه بمحكمة عسكرية سريعة النظر في هذه الأمور ، نظراً للظروف التى يمر بها المجتمع حينذاك ، بغض النظر عن شكليات المحاكم وكيفيتها لأن هذه الأمور التنظيمية من الاختصاصات الداخلية لكل دولة . والقانون الدولي حاليا لا يمنع من قتل الأسرى بعد محاكمتهم لأن في ذلك تحقيق الأمن والمقاصد للدولة الأسرة . سواء كان الأسير من الرجال أم من النساء . لأن بعض الدول تستخدم النساء في الأعمال العسكرية العدوانية فهن والرجال في الحكم سواء لارتكاب العدوان والغدر وخلف الوعد .

الاسترقاق : وهو الضم الى ملك المسلمين للاشراف على الأسير واستخدامه وتأديبه بأدب الاسلام فيتأثر بذلك ويقبل على الدين بفهم وقناعة . وربما أطلق سراحه وأعتق لحسن سلوكه وطيب نفسه وصدق أخلاقه .

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن نظام الرق مبدأ مقرر منذ العصور القديمة عرفه قدماء المصريين وأيد صحته الفيلسوف « ارسطو » واستمر العمل الى أن جاء الاسلام فأقر المعاملة بالمثل وليس من المعقول ان يسترق الاعداء أسرى المسلمين ، أن يحرر المسلمون أسرى اعدائهم . وشرع الاسلام من الاحكام ما توجب الاحسان الى الرقيق على غير العادة التى كان يعامل بها في الدولة الرومانية التي كانت تعطي السيد الحق المطلق في التصرف بعبده ، ولو أدى ذلك الى قتله أو اماتته من الجوع .

أما الرق في الاسلام فقد بني على العدالة والواقعية وحسن المعاملة . فكثيراً ما اعتق الرسول وأصحابه الرقيق وعملوا على اقلال عددهم ، بل ان الاسلام شرع الاعانة المالية للرقيق حتى يحرر نفسه (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين فيها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**) التوبة/٦٠ وشرع الاسلام عتق الرقبة كفارة لكثير من المخالفات التى يرتكبها المسلم . وما اكثر المخالفات في النفوس البشرية (**ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة**) سورة النساء/٩٢ وكفارة اليمين اذا حنث بها صاحبها (**اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**) سورة المائدة/ ٨٩ وغير ذلك .

ونهاية القول : ان الاسلام كان يرعي الأسرى ويكرم فيهم انسانيتهم ، ولا يلقيهم في المعتقلات المظلمة ليموتوا جوعاً وعرياً ومرضاً ، ولا يكلفهم من الاعمال ما يقصم ظهورهم على النحو الذي تعامل به الأسرى في عصر الحضارة حيث تقطع الأطراف وتسترق الشعوب قبل الأفراد في بلاد تعترف قوانينها بالتفرقة العنصرية بين السود والبيض بصفة يأباها الطبع الانساني السليم .

عَقيـــــدَة الألُوهيَّة

عقيـدة الألـوهيـة في رسالـة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام الى بني اسرائيل قائمة على توحيد الله بالعبادة ، وان المسيح عليه السلام بشر رسول ومن يرجع الى النصوص التي تنسب الى المسيح وليس ما الحق بكلامه وسيرته ، يجدها كلها تدعو الى التوحيد الخالص وان ما ورد من كلمة البنوة لله في بعض المواقف ما كانت الا من قبيل المجاز ويراد منها المحبة والطاعة ولهذا كانت تستعمل مع جميع المؤمنين الصالحين ولم يختص بها المسيح وحده .

فعن وحدانية الاله قوله :

● (جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سأله اية وصية هي اول الكل فأجابه يسوع ان اول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد – وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الاولى) – انظر انجيل مرقس في الاصحاح الثاني عشر عـدد ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وكلمة يسوع تعني عيسى المسيح .

● ويؤمن الكاتب السائل على كلام المسيح عليه السلام (فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحـد وليس اخر سـواه) انجيل مرقس في الاصحاح السـابق عدد ٣٢ .

● (وسأله رئيس قائلا ايها المعلم الصالح مـاذا اعمل لأرث الحيـاة الابدية فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحا ليس احد صالحا الا واحد وهو الله) – انظر انجيل لوقا في الاصحاح

كيف عبثت بها الدولة الرومانية بين الثالوث والوحدانية

للمستشار
محمد عزت الطهطاوي

الثامن عشر عدد ١٨ ، ١٩ .

● ويقول في الاصحاح السابع عشر عدد ٣ (وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) .

وعن البنوة لله يقول المسيح عليه السلام :

● (فصلوا انتم هكذا ، أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) - انظر انجيل متى - الاصحاح السادس عدد ٩ ، ١٠ .

● (فكونوا رحماء كما ان اباكم ايضا رحيم) - انجيل لوقا في الاصحاح السادس عدد ٣٦ وفي هذا المقام يستطيع كل مؤمن بالله ان يقف ويناجي اباه اي ربه الذي دعاه المسيح ابانا بصيغة الجمع ويتخلق بصفة الرحمة لان رب الجميع رحمن رحيم اي انه اب لجميع المؤمنين وليس ذلك قاصرا على المسيح ولذا جاء في بعض نصوص الانجيل من اطاع الله كان ابنا لله - ومن اطاع الشيطان كان ابنا للشيطان .

- وفي رسالة يوحنا الأولى نجد ان يوحنا الحواري يعلن فيها بان الله سبحانه وتعالى لم يره احد قط وهذا نص كلامه في الاصحاح الرابع عدد ١٢ (الله لم ينظره احد قط) .

الا انه بعد انقراض اجيال المسيحية الاولى انتشر معتنقو النصرانية ودعاتها بين الأمم الأجنبية خصوصا في بلاد اليونان وفي بلاد الرومان حيث كانت تدين بالوثنية ،

وفي مصر حيث الفلسفات الوثنية ، فاختل نظام الدعوة التي جاء بها المسيح عليه السلام واستحدثت فيها الأفكار الغريبة عنها ـ وشوهت دعوة المسيح الى الوحدانية واختلطت بها الآراء الفلسفية فشاعت مع الوحدانية عقيدة مستحدثة هي عقيدة الثالوث لم تكن تعرفها الاجيال الأولى للمسيحية وان كانت هذه العقيدة سائدة في المجتمعات الوثنية .

من هو اول من اخترع وصاغ عقيدة الثالوث في ملة النصرانية :

يذكر المؤرخون ان اول من نادى بعقيدة الثالوث واخترعها واستعملها هو (ترتليان) في القرن الثاني الميلادي وبالتحديد سنة ٢٠٠ م فهي عقيدة دخيلة على النصرانية الحقة الموحدة .

عقائد الوثنيين التي كانت تدين بالثالوث قبل المسيح عليه السلام :

لقد غلبت عقيدة الثالوث على كثير من الديانات التي سبقت رسالة النصرانية ومن امثلة ذلك : ـ

١ ـ في بلاد الهند ابتدع كهنتها الثالوث البرهمي المكون من براهما الاله الخالق ـ وفيشنو او كريشنا وهو الاله الحامي للخليقة ـ وسيفا وهو القوة التي تفنى وتعيد .

٢ ـ وفي الديانة البوذية ابتدع كهنتها الثالوث البوذي المكون من الاله الخالق او النرفاتا وبوذا الابن من العذراء مايا ـ والروح القدس الذي حل على تلك العذراء فولدت بوذا .

٣ ـ وفي بلاد الصين انتهت عبادتها للاله الواحد الى ابتداع الثالوث الصيني تي ين الاله غير المنظور ـ وتي سميز وهو الشمس والكواكب السيارة ـ وتشايخ وهو ارواح الآباء والحكماء والملوك .

٤ ـ وفي بلاد الكلدان انحسرت عبادتها الى الثالوث المكون من ـ بعل اله الشمس ـ وعشتروت اله الجمال ، وتموز اله الخصب والنماء .

٥ ـ وفي عهد قدماء المصريين انحرفت عبادة المصريين من الاله الواحد الى الثالوث بفعل الكهنة اذ اتخذوا من صفات الله وهي الوجود والحكمة والحياة الثالوث المصري آتون ـ وآمون ـ ورع .

كيف غلبت النصرانية على حكام الدولة الرومانية ؟

عانت النصرانية من اضطهاد حكام الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون ، ففقدت في تلك الاضطهادات كثيرا من رجالها في قمتهم المسيح عليه السلام ، كما امتد الاضطهاد الى انجيل المسيح نفسه فالتهمه وقضى عليه ، ففقدت بذلك اهم مراجعها الاصلية .

وبحلول سنة ٣١١ م تكشف للامبراطور جالير ـ وكان اشد المضطهدين للنصرانية حماسا ـ عقم جهوده ، فاضطر الى التخلي عن خططه واستسلم لفكرة التسامح مع النصارى ، ولما مات بعد فترة قصيرة اصبح موته مجالا لتنافس عدد كبير من طالبي الحكم ، الذين حاول كل منهم استرضاء الانصار وكسب التأييد من طوائف الشعب المختلفة .

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة

ان تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفا يعتز به كل طالب للحكم .

وقد فاز بتأييد الكنيسة الامبراطور (قسطنطين) حيث رفعته الى الحكم ضد منافسه (ماكسنتيوس) الذي كان يستند الى آلهة الوثنيين فقد اقام لها الصلوات وذبح لرضاها القرابين - وفي سنة ٣١٢ م اصدر الامبراطور قسطنطين مرسوم (ميلان) جعل به النصرانية ديانة مرخصة كما ساوى بينها وبين غيرها من الديانات الاخرى داخل الامبراطورية الرومانية .

الا ان معتنقي النصرانية كانوا وقتئذ على خلاف شديد فيما بينهم واهم هذه الخلافات الخلاف الذي كان بين آريوس شيخ كنيسة بوكاليس بالاسكندرية وبين بطريرك كنيسة الاسكندرية حول شخصية المسيح عليه السلام .

فقد نادي آريوس بان المسيح ليس ازليا وانما هو مخلوق من الآب - وان الابن ليس مساويا للآب في الجوهر ويقف الروح القدس بين القوى المخلوقة ويعني بالابن المسيح وبالآب ذات الله - اي ان المسيح ليس مساويا لله بل هو مخلوق ويغلب التوحيد على هذه العقيدة فالآريوسية تعني ببساطة ، وحدانية الله مع عدم الخلط بين المسيح وبين الله .

اما عقيدة كنيسة الاسكندرية او ما يسمى بعقيدة الارثوذكس والتي حمل لواء الدعوة اليها (اثناسيوس) بطريركها فتتلخص في ان المسيح اله غير مخلوق ولد من الله لا من العدم وانه مساو له في الازلية والجوهر - وكذلك الروح القدس - فالآب اله - والابن اله - والروح القدس اله فمن اراد ان يخلص فعليه ان يعتقد بهذا الثالوث - ويعنون بالآب ، الله وبالآبن المسيح .

مجمع نيقية الأول وظروف انعقاده سنة ٣٢٥ ميلادية :

خشي الامبراطور قسطنطين خطورة المجادلات بين آريوس وبين بطريرك الاسكندرية على اقاليم الامبراطورية بسبب اختلافهم في امر العقيدة ، لذلك امر بعقد مجمع يضم رجال الدين المسيحي من مختلف انحاء البلاد لتقرير ما يراه في شأن الخلافات ، وقد انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥ م في مدينة نيقية بحضور ٢٠٤٨ من الاساقفة ، وكانت حصيلة هذا المجمع رفض آراء آريوس وتقرير الوهية المسيح ، وانه من جوهر الله قديم غير مخلوق ، وانه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس .

ثم فرضت تلك العقيدة على طوائف النصرانية فرضا ، يؤيدها سلطان الامبراطور قسطنطين رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثير من الاساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر لاعتناقهم عقيدة آريوس التي يغلب عليها التوحيد بل قررت الدولة عزل انصار آريوس من كنائسهم .

ويقول ادولف هرنك استاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين ان الامبراطور قرر تحت تأثير (هوسيوس) وزير البلاط ان يجبر

اعضاء المجمع المجتمعين على قبول صيغة الوهية المسيح بعد ان تواطأ وزير البلاط مع بطريرك الاسكندرية على تقرير تلك الصيغة .

مجمع انطاكية سنة ٣٢٩ م

لم يستسلم انصار آريوس الى العقيدة التي فرضها الامبراطور باسم مجمع نيقية ، بل صمموا على المقاومة حتى استطاعوا في عام ٣٢٨ ميلادية الضغط على الامبراطور قسطنطين ، فأعاد آريوس واتباعه الى كنائسهم ، وعندئذ قام (ايزبيرس) اسقف نيقوميديا و (نيوغنس) اسقف نيقية بعقد مجمع في انطاكية سنة ٣٢٩ تقرر فيه تثبيت معتقد آريوس وعزل الاساقفة الارثوذكس من اسقفياتهم .

مجمع قيسارية سنة ٣٣٤ م

لما كان اغلب النصارى في مصر من انصار آريوس غلبوا على كنائس مصر والاسكندرية واخذوها ، ثم وثبوا على اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى ، فلم ير الامبراطور امامه من حل سوى عقد مجمع من الاساقفة في مدينة قيسارية عام ٣٣٤م ، ودعا اثناسيوس للاشتراك فيه فلم يحضر لذلك امر بعقد مجمع آخر في مدينة صور في العام التالي ، وحتم على بطريرك كنيسة الاسكندرية حضوره .

مجمع صور سنة ٣٣٥ م

عقد هذا المجمع بناء على امر الامبراطور قسطنطين وحضره اثناسيوس بطريرك الاسكندرية وقتئذ كما حضره كثيرون من الاساقفة الذين حضروا مجمع نيقية الاول - وقد احتدم الجدل بين المجتمعين حتى بلغ حد العنف وامتدت الأيدي الى بطريرك الاسكندرية بالضرب ، حتى كاد ان يهلك لولا تدخل مندوب الامبراطور لانقاذه ، واخيرا اصدر المجتمعون قرارات لصالح عقيدة آريوس منها ..

١) خلع البطريرك اثناسيوس من منصبه ونفيه الى مدينة تريفس في جنوب فرنسا .

٢) اعداد العدة لدفن قرارات مجمع نيقية التي قررت التثليث وألوهية المسيح .

مجمع انطاكية الثاني سنة ٣٤٠ م :

اوصى الامبراطور قسطنطين قبل وفاته سنة ٣٣٧ م بان يتولى نجله قسطنس الاقاليم الشرقية كلها ويتولى شقيقه قسطنطينوس ايطاليا وافريقيا اما قسطنطين الصغير فقد ولى امر فرنسا واسبانيا وبريطانيا .

وعلى اثر وفاة الامبراطور قسطنطين عاد البطريرك اثناسيوس من منفاه الى الاسكندرية سنة ٣٣٨ م فثار عليه انصار آريوس ودعوا الى عقد مجمع جديد وقد انعقد هذا المجمع في مدينة انطاكية سنة ٣٤٠ م وقرر فيه المجتمعون وكانوا من انصار عقيدة آريوس عزل البطريرك اثناسيوس من كرسي كنيسة الاسكندرية والمطالبة بتعيين البطريرك الآريوسي جاورجيوس بطريركا على كرسي كنيسة الاسكندرية وقد وافق الامبراطور الروماني على طلب ذلك المجمع مما اضطر

اثناسيوس الى الهرب الى مدينة روما .

مجمع انطاكية الثالث سنة ٣٤١ م

انعقد هذا المجمع لتقرير مجموعة من قوانين الايمان تتفق مع عقيدة آريوس التي يغلب عليها توحيد الاله .

عودة اثناسيوس الثالوثي الى الاسكندرية سنة ٣٤٦ م :

اضطر الامبراطور الروماني تحت تأثير شقيقه قسطنس حاكم الاقاليم الشرقية الى اعادة اثناسيوس الى كرسي كنيسة الاسكندرية ، الا ان انصار آريوس قاوموه مقاومة عنيفة ، مما ادى الى عقد مجمع في مدينة آرلس بفرنسا .

مجمع آرلس بفرنسا ٣٥٣ م :

قرر هذا المجمع خلع اثناسيوس من « اسقفية » مدينة الاسكندرية - ووقع على هذا القرار جميع الأساقفة الحاضرون فيه فيما عدا (بولين) اسقف مدينة تريفس - كما ان (ليباريوس) اسقف رومية ارسل وفدا من جانبه الى الامبراطور الروماني ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر ، يعيد النظر فيما قرره مجمع آرلس فوافق الامبراطور على عقد مجمع جديد في مدينة ميلانو .

مجمع ميلانو سنة ٣٥٥م :

كان هذا المجمع مؤلفا من ٣٠٠ من الأساقفة أغلبهم من أنصار آريوس وقرروا الآتي :

١ - خلع أثناسيوس من بطريركية الاسكندرية .

٢ - نفيه وابعاده عن مدينة الاسكندرية .

٣ - تحويل الغلال التى كانت توزع على فقراء الأرثوذكس الى كنائس الأريوسيين ، وقد كلف الامبراطور الروماني والى مصر من قبله باخطار البطريرك أثناسيوس بالقرارات السابقة ، ولما رفض البطريرك المذكور تنفيذ تلك القرارات ، حاول الوالي استعمال القوة معه فلما شعر بذلك فر من البلاد سنة ٣٥٦م .

فتولى الأسقف جاورجيوس الاريوسي - كرسي كنيسة الاسكندرية .

مجمع سرميوم يضع صيغة ايمان جديدة سنة ٣٥٧م :

انعقد هذا المجمع في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا حضره كثير من الأساقفة الأريوسيين وتولى رئاسته أسقفان من الغرب هما أورزاس وفالانس وحضره الامبراطور قسطنطينوس بنفسه حيث وضع ذلك المجمع صيغة ايمان جديدة أنكر فيها مساواة المسيح لله في الجوهر .

مجمع ريمتي ومجمع سلوقية سنة ٣٥٩م :

هذان المجمعان أمر بعقدهما الامبراطور الروماني وكان الأول في مدينة ريمتي وخصه بالغربيين والثاني في مدينة سلوقية بسوريا كان من ضمن أساقفته عشرة من الاريوسيين وفدوا اليه من مصر . وقد أيد هذان المؤتمران عقيدة آريوس كل التأييد .

مجمع أنطاكية سنة ٣٦١ م :

انعقد هذا المجمع بمعرفة الاريوسيين وقد أكدوا فيه على صيغة

ايمانهم السابق الاشارة اليها بصيغة جديدة تعلن أن (الابن غريب عن أبيه ـ مختلف عنه في الجوهر والمشيئة) ويقصدون بالابن المسيح وبالاب ذات الله سبحانه وتعالى .

مجمع القسطنطينية سنة ٣٦١م :

انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية في نفس السنة التى انعقد فيها مجمع أنطاكية السابق الاشارة اليه وكانت مهمته تثبيت عقيدة التوحيد التى أقرها المجمع المذكور .

ثم قام الآريوسيون بنشرها في أنحاء الدولة الرومانية حيث قننوها في سبعة عشر قانونا للايمان تخالف القوانين التى أقرها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م .

الدولة الرومانية ترتد عن التوحيد وتعود الى عقيدة الثالوث مرة أخرى

١ ـ لما توفى الامبراطور قسطنطينوس سنة ٣٦١م خلفه (يوليانوس) على عرش الامبراطورية ، فخشى من توثق عرى الوحدة النصرانية بين رعيته ، فعمل على حل عرى هذه الوحدة ، وذلك بأن سمح بارجاع الاساقفة المنفيين الى كراسيهم الكنسية ومنهم آثناسيوس البطريرك الثالوثي الى كرسي كنيسة الاسكندرية .

ولم يمض بعد ذلك كثير من الزمن حتى ظهر ذلك الامبراطور على حقيقته وكفره بعقيدة النصرانية كلية اذ أصدر أوامره باغلاق جميع الكنائس ونهب الأواني المقدسة منها وسلمها الى الوثنيين الذين سمح لهم بفتح معابدهم واعادة عبادة الأوثان وقدم بنفسه الضحايا لها .

٢ ـ وبوفاة يوليانوس سنة ٣٦٣م تولى عرش الامبراطورية (يوبيانوس) وكان يعادي عقيدة الآريوسيين لذلك فقد حرمها وأقام على الولايات التابعة للدولة حكاما ممن لا يدينون بهذه العقيدة وأرسل الى أثناسيوس باطلاق يده لنشر عقيدة الثالوث ثم لما تولى العرش الامبراطور تاوديوس سنة ٣٧٩م عمل على الغاء المذهب الآريوسي كلية والانتصار لعقيدة أثناسيوس وهكذا ساد التثليث وقضى على عقيدة توحيد الاله التى كان يمثلها الآريوسيون في جميع أنحاء الامبراطورية .

رأي علماء الأديان النصارى في عقيدة التثليث في زماننا المعاصر

١ ـ يقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين (ان صيغة التثليث هذه التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها وجود في عصر الرسل ـ وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا) .

٢ ـ وفي قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين وهم الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الامريكية بالقاهرة والدكتور جون

الكسندر طوسن والأستاذ ابراهيم مطر وقدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقي في جامعة برنستون ورد في هذا القاموس عن عقيدة التثليث الآتي : (اعترف كبار علماء اللاهوت أنها لم ترد في الكتاب المقدس ـ ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد وقد خالفه كثيرون ـ ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية ـ ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنائس النصرانية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي) .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل امبراطور الدولة الرومانية وهل حمله فيه اثم تحريم عقيدة الآريوسيين أنصار عقيدة التوحيد ؟

أوردت كتب السيرة النبوية ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملوك العالم والامراء في عصره يدعوهم الى الاسلام وكان ممن أبلغه بدعوة الاسلام الامبراطور هرقل قيصر الدولة الرومانية فلقد وصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم على يد دحية الكلبي وقد جاء فيه الآتي :ـ

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الآريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولقد فسر كتاب السيرة النبوية أن الآريسيين الواردة في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم تعني الزراع أي الفلاحين بوصفهم غالبية الرعية بمعنى أن اثم هؤلاء الفلاحين عن عدم اهتدائهم الى الاسلام يقع على قيصرهم باعتباره امبراطور دولتهم والناس عادة على دين ملوكهم .

ولكن الصواب والأقرب الى العقل أن الاريسيين تعني أنصار عقيدة التوحيد في أنحاء الامبراطورية وهم اتباع عقيدة آريوس بوصفهم أنصار عقيدة التوحيد المجرد التى دعا اليها المسيح عليه السلام وحواريوه المخلصون والذين غلبوا على أمرهم وحرمت عقيدتهم بفعل أنصار عقيدة التثليث بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حمل امبراطور الروم في حالة اعراضه عن الاسلام وهو دين التوحيد اثم تحريم عقيدة دعاة التوحيد السابقين ايضا وهم « الآريوسيين » في مفهوم حكام الدولة الرومانية فعلى هذا الحاكم اثم الصد عن سبيل الله ومنع الدعوة اليه وهذا ذنب عظيم وجرم كبير قال تعالى : (**ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا . ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا . الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا**) النساء/١٦٧ ـ ١٦٩

الحلف بالطلاق

سرى بين الناس في مجتمعنا المعاصر الحلف بالطلاق سريان النار في الهشيم ، أو سريان الداء في الجسم السقيم ، حتى استحال إلى مرض عضال .. استفحل على الدواء ، وعز عليه البرء والشفاء ، وتشيع هذه الظاهرة المرضية العويصة في الأسواق ومجامع السوقة ، حيث لا يجدون في وسعهم متنفسا لضيقهم ،

أو خروجا من ورطاتهم ، أو تبريرا لصدقهم ، أو تمكينا لكذبهم ، إلا الحلف بالطلاق أحيانا مرة واحدة .وأحيانا أخرى بالثلاث على كل مذهب ، واتخذ الحلف بالطلاق صورا شتى ، وأساليب مختلفة فمن قائل : علي الحرام « ومن قائل » علي الطلاق » ، ونحو ذلك مما يتناول عقدة النكـــاح المقدسة بالتهاون والاستهتار ، وتعريضها للقطيعة والتمزق والانهيار ، ثم يذهب بعض الحالفين إلى من له نصيب من علم أو فقه يستفتونه في طلاق ، ويلتمسون عنده مخرجا من زلته . لذا أحببت أن أتناول هذه الظاهرة الخطيرة بالبحث والنظر بعد أن رأيت فيها رأيا

بدعة مستحدثة

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

اعجبني ، ووقع من نفسي موقع الرضا والقبول ، وهأنذا ألخصه فيما يأتي : —

(١) إن الحلف شرعا لا يكون إلا بالله تعالى أو بصفة أو اسم من صفاته أو أسمائه الحسنى المعروفة وكان العرب قديما يحلفون بآبائهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم الأسلوب الأوحد للحلف والقسم ، وذلك فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وفي رواية لأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون » ، والحديثان دليلان على التحريم ، لأن النهي عند الاطلاق يفيده كما هو أصله ، وقال ابن عبدالبر : لا يجوز الحلف بغير الله تعالى بالاجماع ، وقال الماوردي : لا يجوز لأحد أن

يحلف أحداً بغير الله تعالى لا بطلاق ولا عتاق ولا نذر ، وإذا حلف الحاكم أحدا بذلك وجب عزله ، وفي حديث لأبي داود والحاكم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله كفر » وفي رواية للحاكم : « كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك »بل إن من حلف بغير الله يجب أن يستشهد بعد حلفه وينطق بكلمة الاسلام ليجدد دينه .. أخرج مسلم : « من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » هذا بالنسبة للعباد ، أما بالنسبة لله تعالى فقد أقسم بالمخلوقات كالشمس والليل والضحى ونحو ذلك وهذا من خصائص الذات العليا ولا يسأل عما يفعل ، على أنها مؤولة برب الشمس .

وسبب التحريم : أن الحلف يقتضي التعظيم للمحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يلحق به غيره ، ثم قال الصنعاني (سبل السلام جـ٤ : ١٥٠) : « والاظهر عدم وجوب الكفارة في الحلف بهذه المحرمات ، اذ الكفارة مشروعة فيما أذن الله تعالى أن يحلف به لا فيما نهى عنه » .

(٢) ما دام الحلف لا يكون شرعا إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته فان الحلف بالطلاق ، بدعة لم يشرعها الله تعالى ، ولم يأذن بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا حلف به الصحابة ولا غيرهم من التابعين ، وفي ذلك يقول ابن تيمية في مجموعة الفتاوي جـ ٣ : ٣٧٦ : « إن اليمين بالطلاق بدعة محدثة ، ولم يبلغني أنها كانت يمينا على عهد الصحابة ، وقد ذكرت في الأيمان التي كان الولاة يلجأون إليها في بيعتهم لحمل الناس عليها ، وأول من اتخذ اليمين بالطلاق في أيمان البيعة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت تشتمل على اليمين بالله وصدقة المـــال ، والطلاق ، والعتاق ولم أقف إلى الساعة على كلام لأحد من الصحابة في الحلف بالطلاق ، وإنما الذي بلغنا عنهم الجواب في الحلف بالعتق ، وهذه البدعة قد اتخذت صفة الشيوع والذيوع واعتقد الناس وقوع الطلاق بها لا محالة ، فنشأ من ذلك ضيق وحرج عظيمان أشبه بالأغلال التي كانت على بني إسرائيل في شريعتهم السابقة على شرعة الاسلام ، ونشأ عن ذلك أنواع من الحيل والمفاسد في الأيمان حتى اتخذوا آيات الله هزوا ، وذلك أنهم يحلفون بالطلاق على فعل أمر أو تركه ، ولا مناص لهم من فعله أو تركه ، وغالبا ما يكون ذلك في حالات الغضب والانفعال العنيف ، ثم إن فراق الزوجة وتعريض الأولاد للتشرد والتشتيت والتمزق قد يكون أفدح من أغلال الاسرائيليين ، حتى تفتقت قرائح المشتغلين بالفقه وغيرهم عن أنواع من الحيل للخروج من ضيق هذه اليمين المستحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وانحصرت حيلهم في الألفاظ ، أو في الأفعال ، أو في إفساد الأصل الذي بنى عليه المحلوف عليه ، أو بايجاد مانع من سريان الحكم أو في التحليل ، وكلها

تكلفات فقهية دعا إليها الانسياق وراء هذه اليمين بالطلاق التي لا تؤيدها الأدلة والأصول ، ولا تسمح بها الأقيسة في مجالات الاجتهاد إلا بمزيد من التأول والتكلف :

أ ــ فمن الحيلة على الألفاظ : أن من حلف مثلا لا يجلس على بساط جيء له ببساطين للخروج من الحنث في اليمين

ب ــ ومن الحيلة على الأفعال : مخالعة الزوجة ــ على رأي الشافعية ــ ثم فعل المحلوف ثم استعادة الزوجة بعقد جديد ومهر جديد ، وقد انحلت اليمين ، وفي نفس الوقت لا تطلق زوجته لأنها لم تكن في عصمته وقت فعل الفعل

جـ ــ ومن الحيلة في إفساد الأصل البحث عن ثغرة في النكاح الذي هو أصل لهذا الطلاق فاذا اكتشفنا فوات شرط من شرائط صحته وهي كثيرة عند الشافعي واحدى الروايتين عند أحمد ، حكمنا بفساد النكاح ثم بفساد الطلاق المبني عليه ، ونحتاج الى تجديد عقد النكاح مستوفيا شروطه ، وعند الشافعي أن الولي الفاسق لا يصح نكاحه ، وأسباب الفسق كثيرة ومن الممكن تحين أي تفريط من جانب الولى في النكاح للحكم ببطلان نكاحه ، قال ابن تيمية وهذا مكر في آيات الله أوجبه الحلف بالطلاق والضرورة إلى عدم وقوعه .

د ــ ومن الحيلة في استكشاف مانع ما ذهب اليه ابن سريج من الشافعية وطائفة بعده وهو : أن يقول الرجل لامرأته إذا وقع عليك طلاق مني فأنت طالق قبله ثلاثا ، فانه لا يقع على المرأة بعد ذلك طلاق أبدا ، لأنه اذا وقع الطلاق الأول المنجز لم يجد مكانا للوقوع لأنه يلزم وقوع المعلق وهو الطلاق الثلاث قبله المقتضي بينونتها منه ، فيفضي وقوعه الى عدم وقوعه ، ولكن العلماء رفضوا هذه الحيلة وأولهم ابن تيمية الذي رآها غلطا غير صحيح لان الطلاق ثلاث لا غير ، وهذه تعتمد على أربع طلقات فيكون باطلا وإذا بطل لم يلزم من وقوع المنجز وقوع المعلق عليه لأن ذلك التلازم يقتضي الصحة ، ثم إن هذه الحيلة تبطل الطلاق كمبدأ من مبادىء الاسلام ، وشرط صحة الحيلة الحسنة عند أصحابها أن تكون مسايرة لمبادىء الاسلام العامة لا مبطلة لها .

هـ :ومن الحيلة في هذا المقام إعادة النكاح من أساسه عن طريق التحليل الذي يشرط فيه الطلاق من الثاني وعودتها للأول بنكاح جديد ومهر جديد ، أو يقصد إلى ذلك ، وفيه ما فيه من الحظر المتمثل في منعه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الأربعة إلا النسائي من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له) .

وأكثر ما يوقع الناس في هذه الحيل تهافتهم على الحلف بالطلاق لسبب ولغير سبب ، واعتقادهم وقوع الطلاق في حال الحنث لا محالة ، حتى لقد فرع أهل الحيل الكثير من حيلهم على هذا الأصل ، وقد شبه الشيخ أبو محمد المقدسي هذه الفروع المحبوكة

على هذا الأصل بمن بنى دارا حسنه على حجارة مغصوبة ، فاذا استحقت الحجارة انهدم البناء

(٣) إن الذي ثبت نقله عن الصحابة هو الجواب عمن حلف بالعتق ، فقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما المجمع على إمامته وفقهه ودينه ، وعن أخته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعن زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من أفضل فقيهات الصحابة ، الافتاء بالكفارة في الحلف بالعتق ، أي بكفارة اليمين عند الحنث فيها ، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، وعند العجز عن ذلك يصوم ثلاثة أيام ، فيكون الطلاق أولى منه بذلك ، وإنما كان الطلاق أولى من العتق ، لأن عادة الشرع في العتق تيسير سبل التحرير فيه ، وتلمس الأسباب الى ذلك ، ومع هذا فقد أفتوا بالكفارة لا بالعتق ، كما جرت عادة الشارع الحكيم بتأجيل الطلاق إلى ما بعد التأديب والتحكيم بفضالة ، وتعويقا لمجراه ، والقياس هنا منضبط ولا فارق . حتى إن طاوس وهو من أفاضل علماء التابعين لم يكن يرى اليمين بالطلاق موقعة له ، وقد اختار هذا الاتجاه ابن تيمية في مجموعة فتاويه جـ٣ ٣٧٩ وما حولها حيث قال : إن احتمال الكفارة في اليمين بالطلاق قياسا على اليمين بالعتق أيسر من وقوع الطلاق بآثاره السيئة ، وشريعتنا فيها من طبيعة اليسر والفرج ما يبرر ذلك ، وليس من اللازم للخروج من الذنب حلول الضرر العظيم ، لأن الله تعالى لم يحمل علينا إصرا كما حمله على الذين من قبلنا ، فعلى فرض أن الحالف بالطلاق قد حنث وارتكب كبيرة تاب منها ، فهل تضيق عليه الشريعة ، حتى لا يجد أمامه إلا ضرر الطلاق منفذا ومخلصا ، إن من يريد الطلاق حقيقة يطلق امرأته ثلاث مرات ، وله ذلك ، وهذه حالات خاصة بالكـــارهين ، وهي قليلة نسبيا بخلاف الحلف بالطلاق ، فانه قد وصل إلى درجة التهور واللهو غير المقصود حتى صار لا يراد به طلاق ولا فراق ، وإنما قصد به ما قصد باليمين من الحمل على الفعل أو الترك ، ثم قد يضطر إلى ذلك وإلى الحنث فيه ، فيلزمه طلاق لم يقصده ولا اختيار له فيه ، وأيضا فان الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم هو تخفيف الأيمان بكفاراتها . لا تثقيلها بالتطليقات التي تخرب البيوت وتشرد الأسر .

(٤) إن كثيرا من الفقهاء ومنهم الحنفية قد أوقعوا الطلاق بالحلف بالطلاق وجعلوا منه صورة التعليق بالشرط مثل : ان دخلت دار فلان فأنت طالق وسموه يمينا وأفتوا بوقوع الجزاء عند وقوع الشرط : وقالوا ان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه ، ولا مستند لهم إلا هذا التفكير العقلي في إطار نظرية الشرط والجزاء ، ومثل هذا التفكير لا يقوى على انشاء حالات من الطلاق لم توجد أساسا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أصحابه ولا في عرف العرب الذين نزلت الشريعة في ساحاتهم ، وضمن

دائرة أعرافهم وتقاليدهم ، وخصوصا في هذا الأمر الخطير الذي يتعلق به حقوق الغير من زوجة وأولاد ، بل لابد في هذا من نص صريح أو قياس جلي ، وقد رأينا القياس واضحا جليا في فتوى ابن عمر واخته وزينب بالالزام بالكفارة على من حلف بالعتق . أما فيما عدا ذلك فلا نجد لهم مستندا إلا قولهم كما في العناية جـ ٤ : ٨١ : « وكل ما انعقد في حقه اليمين إذا وجد الشرط فيه يترتب عليه الجزاء »

(٥) لما كان أبغض الحلال الى الله الطلاق ، كما في حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم « سبل السلام جـ ٣ : ٢٠٥ » فان في ذلك إشارة لا تخفى على الفقيه بأن يضيق بقدر الامكان منافذه ، ويعوق مسيرته ، كما قال الصنعاني في تعليق على الحديث السابق : « والحديث دليل على أنه يحسن تجنب إيقاع الطلاق ما وجد عنه مندوحة » . فانا نجد المندوحة الآن سانحة كل السنوح ، واضحة غاية الوضوح في تضييق سبل الطلاق استناداً إلى أن الحلف بالطلاق بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة ، وأنه شيء من مخترعات العصور اللاحقة لعهد الصحابة والتابعين وهم خير العصور كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » رواه البخاري واحمد والبدعة لا تترتب عليها أحكام شرعية بالوقوع بعد الايقاع ، بل ينبغي محاربتها ، والتشكيك فيها ، والقضاء عليها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وحينئذ فاننا نرى أن نذهب إلى ما ذهب اليه الصنعاني في سبل السلام جـ ٤ : ١٥٠ حيث قال : « والأظهر عدم وجوب الكفارة في الحلف بهذه المحرمات إذ الكفارة مشروعة فيما أذن الله تعالى أن يحلف به لا فيما نهى عنه » فقد يحلف الحالف بالطلاق وزوجته من أحب الناس اليه ، ولا يوجد بينهما سبب لنفور أو فراق ، فأي علاقة بين حلف الرجل بطلاق امرأته ، وبين عقدة النكاح التي وثقها الله تعالى بقوله : **(وأخذن منكم ميثاقا غليظا)** النساء / ٢١ وهل من حكمة الشارع جعل حاضر الزوجية ومستقبلها معلقا بمثل هذه الأحلاف اللاغية الباغية ، التي ليس لها منطلق من عقل أو تفكير ، وليس لها مستند من كتاب أو سنة . لذلك أرى أنه قد آن الأوان لكي نعالج هذا الداء الذي استشرى في جسد الأمة ، وانتشر في أوصالها انتشار السرطان في خلايا الجسم ، ولا يكون ذلك الا بحسم واستئصال مكمن البلاء منه ، وذلك بابطال كل أنواع الحلف بالطلاق وإهدارها واعتبارها لغوا لا يؤاخذ الله الناس به لا في الدنيا بالكفارة ولا في الآخرة بالعقوبة ، وأن من أراد أن يطلق زوجته حقا وصدقا فهناك السبل التي لا حلف فيها ولا تلاعب بها ولا افتئات عليها .

مائدة القارئ

عند الخروج من البيت

المسلم دائم الصلة بالله سبحانه وتعالى ، ولذا فهو يلجأ اليه في كل حال ، وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه انس – رضي الله عنه – علمنا الرسول الكريم ان نقول عند الخروج من البيت : « بسم الله ، توكلت على الله . لا حول ولا قوة الا بالله » . وعندها يبتعد الشيطان عن طريقنا ويوفقنا الله للخير ، ونص الحديث كما رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه : عن انس – رضي الله عنه ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله : يقال له : حسبك هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

آثار الحسنة ، وآثار السيئة

قال ابن عباس رضي الله عنه : إن للحسنة لنورا في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة من الخلق ، وإن للسيئة لغبرة في الوجه ، ووهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبغضا من الخلق .

الأولى خير

صلى أعرابي صلاة مخففة ، فقام اليه علي – كرم الله وجهه – بالدرة ، وقال له : أعدها . فأعادها الأعرابي ، ثم قال لعلي بن أبي طالب : أهذه خير أم الأولى ؟ . فقال علي : بل الأولى . فقال الأعرابي : ولم ؟ قال علي – رضي الله عنه – : لأن الأولى لله ، وهذه للدرة .

انتقام

بطنة الغني انتقام لجوع الفقير .

مائدة القارئ

الأمل في الله

قال الشاعر :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

بين الرجاء والخوف

كان عمر بن عبد العزيز يقول : اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فان غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، ألا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك ، لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فعليه السلام والرحمة .

تلاوة القرآن

في شهر العبادة ، حيث يصوم المسلم نهاره ، ويقوم ليله ، ويحيي ساعاته بتلاوة القرآن نسوق هذا المثل الذي ضربه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم . حيث مثل صاحب القرآن بصاحب الابل . فصاحب الابل ان شد وثاق ابله امسكها وحفظها ، وان لم يربطها بالعقال وهو الحبل تفلتت منه وشردت ، كذلك صاحب القرآن إن تعهده بالتلاوة والحفظ كان نورا في قلبه ، وإن أهمله نسيه ، وفي ذلك خسارة كبيرة له .

يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة : إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » . رواه البخاري ومسلم .



الدّين .. والامتحانات

الحياة التي نعيشها امتحان كبير.

الحياة التعليمية فترة قصيرة تنتظم عاماً ..

والحياة الدنيوية فترة طويلة تنتظم العمر كلّه.

للاستاذ/ محمد محمد حلاوة

الامتحان لغة :

محنه من باب قطع ، وامتحنه اختبره . والمحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الانسان .

الامتحان والابتلاء :

يلتقى الامتحان والابتلاء في معنى الاختبار يقال بلاه جربه واختبره ، وبلاه الله اختبره يبلوه بلاء ، ويكون بالخير وبالشر ، وابتلاه أيضا .

الحياة امتحان كبير :

والحياة التي نعيشها امتحان

كبير .. امتحان في النفس ، وفي الزوج ، وفي الولد ، في الغنى وفي الفقر ، في الصحة وفي المرض ، في القدرة وفي العجز ، في النعمة وفي النقمة ، في كل شيء حتى في الهمسة والخطرة ، وفي الشوكة نشاكها : **(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)** الملك/ ١ و ٢ .

نعم . فقد خلق الله الخلق ليعبدوه ، وأرسل لهم رسله مبشرين ومنذرين يبينون للناس دستوره الذي يسيرون عليه ، وهداهم النجدين : **(من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/ ١٥ .

وقد حرص الدين في كل ما وضعه من تشريعات - وفق حكمة عليا ، وتخطيط محكم ، وعلم لا تخفي عليه خافية ، ورؤية دقيقة نافذة لا تدركها أبصارنا ، ولا تصل إلى فهم أسرارها عقولنا - حرص على ما يحقق للناس الخير والسعادة في دنياهم ، والأمن والعافية في أخراهم ، وطلب إليهم أن يعملوا في حدود هذه التشريعات ملتزمين جادين ، وأن يقاوموا ما وسعهم كل ما يحول دونهم ودون هذه الغاية من مفاتن الحياة ومغرياتها ، باذلين في سبيل ذلك العرق والدمع والدم ، والوقت والجهد والمال ، وأن يقفوا بالمرصاد دائما لشهواتهم ، ونزواتهم ، ووساوسهم ، فيعلنوا عليها حربا شعواء لا تهدأ ، ولا تغفل لحظة من ليل أو نهار : **(ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين)** العنكبوت/ ١ - ٦ .

ثم جعل لهم أجلا لا يعدونه ، ويوما يحاسبون فيه على ما قدمت أيديهم : **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الأنبياء/ ٤٧ ، فمن جاز هذا اليوم فقد فاز برضوان الله وجنته ، ومن أخفق فيه فقد باء بغضب الله : **(فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية . وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها**

كانت القاضيـة . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلـة ذرعهـا سبعـون ذراعـا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض عـلى طعام المسكين . فليس له اليـوم ههنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون) الحاقة/ ١٣ - ٣٧ .

أصعب امتحان :

وقد اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يكون أشق امتحان في هذه الدنيا هو امتحان الأنبياء والمرسلين ، ثم المصطفين من خلقه ، وذلك لعلو قدرهم ، ودقة موقفهم ، وجـلال رسالتهم ، ولهـذا عاشـوا حياتهم في جهاد متصل ، وضربوا الأمثلة العليا في الصبر ، واحتمال الأذى ، والزهد ، والقناعة ، وشظف العيش ، والايثـار ، والتضحيـة ، والتقوى ، والطاعة ، والترفـع عن الصغائر ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، وكانوا وفاء المسؤولية التي ألقيت عليهم ، فحـولوا مجـرى التاريـخ وانجزوا للانسانية في وقت قصير ما عجز عن تحقيقه ساسة العالم وقادته في أجيال وأجيال ، بل ما سيظلون عاجزين عنه إلى يوم الدين .

الامتحانات التعليمية :

والشبه كبير بين الحياة التعليمية ، والحياة التي نعيشها ، فالأولى فترة قصيرة تنتظم عاما دراسيا ما بين ثمانية أشهر وتسعة تقريبا ، والأخيرة فترة طويلة تنتظم العمر كله ، وهذه تعد لامتحان آخر العام يوم يكرم المرء أو يهان ، وتلك تعد ليوم الدين : **(يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتـى الله بقلـب سليـم)** الشعراء/ ٨٨ و ٨٩ .

وبالرغم من أن الدراسات المختلفة التي أجريت على الامتحانات التعليمية قد وجهت إليها بعض المآخذ إلا أنها لا تزال في نظر الأكثرية أمثل طريقة ، وأعدلها في قيـاس الطالب والحكم عليه .

ولقد خطا بعض المتقدمين في دول الغرب خطوة جريئة في هذا المضمار ، فألغوا الامتحانات بصورتها الحالية ، واكتفوا في جواز نقل الطالب من فرقة إلى فرقة أعلى ، أو في حصوله على إجازة أو مؤهل علمي برأي أستاذه أو أساتذته فيه ، وهي طريقة لا تخلو من عيوب أيضا ، إذ قد يصح هذا في عدد محدود جدا من الطلاب ، ومع أستاذ لا ترقى إليه تهمة أو شبهة ، ولكنه يتعـذر ، بل يستحيـل في الأعداد الكبيرة التي تتقدم للامتحانات كل عام .

ومهما كان الأمر فان امتحانات الشهادات ولا سيما امتحان الثانوية العامة وما يعادلها قد آخـذت في السنوات الأخيرة صورة زائدة من الاهتمام من جميع الأوساط ، وسلطت

عليها وسائل الاعلام المختلفة أضواء باهرة قوية متلاحقة جعلتها تبدو شبحا مخيفا للآباء وللأمهات وللطلاب على السواء ، وأصبحوا يعيشون فترة الامتحان بل قبله بمدة طويلة في قلق وتوجس ، وريبة وترقب ، وانتظار ولهفة ، مما يطالبنا ويطالب المسئولين بالوقوف طويلا عند هذه الظاهرة ومحاولة القضاء عليها أو التخفيف منها . ولو أنهم رجعوا إلى دينهم يستلهمونه الدروس والعبر لوجدوا فيه ما يريدون .

الدين والامتحانات :

وبعد فهل هيىء الطالب دينيا لهذه الامتحانات ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .. اعتقد أننا أغفلنا هذا الجانب إلى حد كبير ، مع أن أي عمل يتم بعيدا عن الدين وتعليماته فهو عمل محكوم عليه بالاخفاق ، وكم يسعدني ، وأبناؤنا وبناتنا الطلاب يستعدون لموسم الامتحانات أن أتقدم اليهم ببعض ما هداني الله إليه من توجيهات :

اولا :**التوكل على الله** : **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** الطلاق/٣ وفرق كبير بين التوكل والتواكل ، فالتوكل أن تعتقد أن الأمر لله وحده ، وأن الفعل لله وحده ، ثم تأخذ في الأسباب . أما التواكل فاستسلام يرفضه الدين ، وينهي عنه ، وهو صفة العجزة وغير المؤمنين ، وستطالعنا نتيجة مذهلة لو قمنا باحصائية عن عدد المتواكلين ، والذين لا يأخذون بالأسباب من طلابنا وطالباتنا .

ثانيا : **العمل الجاد المتقن المنظم** :**(وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/١٠٥ . والآية الكريمة تحتمل كل هذه المعاني وأكثر فناهيك بعمل يراه الله والرسول والمؤمنون . إن العمل الذي لا عرق فيه لا خير منه ، والعمل غير المتقن لا جدوى فيه ، والعمل العشوائي يربك الجسم والتفكير والوقت ، وقد رأينا أن بعض الطلاب يرهقون انفسهم احيانا أكثر مما يتحملون فتكون النتيجة أنهم يعتلون شهورا ، وبذلك يسيئون إلى أنفسهم من حيث أرادوا ان يحسنوا إليها . حقا « إن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » ، وتنظيم الفكر لا يقل اهمية عن تنظيم العمل ، لأن الفكر المشوش لا يثمر الا حقائق مشوشة .

ثالثا : **الصبر** فمن صبر ظفر :**(واصبر وما صبرك إلا بالله)** النحل/١٢٧ . **(إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)** يوسف/٩٠ ونعني بالصبر هنا الصبر على السهر ، وعلى التعب ، وعلى التحصيل ، وعلى التركيز ، وعلى ترويض العادة ، وعلى قهر النفس وحرمانها من بعض المتع ، وعلى الصعوبات المختلفة : صعوبة الحفظ ، والعرض ، والمادة وغيرها .

رابعا : **الأمل والتفاؤل** فانه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة : **(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** يوسف/٨٧ وللأمل حدود

إذا تجاوزناها أصبح تمنيء ، وقاد الانسان إلى متاهات يصعب عليه أن يخرج او ينجو من شرها . وكم جرينا وراءه فألهبنا وأحرقنا .

خامسا : **الاعتماد على النفس** ، **وتلك صفة المؤمنين الأقوياء ، والمؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف . إن الانسان الذي لا يعتمد على نفسه إنسان ضعيف الارادة ناقص الهمة ، مشلول التفكير . وقد ثبت بالتجربة أن الطالب الذي يعتمد على الدروس الخصوصية يتعثر في دراسته ، ونجاحه نجاح وقتي وسطحي ، لأنه لا ركيزة له . ولنسأل أنفسنا كم طالبا يستفيد من الدروس الخصوصية بوضعها الراهن ، إن الطالب الذي يستفيد بحق منها هو الطالب الذي يحدد موقفه من المادة تحديدا دقيقا ، فيعرف ما فهمه منها جيدا ، وما لم يفهمه أصلا ، وما هو بين بين ، ويذهب إلى استاذه طالبا ما يحتاجه فقط كأن يقول له مثلا : أريد في مادة الرياضيات خمس حصص ، حصة في باب كذا موضوع كذا ، وحصة في جزئية كذا ، وثالثة في المقارنة بين كذا وكذا ، ورابعة في طريقة الاجابة ... إلى آخره .**

سادسا : **الثقة بالنفس** ، بحيث لا تتعدى حدودها ، وإلا أصبحت غرورا ويا ويل الانسان من الغرور ، ولذا فقد وجب على الطالب أن يكون صادقا مع نفسه ، وأن يقيس قدراته واستعداداه بميزان دقيق ، فاذا لم يستطع فليستعن بمن يثق فيه من أساتذته ، وذلك ليحدد موقفه من كل مادة ، ويتعرف مواطن ضعفه ومواطن قوته ليقف على أرض صلبة ، ويتحرك بقدم ثابتة فكم من طلاب يخرجون من الامتحان يرقصون ويهللون يقدرون لأنفسهم الدرجة النهائية أو قريبا منها ، ثم نفاجأ عندما تظهر النتيجة بأنهم راسبون أو ناجحون بالنهاية الصغرى فقط . ليس لذلك إلا تفسير واحد هو أنهم يخدعون انفسهم .

سابعا : **التواضع** ، فالتواضع سمة العلم ، والكبر سمة الجهل ، واستقص في هذا الموضوع كما تشاء ، وضع من المقدمات ما تحب فلن تتخلف هذه النتيجة أبدا (ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر) . وإنها لظاهرة تدعو للعجب وللأسف معا ما نراه في طلاب اليوم إذ يستنكفون أن يسألوا عما لا يفهمون كأن سوء الفهم عار وضعف ومذلة . وذلك على النقيض تماما مما كان يفعله طلاب الأمس فكانوا يسألون ويلحفون .. يسألون أستاذهم . يسألون زميلهم .. يسألون أي إنسان يلتمسون عنده المعرفة ؛ وكانت لا تهدا لهم نفس ولا تقر لهم عين إلا إذا أدركوا ما يريدون .

ثامنا : **التحلي بآداب العلم** ، فللعلم آداب كثيرة ، يجب الالتزام بها ، وأهمها الطهارة ، والخشوع ، وحسن الاستماع ، وخفض الصوت ، وعدم اللجاج ـ وعفة الحوار ..

تاسعا : **القصد في الطعام** ، فان

الاكثار منه يثقل البدن ، ويقتل النشاط ، ويضعف الهمة ، وله أثره السيىء على الذهن .

عاشرا : **عدم الغفلة** ، سألته وقد رأيته يعيد الشهادة الثانوية : فيم تخلفت ؟ ولم ؟ أجاب : في مادة الرياضيات . قلت له كيف ، وعهدي بك تلميذا نجيبا ؟ قال : اقص عليك . في امتحان مادة الجبر والهندسة التحليلية ، وبعد ان دق الجرس مؤذنا بالاجابة قرأت الأسئلة ، ثم بدأت في اجابة التمرين الأول . حللت الخطوات الأربع الأولى منه في ثوان ، وبقيت الخطوة النهائية عندما حللتها حدثتني نفسي بأن النتيجة غير صحيحة . وحبا في التغلب على المسألة وجريا وراء هذه الغاية اخذت اعيد واعيد وفي كل مرة تحدثني نفسي بأن النتيجة غير صحيحة ، وظللت كذلك إلى ان حدثتني نفسي بأن الجواب صحيح . وهنا رفعت القلم ، ونظرت في الساعة فوجدت ان الزمن لم يبق منه إلا دقائق معدودة !!

الاجابة المفتوحة :

ايها الطالب عندما تدخل الامتحان ابدأ فاكتب بياناتك في المكان المعد لها من دفتر الاجابة ، ثم قسم أوراق الاجابة على الاسئلة معتمدا في ذلك على طبيعة المادة ، وعلى خبراتك من الأعوام السابقة ، بحيث تبدأ اجابة كل سؤال من اول صحيفة وحسب هذا التقسيم اكتب إجابة السؤال الأول ، إجابة السؤال الثاني ، إجابة السؤال الثالث ... وهكذا .

فاذا تسلمت ورقة الأسئلة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، واقرأها للمرة الأولى ، ولا تحكم عليها بهذه القراءة . اقرأها للمرة الثانية ، واختبر أسهل الأسئلة وأكثرها وضوحا لك وفهما . ابدأ الاجابة عنه في مكانه الذي حددته من اوراق الاجابة ، فاذا انتهيت منه فقل الحمد لله وراجعه في الحال ، ولا تنتظر حتى نهاية الزمن واذا وقفت في شيء منه فلا تفكر اكثر من دقيقتين بأي حال ، فاذا وفقت فذلك الفضل من الله ، والا فانتقل الى اخف سؤال واسهله بعد ذلك ، وهكذا وقد يحدث كثيرا ان تتذكر النقطة التي وقفت عندها ولم تجب عنها وأنت تجيب عن سؤال آخر عندئذ ارفع القلم وارجع بسرعة حال الى السؤال الذي وقفت فيه واكمل النقطة التي فاتتك والا فانها ستند عنك ومن العسير أن تعود ثانية وتلك هي الاجابة المفتوحة التي نقصدها والتي تدل على يقظتك وانتباهك والتي تتيح لك أن تجيب أوفى ما يكون على كل سؤال من الاسئلة مستغلا كل ثانية من زمن الاجابة .

ولقد امرنا الدين باليقظة وحذرنا من الغفلة والشواهد على ذلك كثيرة .

واخيرا **فملاك الأمر كله طاعة الله وتقواه** ، فهي خير عاصم وخير معين فاتقوا الله ويعلمكم الله : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب**) الطلاق/ ٢ و ٣ . والله أسأل ان يرزقنا ويرزق أبناءنا وبناتنا التوفيق والسداد .



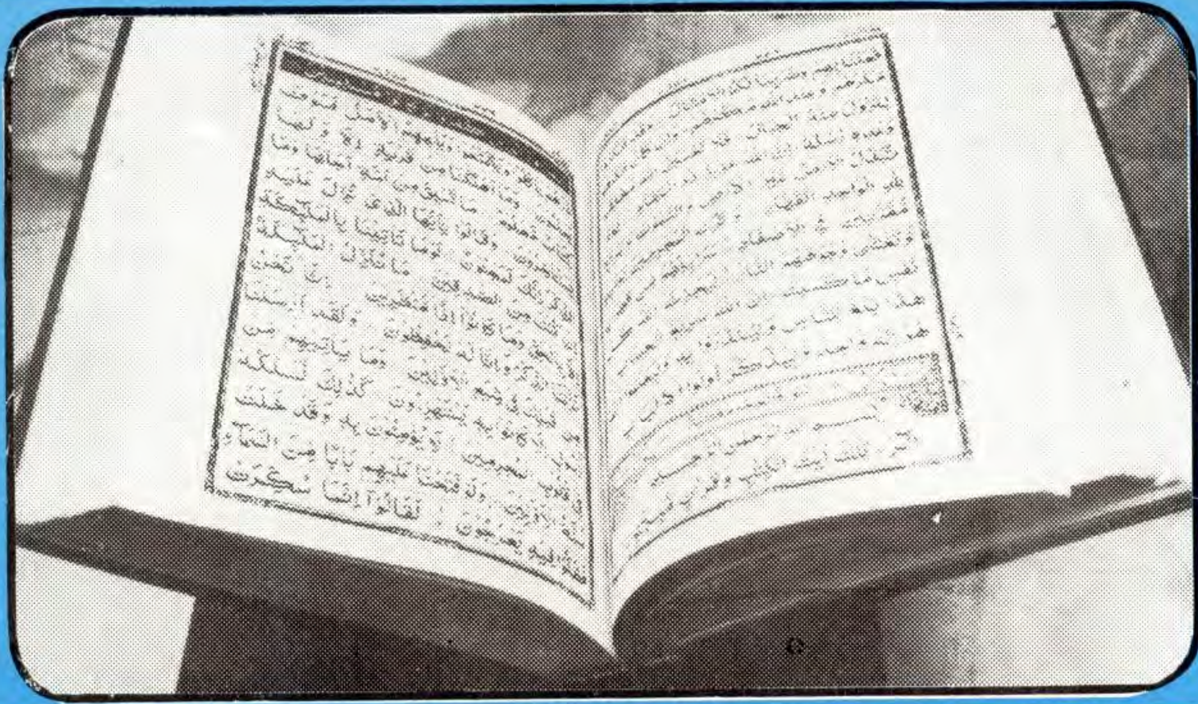
التصوير القرآني

للدكتور/ علي علي مصطفى صبح

أذهل القرآن الكريم عقول البشر، وتركهم في حيرة وما زالوا يرددون: هل الاعجاز في النسق العجيب؟ أم في النظم البديع؟ أم في الأسلوب الرفيع؟ أم في التصوير البياني؟ أم في التصوير الفني؟ أم في الفن القصصي؟ أم في كل ذلك؟ أم في غير ذلك؟ أن الاعجاز في «التصوير القرآني» لأنه ينبني على ما سبق، بل أكثر مما سبق.

حين نزل القرآن الكريم، كان العرب قد بلغوا الغاية في فصاحة اللغة وبلاغتها، لذلك كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في لغة العرب، التى أفصح عنها القرآن في صورة أعجزت أهلها، وذلك أدعى الى اقناعهم وأجدر في رد انكارهم لدعوة الاسلام، فيكون العجز عن المجاراة في لغتهم بمثابة البرهان الساطع والحجة القاطعة قال الله سبحانه وتعالى: **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)**، النساء/ ١٦٥، لذلك عجزوا عن الاتيان بمثله، بل عن الاتيان بآية من مثله، مع أن الله سبحانه وتعالى جعله **(قرآنا عربيا غير ذي عوج)** الزمر/ ٢٨

تعددت الجوانب في اعجاز القرآن الكريم، فكان في مضمونه وشكله، وفي كل ما يتصل به، سواء أكان ذلك في موضوعاته المختلفة التى تتصل بالاخبار عن المغيبات، كالشأن في القصص القرآني، الذي يحكي أحوال الأمم السابقة مع الأنبياء والرسل، الذين بعثهم الله فيهم مبشرين ومنذرين، من لدن آدم عليه السلام الى خاتم النبيين والمرسلين، وغيرها من القصص، مثل قصة أصحاب الجنة، وقصة الرجلين، وقصة أصحاب الكهف، وذي



القرنين ، وسوى ذلك .

أم كان الاعجاز في الموضوعات التى ستقع في المستقبل ، مثل هزيمة الروم وفتح مكة ، وانتصار الاسلام ، وغير ذلك مما أخبر به الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بأنه سيقع في المستقبل القريب أم البعيد الى يوم القيامة .

أم كان الاعجاز في الموضوعات التى تتصل بالتشريع الالهي لهذه الأمم ، فتوضح العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وتنظم أسلوب المعاملة بين الانسان ونفسه ، وبينه وبين أهله وعشيرته ، وبين المجتمع الذي يعيش فيه ومجتمع آخر ، وغيرها من التشريعات والنظم ، مما يتناسب مع الأجيال والأزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** الاسراء/٩

أو كان الاعجاز من حيث النظم العجيب ، والأسلوب البديع ، في ألفاظه التى وقعت في موقعها ، متآخية من جاراتها ، ومنسجمة مع أخواتها ، لأداء هذا المعنى ، الذي يهز الأعماق ، أو من حيث تصويره للمعاني تصويرا تلتقي فيه كل عناصر الاعجاز ، في « التصوير القرآني » الرفيع .

وآثرت التعبير في جانب القرآن الكريم « بالتصوير القرآني » لتفرده بالاعجاز ، فهو أسمى ما عرفه البلغاء على الاطلاق ، فنسبة الشيء الى أصله أولى بجلال القرآن وقدسيته ، من حيث مصدره الالهي ، دون غير ذلك من التعبيرات والأوصاف ، التى يمكن أن يتصف بها التصوير في القرآن الكريم من المصطلحات الأدبية والنقدية والبلاغية ، التى جرت على ألسنة

الأدباء والنقاد والبلغاء ، وآثروها دون غيرها ، مما يتفق مع ذوقهم وباحساسهم ، ويشخص مدى اعجابهم وانبهارهم بالاعجاز في التصوير البديع في القديم والحديث على السواء ، مثل قول بعضهم : « التصوير الفني في القرآن الكريم » ، وقول بعضهم : « الفن القصصي في القرآن الكريم » فالقرآن يسمو عن تصويره بكلمة « الفن » المستعملة مع العامة ، ومثل قول بعضهم : « التصوير الأدبي » كأن القرآن نص أدبي من صنع البشر ، وقول بعضهم : « البيان القرآني » ، وهذا أقرب الى الصواب من حيث النسبة الى القرآن فقط ، لا من حيث المراد ، لأن البيان يمثل جانبا واحدا من جوانب التصوير القرآني العميق ، وغير ذلك من الأوصاف التى جرت على الألسنة مما لا يتناسب مع جلال القرآن الكريم وقدسيته الربانية .

والقرآن الكريم حين خاطب العقل والشعور ، والروح والقلب جميعا ، خاطبها بأجل الوسائل في التعبير ، فبهرها « بالتصوير القرآني » الذي تلتقي فيه كل روافد الاعجاز ، ليكشف عنها أروع كشف ، في جلاء ووضوح ، واقناع وتأثير ، والتصوير القرآني هو « اعجاز الاعجاز » ، لأن التصوير بمعناه الواسع العميق يفيض بكل ذلك ، فهو جسد وروح معا ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا نقصد بالتصوير الصور التقليدية والجزئية ، التى اقتصرت على ألوان البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ، أو اقتصرت على اللفظ والعبارة أو اقتصرت على النظم في علاقة الكلمة بالمعنى ، دون الأبعاد النفسية والشعورية ، التى يعلمها خالق النفس والشعور سبحانه وتعالى ، وليس هذا هو المقصود بالتصوير القرآني ، بل الأمر أعمق من كل ما سبق ، وأرحب أفقا ، ان التصوير القرآني كائن حي خالد ، يلتقي فيه ما اجتمع في الانسان من كل وسائل الحياة ، في ارتباط شكله بمضمونه جملة ، وما وراء ذلك من مشاعر النفس وخوالجها وعواطفها والصدق فيها ، وغير ذلك من عناصر التصوير ، التى تملك زمام التأثير في النفس ، وتدفع صاحبها الى الاقتناع العقلي .

والتأثير والاقناع هما الغاية من الاعجاز في التصوير القرآني ، وبهما تحول الوليد بن المغيرة من معاند فاتك الى مهزوم ضعيف ، يسترحم محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويضع يده على فمه الشريف فزعا من الهلاك ويقول له : أمسك عليك يا ابن أخي ، ثم يذهب الى صناديد الكفر ، الذين كانوا ينتظرون منه القضاء عليه ، فاذا بالحق ينطق به قلبه وعقله ، وينطلق على لسانه ، ليجري مجرى المثل والحكمة ، وان كان المثل من كافر ، وهذا أولى لأنهم قالوا والفضل ما شهدت به الأعداء . قال الوليد بن المغيرة ، يصف الابداع في التصوير القرآني : ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان

أسفله لمغدق ، وانه يعلـو ولا يعلى عليه . وصدق الله العظيم اذ يقول : **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)** الحشر/٢١

وعلى سبيل المثال تأمل قول الله تعالى : **(اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمـة وهيىء لنـا من أمرنـا رشـداً . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)** الكهف/١٠ ، ١١ ، ستقف امامها خاشعا مطرقا لجلال التصوير القرآني في نقل المشهد حيا كما هو ، فأبرزت الآيتان الكريمتان عنـاصر التصوير في فرار الفتية من جبروت الملك في سبيل الله ، وهم على خوف شديد ، فشخصت السرعة في معناها ومبناها الموسيقي فقولـه تعـالى : (إذ) يدل بمعناه الزماني ومبناه الصوتي على قصر الوقت الذي قطعه الفتية في البحث عن الكهف في سرعة خوفا من الوقوع في يد الطاغية ، على العكس من كلمة (حين) التى قد تسد مسدها في المعنى الزماني ، فهي تدل على البطء وطول الوقت مما لا يتناسب مع المقام من السرعة ، ودلالة (أوى) عليها أدق من دلالة (لجأ) حين توضع مكانها ، فهي تدل على الوصول في تؤدة وتلكؤ .

ثم ما يوحيه لفظ (الفتية) من الشباب والنضارة ، وتدفق البـذل والكرم في نصرة الحق ، والصلابة والقوة في جانب الباطل ، فموطن الغرابة فيهم أن ولايتهم في شبابهم ، والشباب مرحلة الغواية والميل ، ولن تكون ولاية الشيـخ الكبـير مثـار العجب ، لذلك كان الشاب المستقيم من السبعة الذين سيظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ... وشاب نشأ في عبادة الله ، ثم ما يدل عليه وزن (الفتية) من العدد ، وهو دون العشرة ، وهم كذلك ، لأن العرب استعملت (فعلة) في جمع القلة .

وأما قوله تعالى : (فضربنـا) فالفاء وحدها التى تدل في اللغة على الترتيب والتلاحـق صورت سرعـة استجابة الله لهم ، حيث هيأ لهم كهفا يحفظهم فيه دلالة على ولايتهم ، والولايـة دون النبـوة ، لما في (الضرب) من معنـى الايـذاء والعقاب ، لفرارهم بدينهم ، بينمـا الأنبياء لا يفرون ، وانما يواجهون الكفار في ثبات واصرار ، وتسليط (الضرب) على السمع أبلغ في النوم من تسليطه على العين ، فقد تتناوم العينان ، وصاحبهما يقظان ، وانما النائم الحقيقي هو الذي ضرب على سمعه لا بصره ، وهكذا اذا ما تأملت ما في الآيتين من الحروف والألفاظ ، لوجدت أن كل حرف ولفظ لا بديل له في التصوير القرآني فهو يفيض بمعان غزيرة ، لا يعلم حقيقتها الا اللـه سبحانه وتعالى : **(وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتـكون من المنذريـن . بلسان عربي مبين . وانه لفي زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علمـاء بنـي اسرائيـل)** الشعراء/١٩٢ ـ ١٩٧ .

عبادة

عندما أوشكت الانسانية ان تبلغ رشدها ، ويكتمل وعيها ، وصار في استطاعة شعوب مختلفة الاجتماع على التفاهم والود والمحبة في صعيد واحد ، أمر المولى تبارك وتعالي رسوله وخليله سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء اول بيت مقدس يحج اليه الناس جميعا ، فنفذ سيدنا إبراهيم الأمر بمساعدة ولده إسماعيل عليهما السلام : **(واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)** البقرة ـ ١٢٧ .

ولما اثمرت طهارة القلوب ، وقداسة المبدأ والايثار ، والتطلع الى الحياة الانسانية المثلى في الاجتماع على العقيدة الصحيحة ، امر المولى تبارك وتعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة من رجس الشرك ، والوثنية والاصنام التي كانت تعبد من دون الله عز وجل ، وقد هاجر الى « الجزيرة العربية » لهذا الهدف : **(واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود)** . الحج ـ ٢٦ .

وبعد ان تم بناء البيت الحرام وتشييده واعداده لجمع كلمة الناس

العمرة

على عبادة الله عز وجل ، وتوحيد صفوفهم في ظل العقيدة الصحيحة أمر المولى تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام ان ينادي في الناس جميعا من كل جنس ولون ، معلنا دعوتهم لزيارة هذا البيت : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج ـ ٢٧ ، قال قتادة : لما امر الله عز وجل ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج نادي : يا أيها الناس ، ان الله عزوجل بنى بيتا فحجوا .

والاستجابة لهذا النداء الرباني لحضور هذا المؤتمر العام واجبة على المسلمين ، ليحل الاتحاد محل الاختلاف ، ويتحول الحقد الى ود واخاء .

ولقد كان فرض الحج في السنة الخامسة او السادسة من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامة عليه ، ليكون مظهرا من مظاهر المساواة بين المسلمين ، ورمزا خالدا لاتحادهم ، وملجأ رحبا لمواساتهم وتراحمهم ، وملاذا قدسيا لتزكية نفوسهم ، وشعاعا وضاء لانارة بصائرهم وضمائرهم ، ومتوجها خالصا الى بارئهم ورازقهم ، ليتجلى عليهم بنعمائه ، ويعمهم ببركاته وخيراته ،

ويشملهم باحسانه وتجلياته ، ومثابة وأمنا يثوبون اليه كل عام ليؤدوا مناسكهم ، ويتحرروا من ذنوبهم واثامهم ، ويتجردوا من زخارف الحياة الدنيا ، ويطهروا قلوبهم بذكر المولى تبارك وتعالى الذي تطمئن بذكره القلوب ،، ويترفعوا بأنفسهم عن اللغو والرفث والفسوق والجدل ، ويكبروا الله جل شأنه ويشكروه على ما وفقهم اليه وهداهم ورزقهم واولاهم ، وليشهدوا منافع لهم في دنياهم واخراهم .

ان الحج ركن عظيم من اركان الاسلام ، ودعامة قوية من دعائمه ، فرضه المولى تبارك وتعالى على كل مسلم ، بالغ ، حر ، مستطيع ، فلا يجب على الكافر ، ولا على الصبي ، اما اذا فعله الصبي صح منه ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لقى بالروحاء ركبا ، فقال : « من القوم ؟ » فقالوا : « المسلمون » ، ثم قالوا : « من انت ؟ » فقال : « رسول الله » ، فرفعت اليه امرأة صبيا وقالت : « ألهذا حج ؟ » ، قال : « نعم ولك أجر » رواه مسلم .

ولا يجب على المجنون ، ولو فعله لا يصح منه لذهاب عقله ، ولا على من فيه رق ، ولو فعله فانه يصح منه ويثاب عليه ، وايضا لا يجب على غير المستطيع ، ويسقط عنه الفرض في حالة ما اذا تبرع له احد بنفقات حجه .

ويشترط في وجوب الحج على المرأة أن تكون امنة على نفسها من الفتنة ، سواء بوجود زوج او محرم ، او نسوة ثقاة معها ، بيد انه يصح منها في حالة ما اذا خرجت وحجت دون وجود احد من هؤلاء معها .

والحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام ، لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » (متفق عليه) .

وهو فرض على المسلم والمسلمة مرة واحدة في العمر ، وما زاد عن ذلك فهو تطوع ، ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس ، ان الله قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم .

بيد انه يسن الاكثار منه ومن العمرة تطوعا ، فقد روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « متفق عليه » .

وقد ذهب كثير من العلماء الى ان الحج افضل من الصلاة والزكاة والصوم مستدلين على ذلك بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » (متفق عليه) .

ان المولى تبارك وتعالى قد اوجب الحج مرة في العمر على التراخي ، لتتعرض جماعات من الناس لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج - ٢٨ .

وهذه المنافع عامة وواسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية ، والاجتماعية ، وسائر الجوانب التي تقدس وحدة المسلمين ، وتشعرهم بأنهم جميعا جسد واحد ، كل امة او جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيانها ويقوم وجودها عليه .

وليس هناك شك في ان قمة المنافع الروحية تتجلى في توجيه الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل وعبادته دون سواه ، وهذا الاجتماع السنوي ضمان لاعظم وحدة اجتماعية ، وقاعدة عريضة للاخاء والسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد ، كلهم لبوا دعوته ، واقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتنهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعلم الجميع انها شر كلها ولا خير فيها .

ويتجلى انتصار الايمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الانصاب في « منى » وهذه سنة متبعة من ايام خليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ، فقد حطمها في مدينة « اور » ، ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج الى وقتنا هذا يرجمونها في « منى » .

ولقد لمس العرب بطلان عبادة الاصنام من قديم ، يوم رجمها سيدنا ابراهيم عليه السلام في « منى » ، وهو يقول عند الرمي بكل حصاة : « الله اكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي اخبر المولى تبارك وتعالى عنه بقوله : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنى ان نعبد الاصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم**) ابراهيم - ٣٥ ، ٣٦ ، ولا يزال الناس الى اليوم يلمسون بطلان عبادة الاصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك ان الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونبذ الاصنام يتجلى اعظم ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة المولى تبارك وتعالى في قلوبهم وأنه الخالق لكل شيء ، وليس كمثله

شيء بعد ان تصغر في نظرهم الانصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون : « الله اكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الانصاب في كل عام ، ففي يوم النحر يرجم نصب « العقبة » اكبر الانصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الذي يرجم في ذلك اليوم وحده ، اما بقية الانصاب فترجم في ايام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا حرج عليه ، ولا يشك انسان مثقف له دراية بعلم النفس في ان رجم الانصاب في معاقلها هو تذكير بأن المولى تبارك وتعالى واحد لا شريك له في ملكه وفي سلطانه .

وفي موسم الحج يجتمع المسلمون على اختلاف جنسياتهم واوطانهم والسنتهم ، في مؤتمر عام عالمي للمدارسة في شئونهم ، ولتبادل وجهات النظر فيما يهمهم من الامور ، حتى يحققوا العزة والنصر لهم ولدينهم .

ويكفي انهم في موقف لا يجدون فيه الا الحق ، ولا يحسون الا بالتضرع والابتهال الى المولى تبارك وتعالى ، رجاء مغفرته واملا في عونه ، وطمعا في رحمته ، « مكة » البلد الحرام ملتقاهم ، والكعبة الشريفة مجتمعهم ، وهي اول بيت وضع للناس ، يقول الحق جل وعلا : « **ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين** » ، آل عمران ـ ٩٦ ، ٩٧ ، فمن ترك الحج مع قدرته عليه فان الله عز وجل في غنى عنه ، لأنه جل شأنه غني عن العالمين .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة « **ومن كفر** » بدلا من كلمة « **ومن ترك الحج** » ليدل على شدة حرص الاسلام على اداء هذه الشعيرة .

وفريضة الحج تجمع اركان الاسلام في مناسكها ، ففيها الصلاة ، وفيها الزكاة ، وفيها الصيام في فدية التقصير في بعض الواجبات ، وفيها التوحيد في التلبية ، وفيها الى جانب ذلك مظهر الجهاد ، من حيث الاستعداد وتحمل مشاق السفر ، وتغيير الاجواء والمطعم والملبس والمسكن ، وما يعتاده الانسان في حياته العادية ، وما يتقيد به الحاج من الازمنة والامكنة .

والحج هو الشعيرة الوحيدة من بين شعائر الاسلام التي لا تؤدي الا بصفة جماعية ، وعلى هيئة مؤتمر عام ، ولقد جعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مؤتمر الحج طريقا للتغيير ، وطريقا للتقدم ، وطريقا للنهوض بالانسانية ، واستغل الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الحج لتوجيه المسلمين للمنهاج الصحيح والطريق القويم .

ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة ومعه مائة الف او يزيد من المسلمين لحج بيت الله الحرام ، فطاف بالكعبة ، ثم سعى بين الصفا والمروة ، وفي ليلة اليوم الثامن من ذي الحجة

نزل المزدلفة بمنى ، وفي ليلة التاسع نزل بعرفات عند الصخرات ، فلما حان وقت العصر امر من ينادي في الحجاج بالانصات ، فأنصت الناس ، واتخذ من حوله مبلغين لخطبته حتى يصل قوله الى الناس واضحا ، فخطب وهو فوق ناقته القصواء خطبة جامعة شاملة ، اكمل بها دستور الدين ، واتم بها الرسالة ، ووضحت خطبته الاغراض الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمستقبل المسلمين ، وتعد هذه الخطبة وثيقة خطيرة حددت اهداف الاسلام العليا ، وصارت اساسا كليا في التشريع ، وسندا يرجع اليه فقهاء الدين ، ففي هذه الوثيقة قطع لكل كلام حول الاسلام ، ويكفي ان الوحي نزل بعدها - كما جاء في صحيح الخبر - بقول المولى تبارك وتعالى : (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة - ٣ .

وفي الحج يتجمع الحجاج من سائر أنحاء الأرض ، يفدون على البلاد المقدسة ، فيغمرونها بما ينفقونه وما يتصدقون به ابتغاء وجه المولى تبارك وتعالى وابتغاء مرضاته ، الأمر الذي يؤدي إلى إصلاح حال الفقراء ، ويحقق دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام : (**رب اجعل هذا البلد آمنا وأرزق أهله من الثمرات**) إبراهيم/ ٣٥ .

وفي الحج تتجلى وحدة المسلمين كأقوى ما تكون ، وتزول جميع الفوارق ، ونرى المسلمين وقد غمرهم احساس المودة والمحبة ، وملأ قلوبهم الشعور بالاخوة الاسلامية وهم في اطهر مكان واقدس بقعة ، يذكرون الله عز وجل في ايام معدودات ، مستمسكين بالقيم والمبادىء ، متجردين من الاهواء والشحناء ، مبتعدين عن البغضاء والمعاصي ، عازفين عن الفسوق والجدال والعصيان ، متجملين بالصبر على الشدائد ، متقبلين بكل رضا وطيب خاطر الارهاق الحسي والنفسي في الاماكن الضيقة وزحمة الحجاج ، مرتدين ملابس الاحرام مظهر المساواة ورمز الوحدة ، في صفاء روحي ، متجهين الى القبلة نقطة تجمعهم وشعار وحدتهم ، آملين رضا الله عز وجل والدار الاخرة ، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » رواه البزار عن جابر ورجاله ثقات .

وفي الحج يقف المسلمون بعرفات ، تجمعهم جميعا روابط المودة والاخاء هاتفين في صعيد واحد ووقت واحد للاله الواحد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك » .

وعلى ذلك فان الحج المبرور يعتبر عبادة العمر ، ويكون بمثابة التطهر من جميع الذنوب ، والتزود بالكثير من الفضل والرضوان ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » (متفق عليه) .

ان فضل المولى تبارك وتعالى على

حجاج بيته لاتحده حدود ، فهم قد جاءوه شعثا غبرا وهو عز وجل ناظر اليهم برحمته ، ويحوطهم برعايته ويحفظهم بعنايته ، تتنزل عليهم الرحمات في عرفة وحول البيت الحرام ، وفي كل موطن من المواطن التي يؤدون فيها الشعائر ، وهم خاضعون بين يديه عز وجل ، متساوون ، منخلعون من كل ربقة لا يرتضيها الاسلام ، متخلون عن المألوف والشهوة والعادة ، متحركون ضمن هدف واحد رسمت معالمه العقيدة الاسلامية التي يهللون ويكبرون لشارعها ، رافعون اكف الضراعة اليه بالرجاء ، قلوبهم مؤمنة ونفوسهم راضية طيبة ، فلا يخيب لهم المولى تبارك وتعالى رجاء ، ولا يرد لهم دعاء ، بل يشملهم بفضله ورحمته ، فيندمون على ما اقترفوا من ذنوب ، ويقفون بين يديه عز وجل خائفين من هول اليوم الذي يفر فيه المرء من اخيه ، وامه وابيه ، وصاحبته وبنيه .

ان الحج بشعائره كلها آية ربانية على سلامة الطريق ، ومصدر قوة للامة الاسلامية لو رافقت كلماتنا الخشية ، وارتبطت تلبيتنا بالقلوب ، وجعلنا كلمة الاسلام هي المحكمة ، وفي بيت الله الحرام آيات بينات ، جديرة بأن توقظ كل غافل ، وتشد من ازر كل كامل ، وتحيي الارض بعد موتها ، وذلك ميدان يتسابق فيه السعداء الذين لا يبتغون اي شيء سوى مرضاة الخالق جل شأنه .

ما اعظم هذه الفريضة ، وما اعذب وقعها على النفوس المؤمنة ، انها رحلة الحياة وطريق الفوز والسعادة ، والنجاة من عذاب المولى جل شأنه ، وفي ذلك يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « اتاني جبريل عليه السلام فاقرأني من ربي السلام وقال : ان الله غفر لاهل عرفات ولاهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « يا رسول الله : اهذا لنا خاصة ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا لكم ولمن اتى من بعدكم الى يوم القيامة » ، فقال عمر : « كثر خير الله وطاب » رواه المنذري في كتاب الترغيب والترهيب عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن انس بن مالك رضي الله عنه .

نسأل المولى تبارك وتعالى الرحمن الرحيم ، وندعوه وهو القاهر فوق عباده ، ونلجأ اليه وهو الذي يباهي بالحجيج ملائكته ويتجلى عليهم بالرحمة والعتق من النار ، ان يفتح القلوب لهدايته ، وان يجعل من نور كلمات المصطفى صلى الله عليه وسلم غيثا يروي النفوس العطشى ويحملها الى مرابع الخير ، وان يتجلى على عباده بروح من عنده تسري في كيان الفرد والجماعة ، فيعودون الى سيرتهم الاولى ، ينهلون من منابع العطاء ، ويستأنفون الطريق ، ويأخذون بأسباب القوة في القلوب والعقول والاعداد ، فيأمنون بعد خوف ، ويؤدون رسالتهم في العالمين مطمئنين .

إلى حجاج بيت الله الحرام

للاستاذ / محمود محمد بكر هلال

سطعت كنور الفجر في أبياتي ... وتسربت كالعطر في الزهرات
وغدت تحدث في جلال خاشع ... كالطهر والايمان في الصلوات
وسمعتها تدعو وتهتف في الضحى ... قدسية الدعوات والنغمات
نادى الخليل فياسعادة من سعى ... لله في صدق وفي إخبات
فأجابها نفر « كريم » أشربوا ... حب التقى وحلاوة القربات
تركوا ديارهمو وساروا خشعا ... كالنور يطوى الجو والفلوات
وهناك في الأرض المقدسة التي ... كرمت بنور الوحي والآيات
هتفت بهم ورقاء ساحرة الرؤى ... تختال في سحر وفي هالات
ورنت الى ركب الحجيج وأرسلت ... بشرى كلحن الطير في الربوات
حجاج بيت الله طابت رحلة ... نلتم بها ما طاب من جنات
غادرتمو الوطن الحبيب لتسعدوا ... بالأجر والرضوان في عرفات
وخلعتمو الدنيا وزخرفها الذي ... يغري الوري باللهو واللذات
وهناك في عرفات صرتم أمة ... مجموعة التهليل والدعوات
لا فرق بين الواقفين فكلهم ... قلب يناجي الله بالطاعات
وعلى منى نلتم من الله المنى ... وقتلتمو الشيطان بالجمرات
وقصدتمو البيت الحرام وطفتمو ... سبعا ببيت الله ذى الرحمات
بشراكمو فلقد عمرتم بيته ... وهو الكريم يضاعف الحسنات
ثم انثنيتم نحو قبر محمد ... فحظيتمو بالخير والبركات
صلى عليه الله ما طلع الضحى ... ودعا الموحد بارىء النسمات
ولكم من الله المثوبة والرضا ... في أسعد الأيام والأوقات
والتهنئات أزفها منضورة ... كالزهر في أرج وفي بسمات
لكمو بحجكمو وباليوم الذي ... لا شك بالنصر المؤزر آت

المسلمون أمام تحديات

خطة جديدة :

شنت اوروبا ثماني حملات صليبية على الشرق الاسلامي ، وقد باءت هذه الحملات بالاخفاق والهزيمة . فـ « القديس لويس التاسع » قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا وقع اسيرا في مدينة (المنصورة) في مصر ، ثم خلص من الأسر بفدية . ولما عاد الى فرنسا أيقن ان قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم الى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس وبكل غال ، اذن لا بد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصياته أن يهتم اتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للاسلام لهذا الغرض . وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار الى ميدان الفكر !

ان هذه الوثيقة الخطيرة ظلت مختفية عن انظار المسلمين ، بل العالم فترة طويلة ، ولم يكشف النقاب عنها الا في وقت متأخر قبل سنين قليلة ، وقد اشارت اليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسي ، كما ذكرها مؤرخه ـ ايضا ـ « جرانفيل » ! وقد حولت المعركة بهذه التوجيهات من الغزو العسكري الى الغزو الفكري ، فعلى شبابنا ان يتفهم ويدرك ما اراد لهم اعداؤهم ، اذ قد نفذت هذه الخطة تنفيذا دقيقا ، ونجحت نجاحا



الغزو الفكري

للاستاذ/ ابراهيم النعمة

واضحا ، نلمس اثاره في مجتمعات المسلمين اليوم !

مجالات الغزو الفكري :

كان الغزو الفكري الذي وجه الى العالم الاسلامي منظما التنظيم كله ، فعمل على الدخول في جميع مرافق الحياة ، والهيمنة عليها واستغلالها لصالحه ، فاستخدم السينما والمسرح والتمثيلية والقصة والاذاعة والتلفزيون والكتب والمجلات في ما يحقق غرضه ! وقد حقق ما يصبو اليه وزيادة ، فأنشأ جيلا يحب الغرب والحياة الغربية ، بل يتفانى في سبيلها ! ولو حملت اوروبا كلها السلاح اكثر من الف سنة ، وجاءت بخيلها ورجلها ، وقضها وقضيضها الى العالم الاسلامي : تغزو وتدمر لما حققت من النجاح ما حققته في غزوها الفكري الذي اوهن الامة الاسلامية ، وتركها تتلوى الما وتتمض اسى !!

التربية والتعليم :

ومن اقوى الوسائل التي تمكن بها الغزو الفكري من الوصول الى هدفه هي التربية والتعليم والثقافة الأجنبية ، اذ بوساطة ذلك تم الاتصال بالمسلمين .. وقد دخل الغزو الفكري الى العالم الاسلامي من باب يخيل الى السطحيين من الناس انه

الباب الطبيعي ، اذ حمل أسم العلم والمعرفة والتمدن ، ومن يحارب ذلك الا الجاهل الاحمق ؟! يقول زويمر : « المدارس احسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين » !

اقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة كاثرة : يزدردون مناهجها ، ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها .. وقد اوحى الى بعض المسلمين ان يعتقدوا ان التعليم في هذه المدارس خير دواء لمعالجة الداء الذي الم بالعالم الاسلامي ! ولم يدر بخلد كثير منهم ما سوف تنتجه هذه المناهج المبنية على اسس تختلف وتتباين عن اسس الاسلام الصحيحة في العقيدة والشريعة ، والنظرة الى الكون والحياة والانسان : (**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا**) الاعراف/٥٨ .

على ان هذه المدارس كانت تساندها جمعيات كثيرة : تمدها بالمال وبكل ما تحتاجه . ونستطيع ان ندرك اهمية هذه المدارس في اعمالها التخريبية باهتمام المستعمرين بها ، اذ ما دخلوا بلدا من البلدان الا كان اول ما فعلوه ان فتحوا المدارس . وقد قال القائد الفرنسي الجنرال « بيير كيللر » عن المعاهد الفرنسية في لبنان :

« .. فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريبا في ايدينا . وفي بداية حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ كان اكثر من اثنين وخمسين الف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا ، وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون الى عائلات اسلامية عريقة » وهذه المدارس ادت دورا عجزت عن ادائه اجهزة التبشير والاستشراق كلها . ويكفينا ان نعلم ان مؤتمر (ادنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠ وحضره ١٢٠٠ من مندوبيه كان مما قرره هذا المؤتمر ما يأتي :

« اتفقت اراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية ، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوروبا كلها » .

ويقول المبشر « تكلي » :

« ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس امرا صعبا جدا » .

ويقول المستشرق الانكليزي (هاملتون جب) :

« لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ اثرا يجعلهم في مظهرهم العام « لادينيين » الى حد بعيد ، ولا ريب ان ذلك هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من اثار » .

الجامعة :

بعد ان سيطر المستعمرون على بلاد المسلمين اولوا جل اهتمامهم

بالجامعات الاسلامية : بمناهجها ونظامها ، وصاغوها صياغة خاصة تجعل المتخرج منها لا صلة له بالاسلام ، ويكون في الوقت نفسه اميّا في عقيدته وشريعته . يقول الدكتور عبد الحليم محمود - شيخ الجامع الازهر رحمه الله :-

« ان الامر قد وصل بالاستعمار ان صاغ خريجي كليات الحقوق ، بحيث لا يفهمون بعد (الليسانس) كتابا عربيا في المواد التشريعية ، وليس الامر بغريب ، ان جدول التدريس في كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة في الاسبوع للقوانين الاوروبية ، ومحاضرتين فقط للشريعة الاسلامية » .

ولم يكتف المستعمرون بذلك بل قاموا بفتح جامعات ومعاهد لتقوم بتوجيه ابناء المسلمين توجيها مباشرا : كالجامعات الفرنسية والامريكية التي كانت تعمل عملها في القاهرة واستانبول وبيروت وغيرها . وكانت هذه الجامعات تخرج شبابا معجبا بالغرب وحضارته . وتمكنت هذه الجامعات الغربية من منافسة الجامعات الاسلامية ، فانتزعت من الجامعات الاسلامية شبابها ، خاصة بعد ان جعلت الوظائف المهمة منحصرة في خريجي جامعات الغرب ، واغدقت عليهم المرتبات الوفيرة ، في الوقت الذي ضيقت الخناق من الناحية المادية على خريجي الجامعات الاسلامية ! ووصل الامر بخريجي الجامعات الاسلامية ان صارت الامثال تضرب بهم : في فقرهم المدقع ، وعوزهم البائس لقلة مرتباتهم !

وقد استمدت الجامعات العصرية مناهجها وبرامجها من المناهج والبرامج الغربية ، متجاهلة الدور الكبير العظيم الذي اسداه المسلمون الى الانسانية في مجال العلوم والاداب والروح والقيم ، وكانت علوم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها تدرس في هذه الجامعات على انها نتاج غربي ليس الا ، وان المسلمين لم يكن لهم اي دور يستحق الذكر في هذه العلوم وقد هدفت هذه المناهج الى ان تقف وقفة مضادة لما كان يقوم به الازهر ، وجامعتا الزيتونة ، والقرويين ، والمدارس الاسلامية في العالم الاسلامي ، وبذلك يتخلخل وينهز فكر الشباب المسلم ، الامر الذي يؤدي - بطبيعة الحال - الى ان يتخرج الطلاب من كلتا الجامعتين ، وخريج كل منهما يختلف في تفكيره مع الاخر ، بل صار بينهما تضاد عميق وبون شاسع ! ووصل الامر ببعض هذه الجامعات العصرية ان صارت تحتفل بمولد اناس عرفوا بمعاداتهم الشديدة للاسلام ، وذمهم الكبير وانتقاصهم الواسع للعرب : كما فعلت احدى الجامعات في مصر حين احتفلت بذكرى مرور مائة سنة على ولادة الفيلسوف (رينان) !!

وتبنت هذه الجامعات العصرية وجهة النظر الغربية في الاسلام والعرب والشرق ، وذلك بتأثير المستشرقين الذين كانوا يدرسون فيها ، وقد جعلت سورا من حديد بين

العلم الذي يدرسه ابناء المسلمين والاسلام الذي ينتسبون اليه . هذا وقد جعل الغربيون كثيرا من الجامعات الغربية تجمع بين العبادة والعلم . ففي جامعة (اكسفورد) مثلا تسع عشرة كلية وفي كل منها كنيسة ، والطلبة ملزمون بالصلاة فيها في اوقات معينة . ولا يخفي على القارىء اللبيب الفرق الواسع بين عقيدة الاسلام والعقيدة الاوروبية في موقفها من العلم فليتأمل !!

على ان الجامعات الغربية كان مخططها دقيقا ، حيث عملت على الوصول الى الهدف في تشكيك المسلمين بدينهم وتاريخهم وقيمهم من غير ان تصطدم اصطداما مباشرا بالاسلام ، ومن غير ان تستثير من يحمل حبا للاسلام فتخسره ، وذلك في ترويج دراسات المستشرقين في القرآن والوحي والرسول واللغة العربية والعقيدة والشريعة ، ومما يدلنا على ذلك ان الجامعة الامريكية في بيروت ظلت خمس عشرة سنة تدرس العلوم باللغة العربية ، ثم الغت ذلك ، وصار تدريسها بالانجليزية . وفي جامعة الجزائر كان التعليم بالفرنسية وكذلك الامر في معهد الدراسات العليا في تونس .

على ان هذه الجامعات الاجنبية يتخرج منها الطالب وهو موزع الولاء لدين غير دينه ، وحضارة غير حضارته ، وامة غير امته ! ان ذلك كله انكشف أمام الناس انكشافا واضحا حين وقف عبد القادر الحسيني ، يوزع شهادات خريجي الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٢ ، والقى كلمة قال فيها :

« ان هذه الجامعة التي تظهر امام الناس في مظهر المدرسة العالمية ، ولكنها في الحقيقة تعمل على افساد العقائد الدينية ، وهي تطعن في الدين الاسلامي ، وان الجامعة الامريكية التي ادعت انها علمية محضة ، وليس لها ادنى علاقة بحوادث التبشير ليست كذلك » وقد اتى في كلمته هذه بأدلة كثيرة اثبتت ما قرره !!

ويعرب (ماسينيون) عن مهمة جامعات فرنسا تجاه الطلاب المسلمين فيقول :

« ان هؤلاء الطلاب المسلمين الذي يصلون الى فرنسا يجب ان يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا اعوانا لنا في بلادهم » .

وهكذا يعود المبعوثون بعد ان اجرت لهم الجامعات الغربية عملية « غسل الدماغ » الى بلادهم ، وقد حملوا افكار المستعمرين نفسها التي تقلل من سلطان الاسلام واهميته ، بل توهنه وتضعفه ! واذا علمنا ان اقامة الطلاب في ديار الغرب حين الدراسة فترة ليست بالقصيرة ، وان تلك الديار فيها من الانحراف والميوعة والضلال الشيء الكثير ، وان المقيم في تلك الديار يتأثر بأعراف القوم ان لم تكن له حصانة من دينه تقيه من شرور ذلك المجتمع الفاسد ، ادركنا ان بعضا من طلابنا ، بل كثيرا منهم سوف يتأثر بتلك البيئة ، لكن هذا التأثير يختلف من بعضهم الى البعض الآخر قوة وضعفا ، إيجابا وسلبا !



هنا... أمام الحرم

للأستاذ/ أحمد العناني

« أبشر .. أبشر .. رزقت بولد يا شيخ بركات ! » وارتفعت زغرودة ضعيفة ، ربما لم تتناه الى سمع أحد أبعد ممن في الجوار الملاصق ..

ولا عجب فقد كان الشيخ بركات ، كما يطيب للناس أن يسموه على كره منه ، موضع مهابة من نساء بيته ، وحب عميق أيضا ... في ذلك اليوم الزاهر ، ابتسم الشيخ بركات ابتسامة فاترة ، ولكنها معبرة ، وحيث كان الوقت في الهزيع الأخير من الليل ، وكان قد أعد منذ أيام ، ما يحتاج اليه البيت ، في مناسبة كل مولود جديد ، فانه لم يزد على أن نهض فتوضأ ثم مضى توا الى الحرم الابراهيمي الشريف ، يتمتم شاكرا لله تعالى ، وينقل خطاه بتأثر عميق وسعادة ، على شوارع مبلطة بحجارة صلبة متآكلة الوجوه ، من طول سير الناس عليها في تلك المدينة القديمة ، وفيما كان يقترب من الحرم كان يسمع أنين العابدين في « الزوايا » المحيطة بالحرم العتيق ...

ومر ببوابة كبيرة ، ينتهي منها السائر مباشرة الى الدرج الصاعد الى الحرم ، وتذكر أنه جلس عندها في جنح الليل غير مرة ، يسأل الله تعالى أن يستجيب لدعائه ، فيرزقه ولو ولدا واحدا ، عسى أن تنتفع به شقيقاته الخمس ، اللواتي سبقنه للحياة ، فلقد كان قد وطد العزم على ميتة جهادية في سبيل الله ... فمنذ استشهد الشيخ القسام رحمه الله ، وهذا الرجل يحس أن حافزا يناديه من أعماق أعماقه ، أن يا هذا : ما فائدة الاستمرار بعد الأبرار في الحياة ؟ ! والله لأن تموت ألف مرة خير لك من أن تحيا الى حين تنفذ نوايا المستعمرين ، وينتهي أمر البلاد الى أحباب الصليبيين ... لقد كان يتمثل الصهاينة وقد تكاثروا ومشوا تحت حراب الغاصب الى الأقصى ، والحرم الابراهيمي ، فتجتاحه تنهيدة ثقيلة ، وتمنى لو يموت كما مات الشيخ القسام ، يواجه الرصاص بجبهته ووجهه ، ويظفر من الله برضوانه ..

لم يكن في الحرم أحد حين وصل الشيخ بركات ، فتوجه ناحية المحراب حيث اعتاد أن يسري الى هناك قبيل الفجر من كل يوم ، يصلي مع الناس ، ثم يحمل خريطة ، فيها خبز ، وحفنة من الزيتون وقطعة من اللبن المجفف ، ويمضي قدما الى كرم العنب الذي ورثه عن أبيه ، لا يفتر في الطريق عن ذكر الله أبدا ، حتى اذا وصل الى الكرم مضى الى حيث يخبىء فأسه في مسكن صيفي مهجور ، ويبدأ العمل الى أن يدركه الجهد والجوع حين يكون الضحى ، فيجلس ليستريح ، ويفطر ، ويصلي ركعتين ، ثم يستأنف العمل يضرب في الأرض كأن له عندها ثأرا .. فاذا حان الظهر توضأ وصلى واستراح ، ثم استأنف العمل بعد الظهر ، حتى تميل شمس النهار الى المغيب غير غافل عن صلاة العصر .

وشد ما كان يزعجه حين يلقي تحية الى أحد ، أن يجيء الجواب في كل مرة : « وعليك السلام يا شيخ

بركات ! »

وذات مرة انفعل كثيرا من هذه العبارة ، فانفلتت منه صيحة عجب وتأفف - يا أخي .. أنا بركات بن ابراهيم الوردي ! »

- ومن قال غير ذلك يا شيخ بركات ؟ »

- أستغفر الله العظيم ! ويتنهد

- لم أخطىء في حقك يا شيخ بركات ، وأنت رجل طيب لا تغضب وأنت على حق .. فما بالك تغضب بغير حق اليوم ؟

- لا قوة الا بالله ! يا أخي أنا لست كبير سن فتسموني شيخا ، ولا عالما في الدين ولا فقيها .

- لا يا شيخ ابراهيم .. أنت

- رجاء رجاء لا تزكني على الله .. حرام عليك .. حرام عليكم يا ناس ، دعوني وشأني .

ويهز الرجل الآخر كتفيه استغرابا .. ومع ذلك فهو يحس بحنان عميق لهذا الرجل ، وهو يوقن أن لو كان على الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لشابههم بركات الوردي في نقائهم وطهرهم ..

كان بركات من أوساط الطلبة في ثانوية الخليل الوحيدة في ذلك الزمان ، وكان يحيا حياة رتيبة ، وفق تربية صارمة في ذلك البلد الجبلي ذي التقاليد القديمة .. وعندما أنهى الثانوية ، وجد نفسه تلقائيا يعمل في مكان أبيه المتوفى من قريب ... يذهب الى كرم العنب فيعتني به ، لا يكاد يفارقه في غير أيام الجمع ، وكان يحيا حياة الجند من غير أن يعرف الجندية .

قبل الفجر من كل يوم يمضي الى الحرم ، وبعيد طلوع الشمس يكون في الكرم ، وقبيل الغروب يعود .. يصلي المغرب ، ويتعشى ، ويجلس الى بناته يسامرهن بعض الوقت ، وقد يزوره جاره أبو خالد ، أو يذهب هو لزيارته ، والحديث ان لم يكن عن الزراعة وشؤون الكروم ، فهو عما يشغل الناس من أمر الانجليز واليهود ، وعما يلقى الناس من قهر وسجون وتعذيب ، وعن الثورة وأحداثها .

وقليلا ما كان الشيخ بركات يسهر الى ما بعد صلاة العشاء يصليها في الجامع ان كان ناشطا ، فان كان جهد الأرض والزراعة قد امتصه سحابة النهار فهو يصليها مع أهله في البيت ، ثم يأوي الى فراشه يستعين على سرعة النوم بذكر الله ، والتضرع اليه ، ولا يخالف عن ذلك الا ليالي العمليات ضد الانجليز .

ذلك كان شأنه في الشتاء ، فاذا ما حميت شمس الربيع ، وبدت طوالع الصيف والحرارة ، استعان بجاره أبي خالد في ترميم العريش الصيفي ، وفي ثاني يوم يتعاون الاثنان في عريش أبي خالد ، ثم ترتحل العائلتان الى الكروم ، حيث الهواء الطلق والفاكهة والخضار ، وحيث النسوة يجتمعن ليخبزن على نار الحطب يثرثرن في أخبار الثوار والانجليز واليهود .

كان كل شيء على ما يرام في

المسكن الصيفي ... الجو في الأرض التي باركها الله لا هو الى حر في النهار ولا الى برد في الليل ... ومنذ الأصيل تختلط الأنوار والظلال وخضرة الكروم ، والأنسام في موكب من الجمال يتحول اذا جن الليل عليه ، وواتاه القمر بالحضور ، الى معرض مسحور ، يستريح القلب فيه ، وتقر العينان ، وتهدأ الروح في الجسد ... فيمتنع السهاد ، ويحلو الرقاد ، ويهيمن الصمت حالما بالسعادة ، الى حين يمزق هدأة الليل صوت الرصاص يلعلع ، من اشتباكات الثائرين مع دوريات الانجليز ، وما تلبث أن تأتي مصفحات تهدر بصوتها الأجش على الشارع الرئيسي الممتد الى بيت لحم والقدس ، واذ ذاك يحمي الوطيس ولا يبقى رجل عنده سلاح الا وهو في المعركة .. وتصطك أنياب الصبية الصغار ، حين يخرج الانجليز من المصفحات ، ليعيثوا خلال العرائش الصيفية بالأذى والعدوان .. وهم يصيحون برطانتهم المقيتة ، فاذا أطلقت النيران من خلفهم رجعوا الى مركباتهم ، يخورون كالثيران الهائجة ...

وبأخرة من الليل ، يجلس الشيخ بركات وأبو خالد يتهامسان ، فيما ينتظران غليان الماء في ابريق للشاي ، على جمرات خافتة من نار الحطب .

ـ هاه ! ما رأيك ؟ هكذا يتساءل أبو خالد أولا

ـ لن نهدم راحتنا وراحة الأولاد بالعودة الى المدينة

ـ ولكني متأكد أنهم كشفونا .. غدا يأتون بكلابهم البوليسية فتتوقف عند عريشكم أو عريشنا ، فيخربون كل شيء فيهما ، ويروعون الأطفال ، ويعتقلوننا .

ـ لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. كل ما عليك أن تنهض فتضع في طريق الكلاب الى مخبأ الرشاشين والذخيرة ما يحول بينها وبين الشم ، وما علينا الا التظاهر بالبراءة والغباوة ، فتجوز الحيلة عليهم .. انهم أغبياء يا أبا خالد

ـ لكن هذا الضابط الجديد الذي يتكلم العربية أشد خبثا من الشيطان .. ألم تسمع بما فعل في حلحول أمس .. لقد أمر جنوده فخلطوا المؤن والملابس والفراش ثم أهالوا عليها الغاز وحرقوها .. ولم يترك رجلا ولا صبيا ناهز الرجولة ، الا اعتقله وأمر بضربه ، وقد قتل ثلاثة من خيرة الرجال ...

ـ كذلك فعل ... ؟ هل فيهم أحد من الجماعة ؟

ـ نعم ! محمد خليل ...

ـ واستشهد محمد خليل اذا ؟

ـ أي والله ! فلم تبق عين لم تدمع ، ولا قلب لم يحزن .. كان والله يساوي مئة رجل .. رحمة الله عليه .. ما رأيت في الرجال أشد منه صمودا في ساعة الشدة ..

مضى أبو خالد يتحدث بلوعة عن آخر شهيد ، شيعته القرية

المناضلة حين قتلوه غيلة ، بعد أن أعياهم في الجبال ليلا .. فيما ظل الشيخ بركات صامتا وقد امتلأ قلبه بالحقد على أولئك الكفرة المعتدين ... ثم تمتم بركات ...

- ليتني لم أذهب أمس الى يافا .. لكن أمر الله لا يرد .. كل هذا حصل في يوم واحد ؟

- ولكنا كنا محتاجين لسفرك من أجل الذخيرة ، ويا ليتك عدت بشيء

- رحمة الله عليك يا محمد خليل .. كان المقرر أن يذهب هو حتى آخر لحظة .. ما هكذا كان يشتهي أن يموت ... ولكن أين كانت القنابل الثلاث .

- كان على وشك الوصول الى مخبئها ، حين فاجأوه من الخلف بالرصاص

- لا بأس .. لا بأس ...

- أنا أعرف أن موته يشق عليك ، فقد كان لك أخا وفيا ، ورفيق عمر وسلاح .

- غدا أو بعد غد ، سأثأر له إن شاء الله ، وبالقنابل الثلاث .

- لا تحاول شيئا الآن .. انهم منتبهون

- استمع الي يا أبا خالد ، والله ما لنا أكرم من الميتة التي ماتها شهيدنا القسام ، مواجهة مع هؤلاء المجرمين الذي باعونا لليهود في وضح النهار ، مد يدك وعاهدني

- على ماذا ؟

- مد يدك وتوكل على الله .. لقد امتلأت البلاد بما زرعوا فيها قسرا من مستعمرات لليهود .. والله ما بقي في الأمر رجاء لشجاع ولا لخائف .. أعطني عهدك بأن تنظر في شأن ولدي اسماعيل اذا اختارني الله لجواره .

- يا شيخ بركات .. لا تلق بنفسك في التهلكة ، وعندك خمس بنات وطفل .

اذا أترك ولدي لله ، فأنت لا تريد مسؤولية عنه .

- معاذ الله أن يكون الأمر كذلك .. ولكن أردت

- أردت ماذا ؟ أن تردني عن المجرم قاتل محمد خليل ...

لم يمض غير أسبوع على تلك الليلة ، حين دوى نبأ مقتل الضابط البريطاني الماكر ، الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ، ويعرف أكثر مما ينبغي لمثله عن أخبار الثوار ، ويفتك بالقرى وأهلها فتك الطاعون ، ويباهي بحبه لليهود ، ومقته للعرب ، لقد أطاحت به في عقر منزله قنبلة يدوية ، قذفها أحد الثوار عليه في مخدعه ، وقد سمع على أثر انفجارها تبادل رصاص شديد ، بين حرس الضابط القتيل ، والثائر الذي انسحب مخلفا وراءه خطا من الدم المتقطع ... وكان الناس مرتاحين لأن الثائر الذي أزاح كابوسا عن صدور الناس ظل مجهولا .. وربما كان يداوي جروحه في مكان مجهول ...

كان هناك شخص واحد يعرف الحقيقة هو أبو خالد .. وقد كان متأكدا من العثور على جثة الشيخ بركات لأنه لم يعد الى العريش منذ

أربعة أيام ... وكانت مشكلته ، عجزه عن البحث عن جاره وصديقه في النهار ، لأن المكان يواجه ثكنة الجنود الانجليز الذين جن جنونهم في البحث عن مكان اختفاء قاتل الضابط .. فقد كان خط الدم الذي خلفه وراءه في انسحابه ينتهي عند صخور في جبل نمرة ، وعبثا تبحث كلاب البوليس من بعد الجبل فقد ألقى الجريح في طريقها ما عطل حاسة الشم فيها . ولكن الى أين مضى الرجل الجريح ؟ ! وأين اختفى أو مات ؟ !! ومضت شهور ، وتغيرت الأحوال ، وهدأت الحوادث ...

وراح أبو خالد في عناد وتصميم ، يبحث عن صديقه الشيخ بركات ، الى أن انتهى الى بيت شعر في منطقة البحر الميت .. وهناك جلس يقص عليه بدوي من التعامرة ، قصة رجل جريح ، آوى اليهم ، وحاولوا تطبيبه بوسائلهم ، لكن جرحه نغر عليه ، بعد ما كاد يشفى ، فاختاره الله لجواره ..

- ولم يقل لكم شيئا ، ولا أوصاكم بشيء .. أرجوك أن تخبرني بكل شيء ، فان هذا الشهيد كان أحب الى من نفسي ...

- ما كان ينطق بغير ذكر الله ... وكان يهذي في شدة الحمى عن الحرم الابراهيمي ، وعن الضابط الانجليزي .. ولكنه ترك خريطة .. والله ما نعرف ما فيها ... وها أنت جئت .. فخذها لأهله فهي على حالها لم تمسها يد ...

كان في حقيبة الشيخ بركات نسخة من القرآن الكريم ، وبعض رصاصات ، وقطعات خبز قفار .. وظهرت في وسط المصحف ورقة ... فيها هذه الكلمات .

« رسالة الى ولدي اسماعيل من أبيه الذي أناله الله الحظوة بالشهادة في سبيل الله .. اذا كتب الله لك العمر فانظر في شؤون اخواتك ، واذا شهدت زمانا يجيء فيه اليهود لاغتصاب الحرم الابراهيمي كما يتوعدون ، فاحرص أن تموت شهيدا ، كما مات أبوك ، واذا استطعت فمت عند البوابة القبلية ، فهناك كان دائما يصلي أبوك والله معك » .

ومضت الأيام مريرة مليئة بالمآسي ، حوافل بالأحداث المتلاحقة ، كلما جاءت موجة منها أنست ذكر ما قبلها ، وحتى الشهداء الأبرار محت سطور ذكرياتهم في القلوب ، دموع اللاجئين ، وحسرات الاحتلال وأهوال الفواجع .. وفي ظلال الآلام وعلى دروب النقمة من حبوط الآمال مرة بعد مرة ، مشت أقدام الصغار نحو الشباب المفرغ من كل بهجة أو غنوة سعادة ، سقط الساحل وقامت دولة اليهود . وامتلأ الجبل باللاجئين ، وضاقت سبل العيش ، وامتلأت الدنيا بأغاني الأحزان ، وأناشيد العودة ، وسطع الغضب ، ولكنه تهالك ، فخفت وارتمى ، وضاع الباقي من

فلسطين ، وجاءت أيام الجسر ، جسر العذاب على درب الأردن ...

ربما كان اسماعيل بركات من أشد الناس احساسا بالفجيعة ، فبعد سنوات اليتم المرير ، حين كان يذهب مع والدته لزيارة قبر أبيه في منطقة التعامرة ، وفي سنة انتهائه من الدراسة الثانوية ، سقطت الخليل فيما سقط في أيدي الصهاينة الفاشيين ، وتجددت في حياة الولد قصة أبيه ...

أحيانا كان يسائل صديق والده أبا خالد عن أبيه كيف كان يفكر ؟ وكيف كان يتعامل مع الناس ؟ فكان أبو خالد يروي للفتى كل شيء الا أمر الرسالة التي تركها أبوه ، فانه أشفق عليه منها ، فطواها عنه .

قليلا ما كان يعرف اسماعيل ، أنه جاء صورة أخرى من والده ، رغم اختلاف الظروف والأيام ، فقد فعل الانجليز فعلتهم ، ومكنوا لأحبابهم الصهاينة ، قبل أن ينصرفوا ، بسبة الزمان ، وعار الظلم الأسود ...

لكن اسماعيل كان من المتعلقين بحب المسجد الابراهيمي ، حتى قبل أن يجيء الصهاينة للخليل بسنوات ، كان يعرف كل زاوية فيه ، وان أحب الزاوية القبلية بغير شعور منه ، وذات يوم تنهد في وجهه صديق أبيه الشيخ أبو خالد ، وهو يقول :

« سبحان الله .. حتى المكان الذي كان يصلي فيه أبوك أنت تحرص على الصلاة فيه !! لا اله الا الله .. حتى جدك أبو بركات كان لا يبارح الزاوية القبلية من الحرم ...

ولم يلبث أبو خالد أن مرض مرضا مقعدا ، ومع ذلك فحين كان يزوره اسماعيل بركات ، كان لا يغفل عن الحديث عن الحرم .. كيف وأهل الخليل يرون شرفهم كله في سدانة حرم جد الأنبياء ، وذات يوم ارتعد اسماعيل حين سأله الرجل المريض عن الأحوال فراح يحدثه عن تدنيس اليهود للحرم ، ودخولهم على الناس في الصلاة بأحذيتهم ، وبملابس نسائهم الفاضحة ، وهم يصفرون ويسخرون .. وأرعد اسماعيل وأزبد وهو يقول لأبي خالد : « والله يا عم لقد أخذت على نفسي عهدا ، لئن وصل شرهم الى الزاوية القبلية .. ، فلسوف أتقرب الى الله بدم من أستطيع الفتك به منهم ، ثم راحت تمضي الأيام ..

وذات يوم وفيما كان أبو خالد يحتضر ، قامت ضجة هائلة .. ، وكان واضحا أنها في الحرم .. وراح المريض يناشد من حوله : « أسألوا لي عن أخبار اسماعيل بركات ، فلعلي لو التقي بالاموات أجيب أباه لو سأل عنه ...

وارتفع صوت يقول :« يا والدي انظر في حالك ومرضك اسماعيل بركات رحمه الله ، منذ أيام ، دنس اليهود زاوية الحرم القبلية ، فهاج عليهم ، فقتل منهم ، واستشهد .

وابتسم أبو خالد ، وهو يودع الروح .. لقد تم لصديقه بركات ما أراده لولده أن يكون .

حركة البحث العلمي

للدكتور : حسن فتح الباب

ما اكثر المؤلفات التي تناول اصحابها موضوع الحضارة العربية والاسلامية وفضلها على العالم . بيد اننا ما زلنا في حاجة ملحة الى مزيد من هذه المؤلفات وذلك بغية تحقيق مقاصد ثلاثة **اولها** : تفنيد الكتابات المغرضة التي صدرت ومازالت تصدر من اعداء العروبة والاسلام ، **وثانيها** : الكشف عما تزخر به المكتبات العالمية المختلفة من جوانب تراثنا الذي ما يزال كثير منه طي الخفاء او النسيان . **اما المقصد الثالث** : فهو تحقيق تلك المعادلة الصعبة وهي الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

وفي رأينا ان البحث العلمي في الاسلام يقع في الصدارة بين الموضوعات التي ينبغي ان يلتفت اليها الباحثون ويولوها المزيد من الاهتمام والتركيز ، بالنظر الى طبيعة عصرنا الراهن وما يتسم به من تقدم مضطرد في مجال البحوث العلمية ومناهجها . فقد اجمع العلماء والمفكرون الذين يتحرون الصدق والنزاهة فيما يكتبون على ان العرب قد بلغوا في القرون الماضية اوج الحضارة والتقدم . وكانت ثقافتهم ينابيع متدفقة على الامم المختلفة التي عاصرتهم آنذاك . وان اثار هذه الثقافة ما فتئت باقية الى اليوم شاهدة على ذلك الشموخ والسمو الذي ارتقت اليه الامة العربية الاسلامية حينما كانت وحدتها متماسكة ، وعراها وثيقة ، وسبيلها لا زيف فيه ، وهو سبيل الاسلام الصحيح الذي يشحن الانسان بطاقات تمكنه من الحركة المستمرة ، وليس السبيل الذي يتخذه بعض الحكام ستارا يحجب النور عن عيون الناس ويكبل ارادتهم .



والعلاقات الدولية في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية

والى جانب هذا العامل الاساسي الذي يرجع اليه انبثاق هذه الحضارة واستمرارها الا وهو وحدة الكلمة وسيادة العدالة ، فان ثمة عاملا اخر ادى الى تعدد جوانب الحضارة العربية ومنحها قوة خارقة للعادة ومكانة بارزة في تاريخ الانسانية كما يشهد لها بذلك المستشرقون العدول ،

ونعني بذلك العامل اهتمام الانظمة العربية بحركة البحث العلمي وتهيئتها شتى الوسائل المادية والمعنوية للكشف عن كل جديد في مختلف الميادين استلهاما لروح العقيدة الاسلامية القائمة على العلم والتفكير ، وطموحا الى الوصول بالامة الاسلامية الى ارفع منزلة ، واثبات العبقرية العربية ، والاسهام في رفد الثقافة الانسانية بدم حضاري جديد

فلقد وعى المسلمون في عهود ازدهارهم ان دينهم هو في حقيقته عقيدة تحررية كبرى جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من اسار الجهالة ،

ولتبدل ظلمات الناس نورا ، وانه رسالة العلم والحضارة والتقدم . كما وعوا انه لا سبيل الى رفع الظلم واقامة العدل وارساء مبادى الحق والمساواة الا بالبحث عن المعرفة ونشر الثقافة الصحيحة وخلق واقع جديد للمجتمع يتفق مع مبادىء الاسلام المثلى ، كيما يبلغ ذلك المجتمع غايته السامية وهي الوحدة التي تؤلف بين اهله جميعا وتضمن الخير والرفاهية لهم .

وتشهد حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع واحداث ان الدين الاسلامي كان ثورة

اجتماعية وثقافية شاملة باجل معانيها ، وان المسلمين كانوا يدركون الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد وهو وحدة الاسرة التي تشكل خلية المجتمع ، ويعملون على تحصيل العلوم وتطويرها نحو آفاق فسيحة تتيح للانسان في كل مكان وزمان مستقبلا كريما ، وتفجر الطاقات الخلاقة في نفوس الافراد والجماعات . ولم يغفل الحكام المسلمون الاوائل مغزى عرض الرسول محمد عليه الصلاة والسلام على اسرى المشركين في بدر ان يطلق سراح من يفتدي منهم نفسه بتعليم عشرة من ابناء المسلمين .

اما طموح الخلفاء والحكام المسلمين الى النهوض بدولهم من طريق اتخاذ العلم اساسا ركينا في بناء هذه الدول ، فهو يتمثل في البعوث العلمية التي نظموها ، والسفارات الثقافية التي عنوا بها فسيروها الى مختلف ارجاء العالم القائم في ذلك الحين ، ممارسين في ذلك مبدءا اسلاميا اساسيا جاء في الحديث الشريف وهو « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » رواه ابن ماجه ، وعبر عنه الأثر القائل « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، ومعتمدين في ذلك ايضا على ولع المسلمين - بطبيعتهم - بالسعي الى مناهل العلم مهما بعدت المسافة وشقت الطريق . فالعربي بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية شغوف بالأسفار البعيدة وارتياد الآفاق المجهولة ، ومن ثم وجه قادة المسلمين طلاب العلم وارببابه الى انتجاع موارد المعرفة في مظانها التماسا لكل مستحدث في العلوم والفنون والاداب والفلسفات .

وقد اقترنت البعوث العلمية في الاسلام بنشأة الدبلوماسية وتطورها وقد بدأت الدبلوماسية العربية منذ عصر الجاهلية اذ عرفها العرب اسلوبا لاقامة العلاقات وتوثيقها بين قبائلهم بعضها وبعض من ناحية ، وبينهم وبين جيرانهم من الامم والشعوب الاخرى من ناحية ثانية . غير ان هذه العلاقات كانت مقصورة في اغلبها على الناحية التجارية ، ومن ثم كانت نظمهم الدبلوماسية تتسم بالبساطة التي تتناسب مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية ، فلم تشمل بطبيعة الحال التبادل الثقافي بمفهومه الحديث لما يقتضيه ذلك من قيام وحدة سياسية فلما نشأت الدولة الاسلامية الاولى في المدينة ثم انتقلت الى دمشق وبعدها الى بغداد ، تعددت اغراض الدبلوماسية نظرا لتشابك العلاقات والمصالح بين العرب وجيرانهم ، وتحولت الدبلوماسية بذلك الى فن متطور يساير الظروف الجديدة ويتطلع الى افاق ابعد وارحب ، اذ ازدهرت الحضارة وتقدمت العلوم والمعارف ، وانفتحت منافذ وسبل جديدة للتلاقي بين الناس في مختلف اركان المعمورة ، وللتعاون بينهم لتحقيق المصالح والغايات .

ولقد كان الهدف الرئيسي

للدبلوماسية في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام هو نشر الدعوة في الجزيرة العربية ومنها الى الجماعات السياسية خارج الجزيرة ، وكانت العلاقات الدبلوماسية التي اقامها عليه الصلاة والسلام مقصورة في بداية الامر على المحادثات الشخصية وارسال الكتب وايفاد البعثات الى القبائل العربية والى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعريف بالاسلام والدعوة الى اعتناقه . ومن اجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة الى مختلف القبائل ، وكانت المؤتمرات التي عقدت في الجزيرة العربية لشرح مبادى الدين الاسلامي والاقناع بها .

ولما اثمرت الدعوة وتحققت للعرب - لأول مرة في التاريخ - وحدتهم السياسية ، وقامت اول دولة اسلامية برياسة النبي صلى الله عليه وسلم ، اصبح انتهاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لتدعيم اركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها واغراضها ، وتطورت دعائمها . فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم مقتصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت الى مختلف النواحي الاخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة الى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الاسلامية بالطرق الدبلوماسية .

ومن طبيعة الاحوال أن السفارات الثقافية - باعتبارها غرضا من اغراض الدبلوماسية - لم يكن لها مجال يعتد به في هذه المرحلة ، ذلك لان الجهد الاكبر كان منصبا على نشر الاسلام . فاستخدمت الدبلوماسية بمختلف اساليبها المتاحة لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، وعقدت المعاهدات مع ممثلي الامصار والمدن المفتوحة لتنظيم الهدنة أو السلم وما يقتضيه ذلك من وقف القتال وتبادل الاسرى . ومن ثم استغرقت الدولة الاسلامية معظم حياتها على عهد النبي في نشر الدعوة وخوض غمار الحروب دفاعا عنها ، وترتب على ذلك ان اتجهت الدبلوماسية الى تحقيق الاغراض السياسية والعسكرية ، ومن المعروف في هذا الصدد ان من طليعة حكومة الثورات ان تعبى كل قواها في سبيل ارساء دولتها الناشئة والذود عن حماها ضد القوى المعادية .

ومع ذلك فاننا نطالع في صفحات التاريخ الاسلامي على عهد النبوة - في كتب السيرة - انباء سفارات اوفدها رسول الله لتثقيف العرب وتعليمهم ، ومن ذلك بعثة القراء التي ارسلها النبي الى قبيلة عقيل لتثقيفهم في الدين واقرائهم القرآن . بيد ان هذه السفارة ومثيلاتها لا تعد سفارات ثقافية بالمفهوم الفني الحديث ، بل ان الهدف منها هو نشر مبادى الدين اي الاعلام والدعوة . وهي تختلف في ذلك عن السفارات التي توفدها الدولة الى دولة اخرى تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي بقصد توطيد العلاقات بينهما عن طريق التبادل العلمي للمعارف والثقافات .

ولم تختلف السفارات الدبلوماسية كثيرا في العهد الاموي من حيث طبيعتها واغراضها عما كانت عليه في العصر النبوي ، وعصر الخلفاء الراشدين ، اذ ظل هدفها الرئيسي هو تأييد الفتوحات الاسلامية بنشر العقيدة السمحة في الاقطار والمدائن التي لم تكن قد بلغتها بعد . فلم يحدث من هذه الوجهة تطور كبير ، وانما كان التطور قاصرا على تنظيم الدبلوماسية وتطوير وسائلها . وكان استمرار الحروب بين دولة الاسلام ودولة الروم لا يسمح بأكثر من تبادل السفارات لعقد معاهدات الهدنة او تنظيم فترات السلام ودفع الجزية دون ان يمتد الى التعاون الدولي في مجال العلم والثقافة ، وذلك التعاون الذي لا ينشأ الا في اوقات الاستقرار وقيام العلاقات الودية في ظل السلام .

غير ان النهضة التي بدأت في العصر الاموي عن طريق حركة الترجمة كانت ارهاصا بازدهار شجرة الثقافة والبحث العلمي حتى كان قطاف ثمراتها في عصر العباسيين . ذلك ان الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية كانتا اعظم قوتين سياسيتين في العصر الوسيط ، اذ امتدت رقعة الاسلام من اطراف الصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، كما اتسعت ارجاؤها شمالا وجنوبا ، وكانت الامبراطورية البيزنطية آنذاك تبسط ظلها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وايطاليا . ولم تكن الحروب هي العلاقة الوحيدة القائمة بين هاتين القوتين الكبيرتين ، بل نشأت بينهما في كثير من الاوقات علاقات مودة وسلام وفقا لمصالحهما التجارية ولمقتضيات التوازن الدولي .

ولم تستمر سياسة الفتوح في العصر العباسي كما كانت عليه الحال في عصر الخلفاء الراشدين والامويين ، بل ان الدولة كانت في حاجة الى الحفاظ على سلامة اقاليمها الشاسعة اكثر منها الى الاستمرار في الفتح . ومن ثم كان اكثر حروب العباسيين ضد البيزنطيين وغيرهم في بدايات عهدهم دفاعا عن دولتهم ، وكانت تلك الحروب هي الجانب السلبي للعلاقات السياسية ، اما في الجانب الاخر فقد اهتموا اكثر من الامويين بتوسيع دائرة علاقاتهم الخارجية واقامتها على اساس المنافسة السلمية لا التنابذ والصراع .

وهكذا بدأت حركة البحث العلمي في ظل هذه السياسة الدولية ، فسارت البعوث الثقافية بين خلفاء بني العباس وبين ملوك القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين ، والى جانب معاهدات الصلح وتبادل الاسرى في عهد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم ، تبادلت دولة الاسلام مع الدول الاخرى السفارات في مختلف الاغراض الرامية الى توثيق الصلات التجارية وفض المنازعات وابرام المعاهدات . وكان دعم الروابط في مجال العلم

والثقافة من اهم ما سعت اليه تلك السفارات ، مما يشبه المهمة التي يقوم بها اليوم الملحقون الثقافيون في السفارات الدبلوماسية .

لذلك اقترن عصر استقرار الدولة الاسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامي اطرافها بازدهار البحث العلمي عن طريق التبادل والتعاون بينها وبين الدولة الرومانية (البيزنطية) بصفة خاصة . ولا غرو ان يطلق على عصر هارون الرشيد وابنه المأمون العصر الذهبي للفكر والمعرفة ، وان تبلغ فيه حركة البحث العلمي مدى بعيدا ، فلقد كان عصر الاحياء العلمي بحق ، لانه العهد الذي ارتفعت فيه اعلام الاسلام على كثير من اقطار العالم الغنية بالموارد ، وساد فيه السلام الاسلامي مشارق الارض ومغاربها .

لقد امتدت حركة الترجمة التي بدأها الامويون الى جميع فروع العلم والمعارف ، ولم يأل العباسيون جهدا في استقاء العلوم والفلسفات والرياضيات من شتى مصادرها والبحث عنها في منابتها القاصية . وغني عن الذكر ان نجاح حركة الترجمة والبحث العلمي يرجع في المقام الاول الى حرية الفكر التي جاء بها الاسلام ، وكانت ديدن المسلمين في تعاملهم مع غيرهم ، وتحفل كتب التاريخ بكثير من الشواهد على اهتمام العباسيين بحركتي الاحياء العلمي والنهضة الفكرية حتى صارت كل من بغداد والبصرة والكوفة مراكز قيادة ومصادر اشعاع تضم القيادات العلمية والفكرية ، ويتزاحم عليها طلاب المعرفة من مختلف البلدان لينهلوا من مواردها الغزيرة .

وفي سبيل تدعيم تلك الحركة العلمية الرائدة سارت البعثات الاسلامية الى بيزنطة ، وقامت بزيارة مكتبات القسطنطينية لاستخراج الكتب النادرة التي يحتاج اليها المسلمون في دراستهم النظرية والفلسفية او تجاربهم الكيماوية والطبية على السواء وترجمتها . ومن تلك البعوث ما اوفده الخليفة العباسي المنصور الى القسطنطينية حيث عاد العلماء ومعهم مختارات من الكتب والمصنفات النادرة كان من بينها كتاب « اقليدس » .

وكان المأمون ينتهج جميع السبل الدبلوماسية لتحقيق بغيته ، فوثق علاقاته بملوك الروم ، واتحفهم بالهدايا الثمينة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطو طاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم . وليس ادل على جهود المأمون في هذا الميدان من تلك الواقعة التاريخية التي تؤكد نظرته الى العلم والثقافة باعتبارهما ركنا من اركان الدولة ودعامة من دعائم السلام الاسلامي ، وليسا مجرد ترف عقلي للخاصة ، اذ كان من شروط صلحه مع الامبراطور

البيزنطي « ميخائيل » الثالث ان يعطيه مكتبة من مكتبات الاستانة ، فكان ذلك ، ووجد فيها كتاب بطليموس في الرياضة الفلكية ، فأمر بترجمته ، وسماه « المجسطي » .

ومن مآثر المأمون في ميدان البحث العلمي انه انشأ سنة ٢١٥ هـ (٨٢٠ م) بيت الحكمة في بغداد . وجمع في هذه المكتبة الاف المخطوطات المترجمة عن الحضارات الانسانية القديمة التي ورثها المسلمون ، وتلك المؤلفة من قبل الأدباء والعلماء والفلاسفة العرب في شتى العلوم والفنون . وقد قصد الباحثون والدارسون هذه الدار من مختلف الامصار الاسلامية يأخذون عنها ويستمدون منها زادا لهم . وبذلك انتقل العلم من الرواية الى التأليف ، ومن المشافهة والاستماع الى البحث والاستقصاء . وازدهر الانتاج الفكري نتيجة لذلك في شتى مناحي العالم الاسلامي شاملا مختلف مناحي المعرفة .

وكان الخلفاء العباسيون والاباطرة البيزنطيون يتنافسون في انتزاع فضل السبق العلمي في عصرهما ، ولا يألون جهدا في هذا السبيل . ومن ذلك ان الخليفة المأمون ومعاصره الامبراطور تيوفيل ـ وكانا يغرمان بالشرع وروايته ويهتمان بالمسائل الدينية واستثارة المعارضة بالتجديد في الدين ـ جرى بينهما تنافس حاد في هذا الصدد تمثل في تلك السفارات المتعددة والمفاوضات المتكررة التي دارت بينهما في شأن العالم الفلكي المهندس ليو . وكان المأمون يتوق الى حضور هذا العالم الذائع الصيت الى بغداد لفترة قصيرة من الزمن كي يستفاد من علمه الواسع في الرياضيات . فأرسل الى الامبراطور البيزنطي سفارة خاصة من اجل ذلك وقال في رسالته الشخصية إليه إنه يعتبر ذلك عملا وديا . ووصل الامر الى حد ان عرض عليه صلحا دائما في مقابل ايفاده هذا العالم اليه . ولكن تيوفيل رفض عرض المأمون لأن ابحاث « ليو » كانت تتعلق في شطر منها بأسرار الدولة البيزنطية وشئونها العسكرية . وحين نذكر قوة الدولة الاسلامية في عصر المأمون وسعي الدولة البيزنطية الى خطب ودها والدخول معها في علاقات سلمية ، ندرك مبلغ سخاء هذا العرض من جانب المأمون ، ومدى حرص تيوفيل على منافسة الخليفة في البحث العلمي .

ومن هذه الواقعة وامثالها نتبين ان النزعة العلمية كانت احدى السمات المميزة للنهج الذي سار عليه الحكم خلال عهود بني العباس اعمالا لروح الاسلام ، وركيزة لدولته في الارض . فما اجدر بنا اليوم ان نعود الى بدء حياتنا حتى نجمع بين الاصالة والمعاصرة اذا كنا قد تنبهنا الى مكانة العلم والبحث في مجالاته المختلفة ، فاننا لم نزل بعد في اول الطريق وعلينا استكماله ، واول الغيث قطر ثم ينهمر .

كتاب الشهر

السُّنّة المفترى عليها



تأليف : الاستاذ سالم البهنساوي

عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

○ المؤلف هو السيد المستشار سالم البهنساوي المستشار بوزارة العدل الكويتية ، عرفته وهو ما يزال طالبا في كلية الحقوق ، شابا مسلما طموحا ، امتحن من اجل عقيدته فصابر وصبر وتحمل وثبت ، اصدر في بداية حياته رسالة بعنوان : الوجيز في العبادات ، ثم الاسلام والتأمينات الاجتماعية ، ثم بعد ذلك عرض لقضية من القضايا التي شغلت في الآونة الاخيرة اذهان الرأي العام الاسلامي ، في دراسة موضوعية بعنوان : الحكم وقضية تكفير المسلم ، ثم هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء اليوم .. السنة المفترى عليها .

○ والكتاب يقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ويعرض لقضية من اهم القضايا الجديرة بالدراسة والتمحيص . والعمق وسعة الافق . على اساس من المنهج العلمي والمناقشة الموضوعية ، ومما يزيد من اهمية القضية ، ان المستشرقين من الغرب والشرق ، وتلامذتهم من بعض المسلمين انفسهم ، قد خاضوا في هذه القضية ، وصالوا وجالوا ، بهدف التشكيك في مصادر الاسلام ، بعد ان فشلوا في محاولاتهم التشكيك في الوجود الاسلامي نفسه .. إذن فمن يعرض لهذه القضية ينبغي عليه ان يدرك ان مهمته شاقة ، وان يكون كفءاً لها ، وعلى درجة كبرى من الصبر والمعاناة .

○ ولكي نحكم على الدراسة التي بين ايدينا ، يحسن بنا ان نعرض محتوياتها في ايجاز ، المؤلف قسم دراسته الى عشرة فصول :

الفصل الاول : بين الرسول وحقيقة السنة ، وفيه عرض للسنة بين النصارى والأعراب ، وحقيقة السنة والبيان النبوي ، وانواع السنة ووظيفة الرسول ، والجماعات الاسلامية والانحراف عن المنهج النبوي ، ثم استقلال السنة بالتشريع .

الفصل الثاني : الفتنة وشبهات حول تدوين السنة .. وبعض ما عرض فيه : كتابة السنة ، والسنة والفتنة الكبرى ، والتقريب بين السنة والشيعة ، ثم الحديث النبوي بين السنة والشيعة والخوارج .

الفصل الثالث : تناول فيه ، السنة بين الجرح والتعديل ، وعلوم الحديث واهميتها ، ورد السنة بين السند والمتن ، ثم مدى التوقف في متن الحديث .

الفصل الرابع : وفيه عرض للسنة وشبهة الظنية ، واحاديث الآحاد بين مدرستي الرأي والحديث ، والسنة وبدعة المصطلحات الحديثة ، واحاديث الآحاد بين الظن واليقين ، ثم احاديث الآحاد وقطعية الثبوت ..

الفصل الخامس : وقد تناول المؤلف فيه دعوى تقديم القياس على سنة الآحاد ، وشبهة عمل اهل المدينة ، ثم المذاهب والخلاف الفقهي .

الفصل السادس : وقد عرض فيه للسنة بين المعجزات والعقائد ، والمعجزات بين الدين والعقل ، ثم الغزو الفكري وبدعة الاسراء بالروح .

الفصل السابع : وفيه عرض للسنة بين العموم والخصوص ، والدليل الظني بين العام والخاص ، وشبهة التعارض بين العام والخاص ، وشبهة تعارض النصوص ، ثم بدعة التوفيق بين الاسلام والنصرانية .

الفصل الثامن : وقد تناول فيه السنة ونسخ الاحكام ، ونسخ السنة للقرآن ، ثم الاجماع والنسخ .

الفصل التاسع : وفيه عرض للطعن في البخاري ، وفي ابي هريرة ، وتحريف النصوص الشرعية بين المستشرقين وعلماء الشهرة ، ثم التحريف وموالاة اهل الكتاب .

الفصل العاشر والاخير : وقد عرض فيه لمنزلة السنة من القرآن ، والسنة وتفسير القرآن ، ومقارنة القرآن بالكتب المقدسة ، وعصمة الائمة عند الامامية ، ثم الوسائل الجديدة لهدم السنة .

○ هذا مجمل ما ورد في هذه الدراسة . ومن هذا المجمل الموجز يتبين لنا ان المؤلف قد وفق ـ بحق ـ في مناقشة الشبهات التي اثيرت حول السنة المصدر الثاني ، ودحضها . وقد توسع المؤلف بالقضية المطروحة ، وقليلا من المسائل العرضية التي تتصل اتصالا مباشرا بها ، فمثلا

الشبهات حول تدوين السنة ، والشك في ثبوت السنة ، والسنة وبدعة المصطلحات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالقضية الحديثة ، وشبهة تعارض النصوص ، هي من المسائل الجوهرية اما مثل هذه المسائل : الغزو الفكري وبدعة الاسراء والمعراج ، مؤلف التوراة والانجيل ، مقارنة القرآن بالكتب المقدسة ، فهي مسائل يمكن مناقشتها في مجال آخر غير مجال القضية المطروحة ، حتى لا يتوزع جهد المؤلف ، ويتوفر على اصل القضية .

● ان المؤلف قد التزم بالمنهج العلمي في كثير من الشبهات التي عرض لها ، الا ان هناك قليلا من المسائل ، في حاجة الى مراجعة . ومن اوائل هذه المسائل ، احاديث الآحاد بين الظن واليقين ، فالمؤلف يجنح الى التخفيف من اهمية ان تكون احاديث الآحاد ظنية ، ويرد قول العلماء الذين يرون ان احاديث الآحاد التي تفيد الظن لا يعمل بها في العقائد ، مع ان جمهور الفقهاء والاصوليين ، يقررون ان الحديث المتواتر وحده - كالقرآن - مفيد للحكم الشرعي في العقائد ، وغيره - كالآحاد - لا يفيد الحكم الشرعي في العقائد ، وهذا مايقرره استاذنا الشيخ احمد ابراهيم الذي كان من اوائل اساتذة الشريعة في كلية حقوق القاهرة ، وذلك في مؤلفه « علم اصول الفقه » وكذلك استاذنا الشيخ محمد ابو زهرة - رحمهما الله - في مؤلفه « اصول الفقه » ونص عبارته : « وحديث الآحاد يفيد العلم الظني الراجح ، ولا يفيد العلم القطعي ، اذ الاتصال بالنبي فيه شبهة .. ولهذه الشبهة قالوا : انه يجب العمل به إن لم يعارضه معارض .. ولكن لا يؤخذ به في الاعتقاد ، لان الامور الاعتقادية تبنى على الجزم واليقين ، ولا تبنى على الظن ولو كان راجحا ، لان الظن في الاعتقاد لا يغنى عن الحق شيئا » .

ومما يدهش له القارىء ما يراه المؤلف الاستاذ البهنساوي ، من ان احاديث الآحاد قطعية الثبوت . مستندا الى ان التفرقة بين الاحاديث النبوية « المتواتر والآحاد » تفرقة لا دليل عليها من القرآن او السنة او اجماع الصحابة ، خصوصا ان القرآن قد اعتد بخبر الاثنين والاربعة واخذ به في الحدود» .

ونحن نقول إن هذا التقسيم مجمع عليه تقريبا ،، وليس من المعقول ، ان نطلب دليلا عليه من الكتاب او السنة او اجماع الصحابة ، وعلم الحديث نفسه لم ينشأ الا ابتداء من اواسط القرن الثالث الهجري ؟

اما قول المؤلف ان القرآن الكريم قد اعتد بخبر الاثنين والاربعة .. فهو قياس مع الفارق ، لاننا بصدد رواية لا شهادة . والرواية تتصل بدين المسلمين فهي في حاجة الى التدقيق ، لانها تنتقل من راو الى اخر ، وهكذا .

● وبعد - فلا جدال ان المؤلف قد قدم لنا دراسة جديرة بالتقدير ، وقد بذل فيها جهدا شاقا مضنيا اثمر دحضه لكثير من الشبهات ، بالاضافة الى غيرته على الاسلام ، وصدق نواياه . فجزاه الله خيرا .



التكوين العقلي للفرد

شاهدنا نظما معاصرة تجتهد في تربية الانسان تربية عقلية أساسها السطحية والعاطفية والحقد ، والنظرة القاصرة الى الأمور والأشياء ، والحكم بموازين مختلة على مختلف القضايا : وكان ضرر هذه التربية كبيرا وخطيرا وشديدا .

ولا نزال نرى الأيديولوجيات المعاصرة في العالم تطبع الفرد بطابعها الخاص ، وتحاول أن تصبغه بصبغة معينة لا يتعداها .. مما جعل الفرد ينشأ في خواء عقلي ، وفراغ فكري كبير .

وتحاول وسائل الاعلام المختلفة ذات اليمين وذات اليسار أن تؤثر على الانسان تأثيرا شديدا ، فلا تترك له فرصة الرأي المستقل ، ولا التفكير الذاتي المنبعث عن مشاعر الانسان وأحكامه الخاصة .

وقد أثر ذلك كله على البناء الانساني والثقافي والحضاري في العالم ، ورأينا الانسان المعاصر يسعى الى الانانية والأثرة والذاتية وحب الشخصية سعيا حثيثا ، ورأينا العرض والمظهر والشهرة أحب الى نفسه من الجوهر والحقيقة والاخلاص في العمل والتفكير .. الى

في الإسلام

للدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

غير ذلك مما رأيناه من دافع الانسان عن مصلحته وحدها ، ومن قيام حروب متلاحقة بسبب التنافس على المصالح الاقتصادية وعلى استعمار العالم وفرض النفوذ والسيادة دون غيرها من مثل الحياة وقيمها العليا .

وعلى النقيض من كل ذلك كان الاسلام ، وكان رسول المسلمين ، وكان اعلام مدرسة الاسلام الأولى ، الذين فتحوا العالم ، وقوضوا صروح الطغيان ، ونادوا بحقوق الانسان ونشروا الثقافة والحضارة في الدنيا .

ربى الاسلام الانسان المسلم على العفة والنزاهة والشرف ومراقبة الضمير ، ورباه على تحمل المسؤولية ، والحرص على الأمانة والوفاء بالوعد ، والالتزام بالعهد ، ودعاه الى تقرير أمانة الكلمة ، والى التزام المنطق في القول ، والحجة في الحوار ، والصدق في الكلمة والانسانية في التفكير .

وألزمه الدفاع عن الحق ، وانكار الباطل ، والاحتكام الى العقل ، وترك التقليد ، والسير على نمط المنهج القرآني كاملا .

وعوده الذاتية والشخصية الكاملة ، فلا يكون الانسان المسلم مرائيا ولا منافقا ولا إمعة يسير وراء غيره أينما سار .

ودعاه الى الانسانية في معاملة الناس ! والى الدفاع عن العرض والحرمات ، والى تقدير حق الجار والقريب والصديق والأخ والأب وغيرهم .

وألزمه بكل فضيلة وخير ، ونهاه عن كل رذيلة وشر ، ودعاه الى نظافة القلب والجوارح واللسان والثياب ، والى أن لا يسخر شيئا مما أنعم الله به عليه في معصية ، والى أن لا يستخدم ما من الله به عليه من نعمة في البطر والكبر والخيلاء والتعالي على الناس والفخر عليهم ، وأوجب عليه مراعاة حق الضعيف والمرأة والخادم والعامل والأسير والطفل واليتيم والمسكين وابن السبيل ، وحثه على التعاون والتكافل والايثار وحب الغير قبل حب النفس ، وعلى الانفاق والصدقة وايتاء الزكاة ، والبر بالفقراء وذوي الأرحام . وكما طالبه بشرف النفس طالبه بشرف العرض ، ورفع وجهه الى السماء بعد أن كان الانسان قبل الاسلام يخلد الى الأرض ، وينكس رأسه في التراب . وصار يراقب الله في كل شيء ، ويراقب ضميره في كل صغيرة وكبيرة .

قيم جديدة خلقت في الانسان المسلم شعورا جديدا ، وفكرا جديدا ، وعقلية من طراز خاص غير العقلية التي يفكر بها أتباع كل دين وملة .

هذا هو الحارث بن مالك الأنصاري يقول له الرسول صلى الله عليه وسلم يوما : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقا ، قال : انظر ما تقول ، فان لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عرفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت لذلك ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا .. فقال : يا حارث عرفت فالزم / ابن ماجة .

ورأى رسول الله زهيرا الضبعي ، رجلا سيىء الهيئة فقال : ألك مال ؟ قال نعم من كل أنواع المال . قال : فلير عليك ، فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ، ولا يحب البؤس ولا التباؤس / **رواه أحمد** .

وهذا خوات بن جبير الأنصاري ، نزل مع رسول الله مر الظهران ، فخرج من خبائه فاذا بنسوة يتحدثن ، فأعجبنه ، فرجع ، فاستخرج حلة فلبسها ، وجاء فجلس معهن ، وخرج رسول الله من قبته ، فلما رآه خوات اضطرب ، وقال : يا رسول الله جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيدا ، ومضى رسول الله ، فاتبعه خوات فألقى الرسول اليه رداءه ، ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ، وأقبل والماء يسيل على صدره من لحيته ، فبادر خوات يقول له : أبا عبد الله ، ما فعل ذلك الجمل ؟ يقول خولت : وارتحلنا ، فجعل رسول الله لا يلحقني في المسير الا قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ فلما رأيت ذلك ، تغيبت الى المدينة ، واجتنبت المسجد والمجالسة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طال ذلك علي أتيت المسجد ، فقمت أصلي ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره ، فجاء

فصلى ركعتين فطولت رجاء أن يذهب ، ويدعني ، فقال صلى الله عليه وسلم : أبا عبد الله ، طول ما شئت أن تطول ، فلست بمنصرف حتى تنصرف ، فقلت في نفسي : والله لأعتذرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبرئن صدره ، فلما انصرفت ، قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ قلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : يرحمك الله ثلاثا .. ثم لم يعد لشيء مما كان .. - أسد الغابة - .

ما مغزى ذلك ؟ مغزاه ضعف النفس الانسانية حينا عن مقاومة اغراء الفتنة ، وان حزم الانسان لأمره حينئذ أسلم ، وصراحته وصدقه في مثل هذا الموقف أولى .. ومغزاه هذا الروح الانساني الرفيع الذي كان يعامل به الرسول الأعظم صحابته ، وكيف كان يؤدبهم في انسانية معاملة وجلال أدب ، وسمو حكمة ، صلى الله عليه وسلم .

وانظر الى عمر بن الخطاب وقد عزل خالد بن الوليد ، في حواره لأحمد المخزومي من أبناء عمومة خالد ، كان عمر يخطب المسلمين في المدينة ، فقال لهم : اني أعتذر اليكم من خالد ، أمرته أن يحبس هذا المال على المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان ، فنزعته ، أي عزلته ، وأثبت أبا عبيدة ، فقام أحمد المخزومي فقال له : لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغمدت سيفا سله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ووضعت لواء نصبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم .. فقال عمر له : إنك قريب القرابة ، حديث السن ، تغضب في ابن عمك .

حوار يعلم العقل ، ويرشد الى الحق ، ويدل عليه ، وليس فيه استعلاء خليفة ، ولا سوء أدب ابن عم .

هذا الطابع العقلي للمسلم ، الذي رباه الاسلام ورسوله العظيم عليه ، كان له أثره وخطره في حياة الاسلام ، فقد خرج من المدينة ومكة أعلام الاسلام ، وساسته وقواده وعلماؤه وقضاته . وحكام الأمم ، وساسة الشعوب ، ومعلمو الانسانية ، وموجهو الدنيا ، وناشرو الدين والعلم والثقافة ، ورافعو لواء المدنية والحضارة في الأرض ، فأضاءت بهم الدنيا ، وسعد بهم العالم ، وعزت بهم الانسانية ، وكانوا مصابيح الحياة ، ونجوم الدهر ، وكواكب التوحيد ، ومقدمة مواكب النور في الأرض .

انظروا الى حرص الاسلام على أن يكون المسلم صادقا في كل شيء ، روى سفيان بن أسد الحضرمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كبرت جناية أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب » **رواه أبو داود وابن حنبل**

وأمر الاسلام للمسلم بالعدل في الحكم ، وبالتروي في الفصل والقضاء بين الناس ، وبوزن الحجج بموازين دقيقة .. معروف لا يحتاج الى بيان ..

وماذا تعرف عن المسلمين الذين

رباهم الاسلام حقا ، في عهد الرسول وخلفائه وفي عهود مجد الاسلام ، الا كل شرف وخير ومأثرة ومنقبة ومكرمة ؟ رضوان الله عليهم أجمعين .

هذا النهج الاسلامي الرفيع ، هو الذي سماه القرآن الكريم « صبغة الله » فقال تعالى « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** » البقرة/ ١٣٨

وسماه القرآن أيضا بـ « فطرة الله » كما جاء في الآية الكريمة : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » الروم/ ٣٠ .

وفي المنهج العقلي في الاسلام يقول الله عز وجل : « **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » لقمان/ ٢٠ ، فالعلم والهدى والكتاب المنير ثلاثتها هي الطريق الى المعرفة الحقة في الاسلام ، ويفسر المفسرون العلم بالعلم الضروري ، علم الفطرة والطبع والغريزة ، ويفسرون الهدى بالاستدلال والنظر الذي يهدي الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحي .. وان كنت لا أرى مانعا من أن نذهب الى غير ما قالوا ، فنفسر العلم بما يشمل الحقائق الثابتة المستقرة في النفس ، والتي يرشد اليها التفكير والبحث **والدليل والتجربة ، ونفسر الهدى** بالالهام النفسي الذي تمده فطرة الله في النفس الانسانية ، ونفسر الكتاب المنير بالوحي المنزل من السماء وهو القرآن الكريم والكتب السماوية الصحيحة .

فأصول المعرفة في الاسلام ثلاثة :

١ ـ العلم العقلي المبني على الدليل والبرهان .

٢ ـ والعلم الفطري المركوز في طبائع الناس كافة .

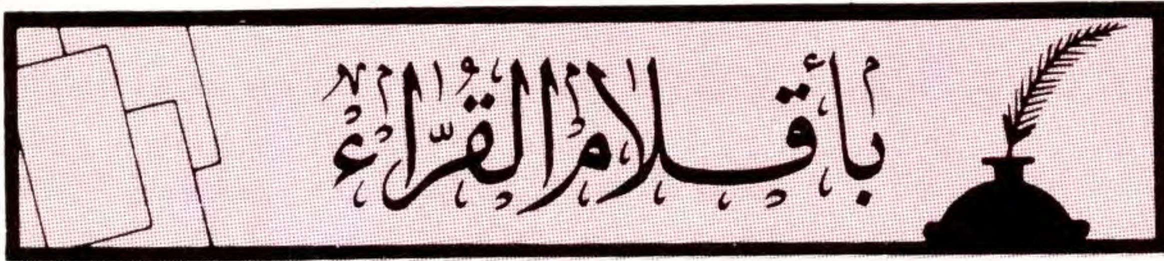
٣ ـ والوحي الالهي الداعي الى الدين والايمان والمثل والقيم الحضارية .

ويؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه كان اذا ظهرت أمامه مشكلة دعا أصحاب رسول الله وأولي الرأي في الأمة فاستشارهم فيها ، فاذا قاموا من عنده دعا شباب المسلمين ، فعرض عليهم المشكلة ، وامتحنهم فيما يذهبون اليه من رأي في حلها .. ليعودهم على التفكير وسداد الرأي ومواجهة المشكلات ، وليربيهم تربية تجعل منهم خلفا صالحا لخير سلف .

لقد أثمرت هذه التربية العقلية الاسلامية أجيالا من المسلمين ، نشروا الاسلام ، وسادوا العالم وساسوا الشعوب .

فمتى نرجع الى النهج الاسلامي في تكوين أجيالنا المسلمة على ما كان يربى عليه في الاسلام أجيالنا الصالحة السالفة ؟ رضوان الله عليهم أجمعين .

عندما يحدث ذلك ، ويخرج جيل جديد ، على النمط الاسلامي الخالص في التربية العقلية للانسان المسلم .. عند ذلك سوف نعود سيرتنا الاولى ، ونسترد مكانتنا السالفة ، ونعود الى امتلاك زمام العالم مرة أخرى . وما ذلك على الله بعزيز .





تحت هذا العنوان كتب الينا هذه الفقرة الاستاذ/صلاح أحمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه : **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** ٩٦ و٩٧/ آل عمران . الحج هو قصد مكة لأداء عبادة الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته .

وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة .. فلو انكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الاسلام ..
والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم .

عن أبي هريرة (رضي الله تعالى عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم .

التلبية شعار للحاج :

إن التلبية هي الشعار الدائم للحاج إلى أن يرمى الجمار ولفظها « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، وقد بين

العلماء معناها بعبارات تختلف في الألفاظ وتتحد في الجوهر .. وقد ذكر الامام النووي بعض هذه المعاني فقال :
التلبية : معناها : إجابة بعد إجابة ولزوما لطاعتك .
وقيل : اتجاهي وقصدي إليك مأخوذ من قولهم : داري تلب دارك اي تواجهها .

وقيل امرأة لبة إذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه .

وقيل : أنا مقيم على طاعتك وإجابتك .. مأخوذ من قولهم لب الرجل بالمكان وألب .. إذا أقام فيه .
قال القاضي : قيل هذه الاجابة لقوله تعالى لابراهيم « عليه السلام » :

وأذن في الناس بالحج

عن خلاد بن السائب عن أبيه « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « أتاني جبرائيل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالاهلال والتلبية » وزاد ابن ماجه « فانها شعار الحج » أما المرأة فانها لا ترفع صوتها بالاهلال .

وتستحب التلبية في مواطن : عند الركوب ، أو النزول ، وكلما علا شرفا « المكان المرتفع » أو هبط واديا « المكان المنخفض » أو لقى ركبا ، وفي دبر كل صلاة وبالأسحار .

الصلاة على النبي « صلى الله عليه وسلم » :

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : يستحب للرجل ـ إذا فرغ من تلبيته ـ أن يصلي على النبي « صلى الله عليه وسلم » .
وكان النبي « صلى الله عليه وسلم » إذا فرغ من تلبيته سأل الله مغفرته ورضوانه واستعتقه من النار (رواه الطبراني وغيره) .

الدعاء :

ينبغي المحافظة على الطهارة الكاملة : واستقبال القبلة ، والاكثار من

الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء من أمر الدين والدنيا ، مع الخشية ، وحضور القلب ، ورفع اليدين .

إن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (رواه الترمذي) .

علامات وآداب الحج المبرور :

الحج المبرور ما اخلص العبد فيه لمولاه ، واستكمل أركانه وشروطه وواجبه واجتنب ما نهى عنه الشارع وأباه .. وللحج المبرور علامات وآداب قبلية وحالية وبعدية فمن علامات الحج المبرور القبلية : أن يوفق العبد قبل الشروع في السفر للتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، ورد ما عنده من الودائع ، واستصحابه من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير ، بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، وأن يتصدق بشيء قبل خروجه ، ويلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ..

ومن علامات الحج المبرور بعد الشروع في السفر : أن يكون المتوجه لبيت الله الحرام مقيما لفرضه ، موفيا بنفله ، مراعيا لأوقاته ، ضابطا لأنفاسه ، قائما بوظائفه ، حافظا لمروءته ، صبورا على شدائد السفر ، موطنا نفسه عليها ، متجنبا موارد الندم القادح في إخلاص توجهه متوسعا في الزاد طيب النفس بالبر والانفاق من غير تقتير ولا اسراف ..

ومن علامات الحج المبرور البعدية : أن يرى الحاج تاركا لما كان عليه من المعاصي قبل حجه ، وأن يتبدل إخوانه الطالحين باخوان صالحين ، ومجالس اللهو والغفلة بمجالس الذكر واليقظة ، وأن يرى طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ، فان ذلك من دلائل قبول حجه .

وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا .



بريد الوعي الاسلامي

حمل البريد الينا كثيرا من رسائل الاخوة القراء على امتداد الساحة العربية والاسلامية .. ونظرا لكثرة الرسائل ، فاننا نعتذر للتأخر في نشرها والرد عليها

المال الحرام ، والمطر ، والمرأة العاملة

من السودان كتبت الينا الاخت فاطمة مختار عمر .. لتستفسر عن امور ثلاثة :ـ

اولا : ما حكم الشرع في اسرة ينفق عليها عائلها من مال حرام او مختلط بالحرام وهي لا تدري بذلك ؟.

ثانيا : توصل العلماء في بعض الدول الى التحكم في الضباب والغيوم وفي منع المطر او توجيهه الى اماكن معينة باتباع طرق علمية ، فهل في هذا تعارض مع قول الله سبحانه : « والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور » ؟
ثالثا : ما رأي الشرع في المرأة العاملة وهي ليست في حاجة الى العمل ؟

المحرر

ما دامت الاسرة او افرادها لا يعلمون ان ما ينفقونه قد اتى من حرام فلا وزر عليهم .. بل الاثم على رب الاسرة فقط وهو الذي اكتسب من حرام « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ، « وكل نفس بما كسبت رهينة » ، الى غير ذلك من الآيات الكريمة

التي تبين ان الاثم لا يتعدى صاحبه .

وحتى لو كان يعلم افراد الاسرة ان المال الذي ينفقه عليهم رب الاسرة هو مال جاء عن طريق حرام ، فانهم ما داموا صغارا لا يستطيعون الكسب فلا شيء عليهم ، واما اذا كان فيهم من يستطيع ان يكتسب بنفسه فعليه ان يتورع عن الحرام ، وينفق مما يكسبه من حلال .

اما استغلال العلم في الاستفادة من المطر وتوجيهه فذلك شيء لا يتعارض مع الدين ولا مع قدرة الله وعلمه ، فالله هو القادر على كل شيء ، وهو الذي يحيط علمه بكل شيء ، ولو شاء سبحانه لامسك الرياح فلا تثير السحاب ، ولا يسقط المطر ، وكل ما يجري في الكون واقع بمشيئة الله ، وما يفعله العلماء هو دليل على قدرة الله ، وانه الصانع الاول .. فكما احيا سبحانه الارض الميتة بالمطر كذلك يحيى الاموات ببعثهم من قبورهم .

واما عمل المرأة ، فهو جائز في الاسلام ، مادام عملا شريفا كريما ، يحفظ للمرأة مكانتها الاسلامية ، وبشرط ان تلتزم المرأة بتعاليم الاسلام ، فلا تبرج ، ولا خلوة بالاجنبي ، ولا كشف لما حرم الله كشفه .. وبشرط الا يشغل هذا العمل المرأة عن القيام بواجبها تجاه اسرتها ، ورعاية اولادها ، والله يوفق للخير دائما .

ردود سريعة

ـ الاخ سعد النجدي العازمي من منطقة الزراعية

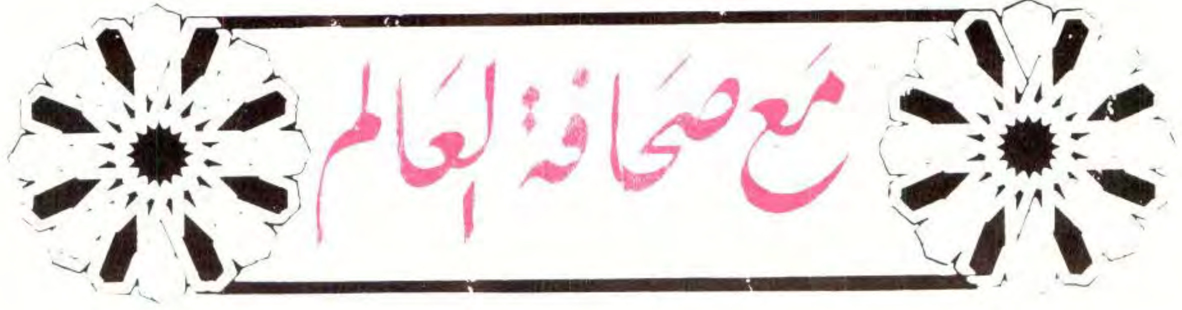
يسأل : هل يجوز للفتاة ان تكشف من جسدها شيئا قليلا اثناء الصلاة في البيت مثلا اسفل الركبة او الرأس او مثلا الصدر ارجو الافادة .

ـ من شروط الصلاة عند النساء ستر العورة وعورة المرأة كافة جسدها عدا وجهها وكفيها وما ذكرته في رسالتك من كشف لبعض اجزاء الجسم يبطل الصلاة .

ـ الاخ احمد بشار بركات ـ ابو ظبي

بعث الينا بمقال ادبي يتضمن مدح الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم عبر العصور من القديم للحديث ويقول لنا بأنه من كتاب المقالات الادبية والدينية ويستفسر عن امكانية نشر نتاجه .

يا اخ احمد المجلة تركز اهتمامها على المواضيع الاسلامية ونحن نرحب بكل المقالات والموضوعات الاسلامية التي تردنا اذا كانت صالحة للنشر ونأمل ان يصلنا بعض نتاجك الاسلامي .



جاء في كلمة الدعوة السعودية في عدد رقم ٧٩٤ بتاريخ ٢٠/٤/١٩٨١ تحت عنوان

الى فلسطين من جديد هذا هو الطريق

نتوجه بالحديث هذه المرة الى اخوة الجهاد .. الى الصامدين أبداً في مسرى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في القدس وفي المثلث وغزة والجولان .. وفي كل شبر وتحت كل شجرة وخلف كل حجر من ارض فلسطين الحبيبة نشد على أيديهم، نقبل بين أعينهم، نهنئهم، نعم نهنئهم بالنصر والفتح القريب بمشيئة الله تعالى.

وقد كان للانباء التي تحدثت مؤخرا عن ظهور تيار اسلامي جديد في فلسطين وقع اهتزت له نفوس المؤمنين المتعطشة دوما لتحرير الأرض وتخليص المقدسات من رجس المحتلين الصهاينة.

وكانت « اسرة الجهاد » التي اثارت هلع السلطات الصهيونية والتي ظهرت في قرى المثلث الفلسطيني المحتل منذ عام ١٩٤٨م هي طليعة ذلك الزحف القادم، فقد امتدت هذه الحركة المباركة ــ كما ورد في الانباء ــ في وقت قياسي لتشمل ثلاث مناطق مهمة من فلسطين.

● المنطقة الشمالية : وينتمي اعضاؤها الى قرية ام الفحم.

● المنطقة الوسطى : وينتمي اعضاؤها الى باقة الغربية.

● المنطقة الجنوبية : وينتسب اعضاؤها الى كفر قاسم والقرى المجاورة وعلى رأس كل منطقة من هذه المناطق قائد مسئول من أسرة الجهاد.

والحق ان مجريات القضية لا تهم المراقب الواعي كثيرا فقد تعود الاشقاء في فلسطين ان يتذوقوا العلقم على يد العدو الغاصب. ولكن ما يهمنا جميعا هو الابعاد الحقيقية لهذا الحدث الفريد وهي ذات دلالات كثيرة معبرة.

قد يكون من أهمها ان جذوة الايمان قد تخبو فترة ولكنها لا تموت أبداً مهما طال ليل الظلم والبغي والتجهيل والتجويع ايضا.

فبمجرد ان تدوي صرخة مؤمنة سرعان ما يستعيد المسلمون كل المسلمين وعيهم الحقيقي فتسرى فيهم روح الايمان سريان البرق في الليل

البهيم وتتأجج بين حناياهم نخوة الجهاد ثم لا يكون بعد ذلك ظل لمستعمر اثيم ، او مطمع لغاصب مستبد .. وما قصة المعتصم وعمورية عنا ببعيد .

وبعد فهل يتذكر الأهل في الضفة والقطاع وفي المثلث والجولان ـ وهم بلا شك يتذكرون ـ ما كان من بلاء حسن للأباء والاجداد حين زحف جيش عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى فلسطين والشام ينشرون الاسلام والعدل والسلام وهل يتمثل اخوة الجهاد نخوة هارون والمعتصم وجهاد صلاح الدين وجيشه يوم خلص بيت المقدس من أيدي النصارى المتعصبين .

وما بالنا نوغل في التاريخ بعيدا وهذه التجربة الجزائرية ذات المليون ونصف المليون شهيد امامنا جميعا ماثلة للعيان .

اننا لا نحمل اخواننا في الدم والعقيدة على الصعب ولا نطالبهم بالمستحيل فالجهاد قدر مفروض على المسلم وهو من قبل ومن بعد الطريق الأوحد لبلوغ النصر كما لا نتنصل من مسؤولياتنا الأخوية تجاههم وتجاه المقدسات السليبة في فلسطين ، ولا نقول كما قال قوم موسى (عليه السلام) من قبل « **اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون** » ولكن نقول قاتلوا عدو الله وعدوكم فانا معكم مقاتلون .

● وفي الوقت عينه نضع ايدينا ـ كما كنا دائما ـ في أيدي الرجال المخلصين من ابناء فلسطين خارج الوطن الأم ـ الذين يجاهدون في كل ميدان من اجل القضية في ساحات القتال والفداء وفي المحافل الاقليمية والدولية . والشيء نفسه بالنسبة لبقية الشعب الأبي الذي تحدى مغريات التذويب والتلاشي وفضل الاقامة في المخيمات والعيش الكفاف وما هو ادنى من الكفاف املا في عودة كريمة الى ارض الاباء والاجداد .

ونعتقد بيقين ان فلسطين الجريحة في حاجة الى كل كلمة صدق وكل قذيفة بندقية ونقطة دم واننا كما روى عن سيد البشر لن نغلب لقلة عددنا بل ان الأم الفلسطينية وحدها قادرة على تعويض كل الأبطال الذين سقطوا والذين سيسقطون مستقبلا في ساحات الجهاد والفداء على تراب فلسطين حتى يأتي النصر « وما النصر الا من عند الله » .

وكلمة اخيرة لا نظن انها تغرب عن بال كل مجاهد في سبيل الله ان القضية اي قضية مهما كانت عادلة فانها تحتاج وباستمرار الى سواعد الرجال العظام للدفاع عنها وحمايتها وان التجربة الطويلة مع المنظمات والهيئات الدولية قد اعطت قناعة بأن هذه المنظمات لا تستطيع ان تنصف الا الاقوياء ايمانا وبأسا . والله يتولى الصالحين وهو الهادي سواء السبيل .

الشرق الأوسط مازال مركز الثقل الحضاري

عن جريدة اللواء الاردنية جاء تحت هذا العنوان على لسان الفيلسوف الفرنسي غارودي ما يلي :-

الاسلام منذ انطلاقته الأولى استطاع ان يوضح امكانية ايجاد طريق اصيل تماما .

انه بذلك يعتمد على دعامتين أساسيتين لكل مجتمع إنساني حقيقي ، مجتمع ذو وجه انساني والدعامتان هما التعالي والجماعة .

وأضاف ان هذه الرؤيا يجعله أن يؤكد ان بامكان الاسلام ان يلعب دورا حاسما إذا هو لم ينغلق على نفسه وعلى ذاته .

وقال علينا أن نفكر جيدا في المستقبل وعلينا أن تقف التكاليف لباهظة لاستثمارها في المجهودات العلمية والتربوية وكما قلت لبعض المسؤولين العرب ان ثمن طائرتين من طراز ماستير يكفي لاعادة بناء كل الجامعات العربية الكبرى التي وجدت في العصور الذهبية لا من اجل العودة الى الماضي المجيد فحسب وانما لاثبات فعالية التصور الاسلامي وما يمكن ان يقوله الاسلام عن طريق اصيل ومتميز ، طريق لا يشبه الرأسمالية الغربية .

واضاف ، ان امام العرب ثلاثين سنة من اجل انجاز عمل عظيم على المستوى العالمي وعندهم النفط الذي يمكنهم من القيام بذلك ، ولذلك فالعرب يتحملون مسؤولية تاريخية وعليهم عدم اضاعة هذه الفرصة ، لأن اضاعتها خسارة فادحة ليس لهم وحدهم بل للعالم اجمع .

وقال انه مقتنع بأن مركز الثقل والتحول الحضاري ما يزال في منطقة الشرق الأوسط ومنه سيبعث الاشعاع من جديد ولكنه قال ان ذلك مشروط بأن لا ينغلق الاسلام على نفسه داخل عباءة التزمت والتعصب الذي لم يكن ابدا من تقاليد الاسلام .

ان آيات القرآن لا تتضمن أي معنى للتزمت أو الانغلاق بل هي تؤكد على الانفتاح والحديث النبوي (اطلبوا العلم ولو في الصين) يحمل وحده دلالة عميقة على ما يحققه الاسلام من أهمية على الانفتاح باتجاه حضارات الاخرين .

وقد اوضح الاسلام في مراحل توسعه أنه يملك القدرة الهائلة على الاندماج والتفاعل مع أكبر الحضارات وعطاءاتها العلمية والدينية والفنية في الصين والهند وايران والباكستان وافغانستان واكثر من ذلك فان الاسلام استطاع ان يجعل هذه الحضارات وحدة متناسقة اصيلة وانسانية .

اما في المرحلة الماضية وقبل اشكالياتها يرى الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي ان مستقبل الاسلام

ليس في اعادة وتكرار ما قيل بشكل رائع وجذاب في عهد النبي ، بل علي ان يحاول ان يبدع وينمي التصور الاسلامي ومعالم طريقه الاصليــة بحسب مقتضيات العصر .

ان الاسلام الأصيل هو ان نفعل ما فعله النبي محمد في عصره وهذا يعني شق طرق جديــدة على ضوء الخطوط العريضة التي جاء بها النبي عندما اسس مجتمع المدينة .

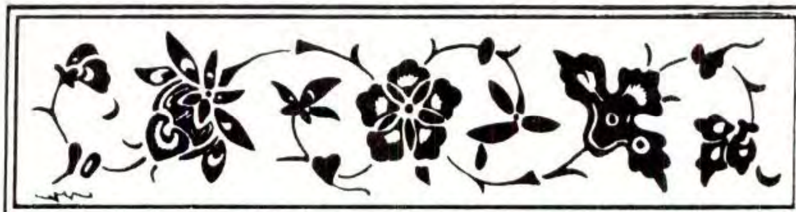
الاسلام المنتصر

نشرت جريدة اللواء الأردنية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

العالم الاسلامي يمور اليوم بالفتن والانقلابات ، والصراعات والحروب الداخلية حتى ليحسب المرء أن هذا الجزء من العالم لم يكن في يوم من الأيام دولة واحدة لها عاصمة واحدة ويحكمها خليفة واحد رغم اتساع مساحاتها وصعوبة المواصلات بين أجزائها . يوم كانت الأمة تشرب من معين فكري واحد وتتجه الى كعبة واحدة . فكانت خير أمة أخرجت للناس وكانت أقوى أمة على خارطة هذه المعمورة . وكان أعداء الأمة أدركوا سر قوتها وسبب عظمتها وسبيل وحدتها فعملوا كل ما بوسعهم لابعادها عن هذا السر والسبب والسبيل ألا وهو الاسلام . فربوا بين ظهرانيهم وعلى أعينهم شبابا من أبناء هذه الأمة كانوا أشد فتكا بها من الجيوش الجرارة يوم ناصبوا فكر أمتهم وعقيدتها العداء وعملوا في منابعها تكديرا وتلويثا . حتى لقد نشأت على أيديهم أجيالا كان بعضها يخجل من الانتساب الى الاسلام دينا والى أرض الاسلام وطنا . وأصبح السير على نهج الاسلام سبة ورجعية ، وتأخرا وجمودا . وفي ظل غياب الاسلام عن خارطة العالم الاسلامي تمزقت الأمة شر تمزيق وحلت بها نكبات لم يعرف لها التاريخ مثيلا . لم تقتصر على احتلال الأرض ، بل تعدتها الى سلب النفوس فاستمرئت هذه النفوس الذل والهوان ، والضياع وظلت الأمة تتخبط في دياجير ظلمتها تتناوشها براثن الغزو الفكري الذي فتكت سمومه بعقول أبنائها فسلبتهم ارادتهم حتى وصل الاخفاق مداه وتجسدت الهزيمة أمة تعيش على الأرض . وهنا بدأ الضمير النائم للأمة الممزقة يصحو على واقعه ويراجع حساباته التي أثبتت أن كل الهزائم التي منيت بها هذه الأمة كانت نتيجة منطقية لابتعادها عن الاسلام . وهي الحقيقة التي أصبحت تفرض نفسها على كل الأصعدة ، على امتداد الخارطة المسلمة وبدأ الناس جميعا يعودون الى منابع أمتهم .

وحلت تهمة عداء الاسلام محل تهمة الرجعية والعمالة التي كانت تلصق بالبقية المسلمة . وهكذا فان الله ناصر أمره ومظهر منهاجه وها هو الاسلام يعود منتصرا . وأصبح الاقتراب منه مدعاة للفخر وتعزيزا لقواعد القيادات لأن هذه الأمة مسلمة بفطرتها مؤمنة بتكوينها فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

اقرأ في هذا العدد



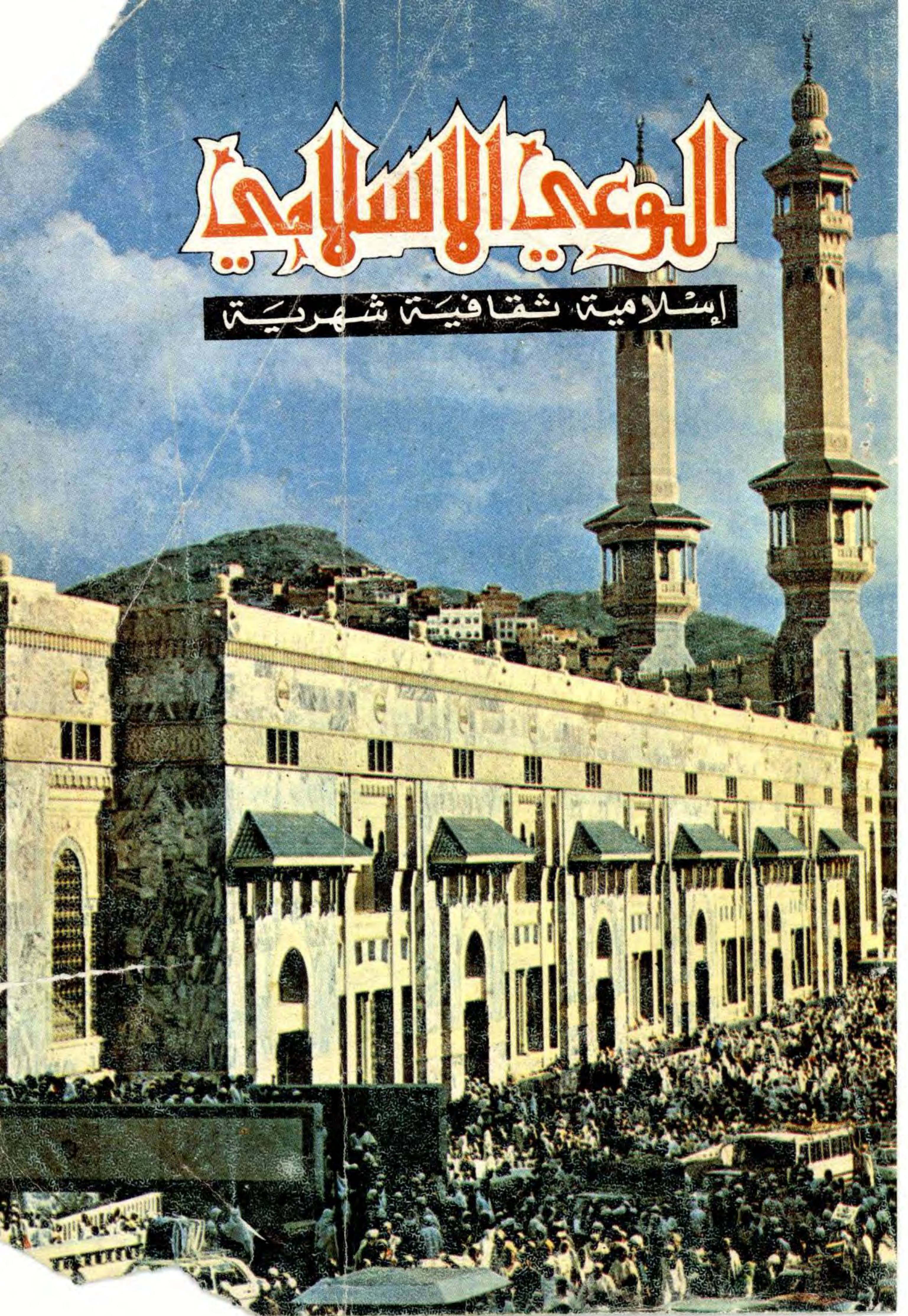
المملكة المغربية (مراكش)

○ تقع في الزاوية الشمالية الغربية من قارة افريقية في موقع هام يطل على مضيق جبل طارق
○ كلمة المغرب تطلق على كل بلاد البربر الممتدة من ليبيا الى مراكش ولما نالت مراكش استقلالها اصبح اسمها (المملكة المغربية)
○ المساحة ٤٤٧,٠٠٠ كم٢ ،السكان غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة
○ بلاد المغرب بلاد جبلية تسورها جبال الاطلس الممتدة من تونس الى المغرب ، وفي جبال الاطلس المغربية توجد اعلى قمة في العالم العربي وهي قمة طوبقال ٤١٦٥م .
والمملكة المغربية بلاد غنية زراعياً وتملك ثروات معدنية متنوعة وتتمتع بمناخ دافىء مطير
○ عاصمة المملكة المغربية (الرباط) ومن مدنها الهامة مراكش وفاس ، والدار البيضاء ومكناس
○ انتشر الاسلام في المغرب في النصف الثاني من القرن الاول الهجري وكانت المغرب نقطة الانطلاق لفتح اسبانية على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير وقد ساهم بربر المغرب جميعا في هذا الفتح
○ لما ضعفت الدولة العباسية في المشرق ظهرت على ارض المغرب دولا اسلامية متتابعة هي : الادارسة (١٧٢ ـ ٣٧٥هـ) والمرابطون (٤٤٨ ـ ٥٤١هـ) والموحدون (٥٢٤ ـ ٦٦٨هـ) وبنومرين (٥٩١هـ ـ ٩٥٧هـ) وفي عهدهم هوجمت سواحل المغرب من قبل البرتغاليين واحتلوا بعض الموانىء الساحلية مثل سبته ، وطنجه .
○ خضعت المغرب للاستعمار الفرنسي عام ١٩١٢ م وقد تنازلت فرنسا لاسبانية عن منطقة الريف المغربية الشمالية واصبحت منطقة (طنجة) دولية وقد حمل شعب المغرب السلاح دفاعاً عن دينه ووطنه وبرز في حرب الاستقلال الامير عبد الكريم الخطابي بطل منطقة الريف لكن اسبانية وفرنسا تعاونتا للقضاء عليه وقد نالت المغرب استقلالها عام ١٩٥٦م .



المملكة المغربية

طباعة مؤسسة دار السياسة


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٤ ● ذو الحجة ١٤٠١ هـ ● اكتوبر ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

يومان من أيام الحج

يومان من ايام الحج ينتهي ضيوف الرحمن من اولهما سعداء بخير يوم مر عليهم منذ ولدتهم امهاتهم ، ليستقبلوا ثانيهما مكبرين شاكرين ربهم الذي بنعمته تتم الصالحات ، ويشاركهم في التكبير والتسبيح اخوانهم في العقيدة حيثما وجدوا ، يجمع الجميع شعور واحد بحق الله على عباده في ان يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر .

انهما يوم « عرفة » ويوم « الاضحى »

فيوم (عرفة) هو قمة النسك ، وقطب رحى الشعيرة التى فرضها الله على كل مسلم استطاع السبيل اليها ، فالحجاج وفد الله يأتي من كل فج عميق الى بيته العتيق ، في بلده الحرام ، منزل الوحي ، ومشرق نور التوحيد ، ومهد الرسالة الأول ، ومجمع امجاد الامة التي كانت هي ورسولها الامين ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوة جد الانبياء ابراهيم وولده اسماعيل ، وهما يرفعان قواعد اول بيت وضع للناس في ارض الله ، قال تعالى :

(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت

واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم .)

وقال

سبحانه : **(ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) .**

ويوم عرفه هو الموقف الجامع ـ زمانا ومكانا ـ الذي لا يغيب عنه حاج ، ففي غيره من ايام الحج يطوف الطائفون بالبيت ويسعى الساعون حول الصفا والمروة ، متى شاءوا من ليل او نهار ـ قبل الوقوف بعرفة وبعده ـ ويبقى ليوم الموقف العظيم (يوم عرفة) سمته المميزة من وحدة العمل والامل والذكر والدعاء والتأهل لتجلي الحق من فوق سبع سماوات مباهيا بأهل المشهد العظيم ، ملائكته المكرمين بقوله : « يا ملائكتي هؤلاء عبادي جاءوني من كل فج عميق شعثا غبرا ضاحين ، اشهدكم يا ملائكتي اني غفرت لهم » .. يا له من غفران يحقق اجل نعمة وهي رضوان الله تعالى يوم اللقاء .

وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الحج عرفة » وفي خطبته يوم

عرفة في حجة الوداع ، رسم قواعد العقيدة الخالصة والسلوك الراشد ، والمبادىء الكريمة التي تحدد مسار الوجود السعيد ، وتصون حقوق الانسان رجلا وامرأة ، وتقيم العلاقات بين الناس على العدل والتراحم .

ويوم الاضحى هو اليوم التالي ليوم عرفة حيث ينزل الحجاج من عرفة ليستجلوا شمس يوم الاضحى في (منى) يكبرون الله ويذكرونه ويؤدون صلاة العيد ثم يذبحون الاضاحي من الابل والبقر والغنم ذاكرين قصة فداء اسماعيل عليه السلام بعد ان اذعن والده ابراهيم الخليل لامر الله بذبحه ورضى الولد صابرا ونادى والده بأن يفعل ما امره ربه قال ابراهيم لولده **(يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين .**

فلما اسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم .

كذلك نجزي المحسنين .) .. ان النحر في يــوم الاضحــى (في منى) ليس المقصود منه مجرد اراقة الدم او اسعاف بعض المحتاجين بشيء من اللحم ثم يذهب اكثره امام الاعين في غير طائل .

لا .. ليست هذه روح الاسلام . وانما

يجب ان يصنع هذا اللحم الذي يذهب هدرا ، ويعد ليكون مددا وزادا للمعوزين من المسلمين في غير قطر ومنزل ..

وعلى المسلمين ان يدركوا ان قصة الفداء توحي بان المال لم يخلق ليكون وسيلة للمعاصي والاثام والزهو والتكبر وانما خلق ليكون بناء للقيم العليا وسنادا للمثل السامية ، وفداء للانسان من ان يذل او يهون .. لقد ادرك المسلمون الاولون من صحابة رسول الله وتابعيهم هذه المعاني وطبقوها ، فنشروا الاسلام بعدله الشامل وطهره البالــغ وعزتــه الابدية في مشارق الارض ومغاربهـا والتاريخ شاهد صدق على امجادهم !!

فلماذا تركنا سبيل الله ـ وفيه عزنا ـ واتبعنا سبل الشياطين التي يســرت لاعدائنا اذلالنا واغتصاب بلادنا ونهب خيراتنا ؟ لا شك ان الذي اضلنا عن اتباع الصراط المستقيم هو حبنا للدنيا الذليلة وكراهيتنا للموت الشريف . فمتى نفيق من غفلتنــا ومتى نصحــو من سكرتنا ، حتى نستعيد مجدنا وعزنا وكرامتنا وهيبتنا .؟؟

ان النحر في يوم عيد الاضحى سواء على يد الحجاج في المشاعر ام على يد غيرهم في بــلادهم ، يجدد العهــد بجد العــرب اسماعيل ووالــده ابراهيم الخليــل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ويذكر بما ينبغي لله من طاعة واذعان الى المدى الذي قد يستهدف المال والولد .. فهل نعي هذه الدروس ونمضي بالايمان بالله على الطريق الذي سبقنا فيه السلف رضوان الله عليهم ؟.. اننا بذلك نحقق لانفسنا الخير كل الخير (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) .

(ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) والا فالنذير قائم يدوي (في كتاب الله الخالد) بالدمار والهلاك قال تعالى : (**قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخــوانكم وازواجكم وعشيــرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهـاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين .**) .. نسأل الله ان يهدي قادة المسلمين وشعوبهم سواء السبيل انه سميع مجيب .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

وَإِنَّ يوماً عند ربك ما

لا يزال الزمن سرا من اسرار الكون .. ولقد كان للفلاسفة على مدى العصور المختلفة اراء ونظريات عن الزمن ، لم يصل واحد فيهم الى الصواب فيها .. واكثر ما وصلوا اليه هو تصورات ضعيفة ومليئة بالاخطاء .. ومع تقدم العلم حديثا استطاع الانسان أن يصل الى بعض الملامح الصحيحة عن اسرار الزمن .

واثبتت الحقائق العلمية حديثا ان الزمن شيء نسبي .. يتعلق بحركة الافلاك في المجموعة الشمسية .. اما خارج المجموعة الشمسية في الفضاء النجمي أو المجرى أو الفضاء الكوني .. فلا يوجد زمن بالمعنى الذي نفهمه نحن على الارض .

والزمن انواع يدخل بعضها في بعض .. فهناك الزمن الكوكبي ويتعلق بعمر الأرض وهذا الزمن يتوقف على دوران الارض حول الشمس .. وهناك الزمن الطبيعي ويتوقف قياسه على حركة دوران الارض حول محورها أمام الشمس وتعاقب الليل والنهار .. وهناك الزمن البيولوجي وهو عمر الخلايات الحية .

وكل هذه الازمان أو الآجال لا يتوقف احدها على الآخر .. فالزمن الكوكبي لا يتوقف على الزمن الطبيعي .. والزمن البيولوجي لا يتوقف على الزمن الطبيعي وحتى نفهم ذلك فنفرض ان شخصا سافر حول الكرة الارضية في اتجاه الغرب بسرعة اكثر من الف كيلو متر في الساعة مثلا .. وسافر شخص آخر حول الكرة الارضية في اتجاه الشرق بنفس السرعة .. نجد ان المسافر في اتجاه الغرب مع اتجاه الشمس اكتسب زمنا طبيعيا فعاش اليوم مرتين أما المسافر في اتجاه الشرق فانه يخسر يوما من العمر المحسوب للجسم بالزمن

كألف سنة مما تعدون

للدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

الطبيعي .. ومع اختلاف الزمن الطبيعي للجسم فان الزمن البيولوجي لخلايا الجسم لم يتغير في الحالتين .

وحتى نبين ذلك نعطي مثالا اكثر وضوحا .. اذا كانت الطائرة تقطع المسافة بين الكويت ونيويورك في عشر ساعات وسافر شخص ما من الكويت الى نيويورك غربا – وفرق التوقيت بين البلدين ست ساعات – فاذا قامت الطائرة من الكويت في السادسة مساء فانها تصل نيويورك في الرابعة فجر اليوم التالي بتوقيت الكويت ولكنها في الواقع تصل الى نيويورك في العاشرة من مساء نفس اليوم .. وهكذا فان الزمن البيولوجي يصير أطول من الزمن الطبيعي للانسان في هذا السفر .. واذا افترضنا ان نفس المسافر عاد بالطائرة من نيويورك الى الكويت شرقا وقامت الطائرة في السادسة صباح الاحد مثلا فانها تصل الكويت في الرابعة فجر الاثنين (بتوقيت نيويورك) ولكنه في الواقع سيصل الكويت ويجد الوقت بها العاشرة من صباح الاثنين .. اذن فالزمن الطبيعي للجسم في هذا السفر صار أطول من الزمن البيولوجي للجسم .

واذا تصورنا باخرتين في ميناء بانجلترا وابحرتا في نفس الوقت بنفس السرعة الى مكان ما في المحيط الهادي على خط ١٨٠ درجة في اتجاهين مختلفين .. واحدة اتجهت الى الشرق .. والأخرى اتجهت الى الغرب .. ووصلت الباخرتان الى المكان المحدد بعد اسبوع .. ونظر كل مسافر الى ساعته.. فاننا نجد ان الزمن اختلف كثيرا في الباخرتين .. فالمسافرون في الباخرة التى اتجهت الى الغرب اذا كان الوقت عندهم يوم

الاحد مثلا فان الوقت عند المسافرين في الباخرة التى اتجهت الى الشرق كان يوم الاثنين .. هؤلاء خسروا اثنتي عشرة ساعة واولئك كسبوا نفس الزمن الطبيعي .. بينما الزمن البيولوجي في اجسام المسافرين في الباخرتين لم يتغير ومتساو فيهم جميعا .

واذا حسبنا عمر الانسان في الدنيا .. هل هو الزمن البيولوجي للجسم أم هو الزمن الطبيعي الذي يمر عليه في وجوده على الارض ؟

والنوعان من الزمنين مختلفان .. من هنا فحسابنا حتى للاعمار لا يمكن ان يكون صحيحا .

وكما ان الزمن الطبيعي غير ثابت فكذلك الزمن البيولوجي يختلف من نوع من الخلق الى نوع آخر منه ونقرأ قوله تعالى في سورة الاعراف :

(ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الاعراف ٣٤ والزمن الكوكبي يختلف عن الزمن الطبيعي على الارض أيضا .. فبناء على نظرية انشتاين عن الزمن .. اذا تصورنا انسانا ركب صاروخا انطلق بسرعة تقارب سرعة الضوء وذهب الى أقرب نجم ثم عاد الى الارض .. فان الرحلة ذهابا وايابا في الصاروخ تستغرق يوما واحدا .. ولكنه لدى عودته الى الارض يجد عجبا .. يجد ان الزمن على الارض قد طوى عشرات بل مئات السنين .. ويجد في الارض احفاده اكبر منه سنا .. وهكذا يكون عمره بحسب الزمن الطبيعي على الارض طويلا جدا .. في حين ان عمره البيولوجي لم يتقدم الا يوما واحدا فقط .. وهذه حقائق لا يكاد يصدقها أحد .. ولكن الحقائق العلمية الرياضية الحديثة أثبتت ان الزمن مع سرعة تقارب سرعة الضوء يكون في غاية القصر .. أما اذا وصلت السرعة الى سرعة الضوء فيكون الزمن صفرا .. أو درجة يصح معها ان نقول : لا زمن .

ومن هنا يمكننا أن نفهم أن الزمن مركب من ابعاد يدخل بعضها في بعض .. وهي كلها فصول في كتاب واحد .. وكل أبعاد الزمن ونسبه في المخلوقات المختلفة في الكون ، تدخل في قانون واحد .. وحساب واحد .. لا يحيط به الا علم الله تبارك وتعالى .

وكل مخلوق خصه خالقه تعالى بزمنه الخاص به .. ولا يستطيع البشر مهما أوتوا من علم .. قياس الزمن بالنسبة لأنفسهم ولا قياس الزمن بالنسبة لغيرهم من المخلوقات .

ونقرأ قوله تعالى :

(أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) الروم / ٨

وجاءت كلمة « اجل » التى تدل على الزمن مفردة .. وغير معرفة .. فلم يقل « آجال » .. لأن كلمة « آجال » تدل على آجال الخلق على اختلافها .. والله تعالى يحيط بكل هذه الأجال جملة وتفصيلا .. لذلك جاءت كلمة « أجل مسمى » لتستوعب جملة

الاجال وتفصيلها معاً .. من أجل ذلك لم تأت كلمة « الآجال » في القرآن الكريم كله .

ولو جاءت كلمة « اجل » عن عمر شخص واحد لكان ذلك صحيحا .. ولو جاءت عن كل اعمار الناس جميعا لكان ذلك صحيحا ايضا .. لأن الزمن كما قلنا فصول متعددة كلها في كتاب واحد ، علمه عند الله تعالى .

وجاء لفظ آجل لمفرد في قوله تعالى :

(ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الاعراف / ٣٤

وجاء لفظ « أجل » لمثنى في قوله تعالى :

(وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) الرعد / ٢

وجاء لفظ « أجل » لجمع في قوله تعالى :

(ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى) الحج / ٥ وفي قوله تعالى : **(ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا)** فاطر / ٤٥ .

وهكذا فكلمة « أجل » في القرآن الكريم تعني آجالا متعددة جملة وتفصيلا ونضرب بجسم الانسان مثلا على ذلك :

فجسم الانسان له أجل مسمى واحد .. هو جملة حياته على الارض ، ومع ذلك ، فداخل هذا الجسم ذى الأجل الواحد .. آجال كثيرة .. مثل آجال الكرات الدموية الحمراء التى تعيش الواحدة منها من يوم الى مائة يوم أو يزيد .. وآجال الكرات الدموية البيضاء التى تعيش الواحدة منها ساعات معدودات .. وآجال صفائح الدم التى تعيش الواحدة منها اياما قليلة .. وهكذا كل خلية في الجسم لها اجل يختلف عن آجال الخلايا الأخرى .. ومع تنوع هذه الاجال في مكونات جسم الانسان الا أنها مترابطة ومتكاملة ومتداخلة .. كلها في قانون واحد ، وحساب واحد ، ولها في جملتها أجل مسمى واحد .. هو اجل الانسان الذي قدره الله له .

وما يجري في الانسان من أجل مسمى ، يجري في انواع الخلق جميعا وفروق الزمن في الكواكب والنجوم هي فروق في أبعاد الزمن بالنسبة لكل منها .

والله تعالى يعلم آجال كل ما خلق في السماوات والارض جميعا .. لأنه سبحانه ، يحيط بكل الابعاد والقياسات والحقائق الكونية كلها .. فهو تعالى خالقها وبارؤها ومصورها . ونقرأ قوله تعالى :

(هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم) الحشر / ٢٤ .

ويحسب البشر الزمن بسرعة الضوء وهي ١٨٦ ألف ميل في الثانية .. ولما كانت الشمس تبعد حوالي ٩٣ مليون ميل عن الارض ، فان اشعة الضوء تستغرق من الزمن ثماني دقائق لتصل الى الارض .. اذن فقياس الزمن يتعلق بالمسافة وبالمكان

وبالحركة .

ولما كانت كل حركة مستديرة .. مثل دوران الكواكب حول الشمس .. ودوران الشمس حـول المجـرة .. ودوران الاليكترونات حول النواة في الذرة .

ولما كان كل شيء في الكون مستديرا من اول الذرة الى الكوكب الى النجم .. فان الزمن لابـد ان يكون ايضـا مستديرا أو يستدير .. وهذه حقائق اكتشفها علم الرياضيات الحديث .. ولكننا نقرأ عن ذلك في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الا ان الزمان استدار كهيئته يوم خلق السماوات والارض » وسرعة الزمن على أي كوكب أو نجم يتوقف على زمنه الكوكبي أو النجمي أيضا . فمثلا كلما زاد عمر الارض ، كلما كان الزمن فيها أسرع .. فان الشمس سوف تتكدس يوما وحينئذ ستفقد قوة جذبها .. فتنجذب الأرض نحوها ، وتقرب المسافة بين الشمس والارض مما يزيد من سرعة دوران الارض حتى يصبح اليوم كساعة ، وتزداد الحرارة على سطح الارض وتلتهب بمن فيها .

ونقرأ حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة (أخرجه الهيثمي في مجمـع الـزوائـد ورواه احمـد في مسنده) .

والبشر يستطيعون العد في حدود ضيقة جدا .. ولكنهم لا يحصون شيئـا .. لأنهم لا يحصـون بعلم الاشياء .. واذا حاولـوا الاحصاء فانهم يحيطون نسبا محدودة .. لمجرد القيـاس .. لا ترقى الى مستـوى الاحصاء التام .. ولكن الله تبارك وتعالى الذي يحيط علمه بكل ما خلق من اشياء هو وحده الذي يحصيها . ، ونقرأ قوله تعالى :

(ان كـل من في السمـاوات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) مريم/ ٩٣ ـ ٩٥ ونلاحظ في الايات الكريمة ان الله تعالى قدم الاحصـاء على العـد .. والبشر حتى في عدهم قد لا يصيبون .. ونقرأ قوله تعالى : **(و قال كم لبثتم في الارض عدد سنين . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين)** المؤمنون/ ١١٢ ـ ١١٣ ، فعد الناس للزمن يتعرض للخطأ .

وعندما يترك الناس هذه الدنيا يكتشفون أن حسابهم للزمن بها لم يكن صحيحا .. وان الزمن الذي يمر على الانسان في الدنيا لم يكن في حقيقته الزمنية الا يوما او بعض يوم .. ونقرأ قوله تعـالى : **(وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب)** غافر/ ٤٩ ، فالكفار يدعون ربهم أن يخفف عنهم يوما من العذاب .. وهو يوم من أيام الآخرة .. هو بالنسبة للزمن في الدنيا قد يكون الف سنة أو يزيد .. وان كان في حقيقته ليس الا

ساعة .. لذلك فالاسلام يسمى الساعات كلها اذا اتصلت معا « ساعة » ، فالزمن من الدنيا يعتبره الاسلام « ساعة » وقال الامام علي كرم الله وجهه : « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مالي وللدنيا .. والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب راحلة في يوم صائف استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها » وفي هذا الحديث الشريف اعجاز في قوله واعجاز في علمه .. فالساعة هي جملة حياة الانسان على الارض .. وهذا أصدق حديث عن الزمن .. لأن عد الزمن لا يمكن ان يكون صحيحا .. ولكنه في جملته الحقيقية ساعة .. وقوله صلى الله عليه وسلم « كراكب راحلة » اي ان الانسان جاء الى الدنيا والنفس في الجسد .. وقوله « ثم راح وتركها » راح أي لم يكن راكبا .. وتركها أي ترك الشجرة أو ترك الراحلة .. او قد تركهما معا .. ومعنى ذلك ان النفس تركت الجسم عندما تترك الدنيا .

والخلق في حركة مستمرة والله يبدأ الخلق ثم يعيده .. فهو في حركة لا تفتر والحديث الشريف يبين هذه الحركة في الوجود أصدق بيان .

وكما سمت السنة زمن الدنيا كله « ساعة » فقد سمى القرآن القيامة « الساعة » .. لأن القيامة تجمع الازمان جميعا .. فهي تجمع الساعات كلها .. ومن هنا فسماها القرآن « الساعة » .. وجاء الاسم معرفا .. فلم تأت كلمة « ساعة » نكرة الا لأزمان الدنيا فحسب .. أما يوم القيامة فسماه القرآن دائما بالاسم المعرف « الساعة » لأن مجموع الازمان جميعا .. ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود .

وعن الزمن في الدنيا يقول تعالى : **(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** الاعراف/ ٣٤ ، ولكنه تكلم عن يوم القيامة يقول تعالى : **(وأن الساعة آتية لا ريب فيها)** الحج/ ٧ · ويقول تعالى : **(يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم)** الحج/ ١ ، يقول ايضا : **(ان الله عنده علم الساعة)** لقمان/ ٣٤ ، يقول ايضا : **(بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وامر)** القمر/ ٤٦ ، وذكر الزمن في الدنيا فجاء الاسم غير معرف .. وذكر الزمن يوم القيامة فجاء الاسم معرفا في آية واحدة في قوله تعالى :

(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الروم / **٥٥** ومن هنا كان حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمى زمن الدنيا كله ساعة في قوله « ماأنا ، والدنيا الا كراكب راحلة استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها » وقول سيدنا علي رضي الله عنه : « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة » .

ويبين الله تعالى أن خلق السماوات والارض كان في ستة ايام .. ولا ندري عن طول هذه الايام شيئا .. فهي من ايام الله تعالى .. ولا نعرف عنها الا ما أخبرنا به القرآن الكريم في قوله

تعالى : (**وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون**) الحج/٤٧ ، نلاحظ قوله تعالى « مما تعدون » والخطاب موجه لنا .. أي مما تعدونه أنتم بحسابكم .. وقد يكون عدا صحيحا أو غير صحيح .

وفي علم الفلك يحسبون الزمن بسرعة الضوء حينا .. وبسرعة دوران النجوم والكواكب حينا آخر .. ولكن حساب الزمن بهذه المقاييس ايضا لا يمكن ان يكون ثابتا .. فكلما تضخم الكوكب أو النجم أو ثقل وزنه أو زادت كثافته ، كلما صار مسار الزمن فيه بطيئا .. ولما كانت النجوم تمر بمراحل مختلفة من الحجم والوزن والكثافة .. فان الازمان فيها تمر بمراحل مختلفة كذلك .. نفهم من ذلك اذا علمنا ان الشمس تفقد من مادتها في كل دقيقة ٢٤٠ مليون طن .

بل ان الزمن يختلف حسابه على الارض باختلاف مواقع القياس فيه فهناك فروق في التوقيت من مكان على الارض الى مكان آخر عليها .. كذلك يختلف حساب الزمن على الكوكب الواحد باختلاف وحدة القياس . فبناء على حركة القمر حول الارض، يكون الحساب القمري للزمن .. وبناء على حركة الارض حول الشمس يكون الحساب الشمسي للزمن على الارض .. وبين الحسابين فرق . فاذا حذفنا الكسور في الارقام نجد ان السنة القمرية ٣٥٤ يوما والسنة الشمسية ٣٦٥ يوما وان ٣٠٠ سنة شمسية تساوي ٣٠٩ من السنين القمرية .. فالزمن واحد في الحالتين ولكن الحساب مختلف .. وذكر ذلك الفرق في الزمن باختلاف وحدة قياسه في القرآن الكريم في الحديث عن اهل الكهف في قوله تعالى :

(**ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا**) الكهف/٢٥ .

والزمن في كواكب المجموعة الشمسية نفسها يختلف اختلافا كبيرا .. فالسنة في زحل اذا حسبناها بحساب الزمن بسنوات الارض يكون مقدارها ثلاثين سنة وفي اورانس اربعة وثمانين سنة .

وهل للشمس هي الاخرى سنة ؟.. ما دامت الشمس تتحرك فلابد ان لها زمنا خاصا بها .. فالشمس تجري في الفضاء في فلك حلزوني بسرعة ٢٥٠ كيلو متر في الدقيقة الواحدة .. تطوف حول مركز المجرة بهذه السرعة الرهيبة وتتم دورة واحدة في كل مائتي مليون سنة بحسابنا نحن للزمن ولكن مائتي مليون سنة بالنسبة لنا هي سنة واحدة للشمس .. واذا حسبنا عمر الارض بحسابه في الارض لكان خمسة الاف مليون سنة وعمر الشمس قد يكون ضعف ذلك .. ولكن اذا حسبنا عمر الشمس بسنوات الشمس نفسها نجد ان عمر الشمس خمسين سنة فقط وهكذا فحسابنا للزمن يختلف اختلافا كبيرا وعدنا للسنين عدا لا يمكن ان يكون صحيحا .. ولذلك يقول النص القرآني : (**كألف سنة مما تعدون**) وسبقت كلمة « ألف » بكاف التشبيه .

وان يوما من ايام الله تعالى لا يمكن

ان يكون كيوم من ايامنا فقوله تعالى : **(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** الحج/٤٧ يدل على ذلك واختار الله تعالى ان يخلق السماوات السبع والارض ومن فيهن في ستة ايام بدلا من ان يخلقها في أقل من لمح البصر .. وهو تعالى قادر على ذلك .. كما في قوله سبحانه : **(انا كل شيء خلقناه بقدر . وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)** القمر ٤٩ ـ ٥٠ . ويرى الرازي أن ذلك من تقدير الله تعالى ـ كما بينت الاية الكريمة ـ الذي وضع لكل شيء في خلقه مكانا ، وقدر له زمانا خاصا به .

ومن هنا نرى ان الزمن شيء نسبي .. فمثلا عصر الديناصورات على الارض انتهى منذ مائتي مليون سنة ولكننا اذا حسبنا ذلك بحساب سنوات الشمس لكان عصر الديناصورات انتهى منذ سنة واحدة .. وعمر الجنس البشري كله يومين .. وعمر انسان منا على الارض جزءا صغيرا جدا من الثانية .

وهكذا سيظل الزمن سرا من اسرار الكون ولن يستطيع الانسان ان يصل الى فهمه الفهم الكامل والصحيح .. وكل محاولات البشر في معرفة الزمن وحسابهم له لم تكن مجدية .. فهم لا يحيطون بعلم الاشياء ، فكيف يحسبون أزمانها ؟ وحتى تعريف الزمن لم يستطع الانسان الوصول اليه .. وهناك كلمات كثيرة نعبر بها عن الزمن مثل : وقت ، أجل ، قديم ، حديث ، مؤقت ، دهر ، مدة ، أبد ، حين .. وغير ذلك .. ومع ذلك يصعب ادراك معاني هذه الكلمات ..

ومما سبق يمكننا ان نفهم بعض ما في قوله تعالى من علم

(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) الحج/٤٧ ، وقوله تعالى : **(يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون)** السجدة/٥ ، وقوله تعالى : **(تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)** المعارج/٤

في آية سورة الحج سبقت كلمة « الف سنة » بكاف التشبيه ، وفي آية سورة السجدة لم تسبق كلمة « الف سنة » بكاف التشبيه دلالة على اختلاف الزمن في تلك الايام بحساب عدنا لها نحن ، ولذلك اختتمت الايتان بقوله تعالى : **(مما تعدون)** .

واية سورة المعارج تتحدث عن يوم اخر من ايام الله كان مقداره خمسين الف سنة .

هذه بعض الملامح عن موضوع الزمن .. وكيف ان علم الانسان فيه لا يعد شيئا مذكورا .. لأن الانسان لا يحيط بشيء من علم الله تعالى الا بما شاء .. **(ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)** البقرة/ ٢٥٥ . ، وشيء من علم الله تعالى .. هو أقل من قطرة من ماء من بحر محيط ليس له قرار والذي يحيط بالعلم ويحصى كل شيء هو الخالق البارىء سبحانه وتعالى وما كان حقا فمن الله عز وجل .. وما كان خطأ فمن الانسان .

الاسلام والحضارة

مؤذن

للاستاذ/ عبدالعظيم ابراهيم منصور

تحتاج الامم والشعوب وهي تعيد بناء الحياة على أرضها إلى تحديدات معينة تتناول جوانب الحياة كلها، لتكون نقطة الانطلاق، لتنشئة الانسان المتوازن القادر على حمل امانة التكليف، والقيام بواجبات العبودية لله في الارض، كمرحلة يجتازها، لا بد منها في طريقه الى حياة عليا نظيفة طاهرة، لا تقاس بملايين السنين، لانها الخلود في رحاب خالق الخلق، وواهب الوجود. ولعل اسمى التحديات واجلها على الاطلاق هي تلك المرتبطة بالفكر، باعتباره المنهل العذب، الذي لا يستغنى عنه كل من اراد ان يسلك الطريق، من فقده، فقد الدليل، فيمشي على غير سبيل، ويجري شوطه المقدر له في هذه الحياة، وقد اضطرب امامه الطريق، واشتبهت عليه معالم الجهات، لأنه سبق أن ارتوى من ماء آسن، وأكثر من غير طائل، فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب فيخبط خبط العشواء،

ويجري في اقتناص مصالحه على غير السواء، سواء ما تعلق منها بالدين



والدنيا ، والجسد والروح ، والأخلاقيات والماديات ، والغيبيات والحسيات ، وبالجملة كل ما يتعلق بالأسس التي يسير عليها خط التقدم الانساني وهو الأساس الأصيل للحضارة الانسانية إن تم الاهتداء إلى الأسس السليمة ، وسار هذا الخط في اتجاه الضبط ، دون أن يميل هنا أو هناك .

ونحن ـ المسلمين ـ حملة المنهج الالهي ، إلى أن تقوم الساعة ، والأمناء على مواريث النبوة النابعة من السماء ، أحوج ما نكون ونحن نعيد بناء الحياة من جديد ، أن نتلمس طريقنا من منبعه الصافي ، ومن منهله العذب ، لنعيد للبشرية ما ضاع من عافيتها ، ونسترد لها ما تم امتهانه من كرامتها ، ونقيم لها حضارة تتعاون فيها قوة الروح والأخلاق ، والدين والعلم ، والامكانيات المادية لاعادة صياغة الانسان الكامل من جديد ، بعد أن هانت عليه إنسانيته ، في ظل حضارات أو مدنيات ، أخصبت وازدهرت في كل ما ارتبط بماديات

الحياة ، ولكنها ماتت وأجدبت في القلوب والأرواح ، وما تبع ذلك من اختلال نظام الحياة واضطرابه ، فأصبحت تلك المدنيات كجسم ضخم متورم يملأ العين مهابة ورواء ، ولكنه يشكو في قلبه آلاما وأوجاعا ، وفي صحته انحرافا واضطرابا .

ولا شك أن هذا الموضوع عميق الغور ، واسع المدى ، أكبر بكثير من أن يتناوله قلم واحد ، كما أنه أكبر بكثير من أن يضمه كتاب واحد ، لذا اكتفي بابراز الفكرة ، بالقدر الذي يسمح بتبيان الأسس التي تقوم عليها الحضارة الانسانية ، وفقا لخط التقدم الانساني السليم .

لقد شهدت البشرية في تاريخها الطويل ، عبر القرون والأجيال نماذج من حضارات شتى ، صاغتها الشعوب في مئات السنين ، ولكنها ذهبت مع الأمس الدابر ، فلم يعد لها من الحاضر نصيب ، كما شهد تاريخ البشرية حضارة لم يحلم الانسان بأرقى منها ، ولم يفترض المفترضون حتى ازهى وأجمل وأكمل منها ، تعاونت في بنائها كل القوى ، قوة الروح المشع المرتبط بالملأ الأعلى ، وقوة الأخلاق والعلم ، والقوة المادية التي فاقت كل قوة في عصرها ، تلك هي الحضارة الاسلامية الفذة ، فكان ذلك برهانا ساطعا ، على أن طريق الأنبياء ، هو الطريق الطبيعي الوحيد لرسم خط التقدم الانساني ، وبناء الحضارة الانسانية ، في ظل نظام جاءت أحكامه من خارج النطاق الأرضي ، ومن خارج المحيط البشري ، لاسعاد العالم كله دنيويا وأخرويا ، فلا غرو أن يكون هذا النظام كاملا ، وحسبه كمالا أن يكون من عند الله ، الذي يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، وأحاط علمه بوجوه المصالح ، دقيقها وجليها ، خفيها وظاهرها ، ووضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه ، كما قال تعالى :

(صنع الله الذي أتقن كل شيء)
النمل/٨٨

انه يمكن تعريف الحضارة من وجهة نظر مجردة بأنها : صرح للحياة تم بناؤه في فترة زمنية معينة ، وترك أثاره في واقع الحياة ، ولست هنا بصدد التعرض لأنواع الحضارات التي تركت آثارها في واقع الحياة ، والتعرض للدواعي والأسباب ، التي دعت المشايعين لها لاعتبار المجتمعات التي عاشت في ظلها مجتمعات متحضرة أو متقدمة ، وطبع غيرها من مجتمعات بطابع التخلف والرجعية ، وجماع ما يمكن أن يقال بالنسبة لما شهدته البشرية من حضارات إن جاز اعتبارها حضارة بالمعنى الحقيقي للحضارة ، أن منها ما قام على مجموعة من الشرائع القانونية ، من صنع فريق من البشر واجتهاداتهم ، وبعضها كان للتمكين المادي ، والاتساع العمراني ، النصيب الأوفى في اعتبارها إحدى حضارات التاريخ ، وتتتابع مقاييس الحضارة ، فتختلف النظرة إلى تلك المقاييس ، باختلاف نوعية رجال الفكر ، ممن يتصدى

للرأي ، ويقيم الحجة على ما يرى ، فبعضهم يتخذ من الحياة الميسرة الآمنة للانسان مقياسا للحضارة ، بحيث إذا توفرت تلك الحياة للانسان بمقوماتها ، من مطعم وملبس ومسكن ، ومقررات التعليم ، وحق العمل ، والتأمين ضد أخطار المرض ، وما شابه ذلك ، من اعتبارات اقتصادية ، والبعض ينظر الى مقاييس الحضارة مردودة إلى القدر من الحرية المتاحة للانسان ، فاعطاء الألسن نصيبها من حرية القول ، والعقول نصيبها من حرية الفكر ، والنفوس قسطها من الجرأة والشجاعة ، إلى غير ذلك من حرية على اختلاف صورها ، حتى ولو أدت في النهاية إلى أن يهلك الانسان نفسه ، بافساد القيم الأخلاقية ، والاعتبارات الانسانية ، حتى ولو أدت ممارسة الانسان لحريته إلى حرمان الآخرين منها ، ما دامت الفرص متاحة للجميع على قدم المساواة ، ولكن لصفات طبيعية ومكتسبة لفريق تتوافر فيه ، وافتقار فريق آخر لتلك الصفات ، تجعل منهم ضحايا للحرية نفسها ، يعتبر هذا البعض هذا اللون من الحرية مقياسا للحضارة والتقدم ، وهكذا بالنسبة لما شهدته البشرية من حضارات ، لو أخضعناها وقسناها بالمقياس الحقيقي للحضارة ، لما أمكن وصفها بالحضارة ، أو وصف مجتمعاتها بالتقدم ، لأنها إن تميزت وانفردت بحسنة ، أو مجموعة من الحسنات ، لما تيسر تبرئتها من كثير من الخطايا والسيئات .

ومن هنا فان الحضارة التي قامت في ظلال الاسلام مستندة إلى خطوط من التقدم ، لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل ، هي الحضارة الحقيقية ، عاشت في ظلها البشرية أجمل أيام حياتها ، حيث أقام الاسلام عوج الحياة ، ورد كل إنسان في المجتمع البشري إلى موضعه لا يقصر عنه ، ولا يجاوزه إلى غيره فيتعداه ، فاتسعت آفاق النفس الانسانية ، وكبرت اهتماماتها ، فارتقت إلى الاستقامة الكاملة ، وارتفعت أهداف الانسان ، وتحرر لأول مرة من العبودية لمن هم مثله من البشر ، حكاما ومحكومين ، لتبقى العبودية كاملة لله ، وليرفض الانسان رفضا حاسما الخضوع ، والاستسلام لما سواه ، فتم إعتاق البشر من القيود والأغلال التي سبق أن ألغت الوجود الحقيقي ، لكثير من دول الأرض وشعوبها ، وتغيرت نظرة الناس إلى الحياة ، فلم يعودوا ينظرون إليها كأنها قفص من حديد ، يسعون إلى كسره وتحطيمه ، ولا يعدونها عذابا فيتخلصون منها ، ولم يعودوا ينظرون إلى الدنيا كفرصة لا حياة بعدها فيتهالكون عليها ، أو ينقضون على ما فيها من خيرات ، كأنها مال سائب ، يتقاتلون عليه ، ولم يعودوا ينظرون إلى الأمم الضعيفة كفريسة يتسابقون في اقتناصها ، بل أيقنوا أن الله خلق الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف وليس للتناكر والتباغض والتحاسد ، فتوارى الاعتزاز بالعصبيات والوطنية المعتدية ،

والجنسية الغاشمة ، ليحل محلها فكـرة الأخـوة الانسـانيـة للبشر جميعهم ، وبـالجملـة فلم تعـرف البشرية دورا من أدوار التاريخ ، كان أجمل وأكمل في كل نواحي الحياة ، من هـذا الـدور ، دور الخـلافـة الاسلامية الراشدة في تنشئة الانسان « الكـامل » ، وفي ظهـور المـدنيـة الصـالحة ، وقـوامها دين متبـع ، استروحت النفوس في ظلاله بـرد اليقين ، وحلاوة الايمان ، وبه تم صرف النفوس عن شهواتها ، فأصبح قاهرا للسرائر ، زاجرا للضمائر ، رقيبـا على النفـوس في خلـواتهـا وخطراتها ، نصوحا لها في ملماتها ، وبجانب الدين حاكم عادل ، يسوس المحكومين ، متبعا كتاب الله وسنة رسـوله ، وليس مبتـدعا ، فتـألف الأهواء المختلفة ، واجتمعت بهيبته القلوب المتفرقة ، وانكفت بسطوته الأيدي المتغالبة ، وانقمعت من خوفه النفوس المتعادية ، فأمن الناس على أمـوالهم وأنفسهم وأعـراضـهم ، وتحرروا من الخوف عليها ، فليس لخائف راحة ولا لحاذر طمأنينة ، وبجانب القاعدتين السابقتين خصب دار اتسع للجميع حكاما ومحكومين ، واشترك فيه ذوو الاقلال والاكثار ، فقل في الناس الحسد ، وانتفى عنهم التباغض والحقد ، وكثرت المواساة والتواصل ، وأمل فسيح اتسعت به النفـوس ، فحسنت علاقـة الفـرد بالفرد ، والفرد بالجماعة ، والجماعة بالفرد ، وسادت الثقة المتبادلة وحسن الظن ، بـين الحاكم والمحكـومين ، فاحتل الحاكم مكان القلب والروح من الجماعة الاسلامية ، كما كان اهتمام الحاكم بمصلحة المحكومين أكبر من اهتمامه بمصلحة نفسه ، من أجل ذلك ، وغيره ، على النحو الذي شهدته البشرية في الفترة الفذة ، التي عاش فيها الاسلام في ضمير الفرد ، وفي واقع الجماعـات الاسلاميـة ، ولا زالت ، وستظل تلك الفترة ، التي تربعت فيها البشرية على قمة سامقة ، تملأ الدنيا نورا ، وتسعد البشرية كلما حاولت الاقتراب منها ، وترسم خطاها ، اقول : إنه من أجل ذلك يكون الاسـلام هو الحضـارة ، ويكـون المجتمـع الاسـلامي هـو المجتمـع المتحضر ، بالمقاييس الثابتة ، التي وضعها للبشرية ، وهي مقاييس غير قابلة للتحول والتغير ، الأمر الذي يدفعنا الى استعراض الأسس التي تقوم عليها الحضارة الاسلاميـة ، وهي نفس الأسس التي قامت عليها تلك الحضارة في الماضي : لو ترسمها المسلمون في حاضرهم لعادوا كما كانوا أمنة للبشرية ، ، وعصمة لها من التصدع والانهيار .

اسس الحضارة الاسلامية

(١) : ان أرفع مقياس للحضارة ، وأعـلى خط من خطـوط التقـدم الانساني ، واقدسها أن تكون « لا إله إلا الله » وان « محمدا رسول الله » القاعدة العريضة العميقة والشاملة لمنهـج الحيـاة كلهـا ، بشعـائـره التعبـدية ، وشـرائعه القـانونيـة ،

وتصوراته الاعتقادية ، وقيمه الاخلاقية ، وعلاقاته الانسانية .

فاذا وجدت هذه القاعدة بعمقها ، وشمولها ، واتساعها ، وقام على أساسها منهج حياة ، فقد تحققت العبودية الحقة لله ، ومتى تحققت على الحد الذي حددته الشريعة الاسلامية الفذة في الأمور كلها ، فقد قام المجتمع المسلم المتجرد من العبودية لغير الله ، ومتى حدث ذلك ، امتلك كل إنسان زمام نفسه ، وجماع ما يمكن أن يقال عن امتلاكها ، أن الانسان يستطيع برفضه الخضوع والاستسلام لغير الله أن يرحل من المخلوقات إلى الخالق ، ومن الأكوان الى المكون ، دون أن تقف هذه أو تلك في طريقه إلى الله **(وأن إلى ربك المنتهى)** النجم/٤٢ وهذا تحقيق للعزة والكرامة في نفس الانسان ، إذ سيتحرر من الخوف على الرزق لأن الرزق بيد الله ، وسيتحرر من الخوف على المركز والمكانة ، لأن مالك الملك هو الله ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وسيتحرر من الخوف حتى على الحياة ، لأنه ما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله ، وسيتحرر من التبعية البغيضة ، والعادات الموروثة ، ليكون التلقي كله عن الله ، وسيرفض الهوان في الأرض ، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء ، وبالجملة سيتحرر الانسان من كل الحظوظ الدنيوية المادية والمعنوية ، بضغطها الساحق ، ووزنها الثقيل ، سواء أكان هو المالك لها ، أو غيره هو الحائز لها ، ولا شك أن التحرر على هذا النحو كفيل ، بأن يدفع الانسان إلى ان يستشعر السيادة لنفسه ، ويستهدف تحقيقها لغيره ، لأنه سبق أن اعترف وآمن بتلك القوة الالهية القاهرة ، فوق الخلائق أجمعين ، فلا تتحكم فيها الأهواء والبواعث والأغراض ، أحب الناس أم أكرهوا ، رضوا أم سخطوا استسلموا وانقادوا أم طغوا وتمردوا ، آمنوا أم كفروا ، وهذا هو المحك الصحيح لتحرير الانسان حيث الجميع في مقام العبودية لله على قدم المساواة ، بعيدا عن أسباب الصعود والهبوط في موازين الأرض .

وهذا ما أفاء به الاسلام على البشرية ، فأضاء للانسان الحياة يؤمن بنفسه ، ويؤكد عنصره ، مخلوقا مكرما عند الله ، وعند الناس ، وهذا أول مقياس ، بل أرقى مقاييس الحضارة على الاطلاق ، وأبرز خط من خطوط التقدم الانساني . وهذا ما يلحظه الباحث في تاريخ الانسانية الطويل ، عبرالقرون والأجيال ، من أن الجماعات الانسانية لا تستطيع أن تستغني عن عقيدة دينية ، كما لا يستطيع الفرد أن يعيش دون عقيدة ، يعتصم بها ، ويأوى اليها ، ويقيم كل علاقاته على أساسها ، ولم يقم من التاريخ الصادق دليل حتى الآن ، على أن عاملا من العوامل ، كان أقوى أثرا ، وأعظم فاعلية ، من عقيدة في الله ثابتة .. ، فلا نخوة الوطنية ، ولا رابطة القومية ، ولا تأصل الأعراف والشرائع والقوانين ، ولا ارتباط المصالح المادية .. كل هذه الشعارات

ليست بمغنية عن عقيدة دينية ، تتسع لكل ما في الوجود ، من ظاهر وباطن ، وعلانية وسر ، وماض ومصير ، والمتمعن في أحوال الأمم ، وسيرة الشعوب ، وسلوك الأفراد ، يلمس فعل العقيدة عند المقابلة والموازنة ، بين جماعة تعتصم بالدين ، وأخرى تنكره ، كما يلمس فعلها عند المقابلة بين فرد يأوي الى عقيدة دينية ، وآخر ليس له منها حظ ونصيب ، فالمؤمن كالشجرة الطيبة ، تأتيها الرياح ، تقومها تارة ، وتميلها تارة ، وهي ثابتة على أصولها ، وغير المؤمن كالشجرة الخبيثة لا تزال ثابتة على أصولها حتى إذا حركتها الرياح فيكون انجعافها مرة واحدة ، والحس والعادة والتجربة ، وأحوال الأمم التي لم تكن فكانت وارتفعت وعزت ، ثم انحطت وضعفت ثم مرضت خير شاهد على ذلك ، فالرفعة كانت ثمرة للعقيدة ، والضعف كان نتيجة مباشرة لانسحاب العقيدة ، من ضمير الأفراد ومن واقع الأمم والجماعات ، فبقدر نصيب الأمم من العقيدة ، يكون نصيبها من الرفعة والكمال ، فلا تسقط دولة وعقيدتها في الاله عالية ، ولا تعلو دولة وعقيدتها في الاله هابطة .

(٢) : ويلي هذا المقياس الحضاري العقائدي كأرقى خط من خطوط التقدم الانساني واثبتها ، مقياس يرتبط بالمقياس الاول ، هو تحكيم منهج الله ، بكل ما جاء به من أحكام ، تحل وتحرم ، تبيح وتحظر ، تأمر وتنهي ، لاخراج المخاطبين بأحكامها عن داعية أهوائهم ، لأن الله اعتبر الهوى مضادا للحق ، الذي نزل به الوحي ، في قوله تعالى : (**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**) . ص/٢٦

فاذا خرج الناس عن أهوائهم وأغراضهم ، تحقق لهم أمنهم على العقول والأنفس والأعراض والأموال ، وهذا هو المقصد الأسمى من وضع الشرائع ، لأن الشرائع والمناهج الالهية لم توضع عبثا ، بل وضعت لحكمة ومصلحة ، والمصلحة إما أن تكون راجعة إلى الله تعالى أو إلى العباد ، ورجوعها إلى الله محال لأنه غني ، ويستحيل عود المصالح إليه ، فلم يبق إلا رجوعها إلى العباد وذلك مقتضى أغراضهم ، ولن تتحقق مصالحهم وأغراضهم إلا إذا كانت شريعة ربهم التي شرعها لهم حاكمة لكل امورهم الدينية والدنيوية ، وعلى الحدّ الذي حدته الشريعة ، دون زيادة أو نقصان ، ودون تبديل أو تغيير ، سواء ما تعلق بالعبادات والمعاملات ، والعقائد والسلوك ، والروحيات والماديات ، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية ، والأرض والسماء ، والدنيا والآخرة ، وعن كل ما يصدر عن تلك الكليات من جزئيات من تشريعات وفرائض وتوجيهات وحدود ، وأراء في الحكم والمال ، وفي توزيع المغانم والمغارم وفي الحقوق والواجبات ، وفي علاقات الأفراد والأمم والجماعات .

(٣) : والمقياس الثالث للحضارة

كخط من خطوط التقدم الانساني ينضم إلى سابقيه : هو ضرورة الابداع المادي بكل صوره وأشكاله ، لأن الاسلام لا يمقت المادة ، بل يرغب فيها ، باعتبارها نعمة من نعم الله على عباده ، لاغنى عنها ، بل هي ضرورة ملحة ، ووسيلة شريفة ، لحياة حرة كريمة ، تليق بكرامة الانسان ، ولكن الاسلام وهو يمجد المادة ، ويعلي قدرها : يشترط ألا يكون التمكين المادي وسيلة من وسائل التسلط والسيطرة والغلبة والاستعلاء ، بل يطلب أن تكون المادة بكل صورها وأشكالها أداة من أدوات الرفاهية الاجتماعية والتقدم في شتى صوره وأشكاله وأحجامه ، وهذا لن يتأتى إلا برفع أهداف المادة ، والابتعاد بها عن أن تكون معتدية على حقوق الأفراد والجماعات ، سواء كان الاعتداء ماديا : بأن يكون تكوينها ، والاضافة إليها من طرق غير مشروعة ، وأن يكون إنفاقها هو الآخر في وجوه لم يشرعها الله ، أو كان الاعتداء معنويا : وذلك باذلال الأفراد والجماعات بما يقتل الهمم ، ويثبط العزائم ، ويحيل الأفراد الى مجرد أدوات لا يرجى منهم نفع ، ولا يعرفون لهم في الحياة وجهة ولا مصيرا ، وقد أشار القرآن الكريم إلى عينات من التمكين المادي المتعالي والمتغطرس في قوله تعالى :

(أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بانعام وبنين . وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . (أتتركون فيما ها هنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) الشعراء من ١٢٨ ـ ١٣٥ ، ومن ١٤٦ ـ ١٥٠ **(ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)** . القصص/ ٧٦ ، ٧٧ إن الاسلام وهو يزكي الابداع المادي ويباركه أيا كان شكله ، إنما يفترض أن يساهم في ترقية الحياة ، ورفع أهداف الانسان فيه ، وهذا ما حدث في صدر الاسلام إذ كان الأغنياء وأصحاب الثروات أسبق الناس إدراكا لحقيقة الثروة والغنى ، فالواحد منهم يخرج عن ماله كله طواعية واختيارا في سبيل الله ، وكان شعاره إذا جد من أمور الدولة ما يستدعي بذلا وعطاء ، ما قاله سعد بن معاذ عن نفسه وعن الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم قبل وقعة بدر « إنني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم .. وخذ من أموالنا ما شئت ،

وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت » .

(٤) : ورابع مقياس للحضارة ويمثل خطا بارزا من خطوط التقدم الانساني : ذلك الاعتبار الأخلاقي الضخم الذي سرى في كل الأحكام الاسلامية وتلبس بها :فجعل من الشريعة الاسلامية الشريعة ذات النزعة الأخلاقية العالية ، سرى في العقائد الاسلامية فطرح الانسان كل العقائد الواهية والفلسفات المخرفة والوثنية الضالعة ، وبقايا الديانات المحرفة ، ليفرد الوجهة إلى الله وحده تحقيقا لعزته وكرامته بعد أن أسقط كل الحواجز المصطنعة بينه وبين الله ليكون جديرا بالخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه ، وهذا أرقى خط أخلاقي تقدمي وأرقى الأمانات على الاطلاق عبر الله تعالى عنه في قوله عندما آخذ العهد على الأرواح في عالم الأشباح :

(**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**) . الاعراف/ ١٧٢

وامتزجت الاخلاق بسياسات الاسلام ، امتزجت بسلطات الحكم فتم استعمالها لصالح المحكومين فعدل الحكام في حكمهم ، وامتزجت بسياسة المال وأحكامه فابتعدت الأموال في كسبها وتنميتها والاضافة اليها عن الاحتكار والغش والسرقة والربا والرشوة كما ابتعدت في إنفاقها عن السطو على الاعراض والحرمات ، لتبقى الاموال نعمة من الله لها قدسيتها وشرفها طاهرة ونظيفة .

وتلبست الأخلاق بأحكام الحرب والقتال فكان المبرر الاخلاقي للحركة الاسلامية الجهادية والفتوحات الاسلامية قوله تعالى :

(**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) . آل عمران/ ١١٠

وقوله : (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) آل عمران/ ١٠٤ وبهذا تكون الفتوحات في الاسلام ليست للسيطرة والاستعلاء ، وليست بدافع امتصاص دماء الشعوب ونهب ثرواتها ، كما لم تكن بقصد اتساع الملك وبناء الامبراطوريات يرتعون وينعمون في ظلها ويتكبرون تحت حمايتها ، بل لم يقصد من تلك الفتوحات الا إبلاغ دعوة السماء إلى النفس البشرية والضمير الانساني في كل مكان استجابة لأمر الله لا خيار ولا تقدير لأحد في ذلك سوى الله ، بقصد بناء إطار عالمي رباني للبشرية تجد في ظله الأمن والطمأنينة والسلام ، كما تحقق في ظله الارتقاء الروحي بجانب ارتقائها المادي وتعمل في ظله للآخرة دون أن تنسى حظها ونصيبها من الدنيا ، وعلى هذا : فالفتوحات في الاسلام ليست إلا بسطا لسلطان الفضيلة وارتقاء الحق ، وتقليصا لظل الباطل لأن الفضيلة لا تحيا إلا بالجهاد لبسط سلطانها على الأرض وتموت إذا خذلها الانسان وتقاعس عن نصرتها . وهذا ما يلحظه الباحث

في تتبع ظروف ونشأة قيام الدولة الاسلامية والفتوحات التي تمت في الفترة الفذة من تاريخ الاسلام حيث تم استنقاذ شعوب كثيرة من الضياع والهلكة ، فتم الأخذ من القوي للضعيف ومن الغني للفقير ، ومن الحاكم للمحكوم ومن العالم للجاهل ومن السادة للعبيد ، وتم للناس الأمن على الأديان والدماء والأعراض والأنفس والأموال كل ذلك بعد أن عاشت البشرية أحلك أيام حياتها قبل مجيء الاسلام ، في ظل حكومات عم فيها الجور والعسف وتواضع رجالها على الخيانة والظلم وتسابقوا في أكل أموال الناس وسفك دمائهم وهتك أعراضهم . وامتزجت الأخلاق بسلوك الأفراد وسيطرت على تصرفاتهم فشهد المجتمع الانساني الاسلامي أعدل نظام اجتماعي شهدته البشرية تعامل فيه المسلمون بالايثار **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ وهو الخلق الاسلامي السامق الفريد الذي اشاعه ومكن له الاسلام في نفوس أبنائه ، فرفعهم مكانا عليا توارت بسببه الأثرة والأنانية ، تلك الآفة القاتلة لحقوق الناس وحرياتهم ، وتجاوز الاسلام بأبنائه معدلات الرجولة بكل مقتضياتها ليرتفع بهم إلى مقامات البطولة ، ذكرنا الايثار كعينة لها ونضيف اليها ما طلبه الاسلام من أبنائه من قول الحق ولو على النفس والأقربين ، **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)** . النساء/ ١٣٥ كما طلب الاسلام من أبنائه الترفع عن طلب الثناء على الاحسان في كل عمل **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)** الانسان/ ٨ ، ٩ الى غير ذلك من أخلاق فذة تجاوز بها المسلمون حدود الواجب إلى ما هو فوق الواجب ، ففتحوا أبواب الراحة على مصاريعها ، وأغلقوا أبواب الشدة فشهدت البشرية أعظم فترة في تاريخها في أمن وطمأنينة وسلام .

(٥) : مقياس آخر من مقاييس الحضارة وخط التقدم الانساني ينضم إلى ما سبقه من مقاييس هو ذلك الاخاء الانساني الذي أرسى أصوله الاسلام وأقام له القواعد ، يعمل المسلمون بمقتضياته فريضة من الله أمر بها وشدد ناهيا عن مخالفتها . فمن بين ما يتلقاه المسلم ويؤمن به بعد إيمانه بالله واحد يدين له بالعبودية كل مخلوق ، هو الايمان بأن التعارف والتآلف وليس التناكر والتباغض والتحاسد . هو الحكمة من خلق القبائل والأمم والشعوب واختلاف الأجناس والألوان واللهجات مصداقا لقوله تعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** . الحجرات/ ١٣ وعلى هذه القاعدة العريضة أقيمت الأخلاق الانسانية ، يعامل المسلمون بها غيرهم من

الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ممن لا يربطهم بالمسلمين رباط الاخاء الاسلامي المشدود بروح الاخلاص المؤزر بقوى العقائد . فلا ريب أن تكون الأخلاق الانسانية سمة بارزة وعلامة مميزة على صدر هذا الدين الذي يطالب أبناءه بأن يؤمنوا بأن البشرية من أسلافها إلى أعقابها لها نسب واحد ولها إله واحد ولها نهاية واحدة ، فالناس كلهم لآدم ، وآدم خلق من تراب ، ويجب أن يجري المسلمون في علاقاتهم بغيرهم على أساس الاخاء الانساني عند افتقاد اخاء الدين ، ورفض عقيدة المسلمين ، عن جهل بها ، أو عن استكبار وتعنت في قبولها .

واستجابة لما أمر به الدين كانت علاقة المسلمين بغيرهم .

ولم تستند الأخلاق الانسانية التي دعا اليها الاسلام في معاملة أبنائه لغيرهم إلى الاخاء الانساني وحده ، بل نجد أساسا قويا لها في قاعدة العدل التي يأمر بها الله الحكام والأفراد والجماعات المسلمة حتى مع أعدائهم ، وقد ازدحمت آيات الكتاب الكريم والسنة ، بالأمر بالعدل والنهي عن الظلم نخص منها قوله تعالى : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) النحل/ ٩٠

(**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) . النساء/ ٥٨ .

وإذا كان الله تبارك وتعالى يأمر بالعدل بصفة عامة في الآيتين السابقتين فقد أمر تبارك وتعالى بالعدل في القول في قوله تعالى :

(**واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**) . الانعام/ ١٥٢ ٧

ويجب إقامة العدل على النفس ، والوالدين والأقربين ، بالغا ما بلغت تكاليف إقامته ، قال تعالى :

(**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**) . النساء/ ١٣٥ .

وبغض قوم من الأقوام لأي سبب كان ، ينبغي ألا يميل بالمسلمين عن العدل أو يجرهم إلى الظلم ، أو يذهب بهم إلى حيث الأهواء والاغراض ، فيقول تعالى :

(**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**) . المائدة/ ٨ .

والاسلام ليس دين قواعد ومبادىء يمليها ، أو أصول نظرية ينادي بها ، إنما هو دين عمل وتطبيق لما جاء به من مبادىء وأصول ، نادى بها المسلمون ، وكان عملهم اظهر من قولهم واصدق .

ولقد رأت البشرية من صفات الأمة الاسلامية ما أيقنت معه أن تلك الأمة تحمل إلى الانسانية رسالة الحق

والخير ، وانها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها وأعمالها ، وأن الذي اعتقدته وتخلقت به ودعت الأمم إليه هو الحق الذي قامت به السماوات والأرض وبعثت به الرسل وأنزلت به الكتب .

ولقد كانت الأخلاق الانسانية وصية النبي إلى الأمة الاسلامية ، كما كانت وصية الخليفة إلى من سيخلفه في سياسة الدولة وقيادة المسلمين ومعاملة من يقيم على أرض الاسلام من المخالفين للمسلمين في العقيدة والدين .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر المسلمين بالرفق بأهل الذمة حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم فقال : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما » البخاري وغيره كما قال عليه الصلاة والسلام « من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » رواه الخطيب .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا ، أن يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم » .

ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي . قال : فما ألجأك إلى ما أرى . فقال : الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل . ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : أنظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم « **انما الصدقات للفقراء والمساكين** » التوبة/ ٦٠ والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه . ولم يتخذ الاسلام من الأخلاق الانسانية تدبيرا من تدابير السياسة وحيلة من حيل الحكم يلجأ المسلمون إليها عند الحاجة ، ويتخلون عنها عند الطاقة والمقدرة ، بل جعل الاسلام تلك الأخلاق أمانة من أمانات الاسلام وخلقا شريفا يكاد الخارج عنه أن يخرج عن إنسانيته . لذا كان الأصل القطعي الذي أمر الله به المسلمين والتزموه في معاملة المخالفين لهم في الدين هو البر بهم والعدل في معاملتهم ، والوفاء بعهدهم كما في قوله تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين-إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) . المتحنة/ ٨ ، ٩ .

(**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**) . النحل/ ٩١ .

وفي تلك الدائرة العالية كانت علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب فيما عدا الحالات التي يساق فيها المسلمون بحكم الضرورة ، وعندما يحدث الاخلال المستمر من غير المسلمين بعهد قطعوه ، أو فتنة يستغلونها ، فلا تثريب على المسلمين إن هم انتصروا لدينهم ، أو حافظوا على وحدتهم بكل ما يرونه بذلك كفيلا .

وهذا ما تعلمه المسلمون من أصول دينهم وجرى عليه واقعهم ، وما زالت البشرية ترى ومضات من تلك الأخلاق الانسانية في معاملة المسلمين لغيرهم ، في كل وقت يملك فيه المسلمون القدرة على القصاص من مظالم السنين السابقة التي لحقت بهم من غيرهم عبر السنين والأجيال ولم يقم من التاريخ دليل حتى الآن على أن أقلية مسلمة تمتعت على أرض غير إسلامية بما تمتعت وتتمتع به جميع الأقليات غير المسلمة على أرض الاسلام وبين المسلمين .

تلك هي أبرز خطوط التقدم الانساني ، عقيدة في الله ثابتة تعتبر مركزا لتجمع المسلمين ينطلقون منها ويعودون إليها ، منهج كامل للدين والدنيا يرتكز على هذه العقيدة يعمل المسلمون بكل ما أتى به من أصول وأحكام على الحد الذي حدته الشريعة الاسلامية دون زيادة فيها أو نقصان من منها اتساع عمراني وتمكين مادي بكل صوره واشكاله ، أخلاق فاضلة ثابتة تسيطر على السلوك والتصرفات وتتناول الفرد والأسرة والدولة والمجتمع ، وتعتبر تلك الخطوط في النهاية إذا اجتمعت ووجدت طريقها إلى واقع أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات أعلى مقياس للحضارة وهذا ما تحقق لأول مرة بمجيء الاسلام ، فشهدت البشرية حضارة إسلامية كانت في غنى عن العالم كله ، ولم يكن العالم في يوم من الأيام في غنى عنها فقيم روحية وأخلاقية عالية ، ونجاح مادي واتساع عمراني ، تقدم علمي سامق فريد ، معاني إنسانية عالية سادت العلاقات ، تخلت بسببها البشرية عن طبائع القهر والاستبداد ، فما أحوجنا اليوم ونحن على الطريق أن نعيد تقديم هذا الزاد إلى البشرية مرة أخرى لتطوي به واقعها المؤلم كما سبق لها أن طوته بمشرق الاسلام ، وتستأنف السير على الطريق إلى الله ، دون أن تضطرب أمامها السبل أو تشتبه عليها معالم الجهات ، وإن لم تفعل فستظل تائهة في بيداء المهالك والضلالات وما أصدق قوله تعالى :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) . العنكبوت ٤١

وما أعظم ما قاله عمر بن الخطاب رمز العدالة في تاريخ الانسانية بعد الرسول والأنبياء لأمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح .

« إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » .

وهذا هو الطريق ..

لماذا أحجم الأوائل عن تدوين السُّنّة

للدكتور
محمد محمد
الشرقاوي

ثلاثة أسباب هامة حالت بين إقدام المسلمين الأوائل - وأعني بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين - عن تدوين السنة بما فيها من اقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وافعاله وتقريراته وصفاته الخلقية وشيمه الخلقية ، وهم الحريصون كل الحرص على حفظ معالم الدين ، وإحاطته بسياج منيع من العناية والرعاية والاهتمام .. والواقع انهم لم ينصرفوا ويصرفوا الناس معهم عن تدوين السنة عبثا او صدفة او جهلا بالكتابة والتدوين ، أو افتقارا الى الامكانيات والوسائل .. وانما اختمرت في طواياهم هواجس حسبوا لها كل حساب ، وحالت بينهم وبين هذا التطور العلمي الذي تمخضت عنه الايام فيما بعد ، وصيرته ضرورة علمية دينية ، وخلعت عليه باجماع الامة صفة الواجب الكفائي الذي اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، واذا لم يقم به واحد من الامة اثم الكل ووقعوا تحت طائلة المؤاخذة والمسئولية .

ولنبدأ بالبداية .. فالرسول عليه الصلاة والسلام الذي اتخذ لنفسه كتابا للوحي يسجلون عنه ما نزل عليه من لدن ربه ، قرآنا متعبدا به معجزا للبشر ومتحديا باقصر سورة منه .. هو الذي نهى عن كتابة الأحاديث التي تفيض بها اقواله وافعاله وتقريراته في مطلع الاسلام ، وفي الوقت الذي تكاثر فيه الكتبة لديه بما فيه الكفاية فقد كان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه من الملازمين للكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم في الوحي وفي غير الوحي ، وكان يزامله في ذلك ثابت بن قيس ويزيد بن ابي سفيان اخو معاوية ، والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعلاء الحضرمي وعمرو بن العاص وعبيد الله الحضرمي ومحمد ابن سلمة وعبدالله بن عبدالله بن ابي ابن سلول .. كل هؤلاء كانوا طوع أمر الرسول ورهن إشارته .. لو أنه أشار عليهم بتدوين الاحاديث كما كانوا اطوع له من بنانه في كتابة آي الذكر الحكيم في الصحف حينا ، وفي جريد النخل (العسب) او الأكتاف (العظام العريضة الرقيقة) او في اللخاف (الحجارة البيض الرقيقة) حينا آخر فالوسائل الكفيلة بحفظ السنة وتدوينها كانت متوفرة على القدر الذي تسمح به الظروف خوفا من الضياع ، وحماية لها من النسيان والفوات .. والكتاب كذلك مؤهلون بايمانهم واستعدادهم لمثل هذه المسئولية الخطرة .. بيد ان للمسألة خلفية اخرى تبدو فيها وجاهة الفكرة ، وسداد الرأي ، وهي أن القرآن في ذلك الوقت كان ينزل منجما حسب الحوادث والأحوال والمؤمنون يتتبعون نزوله بفارغ الصبر ، وعظيم الاهتمام وكانت الهمم كلها منصرفة الى تلقي هذا الفيض الالهي بكل دقة وعناية .. فلم يكتفوا فيه بالحفظ في الصدور بل اضافوا اليه تخطيط السطور .. لتتضافر كل الجهود في الحفاظ على نصه المقدس .. فلو أن السنة في هذه الحال حظيت بما حظي به القرآن الكريم من تدوين وكتابة ، وجمع بالصدور وبالسطور لاختلط الأمر ، ولكان إفراز كل منهما عن الآخر عسيرا صعبا .. وأقل ما في الأمر انتهاز المنافقين والمتربصين هذه الفرصة السانحة للكيد للاسلام ، والتشويش على مصدر الشريعة الاول ، بالخلط والتمويه واشاعة القيل والقال فلذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم بكياسته وفطنته ، وذكائه وبعد نظره يأمرهم بكتابة القرآن وحده بين يديه ، وينهاهم عن كتابة غير القرآن وفي ذلك يروي مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » ، ويؤيد هذا ما روى عن أبي سعيد : « كنا قعودا نكتب ما نسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج علينا ، فقال : ماذا تكتبون ؟ فقلنا : ما نسمع عنك . فقال : أكتاب مع كتاب الله ؟، امحضوا كتاب الله ، وخلصوه » ومثل هذه الفكرة طافت

بخلد ابي بكر رضي الله عنه الذي دعاه حرصه على الدين اولا الى ان يجمع خمسمائة حديث ثم قال لعائشة ائتيني بنار فلما جاءته بها احرق ما جمع .

ومن هنا تبدو لنا الحيرة المتمثلة في تفكير الخلفاء الراشدين .. فقد تنازعهم عاملان : اولهما الحرص على السنة وكتابتها وتقييدها في الصحف خوفا من اندراسها أو اختلاطها أو دس الدساسين فيها وهو امر محبب الى النفوس اثير لدى العقول الناضجة ، والقلوب المتفتحة التي كان يتحلى بها الصحب الاوائل ، وثانيهما الخوف من مزاحمة القرآن في أخص خصائص حفظه وهي كتابته وتدوينه .. ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « اني كنت اردت ان اكتب السنن ، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، واني والله لا اشوب كتاب الله بشيء ابدا » ولم يدون السنة ، وتركها رهينة الوعي والذاكرة وفي هذا ايضا قال ابو سعيد الذي روى حديث النهي عن كتابة السنة حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنكتب ما نسمع منك ؟ قال : أتريدون أن تجعلوها مصاحف » وفي ضوء هذا يفسر ما جاء عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من كراهة كتابة الحديث وامرهما بالاقتصار على كتاب الله تعالى في الحلال والحرام ، بل بلغ الامر بهما الى حد انهما كرها رواية الحديث كثيرا بله كتابته .. لحرصهما الشديد جدا على التأكد والتثبت مما يروى بعد ان اكثر المكثرون من الرواية ، وتعددت النقول وتخالفت أحيانا ، ولهذا كانا يطلبان شهودا في كثير من الأحيان ليزكوا الراوي فيما ينقله من الاحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته .

على اننا لا نكاد نفرغ من عرض هذه الفكرة الرائعة التي حدت بالرسول وصحبه الى منع تدوين السنة حتى نجد اخبارا اخرى صحيحة تفيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اذن لبعض الصحابة في كتابة السنن ، وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حين استدار الزمن استدارة ملائمة ، بما جعل هذا الاذن امرا مستحسنا لاحرج فيه ولا خوف منه ولا تثريب عليه .. ذلك ان امر القرآن الكريم كان قد حسم حسما تاما .. فتمت الآيات تقريبا ، ودونت ، وحفظت ، وعرفها الجمع الكثير من الحفاظ بما يؤمن عليها من الضياع ، أو الاختلاط .. بعد ان اقامت الأمة التي لا تجتمع على ضلالة ـ كما اخبر عنها الصادق المصدوق من عقولها وصدورها ، ووعيها وآذانها حصونا منيعة لحفظ هذا التراث العزيز من النص القرآني المقدس من أي تلاعب أو دس أو دخل فلما تقدم الزمان ، واستقر وضع القرآن الكريم ، أذن الرسول في مزاولة رسالة العلم والتعلم ، وفتح الباب للكتابة لكي تؤدي وظيفتها الأساسية للحاضر وللمستقبل في تدوين سننه ،

وتضمينها للصحائف والسطور لتساهم بدورها في خدمة الانسانية ، ورعاية الحق ، وحفظ الحقيقة ، وحينئذ نسمع قوله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق » وأشار الرسول الى فمه صلى الله عليه وسلم ونسمع قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وكان يخطب « اكتبوا لأبي شاه » وذلك حين سأله ابو شاة الكتابة لانه لا يحيط بكل ما يسمع وهذا اصح ما في الباب .

ونسمع قوله صلى الله عليه وسلم لرجل سيىء الحفظ : « استعن على حفظك بيمينك » وقوله لرافع بن خديج حين قال له : يا رسول الله .. انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ فقال : اكتبوا ولا حرج » .

ونرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب كتبا في الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره .

ونراه صلى الله عليه وسلم في آخر لحظات عمره يقول : « إيتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » لولا ان عمر رضي الله عنه اعترض على ذلك وقال ان النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، .. فلما اختلف الحاضرون ما بين مؤيد للكتاب ومعترض عليه قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « قوموا عني فلا ينبغي عندي التنازع » .

ولذلك بقي اهل المائة الهجرية الأولى متحفظين من الكتابة في الحديث ، متهيبين لها ، حذرين منها ، وان كتبت احاديث فانما في نطاق ضيق ، ومن اوثق المستويات العلمية ، وبقدر قليل بل أقل من القليل ، وكان هناك سبب آخر يحول بينهم وبين تدوين السنة وهو الخوف من هجران القرآن الكريم ، والاشتغال بالكتب الاخرى التي تحتوي على السنن والاحاديث والسير وثمت سبب لا يقل اعتبارا ووزنا عما سبقه وهو الخوف على الذاكرة من الوهن والخور ، والضعف والفراغ حين تعتمد اعتمادا كليا على الكتب والمسانيد ، وما الى ذلك مما طلع به الزمان فيما بعد ولذلك قال الزهري : « كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين » ومثل ذلك نقل عن الأوزاعي .. حتى ان سفيان الثوري كان يكتب الحديث أولا وخاصة اذا كان طويلا فاذا حفظه محاه ، وحذا حذوه حماد بن سلمة .

الا ان تيار الرغبة الجامحة في الكتابة كان جارفا ، وزحف المدنية والحضارة اثر الفتوحات الاسلامية المتعددة كان هادرا مدمرا ، فلم يلبث ان اجمع المسلمون شرقا وغربا كما قال ابن الصلاح في مقدمته على ضرورة كتابة الاحاديث وتدوين السنة وتسويغ ذلك وقال : « ولولا ذلك لدرس الحديث في الأعصر الآخرة ، ولا سيما بعد أن أخذت قرون الفتن والدسائس تطل من اوكارها ووجدت في احاديث الرسول وسنته مرتعا خصيبا لألاعيبها ودسائسها ومؤامراتها على الاسلام المحقود عليه » .. فلذلك

سارع العلماء بكل همة ونشاط الى العمل ، وشمروا عن ساعد الجد لتدوين الأحاديث بعد هذا الكبت الطويل من الاحجام عن كتابتها ، واللهفة الحثيثة لتضمينها الصحائف ، والمدونات حتى تكون أخلد على الدهر من الدهر ، وحتى تقطع الطريق على أمثال هؤلاء الحاقدين خوفا من التلاعب بهذا التراث الغالي ، والكيد لذلك الدين الحنيف .. فما كاد يهل على الأمة الاسلامية القرن الهجري الثاني حتى كان لكل طالب علم كراسة او كتاب فيه أحاديث وسنن ، وشاع التدوين وذاع ، وملأ البقاع والاصقاع ، وصار ضرورة العالم والمتعلم على السواء وكان ذلك زمن التابعين وأول ما جمعت الأحاديث بصورة مصغرة منظمة كان على يد عامر الشعبي سنة ١٠٣ هـ ثم عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج البصري سنة ١٥٠ هـ ثم موطأ مالك بن انس سنة ١٧٩ وكانت تضم احاديث الرسول وفتاوى الصحابة والتابعين وتسمى المصنفات او المجاميع .. ثم ظهر في الأفق لون جديد لمؤلف جديد يحمل اسم المسند وهو يجمع احاديث كل صحابي على حدة تحت اسم مسند فلان ، وأول مسند ظهر هو مسند الطيالسي سنة ٢٠٤ هـ ، ثم تتابعت المسانيد ، وأوفاها قدرا ، وأعظمها فخرا : مسند الامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١هـ وهو من أتباع أتباع التابعين ثم ظهرت الكتب الستة الصحاح في هذا العصر أيضا وأولها بلا منازع هو صحيح الامام البخاري سنة ٢٥٦ هـ ثم مسلم سنة ٢٦١ والراجح ان اول حاكم امر بجمع السنة بصفة رسمية هو عبدالعزيز بن مروان بن الحكم والد عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين وكان واليا على مصر وقد طلب بوصفه واليا من كثير ابن مرة الحضرمي الذي ادرك سبعين صحابيا بدريا في حمص ان يكتب اليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديث ابي هريرة رضي الله عنه فانه كان عنده .. ثم جاء بعده ابنه عمر بن عبدالعزيز فاقتفى أثر والده (ومن يشابه أبه فما ظلم) واتخذ خطوة حاسمة لحفظ الحديث من الاختلاط بغيره فكتب الى الآفاق : « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وامر ابن شهاب الزهري وأبا بكر بن حزم بجمع السنن وهكذا بدأت قصة تدوين الأحاديث والسنن في حذر شديد ، وخطوات وئيدة فيها حرص على القرآن أولا ، وعلى الذاكرة الاسلامية ثانيا ، وعلى عدم الاشتغال بكتب أخرى غير المصاحف التي كان يخشى عليها من تعشيش العنكبوت عليها بعد مزاحمة كتب السنة لها .. ولكن الحكمة والروية التي هيأها الله تعالى لهذه الأمة قد حفظت القرآن حفظا شاملا ، كما حفظت السنة حفظا كاملا ، ولم يعشش على المصاحف العنكبوت كما تخوف المتخوفون ، ولا ضعفت الذاكرة والهمة كما تهيب المتهيبون وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم .

من المسئول عن تربية النشء

للدكتور/احمد حمد

مفهوم التربية

لا نود أن نحدد مفهوم التربية على أساس من النظريات الفلسفية التي شغلت الأفكار قديما وحديثا وربط الفلاسفة بها مناهج التربية والتعليم ، فليست هذه النظريات إلا جهدا فكريا يشهد بقصور البشر عن

إدراك الحقيقة وتصور الكمال .

ولقد قدم هؤلاء تعريفات للتربية تؤكد نظرتنا فيهم وحكمنا عليهم فالفيلسوف يعبر عن وجهة نظره فيقول عن التربية : « التربية فن لا يصبح كاملا إلا عن طريق أجيال عدة » ويقول هيجك : « إن عملية التربية صراع بين طبيعة الانسان الحيوانية وطبيعته العليا الروحانية » . أما فروبل فقد كان أعمق نظرة إلى التربية حيث يقول في كتابه تربية الانسان : « إن كل شيء يتحكم فيه قانون أزلي ، وهذا القانون يعبر عن نفسه بكل جلاء فيما حول الانسان ، أي الطبيعة ، كما يتحكم في ذات الانسان أي النفس ، كما يتحكم فيما يربط الاثنين معا أي الحياة ، وعلى هذا الأساس يوجد كائن هو أرقى الكائنات بصيرة وأعظمها قوة ، هذا الكائن هو الله الذي منه ينبع كل شيء فيخضع لسيطرته وإرادته ، فالله هو الأساس الوحيد لكل شيء ، إذ هو الذي يحكم هذه الحياة ، والأشياء تأخذ وضعها الطبيعي لأن الله هو الذي ينظم أمرها » .

والتربية في نظرنا هي تقويم الفرد قلبا وعقلا وسلوكا بالأصول الثابتة من وحي الله .

ضلال الفلسفات

ولقد تخبط الفلاسفة ومن سار على منهجهم من التربويين في اختيار السبيل الأمثل لتربية النشء ، وتعددت مدارسهم ، وتعارضت مناهجهم وظهر في أفق هذا العصر من هم أنصار للفلسفة التي يقوم على أساسها التربية الطبيعية ، ومن هم أنصار الحركة النفعية ، أو من يسمون البراجماسيين ، وهؤلاء لم يستطيعوا أن يصلوا إلى الغاية أو يحققوا الهدف المنشود في العملية التربوية ، كما أن سابقيهم من فلاسفة اليونان قد أخفقوا إخفاقا شديدا في رسم منهج تربوي سليم تسير عليه الأجيال تلو الأجيال .

النفس الانسانية :

والنفس الانسانية من خلق الله ، فيجب أن يكون منهج تربيتها وتزكيتها من وضع الله ، والاتجاه نحو هذا المنهج الالهي لفهمه فهما دقيقا وتطبيقه تطبيقا سليما هو الذي يضمن للبشرية سيرها المتوازن وصلاحها المنشود .

وإذا كان كل ما يحيط بالانسان من أسباب الحياة والعيش إنما هو من وضع الله فلماذا لا تكون مصادر تربيته وتقويمه وتزكيته من صنع الله كذلك ؟ هل يستنشق الانسان هواء ، او يشرب ماء ، أو يتناول غذاء ، أو يرتدي كساء أوجدته او خلقته يد البشر ؟ إن الهواء والماء والغذاء والكساء من خلق الله أوجدها بصفات معينة وبمقادير متوازنة لا يستطيع البشر بعمق معارفهم وقوة سلطانهم وتطور مخترعاتهم أن يخلقوا مثلها أو شيئا منها :

(أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون) الواقعة ٥٨ ـ ٧٢ .

(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يتذكرون) الاعراف/ ٢٦

إن الأسباب التي بها يتكون البناء الجسمي للانسان وينمو ويحافظ على صحته وبقائه إنما هي من خلق الله ، ومن المنطق المعقول والمقبول أن يكون البناء النفسي للانسان قائما على أسس ومناهج من المصدر نفسه وهو الله ، فالبناء النفسي والبناء الجسمي وحدة متكاملة ، وأي اختلال في أحدهما له أثره المباشر على الآخر ، فاذا فسد الهواء هزل الجسم ، وضاقت النفس ، وإذا فسدت التربية فسدت النفس وضاق العيش : **(ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)** طه/ ١٢٤ .

عناصر التربية السليمة :

والتربية السليمة لابد لها من عناصر تضمن فعاليتها وتؤكد سلامتها وهذه العناصر هي :

١) **عنصر الثبات** : والمقصود بذلك أن تكون التربية قائمة على أساس ثابت لا يتغير بتغير البيئات ولا يتطور بتطور العصور .

ولقد فقدت ألوان من التربية بهاءها وجدتها لأنها كانت وليدة البيئة ونتاج العصر ، ثم عقم إنتاجها وزال أثرها بتغير البيئة وتجدد الزمن ، فالتربية الاسبرطية كانت تهدف إلى تزويد كل فرد بقدر من الكمال الجثماني والشجاعة ، وغرس عادات الطاعة العمياء للقانون ، ولذلك تحكمت الدولة في طريقة تربيته من أول الأمر بعيداً عن أسرته .

أما أثينا فقد انتهجت قديما نهجا مخالفا ، إذ أرادت أن يكون الفرد ـ وهو يطيع دولته ويقوم بواجبه ـ متمتعا بقسط من الحرية ، وإن كان تحت مراقبة دقيقة من موظفي الدولة .

وفي عصر الانتقال كان هدف التربية زيادة الاهتمام بنمو الفرد أكثر من الاهتمام بشؤون الدولة ، حتى لا يصبح الفرد مجرد مواطن خادم للدولة ، ثم جاءت التربية اليونانية في عصرها الأخير لتهدف إلى سيادة المصلحة الفردية .

ثم يأتي العصر الحديث ليصبح من مميزات الفكر المذهب الطبيعي ، فقد

أسبغ (بيكون) على الطبيعة ثوبا فضفاضا من التبجيل والاحترام . والاغراق في تقديس الطبيعة قد تولد عنه منهج آخر معاكس ، وهو المذهب المثالي ، الذي يؤيده كثير من علماء التربية أمثال بستالوتري وفختـه وفروبل وبرس نن .

ولكن ما لبث المذهب الطبيعي أن حاول تضييق مجال الخلاف بينه وبين المذهب المثالي ، ثم لبس قناع مذهب النفعية أو البراجماسية التي أصبح (جون ديوي) من رجالها ، والتي تمثل الاتجاه الامريكي في وقتنا الحاضر .

وعلى الرغم من تناقض هذه المذاهب التربوية فان المعنيين بالتربية في البلاد الاسلامية يأخذون بها على تناقضها ويتجاهلون ما بها من أخطاء ، وما تتضمن في مناهجها من أسباب نبذها وعدم الاحتفال بها . وعنصر الثبات في التربية يجنب علماء التربية الوقوع في هذا الخطأ ، بل يعطي الأساس المتين لمنهج تربوي ثابت يمكن أن يطبق في كل مصر وفي كل عصر .

٢ ـ عنصر الاهتمام بكل جوانب النفس : فلا يهتم المربي بجانب من جوانب النفس على حساب جانب آخر . والمناهج التربوية التي اهتمت بنواحي خاصة في التربية لظروف خاصة وأهملت جوانب أخرى ، لم يكتب لها البقاء ، وانتهى أمرها بانتهاء الظروف التي أملتها .

وإذا بحثنا في المناهج التربوية قديما وحديثا لا نجد منهجا واحدا يستطيع أن يعالج كل جانب من جوانب النفس ما عدا منهج الاسلام ، فانه كما يهتم بالجانب المادي اهتماما كبيرا . **(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)** الاعراف/٣١ .

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور/٣٢ . **(ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ . « علموا أبناءكم السباحة والرماية » رواه الديلمي « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم .

يهتم الاهتمام نفسه بكل الأجهزة الفكرية : **(أفلا تعقلون)** ، **(أفلا تتفكرون)** **(أفلا تبصرون)** **(أفلا تتذكرون)** ، **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)** يونس/١٠١ **(قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)** سبأ/٤٦ .

وبكل المشاعر العاطفية : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)** آل عمران/١٣٩ . **(ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان)** الحجرات/٧ . « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين وغلبة الرجال » رواه احمد . **(إن**

الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) فاطر/٦ .

وبكل الأشواق الروحية : **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم)** فصلت/٣٠ ـ ٣٢ . **(فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى)** الليل/٥ ـ ٧ **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) . (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا)** الطلاق/٢ و ٥ ، **(إن الله مع الصابرين) (إن الله مع المتقين) ، (إن الله لا يضيع أجر المحسنين)** ، « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » رواه مسلم واحمد .

بل إن هناك جانبا بالغ الأهمية في العملية التربوية ونقرر هنا أن هذا الجانب لم يحظ بأي اهتمام في مناهج التربية كما حظي في منهج الاسلام ، هذا الجانب هو الجانب الأخروي . وأي منهج تربوي يغفل عن هذا الجانب أو يتجاهله يعتبر منهجا مبتورا . يشهد على نفسه بعدم صلاحيته ، ولذلك كان المنهج الاسلامي حريصا على أن يضع الدار الآخرة في بؤرة الشعور ومركز الاحساس وعصب الفكر وسويداء القلب عند كل مسلم ومسلمة : **(وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)** العنكبوت/٦٤ . **(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** الحديد/٢٠ و ٢١ .

٣ ـ الموازنة بحكمة ودقة بين مقادير المعلومات المطلوبة لتزكية هذه الجوانب :

ومع الثبات والشمول لابد من الموازنة بين مقادير المعلومات والمعارف في مجال التربية ، وأخذ ذلك بدقة وحكمة ، كيلا يطغى جانب على جانب ، اويقع في النسيان أو الاهمال أحد هذه الجوانب .

ومناهج التربية قديما وحديثا تؤتي من هذا الجانب ، ولذلك فهي لا تؤتي أكلها ولا تستطيع البقاء إلا مستندة

إلى قوة تفرضها وتلزم الناس بها .

والحق إن الموازنة الحكيمة الدقيقة بين مقادير المعلومات في مجال التربية أمر صعب لا يقدر عليه إلا من أوتي بصيرة نافذة وعقلا حصينا وتجربة طويلة في هذا المجال . ولن يستطيع علماء التربية وفلاسفتها ، مهما أوتوا من بصيرة نيرة وتجربة واعية أن يحققوا هذه الموازنة بدقة إلا إذا أخذوا كتاب الله بقوة ، فان هذا الكتاب الذي يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، هو الكتاب الذي يعطي لعلماء التربية في معظم سوره النبراس الهادي في هذا السبيل . ولنأخذ سورة البقرة مثالا في هذا المجال ، فانها تبدأ بتقسيم البشر إلى أصناف ثلاثة تتناول كلا منها بالشرح والتفصيل بمقدار يتناسب مع ما يتطلبه العقل لمعرفة هذا الصنف أو ذاك ، ثم تدعو الناس إلى عبادة الله وحده بقدر يكفي استثارة نفوسهم بهذه الدعوة وإقناع عقولهم بهذا الحق ، ثم تعرض الحوار الذي تم بين الله وملائكته في موضوع الخلافة في الأرض ، ثم كيف تقلد آدم هذه الخلافة وكيف أقام في الجنة هو وزوجه وكيف خرجا منها ، ثم تتناول بني اسرائيل كاشفة اللثام عن انحرافاتهم في العقيدة والسلوك وتزوير الحقائق ، ثم تضع تشريعات محكمة في مجالات شتى كالقصاص والحرب والزكاة والحج والنكاح والطلاق والبيع والربا والدائن والمدين .

كيف تألقت وتآلفت هذه الموضوعات المختلفة في مقادير متناسبة وبتناسق محكم ؟ هذا أمر يحتاج من كل مختص في مجاله إلى دراسة متأنية ، وهذه الدراسة المتأنية إلى جوانب النفس المختلفة وحاجة كل جانب منها إلى الاشباع بمقدار مناسب من المعلومات تدعو علماء التربية بالحاح إلى المبادرة إليها والتعمق فيها .

طريق النجاة

وسيظل العالم كله في عصرنا الذي نعيش فيه يتخبط في نظريات مبترة قاصرة كما تخبط قديما في عصوره الغابرة ، ثم يصطدم واقعه المؤلم بهذا القصور والابتار ، ولن ينقذه من شطحات هذا التخبط في مجال التربية إلا إذا جد في البحث واهتدى إلى الطريق الذي يكفل له السلامة ويضمن له النجاة .

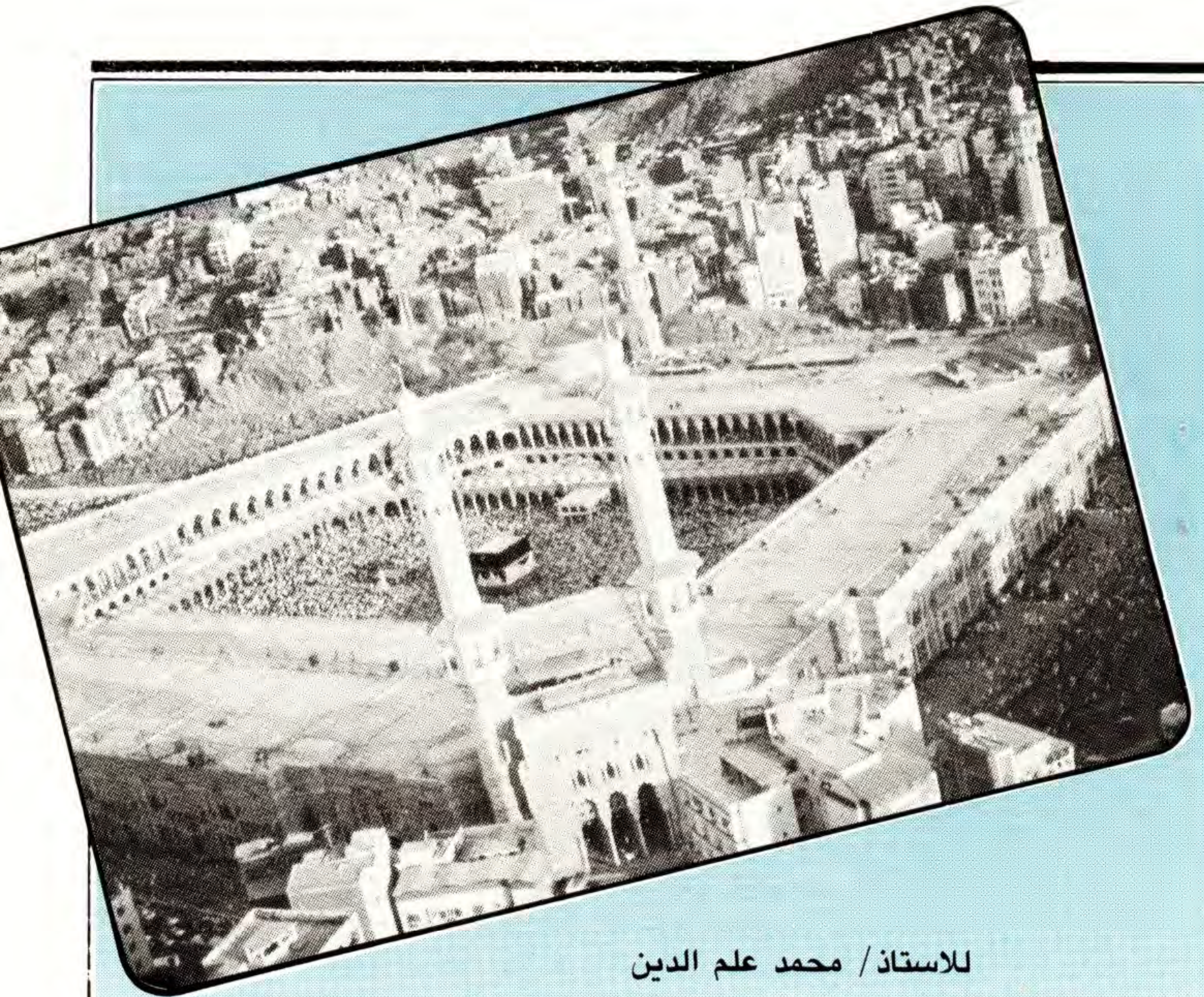
وما طريق النجاة وسبيل السلامة للأجيال تلو الأجيال إلا المنهج الذي يخلو من الزيغ ويسلم من الانحراف والضلال : إنه منهج الله الذي رسمه لعباده الذين يعيشون في كونه : منهج الله لعباد الله في كون الله : **(وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكماته وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)** الأنعام/١١٥و ١١٦

فضل الله على المسلمين في تشريع



من اراد ان يعرف فضل الله على المسلمين في تشريع الحج ، فليرجع في التاريخ الى عهد الخليل ابـراهيم ولينظر كيف كان خليل الرحمن يعيش في ارض كنعان ، والشرك والاصنام في كل مكان وهو ينادي بعبادة الرحمن وما من سميع أو مجيب ، حتى اذا ضاق ذرعا ، لقن المشركين درسا عمليا في آلهتهم الزائفة ، فكسرها الا الصنم الاكبر وقد علموا انهم هم الظالمون ولكنهم نكسوا على رؤوسهم وقرروا احراقه بالنار ، فنجاه الله منها وجعلها بردا وسلاما ، واستمروا على عبادة الاصنام ولا نجد الا صنما قد هام ، في صنم .

لم يجد ابراهيم بدا من أن يهاجر من هذه البلاد الظالم اهلها الى بلاد العرب ، وبوحي من الله يترك زوجته ام اسماعيل وابنه اسماعيل في البقعة المقدسة التي صارت فيما بعد مكة ، ثم يعود بعد بضع سنين وقد شب ابنه وكبر ، فيأمره الحق جل وعلا ان يتعاون مع ابنه اسماعيل في بناء



للاستاذ / محمد علم الدين

الكعبة ، وجعل ما حولها مسجدا حراما طاهرا من الاصنام خالصا لعبادة الرحمن يؤمه الطائفون والعاكفون والركع السجود .

ولم يكن احب الى سيدنا ابراهيم من ان يسكن ذريته بهذا الوادي المقدس غير ذي الزرع عند بيت الله المحرم ، لتنشأ ذريته على الطهارة وعبادة الله الواحد القهار بعيدا عن الشرك والاصنام التي اضلت كثيرا من الناس ، فكان البيت المحرم : الكعبة وما حولها أول بيت وضع متعبدا خالصا من الشرك والاصنام لله تعالى .

وقد صور القرآن الكريم كل هذا في سورة ابراهيم والبقرة وآل عمران .

وفي البقرة في الآية ١٢٥ وما بعدها يقول الحق : (**واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**) . يدعو ابراهيم ربه ان

يجعل هذا البلد آمنا ، وان يرزق اهله من الثمرات ، كما يدعو وابنه ان يتقبل الله منهما ، وان يجعل الاسلام يشملهما ويشمل ذريتهما ، وينظران الى المستقبل من وراء الغيب ، فيدعوان الله ان يبعث في ذريتهما رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويطهر اخلاقهم . وفي سورة ابراهيم يدعو الله ان يجعل مكة حرما آمنا ويجنبه وبنيه عبادة الاصنام ليتفرغوا للعبادة والصلاة في مكان لا طمع فيه للغزو .

يقول عز من قائل : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم**) ابراهيم /٣٥ و ٣٦ .

كان الامل يراود سيدنا ابراهيم ولكن الشيطان الذي توعد آدم وذريته منذ الازل والذي قال للرحمن : (**لئن اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا**) الاسراء/٦٢ اي أكلهم بحنكي كما يأكل الجراد الزرع لا يترك منه الا النادر ـ هذا اللعين لم يكد يمضي عهد ابراهيم واسماعيل حتى بدأ يخب ويضع ، ومرماه ان يجعل هذا البيت الذي انشيء للتوحيد مكانا للاصنام وعبادة المخلوقات والاعراض عن عبادة الخالق ، وسار في طريقه بخطى حثيثة لا يهمه الزمن قدر ما يهمه الوصول الى الهدف ، فحبب الى سكان الجزيرة العربية بعض الاشخاص ولما ماتوا زين لهم ان يصنعوا لهم تماثيل تذكارية ، وبعد مدة زين لهم ان يتقربوا اليها ويستشفعوا بها ويذبحوا لها ويذكروا اسماءهم عليها ، وقد ذكر لنا الله تعالى اسماء بعض اصنامهم ، منها : اللات ، والعزى ، ومناة ، وهناك غيرهم كثير على رأسهم هبل ، وهكذا دخلت الاصنام بيت التوحيد وملأته واعتلت فوق الكعبة ، فوصل الشيطان الى هدفه كاملا ، ولم يقف عند هذا الحد بل احال كل مناسك الحج الى مسخ مشوه لا يبعث على فضيلة بل لا يوحي الا بالرذيلة :

١ ـ التوحيد جعله شركا وعبادة الاصنام .
٢ ـ الانعام تذبح على النصب ويذكر عليها الاصنام .
٣ ـ الطائفون يطوفون عرايا كما ولدتهم امهاتهم .
٤ ـ الصلاة مكاء وتصدية والتلبية شرك .
٥ ـ التفاخر بالاباء وانشاد الاشعار يحل محل ذكر الله في سوق عكاظ .
٦ ـ الخمسة لا يقفون مع الناس في عرفات .
٧ ـ النسيء يدخل الاشهر الحرم ويزعزع الامن .

وفيما يلي تفصيل لهذا الاجمال

اولا ـ من حيث التوحيد : تقدم ان الشيطان اوحى الى المشركين ان يصنعوا تماثيل لمن يجلونهم من الناس

ويتدرجون حتى يعبدوها ، وكل هذا لا يرضى عنه الله ، فلما نزل القرآن الكريم على خاتم الرسل ، امره اولا ان يدعو الناس الى الاله الحق الخالق الاكبر الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو الخالق لكل ما عداه وله بعد الخلق الامر ، وليس لغيره في الملك نظير ولا فتيل ولا قطمير ، وهو الذي خلق الانسان ومن رحمته خلق له القرآن ، ثم علمه البيان ليستسيغ احكام القرآن ويكون خليفة عن الله في ارضه ، يصلح فيها ولا يفسد ويعمر ولا يخرب ، ويحافظ على الدماء والاعراض والاموال ولا يهدرها .

كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ، ولكنهم لم يستجيبوا له الا قليلا ، فلم يكن يستطيع وهو بمكة ان يحسم امر الاصنام ، حتى اذا هاجر الى المدينة ومكن الله له فيها ، اصبح قادرا على فتح مكة فتحها وامر اصحابه بهدم التماثيل وتطهير المسجد الحرام منها ، وسرعان ما تهاوت الآلهة الزائفة تحت معاول المسلمين ورأى المشركون رأي العين انها لا تدفع عن نفسها ضرا ، فكيف تنفع من يتقربون اليها ؟ وهذا الدرس العملي الذي كرر به نبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ما فعله جده ابراهيم بالاصنام ، كان خاتمة عبادة الاصنام بمكة ثم سائر بلاد العرب ، وعاد البيت بحمد الله طاهرا عامرا بالطائفين والعاكفين والركع السجود على يد النبي الامي محمد عليه الصلاة والسلام ، وبذلك ظهر دين الله على غيره ولو كره المشركون .

ثانيا : ما احدثه المشركون في الانعام والاشهر الحرام :

ان الله الذي امر بعبادته وحده دون شريك قد بين انه المستحق بهذا لنعمتين رئيسيتين هما **الاطعام** من الجوع ، **والامن** من الخوف وانزل في ذلك قوله تعالى : (**فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**) قريش/٣ و ٤ .

والاطعام من الجوع تحقق من عدة نواح : منها التجارة وحراسة القوافل الصيفية الى الشام والشتوية الى اليمن كما قال تعالى : (**لايلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**) قريش/١ و ٢ ومنها المراعي التي تربى عليها الانعام . الابل والبقر والغنم ، ومنها حجاج البيت الذين يفدون اليه من كل فج عميق ومعهم الهدى والقلائد لتكون طعاما للبائسين والفقراء .

والامن من الخوف تحقق بتحريم الاشهر الحرم .

فماذا فعل الشيطان بكل هذا ؟ انه اولا حول التوحيد الى عبادة اوثان وقد تقدم هذا ثم عمد الى الأمن فعبث بالاشهر الحرم وجرأ المشركين على النسيء كما سيجيء

والاطعام عماده لحوم الانعام : الابل والبقر والغنم ، والله جل شأنه خلقها لعدة منافع ذكرها في قوله : (**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها**

جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم) النحل/٥ - ٧ . والله احل بهيمة الانعام لتكون طعاما للناس والفقراء اشد حاجة اليها لطول حرمانهم منها ولذلك جعل الله الهدى والقلائد تساق الى البيت الحرام لتذبح في مكة ومنى وقال : **(فكلوا منها واطعموا البائس الفقير)** الحج/٢٨ وقال : **(واطعموا القانع والمعتر)** الحج/٣٦ اي المعترض بالسؤال ، ولكن شياطين الانس والجن قبل ذلك اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فبدلوا وغيروا وحرموا وحللوا فيما خلق الله من الانعام والحرث ، وهما عماد الطعام للناس ومما صوره الله جل شأنه في سورة الانعام قوله : **(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون)**١٣٦/ الانعام .

(وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم) الانعام ١٣٨ و ١٣٩ .

فكانت جناياتهم متعددة :

١ - قسموا الزروع واللحوم قسمين : قسم لله وقسم للاصنام ، وجاروا في القسمة ، فما هلك من نصيب الله لا يعوض ، وما هلك من نصيب الاصنام يعوض .

٢ - اغفلوا ذكر الله على ما يذبح وذكروا اسم آلهتهم كما انهم ذبحوا على النصب .

٣ - عمدوا الى بعض الحرث وبعض الانعام فمنعوا التصرف فيه والذبح الا لمن يشاءون بزعمهم كخدمة الاوثان والرجال دون النساء ، وعمدوا الى بعض انواع الانعام فحرموا ركوبها كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

٤ - بعض الانعام حرموا الحج عليها والتلبية على ظهورها .

٥ - عمدوا إلى ما في بطون البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو للذكور فقط وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث .

وكل هذا نعاه الله عليهم وبين سفههم فيه ، وبين انه لا حرام الا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ، يقول الله تعالى في سورة الانعام : **(قل لا اجد فيما اوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به)** ١٤٥ . وبهذه الآية الكريمة محا الله كل تغير وتبديل زعمه المشركون في الانعام ، واعاد الانعام الى ما خلقت من اجله وهي الركوب وحمل الاثقال والطعام واللبن ، ولا يذكر عليها عند

الذبح سوى اسم الله تعالى يقول المولى جل وعلا : (**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**) الحج/ ٣٦ و ٣٧ .

النسيء والنعمة الثانية وهي الأمن من الخوف كان الله قد جعل في العام اربعة اشهر حرم منها ثلاثة للحج : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر للعمرة هو رجب ، واشهر الحج شهر للذهاب وشهر للحج وشهر للاياب ، ولكن المشركين ابتدعوا النسيء وهو تأخير حرمة شهر من الاشهر الحرم الى شهر آخر من اشهر الحل حسب مصلحتهم وحسب اهوائهم ، فاذا كان مصلحتهم الحرب في شهر ذي القعدة أو الحجة او المحرم اخروا حرمته الى ربيع او غيره ، من اشهر الحل ولذلك اختل الامن الذي شرعه الله لعباده واصبح مزعزعا حسب الاهواء ، وليس لغير الله ان يحل او يحرم ولذلك انزل في القرآن الكريم تحريم النسيء وجعله زيادة في الكفر ، ورد الاشهر الحرم الى ما كانت عليه منذ خلق الله السموات والارض فقال عز من قائل في سورة التوبة : (**انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين**) التوبة/٣٧ ، وجاء في خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع بعد ان ذكر هذه الآية · ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان .

ثالثا : **الطواف عرايا** .

احدث المشركون في الحج ان يطوفوا بالبيت عرايا رجالا ونساء وان كان بعضهم قد جعل طواف الرجال نهارا وطواف النساء ليلا ، الا ان العري كان غالبا ، مع ان الحج شرطه ستر العورة ، ولكن الشيطان لعب بعقول القوم بعد ان افهمهم انه لا يصح ان يطوفوا بالبيت في ثياب عصوا ربهم فيها ، ولو عقلوا لجعلوا للحج ثيابا خاصة طاهرة ، ولكنهم خلعوا ملابسهم وطافوا كما ولدتهم امهاتهم ، يرى بعضهم سوأة بعض ، وبذلك حقق ابليس ظنه عليهم فجعلهم يتجردون من الثياب ، كما كان السبب في نزع ثياب ابيهم آدم في الجنة ، والله تعالى لا يرضى بهذه الفاحشة فانزل قرآنا كريما في سورة الاعراف : (**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون . واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا**

والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون) ٢٧ و ٢٨ ثم امر بالستر في قوله : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)** الاعراف/ ٣١ والامر للوجوب لستر العورة وللندب لما زاد عنها .

وبهذا الامر رد الله تعالى العقول الى الصواب وابطل كيد الشياطين واعاد الى المساجد حرمتها وآدابها وما يليق بجلالها .

ولقد كان المشركون وهم يطوفون عرايا يتوجهون الى الاصنام ، ويتقربون اليها فيستشفعون بها مع انهم كانوا يعترفون بالله تعالى ربا ، ولكن اعتبروا مشركين لاتخاذهم الاصنام شفعاء ولانهم ذبحوا لها وذكروا اسماءها .

رابعا وخامسا : **ما احدثه المشركون في ذكر الله في الحج** :

وقد أثر عن ابن عباس انه قال : ان العرب في الجاهلية كانوا عند الفراغ من حجهم يقفون بمنى ويذكر كل منهم فضل آبائه وسماحتهم وحماستهم ويتناشدون الاشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم بالشهرة والافتخار بمآثر الاسلاف .

ويقول القلقشندي في كتابه صبح الاعشى جزء اول ص ٤١١ في اسواق الجاهلية : ثم يرتحلون الى عكاظ في الاشهر الحرم فتقوم اسواقهم ويتناشدون الاشعار ويتحابون ومن كان له اسير سعى في فدائه ، ومن كانت له حكومة ارتفع الى من له الحكومة ، وكان الذي له أمر الحكومة من بني تميم ، وآخر من قام بها منهم « الاقرع بن حابس التميمي » ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج .

والمشركون اذا كانوا يقيمون سوق عكاظ في اشهر الحج ، ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون ويتعاظمون بالاباء ، والاسلام لا يرضى عن هذا وقد جعل ذكر الله فوق ذكر الآباء والاجداد فقال عز من قائل : **(فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب . واذكروا الله في ايام معدودات)** البقرة/ ١٩٨ - ٢٠٣ .

واذا ، فالله سبحانه وتعالى جعل ذكره اولى واشد من ذكر الآباء ، فهو الذي هدى الناس الى الايمان والى الحج وشعائره وهو المستحق للذكر ، وما ذكر الآباء الا للتعاظم والتفاخر ، ان كان صدقا فهو مباهاة وان كان كذبا فهو ادهى وامر ، وبذلك وضع احكم الحاكمين التوجيه الجديد ليحل محل العادة القديمة الذميمة ، فامر بأن يذكر اسمه كثيرا في عرفة والمشعر الحرام ومنى وفي الطواف والسعي

وكل أيام الحج .

اما في **عرفات** فان الناس يعجون بالتلبية والقران والتضرع الى الله تعالى في هذا الموقف الرهيب الذي يباهي به الله ملائكته ، لان عباده جاءوه شعثا غبرا لا يبالون تعبا ولا جهدا تركوا اموالهم وآباءهم واهلهم كل ذلك يبتغون رحمة ربهم ويخافون عذابه ويقول للملائكة هؤلاء الذين قلتم فيهم : (**اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**) البقرة/ ٣٠ ها هم اولاء يفعلون ذلك وهم لم يروني ولم يروا جنتي فكيف بهم اذا رأوا نعيمي ؟ .

في هذا الموقف الجليل يخطب الامام الناس متأسيا بالرسول الكريم الذي خطبهم في حجة الوداع فبين لهم ، وحرم عليهم دماءهم واموالهم واعراضهم ، كما حرم الربا وحرم النسيء وبين حقوق الرجال على النساء وحقوق النساء على الرجال ، ووضع دماء الجاهلية ، واعلن نهاية التفاخر بالآباء وان الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى .

وفي المشعر الحرام يقول الله تعالى : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام**) وهو المزد لفة يجمعون فيها بين المغرب والعشاء ، وتكرار الامر بالذكر في قوله (**واذكروه كما هداكم**) يدل على ان ذكر الله يجب ان يكون مستمرا في كل الاوقات وكل الاماكن بالقلب وباللسان ! والانسان في هذه الاماكن المقدسة هو في الواقع في عروج الى السماء ، وفي مقام لا يحس به الا من عاينه وحضره بقلبه وعقله ومن احق بالذكر من الله ؟ وهو الذي هدى الناس وصحح لهم اجسادهم ، واغناهم واقدرهم على الحضور وعرفهم مناسكهم ، وجعلهم يسيرون على آثار النبيين ابراهيم واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وفي قوله تعالى (**ثم افيضوا من حيث افاض الناس**) توجيه لقريش التي كانت تقف في المزدلفة ولا تقف مع الناس في عرفة كبرا وترفعا ، فنهى الاسلام عن هذا ، فامر ان يكون وقوف الجميع في عرفة والافاضة منه ، وفي الامر بالاستغفار اشعار انه واجب على كل انسان في كل زمان ومكان ويقول احدهم اني لم اذنب ، فسيد البشر كان يقول اني لاستغفر الله في كل يوم وليلة سبعين مرة ..

وذكر الله في منى يكون بالخلط بين التلبية والتكبير حتى رمى جمرة العقبة ، فيكون التكبير وحده وكذلك يذكر الله عند ذبح الهدى والقلائد ، وكذلك عند رمي الجمار في العقبة الصغرى والكبرى رجما لابليس وطاعة لله .

هذا وذكر الله يستمر في الطواف وفي السعي وفي كل ايام الحج ومن خير ما يذكر به الله : (**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**) البقرة/ ٢٠١ .

ويمكننا ان نقارن بين ذكر الله في الاسلام وذكره في الجاهلية في قوله تعالى : (**وما كان صلاتهم عند**

البيت الا مكاء وتصدية) الانفال/ ٣٥ والمكاء من مكا الطائر اذا صفر اي انهم كانوا في صلاتهم يصفرون ، والتصدية هي التصفيق فكانت صلاتهم بين التصويت والتصفيق كما كانت تلبيتهم فيها ذكرا لاصنامهم وشتان بين هذا وبين تلبية المؤمنين القاطعة لكل شرك المقررة لكل توحيد : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وبعد فلقد كان فتح مكة وحجة الوداع نهاية المطاف للشرك الذي عشش في مكة وبلاد العرب وافرخ فيها ، وبذلك عادت الطهارة وعاد الرجوع الى الحق ايمانا وطاعة وتسليما وجهادا في سبيل الله بالنفس وبالاموال لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وهكذا ضاع كيد الشيطان في عشرين قرنا من الزمان في يوم واحد جاء فيه الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

خاتمة الحج دورة تدريبية

وبذلك أعاد الله تعالى للحج طهارته وقدسيته ومنهجه التربوي وجعل محمدا مجددا لدين ابراهيم وهو الدين عند الله ، كما جعل الحج دورة تدريبية سنوية للمسلمين القادمين من بقاع الارض يعيشون مدة التدريب اخوة بكل معاني الكلمة لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وانما تزود من التقوى واحتمال للاذى وتجرد من زينة الدنيا وترك للاهل والدار والمناصب وارتداء للزي الموحد ، ثم تلبية وضراعة لله ، وطواف بالبيت كالملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم .

الحج مؤتمر عملي

وفي هذا الحج مؤتمر على اعلى مستوى يتعارف فيه الناس ، ويتعرفون مشاكلهم ويعملون على حلها بنفس متجردة من الهوى ملتزمة بالتقوى وكلما امتد الزمن وكثر هؤلاء العائدون من التدريب وبشروا به بين اهلهم يكون الوطن الاسلامي نموذجا مشرفا يراه العالم فيقبل على الاسلام لما يراه من سمو في بنيه .

هل الطواف عبادة أوثان ؟

اما ما يشيعه المبغضون للاسلام من ان الطواف عبادة اوثان فذلك لغو وباطل فالناس لا تعبد البيت وانما تعبد رب البيت وتستحضر عظمة الخالق وهي تطوف بالبيت وتتمسح بأركانه ، وماذا يقول هؤلاء المرجفون فيمن يعظمون قبر الجندي المجهول ؟ اهم يعظمون الحجارة او المعنى السامي الذي يتضمنه جهاد رجل لم يكن يبغي جزاء ولا شكورا من الناس ، وماذا يقول هؤلاء في تعظيم علم البلاد وهو يرفع ؟ أهو تعظيم للقماش أو تعظيم للمعنى الذي يرمز اليه وهو رفعة البلد الى اعلى عليين .؟
الحق ابلج والباطل لجلج
والله يهدينا الى سواء السبيل ،،،

منهج القرآن في الشريعة وخصائصه

للدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي

١ — في المزالق المتلفة قد يقول لك ناصح أمين : اغمض عينيك واتبعني . أو لا تسلني عن شيء يستثيرك .. وربما تكون السلامة في طاعته ، فأنت تمشي وراءه حتى تبلغ مأمنك .. إنه في هذه الحال رائدك المعين الذي يفكر لك وينظر لك ويأخذ بيدك ، فلو هلك هلكت معه ..

أما لو جاءك من أول الأمر رجل رشيد ، فرسم خط السير ، وحذرك مواطن الخطر ، وشرح لك في إفاضة ما يطوى لك المراحل ويهون المتاعب ، وسار معك قليلا ليدربك على العمل بما علمت . فأنت في هذه الحال رائد نفسك ، تستطيع الاستغناء بتفكيرك وبصرك عن غيرك ..

إن الوضع الأول أليق بالأطفال والسذج .. أما الوضع الأخير فهو المفروض عند معاملة الرجال وأولي الرأي من الناس . وهكذا كان منهج القرآن في التشريع ، فلا خطاب إلا لعاقل ذي لب : **(إنما يتذكر أولو الألباب)** الرعد/ ١٩

ب ـ التمهيد لأحكامه بوازع الضمير والأخلاق :

ولا تتحقق الغاية المرجوة من التشريع بحسن وضعه وأحكامه فحسب ، وإنما تتحقق مع ذلك بتنفيذه ممن شرع لهم ، على أن يكون هذا التنفيذ بوازع من أنفسهم وقلوبهم . وهذا الوازع يجيء من ايمانهم بعدالة التشريع ، ورضاهم به ، واعتقادهم المثوبة من المشرع على النزول على امره ، راضين عن تشريعاته وأحكامه ..

والتشريعات الاسلامية كما نعرفها من القرآن والسنة النبوية ، قد بلغت الكمال من ذلك كله ، إذ قامت جميعها على اعتبارات من الدين والأخلاق تجعلها تبلغ غاية الرضى والايمان ممن وجهت اليهم من المؤمنين جميعا . لا فرق بين المسلمين وغير المسلمين ، وحسبنا أن نشير من ذلك الى ما يأتي :

١ ـ حق الجوار .
٢ ـ الزكاة .
٣ ـ الجهاد .. وغير ذلك ..

جـ ـ الجزاء في منهج القرآن لمن يخالف تشريعه نوعان :

أ ـ دنيوي يقوم على أساس النظر إلى الفعل الاجرامي وأثره في المجتمع ..
ب ـ وأخروي يقوم على اساس النظر الى ذات الشخص ..

وذلك لأن الجرائم الخلقية نوعان : جرائم يجري عليها الاثبات ومن شأنها ان تفسد الجماعات . وهذه جرائم وضعت لها العقوبات الزاجرة الرادعة في الدنيا ، وهي التي يطبقها القضاء : كجريمة السرقة ..

وهناك جرائم أخرى خلقية لا يجري عليها الاثبات : كالغيبة والنميمة ، والنفاق ، والحسد وغير ذلك من الجرائم الخلقية التي لا يمكن ان تثبت بين يدي القضاء ، فان لها عقوباتها الأخروية ..

ومن هذه الناحية وغيرها من النواحي تتصل الشريعة بالضمير الانساني المتدين . فان المسلم المتدين يحس بأنه في رقابة من الله

سبحانه وتعالى ، وانه محاسبه على ما يفعل ، ومراقبه على ما ينــوي ان يفعل ، كمــا قال عليــه الصــلاة والسلام : « انما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته لما هاجر اليه » متفق عليه واتصــال الشريعة بالضمير يفيد في :

١ ـ الوقاية من الحقد .
٢ ـ تسهيل الاثبات
٣ ـ الندم والتوبة

د ـ النزعة الجماعية :

التشريع الاسلامــي يرمــي الى صلاح الفرد والمجتمــع . فالنزعــة السائدة فيه هي النزعة الجماعية . ونحن نريد بالجماعية معنى اوسع يتناول الناحية المالية وغيرها ، حتى ليعم الحقوق والواجبات جميعــا . والأمثلة على ذلك كثيرة منها وجوب إقامة الحدود صيانة للمجتمع ..

هــ ـ الكمال :

فهو واف بحاجات البشر ما كان وما سيجد . فليس لبشر فصل بعده ولا استدراك عليه ، وليس لبيئة مؤمنة به تأثير عليه .. وهذا الكمــال قد اراحنا من خلافات الله اعلم بمداها . فقد رسم لنــا الأصــول ، وحــدد المعالم ، ووضح كيفيــة النظــر في الفروع .

واذا كان الناس قد حدثت لهم أقضيات لم تكن معهودة حين نزول القرآن ، فليس هناك ما يمنعه من الفصل فيها بأسلوبه المرن وبقواعده الكلية .

وعلى المجتهدين ان يستنبطوا من نصوصه الأحكام الفرعية التي تحقق المصلحة العامة ، ولا تصطــدم مع النصوص ، وأصدق شاهد على هذا ما كتبه الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه « الفقه الاسلامــي » قال ما نصه :

كل ضرب من الفقه يجب ان يكون في طبيعته وأدواته واصوله ، ما يجعله قابلا للتطور حسب الزمان والمكان ، ليكون صالحا للبقاء ، والا كان فقها ميتا غير صالح للحياة .

والفقه الاسلامي له من كل ما ذكرنا ما جعله خالــدا يتطــور مع الزمن . وقد رأينا فيما مضى بدء هذا التطور وشيئا منه في زمن الخلفاء الراشدين أنفسهم ..

ولو ان رجاله قاموا عليه كما يجب ولم يجمدوا على القديم ، لما كانت الامة الاسلامية بحاجة مطلقا للجوء للفقه والقوانين الغربية ، تأخذ منها تشريعاتها وقوانينها .. وهكذا صرنا الى حالة مؤلمة من الاخذ عن الغرب في كل شيء ، حتى كأننا أمة ليس لها مقوماتها الذاتية وتقاليدها الطيبة » اهــ ..

و ـ سمو الفكرة :

ولا تعرف الجماعة الانسانية ما يهدد كيانها الا بعد تخلخل بنيانها ، وربما تهدم عليها . وهنا فقط تفطن فتشرع القانون لتنظيم ما هو كائن ، ولتلافي ما حل بها ، وكثيرا ما يفوتها عنصر الزمن فتعالج المستقبل بما تعالج به الحاضر ، فتقع فيما وقعت فيه .

أما القرآن ، فهو موجه للجماعة ، قائد لا يضل ، مرشد لا ينحرف ، بصير بالأمور ، لا يقف عند حدود واقع الجماعة . بل يرتفع بها الى اسمى الرتب واعظم القيم ، وقال تعالى : **(كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) ص /٢٩**

ز ـ الدوام :

فلا تبديل لكلماته ولا استغناء عن أحكامه ، فله تعبير خاص يمتاز بالعموم والمرونة ، مما جعله ينتظم الزمان والمكان والأشخاص .

والصياغة فن رفيع . والنص القرآني كامل ، شامل ، عام ، مرن ، يتسع لكل عقل يحاول ان يتفهمه . وكم تنوعت أفهام الأئمة حول نص واحد كقوله تعالى : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض)** المائدة/٣٣

هل حرف « أو » للتقسيم فلكل جريمة عقاب ؟ أو أنه للتخيير فالامام مخير في أية جريمة أن يختار ما يراه مناسبا في حدود العقوبات الأربع ؟..

ح ـ الابتكار :

فقد ابتكر عقوبات لبعض الجرائم ـ كالصلب ، والقطع ، والجلد ..

ط ـ الاستقلال :

فلم يقلد منهجا سابقا ، فما كان العالم ليعرف أن التوبة قبل القدرة وسيلة ناجحة لاقتلاع الاجرام من نفس المجرم ، وأن ندمه خير رادع له ، وشعوره بالذنب أقوى حائل بينه وبين العود للجريمة .

ى ـ هو قبل كل شيء من عند الله رب العالمين ، قال تعالى : **(الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)** السجدة/١و ٢ .

ك ـ أن مبادئه هي الحق ، لا تعنت فيها ولا تعصب ، قال تعالى : **(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)** العنكبوت /٤٦ وقال سبحانه : **(قل أتحاجوننا في الله**

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) البقرة/ ١٣٩ وقال : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى)** البقرة/ ٢٥٦ تلك هي دعوة الاسلام الى الله ، وهذا هو موقف أتباعه من أهل الكتاب ، وما يدينون به ..

فأي دعوة أقوم ، وأرحب ، وأحكم ، وأحق ، من هذه الدعوة التي تسلم الانسانية جميعها والوجود كله ، الى مصير واحد في يد متصرف واحد هو الله رب العالمين ؟..

ان ذلك هو ما يقضي به منطق كل عقل ، وما ينتهي اليه نظر كل مفكر : **(أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار)** يوسف/ ٣٩

تلك لمحة يسيرة نقتطفها من منهج القرآن وتشريعه في الجرائم والعقوبات . ولعل ما نسوقه يقنع المتحاملين على عقوبات الاسلام .

العفو مروءة ودين :

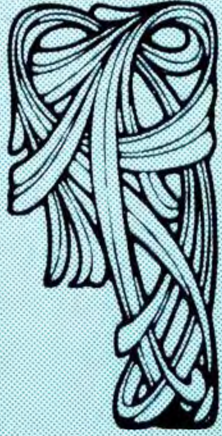
قال تعالى : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين)** الشورى / ٤٠ وقال سبحانه : **(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)** فصلت/ ٣٤

في هذه الكلمات المعدودة ، وضع الاسلام دستور السلوك الانساني الذي لا يهتز ولا يضطرب ، في اي مجتمع ومع اي نفس وفي اي زمان .. فجزاء العدوان بالعدوان ، ولقاء السيئة بالسيئة فطرة مركوزة في الكائن الحي ، وقوة عاملة في كيان الانسان لا يستطيع ان يتجرد منها ، وإن هو استطاع ان يتخفف من ضغطها وجموحها ..

فالاسلام يقرر هذا الحق للانسان ، ويطلق يده في اخذ هذا الحق ، وان يجزي السيئة بالسيئة ، والعدوان بالعدوان ، ولكن بشرط الا يأخذ اكثر من حقه ، والا انقلب الوضع واصبح معتديا بعد ان كان معتدى عليه ..

ثم بعد ان تقرر هذا الحق للانسان ، واصبح ملكا خالصا له ، جاءه الاسلام من طريق آخر .. طريق مفاوضة المالك فيما ملك ، ومفاوضته بما يمكن ان ينزل عنه من ملكه .. فدعاه الى العفو والتسامح والى دفع الشر بالخير .. وله في مقابل هذا جزاءان طيبان : عاجل ، وآجل .. اما العاجل فهو أن يمتلك – بالعفو عن المعتدي ، وبالاحسان الى المسيء – زمام الموقف ، فيصبح السيد المحسن الكريم .

وأما الآجل ، فهو ما ادخره الله له من جزاء حسن ، وثواب عظيم : **(والله عنده حسن الثواب)** آل عمران/ ١٤ .



الإسلام

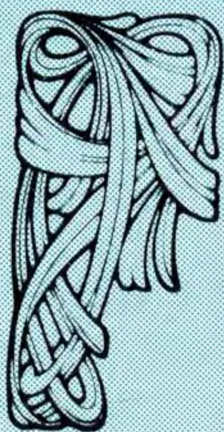


الاسلام في مدلوله المشرق دين الهي متكـامل ، وتشريع فذ له أصولـه الشامخة ، وركـائزه المتينة ، ومن ثم ، فهو يتناول بالاصلاح والتهذيب كافة نواحي الحياة وضروبهـا وأوضاعها ويقود مسيرتها ان تنحرف بها السبل ، ويمسك زمامها ان يلتوي بها القصد .

إنه إسلام القلب والجوارح لله رب العالمـين ، فكـرا وعبادة وسعيا وتوجها ، في خضوع وحب ، ورغبة ورجاء ، وإنابة ودعاء .

(قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين) الأنعام / ١٦٢و١٦٣ .

انه رسالة خالدة وافية ، انبثق نورها ليهـدى البشرية الضالــة ، وينقذ الانسانية الحائرة التي كادت رأسها ترتطم بالصخور ، ويوجه هذا القطيع المعربد وقد أفلس رصيده من القيم فراح يتهـالك في تمزق وشتات ، وضياع وشرود . إن الاسلام جاء



والجاهلية



للدكتور/ عبدالفتاح محمد محمد سلامه

ليهدم الجاهلية في كل صقع وناد ، ويدك أبراجها العالية ، ويصوح بأركانها العاتية ، ويقلم أظافرها ، ويخضد شوكتها ، ويمحو آثارها ، في جميع صورها وأشكالها ..

وهذا ما قام به وعمل على تحقيقه ، أعظم مصلح في التاريخ الرسول الجليل « محمد بن عبدالله » صلى الله عليه وسلم . حيث بعث في زمن ، طغت فيه الجاهلية وبغت وعمت وتفاقمت ، وضربت أطنابها في ربوع العالم ، تزرع الشرور والآثام ، وتمكن للظلم والعدوان .

لقد فسد كل شيء ، ومسح الباطل آثار الحق ولسانه ، وتمكنت الجهالة من النفوس ، وأصيبت العقول بداء الخرافة والجمود ، وأترعت الحياة بالرذائل والجرائم ، واكتظت الأرض بالسفاهات النزقة ، والحماقات الطائشة .

فحيثما وليت وجهك ، ألفيت فسادا طافحا ، وخبثا مستشريا ، ووجدت نعرات جوفاء ، ومذاهب خرقاء ، تسير التعاسة في ركابها وينسج

الشقاء خيوطه في ظلالهـا . فهناك أنظمة اقتصادية جائرة وثمت حكومات مستبدة مستعلية جعلت من الناس خولا وعبيدا ، يسامون العذاب في خدمة الطواغيت المـاردة ويتجرعـون كؤوس الـذل في جو مشحون موبوء ، وفي مجتمع معتكر الجوانب مسود الصفحات .

في خضم هذا المعترك الصاخب ، المائج بالفتنة والمنكر ، ارسل الله نبيه على حين فترة من الرسل ، فدعا الى عبادة الله الواحد وجاهد وابلى بلاء عنيفا ، لسحق الجاهلية وإقصائها عن قيادة البشرية .

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) المائدة / ١٩ .

أعلن الرسول دعوته الخالدة ، ونشط في إخماد أنفاس الجاهلية ، مزريا عليهـا ، مبطلا عقائدهـا الـوثنية المخربة ، حاملا بدلا منها إلى البشر ، صيحة السماء الأخيرة في عالـم الأديان ودنيا الرسالات .. ثم صدع بالحق في وجوه الطغـاة المستبدين المبطلين وبين لعبدة الأصنام وسدنة الجاهلية ، مدى ما وصلـت اليه عقولهم من خبل ، ومقدار ما آل اليه فكرهم من ضلال وتهوس .

(ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلـون . وإذا حشر الناس كانوا لهـم أعـداء وكـانوا بعبادتهـم كافرين) الأحقاف / ٥ و٦ .

ترى !!! هل ألقت الجاهلية السلاح وهادنت رسالة الحق والنور ؟؟ هل ابصرت ما في طبيعتها الجاحدة من نقائص مشينة ، ومساقط فادحة ، وانها بهذا العوار ، وذاك الزيف .. جرثومة قاتلة تبيد الانسانية وتضعها على حافة بركـان يقذف بالحمم ، ويرمي بشرر كالقصر ؟؟

ان الجاهلية وطواغيتها وبكـل ما يملكـون من قوة ، اعلنوهـا حربا ضروسا لا هوادة فيها على الاسلام وأهله وداعيته الأول صلـوات الله وسلامه عليه ، وقام صراع مرير احتشد فيه الباطل وجمع جموعه ، ليخوضها معركة ساخنة مع الحق الممثل في محمد وصحبه .. وهـو يحسب أن الدولة ستكون له ، وان النصر سيؤول اليه . ولكن هيهات هيهات .. فما كان للباطل ان يعز أمام حق جريء قوي .. يعرف كيف يثبت اقدامه على طريق الله رب العالمين .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) الانبياء / ١٨ .

لقد استطاع محمد وأصحابه الغر الميامين ، بعزيمة صادقة لا تلين ، وارادة صلبة تفل الحديد ، وتذيب جلاميد الصخر . ان يجتثلـوا الباطل ، ويكسروا جبروته ،

ويحطموا صروح الجاهلية النكراء ، ويصرعـــوا طواغيت الارض تحت سنابك الحق الاسلامي ، ثم انطلقوا يؤسسون كيان الأمة الرائدة التي حملت رسالة التوحيد الى عالم يموج بالكفر والجهالة ، ونشرت في جوانب المعمورة عدالــة القرآن ، وحضارة الاسلام ، وشريعته السمحاء ..

وسارت كتائبهـا الـظافرة تقوض عروش البغي ، وتثل حصونه ، وتنقذ الأمم والشعوب ، من كل فساد وظلم والحاد ، حتى علت كلمة الله في آفاق الأرض . وحكـــم نظام الاسلام الحضاري ، الناس جميعا ، في أخوة باهرة ، ومساواة كريمة ، وعدالـــة رحيمة ، وعبودية لله وحده .

لقد افاقت الانسانية من كابوس ثقيل الوطأة ، كاد يكتم أنفاسها ، ويقطع عنهــا شرايين الحياة ، ولكـن الله سلم ، فاذا بالصبح ينبلج ، والفجر ينبثق ، واذا بحادي القافلة ورائد الجماعة يتقدم في اباء وشموخ ليعلن انقشاع ليل طال فأرخى سدوله ، وانجلاء سواد غارت نجومه .

(قد جاءكـم من الله نور وكتاب مبين . يهـــدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة / ١٥ و ١٦ .

إن البشرية منذ أن أمسك بزمامها تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم – وهم رهبان الليل وفرسان النهار – واخذت تشق طريقهــا صعـدا الى حضارة ربانية وارفة الظلال ، تصنع الأمجاد وتعلي بنيان الفضائل ، وترسخ دعـــائم المساواة ، وتبسط جناحيها على المعذبين والمنكـوبين ، فتأسو جراحهم ، وتلملم احزانهم ، وما سعد الناس وطابوا نفسا وقروا عينا وما احسوا بنعمة الأمن ، وتنسموا عبيره .. الا بعد أن تنفسوا في جو الاسلام الطهور ، واستنشقوا عطره الزاكي ، وشذاه الفواح .

ولقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« والله لينصرن الله هذا الدين حتى يسير الراكـــب من صنعـــاء الى حضرموت لا يخشى الا الله عز وجل والذئب على غنمه » رواه البخاري .

ثم مرت الأجيال وانصرمت الأحقاب ودار الفلك دورته ، وتخلى الاسلام عن قيادة العالم ، بعد أن طارت حقيقته ، وخفت سناه في قلوب اتباعــه ومن ينتمون اليه فارتكست الانسانية وانتكست ، وغامت الحقيقة في أودية الوهــم والخيال ، ودب الشقاق في النفوس ، وزحفت الغـــواية تدير الرؤوس وسرت بهارج الفتن تغــزو الانسانية في عقر دارها ، وتلهيها عن مقومات وجودها وأسباب فلاحها .. وما زالت تتدلى في هذا الدرك ، وتتنزل الى ذاك المستوى الدون .. حتى نفقت بضاعتهــا من الأخلاقيات ونفضت جعبتهــا من المثل ، وأصبحت على حافة الهاوية بل ان جاهلية سافرة مخربة ماجنة اشد في ضراوتها من أختها الأولى ، تدق بابها وتنزل الى

رحابها .. ولكأني في هذه الفينة أنظر إلى الآية الخالدة من كتاب الله .

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم / ٥٩ .

ولكأني في الوقت نفسه ، استمع الى الآية الأخرى وهي تقرر وقوع الفساد في الأرض ، وسريانه في عالم البشر ، وقد اتخذ صورا داكنة ، من جاهلية عامة شاملة .

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم / ٤١ .

أجل !!! إن العالم اليوم تأخذ بتلابيبه جاهلية محقورة ، مزقت كيانه الأدبي ، وطحنت عواطفه بين رحاها طحنا وافقدته الضمير اليقظ ، وسلبته النظر البصير ، فراح يتخبط في دياجير الفوضى ويحتكم الى قوانين نسجها وحبكها طواغيت أفاكون ، يشرعون للناس ما لم ينزل الله به سلطانا ، في تخرص كاذب ، وافتئات مقيت ..

ويا ويل الانسان ، عندما تغشاه الغواش وتتسلط عليه نزعات الهوى .. ان بطن الأرض خير له من ظهرها . ومن اشارات القرآن النابهة هذا التوجيه الحصيف لنبي عظيم قلده الله أمانة الحكم والقضاء في فترة من الفترات ..

(يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ص / ٢٦ .

وهذا عين ما وقعت فيه الانسانية ، حين تحاكمت الى الطاغوت ، ونسيت او تناست شريعة الخالق الأعظم ، بما فيها من ضمانات أصيلة للحياة الراقية المتقدمة ، فكان ما نراه من هذا التمزق ، وذاك التطاحن المسعور ، الذي اوشك ان يهوى بالبشرية من حالق . وماذا يا ترى عن مسيرة يقودها الشيطان .. إلا أن تخلف وراءها هذا الركام المخيف من الشقاء والتعاسة والخراب والدمار ؟

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) النساء / ٦٠ .

ان الجاهلية وقد أغفى حماة الحق ، وهجع حراس الفضيلة ، ما لبثت أن بعثت من مرقدها ووثبت ناشطة تنفث سمومها ومخازيها ، وتنشر قبائحها وجرائمها .

ثم ها هي الآن تقود عالما مضيعا في مجاهل الألحاد والشقاء .. فحيثما شرقت او غربت ، صعدت او هبطت بل حيثما وليت وجهك لا تقع باصرتك الا على ظلم صارخ ، ومناكير مسفة ، وحياة هابطة ، اهدرت فيها الكرامات ، وبيع فيها الشرف ، ومحقت على صعيدها المكرمات ، وأصبح الانسان فيها رقيقا مستذلا ،

تحركـــه الشهـــوات ، وتقذف به المطامع .

ماذا بعد أن سلبت الحريات وكممت الأفواه واغتصبت أوطان وطحنت شعـوب ، واستعبدت امم وسالـت دماء ، ولا شريعة الا شريعة الغاب ، ولا حكم الا لمنطق القوة والعجرفة والصلف والغرور ، وكل هذا في عصر يزعمونه عصر النور والعلم والحضارة والمدنية ؟

ان العلم المخرب المدمر المفلس من القيم ، والذي تجرد من وازع الخوف والمـــراقبة ، فأزال حقا ، وأوجد باطلا ، ومسخ فضيلة ، وأحيا منكرا هو في حقيقته علم متهاو ، يظهر فيه الانسان له مخالب وأظفار ، وأنياب حداد تسلخه من بشريته ، وتحيله الى كائن شرس يقوض أركان الحضارة الحقة ، وتذوي على يديه سمات التقدم المرموق . وهذا النوع من العلم الشارد المغرور المنتفخ الأوداج ، هو الـــذي تكتوي به الانسانية اليوم ، وتعـــاني منه ، وتجني ثمار ويلاته المـــرة : في هذا الصراع الأحمق ، والسبق المجنون الى ابتكار وسائل التدمير والتخريب ، وفي ذلكم السعي الحثيث لقهر الأمم وإذلال الشعوب .

إن العلم الحديث قد حول الانسان الى آلة مجردة لا يعرف الا منطق المادة ، ولا يدين الا بمبدأ اللذة ، ولا يؤمن الا بكل ما هو محسوس ملموس ، وهو في غمار هذا كله ، قد نسي ربه ، بل جحد خالقيته في غباء وصلف ، ومن ثم فقد الشعور الزاكي والاحساس الراقي .

إن حوادث الانتحار التي علت نسبتها بشكل ملفت للنظر ، يقع أكثرها في البلاد المتقدمة علميا وماديا كأميركا والسويد وغيرهما من دول الغرب . ذلك لأن الانسان في هذه البيئات المعقدة ، تفاقمت مشاكله الوجدانية وكثرت عقده النفسية ، واحس انه يعيش في فراغ فكـري وعـــاطفي رهيب ، يعجز عن شغلـــه فراح يتخلص من نفسه ، بعد ان أدرك انه مخلوق يدور في عالم الضياع والشرود وبعد ان عرف ـ كذلك ـ انه كائن لا حقيقة له ، في دنيا الآلات ، وضوضاء التروس .

ان الايمان بالله الـــواحد الأحد والتعـرف عليه ، والحب له ـ جل وعلا ـ هو الذي يعـطي للانسان صمام الأمن ، ورضا القلـــب ، وصفاء الفكـــر ، وربو العـــاطفة ، وإنارة الـــوجدان .. وهـــو كذلك ـ يضفي على حياته ظلالا من الراحة والسكينة ، تنعش نفسه ، وتبهـــج خاطره .. وتلك هي سمات العلم في الاسلام .

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) الفتح / ٤

ان العلم في الاسلام يسير في هذه الدائرة الخاشعة العابدة التي تعرف قدرها ، وهي ما تحدثت عنها الآيات الكريمة :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علـــق . اقرأ وربك

الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ ـ ٥ .

فباسم الله نتعلم ولوجه الله ما نتعلمه وفي سبيل رضا الله نسخر ونبذل ما علمناه .

تلك نظرة القرآن للعلم ، فهو علم عاصم يقود الانسانية ويرعى وثباتها ويصون سبقها ويبارك خطواتها ويحفظها في أخلاقها وفضائلها ويدحر عنها صوت الشيطان ، ويعلي بنيانها على تقوى من الله ورضوان .

(أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) التوبة / ١٠٩ .

وكثيرا ما كان الرسول العظيم عليه صلوات الله ، يسأل ربه عالي الأخلاق ويستعيذ به من دنيئها .

« اللهم إني اسألك ايمانا كاملا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، ويقينا صادقا ، وأعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تقنع ، وعين لا تدمع ، وعلم لا ينفع » رواه مسلم وغيره .

إن الأرض تجتاحها اليوم موجات آثمة من الترف والفسوق والفجور ، والكون كله تسري فيه غاشية من الكفر والضلال والظلام ، وقامت الفتن على قدم وساق ، ووقفت البشرية ترقب في خوف وتوجس ، ما يتمخض عنه الغد الغامض ، وماتحمله طيات الغيب المجهول .

وذلك بسبب افلاس القيادات الجاهلية ، المتحكمة في العالم وانحراف الناس عن قوانين السماء .

ان العالم تسيطر عليه ـ منذ زمن ـ قيادات مفلسة ذات أنظمة هدامة مفسدة سواء في الشرق أو في الغرب ، وهذه القيادات قد دبت اليها الشيخوخة ومزقت كيانها عوامل الترف والرخاوة والفجور ، حتى أوشكت على الزوال ، وكاد دورها يؤذن بالانتهاء .

تلك سنة الكون .

ولقد جاء الآن دور الاسلام ، ليقود العالم الحائر ، وينتشل البشرية المطحونة المهرأة ، وينقلها من جور الطغيان . إلى عدالة القرآن ، وإني على ثقة في الله جل جلاله من مجيء هذا اليوم ، الذي يحيا فيه الاسلام ، ويبعث من جديد في قلوب أتباعه حيث يحكم نظام القرآن ، وتسود دولة الايمان ، وكما قضى الاسلام الناهض القوى ، على جاهلية القرن السادس الميلادي سيقضي بمشيئة الله وعونه ، على جاهلية القرن العشرين المظلمة المعتمة :

(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) الرعد / ١٧ .

(ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الروم / ٤ ـ ٦ .

كتاب الشهر

إعجاز القرآن بين النظرية والتطبيق

تأليف : الدكتور حفني محمد شرف   عرض : الدكتور منير سلطان

قضية كبرى في حياة الاسلام والمسلمين ، دارت حولها دراسات ولكنها ما زالت في حاجة الى المزيد ، انها قضية اعجاز القرآن الكريم ، وقد تفرغ لها عدد من كبار العلماء وافردوا البحوث المستفيضة ، كل يتناولها من زاويته التي يجيد ، حتى انتهت الى نظرية متكاملة لها عناصرها وخصائصها .

لها جانب كلامي يتصل باثبات نبوة الرسول الكريم ومعجزاته ومنها القرآن ونزوله وجمعه وترتيبه ونفي ما يوهم التناقض فيه ، وجانب آخر يتصل بالحديث عن الفاظه وفصاحتها وائتلافها وموسيقاها ونظمها .

والمعتزلة هم الرؤوس الكبيرة التي تصدرت للدفاع عن القرآن كلاماً وفلسفة امام المغرضين والحاقدين من الملل والنحل الأخرى ، ولم يكن الأمر مقصورا على المعتزلة بل شاركهم في المهمة السامية تلامذتهم النابغون اصحاب ابي الحسن الاشعري ، وكذا اهل الظاهر ورائدهم ابن حزم الاندلسي ، ولم يتخلف الأدباء والبلاغيون واللغويون ، كل اسهم بنصيب ، فهي قضية الاسلام والمسلمين .

والكتاب الذي نقدمه اليوم اهتم برصد الجانب النظري فتتبع نشأة نظرية الاعجاز وسار معهـا عبـر العصور ، وقفى هذا بدرس الجانب التطبيقي فقـدم نمـاذج من اسرار الاعجاز البياني للقرآن .

اولا : الجانب النظري عبر العصور

بدأت وقفة المؤلف عند اسبق الدراسات القرآنية ظهوراً وهي كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى وفيات ٢١٠هـ ، والذي يرجع تأليفه الى سنة ١٩٠هـ ، وظل الباحث مطوفاً بنا الى ان وصل الى آخر كتاب ظهر ١٣٩٠هـ ـ ولو وضعنا هؤلاء العلماء في دوائر اختصاص ـ ليست مغلقة ـ لوجدنا ابا عبيدة بكتابه وكذا الخطابي بكتابه « بيان اعجاز القرآن » في دائرة علماء اللغة الذين ساهموا في المضمار ، بينما نجد من المعتزلة الجاحظ بكتابه « نظم القرآن » والفراء له « معاني القرآن » والروماني له « النكت في اعجاز القرآن » وابن سنان الخفاجي له « سر الفصاحة » والسكاكي له « المفتاح » اما عن الاشاعرة ، فقد ترك لنا الباقلاني كتاب « اعجاز القرآن » وعبد القاهر ترك « الدلائل والاسرار » والرازي له « نهاية الايجاز » والغزالي له « احياء علوم الدين »

ومن اهل السنة ، ابن قتيبة وله « مشكل القرآن » والطبري له « جامع البيان » وعبد الرحمن الشافعي الاصفهاني له « التفسير الكبير » والزركشي له « البرهان » وابن خلدون قد كتب فصلا طيباً عن الاعجاز في المقدمة ، وابو عبد الله محمد بن ابي زيد المراكشي له « اسماع الصم في اثبات الشرف من جهة الام » والسيوطي له « البرهان » والالوسي كتب « روح المعاني » والقاضي عياض له « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » وهؤلاء هم الابرار بما بذلوه قديما في بيان اعجاز كتاب العربية الاكبر ، اما المحدثون ، فتعرض « لرسالة التوحيد » لمحمد عبده ولاعجاز القرآن للرافعي و« لساعات بين الكتب » للعقاد ولاعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب

ثانيا : الجانب التطبيقي .

امتازت دراسة الباحث في بيان اسرار اعجاز المعجز ، بأنها ابتعدت عن دوائر العقائد ، والمعروف بأن المعتزلة ذهبوا بعيداً في التأويل وحملوا كثيراً من المجاز في القول ، اصابوا في بعض ما ذهبوا اليه وجانبهم التوفيق في الآخر ، والمعروف ايضا ان الأشاعرة لم يجرفهم تيار الاسراف في التأويل والتعلق بأسباب المجاز وآثروا ان يكونوا بين ذلك قواما ، ولاهل الظاهر رأي وللصوفية رأي وللشيعة رأي ـ اقول ـ نجح الباحث حين

نأى بنفسه عن ذاك الجرف الهاري ، وقدم لنا تطبيقات فنية جمالية فيها الحيدة وفيها الذوق وفيها ايضا جماع القول الذي لا يختلف فيه مفكر اسلامي له ذوق سليم .

يقول في الفاظ القرآن

من الحقائق الجلية ان الفاظ القرآن المفردة وجزالتها وسلامة بنيتها وفخامتها تروع كل دارس ، اننا نراها غير متنافرة مستقرة في مكانها بحيث لا يصلح موضعها غيرها ولا يؤدي معناها كاملا الا بها ، مؤتلفة بعضها مع بعض ، موسيقية في ادائها ، موحية في معناها ، وائتلاف الألفاظ بعضها مع بعض بمعنى ان يقرن الغريب بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة كقوله تعالى (تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا) فلما اتى سبحانه بأغرب الفاظ القسم ، وهي التاء لأنها اقل ادوات القسم استعمالا ، وابعدها عن أفهام العامة بالنسبة الى الباء والواو ، اتى باغرب صيغ الافعال التي ترفع الاسماء وتنصب الأخبار ، وهي تفتأ فان الفعل « تزال » اقرب الى الافهام واكثر استعمالا من « تفتأ » ثم اتى بأغرب الفاظ الهلاك وهي من جنسها في القرابة توخيا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف الالفاظ « حرضا » فاقتضى حسن الوضع ان تجاور كل لفظة من الألفاظ لتتعامل في الوضع وتتناسب في النظم .

البلاغة والقرآن

يقول المؤلف « ومن حيث النظم الفريد الملتئم المحبوك نرى صورة عجيبة تعلو فوق آفاق البلغاء وتسمو على مناط فنهم ، ومن حيث الموسيقى ترى فنانيها يتأثرون بالقرآن ، ومن حيث التصوير نرى فنا عجيبا يسحر اللب ويسيطر على منازع النفس وأهواء القلوب ــ هذا ــ بالاضافة الى ما في قصصه من فن باهر وما في اتساق معانيه وائتلاف اغراضه ــ في السورة الواحدة ــ من نظام مدهش رائع يسمو على قدرة البلغاء ويعلو على آفاقهم ، فالسورة الواحدة وحدة ونظام مؤتلف مهما كان فيها من كثرة تصريف الحديث وتلوين الخطاب سواء في ذلك الطويلة والقصيرة كأن السورة في ائتلافها وتناسق اوضاعها بناء هندسي قد احكم فنه وزاد اتقانه حتى صار كلا لا يتجزأ ، إذ ليس هناك فجوات او ارتجال في التنقل بين المعاني والاغراض .. فالآية اللاحقة تشد بعروة السابقة برباط محكم لا انفصال فيه ولا انفصام ، والسورة بناء حي متماسك .

وعن معاني القرآن

يقول « قد وصف القرآن رب العالمين المثل الاعلى وذلك لجمعه صفات الكمال فهو الواحد القهار القوي القادر الشديد السميع ، كما ابرز القرآن نعم الله وفضله على عباده فانعم عليهم بالرزق والهدوء والسكينة وخلق لهم الشمس ، والقمر

وسخرهما لهم ، وجعل الارض ذلولا يمشون في مناكبها ويأكلون من رزقها ـ ولم تقف معاني القرآن على العبادة والتوحيد ، فانها قد اهتمت بالفرد والجماعة والمعاملات والعلوم بمعنى انه يشتمل على دروس المواد العلمية ، اما الأشياء التفصيلية التي هي من خصائص الانسان فلا علاقة لها بالقرآن .

التصوير البياني

احتوى القرآن الكريم على روائع الصور التشبيهية ـ والذي يلفت النظر ان هذه الصور قد انتزعت اجزاؤها من عناصر الطبيعة ومن ثم جاء استمرار حيويتها الدائمة استمرار الطبيعة نفسها كلما وقعت اعينهم على الاشياء المحيطة بهم فنحن لا نكاد نجد من تشبيهات القرآن تشبيها واحدا يدرك جماله شخص دون اخر ، ويتمثل هذا في قوله تعالى « **الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء** » **النور** / ٣٥ .

وقد حفل القرآن بعديد من الصور الاستعارية كقوله تعالى (**واشتعل الرأس شيباً**) **مريم** / ٤ و(**ارسلنا عليهم الريح العقيم**) **الذاريات** / ٤١ و(**الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور**) **اول ابراهيم** والاسلوب الكنائي ليس بدعا من بين الصور البيانية ، فلقد حفل الكتاب الحكيم بضروب شتى منه كقوله تعالى (**وغيض الماء**) **هود** / ٤٤ و (**فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين**) **الزخرف** /٧١ **وكقوله تعالى (وماكنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر)** واذا كان العرب قد جعلوا للكناية مزية على التصريح ، فانهم لم يجعلوا تلك المزية في المكني عنه ، فطول القامة وكثرة القرى لا يتغيران بأن يكنى عنهما بطول النجاد او كثرة الرماد ، وانما نكون قد اثبتنا كثرة القرى باثبات دليلها ومشاهدها وذلك ابلغ من اثباتها بنفسها .

نظم القرآن

ونظم القرآن قائم على الموسيقى وعلى الروح المستشفة من هذا النظم ، انها تخاطب الروح والفاظه ليست الفاظا فقط بل هي حياة تضطرب ، فيها زيادة على صوت النفس الطبيعي في تركيب اللغة العربية صوت الفكر فيما فوق ذلك الى صوت الحس في الألفاظ والمعاني المثلة من ذلك قوله تعالى (**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) **البقرة** / ٢٨٦ فانه كان يمكن ان تأتي اللفظتان بغير زيادة فيقال « لها ما كسبت وعليها ما كسبت » وانما

منع من ذلك ما يحصل للنظم من العيب واغماض المعنى الذي قصد ، اما العيب فاستثقال تكرار لفظة « كسبت » بغير زيادة في نظم قربت الثانية من الاولى .

وأما الاغماض فلان المراد الاشارة الى ان الفطرة التي فطر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس عليها فطرة الخير ، فالانسان بتلك الفطرة السابقة في اصل الخلق لا يحسن ان ينسب اليه الا كسب الحسنات ، وما يعمله من السيئات يعمله لمخالفته الفطرة ، فكأنه تكلف من ذلك ما ليس في جبلته ، فوجبت زيادة التاء التي للافتعال ، فحصلت بزيادتها اماطة العيب عن النظم لمخالفة احدى اللفظتين اختها ، والاشارة الى المعنى المراد ، ليوافق معنى هذا الكلام معنى قوله تعالى (**فطرة الله التي فطر الناس عليها**) **الروم / ٣٠** ومعنى قوله عليه السلام « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وبهذا ينتهي بحث المرحوم الدكتور حفني محمد شرف .

واذا سمحت لنفسي هنا ان اسجل بعض ما ند عن الباحث الكبير نتيجة سهو ، فان هذا لا يقلل من شأن واهمية كتاب « الاعجاز البياني بين النظرية والتطبيق » .

ففي ص٢١ ـ يقول « ويمكن القول بأن الدراسة القرآنية كانت في القرن الثاني دراسة لغوية اي تتعلق بالالفاظ والمعاني واثرهما في النفس » وهذا حكم مطلق بلا عنان وكتاب مجاز اقرآن لابي عبيدة يشهد بأن العرب قد شغلوا بالاسلوب والصور والاخيلة وفي محاولة الدكتور زغلول سلام في كتابه « اثر القرآن في النقد العربي القديم » والتي اثبت فيها بوضوح وجود بذور فنون البلاغة من بيان ومعان وبديع في مجاز ابي عبيدة ـ في هذه المحاولة دليل على ان القرن الثاني لم يتوقف عند جانب واحد من دراسات الاسلوب .

ومع هذا الحشد الحاشد من العلماء الذين ذكرهم الباحث نسي الزمخشري بكتابه « الكشاف » ـ ولا ادري لماذا آثر الباحث استعمال « التقيت بابي عبيدة وقابلت الرازي » واحيانا يقول « التقيت مع الباقلاني » بينما هي « التقيت بـ » مع ركاكة الاستعمال نفسه .

والباحث يتهم البلاغيين بانهم لم يلتفتوا الى القصص القرآني وذلك لأنه لم يرجع الى الكشاف للزمخشري ، وكنت اود ان يتسم البحث بشيء من العمق والايجاز والتخلص الى النتائج في سهولة وابراز الجهد الذاتي والفكر الخاص الذي يتجلى دائما بعد ان تمتلئ النفس من الاغتراف من بحر الآخرين ـ اما هذه الدراسة فيخيل الي لو ان المرحوم الدكتور حفني مد الله تعالى في عمره الخصيب لأعاد النظر في كثير مما جاء بهذا الكتاب .

الاستشراق

ان كثيرا من المسلمين لا يعلمون أن غالبية المستشرقين وان اختلفت أوطانهم ولغاتهم الا أنه اتفقت أهدافهم وغاياتهم على أمر واحد ، هو النيل من الاسلام ونبيه ، ولو كان ذلك عن طريق تشويه الحقائق واختلاق الأباطيل والعيوب وتلفيق التاريخ وتفسير حوادثه تبعا لأهوائهم ورغباتهم مدفوعين في ذلك بحقدهم الدفين .

وان نظرة خاطفة على تاريخ الاستشراق كفيلة باثبات ذلك الذي نقرره .

لقد بدأ الاستشراق عندما ازدهرت الحضارة الاسلامية في الوقت الذي كان الغرب المسيحي يتخبط في ظلمات الجهل والفساد والضلال ، ولقد أعجب بعض رجال الغرب بحضارة المسلمين فتوجهوا الى البلاد الاسلامية ينهلون من ثقافتها .

وما لبث الرهبان أن سلكوا هذا الطريق ولكن بأساليب معوجة ، اذ اهتموا بالثقافة العربية الاسلامية ، ليس حبا فيها ، ولكن لغاية في أنفسهم ، هي تشويه الاسلام ، وكان أول المستشرقين منهم ، هو الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا

نشأته وأهدافه

للمستشار
علي عبد اللاه طنطاوي

لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الاندلس وعودته الى بلاده ، ومن هؤلاء أيفا بطرس المحتوم عام ١٠٩٢ : ١١٥٦م وجيراردي كريمون ١١١٤ : ١١٨٧م .

وهكذا لم ينشأ الاستشراق كما يتصور البعض لخدمة العلم والمحافظة على تراث الشرق من الضياع وانما بدأ أول ما بدأ في رعاية الكنيسة الكاثوليكية وخضع لاشراف دقيق منظم من كبار أحبارها وكان الرهبان والعقاد الرسوليين هم جنوده الأولون .

وهكذا كانت الكنيسة دائما من وراء نشاط الاستشراق تؤيده وتؤازره ، كما أنها كانت تقوم بدورها المباشر في تشويه الاسلام وتزييف تاريخه ، ليتسع لها المجال لتصوير النبي صلى الله عليه وسلم على خلاف صورته التاريخية ، كما أنها أحرقت نسخة القرآن الكريم في البندقية عام ١٥٣٠م وحرم البابا اسكندر طبعه وترجمته ، واستمر الحال على هذا الشأن حتى جاءت الحملات الصليبية بقصد القضاء على المسلمين وتقويض حضارتهم ومحو تراثهم ، ولكن الله عز وجل رد كيدهم الى نحورهم فعادوا

مـدحورين يجـرون وراءهم أذيـال الخيبة والفشل .

ورأت هذه الحكومات الصليبية بعد ذلك أن تجرب سلاحا غير سلاح السيف الذي فشلت فيه ، فبدأت تجرب سلاح الفكر والقلم تحت ستار البحث العلمي ، وقـد وجد هؤلاء الحكـام في المستشرقـين ضـالتهم المنشودة .

وبدأ عهد جديد تمثل في التعاون التام بين ملوك أوروبا والكنيسة على شد أزر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم ، حتى أضحى المستشرقون في بعض الأوقـات يتبعـون وزارة الخارجية والمستعمرات .

وعنـدمـا احتلت أوروبـا بـلاد الاسلام ، قام الغزو الفكري الصليبي بنشر سمومه وتحريفاته وأباطيله بين أرجاء الوطن الاسلامي ، ومن المحزن أن بعض المسلمين المتولـين بعض المناصب سيما التربوية انطلت عليهم هذه السموم في شرابها المعسول ، فأخذوا يرددونها ، خاصة في دور العلم مما كان له أوخم الآثار .

ورغم استعمال هؤلاء المستشرقين أقنعـة براقـة وشعارات زائفـة في الوصول الى غايتهم المنشودة ، الا أن بعضهم لم يستطع اخفاء ما تطفح به قلوبهم من حقد على الاسلام ونبيه ، فتمادوا في كذبهم وافترائهم الى حد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم هما سبب انحطاط المسلمين .

وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي كيمون « ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلـل عام وجنون ذهولي ، يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ويدمن على معاقـرة الخمور ، ويجمع بين القبائح ، وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين » .

ويرى هذا المستشـرق وأمثالـه كثيرون المسلمين وحوشا ضارية ، ويعتقد أن من الواجب ابادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر .

ويقول وليم جيفورد « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة والتي لم يبعدها عنه الا محمد وكتابه » ؟؟

ومن نافلة الحديث القول بأن مثل هذه الآراء لا يمكن أن تصدر الا من جاهل بأحكام الاسلام ، أو من عدو حاقد عليه أو من مكابر ضال لا يقتنع بدليل أو بـرهان ، اذ أن الـواقع والتاريخ خير شاهد على عكس ما يقرره هذان المستشرقان وأمثالهما ، ويكفينا ردا على هذه الأباطيل آراء بعض المستشرقين مثل السير وليم موير الذي قال :

« امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وأنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الانسانية في زمن قصير ، كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم . »

ولا شك أن هذه كلمة حق وانصاف ، وان كنا نود أن نضيف أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس مصلحا فحسب ، كما قرر المستشرق وانما هو نبي ورسول .

ويقول المفكر الفرنسي الكبير روجيه جارودي في محاضرة القاها بدار الأهرام في نوفمبر ٦٩ « ان الفتح العربي لم يكن غزوا ولم يكن استعمارا ، انه أوجد في كل بلد فرصة لخلق حضارة من صنع الاسلام ملتحما بالحضارة المحلية » .

ويصف المستشرق الأمريكي ادوارد رمسي حالة العرب قبل البعثة المحمدية وبعدها فيقول :

كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد في أحط الدركات حتى ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان .

وكان العرب يعيشون في جو فاسد مملوء بالغبار والميكروبات الاجتماعية حتى أن مجرد ذكر هاتيك الأيام تقشعر منها النفوس .

وهنا بزغ فجر عصر جديد ، وبشرت الأيام بسطوع شمس العرفان وانقشاع سحب الجهالة المظلمة ، وبالاجمال أتى الوحي من عند الله العلي القدير الى رسوله ونبيه الكريم محمد بن عبد الله ، ففتحت حججه العقلية أعين تلك الأمة الجاهلة .

ويقول ونيسون في ذلك أيضا « كان العالم على شفا جرف هار من الفوضى ، لأن العقائد التي كانت تعين على اقامة الحضارة قد انهارت . أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه » .

ويقول المستشرق الأمريكي فيلكو « كان عقل محمد النبي من العقول الكبيرة التي قلما يجود بها الزمان . كان يعامل الصديق وغيره والقريب والبعيد والغني والفقير والقوي والضعيف بالمساواة والانصاف » .

ومما يصور حقد المستشرقين على الاسلام أصدق تصوير هو ما قاله المستشرق لورانس براون : لقد كنا نتوجس خوفا من شعوب مختلفة لكننا بعد طول الاختبار لم نجد ما يبرر قلقنا تخوفا من الخطر اليهودي والخطر الشيوعي والخطر الأصفر الا أن هذه المخاوف لم تستند الى أي أساس .

لقد وجدنا اليهود أصدقاءنا ، ورأينا البلاشفة حلفاءنا ، أما الخطر الأصفر فهناك دول كبرى تتكفل بالقضاء عليه ، ولكن الخطر الحقيقي يكمن في نظام الاسلام وفي قدرة هذا الدين على التوسع والاخضاع وفي حيويته انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي ..

والغريب أن عين الحقد التي ينظر بها هذا المستشرق للاسلام ، جعلته يعتبر انتشار الاسلام توسعا ويظن أن مبادئه المقنعة اخضاعا .

ولقد رأى بعض المستشرقين أن هجومهم السافر على كتاب الاسلام ونبيه لن يحقق لهم غاياتهم وأهدافهم فلجأوا الى أسلوب المداراة والمواراة ،

الذي هو أشد خطرا وأكثر فتكا ومن هذا الاسلوب الذي سعوا الى استعماله ، محاولتهم صرف المسلمين عن لغتهم العربية التي أنزل بها كتابهم ، وذلك عن طريق الدعوة الى استعمال اللهجات العامية بدلا من اللغة العربية الفصحى .

وقد نادى بعضهم باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

وقد ظهرت هذه المحاولات عام ١٨٨٢م وقد رددها من أبناء العرب بعض المخدوعين والحاقدين زاعمين أن اللغة العربية سبب من أسباب التخلف عن ركب الحضارة ، ولا زال هؤلاء الأعداء يحاولون بعث هذه الأفكار ومن ذلك ما حدث في مؤتمر برمانا بلبنان المنعقد في شهر يونيو ١٩٧٣ .

وغني عن البيان أنه لا غنى للمسلم عن اللغة العربية الفصحى في معرفة دينه واقامة عبادته وشعائره وتلاوة الكتاب المنزل على نبيه ، وان من قصد صرفه عنها انما قصد أن يصبح الاسلام مهجورا وفي ذلك يقول الكاتب الاسلامي الكبير المرحوم محمود عباس العقاد :

« زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غبار الأمم فلا يبقي له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا ايمان » .

ويقول هنري لاوس « ان اللغة العربية عندي من أهم دواعي وحدة الثقافة بين المسلمين وأهم أسباب تفوق هذه اللغة أنها اللغة الرسمية ولغة الدين ولا بد لفهم القرآن والحديث النبوي من معرفة اللغة معرفة دقيقة » .

وليت هؤلاء الذين انساقوا وراء غوايات المستشرقين تدبروا قبل انسياقهم قول المنصفين منهم مثل ماسينيون أستاذ اللغة العربية بجامعة السوربون حيث يقول: « ان اللغة العربية بفضل تركيبها قادرة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول ، ومن هنا كان للعرب الفضل في استكشاف رموز الجبر والمسلسلات الحسابية ، وهي لغة وعي ولغة شهادة وينبغي انقاذها سليمة بأي ثمن لتصبح اللغة الدولية المستقبلة » .

ويقول سارتون « كانت لغة العلم الارتقائية للجنس البشري حتى لقد كان ينبغي لأي انسان اذا أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية » .

وهكذا اختلفت أساليب المستشرقين وتعددت وسائل غزوهم الفكري محاولين النيل من الاسلام ، ولكن لا يفوتنا القول بأن مجموعة منهم كانوا أصحاب ضمائر حية ، فأبوا الا أن يسروا حقيقة ما انتهت اليه دراساتهم الطويلة ، وبحوثهم العميقة ، فكانت كلمة حق في الاسلام ساعدت على تصحيح بعض أفكار الغرب الخاطئة عنه ، ومن هؤلاء المستشرقين من اعتنق الاسلام وحسن اسلامه ، ومنهم من ظل على عقيدته رغم التزامه بالتجرد والامانة العلمية في كتاباته .

قصة اسلامية

الرجل الذي اهتز له عرش الرحمن



للاستاذ خميس عواد عودة

خذها مني ، وانا ابن العرقة

قالها حبان وانطلق سهمه من قوسه ، عابرا خندق سلمان ، يمزق الهواء بقوة ، قاصدا سعدا ، حامل لواء الأنصار فاصابه ، وقطع وريده . انبثق منه الدم ، يجري سريعا ، سرعة النبال المتراشقة منسابا انسياب السهام الطائرة حوله . فسقط يتلوى ألما ، ويتمتم بكلمات يكاد يسمعها رفيقه ..

ـ حرق الله وجهك في النار .

قالها سعد بن معاذ متجها ببصره صوب الرامي ، هناك شمال الخندق .

وتحلقته جماعة من المسلمين ، يفحصون جرحه . عيناه زائغتان ، بينما تتمتم منه الشفتان ..
ـ اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها ، فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه ، وأخرجوه . وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة .
وسكنت شفتاه ، وارتخى جفناه ، وراح في غيبوبة ، وبدأ الدم تخف سرعته ، وتقل كميته حتى وقف النزف تماما قبل ان تحاول رفيدة شيئا مع الجرح .
أفاق سيد الأوس ، ونظر الى جرحه وقد جف وتحسس الدم وقد كف ، فاكتسى وجهه بمزيج الفرح والجد ، فقد فهم من البرء السريع ان الحرب لم تنته ، وان بني قريظة حان أمرهم . وتابع اخبار المعركة راقدا تحت خيمة رفيدة ، والمناوشات بالسهام والرماح مستمرة .
قفز مشرك الى قاع الخندق يختال فوق فرسه صائحا ..
ـ هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟
توقفت الحركة تماما ، وصمت الجميع على جانبي الخندق , من هذا ؟!
عمرو بن عبد ود ؟! الفارس الكفء لألف ؟!! قفز بخفة ابن العشرين رغم سنوات عمره التسعين . قفز الذي يجبن الرجال عن منازلته ، خوفا ورعبا .
قفز عمرو بفرسه ، وحوله ابطال مغاوير ، يشدون ازره ويقودون غطفان ، وبني مرة ، وبني أسد ، وعلى رأس هؤلاء وهؤلاء قريش . عشرة آلاف مقاتل يحركهم الحقد ، ويدفعهم الشيطان لمحاصرة النور .
برز علي بن ابي طالب في السبحة يتقدم الى المقاتل الكفء لألف مجيبا سؤله .
تفرس فيه عمرو بن عبد ود ، طويلا ، ساخرا ، مستنكرا ثم قال مستهزئا ..
ـ لم يا ابن اخي ؟ والله ما أحب ان اقتلك .
ـ ولكني والله اني احب ان اقتلك .
كان رد علي شرارة اشعلت سخط ابن عبد ود ، فزمجر ، وعفر ، وقفز مجنونا ، تاركا فرسه ، وعقره بسيفه ، واستعد للنزال ـ مغرورا ـ دونه .
قفزت القلوب الى الحناجر ترقب السبحة . وتوقفت العيون في محاجرها ، تشاهد ـ فزعة ـ المعركة . وسعد بن معاذ تحت خيمة الجرحى يتابع ما يدور متحسسا ذراعه المصابة ، متألما لمكانه هنا بعيدا عن القتال .
الموقف ألهب الجو ، فأسرع أحد الصحابة ينقل ما يدور إلى سيد الأوس الجريح . عيناه معلقتان بشفتي الصحابي يصف المعركة .
الدماء تسيل على الوجه الكريم ، ابن عم رسول الله يتراجع امام ابن عبد ود . درقة « علي » تحمل آثار ضربة هائلة من سيف جبار . كريم الوجه يتراجع .

وسعد الجريح يتميز من الغيظ ، قعيد ، يسمع الصحابي يتابع الوصف .. عمرو يتقدم بضربات متلاحقة في اصرار ، ابن ابي طالب يتراجع ، وعيناه مركزتان على سيف عمرو . خطوات للامام تقابلها خطوات الى الخلف ، صدر متقدم بكفره ، وآخر متأخر بمكر . ابن عبد ود بضرباته السريعة المتتالية يتفاداها « علي » بذكاء . شك الكافر في تراجع « علي « الذي استمر يتحرك الى الخلف . فزع الكافر من هذا التقهقر ، خال احداً يتسلل خلفه ، فالتفت المشرك سريعا ، سيف « علي » اسرع . اطاح بساق الفارس الكفء لألف ، تمت الخدعة التي حاكها علي بن ابي طالب ، امسك عمرو المترنح ساقه مذهولا وقذف بها « علي » المخادع ، المنتصر ، والفارس الذي كان كفءا لألف سقط في بركة من دمائه ، عيناه جاحظتان خلف زملائه الفارين ، فانكفأ يتخبط في الأرض ، واناشيد المسلمين تعلو .. الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

هلل سعد ، وكبر ، وأراد النهوض ، لكن ضعفه اقعده من جديد الى الأرض .

ارخى الليل سدوله ، فشمل السكون الجميع ، وهجع كل الى سلاحه ، يصلح منه ، ويشحذه ،ةثم ينال قسطا من الراحة ، حتى تبزغ شمس يوم جديد .

المشركون عبأوا رجالهم ، وفرقوا كتائبهم ، ونحوا الى رسول الله كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فصمد المسلمون ، وقاتلوا ساعات طويلة الى هوى من الليل ، ورجع الفريقان الى منازلهم منهوكين .

وبدأت كتل الظلام تجثم على المكان ليست جحافل الليل المعتادة التي تخيم على الكون كل مساء ، لكنها الليلة زخات كزخات المطر ، تنهمر ، صفوفا متراصة ، وتشكيلات عجيبة ، لو رآها انسان لظنها جيشا عرمرما في الطريق الى معركة حاسمة ، لكن التعب غلب الجميع فاستكانوا للنعاس ولم يروا الزخات التي حجبت نور القمر ، لم يشاهدوا ملائكة السماء ، جاءت في دفعات متتابعة ، تنزل شمال الخندق ، يواكبها ريح صرصر ، وتظللها سحابات داكنة ، تجمعت من كل فج ، وتحلقت فوق سماء المعركة ، فأظلمتها ، اما الرياح فجاست مع جنود السماء وسط خيام الأحزاب فاقتلعتها ، والقدور اكفأتها ، والنيران أطفأتها .

ثم هبطت جحافل الليل المعتادة تنضم إلى الملائكة المقاتلين يلقون الرعب في قلوب الأحزاب ، وينشرون الظلام والفزع بين صفوف قريش ، وحلفائها من غطفان ، وبني مرة وبني أسد ، حتى إن أبا سفيان انخلع قلبه هلعا فصاح ..

ـ يا معشر قريش .. إنكم والله ما اصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع .. و ..

لكن صرصرة الرياح غطت صراخه ، ولم يعد يسمع صوته ، وزاد الهرج والمرج ، وقطعت الابل مرابطها ، وفزعت الخيل الى كل اتجاه ، وعاد صوت أبي سفيان مع هبوب الرياح يعلو .

ـ لا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل .

وتنفس الصبح عن مكان ساكن ، وجو جميل ، فقد تبدلت عاصفة الأمس الى صفاء . ونظر المسلمون فلم يجدوا احدا من جموع العدو الحاشدة ، فقد ارتحلوا قبل اشراقة الصباح ، جرح سعد ما زال حيا ، فيه ألم ، غير أن النزف توقف ، والسكينة والرضا باديتان على محياه ، وطرق سمعه حديث الرسول الكريم .

ـ لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة ، الان نغزوهم ولا يغزوننا .

هلل وجه سعد ، وتابعت عيناه جموع المسلمين وهم يتجهزون لبني قريظة ، وعاد هو الى المدينة محمولا على دابة ، حتى استقر في المسجد تحت خيمة رفيدة مع الجرحى . تمضي به الأيام بين أغفاءة وإغماءة ، ولم يعد يقوم من رقدته الا للصلاة او لقضاء حاجة ، او ليسمع أخبار الحصار الذي فرضه رسول الله على اليهود من بني قريظة ، حتى أتاه رسول رسول الله يخبره نزول بني قريظة على حكمه فيهم .

هب كالاسد الجريح ، لا يقوى على الحركة فحملوه على دابة في الطريق الى رسول الله .

وتحركت الصور بطيئة في خياله ، وعادت به الذاكرة الى ايام الخندق العصيبة ، عندما ارسله الرسول مع سعد بن عبادة في نفر من أصحابه الى بني قريظة ، ليعرف حقيقة نقضهم لعهدهم مع رسول الله ، فجاءت كلماتهم ترن الآن في اذنيه ، كما كانت تقال حالا ..

ـ لا عهد له عندنا .

فجعل يناشدهم الوفاء ، ويحذرهم عاقبة الخيانة والغدر ، ولكنهم افحشوا له في القول وشاتموه .

وتتتابع الصور الأليمة امام ناظري سعد الجريح ، صور حية مثل جرحه الحي . حاول مشاتمتهم ، غير ان رفيقه منعه قائلا ..

ـ دع عنك مشاتمتهم ، فالذي بيننا وبينهم أكثر من ذلك .

وتتحرك هذه الصور ، كما تتحرك به الآن دابته البطيئة وسط المحاربين المؤمنين . ويتطلع الجميع ناحية الدابة تمشي وسطهم تشق طريقها ببطء ، ويفسح لها جمهور المسلمين الطريق حتى اقتربت من نهاية الطريق ، تحمل الجريح العظيم . وتركزت الأنظار عليه ، وقد اكتسى وجهه بالضعف ، ومالت عليه جماعة من الأوس ترجوه .

ـ احسن في مواليك .

ويجيب في حزم ..

ـ لقد آن لسعد الا تأخذه في الله لومة لائم ، وصعد الى ذاكرته كلام سعد بن عبادة ..

ـ دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك . فجعل يكرر عبارة ابن عبادة بصوت خفيض ، حتى وصل الى حيث ينتظره رسول الله ، فاستقبله يفسح له الطريق قائلا ..

ـ قوموا الى سيدكم .

وكأن مئات من الطير وقفت على رءوس الصحابة ، وساد السكون والصمت الجميع ، ينتظرون الحكم ، ينتظرون ما ينطق به سيد الأوس ، واعلن :

ـ إني أرى يا رسول الله أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ،

وهكذا خلت المدينة ممن لا عهد لهم ، وتطهرت يثرب ممن غدروا برسول الله والمسلمين ، ونقضوا عهدهم في زمن القتال .

علا الاطمئنان وجه الجريح ، سيد قومه ، فقد عاش حتى جاهد القوم الذين آذوا رسول الله وكذبوه واخرجوه ، وانفجر الدم من عرقه المصاب ، غزيرا غزيرا ، كما لو كان جرح الآن . فاحتضنه الرسول ، والدماء تتفجر كينبوع ، وسال الدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء ابو بكر الصديق يهرول ، وقد فوجيء بما رأى فتحرك لسانه ذاهلا ..

ـ وانكسار ظهراه .

غير أن النبي الكريم يمنعه ..

ـ صه .

ويغيب سعد الجريح في غيبوبة هادئا ، مسلما أمره لله ، راضيا بقضائه .

ويتركه الرسول في اغماءته لأمر من أمور المسلمين ..

وبدأت قوافل الملائكة تهبط من السماء ، حتى بلغ عددهم سبعين ألفا ، ما وطئوا الأرض من قبل ، يتقدمهم أمين الوحي ، جبريل ، معتجرا عمامة من استبرق . واتجه الى الرسول يسأل ..

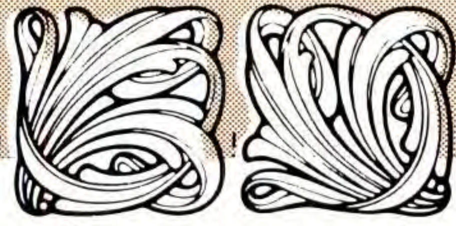
ـ يا نبي الله .. من هذا الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتز له عرش الرحمن ؟!

فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم سريعا ، يجر ثوبه ، يهرول صوب سعد ، فوجده قد قبض .

ويتحرك الموكب العظيم ، نبي الله ، صحابة رسول الله ، مهاجرون ، وأنصار ، يحفهم سبعون ألفا من الملائكة ، في جنازة سعد بن معاذ ، التي هدأت نفسه بتكريم الله له ، وقرت عينه في بني قريظة .

وعاد الرسول من جنازة سعد ودموعه تحادر على لحيته وأشار النبي الأمين وهو يقول :

ـ وبحق أعطاه الله ذلك .



مجتمع الانفاق

سمة الاسلام التكامل والتوازن بين قوى النفس الحسية والمعنوية، وهو في ذلك تعبير عن تكامل الشخصية الانسانية . فكما أننا لا نستطيع فصل جسد الانسان عن روحه فاننا بالمثل لا نستطيع فصل الدين عن الدنيا في نظام الاسلام . وذلك ملحوظ في كل ما أتى به القرآن الكريم من أحكام وتعاليم . فالعبادة فيه مقرونة بالعمل كما تقترن النظرية بالتطبيق ، والايمان فيه مقرون بالسلوك كما تقترن حياة الفرد الخاصة بحياة مجتمعها العامة . وبهذا الربط العضوي بين طاقات الانسان الروحية والمادية وتوفيقه بين باطنه وظاهره ومزجه بين العقيدة والمسلك اعاد الاسلام صياغة الفرد البشري ووصل بينه وبين مجتمعه برباط من التعادل والانسجام امتزجت فيه فردية الفرد بجماعية الجماعة بحيث انمحت ثنائية الفرد والمجتمع باكتساب الفرد الشخصية الجماعية . وقد ركز القرآن الكريم على خلق هذه الشخصية الجماعية للفردبتربيته تربية فكرية وعملية ترسب في أعماقه قيم الجماعة وتغرس في ضميره كل مظاهر التعاون والتضامن التي تجعل المواطنة الحقة تنبع من داخل الفرد وتنعكس على كل تصرفاته الخاصة والعامة بوحي من الضمير الذي رباه الايمان وصبغ كل معاملاته بصبغة الموضوعية المستمدة من خشية الله التي هي المعيار الأوحد الذي تقاس به الأعمال متى بلغ المؤمن درجة الاحسان التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) رواه البخاري وليس من دليل على هذه الصياغة الجماعية للفرد أبلغ من التركيز على فكرة الانفاق في القرآن الكريم .

فان الحديث عن الايمان النظري

والايثار

للدكتور . عون الشريف قاسم

والحث على فعل الخير بالكلام والموعظة قد يؤثر تأثيرا وقتيا على بعض النفوس ولكنه ما لم يقترن بالعمل فلن يؤتي ثماره الباقية . ومن ثم قرن الله سبحانه وتعالى الايمان بالانفاق في كثير من آيات القرآن الكريم التي تكررت فيها فكرة الانفاق في اكثر من سبعين موضعا . كقوله تعالى في سورة الحديد : (**فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**) من الاية /٧ وكقوله تعالى في سورة النساء : (**وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله**) من الاية/ ٣٩ . بل هو يذهب إلى أكثر من ذلك في سورة البقرة حيث يجعل الانفاق علامة لازمة من علامات التقوى في منزلة واحدة مع الايمان بالغيب وإقام الصلاة فيصف المتقين بقوله الكريم : (**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**) الآية /٣

ويجعل بلوغ مرتبة البر التي هي من اعلى درجات الايمان مرهونة بالانفاق كما جاء في قوله تعالى في سورة آل عمران : (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) من الاية/٩٢ وليس الانفاق الوارد في هذه المواضع التي تتجاوز السبعين مقصودا به الزكاة الواجبة فحسب بل هو دعوة عامة إلى البذل والانفاق بما يفوق الفرض الواجب مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن في المال حقا سوى الزكاة) . وقد رغب الله في الانفاق وحث عليه ووعد المنفقين خيرا في قوله الكريم : (**وما تنفقوا من خير يوف إليكم وانتم لا تظلمون**) البقرة/٢٧٢ وانه سيخلفه كما جاء في قوله تعالى : (**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**) سبأ/ ٣٩ وقال تعالى : (**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع**

سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) البقرة/٢٦١ والانفاق ليس مقصودا لذاته وانما هو موصول السبب بنتائجه الاجتماعية الخيرة التي تصل بين الناس برباط المحبة والالفة والتعاون ، ولذلك فقد فصل القرآن الكريم القول في الجو النفسي الذي يحقق به الانفاق هذا الأثر المطلوب ، كما في قوله تعالى : **(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم)** البقرة/٢٦٢ . وقال تعالى : **(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس)** البقرة /٢٦٤ ، ونعى على أجلاف العرب مسلكهم المكروه في الانفاق في قوله الكريم : **(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما)** التوبة/٩٨ وبين في كثير من المواضع أن يتجه الانسان بما ينفق إلى الله : **(وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله)**البقرة /٢٧٢ وبين منهج الاسلام في الانفاق باتباع سبيل التوسط :**(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** الفرقان /٦٧ وان يكون ذلك في كل الأوقات في السر والعلن : **(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية)** البقرة/٢٧٤ **(قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية)** ابراهيم/٣١ وفي السراء والضراء : **(الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ)** آل عمران/١٣٤ ولفضل الانفاق في تركيز دعائم المجتمع المسلم وتسابق المسلمين فيه للفوز بثمراته الطيبة تحدث القرآن الكريم عن أولئك المسلمين الفقراء الذين حال فقرهم دون الانفاق ووصفهم بقوله الكريم : **(تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة/٩٢ وأزال حزنهم بقوله تعالى : **(ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله)** التوبة/٩١ . وقد روى أبو ذر رضي الله عنه (أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ذهب أهل الدثور (أي الأغنياء) بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة (قول لا اله الا الله) صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع (أي النكاح والجماع) أحدكم صدقة ، قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) رواه مسلم ويتضح من ذلك قيام المعنويات مقام المحسوسات في ميزان الاسلام وقيام المحسوسات مقام المعنويات لأنهما وجهان لحقيقة

واحدة هي حقيقة الايمان الذي يمتزج فيه القول بالفعل والعقيدة بالعمل مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

بهذا التركيز العظيم على الدعوة لبذل المال في سبيل الآخرين أصبح الانفاق الركيزة العظمى للعدالة الاجتماعية في المجتمع المسلم ، وبدافع من ذلك رأينا أغنياء المسلمين ينفقون جل أموالهم في سبيل الله وفي سبيل مجتمعهم مثلما فعل أبو بكر في إنفاق ماله ، ومثلما فعل عثمان بن عفان في تجهيز جيش العسرة الذاهب إلى مشارف الروم ، ومثلما فعل عثمان أيضا عندما أقبلت قافلته التجارية من الشام إلى المدينة وهي محملة بالطعام في زمان ضيق ومجاعة فأقبل عليه التجار يساومونه فرفعوا ثمنها مرة ومرتين وثلاثا حتى بلغوا خمس مرات وفي كل مرة يقول لهم لقد أعطيت أكثر من ذلك . فلما يئسوا قال لهم : « إن الله ضاعف لي ثمنها عشر مرات » وفرقها جميعها على أهل المدينة دون ثمن . ولعله لهذا السبب لا نجد في تاريخ الاسلام والمسلمين ذلك الصراع المرير بين الاغنياء والفقراء الذي غالبا ما يسود المجتمعات التجارية ، وقد بلغ المجتمع المسلم درجة عظيمة من التطور التجاري وكثرت فيه الثروات ولكن فضيلة الانفاق التي غرستها تعاليم الاسلام في النفوس وجعلتها المعيار الحقيقي لصحة الايمان كانت تدفع بالأغنياء والفقراءعلى السواء لبذل ما فضل عن الحاجة ابتغاء وجه الله الذي حذرهم من اكتناز الثروات في قوله تعالى في سورة التوبة **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)** الآية/ ٣٤ وبذلك عم التراحم والتواصل والمساواة بين المسلمين . والواقع أن غاية الاسلام من الانفاق لا تقف عند تحقيق مجتمع المساواة فحسب وإنما تتجاوزه لتحقيق مجتمع الايثار مصداقا لقوله تعالى : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر/٩ وبهذا الايثار ونكران الذات ومشاركة الآخرين فيما نملك أصبح شعار المسلمين قوله تعالى : **(وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)** . وقد أدى ذلك إلى حفظ التوازن الاجتماعي وإلى التعاون الحقيقي النابع من إلزام الضمير الذي يجعل من يملكون ينفقون على من لا يملكون عن طواعية واختيار ودون قسر أو إكراه . وما أحرانا في مجتمعنا إلى هذه السمة المميزة لحضارة الاسلام التي حفظت لمجتمعنا توازنه وتعاطفه فنسعى إلى التمكين لها في حياتنا الخاصة والعامة ونكتشف من الأساليب ما يجعل أثرها أبقى وأنفع لنحقق قول الله تعالى فينا : **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)** الشورى/٣٨ صدق الله العظيم .

مائدة القارىء

العدل والاحسان

كان المنصور ـ الخليفة العباسي ـ يجلس للقضاء بين الناس ، فجاءوا له برجل أذنب ، فأمر بقتله ، فقال الرجل : إن الله يأمرك بالعدل والاحسان ، فان أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالاحسان .

فأمر المنصور باطلاق سراحه ، وعفا عنه .

في طلب الرزق

○ دعا اعرابي ربه فقال : اللهم ان كان رزقي نائيا فقربه او قريبا فيسره او ميسرا فعجله او قليلا فكثره او كثيرا فثمره ..

دعاء السفر

جاء في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر ، كبر ثلاثا ، ثم قال : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ، اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل » .

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » .

قبلة المسلمين



قال تعالى : « **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** » .

الآية ١٤٤ من سورة البقرة

التكبير

رددوها دعوة مبصرة … ترفع التقوى لمن ضل منارا
واجعلوا التكبير فيكم قبسا … ينشر النور على درب الحيارى
لا يصون الحق أو يحفظه … غير من يرجون لله وقارا

قد عق يومه

قال علي كرم الله وجهه :

من أمضى يومه في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه .

تجنب هؤلاء

قال الأحنف بن قيس :

الكذوب لا حيلة له ، والحسود لا راحة له ، والبخيل لا مروءة له ، والملول لا وفاء له ، ولا يسود سيىء الأخلاق ، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلا أن يكتم ذلك ويتجمل .

الواقعية في قضايا الإسلام

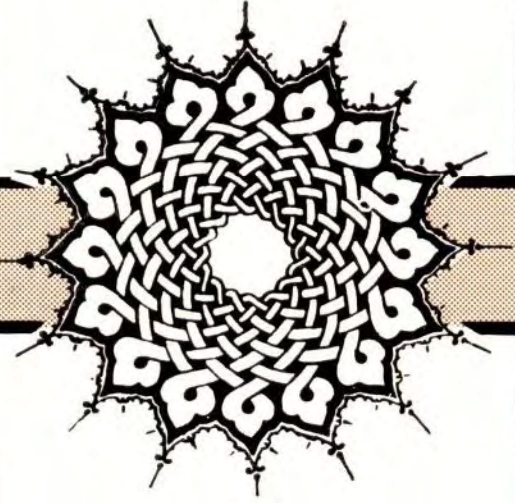
هبوط بعض الناس فجأة على أرض الواقع بعد تحليقهم في سماء الخيال يحدث دويا لافتا ، ومآسي مفجعات ، ثم يدعو الى دراسة الواقعية في حقيقتها ، ومظاهرها ، وثمارها .

فلقد خلق الله الناس أنماطا متباينة من حيث الطباع والنزعات ، ومن ثم وجدنا بعضهم بطبعه الفطري يعيش في ساحات الواقع ، والبعض الآخر يهرب – بنزعة أو لسبب طارئ – الى أجواء الوهم والخيال ، وأبرز ما يتميز به الأولون الاستقرار الاجتماعي والنفسي ، في حين يستمر الآخرون في نبذبات واضطرابات كثيراً ما تؤدي بهم إلى خلل في القوى ، وسطحية في التفكير ، وهما يسلمان إلى اهتزاز الشخصية وخور العزيمة ، وكل ما يجنح بالانسان عن الاستواء المنشود .

والاسلام الحنيف لما كان هدفه الأسمى إيجاد المؤمن الصادق ، وهو يرادف الانسان الكامل ، والشخص السوي – لما كان هدفه هذا وجدناه في تعاليمه كلها يأخذ بمجامع الانسان بحصافة رزينة ، ونهج تربوي سليم – إلى الواقعية مجنباً إياه عواقب التحويم الوخيمة التي تنحصر

للاستاذ

عبد الغني احمد ناجي



في هذا العطن ، وهو التردي من جرف هار في بؤرة السخط والتذمر على قضاء الله عندما يفتح الانسان عينيه ويبصر الواقع الأليم .

وإن أبرز مظاهر الواقعية في الاسلام تتجلى في يسر تشريعه ، وفي تدرجه في نهيه وتحريمه مراعيا في ذلك واقع الانسان ، أي فطرته التي فطر عليها ، وما تتسم به من ضعف بشري أمام التكاليف من جهة ، ثم أمام الاغراءات ، والعادات المتحكمة من جهة أخرى .

فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه السماحة ، وذلك اليسر بقوله : « ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه » ، رواه البخاري والنسائي وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بعصا الواقع الرحيمة على أيدي أولئك الرهط الذين أتوا يفخرون بتشديدهم على أنفسهم ، وهمهم الطيران من أرض الواقع التي ثبتها الاسلام لتثبت فوقها الأقدام . عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ،

فقالوا : وأين نحن من النبي ، صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال احدهم : أما أنا فاني اصلي الليل ابدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؛ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني » متفق عليه

والمظهر الثاني هو مظهر التدرج في النهي عن عادة متأصلة أو تحريم عمل بغيض ، ولربما يتملك الانسان العجب - وبخاصة غير المسلم - حينما يجد الاسلام الحنيف النظيف يقر الموبقات في واقع المسلمين مع ما فيها من ضرر بالغ ، وخطر جسيم لفترة من الزمن ، ثم يأخذ في تحريمها على مراحل وخطوات تسلم أولاها إلى اخراها حتى ينتهي بالناس ، أو ينتهي الناس بأنفسهم إلى الاقتناع بالضرر فيتركوا ، ويرعووا ، .. ثم لا يعودوا ... لا يعودون بأنفسهم دون ما ضغط أو إجبار ، فالاسلام في نهجه التربوي الهادف يشير فحسب من بعيد الى الأثر الخطير ، والضرر الكبير ، لافتاً نظر الانسان إليهما ، شأن والد رحيم أو أم رءوم تلفتان نظر ولدهما الغرير إلى ثوبه ، وقد تقذر من مداد إثر عبثه بالمداد ثم يسكتان فلا يعود .

كان ذلك النهج الواقعي السليم في تحريم الخمر وفي تبغيض الرق ، فقد راعى الاسلام واقع الانسان ، وأنه لا يطيق أن يترك أمرا درج على مزاولته منذ صغره ، وورثه عن آبائه وأجداده بمجرد الأمر بتركه ، وهو إن تركه تحت قسر أو تخويف كان متحفزا - لعدم اقتناعه أو لضيقه النفسي بهذا التحريم الفجائي - إلى أن ينكص على عقبه ، ويرتد إلى حمأته حتى مع لمسه ضررها ، واكتوائه بنارها ، ولا ينجح مصلح يجنح الى هذا التحريم الطفري ، لأنه بذلك يحرك في الانسان المنحرف غريزة العناد فيحرمان معا : المصلح من النجاح ، والمنحرف من الاصلاح .

ولحكمة جليلة تتجلى في مراعاة واقع الانسان خفف الله على المؤمنين المقاتلين في غزوة بدر الكبرى بعد أن أثار نخوتهم ، وأنهض هممهم بقوله تعالى : **(إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون)** الأنفال / ٦٥ وقد صرحت الآيات بعد ذلك تصريحا واقعيا بأن في المؤمنين يومئذ ضعفا ، وهذه لمسة واقعية تتسم بالرحمة الحانية فيجيء التخفيف في قوله تعالى : **(الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)** الأنفال / ٦٦

ولما كان الاسلام دين الفطرة فانه راعى طاقة الانسان المحدودة ، فلم يكلفه فوق طاقته : **(لا يكلف الله**

نفسا الا وسعها) البقرة /٢٨٦ وأباح له ترك ما يجافي هذه الطاقة أو يرهقها ، كاباحته للمسلمين الصائمين مباشرة النساء في ليل الصوم مراعيا واقعهم الذي لم يطق منع تلك المباشرة نهار الصوم وليله ، فاختانوا أنفسهم ، فخفف الله عنهم : **(علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم)** البقرة /١٨٧

ولما كانت الواقعية من أهداف الاسلام ، ليسير بالانسان في طريق أمين إلى شاطئ أمين ، وربما يجنح بعض الناس إلى مجافاتها بدافع التنطع ، والاغراق في المبالغة ـ وجدنا الاسلام يوقف الانسان عن الشطط والايغال ولو في الخير ؛ لأن عاقبتهما بهر وانقطاع ، فعن أبي جحيفة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه » . أخرجه البخاري والترمذي .

وطبيعة الانسان تميل إلى التمتع بأطايب الحياة التي خلقها الله له ، ولو حرمت عليه مع ما فيه من نزوع إليها ، ومع ما فيها من بريق جاذب ـ لمال إليها ناسيا التحريم ، أو متناسيا إياه ، أو ذاكرا ، ولكن ماذا يفعل ؟ لهذا رعى الاسلام هذه الناحية بواقعية ، وأباح التمتع بالطيبات في نطاق القصد والاعتدال . قال تعالى في سورة الاعراف : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** **الاعراف ٣١ ، ٣٢** وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... » متفق عليه فأباح الزواج استجابة للطبيعة البشرية التي فطر الناس عليها .

وهناك المجال الندي الرحيم للواقعية السامية في الاسلام ، وهو ميدان التوبة والعفو مراعاة لطبيعة الانسان التي تجنح الى الخطأ بحكم بشريتها : « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » رواه احمد والترمذي فتقرير أن الخطأ من الانسان زاوية من طبيعة البشرية ، ثم فتح باب التوبة أمامه ليستأنف السير على الجادة السوية ، والطريق المستقيم ـ ذلك واقعية حانية لا يقررها إلا دين سماوي من أخص سماته الرحمة الشاملة ، قال تعالى في سورة الزمر : **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)** الزمر /٥٣ .

هذا جانب من واقعية الاسلام ، يتجلى في مراعاة الشارع لواقع الانسان بحكم بشريته المرسومة بالطاقة المحدودة ، والمدى القريب في مجال النشاط والعمل ، وهذا معنى

وسمها بالضعف كما صرح القرآن الكريم في أكثر من آية حينما يعرض لبيان طبيعة الانسان وسماته البشرية ، وهي لمسات في مجال الواقعية الاسلامية ، تدخل على الفؤاد البرد والسلام ، وتريح المسلم ، وترغب في الاسلام ، ومن ثم كانت ضمن أسباب عديدة عملت على انتشاره ، ثم على تمكنه من القلوب : **(فطرة الله التي فطر الناس عليها)** الروم / ٣٠ .

أما الجانب الآخر من تلك الواقعية الرشيدة فيبرز في توجيه الانسان بطريقة تربوية حصيفة إلى أن ينهج النهج الواقعي في كل تصرفاته عبر حياته ، حتى لا يسخط على قضاء ، أو يميت نفسه كمداً ، وأرحب ميدان لهذا النهج هو « الأسرة » في بدء تكوينها من زوجين مسلمين ، فان الاسلام بتعاليمه الواقعية لما كان ينشد هناء الأسرة أو الحياة الزوجية السعيدة حتى تهدأ النفوس ، وتخلص للعبادة ، وترضى بالواقع – نجده يوجه الزوج – بعد أن يمنحه القوامة على الزوجة – إلى أن ينظر الى شريكة حياته على أنها إنسان مثله ، وكل إنسان بطبعه البشري فيه المحاسن والمثالب ، والمزايا المرضيات ، والنواحي المسخطات ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً ، رضي منها آخر » رواه مسلم .

ففي هذا الحديث النبوي الهادف علاج بل وقاية مما عسى أن ينجم عن الخيال الشاطح والأمل الخادع الجانب عند الزواج ، إذ أن كثيرا من حالات الزواج الفاشلة عند دراستها تتكشف عن نزعة خيالية سارحة كان يعيش فيها الزوج وهو يختار شريكة الحياة ، ولما صدم بصخرة الواقع كره الحياة ، وشريكة الحياة .

والاسلام بتوجيهه الواقعي هنا يلفت المسلم إلى ناحيتين فيهما العلاج : أولاهما النظر إلى نفسه ، فهو إنسان ، وزوجه إنسان ، وثانيتهما : النظر إلى محاسن زوجه بجانب النظر الى مثالبها ، بهذين العلاجين اللذين وصفهما الاسلام تسلم الحياة الزوجية من تصدع ، وتنقذ من انهيار .

ولما كان بعض الناس إذا مرض تناول دواء غيره إن تشابهت الأعراض مراعيا قياس حاله بحال من وصف له الدواء آنفا – فاننا لا نبعد إذا قلنا : إن هذا الحديث النبوي المطب صالح لعلاج كل حالة يكون فيها اتصال إنسان بانسان : زيجة كانت أو صداقة ، فالصديق أيضا إذا اتبع نهج الاسلام الواقعي فراعى في صديقه أنه إنسان يخطئ ويصيب ، ويحمل ما يرضى الناس ، وما يسخطهم – دامت الصداقة بينهما مدى عمريهما ، فلم يصبها تصدع ، ولم ينل منها خلاف .

هذه الواقعية التي يجذب إليها الاسلام كفيلة باسعاد المسلم في حياته ؛ لتطيب في عينه الحياة ، فيرضى عن مبدع الحياة ، ويرضى عنه الله .

عَودَةُ العِيدْ

للأستاذ / : احمد حسن القضاة

عدت يا عيـــد بقلـــب منفطر ... دامـع المقلـة ، هيابـاً ، حذر ..
إذ تجيـل الطـرف فيمـــا بيننا ... وتنادي : يا لقومي ! ما الخبر ؟
لم أكن أدري بمـــا حل بهم ... من هوان وضيـــاع وخطر ..
إنمـــا عهـــدي بهـــم أنهم ... (قلعة) الدين ، وسادات البشر .!

* * *

عدت يا عيـــد وهـــذي حالنا ... كقطيـــع ضل في يوم مطر ..
.. غاب (راعيـه) ولا من عودة ... ويحـــه ! في اي ارض يستقر ؟!
كنـت في الماضي ترانـــا (أمة) ... قد حباهـا الله صيـداً (كعمر)
وحدتهـــا للمعـــالي شرعة ... ومضـــت تنشر عدلا يدكر
عم في الأرض (سـلام) يحتذى ... فاذا الظلـــم بعيـــداً ينحسر

* * *

أنـــت يا عيـد لدينـــا مكرم ... وأعـــز اثنـــين ، طه قد ذكر
عجبـــاً للعـــرب ما أظلمهم ... قيدوا الفـكر ، أطاعـوا من كفر
وتراهـــم لهواهـــم خانعين ... وأضاعـــوا ما لديهـــم من درر
كثر (الزخـرف) في هذي الدنا ... وعـلا الباطـل في شتـى الصور
عمت (البدعة) واستشرى (الهوى) ... و (الضلالات) ولا من (معتبر)
تخـذوا للأم (عيـداً) ما دروا ... أنمـــا عيدهـــا ألا تحتقر !
وكذا (الثورة) أحيوا (عيدها) ... وتغنـــوا بـــين كأس ووتر .!
ليس من يبـــدع نهجـــاً حسناً ... مثـــل من يبـــدع سوءاً وضرر

* * *

أمـــة الاســـلام يا أم العلا ... أيـن فرسانـــك لليـــوم الأغر ؟
أيـــن أعلامـــك : علمـــاً وتقى ... أيـــن أبطـــالك في كر وفر ؟
أمـــة التوحيـــد هذي صيحة ... من صميم القلب توحي بالنذر :
كلما البعد عن (الحـق) طغى ... كلمـــا الكفـــر تبـــدى وانتشر
من يرد نصراً فلا بد له ... ينصر الله بمـــا الله أمر

قصة النفس كما يراها الامام الغزالي رضي الله عنه

النفس

للامام الغزالي رضي الله عنه بحث قيم لعله الأول من نوعه في عالم النفس ، لم يسبقه اليه أحد ، إذ جاء في بحثه ذاك بنظريات تفرد بها في كتاب قديم له عظيم القيمة والمقدار بعنوان مدارج القدس في معرفة النفس ، غير أن الكتاب كما يبدو قد وضع للخاصة وربما لخاصة الخاصة لما يشتمل عليه من كثير من الاشارات التجريدية التي قد تبدو للقارىء العادي كالالغاز أو الطلاسم من امثال النفس الكلية .. والعقل الهيولي .. وقد قامت دار الجندي للنشر بالقاهرة بنشر هذا الكتاب بعد تحقيقه وتخريج احاديثه بمعرفة فضيلة الشيخ محمد مصطفى ابي العلا في نحو مائتي صفحة من الحجم العادي وكنا نود لو تم إضافة شيء من الشرح على الهامش لتبسيط ما يبدو معقدا عسير الفهم وهو ما نحاوله بجهد متواضع في هذه الصفحات مع شيء من التصرف والتيسير في الايضاح ..

ماذا في عالم النفس ..؟

هو أقرب شيء الى الانسان بل هو

في عالمها

محمد مؤذن

للاستاذ/ محمد لبيب البوهي

ذاته وقد استحوذ هذا العالم ومازال على كثير من أهل الفكر .. بل إن النظر في عالم النفس يفتح الآفاق لتثبيت الايمان وزيادته بقوله تعالى : **(وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات / ٢٠ ، ٢١. فمعرفة الانسان لنفسه تضاعف من يقينه كما جاء في الاثر : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) لما في تكوين النفس من آيات الله ما يرفع إدراكها من يقين الانسان .. ويقدم الامام الغزالي براهين كثيرة على أن النفس منزهة عن صفات الأجسام ، ويكشف الحجاب عن مقومات وجودها ..

وبقائها .. وسعادتها .. وشقائها بعد مفارقة الأجسام .. حتى ليبعث فينا المزيد من الشوق للمزيد من دراستها .. وهذه الدراسة التي يوردها الاستاذ الامام لا تقف بنا عند حد النفس ، بل تربطنا بعالم الملائكة لصلة الملائكة بالانسان .. بل وصلة النفس بعالم الشياطين لمحاولتهم صرفها عن رسالتها .. وما نزال مع الاستاذ الامام نسير من جوانب مشرقة الى جوانب اكثر اشراقا وهو

يأخذ بأيدينا الى خفايا عالم النفس العميق البعيد الغور وما يكون من حظ النفس في جهادها الى الوصول الى درجات الالهام ، ويكشف لنا الحجاب عن عالم المعجزات .. والنبوات والسعادة في العالم الآخر — وكيف تستطيع النفس تحقيق هذه السعادة قبل مفارقتها للبدن .. بل كيف يكون في مقدورها أن تتذوق في حياتها الأرضية العابرة الموقوتة الفانية بعض طيبات الحياة الأخرى .

اختلاف ما يطلق على النفس من اسماء وصفات

فكلمات النفس .. والقلب .. والروح .. والعقل كثيرا ما تكون معاني مترادفة للتعبير عن النفس في مفهوم كثير من الناس .. أما مكونات النفس فتشمل أمرين أولهما : الصورة الحسية البدنية بغرائزها الارضية والحيوانية والتي علمنا الهادي البشير عليه صلوات الله وسلامه ان جهادها هو الجهاد الأكبر . وثانيهما : الجوهر الكامن فيها والذي هو المحرك لها والمدبر لامرها ..

وعلى هذا الاساس تختلف صفات النفس طبقا لمنازعها واتجاهاتها .. فاذا اتجهت الى الرشد والصواب ونزلت عليها السكينة الالهية ، فهي حينئذ النفس المطمئنة التي خاطبها ربها سبحانه بقوله : **(يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية)** الفجر/٢٧ ، ٢٨ وقد تكون مع غرائز البدن والقوى الحيوانية في صراع ، فتارة تكون لها الغلبة على تلك الغرائز ، فهي عندئذ نفس لوامة .. وهي حالة أكثر الخلق .. أما حين تغلبها صفاتها الحيوانية فترضخ لها تماما فهذه هي النفس الأمارة بالسوء .

إثبات وجود النفس

وجود النفس أمر بدهي قد لا يحتاج الى دليل ، فالخطابات والنداءات والصفات الموجهة لها من ربها لايمكن عقلا أن تكون موجهة الى معدوم بل الى موجود .. فالانسان يختلف من هذه الناحية عن النبات والحيوان فالنبات قاصر على مجرد النمو .. والحيوان يأخذ عن النبات خاصية النمو مع الحركة ، ويهتدي الى مصالحه تلقائيا بالغريزة ، فهو يتجه الى ما ينفعه ويهرب مما يضره .. والانسان فيه من النبات خاصية النمو .. ومن الحيوان خاصية الحركة ويتميز بادراك الأشياء الخارجة عنه سواء كانت من المحسوسات .. أم المعنويات . فهو يدرك المحسوسات بالحواس .. ويدرك المعاني بالجوهر العقلي الذي فيه .

ويمكن أن ندرك ان النفس جوهر من ان الانسان لا يغيب عن الشعور بذاته .. فهو دائما حاضر مع هذه الذات .. وفي النوم حين تكون الاعضاء البدنية في شبه موت لا حركة

لها نرى النفس في المنام تنهض .. وتتحرك .. وتسافر وتتصارع .

فهي اذن ليست مادة .. وليست جزءا من الجسم الذي هي فيه .

من براهين وجود النفس

يرى الامام ابو حامد الغزالي ان النفس ليست جسما ماديا لانها لو كانت كذلك فانها اما ان تكون مادتها داخل الجسم او خارجة عنه ، فان كانت خارجة عنه فكيف تؤثر وتتصرف في ذلك الجسم ؟ وان كانت داخل البدن لكان ينبغي اذا قطع من البدن طرف أن تنزوي النفس التي كانت بذلك الجزء ، وتنتقل من عضو الى عضو ، وذلك لا يحدث بل النفس تظل على قواها ، فلو قطعت يد انسان أو رجله فان قواه العقلية تظل بلا نقصان ، ولو كانت النفس الانسانية منطبعة في البدن لكان يضعف فعلها مع ضعف البدن أو مرضه ولما كانت النفس ليست مادة فلا يجوز عليها ما يجري على المادة فهي لا تضعف ولا تمرض ، ولا تشيخ ..

ويسترسل الامام رضي الله عنه في بحثه ذاك الممتع حتى ينتهي الى أن النفس لها وظيفتان وظيفة في تصريف البدن ، والوظيفة الاخرى في سياسة الحياة والأمور العقلية والوظيفتان تحتاجان الى توازن في النفس في الأداء ، فزيادة إقبالها على عالم الحس يقلل من ممارستها للأمور العقلية .

الخير والشر وارتباط العقل بالشرع

ولما كانت الحركة الانسانية فيها الخير والشر ، لذلك كانت النفس دائما في حاجة الى التسديد والترشيد ، وكما ان الحركات النباتية للنبات تحتاج الى تشذيب ، والحركات الحيوانية تحتاج الى توجيه كذلك تحتاج الحركة الانسانية للنفس الى ترشيد لتؤدي رسالتها على وجه كريم ، فالشرع ضرورة لتأديبها كما يقول الهادي البشير عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » رواه ابن السمعان في أدب الاملاء عن ابن مسعود فالنفس لا تهتدي الا بالعقل .. والعقل لا يهتدي الا بالشرع .. ولذلك قال سبحانه : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**) المائدة / ١٥ ، ١٦ فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده ..

ويشرح لنا هذا الفصل في دراسة عميقة الصلة بين النفس .. والعقل .. والشرع ومنه ندرك ان الشرع يقينا هو المرشد .. والموجه للنفس في كل ظروفها واحوالها حين تبتغي الهدى . فتارة يقوم الشرع بتذكير العقل حتى يتذكر ما نسيه . وتارة بالتعليم والتوجيه الى الاعتقادات الصحيحة الدالة على حسن مصالح الدنيا والآخرة .. ومتى عدلت النفس عن الشرع فقد ضلت طريق الهدى يقول الله سبحانه : (**ولولا فضل الله**

عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) النساء /٨٣

اختلاف النفوس في ممارسة وتحقيق ذاتها

وتختلف النفوس في ممارستها لوظائفها ، فاعلاها ان تكون مشرقة مضيئة كزيت مضيء ولو لم تمسسه نار ، فتسبح هذه النفس في عالم من الصفاء ، ويكون لها فيض متواصل تتلألأ فيه الانوار ، التي تفيض عليها من الملأ الأعلى ، فهذه النفس كأنما قد نفضت عنها بشريتها الهابطة واتصلت بعالم القدس .. حتى لقد يستوي امر هذه النفس في ملابستها للبدن ومفارقتها له ، فهذه النفس تحكم البدن تماما وليس هو الذي يحكمها او يستعملها ، وهذه النفس تعيش في دنياها وهي في ذات الوقت تنعم بأنوار الآخرة ومباهجها يقول احد الصالحين « لو كشف عني الغطاء ما ازددت يقينا » .

في سعادة النفس وكمال جوهرها

حين تكون النفس في طريقها السليم فانها تتخذ من البدن خادما ذلولا ومطية الى اغراضها الشريفة ، وبذلك ترقى دواما في مدارج الجلال ، واما اذا اتبعت الشهوات فهي تهبط رويدا رويدا متباعدة عن شمس الانوار الالهية ، فهي لا تقترب من سعادتها وكمالها الا بالمعقولات الشرعية التي تعينها على فضائلها .

كيف تنشأ الفضائل والرذائل ؟

يرى الامام الغزالي رضي الله عنه ان الفضائل والرذائل تنشأ من ثلاث قوى في الانسان .. قوة التخيل .. وقوة الشهوة .. وقوة الغضب .. فهذه القوى الثلاث معينات للنفس او مثبطات لها . والمقصود بالقوة المتخيلة الصور التي تبدو عليها الرغبات في النفس ، قبل ان تتحول ارادة الانسان بها الى ممارستها كأفعال .. فهي تخرج الى حيز التنفيذ بعد ان كانت مجرد خيال وتتفاوت هذه المخيلة بين الحق والباطل .. وميزان فضيلتها حين تتوافق مع الاحكام الشرعية .. وترتفع درجات النفس في مدارج الكمال بقدر غلبة هذا الطابع الشرعي على مخيلاتها واعمالها .. حتى لقد يستطيع المرء بذلك ان يحيا على الارض سعيدا في حياة ملائكية : **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة)** فصلت / ٣٠

ومن قوة التخيل ما يكون مزينا بدسيسة من الشياطين حين يسيطرون على زمام النفس الخبيثة :**(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم)** الشعراء / ٢٢١و٢٢٢

النفس والقوة الشهوية

اما القوة الشهوية فهي كذلك اما صاعدة واما هابطة .. وهي اصعب

اصلاحا من سائر القوى .. لانها اقدم القوى وجودا في الانسان .. ويرتفع الانسان عن المستوى البهيمي بقدر قوة الانضباط والتحكم السليم في الشهوات عند الاحساس بها في المخيلة وهي مجرد خواطر او رغبات وتحويلها بالارادة عن الاتجاه السيىء .

وقوة التخيل او التصور للانسان ضرورة له ولولاها لما امكن تصور نعيم الآخرة والعمل على تحقيقه وتحصيله بالعبادة .. ولا سبيل للعبادة الا بالحياة الدنيوية .. وتسخير البدن في هذا السبيل بالاسلوب الشرعي .. فالدنيا ضرورية لانها مزرعة الاخرة .. ولذلك لو تصورنا الشهوة معدومة اطلاقا لاختل نظام الدين والدنيا .. وارتفعت المعاملات بين الناس .. وارتفعت الشريعة والسياسة فالشهوة تخشى مضرتها من وجه ويرجى نفعها من وجه اخر بالعلاج .

علاج النفس :

ولذلك كان لا بد دائما من موالاة النفس بالعلاج المستمر .. ويرى الامام الغزالي انه مما تعالج به النفس كسر تطرف شهواتها بالتحكم في قوة المخيلة .. حين يستحضر الانسان دواما في خياله الذهني ما تنتهي اليه الشهوات من لذة عابرة وقتية يعقبها هم وندم .. كما يرى ايضا كسر القوة الغضبية بتصور نتائج الطيش والاندفاع .. وان مما يعين الميزان الشرعي والمنطق العقلي السليم على اداء هذا التوجيه قلة الطعام الا بالقدر اللازم لحفظ البدن ، فهذه القلة تعين على صفاء القلب ورقته وتجعل النفس متقبلة لحلاوة المناجاة .. ويرى الامام كذلك ان من الاسباب المهيجة للغضب والزهو والعجب شدة الحرص على فضول المال والجاه مما يعرض المرء الى صراع مع الأخرين .

بيان امهات الفضائل :

لما كانت امانة النفس هي ان تعمل على تهذيب ذاتها فان الغزالي يرى ان عليها ان تدرك بداية ان امهات الفضائل اربع .. الحكمة .. والشجاعة .. والعفة .. والعدالة .

فالحكمة فضيلة العقل وقد عظمها الله سبحانه بقوله : **(ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا)** البقرة/ ٢٦٩ والوجه المقابل للحكمة هو القوة الغضبية وتحكمها الشجاعة النفسية في السيطرة على موجبات الاندفاع والعفة هي فضيلة القوة الشهوية .

والحكمة هي سيدة سائر القوى .. اذ هي ادراك صواب الافعال والاتجاه اليها بالارادة .

ثم يذكر الامام الغزالي الأساليب التي يستطاع بها تحقيق كل فضيلة من الفضائل الاربع .. فمن كان طبعه

يميل الى الجبن فليدرب نفسه على افعال الشجاعة . ولو تكلفا في البداية ، حتى تتحقق له العادة بالمواظبة ، واما الاعمال التي تدخل تحت نطاق القوتين الغضبية او الشهوية فعلى العاقل تعود الاعتدال ، ولو فعل لعاش هادىء النفس طوال حياته ، ثم ترتحل النفس عند موتها وليس معها علاقة ارضية فلا تتعذب لما فاتها منها .

والعدالة عند الامام الغزالي هي الجامعة لامهات الفضائل ويعرفها بانها الترتيب المتناسق بوضع كل شيء موضعه ، ولذلك كان الجور وهو الوجه المقابل للعدالة جامعا لجميع الرذائل .. وبالحرص على خاصية الترتيب المتناسق لكل شيء يصقل القلب ويصبح كالمرآة الصافية فتنعكس عليه حقائق الأشياء والأمور حتى تنجلي عنها غاشية الحجاب الذي يحجب النفس عن حقيقتها العليا .

بيان خلود النفس

وفي بيان خلود النفس يورد الاستاذ الامام براهين كثيرة منها البرهان العقلي القائم على ان كل شيء يفسد بفساد جزء منه ، ونحن نرى انه بفساد جزء من البدن لا تتأثر النفس بهذا الفساد لان النفس عامة في سائر البدن . بمعنى انه ليس هناك يتأثر بفساد اجزاء الجسم بل قد نرى انسانا يفقد بعض اطرافه كاليدين او القدمين ثم نراه في يقظة تامة .

سعادة النفس او شقاؤها بعد مفارقة البدن :

ويسير الكتاب سيرا ممعنا في التجريد لمستوى خاصة الخاصة فقد اطال الحديث عن ـ الهيولي .. والعقل الفعال .. وقوى الحواس الظاهرة والباطنة .. ولذلك نرجو ان نورد بعض ما نراه في تصرف موجز لا يخل بالاصل ولا ينأى عنه ، فهو يرى ان كمال النفس في دنياها يكون بقدر ما تحققه من المعرفة .. وانها تجد لذتها بذلك في الشوق الى عالمها الذي جاءت منه .. وان منتهى كمال هذا الشوق هو الشوق الى الله .. فاذا فارقت البدن انتقلت معها هذه الخاصية .. واما النفوس التي لم تكتسب هذا الشوق العلوي .. فان هذه النفوس متى فارقت البدن فاذا كانت غير مكتسبة للرذائل ولم تتمكن منها فانها تصير الى سعة من رحمة الله ومجرد نوع من الراحة وذلك مصير النفوس الساذجة .. والصبيان وغيرهم ممن لم يستطيعوا تحقيق الكمالات ولا ذنب لهم .. وأما النفوس التي كانت في دنياها ملطخة بالمعاصي .. ولم تكتسب شوقا ولا تطلعا فهي تتعذب عذابا شديدا لذلك والكتاب عظيم القيمة

اصلاحا من سائر القوى .. لانها اقدم

والاندفاع .. وان مما يعين الميزان



كنيسة النصرانية

هل أنشاها أو عبد الله فيها ورتب أمورها وأنظمتها المسيح عيسى عليه السلام

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

إن المتتبع لأناجيل النصرانية وما ألحق بها من رسائل يتبين له أنها لم تنسب الى المسيح تعبيرا يثبت قيامه ببناء كنيسة مما تعارف عليه النصارى بأنه مكان العبادة وبالتالي فلم يتعبد المسيح طيلة حياته أو مدة دعوته في أي كنيسة من هذه الكنائس .

أما الثابت عنه فهو أنه كان يعلن دعوته ويبلغ رسالته في مجامع « أي معابد الاسرائيليين » . وهو ما غلب على تسميتهم باليهود بوصفه رسولا خاصا إليهم ولنستدل على ذلك بالنصوص الآتية على سبيل المثال :

يقول متى في إنجيله : (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين

فشفاهم فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليين واليهودية ومن عبر الأردن) انظر الاصحاح الرابع من انجيل متى عدد ٢٣ ــ ٢٥ وكلمة يسوع تعني عيسى أو المسيح .

وقد تضطره الظروف الى إلقاء تعاليمه في الجبل لكنه ينبه المستجمعين لدعوته أنها مكملة لدعوة موسى عليه السلام وليست ناقضة لها ــ وأي نقض لدعوة موسى وديانته لا يكون بانشاء مكان للعبادة مستقل عن معابد اليهود وهياكلهم يشير الى ذلك قوله : (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل فاني الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس) انظر انجيل متى في الاصحاح الخامس عدد ١٧ ، ١٨ وكلمة الناموس تعني شريعة موسى عليه السلام وكتابه التوراة .

ويؤكد على تلاميذه حين يرسلهم لابلاغ دعوته بأنها خاصة باليهود فقط لذلك يقول عنه متى في إنجيله : (ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف ، هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ــ بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة) انجيل متى الاصحاح العاشر عدد ١ ، ٥ ، ٦ .

ولما أراد الانتقال من الجليل الى أورشليم القدس لاعلان كهنتها بدعوته ورسالته دخل الى هيكل عبادة اليهود يشير الى ذلك قوله : (ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة قائلة من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي ناصره الجليل ودخل يسوع الى هيكل الله واخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) انجيل متى في الاصحاح الحادي والعشرين عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ وهيكل الله كان معبد اليهود الأكبر في مدينة القدس بناه نبي الله سليمان عليه السلام وقد دمره اعداء اليهود من البابليين والرومان في فترات عدة انتقاما من اليهود .

وما تقدم من نصوص وما شابهها يتبين أن المسيح عليه السلام لم ينشيء أية كنيسة ويقرر الكاتبون النصارى أن أكثر الأمور المحققة ثبوتا لدى أي باحث يدرس الأناجيل في غير ما تحيز هو : (أن المسيح لم ينشيء كنيسة ولم يردها ــ بل ان افتراض العكس لن يجد له سندا تاريخيا مقبولا ــ فلم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أوتوا من براعة أن يقيموا على ذلك أدنى دليل) .

ويعلل هؤلاء الكاتبون ما وصلوا اليه من نتيجة بأن نصوص الأناجيل تشير الى أن المسيح كان يبشر ويترقب حلول مملكة الله الوشيك . ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقه كل

فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي لأتباعه .

ثم ان المسيح كان يهوديا خاضعا تمام الخضوع لشريعة اليهود الدينية ـ لهذا كان لا بد من الايقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما يسمى بالكنيسة .

أما الزعم بأن المسيح أعطى لحوارييه سلطة ما فهذا محل جدل الى اليوم ـ وعلى افتراض احتماله ـ لا ثبوته ـ فانه لا يتعدى أن يكون المسيح قد منحهم بعض ما أوتي من سلطان التبشير بالتوبة ـ وبحلول مملكة الله ، لكنه البتة لم يصنع لهم أساقفة أو قساوسة ، حيث لم يكن هو في حاجة الى هذا إطلاقا ـ انظر اليه في قوله : (ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الاثنى عشر عن المثل فقال لهم قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله) انظر انجيل مرقص في الاصحاح الرابع عدد ١٠ ، ١١ .

كما ورد في انجيل لوقا قوله : (وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر) انجيل لوقا في الاصحاح الثامن عدد١ .

هل أنشأ الكنيسة حواريو المسيح ؟

ان الدارس لما قام به الحواريون من أعمال ، فانه لا يجد أنهم فكروا في إنشاء أية كنيسة فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة على شعائر عبادته ، لأنهم كانوا مؤمنين بأن المستقبل سيكون لمملكة الله التي بشر بها المسيح وليس لكنيسة ما .

وجود نص عن الكنيسة في انجيل متى وهل يتعارض مع رسالة السيد المسيح ؟

أورد متى في انجيله النص الغريب الآتي عن مناقشة بين المسيح وبين بطرس الحواري : (وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) انظر انجيل متى الاصحاح ١٦ عدد ١٨ .

والمتأمل لهذا النص يجد ان المسيح كأنه تنكر لرسالته التي جاء بها لبني اسرائيل لأن رسالته كانت التبشير بقرب حلول مملكة الله ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان النص يفيد أن المسيح سيبني كنيسة وقد انتهى المسيح عليه السلام من هذه الأرض ولم يبن تلك الكنيسة على الاطلاق مما يؤكد شذوذ النص المشار اليه وتعارضه مع رسالة المسيح ، يضاف الى ذلك فان لفظ الكنيسة كما سيأتي في هذا المقال لفظ يوناني لانها نشأت اساسا في ربوع العالم اليوناني والمسيح لم يظهر في بلاد اليونان ولم يتكلم اللغة اليونانية .

كيف نشأت فكرة انشاء الكنيسة بمعنى نظام تعبدي ؟

يقرر علماء الأديان ان فكرة إنشاء

كنيسة لأداء مناسك العبادة ـ وتسلسل وظائفها في الكهنوت وفي الاكليروس انما نشأت في ربوع العالم اليوناني بعيدا عن أرض فلسطين التي نشأ فيها المسيح وبشر فيها برسالته بلغته التي كانت الآرامية .

ويقولون : « إن اليهود المغتربين في مهاجرهم قد طردوا أتباع المسيح من معابدهم اليهودية ، سواء كان هذا التابع يهوديا في أصله أم غير يهودي أي من الأمم غير اليهودية ، فتكون من هؤلاء الأتباع المطرودين من معابد اليهودية لاتباعهم المسيح مع اولئك الوثنيين اليونانيين الذين طردوا هم كذلك من معابد الوثنيين لاتباعهم المسيح ـ كونوا جميعا تجمعا حول عبادة واحدة » تمجد المسيح ـ عبادة لا تعدو ان تكون عبادة بدائية .

ويقول الاستاذ الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي الأستاذ بجامعة القاهرة في كتابه (نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين في الشريعة المسيحية) الآتي :

١ ـ ان لهيب الاضطهاد استمر على النصارى ثلاثة قرون من قبل حكام الامبراطورية الرومانية ـ يثور أو يخمد مثل حمم البركان وفقا لظروف الامبراطورية ونشاط حكامها .

٢) ولقد اعتصم النصارى بالمغارات الصخرية في جوف الأرض لاداء شعائرهم الدينية بعيدا عن اضطهاد الرومان .

٣) إن فكرة بناء الكنائس ليس لها أي أساس عقائدي في ملة النصرانية الحقة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، بل هي من ابتداع واختراعات بولس الذي لم ير المسيح عليه السلام ولم يؤمن به ، بل كان عدوا له ولحوارييه وتلاميذه وبعد ذهاب المسيح من هذا العالم ، زعم لهؤلاء التلاميذ أنه رأى المسيح وأنه آمن به ، ثم لما اطمأنوا اليه أخذ يبث من التعاليم ما يناقض دعوته ويتعارض مع ما تلقاه هؤلاء التلاميذ من المسيح عليه السلام .

ويقول د . شارل جن بيير أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس أن فكرة الكنيسة انطوت على فكرة الاجتماع الأخوي ، وفي هذه الحالة سمى أتباع المسيح أنفسهم بالقديسين وظلت الكنيسة في نشأتها بهذا المفهوم الذي لم يتعد طور الأخوة بين المؤمنين المحليين بالمسيح دون أن يظهر ما يسمى بكنيسة الله في كيان مادي ملموس .

ولا تزال فكرة نشأة الكنائس الخاصة غامضة كل الغموض لعدم وجود أدلة كافية عن ظروف نشأتها ، لأنها نشأت في أحضان الارهاب السياسي والاضطهاد الحكومي والشعبي ، ويمكن القول افتراضا أن جماعات قامت باسم التعاون بين صغار الناس وكان لكل جماعة مدير منتخب ـ وصندوق تموله الاشتراكات ويشرف عليها مندوب خاص ـ فلعل هذا النظام قد أخذت به الجماعات الدينية النصرانية المتناثرة فأنشأوا نظاما إداريا للكنيسة تطور فيما بعد الى ما يعرف بالقسيس ـ والأسقف والشماس

وهو لفظ سرياني يعني المعاون .

وقد ظهر ذلك في القرن الأول الميلادي ـ ثم تطور فيما بعد الى نظام متكامل معقد فرضته ظروف كثيرة من اختلاف القساوسة في العقيدة ـ وتحمسهم لأوطانهم ـ وشراهتهم في جمع المال وتنافسهم على السلطات .

الكنيسة تستعير من الرومان نظام وأوضاع رجال الدين

يقول جيرالد لبيري من كبار مفكري الغرب في كتابه ديانات العالم عن النصرانية أن الكنيسة قد استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات طبقا للآتي : ـ

أولا : في خلال القرون الأولى للنصرانية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة لأن النصارى كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم ـ ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن ـ واسمه مستعار من اليونانية وهو الرجل الشيخ

ثانيا : فلما لم يعد المسيح وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ النصارى يرتبون لها نظما أكثر دقة ودواما تنحصر فيما يلي :

١) أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها ـ وكل منهم يسمى قسيسا أو رجل دين .

٢) أطلق على هؤلاء المنقطعين رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين غير المنقطعين لخدمة الدين .

٣) كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه أسقف أو مطران .

٤) الأساقفة في المدن الرئيسية اطلق على كل منهم رئيس الأساقفة في دائرته .

٥) من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة الى مكان أسمى ـ وأصبح لهم نفوذ كبير وأخذ كل منهم لقب بطريق ـ وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية : (أنطاكية ـ وبيت المقدس ـ والاسكندرية ـ والقسطنطينية وروما) فأربعة من هؤلاء في الشرق وواحد فقط في الغرب .

٦)قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب « بابا » ولكن منذ القرن الحادي عشر في عهد البابا جريجوري السابع حاول أن يختص بهذا اللقب رئيس اساقفة روما لكن ينازعه حاليا بطريك الاسكندرية اذ أمر أتباعه بمناداته بلقب بابا الاسكندرية .

٧) وبفعل نفوذ بابا روما أصدر الامبراطور الروماني في سنة ٤٤٥ ميلادية قرارا بجعله رئيسا عاما للكنائس النصرانية ـ وقد تمكن باباوات روما وقتئذ من الاستيلاء على السلطة السياسية هناك ، وظل السلطان السياسي في يد هؤلاء الباباوات مدة اثنى عشر قرنا كونت فيها الكنيسة هناك من نفسها دولة وساعدها في ذلك قوتها وغناها .

أ ـ فأذاعت كنيسة روما ان مكانتها أسمى من مكانة الملوك والاباطرة .

ب ـ وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والادارة .
جـ ـ وأنه المشرع والمفسر النهائي للكتاب المقدس .
د ـ وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء .

فجبت الكنيسة الضرائب ـ وسيطرت على القضاء ـ واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخاليفها ـ واستصدرت قانونا جديدا عكف على إعداده عدد كبير من القسس ـ وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس اذا اخطأوا كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين في حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس .

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف ـ وكان غناها من ايراد المتلكات الواسعة التي كانت تمتلكها ومن الوصايا التي طالما كان يدونها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيما في الحياة الآخرة .

وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعي ، فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر .

واجتمع في الكنيسة جميع شؤون الأسرة كالزواج والطلاق وقيد المواليد والوراثة والوصايا وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات وعد رجال الكنيسة انفسهم ممثلين لله في الأرض ـ فأخذوا حق قيادة افكار الناس وأعمالهم ـ وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله وأنها منفذ الرحمة ـ وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء .

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الكنيسة كثيرا من الناس ليدخلوا الكنائس ولينصتوا الى رجالها لينعموا بهذا النفوذ ـ وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة ـ وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الاطماع وعبدة الدنيا محسوبين في عداد رجال الدين .

ولما ازدادت قوة الكنيسة واهميتها ازدادت طقوسها المقدسة عددا وتنوعت هذه الطقوس ـ وامتدت لها يد الحبك والزخرفة ـ وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شيء في حياة الانسان النصراني وبعد موته ، ثم أنقصت الكنيسة تلك الطقوس الى سبعة هي على الترتيب الآتي : ـ

١ ـ تعميد الأطفال عقب ولادتهم لتمحى عنهم آثار الخطيئة الاصلية (خطيئة آدم في زعمهم) .
٢ ـ العشاء الرباني وهو يكون بالماء او الخمر ومعه الخبز الجاف .
٣ ـ الاعتراف ويتبع الاعتراف الغفران (المذنب المعترف بخطيئته امام القسيس)
٤ ـ حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت .
٥ ـ حضور القسيس عند الزواج

ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة .
٦ ـ الميرون وهو مزيج من العقاقير عليه بقايا تحررت كما يدعى رجال الكهنوت من الدهن الذي صنعه الرسل ولا يمسح به الا الكهنة .
٧ ـ الكهنوت ـ معناه السر الذي يحصل الانسان به على النعمة التي تؤهله لاداء رسالة المسيح بين البشر فيعين بين الكهنة ـ والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح وكذلك الاسرار الستة الاولى (على حد قولهم) .
٨ ـ السر الثامن وتنفرد به الكنيسة الكاثوليكية وهو عصمة بابا روما واستحالة ارتكابه الاثم والخطيئة لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول (ويبدو ان هذا السر لم يعد قاصرا على بابا روما وحده بل تعداه الى باقي البطارقة فزعموا العصمة لأنفسهم بفعل هذا الروح القدس) .

الاسلام ينعي على النصارى هذا الابتداع في الدين

لما أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بعقيدة الاسلام ، أمره ان يبلغ اهل الكتاب من النصارى في مشارق الأرض ومغاربها ، الا ينقادوا لشهوات الأحبار والرهبان فيما ابتدعوه قديما من نظم كنسية وما رسموه من تقاليد كهنوتية فهم قد ضلوا من قبل فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله فأضلوا كثيرا ممن اتبعوهم دون روية او تفكير وما عليهم الا تلبية دعوة الحق ألا وهو الاسلام فهو يدعو الى جادة الطريق الذي لا عوج فيه ولا التواء ولا مغالاة قال تعالى :

(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) المائدة/ ٧٧ .

كما حذرهم القرآن الكريم بأن في قيامهم بطاعة رهبانهم واساقفتهم فيما لم يحله الله ويشرعه وفي كراهيتهم لدعوة الاسلام ـ إثم كبير بل وشرك بالله يقول جلت كلماته :

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) التوبة/ ٣١ .

ولقد كشف القرآن سوء اخلاق اولئك الاحبار والرهبان حتى يعلم اتباعهم انهم غير جديرين بتقديسهم لهم والأخذ عنهم فهم يأخذون من هؤلاء الأتباع الضرائب والمكوس باسم الكنائس ، ويستولون عليها لشهواتهم واغراضهم ويكنزونها ولا يكتفون بذلك بل يصدون اتباعهم ويمنعونهم عن الدخول في دين الاسلام واتباع ما ارسل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة وأحكام يقول تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) . التوبة/ ٣٤ .

أكثر الأوجاع شيوعاً

للدكتور/غريب جمعة

لست أنسى ذلك اليوم حينما كنت أعمل طبيبا بالقوات المسلحة في مكان يبعد عن القاهرة اكثر من ستمائة كيلو مترا ، وكنا بضعا من الزملاء بيننا واحد يكبرنا في السن والرتبة وكان دائم الشكوى من صداع بالرأس وكثيرا ما كان يتناول بعض الاقراص من المسكنات فيذهب الصداع أو تخف حدته على الأقل .

وذات مرة زاد عليه الألم وأخذ يبتلع قرصا تلو الآخر ولكن دون فائدة ، وتعالى صراخه من شدة الألم قائلا : يارب ... يارب ثم بدأ يبكي كالأطفال طالبا منا أن نسعفه بما يريحه ، ولم يكن أمامنا بد من إعطائه حقنة منومة ، وتم ذلك ونام بالفعل ، ثم استيقظ من نومه وقد ذهب ألمه باذن الله .

ومن العجب أن نرى الانسان يجأر بالشكوى إلى ربه إذا أصابه الضر ، حتى إذا ذهب ضره عاد إلى ما كان عليه من نسيان لربه وتفريط في جنبه . ويصور القرآن الكريم هذا الطبع في الانسان أبلغ تصوير في قول الله عز وجل :

(وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا



عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يونس/١٢ .

وكم في الانسان من جحود وكنود ، ودعنا أيها القارىء من الحديث عن طبائع الانسان وغرائزه فليس ذلك موضوعنا وهيا بنا إلى الحديث عن موضوعنا وهو الصداع والله المستعان .

كيف ينشأ الاحساس بالصداع ؟

الصداع هو ألم بالرأس وهو من أكثر الأوجاع شيوعا في الانسان والأولى أن يعتبر عرضا وليس في ذاته مرضا ولكي نفهم كيف ينشأ الاحساس به ، لابد أن نتعرف بايجاز على محتويات الجمجمة . ففي داخلها يستقر المخ وهو مغلف بثلاثة أغلفة « أغشية » من النسيج الضام ، وتوجد بين تلك الأغلفة فراغات ممتلئة بسائل يطلق عليه « السائل المخي الشوكي » .

وقد أوجد اللطيف بعباده والخبير بصنعته هذا السائل ، ليقوم بدور وسادة لينة بين المخ والجمجمة

الصلبة ، حتى لا يرتطم بها أثناء الحركة أو القفز أو نحو ذلك . وتنتشر الأوعيـة الدمـوية بنـوعيها ، وهي الشـرايـين والأوردة في الأغشيـة الثلاثة . وتقوم الشرايين بحمل الدم الغني بالأوكسيجين والمواد الغذائية من القلب إلى المخ ليؤدي وظائفه . أما الأوردة فتقـوم بحمل الـدم الذي استنفدت منه هذه المواد من المخ إلى القلب في دورة جـديدة وهكـذا .. دواليك .

ونسيج المخ في ذاته غير حساس للألم ، ولكن الاحساس بالألم ينشأ بـواسطة اغشيـة المخ والشـرايين والأوردة ومعظم التركيبات الواقعة على سطح الجمجمة ، وينشأ معظم الألم بسبب الضغط على أحد هذه المحتويات فمثـلا : زيادة السـائل المخي الشوكي تسبب ضغطا على أغشية المخ ، ومن ثم ينشأ الألم ، وزيادة توارد الدم إلى المخ تؤدي إلى إتساع الشرايين ، ويؤدي ذلك بدوره إلى الاحساس بالألم ، وقـد يكون إتساع الشرايين ناتجا عن عدوى بدنية عامة يواجهها الجسم بزيادة فيض الدم وعلى ذلك يكون الاحساس بالصداع مع ارتفاع درجة الحرارة من أولى الأعراض الدالة على العدوى « الحمى » .

وإذا كانت زيادة السوائل تؤدي إلى الضغط الذي ينشأ عنه الاحساس بالصداع ، فان تعرض الرأس لهزة نتيجة حادث ، قد يسبب جذبا أو دفعا أو احتكاكا للتركيبات المستقرة في الجمجمة . وقد تحدث التواءة فجائية للرأس فتسبب ألما في العضلات أو بعض التركيبات الحساسة الأخرى . كما أن التورم الناتج عن خراج أو إلتهاب بالمخ أو نشوء ورم بالمخ أو ورم ناتج عن تجمع دموي بالمخ كل ذلك قد يؤثر على التركيبات المختلفة بالجذب أو الدفع أو الازاحـة فيؤدي إلى الاحساس بالألم .

أسباب وأنواع الصداع :

هـل تتصور أيهـا القارىء أن الأطبـاء الباحثـين استطاعـوا أن يسجلوا أكثر من مائتي « ٢٠٠ » سبب للصداع !! وكل سبب من تلك الأسباب يرتبط بمرض عضوي ، قد يسهل تشخيصه وقد يصعب لتداخله مع غيره مما يوقع المريض في حيرة والطبيب في حيرة أشد ، ولسنا بصدد الافاضة في شرح تلك الأسباب فهذا أمر يطول ويطول ولكن حسبنا أن نضرب لك أمثلة نحسبها تفيد باذن الله .

١ ـ صداع التوتر :

هو الصداع الذي يشكو منه معظم الناس ونظرا لأنه لا يرتبط بسبب عضوي فانه يعتبر نفساني المنشأ . والتوتر الذي يسبب هذا النوع من الصداع راجع إلى ضغوط الحياة المتعددة التي تتحول عند بعض الناس إلى سوط يجلد ظهورهم سعيا وراء المطـالب الماديـة والمتع الحسيـة ، فيركضون في الـدنيا كمـا تركض

الوحوش في البرية . كما ينتج أيضا عن الهموم والانفعالات النفسية التي تزمجر في أعماق الانسان ولكنها حبيسة لا تجد مخرجا .

وقد يؤدي ذلك التوتر إلى انقباض عضلات العنق والرأس لمدة طويلة محدثا نوعا من الصداع في مؤخرة الرأس .

وعلاج هذا النوع من الصداع يكون : بادىء ذي بدء بالتوكل على الله عز وجل وبأن ما أخطأ الانسان لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه . كما يجب تفريج الهم بمواجهة المشكلات التي تؤدي إليه والعمل على حلها وليس بالهروب منها .

كما يفيد أيضا تناول قرص أو قرصين من الأسبرين (أو أي مسكن آخر) مع الاسترخاء في مكان هادىء وتدليك عضلات العنق أو فروة الرأس أو وضع كيس من الثلج لمدة خمس دقائق .

أما إذا كان التوتر شديدا ولم تفلح هذه الوسائل في علاجه فلابد من استشارة أحد الاخصائيين في العلاج النفساني .

٢ ـ صداع ارتفاع ضغط الدم :

يعرف هذا النوع بالصداع الوعائي نتيجة اتساع الشرايين ويسبب ألما « نباضا » أي مع نبضات القلب ويكون موضعه على جانبي الرأس ويرتبط علاج هذا النوع بعلاج الضغط المرتفع .

٣ ـ صداع إجهاد البصر :

يكون الاحساس به عادة في الجبهة وتزداد شدته مع زيادة إجهاد العينين لمدة طويلة بالقراءة أو الكتابة ولابد أن يعرض المريض نفسه على أخصائي طب العيون حتى يتم فحصه بدقة وأمانة ، ليختار له العلاج المناسب سواء كان هذا العلاج هو استعمال نظارة طبية مناسبة أم أي نوع آخر حسب تشخيص الحالة .

٤ ـ صداع الجيوب الأنفية :

يكون الاحساس به فوق الحاجبين مباشرة وقد يكون خلف الأذنين أو عند قاعدة الجمجمة وتبلغ شدته أقصاها في الصباح ثم تخف تدريجيا وقت الظهر وتزداد الحالة سوءا في الجو البارد المشبع بالرطوبة .

٥ ـ صداع النزلات البردية وبعض حالات الحساسية :

قد يشبه النوع السابق لأنه في هذه الحالة تحتقن الأغشية المخاطية المبطنة للأنف فتحدث ضغطا في الجيوب الأنفية ، وذلك الضغط هو الذي يؤدي إلى الاحساس بالصداع ، ويمكن تخفيف هذا الصداع باستعمال بعض النقط التي تعمل على انقباض الأوعية الدموية بغشاء الأنف مثل البريزيولين مع عدم الاسراف في استعمالها ، حيث أن ذلك يؤدي إلى حدوث نتيجة عكسية .

٦ ـ صداع الأمراض المعدية (الحميات) :

يشمل الرأس بأكمله ، وقد يكون أشد إيلاما من صداع النزلات البردية ، كما في حالة الانفلونزا ، وقد يكون معتدلا مقرونا بارتفاع درجة الحرارة كما في شلل الأطفال ، ويكون شديدا ويشمل الرأس بأكمله ويمتد إلى منطقة العنق مع ارتفاع درجة الحرارة كما في حالة الالتهاب السحائي « الحمى الشوكية » . ومثل هذه الحالات تعالج في مستشفى الحميات الخاصة بذلك لعمل الأبحاث اللازمة لتشخيص الحالة تشخيصا سليما وإعطاء جرعة الدواء المناسبة .

٧ ـ صداع الأنيميا (فقر الدم) والتعب والجوع والامساك :

يشبه إلى حد ما الصداع الذي ينشأ في حالة الأمراض المعدية ، أي إنه يشمل الرأس بأكمله غير أنه ليس مصحوبا بارتفاع في درجة الحرارة وفي حالة الأنيميا يشعر المريض بدوخان وزغللة بالعين إذا وقف فجأة .

٨ ـ صداع أورام المخ وإصابات الرأس :

تختلف شدته وموقعه تبعا لاختلاف موقع كل من الاصابة وحجمها ، وبفضل التقدم العلمي أصبح من السهل تشخيص وعلاج مثل هذه الحالات .

٩ ـ صداع ما قبل الحيض مباشرة أو معه وصداع اضطرابات سن اليأس :

وهذا النوع بالطبع يقترن بهذه الحالات .

١٠ ـ الصداع النصفي = الشقيقي = الشقيقة

هو مرض قديم يتميز بنوبات شديدة من الصداع تصيب نصف الرأس لذلك اطلق عليه الصداع النصفي وسوف نخصه بمزيد من الايضاح لكثرة انتشاره وشدة إيلامه . وهو يصيب الأشخاص في سن الطفولة والمراهقة ، وترتفع نسبة الاصابة به بين الاناث عنها في الرجال خصوصا بين سن العشرين والثلاثين ويكون وراثيا في أغلب الحالات . ولا يزال السبب المباشر لهذا المرض غير معروف على وجه التحديد ، وإنما توجد مجموعة من العوامل يؤدي بعضها أو كلها إلى ظهور نوب الصداع وهي :

١ ـ الانفعالات النفسية الشديدة بسبب الحزن أو التفكير المتواصل أو القلق من جراء مشكلات العمل أو الحياة الزوجية فقد لوحظ زيادة النوبات في هذه الأحوال .

٢ ـ إجهاد البصر خصوصا إذا كان مصحوبا بأخطاء في الانكسار « كالأستجماتزم » .

٣ ـ اضطرابات الدورة الشهرية والجهاز التناسلي في الأنثى .
٤ ـ بعض العقاقير مثل حبوب منع الحمل .

ولعل السبب في ارتفاع نسبة إصابة الاناث به ترجع إلى هذين العاملين .

٥ ـ التهابات اللثة والجيوب الأنفية .
٦ ـ اضطرابات الجهاز الهضمي مثل القولون العصبي أو إلتهاب المرارة المزمن أو قرحة الاثنى عشر إذ كثيرا ما تحدث النوبات في الأشخاص المصابين بمثل هذه الاضطرابات .
٧ ـ الجوع لأنه يؤدي إلى انخفاض مستوى الجلوكوز « السكر » في الدم .
٨ ـ الحساسية : لبعض الأطعمة وعلى المريض أن يلاحظ طعامه بدقة حتى يبتعد عن الأطعمة التي يشعر بنوبة الصداع بعد تناولها . وقد يقول قائل : لقد أصبحت كلمة « الحساسية » هي الشماعة التي يعلق عليها الأطباء ما جهلوا من أسباب ، ولكن ما حيلة الأطباء وغيرهم إذا كانت الانسانية كلها لم تؤت من العلم إلا قليلا ، والأمل في فضل الله لا ينقطع ، وندعوه أن يكشف للناس ما استغلق عليهم من اسرار .

الأعراض :

تحدث الأعراض على صورة نوبات تختلف في شدتها ، وتكون متميزة حتى أن المريض يستطيع أن يتنبأ بحدوثها ، وتبدأ بفقد فجائي في الابصار لمدة ثوان ثم يستعيد المريض بصره ، ليرى سحابات أمام عينيه أو أجساما كروية مضيئة أو خطوطا متعرجة مضيئة ذات ألوان مختلفة ، وقد يحدث تقلص في عضلات الجسم خصوصا في الجهة التي يحدث بها الصداع ، وقد لا يجد المريض القدرة على الكلام ويبدو عليه الاعياء الشديد ، ثم يأتي بعد ذلك الصداع فوق حاجب العين في الناحية المصابة أو في مقلة العين نفسها ، ويزداد هذا الصداع شدة ويمتد إلى باقي منتصف الرأس ، وقد يمتد الألم لأعلى الرقبة والذراع ، ويشعر المريض بغثيان وقد يتقيأ إذا كانت المعدة ممتلئة بالطعام ، ويخفف القيء من حدة الصداع .

وقد تستمر النوبة لمدة طويلة من ١٢ الى ٢٤ ساعة في الحالات الشديدة ، وتتميز بمعاودة المريض من حين لآخر خصوصا في فصل الشتاء أو بعد انفعال شديد أو مجهود عقلي أو جسماني . وتتوقف النوبات في النساء بعد سن اليأس أما في الرجال فقد تنقطع بعد سن الخمسين وفي بعض الحالات قد يستمر المرض مدى الحياة وليس من الضروري ان تحدث جميع هذه الأعراض في جميع الحالات وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو :

كيف يحدث الألم في هذا النوع من الصداع ؟

عندما يحدث ضيق في الشريان

الذي يحمل الدم والمواد الغذائية إلى المخ فان ذلك يؤدي إلى حدوث الأعراض الأولى مثل وجود سحابات أمام العين في الجهة التي سيحدث فيها الصداع مع شحوب بالوجه ووجود الأعراض الأخرى مثل عدم القدرة على النطق والحركة ، ويستمر ذلك لمدة تتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ دقيقة ثم يحدث الصداع نتيجة اتساع الشريان ومرور كمية كبيرة من الدم فيه ، وقد يضغط المريض على الشريان الذي ينبض بقوة أو يربط منديلا حول رأسه ليخفف من حدة الألم الذي يشعر به ، وقد يتحسن بالفعل ، ولعل الذي يحير الأطباء هو عدم معرفة السر وراء اتساع وضيق شرايين المخ في مريض الصداع النصفي .

العلاج :

أولا : **أثناء النوبات** :

١ ـ عندما يشعر المريض بقرب حدوث نوبة الصداع ، فان عليه أن يتناول قرصين من « الاسبرين » أو « الكافر جوت » أو يعطي حقنة من دايهيدرو إرجوتامين وربما تكرر هذه الجرعة إذا لم يخف الصداع في مدة نصف ساعة ، وقد وجد أن مثل هذا التصرف ربما يمنع حدوث نوبة الصداع أو على الأقل يخفف من حدتها .

٢ ـ التزام الراحة التامة بالفراش وتجنب الضوضاء ويستحسن إظلام الغرفة ومن رحمة الله بالمريض أن النوم يذهب هذا الألم الشديد .

٣ ـ يفضل إعطاء بعض المسهلات .

٤ ـ توضع زجاجات ماء دافئة على قدمي المريض .

٥ ـ يحقن المريض في الوريد بالنوفالجين أو المنومات . ومنها مشتقات « الأفيون » وهذه لا تستعمل إلا بتوصية الطبيب مخافة الادمان .

ثانيا : **العلاج بين النوبات** :

١ ـ تجنب الانفعالات النفسية بقدر الامكان .

٢ ـ التواجد في الأماكن ذات الهواء الطلق والجاف الخالي من الرطوبة .

٣ ـ إعطاء بعض المقويات مثل مركبات الحديد وفيتامين « ب » المركب .

٤ ـ قد يفيد استعمال بعض العقاقير مثل « اللومينال » وأدوية الحساسية ، وهذه كلها تؤخذ تحت إشراف الطبيب .

٥ ـ استشارة أخصائي الأنف والرمد والأسنان والنساء والتوليد (في حالة الاناث بالطبع) .

وبعد ..

فأرجو أيها القارىء ألا أكون قد صدعت رأسك بهذا المقال وإنما أرجو أن أكون قد قدمت لك شيئا متواضعا من المعرفة حول هذا الداء اللعين أسأل الله لي ولك علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وسقم .



بأقلام القراء

« حاضر الاسلام ومستقبله باندونيسيا »

اجاب الدكتور عبدالله بن عبدالقادر رئيس الجماعة الاسلامية بدار الحديث بأندونيسيا على اسئلة تتعلق بواقع المسلمين ومستقبلهم هناك .. وفيما يلي نعرض ما وصلنا من سيادته :-

سؤال : ما رأي فضيلتكم في حاضر الاسلام ومستقبله باندونيسيا ؟

جواب : اني ارى ما يبعث على التشاؤم في واقع المسلمين بهذه الديار وهو اندفاع كثيرين من زعمائهم وعلمائهم في التعصبات المشينة والحزبيات الذميمة والتطاحن في الخلافات الفقهية وايثارهم المصالح الذاتية والمذهبية على المصالح العامة للاسلام والمسلمين . فالأمة تتكيف بما تكيف به الزعماء والعلماء وتتأثر بما تطبعوا به فاذا عمت العصبيات والحزبيات بين الناس عمت الفوضى وهنالك الطامة الكبرى والبلية العظمى .

ماضي الاسلام الزاهر

لقد كنا نفخر من ماضينا القريب والبعيد ، فالمسلمون منذ دخول الاسلام الى اندونيسيا كان لهم شأن لا يستهان به وذكر ذائع وفي خلال تلك العصور قامت ممالك اسلامية زاهرة في جاوى الشرقية وفي جاوى الوسطى وفي جاوى الغربية . ثم كانت العصور التالية حتى اواخر عهد الاحتلال والاستعمار فقد كان للمسلمين اليد الطولى والسهم الأوفر في الكفاح لنيل الحرية والاستقلال .

فقد قام مسلمو اندونيسيا قومة مشكورة ومثلوا نواة في عقد المؤتمر الاسلامي الاسيوي الافريقي الأول واحتضنوه في مدينتهم الجميلة باندونغ للمداولة فيما يهم الاسلام والمسلمين قاطبة . وهذا ان دل على شيء فانما يدل - ولا فخر - على ما كان للأمة الاندونيسية المسلمة من كرامة واستعداد للتقدمية والزعامة .

ولكن ما لنا والتشبث بالماضي . فالمهم هو القيام بما اسفر عنه هذا المؤتمر ومؤتمرات اخرى من قرارات وتوصيات ولكنهم فاشلون في تنفيذها والعمل بها . وان كثيرا منهم ليلمون بنظريات ومبادىء ، ولكنهم عاجزون عن اظهارها الى حيز الوجود .

سؤال : وماذا ينقص المسلمين حتى لا يتخلفوا عن الركب ؟

جواب : ينقصهم الرجوع الى تعاليم دينهم الحنيف والايمان بالله في جميع مجالات اعمالهم ومرافق حياتهم ، ولا يؤثرون اية مصلحة حزبية او مذهبية او اقليمية على مصالح دينهم ووطنهم الاسلامي . فان المسلمين لن تقوم لهم قائمة الا بالاسلام . بالاسلام فقط كانوا في الماضي قد دونوا لهم تاريخا مجيدا سجل لهم في بطون التاريخ بماء من ذهب ، وبالاسلام كذلك ، سوف يقهرون في المستقبل ما يجابههم من تحديات وتهجمات نصبها لهم اعداؤهم مهما تفوقوا عليهم وتكالبوا يشكلون جبهة متحدة يريدون ان يطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

نعم لنا من متانة عقيدتنا وسمو مبادئنا ما نستطيع ان نجزم به ان المستقبل سوف يكون للاسلام في مشارق الأرض ومغاربها لا محالة ، وقد تنبأ بذلك المستشرقون من علماء الغرب انفسهم مثل برناردشو وجوته وكارليل وكثير غيرهم فان الاسلام وهو العقيدة السمحة التي لا التواء فيها ولا لبس يلابس فطرتها وبداهتها . والدين المرن الذي يصلح لكل زمان ومكان سوف يجذب اغلب شعوب العالم إلى الأخذ بتعاليمه والتشبث بمبادئه ولكنه في طريقه الى هذا الهدف الاسمى سوف يجتاز كثيرا من العقبات الكأداء ، وهذا مما يبعث على التشاؤم ويثير الاسى فان الواقع الذي عليه المسلمون هو انهم في غفلة مميتة عن الاخطار المحدقة بهم والتي تهدد كيانهم والمجابهات التي تشن عليهم من كل جانب .

خطر الشيوعيين

ففي اندونيسيا لا يزال هذا الخطر الاحمر من بقايا الحزب الشيوعي الاندونيسي فاغرا فاه صامدا في الخفاء ، مترصدا للظهور بين آونة واخرى فانهم بعد ثورتهم الفاشلة مازالوا ينظمون فلولهم ، ويلمون شعثهم ، ويوحدون صفوفهم خلف الستار ليعيدوا الكرة للمرة الثانية . والثالثة والرابعة وهلم جرا ومن ورائهم الدول الشيوعية مثل الصين والروس يمدونهم بما يحتاجون اليه من المؤن والعتاد والذخائر .

خطر النصرانيين

هذا من جانب ومن جانب آخر فان النصارى بارسالياتهم التبشيرية على قدم وساق يعملون على مضاعفة جهودهم ومساعيهم ضد الاسلام والمسلمين بل وقد تجرأوا فقالوا ان الباب قد انفتح الآن على مصراعيه لاخضاع العالم الاسلامي وقالوا ان تنصير مسلمي

اندونيسيا سوف لا يكلفهم من الوقت سوى بضع عشرات من السنين .

ويعزز قولنا هذا ما رأيناه في الواقع من النشاط النابي والحركة النكراء في هذه الايام اذ شرعوا يحصدون المسلمين حصدا بمختلف الوسائل وببث مشاريعهم الخيرية ومستشفياتهم ومدارسهم ومطبوعاتهم ونشراتهم واموالهم الطائلة المبذولة بسخاء وكذا رجالاتهم ونسائهم الذين يتجولون ويرتادون بيوت المسلمين للتبشير والتنصير فضلا عن اقامتهم الكنائس في المدن والقرى والارياف حتى في الاماكن التي لا يوجد فيها نصراني واحد .

ولا تسأل عن الامدادات التي تأتيهم تترى من الخارج من دول الغرب مثل الولايات المتحدة ، والانجليز ، وفرنسا ، وغيرها من الدول فانها مفضوحة قد لاكتها السن الخاص والعام .

خطر الصهيونيين

واما الصهاينة فليس بمستبعد ان تكون لهم وكالات او قل احبولات بهذه البلاد ضد العرب ، والمسلمين ، فقد كان لهم مثلها في بعض البلاد المجاورة يعرفها من يعرفها ممن مارس السياسة وتتبع حوادثها .

العلاج

سؤال : نشكر فضيلتكم على هذا البيان في تشخيص الحالة التي عليها المسلمون فهل لكم ان تبينوا لنا العلاج حتى يعرف الناس كيف يعالجون امراضهم ؟

جواب : الحقيقة اني قد اشرت الى العلاج بطريقة مجملة فيما تقدم من الحديث وهو الرجوع الى الدين الاسلامي ، ولكن لا بأس من زيادة حتى تتبين الحقيقة واضحة جلية .

اننا اذا اردنا ان نعالج امراضنا الاجتماعية حتى نشفى تماما وحتى لا نتسكع في اللحاق - بركب الحياة فنتوازى مع غيرنا ونجلس جنبا لجنب مع الامم الأخرى في المجال الدولي ، فلابد ان نعد لذلك عدتنا كما اعدها غيرنا والا فاننا لابد ان نتخلف ولا يمكننا اللحاق بالركب اذا امعنا في التقهقر .

قال الله سبحانه وتعالى :

« **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » (الانفال ٦٠) والعدة لكل تقدمية هي عبارة عن المال ، فلابد ان يكون لنا مورد او منبع للمال حتى نستطيع ان نوازي غيرنا او نتقدم عليه .

ولكن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليست لهم دول جبابرة تمدهم بالاموال وغير الاموال بسخاء كما لغيرهم .

اذن ، فهل لنا ان نكون تبعا في حين ان الله سبحانه وتعالى اراد لنا بالاسلام ان نكون زعماء متبوعين ؟ كلا ، انه جلت قدرته قد اعد لنا موردا من اخصب الموارد ومنبعا من أغزر المنابع بحيث لا يمكن ان يبقى الاسلام في المؤخرة لو استطاع المسلمون ان ينتفعوا بموردهم المالي ويحسنوا استغلاله لمصالحهم .



بريد الوعي الاسلامي

اقتراح

ارسل الينا الاخ محمد عبد العزيز الجارحي من الاسكندرية ـ مصر ـ يقول :

ان مجلة « الوعي الاسلامي » قد حققت اسمها فعلا بما تنشره من موضوعات مفيدة بعيدة عن الخلافات المذهبية . وبعدم اهتمامها بنشر « الصور » بعكس ما تفعله المجلات الاسلامية الأخرى .

ثم اقترح علينا الاخ محمد ان ننشر شيئا ولو يسيرا عن البدع الشائعة ونحاربها حتى نعود بالاسلام الى نبعه الصافي كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد صحابته من بعده عليهم رضوان الله .

ثم اقترح أيضا ان يخصص جزء من المجلة لبيان الاحكام الخاصة بالنساء .. وختم رسالته بتوجيه التحية الاسلامية الى كل الاخوة المسلمين .

المحرر :

نشكر للاخ القارىء اهتمامه بالمجلة وحرصه على قراءتها وغيرته على دينه الاسلامي ، وندعو له بالتوفيق .

أما بخصوص ما اقترحه علينا .. فاننا نقول : ان « **الوعي الاسلامي** » لا تألو جهدا في محاربة البدع والخرافات الشائعة بين الجهلاء ، ولقد نشرت العديد من المقالات في هذا الخصوص متبعة طريقتها في معالجة الأمور بالقول الحسن والكلمة الطيبة ، يحدوها الأمل في أن تختفي كثير من العادات السيئة بفضل الدعاة إلى الله والمتواجدين في أرض البدع والخرافات .. ولا تملك المجلة غير النصيحة وبيان الحق والدعوة إلى التحرر من أسر العادة حتى يعود الاسلام نقيا ناصع البياض كما كان .

أما عن الأحكام الخاصة بالنساء .. فلا يمر عدد من أعداد المجلة إلا ويشار فيه إلى هذه الأحكام من خلال المقالات العديدة .. والحديث على العموم موجه إلى المرأة والرجل فكلاهما سواء في التكليف .. إلا ما كان خاصا بالمرأة فإنه ينص عليه في موضعه .. فعند الحديث عن الصوم مثلا : نذكر حكم المرأة الحامل ، والمرضع ، والحائض والنفساء إلى آخره ، وعند الحديث عن الصلاة : نذكر عورة المرأة في الصلاة والتي يجب سترها ، إلى غير نلك من الأمور » وعلى العموم فكل ما ينشر في المجلة موجه إلى الرجل والمرأة على السواء ، وتحياتي لك يا أخ محمد .

لعب الورق

أرسل إلينا الأخ إدريس ابراهيم حربي ـ من السودان ـ يسأل عن حكم لعب الورق وما شابهها :

ونقول له : إن كل ما فيه مضيعة للوقت بلا فائدة عملية أو ذهنية فهو منهى عنه ، ولعب الورق إن كان على رهان أو مال فهو قمار .. ولعب القمار حرام ، وكذلك كل ما شابهه . وننصحك بأن تستغل وقتك فيما يعود عليك بالمصلحة والمنفعة في الدين والدنيا ، ولا مانع من قضاء بعض الوقت للترفيه عن النفس فيما أحله الله من المتع المباحة واللهو البرىء .

سندات الادخار

ويسأل أيضا عن حكم سندات الادخار .. وهي سندات تعدها البنوك وتحدد قيمتها على أن يستردها صاحبها بعد عدة سنوات بقيمة محددة ..

ونقول للأخ السائل : إن الذي عليه العلماء أنه لا ينبغي أخذ مال على أن يعاد إلى صاحبه بعد فترة زمنية محددة بزيادة معينة .. كأن يأخذ البنك مبلغ ١٠٠ دينار من العميل على أن يعيدها إليه بعد عشر سنوات مثلا ١٥٠ دينارا .. فهذا حرام ، ولكن الجائز هو أن يكون المبلغ وديعة لدى البنك يستثمرها على أن يكون لصاحبها نصيب من الأرباح معروف النسبة ، ولكن ليس معروف القيمة .. وفي المصارف الاسلامية غناء عن التعامل في الحرام أو ما فيه شبهة حرام .

المهور

ونقول للأخ إدريس : إن الاسلام يحث على التيسير على الشباب في موضوع الزواج فأكثر الزواج بركة واستقرارا ما كان فيه المهر بسيطا لا يرهق كاهل الزوج وإن كان الاسلام لم يفرض حدا أدنى للمهور فكذلك لم يحدد مقدارا أعلى له ، بل ترك ذلك لعرف الناس وتقاليدهم بشرط ألا يصطدم ذلك مع روح الشرع ، والا يؤدي إلى مفسدة .. فـإذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هناك من كان مهرها تعليمها آيات من القرآن الكريم ، أو مجرد خاتم من حديد .. والمهر عطية ومنحة من الزوج لزوجته ، فلا ينبغي أن يرهق الزوج بسبب ذلك .



رعاية الشباب اسلامية

جاء في كلمة الدعوة السعودية تحت العنوان السابق :

لا يختلف اثنان في ان شباب كل امة هو عمودها الذي تبني عليه قبة مجدها وفخارها .

إنهم القلب النابض ، والعقل المتقد ، والحركة البانية واذا كانت حكمة الشيوخ وحنكتهم وخبرتهم لا تستغني عنها أية أمة حية ، فان جانب التنفيذ والتطبيق والقدرة المركزة الدءوب على التفكير العملي المتواصل والتجربة المتلاحقة المفضية الى النتائج المهمة هي من عمل الشباب .

من هنا يقاس تقدم الأمم بعدد العاملين فيها من الشباب ويكون تقدمها مزدهرا لو كان هؤلاء الشباب على قدر من المهارة والاخلاص والقدرة على الاختراع والابتكار والعطاء .

والدول كل الدول ـ حريصة على ان يكون لديها طاقات كافية من الشباب المؤهل .. وهذا امر لا مشاحة فيه .

لكن الامر الذي يحتاج الى دراسة وتخطيط هو اسلوب تكوين هؤلاء الشباب واسلوب اعدادهم ، هنا تبذل كل أمة غاية جهدها في أن تطبق منهجها الذي اختارته لنفسها وتحاول بشتى الوسائل ـ ان تجعل من شبابها حملة ممتازين وجنودا مؤهلين لتشييد مجدها وللتعبير عن منهجها في الحياة وللخروج بهذا المنهج عن طريق التجربة الحية إلى مستوى الرسالة العالمية التي تصلح للتأسي والقدوة ولو القينا نظرة على العالم من حولنا لوجدنا المعسكرات الرأسمالية حريصة كل الحرص على ان يبدو شبابها خير ممثل للفكرة الديمقراطية وللأسلوب الحر الذي لا تقيده الا قيود المصالح المشتركة والاخلاق النفعية ـ اما المعسكرات الاشتراكية فهي تربي الشباب لديها على الفكرة الشيوعية الالحادية فروسيا مثلا تتعهد الشباب منذ نعومة اظفارهم فتفرض عليهم معاهد الالحاد وعبادة لينين وتقديس المنجزات الاشتراكية الثورية التي سحقت الانسان في طريقها .. وفي سبيل ذلك تقيم روسيا المباريات الرياضية والرحلات الترفيهية وتصدر بمعدل كتاب كل

ساعة لتثقيف الشباب تثقيفا اشتراكيا ثوريا محبوكا بكل خيوط الضلال المنظم !!

وقد كان شباب الصين يقرأ جزءا من كتاب (ماوتسي تونج) مع كل طعام ، وقبل كل تدريب عسكري وفي اثنائه حتى خرج جيل مسحور بالاشتراكية مملوء بباطلها وان كانت الظواهر تؤكد الان ان ذلك الباطل في طريقه الى الزوال !!

***

ونحن ـ المسلمين ـ يجب ان نضاعف اهتمامنا برعاية الشباب وبتربيته عقديا وخلقيا ونفسيا وتثقيفه التثقيف المدروس الواعي الذي يجعله يعتز بدينه وحضارته الاسلامية ويصبح خير ممثل بفكره وسلوكه وانتاجه ـ لهذه الحضارة الشامخة .

ان توجيه الشباب يتجاوز الاهتمام بالمنافسات الرياضية والتعاقد مع اشهر المدربين بمبالغ خيالية .

كما ان الاهتمام برعاية الشباب لا يعني ابدا ان نتلقف المباريات الرياضية من الشرق والغرب لنبثها على جماهيرنا الشبابية .

ان رعاية الشباب هي التطبيق العملي للمنهج الاسلامي الصحيح في تربية الشباب تربية متكاملة تعني بروحه وعقله وجسمه . وان الرعاية الحقة في حاجة الى المنهج القرآني الذي خرج لنا اعظم قادة العالم .. إنه المنهج الذي خرج خالد ابن الوليد والقعقاع بن عمرو ومصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وغيرهم كثير . ان هذا المنهج في حاجة الى كفاءات وطنية عالية ، وتخطيط سليم ، وجهود متواصلة .

وغني عن البيان اننا لا ننتقص من قيمة وأهمية الجسم السليم لكن هذا الجسم السليم اذا لم يقد بروح اسلامية قوية ويحكم بخلق عظيم سيصبح وبالا على صاحبه يجره الى الهدم والمفاسد وكأنه قطار بدون سائق او سيارة يقودها معتوه !! وقديما سقطت روما وهي قوية تصارع الثيران !!

فليس بالجسم وحده تقام الأمم ، وانما بالروح والعقل .. ثم بالجسم تقوى الامم وتبنى الدول .

ولن تبنى امة من غير شباب عظيم ينتمي لأمته ويؤمن برسالتها في الحياة .

- شباب قوي في عقيدته وروحه .
- شباب قوي في عقله وفكره .
- شباب قوي في جسمه .

ولا مراء في أن إعطاء أي جانب من هذه الجوانب غير رتبته او اكثر من حقه لا يعتبر (رعاية للشباب) وانما هو ملهاة للشباب ، وهذا ما نرجو أن يحفظ الله أمتنا المسلمة الكريمة منه آمين .

العدو يقتل ونحن نشجب

تقول جريدة الاتحاد الصادرة في (ابو ظبي) تحت هذا العنوان في كلمة للاستاذ عبد الله رشيد :

في لبنان سقطت القنابل الحارقة ، وسقطت معها كل الاقنعة من فوق الوجوه ، ووضحت الحقيقة مزقت تلك القنابل اجساد الشهداء . كأن البشرية قد حكمت على نفسها بالموت ، والقت الطائرات حمولتها القذرة على المدن والقرى دون تمييز بين الاطفال والنساء والشيوخ ، استباحت الارض فعملت بها ما يحلو لها من حرق ودمار .

وبعد .. ماذا حدث ؟ لقد احرق العدو الاخضر واليابس . نفذ تهديداته ووعوده السابقة اعتدى على الارض العربية واستخدم في ذلك احدث الاسلحة الفتاكة للبطش بالابرياء .

اطفالنا هناك يصرخون انهم يتحدون الاعداء في ساحة القتال بكل بسالة وشجاعة فهذا العدو اللعين لم يفرق بين المرأة والرجل الكل عنده سواء . المهم ان يبيد من الوجود هذا الانسان العربي نعم .. العدو يقاتل ونحن نقاتل ، ولكن تختلف الاسلحة لدى الطرفين فعدونا يقاتل بالسلاح ويصب جام غضبه على رؤوس الابرياء والعزل يفتك بالحديد والنار اجساد كل كائن حي يحرق بالحقد الاسود كل جميل على وجه الارض يطلق التهديدات والوعود بالانتقام والهجوم ثم ينفذ تهديداته ووعوده بالفعل . هذا الجانب بكل اسف حقق له ما اراد ولا يزال يأمل في تحقيق المزيد .

والطرف الآخر يقاتل هو ايضا ولكن باسلوب وسلاح يختلفان تماما فالعدو يفتك بسلاحه ونحن نفتكه بالشجب ويتبع اسلوب التوسع ونتبع اسلوب الاستنجاد .

ومنذ زمن بعيد ونحن نسمع الكلام والوعود فقط ، سؤال واحد كان يخطر على بالنا عند كل هجمة كان يشنها الاعداء علينا وهو : اين الفعل ؟ اين الذين يقولون ويفعلون ؟

ان العدو شرس وخبيث يعرف كل صغيرة وكبيرة عنا . مطلع على كل ما يجري على الساحة العربية من احداث فاستطاع ان يفرقنا وينتهز الفرصة تلو الاخرى لينال ما يريد ويفعل ما يحلو له في جزء عزيز من الوطن العربي .

ومطامع العدو الصهيوني لم ولن تنتهي ابدا ، بل انه يطمع في تحقيق المزيد وسيتعمد في كل مرة العبث بكرامة وشرف الارض العربية وسيعاود انتهاك اجوائنا ومياهنا الاقليمية ولن يتوقف عن قتل الابرياء وسيعمد في المرات القادمة الى القاء قنابل اكثر زنة من ٢٥٠٠ رطل فوق المدنيين وعلى رؤوس الابرياء دون مبالاة .

ثم ماذا يحدث ؟ يبدأ رد الفعل العربي المتمثل في الشجب والاستنكار والادانة العدو يضرب ونحن ندين ! وتمر الايام والسنون ورصيد الشجب يزيد والارض العربية تضيع .. ويجيء جيل بعد جيل ويضيع هذا الحديث ..

لدينا عددين فقط هما (١٩٩) و (٢٠٤)
والأعداد الناقصة هذا العام هي (١٩٣ ← ١٩٨) و ~~١٩١~~ و (٢٠٠ ← ٢٠٣)

فهرس عام مجلة

الوعي الإسلامي

في عامها السابع عشر

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

يشتمل

على الموضوعات والكتاب

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

عنوان المقال	اسم الكاتب	العدد/صفحة
ابعاد الاسراء والمعراج	الدكتور/ محمد رواس قلعة جي	٣٨/١٩٩
ابن الهيثم	الاستاذ منذر شعار	٩٦/١٩٤
احتفال الوزارة بالعام الهجري	التحرير	١٠/١٩٤
احتفال الوزارة بالمولد النبوي	التحرير	٦/١٩٦
الاحتكار	الاستاذ/ عبد السميع المصري	٣٠/١٩٤
احكام التداوي بالمحرمات	الدكتور/ محمود ناظم النسيمي	١١٢/١٩٩
احكام النقود باقية	الدكتور/ علي السالوس	٩٢/١٩٨
احوال البيئة النبوية	الاستاذ/ محمد عزة دروزة	٤٦/١٩٤
اخاء العقيدة بين الأمس واليوم	الاستاذ/ عبد العظيم منصور	٩٠/٢٠٠
اخوة الاسلام	الاستاذ/ محمد محمد حلاوة	٨٨/١٩٦
ادعياء النبوة	الدكتور/ احسان صدقي العمد	٥٨/١٩٩
الادلة الجنائية في القرآن	الدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي	٩٩/١٩٦
الأدلة الجنائية في القرآن (٢)	الدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي	٧١/١٩٨
الاستشراق واهدافه	المستشار علي عبد اللاه طنطاوي	٦٤/٢٠٤
الاسراء والمعراج	الاستاذ/ سعد صادق محمد	٦٨/١٩٩
الاسراء والمعراج	الدكتور/ محمد سعد قشوان	٥٢/١٩٩
اسرى الحرب في الاسلام	الاستاذ/ حسن عبد الغني ابو غدة	٥٠/٢٠٣
الاسلام دين المدنية	الاستاذ/ علي عبد اللاه طنطاوي	٨٦/١٩٧
الاسلام ماضيه وحاضره	الدكتور/ عبد الكريم الخطيب	٦/١٩٩
الاسلام منطلق الهدى	الاستاذ/ محمود ابراهيم طيره	٧٢/١٩٣
الاسلام واثره في رقي الفكر	الشيخ/ سليمان احمد التهامي	١٠١/٢٠٢
الاسلام والتأمينات الاجتماعية	الاستاذ/ سالم البهنساوي	١١٦/١٩٤
الاسلام وتحديد النسل	الاستاذ/ ابراهيم النعمة	٩٠/١٩٥
الاسلام والجاهلية	الدكتور/ عبد الفتاح محمد سلامة	٥٢/٢٠٤
الاسلام والحضارة	الاستاذ/ عبد العظيم منصور	١٤/٢٠٤
الاسلام والسياسة	الدكتور/ فوزي النجار	١٢/٢٠٣
الاسلام والسياسة (كتاب الشهر)	الاستاذ/ عبد السميع المصري	١٣٨/١٩٩
اصح وثيقة في تاريخ البشرية	الاستاذ/ ابو الوفا مصطفى المراغي	٥٨/١٩٨
اصول علوم الحيوان في القرآن	الاستاذ/ عبد الرزاق نوفل	٧٦/٢٠٠
اضواء على المضاربة والبنوك	الاستاذ/ مجدي عبد الفتاح سليمان	٢٠/١٩٨
أطفالنا والألبان الصناعية	الاستاذ/ محمد حسن عبد العزيز	٨٤/١٩٤
اطياف الميلاد	الاستاذ/ عبد الحميد محمد المشهدي	٨٠/١٩٩
اعجاز القرآن البياني	الدكتور/ منير سلطان	٥٩/٢٠٤
الاعياد الخالدة والبائدة	الاستاذ/ عبد الرحمن شادي	١٢٥/٢٠١
آفة الانفتاح الثقافي على الغرب	الاستاذ/ طه محمد كسبه	١١٦/١٩٧
الاقتصاد في الاسلام	الاستاذ/ عبد الحميد عبد الفتاح	١٣٢/١٩٨
اكثر الأوجاع شيوعا	الدكتور/ غريب جمعة	١٠٠/٢٠٤

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

عنوان المقال	اسم الكاتب	العدد/ صفحة
حاذر يا ولدي	الاستاذ/ احمد العناني	٢٠٠/ ٢٨
الحديث النبوي والقرآن الكريم	الدكتور/ محمد الأحمدي ابو النور	١٩٤/ ٢٠
الحرب والسلام	الاستاذ/ محمد عبد السلام نجم	٢٠٢/ ٥٨
حركة البحث العلمي	الدكتور/ حسن فتح الباب	٢٠٣/ ١٠٦
حركة النهضة الحديثة	الدكتور بكر مصباح تنيره	١٩٦/ ٣٥
الحق المنتصر	الاستاذ/ علي احمد علي	١٩٥/ ٥٨
حقوق المرأة في الاسلام	الاستاذ/ محمد ابراهيم عامر	١٩٣/ ٧٨
الحكم بغير ما انزل الله	الشيخ/ عبد الحميد السائح	٢٠٠/ ٦٧
حكمة الاسراء والمعراج	الاستاذ/ سيد خليل الابوتيجي	١٩٩/ ١٣٤
حكم المرتد في الاسلام	الشيخ/ محمد الأباصيري خليفة	١٩٤/ ١٦
الحلف بالطلاق	الدكتور/ محمد محمد الشرقاوي	٢٠٣/ ٦٨
حواء وبناتها (كتاب الشهر)	الاستاذ/ عاصم الأدفوي	٢٠٢/ ١١٦
حول مؤتمر حقوق الانسان	التحرير	١٩٥/ ١١٠
حول مؤتمر الغرفة الاسلامية	التحرير	١٩٨/ ٦٤
حول مؤتمر القمة الاسلامية	التحرير	١٩٧/ ١٠٤
حول النظام الاسلامي	الشيخ/ ابو الوفا مصطفى المراغي	١٩٤/ ٢٦
حياة الانسان على الارض	الدكتور/ محمد طموم	١٩٤/ ٦٠
حياة الحياة	الاستاذ/ عز الدين علي السيد	١٩٤/ ٧٨
حيلة يوسف	الدكتور/ نجاشي علي ابراهيم	١٩٤/ ٩٩
الخطر الشيوعي في افريقيا	الاستاذ/ عبد الفتاح مقلد غنيمي	١٩٥/ ٤٨
دعائم القوة في سورة الانفال	الاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي	٢٠٠/ ٣٥
دعائم المثالية الانسانية	الاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي	١٩٩/ ١٥٤
دعاة الحق وادعياء التدين	الاستاذ/ ثنين محمد اتركان	١٩٩/ ١٥٥
دعوات هدامة فاحذروها	الاستاذ/ محمد السيد علي بلاسي	١٩٩/ ١٥٤
الدعوة الاسلامية	الاستاذ/ عبد الفتاح مقلد غنيمي	١٩٣/ ٩٤
دور الشباب في غزوة احد	الاستاذ/ سيد ناجي	١٩٧/ ٩٩
الدين ضرورة حتمية	الاستاذ/ علي عبد العظيم	١٩٤/ ١٤٠
الدين والامتحانات	الاستاذ/ محمد محمد حلاوة	٢٠٣/ ٧٦
الدين هو الحل	الاستاذ محمد احمد العزب	١٩٤/ ١٣٢
الذات المسلمة والابداع الحضاري	الدكتور/ عبد الحليم عويس	١٩٤/ ٥٦
الذكرى في منطق العصر	الاستاذ/ محمد الدراجيلي	١٩٥/ ١٠٦
الرجل الذي اهتزله عرش الرحمن	الاستاذ خميس عواد عوده	٢٠٤/ ٦٩
الرسول الداعية	الاستاذ/ محمد كمال الدين	١٩٣/ ٦٧
الرشوة واثرها	الاستاذ/ عبد المنصف محمود	٢٠١/ ١٢٢
رمضان اقبل	الدكتور/ محمد محمد الشرقاوي	٢٠١/ ٨٦
رمضان شهر امتي	الاستاذ/ حسن منصور	٢٠١/ ٥٤
روح السورة واهدافها	الدكتور/ عبد الله محمود شحاته	٢٠٢/ ٢٠

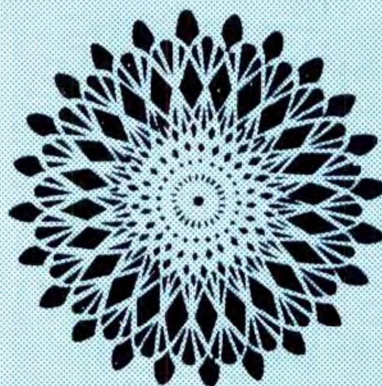
موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

عنوان المقال	اسم الكاتب	العدد/ صفحة
نعم العطاء	الاستاذ/ حسين عبد الحليم	٦٤/٢٠٢
النفس في عالمها	الاستاذ/ محمد لبيب البوهي	٨٦/٢٠٤
النمو الخلقي	الدكتور/ عبد الرحمن عيسوي	١٠٨/٢٠٢
الهجرة حركة رائدة	الاستاذ/ احمد عبد الرحيم السائح	١٢٨/١٩٣
الهجرة النبوية (قصيدة)	الدكتور/ احمد حسنين القفل	١٥٦/١٩٣
الهدية	الاستاذ/ عبد اللطيف فايد	١٤٨/٢٠٠
هذا هو الدواء	الاستاذ/ محمد محمد حلاوة	٧٢/١٩٤
هذا هو الطريق	الشيخ/ معوض عوض ابراهيم	٧٢ /١٩٦
الهلال الاحمر معكم ولكم	التحرير	١٤٤/٢٠٠
هنا أمام الحرم (قصة)	الاستاذ/ احمد العناني	٩٩/٢٠٣
الواقعية في الاسلام	الاستاذ/ عبد الغني احمد ناجي	٨٠ / ٢٠٤
والله متم نوره	الاستاذ/ عبد الحفيظ فرغلي علي	٣٠/١٩٣
وان من شيء الا يسبح بحمده	الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم	١٢٣/١٩٣
وان يوما عند ربك كالف سنة	الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم	٦/٢٠٤
الوثنية والنصرانية	السمتشار/ محمد عزت الطهطاوي	٤٠/١٩٤
الوزارة في الفكر الاسلامي	الدكتور/ فؤاد عبد المنعم	١٥٢/١٩٨
الوسط في الاسلام	الاستاذ/ عمر الراكشي	٧٤/١٩٩
الوصية الواجبة	الاستاذ/ محمد مصطفى الزحيلي	١٢٦ /١٩٩
وما من دابة في الارض	الدكتور/ عبد المحسن صالح	١١٢/١٩٩
يا اسوة سعد الانام بنورها	الدكتور/ احمد حسنين القفل	٦٧/١٩٥



أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
أبراهيم سليمان عيسى	نحو فهرسة لمناسك الحج	٢٠٣/ ٢٦
أبراهيم علي ابو الخشب	مع اعجاز القرآن الكريم	١٩٤/ ١٢٢
أبراهيم علي ابو الخشب	التفكير في الدين	٢٠٢/ ٦
أبراهيم النعمة	الاسلام وتحديد النسل	١٩٥/ ٩٠
أبراهيم النعمة	صلاحية شريعة الاسلام	٢٠٠/ ٦٢
أبراهيم النعمة	المسلمون وتحديات الغزو الفكري	٢٠٣/ ٩٤
ابو الوفا مصطفى المراغي	حول النظام الاسلامي	١٩٤/ ٢٦
ابو الوفا مصطفى المراغي	اصح وثيقة في تاريخ البشرية	١٩٨/ ٥٨
احسان صدقي العمد	ادعياء النبوة	١٩٩/ ٥٨
أحمد بدر الدين نجيب	بماذا ينهض الاسلام	١٩٨/ ١٥٥
أحمد حسن قضاة	عودة العيد (قصيدة)	٢٠٤/ ٨٥
أحمد حسنين جريفل	المولد النبوي الشريف (قصيدة)	١٩٩/ ١٥٥
احمد حسنين القفل	الهجرة النبوية (قصيدة)	١٩٣/ ١٥٦
احمد حسنين القفل	يا اسوة سعد الانام بنورها	١٩٥/ ٦٧
احمد حسنين القفل	تفسير فاتحة الكتاب	١٩٧/ ٦
احمد حسنين القفل	العلم في القرآن الكريم	٢٠٠/ ٣٢
احمد حسين مرواد	صلاة الجمعة	١٩٦/ ١٥٣
احمد حمد	من المسؤول عن تربية النشء	٢٠٤/ ٣٢
أحمد الشرباصي	محمد في القرآن الكريم	١٩٥/ ٩٩
احمد شوقي ابراهيم	وان من شيء الا يسبح بحمده	١٩٣/ ١٢٣
احمد شوقي ابراهيم	نظرية فرويد	٢٠٢/ ٨٠
احمد شوقي ابراهيم	وان يوما عند ربك كالف سنة	٢٠٤/ ٦
احمد شوقي الفنجري	الطب الاسلامي	١٩٥/ ١٢٦
احمد شوقي الفنجري	نظام العقوبات في الاسلام	٢٠٢/ ٥٠
احمد عبد الرحيم السائح	الهجرة حركة رائدة	١٩٣/ ١٢٨
احمد عبد الرحيم السائح	العبادة في الدين الاسلامي	١٩٩/ ٤٤
احمد العناني	حذار يا ولدي	٢٠٠/ ٢٨
احمد العناني	هنا أمام الحرم (قصة)	٢٠٣/ ٩٩
أحمد محمد دحلوب	موقف الاسلام من اعدائه	٢٠٠/ ١٥٥
احمد محيي الدين العجوز	عقد التأمين	١٩٨/ ٣٥
اسماعيل احمد الطحان	النبي في اهله	١٩٩/ ٣١
انور الجندي	قضية الاقتباس من الغرب	١٩٤/ ١٥٢
بكر مصباح تنيره	حركة النهضة الحديثة	١٩٦/ ٣٥
التحرير	كلمة سمو أمير دولة الكويت	١٩٤/ ٤
التحرير	احتفال الوزارة بالعام الهجري	١٩٤/ ١٠
التحرير	القدس (١)	١٩٤/ ١٢٠
التحرير	منهاج الصالحين (كتاب الشهر)	١٩٥/ ٧٢

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/صفحة
التحرير	حول مؤتمر حقوق الانسان	١١٠/١٩٥
التحرير	القدس (٢)	١٤٤/١٩٥
التحرير	احتفال الوزارة بالمولد النبوي	٦/١٩٦
التحرير	مؤتمر الطب الاسلامي الاول	١٠٨/١٩٦
التحرير	القدس (٣)	١٣٨/١٩٦
التحرير	حول مؤتمر القمة الاسلامي	١٠٤/١٩٧
التحرير	حول مؤتمر الغرفة الاسلامية	٦٤/١٩٨
التحرير	الهلال الاحمر معكم ولكم	١٤٤/٢٠٠
تنين محمد اتركان	دعاة الحق وادعياء التدين	١٥٥/١٩٩
توفيق محمد سبع	القرآن نبع حضاري متجدد	٦/١٩٨
جاسر ابو صفية	التفسير النبوي للقرآن	١٤/١٩٩
حسن الحفناوي	من دلائل صدق الرسالة المحمدية	٣٥/١٩٤
حسن عبد الغني ابو غدة	اسرى الحرب في الاسلام	٥٠/٢٠٣
حسن فتح الباب	حركة البحث العلمي	١٠٦/٢٠٣
حسن محمد ايوب	الصرف وبيع العملات	٧٦/١٩٦
حسن محمد ايوب	الأوراق المالية والمصرفية	٢٢/٢٠١
حسن منصور	رمضان شهر أمتي	٥٤/٢٠١
حسني عبد الهادي عصر	من قطوف القرن الخامس عشر	٨٢/٢٠٠
حسنين نعيم	منهج الاسلام في بناء المجتمع	١٤/٢٠٢
حسين الطوخي	طائر يرد الجميل (قصة)	١٤٦/١٩٩
حسين عبد الحليم	نعم العطاء	٦٤/٢٠٢
حسين فوزي النجار	الاسلام والسياسة	١٢/٢٠٣
حسيني عرابي عطوه	منهج الجهاد في الاسلام	٦٣/١٩٩
خضر سليمان عبد السلام	العين ادلة وبراهين	١٥٢/٢٠٠
خميس عواد عوده	الرجل الذي اهتزله عرش الرحمن	٦٩/٢٠٤
زكريا عبد الستار المزين	مؤمنون حقا	١٥٦/١٩٤
زيدان عبد الباقي	التطبيع الاجتماعي الاسلامي	١٦/٢٠٣
سالم البهنساوي	الاسلام والتأمينات الاجتماعية	١١٦/١٩٤
سعاد صبحي شحاته	المرأة المسلمة	١٥٨/١٩٣
سعاد صبحي شحاته	غلاء المهور	١٥٦/١٩٧
سعد صادق محمد	الاسراء والمعراج	٦٨/١٩٩
سعد صادق محمد	المسلمون وقضاياهم	٧٢/٢٠١
السعيد الشرباصي	من الأدب الاسلامي	٩١/١٩٤
سليمان احمد التهامي	نظام الحكم في الاسلام	١١١/١٩٣
سليمان احمد التهامي	الاسلام واثره في رقي الفكر	١٠١/٢٠٢
سيد خليل الابوتيجي	حكمة الاسراء والمعراج	١٣٤/١٩٩
سيد ناجي	دور الشباب في غزوة احد	٩٩/١٩٧

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
سيف النصر الطلخاوي	مفاجأة (قصيدة)	١٩٤/ ٩٠
الشريف مأمون ابو الوفا	محمد اشرف الخلق	١٩٥/ ١٥٦
صلاح احمد الطنوبي	جنود على طريق الهجرة	١٩٣/ ١٥٢
صلاح احمد الطنوبي	لبيك اللهم لبيك	٢٠٣/ ١٢١
ضياء الحاج حسين	العسل والداء السكري	١٩٦/ ٦٧
طه محمد كسبه	آفة الانفتاح الثقافي على الغرب	١٩٧/ ١١٦
عاصم الأدفوي	حواء وبناتها (كتاب الشهر)	٢٠٢/ ١١٦
عباس محجوب	شباب الاسلام (قصيدة)	١٩٤/ ١٣١
عبد التواب يوسف	تجربة الهجرة	١٩٣/ ١٠٠
عبد الحفيظ فرغلي علي	والله متم نوره	١٩٣/ ٣٠
عبد الحفيظ فرغلي علي	صوم العارفين	٢٠١/ ١١٤
عبد الحليم عويس	الذات المسلمة والابداع الحضاري	١٩٤/ ٥٦
عبد الحميد بلبع	نظرات في سورة الحجرات	٢٠٠/ ٦
عبد الحميد السائح	القرآن والقرن الخامس عشر	١٩٣/ ٨
عبد الحميد السائح	الحكم بغير ما انزل الله	٢٠٠/ ٦٧
عبد الحميد عبد الفتاح المغربي	الاقتصاد في الاسلام	١٩٨/ ١٣٢
عبد الحميد محمد المشهدي	اطياف الميلاد	١٩٩/ ٨٠
عبد الحميد محمد المشهدي	الصوم مستلزمات الفطرة	٢٠١/ ١٠٤
عبد الرحمن ابراهيم الفكي	ترنيمة مسلم (قصيدة)	١٩٧/ ٩٢
عبد الرحمن احمد شادي	الاعياد الخالدة والبائدة	٢٠١/ ١٢٥
عبد الرحمن عيسوي	النمو الخلقي	٢٠٢/ ١٠٨
عبد الرحيم صالح عبد الله	تربية الطفل في الاسلام	٢٠٣/ ٤٢
عبد الرزاق نوفل	إيتاء الزكاة	١٩٧/ ٩٤
عبد الرزاق نوفل	اصول علوم الحيوان في القرآن	٢٠٠/ ٧٦
عبد الرزاق نوفل	علوم الزراعة والنبات في القرآن	٢٠٢/ ٩١
عبد السلام الهراس	قصة الافك	٢٠٢/ ٦٩
عبد السميع المصري	الاحتكار	١٩٤/ ٣٠
عبد السميع المصري	الاسلام والسياسة (كتاب الشهر)	١٩٩/ ١٣٨
عبد العظيم منصور	اخاء العقيدة بين الأمس واليوم	٢٠٠/ ٩٠
عبد العظيم منصور	الاسلام والحضارة	٢٠٤/ ١٤
عبد الغني احمد ناجي	من انماط البشر في القرآن	١٩٧/ ٦٢
عبد الغني احمد ناجي	في ذكرى الاسراء والمعراج (قصيدة)	١٩٩/ ٩١
عبد الغني احمد ناجي	دعائم المثالية الانسانية	١٩٩/ ١٥٤
عبد الغني احمد ناجي	دعائم القوة في سورة الاثقال	٢٠٠/ ٣٥
عبد الغني احمد ناجي	الواقعية في الاسلام	٢٠٤/ ٨٠
عبد الفتاح محمد سلامة	العلم في مدرسة القرآن	١٩٧/ ٣٢
عبد الفتاح محمد سلامة	مجتمع الاسلام الأول	٢٠٠/ ١٢٤

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/صفحة
عبد الفتاح محمد سلامة	من سمات مجتمع التوحيد	٢٤/٢٠٢
عبد الفتاح محمد سلامة	الاسلام والجاهلية	٥٢/٢٠٤
عبد الفتاح مقلد غنيمي	الدعوة الاسلامية	٩٤/١٩٣
عبد الفتاح مقلد غنيمي	الخطر الشيوعي في افريقيا	٤٨/١٩٥
عبد القادر محمد العماري	جهاد الامام ابن تيمية	١١٨/١٩٩
عبد الكريم الخطيب	التقليد والمقلدون	٦/١٩٥
عبد الكريم الخطيب	شخصية الرسول	٣٧/١٩٣
عبد الكريم الخطيب	الاسلام ماضيه وحاضره	٦/١٩٩
عبد الكريم الخطيب	مع آية من كتاب الله	٦/٢٠٣
عبد الكريم الخطيب	شخصية الرسول	٣٧/١٩٣
عبد اللطيف فايد	الهدية (قصة)	١٤٨/٢٠٠
عبد الله عبد القادر بلفقيه	من اشرافات الميلاد النبوي	٦٨/١٩٥
عبد الله محمود شحاته	روح السورة واهدافها	٢٠/٢٠٢
عبد المحسن صالح	وما من دابة في الارض	١٠٢/١٩٩
عبد المحسن صالح	من الشجر الأخضر نارا	١٠٤/١٩٤
عبد المقصود محمد حبيب	المد الاسلامي والتحدي	٩٢/١٩٦
عبد المنصف محمود	الرشوة وأثرها	١٢٢/٢٠١
عبد الناصر توفيق العطار	تقنين احكام الشريعة	٢٧/١٩٩
عزت ابو الفتوح حمودة	التدخين واضرازه	١٣١/١٩٦
عز الدين علي السيد	حياة الحياة	٧٨/١٩٤
عز الدين علي السيد	المثل الذي نفتقده	٥٢/١٩٨
علي احمد السالوس	احكام النقود باقية	٩٢/١٩٨
علي احمد علي	الحق المنتصر	٥٨/١٩٥
علي جريشة	كيف ندعو	٨٩/١٩٣
علي جريشة	فلسطين	٢٨/١٩٥
علي جريشة	امراض الدعاة	١٢٠/١٩٧
علي جريشة	الايدي الخفية	٥٦/٢٠٠
علي حسن الشكرجي	الغفلة (قصة)	٩٦/٢٠٢
علي عبد العظيم	الدين ضرورة حتمية	١٤٠/١٩٤
علي عبد اللاه طنطاوي	الاسلام دين المدنية	٨٦/١٩٧
علي عبد اللاه طنطاوي	القتل العمد	٩٢/٢٠١
علي عبد اللاه طنطاوي	الاستشراق واهدافه	٦٤/٢٠٤
علي القاضي	كيف تكون المجتمع الاسلامي بالمدينة	٢٢/١٩٣
علي القاضي	ماذا تعرف عن مكة عند الهجرة	٧٤/١٩٥
علي القاضي	من انتصارات رمضان	٥٨/٢٠١
علي مصطفى صبح	التصوير القرآني	٨٢/٢٠٣
عماد الدين خليل	معاول في جدار العلمانية	٩٢/١٩٩

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

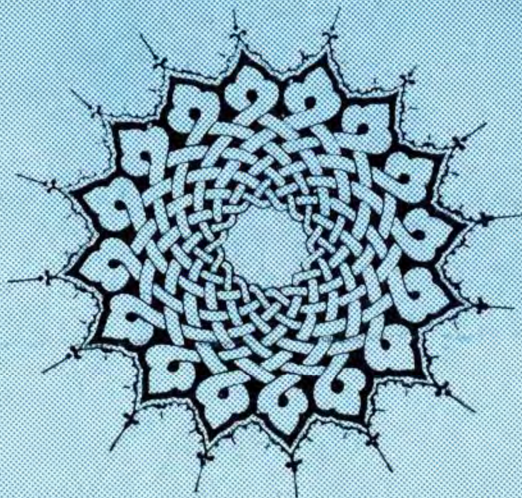
اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
عمر الراكشي	الكتب المقدسة والمعارف الحديثة	١٩٤/ ١٣٦
عمر الراكشي	الوسط في الاسلام	١٩٩/ ٧٤
عون الشريف قاسم	مجتمع الانفاق والايثار	٢٠٤/ ٧٤
غريب جمعة	اكثر الاوجاع شيوعا	٢٠٤/ ١٠٠
فاروق منصور	الفكر الاسلامي ودروس الهجرة	١٦٧/ ١٨
فؤاد عبد المنعم	الوزارة في الفكر الاسلامي	١٩٨/ ١٥٢
فؤاد محمود العارضة	لا دين لمن لا خلاق له	١٩٧/ ٧٤
مجدي عبد الفتاح سليمان	اضواء على المضاربة والبنوك	١٩٨/ ٢٠
محفوظ امين غريب	بين الآباء والابناء	٢٠٢/ ٨٦
محمد الأباصيري خليفة	كلمة الوعي	جميع الاعداد
محمد الاباصيري خليفة	حكم المرتد في الاسلام	١٩٤/ ١٦
محمد ابراهيم عامر	المرأة العصرية في دول الغرب	١٩٦/ ٤٢
محمد ابراهيم عامر	حقوق المرأة في الاسلام	١٩٣/ ٧٨
محمد احمد العزب	الدين هو الحل	١٩٤/ ١٣٢
محمد احمد العزب	المستقبل الحضاري للانسان	٢٠٠/ ١٣١
محمد الاحمدي ابو النور	الحديث النبوي والقرآن الكريم	١٩٤/ ٢٠
محمد جمال الدين الفندي	التفسير العلمي للقرآن	٢٠٢/ ٤١
محمد جمال الدين محفوظ	المراهقة في التربية الاسلامية	٢٠٠/ ١٠٤
محمد حسن عبد العزيز	اطفالنا والالبان الصناعية	١٩٤/ ٨٤
محمد حسن عبد العزيز	لا .. بل خلقت حواء من آدم	١٩٥/ ٨٤
محمد الحسيني عبد العزيز	البريد في الدولة الاسلامية	١٩٦/ ١٣٤
محمد الحسيني عبد العزيز	المدن الاسلامية	٢٠٠/ ٩٩
محمد الدراجيلي	الذكرى في منطق العصر	١٨٥/ ١٠٦
محمد الدسوقي	الصيام والتقوى	٢٠٠/ ٢٨
محمد زكي عبد البر	القضاء في الاسلام	١٩٧/ ٣٨
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	عبد الله بن عباس	١٩٨/ ١٤٠
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	شهر الصفاء والاخاء	٢٠١/ ٤٢
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	عبادة العمر	٢٠٣/ ٨٦
محمد رواس قلعة جي	ابعاد الاسراء والمعراج	١٩٩/ ٣٨
محمد سعد قشوان	الاسراء والمعراج	١٩٩/ ٥٢
محمد السيد علي بلاس	دعوات هدامة فاحذروها	١٩٩/ ١٥٤
محمد الشاذلي النيفر	التكوين الاسلامي	١٩٥/ ٤٠
محمد طموم	حياة الانسان على الارض	١٩٤/ ٦٠
محمد طموم	التشريع السماوي ووجود الانسان	١٩٦/ ٦٢
محمد عبد الحكم مهدي	الادلة الجنائية في القرآن (١)	١٩٦/ ٩٩
محمد عبد الحكم مهدي	الادلة الجنائية في القرآن (٢)	١٩٨/ ٧١
محمد عبد السلام نجم	الحرب والسلام	٢٠٢/ ٥٨

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/صفحة
محمد عبد القادر الفقي	القرآن وتلوث البيئة (١)	١٩٣/ ٦٠
محمد عبد القادر الفقي	القرآن وتلوث البيئة (٢)	١٩٧/ ١٢٦
محمد عبد الله السمان	السنة المفترى عليها (كتاب الشهر	٢٠٣/ ١١٣
محمد عبد المنعم خفاجي	التكوين العقلي للفرد	٢٠٣/ ١١٦
محمد عبد المنعم القيعي	منهج القرآن في التشريع	٢٠٤/ ٤٧
محمد عزت الطهطاوي	الوثنية والنصرانية	١٩٤/ ٤٠
محمد عزت الطهطاوي	عقيدة الألوهية	٢٠٣/ ٦٠
محمد عزت الطهطاوي	كنيسة النصرانية	٢٠٤/ ٩٣
محمد عزة دروزة	احوال البيئة النبوية	١٩٤/ ٤٦
محمد عزة دروزة	القرآن الكريم واليهود	١٩٧/ ٦٧
محمد العفيفي	التراسل بين القرآن والسنة(١)	١٩٣/ ٤٤
محمد العفيفي	التفسير النبوي للقرآن الكريم	١٩٦/ ٥٠
محمد العفيفي	التراسل بين القرآن والسنة(٢)	٢٠١/ ٦
محمد علم الدين	فضل الله على المسلمين	٢٠٤/ ٣٨
محمد فوزي فيض الله	فداء اسرى بدر	١٩٧/ ٥٦
محمد كمال ابراهيم جعفر	قرن جديد لأمل مجيد	٢٠٠/ ١٣٨
محمد كمال الدين	الرسول الداعية	١٩٣/ ٦٧
محمد كمال الدين	التضامن والتعاون في الاسلام	١٩٦/ ١٢
محمد الكوفي عسقيا نور	المولد كما يجب الاحتفال به	١٩٥/ ٢٢
محمد لبيب البوهي	عندما يريد العقل اقتحام الغيب	١٩٨/ ١٠
محمد لبيب البوهي	النبي عند سدرة المنتهى	١٩٩/ ٢١
محمد لبيب البوهي	ميادين جديدة تنتظر الاسلام	٢٠١/ ٤٨
محمد لبيب البوهي	النفس في عالمها	٢٠٤/ ٨٦
محمد المجذوب	مع الجماعة (قصة)	١٩٨/ ١٤٦
محمد محمد ابو شهبة	ترغيب الشباب في الزواج	١٩٨/ ٤٦
محمد محمد حلاوة	الجزاء المفتوح	١٩٨/ ٣٠
محمد محمد حلاوه	هذا هو الدواء	١٩٤/ ٧٢
محمد محمد حلاوة	اخوة الاسلام	١٩٦/ ٨٨
محمد محمد حلاوة	الدين والامتحانات	٢٠٣/ ٧٦
محمد محمد الشرقاوي	الناسخ والمنسوخ	١٩٤/ ٦٧
محمد محمد الشرقاوي	رمضان اقبل	٢٠١/ ٨٦
محمد محمد الشرقاوي	الحلف بالطلاق	٢٠٣/ ٦٨
محمد محمد الشرقاوي	لماذا احجم الاوائل عن تدوين السنة	٢٠٤/ ٢٧
محمد محمود السيد	شهر العزيمة والجهاد (قصيدة)	٢٠١/ ١٠٣
محمد مصطفى الزحيلي	الوصية الواجبة	١٩٩/ ١٢٦
محمد نعيم عكاشة	لمحات من هجرة الرسول	١٩٣/ ١٠٦
محمد نعيم عكاشة	ليلة القدر	٢٠١/ ٦٧

أسماء كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠١ هـ

اسم الكاتب	الموضوع	العدد/ صفحة
محمود ابراهيم طيره	الاسلام منطق الهدى	٧٢/١٩٣
محمود زيدان السفاريني	آيات جرت مجرى الامثال	١٥٥/١٩٦
محمود شاور ربيع	ليلة النصف من شعبان (قصيدة)	٨١/٢٠٠
محمود عبد الغفار دياب	الغريب (مسرحية شعرية) (١)	١٤٦/١٩٥
محمود عبد الغفار دياب	الغريب (مسرحية شعرية) (٢)	١٤٠/١٩٦
محمود عبد العزيز دياب	الغريب (مسرحية شعرية) (٣)	١٤٠/١٩٧
محمود عبد اللطيف فايد	شموع ودموع (قصيدة)	١١٤/٢٠٢
محمود محمد بكر هلال	ماذا لنا (قصيدة)	١٢٦/١٩٣
محمود محمد بكر هلال	الى حجاج بيت الله (قصيدة)	١٢٦/١٩٣
محمود محمد عماره	التقوى في ميزان الاسلام	١٦/١٩٨
محمود منسي	لقد كان لكم في رسول الله	١٣٢/١٩٣
محمود منسي	لقد كان لكم في رسول الله	٤٤/١٩٧
محمود ناظم النسيمي	احكام التداوي بالمحرمات	١١٢/١٩٩
مصطفى عبد الله	تعقيب على مقال انجيل برنابا	١٣٦/١٩٧
مصطفى عكرمه	اين الحضارة (قصيدة)	١٣١/١٩٨
معوض عوض ابراهيم	هذا هو الطريق	٧٢/١٩٦
منذر شعار	ابن الهيثم	٩٦/١٩٤
منور حسين مشهدي	جمعية الدعوة الاسلامية ببريطانيا	١٢٠/٢٠٢
منير سلطان	اعجاز القرآن البياني (كتاب الشهر	٥٩/٢٠٤
نجاشي علي ابراهيم	حيلة يوسف	٩٩/١٩٤
وهبه الزحيلي	التوبة	١٦/١٩٦



اقرأ في هذا العدد



العالم الاسلامي

اتحاد ماليزية (مالايو)

○ دولة اسلامية تقع في بحر الصين الجنوبي جنوب شرقي قارة آسيا مساحتها ١١٨٥١٣ميل مربع وعدد سكانها ١٠,٥ مليون نسمة معظمهم من المسلمين تتألف من اتحاد تسع دول عاصمتها (كوالا لمبور) .

○ ينتمي ٥٠٪ من سكان ماليزية للأصل المالاوي والباقي يتألفون من عناصر صينية وهندية واللغة الماليزية هي لغة اهل الملايو الوطنية الاصلية كما تستعمل اللغة الانكليزية في جزيرتي صباح وساراواك وتكتب اللغة الماليزية الوطنية بالأبجدية العربية .

○ الاسلام دين الدولة في ماليزية وقد دخل الاسلام الى ماليزية عن طريق التجار العرب والهنود الذين اتصلوا بهذه المنطقة فأعجب سكان الملايو بسماحة الاسلام وبساطة تعاليمه فاقبلوا عليه .

○ يعتمد سكان ماليزية اعتمادا كليا على الزراعة وتخصص ماليزية ٦٥٪ من اراضيها لزراعة المطاط والباقي للشاي والبن والارز وجوز الهند وتشكل الغابات ٧٥٪ من الأرض .

○ ماليزية غنية بالثروة المعدنية كالقصدير والفحم الحجري والحديد والمنغنيز وتعد اول دولة في العالم في انتاج القصدير .

○ خضعت الملايو في القرن السادس عشر الميلادي للسيطرة البرتغالية وحاول البرتغاليون نشر المسيحية لكن اهل البلاد صمدوا في وجه الموجة الصليبية ومازال الاسلام في انتشار دائم في كل المناطق رغم حملات التبشير النشطة وصدق الله العظيم : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .



اتحاد ماليزية